

(٧٦٠)

الاكتئاب

في كتب التراث

عن مجاهد ﴿فإذا هم مبلسون﴾ قال: الاكتئاب

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١-"و كانوا قبل نزول المطر عليهم يائسين حزينين لاحتباس المطر عنهم ، وأكد تعالى وجود ظاهرة اليأس والاكتئاب قبل إنزال المطر ، ليدل على شدة حال الناس ، ثم تغيرها إلى حال البشر والفرح ، فكلمة من قبله للتأكيد عند أكثر النحويين ، كما في قوله تعالى : فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها [الحشر ٥٩/ ١٧]. وقال الرازي : والأولى أن يقال : من قبل أن ينزل عليهم من قبله أي من قبل إرسال الرياح ، وذلك لأنه بعد الإرسال يعرف الخبير أن الريح فيها مطر أو ليس فيها مطر ، فقبل المطر إذا هبت الريح ، لا يكون مبلسا ، وإنما قد يكون راجيا غالبا على ظنه المطر برؤية السحب وهبوب الرياح ، فقال : من قبله أي من قبل ما ذكرنا من إرسال الرياح وبسط السحاب ، لبيان حال حدوث الإبلاس أي اليأس « ١ » .

٤- إن النتيجة الطبيعية لإنزال المطر هي الدلالة بذلك على أن من قدر عليه قادر على إحياء الموتى. وقوله تعالى : إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير نوع من القياس يقال له : قياس الغائب على الشاهد ، أو استدلال بالشاهد على الغائب ، أي إثبات البعث بناء على ثبوت ظاهرة مشابهة هي إحياء النبات.

٥- المشركون مضطربون قلقون في عقيدتهم ، فتراهم عند إقبال الخير فرحين به ، وعند ظهور السوء يائسين مكتئبين ، ومثال ذلك : أنهم إن أحرقت الريح زرعهم ، فاصفر ثم يبس ، كفروا وجحدوا وجود الخالق ، وتنكروا لمن أنعم عليهم

---

(١) تفسير الرازي : ٢٥/ ١٣٣ ، وكذلك قال أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ١٧٩) : ما ذكره ابن عطية والزمخشري من فائدة التأكيد في قوله : من قبله غير ظاهر.

ج ٢١ ، ص : ١١٠". (١)

٢-"أنت عندما تطلب العلم يجب أن تصبر على جفوة شيخك؛ لأنك أنت ربما تأتيه وهو مكدر الخاطر. ذات مرة أتى إلي شخص وقال لي: انظر! أنا تركت مجلسك وصار لي سنتان، أظن أنه من حقي أن تعطيني من صبرك ومن وقتك. قلت له: أنت تركتني منذ سنتين لكن غيرك لم يتركني، يعني أنا مشغول بصفة مستمرة، وأنت ممن انقطع. فقد يكون الإنسان مكدر الخاطر، بالذات إذا كان رجلا يحمل هم الدعوة، ونشر الدين، ومشاكل الناس؛ لأن مشاكل الناس تترك نكتة سوداء على القلب. يعني تخيل مثلا لما يأتيك أن شخصا زنى بابنته! رجل متهتك، سافل، وآخر تزوج عشر نساء، هذا الذي زنى بابنته هرب واختفى، لا يعرفون أين هو، فكبرت البنت والتزمت، وتقدم لها خطاب كثيرون وكانت ترفض، وبعد رفضها لكل خاطب تنطلق في نوبة من البكاء، وكان أخوها أيضا ملتزم وهو لا يعلم بما حصل، فسألها، لماذا ترفضين كل من يتقدم لخطبتك فلم تفصح عن السبب، وبعد حوالي سنة من هذه المسألة صارحت أخاها بما حصل لها وقالت: ماذا يقال عني

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٢١/١١١

لو أني قبلت أن أتزوج بهذا الإنسان؟ فيأتي هذا الأخ ويسأل: هل يجوز ترقيع غشاء البكارة؛ لكي ننقذ هذه البنت، ولا يساء الظن بها؟ فقيل له: لا، لا يجوز؛ لأنه إن صح أنك تريد أن تستر بنتا، لكنك خدعت رجلا يريد بكرا، وهما متقاسمان في الحقوق، لا يجوز لك لكي تنقذها أنك تأخذ حق الرجل المتقدم. فأنت كداعية وعالم لما تعرض عليك مثل هذه المسائل يحصل عندك نوع من **الاكتئاب**، فعندما تكون **مكتئبا** ويرد عليك عشرات أمثال هذا، وهذا أكل حق هذا، وهذا كذا، مع مخططات أعدائنا الخارجية، كل هذا يجعل الإنسان **مكتئبا** أو شبه **مكتئب**، فأنت لما تأتي للشيخ وهو **مكتئب**، وأنت تظن أنه متفرغ لك؛ فصدك أو ردك، كان من الواجب عليك أن تعذره. قبل أن أغادر هذه المسألة، أيضا نذكر الفتوى في مسألة البنت هذه، فكان الجواب وقتها أني قلت: ممكن أن تكذب في طريقة إزالته، كأن تقول مثلا: قفزت من على جدار، وهي تعمل". (١)

٣-" الله تعالى فإنه المميت فالمعنى ياناصر أمت العدو وفي شرح السنة يامنصور أمت فالمخاطب كل واحد من المقاتلين ذكره القارىء

قال المنذري وأخرجه النسائي

[٢٥٩٧] (عن المهلب بن أبي صفرة) بضم المهملة وسكون الفاء (إن بيتم) بصيغة المجهول أي إن بيتكم العدو أي قصدوكم بالقتل ليلا واختلطتم معه

قال بن الأثير تبييت العدو هو أن يقصد في الليل من غير أن يعلم فيؤخذ بغتة وهو البيات انتهى (حم لا ينصرون) قال الخطابي معناه الخبر ولو كان بمعنى الدعاء لكان مجزوما أي لا ينصروا وإنما هو إخبار كأنه قال والله إنهم لا ينصرون

وقد روى عن بن عباس أنه قال حم اسم من اسماء الله فكأنه حلف بالله أنهم لا ينصرون

وقال في النهاية معناه اللهم لا ينصرون ويريد به الخير لا الدعاء

وقيل إن السور التي أولها حم سور لها شأن فنبه أن ذكرها لشرف منزلتها مما يستظهر بها على استنزال النصر من الله

وقوله لا ينصرون كلام كأنه حين قال قولوا حم قيل ماذا يكون إذا قلناها فقال لا ينصرون

كذا في مرقاة الصعود

قال المنذري وأخرجه الترمذي والنسائي وذكر الترمذي أنه روى عن المهلب عن النبي صلى الله عليه و سلم مرسلا

٦٠ -

([٢٥٩٨] باب ما يقول الرجل إذا سافر)

(اللهم أنت الصاحب في السفر) أي الحافظ والمعين (والخليفة في الأهل) الخليفة من يقوم مقام أحد في إصلاح أمره (من وعثاء السفر) بفتح الواو وسكون العين المهملة أي مشقته وشدته (وكآبة) هي تغير النفس بالانكسار من

---

(١) شرح كتاب العلم من صحيح البخاري للحويني ص/٥٣

شدة الهم والحزن يقال كئب كآبة **واكتئاب** فهو كئيب **ومكتئب** كذا في النهاية (المنقلب) مصدر ميمي ". (١)

"لولا الهدى أبصروا في الحق رشدهم ... ما كان وجه الهدى عنهم بمنتقب

ففاز بالصدق في الأولى وفي الرتب الأ ... خرى صهيب بما أعيى أبا لهب

فمزقتهم سيوف الله فانقلبوا ... في يوم بدر بخزي الشرك في القلب

ألم يكن في انشقاق البدر مزدجر ... عن غيهم وعناد الحق بالكذب؟

أما رأوا إذ دعا الأشجار فابتدرت ... وحين قال ارجعي عادت على العقب

ألم يكن في حنين الجذع موعظة ... تهدي قلوبا غدت أغبى من الخشب

ألم تسلم عليه في مسالكه الأحجار ... وانتهزت ما فات كل غبي

ألم تسبح بكفيه الحصى وغدا ... تسبيحه بلسان مفصح ذرب

وبعض شاة وأقراص كفى بهما ... مئين كلهم يشكو من السغب

وفضلة في إناء الماء فاض بها ... بنانه بزلال سايح سرب

فروت الجيش جمعا فارتووا وملوا ... ما معهم من إداوات ومن قرب

أشتاقه ويد التقصير تعجز بي ... عنه فأقعد والأشواق تنهض بي

وكم بعثت سلامي في البعاد وهل ... يشفي المشوق سوى التسليم من كثب

فهل إليه سبيل في الحياة وما ... علي إن جيته من حال منقلبي

وإن قضيت غراما قبل زورته ... فكم قضى من بعيد الدار **مكتئب**

كم ذا أعلل نفسي باللقاء وقد ... حدا الردى بي وولى العمر في لعب

فمن لصب غدت أنفاسه كلفا ... بالقرب في صعد والدمع في صبب

يودوا لو أرجيت منه المنون لكي ... يقضي مناه من الأجزاع والكتب

عسى بها نهلة تروي الظمأ وصبا ... يطفي لواعج ما بالقرب من كرب

صلى الإله على من حل تربتها ... فأصبحت بشذاه أعطر الترب

ما لاح برق وما ضاءت لناظرها ... كواكب الأفق أو دارت على القطب

ولنقتصر على هذا القدر حذرا من التطويل ونكتف بذكر هذا الشيخ من هذا القبيل، والله تعالى يجعل سعيي في طلب العلم سعيا في سبيله،." (٢)

---

(١) عون المعبود ١٨٥/٧

(٢) إثارة الفوائد صلاح الدين العلائي ٧٢٠/٢

"وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة

وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها وإما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق (١)

وهو المراد بقوله تعالى ﴿علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى﴾ إلى آخر هذه الآيات

وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الإطلاع على ضمائر القلوب وقد يعبر عن ذلك الإطلاع بالتفرس

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله (٢)

وقد حكى أن رجلا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض المشايخ من الصوفية

فسأله فقال له معناه أن تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك

فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق

وكما حكى عن إبراهيم الخواص قال كنت ببغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابي يقع لي أنه يهودي فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أي شيء قال الشيخ في فاحتشموه فألح عليهم فقالوا له قالإنك يهودي قال فجاءني وأكب على يدي وقبل رأسي وأسلم وقال نجد في كتبنا أن الصديق لا تخطيء فراسته فقلت امتحن المسلمين فتأملتهم فقلت إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس في علمت أنه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية

وإلى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله عليع السلام لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٣)

وإنما تحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فإنها مرعى الشيطان وجنده

ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه

وإليه الإشارة بقوله تعالى إلا عبادك منهم المخلصين وبقوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء

وعلى هذا يدل ما روى أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه في أن يقول لهم شيئا

فأذن لهم في ذلك فأنشأ يقول

صغير هواك عذبني ... فكيف به إذا احتنكا ... وأنت جمعت في قلبي

هوى قد كان مشتركا ... أما ترثى لمكتئب ... إذا ضحك الخلي بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم

فجلس ذلك الرجل وكان ذلك إطلاعا من ذي النون على قلبه

أنه متكلف متواجد فعرفه أن الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس

فإذا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلا

ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقته فلا تستبعد ذلك فإنك تجد في أحوالك القريبة لذلك شواهد

---

(١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الأفق متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حديث غريب

(٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم." (١)

"فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده فقال مالى وللدنيا وما للدنيا وما لى عليك يا دنيا بأبناء جنسك وألاف نعيمك إلى محبيك فاذهبي وإياهم فاخدعى ثم قال أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فناديته يا عبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لها عنى ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خطرى هب لى إساءتى من فضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك فقلت له بالذى ترجوه لنفسك وتثق به إلا كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أو بقته ذنوبه إنى لفى هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدنى فلم يجد عونا على ليخرجنى مما أنا فيه غيرك فإليك عنى يا مخدوع فقد عطلت على لسانى وميلت إلى حديثك شعبة من قلبى وأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه ويتفضل على برحمته قال فقلت هذا ولى الله أخاف أن أشغله فأعاقب فى موضعى هذا فانصرفت وتركته

وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير في مسير لى إذ ملت إلى شجرة لأستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لى يا هذا قم فإن الموت لم يمت ثم هام على وجه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لى في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر إليك واملأ قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذلك التوبيخ غدا عندك فقد آن لى الحياء منك وحان

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢/٢٩٤

لى الرجوع عن الإعراض عنك قم قال لولا حلمك لم يسعنى أجلى ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملى ثم مضى وتركنى

وقد أنشدوا في هذا المعنى

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بقمة أو بطن وادى

ينوح على معاص فاضحات ... يكدر ثقلها صفو الرقاد

فإن هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته أغثنى يا عمادى

فأنت بما ألاقيه عليم

كثير الصفح عن زلل العباد وقيل أيضا

ألذ من التلذذ بالغوانى ... إذا أقبلن في حلل حسان

منيب فر من أهل ومال ... يسيح إلى مكان من مكان

ليخمل ذكره ويعيش فردا ... ويظهر في العبادة بالأمانى

تلذذه التلاوة أين ولى ... وذكر بالفؤاد وباللسان

وعند الموت يأتيه بشير ... يبشر بالنجاة من الهوان

فيدرك ما أراد وما تمنى ... من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القرآن في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعنى أنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت." (١)

"٤٨ - حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني قال حدثنا محمد بن عبد الوهاب القناد عن مسعر عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن يحيى بن طلحة عن أمه سعدى المرية قالت مر عمر بطلحة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما لك مكتئب؟ أساءتك (١) إمرة ابن عمك؟ قال: لا ، ولكني سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة -[٣٩]- لا يقولها عبد عند موته إلا كان نورا لصحيفته وإن جسده وروحه ليجدان له روحا عند الموت فقال أنا أعلمها وهي التي أراد عليها عمه ولو علم أن شيئا أنجى له منها لأمره به.

---

(١) في المطبوع: امرأة.." (٢)

"وبإسناده عن مفضل بن يونس قال كان ربيع بن راشد يخرج إلى الجبان فيقيم سائر نهاره ثم يرجع مكتئبا ثم يرجع فيقول أهله أين كنت فيقول كنت في المقابر نظرت إلى قوم منعوا ما نحن فيه ثم يبكي.

وبإسناده عن الحسن قال دخلت أنا وصفوان المقابر فقنع رأسه ثم لم يزل يذكر الله تعالى حتى خرجنا من المقابر فقلت له

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٤١٣

(٢) أمالي المحاملي رواية ابن مهدي الفارسي المحاملي ص/٣٨

في ذلك فقال إني قد ذكرتهم وما حضر عليهم من ذلك ونحن في المهلة فأحببت أن أقدم لذلك شيئا من عمل قال الحسن أحب والله أن يكون لي في كل خير نصيب.

وبإسناده عن الفضل الرقاشي أنه كان يقول في كلامه إذا ذكر أهل القبور لا لها من وجوه حيل بينها وبين السجود لله عز وجل لو يجدون إلى العمل مخلصا بعد المعرفة بحسن الثواب لكانوا إلى ذلك سراعا ثم يبكي ويقول يا إخوتاه فأنتم اليوم قد خلي بينكم وبين ما عليه ترجون إليه فكاك رقابكم ألا فبادروا الموت وانقطاع أعمالكم فإن أحدكم لا يدري متى يحترمه ليلا أو نهارا.

وبإسناده عن صفوان بن سليم أنه كان في جنازة في نفر من العباد فلما صلي عليها قال صفوان أما هذا قد انقطعت عنه أعماله واحتاج إلى دعاء من خلف بعده فأبكى القوم جميعا.

وقال أبو وهب محمد بن مزاحم قال قام رجل إلى ابن المبارك في جنازة فسأله عن شيء فقال له يا هذا سبح فإن صاحب السرير منع التسبيح.

"و"كان عمرو بن عيينة يخرج بالليل إلى المقابر ويقول يا أهل القبور طويت الصحف ورفعت الأعمال ثم يصلي حتى يصبح ثم يرجع إلى أهله.

ورئي بعض الموتى في المنام فقال ما عندكم أكثر من الغفلة وما عندنا أكثر من الحسرة.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن يزيد بن نعامة قال هلكت جارية في الطاعون فلقيها أبوها بعد موتها في المنام فقال لها يا بنية أخبرني عن الآخرة فقالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة في عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها.." (١)

"تهيج منازل الأموات وجدا ... ويحدث عن رؤيتها اكتئاب

منازل لا تجيبك حين تدعو ... وعز عليك أنك لا تجاب

وكيف يجيب من تدعوه ميتا ... تضمنت الجنادل والتراب

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يرجى وأنت قريب

تزيد بلى في كل يوم وليلة ... وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

وروى أبو نعيم بإسناد له أن داود الطائي اجتاز على مقبرة وامرأة عند قبر تقول هذين البيتين فسمعها فكان ذلك سبب توبته يعني سبب انقطاعه عن الدنيا وأسبابها وانشغاله بالآخرة والاستعداد لها.

وسمع بكر العابد امرأة عند قبر تقولك واعمراه ليت شعري بأي خديك بدأ البلى وأي عينيك سالت قبل الأخرى فخر بكر مغشيا عليه أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب "ذكر الموت".

وروى في كتاب الخائفين عن محمد بن الحسين عن عبد الله بن موسى قال: كان الحسن بن صالح إذا صعد المنارة يعني ليؤذن أشرف على المقابر فإذا نظر إلى الشمس تمور على القبور صرخ حتى يسقط مغشيا عليه فيحمل وينزل به.

---

(١) أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ابن رجب الحنبلي ص/٣٨

وشهد يوما جنازة فلما قرب الميت ليدفن نظر إلى اللحد فارتاع عرقا ثم مال فغشي عليه فحمل على سرير الميت فرد إلى منزله.

وذكر بإسناده عن عيسى بن يونس وذكر الحسين بن صالح فقال: قل ما كنت أجيء في وقت صلاة إلا رأيته مغشيا عليه ينظر إلى المقبرة فيصرخ ويغشى عليه.

وبإسناده عن عمر بن درهم القريعي دخل المقابر وهو معصوب العين وابنه يقوده فوطئ على قبره فقال: يا بني أين أنا.

وروى في الكتاب القبور بإسناد له أن امرأة بالمدينة كانت تزهو فدخلت يوما المقابر فرأت جمجمة فصرخت ثم رجعت منيبة فدخل عليها نساؤها فقلن: ما هذا؟ فقالك بكى قلبي لذكر الموت لما رأيت جماجم أموات القبور ثم قالت: اخرجن من عندي فلا تأتين منكن امرأة إلا امرأة ترغب في خدمة الله – عز وجل – ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت.

وبإسناده عن عيسى الخواص أن رجلا من الصدر الأول دخل المقابر فمر بجمجمة بادية من بعض القبور فحزن حزنا شديدا ثم واراها ثم التفت فلم ير إلا القبور،." (1)

"﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾

أي تنكرت لما اختصها الله تعالى به من النعم؛ فلم تشكر عليها ﴿فتلك مساكنهم﴾ خالية خاوية ﴿لم تسكن من بعدهم﴾ لما فيها من وحشة وخراب، وما يعروها من ظلمة **واكتئاب** ﴿إلا قليلا﴾ أي إلا سكنا قليلا: يحط بها المسافرون – للضرورة – يوما أو بعض يوم." (2)

"37 ولكن أكثرهم لا يعلمون: ما عليهم في الآية من البلاء لو أنزلت، ولا ما وجه تركها «1» .

38 يطير بجناحيه: إذ يقال للمسرع: طر «2» .

[29/ ب] إلا أمم أمثالكم: في حاجة النفس، أو الحاجة/ إلى من يدبرهم ويريح عللهم، أو في اختلاف الصور والطبائع، أو في الدلالة على الصانع.

ما فرطنا في الكتاب: اللوح «3» ، ففيه أجل كل دابة وطير وأرزاقها. أو القرآن «4» ، ففيه كل شيء إما جملة أو تفصيلا.

44 مبلسون: الإبلاس: السكوت مع **اكتئاب** «5» .

---

(1) قال الطبري في تفسيره: 11/ 343: «ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول: ولكن أكثر الذين يقولون ذلك فيسألونك آية، لا يعلمون ما عليهم في الآية، إن نزلها من البلاء، ولا يدرون ما وجه ترك إنزال ذلك عليك. ولو علموا السبب الذي من أجله لم أنزلها عليك، لم يقولوا ذلك، ولم يسألوكه، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك» .

وانظر هذا المعنى في تفسير الماوردي: 1/ 522، وزاد المسير: 3/ 34، وتفسير الفخر الرازي: 12/ 221.

(2) قال الزجاج في معاني القرآن: 2/ 245: «وقال يطير بجناحيه على جهة التوكيد، لأنك قد تقول للرجل: طر في

---

(1) أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ابن رجب الحنبلي ص/142

(2) أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/476

حاجتي أي أسرع، وجميع ما خلق الله عز وجل فليس يخلو من هاتين المنزلتين، إما أن يدب أو يطير» .

(٣) زاد المسير: ٣/ ٣٥، وتفسير القرطبي: ٦/ ٤٢٠.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره: ١/ ٥٢٣، وقال: «وهو قول الجمهور» .

وذكر الفخر الرازي هذا القول في تفسيره: ١٢/ ٢٢٦ وقال: «وهذا أظهر لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن» .

وانظر زاد المسير: ٣/ ٣٥، وتفسير القرطبي: ٦/ ٤٢٠.

(٥) معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٣٥، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ١٩٢، واللسان: (٦/ ٢٩، -- ٣٠) (بلس) وقال الطبري في تفسيره: ١١/ ٣٦٢: «وأصل الإبلاس في كلام العرب، عند بعضهم: الحزن على الشيء والندم عليه. وعند بعضهم: انقطاع الحجة، والسكوت عند انقطاع الحجة، وعند بعضهم: الخشوع. وقالوا: هو المخذول المتروك ... » .." (١)

"كيف تجالس الناس؟:

لا تجالس امرأ بغير طريقته، فإنك إن أردت لقاء الجاهل بالعلم، والجافي بالفقه١، والعيي بالبيان، لم تزد على أن تضيع علمك، وتؤذي جليسك بحملك عليه ثقل ما لا يعرف، وغمك إياه، بمثل ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الأعجمي الذي لا يفقه عنه.

واعلم أنه ليس من علم تذكره عند غير أهله إلا عابوه، ونصبوا له٢، ونقضوه عليك، وحرصوا على أن يجعلوه جهلا، حتى إن كثيرا من اللهو واللعب الذي هو أخف الأشياء على الناس، ليحضره من لا يعرفه، فيثقل عليه، ويغتم به.

وليعلم صاحبك أنك تشفق عليه، وعلى أصحابه، وإياك إن عاشرك امرؤ، أو رافقك أن لا يرى منك بأحد من أصحابه وإخوانه وأخدانه رأفة، فإن ذلك يأخذ من القلوب مأخذا، وإن لطفك بصاحب صاحبك أحسن عنده موقعا من لطفك به في نفسه.

واتق الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقد على المنطلق٣، ويشكر للمكتئب.

---

١ الفقه: العلم بالشيء، والفهم له.

٢ نصبوا له: عادوه، وتجردوا له.

٣ المنطلق: المسرور المتهلل.." (٢)

---

(١) إيجاز البيان عن معاني القرآن النيسابوري، بيان الحق ٢٩٤/١

(٢) الأدب الصغير والأدب الكبير ابن المقفع ص/١٢٧

"الأشم ثم أرسل غلاما له إلى الحجاج بن علاط فقال له ويلك ماذا جئت به وماذا تقول ما وعد الله خير مما جئت به قال فقال الحجاج بن علاط اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له ليخل لي في بعض بيوته لأتيه فإن الخبر على ما يسره قال فجاء غلامه فلما بلغ الباب قال ابشر يا أبا الفضل قال فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال الحجاج فاعتقه قال ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر وغنم أموالهم وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى صفية بنت حيي واتخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها وتكون زوجة أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجة ولكني جئت لما لي كان ههنا أردت أن أجمعه فاذهب به فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي أن أقول ما شئت فأخف عني ثلاثا ثم أذكر ما بدا لك قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع فدفعته إليه ثم انشمر به فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك فأخبرته أن قد ذهب يوم كذا وكذا وقالت لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك قال أجل لا يحزنني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا فتح الله خيبر على رسوله وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه فإن كان لك حاجة في زوجك فالحقي به قالت أظنك والله صادقا قال فإني والله صادق والأمر على ما أخبرتك قال ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل قال لم يصبني إلا خير بحمد الله لقد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله وجرت سهام الله فيهم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثا وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء ههنا ثم يذهب فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين وخرج المسلون ممن كان دخل بيته مكتئبا حتى دخل أبو الفضل العباس فأخبرهم الخبر فسر المسلمون ورد الله تعالى ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين

ومن المنقول عن نعيم بن مسعود قال أخبرنا." (١)

"الآية ترد على هذا القول، انتهى. والظاهر من الآية أن الإنسان انقسم إلى هذين القسمين ولم يتعرض للعصاة الذين يدخلهم الله النار. يدعوا ثبورا: يقول: وا ثبوراه، والثبور:

الهلاك، وهو جامع لأنواع المكاره. وقرأ قتادة وأبو جعفر وعيسى وطلحة والأعمش وعاصم وأبو عمرو وحمزة: ويصلى بفتح الياء مبنيا للفاعل وباقي السبعة وعمر بن عبد العزيز وأبو الشعثاء والحسن والأعرج: بضم الياء وفتح الصاد واللام مشددة وأبو الأشهب وخارجة عن نافع، وأبان عن عاصم، وعيسى أيضا والعتكي وجماعة عن أبي عمرو: بضم الياء ساكن الصاد مخفف اللام، بني للمفعول من المتعدي بالهمزة، كما بني ويصلى المشدد للمفعول من المتعدي بالتضعيف.

إنه كان في أهله مسرورا: أي فرحا بطرا مترفا لا يعرف الله ولا يفكر في عاقبته لقوله تعالى: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين «١» ، بخلاف المؤمن، فإنه حزين مكتئب يتفكر في الآخرة. إنه ظن أن لن يحور: أي أن لن يرجع إلى الله، وهذا تكذيب بالبعث. بلى: إيجاب بعد النفي، أي بلى ليحورن. إن ربه كان به بصيرا: أي لا تخفى عليه أفعاله، فلا بد من حوره ومجازاته. فلا أقسم بالشفق: أقسم تعالى بمخلوقاته تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها، والشفق تقدم شرحه. وقال أبو هريرة وعمر بن

---

(١) الأذكياء ابن الجوزي ص/٣٢

عبد العزيز وأبو حنيفة: هو البياض الذي يتلوه الحمزة. وروى أسد بن عمرو أن أبا حنيفة رجع عن قوله هذا إلى قول الجمهور. وقال مجاهد والضحاك وابن أبي نجيح: إن الشفق هنا كأنه لما عطف عليه الليل قال ذلك. قال ابن عطية: وهذا قول ضعيف، انتهى. وعن مجاهد: هو الشمس وعن عكرمة: ما بقي من النهار. وما وسق: ما ضم من الحيوان وغيره، إذ جميع ذلك ينضم ويسكن في ظلمة الليل. وقال ابن عباس: وما وسق: أي ما غطى عليه من الظلمة. وقال مجاهد:

وما ضم من خير وشر. وقال ابن جبير: وما ساق وحمل. وقال ابن بحر: وما عمل فيه، ومنه قول الشاعر:

فيوما ترانا صالحين وتارة ... تقوم بنا كالواسق المتلبب

وقال ابن الفضل: لف كل أحد إلى الله، أي سكن الخلق إليه ورجع كل إلى ما رآه لقوله: لتسكنوا فيه «٢» . وقرأ عمر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد والأسود وابن جبير

---

(١) سورة القصص: ٢٨/ ٧٦.

(٢) سورة يونس: ١٠/ ٧٦، وسورة القصص: ٢٨/ ٧٣، وسورة غافر: ٤٠/ ٦١.." (١)

"وكفى بالله عليما لما ذكر الطاعة وذكر جزاء من يطيع أتى بصفة العلم التي تتضمن الجزاء أي: وكفى به مجازيا لمن أطاع. قال ابن عطية: فيه معنى أن تقول:

فشملوا فعل الله وتفضله من الاعتراض عليه، واكتفوا بعلمه في ذلك وغيره، ولذلك دخلت الباء على اسم الله تعالى لتدل على الأمر الذي في قوله: وكفى، انتهى. وقد بينا فساد قول من يدعي أن قولك: كفى بزيد معناه اكتف بزيد عند الكلام على قوله: وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا «١» . وقال الزمخشري: وكفى بالله عليما، بجزاء من أطاعه. أو أراد فصل المنعم عليهم، ومزيتهم من الله لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه، وكفى بالله عليما بعباده، فهو يوفقهم على حسب أحوالهم انتهى. وهي ألفاظ المعتزلة.

يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر طاعته وطاعة رسوله، وكان من أهم الطاعات إحياء دين الله، أمر بالقيام بإحياء دينه، وإعلاء دعوته، وأمرهم أن لا يقتحموا على عدوهم على جهالة فقال: خذوا حذركم. فعلمهم مباشرة الحروب. ولما تقدم ذكر المنافقين، ذكر في هذه الآية تحذير المؤمنين من قبول مقالاتهم وتثبيطهم عن الجهاد، فنادى أولا باسم الإيمان على عادته تعالى إذا أراد أن يأمر المؤمنين أو ينهاهم، والحذر والحذر بمعنى واحد. قالوا: ولم يسمع في هذا التركيب الأخذ حذرك لأخذ حذرك. ومعنى خذ حذرك: أي استعد بأنواع ما يستعد به للقاء من تلقاه، فيدخل فيه أخذ السلاح وغيره. ويقال: أخذ حذره إذا احترز من المخوف، كأنه جعل الحذر آلته التي يتقي بها ويعتصم، والمعنى: احترزوا من العدو. ثم أمر تعالى بالخروج إلى الجهاد جماعة جماعة، وسرية بعد سرية، أو كتيبة واحدة مجتمعة.

وقرأ الجمهور: فانفروا بكسر الفاء فبهما. وقرأ الأعمش: بضمها فيهما، وانتصاب ثبات وجميعا على الحال، ولم يقرأ ثبات

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٣٨/١٠

فيما علمناه إلا بكسر التاء. وقال الفراء: العرب تخفض هذه التاء في النصب وتنصبها. أنشدني بعضهم:

فلما جلاها بالايام تحيزت ... ثباتا عليها ذلها واكتئابها

ينشد بكسر التاء وفتحها انتهى. وأوفى أو انفروا للتخيير. وقال ابن عباس: هذه الآية نسختها. وما كان المؤمنون لينفروا كافة «٢» قيل: وإنما عني بذلك التخصيص إذ ليس يلزم النفر جماعتهم.

---

(١) سورة النساء: ٤/ ٤٥.

(٢) سورة التوبة: ٩/ ١٢٢.." (١)

"والأبواب استعارة عن الأسباب التي هيأها الله لهم المقتضية لبسط الرزق عليهم والإبهام في هذا العموم لتهويل ما فتح عليهم وتعظيمه وغيا الفتح بفرحهم بما أوتوا وترتب على فرحهم أخذهم بغتة أي إهلاكهم فجأة وهو أشد الإهلاك إذ لم يتقدم شعور به فتتوطن النفس على لقائه، ابتلاهم أولا بالبأساء والضراء فلم يتعظوا ثم نقلهم إلى ما أوجب سرورهم من إسباغ النعم عليهم فلم يجد ذلك عندهم ولا قصدوا الشكر ولا أصغوا إلى إنابة بل لم يحصلوا إلا على فرح بما أسبغ عليهم. قال محمد بن النضر الحارثي: أمهل هؤلاء القوم عشرين سنة.

فإذا هم مبلسون أي باهتون بائسون لا يخبرون جوابا. وقرأ ابن عامر فتحنا بتشديد التاء والتشديد لتكثير الفعل وإذا هي الفجائية وهي حرف على مذهب الكوفيين وظرف مكان، ونسب إلى سيبويه وظرف زمان وهو مذهب الرياشي والعامل فيها إذا قلنا بظرفيتها هو خبر المبتدأ أي، ففي ذلك المكان هم مبلسون أي مكان إقامتهم وذلك الزمان هم مبلسون وأصل الإبلاس الإطراق لحلول نقمة أو زوال نعمة. قال الحسن:

مكتئبون. وقال السدي: هالكون. وقال ابن كيسان وقطرب: خاشعون. وقال ابن عباس:

متحيرون. وقال الزجاج: متحسرون. وقال ابن جرير: الساكت عند انقطاع الحجة.

فقطع دابر القوم الذين ظلموا عبارة عن استئصالهم بالهلاك والمعنى: فقطع دابرهم ونبه على سبب الاستئصال بذكر الوصف الذي هو الظلم، وهو هنا الكفر والدابر التابع للشيء من خلفه يقال: دبر الوالد الولد يدبره، وفلان دبر القوم دبورا ودبرا إذا كان آخرهم. وقال أمية بن أبي الصلت:

فاستؤصلوا بعذاب خص دابرهم ... فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا

قال أبو عبيدة: دابر القوم آخرهم الذي يدبرهم. وقال الأصمعي: الدابر الأصل يقال: قطع الله دابره أي أذهب أصله، وقرأ عكرمة فقطع دابر بفتح القاف والطاء والراء أي فقطع الله وهو التفات إذ فيه الخروج من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب. والحمد لله رب العالمين قال الزمخشري: إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم انتهى. والذي يظهر أنه تعالى لما أرسل الرسل إلى هؤلاء الأمم كذبوهم وآذوهم فابتلاهم الله تارة بالبلاء، وتارة بالرخاء فلم يؤمنوا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧٠٣/٣

فأهلكهم واستراح الرسل من شرهم وتكذيبهم وصار ذلك نعمة في حق الرسل إذ أنجز الله وعده على لسانهم بهلاك المكذبين فناسب هذا الفعل كله الختم بالحمدلة.." (١)

"يرفع قدما إلا كتب له بها حسنة، ولا يضع قدما إلا حط عنه بها خطيئة»

٤٢٠ - أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أنبأ أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأ علي بن محمد المعدل، قال: أنبأ دعلج، قثنا الحسين بن إدريس الهروي، قثنا أحمد بن خالد الخلال، قثنا الحسن بن بشر، قثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن عطاء، عن ابن عباس أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل، فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان، مالي أراك مكتئبا حزينا؟ قال: يا ابن عم رسول الله، لفلان علي حق، لا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك إن أحببت؟ قال: فانتعل ابن عباس، ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم، يقول: «من مشى في حاجة أخيه، وبلغ فيها، كان خيرا له من اعتكاف سنتين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى، جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، أبعد ما بين الخافقين»

٤٢١ - أخبرنا عبد الأول بن عيسى، قال: أنبأ عبد الله بن محمد الأنصاري، قال: أنبأ محمد بن المنتصر الباهلي، قثنا محمد بن يعقوب بن إسحاق،." (٢)

"فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله عز وجل. فيقال له: نم هنيا طبت حيا وميتا. وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرشه فراشا من الجنة ودثارا من الجنة،

ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم القيامة.

وقف بعض الحكماء على المقابر فقال: يا أهل القبور، أصبحتم نادمين على ما خلفتم في البيوت، وأصبحنا نقتتل على ما ندمتم عليه، فما أعجبنا وأعجبكم!

(يا أيها الواقف بالقبور ... بين أناس غيب حضور)

(قد أسكنوا في خرب مغمور ... بين الثرى وجندل الصخور)

(ينتظرون صيحة النشور ... لا تك عن حظك في غرور)

قال بعض الصالحين: صليت ركعتين في الليل ثم وضعت رأسي على قبر ثم نمت، فإذا صاحب القبر يقول: لقد آذيتني منذ الليلة، إنكم تعلمون ولا تعملون، ونحن نعلم ولا نعمل ولا نقدر على العمل، إن الركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها. ثم قال: جزى الله أهل الدنيا عنا خيرا أقرئهم منا السلام فإنه يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال.

كان الربيع بن أبي راشد يخرج إلى الجبان فيقيم طول النهار ويرجع مكتئبا فيقول له إخوانه وأهله: أين كنت؟ فيقول: كنت في المقابر، نظرت إلى قوم قد منعوا ما نحن فيه.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤/٥١٥

(٢) البر والصلة لابن الجوزي ابن الجوزي ص/٢٤٠

(طالما صعروا الخدود وهزوا ... الأرض في يوم محفل وركوب)

(ثم أمسوا وفد القبور سكان أطباق ... الثرى تحت جندل منصوب)

(كم كريم منهم يرى الوعد بخلا ... مستقل لكثرة الموهوب)

(رد عني غرب الملام خليلي ... إن نفسي صارت علي حسيبي)

(وتنحيت عن طريق اللاهي ... والملاهي وقلت للنفس توبي)." (١)

"صدرا، فكأنما أخذ رمحا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل وأنشدوا:

عجبت لجازع، باك مصاب ... بأهل، أو حميم ذي **اكتئاب**

شقيق الجيب، داعي الويل، جهلا ... كأن الموت كالشيء العجاب

وسوى الله فيه الخلق حتى ... نبي الله منه لم يحاب

له ملك ينادي كل يوم: ... لدوا للموت وابنوا للخراب

باب ما جاء في تلقين الإنسان بعد موته شهادة الإخلاص في لحده

ذكر أبو محمد عبد الحق يروي «عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب.

فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعدا، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة الثالثة فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله، ولكنكم لا تسمعون.

فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأنك رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا، وبالقرآن إماما، فإن منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما.

ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا، وقد لقن حجته، ويكون الله حجيجهما دونه.

فقال رجل: يا رسول الله." (٢)

"١٤ - الترغيب في الاعتكاف

١٦٤٩ - روي عن علي بن حسين عن أبيه رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين

رواه البيهقي

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ٤٨٥/١

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة شمس الدين القرطبي ص/٣٤٠

١٦٥٠ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس يا فلان أراك **مكتئبا** حزينا قال نعم يا ابن عم رسول الله لفلان علي حق ولاء وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه

قال ابن عباس أفلا أكلمه فيك فقال إن أحببت قال فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد

فقال له الرجل أنسيت ما كنت فيه قال لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم والعهد به قريب فدمعت عيناه وهو يقول من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين

رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي واللفظ له

والحاكم مختصرا وقال صحيح الإسناد كذا قال

قال الحافظ وأحاديث اعتكاف النبي صلى الله عليه وسلم مشهورة في الصحاح وغيرها ليست من شرط كتابنا

١٥ - الترغيب في صدقة الفطر وبيان تأكيدها

١٦٥١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقة

رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري

قال الخطابي رحمه الله قوله فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر فيه بيان أن صدقة الفطر فرض واجب كافتراض الزكاة الواجبة في الأموال وفيه بيان أن ما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما فرض الله لأن طاعته صادرة عن طاعة الله وقد قال بفرضية زكاة الفطر." (١)

"إذا ما جلاها بالإيام تحيزت .... ثباتا عليها ذلها **واكتئابها** (١)

ولا يجوز ذلك في: الصالحات والأخوات؛ لأنها تامة لم ينقص من واحدها شيء، قال وما كان من حرف نقص من أوله مثل: زنة ولدة (٢) ودية فإنه لا يقاس على هذا؛ لأن نقصه من أوله لا من لامه، فما كان منه مؤنثا أومذكرا فأجره على التمام؛ مثل: الصالحين والصالحات، تقول: (رأيت

---

(١) "ديوان الهذليين" ص ٧٩، "شرح أشعار الهذليين" ١/ ٥٣ وفيهما برواية: (فلما اجتلاها)، وورد في: "أدب الكاتب" ص ٤٤١، "جمهرة اللغة" ١/ ٢٤٨، ٣/ ١٣٣٤ وفيهما (ثبات) بكسر التاء، "المنصف" ٣/ ٦٣، "المحتسب" ٨/ ١١١، الاقتضاب ص ٤٠٣، "شرح الجواليقي" ص ٢٢٦، "اللسان" (أيم) ١/ ١٩٢، وورد بلا نسبة في: "الخصائص" ٤/ ٣٠٣،

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٢/٩٦

"المخصص" ٨/ ١٨٢، ٤٠/ ١١، "شرح المفصل" ٥/ ٤.
(اجتلاها): كشفها وأبرزها وأخرجها، (الإيام): الدخان؛ وجمعه أيم، وآم الدخان يئيم إياما: دخن، وآم الرجل إياما إذا دخن على النحل ليخرج من الخلية فيأخذ ما فيها من العسل، وقيل: الإيام: عود يجعل في رأسه نار ثم يدخن به على النحل ليشتار العسل، (تحيزت): اجتمع بعضها إلى بعض، ويقال: تفرقت؛ صارت فرقا في كل حيز شيء، ويروى (تحيرت) من الحيرة؛ أي بقيت لا تدري إلى أين تذهب، (ثبات): جمع ثبة؛ وهو القطعة من القوم ومن كل شيء، (**الاكتئاب**): الحزن.
والشاهد: (ثباتا) حيث نصبت بالفتحة وحقها الكسرة -كما هو الأصل في جمع المؤنث السالم- وحجة من نصبها أن لام الكلمة محذوف ولم ترد إليه في الجمع كما حكى الكسائي: سمعت لغاتهم بفتح التاء؛ لأن أصل ثبة ثبوة، وأصل لغة لغوة.
انظر: "شرح المفصل" ٥/ ٨.
(٢) ساقطة من (د)، ولدة الرجل: تربه، قال الجوهري: والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله؛ لأنه من الولادة، وهما لدان، والجمع لدات ولدون.
انظر: (ولد) في "المحيط في اللغة" ٩/ ٣٥٧، "الصحاح" ٢/ ٥٥٤، "اللسان" ٨/ ٤٩١٥.." [١]
"وقال مقاتل: يقول البراري من الأرض التي ليس فيها نبت (١).
وقال الكلبي: يعني وجه الأرض (٢).
وقال ابن حيان: يعني ظهر الأرض (٣). وقال ابن عباس: يريد على ساحل قرية من الموصل (٤).
قوله: ﴿وهو سقيم﴾، قال: قد بلى لحمه وكل شيء منه مثل الصبي المولود (٥). وقال ابن مسعود: [كهيئة الفرخ الممعط (٦) ليس عليه ريش (٧). وقال مجاهد: ﴿وهو سقيم﴾: **مكتئب** (٨).
وروى أنس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "أمر الله الحوت فلفظه كهيئة الصبي في أصل يقطينة، وهي الدبا يستظل بظلها، وهيأ الله له أروية من الوحش تروح [عليه] (٩) بكرة وعشية، فتفشخ عليه فيشرب من لبنها حتى نبت اللحم" فذلك (١٠) قوله: ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾.

---

(١) "تفسير مقاتل" ١١٤ أ.
(٢) انظر: "الوسيط" ٣/ ٥٣٣، "تفسير الثعلبي" ٣/ ٢٥٢ ب، وذكره الطبرسي في "مجمع البيان" ٨/ ٧١٦، ولم ينسبه لأحد.
(٣) انظر: "تفسير الثعلبي" ٣/ ٢٥٢ ب.
(٤) انظر: "الطبري" ٢٣/ ١٠١، إلا أنه قال بالساحل دون ذكر المكان، وكذا الماوردي ٥/ ٦٨.
(٥) انظر: "الطبري" ٢٣/ ١٠٢، "تفسير ابن عباس" بهامش المصحف ص ٣٧٩.
(٦) ما بين المعقوفين بياض في (ب). ومعنى ممعط: قال في "اللسان" ٧/ ٤٠٥ (معط): تمعط وامعط: تمرط وسقط من

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٢/٦٦٧

داء يعرض له.

(٧) انظر: "الماوردي" ٥/ ٦٨، "زاد المسير" ٧/ ٨٨.

(٨) لم أقف عليه.

(٩) ما بين المعقوفين بياض في (ب).

(١٠) لم أقف عليه عن أنس، وقد أخرجه الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ١٠٣ عن أبي هريرة. وأورده الثعلبي في "تفسيره" ٥/ ٢٥٣ أعن مقاتل بن حيان.." (١)

"ويقال: رماد مكفور، أي: سفت عليه الريح التراب حتى وارته، قال الراجز:

قد درست (١) غير رماد مكفور ... مكتئب اللون مريح ممطور (٢)

وقال آخر (٣):

فوردت قبل انبلاج (٤) الفجر ... وابن ذكاء كامن في كفر (٥)

أي: فيما يواريه من سواد الليل، وقد كفر الرجل متاعه [أي:] (٦) أوعاه في وعاء (٧).

---

(١) في (ج): (رزشت).

(٢) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدي، وقيل: لأبي مهدي. وقبله:

هل تعرف الدار بأعلى ذى القور؟

يقول: درست معالم الدار إلا رمادا مكفورا، أي: سفت عليه الريح، والأبيات في "إصلاح المنطق" ص ٣٤٠، وفي "التهذيب" (كفر) ٤/ ٣١٦٢، "الصحاح" (كفر) ٢/ ٨٠٧، "المخصص" ٦/ ٧٨، "المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح" ٢/ ٦٧٩، "مقاييس اللغة" (كفر) ١٠/ ١٩٨، "اللسان" (كفر) ٧/ ٣٩٠٠. وكلهم رووه (مروح ممطور) سوى (المخصص) فنصه مثل رواية المؤلف هنا.

(٣) هو حميد الأرقط.

(٤) في (ج): (ابلاج).

(٥) قال ابن السكيت. ويروى: (في كفر) وهما لغتان. وابن ذكاء: يعني الصبح، "إصلاح المنطق" ص ٣٤٠، وانظر: "تهذيب اللغة" (كفر) ٤/ ٣١٦٢، ورد البيت كذلك في "الصحاح" (كفر) ٧/ ٣٩٠٠، "المخصص" ٦/ ٧٨، "المشوف المعلم" ٢/ ٦٧٩، "اللسان" (كفر) ٧/ ٣٩٠٠، و"تفسير القرطبي" ١/ ١٦٠، "الدر المصون" ١/ ١٠٦.

(٦) في (أ)، (ج): (إلى)، وفي "إصلاح المنطق"، "التهذيب": (أي) وهو الصحيح. "الإصلاح" ص ٣٤٠، "التهذيب" (كفر) ٤/ ٣١٦٢.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١١١/١٩

(٧) انتهى كلام ابن السكيت وهو في "الإصلاح" ص ٣٣٩،٣٤٠، "تهذيب اللغة" (كفر) ٤/ ٣١٦٢، ونص الواحدي من "التهذيب".." (١)

"موضع قد (١) كان فيه لا ينصرف (٢).

والدليل على صحة ذلك، إجماع النحويين على قولهم: مررت بنسوة أربع، فيصرفون (أربعا)، لأنه اسم استعمل وصفا، ولو راعوا فيه حكم الصفة لم ينصرف في هذه الحال، لأنه على وزن الفعل وهو صفة، فلما نفوا حكم الاسم فيه وإن استعملوه صفة، كذلك أحمر وبابه وإن استعمل اسما (٣)، فحكم الصفة باق فيه، لأنه صفة لا اسم.

وأما الأخفش فإنه يقول: إذا سمي به زال حكم الصفة فلا ينصرف في المعرفة للتعريف ووزن الفعل، فإذا نكرته بقيت علة واحدة، وهو وزن الفعل فينصرف (٤). وهذا فاسد، لأن حكم الصفة مراعى، وإن سمي به كما أن حكم الاسم مراعى في (أربع) وإن وصف به (٥).

وقوله تعالى: ﴿إلا إبليس﴾. قال أكثر أهل اللغة والتفسير: سمي إبليس بهذا الاسم، لأنه أبلس من رحمة الله تعالى أي أيس، والمبلس المكتئب الحزين الآيس (٦)، وفي القرآن ﴿فإذا هم مبلسون﴾ [الأنعام: ٤٤].

قال يونس وأبو عبيدة: يقال للذي يسكت عند انقطاع حجته، ولا يكون عنده جواب: قد أبلس (٧).

---

(١) (قد) ساقطة من (ب).

(٢) "معاني القرآن" للزجاج ١/ ٨١

(٣) انظر: "المقتضب" ٣/ ٣١٢، "الكتاب" ٣/ ١٩٤.

(٤) "معاني القرآن" للزجاج ١/ ٨١، "المقتضب" ٣/ ٣١٢.

(٥) انظر رد المبرد على ذلك في المسائل التي رد بها المبرد على سيبويه كما نقله عضيمة في هامش "المقتضب" ٣/ ٣١٢.

(٦) "تهذيب اللغة" (بلس) ١/ ٣٨٤، و"تفسير الطبري" ١/ ٢٢٤.

(٧) "تهذيب اللغة" (بلس) ١/ ٣٨٤.." (٢)

"الذي زين له سوء عمله فانخدع ورآه حسنا. وفي هذا معنى جليل وتلقين بليغ مستمر المدى وهو أن عمل الإنسان إنما يحكم عليه بأثره في المجتمع وبما يكون فيه من حق وهدى ونفع، لا بإعجاب صاحبه به.

أما فحوى الشطر الثاني من الآية الثانية فيلهم أنه أريد به تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتهوين موقف الكفار وتكذيبهم. فسوء عملهم وخبث طويتهم يجعلانهم غير مأسوف عليهم إذ انصرفوا عن الدعوة، والله أعلم بحقيقة ما هم عليه وما يصدر منهم، وأنهم لا يستحقون أن يكونوا سببا لإهلاك نفسه حسرة وغما عليهم، فالله يهدي من يشاء ويضل من يشاء فليس من محل لحزنه واكتئابه.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨٩/٢

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٣٦٧/٢

ولقد روى البغوي عن سعيد بن جبير أن الآية [٨] نزلت في أصحاب الأهواء والبدع. وعن قتادة أنها في الخوارج الذين كانوا يستحلون دماء المسلمين الذين لا يذهبون مذاهبهم وأموالهم. والتجوز في هذا واضح، لأن مضمون الآية وسياقها صريحان بأنها في صدد الذين كفروا برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يعتدون بما هم عليه.
وكل ما يمكن أن تكون هذه الأقوال قيلت على سبيل التطبيق وبوحي الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام. على أنه يصح القول من ناحية أخرى أن التنديد المنطوي فيها عام مطلق يتناول كل من يرتكس في الأعمال المنكرة السيئة ويصر عليها رغم ما يظهر من ضررها وبعدها عن الحق.

تعليق على تعبير فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
والشرح الذي شرحنا به الآيات والمستمد من روحها وأسلوبها ومقامها ومن فحوى آيات عديدة أخرى أوردناها في سياق آية مماثلة في سورة المدثر يزيل ما قد يرد من وهم بأن العبارة بسبيل تقرير تحتيم الله الهدى والضلال على أناس بأعيانهم تحتيما لا تبديل فيه، والآيات التي قبل الآية التي تقرر استحقاق الكافر للعذاب والمؤمن للأجر والمغفرة والتي تتضمن تقرير قابلية الاختيار للإنسان قرينة واضحة." (١)
"وهنا يلفت القرآن أنظارهم إلى مصارع المكذبين من قبلهم، ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يحذرهم من سوء مصير هذا الإنكار والاستهزاء، فيقول: قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين.
أى: قل- أيها الرسول الكريم- لهؤلاء الجاحدين: سيروا في الأرض لتروا بأعينكم مصارع المكذبين بما جاءهم به الرسل من قبلكم. ولتعتبروا بما أصابهم بسبب إجرامهم، وإنكارهم للبعث والحساب يوم القيامة.
فالآية الكريمة توجههم إلى ما من شأنه أن يفتح مغاليق قلوبهم المتحجرة وأن يزيل عن نفوسهم قسوتها وعنادها.
وبعد هذا التوجيه الحكيم تأخذ السورة الكريمة في تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عما أصابه من حزن بسبب كفرهم فتقول: ولا تحزن عليهم، ولا تكن في ضيق مما يمكرون والحزن:
اكتئاب نفسي يحدث للإنسان من أجل وقوع ما يكرهه.
والمقصود بالنهى عن الحزن: النهى عن لوازمه، كالإكثار من محاولة تجديد شأن المصائب، وتعظيم أمرها، وبذلك تتجدد الآلام، ويصعب نسيانها.
والمكر: التدبير المحكم. أو صرف الغير عما يريده بحيلة، لقصد إيقاع الأذى به.
أى: ولا تحزن- أيها الرسول الكريم- على هؤلاء المشركين، بسبب إصرارهم على الكفر والجحود ولا يضيق صدرك، ويمتلئ هما وغما بسبب مكرهم فإن الله- تعالى- عاصمك منهم، وناصرك عليهم.
ثم تعود السورة إلى سرد أباطيلهم فتقول: ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين أى: ويقول هؤلاء المشركون للرسول صلى الله عليه وسلم ولأصحابه: متى يحصل هذا الوعد الذي توعدتمونا به، وهو أن عذابا سيصيبنا إذا لم نؤمن بما أنتم مؤمنون

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ١١١/٣

به.

إن كنتم صادقين في وعدكم لنا بهذا العذاب، فأنزلوه بنا، فنحن قد طال انتظارنا له.

وهكذا الأشرار يتعجلون مصيرهم الأليم، ويبحثون عن حتفهم بظلفهم، وذلك لإيغالهم في الغرور والعناد.

ولذا جاء الرد عليهم، يحمل في طياته العذاب الشديد، والتهكم المرير، فيقول- تعالى- آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم: قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون.

والرديف- كما يقول صاحب المصباح- الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة.. ومنه ردف." (١)

"عدم نبوتها، لما أن الملائكة- عليهم السلام- قد ترسل إلى غير الأنبياء وتكلمهم.

والظاهر- أيضا- أن هذا الإيحاء كان بعد الولادة.. وقيل: كان قبلها ... «١» .

وأن في قوله أن أرضعيه مفسرة، لأن الوحى فيه معنى القول دون حروفه.

والخوف: حالة نفسية تعترى الإنسان، فتجعله مضطرب المشاعر، لتوقعه حصول أمر يكرهه.

والحزن: اكتئاب نفسي يحدث للإنسان من أجل وقوع ما يكرهه، كموت عزيز لديه. أو فقده لشيء يحبه..

وفي الكلام حذف يعرف من السياق، والتقدير: وحملت أم موسى به في الوقت الذي كان فرعون يذبح الأبناء، ويستحيي النساء، وأخفت حملها عن غيرها، فلما وضعته أصابها ما أصابها من خوف وفزع على مصير ابنها، وهنا ألهمناها بقدرتنا وإرادتنا. وقذفنا في قلبها أن أرضعيه في خفاء وكتمان فإذا خفت عليه من فرعون وحاشيته أن يقتلوه كما قتلوا غيره من أبناء بنى إسرائيل.

فألقيه في اليم أى: في البحر والمراد به نهر النيل، وسمى بحرا لاتساعه، وإن كان الغالب إطلاق البحر على المياه غير العذبة.

ولا تخافي ولا تحزني أى: ولا تخافي عليه من حصول مكروه له، ولا تحزني لمفارقته لك، فهو في رعايتنا وحمايتنا، ومن رعاه الله- تعالى- وحماه، فلا خوف عليه ولا حزن.

وجملة إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين تعليل للنهى عن الخوف والحزن، وتبشير لها بأن ابنها سيعود إليها، وسيكون من رسل الله- عز وجل-.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت ما المراد بالخوفين- في الآية- حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر؟.

قلت: أما الأول، فالخوف عليه من القتل، لأنه كان إذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته، فينموا عليه. وأما الثاني: فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع، ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان.

فإن قلت: ما الفرق بين الخوف والحزن؟ قلت: الخوف، غم يلحق الإنسان لشيء متوقع.

---

(١) تفسير الآلوسى ج ٢٠ ص ٤٥.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣٥٣/١٠

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣٧٩/١٠

"والمراد بهم: أولئك المؤمنون الصادقون الذي صلحت أعمالهم، وحسنت بالله- تعالى- صلتهم، فصاروا يقولون ويفعلون كل ما يحبه، ويجتنبون كل ما يكرهه.

قال الفخر الرازي: «ظهر في علم الاشتقاق أن تركيب الواو واللام والياء يدل على معنى القرب، فولى كل شيء هو الذي يكون قريبا منه. «١»

والقرب من الله إنما يتم إذا كان القلب مستغرقا في نور معرفته، فإن رأى رأى دلائل قدرته، وإن سمع سمع آيات وحدانيته، وإن نطق نطق بالثناء عليه، وإن تحرك تحرك في خدمته، وإن اجتهد اجتهد في طاعته، فهنالك يكون في غاية القرب من الله- تعالى- ويكون وليا له- سبحانه-.

وإذا كان كذلك كان الله- وليا له- أيضا- كما قال: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور.

وقد افتتحت الآية الكريمة بأداة الاستفتاح ألا وبحرف التوكيد إن لتنبيه الناس إلى وجوب الاقتداء بهم، حتى ينالوا ما ناله أولئك الأولياء الصالحون من سعادة دنيوية وأخروية.

وقوله: لا خوف عليهم ولا هم يحزنون تمييز لهم عن غيرهم ممن لم يبلغوا درجتهم.

والخوف: حالة نفسية تجعل الإنسان مضطرب المشاعر لتوقعه حصول ما يكرهه.

والحزن اكتئاب نفسي يحدث للإنسان من أجل وقوع ما يكرهه.

أى: أن الخوف يكون من أجل مكروه يتوقع حصوله، بينما الحزن يكون من أجل مكروه قد وقع فعلا.

والمعنى: ألا إن أولياء الله الذين صدق إيمانهم، وحسن عملهم، لا خوف عليهم من أهوال الموقف وعذاب الآخرة، ولا هم يحزنون على ما تركوا وراءهم من الدنيا، لأن مقصدهم الأسمى رضا الله- سبحانه-، فمتى فعلوا ما يؤدى إلى ذلك هان كل ما سواه.

وقوله: الذين آمنوا وكانوا يتقون استئناف مسوق لتوضيح حقيقتهم فكأن سائلا قال: ومن هم أولياء الله؟ فكان الجواب هم الذين توفر فيهم الإيمان الصادق، والبعد التام عن كل ما نهى الله- تعالى- عنه.

وعبر عن إيمانهم بالفعل الماضي، للإشارة إلى أنه إيمان ثابت راسخ. لا تزلزله الشكوك، ولا تؤثر فيه الشبهات.

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج ١٧ ص ١٢٦.." (١)

"وحكى ابن الأنباري، عن الفراء، وجماعة من الأئمة: أن سجود الملائكة لآدم كان تحية ولم يكن عبادة، وكان ذلك سجود تعظيم وتسليم وتحية، لا سجود صلاة وعبادة، وكان ذلك تحية الناس وتعظيم بعضهم بعضا ولم يكن وضع الوجه على الأرض، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام.

وآدم سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وقيل: إنه كان أدأم بالعبرانية، وهو التراب، فعربته العرب فقالوا: آدم.

وقوله: ﴿فسجدوا إلا إبليس﴾ [البقرة: ٣٤] قال أكثر أهل اللغة والتفسير: سمي إبليس بهذا الاسم لأنه أبلس من رحمة

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٧/٩٥

الله، أي: أيس، والمبلس: المكتئب الآيس الحزين، وفي القرآن ﴿فإذا هم مبلسون﴾ [الأنعام: ٤٤] .
وقال ابن الأنباري: لا يجوز أن يكون مشتقا من أبلس، لأنه لو كان كذلك لانصرف ونون كما ينون إكليل وإحليل وبابه، وترك التنوين في القرآن يدل على أنه أعجمي معرب معرفة، والأعجمي لا يعرف له اشتقاق.
قال مجاهد، وطاوس، عن ابن عباس: كان إبليس قبل أن يركب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن، ولم يكن من الملائكة أشد اجتهادا، ولا أكثر علما منه، فلما تكبر على الله وأبى السجود لآدم وعصاه، طرده الله ولعنه، وجعله شيطانا وسماه إبليس.
وهذا قول ابن مسعود، وابن جريج، وقتادة، وأكثر المفسرين.
وقوله: أبى أي: أبى السجود ولم يسجد، وقوله: واستكبر ومعنى الاستكبار: الأنفة مما لا ينبغي أن يؤنف منه.
وقوله: وكان من الكافرين أي: صار، كقوله: ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ [هود: ٤٣] ، وقال الأكثرون: وكان في سابق علم الله من الكافرين.." (١)

"من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي فأتاني بصحيفة من ملك غسان فإذا فيها: أما بعد فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان فالحق بنا نواسك.
قال: فقلت: هذا أيضا من البلاء والشر فأسجرت لها التنور وأحرقتها.
فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي صلى الله عليه وسلم قد أتاني فقال: "اعتزل امرأتك" فقلت: أطلقها؟ قال: "لا ولكن لا تقربها".
وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف فهل تأذن لي أن أخدمه؟ قال: "نعم ولكن لا يقربنك" قالت: يا نبي الله! والله ما به من حركة لشيء ما زال مكتئبا يبكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان.
قال كعب: فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة حائطه وهو ابن عمي - فسلمت عليه فلم يرد علي فقلت: أنشدك الله يا أبا قتادة! أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت ثم قلت أيضا يا أبا قتادة! أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت ثم قلت: أنشدك الله يا أبا قتادة! أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ قال: الله ورسوله أعلم.
قال: فلم أملك نفسي أن بكيت ثم اقتحمت الحائط خارجا.
حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامنا صليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم جلست وأنا في المنزلة التي قال الله عز وجل قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت إذ سمعت نداء من ذروة سلع: أبشر يا كعب بن مالك! فخررت ساجدا وعرفت أن الله تعالى قد جاء بالفرج ثم جاء رجل يركض على فرس يبشرني فكان الصوت أسرع من فرسه فلما جاءني الذي سمعت صوته أعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين
قال: وكانت توبتنا نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ثلث الليل فقالت أم سلمة: يا نبي الله! ألا نبشر كعب بن مالك؟

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٢٠/١

قال: "إذا يحطمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة".

قال: وكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن بأمري فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستنارة القمر وكان إذا سر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال: "أبشر يا كعب بن مالك بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك" قال: قلت يا نبي الله أمن عند الله." (١)

"قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾.

وعاد كتاب الله مرة أخرى إلى الكشف عن أسرار الرياح التي ينفرد بتحريكها وإرسالها من له الخلق والأمر، والدور الذي تقوم به في إثارة السحب وإنزال الأمطار، وإغاثة للعباد ورفقا بهم، وذلك قوله تعالى: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء﴾، والإشارة هنا إلى السحاب عندما يكون متصلا يملأ أرجاء الأفق: ﴿ويجعله كسفا﴾، أي: قطعا، والإشارة هنا إلى السحاب عندما يكون متقطعا، ﴿فترى الودق﴾، أي: المطر، ﴿يخرج من خلاله﴾، أي: من خلال السحاب، ﴿فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون﴾، فرحا منهم بنزول الغيث، لحاجتهم إليه، وتوقفهم عليه، ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾، أي: كانوا قبل نزول المطر في ذهول وحيرة، قانطين من نزوله، لطول عهدهم بالجدب، مكتئبين خوفا من القحط والمجاعة التي تهدد حياتهم، ولهذا كان استبشارهم على قدر إبلاسهم واغتمامهم.

وكون الرياح هي التي تثير السحاب وتلقحه ببخار الماء لكي يمطر، حقيقة علمية كبرى كشف الستار عنها عالم الغيب الذي يعلم السر في السماوات والأرض، منذ أنزل كتابه العزيز قبل أربعة عشر قرنا، عندما قال هنا: ﴿يرسل الرياح فتثير سحابا﴾، وقال في آية أخرى سبقت في سورة الحجر: (٢٢):." (٢)

"(والحذر والحذر) لغتان بمعنى. قيل: ولم يسمع في هذا التركيب إلا: «خذ حذرك» بالكسر لا «حذرك» قوله: «ثبات» نصب على الحال، وكذا [«جميعا» ، والمعنى: انفروا جماعات في تفرقة سرية بعد سرية أو مجتعين كوكبة واحدة] قال الشيخ: ولم يقرأ فيما علمت إلا بكسر التاء «. انتهى. وهذه هي اللغة الفصيحة. وبعض العرب ينصب جمع المؤنث السالم، إذا كان معتل اللام معوضا منها تاء التأنيث بالفتحة، وأنشد الفراء.

١٦٠٤ - فلما جلاها بالأيام تحيزت ... ثباتا عليها ذلها واكتئابها

وقرئ شاذا:» ويجعلون لله البنات «بالفتحة. وحكي:» سمعت لغاتهم «وزعم الفارسي أن الوارد من ذلك مفرد ردت لامه؛

---

(١) التوابين لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ص/٦٦

(٢) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٥/٤٨

لأن الأصل:» لغوة «فلما ردت اللام قلبت ألفا، وقد رد على الفارسي بأنه يلزمه الجمع بين العوض والمعوض منه، ويرد عليه أيضا القراءة المتقدمة في» البنات «لأن." (١)

"- أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس في قوله ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ قال: يعني تركوا ما ذكروا به

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جريج في قوله ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ قال: ما دعاهم الله إليه ورسله أبوه وردوه عليهم

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ قال: رخاء الدنيا ويسرها على القرون الأولى

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ قال: يعني الرخاء وسعة الرزق

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في قوله ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ قال: من الرزق ﴿أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ قال: مهلكون متغير حالهم ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ يقول: قطع أصل الذين ظلموا

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن النضر الحارثي في قوله ﴿أخذناهم بغتة﴾ قال: أمهلوا عشرين سنة

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله ﴿فإذا هم مبلسون﴾ قال: المبلس المجهود المكروب الذي قد نزل به الشر الذي لا يدفعه والمبلس أشد من المستكبر وفي قوله ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ قال: استؤصلوا

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد ﴿فإذا هم مبلسون﴾ قال: **الاكتئاب**

وفي لفظ قال: آيسون

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: الإبلاس تغيير الوجوه وإنما سمي إبليس لأن الله نكس وجهه وغيره." (٢)

"وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالأبواب كلها فسدت إلا باب علي رضي الله عنه.

ذكر تجميره

ذكر أهل السير: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى بسفط من عود فلم يسع الناس، فقال: اجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون، فبقيت سنة في الخلفاء إلى اليوم، يؤتى في كل عام بسفط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة ويوم الجمعة عند المنبر، من خلفه إذا كان الإمام يخطب.

قالوا: وأتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمجمرة من فضة فيها تماثيل من الشام، فكان يجمر بها المسجد ثم توضع بين

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/ ٢٧

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٣/ ٢٦٩

يدي عمر، فلما قدم إبراهيم بن يحيى بن محمد واليا على المدينة، غيرها وجعلها ساذجا، وهي في يومنا هذا منقوشة.

ذكر تخليقه

روي أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه تفل في المسجد فأصبح مكتئبا، فقالت له امرأته: مالي أراك مكتئبا؟ فقال: لا شيء، إلا أني تفلت في القبلة وأنا أصلي، فعمدت إلى القبلة فغسلتها ثم خلقتها، فكانت أول من خلق القبلة.

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان أول من خلق المسجد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم لما حجت الخيزران أم موسى وهارون في سنة سبعين ومائة أمرت بالمسجد أن يخلق، فتولى تخليقه جاريتها مؤنسة، فخلقته، جميعه حتى الحجرة الشريفة جميعها.." (١)

"(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (٢٤)

وقيل لحكيم: ألا تعظ فلانا، فقال: ذلك على قلبه قفل ضاع مفتاحه، فلا سبيل إلى معالجة فتحه.

وللإنسان مع كل فضيلة ورذيلة ثلاثة أحوال:

إما: أن يكون فى ابتدائها، فيقال: هو عبدها وابنها، ولهذا قال بعضهم: من لم يخدم العلم لم يرعه.

والثاني: أن يتوسطها فيقال: هو أخوها وصاحبها.

والثالث: أن ينتهي فيها بقدر وسعه، ويتصرف فيها كما أراد فيقال: هو سيدها وربها، ومنه قيل: فلان رباني في العلم، فإن رب الشيء هو الذي - ربه، وسيده هو الذي يملك سواده، - أي جميعه.

وغاية الفاضل في الفضيلة أن تقع منه الفضائل أبدا من غير فكر ولا روية، لغلبة قواها عليه، وبعد ما ينافيها منه، كالصانع الحاذق في صنعته.

وغاية الرذل في الرذيلة أن تقع منه الرذائل لغلبة قواها عليه، ولهذا حد الخلق

بأنه: حال للإنسان داعية إلى الفعل من غير فكر ولا روية.

الفرق بين ما يحمد ويذم من التخلق

الفرق بين الخلق والتخلق أن التخلق معه استثقال واكتئاب، ويحتاج إلى بعث

وتنشيط من خارج، والخلق معه استخفاف وارتياح ولا يحتاج إلى بعث من خارج.

والتخلق والتشبه بالأفاضل ضربان:

ضرب محمود: وذلك ما كان على سبيل الارتياض والتدرب، ويتحراه صاحبه سرا." (٢)

"فيما يشيرون به إلى الله تعالى، وثالث هو فقير مجرد قطع العلاقات من الدنيا والآفات يسمعون بطيبة قلوبهم وهؤلاء أقربهم إلى السلامة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: وقد سئل عن السماع.

---

(١) الدرة الثمينة في أخبار المدينة ابن النجار، محب الدين ص/١٠٠

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة الراغب الأصفهاني ص/١٠٢

فقال: مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب، وقال الخواص: وقد سئل ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ولا يجد ذلك في سماع القرآن؟ .

فقال: لأن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته وسماع القول ترويح فيتحرك فيه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي يقول: سمعت الجنيد يقول: إذ رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة.

وسمعته يقول: سمعت علي بن عبد الله البغدادي يقول: سمعت أبا سعيد الرملي يقول: قال سهل بن عبد الله: السماع علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو.

وحكى أحمد بن مقاتل العكي.

قال: لما دخل ذو النون المصري بغداد اجتمع إليه الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه أن يقول بين يديه شيئا فأذن فابتداء يقول: صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتنكا وأنت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا أما ترثي **لمكتئب** إذا ضحك الخلى بكى قال: فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض، ثم قام رجل من القوم يتواجد.

فقال له ذو النون: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ [الشعراء: ٢١٨] فجلس الرجل.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في هذه الحكاية: كان ذو النون صاحب إشراف على ذلك الرجل حيث نهبه أن ذلك ليس مقامه وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف حيث قبل ذلك منه فرجع وقعد.

سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سعت الرقي يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة يقال لأحدهما: جبلة وللثاني: رزيق فزار رزيق يوما جبلة في أصحابه فقرأ رجل من أصحاب رزيق شيئا ، فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات ، فلما أصبحوا.

قال جبلة لرزيق:." (١)

"سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت يحيي بن الرضا العلوي.

قال: سمع أبو سلمان الدمشقي طوافا ينادي: يا سعتر برى فسقط مغشيا عليه فلما أفاق سئل.

فقال: حسبته يقول: اسع تر برى: وسمع عتبة الغلام رجلا يقول: سبحان رب السماء إن المحب لفي عناء، فقال عتبة: صدقت.

وسمع رجل آخر ذلك القول.

فقال: كذبت فكل واحد سمع من حيث هو.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت أبا الحسن علي بن محمد الصوفي يقول: سمعت

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٥١٣/٢

رويما وقد سئل عن المشايخ الذين لقيهم في السماع.

فقال: كالقطيع إذا وقع فيه الذئب.

وحكى عن أبي سعيد الخراز قال: رأيت علي بن الموفق في السماع يقول: أقيموني فأقاموه فقام وتواجد ثم قال: أنا الشيخ الزفان، وقيل: قام الرقي ليلة إلى الصباح يقوم ويسقط على هذا البيت والناس قيام يبكون والبيت:

بالله فاردد فؤاد **مكتئب** ... ليس له من حبيبه خلف

سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت علي بن الحسين بن حمد بن أحمد بالبصرة يقول: سمعت أبي يقول: خدمت سهل بن عبد الله سنين كثيرة فما رأيته تغير عند سماع شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن وغيره، فلما كان في آخر عمره قرئ بين يديه ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ [الحديد: ١٥] رأيته تغير وارتعد وكاد يسقط، فلما رجع إلى حال صحوه سألته عن ذلك.

فقال: يا حبيبي ضعفنا.

وحكى ابن سالم.

قال: رأيته مرة أخرى قرئ بين يدينه ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ [الفرقان: ٢٦]." (١)

"٣٦٦ - أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا أبو علي الحسين بن صفوان، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، أخبرني محمد بن الحسين، حدثنا راشد أبو سعيد، حدثني عاصم الخلقاني قال: قال الربيع بن عبد الرحمن: " إن ﷺلله عز وجل عبادا أخمصوا له البطون، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام؛ رجاء أن ينير لهم ذلك ظلمة قبورهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها، فهم في الدنيا **مكتئبون** وإلى الآخرة متطلعون، نفذت أبصارهم بالغيب إلى الملكوت فرأت فيه ما رجت من عظيم الثواب فازدادوا والله بذلك جدا واجتهادا عند معاينة ما انطوت عليه آمالهم فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا وهم الذين تقر أعينهم غدا بطلعة ملك الموت عليهم قال: ثم يبكي حتى تبل لحيته "." (٢)

"وقصاراه أن يكون سليبا ... لذويه مقسومة أسلابه

وإذا كان آخر الأمر هذا ... فلماذا على الحياة **اكتئابه**

أيها السائر المقيم على حر ... ص مقيم لا تستقل ركابه

إن حبل الآمال والحرص كالأع ... مار طولا فبالفناء انقضابه." (٣)

"تواعد عمر بن عبد العزيز عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بصرم، فكتب إليه عبيد الله:

تواعدني بصرمك والمنايا ... لنا رصد بمخرم كل باب

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٥١٦/٢

(٢) الزهد الكبير للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/١٦٢

(٣) الصبر مطية النجاح ابن الظهير الإربلي ص/٢٣

وفي الموت المشتت ما كفانا ... فلا تعجل مقادير الكتاب

فقد فارقت أعظم منه رزءا ... وواريت الأحبة في التراب

وقد عزوا علي وأسلموني ... معا، فلبست بعدهم ثيابي

قال أبو الفضل: كذا في أصله ولعله: **اكتئابي**.

١٢- الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين: أحد العلماء الفضلاء الصلحاء من رجال غرب الأندلس صحب القاضي أبا الوليد الباجي واختص به ودرس عليه مسائل الخلاف والأصول، وسمع منه ومن القاضي أبي عبد الله ابن المرابط والفقيه أبي محمد عبد الله بن محمد بن فورتش وأبي العباس الدلائي وأبي القاسم عبد الجليل الديباجي القروي وغيرهم، وولي القضاء بإشبيلية وبها توفي يوم الخميس الرابع من رجب سنة ثلاث وخمسمائة.

كتب إلي من إشبيلية يجيزني جميع روايته، من ذلك جميع تواليف أبي الوليد الباجي عنه، وجميع مضمن فهرسته وجميع تصانيف عبد الجليل وروايته،." (١)

"نفر] إليه؛ ونفر منه؛ إذا فزع منه وكرهه، وفي مضارعه لغتان» ضم العين وكسرها، وقيل: يقال: نفر الرجل ينفر بالكسر، ونفرت الدابة تنفر بالضم [ففرقوا بينهما في المضارع، وهذا الفرق يرده قراءة الأعمش: «فانفروا» «أو انفروا» بالضم] فيهما، والمصدر النفير، والنفور، والنفر: الجماعة كالقوم والرهط.

[قوله] : «ثبات» نصب على الحال، وكذا «جميعا» والمعنى «انفروا جماعات [متفرقة] [أي] سرية بعد سرية، أو مجتمعين كوكبة واحدة، وهذا المعنى الذي أراد الشاعر في قوله: [البسيط]

١٨٢١ - ... ... طاروا إليه زرافات ووحدانا

ومثله قوله: ﴿فإن خفتم فرجالا أو ركبانا﴾ أي: على أي الحالتين كنتم فصلوا.

قال أبو حيان: ولم يقرأ» ثبات «فيما علمت إلا بكسر التاء. انتهى.

وهذه هي اللغة الفصيحة، وبعض العرب ينصب جمع المؤنث السالم إذا كان معتل اللام معوضا منها تاء التأنيث بالفتحة، وأنشد الفراء: [الطويل]

١٨٢٢ - فلما جلاها بالأيام تحيزت ... ثباتا عليها ذلها **واكتئابها**

وقرئ شاذا: ﴿ويجعلون لله البنات﴾ [النحل: ٥٧] [بالفتحة] ، وحكي: سمعت لغتهم، وزعم الفارسي أن الوارد مفرد لامه؛ لأن الأصل» لغوة «؛ فلما ردت اللام، قلبت ألفا، وقد رد على الفارسي: بأنه يلزمه الجمع بين العوض." (٢)

"٧٤٦ - حدثنا أحمد، نا إسماعيل بن يونس؛ قال: أنشدنا الرياشي لبعض بني العنبر:

(تهيج منازل الاموات وجدا ... ويحدث عند رؤيتها **اكتئاب)**

---

(١) الغنية في شيوخ القاضي عياض القاضي عياض ص/٧٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٨٥/٦

(منازل لا تجيبك حين تدعو ... وعز عليك أنك لا تجاب)

(وكيف يجيب من ندعوه ميتا ... تضمنه الجنادل والتراب)." (١)

"وآخر المعاصي عقاب فلا يخدعنك ضياء ضباب ولا يطعمنك شراب سراب فمجيء الدنيا على الحقيقة ذهاب وعمارة الفاني إن فهمت خراب وفرح الغرور ثبور واكتئاب ودنو الشيب ينسخ ضياء الشباب وكلما نادى الأمل ﴿أبلغه مأمنه﴾ صاح الأجل ﴿فضرب الرقاب﴾ يا تايها في ظلمة ظلمه

يا موغلا في مفازة تيهه يا باحثا عن مدية حتفه يا حافرا زبية هلكه يا معمقا مهواة مصرعه بئس ما اخترت لأحب الأنفس إليك ويحك تطلب الجادة ولست على الطريق كم فغر الزمان بوعظه فما سمعت ﴿لينذر من كان حيا﴾ كيف تطيب الدنيا لمن لا يأمن الموت ساعة ولا يتم له سرور يوم إذا كان عمرك في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى لقد نصبت لك اشراك الهلاك والأنفاس أدق الحبائل يا ماشيا في ظلمة ليل الهوى لو استضئت بمصباح الفكر فما تأمن من بئر بوار الشهوات مبثوثة في طريق المتقين وما يسلم من شرها شره الأولياء في حرم التقوى ﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ الدنيا مثل منام والعيش فيها كالأحلام قيل لنوح عليه السلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار ذات بابين دخلت من باب وخرجت من باب

(فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا)

يا ثقيل النوم أما تنبهك المزعجات الجنة فوقك تزخرف والنار تحتك توقد والقبر إلى جانبك يحفر وربما يكون الكفن قد غزل أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم يا حاضرا يرى التائبين وهو في عداد الغائبين

(واقف في الماء عطشان ... ولكن ليس يسقي)

عاتب نفسك على هواها فقد وهاها قل لها ادراجي درج المدرج وقد لاحت مني لا يوقفنك في الطريق طاقة من أم غيلان فالخبط." (٢)

"الفصل التاسع والسبعون

يا هذا قد سمعت أخبار المتقين فسر في سربهم وقد عرفت جدهم فتناول من شربهم ثم سل من أعانهم يعنك فما كان بهم لابن هندو

(لا يؤيسنك من مجد تباعده ... فإن للمجد تدريجا وترتيبا)

(إن القناة التي شاهدت رفعتها ... تنمي وتنبت أنبوبا فأنبوبا)

إستغنى القوم بطبيبهم عن مدح خطيبهم فاسلك طريقهم تكن رفيقهم

لابن الرومي

---

(١) المجالسة وجواهر العلم الدِّينَوري، أبو بكر ١١٤/٣

(٢) المدهش ابن الجوزي ص/٣١٣

(وسائل عنهم ماذا يقدمهم ... فقلت فضل به عن غيرهم بانوا)

(صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا ... منهن في سبل العلياء ما صانوا)

(المنعمون وما منوا على أحد ... يوما بنعمي ولو منوا لما مانوا)

(قوم يعزون إن كانت مغالبة ... حتى إذا قدرت أيديهم هانوا)

أطار خوف النار نومهم وأطال ذكر العطش الأكبر صومهم يحسبهم الناظر مرضى الأبدان وإنما بهم سقام الأحزان

(مكتئب ذو كبد حوى ... تبكي عليه مقلة عبرى)

(يرفع يمناه إلى ربه ... يشكو وفوق الكبد اليسرى)

(يبقى إذا حدثته باهتا ... ونفسه مما به سكرى)

(تحسبه مستمعا ناصتا ... وقلبه في أمه أخرى)." (١)

"يقعد فيه الإنسان، قال الله تعالى: إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم:

(جلو) : أصل الجلو الكشف الظاهر يقال أجليت القوم عن منازلهم فجعلوا عنها أي أبرزتهم عنها ويقال جلاه نحو قول الشاعر:

فلما جلاها بالأيام تحيرت ... ثبات عليها ذلها واكتئابها

وقال الله عز وجل: ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ومنه جلالى خبر وخبر جلى وقياس جلى ولم يسمع فيه جال، وجلوت العروس جلوة وجلوت السيف جلاء والسماء جلواء أي مصحية ورجل أجلى انكشف بعض رأسه عن الشعر. والتجلي قد يكون بالذات نحو: والنهار إذا تجلى وقد يكون بالأمر والفعل ونحو: فلما تجلى ربه للجبل وقيل فلان ابن جلا أي مشهور وأجلوا عن قتيل إجلاء.

(جم) : قال الله تعالى: وتحبون المال حبا جما أي كثيرا من جمة الماء أي معظمه ومجتمعه الذي جم فيه الماء عن السيلان، وأصل الكلمة من الجمام أي الراحة للإقامة وترك تحمل التعب، وجمام المكوك دقيقا إذا امتلأ حتى عجز عن تحمل الزيادة ولاعتبار معنى الكثرة قيل الجمعة لقوم يجتمعون فى تحمل مكروه ولما اجتمع من شعر الناصية، وجمة البئر مكان يجتمع فيه الماء كأنه أجم أياما، وقيل للفرس جموم الشد تشبيها به، والجماء الغفير والجم الغفير الجماعة من الناس وشاة جماء لا قرن لها اعتبارا بجمة الناصية.

(جمح) : قال تعالى: وهم يجمحون أصله فى الفرس إذا غلب فارسه بنشاطه فى مروره وجريانه وذلك أبلغ من النشاط والمرح، والجماح سهم يجعل على رأسه كالبندقة يرمى به الصبيان.

(جمع) : الجمع ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال جمعته فاجتمع، وقال عز وجل: وجمع الشمس والقمر- وجمع فأوعى - جمع مالا وعدده وقال تعالى: يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وقال تعالى:

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٤٤٥

لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون- قل لئن اجتمعت الإنس والجن وقال تعالى: فجمعناهم جمعا وقال تعالى: إن الله جامع المنافقين- وإذا كانوا معه على أمر جامع أي أمر له خطر يجتمع لأجله الناس فكأن الأمر نفسه." (١)

"(لكنت حقيقا يا ابن آدم بالبكا ... على نائبات الدهر مع كل مسعد)

فاستعذ من ذنوبك يا مسكين قبل عرق الجبين وانتشار العرقين وقبل مد الشمال وقبض اليمين وتضعيف قوتك بالأنين ويكثر حواليك البكا والحنين وجرت دموعك لمفارقة الأهل والبنين ولا ينفعك ما جمعت من الأموال في الشهور والسنين ثم أنت في قبرك لعملك رهين إلى يوم عرضك على أسرع الحاسبين

قد تغير جسمك في الجنادل والتراب بعد تنعمك بدقائق الشباب

وأنشدوا

(من لم يطأ منا التراب برجله ... وطئ التراب بنضرة الخد)

(لو كشفت للناس أغطية البلى ... لم يعرفوا المولى من العبد)

(من كان بينك في التراب وبينه ... شبران كان بموضع البعد)

٢٦٠ - أسماء العباد

ذكر في بعض الأخبار أن لله سبحانه وتعالى شجرة فرعها تحت العرش مكتوب على كل ورقة من أوراقها اسم عبد من عبيده فإذا جاء أجل العبد سقطت تلك الورقة التي فيها اسمه في حجر ملك الموت فأخذ روحه في الوقت

وأنشدوا

(إني لعبت وحادي الموت في طلبي ... وإن في الموت شغل لي عن اللعب)

(لو شمرت مهجتي فيما خلقت له ... ما اشتد حرصي على الدنيا ولا كلبي)

(سبحان ربي فلا شيء يعادله ... إن الحريص على الدنيا لفي تعب)

(لا تغترر بديار لا مقام بها ... واقصد لدارك إن الموت في الطلب)

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما من يوم إلا وملكان يناديان يا أهل الدنيا ولدتم للموت وتبنون للخراب وأنتم محاسبون ومعذبون عند ربكم)

وأنشدوا

(عجبت لجازع باك مصاب ... بأهل أو حميم ذي **اكتئاب**)

(شقيق الجيب داعي الويل جهلا ... كأن الموت كالشيء العجاب)

(وسوى الله فيه الخلق حتى ... نبي الله فيه لم يحابي)

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ١٠٨/٨

(له ملك ينادي كل يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب)

(لمن نبني ونحن إلى تراب ... نعود كما خلقنا من تراب)." (١)

"قال: هيهات، ذهب الناس، فلما جاءه نعي مالك وجد مكتئبا، ثم قال: والله ما خلق على الأرض مثله

وقال الإمام أبو بكر بن خزيمة: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: سئل ابن عيينة عن معنى قوله عليه الصلاة والسلام: ومن استجمر فليوتر قال: فسكت ابن عيينة، فقال: أترضى بما قال مالك؟ قال: وما قال مالك؟ قال: قال مالك: الاستجمار الاستطابة بالحجارة، ثم قال ابن عيينة: إنما مثلي ومثل مالك كما قال الأول:

وابن اللبون إذا ما لز في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقال محمد بن عبد الله بن المقري: سمعت سفيان بن عيينة وذكر مالك بن أنس فقال: ذاك سيد المرسلين.

وقال يحيى بن حسان: كنا عند وهيب بن خالد، فذكر حديثا عن ابن جريج ومالك عن عبد الرحمن بن القاسم، فقلت لصاحب لي: اكتب ابن جريج ودع مالكا، وإنما قلت لصاحبي ذلك، لأن مالكا كان يومئذ حيا، فسمعها وهيب، فقال: تقول: دع مالكا، ما بين شرقها وغربها أحد أعلم ولا آمن على ذلك عندنا من مالك، وللعرض على مالك أحب إلي من السماع على غيره، ولقد أخبرني شعبة أنه قدم المدينة بعد وفاة نافع بسنة فإذا لمالك حلقة.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت أحدا أهيب ولا أتم عقلا ولا أشد تقوى من مالك." (٢)

"ومن عجائب الدنيا، صنم قادس في غرب الأندلس على البحر من كورة شذونة، وقد ذكره الأوائل، ونقل أهل الأخبار خبره، ومن أحسن ما قيل في وصفه من النظم ما أنشده غير واحد لأبي عثمان الشذوني العروضي، يخاطب بعض قواد شذونة، إذ أدخله إليه فرآه على قرب في تلك الجزيرة، فقال:

يا سيدا أبصرت عيني به عجبا ... فما أبالي يقول الناس عن رهبي

لله ما أبصرته في شذونة من ... عجائب كنت في إبصارها سببا

آثار مملكة دلت على ملك ... أذل بالملك أعناق الورى حقبا

وأسود واقف في رأس صومعة ... كأنه فوقها بالروح قد صلبا

مقدما رجله اليمنى ليرفعها ... كأنه يشتكي من طول ما تعبا

يمد يمناه بالمفتاح تحسبه ... مناولا غيره عجلان مكتئبا

وصكه في اليد اليسرى قد انقبضت ... كأنه ساتر عنا لما كتبا

يومي إلى البحر نحو الغرب وجهته ... مستقبلا لغروب الشمس منتصبا

لابد والله من قفل سيفتحه ... مفتاحه بعد الميقات أو قربا

وسائل لي عما ضل جوهره ... والذهن في فك معناه قد انتشبا

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ابن الجوزي ص/١٥١

(٢) بغية الملتمس في سباعيات حديث الإمام مالك بن أنس صلاح الدين العلائي ص/٧١

أجبته إن في أخباره عجبا ... فلا تسل عنه صفرا كان أو ذهبا
قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: ما خلق الله خلقا أشر من الخزر، ما بعث منهم نبي ولا صديق.
قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لابنه الحسن: يا بني! كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع. قال: وكيف؟ قال: الإيمان ما سمعناه بآذاننا وصدقناه بقلوبنا، واليقين ما رأيناه بأعيننا فتيقنا، وبين السمع والبصر أربع أصابع. قال: أشهد أنك ابن رسول الله.
قال الحكماء: شيئان أعيت الحكماء الحيلة فيهما، إذا أقبل الأمر أعيت الحيلة فيه أن يدبر، وإذا أدبر أعيت الحيلة فيه أن يقبل.
قال خالد بن صفوان: احترس من العين فو الله لهي أنم من اللسان.
كان يقال: من أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك.
كان يقال: مثلت الدنيا بطائر، فالبصرة ومصر جناحان، والشام والعراق والجزيرة وما والاها الجوف، واليمن الذنب.
تقول العرب: مضر رحاها خندف، وهامتها تميم، وفرسانها قيس، وأئمتها كنانة، ولسانها أسد.
قال الخشني: لا تكرم ولا تعظم إلا من يرجى خيره، أو يخاف شره، أو يقتبس من علمه، أو من بركة دعائه.
خطب أرسطو طاليس يوما فأطال، وعنده شاب مطرق، فقال له: مالك لا تتكلم؟ قال: إن الله خلق الإنسان أذنين اثنين ولسانا واحدا ليسمع أكثر مما يقول.
من أمثال العرب: من يجمع بين الأروى والنعام! لأن الأروى لا تسهل، وإنما تسكن الجبال، والنعام يسكن السهل، ولا ترقى الجبال.
ومن قولهم: بيضة البلد؛ فمدح وذم، فمن المدح قول علي رضى الله عنه: أنا بيضة الإسلام، ومن المدح قول حسان:
وابن الفريعة أمسى بيضة البلد
يعني نفسه. وأما الذم فقول الراعي في عدي بن الرقاع:
لو كنت من أحد يهجي هجوتكم ... يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاعة أن تدري لكم نسبا ... وابنا نزار فأنتم بيضة البلد
ابنا نزار: ربيعة ومضر.
قال قبيصة بن جابر الأسدي، يوم صفين:
قد حافظت في حربها بنو أسد ... ما مثلها تحت العجاج من أحد
لسنا بأوباش ولا بيض البلد قيل للأموية: أي شيء أحسن؟ قالت: القصور والبيض في الحدائق الخضر.
قال أبو لبيد الرياحي: سألت شيخا لنا: أي شيء أحسن؟ قال: بيضة في روضة.
تقول العرب: لا شيء أظل من حجر، ولا أفيأ من شجر.
قال الشاعر:
إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى ... فأبعدكن الله من شجرات

وقال آخر:

فلا تجزعن على أيكة ... أبت أن تظلك أغصانها

وقال آخر، هو الحسن بن هانئ:

لا أذود الطير عن شجر ... قد بلوت المر من ثمره

كلم الحجاج امرأة من الخوارج، وهي معرضة عنه، فقيل لها: يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه؟ فقالت: إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه.

قال رجل من بني كلاب من الخوارج، يخاطب معاوية بن أبي سفيان رحمه الله:." (١)

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة ".

قال جعفر الخواص: رأيت يحيى بن أكثم في النوم، فقلت ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه فسألني وناقشني، وقال: يا شيخ السوء! لولا شيبتك لأدخلتك النار - رددها ثلاثا - فقلت: يا رب! ما هكذا حدثني عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري عن أنس، عن نبيك، عن جبريل، عنك. قال: وما هو؟ قلت: " حدث أنه من شاب شيبة في الإسلام لم تحرقه بالنار "، فقال الله عز وجل: " صدق عبد الرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهري، وصدق أنس، وصدق نبي، وصدق جبريل؟ انطلقوا به إلى الجنة ".

وقال أبو موسى الزمن: رأيت أبا الوليد الطيالسي في النوم فقلت: يا أبا الوليد، أليس قدمت؟ قال: بلى. قلت: فما فعل الله بك. قال: غفر لي ورحمني وطيبني بيده، وقال: هكذا أفعل بأبناء الخمسين والسبعين.

وممن مدح الشيب من الشعراء الفرزدق، حيث يقول:

تفاريق شيب في السواد لوامع ... وما خير ليل ليس فيه نجوم

وقال أبو هفان:

تعجبت هند من شيبي فقلت لها ... لا تعجبي فبياض الصبح في السدف

وزادها عجبا أن رحت في سمل ... وما درت هند أن الدر في الصدف

وقال دعبل:

أهلا وسهلا بالمشيب فإنه ... سمة العفيف وحلية المتحرج

وكأن شيبي نظم در زاهر ... في تاج ذي ملك أغر متوج

وقال أيضا:

أحب الشيب لما قيل ضيف ... لحبي للضيوف النازلينا

لمحمد بن عبد الملك الزيات:

وعائب عابني بشيبي ... لم يعد لما ألم وقته

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٢١٤

فقلت غذ عابني بشيبي ... يا عائب الشيب لا بلغته

وقال آخر:

لا يرعك المشيب يا بنة عبد الله ... فالشيب جلة ووقار

إنما تحسن الرياض إذا ما ... ضحكت في خلالها الأنوار

ولأبي الفتح البستي:

ما استقامت قناة رأيي إلا ... بعدما عوج المشيب قناتي

ولدعبل بن علي:

تعجبت أن رأت شيبي فقلت لها: ... لا تعجبي من يطل عمر به يشب

شيب الرجال لهم زين وتكرمة ... وشيبكن لكن الويل فاكتئبي

فينا لكن وإن شيب بدا أرب ... وليس فيكن بعد الشيب من أرب

وقال أبو الحسن علي بن محمد السهواجي، وسهواج بلدة من أعمال مصر:

ومما زاد في طول **اكتئابي** ... طلائع شيبتين ألمتابي

فأما شيبة ففزعت منها ... إلى المقراض من حب التصابي

وأما أختها فكففت عنها ... لتشهد بالبراء من الخضاب

فيا عجبا لذلك من مشيب ... أقمت به الدليل على الشباب

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين، وأقلهم من تجاوز ذلك ". قال أبو هريرة: وأنا من أقلهم، وقاله أبو سلمة ومحمد بن عمرو.

ومن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " من تعظيم خلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ".

رأى إياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته، فقال: أرى الموت يطلبني، وأراني لا أفوته، أعوذ بك يا رب من فجأة الموت. يا بني سعد! قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبي.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " خير شبابكم من تشبه بكهولكم، وشر كهولكم من تشبه بشبابكم ". من حديث أنس.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " إن الله عز وجل ليكرم أبناء السبعين ويستحي من أبناء الثمانين أن يعذبهم ".

باب في خضاب الشيب ونتفه

قال محمود الوراق:

إذا ما الشيب جار على الشباب ... فعاجله وغالط في الحساب

وقل لا مرحبا بك من نزيل ... وعذبه بأنواع العذاب

بنتف أو بقص كل يوم ... وأحيانا بمكروه الخضاب

فإن هو لم يحر وأتى لوقته ... فقل في رحب دار واقتراب

ولا تعرض له إلا بخير ... وإن عدي على شرخ الشباب

وخذ للشيب أهبته وبادر ... وخل عنان رحلك للذهاب." (١)

"قال سهل بن هارون: التهنئة على آجل الثواب أولى من التعرية على عاجل المصيبة.

قال عيينة بن حصن الفزاري، وقد قدم من سفر، وقد أصابه مصيبة، فأتاه قومه فقال لهم: اجعلوا لقاءكم سلاما، ولا يأتي أحدكم معزيا، فإن التعزية تهيج التذكرة، ومن أراد أن يدعو بخير في الرزية فليظهر العتب.

أصيب محمود الوراق بجارية يقال لها نشوى، كان علمها وخرجها وأعطى فيها مالا كثيرا فأبى، فأتى بعض إخوانه يعزيه عنها، وهو عنده أنه شامت، فجعل يعذله على ما كان يحمل إليه من ثمنها ويذكر حاله، ويطنب في وصفها، فأنشأ محمود يقول:

ومنتصح يكرر ذكر نشوى ... على عمد ليبعث لي اكتئابا

فقلت وعد ما كانت تساوي سيحسب ذاك من خلق الحسابا

عطيته إذا أعطى سرور ... وإن أخذ الذي أعطى أثابا

فأي النعمتين أعم فضلا ... وأحمد في عواقبها إيابا

أنعمته التي أهدت سرورا ... أم الأخرى التي أهدت ثوابا

بل الأخرى وإن نزلت بكره ... أحق بشكر من صبر احتسابا

وقال محمود أيضا في نشوى:

لعمري لئن غال صرف الزمان ... نشوى لقد غال نفسا حبيبه

ولكن علمي بما في الثواب ... عند المصيبة ينسى المصيبة

روى يحي القطان، عن خالد بن أبي عثمان، قال: أتاني سعيد بن جبير يعزيني عن أبي، فرآني مستكينا، فقال لي: أما علمت أن الاستكانة من الجزع.

كان علي رحمه الله إذا عزى قوما قال: عليكم بالصبر؛ فبه يأخذ الحازم، وإليه منصرف الجازع.

ولما دفن علي فاطمة رضى الله عنهما تمثل على قبرها بهذين البيتين:

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي واحدا بعد واحد ... دليل على ألا يدوم خليل

يقال: إنها له، وقال ابن الأعرابي: هي أبيات لسقران السلاماني.

كان يقال: جزعك على مصيبة أخيك أحمد من صبرك، وصبرك على مصيبتك أحمد من جزعك.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٢١٩

ومن أبيات لضابئ بن الحارث البرجمي:

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

عزى رجل رجلا فقال: لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها.

قال بعض تميم:

لقد عزى ربيعة أن يوما ... عليها مثل يومك لا يعود

ومن عجب قصدن له المنايا ... على عمد، وهن له جنود

أخذه يعقوب بن الربيع في رثائه جاريته، فقال:

لئن كان قربك لي نافعا ... لبعدك أصبح لي أنفعا

لأني أمنت رزايا الدهور ... وإن جل خطب فلن أجزعا

وقال محمود الوراق:

لا تطل الحزن على فائت ... فقلما يجدي عليك الحزن

سيان محزون لما قد مضى ... ومظهر حزن لما لم يكن

وقال أخو ذي الرمة:

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده ... عزاء وجفن العين ملآن مترع

ولم تنسني أوفى المصائب بعده ... ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

وقال آخر:

أترجو البقاء وهذا محال ... ولله عز وجل البقاء

فلو كان للفضل يبقى كريم ... لما مات من خلقه الأنبياء

تموت النفوس وتبقى الشخوص ... وعند الحساب يكون الجزاء

دخل أبو العتاهية على الفضل بن الربيع يعريه بابنه العباس، فقال: الحمد الله الذي جعلنا نعريك عنه، ولم يجعلنا نعزيه عنك. فدعا الفضل بالطعام فأكل، وقد كان قبل ذلك امتنع من الأكل.

ومن أحسن ما قيل في رثاء البنين قول العتبي:

ألا يزجر الدهر عنا المنونا ... يبقى البنات ويفنى البنينا

وأخنى على بلا رحمة ... فلم يبق لي فوق جفن جفونا

وكنت أبا صبية كالبدور ... أفقي بهم أعين الكاشحينا

فمروا على حادثات الزمان ... كمر الدراهم بالناقدينا

وما زال ذلك دأب الزمان ... حتى أماتهم أجمعينا

وحتى بكى لي حسادهم ... وقد أقرحوا بالدموع العيونا

وحسبك من حادث بامرئ ... ترى حاسديه له راحمينا." (١)

"واطوها من زاوي يزوي زيا وهون أمر من التهوين أي يسر من وعثاء السفر بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة بالمد أي شدته ومشقته وأصله من الوعث وهو الرمل والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق يقال رمل أوعث وعثاء وكآبة المنقلب الكآبة بفتح الكاف وبالمد وهي تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن يقال كئب كآبة واكئب فهو مكتئب وكئيب المعنى أنه يرجع من سفره بأمر يحزنه إما أصابه في سفره وإما قدم عليه مثل أن يعود غير مقضي الحاجة أو أصابت ماله آفة أو يقدم على أهله فيجدهم مرضى أو قد فقد بعضهم كذا في النهاية

والمنقلب بفتح اللام المرجع

قوله (هذا حديث حسن غريب) وأخرجه أبو داود والنسائي والحاكم في مستدركه

[٣٤٣٩] قوله واخلفنا بضم اللام من باب نصر أي كن خليفتنا ومن الحور بعد الكور أي من النقصان بعد الزيادة وقيل من فساد الأمور بعد صلاحها وأصل الحور نقض العمامة بعد لفها وأصل الكور من تكوير العامة وهو لفها وجمعها ومن دعوة المظلوم أي أعوذ بك من الظلم فإنه يترتب عليه دعاء المظلوم ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ففيه التحذير من الظلم ومن التعرض لأسبابه

قال الطيبي فإن قلت دعوة المظلوم يحترز عنها سواء كانت في الحضر أو السفر قلت كذلك الحور بعد الكور لكن السفر مظنة البلايا والمصائب والمشقة فيه أكثر فخصت به انتهى

ويريد به أنه حينئذ مظنة للنقصان في الدين والدنيا وباعث على التعدي في حق الرفقة وغيرهم لا سيما في مضيق الماء كما هو مشاهد في سفر الحج فضلا عن غيره ومن سوء المنظر بفتح الظاء في الأهل والمال أي من أن يطمع ظالم أو فاجر في المال والأهل قاله القارىء وقال في المجمع سوء المنظر في الأهل والمال أن يصيبهما آفة بسوء النظر إليه

قوله (هذا حديث." (٢)

"هذا خطاب للمخلصين من أمة محمد عليه السلام، وأمر لهم بجهاد الكفار، والخروج في سبيل الله، وحماية الشرع، وخذوا حذركم، معناه: احزموا واستعدوا بأنواع الاستعداد، فهنا يدخل أخذ السلاح وغيره، وانفروا معناه: اخرجوا مجدين مصممين، يقال: نفر الرجل ينفر بكسر الفاء نفيرا، ونفرت الدابة تنفر بضم الفاء نفورا، وثبات معناه: جماعات متفرقات، فهي كناية عن السرايا وجميعا، معناه: الجيش الكثيف مع النبي صلى الله عليه وسلم، هكذا قال ابن عباس وغيره، والثبة: حكي أنها فوق العشرة من الرجال، وزنها فعلة بفتح العين، أصلها ثبوة، وقيل: ثبية، حذفت لامها بعد أن تحركت وانقلبت ألفا حذفا غير مقبس، ولذلك جمعت ثبون، بالواو والنون عوضا من المحذوف وكسر أولها في الجمع دلالة على خروجها عن بابها، لأن بابها أن تجمع بالتاء أبدا، فيقال: ثبات، وتصغر ثبية أصلها ثبيوة، وأما ثبة الحوض وهي وسطه الذي يثوب الماء

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٢٥٢

(٢) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٢٨١/٩

إليه، فالمحذوف منها العين، وأصلها ثوبة وتصغيرها ثويبة، وهي من ثاب يثوب، وكذلك قال أبو علي الفارسي في بيت أبي ذؤيب: [الطويل]

فلما جلاها بالأيام تحيزت ... ثبات عليها ذلها واكتئابها

انه اسم مفرد ليس يجمع سيق على الأصل، لأن أصل ثبة ثبوة، تحركت بالواو وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفا، فساقها أبو ذؤيب في هذه الحال.

وقوله تعالى: وإن منكم إن إيجاب، والخطاب لجماعة المؤمنين، والمراد ب «من» المنافقون، وعبر عنهم ب منكم إذ هم في عداد المؤمنين، ومنتحلون دعوتهم، واللام الداخلة على «من» لام التأكيد، دخلت على اسم إن لما كان الخبر متقدما في المجرور، وذلك مهيع في كلامهم، كقولك: إن في الدار لزيدا، واللام الداخلة على ليبطئن لام قسم عند الجمهور، تقديره وإن منكم لمن والله ليبطئن وقيل: هي لام تأكيد، وليبطئن معناه: يبطىء غيره أي يثبطه ويحمله على التخلف عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأ مجاهد «ليبطئن» بالتخفيف في الطاء، ومصيبة يعني من قتل واستشهاد، وإنما هي مصيبة بحسب اعتقاد المنافقين ونظرهم الفاسد، أو على أن الموت كله مصيبة كما شاءه الله تعالى، وإنما الشهادة في الحقيقة نعمة لحسن مآلها، وشهيدا معناه مشاهدا فالمعنى: أن المنافق يسره غيبه إذا كانت شدة وذلك يدل على أن تخلفه إنما هو فزع من القتال ونكول عن الجهاد.

وقوله تعالى: ولئن أصابكم فضل من الله الآية، المعنى ولئن ظفرتم وغنمتم وكل ذلك من فضل الله، ندم المنافق إن لم يحضر ويصب الغنيمة، وقال: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما، متمنيا شيئا قد كان عاهد أن يفعله ثم غدر في عهده، لأن المؤمن إنما يتمنى مثل هذا إذا كان المانع له من الحضور عذرا واضحا، وأمرا لا قدرة له معه، فهو يتأسف بعد ذلك على فوات الخير، والمنافق يعاطي المؤمنين المودة، ويعاهد على التزام كلف الإسلام، ثم يتخلف نفاقا وشكا وكفرا بالله ورسوله، ثم يتمنى عند ما يكشف الغيب الظفر للمؤمنين، فعلى هذا يجيء قوله تعالى: كأن لم تكن بينكم وبينه مودة." (١)

"قوم: الكربا: ٢/ ٢٢٩ حريمة: صلبا: ٢/ ١٤٨ وإن: وخابا: ٢/ ٦ غيرته: واصبا: ٣/ ٤٠٠ لا أبتغي: واصبا: ٣/ ٤٠٠ وإن: وخابا: ٣/ ٢٧٧ عرابية: تبابا: ٣/ ٢٠٦ ألان: عذابا: ٣/ ١٠٩ أثعلبة: والخشابا: ٥/ ١٨٠ فلست: يصوب: ١/ ١٠١ ١/ ١١٦ كأنهم: دبيب: ١/ ١٠١ وداع: مجيب: ١/ ٢٥٦ ١/ ٥٥٧ وكنت: ربوب: ١/ ٦٧ أرب: الثعالب: ١/ ٦٧ اللحم: ساكب: ١/ ٣٨٦ يقولون: رقوب: ١/ ٣٨١ بأي: وتحسب: ١/ ٥٥٣ وفي الشرائع: مندوب: ٢/ ٢٠١ ولقد: يغضبوا: ٢/ ١٤٩ ٣/ ٢٠٢ فقلت: لبيب: ٢/ ١٤٥ أفلح: الأريب: ٢/ ٢٧٥ ٢/ ٣٧٦ ٣/ ٦٩ لدن: الثعلب: ٢/ ٣٨٠ إذا: وعذابها: ١/ ٤٢٠ فإن: ذنوب: ١/ ٤٢٨ فلما: واكتئابها: ٢/ ٧٧ فإن: لا يغضب: ٢/ ١٩ خذي: أغضب: ٢/ ٤٩١ وداع: مجيب: ٢/ ٥١٤ ٥/ ٣٥ وممزوجة: يعذب: ٥/ ٢٢٧ غيرته: واصب: ١/ ٤٠٠ تظلمني: غالبه: ٣/ ٥١٦ وقفت: وأخاطبه: ٣/ ٥١٧ وأسقيه: وملاعبه: ٣/ ١٥٧ كنا: الظنابيب: ٣/ ٣٣٤ ٤/ ٢٨١ وداع: مجيب: ٣/ ٣٠٥ خفاهن: مجلب: ٣/ ٣٠٠ أرى: سارب: ٣/ ٣٠٠ وكل: لا يئوب: ٣/ ٢٧٤ تمر: هبوبها: ٣/ ٢٨٥ ٥/ ٤٦

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٧٧

تميم: جوابها: ٣/ ٢٠٢ جريمتنا: صليب: ٣/ ١٦١ فلا: غريب: ٤/ ٢٧٩ ألم: يتذبذب: ٣/ ٦٨ بنو المجد: فأنجبوا: ٣/ ٢٤ وخير: وكثيب: ٣/ ٩ أمشي: وركوب: ٤/ ٢٠٥ أمن: الرطب: ٣/ ٤٨٧ تخاطأه: راسب: ٣/ ٤٥٢ تميم: جوابها: ١/ ٥٥١ فصدقتها: كذابه: ٥/ ٤٢٨ إذا: وعذابها: ٢/ ٤٢٠ وجدتم: مناسبه: ٥/ ١٤٩ وفى: ذنوب: ٤/ ١٨٣ إنا: غريب: ٥/ ١٨٣ له: ذنوب: ٥/ ١٨٣ فإن: القليب: ٥/ ١٨٣ وحاردت: معقب: ٥/ ٢٩٨ ٥/ ٣٥٠ لمياء: شنب: ٥/ ٤٦٩ فإن: طبيب: ٥/ ٣٦٤ كأنه: والعصب: ٥/ ١٠٣ وأسقيه: وملاعبه: ١/ ٥٣٦ عصيت: طلابها: ١/ ٤٩٢ تلك: كالزبيب: ١/ ١٦٣ كانوا: مربوب: ١/ ٦٧ تدعو: الأنابيب: ١/ ٤٩١." (١)

"عسى الكرب الذى أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب «١»

وهذا وصف حاله وهو في الدنيا، لأنه مرصد لجهنم، فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف. فان قلت: علام عطف ويسقى؟ قلت:

على محذوف تقديره: من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد، كأنه أشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت. فإن قلت: ما وجه قوله تعالى من ماء صديد؟ قلت: صديد عطف بيان لماء، قال ويسقى من ماء فأبهمه إبهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود أهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة. يعنى: ولا يقارب أن يسيغه، فكيف تكون الإساغة، كقوله لم يكد يراها أى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه «٢» وأحاطت به من جميع الجهات، تفظيعا لما يصيبه من الآلام. وقيل من كل مكان من جسده حتى من إبهام رجله. وقيل: من أصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ أى في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ. وعن الفضيل: هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد. ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أى استمطروا- والفتح المطر- في سنى القحط التي أرسالات عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا، فذكر سبحانه ذلك، وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر، وهو صديد أهل النار. واستفتحوا- على هذا التفسير-:

---

(١).

يؤرقنى اكتئاب أبى نمير ... فقلبي من كآبته كئيب

فقلت له هداك الله مهلا ... وخير القول ذو اللب المصيب

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

لهدبة بن خشرم العذرى. ويروى: خرشم. وكان مسجونا للقتل. والتأريق: التسهير، والاكتئاب: الانكسار وتغير اللون من الحزن، والكآبة كذلك. وأبو نمير كان صديقا له، فزاره لك السجن وحزن عليه. ومهلا: مصدر بدل من اللفظ بفعله. وخبر القول: جملة اعتراضية في أثناء مقول القول. واللب: العقل. وعسى الكرب: تتمة مقول القول. ويروى: أمسيت، بالضم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٦/ ١٩١

والفتح. وقال الجوهري «وراء» يأتي بمعنى خلف، وقد يأتي بمعنى قدام، فهو من الأضداد اه، لأنه ما وراء الشخص بجرمه عن نفسه أو عن غيره، ومواراته عن نفسه لا يمكن إلا في الخلف، فكثر فيه. أو هو مكان الموارة مطلقا، وهو في الخلف أكثر. واسم «يكون» ضمير الكرب، ووراءه متعلق بمحذوف خبر ليكون، و «فرج» فاعل بالظرف. ويجوز أن «فرج» مبتدأ و «وراءه» متعلق بمحذوف خبر له، والجملة خبر ليكون، ويجب كون المحذوف كونا تاما لا ناقصا، لئلا يحتاج إلى تقدير محذوف أيضا، فيتسلسل التقدير، ولم يجعل «فرج» مرفوع بيكون، لأن خبر أفعال المقاربة لا يرفع الأجنبي عن أسمائها. وجملة «يكون» خبر ليس «وتجريد خبرها من «أن» قليل أى عسى أن يحصل الفرج بعد الكرب.

(٢) . قوله «قد تألبت عليه» أى تجمعت. أفاده الصحاح. (ع)." (١)

"وقال رؤبة:

وحضرت يوم الخميس الأخماس ... وفي الوجوه صفرة وإبلاس (١)

يعني به اكتئابا وكسوفا.

فإن قال قائل: فإن كان إبليس، كما قلت،"إفعيل" من الإبلاس، فهلا صرف وأجري؟ قيل: ترك إجراؤه استثقالا إذ كان اسما لا نظير له من أسماء العرب، فشبهته العرب - إذ كان كذلك - بأسماء العجم التي لا تجرى. وقد قالوا: مررت بإسحاق، فلم يجروه. وهو من"أسحقه الله إسحاقا"، إذ كان وقع مبتدأ اسما لغير العرب، ثم تسمت به العرب فجرى مجراه - وهو من أسماء العجم - في الإعراب فلم يصرف. وكذلك"أيوب"، إنما هو"فيعول" من"آب يؤب".

وتأويل قوله:"أبى"، يعني جل ثناؤه بذلك إبليس، أنه امتنع من السجود لآدم فلم يسجد له."واستكبر"، يعني بذلك أنه تعظم وتكبر عن طاعة الله في السجود لآدم. وهذا، وإن كان من الله جل ثناؤه خبرا عن إبليس، فإنه تقريع لضربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق. وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله، والتذلل لطاعته، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم - اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحبارهم الذين كانوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته عارفين، وبأنه لله رسول عالمين. ثم استكبروا - مع علمهم بذلك - عن الإقرار بنبوته، والإذعان لطاعته، بغيا منهم له وحسدا. فقرعهم الله بخبره عن إبليس

---

(١) ديوانه: ٦٧، واللسان (بلس) ، ورواية ديوانه"وعرفت يوم الخميس". وبين البيتين بيت آخر هو: "وقد نزت بين التراقي الأنفاس"." (٢)

"حدثنا أسباط، عن السدي:"فإذا هم مبلسون"، قال: فإذا هم مهلكون، متغير حالهم.

١٣٢٣٨ - حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا شيخ، عن مجاهد:"فإذا هم مبلسون"، قال: الاكتئاب.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٤٦/٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٥١٠/١

(١)
١٣٢٣٩ - حدثني يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد، في قوله:"فإذا هم مبلسون"، قال:"المبلس" الذي قد نزل به الشر الذي لا يدفعه. والمبلس أشد من المستكين، وقرأ: فما استكانوا لربهم وما يتضرعون، [سورة المؤمنون: ٧٦] . وكان أول مرة فيه معاتبة وبقية. (٢) وقرأ قول الله:" أخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون" ="فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا"، حتى بلغ"وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون"، ثم جاء أمر ليس فيه بقية. (٣) وقرأ:"حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون"، فجاء أمر ليس فيه بقية. وكان الأول، لو أنهم تضرعوا كشف عنهم.

١٣٢٤٠ - حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال، حدثنا بقية بن الوليد، عن أبي شريح ضبارة بن مالك، عن أبي الصلت، عن حرملة أبي عبد الرحمن، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيت الله يعطي عبده في دنياه، إنما هو استدراج. ثم تلا هذه الآية:"فلما نسوا ما ذكروا به" إلى قوله:" والحمد لله رب العالمين". (٤)

١٣٢٤١- وحدثت بهذا الحديث عن محمد بن حرب، عن ابن لهيعة، عن عقبة

---

(١) في المطبوعة: "فإذا هم مبلسون قال: فإذا هم مهلكون"، لا أدري من أين جاء بهذا. والذي في المخطوطة هو ما أثبت، إلا أنه غير منقوط، فرجحت قراءته كما أثبته. وسيأتي أن معنى"الإبلاس"، الحزن والندم.

(٢) في المطبوعة: "معاتبة وتقية"، ولا معنى لذلك هنا، وفي المخطوطة: "ولقية" وصواب قراءتها ما أثبت. و"البقية"، الإبقاء عليهم.

(٣) في المخطوطة والمطبوعة هنا في الموضعين: تقية"، وهو خطأ، انظر التعليق السالف.

(٤) الأثران: ١٣٢٤٠، ١٣٢٤١ -"سعيد بن عمرو السكوني"، مضى برقم: ٥٥٦٣، ٦٥٢١. و"بقية بن الوليد الحمصي"، مضى مرارا، أولها رقم: ١٥٢، وآخرها: ٩٢٢٤. وهو ثقة، ولكنهم نعوا عليه التدليس. و"ضبارة بن مالك" نسب إلى جده هو"ضبارة بن عبد الله بن مالك بن أبي السليك الحضري الألهاني"، "أبو شريح الحمصي"، ويقال أيضا"ضبارة بن أبي السليك"، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: "يعتبر حديثه من رواية الثقات عنه". وذكره ابن عدي في الكامل وساق له ستة أحاديث مناكير. مترجم في التهذيب، والكبير ٣٤٣/٢/٢، وابن أبي حاتم ٤٧١/١/٢. و"أبو الصلت"، مذكور في ترجمة"ضبارة" في التهذيب، وموصوف بأنه"الشامي"، ولم أجد له ذكرا فيما بين يدي من كتب التراجم. وأما "حرملة، أبو عبد الرحمن"، فهذا مشكل، فإن"حرملة بن عمران بن قراد التجيبي المصري"، كنيته"أبو حفص"، لم أجد له كنية غيرها. ولا أستخير أن يكون ذلك خطأ من ناسخ، فأخشى أن تكون"أبو عبد الرحمن"، كنية أخرى له. وهو ثقة، كان من أولى الألباب. مترجم في التهذيب، والكبير ٦٤/١/٢، وابن أبي حاتم ٢٧٣/٢/١.و"عقبة بن مسلم التجيبي المصري"، إمام المسجد العتيق، مصري تابعي ثقة. مترجم في التهذيب. و"عقبة بن عامر الجهني"، قديم الهجرة والسابقة والصحبة. وكان عالما فقهيا فصيح اللسان، شاعرا، كاتبا، وهو أحد من جمع القرآن. وهذا الخبر سيرويه أبو جعفر بعد من طريق ابن لهيعة، عن عقبة بن مسلم، ورواه أحمد في مسنده ٤: ١٤٥، من طريق يحيى بن غيلان، عن رشدين بن سعد، عن حرملة بن عمران، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، بمثله. وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ٢٠، ونسبه لأحمد والطبراني،

ولم يذكر في إسناده شيئا من صحة أو ضعف. وذكره ابن كثير في تفسيره ٣: ٣١١ من رواية أحمد، وأشار إلى طريق ابن جرير، وابن أبي حاتم. وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣: ١٢، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب.." (١)

"فتؤلف بينه، فيجعله ركاما، ثم يبعث الريح الرابعة فتمطر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (فترى الودق) قال: القطر.

وقوله: (فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) يقول: فإذا صرف ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه؛ رأيتهم يستبشرون؛ بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين (٤٩) ﴾

يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده، من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث، من قبل هذا الغيث (لمبلسين) يقول: لمكتئبين حزنين؛ باحتباسه عنهم.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) : أي قانطين.

واختلف أهل العربية في وجه تكرير "من قبله" وقد تقدم قبل ذلك قوله: (من قبل أن ينزل عليهم) فقال بعض نحويي البصرة: رد من قبله على التوكيد، نحو قوله: (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) . وقال غيره: ليس ذلك كذلك؛ لأن مع (من قبل أن ينزل عليهم) حرفا ليس مع الثانية، قال: فكأنه قال: من قبل التنزيل من قبل المطر، فقد اختلفتا، وأما (كلهم أجمعون) وكد بأجمعين؛ لأن كلا يكون اسما ويكون توكيدا، وهو قوله: أجمعون. والقول عندي في قوله: (من قبله) على وجه التوكيد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير (٥٠) ﴾

اختلفت القراء في قوله: (فانظر إلى آثار رحمة الله) فقرأته عامة قراء أهل المدينة." (٢)

"وقال رؤبة:

[البحر الرجز]

وحضرت يوم الخميس الأخماس ... وفي الوجوه صفرة وإبلاس

يعني به اكتئابا وكسوفا. فإن قال لنا قائل: فإن كان إبليس كما قلت إفعيل من الإبلاس، فهلا صرف وأجري؟ قيل: ترك إجراؤه استثقالا إذ كان اسما لا نظير له من أسماء العرب، فشبهته العرب إذ كان كذلك بأسماء العجم التي لا تجرى، وقد

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٣٦١/١١

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ١١٥/٢٠

قالوا: مررت بإسحاق، فلم يجروه، وهو من أسحقه الله إسحاقا، إذ كان وقع مبتدأ اسما لغير العرب ثم تسمت به العرب فجرى مجراه، وهو من أسماء العجم في الإعراب، فلم يصرف. وكذلك أيوب إنما هو فيعول من آب يئوب." (١)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾ [الروم: ٤٩] يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث من قبل هذا الغيث لمبلسين، يقول: لمكتئبين حزنين باحتباسه عنهم، كما:." (٢)

"١٦- ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته.

١٧- فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتحاوران فيه وأنتما سائران مكتئبين.

١٨- فأجاب أحدهما: أفأنت غريب في أورشليم ولم تعلم ما حدث بها في هذه الأيام.

١٩- فقال لهما: وما هو؟ قالا له ما يخص يسوع الناصري الذي كان رجلا نبيا ذا قوة في العمل والقول أمام الله والشعب كله.

٢٠- وكيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه.

٢١- واليوم هو اليوم الثالث لحدوث ذلك.

٢٢- إلا أن نساء منا أدهشننا لأنهن بكرن إلى القبر.

٢٣- فلم يجدن جسده فأتين وقلن: إنهن رأين مظهر ملائكة قالوا إنه حي.

٢٤- فمضى قوم من الذين معنا إلى القبر فوجدوا كما قالت النساء لكنهم لم يروه.

٢٥- فقال لهما: يا قليلي الفهم وبطيئي القلب في الإيمان بكل ما نطقت به الأنبياء.

٢٦- أما كان ينبغي للمسيح أن يتألم هذه الآلام ثم يدخل إلى مجده.

٢٧- ثم أخذ يفسر لهما، من موسى ومن جميع الأنبياء، ما يختص به في الأسفار كلها.

٢٨- فلما اقتربوا من القرية التي كانا يقصدانها تظاهر بأنه منطلق إلى مكان أبعد.

٢٩- فألزماه قائلين: امكث معنا لأن المساء مقبل وقد مال النهار. فدخل ليمكث معهما.

٣٠- ولما اتكأ معهما أخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما.

٣١- فانفتحت أعينهما وعرفاه فغاب عنهما.

٣٢- فقال أحدهما للآخر: أما كانت قلوبنا مضطرمة فينا حين كان يخاطبنا في الطريق ويشرح لنا الكتب.

٣٤- وقاما في تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم فوجدا الأحد عشر والذين معهم مجتمعين.

وهم يقولون: لقد قام يسوع في الحقيقة وتراءى لسمعان.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٤٤/١

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٢١/١٨

٣٥- فأخذا يخبران بما حدث في الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز.

٣٦- وبينما هم يتحدثون بهذه وقف يسوع في وسطهم وقال لهم: السلام لكم. أنا هو لا تخافوا.." (١)

"﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾ قوله تعالى: ﴿يبلس المجرمون﴾ فيه ستة أوجه: أحدها: أنه الفضيحة، قاله مجاهد. الثاني: **الاكتئاب**، قاله ابن أبي نجيح. الثالث: الإياس، قاله ابن عباس.." (٢)

"من آثارها في تخريب بيوت من اصطيدوا بأحابيلها من إخوانهم. ويحكى أن رجلا عاقلا رأى من ولده ميلا إلى المقامرة لمعاشرته بعض أهلها، فلما حانت وفاته وخاف أن يضيع ولده ما يرثه عنه، وعلم أن النهي لا يكون إلا إغراء، قال له: يا بني أوصيك إذا شئت أن تقامر بأن تبحث عن أقدم مقامر في البلد وتلعب معه، فطفق الولد بعده يبحث ويسأل، وكلما دل على واحد علم منه أن هناك من هو أقدم منه حتى انتهى به البحث إلى شيخ رث الثياب، ظاهر **الاكتئاب**، فعلم من حاله ومقاله أن مآل المقامر إلى أسوأ مآب، وأن والده قد اجتهد بنصيحته فأصاب، وأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب، ورجع هو إلى رشده وأناب، فلم يدخل بيت المقامرة من طاق ولا باب.

ويشترك الميسر مع الخمر في أن متعاطيهما قلما يقدر على تركهما والسلامة من بلائهما؛ لأن للخمر تأثيرا في العصب يدعو إلى العود إلى شربها والإكثار منها، فإن ما تحدثه من التنبيه يعقبه خمود وفتور بمقتضى سنة رد الفعل، فيشعر السكران بعد الصحو أنه مضطر إلى معاودة السكر، ليزول عنه ما حل به، فإذا هو عاد قويت الداعية، وأما الميسر فإن صاحبه كلما ربح طمع في الزيادة، وكلما خسر طمع في تعويض الخسارة، ويضعف الإدراك حتى تعز مقاومة هذا الطمع الوهمي، وهذا شر ما في هاتين الجريمتين.

وجملة القول أن الله تعالى قد هدانا لأن نعلم مضرات الخمر والميسر ببحثنا لنكون على بصيرة في تحريمهما علينا، وأننا نرى الأمم التي لا تدين بالإسلام ولم تخاطب من الله تعالى بهذه الهداية قد اهتدت إلى ما لم نهتد إليه من تلك المضار، وأنشأت تؤلف الجمعيات للسعي في إبطال هاتين الجريمتين، ونحن الذين منحنا تلك

الهداية منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف أنشأنا نأخذ عن تلك الأمم ما أنشأت هي تقاومه وتذمه، حتى إن السكر قد غلب في رؤساء دنيانا، والميسر قد انتشر في أمرائنا وكبرائنا، ثم فشا فيمن دونهم تقليدا لهم. نبه الأستاذ الإمام لهذه العبرة وقال: انظروا إلى من أنعم الله عليهم بهذه النعمة كيف صاروا يكفرونها، وكيف حل بهم غضب الله تعالى فسلبوا معظم ما وهبوا، ويخشى أن يمتد ذلك حتى يعز تداركه والعياذ بالله تعالى.

قال تعالى: (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) قال السيوطي في كتاب أسباب النزول: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس أن نفرا من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا:

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٤٠٢/٣

(٢) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٣٠١/٤

إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا في أموالنا فما ننفق منها؟ فأنزل الله (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) وأخرج أيضا عن يحيى أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالا: يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل الله هذه الآية. وليس المعنى." (١)

"٣٧٩٥ – حدثنا هارون بن إسحق الهمداني حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن مسعر عن إسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن يحيى بن طلحة عن أمه سعدى المرية قالت «مر عمر بطلحة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك كئيبا أساءتك إمرة ابن عمك قال لا ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند موته إلا كانت نورا لصحيفته وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت فلم أسأله حتى توفي قال أنا أعلمها هي التي أراد عمه عليها ولو علم أن شيئا أنجى له منها لأمره»

قوله: (ما لك **مكتئبا**) من اكتأب الرجل بهمزة بعد التاء المثناة افتعال من كئب، أي: كئيبا حزينا، وفي كثير من النسخ كئيبا (إمرة) بكسر الهمزة، أي: إمارته، أي: أما رضيت بخلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه (روحا) أي: رحمة ورضوانا، وفي الزوائد اختلف على الشعبي فقيل: عنه هكذا، وقيل: عنه عن أبي طلحة عن أبيه، وقيل: عنه عن يحيى عن أمه وسعدى عن طلحة، وقيل: عنه عن طلحة مرسلا.." (٢)

"صلة، وأما فرعون وقومه فإنهم كانوا يخادعون موسى –عليه السلام– (١) ولا يتضرعون حقيقة، والمراد بالحث المستقبلون، وإن كان اللفظ في الماضين.

﴿فتحنا عليهم﴾ وهذا فتح على سبيل الاستدراج كقوله: ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا﴾ [الأعراف: ٩٥] وإنما لم يفعل ذلك بهم على وجه المكر والعقوبة ليزدادوا إثما (٢)، (المبلس) الحزين، والإبلاس **الاكتئاب** (٣).

﴿دابر القوم﴾ آخرهم، وقيل: أصلهم (٤)، ذكر ﴿دابر القوم﴾ عبارة عن الاستئصال (٥)، وذكر الحمد نصرة المؤمنين بدلالة فحوى الكلام يدلس على أنه جواب الشرط وليس بمبتدأ، والهاء عائدة إلى المأخوذ أو الإحساس وإنما ذكرهم بمثل هذا الاقتضاء للطاعة والعبادة فصرف الآيات عن وجوهها إلى جهات مختلفة وعبارات شتى.

﴿يصدفون﴾ يعرضون (٦).

﴿وما نرسل المرسلين﴾ في الآية دلالة أن الأنبياء أتوا بعد الإعجاز من الآيات هي البشارة والإنذار دون الإتيان بالآيات الملجئة إذ ذاك إهلاك (٧)،

---

(١) (السلام) ليست في "ي".

(٢) (إثما) ليست في الأصل.

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢/٢٦٧

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه السندي، محمد بن عبد الهادي ٢/٤١٩

(٣) قاله مجاهد: أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٤٨) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) في الأصل: (أعلهم).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٥٠) عن ابن زيد، ودابر الشيء آخره، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

فأهلكوا بعذاب حص دابرهم ... فما استطاعوا له صرفا ولا انتصروا

[ديوان أمية (ص٦٣)].

(٦) قاله مجاهد وقتادة رواه عنهما الطبري في تفسيره (٩/ ٢٥٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧٣١١).

(٧) في الأصل و"ب": (هلاك).." [1]

"وأخواته، وأخذ أهل نينوى.

٤٣ - لما عاينوا من البأس (١) ﴿تضرعوا:﴾ أي: الأنبياء عليهم السلام، وهم لم يفعلوا إلا الفزع إلى الخالق جبلة، وأما فرعون وقومه فإنهم كانوا يخادعون موسى عليه السلام ولا يتضرعون حقيقة. والمراد بالحث المستقبلون وإن كان اللفظ في الماضين.

٤٤ - ﴿فتحنا عليهم:﴾ وهذا فتح على سبيل الاستدراج (٢)، كقوله: ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا﴾ [الأعراف:٩٥]. وإنما (٣) يفعل ذلك بهم على وجه المكر والعقوبة ليزدادوا إثما (٤).

و (المبلس) (٥): الحزين، والإبلاس: **الاكتئاب** (٦).

٤٥ - ﴿دابر القوم:﴾ آخرهم (٧)، وقيل (٨): أصلهم.

ذكر دابر القوم عبارة عن (٩) الاستئصال، وذكر الحمد نصرة المؤمنين.

٤٦ - ﴿من إله:﴾ فحوى الكلام يدل على أنه جواب الشرط وليس بمبتدأ (١٠).

والهاء (١١) عائدة إلى المأخوذ أو الإحساس (١٢).

وإنما ذكرهم بمثل هذا لاقتضاء الطاعة (١٣) والعبادة.

﴿نصرف الآيات:﴾ عن وجوهها إلى جهات مختلفة وعبارات شتى (١٤).

﴿يصدفون:﴾ "يعرضون" (١٥).

---

(١) في ع: اليأس، وفي ب: البأساء.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ٧١٣/٢

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٢٥٤ و ٢٥٦، وتفسير القرآن الكريم ٣/ ٢٣١ و ٢٣٣.

(٣) بعدها في ع: لم، وهي مقحمة.

(٤) ساقطة من ع. وينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٣٥.

(٥) في ب: والملبس.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٣٥، وغريب القرآن وتفسيره ١٣٦، وزاد المسير ٣/ ٢٩.

(٧) غريب القرآن وتفسيره ١٣٧، وتفسير غريب القرآن ١٥٤، ومعاني القرآن الكريم ٢/ ٤٢٥.

(٨) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٢٥٧، وتفسير القرآن الكريم ٣/ ٢٣٥، والتفسير الكبير ١٢/ ٢٢٦.

(٩) في ب: على.

(١٠) المصادر التي بين يدي مجمعة على أنه مبتدأ، ينظر: مجمع البيان ٤/ ٥٧، والتفسير الكبير ١٢/ ٢٢٧، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٩٧.

(١١) في قوله: يأتيكم به.

(١٢) في ع: والإحساس، بدل (أو الإحساس). وينظر: تفسير البغوي ٢/ ٩٧، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٩٧، وتفسير القرطبي ٦/ ٤٢٨.

(١٣) في ب: الاقتضاء والطاعة، بدل (لاقتضاء الطاعة).

(١٤) ينظر: زاد المسير ٣/ ٣٠.

(١٥) اللغات في القرآن ٢٤، وغريب القرآن وتفسيره ١٣٧، وتفسير غريب القرآن ١٥٤.." [١]

"فلما ورد على معاوية الكتاب قال إن كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهي أكمل البرية فاستنطقها فإذا هي أحسن الناس كلاما وأكملهم شكلا ودلا فقال يا أعرابي هل لك من سلو عنها بأفضل الرغبة قال نعم إذا فرقت بين رأسي وجسدي ثم أنشأ الأعرابي يقول

لا تجعلني والأمثال تضرب بي ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار

اردد سعاد على حيران مكتئب ... يمسي ويصبح في هم وتذكار

قد شفه قلق ما مثله قلق ... وأسعر القلب منه أي إسعار

والله والله لا أنسى محبتها ... حتى أغيب في رمس وأحجار

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها ... وأصبح القلب عنها غير صبار

قال فغضب معاوية غضبا شديدا ثم قال لها اختاري إن شئت أنا وإن شئت ابن أم الحكم وإن شئت الأعرابي فأنشأت سعاد تقول

هذا وإن أصبح في أطمار ... وكان في نقص من اليسار

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦٠٨/١

أكثر عندي من أبي وجاري ... وصاحب الدرهم والدينار

أخشى إذا غدرت حر النار ...

فقال معاوية خذها لا بارك الله لك فيها

فأنشأ الأعرابي يقول

خلوا عن الطريق للأعرابي ... ألم ترقوا ويحكم لما بي

قال فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم وناقة ووطاء وأمر بها فأدخلت في بعض قصوره حتى انقضت عدتها من ابن أم الحكم ثم أمر بدفعها إلى الأعرابي

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرني." (١)

"الطلب وغلبات الشوق وذلك عند نزول مطر اللطف وماء الرحمة وعن بعض الصالحين قال رأيت سمنون فى الطواف وهو يتمايل فقبصت على يده وقلت له يا شيخ بموقفك بين يديه الا أخبرتني بالأمر الذي أوصلك اليه فلما سمع بذكر الموقف بين يديه سقط مغشيا عليه فلما أفاق انشد

ومكتئب لج السقام بجسمه ... كذا قلبه بين القلوب سقيم

يحق له لومات خوفا ولوعة ... فموقفه يوم الحساب عظيم

ثم قالى يا أخي أخذت نفسى بخصال أحكمتها فاما الخصلة الاولى أمت منى ما كان حيا وهو هوى النفس وأحييت منى ما كان ميتا وهو القلب واما الثانية فانى أحضرت ما كان عنى غائبا وهو حظى من الدار الآخرة وغيبت ما كان حاضرا عندى وهو نصيبي من الدنيا واما الثالثة فانى أبقيت ما كان فانيا عندى وهو التقى وأفنيت ما كان باقيا عندى وهو الهوى واما الرابعة فانى آنست بالأمر الذي منه تستوحشون وفررت من الأمر الذي اليه تسكنون أشار الى الاستئناس بالله وبذكره والى الاستيحاش مما سوى الله وهو المراد بحسن الخاتمة واما التوحش من الله والانس بما سواه فهو المراد بسوء العاقبة نعوذ بالله وربما كان سوء العاقبة بالخروج من الدنيا بغير ايمان وكان فى زمان حاتم الأصم نباش فحضر مجلس حاتم يوما فتاب على يده وأحياه الله بسبب نفس حاتم فقال له حاتم كم نبشت من القبور فقال سبعة آلاف قال فى كم سنة قال فى عشرين سنة فغشى على حاتم فلما أفاق قال قبور المسلمين أم قبور الكافرين قال بل قبور المسلمين فقال كم قبرا وجدت صاحبه على غير القبلة قال وجدت ثلاثمائة قبر صاحبه على القبلة والباقون على غير القبلة فغشى على حاتم وذلك لأن خوف كل أحد بحسب مقامه من المعرفة فاذا عرف المرء أن فى امامه موتا وابتلاء ثم حشرا وامتحانا لا يزال فى ناحية وربما يغلب عليه حاله فيغشى عليه قال بعضهم إذا عرج بروح المؤمن الى السماء قالت الملائكة سبحان الذي نجى هذا العبد من الشيطان يا ويحه كيف نجا ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة فلا بد من الاستقامة فى الله وادامة الذكر والاستعاذة بالله من كل شيطان مضل وفتنة مهلكة إن الذين يلحدون الإلحاد فى الأصل مطلق الميل والانحراف ومنه اللحد لأنه فى جانب القبر ثم خص فى العرف بالانحراف عن الحق الى الباطل اى يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن فيها بأنها

---

(١) ذم الهوى ابن الجوزي ص/٣٤١

كذب او سحر او شعر وبتحريفها يحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم ثم نبه على كيفية الجزاء فقال أفمن آيا كسى كه يلقى في النار على وجهه وهم الكفرة بانواعهم خير أم من يأتي آمنا من النار يوم القيامة وهم المؤمنون على طبقاتهم قابل الإلقاء فى النار بالإتيان آمنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين بالتنصيص على انهم آمنون يوم القيامة من جميع المخاوف فلو قال أم من يدخل الجنة لجاز من طريق الاحتمال أن يبدلهم الله من بعد خوفهم أمنا ولك ان تقول الآية من الاحتباك حذف من الاول مقابل الثاني ومن الثاني مقابل الاول والتقدير أفمن يأتى خائفا ويلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا ويدخل الجنة يعنى ان الثاني خير." (١)

"ما لا يدري أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه واتكل على خالق السماء لأتحفه المولى جل وعز بإدراك ما لا يسعى فيه والظفر بما لو سعى فيه وهو حريص عسى لتعذر عليه وجوده

وأنشدني علي بن محمد البسامي ... ألا رب با غ حاجة لا ينالها ... وآخر قد تقضى له وهو آيس

يحاولها هذا وتقضى لغيره ... وتأتي الذي تقضى له وهو جالس ...

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش ... وكم من أكلة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر

وكم من طالب يسعى لشيء ... وفيه هلاكه لو كان يدري ...

قال أبو حاتم رضي الله عنه الحرص علامة الفقر كما أن البخل جلباب المسكنة والبخل لقاح الحرص كما أن الحمية لقاح الجهل والمنع أخو الحرص كما أن الأنفة توأم السفه وأنشدني عمر بن محمد قال أنشدني الغلابي ... لا تأتين نذالة لمنالة ... فليأتينك رزقك المقدور

واعلم بأنك آخذ كل الذي ... لك في الكتاب محبر مسطور

والله ما زاد امرءا في رزقه ... حرص ولا أزرى به التقصير ...

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي ... وارض من العيش في الدنيا بأيسره ... ولا ترومن ما إن رمته صعبا

إن الغني هو الراضي بعيشته ... لا من يظل على ما فات مكتئبا ...

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن يحي بن حميد الطويل حدثنا أبو عبد الرحمن العتبي حدثني أبي قال اختصمت بنو إسرائيل في القدر خمسمائة عام ثم تحاكموا إلى عالم من علمائهم فقالوا له أخبرنا عن القدر وقصر وبين لتفهمه عنك العوام فقال حرمان عاقل وحظ جاهل

قال أبو حاتم رضي الله عنه لاحظ في الراحة لمن أطاع الحرص إذ الحرص." (٢)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٨/٢٦٨

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/١٣١

"الباب الأول: في أسماء المحبة

لما كان الفهم لهذا المسمى أشد وهو بقلوبهم أعلق كانت أسماؤه لديهم أكثر وهذا عادتهم في كل ما اشتد الفهم له أو كثر خطوره على قلوبهم تعظيما له أو اهتماما به أو محبة له فالأول كالأسد والسيف والثاني كالداهية والثالث كالخمر وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثة في الحب فوضعوا له قريبا من ستين اسما وهي المحبة والعلاقة والهوى والصبوة والصبابة والشغف والمقة والوجد والكلف والتتيم والعشق والجوى والدنف والشجو والشوق والخلابة والبلابل والتباريح والسدم والغمرات والوهل والشجن واللاعج **والاكتئاب** والوصب والحزن والكمد واللذع والحرق والسهد والأرق واللهف والحنين والاستكانة والتبالة واللوعة والفتون والجنون واللمم والخبل والرسيس والداء المخامر والود والخلة والخلم والغرام والهيام والتدليه والوله والتعبد وقد ذكر له أسماء غير هذه وليست من أسمائه وإنما هي من موجباته وأحكامه فتركنا ذكرها." (١)

"إني سأبدي لك فيما أبدي ... لي شجنان شجن بنجد

وشجن لي ببلاد السند ...

والجمع شجون قال والنفس شتى شجونها ويجمع على أشجان قال الشاعر

تحمل أصحابي ولم يجدوا وجدي ... وللناس أشجان ولي شجن وحدي

قد شجنتني الحاجة تشجنني شجنا إذا حبستك ووجه آخر أيضا وهو أن الشجن الحزن والجمع أشجان وقد شجن بالكسر فهو شاجن وأشجنه غيره وشجنه أي أحزنه والحب فيه الأمران هذا وهذا

فصل

وأما اللاعج فهو اسم فاعل من قولهم لعجه الضرب إذا آلمه وأحرق جلده قال الهذلي

ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

ويقال هو لاعج لحرقة الفؤاد من الحب

فصل

وأما **الاكتئاب** فهو افتعال من الكآبة وهي سوء الحال والانكسار من الحزن وقد كئب الرجل يكأب كأبة وكآبة كرأفة ورآفة ونشأة." (٢)

"ونشاءة فهو كئيب وامرأة كئيبة وكأباء أيضا قال الراجز

أو أن ترى كأباء لم تبر نشقي

واكتأب الرجل مثله ورماد **مكتئب** اللون إذا ضرب إلى السواد كما يكون وجه الكئيب والكآبة تتولد من حصول الحب وفوت المحبوب فتحدث بينهما حالة سيئة تسمى الكآبة

فصل

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/١٦

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٦

وأما الوصب فهو ألم الحب ومرضه فإن أصل الوصب المرض وقد وصب الرجل يوصب فهو وصب وأوصبه الله فهو موصب والموصب بالتشديد الكثير الأوجاع وفي الحديث الصحيح لا يصيب المؤمن من هم ولا وصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه ووصب الشيء يصب وصوبا إذا دام تقول وصب الرجل على الأمر إذا داوم عليه قال الله تعالى ﴿ولهم عذاب واصب﴾ قال تعالى ﴿وله الدين واصبا﴾ ي الطاعة دائمة

فصل

وأما الحزن فقد عد من أسماء المحبة والصواب أنه ليس من أسمائها وإنما هو حالة تحدث للمحب وهي ورود المكروه عليه وهو خلاف المسرة ولما كان الحب لا يخلو من ورود مالا يسر على قلب المحب كان الحزن من لوازمه." (١)

"[سورة الأنعام (٦) : آية ٤٤]

فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤)

قوله تعالى: فلما نسوا ما ذكروا به قال ابن عباس: تركوا ما وعظوا به. فتحنا عليهم أبواب كل شيء يريد رخاء الدنيا وسرورها. وقرأ أبو جعفر، وابن عامر: «فتحنا» بالتشديد هنا وفي الأعراف، وفي الأنبياء: «فتحت» ، وفي القمر: «فتحنا» ، والجمهور على تخفيفهن. قال الزجاج:

أبواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير، حتى إذا ظنوا أن ما كان نزل بهم، لم يكن انتقاما، وما فتح عليهم، باستحقاقهم، أخذناهم بغتة، أي: فاجأهم عذابنا.

وقال ابن الانباري: إنما أراد بقوله تعالى: «كل شيء» : التأكيد، كقول القائل: أكلنا عند فلان كل شيء، وكنا عنده في كل سرور، يريد بهذا العموم تكثير ما يصفه والإطناب فيه، كقوله تعالى: وأوتيت من كل شيء «١» . وقال الحسن: من وسع عليه فلم ير أنه لم يمكر به، فلا رأي له ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له، فلا رأي له، ثم قرأ هذه الآية، وقال: مكر بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجاتهم ثم أخذوا.

قوله تعالى: فإذا هم مبلسون في المبلس خمسة اقوال: أحدها: أنه الآيس من رحمة الله عز وجل، رواه الضحاك عن ابن عباس وقال في رواية أخرى: الآيس من كل خير. وقال الفراء:

المبلس: اليائس المنقطع رجاؤه، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته، فلا يكون عنده جواب:

قد أبلس. قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا ... قال نعم! أعرفه! وأبلسا «٢»

أي: لم يحر جوابا. وقيل: المكرس: الذي قد بعرت فيه الإبل، وبولت، فيركب بعضه بعضا.

والثاني: أنه المفتضح. قال مجاهد: الإبلاس: الفضيحة. والثالث: أنه المهلك، قاله السدي. والرابع:

أنه المجهود المكروب الذي قد نزل به من الشر ما لا يستطيعه، قاله ابن زيد. والخامس: أنه الحزين النادم، قاله أبو عبيدة، وأنشد لرؤبة:

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٣٧

وحضرت يوم الخميس الأخماس ... وفي الوجوه صفرة وإبلاس

أي: اكتئاب، وكسوف، وحزن. وقال الزجاج: هو الشديد الحسرة، الحزين، اليائس. وقال في موضع آخر: المبلس: الساكت المتحير.

[سورة الأنعام (٦) : آية ٤٥]

فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (٤٥)

قوله تعالى: فقطع دابر القوم الذين ظلموا قال ابن السائب: دابرهم: الذي يتخلف في آخرهم.

والمعنى: أنهم استؤصلوا. وقال أبو عبيدة: دابرهم: آخرهم الذي يدبرهم: قال ابن قتيبة: هو كما

---

(١) سورة النمل: ٢٣.

(٢) في «اللسان» كرس، تكرس الشيء تكارس أي تراكم وتلازب. وأبلس: سكت غما.." (١)

"ثم يقول: وأيم الله ما تلك الغفلة إلا رحمة من الله لهم ونعمة من الله عليهم. ولولا ذلك لألفي المؤمنون طائشة عقولهم طائرة أفئدتهم منخلقة علوبهم لا ينتفعون مع ذكر الموت بعيش أبدا.

داود بن المحبر عن أبيه قال: مر بنا الربيع بن برة ونحن نسوي نعشا لميت فقال: من هذا الغريب الذي بين أظهركم؟ قلنا ليس بغريب بل هو قريب حبيب. قال: فبكى وقال: من أغرب من الميت بين الأحياء؟ قال: فبكى القوم جميعا.

عن محمد بن سلام قال: سمعت الربيع بن عبد الرحمن يقول: رضيت لنفسك، وأنت الحول القلب، أن تعيش عيش البهائم، نهارك هائم وليلك نائم والأمر أمامك جد.

محمد بن سلام الجمحي قال: كان الربيع بن برة يقول: نصب المتقون الوعيد من الله أمامهم فنظرت إليه قلوبهم بتصديق وتحقيق فهم والله في الدنيا منغصون، ووقفوا ثواب الأعمال الصالحة خلف ذلك فمتى سمت أبصار القلوب إلى ثواب الأعمال تشوقت القلوب وارتاحت إلى حلول ذلك، فهم والله إلى الآخرة متطلعون بين وعيد هائل ووعد حق صادق لا ينفكون من خوف وعيد إلا رجعوا إلى شوق موعود. فهم كذلك وعلى ذلك في الموت جعلت لهم الراحة. ثم بكى.

عاصم الخلقاني قال: قال الربيع بن عبد الرحمن: إن لله عبادا أخمصوا له البطون عن مطاعم الحرام، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام رجاء أن ينير لهم قلوبهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها، فهم في الدنيا مكتئبون وإلى الآخرة متطلعون، نفذت أبصار قلوبهم بالغيب إلى الملكوت فرأت فيه ما رجت من عظيم ثواب الله فازدادوا لله بذلك جدا واجتهادا عند معاينة أبصار قلوبهم ما انطوت عليه آمالهم فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا وهم الذين تقر أعينهم غدا بطلعة ملك الموت عليهم. قال: ثم يبكي حتى يبل لحيته بالدموع.

محمد بن سلام الجمحي قال: سمعت الربيع بن عبد الرحمن يقول في كلامه: قطعتنا غفلة الآمال عن مبادرة الآجال فنحن

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٩/٢

في الدنيا حيارى لا ننتبه من رقدة إلا أعقبتنا في أثرها غفلة، فيا إخوتاه نشدتكم بالله هل تعلمون مؤمنا بالله أغر ولنقمته أقل حذرا من قوم هجمت بهم العبر على مصارع النادمين فطاشت عقولهم وضلت حلومهم مما رأوا العبر." (١)

"لقد رأيتك على حالين فيهما عجب: حالك في قدمتي الأولى وحالك هذه! قالت: لا تعجب فإن الذي رأيت من حالي الأولى أني كنت فيما رأيت من الخير والسعة، وكنت لا أصاب بمصيبة في ولد ولا في خول ولا مال ولا أوجه في تجارة إلا سلمت، ولا يبتاع لي شيء إلا أربح فيه فتخوفت أن لا يكون لي عند الله عز وجل خير، فكنت مكتئبة لذلك، وقلت: لو كان لي عند الله خير ابتلاني. فتوالت علي المصائب في ولدي الذي رأيت، وخولي ومالي، فما بقي لي منه شيء، ورجوت أن يكون الله عز وجل قد أراد بي خيرا فابتلاني، وذكرني ففرحت لذلك وطابت نفسي.

قال: فانصرفت فلقيت عبد الله بن عمر فأخبرته خبرها فقال: أرى والله هذه ما فاتها أيوب النبي صلى الله عليه وسلم إلا بقليل، لكني قد تخرق مطرفي هذا، أو كلمة نحوها، فأمرت به أن يصلح فلم يعمل كما كنت أريد فأحزنني ذلك. انتهى ذكر أهل البحرين.." (٢)

"١٤٢- فصل: معاذ الله إنه ربي

٦٦٢- نازعتني نفسي إلى أمر مكروه في الشرع، وجعلت تنصب لي التأويلات، وندفع الكراهة، وكانت تأويلاتها فاسدة، والحجة ظاهرة على الكراهة.

فلجأت إلى الله تعالى في دفع ذلك عن قلبي، وأقبلت على القراءة١، وكان درسي٢ قد بلغ سورة يوسف، فاتحتها، وذلك الخاطر قد شغل قلبي، حتى لا أدري ما أقرأ. فلما بلغت إلى قوله تعالى: ﴿قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي﴾ [يوسف: ٢٣] ، انتبهت لها، وكأني خوطبت بها، فأفقت من تلك السكرة، فقلت: يا نفس! أفهمت؟ هذا حر بيع ظلما، فراعي حق من أحسن إليه، وسماه مالكا، وإن لم يكن له عليه ملك، فقال: ﴿إنه ربي﴾ ، ثم زاد في بيان موجب كف كفه عما يؤذيه، فقال: ﴿أحسن مثواي﴾ . فكيف بك، وأنت عبد على الحقيقة لمولى ما زال يحسن

= منامه: فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة ٧- والاحتفاظ ببيته وماله، ٨- والرعاية على نفسه وحشمه وعياله؛ فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والرعاية على العيال والحشم جميل حسن التدبير، ٩- ولا تفشي له سرا، ١٠- ولا تعصي له أمرا. فإنك إن أنت أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

ثم اتقي مع ذلك الفرح أمامه إن كان ترحا، والاكتئاب عنده إن كان فرحا، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له موافقة يكن لك أطول ما يكون موافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت. والله يخير لك.

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٢/٢٠٩

(٢) صفة الصفوة ابن الجوزي ٢/٢٨٣

١ قراءة القرآن.

٢ ورده ووظيفته.." (١)

"الله تعالى فإنه المميت فالمعنى ياناصر أمت العدو وفي شرح السنة يامنصور أمت فالمخاطب كل واحد من المقاتلين ذكره القارىء

قال المنذري وأخرجه النسائي

[٢٠٩٧] (عن المهلب بن أبي صفرة) بضم المهملة وسكون الفاء (إن بيتم) بصيغة المجهول أي إن بيتكم العدو أي قصدوكم بالقتل ليلا واختلطتم معه

قال بن الأثير تبييت العدو هو أن يقصد في الليل من غير أن يعلم فيؤخذ بغتة وهو البيات انتهى (حم لا ينصرون) قال الخطابي معناه الخبر ولو كان بمعنى الدعاء لكان مجزوما أي لا ينصروا وإنما هو إخبار كأنه قال والله إنهم لا ينصرون

وقد روى عن بن عباس أنه قال حم اسم من أسماء الله فكأنه حلف بالله أنهم لا ينصرون

وقال في النهاية معناه اللهم لا ينصرون ويريد به الخير لا الدعاء

وقيل إن السور التي أولها حم سور لها شأن فنبه أن ذكرها لشرف منزلتها مما يستظهر بها على استنزال النصر من الله

وقوله لا ينصرون كلام كأنه حين قال قولوا حم قيل ماذا يكون إذا قلناها فقال لا ينصرون

كذا في مرقاة الصعود

قال المنذري وأخرجه الترمذي والنسائي وذكر الترمذي أنه روي عن المهلب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا

٦

([٢٠٩٨] باب ما يقول الرجل إذا سافر)

(اللهم أنت الصاحب في السفر) أي الحافظ والمعين (والخليفة في الأهل) الخليفة من يقوم مقام أحد في إصلاح أمره (من وعثاء السفر) بفتح الواو وسكون العين المهملة أي مشقته وشدته (وكآبة) هي تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن يقال كئب كآبة **واكتئاب** فهو كئيب **ومكتئب** كذا في النهاية (المنقلب) مصدر ميمي." (٢)

"خير من رحمة انتهى وقرأ الجمهور ملكوت بفتح اللام وقرأ أبو السماك بسكونها وروي عبد بن حميد والطبري عن عكرمة قال ملكوت السماوات والأرض ملك السماوات والأرض وهي بالنبطية ملكوثا أي بسكون اللام والمثلثة وزيادة ألف وعلى هذا فيحتمل أن تكون الكلمة معربة والأولى ما تقدم وأنها مشتقة من ملك كما ورد مثله في رهبوت وجبروت قوله وإن تعدل تقسط لا يقبل منها في ذلك اليوم وقع هذا في رواية أبي ذر وحده وقد حكاه الطبري واستنكره وفسر أبو

---

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٢١٥

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ١٨٥/٧

عبيدة العدل بالتوبة قال لأن التوبة إنما تنفع في حال الحياة والمشهور ما روى معمر عن قتادة في قوله تعالى وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أي لو جاءت بملء الأرض ذهبا لم يقبل فجعله من العدل بمعنى المثل وهو ظاهر أخرجه عبد الرزاق وغيره قوله أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين يعني هل تشتمل إلا على ذكر أو أنثى فلم تحرمون بعضا وتحلون بعضا كذا وقع لأبي ذر هنا ولغيره في أوائل التفاسير وهو أصوب وهو إردافه على تفاسير بن عباس فقد وصله بن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن بن عباس مثله ووقع عند كثير من الرواة فلم تحرموا ولم تحللوا بغير نون فيهما وحذف النون بغير ناصب ولا جازم لغة وقال الفراء قوله قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين يقول أجاءكم التحريم فيما حرمتم من السائبة والبحيرة والوصيلة والحام من قبل الذكرين أم من الأنثيين فإن قالوا من قبل الذكر لزم تحريم كل ذكر أو من قبل الأنثى فكذلك وإن قالوا من قبل ما اشتمل عليه الرحم لزم تحريم الجميع لأن الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى وقد تقدم في أخبار الجاهلية قول بن عباس إن سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ الثلاثين ومائة من سورة الأنعام يعني الآيات المذكورة قوله مسفوحا مهراقا وقع هذا للكشميهني وهو تفسير أبي عبيدة في قوله تعالى أو دما مسفوحا أي مهراقا مصبوبا ومنه قولهم سفح الدمع أي سال قوله صدف أعرض قال أبو عبيدة في قوله تعالى ثم هم يصدفون أي يعرضون يقال صدف عني بوجهه أي أعرض وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله يصدفون أي يعرضون عنها قوله أبلسوا أويسوا كذا للكشميهني ولغيره أيسوا بغير واو قال أبو عبيدة في قوله تعالى فإذا هم مبلسون المبلس الحزين النادم قال رؤبة بن العجاج وفي الوجوه صفرة وإبلاس أي **اكتئاب** وحزن وقال الفراء قوله فإذا هم مبلسون المبلس البائس المنقطع رجاؤه وكذلك يقال للذي يسكت عند انقطاع حجته فلا يجيب قد أبلس قال العجاج يا صاح هل تعرف رسما دارسا قال نعم أعرفه وأبلسا وتفسير المبلس بالحزين وبالبائس متقارب قوله أبسلوا أسلموا قال أبو عبيدة في قوله تعالى أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا أي أسلموا وقوله في الآية الأخرى أن تبسل نفس أي ترتهن وتسلم قال عوف بن الأحوص وإبسالي بني بغير جرم وروى معمر عن قتادة في قوله أن تبسل نفس قال تحبس قال قتادة وقال الحسن أي تسلم أي إلى الهلاك أخرجه عبد الرزاق وقد تقدم لهذه الكلمة تفسير آخر والمعنى متقارب قوله استهوته أضلته هو تفسير قتادة أخرجه عبد الرزاق وقال أبو عبيدة في قوله تعالى كالذي استهوته الشياطين هو الذي تشبه له الشياطين فيتبعها حتى يهوي في الأرض فيضل قوله تمترون تشكون قال أبو عبيدة في قوله تعالى ثم أنتم تمترون أي تشكون وكذا أخرجه الطبري من طريق أسباط." (١)

"وما صقر حجاج بن يوسف ممسكا ... بأسرع مني لمح (١) عين بحاجب

* العرب تقول في جمع «الثبة»: ثبين، وثبات، فيجعلون تعريب التاء (٢) خفضا في النصب، وبعض العرب ينصبها في النصب، فيقول: رأيت ثباتا كثيرا.

قال أبو الجراح [العقيلي] (٣) في كلامه: «ما من قوم إلا سمعنا لغاتهم»، فنصب التاء، ثم رجع فخفضها، وقال: أنشدونا (٤) بيتا:

فلما جلاها بالإيام تحيزت ... ثباتا (٥) عليها ذلها **واكتئابها** (٦)

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٨/٢٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن سورة المائدة

* أهل الحجاز يقولون: قد حللت من الإحرام، [فأنا] أحل، والرجل حلال، وكذلك سعد بن بكر يقولون كقولهم.

وأهل الحجاز وسعد بن بكر يقولون: قد حرم الرجل، وهو حرام، وهم قوم

---

(١) في النسخة: «لمح».

(٢) في النسخة: «الناء».

(٣) في النسخة: «العكليص».

(٤) في النسخة: «انشدونا».

(٥) في النسخة: «ثبابا».

(٦) في حاشية النسخة تفسيرا للإيام: «الدخان».." (١)

"وأنشدني بعضهم:

خليلي هل باك به الشيب إن بكى ... وقد كان يشكي بالغراء مليم

وأنشدني آخر:

مكتئب (١) اللون مريح ممطور

* العرب تقول: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾، بفتح السين في جميع اللغات؛ إلا بني كنانة؛ فإنهم يقولون: ﴿سيناء﴾، فيكسرون السين.

* ﴿هيهات﴾ بنصب التاء ﴿هيهات﴾ لأهل الحجاز، وتميم وأسد يخلطون، فيقولون: أيهات، وهيهات، إلا أنهم يخفضون التاء فيهما، يقولون: ﴿هيهات هيهات﴾، وأيهات وأيهات، وبعض تميم يقول: أيهاتا، ومن العرب من يقول: أيهات، نصب بلا نون، ومن العرب من إذا جعلها في موضع اسم قال: لم أره مذ أيهات من النهار، منون، وأيهات، بغير تنوين، ومن العرب من يقول: أيهان الحياة وأيهان، يجعل مكان التاء نونا، كأنها نون الاثنين.

وقال الشاعر:

ومن دوني الأعيان والقنع كله ... وكتمان أيها ما أشت وأبعدا

وحكي عن الكسائي، أنه قال: أجيز «هيهات»، بالتنوين، وأجيز: «هيهات (٢)».

---

(١) كتاب فيه لغات القرآن الفراء، يحيى بن زياد ص/٦٠

(١) في النسخة: «مكتئب».

(٢) أصاب التاء قطع في طرف الورقة.." (١)

"القتر، وأهل الحجاز: القطر.

أنشدني أبو الجراح:

إن شئت أن تدهن أو تبدا

فولهن قترك الأشدا

القتر: الجانب.

* العرب تقول: ﴿سلقوكم﴾، و «صلقوكم»، لغتان، بالسين والصاد.

* وقد قرأت القراء: ﴿وخاتم النبيين﴾، و ﴿خاتم﴾، على غير اللغة، «الخاتم» كالمصدر، و «الخاتم» الفاعل الذي يختم النبيين، فمن قال للرجل: الخاتم؛ قال للأنثى: الخاتمة، وثنى وجمع، ومن قال: خاتم، ففتح؛ قال للأنثى: خاتم، ولم يثن ولم يجمع، إلا إن يشأ ذلك، فأما كلام العرب فهذا.

* والعرب تقول لجمع «الثبة»: ثبين، وثبات، فيجعلون تعريب التاء خفضا في النصب، وبعض العرب ينصبها في النصب، فيقول: رأيت ثباتا كثيرا، وقال أبو الجراح في كلامه: «ما من قوم إلا وقد سمعنا لغاتهم»، فنصب التاء، ثم رجع فخفضها، قال: أنشدنا بعضهم:

فلما جلاها بالإيام تحيزت (١) ... ثباتا عليها ذلها واكتئابها

---

(١) في النسخة: «تحيرت».." (٢)

لم يضره شيء (والخليفة في الأهل) ، الخليفة من ينوب عن المستخلف، فيما يستخلفه فيه يعني الذي يقوم مقام أحد في إصلاح أمره، والمعنى أنت الذي أرجوه وأعتمد عليه في غيبتي عن أهلي، أن يلم شعثهم ويثقف أودهم ويداوي سقمهم ويحفظ عليهم دينهم وأمانتهم، (اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر) ، بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة وبالمد، أي شدته ومشقته وتعبه وأصله من الوعث وهو الرمل والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق ويقال رمل أوعث ورملة وعثاء أي لما يشتد فيه السير للينه ثم قيل للشدة والمشقة وعثاء على التمثيل. وقال التوربشتي: وعثاء السفر مشقته أخذ من الوعث وهو مكان السهل الكثير الدهس الذي يتعب الماشي فيه ويشق عليه (وكآبة المنظر) ، قال الجزري: المنظر هو ما ينظر إليه من أهله وماله وحاله، والكآبة بفتح الكاف وبالمد وهي تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن يقال كئب كآبة واكتئب فهو مكتئب وكئيب - انتهى. وقال الشوكاني: الكآبة بالمد التغير والانكسار من مشقة السفر وما يحصل

---

(١) كتاب فيه لغات القرآن الفراء، يحيى بن زياد ص/١٠٢

(٢) كتاب فيه لغات القرآن الفراء، يحيى بن زياد ص/١١٨

على المسافر من الاهتمام بأموره – انتهى. والمنظر بفتح الظاء المعجمة مصدر ميمي أي من تغير الوجه بنحو مرض والنفس بالانكسار مما يعرض لها فيما يحبه مما يورث الهم والحزن وقيل: المراد منه الاستعاذة من كل منظر يعقب الكآبة عند النظر إليه (سوء المنقلب) بفتح اللام مصدر ميمي أي سوء الرجوع (في المال والأهل) أي من سوء الانقلاب إلى أهله وماله وذلك بأن يرجع منقوصا مهموما بما يسوءه وقيل أي من أن يعود إلى وطنه فيرى في أهله وماله ما يسوءه مثل أن يصيب ماله آفة أو يجد أهله مرضى أو فقد بعضهم، وقيل أي من أن يطمع ظالم أو فاجر في المال والأهل (وإذا رجع) ، أي النبي – صلى الله عليه وسلم – من سفره إلى أهله (قالهن) ، أي الكلمات أو الجمل المذكورة وهي اللهم إنا نسألك (وزاد فيهن) ، أي في جملتهن بأن قال بعدهن (آئبون) ، بهمزة ممدودة بعدها همزة مكسورة اسم فاعل من آب يئوب إذا رجع، ومن تكلم به بالياء بعد الهمزة الممدودة فقد أخطأ كذا قيل: أي نحن راجعون من السفر بالسلامة إلى الوطن (تائبون) أي من المعصية إلى الطاعة (عابدون لربنا حامدون) ، قال الطيبي: لربنا يجوز أن يتعلق بقوله عابدون لأن عمل اسم الفاعل ضعيف فيقوى به أو بحامدون ليفيد التخصيص، أي نحمد ربنا لا نحمد غيره وهذا أولى لأنه كالخاتمة للدعاء – انتهى. وفي الحديث استحباب هذا الذكر عند ابتداء الأسفار كلها، وقد جاءت فيه أذكار كثيرة (رواه مسلم) في المناسك، وأخرجه أيضا أحمد (ج٢: ص١٤٥، ١٥١) والترمذي في الدعوات، وأبو داود في الجهاد، والنسائي، والدارمي، والبغوي في شرح السنة (ج٥: ص١٤٠) ، وفي رواية أحمد (ج٢: ص١٤٥) ، والدارمي، والترمذي بعد قوله ((في الأهل)) ((اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا)) ، وكان يقول إذا رجع إلى أهله، ((آئبون إن شاء الله تائبون عابدون لربنا حامدون)) . وفي رواية أبي داود نحوه بزيادة ونقصان يسير وفي آخره، ((وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – وجيوشه إذا علوا الثنايا كبروا وإذا هبطوا سبحوا فوضعت الصلاة على ذلك)) .." (١)

"قالوا يرى عجب فيه فقلت لهم ... بالنصر بعد اياس تبصروا عجبا
في منقضى السبعة الأيام منه أتى ... ما يأت في مقتضاه السبعة الشهبا
وأعتمت فيه عواء النجوم على ... عواء ذئب من الكفار قد حربا
والشعريان فكل منهما شعرت ... بأن للحق فيهم سيف من غلبا
وصح عن قمر الأفلاك أنهم ... ما فيهم غير مقهور وقد نشبا
غطاؤهم رد في وجهي عطاردهم ... إلى الذي منهم ما شاء قد سلبا
وقد بدت زهرة الإسلام زاهرة ... قد أظلمت فوقهم من دونها سحبا
وأجملت حمرة المريخ حكمهم ... ففسرت بدم فيهم لمن خضبا
ولم يك المشترى تقضي سعادته ... إلا إلى المشتري نفسا بما طلبا
وقبل منقلب الأبراج ذو قدر ... فعاد منه مبان النفع منقلبا
كم حامل ثائر في الثور أو حمل ... أجاز فيهم على جوزائهم حربا

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ١٦٩/٨

ولم يدر فلك إلا لذي ملك ... يدير جيشا عليهم عسكرا نجبا

حتى غدا ثغر دمياط وقد حكموا ... أن لا يرى باسما مستجمعا شنبا

يفتر عن صبح إيمان به جذلا ... وكان في ليل كفر بات مكتئبا

ومد كفاله التوحيد فانقبضت ... رجل من الشرك في تأخيره هربا

وتلك حرب صليب عودها فقضت ... أن لا يعود صليب بعد منتصبا

وأطلق القول بالتأذين إذ خرست ... له نواقيس جرجيس فما احتسبا

ومما اتفق عليه المنجمون أن الإنسان إذا أراد أن يستجيب الله دعاءه جعل الرأس في وسط المساء مع المشتري أو شطر منه مقبل والقمر متصلا به أو منصرفا عنه متصل بصاحب الطالع أو صاحب الطالع متصل بالمشتري ناظر إلى الرأس نظرة مودة فهنالك لا يشكون أن الإجابة حاصلة قالوا وكانت ملوك اليونان يلزمون ذلك فيحمدون عقباه والعاقل إذا تأمل هذا الهذيان لم يحتج في علمه ببطلانه ومحاله إلى فكر ونظر فان رب السموات والأرض سبحانه لا يتأثر بحركات النجوم بل يتقدس ويتعالى عن ذلك فيا للعقول التي أضحكت عليها العقلاء من المؤمنين والكفار ما هذه الاتصالات حتى تكون على وجوب إجابة الله من أقوى الدلالات ومما عليه المنجمون متفقون أو كالمتفقين أن الخبر إذا ورد في وقت أو بادنا منه ١ الوجوه والقمر وعطارد في بروج ثوابت والقمر منصرف عن السعود فالخبر ليس بباطل والباطل مثل هذا فانه يلزمهم." (١)

"حيث تستنزل المواهب من بر ... رحيم ومنعم وهاب

بين شعث غبر أفاضوا عشاء ... قد أفاضوا دموعهم بانسكاب

فلكم نلت جمع شمل بجمع ... بجدا محسب بغير حساب

وبرمي الجمار وفيت نذرا ... بانقضاء الأتفاث والآراب

ثم وافيت فاستلمت وجددت ... متابا للغافر التواب

ورقيت الصفا فأحرزت سعيا ... صالحا إذ سعيت سعي مثاب

ثم ودعت وانصرفت ترجي ... عودة في تأسف واكتئاب

يا رعى الله عهد وصل تقضى ... بالغزال الربيب بين الروابي

إذ مصيفي على العذيب ونجعي ... بين ياج إلى صفاء السباب

وسقى ليلة على عذب السقيا ... سقينا بها كئوس عذاب

إذ تنص الركاب يجرين شوقا ... يتخللن بين بيض القباب

ثم زاحمن في المضيق إلى أن ... بعد لأي أجزن نجد الحقاب

يا ليالي منى لعمري لفيكن ... منال المنى ونيل المتاب

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم ١٤٢/٢

ولأنتن غرة لليالي ... في وجوه الأيام كالأذهاب

تتقضى بالذكر والشكر لله ... وجمع الأصحاب والأحباب

هل إلى عودة سبيل لنلقى ... ملطفات العتاب بالأعتاب

طال عهدي بها فهل لي إليها ... من معاد يطفي حريق التهاب

ظلت تشتاقها وأنت نزوح ... شوق صب إلى الأحبة صاب

شمت برقا يمانيا من شام ... من تهام على نوى واغتراب

بت تستنشق الجنوب وقد هبت ... بليل بليلة الأثواب

كيف جانبتها وأنت محب ... هل محب رأيته ذا اجتناب

فاحمد الله إذ بطيبة طابت ... أنت ثاو فكنت طاب ابن طاب

بين قبر ومنبر أنت منها ... غاديا رائحا بلا إغباب

في رياض من جنة الخلد تمشي ... في ممر من رسمها وذهاب

جار خير الأنام والمصطفى الهادي ... إلى الله الكريم والنصاب." (١)

"لا تطأ أرضه بنعل وطأها ... بجفون العيون والأهداب

انتشق تربه وقبله واخضع ... وتوسد شريف تلك القباب

وتضرع والصق به القلب كيما ... ينثني عن ولوعه ذا انقلاب

لا تضمخ منك الترائب طيبا ... بل تضمخ بطيب ذاك التراب

وتشفع به إلى الله تسلم ... من عذاب خزي وخزي عذاب

عذ به في النجاة فهو معاذ ... وتوسل ولذ بذاك الجناب

وتأدب فلا يكن منك إخلال ... وزم الخلال بالآداب

إن حبي له لزام ولما ... يزل الحب لازم الأحباب

واشتياقي إليه شوق معنى ... مفرط في صبابة واكتئاب

رب أنعم عيني برؤياه لا عن ... جنب منه بل بغير اجتناب

واشف بالقرب منه غلة شوقي ... فلبعدي عنه لقد جل ما بي

يا شفيع العصاة كن لي إلى الله ... شفيعا من الأليم العذاب

فبحسبي بأن تكون شفيعي ... عند رب العباد يوم الحساب

جئت أشكو بثي لعلك تشكي ... لمرزا في دينه ومصاب

قد توالت إلى الخطايا خطاه ... وأقل الأعباء من كل عاب

---

(١) ملء العيبة ابن رشيد السبتي ص/١٩٥

مسرفا في ارتكابها ومصرا ... والجا في الذنوب من كل باب

فأعنه بعطفه لتقوي منه ... عزما على التقى باحتساب

عله أن ينيب منها إلى الله ... بصدق مستعصما بمتاب

وحنان برأفة منك تهديه ... وتنجيه من شديد العقاب

أرتجي وصلة لديك وما لي ... سبب موصل من الأسباب

غير حبي له وأرجو بحبي ... ولآل النبي والأصحاب

فاسأل الله لي صلاح فسادي ... وادع لي بالهدى دعاء مجاب

صلوات الإله تترى عليه ... باقيات على مدى الأحقاب

وعلى آله الذي تزكوا ... ليس فيهم لعائب من معاب

حبهم مذهبي بغير غلو ... وإليهم إما دعيت انتدابي." (١)

"٩٦٩ - " باب الشفاء في ثلاث "

١١١٧ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

" الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنهى أمتي عن الكي " رفع الحديث.

الداء خلق الدواء تنبيها لنا وإرشادا وترغيبا في التداوي، وقد أمرنا - صلى الله عليه وسلم - بذلك صراحة في قوله - صلى الله عليه وسلم -: " يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء ". واستعمال الأدوية لا ينافي التوكل إذا اعتقد أنها تنفع بإذن الله وتقديره، وأنها لا تؤثر إلا بإرادته عز وجل، وفي هذه الأحاديث إثبات للطب والعلاج، وأن التداوي مباح غير مكروه كما ذهب إليه بعض الناس كما قاله الخطابي، ولو كان مكروها لما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتداوي في قوله - صلى الله عليه وسلم -: " تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء .. فإن هذا الحديث لا يدل على جواز التداوي فقط، بل يدل على استحبابه أيضا، لأن أقل مقتضيات الأمر الاستحباب، والله أعلم. ثالثا: أن في هذا الحديث وأمثاله تقوية لنفس المرض، ومساعدة له على مكافحة المرض، وتشجيعا له على مقاومة الداء، لأنه متى استشعرت نفسه أن لدائه دواء تعلق قلبه بالرجاء، وتفتحت له أبواب الأمل، وزال عنه اليأس **والاكتئاب** وهذه المشاعر في حد ذاتها كفيلة له بالشفاء بإذن الله لأن نفسية الإنسان متى قويت تغلبت على المرض وقهرته ومتى ضعفت تغلب عليها. الحديث: أخرجه النسائي وابن ماجة. والمطابقة: في كون الترجمة من لفظ الحديث.

٩٦٩ - " باب الشفاء في ثلاث "

---

(١) ملء العيبة ابن رشيد السبتي ص/١٩٩

١١١٧ - معنى الحديث: قال الحافظ: أورد البخاري هذا الحديث موقوفا، وآخره يشعر بأنه مرفوع، لقوله: " وأنهى أمتي عن الكي " وقد صرح." (١)

"الفصل الخامس والعشرون: احذر الغفلة

قال الله عز وجل: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾ .

فإن اختلف المفسرون في المراد بمقام ربه على قولين:

أحدهما: إنه قيام العبد بين يدي ربه يوم الجزاء.

والثاني: إنه قيام الله تعالى عباده فأحصى ما اكتسب، والمراد بالهوى ههنا، ما يهوى العبد من المحارم، فيذكر مقامه للحسنات، واعلم: أن من تفكر عند إقدامه على الخطيئة في نظر الحق إليه رده فكره خجلا مما هم به، فالناس في ذلك على مراتب فمنهم من يتفكر عند جولان الهم بالذنب فيستحي من مساكنة ذلك الخاطر، وهذا مقام أهل الصفا، ومنهم من قويت أسباب غفلته فهو ساكن ذلك الهم إلا أنه لا يعزم عليه، ومنهم من يزعم لقوة غفلته، فهو يستسقي إقدامه فيما عزم عليه، ومنهم من زاد على ذلك بمقارنته المحظور ومداناته، ثم تدركه اليقظة، وإنما يكون هذا على مقدار تكاثف الغفلة وقلتها، فيفكر عند خاطره في عظمته من قد علم، وعند يقظه في جلال من قد سمع، وعند فعله في عزة من قد رأى، وهذا الفكر إنما نبت عن إصرار راسخ من الإيمان في القلب راعاه الحق إليه حذار علته ومعاملة صادقه في الخلوة، إلا أن الغفلة عن التذكرة والسعي على جادة الهوى غشى على القلب، وران عليه فإذا هم بخطيئة أو قاربها اقتلب مراعاة الحق إليه، خذ مراعاته بحق الحق قبل ذلك كما قال الله عز وجل: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ ، وقال: ﴿وكان أبوهما صالحا﴾ ، وكما جاء في الحديث: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» .

فما ينفر طائر قلبه من وسخ العزم على الذنب ثم عام في بحر الحياة خجلا مما هم به يخرج نقيا بعد الوسخ طاهرا بعد النجس، لأن الأصل محفوظ بالصدق ومرهون بالإيمان، ولولا لطف الحق لكشف حجب الغفلة لبراقع الذنب، غير أنه أراه برهان الهدى فرجع، وأقام له هاتف التقوى فخشع، والقلوب تحن إلى ما اعتادت وألفت، وتنازع إلى ما مرنت عليه وعرفت.

أما سمعت قول عمر بن أبي:

بينما نحن في ولادك فالقاع ... سراعا والعيش يهوي هويا

خطرت خطرة على القلب من ... ذكراك وهنا فما أطقت مضيا

قلت للشوق إذا دعاني ... لبيك وللحاديين ردوا المطيا

أثارهم بعدهم وما صنعوا ... تخبرنا أتنا لهم تبع

يا واقفا بالديار مكتئبا ... يندب قوما من ملكهم نزعوا

ادخل إلى الدار فهي خالية ... من سادة في التراب قد وضعوا

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري حمزة محمد قاسم ٢١٣/٥

إذا تأملتهم كأنهم ما ... نظروا نظرة ولا سمعوا

ولا جرى بينهم مذاكرة ... ولا لنصر سعوا ولا نفعوا

كانوا كركب خطور رحالهم ... فما استراحوا حتى لها رجعوا

تم كتاب الياقوتة على التمام والكمال، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.." (١)

"(﴿مسفوحا﴾: مهراقا) ثبت هذا في رواية الكشميهني، وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا﴾ [الأنعام: ١٤٥] وفسره بقوله: «مهراقا»؛ أي: مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال، وهو تفسير أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿أو دما مسفوحا﴾ قال: مهراقا مصبوبا، ومنه قولهم: سفح الدمع؛ أي: سال. وقال العوفي: عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا: ﴿أو دما مسفوحا﴾ يعني: مهراقا.

(﴿صدف﴾: أعرض) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها﴾ [الأنعام: ١٥٧] الآية وفسر: ﴿صدف﴾ بقوله: «أعرض»، وعن ابن عباس

[ج ١٩ ص ٤١٠]

رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة: ﴿وصدف عنها﴾ أعرض عنها؛ أي: عن آيات الله. وقال السدي: أي: صدف عن اتباع آيات الله؛ أي: صرف الناس وصدهم عن ذلك. وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ثم هم يصدفون﴾ [الأنعام: ٤٦] أي: يعرضون، يقال: صدف عني بوجهه؛ أي: أعرض، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله: ﴿يصدفون﴾ أي: يعرضون عنها.

(أبلسوا: أويسوا) كذا في رواية الكشميهني على البناء للمفعول، وفي رواية غيره: (٢)بفتح الهمزة وكسر الياء بغير واو على البناء للمعلوم، وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿فإذا هم مبلسون﴾ [الأنعام: ٤٥] وفسر: أبلسوا بقوله: «أويسوا»، وأشار بتفسيره إلى أن معنى قوله: ﴿مبلسون﴾ من ذلك، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿فإذا هم مبلسون﴾ المبلس: الحزين النادم. قال رؤبة بن العجاج: وفي الوجوه صفرة وإبلاس؛ أي: **اكتئاب** وحزن. وقال الفراء: المبلس: البائس [١] المنقطع رجاؤه، ولذلك يقال للذي انقطعت حجته فلا يجيب قد أبلس، قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسما دارسا ... قال نعم أعرفه وأبلسا

وتفسير: المبلس بالحزين وبالبائس متقارب.." (٣)

"يضرب على يديه في شيء، لأن الرب كان بعونه معه، وكل شيء كان يفعله ينجحه الرب.

فلما كان بعد هذه الأمور، أذنب صاحب شراب ملك مصر والخباز - وفي نسخة موضع الخباز: ورئيس الطباخين - بين يدي سيدهما ملك مصر، فغضب فرعون على خادميه: على رئيس أصحاب الشراب ورئيس الخبازين - وفي نسخة:

---

(١) مواعظ ابن الجوزي - الياقوتة ابن الجوزي ص/١١٧

(٢) أيسو

(٣) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٥٩٦١

الطباخين – فأمر بحبسهما في سجن صاحب الشرط في الحبس الذي كان فيه يوسف، فسلط صاحب السجن يوسف عليهما فخدمهما، فلبثا في السجن أياما، فرأيا رؤيا جميعا، كل واحد منهما رئيا بكل في ليلة واحدة، وكل واحد منهما أحب تعبير حلمه،: الساقي وخباز – وفي نسخة: وطباخ – ملك مصر، فدخل عليهما يوسف بالغداة، فرآهما عابسين مكتئبين فسألهما وقال: ما بالكما يومكما هذا عابسي مكتئبين؟ فقالا له: إنا رأينا رؤيا وليس لها معبر، فقال لهما يوسف: إن علم التعبير عند الله، قصا علي.

فقص رئيس أصحاب الشراب على يوسف وقال له: إني رأيت في الرؤيا كأن حبلة بين يدي، في الحبلة ثلاثة قضبان، فبينا هي." (١)

"قوله ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم﴾ [الإسراء: ٥٦] وما يأتي إن شاء الله تعالى في المرسلات من قوله: ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات: ٣٦] علمت سر وجوب النصب هنا لأنه لو رفع لكان المعنى أن موتهم ينبغي إن قضي عليهم أو لم يقض وذلك محال.

ولما كانت الشدائد في الدنيا تنفرج وإن طال أمدها قال: ﴿ولا يخفف عنهم﴾ وأعرق في النفي بقوله: ﴿من عذابها﴾ أي جهنم. ولما كان ربما توهم متوهم أن هذا العذاب خاص بالذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم من الكفار قال: ﴿كذلك﴾ أي مثل هذا الجزاء العظيم ﴿نجزي﴾ أي بما لنا من العظمة – على قراءة الجماعة بالنون ﴿كل كفور *﴾ أي به صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء عليهم السلام وإن لم نره لأن ثبوت المعجزة يستوي فيها المسع والبصر، وبنى أبو عمرو الفعل للمفعول إشارة إلى سهولته وتيسره ورفع ﴿كل﴾ .

ولما بين عذابهم بين اكتئابهم فقال: ﴿وهم﴾ أي فعل ذلك بهم والحال أنهم ﴿يصطرخون فيها﴾ أي يوجدون الصراخ فيها بغاية ما يقدرون عليه من الجهد في الصياح بالبكاء والنواح. ولما بين ذلك بين قولهم في اصطراخهم بقوله: ﴿ربنا﴾ أي يقولون: أيها المحسن إلينا ﴿أخرجنا﴾ أي من النار ﴿نعمل صالحا﴾ ثم أكدوه وفسروه." (٢)

"أقعد في إرهابهم وأشد في اكتئابهم ﴿تأمروني﴾ بالإدغام المقتضي للمد في قراءة أكثر القراء. ولعل الإدغام إشارة إلى أنهم حالوه صلى الله عليه وسلم في أمر آلهتهم على سبيل المكر والخداع. ولما قرر الإنكار لإثبات الإغيار، أتم تقرير ذكر العامل في ﴿غير﴾ قال حاذفا «أن» المصدرية لتصير صلتها في حيز الإنكار: ﴿أعبد﴾ وهو مرفوع لأن «أن» لما حذفت بطل عملها، ولم يراع أيضا حكمها ليقال: إنه يمتنع نصب «غير» بها لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول.

ولما كانت عبادة غير الله أجهل الجهل، وكان الجهل محط كل سفول، قال: ﴿أيها الجاهلون *﴾ أي العريقون في الجهل، وهو التقدم في الأمور المنبهمة بغير علم – قاله الحرالي في سورة البقرة.

ولما كان التقديم يدل على الاختصاص، وكانوا لم يدعوه للتخصيص، بل للكف المقتضي للشرك، بين أنه تخصيص من حيث إن الإله غني عن كل شيء فهو لا يقبل عملا فيه شرك، ومتى حصل أدنى شرك كان في ذلك العمل كله للذي أشرك،

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٩٦/١٠

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٦٢/١٦

فكان التقدير بيانا لسبب أمره بأن يقول لهم ما تقدم منكرا عليهم: قل كذا، فلقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك وجوب التوحيد، فعطف عليه قوله مؤكدا لأجل ما استقر في النفوس من أن من عمل لأحد شيئا قبل." (١)

"وَكُنَّ إِذَا ذَكَرْنَ حُمَيْدَ كَلْبٍ ... صَقَعْنَ بِرَنَةٍ بَعْدَ **اكْتِئَابِ**

فَلَمْ أَرَ للمَقَادَةِ كَالعَوَالِي ... وَلاَ لِلثَّأرِ كَالقَوْمِ الغِضَابِ

أَرَاقَ البَحْدَلِيُّ دِمَاءَ قَيْسٍ ... وَأَلْصَقَ خَدَّ قَيْسٍ بالتُّرَابِ

وَأَفْلَتَنَا هَجِينُ بنِي سُلَيْمٍ ... يُفِدّى المُهْرَ مِنْ حُبِّ الإيابِ

فَلَوْلاَ اللهُ والمُهْرُ المُفَدَّى ... لأُبْتَ وأنتَ غِرْبالُ الإهابِ

جَعْدَة بن عبد الله الخُزَاعي

ونَحْنُ مَنَعْنَا العَبْدَ إذ صَافَ سَهْمُهُ ... مِنَ القَوْمِ حَتَى خُلِّصَ العَبْدُ سَالِمَا

وقُلْتُ لَهُمْ: يَا قَوْمَنَا إنَّ خَطْبَهُ ... دَقيقٌ وَلكِنْ لَيْس نُسْلِمُ جَارِمَا." (٢)

"دَارَ البِلَى بِاللهِ قُولِي لاَ ... تَصَمّي عَنْ جَوَابِي

مَاذَا فَعَلْتِ بِوَجْهِهِ ... وَبِسِنِّهِ الغُرِّ العِذَابِ

وَبِفَهْمِهِ وذَكَاءِ [قَلْبٍ] ... واتقّادِ كَالَّشهابِ

قَالَتْ لَنَا دارُ البِلَى ... وَالدَّارُ تَنْطِقُ بالصَّوابِ

أَوَ مَا عَلِمْتَ بأنّ نصْراً ... يَا أَبا نَصْرٍ ثَوَى بِي

فَكَسَوْتَهُ ثَوْبَ البِلَى ... وَسَلَبْتُهُ جُدُدَ الثِّيابِ

وَمَحَوْتُ غُرَّةَ وَجْهِهِ ... بالتُّرْبِ مَحْوَكَ لِلكِتَابِ

فَلَوِ اسْتَبَنْتَ رُوَاءَهُ ... بَعْدَ الغَضَارَةِ وَالشَّبَابِ

لَعَضَضْتَ أَطْرَافَ البَنَانِ ... لِطُولِ حُزْنٍ **وَاكْتِئَابِ**

وَرَأَيْتَ أَشْنَعَ مَنْظَرٍ ... وَلَدَرَّ دَمْعُكَ بِانْسِكَابِ

فَإلَيْكَ رَبِّي المُشتَكي ... فَأَعِنْ بِصَبْرٍ وَاحْتِسَابِ." (٣)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٥٤٦/١٦

(٢) الوحشيات = الحماسة الصغرى، أبو تمام ص/٨

(٣) الوحشيات = الحماسة الصغرى، أبو تمام ص/١٥٢

"باب آخر، من الجمع بالألف والتاء

قال الشاعر:

فلمّا جلاها بالأيام تحيزت ... ثباتٍ عليها ذلها **واكتئابها**

ثبات: جمع ثبةٍ، والبغداديون ينشدون تحيزت ثباتاً وزعم سيبويه أن هذه التاء لا تفتح في موضع، وحكوا أيضاً: سمعت لغاتهم.

وهذا الذي حكوه من هذه الحكاية، وأنشدوه من البيت، لا يدل على تحريك التاء في الجمع، بالفتح، وذلك أنه يجوز أن تكون لغةٌ على فعلة، مثل نعرةٍ، وإن كان قد استعمل محذوفاً، فتمموه كقولهم: مهاة ومهى، وحكاة وحكى، وقال أبو الخطاب: واحد الطلى: طلاة.." (١)

"فعله، وفارسها الذي لا ينكر فضله، إذا أشتد البأس، وضاق مجال الحرب، وبل الدم نحور الخيل.

يعاف خيام الريط في غزاوته ... فما خيمه إلا غبار حروب

والريط: جمع ريطة، وهي الملاءة.

ثم قال: يعاف القباب في غزواته ويكرهها، ويجتنب خيام الريط ويهجرها، ويأنس بعجاج الحرب فيقتحمنه، ويسكن إلى قتامها فيدرعه، ويؤثر شدائد الحرب على خيامه، وغمراتها على قبائه.

علينا لك الاستعاد إن كان نافعا ... بشق قلوب لا بشق جيوب

ثم يقول: علينا أن نسعدك بوجد قلوبنا، وشدة حزننا، وأن نشاركك بما نعتقده ونضمره، لا بما نبديه ونظهره. وجعل ذكر القلوب والجيوب إشارة إلى هذا التعبير.

فرب كئيب لسس تندى جفونه ... ورب كثير الدمع غير كئيب

ثم قال: فرب **مكتئب** موجع لا تجري دموعه، ولا تندى جفونه، ورب خلي غير **مكتئب**، يكثر دمعه، ويبدو بتصنعه حزنه.." (٢)

"٤٧٩٧ - صالح بن عبد القدوس أبو الفضل البصري مولى الأزد أحد الشعراء، اتهمه المهدي أمير المؤمنين بالزندقة، فأمر بحمله إليه، وأحضره بين يديه، فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه، وعلمه، وبراعته، وحسن بيانه، وكثرة حكمته، فأمر بتخلية سبيله، فلما ولى رده وقال له: ألست القائل:

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنى عاد إلى نكسه

قال: بلى يا أمير المؤمنين، قال: فأنت لا تترك أخلاقك، ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك، ثم أمر به فقتل، وصلب على الجسر.

---

(١) كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، أبو علي الفارسي ص/١٦٩

(٢) شرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي - السفر الأول، ابن الإفلِيلي ٢/١٢

ويقال: إن المهدي أبلغ عنه أبياتا يعرض فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم فأحضره المهدي، وقال له: أنت القائل هذه الأبيات؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، والله ما أشركت بالله طرفة عين، فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ادرءوا الحدود بالشبهات "، وجعل يتلو عليه القرآن، حتى رق له وأمر بتخليته، فلما ولى، قال: أنشدني قصيدتك السينية، فأنشده حتى بلغ البيت أوله: والشيخ لا يترك أخلاقه.

فأمر به حينئذ فقتل.

ويقال: إنه كان مشهورا بالزندقة، وله مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وشعره كله أمثال، وحكم، وآداب.

ومن مستحسنات قصائد صالح القصيدة القافية، أنشدناها عبيد الله بن أبي الفتح، وأحمد بن عبد الواحد الوكيل، قالا: أنشدنا محمد بن جعفر بن هارون التميمي الكوفي، قال: أنشدنا أبو بكر الدارمي، عن عمه لصالح بن عبد القدوس:

المرء يجمع والزمان يفرق ويظل يرقع والخطوب تمزق

ولأن يعادي عاقلا خيرا له من أن يكون له صديق أحمق

فارغب بنفسك لا تصادق أحمقا إن الصديق على الصديق مصدق

وزن الكلام إذا نطقت فإنما يبدي عيوب ذوي العقول المنطق

ومن الرجال إذا استوت أحلامهم من يستشار إذا استشير فيطرق

حتى يجيل بكل واد قلبه فيرى ويعرف ما يقول فينطق

فبذاك يوثق كل أمر مطلق وبذاك يطلق كل أمر يوثق

وإن امرؤ لسعته أفعى مرة تركته حين يجر حبل يفرق

لا ألفينك ثاويا في غربة إن الغريب بكل سهم يرشق

ما الناس إلا عاملان فعامل قد مات من عطش وآخر يغرق

والناس في طلب المعاش وإنما بالجد يرزق منهم من يرزق

لو يرزقون الناس حسب عقولهم ألفيت أكثر من ترى يتصدق

لكنه فضل المليك عليهم هذا عليه موسع ومضيق

وإذا الجنازة والعروس تلاقيا ألفيت من تبع العرائس يطلق

ورأيت من تبع الجنازة باكيا ورأيت دمع نوائح يترقرق

كذا في الرواية، ورأيت في غير الرواية:

وإذا الجنازة والعروس تلاقيا ورأيت دمع نوائح يترقرق

سكت الذي تبع العروس مبهتا ورأيت من تبع الجنازة ينطق

لو سار ألف مدجج في حاجة لم يقضها إلا الذي يترفق

إن الترفق للمقيم موافق وإذا يسافر فالترفق أوفق

بقي الذين إذا يقولوا يكذبوا ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

أخبرني علي بن أيوب القمي، قال: أخبرنا محمد بن عمران بن موسى، قال: حدثني علي بن هارون المنجم، عن أبيه، قال: من مختار شعر صالح بن عبد القدوس قوله:

إن الغني الذي يرضى بعيشته لا من يظل على ما فات **مكتئبا**

لا تحقرن من الأيام محتقرا كل امرئ سوف يجزى بالذي اكتسبا

قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه حتى يكون إلى توريطه سببا

بلغني عن عبد الله بن المعتز، قال: حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن المعبر، قال: رأيت صالح بن عبد القدوس في المنام ضاحكا مستبشرا، فقلت: ما فعل بك ربك؟ وكيف نجوت مما كنت ترمى به؟ قال: إني وردت على رب لا تخفى عليه خافية، فاستقبلني برحمته، وقال: قد علمت براءتك مما كنت تقذف به.." (١)

"٧٠٢٤ - محمود بن الحسن الوراق الشاعر أكثر القول في الزهد والأدب.

روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو العباس بن مسروق، وغيرهما، ويقال: أنه كان نخاسا يبيع الرقيق، ومات في خلافة المعتصم.

أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، قال: قال أبو بكر بن أبي الدنيا: أنشدني محمود بن الحسن الوراق قوله:

رجعت على السفيه بفضل حلمي فكان الحلم عنه له لجاما

وظن بي السفاه فلم يجدني أسافهه وقلت له سلاما

فقام يجر رجليه ذليلا وقد كسب المذلة والملاما

وفضل الحلم أبلغ في سفيه وأحرى أن تنال به انتقاما

أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا محمد بن العباس، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن موسى الرزاز، قال: حدثنا قاسم الأنباري، قال: حدثني أبو بكر الطالقاني، عن أبيه، قال: كنت جالسا عند محمود الوراق والناس يعزونه عن جاريته نشو، وكان قد أعطى بها آلافا من الدنانير، وإذا بعض المعزين يكرر ذكر فضلها عنده ليحزنه، ففطن له، فأنشأ يقول:

ومنتصح يكرر ذكر نشو ليحدث لي بذكراها **اكتئابا**

أقول وعد ما كانت تساوي سيخلفه الذي خلق الحسابا

عطيته إذا أعطى سرورا وإن أخذ الذي أعطى أثابا

فأي النعمتين أعم فضلا وأكرم في عواقبها إيابا

أنعمته التي أهدت سرورا أم الأخرى التي أهدت ثوابا؟

بل الأخرى وإن نزلت بكره أحق بصبر من صبر احتسابا

ولمحمود أيضا:

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ٤١٣/١٠

كبر الكبير عن الأدب أدب الكبير من التعب

حتى متى وإلي متى هذا التمادي في اللعب؟

والرزق لو لم تأته لأتاك عفوا من كثب

إن نمت عنه لم ينم حتى يحركه السبب

أخبرني الأزهري، قال: حدثنا محمد بن جعفر النجار، قال: أخبرنا أبو محمد العتكي، قال: حدثنا يموت بن المزرع، عن الجاحظ، قال: طلب المعتصم جارية كانت لمحمود الوراق، وكان نخاسا بسبعة آلاف دينار، فامتنع محمود من بيعها، فلما مات محمود اشتريت للمعتصم من ميراث محمود بسبع مائة دينار، فلما دخلت إليه، قال لها: كيف رأيت؟ تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبع مائة، قالت: أجل، إذا كان الخليفة ينتظر بشهواته المواريث، فإن سبعين دينار كثيرة في ثمني فضلا عن سبع مائة دينار، فأخجلته." (١)

"٢٠٧١ - أحمد بن خالد الخلال الفقيه سمع سفيان بن عيينة، وإسماعيل ابن علية، وأبا قطن عمرو بن الهيثم، ومحمد بن عبيد الطنافسي، ومحمد بن سابق، ويزيد بن هارون، وشبابة بن سوار، ومحمد بن إدريس الشافعي، والحسن بن بشر بن سلم، وعبد الله بن صالح العجلي.

روى عنه: محمد بن أحمد بن البراء، ويعقوب بن سفيان، وأحمد بن علي الأبار، والحسين بن إدريس الهروي، وعمر بن عبد الله بن عمرو أبي حسان الزيادي.

وقال أبو حاتم الرازي: حدثنا أحمد بن خالد الخلال، وكان خيرا فاضلا، عدلا ثقة، صدوقا رضى.

(١٣٥٧) -[ص: ٢٠٦] أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا دعلج بن أحمد، قال: أخبرنا الحسين بن إدريس الهروي، قال: حدثنا أحمد بن خالد الخلال البغدادي، قال: حدثنا الحسن بن بشر، قال: وجاء بكتاب أبيه ولم يسمعه منه، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن عطاء، عن ابن عباس أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فسلم عليه، ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان، أراك **مكتئبا** حزينا؟ قال: نعم يا ابن عم رسول الله، لفلان علي حق، ولا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت، قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم والعهد به قريب فدمعت عيناه وهو يقول: " من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، أبعد ما بين الخافقين " غريب لا أعلم رواه عن عطاء غير ابن أبي رواد، وعنه الحسن بن بشر بن سلم البجلي.

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: قرأنا على الحسين بن هارون، عن ابن سعيد، قال: أحمد بن خالد الخلال العسكري، سمعت عبد الرحمن بن يوسف، يقول: كان امرءا صالحا أخبرني أبو القاسم الأزهري، قال: أخبرنا علي بن عمر الحافظ، قال: أحمد بن خالد الخلال البغدادي ثقة نبيل قديم الوفاة أخبرنا السمسار، قال: أخبرنا الصفار، قال: حدثنا ابن قانع، أن أحمد بن

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ١٥/١٠٢

خالد الخلال مات بسر من رأى في سنة سبع وأربعين ومائتين قلت: ذكر غير ابن قانع أنه مات في سنة ست وأربعين.." (١)

"٤٣٦١ - خالد بن يزيد أبو الهيثم التميمي خراساني الأصل كان أحد كتاب الجيش ببغداد، وله شعر مدون، وشعره كله في الغزل، وعاش دهرا طويلا، واختلط في آخر عمره، ويقال: إنه عاش إلى خلافة المعتمد.

أخبرنا أبو جعفر محمد بن جعفر بن علان الوراق، قال: أخبرنا أبو الفرج أحمد بن محمد بن أحمد الصامت، قال: حدثني أحمد بن جعفر أبو الحسن البرمكي جحظة، قال: كنا جلوسا على باب عبد الصمد بن علي ومعنا رجل ينشدنا أشعار عبد الصمد بن المعدل، إذ أقبل أبو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب فجلس إلينا، فقال: فيم كنتم؟ فقلنا بجهلنا: هذا ينشدنا شيئا من أشعار عبد الصمد، فالتفت إليه خالد، فقال: يا فتى من الذي يقول:

تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعي كأنك بعد الضر خال من النفع

ثم قال له: يا فتى هل أحسن عبد الصمد أن يجعل للسمع سمعا؟ قال: لا، ثم أنشده:

لئن كان أضحى فوق خديه روضة فإن على خدي غديرا من الدمع

ثم نهض، فقال لنا المنشد: من هذا؟ فقلنا: خالد، فعدا خلفه، وانقطعت نعله، وانقلبت محبرته، حتى كتب البيتين أخبرني علي بن أيوب القمي، قال: أخبرنا محمد بن عمران الكاتب، قال: أنشدني المظفر بن يحيى لخالد الكاتب:

هبك الخليفة حين يركب في مواكبه وجنده

أو هبك كنت وزيره أو هبك كنت ولي عهده

هل كنت تقدر أن تزيد المبتلي بك فوق جهده

أخبرنا الحسن بن أبي بكر، قال: أخبرنا أحمد بن كامل القاضي فيما أجاز لنا روايته عنه، قال: أخبرني أبو الحسين علي بن الحسن بن أحمد القرشي من أهل حران، قال: سمعت هلال بن العلاء، يقول: رأيت خالد الكاتب الشاعر بمدينة السلام، والناس يصيحون به يا بارد، يا بارد، ويرمونه بالحجارة، فتساند إلى حائط، وقال: ويلكم كيف أكون باردا وأنا الذي أقول:

ولامسه قلبي فآلم كفه فمن لمس قلبي في أنامله عقر

ومر بفكري خاطرا فجرحته ولم أر خلقا قط يجرحه الفكر

أخبرنا علي بن طلحة المقرئ، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عمران، قال: حدثنا صالح بن محمد، قال: حدثنا القاسم بن سهل، قال: مر خالد الكاتب يوما بصبيان فجعلوا يرجمونه ويزمونه ويقولون له: يا خالد، يا بارد، فقال لهم: ويلكم أنا بارد وأنا الذي أقول

سيدي أنت لم أقل سيدي أنت لخلق سواك والصب عبد

خذ فؤادي فقد أتاك بود وهو بكر ما افتضه قط وجد

كبد رطبة يفتتها الوجد وخد فيه من الدمع خد

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ٢٠٦/٥

أخبرنا أحمد بن عمر بن روح النهرواني، قال: أخبرنا المعافى بن زكريا الجريري، قال: حدثنا إبراهيم بن الفضل بن حيان الحلواني، قال: حدثني أبو بكر بن ضباب، قال: سمعت بعض أصحابنا بالرقة، يقول: كبر خالد الكاتب حتى دق عظمه، ورق جلده، فوسوس، فرأيته ببغداد والصبيان يتبعونه ويصيحون به: يا بارد، يا بارد، فأسند ظهره إلى قصر المعتصم، فقال لهم: كيف أكون باردا وأنا الذي أقول:

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته وكم مسعد من مثله ومعين

ورقت دموع العين حتى كأنها دموع دموعي لا دموع جفوني

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: أنشدنا محمد بن العباس الخزاز، قال: أنشدنا محمد بن القاسم الأنباري لخالد الكاتب:

قد القضيب حكى رشاقة قده والورد يحسد ورده في خده

والشمس جوهر نورها من نوره والبدر أسعد سعده من سعده

خشف أرق من البهاء بهاؤه ومن الفرند المحض في إفرنده

لو مكنت عيناك من وجناته لرأيت وجهك في صفيحة خده

قال: وله أيضا:

الله جارك يا سمعي ويا بصري من العيون التي ترميك بالنظر

ومن نفاسة خديك اللذين لك المعنى وقد وسما بالشمس والقمر

فحاسناك فما فازا بحسنهما وخاطراك فما فاتاك بالخطر

من كان فيك إلى العذال معتذرا من الأنام فإني غير معتذر

أخبرنا أبو علي بن الحسن الجازري، قال: حدثنا المعافى بن زكريا، قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي جحظة، قال: حدثني خالد الكتاب، قال: قال لي علي بن الجهم: هب لي بيتك:

ليت ما أصبح من رقة خديك بقلبك

قال: فقلت له: أرأيت أحدا يهب ولده؟ أخبرنا العباس بن محمد الكلوذاني فيما أذن أن نرويه عنه، قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد، قال: أخبرنا ثعلب، قال: ما أحد من الشعراء تكلم في الليل إلا قارب، إلا خالد الكاتب فإنه أبدع في قوله: وليل المحب بلا آخر فإنه لم يجعل لليل آخر وأنشدنا:

رقدت فلم ترث للساهر وليل المحب بلا آخر

ولم تدر بعد ذهاب الرقاد ما صنع الدمع بالناظر

أيا من تعبد في طرفه أجرني من طرفك الجائر

وجد للفؤاد فداك الفؤاد من طرفك الفاتن الفاتر

فمضيت إلى خالد في سنة إحدى وستين فأنشدني هذا الشعر.

أخبرنا الحسن بن أبي بكر، قال: قال أحمد بن كامل القاضي حدثت عن خالد الكاتب، قال: قيل له: من أين قلت في قصيدتك: وليل المحب بلا آخر؟، فقال: وقفت على باب وسائل عليه مكفوف وهو يقول: الليل والنهار علي سواء،

فأخذت هذا منه.

أخبرنا القاضي أبو حامد أحمد بن محمد بن أبي عمرو الدلوي، قال: حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، قال: سمعت أبا القاسم عبد الرحمن بن المظفر الأنباري، يقول: سمعت أبا القاسم بن أبي حية، يقول: سمعت خالد بن يزيد الكاتب، يقول: بينا أنا مار بباب الطاق، إذ براكب خلفي على بغلة، فلما لحقني نخسني بسوطه، فقال: أنت القائل: يا خويلد وليل المحب بلا آخر؟ قلت: نعم، قال: لله أبوك وصف امرؤ القيس الليل الطويل في ثلاثة أبيات، ووصفه النابغة في ثلاثة أبيات، ووصفه بشار بن برد في ثلاثة أبيات، وبرزت عليهم بشطر كلمة؟! فلله أبوك، قلت: وبم وصفه امرؤ القيس، فقال: بقوله:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

قلت: وبم وصفه النابغة؟ فقال: بقوله:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وصدر أزاح الليل عازب همه فضاعف فيه الهم من كل جانب

تقاعس حتى من قلت ليس بمنقض وليس الذي يهدي النجوم بآيب

قلت له: وبم وصفه بشار؟ فقال: بقوله:

خليلي ما بال الدجى لا تزحزح وما بال ضوء الصبح لا يتوضح

أظن الدجى طالت وما طالت الدجى ولكن أطال الليل سقم مبرح

أضل النهار المستنير طريقه أم الدهر ليل كله ليس يبرح

قلت له: يا مولاي، هل لك في شعر قلته لم أسبق إليه، قال: نعم، فقلت:

كلما اشتد خضوعي لجوى بين ضلوعي

ركضت في حلبتي خدي خيل من دموعي

قال فثنى رجله عن بغلته، وقال: هاكها، فاركبها فأنت أحق بها مني.

فلما مضى سألت عنه: فقيل: هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي أخبرني أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار، قال: أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان الواعظ، قال: أنشدنا أحمد بن نصر بن سندويه البصلاني، قال: أنشدنا أبو الهيثم خالد بن يزيد:

حرق الشوق واتقاد الغليل واتصال الهوى بقلب عليل

وكلا بالجفون إذ نفد الدمع دما واكفا قريح المسيل

تركاني أنوح في غسق الليل على جسمي السقيم النحيل

تب إلى الله واشك هذا إليه يا قتيل الهوى بغير قتيل

وأخبرني هلال الحفار، قال: أخبرنا عمر بن أحمد، قال: أنشدنا أحمد بن نصر بن سندويه، قال: أنشدنا خالد بن يزيد أبو الهيثم:

كيف احتيالي وأنت لا تصل قل اصطباري وضاقت الحيل

منعت عيني بالصد رقدتها فجفنها بالسهاد مكتحل

يا حسن الوجه إن تكن مثلا فإن بي فيك يضرب المثل

إن كان جسمي هواك أنحله فإن قلبي عليك يتكل

أخبرني محمد بن محمد بن علي الشروطي، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن علي المروزي الكاتب، قال: حدثنا أحمد بن سهل، قال: سأل خالد الكاتب رجلا حاجة فكان مما استفتح به كلامه أن قال له: فقد الصديق ألجأني إلى كلامك.

أخبرنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن سليمان الكاتب، قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السقاء الواسطي بها، قال: حدثني جحظة، قال: قال لي خالد الكاتب: أضقت حتى عدمت القوت أياما، فلما كان في بعض الأيام بين المغرب وعشاء الآخرة، فإذا بأبي يدق، فقلت: من هذا؟ فقال: من إذا خرجت إليه رأيته، فخرجت فرأيت رجلا راكبا على حمار، عليه طيلسان أسود، وعلى رأسه قلنسوة طويلة ومعه خادم، فقال لي: أنت الذي تقول:

أقول للسقم عد إلى بدني حبا لشيء يكون من سببك

قال قلت: نعم.

قال: أحب أن تنزل لي عنه، فقلت: وهل ينزل الرجل عن ولده؟ فتبسم ثم قال: يا غلام أعطه ما معك، فأومأ إلي بصرة في ديباجة سوداء مختومة، فقلت: إني لا أقبل عطاء من لا أعرفه فمن أنت؟ فقال أنا إبراهيم بن المهدي

(٢٧٩٥) أخبرني علي بن أيوب القمي، قال: أخبرنا محمد بن عمران المرزباني، قال: أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحسين بن إسحاق، قال: حدثني أبو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب الشاعر، قال: لما بويع إبراهيم بن المهدي بالخلافة، طلبني وقد كان يعرفني، وكنت متصلا ببعض أسبابه، فأدخلت إليه فقال: يا خالد أنشدني من شعرك، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن من الشعر حكما "، وإنما أمزح وأهزل، وليس مما ينشده أمير المؤمنين، فقال لي: لا تقل هذا يا خالد، فإن جد الأدب وهزله، جد أنشدني فأنشدته:

عش فحبيك سريع قاتلي والضنى إن لم تصلني واصلي

ظفر الشوق بقلب كمد فيك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وبلى تركاني كالقضيب الذابل

وبكى العاذل لي من رحمة فبكائي لبكاء العاذل

فاستملح ذلك ووصلني." (١)

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ٩/٢٥٠

"٤٤٥٠ – ذو النون بن إبراهيم أبو الفيض المعروف بالمصري أصله من النوبة، وكان من قرية من قرى صعيد مصر يقال لها: إخميم فنزل مصر.
وكان حكيما فصيحا زاهدا، وجه إليه جعفر المتوكل على الله فحمل إلى حضرته بسر من رأى، حتى رآه وسمع كلامه، ثم انحدر إلى بغداد فأقام بها مديدة وعاد إلى مصر، وقيل: إن اسمه ثوبان، وذا النون لقب له.
وقد أسند عنه أحاديث غير ثابتة والحمل فيها على من دونه.
وحكى عنه من البغداديين: سعيد بن عياش الحناط، وأبو العباس بن مسروق الطوسي.
أخبرنا أحمد بن علي المحتسب، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي، قال ذو النون بن إبراهيم: كنيته أبو الفيض، ويقال: إن اسمه الفيض بن إبراهيم وذو النون لقب، ويقال: إن اسمه ثوبان أخبرنا الأزهري، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، قال: ذو النون بن إبراهيم المصري روي عنه عن مالك أحاديث في أسانيدها نظر، وكان واعظا أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين السلمي، قال: سألت علي بن عمر عن ذي النون، فقال: إذا صح السند إليه فأحاديثه مستقيمة وهو ثقة أخبرني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن موسى، قال: سمعت عبد الله بن علي، يقول: سمعت محمد بن داود الرقي، يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: لقيت ست مائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة، أحدهم ذو النون أخبرنا القاضي أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن عثمان البجلي، قال: أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، قال: سمعت ذا النون المصري، يقول: بينا أنا في بعض مسيري إذ لقيتني امرأة فقالت لي: من أين؟ قلت: رجل غريب، فقالت لي: ويحك وهل يوجد مع الله أحزان الغربة، وهو مؤنس الغرباء، ومعين الضعفاء، فبكيت، فقالت لي: ما يبكيك؟، قلت: وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع في نجاحه، قالت: إن كنت صادقا، فلم بكيت؟ قلت: والصادق لا يبكي؟ قالت: لا، قلت: ولم، قالت: لأن البكاء راحة القلب، وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئا أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب، وهذا ضعف عند الألباء يا بطال! فبقيت معتجبا من كلامها، فقالت: مالك؟ قلت: تعجبا من هذا الكلام، قالت: وقد أنسيت القرحة التي سألت عنها، قلت: لا، قلت: علميني شيئا ينفعني الله به، قالت: وما أفادك الحكيم في مقامك هذا من الفوائد ما تستغني به عن طلب الزوائد، قلت: لا ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد، قالت: صدقت، حب ربك، واشتق إليه، فإن له يوما يتجلى فيه على كرسي كرامته لأوليائه وأحبائه فيذيقهم من محبته كأسا لا يظمئون بعدها أبدا، قال: ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول: سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحدا يسعدني على البكاء أيام حياتي، ثم تركتني ومضت أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، قال: أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير الخلدي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، قال: سمعت ذا النون المصري، يقول: اعلموا أن الذي أقام الحياء من الله معرفته بإحسانه إليهم، وعلمهم بتضييع ما افترض من شكره، فليس لشكره نهاية، كما ليس لعطيته نهاية أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فضالة النيسابوري بالري، قال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن شاذان الرازي بنيسابوري، قال: سمعت يوسف بن الحسين، يقول: حضرت مع ذي النون مجلس المتوكل، وكان المتوكل مولعا به يفضله على العباد والزهاد، فقال له المتوكل: يا أبا الفيض، صف لنا أولياء الله، فقال ذو النون: يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم ألبسهم الله النور الساطع من محبته، وجللهم بالبهاء من أردية

كرامته، ووضع على مفارقهم تيجان مسرته، ونشر لهم المحبة في قلوب خليقته ثم أخرجهم، وقد أودع القلوب ذخائر الغيوب فهي معلقة بمواصلة المحبوب، فقلوبهم إليه سائرة، وأعينهم إلى عظيم جلاله ناظرة ثم أجلسهم بعد أن أحسن إليهم على كراسي طلب المعرفة بالدواء، وعرفهم منابت الأدواء، وجعل تلاميذهم أهل الورع والتقى، وضمن لهم الإجابة عند الدعاء، وقال: يا أوليائي إن أتاكم عليل من فرقي فداووه، أو مريض من إرادتي فعالجوه، أو مجروح بتركي إياه فلاطفوه، أو فار مني فرغبوه، أو آبق مني فخادعوه، أو خائف مني فأمنوه، أو راغب في مواصلتي فمنوه، أو قاصد نحوي فأدوه، أو جبان في متاجرتي فجرئوه، أو آيس من فضلي فعدوه، أو راج لإحساني فبشروه، أو حسن الظن بي فباسطوه، أو محب لي فواصلوه، أو معظم لقدري فعظموه، أو مستوصف نحوي فارشدوه، أو مسيء بعد إحساني فعاتبوه، أو ناس لإحساني فذكروه، وان استغاث بكم ملهوف فأغيثوه، ومن وصلكم في فواصلوه فإن غاب عنكم فافتقدوه، وإن ألزمكم جناية فاحتملوه، وإن قصر في واجب حق فاتركوه، وإن أخطأ خطيئة فانصحوه، وإن مرض فعودوه، وإن وهبت لكم هبة فشاطروه، وإن رزقتكم فآثروه يا أوليائي لكم عاتبت، ولكم خاطبت، وإياكم رغبت، ومنكم الوفاء طلبت، لأنكم الأثرة آثرت وانتخبت، وإياكم استخدمت، واصطنعت واختصصت، لا أريد استخدام الجباري، ولا مطاوعة الشرهين، جزائي لكم أفضل الجزاء، وعطائي لكم أوفر العطاء، وبذلي لكم أغلى البذل، وفضلي عليكم أكبر الفضل، ومعاملتي لكم أوفى المعاملة، ومطالبتي لكم أشد المطالبة، أنا مفتش القلوب، أنا علام الغيوب، أنا ملاحظ اللحظ، أنا مراصد الهمم، أنا مشرف على الخواطر، أنا العالم بأطراف الجفون، لا يفزعكم صوت جبار دوني، ولا مسلط سواي، فمن أرادكم قصمته، ومن آذاكم آذيته، ومن عاداكم عاديته، ومن ولاكم واليته، ومن أحسن إليكم أرضيته أنتم أوليائي، وأنتم أحبائي، أنتم لي وأنا لكم حدثنا أبو الفرج محمد بن عبيد الله الخرجوشي لفظا، قال: حدثنا أبو العباس الحسن بن سعد المطوعي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن بنان بن عبد الله المصري بمصر، قال: سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم المصري، يقول: سألني جعفر المتوكل أمير المؤمنين، أن أكتب له دعاء يدعو به، وأمر يحيى بن أكثم أن يكتبه له، فقلت له: اكتب، رب أقمني في أهل ولايتك مقام رجاء الزيادة من محبتك، واجعلني ولها بذكرك في ذكرك إلى ذكرك، وفي روح بحابح أسمائك لاسمك، وهب لي قدما أعادل بها بفضلك أقدام من لم يزل عن طاعتك، وأحقق بها ارتياحا في القرب منك، وأخف بها جولا في الشغل بك، ما حييت وما بقيت رب العالمين، إنك رءوف رحيم، اللهم بك أعوذ وألوذ وأؤمل البلغة إلى طاعتك والمثوى الصالح من مرضاتك، وأنت ولي قدير قال ذو النون: فقال لي يحيى بن أكثم: هذا بس يا أبا الفيض، فقلت له: هذا لهذا كثير إن أراد الله به خيرا، قال: ثم خرجت وودعته.

حدثنا عبد العزيز بن علي الوراق، قال: حدثنا علي بن عبد الله الهمذاني، قال: حدثنا أحمد بن مقاتل الحريري مذاكرة، قال: لما وافى ذو النون إلى بغداد اجتمع إليه جماعة من الصوفية ومعهم من يقول، فاستأذنونه أن يقول شيئا من عنده، فقال: نعم فابتدأ القول:

صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتنكا

وأنت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا

أما ترثي لمكتئب إذا ضحك الخلي بكى

فقام ذو النون قائما، ثم سقط على وجهه، نرى الدم يجري منه ولا يسقط إلى الأرض منه شيء.

ثم قام بعده رجل ممن كان حاضرا في المجلس يتواجد، فقال له ذو النون: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ فجلس الرجل أخبرني عبد الصمد بن محمد الخطيب، قال: حدثنا الحسن بن الحسين الهمذاني الفقيه، قال: سمعت محمد بن أبي إسماعيل العلوي، يقول: سمعت أحمد بن رجاء بمكة، يقول: سمعت ذا الكفل المصري، وهو أخو ذي النون، يقول: دخل غلام لذي النون إلى بغداد فسمع قوالا، يقول، فصاح غلام ذي النون صيحة خر ميتا، فاتصل الخبر بذي النون فدخل إلى بغداد، فقال علي بالقوال واسترد الأبيات فصاح ذو النون صيحة فمات القوال، ثم خرج ذو النون وهو يقول: النفس بالنفس والجروح قصاص أخبرنا الجوهري، قال: أخبرنا محمد بن العباس وأخبرنا الأزهري، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن موسى القرشي، قالا: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي، قال: ودخلها، يعني بغداد، أبو الفيض ذو النون النوبي المعروف بالمصري، حين أشخص إلى سر من رأى أيام المتوكل، ثم زار جماعة من إخوانه فأقام ببغداد أياما يسيرة، ثم رجع إلى مصر أخبرنا أبو سعد الماليني إجازة، قال: أخبرنا الحسن بن رشيق المصري، قال: حدثني جبلة بن محمد الصدفي، قال: حدثني عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عفير، قال: توفي ذو النون المصري سنة خمس وأربعين ومائتين.

وقال ابن رشيق: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الإخميمي، قال: سمعت أبا العباس حيان بن أحمد السهمي، يقول: مات ذو النون بالجيزة وحمل في مركب حتى عدي به إلى الفسطاط خوفا من زحمة الناس على الجسر، ودفن في مقابر أهل المعافر، وذلك في يوم الإثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة من سنة ست وأربعين ومائتين.

وكان والده يقال: له إبراهيم مولى إسحاق بن محمد الأنصاري، وكان له أربعة بنين: ذو النون، والهميسع، وعبد الباري، وذو الكفل، ولم يكن أحد منهم على مثل طريقة ذي النون." (١)

"٩٦ - أبو محمد بن علوان

-القرن السابع الهجري-

ومنهم، الشيخ الفقيه، الكاتب الأديب المنشئ، أبو محمد عبد الله بن علوان، من أصحابنا الذين هم في وقتنا. لقي مشائخنا أبا الحسن الحرالي رضي الله عنه رؤية عين وتبرك، وأكثر نظره على شيخنا أبي محمد عبد العزيز القيسي وأبي العباس الغماري. تخطط بالعدالة وهي صفته، وله فقه جيد، وهو جامع بين الكتابتين الأدبية والشرعية، وهو شيخ كتاب الكتابة الشرعية في وقته، وعلى شهادته العمل في الديار السلطانية العلية أعلى الله أمرها، وله تخصص ووقار، ورواء حسن واعتبار.

وله نظم في الفرائض سلك فيه على طريقة الحجازيين والنجديين، ينحو فيه إلى اللطافة، ويتجانب عن الكثافة. وله توقف وتثبت في الأمور، وجرى على الطريقة المحمودة عند الخواص والجمهور. وهو النائب في صلاة الفريضة بالجامع الأعظم شرفه الله بذكره، ومن نظمه:

---

(١) تاريخ بغداد ت بشار، الخطيب البغدادي ٣٧٣/٩

من أرض نعمان هبت نسمة السحر ... جاءت بنشر عبير طيب عطر

نمت بسر خزامى الجزع واحتملت ... ما ضاع من نفحات البان والسمر

لله ما هيجت من وجد **مكتئب** ... وما أثارت من الأشجان والفكر

فاستشفت منها فمن نحو الحمى نفحت ... تخبر عن ساكنيه طيب الخبر

يا ليت أيام وصل فيه عائدة ... بشادن نلت منه منتهى وطري." (١)

"مَتَى ذَكَرْنَاكَ قَدْ فاضَتْ مَدامِعُنا ... حَتى جَرَتْ مِن دموعِ العَيْنِ غُدْرانُ

يَنُوحُ كُل امرىءٍ مِنْ فَرْطِ لَوْعَتِهِ ... حَتَّى لَقَدْ قَرِحَتْ بالدمْعِ أجْفانُ

مَن لا يَنوحُ إذا باتَتْ أحِبتهُ ... أوْ لا يَسيلُ على خَدَّيْه عِقْيانُ/ [٨٠]

الناسُ طُرّاً على ذِكْراكَ [في] (١) حُرَقٍ ... وليسَ يَعْرِضُ في ذِكْراكَ نِسْيانُ

قَدْ سالَ بَحْرُ دماءٍ مِن لواحِظِهِم ... مُذْ قامَ **مُكْتَئِباً** يَرْثِيكَ (عُثْمانُ)

عَساكَ تَشْفَعُ فيهِ حَيْثُ قامَ غَداً ... لِيَنْمَحِي ذَنْبُهُ فاللهُ رَحْمانُ

فإنهُ مُذنِبٌ عاصٍ ومُعْتَرِفٌ ... وقدْ مَلا صُحْفَهُ سُوءٌ وعِصْيانُ

يا نَفْسُ لا تُخْدَعي باللهْوِ واتَّعِظي ... فإن رِبْحَكِ عندَ اللَّهْوِ خُسْرانُ

كَمْ مِن أناسٍ مِن الأخْبار قَدْ عُدِموا ... كأنَّهُمْ ساعةً في الدَّهْرِ ما كانوا

لا تَطْمَعي في البقايا نَفْسُ بَعْدَهُمُ ... فإن كُل الوَرَى في الدَّهْرِ ضِيفانُ

...

١٨ - فصل

لما توفِّيَ رحمه الله ودُفِنَ؛ أرادَ أهلُهُ وأقاربهُ وجيرانُه أن يبنوا على ضريحه قُبَّةً، وأجمعوا على ذلك؛ إذ جاء رحمه الله في النوم إلى أكبر امرأةٍ من قرائبه -أظنُّها عمَّتَه- وقال لها: "قولي لأخي والجماعة لا يفعلوا هذا الذي قد عَزَموا عليه من البنيان؛ فإنه كُلما بنوا شيئاً؛ يُهْدَمُ عليهم".

فانتبهَتْ منزعجةً، فقصَّتْ عليهم الرُّؤيا، فامتنعوا من البنيان، وحوَّطوا على قبره بحجارةٍ تمنع الدَّوابَّ وغيرها (٢).

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) نقله عن المصنف: الذهبي في "تاريخ الإسلام" (ورقة ٥٨٠)، والسيوطي في "المنهاج السوي" (ص ٨٠)، والسخاوي في "ترجمة الإمام النووي" (ص ٧٦). =." (٢)

---

(١) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، الغبريني ص/٣١٤

(٢) تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، ابن العطار ص/١٥٣

"٤٧٨ - محمد بن تكش بن إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين، السلطان علاء الدين خوارزم شاه.

[المتوفى: ٦١٧ هـ]-[٥١٦]-

قد ذكرنا قطعة من أخباره في الحوادث.

أباد ملوك العالم، ودانت له الممالك، واستولى على الأقاليم.

قال ابن واصل: نسب علاء الدين ينتهي إلى إيلتكين أحد مماليك السلطان ألب أرسلان بن جغر بيك السلجوقي.

قال الإمام عز الدين ابن الأثير: كان صبورا على التعب وإدمان السير، غير متنعم ولا مقبل على اللذات؛ إنما نهمته في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعيته.

قال: وكان فاضلا، عالما بالفقه والأصول وغيرهما، وكان مكرما للعلماء محبا لهم، محسنا إليهم، يحب مناظرتهم بين يديه، ويعظم أهل الدين ويتبرك بهم؛ فحكى لي بعض خدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم لما عاد من خراسان قال: وصلت إلى خوارزم ودخلت الحمام، ثم قصدت باب السلطان، فلما أدخلت عليه أجلسني بعد أن قام لي، ومشى واعتنقني، وقال لي: أنت تخدم حجرة النبي صلى الله عليه وسلم؟ قلت: نعم. فأخذ بيدي وأمرها على وجهه، وسألني عن حالنا وعيشنا، وصفة المدينة ومقدارها، وأطال الحديث معي، فلما عزمت قال: لولا أننا على عزم السفر الساعة لما ودعتك، وإنا نريد أن نعبر جيحون إلى الخطا، وهذا طريق مبارك حيث رأينا من يخدم الحجرة الشريفة. ثم ودعني، وأرسل إلي جملة من النفقة.

وقال أبو المظفر ابن الجوزي: إنه توفي سنة خمس عشرة، فغلط، وقال: كان قد أفنى ملوك خراسان وما وراء النهر، وقتل صاحب سمرقند، وأخلى البلاد من الملوك واستقل بها، فكان ذلك سببا لهلاكه. ولما نزل همذان كاتب الوزير مؤيد الدين محمد ابن القمي نائب الوزارة الإمامية عن الخليفة عساكر خوارزم شاه، ووعدهم بالبلاد، فاتفقوا مع الخطا على قتله، وبعث القمي إليهم بالأموال والخيول سرا، فكان ذلك سببا لوهنه؛ وعلم بذلك، فسار من همذان إلى خراسان ونزل مرو، فصادف في طريقه الخيول والهدايا والكتب إلى الخطا، وكان معه منهم سبعون ألفا، فلم يمكنه الرجوع -[٥١٧]- لفساد عسكره. وكان خاله من أمراء الخطا، وقد حلفوه أن لا يطلع خوارزم شاه على ما دبروا عليه، فجاء إليه في الليل، وكتب في يده صورة الحال، ووقف بإزائه، فنظر إلى السطور وفهمها، وهو يقول: خذ لنفسك، فالساعة تقتل. فقام وخرج من تحت ذيل الخيمة ومعه ولداه جلال الدين والآخر، فركب وسار بهما، ثم دخل الخطا والعساكر إلى خيمته فلم يجدوه، فنهبوا الخزائن والخيول، فيقال: إنه كان في خزائنه عشرة آلاف ألف دينار وألف حمل قماش أطلس وغيره، وكانت خيله عشرين ألف فرس وبغل، وله عشرة آلاف مملوك. فهرب وركب في مركب صغير إلى جزيرة فيها قلعة ليتحصن بها، فأدركه الأجل، فدفن على ساحل البحر، وهرب ولداه، وتفرقت الممالك بعده، وأخذت التتار البلاد.

قلت: وكانت سلطنة علاء الدين محمد بن تكش في سنة ست وتسعين وخمسمائة عند موت والده السلطان علاء الدين تكش.

قال الموفق عبد اللطيف: كان تكش أعور قميئا كثير اللعب بالملاهي، استدعي من الديوان العزيز لدفع أذى طغريل السلجوقي صاحب همذان، فقتل طغريل وسير برأسه، وتقدم بطلب حقوق السلطنة، فتحركت أمة الخطا إلى بلاده، أو حركت، فألجأته الضرورة أن يرجع - يعني إلى خوارزم - وتولى بعده الأمر ولداه، فكان ابنه محمد شجاعا شهما مغوارا

مقداما، سعد الوجهة غزاء، لا ينشف له لبد، ويقطع المسافات الشاسعة في زمان لا يتوهم العدو أنه يقطعها في أضعافه، وكان هجاما فاتكا غدارا، فأول ما فتك بأخيه، فأحضر رأسه إليه وهو على الطعام فلم يكترث، وكان قليل النوم كثير اليقظة، طويل النصب قصير الراحة، يخدم في الغارات أصحابه، ويهجعون وهو يحرسهم، وثيابه وعدة فرسه لا تبلغ دينارا، لذته في نصبه، وراحته في تعبه، كثير الغنائم والأنفال، سريع التفريق لها والإنفاق. وكان له معرفة ومشاركة للعلماء، وصحب الفخر الرازي قبل الملك، فلما تملك رعى له ذلك، فوسع عليه الدنيا وبسط يده. لكن هذا الملك أفسد رأيه العجب والتيه والثقة بالسلامة، وأوجب له ذلك أن يستبد برأيه، وينكب عن ذكر العواقب جانبا، واستهان بالأعداء، ونسي عواقب الزمان؛ فمن عجبه كان يقول: " محمد ينصر دين محمد ". ثم قطع خطبة بني العباس من مملكته، وترك -[٥١٨]- غزو الكفار، وأخذ يتصدى لعداوة قبلة الإسلام وقلب الشريعة بغداد، وعزم على قصد تفليس ليجعلها سرير ملكه، ويحكم منها على بلاد الروم والأرمن والقفجق، وسائر بلاد العرب والعجم؛ فأفسد الأمور بإساءة التدبير، وقتل نفسه بشدة حرصه وحركته قبل وقته، وأراد أن يتشبه بالإسكندر، وأين الأعمى من المبصر؟! وأين الولي من رجل تركي؟! فإن الإسكندر مع فضله وعدله وإظهاره كلمة التوحيد؛ كان في صحبته ثلاثمائة حكيم، يسمع منهم ويطيع، وكان معلمه أرسطو طاليس نائبه على بلاده، ولا يحل ولا يعقد إلا بمشورته ومراسلته في استخراج رأيه.

كذا قال الموفق، وأخطأ في هذا كغيره، فليس إسكندر صاحب أرسطو طاليس هو الذي قص الله سبحانه قصته في القرآن، فالذي في القرآن رجل مؤمن، وأما الآخر فمشرك يعبد الوثن؛ واسمه إسكندر بن فلبس المقدوني، على دين الحكماء – لا رعاهم الله – ولم يملك الدنيا ولا طافها؛ بل هو من جملة ملوك اليونان.

ثم قال الموفق: وقد علم بالتجربة والقياس أن كل ملك لا يكون قصده إقامة وبسط العدل والعمارة فهو وشيك الزوال؛ فأول ما صنع هذا أنه ظاهر أمة الخطا، فنازلهم بأمة التتر حتى استأصلهم، ولم يبق منهم إلا من دخل تحت طاعته وصار من عسكره. واستخدم سبعة أمراء من أخواله وجعلهم من قلب عسكره وخواصه، ثم انتقل إلى أمة التتر فمحقهم بالسيف، ولم يبق منهم إلا مستسلم في زمرته. وكانت بلاد ما وراء النهر في طاعة الخطا، وملوك بخاري وسمرقند وغيرهما يؤدون الأتاوة إلى الخطا، والخطا يبسطون فيهم العدل. وكانت هذه الأمم سدا بين ترك الصين وبيننا، ففتح هذا الملك بقلة معرفته هذا السد الوثيق. ثم أفسد تلك الممالك والأمصار، وأتى على إخراب البلاد وإفساد القلوب، وإيداعها أصناف الإحن والعداوات، وظن أنه لم يبق فيهم من يقاومه، فانتقل إلى خراسان وسجستان وكرمان ثم العراق وأذربيجان، وطمع في الشام ومصر، وحدثته نفسه بجميع أقطار الأرض. وكان ذلك سهلا عليه قد يسره الله له لو ساعده التوفيق بحسن التدبير وأصالة -[٥١٩]- الرأي والرفق وعدم العسف. وكان يستحضر التجار ويكشف منهم أخبار الممالك النائية، وفي بعض الليالي قال لي ابن يعلى وزير الملك الظاهر غازي: إن السلطان الليلة مهموم؛ لما اتصل به من أخبار خوارزم شاه وطمعه في الشام. فقلت له: هذا سعادة للسلطان ولك ولي. قال: وكيف؟ قلت: هذا ملك واسع الدائرة لا يقدر أن يقيم بالشام، وغرضه القهر والاستيلاء، وسلطاننا فيه ملق وحسن تودد ومداراة، فإذا قرب لاطفه وأتحفه، فإذا استولى على ممالك الشام لم يجد من يستنيبه عليها سواه. قال: وكيف عرفت هذا؟ قلت: من التجار. فلما أصبح قص عليه ما جرى فسري عنه، وأمر أن يحقق ذلك، فاستدعى بتاجر خبير بغدادي وحادثه، فزعم أنه حاضره وبايعه، وذكر من أحواله أنه يبقى أربعة أيام أو نحوها

على ظهر فرسه ولا ينزل، وإنما ينتقل من فرس إلى فرس، ويتضمر، ويطوي البلاد. وأنه ربما أتى البلد الذي يقصده في نفر يسير فيهجمه ثم يصبحه من عسكره عشرة آلاف ويمسيه عشرون ألفا، وفي كثير من الأوقات يأتي المدد وقد قضى الحاجة بنفسه. وفي كثير من الأوقات يبعث البعوث ويأتي أخيرا وقد قضيت الحاجة أولا. وربما هجم البلد في نفر دون المائة فيقضي حاجته، وربما قتل ملك ذلك البلد أو أسره ثم تتدفق جموعه. وقال: إن سرجه ولجامه لا تبلغ قيمتها دانقا، ولا تبلغ قيمة ثيابه دانقين. وحكى أنه في بعض غاراته نزل بأصحابه آخر الليل وكانوا نحو سبعين فارسا، فأمرهم بالهجعة، وأخذ خيلهم يسيرها بعدما استقى من بئر وسقى الجميع، فلما علم أنهم قد أخذوا من النوم بنصيب أيقظ بعضهم وأمرهم بالحراسة، ثم هجع يسيرا، ونهض ونهضوا كالعفاريت وهجموا على المدينة، وقتل ملكها. وسألني الوزير عنه مرة أخرى، فقلت: لا يمكنه أن يدخل الشام؛ لأنه إن أتى بجمع قليل لم ينل غرضا مع شجاعة أهل الشام، والفلاحون يكفونه، وإن أتى بجمع كثير لم تحمله الشام؛ لأن خيلهم تأكل الحشيش، ولا حشيش بالشام، وأما الشعير ففي كل مدينة كفاية دوابها. ثم أخذت أحسب معه ما في حلب من الدواب فبلغت مع التكثير خمسين ألفا، فإذا ورد سبعمائة ألف فرس أخذوا عليق شهر في يوم أو يومين، ثم إنهم ليس لهم صناعة في الحرب سوى المهاجمة، وأخذهم البلاد إنما هو بالرعب والهيبة لا بالعدل والمحبة، وهذه الحال لا تنفع مع شجاعة أهل الشام. وعقيب موت الملك الظاهر -[٥٢٠]- غازي، وصل رسوله إلى حلب، فاحتفل الناس، وخرجت الدولة للقائه، وإذا به رجل صوفي، وخلفه صوفي قد رفع عكازا على رأسه، ومعه اثنان من عسكره ورسول صاحب إربل، فصعد القلعة، وقال بحضرة الأمراء: سلطان السلاطين يسلم عليكم، ويعتب إذ لم تهنئوه بفتح العراق وأذربيجان، وإن عدد عسكره قد بلغ سبعمائة ألف؛ فأحسنوا المعذرة بأن قالوا: نحن في حزن بموت ملكنا وضعف في نفوسنا، وإذا بسطنا فنحن عبيده. وكان كلامه وشكله يشهد بقلة عقل مرسله، ثم توجه إلى الملك العادل بدمشق فقال: سلطان السلاطين يسلم عليك، وقال: تصل الخدمة، فقد ارتضيناك أن تكون مقدم الركاب. فقال: السمع والطاعة؛ ولكن لنا شيخ هو كبيرنا نشاوره، فإذا أمر حضرنا. قال: ومن هو؟ قال: أمير المؤمنين. فانصرف والناس يهزؤون منه.

قال: وسمعنا أنه جعل عز الدين كيكاوس صاحب الروم أمير علم له، والخليفة خطيبا، وكل ملك جعل له خدمة!

وأما الملوك الدين كانوا بحضرته، فكان يذلهم ويهينهم أصنافا من الإهانات؛ فكان إذا ضرب له النوبة يجعل طبول الذهب في أعناق الملوك وهم قيام يضربون، وهذا يدل على اغتراره بدنياه وقلة ثقته بالله تعالى.

ثم إنه وصل همذان وإصبهان، وبث عساكره إلى حلوان وتخوم إربل، وواصله مظفر الدين بالمؤن والأزواد، وخافه أهل بغداد؛ فجمعوا وحشدوا واستعدوا للحصار واللقاء جميعا، ثم إن الله أجراهم على جميل عادته في أن يدافع عنهم؛ وذلك أنه اختلت عليه بلاد ما وراء النهر، فرجع على عقبيه، وقهقر، لا يدري ما خلفه مما بين يديه. وأيضا فإنه لما وصل حلوان نزل عليهم ثلج ونوء عظيم، فقال بعض خواصه: هذا من كرامات بيت النبوة.

ولما أباد أمتي الخطا والتتر وهم أصحاب الجند وتركستان وتنكت ظهرت أمم أخر يسمون التتر أيضا، وهم صنفان: صنف يسكنون طمغاج وما يليها ويسمون الإيوانية، وصنف يسكنون مما يلي الهند وصين الصين بجبل يسمى سنك سلاخ وفيه خرق إلى الهند، ومنه دخل السلطان محمد هذا إلى -[٥٢١]- الهند، فجاءهم من حيث لا يحتسبون، فوقع بين طائفتي التتر، فانهزمت الإيوانية من الطمغاجية إلى أن خالطوا أطراف بخارى وسمرقند، واتصل بهم أن السلطان محمدا بنواحي بغداد،

وأن المسافة بعيدة، فطمعوا في البلاد بخلوها عنه، فأتاه الخبر وهو بهمذان، فارتد على عقبيه حتى قدم بخارى، فجمع وحشد وعزم على لقائهم، وسير ولده جلال الدين بخمسة عشر ألفا وجعلهم كمينا، فنم الخبر إلى الطمغاجية، وملكهم هو جنكزخان فوقعوا على الكمين فطحنوه. وهرب جلال الدين بعد جهد جهيد حتى اتصل بأبيه، فأجمع رأيه على أن يضرب معهم مصافا، فثبتوا عند اللقاء أول يوم، فعجب من ذلك السلطان محمد إذ لم تجر له عادة أن يثبت بين يديه عدو، فلما ثبتوا اليوم الثاني والثالث ضعفت منته ومنة أصحابه، وتغيرت نياتهم، واستشعروا الخوف والخور، ثم وصلت الجواسيس تخبره بأن العدو على نصف عسكره في العدد، فخيل إليه تعس الجد أن في أصحابه مخامرين، فقبض على كبرائهم، فازدادت النيات فسادا، وتوهم أن عسكره قد صفا، فضرب معهم مصافا آخر فتطحطح ووصل بخارى منهزما، ونادى في الناس: استعدوا للحصار ثلاث سنين. فتخلوا عنه، فرأى من الرأي أن يرجع إلى نيسابور ويجمع بها الجيوش، ولم يظن أن الطمغاجية يتعدون جيحون، فأخذوا بخارى في ثمانية أيام وأبادوا أهلها، ثم هجموا خراسان، فأشار عليه وزيره عماد الملك أن يلحق بهمذان، وضمن له أن يجمع له من العساكر والأموال مقدار حاجته، فما وصل الري إلا وطلائعهم على رأسه، فانهزم إلى قلعة برجين وقد نصب، فأقام بها يومين وإذا بهم عليه، فسحب نفسه إلى دربند قارون – موضع في تخوم بارس – ومعه ثلاثمائة فارس عراة ليس فيهم رمق، فلما مضهم الجوع استطعموا من أكراد هناك فلم يحتفلوا بهم، فقالوا: السلطان معنا. فقالوا: ما نعرف السلطان. فلما ألحفوا في المسألة أعطوهم شاتين وقصعتي لبن، فتوزعوها. ثم رجع إلى نهاوند، ومر على أطراف البلاد إلى همذان ثم إلى مازندران؛ وقعقعة رماحهم وسيوفهم قد ملأت مسامعه ومناظره، فنزل ببحيرة هناك بموضع يعرف بآوكرم، فمرض بالإسهال الذريع، وطلب دواء فأعوزه –[٥٢٢]– الخبز، ومات هناك. وذكر أنه حمل في البحر إلى دهستان، وذكر آخرون أنه لما صار في السفينة لم يزل يضرب رأسه بجدرانها إلى أن مات.

وأما ابنه جلال الدين فتقاذفت به البلاد فرمته بالهند، ثم ألقته الهند إلى كرمان، كما يأتي في ترجمته إن شاء الله.

وقال شمس الدين الجزري – أبقاه الله – في " تاريخه ": كان لخوارزم شاه علاء الدين تضرب النوبة في أوقات الصلوات الخمس كعادة الملوك السلجوقية، فلما قصد العراق في سنة أربع عشرة وستمائة تركها تضرب لأولاده جلال الدين وغيره، وجعل لنفسه نوبة ذي القرنين كانت تضرب وقت المطلع والمغيب، فعملها سبعة وعشرين دبدبة من الذهب، ورصعها بالجواهر. ونص يوم اختير لضربها على سبعة وعشرين ملكا من أكابر الملوك وأولاد السلاطين، وقصد التجبر والعظمة. ثم قصد العراق في أربعمائة ألف فوصل إلى همذان، وقيل: كان معه ستمائة جتر، تحت كل جتر ألف فارس. وكان قد أباد الملوك واستحوذ على الأقاليم، ثم قال: هذا ما نقله ابن الأثير وغيره.

قال شمس الدين: وحكى لي تقي الدين أبو بكر بن علي بن كمجون الجزري السفار، سنة نيف وسبعين قال: حدثني ابن عمي شمس الدين محمد التاجر – وكان صاحب الجزيرة يبعث معه إذا سافر إلى العجم هدايا إلى السلطان خوارزم شاه، فكانوا يحترمون ما يبعث به لكونه من بقايا بني أتابك زنكي – قال: فكنت في جيش الملك خوارزم شاه ومعه يومئذ مقدار ستمائة ألف راكب ومعهم أتباع تقاربهم، وتلك البراري تموج بهم كالبحر، فبينما هو في بعض الليالي في المخيم، وإذا بصوت ينادي: " يا كفرة، اقتلوا الفجرة ". فتتبع ذلك الصوت فلم ير أحد إلا طيور طائرة، فلما كان ثاني ليلة سمع ذلك الصوت بعينه ورأى الطيور، فلما كانت الليلة الثالثة سمع ذلك الصوت بعينه، فما سكت إلا وقد دخل إليه خاله، فحذره من الفتك

به – كما ذكرنا. –[٥٢٣]–
قال: وحكى لي الصالح غرس الدين أبو بكر الإربلي قال: كان ابن خالتي من حجاب مظفر الدين صاحب إربل، فحدثني قال: أرسلني مظفر الدين إلى خوارزم شاه رسولا فأكرمني، وأجلسوني فوق رسول الخليفة، وفوق الملوك الذين هم في خدمته، فكان عدة من التقينا من عسكره وممن هو داخل في طاعته ثلاثمائة ألف وخمسين ألفا، وكنا كلما جئنا إلى مكان يقولون: هذا رسول الفقير مظفر الدين. فسألت بعض الوزراء: كم تكون عدة جيش السلطان؟ قال: المدونة ثلاثون تومانا، التومان: عشرة آلاف.

قلت: وكانت دولته إحدى وعشرين سنة.

ثم رأيت سيرته وسيرة ولده لشهاب الدين محمد بن أحمد بن علي النسوي في مجلد، فذكر فيه سعة ممالكه وقهره البلاد والعباد، واستيلائه على خراسان وخوارزم وأطراف العراق ومازندران وكرمان ومكران وكيش وسجستان والغور وغزنة وباميان وما وراء النهر والخطا، وما يقارب أربعمائة مدينة. وذكر من عظمة أمه تركان الخطائية أمورا لم يسمع بمثلها؛ من عظمتها ونفوذ أمرها، وقتلها النفوس، وجبروتها، وأن جنكزخان أسرها؛ ورأت الذل والهوان والجوع.

قال النسوي: ولما رحل من حافة جيحون إلى نيسابور والناس يتسللون لم يقم بها إلا ساعة رعبا تمكن من صدره، وذعرا داخل صميم قلبه، فحكى لي الأمير تاج الدين عمر البسطامي قال: وصل السلطان بسطام، فاستحضرني وأحضر عشرة صناديق، وقال: هذه كلها جوهر، وفي هذين الصندوقين جوهر يساوي خراج الدنيا بأسرها، فأمرني بحملها إلى قلعة أردهن، ففعلت، وأخذت خط متوليها بوصولها مختومة، فحاصر التتار القلعة إلى أن صالحهم متوليها على تسليم الصناديق إليهم بختومها، فحملت إلى جنكزخان. ووصل السلطان إلى أعمال همذان في عشرين ألفا، فلم ترعه إلا صيحة العدو، فقاتلهم بنفسه، وشمل القتل جل أصحابه، ونجا هو في نفر يسير إلى مازندران –[٥٢٤]– حافة البحر، فأقام بقرية هناك يحضر المسجد ويصلي مع إمام القرية، ويبكي، وينذر النذور إن سلم، إلى أن كبسه التتار بها، فبادر إلى مركب فوقعت فيه سهامهم، وخاض خلفه ناس؛ فغرقوا. وحدثني غير واحد ممن كانوا مع السلطان في المركب، قالوا: كنا نسوق المركب، وبالسلطان من علة ذات الجنب ما آيسه من الحياة وهو يظهر الاكتئاب ضجرا، ويقول: لم يبق لنا من ملكنا قدر ذراعين، تحفر فنقبر، فما الدنيا لساكنها بدار. فلما وصل إلى الجزيرة سر بذلك، وأقام بها فريدا طريدا والمرض يزداد. وكان في أهل مازندران ناس يتقربون إليه بالمأكول والمشروب وما يشتهيه، فقال في بعض الأيام: اشتهي أن يكون عندي فرس ترعى حول خيمتي. فلما سمع الملك حسن أهدى له فرسا. ومن قبل كان اختيار الدين أمير آخر السلطان مقدما على ثلاثين ألف فارس يقول: لو شئت لجعلت أصحابي ستين ألفا من غير كلفة، وذلك أنني أستدعي من كل جشار للسلطان في البلاد جوبانا فينيفون على ثلاثين ألفا. فتأمل يا هذا بعد ما بين الحالتين!

ومن حمل إليه في تلك الأيام شيئا من المأكول وغيره كتب له توقيعا بمنصب جليل، وربما كان الرجل يتولى كتابة توقيع نفسه لعدم موقع، فأمضاها بعد ولده جلال الدين. ثم حل به الحمام، وانقضت الأيام، فغسله شمس الدين محمود الجاويش ومقرب الدين الفراش، وما كان عنده كفن، ودفن بالجزيرة.

أذل الملوك وصاد القروم ... وصير كل عزيز ذليلا

وحف الملوك به خاضعين ... وزفوا إليه رعيلا رعيلا

فلما تمكن من أمره ... وصارت له الأرض إلا قليلا

وأوهمه العز أن الزمان ... إذا رامه ارتد عنه كليلا

أتته المنية مغتاظة ... وسلت عليه حساما صقيلا -[٥٢٥]-

فلم تغن عنه حماة الرجال ... ولم يجد فيل عليه فتيلا

كذلك يفعل بالشامتين ... ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا." (١)

"٣٤٤ - أبو مسلم الخراساني، صاحب الدعوة، عبد الرحمن بن مسلم، وقيل: عبد الرحمن بن عثمان بن يسار [الوفاة: ١٣١ - ١٤٠ هـ]

ذكر ابن خلكان أنه كان قصيرا أسمر جميلا حلوا نقي البشرة، أعور العين، عريض الجبهة، حسن اللحية، طويل الشعر والظهر، خافض الصوت، فصيحا بالعربي والفارسي، حلو المنطق، راوية للشعر، عالما بالأمور، لم ير ضاحكا ولا مازحا إلا في وقته، ولا يكاد يقطب في شيء من أحواله، تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور وتنزل به الفادحة فلا يرى مكتئبا، وإذا غضب لم يستفزه الغضب، ولا يأتي النساء إلا مرة في السنة.

ولد سنة مائة من الهجرة، وأول ظهوره بمرو كان في سنة تسع وعشرين، فظهر في خمسين رجلا وآل أمره إلى أن هرب منه نصر بن سيار أمير خراسان، وصفت ممالكها لأبي مسلم في سنتين وأربعة أشهر.

قال محمد بن أحمد بن القواس في " تاريخه ": قدم أبو مسلم، وحفص بن سليمان الخلال على إبراهيم الإمام وهو بالحميمة فأمرهما بالمصير إلى خراسان.

وقد روى أبو مسلم عن عكرمة مرسلا، وعن: ثابت البناني، وأبي الزبير، وإسماعيل السدي، ومحمد بن علي العباسي، وجماعة.

روى عنه: إبراهيم الصائغ، وابن شبرمة، وابن المبارك، وغيرهم.

روى مصعب بن بشر عن أبيه قال: قام رجل إلى أبي مسلم، وهو يخطب فقال: ما هذا السواد؟ قال: حدثني أبو الزبير عن جابر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء، وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة، يا غلام اضرب عنقه.

ويروى أن سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، ولاهز، وقحطبة توجهوا من خراسان إلى الحج سنة أربع وعشرين فدخلوا الكوفة فأتوا عاصم بن يونس وهو في الحبس، فدعاهم إلى ولد العباس ومعه عيسى وإدريس ابنا -[٧٦٧]- معقل حبسهم يوسف بن عمر فيمن حبس من عمال خالد القسري، ومع هذين الأخوين أبو مسلم يخدمهما، فرأوا فيه العلامات فقالوا: من ذا؟ قالوا: غلام من السراجين يخدمنا، وقد كان أبو مسلم سمع الأخوين يتكلمان في هذا الرأي فإذا سمعهما بكى فدعواه

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٥١٥/١٣

إلى القيام بالأمر فأجاب.

قال ابن خلكان: كانا قد حبسا على مال الخراج، وعيسى هو جد الأمير أبي دلف، فكان أبو مسلم يختلف إلى الحبس يتعهدهما، فقدم الكوفة جماعة من نقباء الإمام محمد بن علي فدخلوا يسلمون على الأخوين فرأوا أبا مسلم فأعجبهم عقله وكلامه، ومال هو إليهم، ثم عرف أمرهم ودعوتهم، وهرب الأخوان من الحبس فصحب هو النقباء إلى مكة، ثم أحضروا عشرة آلاف دينار ومائتي ألف درهم إلى إبراهيم بن محمد وقد مات أبوه، وأهدوا له أبا مسلم فأعجب به وقال لهم: هذا عضلة من العضل، فأقام يخدم إبراهيم الإمام، وعاد النقباء إلى خراسان فقال إبراهيم: إني قد جربت هذا وعرفت ظاهر كلامه وباطنه فوجدته حجر الأرض، ثم قلده الأمر ونفذه إلى خراسان.

قال المأمون: أجل الملوك ثلاثة قاموا بنقل الدول: الإسكندر، وأزدشير، وأبو مسلم.

ويروى أن أبا مسلم من ولد بزر جمهر، ولد بأصبهان ونشأ بالكوفة، أوصى به أبوه إلى عيسى السراج فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين، فقال إبراهيم – لما عزم على توجهه إلى خراسان –: غير اسمك وكان اسمه إبراهيم بن عثمان، فقال: قد سميت نفسي أبا مسلم عبد الرحمن بن مسلم، ثم مضى وله ذؤابة، وهو على حمار وله تسع عشرة سنة.

وعن بعضهم قال: كنت أطلب العلم فلا آتي موضعا إلا وجدت أبا مسلم قد سبقني إليه، فألفته فدعاني إلى منزله، ثم لاعبني بالشطرنج، وكان يلهج بهذين البيتين:

ذروني ذروني ما قررت فإني ... متى ما أهج حربا تضيق بكم أرضي

وأبعث في سود الحديد إليكم ... كتائب سودا طالما انتظرت نهضي.

قال علي بن عثام: قال إبراهيم الصائغ: لما رأيت العرب وضيعتها -[٧٦٨]- خفت أن لا تكون لله فيهم حاجة فلما سلط الله عليهم أبا مسلم رجوت أن تكون لله فيهم حاجة.

وقال حسن بن رشيد: سمعت يزيد النحوي يقول: أتاني إبراهيم الصائغ فقال: أما ترى ما يعمل هذا الطاغية إن الناس معه في سعة غيرنا أهل العلم. قلت: لو علمت أنه يصنع بي إحدى الخصلتين لفعلت، إن أمرت ونهيت يقبل منا أو يقتلنا، ولكني أخاف أن يبسط علي العذاب وأنا شيخ كبير لا صبر لي على السياط، فقال الصائغ: لكني لا أنتهي عنه فدخل عليه فأمره ونهاه فقتله.

وقيل: كان أبو مسلم يجتمع بإبراهيم الصائغ، وهو عالم أهل مرو ويعده بإقامة الحق، فلما ظهر بسط يده – يعني في القتل – فدخل عليه فوعظه.

وقد ذكرنا جملة من أخبار أبي مسلم في الحوادث وكيف قتله المنصور، وكان ذلك في سنة سبع وثلاثين بالمدائن.." (١)

"–فصل في حال أبي عبد الله أيام المتوكل

قال حنبل: ولي جعفر المتوكل فأظهر الله السنة وفرج عن الناس، وكان أبو عبد الله يحدثنا ويحدث أصحابه في أيام المتوكل، وسمعته يقول: ما كان الناس إلى الحديث والعلم أحوج منهم في زماننا. ثم إن المتوكل ذكره وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم في

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٧٦٦/٣

إخراجه إليه. فجاء رسول إسحاق إلى أبي عبد الله يأمره بالحضور، فمضى أبو عبد الله ثم رجع فسأله أبي عما دعي له فقال: قرأ علي كتاب جعفر يأمرني بالخروج إلى العسكر. قال: وقال لي إسحاق بن إبراهيم: ما تقول في القرآن؟ فقلت: إن أمير المؤمنين قد نهى عن هذا. فقال: لا تعلم أحدا أني سألتك. فقلت له: مسألة مسترشد أو مسألة متعنت؟ قال: بل مسألة مسترشد. فقلت له: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وقد نهى أمير المؤمنين عن هذا.

وخرج إسحاق إلى العسكر، وقدم ابنه محمد خليفة له ببغداد، ولم يكن عند أبي عبد الله ما يتجمل به وينفقه، وكانت عندي مائة درهم، فأتيت بها أبي، فذهبت بها إليه، فأخذها وأصلح بها ما احتاج إليه، واكترى منها، وخرج ولم يلق محمد بن إسحاق بن إبراهيم، ولا سلم عليه. فكتب بذلك محمد إلى أبيه، فحقدها إسحاق عليه، فقال للمتوكل: يا أمير المؤمنين إن أحمد بن حنبل خرج من بغداد ولم يأت محمدا مولاك. فقال المتوكل: يرد ولو وطئ بساطي. وكان أبو عبد الله قد بلغ بصرى، فوجه إليه رسولا يأمره بالرجوع، فرجع وامتنع من الحديث إلا لولده ولنا. وربما قرأ علينا في منزلنا. ثم إن رافعا رفع إلى المتوكل أن أحمد بن حنبل ربص علويا في منزله، وأنه يريد أن يخرجه ويبايع عليه، ولم يكن عندنا علم، فبينا نحن ذات ليلة نيام في الصيف سمعنا الجلبة، -[١٠٥٠]- ورأينا النيران في دار أبي عبد الله، فأسرعنا، وإذا أبو عبد الله قاعد في إزار، ومظفر ابن الكلبي صاحب الخبر وجماعة معهم. فقرأ صاحب الخبر كتاب المتوكل: ورد على أمير المؤمنين أن عندكم علويا ربصته لتبايع له وتظهره. في كلام طويل، ثم قال له مظفر: ما تقول؟ قال: ما أعرف من هذا شيئا، وإني لأرى له السمع والطاعة في عسري ويسري ومنشطي ومكرهي، وإني لأوثره علي وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار. في كلام كثير غير هذا.

وقال ابن الكلبي: قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلفك. قال: فاحلفه بالطلاق ثلاثا أن ما عنده طلبة أمير المؤمنين. وفتشوا منزل أبي عبد الله والسرب والغرف والسطوح، وفتشوا تابوت الكتب، وفتشوا النساء والمنازل، فلم يروا شيئا ولم يحسوا بشيء، ورد الله الذين كفروا بغيظهم. وكتب بذلك إلى المتوكل، فوقع منه موقعا حسنا، وعلم أن أبا عبد الله مكذوب عليه. وكان الذي دس عليه رجل من أهل البدع، ولم يمت حتى بين الله أمره للمسلمين، وهو ابن الثلجي.

فلما كان بعد أيام بينا نحن جلوس بباب الدار إذا يعقوب أحد حجاب المتوكل قد جاء، فاستأذن على أبي عبد الله، فدخل ودخل أبي وأنا، ومع بعض غلمانه بدرة، على بغل، ومعه كتاب المتوكل، فقرأه على أبي عبد الله: إنه صح عند أمير المؤمنين برآءة ساحتك، وقد وجه إليك بهذا المال تستعين به. فأبى أن يقبله وقال: ما لي إليه حاجة. فقال: يا أبا عبد الله، اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك به؛ فإن هذا خير لك عنده، فاقبله ولا ترده. فإنك إن رددته خفت أن يظن بك ظن سوء. فحينئذ قبلها. فلما خرج قال: يا أبا علي. قلت: لبيك. قال: ارفع هذه الإجانة وضعها، يعني البدرة، تحتها. فوضعتها وخرجنا. فلما كان الليل إذا أم ولد أبي عبد الله تدق علينا الحائط، فقلت لها: ما لك؟ قالت: مولاي يدعو عمه. فأعلمت أبي، وخرجنا فدخلنا على أبي عبد الله، وذلك في جوف الليل. فقال: يا عم، ما أخذني النوم هذه الليلة. فقال له أبي: ولم؟ قال: لهذا المال، وجعل يتوجع لأخذه، وجعل أبي يسكنه ويسهل عليه، وقال: حتى تصبح وترى فيه رأيك، فإن هذا ليل والناس في منازلهم، فأمسك، وخرجنا. فلما كان في السحر وجه إلى عبدوس بن مالك، والحسن بن البزار، فحضرا، -[١٠٥١]- وحضر جماعة؛ منهم: هارون الحمال، وأحمد بن منيع، وابن الدورقي، وأنا، وأبي، وصالح، وعبد الله فجعلنا نكتب من

يذكرونه من أهل العفاف والصلاح ببغداد والكوفة، فوجه منها إلى أبي سعيد الأشج، والى أبي كريب، وإلى من ذكر من أهل العلم والسنة ممن يعلمون أنه محتاج. ففرقها كلها ما بين الخمسين إلى المائة والمائتين، فما بقي في الكيس درهم، ثم تصدق بالكيس على مسكين. فلما كان بعد ذلك مات إسحاق بن إبراهيم وابنه محمد، وولي بغداد عبد الله بن إسحاق، فجاء رسوله إلى أبي عبد الله، فذهب إليه، فقرأ عليه كتاب المتوكل وقال له: يأمرك بالخروج. فقال: أنا شيخ ضعيف عليل. فكتب عبد الله بما رد عليه، فورد جواب الكتاب أن أمير المؤمنين يأمره بالخروج. فوجه عبد الله جنوده، فباتوا على بابنا أياما حتى تهيأ أبو عبد الله للخروج، فخرج وخرج صالح، وعبد الله، وأبو زميلة. قال صالح: كان حمل أبي إلى المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين، ثم عاش إلى سنة إحدى وأربعين، فكان قل يوم يمضي إلا ورسول المتوكل يأتيه.

قال حنبل في حديثه: وقال أبي ارجع. فرجعت، فأخبرني أبي قال: لما دخلنا إلى العسكر إذا نحن بموكب عظيم مقبل، فلما حاذى بنا قالوا: هذا وصيف. وإذا بفارس قد أقبل، فقال لأحمد: الأمير وصيف يقرئك السلام، ويقول لك: إن الله قد أمكنك من عدوك، يعني ابن أبي دؤاد، وأمير المؤمنين يقبل منك، فلا تدع شيئا إلا تكلمت به. فما رد عليه أبو عبد الله شيئا. وجعلت أنا أدعو لأمير المؤمنين، ودعوت لوصيف، ومضينا فأنزلنا في دار إيتاخ، ولم يعلم أبو عبد الله، فسأل بعد ذلك: لمن هذه الدار؟ قالوا: هذه دار إيتاخ. فقال: حولوني، اكتروا لي دارا، فلم نزل حتى اكترينا له دارا. وكانت تأتينا في كل يوم مائدة فيها ألوان يأمر بها المتوكل، والفاكهة والثلج، وغير ذلك. فما نظر إليها أبو عبد الله، ولا ذاق منها شيئا. وكانت نفقة المائدة كل يوم مائة وعشرين درهما. وكان يحيى بن خاقان، وابنه عبيد الله، وعلي بن الجهم يأتون أبا عبد الله ويختلفون إليه برسالة المتوكل. ودامت العلة بأبي عبد الله وضعف ضعفا شديدا. وكان يواصل، فمكث ثمانية أيام لا يأكل ولا يشرب. فلما كان في اليوم الثامن دخلت عليه، وقد كاد أن يطفأ، فقلت: يا أبا عبد الله، ابن -[١٠٥٢]- الزبير كان يواصل سبعة أيام، وهذا لك اليوم ثمانية أيام، قال: إني مطيق. قلت: بحقي عليك، قال: فإني أفعل، فأتيته بسويق فشرب؛ ووجه إليه المتوكل بمال عظيم فرده، فقال له عبيد الله بن يحيى: فان أمير المؤمنين يأمرك أن تدفعها إلى ولدك وأهلك. قال: هم مستغنون فردها عليه. فأخذها عبيد الله فقسمها على ولده وأهله. ثم أجرى المتوكل على أهله وولده أربعة آلاف في كل شهر، فبعث إليه أبو عبد الله: إنهم في كفاية، وليست بهم حاجة. فبعث إليه المتوكل: إنما هذا لولدك، ما لك ولهذا؟ فأمسك أبو عبد الله. فلم يزل يجري علينا حتى مات المتوكل.

وجرى بين أبي عبد الله وبين أبي في ذلك كلام كثير، وقال: يا عم، ما بقي من أعمارنا؟ كأنك بالأمر قد نزل بنا، فالله الله فإن أولادنا إنما يريدون يتأكلون بنا، وإنما هي أيام قلائل، لو كشف للعبد عما قد حجب عنه لعرف ما هو عليه من خير أو شر، صبر قليل وثواب طويل، وإنما هذه فتنة. قال أبي: فقلت: أرجو أن يؤمنك الله مما تحذر. قال: فكيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جوائزهم، لو تركتموها لتركوكم. وقال: ماذا ننتظر؟ إنما هو الموت، فإما إلى جنة وإما إلى نار؛ فطوبى لمن قدم على خير. قال أبي: فقلت له: أليس قد أمرت، ما جاءك من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف نفس أن تأخذه؟ قال: قد أخذت مرة بلا إشراف نفس فالثانية والثالثة؛ فما بال نفسك ألم تستشرف؟ فقلت: ألم يأخذ ابن عمر وابن عباس؟ فقال: ما هذا وذاك؟ وقال: لو أعلم أن هذا المال يؤخذ من وجهه ولا يكون فيه ظلم ولا حيف لم أبال.

قال حنبل: فلما طالت علة أبي عبد الله كان المتوكل يبعث بابن ماسويه المتطبب فيصف له الأدوية، فلا يتعالج، ويدخل

المتطبب على المتوكل فقال: يا أمير المؤمنين، أحمد ليست به علة في بدنه، إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة. فسكت المتوكل. وبلغ أم المتوكل خبر أبي عبد الله، فقالت لابنها: أشتهي أن أرى هذا الرجل. فوجه المتوكل إلى أبي عبد الله يسأله أن يدخل على ابنه المعتز ويسلم عليه ويدعو له ويجعله في حجره. فامتنع أبو عبد الله من ذلك، ثم أجاب رجاء أن يطلق وينحدر إلى بغداد. فوجه إليه المتوكل خلعة، وأتوه بدابة يركبها إلى المعتز، فامتنع، وكانت عليها ميثرة نمور. فقدم إليه بغل لرجل من التجار فركبه، وجلس المتوكل مع أمه في مجلس من المكان، وعلى المجلس ستر رقيق، فدخل أبو عبد الله على المعتز، ونظر إليه المتوكل وأمه، -[١٠٥٣]- فلما رأته قالت: يا بني، الله الله في هذا الرجل، فليس هذا ممن يريد ما عندكم، ولا المصلحة أن تحبسه عن منزله، فأذن له فليذهب. فدخل أبو عبد الله على المعتز فقال: السلام عليكم، وجلس ولم يسلم عليه بالإمرة. قال: فسمعت أبا عبد الله بعد ذلك ببغداد يقول: لما دخلت عليه وجلست قال مؤدب الصبي: أصلح الله الأمير، هذا الذي أمره أمير المؤمنين يؤدبك ويعلمك؟ فرد عليه الغلام وقال: إن علمني شيئا تعلمته. قال أبو عبد الله: فعجبت من ذكائه وجوابه على صغره، وكان صغيرا. قال: ودامت علة أبي عبد الله وبلغ الخليفة ما هو فيه، وكلمه يحيى بن خاقان أيضا وأخبره أنه رجل لا يريد الدنيا. فأذن له في الانصراف. فجاء عبيد الله بن يحيى وقت العصر فقال: إن أمير المؤمنين قد أذن لك، وأمر أن تفرش لك حراقة تنحدر فيها. فقال أبو عبد الله: اطلبوا لي زورقا فأنحدر فيه الساعة، فطلبوا له زورقا فانحدر فيه من ساعته.

قال حنبل: فما علمنا بقدومه حتى قيل لي: إنه قد وافى، فاستقبلته بناحية القطيعة، وقد خرج من الزورق، فمشيت معه فقال لي: تقدم لا يراك الناس فيعرفوني. فتقدمت بين يديه حتى وصل إلى المنزل، فلما دخل ألقى نفسه على قفاه من التعب والعناء. وكان في حياته ربما استعار الشيء من منزلنا ومنزل ولده. فلما صار إلينا من مال السلطان ما صار امتنع من ذلك، حتى لقد وصف له في علته قرعة تشوى ويؤخذ ماؤها. فلما جاءوا بالقرعة قال بعض من حضر: اجعلوها في تنور، يعني في دار صالح، فإنهم قد خبزوا. فقال بيده: لا. ومثل هذا كثير.

وقد ذكر صالح بن أحمد قصة خروج أبيه إلى العسكر ورجوعه، وتفتيش بيوتهم على العلوي، ثم ورود يعقوب قرقرة ومعه العشرة آلاف، وأن بعضها كان مائتي دينار والباقي دراهم، قال: فجئت بأجانة خضراء، فأكببتها على البدرة، فلما كان عند المغرب قال: يا صالح خذ هذا صيره عندك. فصيرته عند رأسي فوق البيت. فلما كان سحر إذا هو ينادي: يا صالح. فقمت وصعدت إليه، فقال: ما نمت. قلت: لم يا أبه؟ فجعل يبكي وقال: سلمت من هؤلاء، حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم. وقد عزمت عليك أن تفرق هذا الشيء إذا أصبحت، فقلت: ذاك إليك. فلما أصبح جاءه الحسن ابن البزار فقال: -[١٠٥٤]- جئني يا صالح بميزان. وجهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار. ثم قال: وجه إلى فلان حتى يفرق في ناحيته، وإلى فلان، حتى فرقها كلها، ونحن في حالة الله بها عليم، فجاءني ابن لي فقال: يا أبه أعطني درهما. فأخرجت قطعة فأعطيته. فكتب صاحب البريد: إنه تصدق بالدراهم في يومه، حتى تصدق بالكيس.

قال علي بن الجهم: فقلت: يا أمير المؤمنين قد تصدق بها. وعلم الناس أنه قد قبل منك. ما يصنع أحمد بالمال وإنما قوته رغيف؟! قال: فقال لي: صدقت يا علي.

قال صالح: ثم أخرج أبي ليلا، ومعنا حراس معهم النفاطات، فلما أصبح وأضاء الفجر قال لي: صالح معك دراهم؟ قلت:

نعم. قال: أعطهم. فلما أصبحنا جعل يعقوب يسير معه، فقال له: يا أبا عبد الله، ابن الثلجي بلغني أنه كان يذكرك. فقال له: يا أبا يوسف سل الله العافية. فقال له: يا أبا عبد الله تريد أن نؤدي عنك رسالة إلى أمير المؤمنين؟ فسكت. فقال: إن عبد الله بن إسحاق أخبرني أن الوابصي قال له: إني أشهد عليه أنه قال: إن أحمد يعبد ماني. فقال: يا أبا يوسف يكفي الله. فغضب يعقوب والتفت إلي فقال: ما رأيت أعجب مما نحن فيه، أسأله أن يطلق لي كلمة أخبر أمير المؤمنين، فلا يفعل. قال: ووجه يعقوب إلى المتوكل بما عمل، ودخلنا العسكر وأبي منكس الرأس، ورأسه مغطى، فقال له يعقوب: اكشف رأسك يا أبا عبد الله، فكشفه. ثم جاء وصيف يريد الدار، ووجه إليه بعدما جاز بيحيى بن هرثمة فقال: يقرئك أمير المؤمنين السلام ويقول: الحمد لله الذي لم يشمت بك أهل البدع. قد علمت ما كان من حال ابن أبي دؤاد، فينبغي أن تتكلم بما يجب لله. ومضى يحيى وأنزل أبي دار إيتاخ، فجاء علي بن الجهم وقال: قد أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف مكان تلك التي فرقها، وأمر أن لا يعلم شيخكم بذلك فيغتم. ثم جاءه محمد بن معاوية فقال: إن أمير المؤمنين يكثر من ذكرك ويقول: تقيم هاهنا تحدث. فقال: أنا ضعيف. ثم صار إليه يحيى بن خاقان فقال: يا أبا عبد الله قد أمر أمير المؤمنين أن أصير إليك لتركب إلى ابنه أبي عبد الله، يعني المعتز. ثم قال لي: قد أمرني أمير المؤمنين، يجرى عليكم وعلى قراباتكم أربعة آلاف درهم، تفرقها عليهم. -[١٠٥٥]-

ثم عاد يحيى من الغد فقال: يا أبا عبد الله تركب؟ فقال: ذاك إليكم. ولبس إزاره وخفه. وكان خفه له عنده نحو من خمسة عشر عاما، قد رقع برقاع عدة. فأشار يحيى أن يلبس قلنسوة. قلت: ما له قلنسوة. إلى أن قال: فدخل دار المعتز، وكان قاعدا على دكان في الدار، فلما صعد الدكان قعد فقال له يحيى: يا أبا عبد الله إن أمير المؤمنين جاء بك ليسر بقربك، ويصير أبا عبد الله ابنه في حجرك. فأخبرني بعض الخدم أن المتوكل كان قاعدا وراء ستر. فلما دخل أبي الدار قال لأمه: يا أمه قد نارت الدار. ثم جاء خادم بمنديل، فأخذ يحيى المنديل، وذكر قصة في إلباسه القميص والطيلسان والقلنسوة وهو لا يحرك يده. ثم انصرف. وكانوا قد تحدثوا أنه يخلع عليه سوادا. فلما صار إلى الدار نزع الثياب، ثم جعل يبكي وقال: سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة، حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم. ما أحسبني سلمت من دخولي على هذا الغلام، فكيف بمن يجب علي نصحه من وقت تقع عيني عليه، إلى أن أخرج من عنده. يا صالح وجه بهذه الثياب إلى بغداد تباع ويتصدق بثمنها، ولا يشتري أحد منكم منها شيئا. فوجهت بها إلى يعقوب بن بختان، فباعها وفرق ثمنها، وبقيت عندي القلنسوة. قال: ومكث خمسة عشر يوما يفطر في كل ثلاثة على ثمن سويق، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلة على رغيف، وليلة لا يفطر. وكان إذا جيء بالمائدة توضع بالدهليز لئلا يراها، فيأكل من حضر. فكان إذا أجهده الحر بل خرقة فيضعها على صدره. وفي كل يوم يوجه إليه بابن ماسويه فينظر إليه ويقول: يا أبا عبد الله أنا أميل إليك وإلى أصحابك، وما بك علة إلا الضعف وقلة الرز. إلى أن قال: وجعل يعقوب وغياث يصيران إليه ويقولان له: يقول لك أمير المؤمنين: ما تقول في ابن أبي دؤاد وفي ماله؟ فلا يجيب في ذلك بشيء. وجعل يعقوب ويحيى يخبرانه بما يحدث في أمر ابن أبي دؤاد في كل يوم، ثم أحدر إلى بغداد بعدما أشهد عليه ببيع ضياعه. وكان ربما صار إليه يحيى بن خاقان وهو يصلي، فيجلس في الدهليز حتى يفرغ.

وأمر المتوكل أن تشترى لنا دار فقال: يا صالح، قلت: لبيك. قال: لئن أقررت لهم بشراء دار لتكونن القطيعة بيني وبينكم. إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لي مأوى ومسكنا. فلم يزل يدفع بشراء الدار حتى اندفع. وجعلت رسل -[١٠٥٦]-

المتوكل تأتيه يسألونه عن خبره، ويصيرون إليه فيقولون: هو ضعيف. وفي خلال ذلك يقولون: يا أبا عبد الله لا بد من أن يراك.

وجاءه يعقوب فقال: يا أبا عبد الله، أمير المؤمنين مشتاق إليك ويقول: أنظر يوما تصير فيه أي يوم هو حتى أعرفه. فقال: ذاك إليكم. فقال: يوم الأربعاء يوم خال. وخرج يعقوب، فلما كان من الغد جاء فقال: البشرى يا أبا عبد الله، أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: قد أعفيتك عن لبس السواد والركوب إلى ولاة العهود وإلى الدار. فإن شئت فالبس القطن، وإن شئت فالبس الصوف. فجعل يحمد الله على ذلك. ثم قال يعقوب: إن لي ابنا وأنا به معجب، وإن له من قلبي موقعا، فأحب أن تحدثه بأحاديث. فسكت، فلما خرج قال: أتراه لا يرى ما أنا فيه؟! وكان يختم من جمعة إلى جمعة. فإذا ختم دعا فيدعو ونؤمن، فلما كان غداة الجمعة وجه إلي والى أخي، فلما ختم جعل يدعو ونحن نؤمن، فلما فرغ جعل يقول: أستخير الله، مرات. فجعلت أقول ما يريد. ثم قال: إني أعطي الله عهدا، إن عهده كان مسؤولا. وقال الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ إني لا أحدث حديث تمام أبدا حتى ألقى الله، ولا أستثني منكم أحدا. فخرجنا وجاء علي بن الجهم، فأخبرناه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وأخبر المتوكل بذلك وقال: إنما يريدون أحدث ويكون هذا البلد حبسي. وإنما كان سبب الذين أقاموا بهذا البلد لما أعطوا فقبلوا وأمروا فحدثوا. وجعل أبي يقول: والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان، وإني لأتمنى الموت في هذا، وذلك لأن هذا فتنة الدنيا، وذاك كان فتنة الدين، ثم جعل يضم أصابعه ويقول: لو كان نفسي في يدي لأرسلتها. ثم يفتح أصابعه. وكان المتوكل يوجه في كل وقت يسأله عن حاله، وكان في خلال ذلك يأمر لنا بالمال ويقول: يوصل إليهم، ولا يعلم شيخهم فيغتم. ما يريد منهم؟ إن كان هو لا يريد الدنيا، فلم يمنعهم؟ وقالوا للمتوكل: إنه لا يأكل من طعامك، ولا يجلس على فراشك، ويحرم الذي تشرب. فقال لهم: لو نشر لي المعتصم وقال فيه شيئا لم أقبل منه.

قال صالح: ثم انحدرت إلى بغداد، وخلفت عبد الله عنده، فإذا عبد الله قد قدم، وجاء بثيابي التي كانت عنده. فقلت: ما جاء بك؟ فقال: قال لي: انحدر، وقل لصالح لا يخرج، فأنتم كنتم آفتي. والله لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أخرجت واحدا منكم معي. لولاكم لمن كانت توضع هذه -[١٠٥٧]- المائدة؟ ولمن كان تفرش هذه الفرش وتجرى الإجراء؟ فكتبت إليه أعلمه ما قال لي عبد الله، فكتب إلي بخطه: أحسن الله عاقبتك، ودفع عنك كل مكروه ومحذور، الذي حملني على الكتاب إليك الذي قلت لعبد الله: لا يأتيني منكم أحد رجاء أن ينقطع ذكري ويخمل. إذا كنتم هاهنا فشا ذكري. وكان يجتمع إليكم قوم ينقلون أخبارنا، ولم يكن إلا خير. فإن أقمت فلم تأتني أنت ولا أخوك فهو رضائي، ولا تجعل في نفسك إلا خيرا، والسلام عليك ورحمة الله.

قال: ولما خرجنا من العسكر رفعت المائدة والفرش وكل ما أقيم لنا.

ثم ذكر صالح كتاب وصيته ثم قال: وبعث إليه المتوكل بألف دينار ليقسمها، فجاءه علي بن الجهم في جوف الليل، فأخبره بأنه يهيئ له حراقة لينحدر فيها. ثم جاء عبيد الله ومعه ألف دينار، فقال: إن أمير المؤمنين قد أذن لك، وقد أمر لك بهذه، فقال: قد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره، فردها. وقال: أنا رقيق على البرد، والظهر أرفق بي. فكتب له جواز، وكتب إلى محمد بن عبد الله في بره وتعاهده، فقدم علينا. ثم قال بعد قليل: يا صالح. قلت: لبيك. قال: أحب أن تدع هذا الرزق، فإنما تأخذونه بسببي. فسكت، فقال: ما لك؟ فقلت: أكره أن أعطيك شيئا بلساني وأخالف إلى غيره، وليس في القوم

أكثر عيالا مني ولا أعذر. وقد كنت أشكو إليك وتقول: أمرك منعقد بأمري، ولعل الله أن يحل عني هذه العقدة. وقد كنت تدعو لي، فأرجو أن يكون الله قد استجاب لك. فقال: والله لا تفعل. فقلت: لا. فقال: لم فعل الله بك وفعل؟

ثم ذكر قصة في دخول عبد الله عليه، وقوله له وجوابه له، ثم دخول عمه عليه وإنكاره الأخذ، إلى أن قال: فهجرنا وسد الباب بيننا وبينه، وتحامي منازلنا أن يدخل منا إلى منزله شيء. ثم أخبر بأخذ عمه فقال: نافقتني، وكذبتني. ثم هجره وترك الصلاة في المسجد، وخرج إلى مسجد خارج يصلي فيه.

ثم ذكر قصة دعائه صالحا ومعاتبته في ذلك، ثم في كتبته إلى يحيى بن خاقان ليترك معونة أولاده، وبلوغ الخبر إلى المتوكل، فأمر بحمل ما اجتمع لهم في عشرة أشهر، وهو أربعون ألف درهم إليهم. وإنه أخبر بذلك، فسكت -[١٠٥٨]- قليلا وضرب بذقنه على صدره، ثم رفع رأسه وقال: ما حيلتي إن أردت أمرا وأراد الله أمرا؟!

قال أبو الفضل صالح: وكان رسول المتوكل يأتي أبي يبلغه السلام، ويسأله عن حاله، فتأخذه نفضة حتى ندثره، ثم يقول: والله، لو أن نفسي في يدي لأرسلتها. وجاء رسول المتوكل إلى أبي يقول: لو سلم أحد من الناس سلمت. رفع رجل إلي أن علويا قدم من خراسان، وأنك وجهت إليه من يلقاه، وقد حبست الرجل وأردت ضربه فكرهت أن تغتم فمر فيه. قال: هذا باطل، يخلى سبيله.

ثم ذكر قصة في قدوم المتوكل بغداد، وإشارته على صالح بأن لا يذهب إليهم، ثم في مجيء يحيى بن خاقان من عند المتوكل، وما كان من احترامه ومجيئه بألف دينار ليفرقها، وقوله: قد أعفاني أمير المؤمنين من كل ما أكره. وفي توجيه محمد بن عبد الله بن طاهر ليحضره وامتناعه من حضوره وقوله: أنا رجل لم أخالط السلطان، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره. وهذا مما أكره. قال: وكان قد أدمن الصوم لما قدم، وجعل لا يأكل الدسم. وكان قبل ذلك يشترى له الشحم بدرهم، فيأكل منه شهرا، فترك أكل الشحم وأدمن الصوم والعمل، فتوهمت أنه قد كان جعل على نفسه إن سلم أن يفعل ذلك.

وقال الخلال أبو بكر: حدثني محمد بن الحسين أن أبا بكر المروذي حدثهم قال: كان أبو عبد الله بالعسكر يقول: أنظر هل تجد لي ماء الباقلاء، فكنت ربما بللت خبزه بالماء فيأكله بالملح. ومنذ دخلنا العسكر إلى أن خرجنا ما ذاق طبيخا ولا دسما.

وعن المروذي قال: أنبهني أبو عبد الله ذات ليلة وكان قد واصل، فإذا هو قاعد فقال: هو ذا يدار بي من الجوع، فأطعمني شيئا، فجئته بأقل من رغيف، فأكله وقال: لولا أني أخاف العون على نفسي ما أكلت. وكان يقوم من فراشه إلى المخرج، فيقعد يستريح من الضعف من الجوع حتى أن كنت لأبل الخرقة فيلقها على وجهه لترجع إليه نفسه، حتى أوصى من الضعف من غير مرض، فسمعته يقول عند وصيته ونحن بالعسكر، وأشهد على وصيته: هذا ما أوصى به أحمد بن محمد، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا -[١٠٥٩]- شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وذكر ما يأتي.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يوما، ما ذاق شيئا إلا مقدار ربع سويق، ورأيت ماقي عينيه قد دخلا في حدقتيه.

وقال صالح بن أحمد: وأوصى أبي بالعسكر هذه الوصية:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل: أوصي أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين، ويحمدوه في الحامدين، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين. وأوصي أني قد رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا. وأوصي أن لعبد الله بن محمد المعروف بفوران علي نحوا من خمسين دينارا، وهو مصدق فيما قال، فيقضى ما له علي من غلة الدار إن شاء الله، فإذا استوفى أعطي ولد صالح وعبد الله ابني أحمد بن محمد بن حنبل، كل ذكر وأنثى عشرة دراهم بعد وفاء مال أبي محمد. شهد أبو يوسف، وصالح، وعبد الله ابنا أحمد.

أنبئت عمن سمع أبا علي الحداد، قال: أخبرنا أبو نعيم في الحلية، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كتب عبيد الله ابن يحيى إلى أبي يخبره أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن، لا مسألة امتحان، ولكن مسألة معرفة وتبصرة. فأملى علي أبي رحمه الله إلى عبيد الله بن يحيى وحدي ما معي أحد:

بسم الله الرحمن الرحيم، أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته. قد كتبت إليك رضي الله عنك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن بما حضرني. وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين، فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه، حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين، فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المجالس، فصرف الله ذلك كله وذهب به بأمير المؤمنين، ووقع ذلك من المسلمين موقعا عظيما، -[١٠٦٠]- ودعوا الله لأمير المؤمنين وأن يزيد في نيته، وأن يعينه على ما هو عليه. فقد ذكر عن عبد الله بن عباس أنه قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم. وذكر عن عبد الله بن عمرو أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبي صلى الله عليه وسلم. فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج كأنما فقئ في وجهه حب الرمان فقال: " «أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا. إنكم لستم مما هاهنا في شيء. انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، وانظروا الذي نهيتم عنه، فانتهوا عنه.» ".

وروي عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مراء في القرآن كفر».

وروي عن أبي جهيم، رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " «لا تماروا في القرآن، فإن مراء فيه كفر». ".

وقال ابن عباس: قدم على عمر بن الخطاب رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقال ابن عباس: فقلت: والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة. قال: فزبرني عمر وقال: مه. فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا، فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال: أجب أمير المؤمنين. فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني، فأخذ بيدي، فخلا بي وقال: ما الذي كرهت؟ قلت: يا أمير المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقوا، ومتى ما يحتقوا يختصموا، ومتى ما يختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا. قال: لله أبوك، والله إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها.

وروي عن جابر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف -[١٠٦١]- فيقول: " «هل من

رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي.» ".

وروي عن جبير بن نفير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه، يعني القرآن.».

وروي عن ابن مسعود أنه قال: جردوا القرآن؛ لا تكتبوا فيه شيئا إلا كلام الله عز وجل.

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: إن هذا القرآن كلام الله، فضعوه مواضعه.

وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد، إني إذا قرأت كتاب الله وتدبرته كدت أن آيس، وينقطع رجائي. فقال: إن القرآن كلام الله، وأعمال ابن آدم إلى الضعف والتقصير، فاعمل وأبشر.

وقال فروة بن نوفل الأشجعي: كنت جارا لخباب، وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فخرجت معه يوما من المسجد وهو آخذ بيدي فقال: يا هناه، تقرب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه.

وقال رجل للحكم بن عتيبة: ما حمل أهل الأهواء على هذا؟ قال: الخصومات.

وقال معاوية بن قرة – وكان أبوه ممن أتى النبي صلى الله عليه وسلم –: إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال.

وقال أبو قلابة – وكان قد أدرك غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم –: لا –[١٠٦٢]– تجالسوا أهل الأهواء، أو قال: أصحاب الخصومات، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية؟ قال: لا، لتقومان عني أو لأقومنه. فقاما. فقال بعض القوم: يا أبا بكر، وما عليك أن يقرأ عليك آية؟ قال: إني خشيت أن يقرأ علي آية فيحرفانها، فيقر ذلك في قلبي، ولو أعلم أني أكون مثلي الساعة لتركتهما.

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السختياني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة، فولى وهو يقول بيده: لا، ولا نصف كلمة.

وقال ابن طاوس لابن له يكلمه رجل من أهل البدع: يا بني، أدخل إصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع ما يقول. ثم قال: اشدد اشدد.

وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل.

وقال إبراهيم النخعي: إن القوم لم يدخر عنهم شيء خبئ لكم لفضل عندكم.

وكان الحسن يقول: شر داء خالط قلبا، يعني: الأهواء.

وقال حذيفة بن اليمان: اتقوا الله، وخذوا طريق من كان قبلكم، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا، أو قال: مبينا.

قال أبي: وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي قد حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين. لولا ذاك ذكرتها بأسانيدها. وقد قال الله تعالى: " ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله.﴾ [التوبة ٦] وقال: ﴿" ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف ٥٤]، فأخبر بالخلق. ثم قال: " والأمر " فأخبر أن الأمر غير الخلق. وقال عز وجل: " ﴿الرحمن﴾ ﴿علم القرآن﴾ ﴿خلق الإنسان﴾ ﴿علمه البيان﴾ [الرحمن]، فأخبر أن القرآن من علمه. وقال تعالى: " ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من

العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾ [البقرة]، وقال: " ﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك لمن الظالمين﴾ [البقرة].
وقال تعالى: -[١٠٦٣]- ﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق﴾ [الرعد]. فالقرآن من علم الله. وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه هو القرآن، لقوله: " ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم﴾ [البقرة ١٢٠].
وقد روي عن غير واحد ممن مضى من السلف أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق. وهو الذي أذهب إليه. لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله، أو في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أصحابه، أو عن التابعين. فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود.
قلت: رواة هذه الرسالة عن أحمد أئمة أثبات، أشهد بالله أنه أملاها على ولده. وأما غيرها من الرسائل المنسوبة إليه كرسالة الإصطخري ففيها نظر. والله أعلم.." (١)

"٢١٣ - خالد بن يزيد، أبو الهيثم التميمي الكاتب. [الوفاة: ٢٦١ - ٢٧٠ هـ]

أحد الشعراء البلغاء.

توفي ببغداد، وقد شاخ وهرم.

أصله من خراسان.

حدث جحظة، قال: حدثني خالد الكاتب، قال: أدخلت على إبراهيم ابن المهدي وأنا غلام، فقال: أنت خالد؟ قلت: نعم. قال: أنشدني شيئا.

قلت: أعز الله الأمير، أنا حدث أمزح، لا أهجو ولا أمدح، فإن رأى الأمير أن يعفيني. قال: والله لتقولن، فإن الذي تقوله في شجون نفسك أشد لدواعي البلاء. فأنشدته: -[٣٢٤]-

رأت منه عيني منظرين كما رأت ... من البدر والشمس المنيرة بالأرض

عشية حياني بورد كأنه ... خدود أضيفت بعضهن إلى بعض

وناولني كأسا كأن رضابها ... دموعي لما صد عن مقلتي غمضي

وولى وفعل السكر في حركاته ... من الراح فعل الريح في الغصن الغض.

قال: فزحف. وقال: يا بني الناس شبهوا الخدود بالورد، وأنت شبهت الورد بالخدود. زدني.

فأنشدته:

عش فحبيك سريعا قاتلي ... والضنى إن لم تصلني واصلي

ظفر الحب بقلب دنف ... فيك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وبلى ... تركاني كالقضيب الذابل

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٥/١٠٤٩

وبكى العاذل لي من رحمة ... فبكائي لبكاء العاذل.

قال: أحسنت. ووصلني بثلاثمائة وخمسين دينارا.

وعن أبي العيناء قال: لقيت خالدا الكاتب والصبيان يعبثون به، فأخذته وأطعمته، فأنشدني:

ومؤنس كان لي وكنت له ... يرتع في دولة من الدول

حتى إذا ما الزمان غيره ... عني بقول الوشاة والعذل

قلت له عن مقالة سبقت ... يا منتهى غايتي ويا أملي

كنت صديقا فصرت معرفة ... بدلني الله شر مبتدل.

وأنشدني أيضا:

بالوجنتين اللتين كالسرج ... والحاجبين اللذين كالسبج

والمقلتين التي لحاظهما ... سفاكة للنفوس والمهج

ألا ذللت الذي يتيمه ... حبك يا واحدي على الفرج.

ولخالد:

عذبني بالدلال والتيه ... وصد عني فكيف أرضيه؟

ظبي من التيه لا يكلمني ... سبحان من صاغ حسنه في فيه

الشمس من وجنتيه طالعة ... والبدر فوق الجبين يحكيه -[٣٢٥]-

يا حسن الوجه جد لكئيب ... بقبلة منك كي أهنيه.

وهو صاحب هذه الكلمة البديعة:

رقدت ولم ترث للساهر ... وليل المحب بلا آخر

ولم تدر بعد ذهاب الرقا ... د ما فعل الدمع بالناظر

أيا من تعبدني حسنه ... أجرني من طرفك الجائر

وجد للفؤاد فداك الفؤا ... د من طرفك الفاتن الفاتر.

وعن خالد الكاتب قال: طرق بابي بعد العتمة، فخرجت فإذا رجل على حمار مغطى الرأس معه خادم، فقال: أنت الذي تقول:

ليت ما أصبح من رق ... ـة خديك بقلبك.

قلت: نعم.

قال: فأنت الذي تقول:

أقول للسقم عد إلى بدني ... حبا لشيء يكون من سببك.

قلت: نعم.

قال: وأنت الذي تقول:

ترشفت من شفتيه العقارا ... وقبلت من خده الجلنارا.

قلت: نعم.

قال: يا غلام ادفع إليه ما معك.

فدفع إلي صرة فيها ثلاثمائة دينار.

قلت: والله لا أقبلها حتى أعرفك.

قال: أنا إبراهيم ابن المهدي.

وقد وسوس خالد وكبر، وكان يركب قصبة.

قال بعضهم: فلقد رأيته والصبيان يتبعونه ويقولون: يا بارد.

ويقولون: ما الذي صار بك إلى هذا؟ فيقول:

الهموم والسهر ... والسهاد والفكر

سلطت على جسد ... فيه للهموم أثر

لا ومن كلفت به ... ما يطيق ذا بشر.

وشعره هكذا بديع سائر.." (١)

"الخطاب.

وعنها: ابن ابنها طلحة بن يحيى بن طلحة، ومحمد بن عمران الطلحي، وابنها يحيى بن طلحة.

قال الحسين بن إسماعيل المحاملي: ثنا هارون بن إسحاق الهمداني: ثنا محمد بن عبد الوهاب القناد، عن مسعر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن يحيى بن طلحة، عن أمه سعدى [٢٢٦ - أ] قالت: مر عمر بطلحة بعد وفاة رسول الله فقال: مالك مكتئبا أساءتك إمرة ابن عمك؟ قال: لا ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا كان نورا لصحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت» فقال: أنا أعلمها هي التي أراد عليها عمه، ولو علم أن شيئا أنجى له منها لأمره به.

ولها حديث آخر تقدم في ترجمة أبي بكر بن عبد الله بن الزبير عنها، أو عن أسماء بنت أبي بكر بالشك.

٢٧١٩ - (ت) سلمى (١) البكرية، من بكر بن وائل مولاة لهم.

عن: عائشة، وأم سلمة.

وعنها: رزين بن الجهني ويقال: البكري، وقد تقدم حديثها في ترجمته.

٢٧٢٠ - (د ت ق) سلمى (٢) أم رافع، مولاة النبي صلى الله عليه وسلم وخادمه،

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، شمس الدين ٣٢٣/٦

(١) «تهذيب الكمال»: (٣٥/ ١٩٦).

(٢) «تهذيب الكمال»: (٣٥/ ١٩٦).." (١)

"ستعثر بالذله ... وتقنع بالقله

فقلت سيكفيني أن أصبر للهون ... وأقنع بالدون ولو أن تمنيني

مواعيد معتله ... أداري بها غله

فقالت لكي تصبي وتقدح في قلبي ... تعرّض بالحب لمكتئب صب

كن هو أنت الغله ... ترى ستري ذله

من لقلبي بإدراك الوصال

وهو من أوجاله في اتصال

أي قلب بجوا الحب صال

قلق مما به من وجيب ... مذيب للمشوق الكئيب

والذي أهواه سالي الفؤاد

ليس يدري بلذيذ الرقاد

ما أقاسي من اليم السهاد

أي ظبي ناظر كالمريب ... ربيب ليس بالمنيب

ولمدحي في ابن عبد العزيز

شرف عال بلفظ وجيز

غاية المدرك حسب المجيز

هاك خذها تحفة من أديب ... أريب المعاني مصيب." (٢)

"صادقتهم وأرى الحرو ... ج من الصداقة يعسر

كالخط يسهل في الطرو ... س ومحوه يتعذر

ومتى أردت كشطته ... لكن ذاك يؤثر

ومنه:

إذا فات الفتى شيئان أضحى ... بعيدا من ممازحة القلوب

جمال الوجه أو مال عظيم ... يزين في حضور أو مغيب

---

(١) التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، ابن كثير ٤/ ٢٥٤

(٢) جيش التوشيح، لسان الدين بن الخطيب ص/١٧٨

فكثر المال يشفع في المثاوي ... وحسن الوجه يشفع في الذنوب

ومنه:

إن الغني ترضى معيشته ... لا من يظل على ما أفات مكتئبا

لا تحقرن من الأيام محتقرا ... كل امرئ سوف يجزى بالذي كسبا

قد يحقر المرء ما يهوى فيتركه ... حتى يكون إلى توريطه سببا

إن العدو وإن أبدى مكاشرة ... إذا رأى منك يوما فرصة وثبا

إذا وترت امرأ فاحذر مغبته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

ومنه:

أتعبت نفسك بين ذلة كادح ... طلب الحياة وبين حرص مؤمل

ونثرت دهرك لا خلاعه ماجن ... حصلت فيه ولا وقار مبجل

وأضعت حظ النفس في الدنيا وفي ال ... أخرى ورحت عن الجميع بمعزل

ومنه:

أهل المناصب في الدنيا ورفعتها ... أهل الفضائل مقورون بينهم

قد أنزلونا لأنا غير جنسهم ... منازل الوحش في الإهمال عندهم

فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم ... مقدارهم عندهم أولو دروه هم

لهم مريحان من جهل وفرط غنى ... وعندنا المتعبان العلم والعدم." (١)

"وما اكتأبت نفس فدام اكتئابها ... ولا ابتهجت نفس فدام ابتهاجها

ودخل أعرابي عمر مائة وعشرين سنة على معاوية رضي الله عنه، فقال له: صف لنا الدنيا، فقال: سنيات بلاء وسنيات رخاء، يولد مولود ويهلك هالك ولولا المولود باد الخلق، ولولا الهالك ضاقت الأرض.

الدنيا غرارة

قال بعضهم: هذه الدنيا قحبة يوما عند عطار، ويوما عند بيطار. . .

وقال المتنبي:

فذي الدار أخون من مومس ... وأخدع من كفة الحابل

تفانى الرجال على حبها ... وما يحصلون على طائل

الحابل: الصائد ذو الحبالة، وهي الشرك، والطائل: ما كان له قدر. يقول المتنبي: إن هذه الدنيا فاجرة خوانة لبنيها كالمومس تخلف من وثق بها، وهي كذلك أخدع من حبالة الصائد تصرع من اطمأن إليها، ثم قال في البيت الثاني: تفانى الناس على

---

(١) الفلاكة والمفلوكون، الدلجي، أحمد بن علي ص/١٣٥

حبها ومع ذلك لم يحصلوا من أمرها على طائل لأنها تسترد ما تعطيه وتهدم ما تبنيه، وتمر بعد حلاوتها وتعوج بعد استقامتها. وقالوا: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها وفي جوفها السم الناقع، يهوي إليها الصبي الجاهل، ويحذرها الحازم العاقل. يهوي إليها: يسرع وذلك كما تقول رأيت فلانا يهوي نحوك، معناه: يريدك، قال تعالى: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾: أي تريدهم وتسرع وقال أبو عمرو بن العلاء: كنت أدور في ضيعتي في شدة الحر فسمعت هاتفا يقول:

وإن امرأ دنياه أكبر همه ... لمستمسك منها بحبل غرور." (١)

"قال ألا ترثي لمكتئب يحبك لحمه ودمه ألا ترثي لمكتئب يحبك لحمه ودمه وقال المكفوف في آل محمد عليه السلام : أحبكم حباً على الله أجره تضمنه الأحشاء واللحم والدم وفي مثل هذا قول الحسن بن هانئ : وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق فإذا خافه أهل الشرك خافته النطف التي في أصلابهم على المجاز الذي ذكرناه .

ومجاز آخر : أن النطف التي أخذ الله عليها ميثاقها يجوز أن يضاف إليها ما هي لا بد فاعلة من قبل أن تفعله كما جاء في الأثر : إن الله عز وجل عرض على آدم ذريته فقال : هؤلاء أهل الجنة وبعمل أهل الجنة يعملون وهؤلاء أهل النار وبعمل أهل النار يعملون .

ومن قولنا في الهيبة : يا من يجرد من بصيرته تحت الحوادث صارم العزم رعت العدو فما مثلت له إلا تفزع منك في الحلم أضحى لك التدبير مطرداً مثل اطراد الفعل للاسم رفع الحسود إليك ناظره فرآك مطلعاً مع النجم تسمو العيون إلى إمام عادل معطى المهابة نافع ضرار ونرى عليه إذا العيون لمحنه سيما الحليم وهيبة الجبار حسن السيرة والرفق بالرعية قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيما أوصاه به من الرفق بالرعية : " ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك " .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير كله ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الخير كله .

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رحمه الله أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب فقال لهما : أشيرا علي .

فقال له سالم : اجعل الناس أباً وأخاً وابناً فبر أباك واحفظ أخاك وارحم ابنك .

وقال له محمد بن كعب : أحبب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك واعلم أنك لست أول خليفة .

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر : يا أبت ما لك لا تنفذ في الأمور فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور .." (٢)

"فهذه المحظورات تتداخل فيما بينها وتعزز وتكمل بعضها بعضا لكي تشكل شبكة معقدة عرضة للتعديل على الدوام. ولسوف أشير بمنتهى البساطة إلى أن المناطق التي تكون فيها هذه الشبكة على أضيق ما يكون من التحبيك اليوم، حيث تكون مكامن الخطر أكثر عددا، هي تلك المناطق التي تعالج السياسة والجنس... فالكلام في الظاهر قد لا يكون موضع الاعتبار الكبير، ولكن المحظورات التي تطوقه سرعان ما تكشف عن صلاتها بالشهوة والسلطة... إن الكلام ليس

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٢٥٧/١

(٢) العقد الفريد، ص/٢١

مجرد ترجمة لفظية للصراعات وأنظمة السلاطة... بل إنه نفس موضوع صراعات الإنسان.(٢٦)

إن الوضع الاستطرادي، على الرغم من الصورة المثالية المبسطة التي صوره بها ريكوير، وبعيدا عن كونه نوعا من أنواع المحادثة بين ندين، يشبه على الأرجح تلك العلاقة غير المتكافئة بين مستعمر ومستعمر، بين قامع ومقموع، فبعض المحدثين العظماء، ومن أبرزهم بروست وجويس، كانوا يدركون ببصر ثاقب هذا التضاد، ولذلك فإن تصويراتهم للوضع الاستطرادي تسلط عليه دائما أسطع الأضواء السياسية/ السلطوية. إن الكلمات والنصوص على أوثق ارتباط بالدنيا وإلى ذلك الحد الذي يجعل فعاليتها، لا بل وحتى استخدامها في بعض الحالات، أمرين على علاقة بالتملك والسلطة والقوة وفرض الهيمنة. ولحظة من لحظات التقويم تحدث في الوعي الثوري لدى ستيفان ديدالوس حين يتحادث مع العميد الانكليزي للموضوعات الدراسية:

وما هو ذلك الجمال الذي يكافح الفنان للتعبير عنه من كتل من التراب، قال ديدالوس ببرودة أعصاب.

لقد بدا وكأن تلك الكلمة الصغيرة توجه رأس حربة حساسيته ضد هذا الخصم الدمث الحذر، وشعر باكتئاب شديد أن الرجل الذي يتحدث معه إنسان ريفي من منطقة بن جونسون. ففكر مليا-: إن اللغة التي نتحدثها هي لغته قبل أن تكون لغتي. يا للبون الشاسع بين لفظ كلمات كالوطن والمسيح والجعة والسيد على شفتيه وشفتي.." (١)

"ولكن نادرا ما يصاغ هذا الادعاء العام للاتكال على الشخص المحض لرينان ككاتب أو عالم، وذلك لأن كتابته تشكل قسطا من تلك المغامرة التي تتخطى حدود المغامرة الشخصية التي يدعوها "بالعلم أو علم النقد" في معظم الأوقات، والتي يكمن سبب وجودها لا في أنها تحل محل الإلهام ومحل الأفراد الذين يدعون حيازة الإلهام، بل في أنها أعادت تنظيم الوجود وأي إدراك للوجود بتلك الطريقة التي تجعل الإلهام الديني غير ضروري، إن ثقة رينان فيما تفعل واكتئابه من مهمته لا يتأتيان عن المهمة وحدها وحسب، بل يتأتيان عن كونها محط وساطة ومشروعية شخص عظيم أو مؤسسة عظيمة.. وإن ما رآه رينان بمنتهى المكر، وبمنتهى الصواب على ما أظن، هو ذلك المدى الذي كانت تعتمد فيه أمور من أمثال العبقرية والوحي أو الإلهام على توهمات الفرد أو على مواهبه الفطرية أو عباداته الشخصية. فعلى نقيض التلميذ الغجري الذي كان، لدى آرنولدد، ينتظر عبثا هبوط ومیض من السماء، انطلق رينان منطقيا بمسعاه الجاد كعالم عموما، وكفيلولوجي خصوصا، استنادا إلى ذلك التصور الذي مؤداه أنه إن كان هنالك ثمة سماء أو وميض، فإنه لن يكون الإنسان الذي سيستفيد منهما، فزمانه ما كان بالزمن الماضي- ألا وهو ذلك الموضع الذي يضع المرء فيه النسغ الأصلي " originale séve" الذي أشار إليه في حديثه عن الأيام الأول للوحي الديني- وإنما الزمن الحاضر، بل والمستقبل لو توخى الدقة. ولذلك كان من الضروري الغوص في معارف كالفيلولوجيا التي ابتعدت بالتاريخ عن المشكلات الوجودية للوحي الديني وجاءت به نحو ما كانت دراسته ممكنة، نحو تلك الأشياء الحقيقية التي كانت لا تزال تؤرق الجنس البشري بعد مضي ردح طويل من الزمن على خمود جذوة الهيجان البدائي (أو الوحي الديني فيما يتعلق بذلك الأمر) خمودا تاما.." (٢)

---

(١) العالم والنص والناقد، ٩٢/١

(٢) العالم والنص والناقد، ٤٩/٢

"حتى إذا نزل الحمام بواحد ... منا ليأخذه على مهل

متنا جميعاً لا يفرق واحد ... فيذوق فيه مرارة الثكل

وقال بعض السلف: الانبساط إلى العامة مكسبة لقرين السوء، والانقباض مجلبة للمقت، فإنا اقتديت من قرناء السوء باعتقاد المقت، وإما ابتغيت أسر الإخوان بالصبر على المكروه.

قال عبد الملك بن مروان لرجل: ما بقي من لديك؟ قال: جليس يقصر مع طول الليل مع العلة، ودابة أشتهي معها طول السفر. وأنشد لأعرابي:

من أين ألقى صاحباً مثل عمر ... يزداد طيباً كلما طال السفر

قال بعض السلف: توق من الرجال من إن أنعمت عليه كفرك، وإن أنعم عليك من عليك، وإن حدثته كذبك، وإن حدثك كذبك، وإن ائتمنته خانك، وإن ائتمنك اتهمك.

لأبي الأسود:

أريت امرءاً كنت لم أبله ... أتاني فقال: اتخذني خليلا

فخاللته ثم صافيته ... فلم أستفد من لدنه فتيلا

فألقيته غير متستعتب ... ولا ذاكر الله إلا قليلا

ألست حقيقاً بتوديعه ... وأتبع ذلك هجراً جميلاً

قال عمر بن الخطاب: مما يصفي لك ود أخيك أن تبدأه بالسلام، وتوسع له في المجلس، وتدعوه باحب الكنى إليه.

محمد بن عبد الملك الزيات:

أقول إذا ما بدا طالعاً ... وقد كاد أو هم أو قد ولج

من الناس من ليس حتى المما ... ت منه و من أذاه فرج

ولو كنت تأمنه ليلة ... إلى الصبح لم يرض أو يدلج

ولو كان ذا من أحب العباد إلي ... ك لكان بغيضاً سمج

فكيف إذا كان ممن يكاد ص ... درك من بغضه ينفرج

آخر:

تريك أعينهما في صدورهم ... إن الصدور يؤدي غشها البصر

آخر:

متى تك في صديق أو عدو ... تخبرك العيون عن القلوب

أنشدنا المبرد فيما حدثنا به أبو سعيد السيرافي عن ابن السراج عنه:

كيف العزاء لمن يعن له ... شرب المدام ولذة الخمر

وحديث فتيان غطارفه ... وفوارس كالأنجم الزهر

إن جئتهم سروا وإن نزحت ... داري فإن حديثهم ذكري

يا ليتني أحيا بقربهم ... فإذا فقدتم انقضى عمري

فتكون داري بين دورهم ... ويكون بين قبورهم قبري

قال حاتم الأصم: أربعة تذهب الحقد بين الإخوان: المعاونة بالبدن، واللطف باللسان، والمواساة بالمال، والدعاء في الغيب.

كتب سهل بن هارون الكاتب إلى جعفر بن يحيى:

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا ... نموت فكن أنت الذي يتأخر

وقال الجماز فيما حدثنا ابن المرزباني عن الصولي عن أبي العيناء عنه يصف صديقاً: لم أر في الناس وفياً بعد واحد كان أصفى لي مودته، وبذل لي مهجته، كان أطوع لي من كفي، وكنت أذل له من نعله، أتكلم بكلامه فينطق بلساني، إن قلت خيراً أعانني، وإن ملت إلى سيئ ردعني، كان والله إذا قال فعل، وإذا حدث صدق، وإذا أؤتمن لم يخن، ضاحك السن، مسفر الوجه، كان إذا غاب فكأنه شاهدي، وإذا غبت عنه فكأنه يراني، لا ينطق لسانه بخلاف ما يضمر جنانه، لا يدري أينا أسر بصاحبه، ولا أينا أصدق مودة بخليطه، آنس ما كنا إذا اجتمعنا، وأوحش ما كنا إذا افترقنا، ما تفرقنا طول صحبتنا إلا يوماً حسبناه حولاً، أغبط ما كنا إذ رمى الهر فلم يشق إذ رمى من كل روحه روحي، ونفسه أعز علي من نفسي، فليته أصابني وأخطأه، وإذا لم يخطئه أصابني معه، فيكون موتنا معاً كما كان عيشنا معاً، مات فمات الوفاء بعده، خاب الرجاء فما ألذ بعده طعاماً، ولا أسيغ شراباً ، غماً له، **واكتئاباً** عليه، وشوقاً إليه، فلو كنت أقول الشعر لرثيته آخر الدهر، ولأتعبت بالقوافي الكاتبين، فبليت بعده بمن إذا أحببته أبغضني، وإن وددته عاداني، وإن أقبلت نحوه ولى عني، فهو كالذئب والغراب، ما للذئب يناله الغراب، وما للغراب فالذئب لا يطمع فيه، حسبك به غادراً، تراه عن الوفاء مبطئاً، وإلى الخيانة مهملجاً.." (١)

"الحرباء: مسمار الدرع. والحرباء أيضاً: أسفل الظهر. والحرباء بالراء والزاي: الغلظ من الأرض. والجمع في ذلك كله: حرابئ. والثبرة: أرض سهلة. وقتير اللامة: مسامير الدرع أيضاً. والهلال: بقية الماء في الحوض. والماج: الماء الملح.

رجع: إن زهد في الناس فإني فيهم لأزهد، وإن القوم لزهاد. لو كنت عبداً لغير الخالق لم يجزئ عتقي في الكفارة، ولو كنت ضائنة لم أجزئ في الأضحية؛ إنني لمريض، غرض وهو غريض؛ طال الليل، فلي الويل، أحسب خلوق الشفق كافور الفجر، ومن لي بالفجرين: صاحب الأيدع، وصاحب الودع! أيها الهلال الناحل، هل أنضتك المراحل، ليس لبحرك ساحل، ولا بلدك ماحل. قعدت والناس قيام، وسهرت والركب نيام، كل من شام البارق يضمه الشيام، يا ثول جاءك الإيام، لا أسأل أين بنيت الخيام، إن الذود لحيام، إن شاء الله شفى الهيام، ولو كنت من الماشية لكنت أحد الرجاج. غاية.

تفسير: غرض: مل. وغريض: طرئ. الفجران هاهنا: يحتمل وجهين: أحدهما أن يكونا الشفق والفجر؛ لأن فجر كل شئ أوله. وفجر الأيدع: الشفق، ويقال الأيدع الزعفران، ويقال دم الأخوين.

وفجر الودع: فجر الصبح؛ لأن الكواكب تشبه بالودع. والوجه الآخر أن يكون الفجران ذنب السرحان والفجر المستطير. والمعنى في الوجه الأول أن الشفق يكون قريباً من النهار ويكون العهد لم يبعد به.

---

(١) الصداقة والصديق، ص/٦٥

والشيام: التراب. والثول: النحل. والإيام: الدخان ويقال إن المشتار يأخذ خشبةً فيجعل فيها ناراً ويدخلها إلى بيت النحل ليطردها؛ ومنه قول أبي ذؤيبٍ:

فلما جلاها بالإيام تميزت ... ثباتٍ عليها ذلها واكتئابها

والحيام: العطاش. والهيام " بالضم والكسر " : داء يصيب الإبل مثل الحمى فلا تروى من الماء؛ يقال ناقة هيماء والجمع هيم؛ ومنه قوله تعالى: " فشاربون شرب الهيم " . ودواء الهيماء فيما قيل أن يقطع حبل ذراعهاً.

رجع: رب لا تجعل صومي كصوم الفرس ، وصلاتي كصلاة الحرباء. الشبيبة، أضعت الحبيبة، فكيف ورأسك خليس. وفي الصيف، أهنت الضيف، فكيف بك والشتاء منيخ. اهل البيت بالوليد فرحون، وهم بالشيخ متبرمون، كلام هذا يستظرف، وكلام ذاك خرف، والشعر في الحداثة كأنه إبر في الحدة وهو جون، فإذا جاء الكبر صار كالإبر في اللون، ولآن المس لذاك. وفي قدرة الخالق أن يجعل الراحة ذات ذوائب والهامة كفاثور اللجين وأن يجرى الفضة من الفجاج. غاية.

تفسير: صوم الفرس: إمساك عن الطعام والسير لا تعبد فيه ولا أجر، وكذلك صلاة الحرباء وهي إستقباله الشمس. والفاثور: طست من لجين، ويقال خران من لجينٍ.

رجع: إن غويت فلى كالعالم غاية، لا ترفع لى أبداً راية، إذا حان الوقت زالت الآية، قد بنيت الثاية، وعليت لأمر الطاية، فما نفعت الرعاية؛ أين تفر الجداية، إذا فارقت الداية الداية، أمامها الهداية، ووراءها الحداية، وقعت في اللجة فلسانى لجلاج. غاية.

تفسير: الآية هاهنا: الشخص. والثاية مراح الإبل. والطاية: السطح. والجداية: ولد الظبى يقال للذكر والأنثى. والداية: الفقارة من فقار الظهر.

رجع: قد أخذت مني الأيام وتركت، والنفس مطية ما أركت، سوف تسكن وإن تحركت، طلق دنياك فقد فركت، كم طلبت قبلك فما أدركت. سبحت زي الشماخ وجيمه قبل أن يجعلهما روبين بما شاء الله من السنين، وكذلك قوافي رؤبة وقوافي العجاج. غاية.

تفسير: أركت: أقامت بالإراك. وزاي الشماخ:

عفاً من سليمى بطن قوٍ فعالز ... فذات الغضا فالمشرفات النواشز

وجيمه:

ألا ناديا أظعان ليلى تعرج ... يهيجن سقماً ليته لم يهيج

رجع: قد غاب القمر، وما فنى السمر، وكل شئ غير الله فان.

إن الأطير، جاء من شطيرٍ، والله يقرب البعيد. باذا الخطير، ليس لك من مطيرٍ، والله بقدرته يطير ذوات الأخفاف. راعية البرير، لا ترفل في الحرير، والله كساالوحش والآناس. وأم الفرير، لا تأنس بالجرير، وربك مذل الصعاب. من للقادر، بلحم القادر، ولكن دونه السعاف. إفتقر الغابر، إلى أم جابرٍ، وإستغنى الذاهب، عن المواهب، وربنا يغنى من شاء. ليس الفجر،

بمانعٍ من النجر، إلا بإذن أكرم الأكرمين. إسماع الكرائن، على قلب الإنسان رائن، فأنصت إلى ذكر الله ودع اللاهين. فرح من جنى المغفور، فكيف من صاد اليعفور.أتعجزين عن فعل الراعي بكل ثم أكل! إن هذا لهو العجز المبين.." (١)

"رجع: يا من يضرب ليصرب لو علمت ما يكون بعدك لقنعت بالصربة واجتنيت صرباً. ضرب في الأرض هرباً من المعصية خير لك من لزوم الآنسة أشبه ريقها راحاً وضرباً. في قدرة الخالق أن تقول الضبع لباغي الحرب: من يظلم، يخضب رأسه بالعظلم، وتأكله أضبع تغتلم، ويصبح أديمه قد حلم، وحسبك الخالق محسباً. تذكر قتيلة بما أنشدته، كما تذكر نتيلة بمن ولدته، وأين المرية من النمرية! ذكر تلك حسرة، وذكر هذه أسرة، ولا يزال ربك مرتقباً. يارب القود، واليقظة والرقود، والخمدة والوقود، والعالم بالضمير المعقود، ليت شخصى مفقود، الحياة إلى الموت تقود، أسألك بخافضٍ وعالٍ، وممتطي نوقٍ ونعالٍ، لا يصيدون الريم، كرامة لوجهك الكريم، هجروا هنداً وأمامة، ولم يروعو الحمامة، من شامٍ ويمنٍ، وفجاجٍ لا تقطع إلا في الزمن، أن تغفر لى وترحمن، فهأنا من خشية سخطك مكتئباً. آرى آرى، ما قصدت النصارى، والفرس ولا أتمارى، إلا الملك لا يبارى، إياك طلبت المهارى بالقوم كأنهم سكارى، رشحت الكشوح والذفارى، ونحن في قبضتك أسارى، والأرض تجمعنا جمارى، فواربي لأتوارى، لا تجعلنى لغيرك مرجباً. أبعد الله الملحدة غير أعفءر ولا بررةٍ، بل هم الفسق الخونة، إنهم للئام الزهدة، أعبد من أقام أوديه، بسط وقبض يديه، ليغفر إذا صفر جسديه، لو بعث على ثهلان قدراً صار كوتدٍ ساخ. غاية.

تفسير: يضرب: يذهب في الأرض. ويصرب: يجمع. والصربة: اللبن الحامض. والصرب: صمغ الطلح وهو أحمر. والعظلم: صبغ أحمر يقال إنه الفوة. والضبع توصف بالغلمة وأنها تقعد على غراميل القتلى إذا انتفخت؛ وكذلك فسروا قول الساعر:

فلو مات منهم من جرحنا لأصبحت ... ضباع بأكناف الشريف عرائسا

وحلم الأديم إذا تشقق وتعين؛ وأصل ذلك أن تقع فيه دودة يقال لها الحلمة وحسبك: كفايتك. ومحسباً: كافياً. وقتيلة: أخت النضربن الحارث أحد بني عبد الدار وهي صاحبة الأبيات القافية. ونتيلة: أم العباس وضرارٍ ابني عبد المطلب وهي النمر بن قاسطٍ؛ ويقال إن عبد المطلب سافر إلى اليمن فنزل ببعض الملوك وهو شيخ أشيب، فجاءه الملك بخضابٍ من السواد فغير لحيته فعاد إلى أهله خضيباً؛ فقال:

فلو دام لى هذا الشباب رضيته ... وكان بديلاً من شبابٍ قد انصرم

تمتعت منه والحياة لذيذة ... ولا بد من موتٍ نتيلة أو هرم

والمرية: قتيلة لأنها من مرة بن كعب بن لؤي. والنمرية: نتيلة. والأسرة: آل الرجل وبنوه. والقود: جمع أقود وقودا، وهو الطويل العنق من الناس والبهائم. آرى بالفارسية: نعم. الذفاري والذفارى:جمع ذفرى وهي التي خلف أذن البعير كأنها محجمة، وهي من الفرس معقد العذار، وقد تستعمل في الإنسان. وقيل لأبي عمرو بن العلاء: الذفرى من الذفر؟ فقال نعم. والذفر: حدة الرائحة من طيبٍ أو نتنٍ. وذفرى البعير توصف بكثرة العرق؛ فلذلك قيل إن اشتقاقها من الذفر. وجمارى أي جميعاً؛ ومنه قولهم: جمر الملك جنوده إذا بعثهم كلهم في البعوث: وفي حديث عمر رضي الله عنه " لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا

---

(١) الفصول والغايات، ص/٨٠

تجمروهم فتفنوهم " أي إذا بعثتم جيشاً فلا تجمعوا المسلمين كلهم فيه. والمرجب: المعظم؛ ومنه اشتقاق رجبٍ. يقال لئيم زاهد وزهيد، يوصف بالبخل وقلة العطاء. الأود: الاعوجاج. وصفر: خلا. ساخ الوتد في الأرض إذا نزل فيها.." (١)

"وفي هذه القصة يقول:

أبت إلا بكاء وانتحابا ... وذكرا للمغيرة واكتئابا

ألم تعلم بأن القتل ورد ... لنا كالماء حين صفا وطابا

وقلت لها: قري وثقي بقولي ... كأنك قد قرأت به كتابا

فقد جاء الكتاب به فقولي ... ألا لا تعدم الرأي الصوابا

جلبنا الخيل من بغداد شعثا ... عوا بس تحمل الأسد الغضابا

بكل فتى أعز مهلبي ... تخال بضوء صورته شهابا

ومن قحطان كل أخي حفاظ ... إذا يدعى لنائبه أجابا

فما بلغت قرى كرمان حتى ... تخدد لحمها عنها فذابا

وكان لهن في كرمان يوم ... أمر على الشراة بها الشرابا١

وإنا تاركون غدا حديثا ... بأرض السند سعدا والربابا

تفاخر بابن أحورها تميم ... لقد حان المفاخر لي وخابا

وفي مثل هذا البيت الأخير يقول أبو عيينه:

أعاذل صه لست من شيمتي ... وإن كنت لي ناصحا مشفقا

أراك تفرقني دائبا ... وما ينبغي لي أن أفرقا٢

أنا ابن الذي شاد لي منصبا ... وكان السماك إذا حلقا

قريع العراق وبطريقهم ... وعزهم المرتجى المتقى

فمن يستطيع إذا ما ذهبـ ... ـت أنطق في المجد أن ينطقا

أنا ابن المهلب ما فوق ذا ... لعال إلى شرف مرتقى

فدعني أغلب ثياب الصبا ... بجدتها قبل أن تخلقا

قال أبو الحسن: وهذا شعر حسن، أوله:

ألم تنه نفسك أن تعشقا ... وما أنت والعشق لولا الشقا

أمن بعد شربك كأس النهى ... وشمك ريحان أهل النقا

عشقت فأصبحت في العاشقي ... ن أشهر من فرس أبلقا

_

(١) الفصول والغايات، ص/١٣١

١ الشراة: جماعة من الخوارج.

٢ تفرقني: تخوفني.." (١)

"فلا أبصرت عيني تهلل بارق يحاكي ندى كفيك إلا استهلت

ولو قبلت أرواحنا عنك فدية لجدنا بها عند الفداء وقلت

وقال أبو الحسن محمد بن الحسين الحسني المعروف بالوصي الهمداني في رثائه (١) (من مجزوء الكامل) :

مات الموالي والمحب لأهل بيت أبي تراب

قد كان كالجبل المنيع لهم فصار مع التراب

وله في رثائه أيضاً (من الكامل) (٢) :

نوم العيون على الجفون حرام ودموعهن مع الدماء سجام

تبكي الوزير سليل عباد العلا والدين والقرآن والاسلام

تبكيه مكة والمشاعر كلها وحجيجها والنسك والإحرام

تبكيه طيبة والرسول ومن بها وعقيقها والسهل والأعلام

كافي الكفاة قضى حميدا نحبه ذاك الإمام السيد الضرغام

مات المعالي والعلوم بموته فعلى المعالي والعلوم سلام

ورثاه الشريف الرضي بقصيدة لامية شرحها أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى ٣٩٢هـ في مجلد واحد (٣) أولها) من الكامل (:

أَكَذا المَنونُ تُقَنطِرُ الأَبطالا أَكَذا الزَمانُ يُضَعضِعُ الأَجيالا

أَكَذا تُصابُ الأُسدُ وَهيَ مُدِلَّةٌ تَحمي الشُبولَ وَتَمنَعُ الأَغيالا

أَكَذا تُقامُ عَنِ الفَرائِسِ بَعدَما مَلَأَت هَماهِمُها الوَرى أَوجالا

أَكَذا تُحَطُّ الزاهِراتُ عَنِ العُلى مِن بَعدِ ما شَأَتِ العُيونَ مَنالا

ومر أبو العباس الضبي بباب الصاحب بعد وفاته فقال (من الخفيف) (٤) :

أيها الباب لم علاك **اكتئاب؟**! أين ذاك الحجاب والحجاب؟!

أين من كان يفزع الدهر منه؟! فهو اليوم في التراب تراب

---

(١) يتيمة الدهر٣/٢٨٦

(٢) يتيمة الدهر٣/٢٨٦

(٣) انظر معجم الأدباء ١١٢/١٢ ، ولنشر القصيدة في ديوان الشريف وفي غير واحد من أمات الكتب نكتفي بذكر ما

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢٩/٢

ذكرناه منها ، وتبلغ أبياتها [١١٢] بيتا .

(٤) يتيمة الدهر ٣/٢٨٥ . ٢٨٦." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٣٩ """""""""

البهازهير

أنا من يسمع منه ويرى . . . لا تكذب عن غرامي خبرا

لي حبيب كملت أوصافه . . . حق لي في حبه أن أعذرا

حين أضحى حسنه مشتهرا . . . رحت في الوجد به مشتهرا

كل شيء من حبيب حسن . . . لا أرى مثل حبيبي لا أرى

أحور أصبحت فيه حائرا . . . أسمر أمسيت منه سمرا

وتراني باكيا مكتئبا . . . وتراه ضاحكا مستبشرا

أيها الواشون ما أغفلكم ؟ . . . لو علمتم ما جرى في ما جرى

قد أذعتم عن فؤادي سلوة . . . إن هذا الحديث مفترى

بين قلبي وسلوى والهوى . . . مثل ما بين الثريا والثرى

ولبعضهم في رجل صبغ لحيته وفي جبهته أثر يزعم أنه من السجود :

قالت وقد أبصرت بلحيته . . . صبغا وسجادة بجبهته

هذا الذي كنت قبل أعرفه . . . يكذب في وجهه ولحيته

ولبعضهم

أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به . . . يوم اللقاء هو الثوب الذي خلعا

الدهر لي ما تم إن غبت يا أملي . . . والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا

ولبعضهم

فيا رسولي إلى من لا أبوح به . . . إن المهمات فيها يعرف الرجل

بلغ سلامي وبالغ في الخطاب له . . . وقبل الأرض عني عندما تصل

بالله عرفه عني إن خلوت به . . . ولا تطل فحبيبي عنده ملل

وتلك أعظم حاجاتي إليك فإن . . . تنجح فما خاب فيك القصد والأمل

ولم أزل في أموري كلما عرضت . . . على اهتمامك بعد الله أتكل

فالناس بالناس والدنيا مكافأة . . . والخير يذكر والأخبار تنتقل." (٢)

---

(١) الكشف عن مساوئ شعر المتني، ص/٢٥

(٢) الكشكول . ، ١/٣٩

""""""""" صفحة رقم ٢٩ """""""

أصبحت فيك كما أمسيت مكتئبا . . . ولم أقل جزعا يا أزمة انفرجي

أهفو إلى كل قلب بالغرام له . . . شغل وكل لسان بالهوى لهج

وكل سمع عن اللاحي به صمم . . . وكل جفن عن الإغفاء لم يعج

لا كان وجد به الآماق جامدة . . . ولا غرام به الأشواق لم تهج

عذب بما شئت غير البعد عنك تجد . . . أوفى محب بما يرضيك مبتهج

وخذ بقية ما أبقيت من رمق . . . لا خير في الحب إن أبقي على المهج

من لي بإتلاف روحي في هوى رشأ . . . حلو الشمائل بالأرواح ممتزج

من مات غراما عاش مرتقيا . . . ما بين أهل الهوى في أرفع الدرج

محجب لو سرى في مثل طرته . . . أغنته غرته الغرا عن السرج

وإن ظللت بليل من ذوائبه . . . أهدى لعيني الهدى صبحا من البلج

وإن تنفس قال المسك معترفا . . . لعارفي طيبه من نشره أرجى

أعوام إقباله كاليوم في قصر . . . ويوم إعراضه في الطول كالحجج

فإن نأى سائرا يا مهجتي ارتحلي . . . وإن دنا زائرا يا مقلتي ابتهجي

قل للذي لامني يفيه وعنفني . . . دعني وشأني واترك نصحي بذاك الحي لا تعج

فيه خلعت عذاري واطرحت به . . . قبول نصحي والمقبول من حججي

وابيض وجه غرامي في محبته . . . واسود وجه ملامي فيه بالحجج

تبارك الله ما أحلى شمائله . . . فكم أمات توأحيت فيه من مهج

يهوى لذكر اسمه من لج في عذلي . . . سمعي وإن كان عذلي فيه لم يلج

تراه إن غاب عني كل جارحة . . . في كل معنى لطيف رائق بهج

في نغمة العودج والناي الرخيم إذا . . . تألفا بين ألحان من الهزج

ويفي مسارح غزلان الخمائل في . . . برد الأصائل والإصباح في البلج

وفي مساقط أنداء الغمام على . . . بساط نور من الأزهار منتسج." (١)

""""""""" صفحة رقم ٨٠ """""""

فذراها سربي وطيبي سراها . . . وسبيل المسيل وردي وزادي

كان فيها أنسي ومعراج قدسي . . . ومقام المقام والفتح بادي

نقلتني عنها الحظوظ فجدت . . . وارداتي ولم تدم أورادي

---

(١) الكشكول . ، ٢٩/٢

آه لو يسمح الزمان بعود . . . فعسى أن تعود لي أعيادي

قسما بالحطيم والركن والأستار . . . والمروتين مسعى العباد

وظلال الجناب والحجر والميزاب . . . والمستجار للقصاد

ما شممت البشام إلا وأهدى . . . لفؤادي تحية من سعاد

ابن الخيمي

يا مطلبا ليس لي في غيره إرب . . . إليك آل التقصي وانتهى الطلب

وما طمحت لمرىء أو لمستمع . . . إلا لمعنى إلى علياك ينتسب

وما أراني أهلا أن تواصلني . . . حسبي علوا بأني فيك مكتئب

لكن ينازع شوقي تارة أدبي . . . فأطلب الوصل لما يصعب الأدب

ولست أبرح في الحالين ذا قلق . . . نام وشوق له في أضلعي لهب

ومدمع كلما كفكفت أدمعه . . . صونا لذكرك يعصيني وينسكب

والهف نفسي لو يجدي تلهفها . . . عونا وواحر باد لو ينفع الحرب

يمضي الزمان وأشواقي مضاعفة . . . يا للرجال ولا وصل ولا سبب

يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا . . . لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

أما خفوق فؤادي فهو عن سبب . . . وعن خفوقك قل لي ما هو السبب ؟

القيراطي في بادهنج

بنفسي أفدي بادهنجا موكلا . . . باطفاء ما ألقاه من ألم الجوى إذا فتحت في الحر منه طرايق . . . أتاني هواه قبل أن أعرف الهوى

وله في موسوس

وموسوس عند الطهارة لم يزل . . . بدا على الماء الكثير مواظبا

يستصغر النهر الكبير لذقنه . . . ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

العرجي في الوداع." (١)

" يدي إلى الكتاب بعد أن صافحت يد موصله كما صافحت عبقة منديله وقلت أهلا بمن أدنى من الحبيب مزارا وأهدى لعيني قرة ولقلبي قرارا

وهذا في الغرابة كأخواته التي تقدمت

ولم أستقص ما اخترعته من هذا الباب في مطالع الكتب

---

(١) الكشكول ., ٢/٨٠

وأما ما أتيت فيه بالحسن من المعاني ولكنه غير مخترعفمن ذلك مطلع كتاب كتبته عن الملك نور الدين أرسلان بن مسعود صاحب الموصل إلى الملك الأفضل علي بن يوسف يتضمن تعزية وتهنئة أما التعزية فبوفاة أخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر وأما التهنئة فبوراثة الملك من بعده وهو لا يعلم القلم أينطق بلسان التعزية أم بلسان التهنية لكنه جمعهما جميعا فأتى بهما على حكم التثنية وفي مثل هذا الخطب يظل القلم حائرا وقد وقف موقف السخط والرضا فسخط أولا ثم رضي آخرا وهذا البيت الناصري يتداول درجات العلى فما تمضي إلا وإليه ترجع وشموسه وأقماره تتناقل مطالع السعود فما يغيب منها غائب إلا وآخر يطلع والناس إن فجعوا بماجد ردفه من بعده ماجد وإن قيل إن الماضي كان واحدا قيل بل الآتي هو الواحد

وهذا فصل من أول الكتاب ثم كتبت في هذا المعنى كتابين آخرين وفي الذي أوردته من هذا الفصل مقنع

ومن هذا الأسلوب ما كتبته إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه وكانت الكتب قد انقطعت بيني وبينه زمانا وهو لقاء كتب الأحباب كلقاء الأحباب وقد تأتي بعد يأس منها فيشتبه لها دمع السرور بدمع الاكتئاب ومن أحسنها كتاب المجلس السامي الفلاني جعل الله الليالي له صحبا والمعاني له عبقا ورفع مجده فوق كل ماجد حتى تكون حسناتهم لدى حسناته ذنبا ولا زال اسمه في الأفواه عذبا وذكره في الألسنة رطبا ووده لكل إنسان إنسانا ولكل قلب قلبا

ثم انتهيت إلى آخر الكتاب على هذا النسق وإنما ذكرت ههنا مبتدأه لأنه الغرض المقصود في هذا الموضع

ومن ذلك ما كتبته إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه وهو البشرى تعطى ." (١)

"إن الفاروق لم يردد كلاباً ... إلى شيخين ما لهما تواقي

فقال له عمر: اذهب إلى أبيك فقد وضعنا عنك الغزو وأجرينا ك العطاء. قال: وتغنت الركبان بشعر أبيه. فبلغه فأنشأ يقول:

لعمرك ما تركت أبا كلابٍ ... كبير السن مكتئباً مصابا

وأماً لا يزال لها حنينٌ ... تنادي بعد رقدتها كلابا

لكسب المال أو طلب المعالي ... ولكني رجوت به الثوابا

وكان كلاب من خيار المسلمين، وقُتل مع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بصفين وعاش أبوه أمية دهراً طويلاً حتى خرف، فمرّ به غلام له كان يرعى غنمه وأمية جالس يحثو على رأسه التراب فوقف ينظر إليه، فلما أفاق بصر بالغلام فقال:

أصبحت لهواً لراعي الضأن أعجبه ... ماذا يريبك مني راعي الضان

انعق بضأنك في أرض بمخضرةٍ ... من الأباطح واحسبها بجلدان

انعق بضأنك إني قد فقدتهم ... بيض الوجوه بني عمي وإخواني

قال: وحدثني من سمع أعرابياً حاملاً أمه في الطواف وهو يقول:

إني لها مطيةٌ لا أذعر ... إذا الركاب نفرت لا أنفر

---

(١) المثل السائر، ٢/٢٤٠

ما حملت وأرضعتني أكثر ... الله ربي ذو الجلال أكبر

ثم التفت إلى ابن عباس، رحمه الله، فقال له: أتراني قضيت حقها؟ فقال: لا والله ولا طلقة من طلقاتها.

قال: ونحر أعرابي جزوراً فقال لامرأته: أطعمي أمي منه. فقالت: أيها أطعمها؟ فقال: قطعي لها الورك. قالت: ظُوهرت بشحمة وبُطنت بلحمة، لا لعمر الله! قال: فاقطعي لها الكتف. قالت: الحاملة الشحم من كل مكان، لا لعمر الله! قال: فما تقطعين لها؟ قالت: اللحى ظوهرت بجلدة وبطنت بعظم. قال: فتزوديها إلى أهلك. وخلّى سبيلها.

وروي أن الحسن بن علي، رضوان الله عليه، كان يمتنع من مؤاكلة أمه، صلوات الله عليها، فسئل عن ذلك وهو ابن ست سنين. فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى لقمة تقع عينها عليها فأكون قد عققتها.

مساوئ عقوق البنين

الأصمعي قال: حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت من الحي أطلب أعق الناس وأبر الناس فكنت أطوف بالأحياء حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجرة والحر الشديد وخلفه شاب في يده رشاء من قدّ ملوّى يضربه به قد شقّ ظهره بذلك الحبل. فقلت: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه من مدّ هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنه مع هذا أبي. قلت: فلا جزاك الله خيراً! قال: اسكت فهكذا كان يصنع هو بأبيه وكذا كان يصنع أبيه بجده. فقلت: هذا أعق الناس. ثم جلت أيضاً حتى انتهيت إلى شاب في عنقه زبيل فيه شيخ كأنه فرخ فيضعه بين يديه في كل ساعة فيزقّه كما يزقّ الفرخ. فقلت له: ما هذا؟ فقال: أبي وقد خرف فأنا أكفله. قلت: فهذا أبر العرب. فرجعت وقد رأيت أعقهم وأبرهم.

قيل: وكانت لخيزران في خلافة موسى الهادي كثيراً ما تكلمه في الحوائج فكان يجيبها إلى كل ما تسأل، حتى مضت لذلك أربعة أشهر من خلافته فاجتمع الناس إليها وطمعوا فيما قبلها فكانت المواكب تغدو إلى بابها وتروح، قال: فكلمته يوماً في أمر فاعتل بعلة، فقالت: لا بد من إجابتي. قال: لا أفعل. قالت: فإني قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك. قال: فغضب وقال: ويلي عليه ابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها والله لا قضيتها له! قالت: إذاً والله لا أسألك حاجة أبداً. فقال: إذاً والله لا أبالي. وحمي وغضب ثم قال: مكانك حتى تستوعبي كلامي والله وإلا فأنا نفيّ من قرابتي من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي وخاصتي وخدمي لأضربن عنقه ولأقبضنّ ماله فمن شاء فليلزم ذلك، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم؟ أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إياك ثم إياك أن تفتحي بابك لملّيّ ولا ذميّ! فانصرفت ما تعقل ما تطأ فلم تنطق عنده بحلوة ولا بمرة بعد ذلك.." (١)

"قال: وكتب أعرابي إلى حماد الراوية المعروف بعجرد، وكان حماد يستثقله:

إن لي حاجةً فرأيك فيها ... لك نفسي الفدا من الأوصاب

وهي ليست مما يُبلّغها غي ... ري ولا أستطيعها في كتاب

---

(١) المحاسن والمساوئ، ص/٢٣٥

غير أني أقولها حين ألقا ... ك رويداً أسرّها **باكتئاب**

فكتب إليه: اكتب بالحاجة يا ثقيل. فكتب:

إني عاشقٌ لجبّتك الدك ... ناء عشقاً قد حال دون الشراب

فاكسنيها فدتك نفسي وأهلي ... أتمزّى بها على أصحابي

ولك الله والأمانة إني ... أجعلنها عمري أمير ثيابي

وقد قيل: إذا علم الثقيل أنه ثقيل فليس بثقيل.

ومما قيل فيهم من الشعر:

سألتك بالله إلا صدقت ... وعلمي بأنك لا تصدق

أتبغض نفسك من بغضها ... وإلا فأنت إذاً أحمق

ولآخر:

قل للبغيض أخي البغي ... ض ابن البغيض ابن البغيضه

أنت الذي حملتك أ ... مك بين فاحشة وحيضه

ضاقت على الثقلين من ... بغضائك الأرض العريضه

ودعت ملائكة السما ... ء عليك دعوى مستفيضه

ولآخر:

يا من تبرّمت الدنيا بطلعته ... كما تبرّمت الأجفان بالسهد

يمشي على الأرض مجتازاً فأحسبه ... من بغض طلعته يمشي على كبدي

ولآخر:

شخصك في مقلة النديم ... أثقل من رعية النجوم

يا رائحاً روحة علينا ... أثقل من سبة اللئيم

إني لأرجو بما أقاسي ... منك خلاصاً من الجحيم

ولآخر:

يا مفرعاً في قالب البغض ... بغضك يشكوك إلى بغض

كأنما تمشي على ناظري ... إذا تخطّأت على الأرض

ولآخر:

يا من له حركاتٌ ... على النفوس ثقيله

وليس يعرف معنى ... قصيرةٍ من طويله

أورثني بجلوسي ... إليك حمّى مليله

فاصفع لنفسك عنّي ... فإن كفّي عليله

ولآخر:

أيا من أعرض الربُّ ... عن العالم من بغضه

ومن عاذ مليك المو ... ت بالرحمن من قبضه

ويا من بغضه يشه ... د بالبغض على بغضه

مساوئ الحمقى

قيل في المثل: هو أحمق من عجل، هو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وذلك أنه قيل له: ما سميت فرسك؟ ففقأ عينه وقال: الأعور، أو قال: سميته أعور. وقال الشاعر فيه وفي قومه:

رمتني بنو عجلٍ بداء أبيهم ... وأي امريءٍ في الناس أحمق من عجل

أليس أبوهم عار عين جواده ... فصارت به الأمثال تضرب في الجهل

ويقال: هو أحمق من هبنقة، وبلغ من حمقه أنه ضلّ له بعير فجعل ينادي: من وجد البعير فهو له. فقيل له: فلم تنشده؟ قال: وأين حلاوة الوجدان! واختصمت إليه بنو الطفاوة وبنو راسب في رجل ادّعى هؤلاء وهؤلاء، فقالت الطفاوة: هذا من عرافتنا. وقالت بنو راسب: هذا من عرافتنا. ثم قالوا: قد رضينا بأول طالع علينا. فطلع عليهم هبنّقة، فلما رأوه قالوا: إنا لله! من طلع علينا؟ فلما دنوا قصّوا عليه قصّتهم فقال هبنقة: الحكم في هذا بيّن، يُذهب به إلى نهر البصرة فيُلقى فيه فإن كان راسبياً رسب وإن كان طفاوياً طفا. فقال الرجل: لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لي في الديوان. وكان هينقة يرعى غنم أهله فيرعى السمان في العشب وينحّي المهازيل عنه. فقيل له: ويحك ما تصنع؟ فقال: أُصلح ما أصلح الله وأُفسد ما أفسد الله. أو قال: لا أفسد ما أصلح ولا أصلح ما أفسد الله. وقال الشاعر:

عش بجدٍّ فلن يضرك نوكٌ ... إنما عيش من ترى بالجدود

عش بجدٍّ وكن هبنّقة العي ... سيّ نوكاً أو شيبة بن الوليد

رب ذي إربةٍ مقلٍّ من الما ... ل وذي عنجهيةٍ مجدود

وكان شيبة من عقلاء العرب.." (١)

"ابن المعتز:

إذا كُظَّ الفراتُ بماء مدٍّ ... أغصَّ به حلاقمَ كلِّ نهرِ

وقوله في ماء المد عجيب:

أما تَرَى المدَّ قدْ ... أتاكَ بماءٍ مُصندلِ

وهذا من فوارد شعره كقوله:

تميلُ من سَكَرات النوم قامتُه ... كمثلِ ماشٍ على دُفٍ بتخنيثِ

---

(١) المحاسن والمساوئ، ص/٢٥٠

وكقوله:

وكأنَّ السقاةَ بين النَّدامى ... ألِفاتٌ بين السُّطورِ قيامُ

وكقوله:

والبدرُ يأخذُهُ غيمٌ ويترُكُهُ ... كأنَّه سافرٌ عن خدِّ مَلطومِ

وكقوله:

في قمرٍ مُسترقٍ نصفُه ... كأنَّه مِجرفةُ العطرِ

آخر:

وجدولٍ كالحسام لاحَ على ... جلدةِ وشْي لمّاعةِ الذَّهبِ

كأنَّه والمُدودُ تتبعُه ... سلْخ حُبابٍ من كثرةِ الحَبَبِ

ابن المعتز:

وروضةٍ كأنَّها ... جلدُ سماء عاريَهْ

كأنَّما أنهارُها ... بماءِ وردٍ جاريَهْ

آخر:

وكأن درعاً مُفرَعاً من فضةٍ ... ماءُ الغدير جرتْ عليهِ شمألُ

وعلى ذكر المياه وقرارها أحسن الصنوبري في صفة البركة:

يا حسنَها من بركة أُفردتْ ... بالحُسنِ إحساناً من الواهبِ

كأنَّما الأعينُ في قَعرها ... راسبةٌ إثر القَذى الرَّاسبِ

بين بساتينَ مَيادينُها ... من سارقٍ للُّبِّ أوْ غاصبِ

ما بين مصبوغٍ بلا صابغٍ ... وبين مخضوب بلا خاضبِ

وجدولٍ ينسلُّ من جدولٍ ... مثلَ انْسلالِ المُرهف القاضبِ

والطيرُ من مستبشرٍ ضاحك ... فيه ومن **مكتئبٍ** نادبِ

وصادحٍ أُنساً إلى حاضرٍ ... وهاتفٍ شوقاً إلى غائبِ

وله أيضاً في البركة والفوَّارة:

وبركةٍ منظرُها يطربُ ... للماءِ فيها ألسنٌ تعربُ

تحسبُها من طولِ تَرجيعها ... دائمةً تُنشدُ أو تخطبُ

كأنَّ فواراتها وسطها ... إذا ترامتْ لعبٌ تلعبُ

من يمنةٍ فيها ومنْ يسرةٍ ... قنطرةٌ واقفةٌ تذهبُ

علي بن الجهم:

صحونٌ تسافرُ فيا العيونُ ... وتَحسرُ من بُعد أقطارِها

إذا أُوقدتْ نارُها بالعرا ... قِ أضاءَ الحجازَ سَنا نارِها

وقُبةُ ملكٍ كأنَّ النجو ... مَ تُصغي إليها بأسرارِها

وفوَّارةٌ ثأرُها في السَّما ... ءِ فليستْ تقصّرُ عن ثارِها

ترُد على المُزن ما أنزلتْ ... على الأرض من صوبِ أقطارِها

لها شُرُفاتٌ كأنَّ الرَّبي ... عَ كساها الرياضَ بأنوارِها

فهن كمُصطبحاتٍ خرجْ ... نَ لفصْح النَّصارى وإفطارِها

فمنْ بين عاقصةٍ شعرَها ... ومصلحةٍ عقْد زنَّارِها

الباب الخامس

جريِ الماء بين الخُضر

أبو فراس وأحسن في تشبيهه:

والماءُ يفصلُ بينَ زه ... ر الرَّوضِ في الشطَّينِ فصْلا

كبساطِ وشيٍ جرَّدتْ ... أيدي القيونِ عليهِ نصْلا

آخر:

كلبْسِكَ خَفتانَ وشيٍ بدا ... بياضُ الغِلالة من شرجهِ

آخر:

وجدولٍ كالمِبْرد المجلي ... على رياضٍ وثرًى ثريّ

الناجم:

انظرْ إلى الرَّوضِ الذك ... يِّ فحسنُهُ للعينِ قرَّهْ

وكأنَّ خضرتَهُ السَّما ... ءُ ونهرهُ فيها المجرَّهْ

النامي:

وكأنَّما الرَّوضُ السَّماءُ وزهرُهُ ... فيها المجرَّةُ والكؤوسُ الأنجمُ

أبو فراس:

وكأنَّما الغُدُرُ الملاءُ تحفُّها ... أنواعُ ذاك الرَّوض والزهرِ

بسطٌ من الدِّيباجِ بيضٌ فُرْوِزتْ ... أطرافُها بفراوزٍ خُضرِ

الباب السادس

تفتُّح الأنوار والأكمَّة

لبعضهم:

أكمَّةُ نُوَّار تبدَّتْ كأنَّها ... صماماتُ وشيٍ حرةُ البطنِ والظهرِ

ودائعُ للنَّيروزِ فيها كنينةٌ ... من الفضَّة البيضاءِ أوْ خالص التبرِ

كما زرَّتِ الحسناءُ فضلَ جيوبِها ... على الدُّرِّ والمرجانِ في واضحِ النحرِ

المعوَّج:

حقاقٌ منَ النوَّار مزرورةُ العُرا ... على قطع الياقوت واللؤلؤِ الغضِّ

فهنَّ على الأغصانِ أجفانُ فضَّةٍ ... وبالأمسِ كانتْ مُطبقاتٍ على الغمضِ

البحتري:

وقدْ نبَّه النَّيروزُ في غَلس الدُّجى ... أوائلَ وردٍ كنَّ بالأمسِ نُوَّما." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٣٢ """""""

وأنشد أبو علي ' ١ - ٦٥ ، ٦٥ ' لذي الرمة :

ظلت تفالي وظل الجون مصطخما . . . كأنه بتناهي الروض محجوم

ع وبعده :

حتى إذا حان من خضر قوادمه . . . ذي جدتين يكف الطرف تغييم

خلي لها سرب أولاها وهيجها . . . من خلفها لاحق الصقلين همهيم

يعني العير والأتن . ورواية أبي العباس :

وظل الجأب مكتئبا . . . كأنه عن سرار الأرض محجوم

ظلت تفالي يفلي بعضها بعضا ، والحمار مكتئب لأنها تضرحه من أجل أنها حوامل . وسرار الأرض أكرمها وأخلقها للنبات . يقول منعه إفراط العطش أن يأكل لأنه إنما يأكل اليبيس فصار بمنزلة المحجوم من الإبل وهو المكموم الفم . وخضر قوادمه : يعني الليل والأخضر الأسود عند العرب ، قال سبحانه في صفة الجنتين بشدة الخضرة : ' مدهامتان ' . وقوادمه : أوائله . والجدة : طريقة ممتدة مثل الطرة . وجعل إلباس الليل الأرض بمنزلة الغيم . خلي لها سرب أولاها : أي خلاها تتبع أواخرها سوابقها لما أرادت من الورد . وهيجها : حثها لطلب الماء . وهمهيم : ذو هماهم يرددها في صدره . والتناهي في رواية أبي علي جمع تنهية وهي مواضع تنهبط ويجتمع إليها ماء السيل .

وأنشد أبو علي ' ١ - ٦٥ ، ٦٥ ' :

قوم إذا اشتجر القنا . . . جعلوا القلوب لها مسالك." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٧١٠ """""""

بعض . ولو أن جميلا خاطب في كلامه مخاطبة عمر لارتج عليه ، وتعثر في كلامه . ولم يذكر أبو علي كلام الزبير وأنتقاده وهو صحيح وبه يتم الخبر .

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ص/٧٩

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٢٣٢/١

وذكر أبو علي خبر قيس بن ذريح مع أبيه وهو قيس بن ذريح بن الحباب بن سنة ، أحد بني ليث بن بكر بن عبد مناة ، وأمه بنت الكاهل بن عمرو الخزاعي ، أرضعت الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فقيس رضيع الحسين . ولبنى هي بنت الحباب الكعبية . قال القحذمي : كان قيس وأبوه من حاضر المدينة ، ومنازل قومه يظاهر المدينة . وقد أختلف في آخر أمر قيس ولبنى ، فقيل إنهما ماتا على افتراقهما قال المدائني : ماتت لبنى فخرج قيس ومعه جماعة من أهله حتى وقف على قبرها فقال :

ماتت لبنى فموتها موتى . . . هل تنفعن حسرة على الفوت

إني سأبكي بكاء مكتئب . . . قضى حياة وجدا على ميت ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه ، ومات بعد ثلاث ، فدفن إلى جنبها . وذكر القحذمى أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم ، وإلى جماعة من قريش فقال : إن لي حاجة وإني أستعين بجاهكم وأموالكم عليها ، قالوا : ذلك مبذول . فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه ، فمضى بهم إلى زوج لبنى ، فلما رآهم أعظمهم ، فقالوا : قد جئنا بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق ، قال : هي مقضية كانت ما كانت ، قال ابن أبي عتيق تهب لهم ولي لبنى وتطلقها ، قال : نعم أشهدكم أنها طالق ، فاستحيا القوم واعتذروا ، وعوضوه مائة ألف درهم منها ، وحملها ابن أبي عتيق حتى انقضت عدتها ، ثم أرسل إلى أبيها فزوجها قيسا فقال قيس :." (١)

"باب في الرجز والقصيد

قد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراهما، وباسم القصيد ما طالت أبياته، وليس كذلك؛ لأن الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور والمنهوك والمقطع: فأما الأول منها فنحو أرجوزة عبدة بن الطبيب:

باكرني بسحرة عواذلي ... وعذلهن خبل من الخبل

يلمنني في حاجة ذكرتها ... في عصر أزمان ودهر قد نسل

والنوع الثاني نحو قول الآخر:

القلب منها مستريح سالم ... والقلب مني جاهد مجهود

والنوع الثالث قول الآخر:

قد هاج قلبي منزل ... من أم عمرو مقفر

فهذه داخلة في القصيد، وليس يمتنع أيضاً أن يسمى ما كثرت بيوته من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة؛ لأن اشتقاق القصيد من " قصدت إلى الشيء "كأن الشاعر قصد إلى عملها على تلك الهيئة، والرجز مقصود أيضاً إلى عمله كذلك.

ومن المقصد ما ليس برجز وهم يسمونه رجزاً لتصريع جميع أبياته؛ وذلك هو مشطور السريع، نحو قول الشاعر أنشدناه أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي عن أبي علي الحسين بن إبراهيم الآمدي، عن ابن دريد، عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي زيد الأنصاري:

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي . موافقا للمطبوع، ٢/٧١٠

هل تعرف الدار بأعلى ذي القور ... غيرها نأج الرياح والمور

ودرست غير رماد مكفور ... مكتئب اللون مريح ممطور

وغير نؤى كبقايا الدعثور ... أزمان عيناء سرور المسرور

عيناء حوراء من العين الحور

وأنشد أبو عبد الله لابن المعتز:

ومقلة قد بات يبكيها ... فيض نجيع من مآقيها

وكلها طول تمنيها ... بأنجم الليل تراعيها

ومهجة قد كاد يفنيها ... طول سقام ثابت فيها

وبرؤها في كف مبليها ... كما ابتلاها فهو يشفيها

ليس لها من حبها ناصر ... من ذا على الأحباب يعديها

وهذا عند الجوهري من البسيط، والذي أنشد أبو عبد الله على قول الجوهري هو من الرجز، وجعل الجزء الآخر مستفع لن مفروق فيه الوتد، فأسكن اللام؛ لأن آخر البيت لا يكون متحركاً، فخلفه مفعولات.

وأما المنهوك المنسرح صبراً بني عبد الدار فهو عند الجوهري من الرجز، ومثله ويلم سعد سعداً إلا أنه أقصد منه.

فعلى كل حال تسمى الأرجوزة قصيدة طالت أبياتها أو قصرت، ولا تسمى القصيدة أرجوزة إلا أن تكون من أحد أنواع الرجز التي ذكرت، ولو كانت مصرعة الشطور كالذي قدمته؛ فالقصيد يطلق على كل الرجز، وليس الرجز مطلقاً على كل قصيد أشبه الرجز بالشطر.

قال النحاس: القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي ليس برجز، يكون مشتقاً من قرض الشيء أي: قطعه، كأنه قطع جنساً، وقال أبو إسحاق: وهو مشتق من القرض، أي: القطع والتفرقة بين الأشياء، كأنه ترك الرجز وقطعه من شعره.

وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزأين، نحو قول دريد بن الصمة يوم هوازن:

يا ليتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع

حتى صنع بعض المتعقبين وأظنه علي بن يحيى، أو يحيى، بن علي المنجم أرجوزة على جزء واحد، وهي:

طيف ألم بذي سلم ... بعد العتم يطوي الأكم

جاد بفم وملتزم ... فيه هضم إذا يضم

ويقال: إن أول من ابتدع ذلك سلم الخاسر، يقول في قصيدة مدح بها موسى الهادي:

موسى المطر غيث بكر ... ثم انهمر ألوى المرر

كم اعتسر ثم ايتسر ... وكم قدر ثم غفر

عدل السير باقي الأثر ... خير وشر نفع وضر

خير البشر فرع مضر ... بدر بدر والمفتخر

لمن غبر

والجوهري يسمي هذا النوع المقطع.

وقد رأى قوم أن مشطور الرجز ليس بشعر؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:

هل أنت إلا إصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت." (١)

"قيل له إنك خرجت عن العروض فقال أنا سبقت العروض. ولأنه يُخرج بديع الألفاظ ورائق السبك إلى الاستبراد والركاكة، وذلك حالة التقطيع والتفعيل، وربما أوقع المرء في مهوى الزلل ومقام الخجل بما يتحول إليه ضوغ البنية من منكر الكلام وشنيع الفحش، كما جرى في مداعبة أبي نواس وعنان جارية الناطفي حين قالت إن كنت تحسن النظر في العروض فقطع هذا البيت:

حوَّلوا عنا كنيستكم

يا بني حمّالة الحطبِ

فقطعه فضحكت منه، وفعل بها مثل ذلك في تقطيع قوله:

أكلتُ الخردل الشّاميّ

في صفحةِ خبّازِ

وقد صرح الجاحظ وهو من علماء اللسان بذمّ علم العروض فقال: هو علم مولّد وأدب مستبرد ومذهبٌ مرذول يستنكد العقول بمستفعلن وفعول من غير فائدةٍ ولا محصول. والجواب أن الحق الذي به كل منصف أن لهذا العلم شرفاً على ما سواه من علوم الشعر لصحة أساسه واطراد قياسه ونُبل صنعته ووضوح أدلّته. وجدواه حصر أصول الأوزان ومعرفة ما يعتريها من الزيادة والنقصان وتبيين ما يجوزمنها على حسن أو قبح وما يمتنع، وتفقدُ محالٌ المعاقبة والمراقبة والخرم والخزم وغير ذلك مما لا يتزن على اللسان ولا تتفطن إليه الفِطرُ والأذهان، فالجاهل بهذا العلم قد يظن البيت من الشعر صحيح الوزن سليما من العيب وليس كذلك، وقد يعتقد الزّحاف السائغ كسراً وليس به كقوله:

قلتُ استجيبي فلما لم تُجبْ

سالت دموعي على ردائي

وقول الآخر:

عيناك دمعها سِجالُ

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص/٥٩

كأن شأنيهما أوشالُ

وقول الآخر:

النشرُ مسكٌ والوجوهُ دنا

نير وأطراف الأكفّ عنمْ

وقول الآخر: شمنازلٌ عفا هُنّ بذي الأرا_ك كلُّ وابلٍ مُبلٍ هطلِ وقول الآخر:

صرمتكَ أسماءُ بعد وصالها

فأصبحت مكتئباً حزينا." (١)

"ولا يُعجبنكَ إكرامهم إياكَ للنسب، فإنّ الأنسابَ أقل مناقبِ الخير غناءً عن أهلها في الدينِ والدنيا.

ولكن إذا أكرمتَ على دينٍ أو مروءةٍ فذلكَ فليعجبكَ! فإن المروءةَ لا تزايلكَ في الدنيا. وإن الدينَ لا يزايلكَ في الآخرةِ.

الجبن والرص مقتلة ومحرمة

واعلم أن الجبنَ مقتلةٌ، وأن الحرص محرمةٌ.

فانظر في ما رأيتَ أو سمعتَ: أمن قتلَ في القتالِ مقبلاً أكثر أم من قتلَ مدبراً؟ وانظر أمن يطلبُ إليكَ بالإجمالِ والتكرمِ أحق أن تسخو نفسكَ له بطلبتهِ أم من يطلبُ إليكَ بالشرهِ والزيغِ؟ اعلم أنهُ ليس كلُ من كان لكَ فيه هوى، فذكرهُ ذاكرٌ بسوء وذكرتهُ أنتَ بخيرٍ ينفعهُ ذلكَ. بل عسى أن يضرهُ.

فلا يستخفنكَ ذكر أحدٍ من صديقكَ أو عدوك إلا في مواطنِ دفعٍ أو محاماةٍ. فإن صديقكَ أو عدوكَ إلا في مواطنِ دفعٍ أو محاماةٍ. فإن صديقكَ إذا وثق بكَ في مواطنِ المحاماةِ لم يحفلِ بما تركَ مما سوى ذلكَ، ولم يكن لهُ عليكَ سبيلُ لائمةٍ.

وإن من أحزمِ الرأي لكَ في أمرِ عدوكَ ألا تذكرهُ إلى حيث تضُرهُ. وألا تعُد يسيرَ الضررِ لهُ ضرراً.

احترس مما يقال فيك

اعلم أن الرجل قد يكونُ حليماً، فيحملهُ الحرصُ على أن يقولَ الناسُ جليدٌ، والمخافةُ أن يقالَ مهينٌ على أن تتكلفَ الجهل. وقد يكونُ الرجلُ زميتاً فيحملهُ الحرصُ على أن يقالَ لسنٌ، والمخافةُ من أن يقالَ عيي على أن يقولَ في غيرِ موضعهِ فيكونَ هذراً.

فاعرف هذا وأشباهه، واحترس منهُ كلهِ.

نزاهة العرض وبقاء العزّ

إذا بدهكَ أمرانِ لا تدري أيهما أصوبُ فانظر أيهُما أقربُ إلى هواكَ فخالفهُ، فإن أكثر الصواب في خلافِ الهوى.

وليجتمع في قلبكَ الافتقارُ إلى الناسِ والاستغناء عنهم، وليكنِ افتقاركَ إليهم في لينِ كلمتكَ لهم، وحسنِ بشركَ بهم. وليكنِ

---

(١) العيون الغامزة، ص/١٧٨

استغناؤكَ عنهم في نزاهةِ عرضكَ وبقاء عزكَ.

كيف تجالس الناس

لا تُجالسِ امرأ بغيرِ طريقتهِ، فإنكَ إن أردتَ لقاءَ الجاهلِ بالعلمِ، والجافي بالفقهِ، والعيي بالبيانِ لم تزد على أن تضيعَ علمكَ وتؤذي جليسكَ بحملكَ عليهِ ثقل مالا يعرفُ وغمكَ إياهُ بمثلِ ما يغتم بهِ الرجلُ الفصيحُ من مخاطبةِ الأعجمي الذي لا يفقهُ عنهُ.

واعلم أنه ليس من علمٍ تذكرهُ عند غيرِ أهلهِ إلا عابوه، ونصبوا لهُ ونقضوهُ عليكَ، وحرصوا على أن يجعلوهُ جهلاً، حتى إنّ كثيراً من اللهو واللعبِ الذي هو أخفُ الأشياء على الناسِ ليحضرهُ من لا يعرفهُ فيثقُلُ عليهِ ويغتم به.

وليعلم صاحبكَ أنكَ تشفقُ عليهِ وعلى أصحابهِ، وإياكَ إن عاشركَ امرؤ أو رافقكَ أن لا يرى منكَ بأحدٍ من أصحابهِ وإخوانهِ وأخدانهِ رأفةً، فإنّ ذلكَ يأخذُ من القلوبِ مأخذاً. وإن لطفكَ بصاحبِ صاحبكَ أحسنُ عندهُ موقعاً من لطفكَ بهِ في نفسهِ.

واتقِ الفرحَ عندَ المحزونِ، واعلم أنهُ يحقدُ على المنطلقِ ويشكرُ **للمكتئبِ**.

اعلم أنكَ ستسمع من جلسائك الرأي والحديثَ تنكرهُ وتستجفيهِ وتستشنعُهُ بهِ عن نفسهِ أو غيرهِ، فلا يكونن منكَ التكذيبُ ولا التسخيفُ لشيءٍ مما يأتي به جليسك. ولا يجرئنكَ على ذلكَ أن تقولَ: إنما حدثَ عن غيرهِ، فإن كل مردودٍ عليهِ سيمتعضُ من الرد. وإن كانَ في القومِ من تكرهُ أن يستقر في قلبهِ ذلك القولُ، لخطأ تخافُ أن يعقدَ عليه، أو مضرةٍ تخشاها على أحدٍ فإنكَ قادرٌ على أن تنقضَ ذلك في سترٍ، يكونَ ذلك أيسرَ للنقضِ وأبعدَ للبعضةِ.

ثم اعلم أن البغضةَ خوفٌ، وأن المودةَ أمنٌ، فاستكثر من المودةِ صامتاً، فإنّ الصمت سيد عوها إليكَ. إذا ناطقتَ فناطق بالحسنى، فإن المنطق الحسنَ يزيدُ في ود الصديق ويستل سخيمةَ الوغرِ.

واعلم أن خفضَ الصوتِ وسكون الريحِ ومشي القصدِ من دواعي المودةِ، إذا لم يخالط ذلك بأو ولا عجبٌ. أما العجبُ فهو من دواعي المقتِ والشنآن.

المستشار ليس بضامن وجه الصواب." (١)

"تأليف : دانييل – هنري باجو

الأدب العام والمقارن

ترجمة :

د. غسان السيد

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٧

---

(١) الأدب الكبير والأدب الصغير، ص/٢٦

تصميم الغلاف للفنان : جليدان الجاسم

الإهداء

إلى أخي وصديقي الأستاذ رجب ابراهيم

قلت ... : أنت ملاح مسافر، والسفر غُصة **واكتئاب**، والعود ياصديقي فعلُ مكرّم جليل فيه عزة ومهابة واقتدار.

وأقول ... : الحياة سفر دائم لا عودة منه. والمأساة يا صديقي أن لا أحد يصغي إلى أحد في هذا السفر الذي يجمع أناساً أتعبهم صمت الطريق، وأحباباً أضناهم الغياب.

إليك ... أهدي كتابي، وأدعوك للسفر مع كلماته التي تمنح الخلود.

)

المترجم

الدكتور غسان السيد، دكتوراه في الأدب المقارن من جامعة ستراسبورغ في فرنسا. مدرس الأدب المقارن في قسم اللغة العربية في جامعة دمشق.

- المؤلفات.

١- إشكالية الموت في أدب جورج سالم، دمشق، ١٩٩٣.

٢- الحرية الوجودية بين الفكر والواقع - دراسة في الأدب المقارن، ١٩٩٤ .

٣- دراسات في الأدب المقارن والنقد، دمشق، ١٩٩٦.

- الأعمال المترجمة عن الفرنسية.

١- مقدمة في المناهج النقدية للتحليل الأدبي، بالاشتراك مع الدكتور وائل بركات، دمشق، ١٩٩٤.

٢- ما الأدب المقارن؟ دمشق، ١٩٩٦

٣- ما الجنس الأدبي؟ اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٧

٤- الأدب العام والمقارن.

... يكتب في الصحافة والمجلات السورية والعربية

)

مقدمة المترجم

هذا كتاب آخر في الأدب المقارن أضعه بين يدي القارئ العربي عله يسد ثغرة مازلت أعتقد بوجودها، ويمد جسور التواصل

بين هذا القارئ وبين حقل معرفي لايستطيع أي مهتم بالأدب اليوم تجاهله، لأنه يشكل جزءاً هاماً من المنظومة الأدبية على المستويين المحلي والعالمي.." (١)

" عروضه من الخفيف غناه معبد ولحنه ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر ويلبن وبرام موضعان والآطام جمع أطم وهي القصور والحصون وقال الأصمعي الآطام الدور المسطحة السقوف وفي رواية ابن عمار ذي أواش بالشين معجمة كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أي منقوشة ورواه إسحاق أواس بالسين غير معجمة وقال واحدها آسي وهو الأصل قال ويقال فلان في آسيه أي في أصله والآسي والأساس واحد وذرا كل شيء أعاليه وهو جمع واحدته ذروة ويروى

(أبلغن السلام إن جئت قومي ...)

وروى الزبير بن بكار هذه الأبيات لأبي قطيفة وزاد فيها

(أقطع الليل كله **باكتئاب** ... وزفير فما أكاد أنام)

(نحو قومي إذ فرقت بيننا الدار ... وحادت عن قصدها الأحلام)

(خشية أن يصيبهم عنت الدهر ... وحرب يشيب منها الغلام)

(فلقد حان أن يكون لهذا الدهر ... عنا تباعد وانصرام)

ابن الزبير يعفو عن أبي قطيفة

رجع الخبر إلى سياقته من رواية ابن عمار وأخبرنا بمثله من هذا الموضع الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الحزامي وهو إبراهيم بن المنذر عن مطرف بن عبد الله المدني قالا إن ابن الزبير لما بلغه شعر أبي قطيفة هذا قال حن والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله من لقيه فليخبره أنه آمن ." (٢)

" الشعر لعنترة بن شداد العبسي والغناء فيه لحنين ثاني ثقيل

ومنها

صوت

(حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني خاتل يدنو لصيد)

(قريب الخطو يحسب من رآني ... ولست مقيدا أني بقيد)

الغناء لحنين الحيري ثقيل أول

وفيه لإبراهيم الموصلي ماخوري جميعا عن ابن المكي ووافقه عمرو بن بانة في لحن إبراهيم الموصلي ونسبة الشعر الذي غناه حنين في منزل سكينة عليها السلام يقال إنه لعدي بن زيد وقيل إن بعضه له وقد أضافه المغنون إليه

ولحنه خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق

صوت

---

(١) الأدب العام والمقارن، ص/١

(٢) الأغاني، ١/٣٥

(راع الفؤاد تفرق الأحباب ... يوم الرحيل فهاج لي أطرابي)

(فظللت مكتئبا أكفكف عبرة ... سحا تفيض كواشل الأسراب)

(لما تنادوا للرحيل وقربوا ... بزل الجمال لطية وذهاب) ." (١)

" (وكنت دون رجال قد جعلتهم ... دوني إذ ما رأوني مقبلا قطبوا)

(إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا ... شرا أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا)

(رأوا صدودك عني في اللقاء فقد ... تحدثوا أن حبلي منك منقضب)

(فذوا الشماتة مسرور بحيضتنا ... وذوا النصيحة والإشفاق مكتئب)

قال فتبسم وأمرني بالجلوس فجلست ورجع إلي وقال إياك أن تعاود وتمام هذه القصيدة

(أين الذمامة والحق الذي نزلت ... بحفظه وبتعظيم له الكتب)

(وحوكي الشعر أصفيه وأنظمه ... نظم القلائد فيها الدر والذهب)

(وإن سخطك شيء لم أناج به ... نفسي ولم يك مما كنت أكتسب)

(لكن أتاك بقول كاذب أثم ... قوم بغوني فنالوا في ما طلبوا)

(وما عهدتك فيما زل تقطع ذا ... قربى ولا تدفع الحق الذي يجب)

(ولا توجع من حق تحمله ... ولا تتبع بالتكدير ما تهب)

(فقد تقربت جهدا من رضاك بما ... كانت تنال به من مثلك القرب)

(فغير دفعك حقي وارتفاضك لي ... وطيك الكشح عني كنت أحتسب)

(أمشمت بي أقواما صدورهم ... علي فيك إلى الأذقان تلتهب)

(قد كنت أحسب أني قد لجأت إلى ... حرز وألا يضروني وإن ألبوا)

(إن التي صنتها عن معشر طلبوا ... مني إلي الذي لم ينجح الطلب)

(أخلصتها لك إخلاص امرئ علم الأقوام ... أن ليس إلا فيك يرتغب)

(أصبحت تدفعها مني وأعطفها ... عليك وهي لمن يجبى بها رغب) ." (٢)

" (غيرته الصبا وكل ملث ... دائم الورق مكفهر السحاب)

(دار هند وهل زماني بهند ... عائد بالهوى وصفو الجناب)

(كالذي كان والصفاء مصون ... لم تشبه بهجرة واجتناب)

(ذاك منها إذ أنت كالغصن غض ... وهي رؤد كدمية المحراب)

---

(١) الأغاني، ٣٥٠/٢

(٢) الأغاني، ٣٠٦/٤

(غادة تستبي العقول بعذب ... طيب الطعم بارد الأنياب)

(وأثيث من فوق لون نقي ... كبياض اللجين في الزرياب)

(فأقل الملام فيها وأقصر ... لج قلبي من لوعة واكتئاب)

(صاح أبصرت أو سمعت براع ... رد في الضرع ما قرى في العلاب)

(انقضت شرتي وأقصر جهلي ... واستراحت عواذلي من عتابي)

وقال فيها يفخر على العرب بالعجم

(رب خال متوج لي وعم ... ماجد مجتدى كريم النصاب)

(إنما سمي الفوارس بالفرس ... مضاهاة رفعة الأنساب)

(فاتركي الفخر يا أمام علينا ... واتركي الجور وانطقي بالصواب)

(وأسألي إن جهلت عنا وعنكم ... كيف كنا في سالف الأحقاب) ." (١)

" (لا أشرب الراح إلا من يدي رشأ ... تقبيل راحته أشهى من الراح)

فضحك وقال صدقت والله ثم دعا بوصيفة كأنها صورة تامة الحسن لطيفة الخصر في زي غلام عليها أقبية ومنطقة فقال لها تولي سقي أبي محمد فما زالت تسقيه حتى سكر ثم أمر بتوجيهها وكل ما لها في داره إليه فحملت معه

إسحاق وزهراء الكلابية

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الصباح قال

كانت امرأة من بني كلاب يقال لها زهراء تحدث إسحاق وتناشده وكانت تميل إليه وتكني عنه في عشيرتها إذا ذكرته بجمل قال فحدثني إسحاق أنها كتبت إليه وقد غابت عنه تقول

(وجدي بجمل على أني أجمجمه ... وجد السقيم ببرء بعد إدناف)

(أو وجد ثكلى أصاب الموت واحدها ... أو وجد مغترب من بين ألاف)

قال فأجبتها

(أقر السلام على الزهراء إذ شحطت ... وقل لها قد أذقت القلب ما خافا)

(أما رثيت لمن خلفت مكتئبا ... يذري مدامعه سحا وتوكافا)

(فما وجدت على إلف أفارقه ... وجدي عليك وقد فارقت ألافا) ." (٢)

" الحسن بن جهور قال حدثني هشام بن الأحنف راوية بشار قال إني لعند بشار ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت يا أبا معاذ عبدة تقرئك السلام وتقول لك قد اشتد شوقنا إليك ولم نرك منذ أيام فقال عن غير مقلية والله كان ذاك ثم قال لراويته يا هشام خذ الرقعة واكتب فيها ما أقول لك ثم ادفعه للرسول

(١) الأغاني، ٤/٤٠٣

(٢) الأغاني، ٥/٣٤٠

قال هشام فأملى علي

(عبد إني إليك بالأشواق ... لتلاق وكيف لي بالتلاقي)

(أنا والله أشتهي سحر عينيك ... وأخشى مصارع العشاق)

(وأهاب الحرسي محتسب الجند ... يلف البريء بالفساق)

ومما يغني فيه من شعر بشار في عبدة قوله

صوت

(لعبدة دار تكلمنا الدار ... تلوح مغانيها كما لاح أسطار)

(أسائل أحجارا ونؤيا مهدما ... وكيف يجيب القول نؤي وأحجار)

(وما كلمتني دارها إذ سألتها ... وفي كبدي كالنفط شبت به النار)

(وعند مغاني دارها لو تكلمت ... **لمكتئب** بادي الصبابة أخبار)

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لإبن جامع ثقيل أول عن الهشامي ومن هذه القصيدة

صوت

(تحمل جيراني فعيني لبينهم ... تفيض بتهتان إذا لاحت الدار) ." (١)

" وصيته قبل وفاته

قال

واشتكى حارثة بن بدر وأشرف على الموت فجعل قومه يعودونه فقالوا له هل لك من حاجة أو شيء تريده قال نعم اكسروا رجل مولاي كعب لئلا يبرح من عندي فإنه يؤنسني ففعلوا وأنشأ يقول

(يا كعب مهلا فلا تجزع على أحد ... يا كعب لم يبق منا غير أجساد)

(يا كعب ما راح من قوم ولا بكروا ... إلا وللموت في آثارهم حادي)

(يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت ... إلا تقرب آجالا لميعاد)

(يا كعب كم من حمى قوم نزلت به ... على صواعق من زجر وإيعاد)

(فإن لقيت بواد حية ذكرا ... فاذهب ودعني أمارس حية الوادي)

جاء بعقب هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرين

صوت

(عش فحبيك سريعا قاتلي ... والضنى إن لم تصلني واصلي)

(ظفر الشوق بقلب دنف ... فيك والسقم بجسم ناحل)

---

(١) الأغاني، ٦/٢٦٠

(فهما بين **اكتئاب** وضنى ... تركاني كالقضيب الذابل)

الشعر لخالد الكاتب والغناء للمسدود رمل مطلق في مجرى الوسطى وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه وأنه أول صوت سمعه فكتبه

ثم جاءت بعد هذا أخبار خالد الكاتب ." (١)

" اليوسفي عن علي بن صالح صاحب المصلى قال قال لي أبو عمرو المدني

ماتت لبنى فخرج قيس ومعه جماعة من أهله فوقف على قبرها فقال

(ماتت لبينى فموتها موتي ... هل تنفعن حسرتي على الفوت)

(وسوف أبكي بكاء **مكتئب** ... قضى حياة وجدا على ميت)

ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل فلم يزل عليلا لا يفيق ولا يجيب مكلما ثلاثا حتى مات فدفن إلى جنبها

وذكر القحذمي وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعة من قريش فقال لهم إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن يردني فيها وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه قالوا ذلك لك مبتذل منا فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه فمضى بهم إلى زوج لبنى فلما رآهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره فقالوا لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق قال هي مقضية كائنة ما كانت قال ابن أبي عتيق قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل قال نعم قال تهب لهم ولي لبنى زوجتك ." (٢)

" (وافاك يوم على نكراء مشتمل ... لم ينج من مثله عاد ولا لبد)

(فما تكشف إلا عن مولولة ... حرى **ومكتئب** أحشاؤه تقد)

قال فبكى الفضل وبكى الناس معه وما انصرفوا يومئذ يتذاكرون غير أبيات أشجع

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسن بن محمد بن طالب الديناري قال حدثني علي بن الجهم قال

دخل أشجع على الرشيد وقد مات ابن له والناس يعزونه فأنشده قوله

(نقص من الدين ومن أهله ... نقص المنايا من بني هاشم)

(قدمته - فاصبر على فقده - ... إلى أبيه وأبي القاسم)

فقال الرشيد ما عزاني اليوم أحد أحسن من تعزية أشجع وأمر له بصلة

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا العنزي قال حدثني عبد الرحمن بن النعمان السلمي قال كنا بباب جعفر بن يحيى وهو عليل فقال لنا الحاجب إنه لا إذن عليه فكتب إليه أشجع

(لما اشتكى جعفر بن يحيى ... فارقني النوم والقرار)

---

(١) الأغاني، ٨/٤٣٣

(٢) الأغاني، ٩/٢٥٢

(ومر عيشي علي حتى ... كأنما طعمه المرار)

(خوفا على جعفر بن يحيى ... لا حقق الخوف والحذار)

(إن يعفه الله لا نحاذر ... ما أحدث الليل والنهار)

قال فأوصل الحاجب رقعته ثم خرج فأمره بالوصول وحده وانصرف سائر الناس ." (١)

" وبينها فتشوقها تشوقا شديدا وقال فيها

صوت

(سلام على النازح المغترب ... تحية صب به مكتئب)

(غزال مراتعه بالبليخ ... إلى دير زكى فجسر الخشب)

(أيا من أعان على نفسه ... بتخليفه طائعا من أحب)

(سأستر والستر من شيمتي ... هوى من أحب لمن لا أحب)

وجمع المغنين فحضر إبراهيم الموصلي وابن جامع وفليح وزبير بن دحمان والمعلى بن طريف وحسين بن محرز وسليم بن سلام ويحيى المكي وابنه وإسحاق وأبو زكار الأعمى وأعطاهم الشعر وقال ليعمل كل واحد منكم فيه لحنا قال فلقد عملوا فيه عشرين لحنا فما أعجب منها إلا بلحن الزبير وحده أعجب به إعجابا شديدا وأجازه خاصة دون الجماعة بجائزة سنية

غنى إبراهيم في هذه الأبيات ولحنه ماخوري بالوسطى ولفليح فيها ثاني ثقيل بالوسطى ولابن جامع رمل بالبنصر ولابن المكي ثقيل أول بالوسطى وللزبير بن دحمان خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر وللمعلى خفيف رمل بالوسطى ولإسحاق رمل بالوسطى وللحسين بن محرز هزج بالوسطى ." (٢)

" (فبت أرعى نجوم الليل مكتئبا ... إخال سنته في الليل قرطاسا)

غنى في الأول والرابع من هذه الأبيات حكم الوادي ولحنه رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وأول هذه القصيدة

(يا دير هند لقد أصبحت لي انسا ... وما عهدتك لي يا دير مئناسا)

وهي مشهورة من شعره

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال قلت

(وصف الصد لمن أهوى فصد ...)

---

(١) الأغاني، ٢٣١/١٨

(٢) الأغاني، ٣١٧/١٨

ثم أجبلت فمكثت عدة ليال لا يستوي لي تمامه فدخل علي التيمي فرآني مفكرا فقال ما قصتك فأخبرته فقال ."

(١)

" (بكى لشتات الدين مكتئب صب ... وفاض بفرط الدمع من عينه غرب)

(وقام إمام لم يكن ذا هداية ... فليس له دين وليس له لب)

(وما كانت الآباء تأتي بمثله ... يملك يوما أو تدين له العرب)

(ولكن كما قال الذين تتابعوا ... من السلف الماضين إذ عظم الخطب)

(ملوك بني العباس في الكتب سبعة ... ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب)

(كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة ... خيار إذا عدوا وثامنهم كلب)

(وإني لأعلي كلبهم عنك رفعة ... لأنك ذو ذنب وليس له ذنب)

(لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم ... وصيف وأشناس وقد عظم الكرب)

(وفضل بن مروان يثلم ثلمة ... يظل لها الإسلام ليس له شعب)

أخبرني عمي قال حدثني ميمون بن هرون قال

لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه

(قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا ... في خير قبر لخير مدفون)

(لن يجبر الله أمة فقدت ... مثلك إلا بمثل هارون)

فقال دعبل يعارضه

(قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا ... في شر قبر لشر مدفون)

(اذهب إلى النار والعذاب فما ... خلتك إلا من الشياطين)

(ما زلت حتى عقدت بيعة من ... أضر بالمسلمين والدين) ." (٢)

" وكان إيتاخ صديقا لابن أبي داود فكان يغشاه كثيرا فقال له بعض كتابه إن هذا بينه وبين الوزير ما تعلم وهو يجيئك دائما ولا تأمن أن يظن الوزير بك ممالأة عليه فعرفه ذلك فلما دخل ابن أبي داود إليه خاطبه في هذا المعنى فقال إني والله ما أجيئك متعززا بك من ذلة ولا متكثرا من قلة ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك فإن لقيناك فله وإن تأخرنا عنك فلنفسك ثم خرج من عنده فلم يعد إليه

وفي هذه القصة أخبار كثيرة يطول ذكرها ليس هذا موضعها وإنما ذكرنا ها هنا هذا القدر منها كما يذكر الشيء بقرائنه

صوت

---

(١) الأغاني، ٥٣/٢٠

(٢) الأغاني، ١٥٨/٢٠

(عش فحبيك سريعا قاتلي ... والضنى إن لم تصلني واصلي)

(ظفر الشوق بقلب دنف ... فيك والسقم بجسم ناحل)

(فهما بين اكتئاب وضنى ... تركاني كالقضيب الذابل)

الشعر لخالد الكاتب والغناء للمسدود رمل مطلق في مجرى الوسطى وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه وأنه أول صوت سمعه فكتبه ." (١)

" وقد كان يعرفني وكنت متصلا ببعض أسبابه فأدخلت إليه فقالت أنشدني يا خالد شيئا من شعرك فقلت يا أمير المؤمنين ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله " إن من الشعر لحكما " وإنما أمزح وأهمل فقال لا تقل هذا فإن جد الأدب وهزله جد هات أنشدني فأنشدته

(عش فجبيك سريعا قاتلي ... والضنى إن لم تصلني واصلي)

(ظفر الشوق بقلب دنف ... فيك والسقم بجسم ناحل)

(فهما بين اكتئاب وضنى ... تركاني كالقضيب الذابل)

قال فاستملح ذلك ووصلني

حدثني حمزة بن أبي سلالة الشاعر الكوفي قال دخلت بغداد في بعض السنين فبينا أنا مار بجنينة إذا أنا برجل عليه مبطنة نظيفة وعلى رأسه قلنسية سوداء وهو راكب قصبة والصبيان خلفه يصيحون به يا خالد يا بارد فإذا آذوه حمل عليهم بالقصبة فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرقوا وأدخلته بستانا هناك فجلس واستراح واشتريت له رطبا فأكل واستنشدته فأنشدني

(قد حاز قلبي فصار يملكه ... فكيف أسلو وكيف أتركه)

(رطيب جسم كالماء تحسبه ... يخطر في القلب منه مسلكه)

(يكاد يجري من القميص من النعمة ... لولا القميص يمسكه)

فاستزدته فقال لا ولا حرف

وذكر علي بن الحسين بن أبي طلحة عن أبي الفضل الكاتب أنه دعا خالدا ذات يوم فأقام عنده وخلع عليه فما استقر به المجلس حتى خرج ." (٢)

" قال فأتبعته رسولا ليعرف خبره فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يحبه فسأل عنه فوجده في دار القمار فمضى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب وقبله وعانقه وعاد إلينا فلما جاء خالد أعطيت الغلام الذي وجهنا به دنانير ودعاه فجاء به إلينا وأخفيناه وسألنا خالدا عن خبره فكتمه وجمجم فغمزنا الرسول فأخرجه علينا فلما رآه خالد بكى ودهش فقلنا له لا ترع فإن من القصة كيت وكيت وإنما أردنا أن نعرف خبرك لا أن نسوءك فطابت نفسه وأجلسه إلى جنبه وقال قد بليت بحبه وبالخوف عليه مما قد بلي به من القمار ثم أنشد لنفسه فيه

---

(١) الأغاني، ٢٩٠/٢٠

(٢) الأغاني، ٢٩٨/٢٠

(محب شفه ألمه ... وخامر جسمه سقمه)

(وباح بما يجمجمه ... من الأسرار مكتتمه)

(أما ترثي لمكتئب ... يحبك لحمه ودمه)

(يغار على قميصك حين ... تلبسه ويتهمه)

من شعره في الشوق

وذكر علي بن الحسين أيضا أن محمد بن السري حدثه أنه طال الغيبة عن بغداد وقد وسوس خالد فمر به في الرصافة والصبيان يصيحون به يا غلام الشريطي يا خالد البارد ويرجع إليهم فيضربهم ويزيد ويرميهم قال فقلت له كيف أنت يا أبا الهيثم قال كما ترى فقلت له فمن تعاشر اليوم قال من أحذره فعجبت من جوابه مع اختلاله فقلت له ما قلت بعدي من الشعر قال ما حفظه الناس وأنسيته وعلى ذلك قولي

(كبد شفها غليل التصابي ... بين عتب وسخطة وعذاب)

(كل يوم تدمى بجرح من الشوق ... ونوع مجدد من عذاب) ." (١)

" صوت

(عرضن للذي تحب بحب ... ثم دعه يروضه إبليس)

(فلعل الزمان يدنيك منه ... إن هذا الهوى جليل نفيس)

(صابر الحب لا يصرفك فيه ... من حبيب تجهم وعبوس)

(وأقل اللجاج واصبر على الجهد ... فإن الهوى نعيم وبوس)

في هذه الأبيات للمسدود هزج ذكره لي جحظة وغيره عنه

وأما قوله

(تحبب فإن الحب داعية الحب ...)

فقد مضت نسبته في أخبار علية

ماردة الجارية تأمره أن يجيب الرشيد على رسالته

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العباس الكاتب قال

كان الرشيد يحب ماردة جاريته وكان خلفها بالرقة فلما قدم إلى مدينة السلام اشتاقها فكتب إليها

صوت

(سلام على النازح المغترب ... تحية صب به مكتئب) ." (٢)

---

(١) الأغاني، ٢٠/٢٩٩

(٢) الأغاني، ٢٢/٥٠

" (من بين ملتهب الفؤاد ... وبين مكتئب الضمير)

(يا عدتي للدين والدنيا ... وللخطب الخطير)

(كانت جفوني ثرة الآماق ... بالدمع الغزير)

(لو لم أمت جزعا لعمرك ... إنني عين الصبور)

(يومي هنالك كالسنين ... وساعتي مثل الشهور)

(يا جعفر المتوكل العالي ... على البدر المنير)

(اليوم عاد الدين غضض ... العود ذا ورق نضير)

(واليوم أصبحت الخلافة ... وهي أرسى من ثبير)

(قد حالفتك وعاقدتك ... على مطاولة الدهور)

(يا رحمة للعالمين ... ويا ضياء المستنير)

(يا حجة الله التي ... ظهرت له بهدى ونور)

(لله أنت فما نشاهد ... منك من كرم وخير)

(حتى نقول ومن بقربك ... من ولي أو نصير)

(البدر ينطق بيننا ... أم جعفر فوق السرير)

(فإذا تواترت العظائم ... كنت منقطع النظير)

(وإذا تعذرت العطايا ... كنت فياض البحور)

(تمضي الصواب بلا وزير ... أو ظهير أو مشير)

فقال المتوكل للفتح أن إبراهيم لينطق عن نية خالصة وود ." (١)

" (تعلو بنا قلل الجبال ودونها ... مما هوت أهوية وشعاب)

(فإذا حللت لدي الأمير بأرضه ... نلت المنى وتقضت الآراب)

(ملك تأثل عن أبيه وجده ... مجدا يقصر دونه الطلاب)

(وإذا وزنت قديم ذي حسب به ... خضعت لفضل قديمه الأحساب)

(قوم علوا أملاك كل قبيلة ... فالناس كلهم لهم أذناب)

(ضربت عليه المكرمات قبابها ... فعلا العمود وطالت الأطناب)

(عقم النساء بمثله وتعطلت ... من أن تضمن مثله الأصلاب)

صوت

(صغير هواك عذبني ... فكيف به إذا احتنكا)

---

(١) الأغاني، ١٦١/٢٢

(وأنت جمعت من قلبي ... هوى قد كان مشتركا)

(وحبس هواك يقتلني ... وقتلي لا يحل لكا)

(أما ترثي لمكتئب ... إذا ضحك الخلي بكى)

الشعر لمحمد بن عبد الملك الزيات والغناء لأبي حشيشة رمل بالوسطى عن الهشامي ." (١)

" عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال

وصفني محمد بن عبد الملك للمعتصم وقال ما له نظير في ملاحة الشعر والغناء والعلم بأمور الملوك فلقيته فشكرته وقلت جعلت فداءك أتصف شعري وأنت أشعر الناس ألست القائل

(ألم تعجب لمكتئب حزين ... خدين صبابة وحليف صبر)

(يقول إذا سألت به بخير ... وكيف يكون مهجور بخير)

قال وأين هذا من قولك

(يقول لي كيف أصبحت ... كيف يصبح مثلي)

ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال لقي الكنجي محمد بن عبد الملك فسلم عليه فلم يجبه فقال الكنجي

(هذا وأنت ابن زيات تصغرنا ... فكيف لو كنت يا هذا ابن عطار)

فبلغ ذلك محمدا فقال كيف ينتصف من ساقط أحمق وضعه رفعه وعقابه ثوابه

أخبرني الصولي قال أخبرني عبد الله بن محمد الأزدي قال حدثني يعقوب بن التمار قال

قال محمد بن عبد الملك لبعض أصحابه ما أخرك عنا قال موت أخي قال بأي علة قال عضت أصبعه فأرة فضربته الحمرة فقال ." (٢)

"محاسيب ذلك المقام المنيف بما شملهم من اللطف والتشريف بالدعاء اللطيف والسلام الشريف فهم بذلك مسرورون محبورون مبتهجون متشكرون وأني بوسيلة الانتماء إلى تلك الحضرة الشماء اسأل لي ولهم دوام ما تعودناه من كرم الشيم الغراء ولولدي الأكبر المحسوب ابن المحسوب محمد الأمين من بركات تلك التوجهات العلياء أن يفرغ الله علينا وعليه من جزيل الصبر وجميل العزاء ما يهون عليه وعلينا ما أصابنا في هذه الأيام الأخيرة من فقد ولده ويعوضنا عنه بفضله وبركة الحضرة الكريمة أحسن العوض من عنده فلقد غمنا هذا المصاب وعمنا الحزن والاكتئاب فأنا لله وأنا راجعون استسلاما لأمره واغتناما لأجره ورضاء بقضائه وقدره والأمل في تلك الشمائل الطاهرة والمكارم الظاهرة إمدادنا من الدعوات المستطابة الممنوحة من الله سبحانه فضل الإجابة بما يثلج الصدور

---

(١) الأغاني، ٥٠/٢٣

(٢) الأغاني، ٦١/٢٣

ويسهل المعسور ويبدل الأحزان بالسرور هذا ولشريف مقام سيدي الصنو الشريف اكرم السلام وأجله

وأكمله وأجمله ولحضرات الأخوان الكرام وسائرين من يلوذ بشرف ذلك المقام اسنى التحية وأزكى

السلام أدام الله بالجميع لنا النفع ولسائر الأنام بجاه خاتم الأنبياء العظام عليه وعليهم أفضل الصلاة

وأتم السلام.

وكتب إليه أيضاً

حيا الله بأجل تحية وأجملها وأتمها وأكملها وأعمها وأشملها منبع نور السداد وموضع ظهور الإمدادومجمع البحرين العل

والإرشاد ومطلع النيرين الهدى والرشاد الحضرة النضرة النبوية العلوية

السيدية السندية الاوحدية المحمدية أدام الله النفع للعباد والعباد بسببها والرفع من مهاوي الدركات إلى

معالي الدرجات بحبها ومتعني ببركات نفحاتها ولمحات توجهاتها وجعلني من المستضيئين بمشكاتها

الفائزين برضاه وثوابه الناجين من غضبه وعقابه بكرمه وكراماتها واحمده سبحانه على الصحة

والعافية ونعمة الشمول بأنظار تلك الحضرة العالية وله الشكر على ما توالت به على عواطفها." (١)

"قضاء رب ولا استئناف يوفقه لا يسلم المرء منه أينما هربا

يا يوم فيه أتانا نعيه غلسا يوما من اليأس أعيا شرحه الخطبا

يوما رأيت سواري النور كاسفة في ليلة ومحيا الكون مكتئبا

وكل ساع لإعدام الوجود له يدها يسلب المسلوب والسلبا

وحوله خشع يدعون ربهم له ورب العلى لم يستحب طلبا

كانت مشيئته أن لا يدوم لنا فقيدنا فاصطفاه اليوم وانتخبا

يعيضه دائما عن زال فكذا قضت إرادته فاختار ذا سببا

أراده لديار الخلد منتدبا إياه منا فلبى الأمر وانسحبا

وقال يا عبد لجها اليوم مغتبطا كل بما فد جنت يمناه واكتسبا

فيها لكم جنة من كل فاكهة زوجان قد ملئت من كل ما عذبا

من يكره الموت ميلا للحياة فما هذا بها شغفا لكنه رهباما قد خصصت عبادي من أطايبها لم يأت في فكر إنسان ولا كتبا

ولا رأت ذاك عين لا ولا سمعت أذن قبل هذا اليوم قط نبا

يا عبد لجها أمينا بالسلام وعش في صفوها خالدا رغدا ولا حرابا

لكم بها كل ما تبغون من أمل ومن نعيم فإن الحق قد وجبا

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

أتجزع أن نفس أتاها حمامها فهلا التي عن بين جنبيك تدفع

(١) الآثار الفكرية، ص/٢٦٨

أيها النفس اجملي جزعا أن الذي تحذرين قد وقعا

هي النفس ما حملتها تتحمل وللدهر أيام تجور وتعدل

شكا وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت وللصبر أن لم ينفع الشكو أجمل

هذا وان من سنة الخلف رثاء كملة السلف وعلى من أكل مرثية أخي في الله أبيك الوالد مستغنيا بالطارف من مآثره الحسنة عن التالد هذا وانه قد تجارت وتبارت قبلنا حلبة الرثاة والنثاة في ميدانها وتناضلت وتعاظلت وانتضلت بالشعر والكلام النثر حول راية الخصل المصاقع والمفلقون من فرسانها ومن المعلوم أن في الرثاء الغث والسمين والودع الكاسد والدر الثمين وأن من النثاة والراثاة من يتكلم قبل أن يتعلم ومن يتعلم لا يتقن ولا يحسن أن يتكلم وأن في خيل الحلبة الأغر المحجل." (١)

"والريح تعبث بالدخان؟

الريح تعبث، في فتور **واكتئاب**، بالدخان،

وصدى غناء..

داو يذكر بالليالي المقمرات وبالنخيل،

وأنا الغريب؟ أظل أسمعه وحلم بالرحيل

في ذلك السوق القديم.

- ٣ -

وتناثر الضوء الضئيل على البضائع كالغبار،

الظلال على الظلال، كأنها اللحن الرتيب،

ويريق ألوان المغيب الباردات، على الجدار

وعلى الرفوف الرازحات كأنها سحب المغيب.

الكوب يحلم بالشراب وبالشفاه

ويد تلونها الظهيرة والسراج أو النجوم.

ولربما بردت عليه وحشرجت فيه الحياة،

في ليلة ظلماء باردة الكواكب والرياح،

في مخدع سهر السراج به، وأطفأه الصباح

- ٤ -

ورأيت، من خلل الدخان، مشاهد الغد كالظلال.

تلك المناديل الحيارى وهي تومئ بالوداع

---

(١) الآثار الفكرية، ص/٤٦٢

أو تشرب الدمع الثقيل، وما تزال

تطفو وترسب في خيالي ؟هوم العطر المضاع." (١)

"آه والموتى صموت كالظلام

أعرضوا عنها ومروا في سلام

وهي كالبرعم تلتف على أسرارها.

والحديقه

سقسق الليل عليها في **اكتئاب**

مثل نافورة عطر وشراب

وخيال وحقيقه

بين نهديك ارتعاش يا وفيقه

فيه برد الموت باك

واشرأبت شفتاك

تهمسان العطر في ليل الحديقه.

١٢ - ٨ - ١٩٦١." (٢)

"ما كلّ ما يتمنّى المرؤ يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السّفن

وقيّدت نفسي في ذراك محبّةً ... ومن وجد الإحسان قيداً تقيّدا

السريّ الموصليّ الرفّاء:

خذوا من العيش فالأعمار فانيةٌ ... والدهر منصرمٌ والعيش منقرض

إذا العبء الثقيل توزّعته ... رقاب القوم خفّ على الرّقاب

والفضل ما شهدت به الأعداء

وإنّك كلّما استودعت سرّاً ... أنمّ من النسيم على الرياض

لا تأنفنّ من العتاب وقرصه ... فالمسك يسحق كي يزيد فضائلا

ما أحرق العود الذي أشممته ... خطأً ولا غمّ البنفسج باطلا

إلى كم أحبّر فيك المديح ... ويلقى سواي لديك الحبورا

أبو بكر الخالدي:

إن خانك الدهر فكن عائذاً ... بالبيد والظلماء والعيس

---

(١) اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص/٢٢٢

(٢) اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص/٢٦٢

ولا تكن عبد المنى فالمنى ... رؤوس أموال المفاليس

وأخٌ رخصت عليه حتى ملّني ... والشيء مملولٌ إذا ما يرخص

ما في زمانك ما يعزّ وجوده ... إن رمته إلا صديقٌ مخلص

أخوه أبو عثمان الخالدي:

يا هذه إن رحت في ... سملٍ فما في ذاك عار

هذي المدام هي الحيا ... ة قميصها خزفٌ وقار

صغيرٌ صرفت إليه الهوى ... وهل خاتمٌ في سوى خنصر

قالت: رقدت فقلت: الهمّ أرقدني ... والهمّ يمنع أحياناً من السّهر

أصفو وأكدر أحياناً لمختبري ... وليس مستحسناً صفوٌ بلا كدر

لا عار يلحقني أني بلا نشب ... فأيّ عارٍ على عينٍ بلا حور

الخبّاز البلدي:

إذا استثقلت أو أبغضت خلقاً ... وسرّك بعده حتى التّناد

فشرّده بقرض دريهماتٍ ... فإن القرض داعية البعاد

المهلّبي الوزير:

سابقي بالوصل حولي ... أو مغيبي أو مشيبي

فهو للفتيان في الدن ... يا بمرصادٍ قريب

لو توسّطت إذا لم تترّك ... وكففت النفس عن بعد الأرب

كان أرجى لك في العتبى من أن ... تملأ الدلو إلى عقد الكرب

أبو إسحق الصّابي:

نعم الله كالوحوش وما تأ ... لف إلا الأخاير النّسّاكا

نفّرتها آثام قومٍ وصير ... ت لها البرّ والتقى أشراكا

وأحقّ من نكسته ... بالصّغر عن درجاته

من مجده من غيره ... وسفاله من ذاته

ومن الظّلم أن يكون الرّضى سرّاً ... ويبدو الإنكار وسط النادي

الضّبّ والنون قد يرجى التقاؤهما ... وليس يرجى التقاء اللّبّ والذهب

وحيث يكون النقص فالرزق واسعٌ ... وحيث يكون الفضل فالرّزق ضيّق

جملة الإنسان جيفه ... وهيولاه سخيفه

فلماذا ليت شعري ... قيل للنّفس الشريفه

إنّما ذلك فيه ... صنعة الله اللطيفه

ابن نباتة السّعدي:

فلا تحقرنّ عدوّاً رماك ... وإن كان في ساعديه قصر

فإن السيوف تحزّ الرقاب ... وتعجز عما تنال الإبر

أرى هم المرء اكتئاباً وحسرةً ... عليه إذا لم يسعد الله جدّه

وما للفتى في حادث الأمر حيلةٌ ... إذا نحسه في الأمر قابل سعده

مثل خلعت على الزمان رداءه ... عوز الدراهم آفة الأجواد

يهوى الثناء مبرّزٌ ومقصرٌ ... حبّ الثناء طبيعة الإنسان

ونبت بنا أرض العرا ... ق فما محنّاها بمحنه

غير الرحيل كفى البلا ... د برحلة الفضلاء هجنه

أحسد قوماً عليك قد غلبوا ... وكل من بادر المدى غلبا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٩٤ """""""

وأنشد ابن أبي طاهر صاحب كتاب بغداد وصاحب المنثور والمنظوم لشاعر : الطويل فسقيا لأيام الشباب الذي مضى . . ورعيا لعيش عنده غير عائد لهونا بها حينا وما كان مرها . . . على طولها إلا كرقدة راقد وأنشد ابن أبي طاهر أيضا لشاعر : البسيط وقد رجوتك دون الناس كلهم . . . وللرجاء حقوق كلها يجب فأعطني منك ما أملت في عجل . . . فإنني من تقاضي الجد مكتئب إلا تكن لي أسباب أمت بها . . . ففي العلا لك أخلاق هي النسب قال الحسن البصري : ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر . وكان يقال : من أنذر كمن بشر . وكان يقال : من عدم فضيلة الصدق في منطقه فقد فجع بأكرم أخلاقه . ويقال : القصد ما إن زيد عليه كان إسرافا ، وإن نقص منه كان تقتيرا .." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٤٠ """""""

لا يجمع الطرف أدناه وآخره . . . ولا يسايره التحصيل والعدد إذا أناخت على قوم كلاكله . . . لم تطف حرته إلا وقد خمدوا قال ابن أبي طاهر : ذكر أعرابي البراغيث فقال : قبحها الله ، ليلها ناصب ، وطالبها دائب ، ومددها ثائب . وقال إسحاق : ذكر آخر البراغيث فقال : أخزاها الله ما آذى صغارها ، وما أشر كبارها ، وما أخفى انطمارها ، وما أسرع مطفارها ، وأقبح آثارها . كذا حكي لي . لبعض أهل المغرب : الوافر أتضحي في كتامة ذا اكتئاب . . . تقارعها قياما في قيام إذا ما وقعة دارت رحاها . . . بجز معاصم وبفلق هام أتت أخرى تطم وتعتليها . . . يشيب لوقعها رأس الغلام أألتذ الحياة بخفض عيش . . . معاذ الله والشهر الحرام ولكن التجلد لي خدين . . . فسني ضاحك والقلب دام لعل الله يجمعنا جميعا . . . وقد تمت لنا رتب الكرام قدم حماد بن جميل من فارس ، فأتى آل المهلب في حق لهم وعليه جبة وشي ، فنظر

---

(١) التمثيل والمحاضرة، ص/٢٧

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ٩٤/١

إليه يزيد بن المنجاب وقال : ' هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ' الإنسان : ١ ، فقال حماد : ' كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ' النساء : ٩٤ .." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧٠ """""""

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما رواه أبو الدرداء : لتدخلن الجنة كلكم أجمعون إلا من شرد على الله عز وجل شراد البعير . رأى أبو الدرداء منزل رجل قد شاده فقال : ما أحكم ما تبنون ، وما أطول ما تأملون ، وأقرب ما تموتون . قال فيلسوف : القوب أوعية السرائر ، والشفاه أقفالها ، والألسنة مفاتيحها ، فليحفظ كل منكم مفتاح وعاء سره . قال فيلسوف : أعلم الناس بالدهر أقلهم تعجبا من أحداثه . يقال : من أثر الخير سار به ذكره ، وتوفر عليه أجره . شاعر : المنسرح لاح له بارق فأرقه . . . فبات يرعى النجوم **مكتئبا** يطيعه الطرف عند دمعته . . . حتى إذا حاول الرقاد أبى قال أعرابي : خير المعروف ما لم يتقدمه مطل ولم يتبعه من . قال ابن السماك : لولا ثلاث لم يسل سيف ، ولم يقع حيف :." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٨٩ """""""

فمن ذا الذي يخشاكم لملة . . . ومن ذا الذي يغشاكم بسلام رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة . . . بشرب مدام أو بلثم غلام ولم تعلموا أن اللسان موكل . . . بمدح كرام أو بذم لئام كاتب : أشد من كرب الشوق ، وأفطع من حرق الفراق ، ما تضمنه صدر من لا تساعده دموعه ، ولايطاوعه لسانه ، فترى الزفرات تتردد في أحشائه ، والغموم تتلظى تحت جوانحه ، ولو انطلقت عبرته وأسمح لسانه ، لطفي بعض ما يعانيه ، ولهذا نبذ ما يقاسيه ، وإن كان قدر التبل بفراقك أعظم من أن يوازن بالبكاء ، ومقدار الصبابة إليك أقوى من أنيستدرك **بالاكتئاب** . قال الزيادي ، قال السري : النبيذ صاوبن الغم . شاعر : الخفيف رب ليل وصلته بنهار . . . ورضاب مزجته بعقار ومدام أدرتها بيمين . . . وصلاف أخذتها بيسار وصغار شربتها بحبيب . . . وحبيب صرعته بكبار وظباء جمعت بين لذيذ ال . . . عيش بيني وبينها في إزار." (٣)

""""""""" صفحة رقم ٧١ """""""

قال الحسن البصري : لا يرد جوائز الأمراء إلا مراء أو أحمق . قال الأصمعي : لما قتل المختار أخذ رأسه وحمل بدنه على بغل ، فكان كلما مال مسك بأيره ، فكان أيره سكانه . هذا لفظ الأصمعي . لأبي الخطاب النحوي : أما والله لولا خوف هجر . . . يكون من التنازع والعتاب وأمر لست أدري كيف آتي . . . إذا فكرت فيه بالجواب لقلت مقالة فيها شفاء . . . لنفسي من هموم **واكتئاب** ولكن سوف أصبر فاصطباري . . . على المكروه أولى بالصواب قال ابن السماك : عجبا للفتى المترف الذي تعود النعيم في الدنيا ، والطعام الطيب ، والمركب الوطيء ، والمنزل الواسع ، كيف لا يعمل ها هنا مخافة

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٤٠/١

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ١٧٠/١

(٣) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٨٩/٤

أن يفوته ذاك في الآخرة ، وعجبا للفقير المجهود الذي لا يقدر من الدنيا على حاجته كيف لا يعمل رجاء أن يذهب إلى نعيم وروح ويستريح مما هو فيه . قال عبيد الله بن زياد : إياكم والطمع فإنه دناءة ، والله لقد." (١)

"؟وغنينا كابني نويرة يوماً في رخاءٍ ولذّةٍ واتّفاق

ثمّ صرنا لفرقةٍ ذات بعدٍ ... كلّ حيٍّ مصيره لفراق

وقال أيضاً يرثيه: الكامل

صلّى الإله على أمريءٍ فارقته ... بالشّام في حدّ الضّريح الملحد

بوّأته بيديّ دار مقامةٍ ... نائي المحلّة عن مزار العوّ؟د

ولئن تركتك يا محمّد ثاوياً ... لبما تروح مع الكرام وتغتدي

وغبرت أعوله وقد أسلمته ... لسفى الأماعز والمزار الأبعد

وأرى الوفود لدى المنازل من منىً ... شهدوا وإنّك غائبٌ لم تشهد

أعني ابن عروة إنّه قد هدّني ... فقد ابن عروة هدّةً لم تقصد

والمرء رهن منيّةٍ يدعى لها ... لا بدّ أسرع من رداء المرتدي

وإذا ذهبت إلى العزاء أريده ... غلب العزاء وحيل دون تجلّدي

غلب التّعزّي أنّني لفراقه ... لبس العدوّ عليّ جلد الأربد

وقال البعيث ومات ابن له فقال يرثيه بشعر حفظ منه بيت استحساناً: الطويل

فصادف منّي غصّةً لا يسيغها ... شرابٌ ولم يذهب مرارتها العسل

وأخبرنا عن مخلد بن حمزة عن عبد الملك بن عمير قال: دخل عبد الله ابن الزبير على أمه، أسماء ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقال: يا أمه، قد خذلني الناس، فلم يبق معي إلا من ليس عنده من المنع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت. فما رأيك ؟ قالت: يا بني، أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق، وإليه تدعو، فامض على حقك، ولا تمكن غلمان بني أمية من نفسك. فقال: وفقك الله، هذا رأيي، وإني لحسن الظن بربي، فإن هلكت فلا يشتد جزعك علي، فإن ابنك لم يتعمد إتيان دنية، ولا عملاً بفاحشة، ولم يسع بغدر، ولم يجر في حكم، ولم يكن شيء آثر عنده من رضى ربه. اللهم إني لا أقول هذا تزكيةً لنفسي. أنت أعلم بي. ولكن أقوله لتسلو عني.

ويروى أنه خرج فحمل على أهل الشام وهو يتمثل: الطويل

فلست بمبتاع الحياة بسبّةٍ ... ولا مرتقٍ من خشية الموت سلّما

وقال رحمه الله تعالى: الرجز

يا أمّ إن متّ فلا تبكيني ... الدّرع والبيضة لا تنجيني

من قدر الله إذا يأتيني ... قد علم الأعبد أنّ دوني

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٧١/٩

ضرباً كإيزاغ المخاض الجون ... إيهاً شمالي عاوني يميني

فإن كرهت صحبتي فبيني ... فإنّما يضنّ بالضّنين

وتحدث عن سفيان بن عيينة قال: رأى سعيد بن جبير ابنه يطوف بالبيت فقال: هذا أعز الخلق علي، وما شيء أسر إلي من أن يكون في ميزاني.

وأخبرنا عن عامر بن حفص قال: جزع القلاخ بن حزن على أخيه جحناء فقال: الطويل

أعاذل من يرزأ كجحناء لا يزل ... حزيناً، ويزهد بعده في العواقب

ثمال أناسٍ كان يجمع بينهم ... ويدفع عنهم كلّ أبلخ شاغب

الأبلخ: المتكبر. وقال ضمرة بن ضمرة: المتقارب

ماويّ لست برعديدةٍ ... أبلخ جاد على المعدم

وقال عن الحسن بن دينار: جزع رجل على ابن له، فشكا ذلك إلى الحسن بن أبي الحسن فقال له الحسن: هل كان ابنك هذا يغيب عنك ؟ قال: نعم كانت غبته عني أكثر من حضوره قال: فأنزله غائباً، فإنه لم يغب عنك غيبةً، الأجر لك فيها، أعظم من هذه الغيبة.

ومن غير هذا الإسناد أنه قال: فأنزله غائباً عنك، فإنه إن لم يقدم عليك قدمت عليه. قال: يا أبا سعيد، قد هونت من وجدي على ابني.

وأخبرني عن أبي إسماعيل الهمداني عن مجالد عن الشعبي قال: مات ابن لشريح فلم يشعر أحد بموته، ولم يصرخ عليه أحد، فغدا قوم إلى شريح يسألونه عن ابنه فقالوا: كيف أصبح مريضك يا أبا أمية ؟ قال: قد سكن علزه، ورجاه أهله، وما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة.

والعلز: شدة القلق.

وقال: أحد بني كليب: البسيط

وإن رأيت سهيلاً ظلت مكتئباً ... كأنّني راقبٌ للنّجم أو علز

وأخبر عن أبي عمرو بن يزيد قال: احتضر رجل فوضع رأسه في حجر أخيه، فدمعت عين أخيه فقطرت قطرة من دموعه على خد المريض، فأفاق من غشيته، فنظر إلى أخيه يبكي فقال: الطويل." (١)

"٢٣ - إذا تراكمت عليك الأعمال فلا تلتمس الروح في مدافعتها والرواغ فيها، فإنه لا راحة لك إلا في إصدارها، وإن الصبر عليها هو الذي يحققها والضجر منها هو الذي يراكمها عليك إذا ورد عليك شغل وأنت في آخر قبله فلا تكدر عليك الأول تكديرا يفسده، وليكن معك رأيك، فاختر أولى الأمرين فاشتغل به حتى يفرغ، ولا يعظمن عليك تأخير ما تأخر إذا أعملت الرأي معمله وجعلت شغلك في حقه.

٢٤ - اجعل لنفسك في كل شيء غاية ترجو القوة والتمام عليها، واعلم انك إذا جاوزت الغاية في العبادة صرت إلى

---

(١) التعازي والمراثي، ص/٥٠

التقصير، وإن جاوزتها في حمل العلم لحقت بالجهال، وإن جاوزتها في تكلف رضى الناس والخفة معهم في حاجاتهم كنت المسحور المضيع.

٢٥ – لا تجالسن امرءا بغير طريقته، فإنك إن أردت لقاء الجهل بالعلم، والجافي بالفقه، والعيي بالبيان، لم تزد على أن تضيع عقلك وتؤذي جليسك لحملك عليه ثقل ما لا يعرف، واعلم أنه ليس من علم يذكر عند غير أهله إلا عادوه ونصبوا له ونقضوه وحرصوا على أن يجعلوه جهلا، حتى إن كثيرا من اللعب واللهو الذي هو أخف الأشياء على الناس، ليحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به.

٢٦ – اتق الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقد على الطلق ويشكر **المكتئب**. إذا سمعت من جليسك حديثا يحدث به عن نفسه أو عن غيره، مما تنكره وتستخفه، فلا يكونن منك التكذيب والتسخيف، ولا يجرئنك عليه أن تقول إنما حدث عن غيره، فإن كل مردود عليه سيمتعض من الرد، فإن كان في القوم من تكره له أن يستقر في قلبه ذلك القول لخطأ تخاف أن يعتقده أو مضرة تخشاها إلى أحد فإنك قادر على أن تنقض ذلك في ستر فيكون أيسر للنقض، وأبعد من البغضة، واعلم أن خفض الصوت وسكون الريح ومشي القصد من دواعي المودة إذا لم يخالط ذلك بأو ولا عجب.

٢٧ – تعلم حسن الاستماع وإمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعي لما يقول.

٢٨ – و من الأخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والإعتراض فيه والقطع للحديث.

٢٩ – واعلم أن شدة الحذر عين عليك لما تحذر، وإن شدة الإتقاء تدعو إلى ما تتقي.

٣٠ – إن رأيت نفسك قد تصاغرت الدنيا إليها، ودعتك نفسك إلى الزهادة فيها، على كل حال تعذر من الدنيا عليك، فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال، فإنها ليست بزهادة ولكنها ضجر واستخذاء عند ما أعجزك من الدنيا، وغضب منك عليها بما التوى عليك منها، ولو تممت على رفضها أوشكت أن ترى من نفسك من الضجر والجزع أشد من ضجرك الأول، ولكن إذا دعتك نفسك إلى بغض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرع إجابتها.

٣١ – إذا كنت في جماعة قوم فلا تعمن جيلا من الناس ولا أمة من الأمم بشتم ولا ذم، فإنك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك، ولا تذمن مع ذلك اسما من أسماء الرجال والنساء تقول: إن هذا لقبيح من الأسماء، إذا كنت لا تدري لعل ذلك يوافق لبعض جلسائك بعض أسماء الأهلين والحرم، ولا تستصغرن من هذا كله شيئا، فكله يجرح في القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد.

وصى محمد بن علي بن الحسين بعض أصحابه وهو يريد سفرا، فقال: لا تسيرن سيرا وأنت حاقن، ولا تنزلن عن دابة ليلا لقضاء حاجة إلا ورجلك في خف، ولا تبولن في نفق، ولا تذوقن بقلة ولا تشمها حتى تعلم ما هي، ولا تشرب من سقاء حتى تعلم ما فيه، واحذر من تعرف، ولا تصحب من لا تعرف. تعلموا العلم فإن تعلمه جنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعظيمه صدقة، وبذله لأهله قربة، والعلم منار الجنة، وأنس من الوحشة، وصاحب في الغربة، ورفيق في الخلوة، ودليل على السراء، وعون على الضراء، وزين عند الإخلاء، وسلاح الإعداء، ويرفع الله به قوما ليجعلهم

في الخير أئمة يقتدى بفعالهم وتقتص آثارهم، ويصلي عليهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه.

ومن كلامه: صانع المنافق بلسانك، وأخلص مودتك للمؤمن، ولا تجاوز صدقاتك إلى كافر.." (١)

"قالت زينب بنت علي: صدق الله ورسوله يا يزيد: ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوءى إن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون. أظننت يا يزيد حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة، وأن هذا لعظم خطرك فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان فرحا حين رأيت الدنيا مستوسقة لك، والأمور متسقة عليك، وقد مهلت ونفست وهو قول الله تبارك وتعالى: ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين. أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك نساءك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هتكت ستورهن، وهن مكتئبات، تخدي بهن الأباعر، وتحدو بهن الأعادي من بلد إلى بلد، لا يراقبن ولا يؤوين، يتشوقهن القريب والبعيد، ليس معهن ولي من رجالهن؟ وكي يستبطا في بغضتنا من نظر إلينا بعين الشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟ أتقول: ليت أشياخي ببدر شهدوا، غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكث ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك؟ ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، بإهراقك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وسلم ونجوم الأرض من آل عبد المطلب؟! ولتردن على الله وشيكا موردهم ولتودن أنك عميت وبكمت ولم تقل: لأهلوا واستهلوا فرحا.

اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم لنا ممن ظلمنا. والله ما فريت إلا في جلدك، ولا حززت إلا في لحمك، وسترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم برغمك، وعترته ولحمته في حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث، وهو قول الله تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين. وسيعلم من بوأك ومكنك من رقاب المؤمنين إذا كان الحاكم الله تعالى والخصم محمد صلى الله عليه وسلم، وجوارحك شاهدة عليك، فبئس لظالمين بدلا، وأيكم شر مكانا وأضعف جندا، مع آني والله يا عدو الله وابن عدوه أستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، غير أن العيون عبرى، والصدور حرى، وما يجزي ذلك أو يغني عنا. وقد قتل الحسين عليه السلام حزب الشيطان تقربا إلى حزب السفهاء ليعطوهم أموال الله تعالى على انتهاك محارم الله. فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الزواكي تقتاتها غيلان الفلوات. فلئن اتخذتنا مغنما لنتخذنك مغرما حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، تستصرخ بابن مرجانة ويستصرخ بك، ونتقاضى عند الميزان، وقد وجدت أفضل زاد زودك معاوية قتلك ذرية محمد صلى الله عليه وسلم؛ فوالله ما اتقيت غير الله، ولا شكواي إلا إلى الله، فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا أبدا. والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان، وأوجب لهم الجنة. أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات، وأن يوجب لهم المزيد من فضله فإنه ولي قدير.." (٢)

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٠٣/١

(٢) التذكرة الحمدونية، ٢٣٤/٢

"لإنما أنت ربيع باكر ... حيث ما صرفه الله انصرف

كتب الوزير ذو السعادات ابن أبي الفرج بن فسانجس إلى أبي غالب بن بشران النحوي: (من الوافر)

أودعكم وإني ذو **اكتئاب** ... وأرحل عنكم والقلب آبي

وإن فراقكم في كل حال ... لأوجع من مفارقة الشباب

أسير وما ذممت لكم جوارا ... ولا ملت مباركها ركابي

لكم مني المودة في اغتراب ... وأنتم إلف نفسي في اقتراب

وروعات الفراق وإن أغامت ... تقشعها مسرات الإياب

أبو عثمان الخالدي وقد عزم على توديع المهلبي: (من البسيط)

إنا لنرحل والأهواء أجمعها ... لديك مستوطنات ليس ترتحل

لهن من خلقك الروض الأريض ومن ... نداك يغمرهن العارض الهطل

لكن كل فقير يستفيد غنى ... دعاه شوق إلى أوطانه عجل

وكل غاز إذا جلت غنيمته ... فإن آثر شيء عنده القفل

وكتب السري الرفاء إلى بني فهد يتشرقهم: (من الطويل)

تناءوا ولما ينصرم حبل عزهم ... وحاشا لذاك الحبل أن يتصرما

فشرق منهم سيد ذو حفيظة ... وغرب منهم سيد متشائما

كأن نواحي الجو تنثر منهم ... على كل فج قاتم اللون أنجما

البحتري: (من الكامل)

أما مصافحة الوداع فإنها ... ثقلت فما اسطاعت تنوء بها يدي

فعليك تضعيف السلام فإنني ... إما أروح غدا وإما أغتدي

وله: (من الكامل)

سأودع الإحسان بعدك واللهى ... إذ حان منك البين والتوديه

وسأستقل لك الدموع صبابة ... ولو أن دجلة لي عليك دموع

ومن البديع أن انتأيت ولم يرح ... جزعي على الأحشاء وهو بديع

إسحق الموصلي ودع بها الفضل بن يحيى: (من المتقارب)

فراقك مثل فراق الحياة ... وفقدك مثل افتقاد الديم

عليك سلام فكم من وفاء ... أفارق فيك وكم من كرم

المتنبي يودع: (من الوافر)

وإني عنك بعد غد لغاد ... وقلبي عن فنائك غير غاد

محبك حيث ما اتجهت ركابي ... وضيفك حيث كنت من البلاد

سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات ليلة من بيت مغنية: (من الطويل)

تطاول هذا الليل وازور جانبه ... وأرقني أن لا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله لا شيء غيره ... لزعزع من هذا السرير جوانبه

فأمر برد زوجها.

المتنبي: (من الطويل)

يضاحك في ذا العيد كل حبيبه ... حذائي وأبكي من أحب وأندبه

أحن إلى أهلي وأهوى لقاءهم ... وأين من المشتاق عنقاء مغرب

فإن لم يكن إلا أبو المسك أو هم ... فإنك أحلى في فغؤادي وأعذب

وكل امرئ يولي الجميل محبب ... وكل مكان ينبت العز طيب

وله: (من المنسرح)

إذا صديقي نكرت جانبه ... لم تعيني في فراقه الحيل

في سعة الخافقين مضطرب ... وفي بلاد من أختها بدل

سير الوليد بن عقبة كعب بن ذي الحنكة النهدي إلى دنباوند فقال: (من الطويل)

وإن اغترابي في البلاد وجفوتي ... وشتمي في ذات الإله قليل

وإن دعائي كل يوم وليلة ... عليكم بدنباوندكم لطويل

الرضي الموسوي: (من السريع)

ما الرزق بالكرخ مقيما ولا ... طوق العلى في جيد بغداد

وما مقام الحر في عيشه ... لها المقادير بمرصاد

وقال: (من الطويل)

أروغ كأني في الصباح طريدة ... وأسري كأني في الظلام خيال

تمطى بنا أذوادنا كل مهمه ... خفائف تخفيها ربى ورمال

خوارج من ليل كأن وراءه ... يد الفجر في سيف جلاه صقال

تقوم أعناق المطايا نجومه ... فليس لسار فوقهن ضلال

وقال: (من الكامل)

كم مهمه لبست إليك ركابنا ... والأرض برد بالمنون مسهم

حتى تراعفت المناسم والذرى ... فسواء الأعلى ذرى والمنسم

وقال: (من الوافر)." (١)

"فيركبها والخيل محدقة به ... ويؤثرها يوم المباهاة والحفل

وقد جاوزت في السوم كل مثمن ... من الرائع المنسوب والجامل البزل

يفوت هماليج البراذين سيرها ... على قحة الأعيار من شبه النجل

باب ركوب البغلة والطمع في القضاء

ونحن بالبصرة إذ رأينا الرجل يطلب الرأي، ويركب بغلاً، ويردف خلفه غلاماً قضينا بأنه يطمع في القضاء قال ابن الممزق:

إذا ركب الشيخ الشريف بغيلة ... وناظر أهل الرأي عند هلال

فذاك الذي يبغي القضاء بسمته ... .الذئب أم غزال

فإن أردف العبد الصغير وراءه ... فويل لأيتام وإرث رجال

وإن ركب البرذون واشتد خلفه ... فصاحب أشراط وحمل إلال

وقال ابن مناذر في واحد من هذا الشكل

رأيت أبا موسى يغر بسمته ... ويقسم في الجيران كر طعام

ويخدعهم والله غالب أمره ... بقد كقد المشرفي حسام

يريد قضاء المصر والمصر منكر ... لكل مراء مهتر بغلام

ببشر وسمت واكتئاب وخشعة ... وكثرة تسبيح ولين كلام

ويركب بغلاً ثم يردف خلفه ... غلاماً كما أبصرت شق جلام

يريد هلالاً لا يحاول غيره ... وقدماً سما للرأي غير مام

سواء لذي الرأي الشريف وغيره ... إذا كنت ذا حفظ فلج بسلام

يصير فقيهاً في شهور يسيرة ... فيالك حفظاً لم يشب بغرام

ولو كان خيراً كد... ... كما كد ذا الآثار بعد مرام

وما ضر سلماناً وكعباً وبعده ... شريحاً وسواراً ورهط هشام

وياساً وياساً والغلابي بعده ... ألاك الأولى كانوا نجوم ظلام

وما عرفوا النعمان... ... ولا زفر المسقي صوب غمام

لقد تاب مما أحدث القوم توبة ... لساعة إخلاص ووقت حمام

قالوا: ويشبهون الأسد بالبغل، إذا كان الأسد تام الخلق. قال نهشل بن حري:

وما سبق الحوادث ليث غاب ... يجر لعرسه جزر الرفاق

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٤٧٢/٢

كميت تعجز الخلعاء عنه ... كبغل السرج خط من الوثاق

وقال أبو زبيد الطائي:

من الأسد عادي.... بصوته ... رءوس الجبال الراسيات...

كأن اهتزاز الرعد خيط بجوفه ... إذا جر فيه الخيزران المعتر

فأبصر ركباً رائحين عشية ... فقالوا: أبغل مائل الرجل أشقر

أم الليث؟ فاستنجوا .... فهذا ورب الراقصات المزعفر

ولأبي زبيد مثلها في قصيدته التي ذكر فيها شأن كلبه، وشأن الأسد، فقال:

فجال أكدر مشتالاً كعادته ... حتى إذا كان بين البئر والعطن

لاقى لدى ثلل الأطواء داهية ... أسرت وأكدر تحت الليل في درن

إلى مقابل خطو الساعدين له ... فوق السراة كذفرى الفالج الغضن

رئبال غاب فلا قحم ولا ضرع ... كالبغل حط من المحلين في شطن

باب تأثير البيئة في الحيوانات

وزعم نا س من العلماء أن الحمير الأخدرية، وهي أعظم حمير الوحش وأتمها، زعموا أن أصل ذلك النتاج أن خيلاً لكسرى توحشت، وضربت في العانات، فكان نتاجها هذه الحمير التي لها هذا التمام.

وقال آخرون: الأخدرية هي الحمر التي تكون بكاظمة ونواحيها، فهي كأنها برية بحرية.

قالوا: ولا يجيء، فيما بين الخيل والحمير إلا البغال، وليس للبغل نسل يعيش، ولا نجل يبقى، فكيف لقحت هذه الأتن من تلك الخيل حميراً، ثم طبقت تلك الصحارى بالحمر الخالصة؟.." (١)

" (سَفَفْتُه) (وأَسْفَفْتُه) نَسَجته (بَرَّ الله حَجَّكَ) (وأَبَرَّه) (سَعَدَهُ الله) (وأسْعَدَه) (نَعَشَهُ الله) (وأَنْعَشَه) (قَطَبْتُ الشراب) (وأقْطَبْته) مَزَجْته (شَظَظْتُ الوعاء) (وأَشْظَظْتُه) من الشّظاظ

(رَجَعْتُ يدي) (وأرْجَعتها) (لَمَحْتُه) (وألمحته) (تَبَلَهُ الحُبّ) (واتْبَلَه)

حَلاَ الْقَوْمُ عن الموضع) (وأَجْلَوْا) تَنَحَّوْا عنه (وأجْلَيْتُهُمْ) أنا (وجَلَوْتهم) قال أبو ذُؤيب :

(فَلَمَّا جَلاَهَا بِالأيَامِ تَحَيَّزَتْ ... ثُبَاتٍ عَلَيْها ذُلُّهَا وَاكْتِئَابُهَا)

يعني مُشْتَارَ العسل جلاَها عن موضعها بالدخان ليشتاره

(لاَحَ الرَّجُل) (وألاَحَ) أي : أشْفَقَ (سُقْتُ إليها الصَّدَاقَ) (وأسَقْته) ٤٦٩ (جَفَلَتْ الريحُ) (وأجْفَلَتْ) (خَوَتِ النُّجُومُ) (وأخْوَتْ) إذا سقطت ولم تُمْطِر

---

(١) البغال، ص/١٥

(غَبَشَ اللَّيْل) (وأَغْبَشَ) أظلم (ذَرَقَ الطائر) (وأَذْرَقَ) (صَمّ الرَّجل) (وأَصَمّ) (غَامَتْ السماء) (وأَغَامَتْ) (خَلَفَ فُوهُ) (وأَخْلَفَ) (زَفَفْتُ الْعَرُوسَ) (وأَزْفَفْتُها) (وَغَزْتُ إليك في الأمْرِ) (وأَوْعَزْتُ) (دَاءَ الرَّجلُ) يَدَاءُ مثل شاء يَشَاءُ (وأَدَاءَ) (ويُدِيءُ) إذا صار في جوفه الداء ." (١)

" (أَمَّلْتُ خَيْرَكِ هَلْ تَأْتِي مَوَاعِدُهُ ... فَالْيَوْمَ قَصَّرَ عَنْ تِلْقَائِكِ الأَمَلُ)

قال : قولهم : بَنَى يَبْنِي بُنْيَاناً – بالضم – أصله الكسرة مثل العِصْيَان والغِشْيَان وكذلك مصادر هذا الباب قال : وسمعت (الطُّغْيَان والطِّغْيَان) (والغُنْيَان والغِنْيَان) والكسر أحَبُّ إليه

قال : ومما بنى مفعوله على فُعِلَ ولم يأت على الأصل قولُ الشاعِرِ :

(مُكْتَئِبِ اللَّوْنِ مُرِيحِ مَمْطُورْ ...)

أَرَادَ (مُرُوحٍ) وقال الآخر :

(وماَءٌ قُدُورٍ فِي الْقِصَاعِ مَشِيبُ ...) ." (٢)

"وحكى جحظة، عن إبراهيم بن القسم زرزر، إن لاكهكيفي كان حسن الغناء مجيداً، وكان يحسد إبراهيم بن أبي العبيس على غنائه وشجا صوته. فلما مات إبراهيم وكانت وفاته في أيام المكتفي، على لاكهكيفي والدموع في عيني. فقال: ما لك ؟ قلت: مات إبراهيم ! قال: بسلام ! والله، لو لم يمت لقتلته !

دير سمالو

وهذا الدير شرقي بغداد، بباب الشماسية، على نهر المهدي. وهناك أرحية للماء، وحوله بساتين وأشجار ونخل. والموضع نزه، حسن العمارة، آهل بمن يطرقه، وبمن فيه من رهبانه.

وعيد الفصح ببغداد، فيه منظر عجيب. لأنه لا يبقى نصراني إلا حضر وتقرب فيه، ولا أحد من أهل الطرب واللهو من المسلمين إلا قصده للتنزه فيه. وهو أحد متنزهات بغداد المشهورة، ومواطن القصف المذكورة.

ولمحمد بن عبد الملك الهاشمي، فيه:

ولربّ يوم في سمالو تم لي ... فيه السرور وغيّبت أحزانه

وأخ يشوب حديثه بحلاوةٍ ... يلتذّ رجع حديثه ندمانه

صافي الرّحيق من المدام شرابة ... والمحسنات من الأوانس شانه

بكرت عليّ به الزيارة فاغتدى ... طرباً إليّ وسرّني اتيانه

فأمرت ساقينا وقلت له اسقنا ... قد حان وقت شرابنا وأوانه

فتلاعبت بعقولنا نشواته ... وتوقّدت بخدودنا نيرانه

حتى حسبت لنا البساط سفينةً ... والدير ترقص حولنا حيطانه

---

(١) أدب الكاتب، ص/٣٣٩

(٢) أدب الكاتب، ص/٤٩٠

ولخالد الكاتب، فيه:

يا منزل القصف في سمالو ... ما لي عن طيبك انتقال

واهاً لأيامك الخوالي ... والعيش صاف بها زلال

تلك حياة النفوس حقاً ... ولك ما دونها محال

وهو أبو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب. وكان مليح الشعر رقيقه، لا يقول إلا في الغزل، ولا يتجاوز الأربعة أبيات، ولا يزيد عليها. ولم يكن له شعر في مدح ولا هجاء.

وذكر ميمون بن حماد، قال: دخل علي يوماً أبو عبد الله ابن الاعرابي، فقلت: يا أبا عبد الله، سمعت من شعر هذا الغليم شيئاً ؟ قال: من هو ؟ قلت: خالد بن يزيد. قال: لا، وإني لأحب ذلك! فصح به. فجاء حتى وقف. فقلت: أنشد أبا عبد الله شيئاً من شعرك. فقال: إنما أقول في شجون نفسي، لا أمدح ولا أهجو. فقلت: أنشده، فأنشده.

أقول للسقم عد إلى بدني ... حُباً لشيء يكون من سببك

فقال ابن الاعرابي: حسبك يا غلام ! فقد خيل إلي أن الرقة قد جمعت لك في هذا البيت.

قال جحظة: حدثني خالد الكاتب، قال: كنت بدير سمالو، لم أشعر إلا ورسول إبراهيم ابن المهدي قد وافاني. فدخلت إليه، فإذا برجل أسود مشفراني قد غاص في الفراش، فاستجلسني، فجلست. فقال: أنشدني شيئاً من شعرك، فقلت: أيها الأمير، أنا غلام أقول في شجون نفسي، لا أكاد أمدح ولا أهجو. فقال: ذلك أشد لدواعي البلاء، فأنشدته:

رأت منه عيني منظرين كما رأت ... من البدر والشمس المضيئة بالأرض

عشية حيّاني بوردٍ كأنه ... خدودٌ أضيفت بعضهن إلى بعض

وناولني كأساً كأن رضابها ... دموعي لما صدّ عن مقلتي غمضي

وولى وفعل السّكر في حركاته ... من الراح، فعل الريح بالغصن الغضّ

فزحف، حتى صار في ثلثي المصلى. ثم قال: يا بني، شبه الناس الخدود بالورد، وشبهت أنت الورد بالخدود ! زدني، فأنشدته:

عاتبت نفسي في هوا ... ك، فلم أجدها تقبل

وأجبت داعيها إلي ... ك، ولم أطع من يعذل

لا والذي جعل الوجو ... ه لحسن وجهك تمثل

لا قلت أن الصبر عن ... ك من التصابي أجمل

فزحف، حتى صار خارج المصلى، ثم قال: زدني ! فأنشدته:

عش فحبّيك سريعاً قاتلي ... والضنى إن لم تصلني واصلي

ظفر الحبّ بقلبٍ دنف ... بك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئابٍ وضنى ... تركاني كالقضيب الذابل

وبكى العاذل لي من رحمتي ... فبكائي لبكاء العاذل

فصاح وقال: يا بليق: كم لي معك من العين ؟ قال: ستمائة وخمسون ديناراً، قال: اقسمها بيني وبينهن واجعل الكسر كاملاً للغلام.." (١)

"وظباء يتلون سفراً من الان ... جيل، باكرن، سحرة قربانا

لابسات من المسوح ثياباً ... جعل الله تحتها أغصانا

خفرات حتى إذا دارت الكأ ... س، كشفن النّحور والصلبانا

رقّ حتى حسبته خدّ من أب ... دلني من وصاله هجرانا

وللمعتمد:

يا طول ليلي بفم الصّلح ... أتبعت خسراني بالربح

لهفي على دهر لنا قد مضى ... بالقصر والقاطول والشلح

بالدير بالعلث ورهبانه ... بين الشعانين إلى الدّنح

وكان للمعتمد شعر جيد وشعر غير موزون، وربما قال الأبيات، فيصح بعضها ويفسد باقيها. وكان يعطيه المغنين، فيعملون عليه ألحانا، فيغيب عيبه في التقطيع والألحان، إلا على خاصة الناس.

قالت بدعة: كان المعتمد يوجه شعره إلى عريب لتصوغ له الألحان. فكانت تقول: ويلي ! كم أغني في حروف ألف، با، تا، ثا ؟ قال الصولي: أنشدني عبد الله بن المعتز من شعره الموزون:

الحمد لله ربي ... ملكت مالك قلبي

فصرت مولى لملكي ... وصار مولىً لحبي

ومن شعره، لما أكثر الموفق نقله، من مكان إلى مكان:

ألفت التباعد والغربه ... ففي كل يوم أطا تربه

وفي كلّ يوم أرى حادثاً ... يؤدي إلى كبدي كربه

أمرّ الزمان لنا طعمه ... فما إن نرى ساعةً عذبه

وهذا شعر جيد صحيح في معناه.

ومن شعره الموزون:

بُليت بشادن كالبدر حسناً ... يعذّبني بأنواع الجفاء

ولي عينان دمعهما غزيرٌ ... ونومهما أقلّ من الوفاء

وذكر الصولي، إن المكتفي أخرج إليهم مدارج مكتوبة بالذهب من شعر المعتمد. فكان فيها من الموزون:

طال والله عذابي ... واهتمامي واكتئابي

بغزال من بني الأص ... فر لا يعنيه ما بي

---

(١) الديارات للشابشتي، ص/٣

أنا مغرىً بهواه ... وهو مغرىً باجتنابي

وإذا ما قلت: صلني ... كان لا منه جوابي

وكان فيها أيضاً:

عجّل الحبّ بفرقه ... فبقلبي منه حرقه

مالكٌ بالحبّ رقي ... وأنا ملك رقّه

إنما يستروح الصبّ ... إذا أظهر عشقه

وللمعتمد، شعر غنت فيه شارية، في طريقة الرمل:

تأنّيت بالحب دهراً طويلاً ... فلم أر في الحب يوماً سرورا

ومما غنت فيه من شعره:

يا نفس، ويحك ما لك ... أني لأُنكر حالك

وله:

أصبحت لا أملك دفعاً لما ... أُسام من خسفٍ ومن ذلّه

تمضي أُمور الناس دوني ولا ... يشعر بي في ذكرها قلّه

إذا اشتهيت الشيء ولّوا به ... عني، وقالوا: ها هنا علّه

قال: طلب المعتمد ثلثمائة دينار، يصل بها عريباً، وقد حضرت عنده، فلم توجد ! فطلب مائتي دينار، فلم توجد.. ! فبكى، وقال

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قلّ ممتنعاً عليه ؟

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً ... وما من ذاك شيءٌ في يديه !

إليه تُحمل الأموال طُراً ... ويمنع بعض ما يجبى إليه !

وكان، لما فوض الأمور إلى أخيه أبي أحمد، واستروح إلى كفايته للقيام بها، وتفريغه للهو والشرب واللعب، وترك النظر في شيء من أمر المملكة أو المسئلة عنه، طمع أبو أحمد، واستبد بالأمر، وغلب على المملكة. ورام المعتمد بعد ذلك تغيير الحال، فعزه وأعوزه وامتنع عليه وطمع الناس جميعاً فيه، إذ رأوه مغلوباً على أمره، ورأوا لا ضر ولا نفع في يده.." (١)

"لو حمّل الثقلان م حمّلت من ... شوقٍ لأثقل حمله الثقلين

وقال أيضاً:

وإلى الرقّتين أطوى قرى البي ... د بمطوية القرا مذعان

حبذا الكرخ، حبذا العمر، لا بل ... حبذا الدير، حبذا السّروتان

قد تجلى الربيع في حلل الزه ... ر وصاغ الحمام حلي الأغاني

---

(١) الديارات للشابشتي، ص/٢٢

ألبستها يد الربيع من الأل ... وان برداً كالأتحمي اليماني

يا خليليّ هاتما علّلاني ... عاطياني الصهباء لا تدرأاني

أبعدا الماء، أبعدا الماء، قوما، ... أدنيا، أدنيا بنات الدنان

سقّياني من كلّ لونٍ من الرا ... ح على كل هذه الألوان

أخضر اللون كالزمرد في أح ... مر صافي الأديم كالارجوان

وأقاحٍ كاللؤلؤ الرّطب قد ... فصّل بين العقيق بالمرجان

وبهار مثل الدنانير محفو ... ف بزهر الخيري والحوذان

وكأن النعمان حلّ عليها ... حللاً من شقائق النعمان

وللرشيد، يذكر هذا الدير:

سلامٌ على النازح المغترب ... تحية صبٍ به **مكتئب**

غزالٌ مراتعه بالبليخ ... إلى دير زكى فقصر الخشب

أيا من أعان على نفسه ... بتخليفه طائعاً من أحب

سأستر، والستر من شيمتي ... هوى من أحب بمن لا أُحب

وكان عند مسيره من الرافقة إلى بغداد، خلف بها ماردة أم أبي إسحق المعتصم، فاشتاقها، فكتب إليها بهذه الأبيات. قال:

فلما ورد كتاب الرشيد عليها، قالت لبعض من يقول الشعر: أجبه! فقال عن لسانها:

أتاني كتابك يا سيدي ... وفيه مع الفضل كل العجب

أتزعم أنك لي عاشقٌ ... وأنك بي مستهامٌ وصب

ولو كان هذا كذا، لم تكن ... لتتركني نهزةً للكرب

وأنت ببغداد ترعى بها ... رياض اللذاذة مع من تحب

فيا من جفاني ولم أجفه ... ويا من شجاني بما في الكتب

كتابك قد زادني صبوةً ... وأسعر قلبي بحرّ اللهب

فهبني نعم قد كتمت الهوى ... فكيف بكتمان دمع سرب

ولولا اتقاؤك يا سيدي ... لوافتك بي ناجيات النجب

قال: فلما قرأ كتابها، وجه من يحدرها من وقتها إليه: وذكر صالح التركي، وكان المعتصم في حجره، قال: عشق الرشيد ماردة عشقاً مبرحاً، فقال فيها:

وإذا نظرت إلى محاسنها ... فلكلّ موضع نظرةٍ نبل

وتنال منك بحدّ ناظرها ... ما لا ينال بحدّه النّصل

شغلتك وهي لكل ذي بصرٍ ... لاقى محاسن وجهها شغل

فلقلبها حلمٌ يباعدها ... عن ذي الهوى ولطرفها جهل

ولوجهها من وجهها قمرٌ ... ولعينها من عينها كحل

وللرشيد شعر صالح، وأبيات مفردات، كان يتمثل بها. وأكثر شعره في جواريه وعشقه لهن. فمن شعره:

ملكت من أصبح لي مالكاً ... لكنه في ملكه ظالم

لو شئت لاستاقته لي قدرةٌ ... ولكنّ حكم الحب لي لازم

أحببت من بين هذا الورى ... وهو بحبي خبرٌ عالم

قبيح فعل حسنٌ وجهه ... يعذر في أمثاله اللائم

أحسن من أبصره مبصرٌ ... لو أنه في حسنه راحم

وله:

صيّرني الحبّ إلى ما ترى ... أنحل جسمي ولقلبي كوى

قد كتب الحبّ على جبهتي: ... هذا قتيلٌ في سبيل الهوى

قال: وكان الرشيد قد استخص هيلانة، جارية أخيه الهادي. وأحبها حباً شديداً. فخلفها في بعض أسفاره ببغداد، ثم اشتاقها، فقال هذه الأبيات:

أهدى الحبيب مع الجنوب سلامه ... فاردد عليه مع الشمال سلاما

واعرف بقلبك ما تضمّن قلبه ... وتداولا بهواكما الأياما

مهما بكيت له فأيقن أنه ... ستفيض عيناه الدموع سجاما

فاحبس دموعك رحمةً لدموعه ... إن كنت تحفظ أو تحوط ذماما." (١)

"كوكب الزنادقة:

تركْتُ كواكبَ العوّاءِ خلفي ... ورحْتُ أجدّ **مكتئباً** حزيناً

وفي (رمحِ السّماكِ) رأيتُ نجماً ... مضيئاً فاتنا يغشى العيونا

من الإكليلِ طِرْتُ إليهِ لّما ... رأيْتُ الفجرَ يُوشكُ أن يحينَ

طويْتُ إليهِ ألفي ألفَ عامٍ ... ولم أقطع لهُ بعدُ شطونا

نظرتُ إذا بحارٌ زاخراتٌ ... على آفاقهِ مُلئَتْ سفينا

وأرضٌ قد رأيْتُ بها عيوناً ... وجنّاتٍ تسرُّ النّاظرينا

ولاحتْ لي حزاورةٌ عجافٌ ... تدهْدي في أباطِحها الكرينا

أهابَ بواحدٍ منهم غلامٌ ... على حنقٍ ليفهمَهُ رطينا

---

(١) الديارات للشابشتي، ص/٥٥

يقولُ أيابنَ راوندي تقدّمْ ... ولا تخنسْ وراءَ اللاعبينا

فقالَ أجلْ هنا سأظلُّ وحدي ... إذا ما اللهُ يغلبكُمْ كمينا

أ (مزدك) إنّني أُدعى بحقٍّ ... لزندقتي زعيمَ المارقينا

أيغلبُني الإلهُ وكنْتُ وحدي ... على الدّنيا قريعَ المؤمنينا

فصحْتُ بهِ خسئتَ فإنَّ هذا ... لفوقَ الكفرِ يا ابنَ الفاعلينا

ففرَّ صحابَهُ وانصاعَ نحوي ... يهزُّ عليّ قبضتَهُ اليمينا

يقولُ إليكَ عنّي لا أبالي ... (برَوْ) لو كنْتَ إبليسَ اللعينا

أتحسبُ أنّني أخشاكَ كلاّ ... فقد لاقيتُ كُردياً حَرونا

فقلتُ لهُ وراءَكَ لسْتَ ممّنْ ... عنيتُ فدعْ إذن هذا الجنونا

فإنّي لو ترى في الكونِ روحاً ... وديعٌ لا يحبُّ المعتدينا

ولكنّي أخُو ولعٍ ملحٍّ ... إلى تمحيصِ حالِ الغابرينا

فأفرخَ روعُهُ لّما رآني ... أُلاطفُهُ فأقبلَ مستكينا

وراحَ يقصُّ ما قدْ كانَ منهُ ... عليّ ويذرفُ الدّمْعَ السَّخينا

أرادَ اللهُ أنْ نحيا عليها ... زنادقةً ونحيا مارقينا

ولو لمْ يعطِنا عقلاً لكنَّا ... دراويشاً وكنَّا زاهدينا

نكدّي بالنّهارِ بكلِّ دربٍ ... ونمسي في التكايا قابعينا

نقطّعُ وقتَنا مِن غيرِ جدوى ... على كتبِ التّصوفِ عاكفينا

ونخدعُ من يُراقبُنا بشطحٍ ... وطاماتٍ فنفتنهُ فتونا

ونزعُمُ أنّنا في اللهِ نفنى ... وأحياناً يحلُّ اللهُ فينا

فلم نكُ مثَلهُمْ حتّى ترانا ... نعدُّ لدى الورى في الصّالحينا

كدأبكَ هكذا بالأمسِ كنّا ... بدورِ العلمِ نبحثُ دائبينا." (١)

"وقد جاوزت في السَّومِ كلَّ مُثمَّنٍ ... من الرَّائع المنسوب والجامل البزْلِ

يفوت هماليج البراذين سيْرُها ... على قحة الأعْيار من شبه النَّجْلِ

ركوب البغلة والطمع في القضاء

ونحن بالبصرة إذا رأينا الرجل يطلب الرأي، ويركب بغلا، ويردف خلفه غلاماً، قضينا بأنه يطمع في القضاء. قال ابن الممزّق:

إذا ركب الشَّيْخُ الشَّريفُ بُغيْلةً ... وناظر أهْلَ الرَّأي عند هلالِ

فداك الَّذي يبْغي القضاء بسمْته ... .الذِّئب أُمَّ غزالِ

---

(١) الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، ص/٢٣٩

فإنْ أرْدف العبْد الصَّغير وراءه ... فويلٌ لأيتامٍ وإرْث رجالِ

وإنْ ركب البرْذوْن واشتدَّ خلْفهُ ... فصاحب أشراطٍ وحمْلِ إلالِ

وقال ابن مُناذر في واحدٍ من هذا الشكل:

رأيت أبا موسى يغُرُّ بسمْته ... ويقسم في الجيران كُرَّ طعامِ

ويخْدعهمْ والله غالب أمره ... بقدٍّ كقدِّ المشرفيّ حُسامِ

يُريد قضاء المصْر والمصْر مُنْكرٌ ... لكلِّ مُراءٍ مُهْترٍ بغلامِ

ببشْرٍ وسمتٍ **واكتئابٍ** وخشْعةٍ ... وكثرةِ تسْبيحٍ ولين كلامِ

ويرْكبُ بغلاً ثُمَّ يُرْدفُ خَلْفهُ ... غُلاماً كما أبْصرت شقَّ جلامِ

يريد هلالاً لا يُحاول غيره ... وقدْماً سما للرَّأي غير مسامِ

سواءٌ لذي الرَّأي الشَّريف وغيرُهُ ... إذا كُنت ذا حفظٍ فلجْ بسلامِ

يصير فقيهاً في شُهُور يسيرةٍ ... فيالك حفْظاً لم يُشبْ بغرامِ

ولو كان خيْراً كدَّ... ... كما كدَّ ذا الآثارِ بُعْدُ مرامِ

وما ضرَّ سلْماناً وكعْباً وبعْدهُ ... شُريْحاً وسوَّاراً ورهط هشامِ

وياساً وياساً والغلابيَّ بعده ... أُلاك الأولى كانوا نُجُوم ظلامِ

وما عرفوا النُّعْمان .... ولا زُفر المسْتقيَّ صوبَ غمامِ

لقد تاب ممَّا أحدث القوْم توبةً ... لساعة إخْلاصٍ ووقت حمامِ

تشبيه الأسد بالبغل

قالوا: ويشبِّهون الأسد بالبغل، إذا كان الأسد تامَّ الخلْق. قال نهْشل بن حرّيّ:

وما سبق الحوادث ليْث غابٍ ... يجُرُّ لعرسه جزر الرِّفاقِ

كميْتٌ تعْجزُ الخُلعاءُ عنْهُ ... كبغْل السَّرْج حطَّ من الوثاقِ

وقال أبو زُبيْدٍ الطائيّ:

من الأسْد عاديٌّ يكاد لصوته ... رءوس الجبالِ الرَّاسياتِ تقعَّرُ

كأنَّ اهتزام الرَّعْدِ خيط بجوْفه ... إذا جُرَّ فيه الخيْزرانُ المُعتِّرُ

فأبصر ركباً رائحين عشيَّةً ... فقالوا: أبغْلٌ مائلُ الرِّجْل أشقرُ

أم اللَّيْث؟ فاسْتنجوا وأين نجاؤكم ... فهذا وربِّ الرَّاقصاتِ المُزعْفرُ

ولأبي زُبيدٍ مثلها، في قصيدته التي ذكر فيها شأن كلبه، وشأن الأسد، فقال:

فجال أكْدرُ مُشتالاً كعادته ... حتَّى إذا كان بين البئر والعطنِ

لاقى لدى ثُللِ الأطْواءِ داهيةً ... أسْرت وأكْدر تحت اللَّيْلِ في قرنِ

إلى مُقابل خطْو السَّاعديْن له ... فوق السَّراة كذفْرى الفالج الغضنِ
رئبال غابٍ فلا قحْمٌ ولا ضرعٌ ... كالبغل حطَّ من المحلين في شطنِ
الحمير الأخدرية
وزعم ناسٌ من العلماء أنّ الحمير الأخْدرية، وهي أعظم حمير الوحش وأتمُّها، زعموا أنَّ أصل ذلك النِّتاج أن خيلاً لكسرى توحَّشت، وضربت في العانات، فكان نتاجها هذه الحمير التي لها هذا التمام.
وقال آخرون: الأخدريّة هي الحُمرُ التي تكون بكاظمة ونواحيها، فهي كأنها بريّة بحريّة.
قالوا: ولا يجيء فيما بين الخيل والحمير إلاَّ البغال، وليس للبغل نسْل يعيش، ولا نجل يبقى، فكيف لقحت هذه الأُتُن من تلك الخيل حميراً، ثم طبَّقت تلك الصحارى بالحمرُ الخالصة؟." (١)
"تُنْشِبُ فِي ٱلْأَنْيارِ حَتَّى تَنْفَتِقْ ... مَخالِباً كَمِثْلِ أَنْصافِ الحِلَقْ
مُبارَكٍ إِذَا رَأى فَقَدْ لَحِقْ ... يَسْبِقُ ذُعْرَ الطَّيْرِ مِنْ حَيْثُ انْبَرَقْ
حَتَّى يَرَيْنَ الْمَوتَ مِنْ قَبْلِ الْفَرَقْ
وقال في الصقر
ياُ ربَّ لَيْلٍ كَجناحِ النَّاعِقِ ... سَرَيْتُهُ بِفِتْيَةٍ بَطارِقِ
تَنْتَابُ صَيْدا لَمْ يُرَعْ بِطارِقِ ... بِأَجْدَلٍ يُلْقَنُ نُطْقَ النَّاطِقِ
مُلَمْلَمِ الهَامَةِ فَخْمِ الْعاتِقِ ... ذي مِخْلَبٍ أَقْنَى كَنُون الْمَنشِقِ
وَجُؤْجُؤٍ لابِسِ وَشْيٍ رَائِقِ ... كَأَثَرِ ٱلْأَقْلامِ فِي الْمَهارِقِ
أَوْ كَبَقايا ٱلكِحْلِ فِي الحَمالِقِ ... حَتَّى بَدا ضَوءُ صَباحٍ فاتِقِ
وقال
وَكَلْبَةٍ غَدَا بِهَا فِتْيانُ ... أَطْلَقَهُمْ مِنْ يَدِهِ الزَّمانُ
كَأَنَّهَا إِذَا تَمَطَّتْ جانُ ... أَوْ صُعْدَةٌ وَعَظْمُها السِّنانُ
وَالنَّجْمُ فِي مَغْرِبِه وَسْنانُ ... وَالصُّبْحُ فِي مَشْرِقِهِ حَيْرانُ
كَأَنَّهُ مُصَبَّحٌ عُرْيانُ ... وَنَجِبتْ لِحَيْنِها غِزْلانُ
فَأخَذَتْ ما أَخَذَ الْعِنانُ
قال في الفهود
انْعَتُها تَفْرِى الْفَضاءَ عَدْوا ... نَوازِياً خَلْفَ الطَّرِيد نزْوا
لاَ تُحْسِنُ الْقُدْرَةُ مِنْها عَفْوا ... قَدْ وَجَدَتْ طَعْمَ الدِّماءِ حُلْوا
قال في الكلاب

---

(١) الرسائل للجاحظ، ص/١٤٥

لَمَّا غَدَونْا وَالظَّلامُ قَدْ وَهى ... قُدْنا لِغِزْلانِ الدُّجَيْل وَالْمَهَا
ضَوامِراً تَحْسَبُهُنَّ نُقَّها ... يَصدْنَ لِلْعادِي بِهِنَّ ما اشْتَهى
وَما انْتَهَتْ قَطُّ بِهِ حَتَّى انْتَهى ... فَكُلُّ ما شاءَتْ مِنَ الصَّيْدِ لهَا

من مختار شعره في الغزل

قال

قُلْ لِغُصْنِ البْانِ الذَّي يَتَثَنَّى ... تَحْتَ بَدْرِ الدُّجى وَفَوْقَ النَّقا
لَيْتَ لَيْلاً عَلَى الصَّراةِ طَوِيلاً ... لِلَيالِيَّ فِي سُرَّ مَنْ رَأى الْفِدا
أَيْنَ مِسْكٌ مِنْ حَمْأَةٍ، وَبُحُورٌ ... مِنْ بِحارٍ، وَصَفْوَةٌ مِنْ قَذا

وقال

لاحَ لَهُ بارِقٌ فَأَرَّقَهُ ... فَباتَ يَرْعَى النُّجُومَ مُكْتَئِبا
يَطيُعهُ الطَّرْفُ عِنْدَ دَمْعَتِهِ ... حَتَّى إذا حاوَلَ الرُّقادَ أَبَى

وقال

قَدْ وَجَدْنا غَفْلَةً مِنْ رَقِيبِ ... فَسَرَقْنا لَحْظَةً مِنْ حَبيبِ
وَرَأَيْنا ثَمَّ وَجْهاً مَلِيحاً ... فَوَجَدنْا حُجَّةً للذُّنوُب

وقال

وَصَلَ الْخَيالُ وَصَدَّ صاحِبُهُ ... وَالْحُبُّ لا تَفْنَى عَجائِبُهُ
يا شِرَّ إنْ أَنْكَرْتِنِي فَلَكَمْ ... لَيْلٍ رَأَتْكِ مَعِي كَواكِبُهُ
شابَتْ نَواصِيهِ وَعَذَّبَنِي ... بِقُمَيْرٍ خامِسَةٍ أُراقِبُهُ
بِأَبِي حَبِيبٌ كُنْتُ أَعْهَدُهُ ... لِي واصِلاً فَازْوَرَّ جانِبُهُ
عَبَقَ الْكَلامُ بِمِسْكَةٍ نَفَحَتْ ... مِنْ فِيِهِ تُرْضِى مَنْ يُعاتِبُهُ
نَبَّهْتُهُ وَالْحَيُّ قَدْ رَقَدُوا ... مُسْتَبْطِناً غَضِباً مَضارِبُهُ
فَكَأَنَّنِي رَوَّعْتُ ظَبْيَ نَقاً ... فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ تُجاذِبُهُ

وقال:

وَابَلائِي مِنْ مَحْضَرِي وَمَغِيبِي ... مِنْ حَبِيبٍ مِنِّى بَعِيدٍ قَرِيبِ
لَمْ تَرِدْ ماءَ وَجْهِهِ الْعَيْنُ إلاَّ ... شَرِقَتْ قَبْلَ رِيِّها بِرَقِيبِ

وقال:

لَقَدْ بُليَتْ نَفْسِي بِمَنْ لا يُحِبُّنِي ... وَذاكَ عَذابٌ فَوْقَ كُلِّ عَذابِ

وَقُلْتُ لَهُ رُدَّ الْجَوابَ فَقالَ لِي ... جَوابُك لاَ واتْرُكْ جَوابَ جَوابِي

وقال:." (١)

"وَرَأْسُهُ كَمِثْلِ فَرْوٍ قَدْ مُطِرْ ... وَصُدْغُهُ كَالصَّوْلجَانِ الْمُنْكِسرْ

أُعْجِلَ عَنْ مِسواكِهِ وَزِينَتْهِ ... وَهَيْئَةٍ تُبصِرُ حُسْنَ صُورَتِهْ

كَأَنَّهُ عَضَّ علَى دِماغِ ... مُتَّهَمِ ٱلْأَنْفاسِ وَٱلْأَرْفاغِ

يَخْدُمُهُمْ بِشَفْشَجٍ مَحْلولِ ... وَيَجْعَلُ الْكَأْسَ بِلا مِنْدِيلِ

فَإِنْ طَرَدْتَ الْبَرْدَ بِالُّستورِ ... وَجِئْتَ بالْكافُورِ وَالسَّمُّورِ

فَأَيَّ فَضْلٍ للصَّبُوحِ يُعْرَفُ ... عَلَى الْغَبُوقِ وَالظَّلامُ مُسْدِفُ

وَقَدْ نَسِيتُ شَرَرَ الْكانُونِ ... كَأَنَّهُ نُثارُ ياسَمِينِ

تَرْمِي بِهِ الْجَمْرُ إِلَى ٱلْأَحْداقِ ... فَإِنْ وَنَى قُرْطِسَ فِي ٱلآماقِ

وَتُرِكَ الْبِساط بَعْدَ الجِدَّهْ ... ذا نُقَطٍ سُودٍ كَجِلْدِ الْفَهْدَهْ

فَقُطِعَ الَمْجِلسُ **بِاكْتِئابِ** ... وَذِكْرِ حَرْقِ النَّارِ لِلثِّيابِ

وَلَمْ يَزَلْ لِلقَوْمِ شُغْلاً شاغِلاً ... وَأَصْبَحَتْ جِباهُهُمْ مَناخِلا

حَتَّى إذا ما ارْتَفَعَتْ شَمْسُ الضُّحَى ... قيلَ فُلانُ بْنُ فُلانٍ قَدْ أَتَى

وَرُبَّما كانَ ثَقِيلاً يُحْتَشَمْ ... فَطُوِّلَ الْكَلامَ حِيناً وَخُتِمْ

وَرُفِعَ الرَّيْحَان وَالنَّبِيذُ ... وَزالَ عَنْكَ عَبْثُكَ اللَّذِيذُ

وَلَسْتَ فِي طُولِ النَّهارِ آمِناً ... مِنْ حادِثٍ لَمْ يَكُ قَبْلُ كائِنا

أَوْ خَبَرٍ يُكْرَهُ أَوْ كِتابِ ... يَقْطَعُ طُولَ اللَّهْوِ وَالشَّرابِ

وَاسْمَعْ إِلَى مَثالِبِ الصَّبُوحِ ... فِي الصَّيْفِ قَبْلَ الطَّائِرِ الصَّدُوحِ

حِينَ حَلا النَّوْمُ وَطابَ المَضْجَعُ ... وَانْكَسَرَ الْحَرُّ وَلَذَّ الْمَهْجَعُ

وَانْهَزَمَ الْبَقُّ وَكُنَّ وُقعًا ... عَلَى الدِّماءِ كَيْفَ شِئْنَ شُرَّعا

مِنْ بَعْدِما قَدْ أَكَلُوا ٱلْأَجْسادا ... وَطَيَّرُوا عَنِ الْوَرَى الرُّقادا

فَقُرِّبَ الزَّادُ إِلَى نِيامِ ... أَلْسُنُهُمْ ثَقِيلَةُ الْكَلامِ

مِنْ بَعْدِ أَنْ دَبَّ عَلَيْهِ النَّمْلُ ... وَحَيَّةٌ تَقْذِفُ سُمًّا صِلُّ

وَعَقْرَبٌ مَحْذُورَةٌ قَتَّالَهْ ... وَجُعَلٌ وَفَأْرَةٌ بَوَّالَهْ

وَلِلْمُغَنِّيِّ عارِضٌ فِي حَلْقِهِ ... وَنَعْسَةٌ قَدْ قَدَحَتْ فِي حِذْقِهِ

وَإِنْ أَرَدْتَ الشُّرْبَ بَعْدَ الْفَجْرِ ... وَالصُّبْحُ قَدْ سَلَّ سُيُوفَ الْحَرِّ

---

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص/٧٦

فَساعَةٌ ثُمَّ تَجِيءُ الدَّامِغَهْ ... بِنارِها فَلا تَسُوغُ سائِغَهْ

وَيَسْخَنُ الشَّرابُ وَالمِزاجُ ... وَيكْثُرُ الخِلافُ وَالضِّجاجُ

مِنْ مَعْشَرٍ قَدْ جُرِّعُوا الحَمِيما ... وَأُطْعِموُا مِنْ زادِهِمْ سُمُومَا

وَأَوْلَعُوا بِالحَكِّ وَالتَّفَرُّكِ ... وَعَصَتِ الآباطُ أَمْرَ المَرْتَكِ

وَصارَ رَيْحانُهُمُ كَالْقَتِّ ... وَكُلُّهُمْ لِكُلِّهِمْ ذُو مَقْتِ

وَبَعْضُهُمْ عِنْدَ ارْتِفاعِ الشَّمْسِ ... يُحِسُّ جُوعاً مُؤْلِماً للنَّفْسِ

فَإِنْ أَسَرَّ ما بِهِ تَهَوَّسا ... وَلَمْ يُطِقْ مِنْ ضَعْفِهِ تَنَفُّسا

وَطافَ فِي أَصْداغِهِ الصُّداعُ ... وَلَمْ يَكُنْ بِمِثْلِهِ انْتِفاعُ." (١)

"وهلْ كنتُ إلاَّ مُعمَداً قانطَ الهوَى ... أسرَّ فلمَّا قادهُ الشَّوقُ أعلَنا

أتانِي هواها قبلَ أنْ أعرفَ الهوَى ... فصادفَ قلبِي خالياً فتمكَّنا

ولعمري إنَّ هذا لمن نفيس الكلام غير أنَّ في البيت ضعفاً وذلك أنَّه جعل سبب تمكُّن الهوَى من قلبه أنَّه صادفه خالياً لم يسبقه إليه غيره وليست هذه من أحوال أهل التَّمام إذ كلُّ من صادف محلا لا يدافع عنه لم يتعذر عليه طريق التَّمكُّن منه.

وقد قال بعض أهل هذا العصر:

وقدْ كانَ يسبِي القلبَ في كلِّ ليلةٍ ... ثمانونَ بلْ تسعونَ نفساً وأرجحُ

يهيمُ بهذا ثمَّ يعشقُ غيرهُ ... ويسلاهمُ مِنْ فورهِ حينَ يصبحُ

وكانَ فؤادِي صاحياً قبلَ حبِّكمُ ... وكانَ بحبِّ الخلقِ يلهُو ويمزحُ

فلمَّا دعَا قلبِي هواكَ أجابهُ ... فلستُ أراهُ عنْ ودادكَ يبرحُ

رُميتُ بهجرٍ منكَ إنْ كنتُ كاذباً ... وإنْ كنتُ في الدُّنيا بغيرِكَ أفرحُ

وإنْ كانَ شيءٌ في البلادِ بأسرِها ... إذا غبتَ عنْ عينيَّ عندِي يملحُ

فإنْ شئتَ واصِلْنِي وإنْ شئتَ لمْ تصلْ ... فلستُ أرَى قلبِي لغيرِكَ يصلحُ

فالمحبَّة ما دامت لهواً ونظراً فهي عذبة المبتدأ سريعة الانقضاء فإذا وقعت مرتَّبة على التَّمام في المصافاة تعذَّرت قدرة القلب على هواه فحينئذ تضلُّ أفهام المتميزين وتبطل حيل المتفلسفين.

وفي نحو ذلك يقول بعض الظرفاء:

طوَى شَجَنا في الصَّدرِ فالدَّمعُ ناشرُهْ ... فإنْ أنتَ لمْ تعذرهُ فالشَّوقُ عاذرُهْ

هوًى عذبتْ منهُ مواردُ بدرِهِ ... فلمَّا نمَى أعيتْ عليهِ مصادرُهْ

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى لامرأة من قيس:

وما كيِّسٌ في النَّاسِ يُحمدُ رأيهُ ... فيوجدُ إلاَّ وهوَ في الحبِّ أحمقُ

---

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص/٨٨

وما مِنْ فتًى ما ذاقَ بؤسَ معيشةٍ ... فيعشقُ إلاَّ ذاقَها حينَ يعشقُ

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

ورمَى الهوَى منَّا القلوبَ بأسهمٍ ... رميَ الكُماةِ مَقاتلَ الأعداءِ

ومنَ العجائبِ قتلهُ لكرامِنَا ... وشِدادِنا بمكائدِ الضُّعفاءِ

وقال أبو دلف:

الحربُ تضحكُ عنْ كرّي وإقدامِي ... والخيلُ تعرفُ آثاري وأقدامِي

سيفِي مدامِي ورَيْحانِي مُثقفةٌ ... وهمَّتي مِقَةُ التَّقصيمِ للهامِ

وقدْ تجرَّدَ لي بالحسنِ مُنفرداً ... أمضَى وأشجعُ منّي يومَ إقدامِي

سلَّتْ لواحظهُ سيفَ السَّقامِ علَى ... جسمِي فأصبحَ جسمِي رَبعَ أسقامِ

وقال آخر:

ألا قاتلَ اللهُ الهوَى كيفَ يقتلُ ... وكيفَ بأكبادِ المحبِّينَ يفعلُ

فلا تعذُلنِّي في هوايَ فإنَّني ... أرَى سَورةَ الأبطالِ في الحبِّ تبطلُ

وقال آخر:

الحبُّ يتركُ مَنْ أحبَّ مدَلَّهاً ... حيرانَ أوْ يقضِي عليهِ فيسرعُ

الحبُّ أهونهُ شديدٌ فادحٌ ... يهنُ القويَّ منَ الرِّجالِ فيصرعُ

مَنْ كانَ ذا حزمٍ وعزمٍ في الهوَى ... وشجاعةٍ فالحبُّ منهُ أشجعُ

وقال النابغة الذبياني:

لوْ أنَّها عرضتْ لأشمطَ راهبٍ ... يدعُو الإلهَ صرورةٍ مُتعبّدِ

لرَنَا لبهجتِها وحسنِ حديثِها ... ولخالَهُ رشَداً وإنْ لمْ يرشدِ

أسعُ البلادَ إذا أتيتكِ زائراً ... وإذا هجرتكِ ضاقَ عنّي مَقعدِي

وأنشدتني أعرابية بالبادية:

تبصَّرْ خليلِي هلْ ترَى بينَ وائشٍ ... وبينَ أحَيٍّ مِنْ ظعائنَ كالأَثْلِ

ظعائنُ يَسلبنَ الفتَى الغرَّ عقلهُ ... وذا الأهلِ حتَّى لا يُبالِيَ بالأهلِ

وقال آخر:

أروحُ ولمْ أُحدثْ لليلى زيارةً ... لبئسَ إذاً راعِي المودَّةِ والوصلِ

ترابٌ لأهلِي لا ولا نعمةٌ لهمْ ... لشدَّ إذنْ ما قدْ تعبَّدنِي أهلِي

وقال ماني:

مُكتئبٌ ذُو كبدٍ حرَّى ... تبكِي عليهِ مقلةٌ عبرى

يرفعُ يمناهُ إلى ربّهِ ... يدعُو وفوقَ الكبدِ اليسرَى

يبقَى إذا كلَّمتهُ باهتاً ... ونفسهُ ممَّا بهِ سكرَى

تحسبهُ مُستمعاً ناصتاً ... وقلبهُ في أُمَّةٍ أُخرَى

وقال غيره وهو مجنون بني عامر:." (١)

"وكادَ غداةَ سارَ الحيُّ يُبدي ... ضميرَ القلبِ تشحاجُ الغرابِ

غدا بي شامتاً وغدوتُ صبّاً ... يُريني ما بهِ وأُريهِ ما بي

يضاحكُني فيضحكُ حينَ أبكي ... كذلكَ دابةُ أبداً ودابي

فلوْ أنَّ الغرابَ يرقُّ يوماً ... لرقَّ لطولِ وجدي **واكتئابي**

لعلَّ الدَّهرَ يقلبُ حالتيهِ ... فإنَّ الدَّهرَ حولٌ ذو انقلابِ

فيقلقَهُ اشتياقٌ وارتياحٌ ... ويوحشَهُ اغترابٌ كاغترابي

الباب الخامس والثلاثون

في حنين البعير المفارق أُنسٌ لكلِّ صبٍّ وامقٍ

قال مرة بن عقيل:

لَعمري لقدْ هاجتْ عليَّ حمامةٌ ... قُلوصَ العباديينَ ليلةَ حلَّتِ

تعدَّتْ لها واللَّيلُ مُلقٍ رِواقهُ ... فجاوبْنَها حتَّى مللنَ وملَّتِ

وقال تميم بن كميل الأسدي:

يحنُّ قعودي بعدما كمُلَ السُّرى ... بنخلةَ والضُّمرُ الحراجيجُ ضُمَّرُ

يحنُّ إلى وردِ الحشاشةِ بعدما ... ترامى بهِ خرقٌ من البيدِ أغبرُ

وباتَ يجوبُ البيدَ واللَّيلُ مائلٌ ... يثنِّي لتعريسٍ يحنُّ وأزفرُ

وبي مثلُ ما يلقى منَ الشَّوقِ والهوَى ... علَى أنَّني أُخفي الَّذي بي وأُظهرُ

فقلتُ لهُ لمَّا رأيتُ الَّذي بهِ ... كلانا إلى وردِ الحشاشةِ أصورُ

فليتَ الَّذي ينسى تذكُّرَ إلفهِ ... وسرباً بأحواضِ الحشاشةِ يُنحرُ

وقال أيضاً:

يحنُّ قعودي ذو الحياطِ صبابةً ... بمكَّةَ وهناً من تذكُّرِهِ نجدا

تذكَّرَ نجداً موهناً بعدما انطوتْ ... ثميلتهُ وازدادَ عن إلفهِ بُعدا

تذكَّرَ نجداً حادياً بعدَ قادمٍ ... ولا يلبثُ الشَّوقانِ أن يصدعا الكِبدا

فقلتُ لهُ قد هجتَ بي شاعفَ الهوَى ... أصابَ حمامُ الموتِ أضعفنا وجدا

---

(١) الزهرة، ص/٧

وقال آخر:

أيضربُ جوْنٌ أنْ تحنَّ غريبةٌ ... وما ذنبُ جونٍ أن تحنَّ الأباعرُ

يقولونَ لا تنظرْ وتلكَ بليَّةٌ ... بلى كلُّ ذي عينينِ لا بدَّ ناظرُ

وقال آخر:

باتتْ تشوِّقُني برجعِ حنينها ... وأزيدها شوقاً برجعِ حنيني

نِضْويْنِ مُقترنيْنِ بينَ تِهامةٍ ... طويا الضُّلوعَ علَى جوًى مكنونِ

لو خبَّرتْ عنِّي القَلوصُ لخبَّرتْ ... عن مُستقرِّ صبابةِ المحزونِ

وقال عروة بن حزام:

هوى ناقتي خلفي وقدَّاميَ الهوَى ... وإنِّي وإيَّاها لمختلفانِ

فلو تركتْني ناقتي من حنينها ... وما بيَ من وجدٍ إذنْ لكفاني

فإن تحملي شوقي وشوقكِ تُثْقلي ... وما لكِ بالحِملِ الثَّقيلِ يدانِ

وقال آخر:

تحنُّ قلوصي نحوَ نجدٍ وقد أرى ... بعينيَّ أنِّي لستُ موردَها نجدا

ولا وارداً أمواهَ أجْبلةِ الحمى ... وإنْ زهقَتْ نفسي علَى وردِها جُهدا

وقال النجاشي:

رأتْ ناقتي ماءَ الفراتِ وذوقهُ ... أمرُّ منَ السُّمِّ الذُّعافِ وأمقرا

وريعَتْ منَ العاقولِ لمَّا رأتْ بهِ ... صياحَ النَّبيطِ والسَّفينِ المقيَّرا

وحنَّتْ حنيناً موجعاً هيَّجتْ به ... فؤاداً إلى أنْ يدركَ الرَّبْوَ أصورا

فقلتُ لها بعضَ الحنينِ فإنَّ بي ... كوجدكِ إلاَّ إنَّني كنتُ أصبرا

وقال آخر:

حنَّتْ وما عقلتْ فكيفَ إذا بكى ... شوقاً يُلامُ علَى البُكا منْ يعقِلُ

ذكرتْ قُرى نجدٍ فأقلقها الهوَى ... وقُرى العراقِ وليْلهُنَّ الأطولُ

وكأنَّما يُجنى لها ولركبها ... بنطافِ دجلةَ والفراتِ الحنظلُ

وتمرُّ من لُججِ السَّرابِ موارقاً ... والخرقُ أغبرُ والقتامُ مجلِّلُ

فغدتْ وأيدي الصُّبحِ تلمعُ في الدُّجى ... كالبيضِ تُغمدُ تارةً وتُسلَّلُ

وقال جرير:

أرى ناقتي تشكو طروقاً وشاقها ... وميضٌ إلى ذاتِ السَّلاسلِ لامعُ

فقلتُ لها حنِّي رُويداً فإنَّني ... إلى أهلِ نجدٍ من تهامةَ نازعُ

فلمَّا رأتْ أنْ لا قُفولَ وإنَّما ... لها من هواها ما تجنُّ الأضالعُ

تمطَّتْ لجدولٍ طويلٍ فطالعتْ ... وماذا منَ البرقِ اليماني تُطالعُ

وقال آخر:

وحنَّتْ قَلوصي آخرَ اللَّيلِ حنَّةً ... فيا روعةً ما راعَ قلبي حنينُها." (١)

"وكنَّا كندمانيْ جَذيمةَ حقبةً ... منَ الدَّهرِ حتَّى قيلَ لنْ يتصدَّعا

فلمَّا تفرَّقنا كأنِّي ومالكاً ... لطولِ اجتماعٍ لمْ نقمْ ليلةً معَا

فإنْ تكنِ الأيَّامُ فرَّقنَ بينَنا ... فقدْ بانَ محموداً أخي يومَ ودَّعا

وقال عدي بن زيد:

فإنْ أمسيتُ مكتئباً حزيناً ... كثيرَ الهمِّ يشهدُني الحذارُ

فقدْ بُدِّلتُ ذاكَ بنُعمِ بالٍ ... وأيَّامٍ لياليها قصارُ

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر قال أنشدنا أبو تمام لنفسه:

ألا إنَّ صدرِي مِنْ غرامِي بلاقعٌ ... عشيَّةَ شاقتْني الدِّيارُ البلاقعُ

لئنْ كانَ أمسَى شملُ وحشكَ جامعاً ... لقدْ كانَ لي شملٌ بأُنسكَ جامعُ

أُسيءُ علَى الدَّهرِ الثَّناءَ فقدْ قضَى ... عليَّ بجورٍ صرفهُ المتتابعُ

وقال حميد بن ثور:

قضَى اللهُ في بعضِ المكارهِ للفتَى ... رشاداً وفي بعضِ الهوَى ما يحاذرُ

شربْنا بثُعبانٍ منَ الطَّودِ بردَها ... شفاءً لغمٍّ وهيَ داءٌ مخامرُ

ليالِيَ دُنيانا علينا رحيبةٌ ... وإذْ عامرٌ في أوَّلِ الدَّهرِ عامرُ

وقدْ كنتُ في بعضِ الصَّبابةِ أتَّقي ... وأخشَى علينا أنْ تدورَ الدَّوائرُ

وأعلمُ أنِّي إنْ تغطَّيتُ مرَّةً ... منَ الدَّهرِ مكشوفٌ غطائِي فناظرُ

وقال أيضاً:

خليليَّ إنْ دامَ همُّ النُّفوسِ ... عليها ثلاثَ ليالٍ قتلْ

علَى أنَّ شيئاً سمعْنا بهِ ... يسمَّى السُّرورُ مضَى ما فعلْ

وقال البحتري:

عيشٌ لنا بالأبرقَيْنِ تأبَّدتْ ... أيَّامهُ وتجدَّدتْ ذكراهُ

والعيشُ ما فارقتهُ فذكرتهُ ... لهفاً وليسَ العيشُ ما تنساهُ

وقال محمد بن عبيد الأزدي:

فلمَّا قضيْنا عصمةً مِنْ حديثِنا ... وقدْ فاضَ مِنْ بعدِ الحديثِ المدامعُ

---

(١) الزهرة، ص/٩٨

جرَى بينَنا منَّا رسيسٌ يزيدُنا ... سقاماً إذا ما استيقنتهُ المسامعُ
كأنْ لمْ تجاوزْنا أُميمُ ولمْ تقمْ ... بفيضِ الحمَى إذْ أنتَ بالعيشِ قانعُ
فهلْ مثلَ أيّامٍ تسلَّفنَ بالحمَى ... عوائدُ أوْ عيشُ السّتارَيْنِ واقعُ
وقال قيس بن ذريح:
فإنْ تكنِ الدُّنيا بليلَى تقلَّبتْ ... عليَّ وللدُّنيا بطونٌ وأظهرُ
فقدْ كانَ فيها للأمانةِ موضعٌ ... وللكفِّ مرتادٌ وللعينِ منظرُ
وللهائمِ الظَّمآنِ ريٌّ بريقِها ... وللدَّنفِ المشتاقِ خمرٌ مسكِّرُ
قال أبو العباس محمد بن يزيد النحوي فقلنا له فما الَّذي بقي بعد ما وصفت قال بقيت الموافقة.
وقال البحتري:
كانَ الوصالُ بُعيدَ هجرٍ منقضٍ ... زمنَ اللِّوَى وقُبيلَ بينٍ آفدِ
ما كانَ إلاَّ لفتةً مِنْ ناظرٍ ... عجلٍ بها أوْ نهلةً مِنْ واردِ
ولبعض أهل هذا العصر:
رعَى اللهُ دهراً فاتَ لمْ أقضِ حقَّهُ ... وقدْ كنتُ طبّا بالأُمورِ مجرِّبا
ليالِيَ ما كانتْ رياحكَ شمألاً ... عليَّ ولا كانتْ بروقكَ خلَّبا
ليالِيَ وفَّيتُ الهوَى فوقَ حقِّهِ ... وفاءً وظرفاً صادقاً وتأدُّبا
فلمْ أرَ ودّاً عادَ ذنباً وقدْ مضتْ ... لهُ حقبٌ يشجَى بذكراهُ مَنْ صبَا
ولمْ أرَ سهماً هتَّكَ الدِّرعَ وانتهَى ... إلى القلبِ قِدماً ثمَّ قصَّر أوْ نبَا
ولا عذرَ للصَّمصامِ إنْ بلغَ الحشا ... وكَلَّ ولمْ يثلمْ لهُ العظمُ مضربَا
ولا لجوادٍ سابقَ الرِّيحَ سالماً ... وقامَ فأعيَا بلْ تقطَّرَ أوْ كبَا
فأنَّى بعذرٍ فِي اطِّراحِي وجفوتِي ... ونقضِ عهودٍ أُكِّدتْ زمنَ الصِّبا
إذا عوقبَ الجانِي علَى قدرِ جرمهِ ... فتعنيفُهُ بعدَ العقابِ منَ الرِّبا
وقال ابن ميادة:
ألا يا لقومِي للهوَى والتَّذكُّرِ ... وعينٍ قذَى إنسانَها أُمُّ جحدرِ
فلمْ ترَ عينِي مثلَ قلبِيَ لمْ يطرْ ... ولا كضلوعِي فوقهُ لمْ تكسَّرِ
وقال الطرماح:
عرفتُ لسلمَى رسمَ دارٍ تخالُها ... ملاعبَ جِنٍّ أوْ كتاباً منمنمَا
وعهدِي بسلمَى والشَّبابُ كأنَّهُ ... عسيبٌ نمَى فِي ريِّهِ فتقوَّما." (١)

---

(١) الزهرة، ص/١٠٦

"عيناه سهمان له كلما ... أراد قتلي بهما تسلما

وهذه أبيات تصلح أن تكون كل كلمة منها متقدمة لصواحبها، وهذا مثالها:

علَى الفضل من الجود علاماتٌ مبيناتُ

مبينات علامات من الجود علَى الفضل

من الجود علَى الفضل مبينات علامات

علامات مبينات علَى الفضل من الجود

بسعود لا بنحس خير طير ليزيد

خير طير ليزيد بسعود لا بنحس

لا بنحس خير طير ليزيد بسعود

ليزيد بسعود لا بنحس خير طير

وكتب بعض أهل هذا العصر إلى أخ له رسالة في حشو كلامها بيتين من شعر قد بيّنا حروف الشعر ليسهل استخراجه: بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاك وأدام عزك ونعماك وجعلني من المحذور دونك يا سيدي جُعلتُ فداك لا ترضى لأخيك بل لعبدك أن يبقى أبداً على حال قد أيست منه أولياءه وأشمتّ به أعداءه. وبعد ذا فأنا معترف بذنبي وحق الإقرار على الإنكار، وأن لا يعاقب لذنب جناه، ولو عرفت ما تنكره لم أعذر والله ما تأمره فيّ كلما يعود عليَّ ضرره فضلاً عما يعود عليَّ نفعه، فقد برّح والله بي هجرك، وأنا لا أكون لعفوك أهلاً لكثرة جناياتي، فأضفه إلى قديم صفحك عن إساءتي هذا نالني على أنِّي والله ما أسخطك قطّ إلاَّ مبتغياً رضاك ولا أظهرت الجفاء إلاَّ وأنا ملتمسٌ منه موافقة هواك، وقد أزال إعراضك اصطباري، وأفنى تجنبك اعتذاري، فلا ضرر الآن عما كان، فقد – وعزيز حياتك – عيل والصبر، فما لفظي إلاَّ بذكرك، ولا أجزع إلاَّ من هجرك، فانظر لعبدك الصبر والجلدا، ضعف من أن يقوم بجفائك أوْ يعتاض بها وصلك. فاصفح جُعلتُ فداك عن عبدك، فإنَّه أولى بك والسلام.

وهذا شعر فيه اسم يستخرج من أوائل الأبيات:

آهٌ من البارق الَّذي لمعا ... لم يدرِ ماذا بمهجتي صنعا

حكّم فيها البلى فها أنذا ... مكتئبٌ ما أفارق الجزعا

مذ لاح لي في السحاب أذكرني ... توريد خدٍّ من الجبا لمعا

دلَّ علَى كنهه كذي فِطنٍ ... تفريقُه فانتهره مجتمعا

وقال:

فآخر الترس له أول ... وثالث الدرع له آخرُ

وخامس الساعد ثانٍ له ... ورابع السَّيف له دابر

وهذا بيت فيه أحد عشر صاداً:

صافِ الصديقَ وأصفه صفوَ الصَّفا ... واخصص صديقك بالصداقة تخصصِ

وهذا بيت فيه إحدى عشرة حاءً:

تنحنحَ رَوْحٌ حين حاد بحاجب ... وزحزح روح حاجباً فتزحزحا

وبلغني أن رجلاً أنشد الرياشي أوْ غيره:

ما للنَّوى جُدّ النَّوى قطع النَّوى ... بالبين بين ميامني وشمالي

فقال: هو لعمري بيت حسن، غير أنَّه لو طرح بين يدي الشاة لأكلته، لأن فيه كَيْلجة نوى.

وهذه أبيات مرجعة:

يا بدني للفراق مُت كمداً ... مُتْ كمداً للفراق يا بدني

فارقني من هويت واحزنا ... واحزنا من هويت فارقني

كلمني بالشهيق من جَزَعٍ ... من جزع بالشهيق كلَّمني

عانقني كالقضيب معتدلاً ... معتدلاً كالقضيب عانقني

تتركني كالغريب يا سكني ... يا سكني كالغريب تتركني

يحفظني الله فيك قلت له ... قلت له الله فيك يحفظني

وبلغني أن محمداً بن زبيدة قال لأبي نواس: قد أكثرت عليَّ وأنا مُلق عليك شيئاً، فنفيت من هارون، لئن لم تجزه لأقتلنك وأستريح.. قال: وما هو يا أمير المؤمنين، قال: قل شعراً بلا قافية فقال:

ولقد قلت للمليحة قولي ... من بعيد لمن يحبك مَهْ حكاية قبله

فأشارت بمعصم ثمَّ قالت ... من بعيد خلاف قولي ماه حكاية لا

فتنفست ساعة ثمَّ إنِّي ... قلت للبغل عند ذلك راه حكاية عد

وهذا شعر فيه بالزنجية: حدثني أبو الحسن محمد بن الخطاب الكلابي، عن محمد بن مزرّع البصري، قال: مررت ببطن مكة، ومعي صاحب لي، فرأيت على ركيّة ينشد شعراً بعضه أعجمي، وبعضه عربي، فقلت: يا أسود ما تقول؟ فأنشد:

ألا يا لائمي في حب ريم ... أفق من بعض لومك لا اهتديتا

أتأمرني بهجري بعض نفسي ... معاذ الله أفعل ما اشتهيتا

أحبُّ لحبها الثقلين طُرّاً ... وبكعة والبلين ودمعَ ليتا

فكائن والبكان ودوّعينا ... وشكعة والندفت وعرريتا." (١)

" فقال ابن عباس فقلت والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة قال فزيرني عمر ثم قال مه فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني وأخذ بيدي فخلا بي وقال ما الذي كرهت مما قال الرجل فقلت يا أمير المؤمنين إن كنت أسأت فإني استغفر الله عز و

---

(١) الزهرة، ص/٢٢٦

جل وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت قال لتحدثني ما الذي كرهت مما قال الرجل قال إنما قلت يا أمير المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يتحقوا ومتى يتحقوا يختصموا ومتى يختصموا يختلفوا ومتى يختلفوا يقتتلوا قال لله أبوك والله إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها

وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان النبي يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول هل من رجل ." (١)

"وبعينيه إذا ينوء بأيدي ... هم ويكبو في صائك كالفصيد

الصائك الدم المتغير.

نظر الليث همه في فريس ... أقصدته يدا نجيد معيد

ساندوه حتى إذا لم يروه ... شد إجلاده على التسنيد

يئسوا ثم غادروه لطير ... عكف حوله عكوف الوفود

وهم ينظرون لو طلبوا الوِ ... تر إلى واتر شموس حقود

لحمة لو دنوا لثأر أخيهم ... حسروا قد ثناهم بعديد

يا بن حسناء شق نفسي يا لج ... لاج خليتني لدهر شديد

يبلغ الجهد ذا الحصاة من القو ... م ومن يلف واهياً فهو مود

كل عام أُرمى ويرمى أمامي ... بنبال من مخطئ أو سديد

ثم أوحدتني وأخلت عرشي ... بعد فقدان سيد ومسود

وثللت عرشي.

من رجال كانوا جباً لا بحوراً ... فهم اليوم صحب آل ثمود

خان دهر بهم وكانوا أهم أهل ... عظيم الفعال والتمجيد

مانعي بابة العراق من النا ... س بجرد تعدو بمثل الأسود

كل عام يلثمن قوماً بكف الدهر ... حمقاً وأخذ حي حريد

وأخذ حي - وخد حي.

جازعات إليهم خشع الأو ... داة تسقى قوتاً ضياح المديد

الأوداة جمع واد، ضياح تضيح لها بالماء.

مسنفات كأنهن قنا الهن ... دونسي الوجيف شغب المرود

مسنفات متقدمات، والمسنفات التي قد قلقت سروجها فسنفت إلى صدورها لضمر بطونها حتى لا تقلق حزمها، والمرد المارد، مسنفات ضوامر.

---

(١) رسالة القرآن غيرمخلوق، ص/٥١

مستقيم بها الهداة إذا يقطعن ... نجداً وصلنه بنجود
فإنا اليوم قرن أعضب منهم ... لا أرى غير كائد ومكيد
غير ما واضع جناحي لقوم ... حين لاح الوجوهَ سفع الوقود
قال خاضع جناحي أود.
كان عني يرد درؤك بعد ال ... له شغب المستصعب المريد
من يردني بسيئ كنتَ منه ... كالشجا بين حلقه والوريد
أسد غير حيدر وملد ... يطلع الخصم عنوة في كؤود
وخطيب إذا تمعرت الأو ... جه يوماً في مأقط مشهود
ومطير اليدين بالخير للح ... مد إذا ضن كل جبس صلود
أصلتي تسمو العيون إليه ... مستنير كالبدر عام العهود
معمل القدرنا به النار باللي ... ل إذا هم بعضهم بخمود
يعتلى الدهر إذا علا عاجز القو ... م وينمي للمستتم الحميد
يعني أن الدهر يعلو عاجز القوم وينمي للحازم وهو المستتم.
وإذا القوم كان زادهم اللحم ... قصيداً منه وغير قصيد
وقصيدٌ منه وغير قصيد.
وسما بالمطي والذبل الصم ... لعمياء في مفارط بيد
مفارطها أوائلها وما تقدم منها.
مستحن بها الرياح فما يجتا ... بها بالظلام غير هجود
الهجود هاهنا اليقظان، وهو من الأضداد والهجود النائم واليقظان.
وتخال العزيف فيها غناء ... للندامى من شارب مشهود
العزيف صوت الجن، مشهود محضور.
قال سيروا إن السري نهزة الأكيا ... س والغزو ليس بالتمهيد
وإذا ما اللبون سافت رماد النا ... ر قصراً بالسملق الأمليد
قصراً عشياً، والأمليد والأمليس ما اتسع من الأرض، وسافت شمت.
بدل الغزو أوجه القوم سوداً ... ولقد أبدأوا ولسن بسود
ويروي: وغزواً حين أبدأوا غير سود.
ناط أمر الضعاف واجتعل الليل ... كحبل العادة الممدود
في ثياب عماد هن رماح ... عند جرد تسمو سمو الصيد
كالبلايا رؤوسها في الولايا ... مانحات السموم حر الخدود

إن تفتني فلم أطلب عنك نفساً ... غير أني أُمنَى بدهر كنود

كل عام كأنه طالب ذح ... لاً إلينا كالثائر المستقيد

أنشدنا ابن حبيب وأبو العباس الأحول وأحمد بن يحي لأعشى باهلة وهو عامر بن الحارث ويكنى أبا قحفان يرثي المنتشر بن وهب الوائلي. ويقال أنها للدعجاء أخت المنتشر ترثي أخاها.

إني أتيت بشيء لا أسر به ... من علو لا عجب فيه ولا سخر

ويروى من علو، ومن علُ، ويقال أتيتك من علاً، ومن معالٍ، ومن علٍ، وقوله لا عجب أي ليس ببديع لأن الناس يموتون ويقتلون فلا سخر من ذلك أي لا عجب فيه ولا هزء منه، وروى الأصمعي: قد جاء من عل أنباء أنبؤها.

فظلت مكتئباً حران أند به ... وكنت أحذَره لو ينفع الحذر." (١)

"وأنشدنا أبو عبد الله نفطويه قال: أنشدنا أحمد بن يحي لأبي الهندى وهو من بنى رياح:

قل للسرى أبي قيس أتهجرنا ... ودارنا أصبحت من داركم صددا

أبا الوليد أما والله لو عملت ... فيك الشمول لما فارقتها أبدا

ولا نسيت حمايها ولذتها ... ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

وحدثني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق الموصلى قال حدثني أبي قال: كتبت إلى زهراء الأعرابية – وقد غابت عنى – كتابا فيه:

وجدى بجمل على أنى أجمجمه ... وجد السقيم ببرء بعد إدناف

أو وجد ثكلى أصاب الموت واحدها ... أو وجد منشعب من بين ألاف

فكتبت لها:

أما أويت لمن قد بات مكتئبا ... يذرى مدامعه سحا وتوكافا

إقرأ السلام على الزهراء إذ شحطت ... وقل هلا قد أذفت القلب ما خافا

فما وجدت على إلفٍ أفارقه ... وجدى عليبك وقدفارقت ألافا

وأنشدنا الأخفش:

أقول لصاحبى بأرض نجدٍ ... وجد مسيرنا ودنا الطروق

أرى قلبى سينقطع اشتياقا ... وأحزانا وما انقطع الطريق

وأنشدنا جحظة عن حماد عن أبيه:

طربت إلى الأصيبية الصغار ... وهاجك منهم قرب المزار

وأبرح ما يكون الشوق يوما ... إذا دنت الديار من الديار

وقرأت على أبي بكر لطفيل الغنوى:

---

(١) أمالي اليزيدي، ص/٣

أناس إذا ما أنكر الكلب أهله ... حموا جارهم من كل شنعاء مضلع

قال: ويروى: مفظع. قوله: أنكر الكلب أهله، أى إذا لبسوا السلاح وتقنعوا لم يعرف الكلب أهله. وحدثنى بعض شيوخنا أن ابن حبيب قال: إذا ما غزوا فصار معهم أعداؤهم فى ديارهم فتواثبوا أنكرهم الكلب إذ ذاك لتغيرهم عن حالهم. والشنعاء: الداهية المشهورة. ومضلع: شديدة، يقال: أضلعنى الأمر إذا اشتد على وغلبنى. وقرأت على أبى عبد الله لذى الرمة:

إذا نتجت منها المهارى تشابهت ... على العوذ بالأنوف سلائله

العوذ: الحديثات النتاج، واحدها عائذ، وإنما قيل لها عائذ لأن ولدها عاذ بها، وكان القياس أن يكون هو عائذا بها ولكنه لما كانت متعطفة عليه قيل لها: عائذ، يقول: تشابه عليها أولادها إلا أن تشمها بأنوفها، وذلك أنها من نجارٍ واحد وفحلٍ واحد وقد تقاربت فى الوضع فهى تشبه بعضها بعضاً. والسلائل: الأولاد، واحدها سليل.

وحدثنا أبو المياس الراوية قال حدثنى أحمد بن عبيد عن بعض شيوخه قال: كانت وبمة فى قريش تولى أمرها مقاس الفقعسى، فأجلس عمارة الكلبى فوق هشام بن عبد الملك، فأحفظه ذلك وآلى على نفسه أنه متى أفضت الخلافة إليه عاقبه، فلما جلس فى الخلافة أمر أن يؤتى به وتقلع أضراسه وأظفار يديه ففعل ذلك به، فأنشأ يقول:

عذبونى بعذابٍ ... قلعوا جوهر راسى

ثم زادونى عذابا ... نزعوا عنى طساسى

بالمدى حزز لحمى ... وبأطراف المواسى

قال أبو على: قال أبو العباس قال لى أبو المياس: الطساس: الأظفار، ولم أر أحداً من أصحابنا يعرفه، ثم أخبرنى رجل من أهل اليمن قال: يقال عندنا: طسه إذا تناوله بأطراف أصابعه.

وأنشدنا أبو المياس وكان من أروى الناس للرجز وهو من أهل سر من رأى لدكين بن رجاء الراجز:

لم أر بؤسا مثل هذا العام ... أرهنت فيه للشقا خشامى

وحق فخرى وبنى أعمامى ... ما فى القروف حفنتا حتام

قال أبو على: أرهنت ورهنت جميعا يقالان. قال: يوقال خاتم وخاتام وخيتام وخاتم. وقال أبو المياس: القروف: الجراب وأحسبه غلطا، إنما هو القروف جمع قرف، وهو الجراب. والختام البقية من كل شيء.." (١)

"سأجعل عرضى جنةً دون عرضها ... ودينى، فيبقى عرض ليلى ودينها

وأنشدنا أبو الحسن جحظة البرمكى قال أنشدنا حماد بن إسحاق قال: أنشدنى أبى لنفسه

لاح بالمفرق منك القتير ... وذوى غصن الشباب النضير

هزئت أسماء منى وقالت ... أنت يا بن الموصلى كبير

ورأت شيباً علانى فأنت ... وابن ستين بشيبٍ جدير

إن ترى شيباً علانى فإنى ... مع ذاك الشيب حلو مزير

---

(١) أمالي القالي، ص/٢٦

قد يفل السيف وهو جراز ... ويصول الليث وهو عقير

قال أبو على: المزير: المعظم المكرم، يقال: مزرت الرجل إذا عظمته وكرمته، كذا قال على ابن سليمان الأخفش، وقال النصر بن شميل: المزير: الظريف، وقال لى أبو بكر بن دريد: المزارة: الزيادة فى جسم أو عقل، يقال: مزريمزر مزارةً فهو مزير.

والجراز: الماضى فى الضريب، قال الجعدى

يصمم وهو مأثور جراز ... إذا اجتمعت بقائمه اليدان

وقرأت على أبى بكر بن الأنبارى للأسود بن يعفر

وكنت إذا ما قرب الزاد مولعا ... بكل كميتٍ جلدةٍ لم توسف

مداخلة الأقراب غير ضئيلة ... كميت كأنها مزادة مخلف

كميت، يعنى ثمرة، وجلدة: غليظة اللحاء. لم توسف: لم تقشر. وأقرابها: نواحيها؛ وإنما هو مثل، والقربان: الخاصرتان. والضئيلة: الدقيقة. والمخلف: المستقى، يريد كأنها من امتلائها مزادة.

وقرأت على أبى بكر الأنبارى قال: قرأت على أبى لهدبة بن خشرم

طربت وأنت أحياناً طروب ... وكيف وقد تعلاك المشيب

يجد النأى ذكرك فى فؤادى ... إذا ذهلت عن النأى القلوب

يؤرقنى **اكتئاب** أبى نميرٍ ... فقلبى من كآبته كئيب

فقلت له هداك الله مهلاً ... وخير القول ذو اللب المصيب

عسى الكرب الذى أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفك عانٍ ... ويأتى أهله النائى الغريب

ألا ليت الرياح مسخرات ... بحاجتنا تباكر أو تؤوب

فتخبرنا الشمال إذا أتتنا ... وتخبر أهلنا عنا الجنوب

فإنا قد حللنا دار بلوى ... فتخطئنا المنايا أو تصيب

فإن يك صدر هذا اليوم ولى ... فإن غداً لناظره قريب

وقد علمت سليمى أن عودى ... على الحدثان ذو أيدٍ صليب

وأن خليقتى كرم وأنى ... إذا أبدت نواجذها الحروب،

أعين على مكارمها وأغشى ... مكارهها إذا كع الهيوب

وقد أبقى الحوادث منك ركنا ... صليبا ما تؤيسه الخطوب

على أن المنية قد توافى ... لوقتٍ والنوائب قد تنوب

قال أبو على: قوله: تؤيسه: تؤثر فيه، قال المتلمس:

ألم تر أن الجون أصبح راسيا ... تطيف به الأيام ما يتأيس

وقال الطريف المعنبرى:

إن قناتى لنبع ما يؤيسها ... عض الثقاف ولا دهن ولا نار

وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال أخبرنى عمى عن ابيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال: اجتمع طريف بن العاصى الدوسى – وهو جد طفيل ذى النورين بن عمرو بن طريف – والحارث ابن ذبيان بن لجا بن منهب – وهو أحد المعمرين – عند بعض مقاول حمير، فتفاخرا، فقال الملك للحارث: يا حارث، ألا تخبرنى بالسبب الذى أخرجكم عن قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان؟ فقال: أخبرك أيها الملك، خرج هجينان منا يرعيان غنما لهما فتشاولا بسيفهما فأصاب صاحبهم عقب صاحبنا، فعاث فيه السيف فنزف فمات، فسألونا أخذ دية صاحبنا دية الهجين وهى نصف دية الصريح، فأبى قومى وكان لنا رباء عليهم. فأبينا إلا دية الصريح وأبوا إلا دية الهجين، فكان اسم هجيننا ذهين ابن زبراء، واسم صاحبهم عنقش بن مهيرة وهى سوداء أيضاً، فتفاقم الأمر بين الحيين، فقال رجل منا:

حلومكم يا قوم لا تعزبنها ... ولا تقطعوا أرحامكم بالتدابر

وأدوا إلى الأقوام عقل ابن عمهم ... ولا ترهقوهم سبةً فى العشائر

فإن ابن زبراء الذى فاد لم يكن ... بدون خليف أو أسيد بن جابر." (١)

"فتًى كان مَوْلاهُ يَحُلُّ بَنَجْوَةٍ ... فحَلَّ المَوالِي بُعْدَهُ بِمَسِيلِ

طَوِيلُ نِجادِ السَّيْفِ وَهْمٌ كأَنَّما ... يَصُولُ إذا اسْتَنْجَدْتَهُ بِقَبِيلِ

كأَنَّ المَنايا تَبْتَغِي فِي خِيارِنا ... لَها تِرَةً، أَو تَهْتَدِي بدَلِيلِ

وقال طَرِيف أبو وَهْب العَبْسِيّ

في ابْنِه

لقَدْ شَمِتَ الأَعْداءُ بِي وتَغَيَّرَتْ ... عُيونُ أَراها بَعْدَ مَوْتِ أَبِي عَمْرِو

تَجَرَّى عليّ الدَّهُر لَمَّا فَقَدْتُهُ ... ولَوْ كانَ حَيّاً لاَجْتَرَأْتُ على الدَّهْرِ

ألا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، ولَيْتَنِيسَبَقْتُكَ إِذْ كُنَّا إلى غايَةٍ نَجْرِي

وكنتُ به أُكْنَى فأَصْبَحْتُ كُلَّما ... كُنِيتُ به فاضَتْ دُمُوعِي على نَحْرِي

وقَدْ كنتُ ذا نابٍ وظُفْرٍ على العِدَى ... فأَصْبَحتُ لا يَخْشُوْنَ نابِي ولا ظُفْرِي

وقاسَمَنِي دَهْرِي بُنَيَّ مُشاطِرًا ... فلمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عادَ فِي شَطْرِي

وقال شُقْران العُذْرِيّ

أَمويّ الشعر

أجِدَّكَ لَنْ تَزالَ الدَّهْرَ عَيْنِي ... لَها فِي إِثْرِ ذِي ثِقَةٍ سُجُومُ

وإخْوانٍ رُزِئْتُهُمُ فبانُوا ... كما انْقَضَتْ مِن الفَلَكِ النُّجُومُ

---

(١) أمالي القالي، ص/٣٣

وقال

أبو قُحْفان

الأعْشَى عامِرِ بن الحارِث بن عَوْف الباهِلِيّ وتُرْوَى للدَّعْجاء ابنةِ المُنْتَشِرِ، وتُرْوَى للَيْلَى بنت وَهْب الباهِلِيّة أخْت المُنْتِشَر

إنِّي أَتَتْنِي لِسانٌ لا أُسَرُّ بِها ... مِن عَلْوَ، لا عَجَبٌ مِنْها ولا سَخَرُ

فَظَلْتُ مُكْتَئِباً حرّانَ أَنْدُبُهُ ... وكنتُ أَحْذَرُهُ لو يَنْفَعُ الحَذَرُ

فهاجَتِ النَّفسُ لمّا جاءَ جَمْعُهُمُ ... وراكِبٌ جاءَ مِن تَثْلِيث مُعْتَمِرُ

يَأْتِي على النَّاسِ لا يَلْوِي على أَحَدٍ ... حتَّى الْتَقَيْنا وكانَتْ دُونَنا مُضَرُ

إنّ الذي جِئْتَ مِن عَلْياءَ تَنْدُبُهُ ... مِنْه السَّماحُ ومِنْهُ النَّهْيُ والغِيَرُ

تَنْعَى امْرَءً لا تُغِبُّ الحَيَّ جَفْنَتُهُ ... إذا الكَواكِبُ خَوَّى نَجْمَها المَطَرُ

وتَذْعَرُ البُزْلُ مِنْه حينَ تُبْصِرُهُ ... حتَّى تَقَطَّعَ في أَعْناقِها الجِرَرُ

وراحَتِ الشَّوْلُ مُغْبَرّاً مَناكِبُها ... شُعْثاً تَغَيَّرَ مِنْها النَّيُّ والوَبَرُ

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنٌّ يُكَدِّرُهُ ... على الصَّدِيقِ ولا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ

مُهَفْهَفٌ أَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌعَنْه القَمِيصَ، لسَيْرِ اللَّيلِ مُحْتَقِرُ

أَخُو رَغائِبَ يُعْطِيها ويُسْأَلُها ... يأْبَى الظُّلامَةَ مِنْه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ

لَمْ تَرَ أَرْضاً ولَمْ تَسْمَعْ بساكِنِها ... إلاَّ بِها مِن بوادِي وَقْعِهِ أثَرُ

ولَيْسَ فِيه إذا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ ... ولَيْس مِنْه إذا ياسَرْتَهُ عَسَرُ

لا يُعْجِلُ القَوْمَ أَنْ تُغْلِي مَراجِلُهُمْويُدْلِجُ اللَّيْلَ حتَّى يَفْسُحَ البَصَرُ

عَلَيه أَوَّلُ زادِ القَوْمِ إنْ رَحَلُوا ... ثُم المَطِيُّ إذا ما أَرْمَلُوا جُزُرُ

لا تَأْمَنُ البازِلُ الكَوْماءُ ضَرْبَتَهُ ... بالمَشْرَفِيِّ إذا ما اخْرَوَّطَ السَّفَرُ

لاَ يأْمَنُ القَوْمُ مُمْساهُ ومُصْبَحَهُمِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وإنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ

لا يَتَأَرَّى لِما في القِدْرِ يَرْقُبُهُ ... ولا يَزالُ أَمامَ القَومِ يَقْتَفِرُ

لا يَغْمِزُ السَّاقَ مِن أَيْنَ ولا وَصَبٍ ... ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ

تَكْفِيهِ قِطْعَةُ فِلْذٍ إنْ أَلَمَّ بِها ... مِن الشّواءِ ويُرْوِي، شُرْبَهُ الغُمَرُ." (١)

"وإن حَدَّثَتْكَ النَّفْسُ أنَّكَ قادِرٌ ... على ما حَوَتْ أَيْدِي الرِّجالِ فَكَذِّبِ

وقال ضابِئ بن الحارِث البُرْجُمِيّ

ومَنْ يَكُ أَمْسَى في المَدِينةِ رَحْلُهُ ... فإنِّي، وقَيَّارٌ، بِها لَغَرِيبُ

وما عاجِلاتُ الطَّيْرِ يُدْنِينَ مِلْ فَتَى ... نَجاحاً، ولا فِي رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ

---

(١) الحماسة البصرية، ص/١٠٠

ورُبَّ أُمُورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً ... وللقَلْبِ مِن مَخْشاتِهِنَّ وَجِيبُ

ولا خَيْرَ فِيمَنْ لا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ ... على نائِباتِ الدَّهْرِ حينَ تَنُوبُ

وفي الشَّكِّ تَفْرِيطٌ، وفي العَزْمِ قُوَّةٌ ... ويُخْطِي الفَتَى في حَدْسِهِ ويُصِيبُ

وقال طَرَفَة بن العَبْد

قد يَبْعَثُ الأَمْرَ العَظِيمَ صَغِيرُهُ ... حتَّى تظَلَّ له الدِّماءُ تَصَبَّبُ

والإِثْمُ داءٌ لا يُرَجَّى بُرْؤُه ... والبِرُّ بُرْؤٌ لَيْسَ فيه مَعْطَبُ

وقِرابُ مَنْ لا يَسْتَفِيقُ دَعارةً ... يُعْدِي كما يُعْدِي الصَّحيحَ الأَجْرَبُ

وقال أبو جَعْفَر المَنْصُور

إذا كنتَ ذا رأيْ فكُنْ ذا عَزِيمَةٍ ... فإنَّ فَسادَ الرَّأْيِ أنْ تَتَرَدَّدا

ولا تُمْهِلِ الأَعْداءَ يَوْماً لِقُدْرَةٍ ... وبادِرْهُمُ أنْ يَمْلِكُوا مِثْلَها غَدا

وقال بَشّار بن بُرْد العُقَيْلِي

وقيل هو مَوْلَى بني سَدُوس

إذا بَلَغَ الرَّأْيُ المَشُورَةَ فاسْتَعِنْ ... بِرَأْيِ لَبِيبٍ أو مَشُورَةِ حازِمِ

ولا تَحْسِبِ الشُّورَى عليكَ غَضاضَةً ... فإنَّ الخَوافِي قُوَّةٌ للقَوادِمِ

وخَلِّ الهُوَيْنا للضَّعِيفِ ولا تكُنْ ... نَؤُوماً، فإنَّ الحَزْمَ ليس بنائِمِ

فإنَّكَ لا تَسْتَطْرِدُ الهَمَّ بالمُنَى ... ولا تَبْلُغُ العَلْيا بغَيْرِ المَكارِمِ

وقال عبد الله بن جَعْفَر الطّالِبِيّ

ومنهم مَن نَسَبها إلى صالح بن عبد القُدُّوس

إن اللَّبِيبَ الذي يَرْضَى بِعِيشَتِهِ ... لا مَنْ يَظَلُّ على ما فاتَ مُكْتَئِبا

لاَ تَحْقِرَنَّ مِن الأَقْوامِ مُحْتَقَرا ... كُلُّ امْرِئٍ سَوْفَ يُجْزَى الذي اكْتَسَبا

لا تُفْشِ سِرّاً إلى غَيْرِ اللَّبِيبِ ولا ال ... خَرْقِ المُشِيعِ له يوماً إذا غَضِبا

قد يَحْقِرُ المَرْءُ ما يَهْوَى فيَرْكَبُهُ ... حتّى يكونَ إلى تَوْرِيطِهِ سَبَبا

شَرُّ الأَخِلاّءِ مَنْ كانَتْ مَوَدَّتُهُ ... مع الزَّمانِ إذا ما خاف أو رَغِبا

إذا وَتَرْتَ امرءاً فاحْذَرْ عَداوَتَهُمَنْ يَزْرَعِ الشَّوْكَ لا يَحْصِدْ بِهِ عِنَبا

إنَّ العَدُوَّ، وإنْ أَبْدَى مُسالَمَةً، ... إذا رَأَى مِنْكَ يَوْماً فُرْصَةً وَثَبَا

وقال أيضاً

إذا كنت في حاجَةٍ مُرْسِلاً ... فأَرْسِلْ حَكِيماً ولا تُوصِهِ

وإنْ بابُ أَمْرٍ عليكَ الْتَوَى ... فشاوِرْ لَبِيباً ولا تَعْصِهِ

وإنْ ناصِحٌ مِنْكَ يَوْماً دَنا ... فلا تَنْأَ عَنْه ولا تُقْصِهِ

وذا الحَقِّ لا تَنْتَقِصْ حَقَّهُ ... فإنَّ القَطِيعةَ في نَقْصِهِ

ولا تَذْكُرِ الدَّهْرَ في مَجْلِسٍ ... حَدِيثاً إذا أنت لَمْ تُحْصِهِ

ونُصَّ الحَدِيثَ إلى أَهْلِهِ ... فإنَّ الأَمانَةَ في نَصِّهِ

فَكَمْ مِن فَتىً عازِبٍ لُبُّهُ ... وقَدْ تَعْجَبُ العَيْنُ مِن شَخْصِهِ

وآخَرَ تَحْسِبُهُ أَنْوَكاً ... ويَأْتِيكَ بالأمْرِ مِن فَصِّهِ

وقال أبو المِنْهال بُقَيْلَة الأَكْبَر

وإنَّما الشِّعْرُ لُبُّ المَرْءِ يَعْرِضُهُ ... على المَجالِسِ إنْ كَيْساً وإنْ حُمُقا

وإنَّ أشْعَرَ بَيْتٍ أنتَ قائِلُهُ ... بَيْتٌ يُقالُ إذا أَنْشَدْتَهُ صَدَقا." (١)

"أو نال من خفضٍ ومن رفاهة يأسُ بؤسٍ فى ضياعِ المتربِ وبدَّل النصرَ الربيعَ قاحلًا وبدَّل الربْعَ قواءَ الحزبِ أو غلب الصمت حياةً ما ونتْ تثير إحياءَ الحراك الصاخبِ فى كلِّ أفئدة الورى لك مَعْلَمُ متباينُ الأوسام جِدُّ معجبِ!! كم أنت فى القصر المحبب موجزٌ إن سرَّ قلب المرء أو إنْ يطربِ!! كم أنتّ فى الطولِ المُمِلِّ لجاجةٌ مكروهة تُرمَى لدى المكتئبِ! متباين الأوسان ناءٍ سِرُّه طاغى الحقيقة والسرار المخصبِ بحرٌ هى الأيام فى قطراته ذخرت بها أمواجُه إن تصخبِ لا اليومَ مقياسُ الدهور بعيدةٌ لا الذرة الصغرى بتيهٍ سَبْسَبِ الشمسُ إن دارت ففى دوراتها فردٌ مدارٌ وعديدُ أحقُبِ ما اليوم إلا لمحة فى خاطرٍ فى ذهن ميعاد الهدى منشعب يا قسمتى منهُ وما أضْألها! فى عُمْرِ كونٍ مدلهم النقبِ كم قد أرى من بكرٍ زاهيةٍ أو كم أرى من مغربٍ ملتهبِ يا ليت شعرى هل أنا مُقْتَطعٌ منكَ أو أنت قاطعى مُقتَضِبى إنى لأرجوك انفِساحًا أجلى فسحة مجدودِ مُضاء الكوكبِ ص _١٠٥." (٢)

"سفيان هذا: هو ابن الأبرد الكلبي، وكان من فرسان الحجاج.

دير حزقيال

دير حِزقيال قال أبو الفرج: حدثني جعفر بن قدامة قال: قال شريح الخزاعي قال: اجتزت بدير حِزقيال، فبينما أنا أدور به، إذا بكتابة على إسطوانة فقرأتها، فإذا هي:

ربَّ ليلٍ أمدّ نَفَس العا ... شق طولاً قطعتُه بانتحابِ

ونعيمٍ كوصل من كنت أهوا ... تبدّلته ببؤس العِتابِ

نسبوني إلى الجنون ليُخفوا ... ما بقلبي من صَبْوة واكتئابِ

ليت بي ما ادّعوه من فقد عقلي ... فهو خيرٌ من طول هذا العذابِ

وتحته مكتوب " هويتُ فمنعتُ، وطردتُ وشرِّدت، وفُرِّق بيني وبين الوطن، وحُجبتُ عن الإلف والسَّكَن، وحُبِستُ في

---

(١) الحماسة البصرية، ص/١٣٤

(٢) الحياة الأولي (ديوان شعر)، ص/٨٢

هذا الدَّير ظلماً وعدواناً، وصُفِّدت في الحديد أزماناً:

وإني على ما نابني وأصابني ... لذو مرة باق على الحَدَثان

فإن تُعقبِ الأيامُ أظفرْ ببغيتي ... وإن أبقَ مَرمِيّاً بي الرَّجوانِ

فكم ميّتٍ همّاً بغيظٍ وحسرةٍ ... صبورٌ لما يأتي به المَلَوانِ

قال: فكتبت ما وجدت، وسألت عن صاحبه، فقالوا: رجل هوى ابنة عمٍّ له، فحبسه عمّه في هذا الدير، خوفاً أن يفتضح في ابنته، فتجمع أهله، فجاءوا، فأخرجوه، وزوجوه بها كرهاً.

دير حنة – الأكيراح

دير حنة: بالاكيراح، بناحية البليخ.

وقد ذكر دير حنة أبو الفرج الأصفهاني وقال: ذكره أبو نواس في شعره، يعني في قوله:

يا دير حنَّة من ذات الاكيراحِ ... من يصحُ عنك فإني لستُ بالصاحي

يعتادُه كل مجفوٍّ مفارقه ... من الدِّهان عليه سَحْق أمساحِ

في فِتيةٍ لم يَدَعْ منهم تخوّفهمْ ... وقوعَ ما حذِروهُ غيرَ أشباحِ

لا يَدلُفون إلى ماء بآنيةٍ ... إلا إغترافاً من الغُدْران بالراحِ

قال: والاكيراح: بلد نزِه كثير البساتين والرياض والمياه.

قال: وبالحيرة أيضاً موضع يقال له الاكيراح فيه دير. والاكيراح قباب صغار يسكنها الرهبان. يقال للواحد منها: الكيرح.

وقد ذكر بكر بن خارجة هذا الدير أيضاً. فقال:

دع البساتين من آسٍ وتفّاحِ ... واقصد إلى الروض من ذاتَ الاكيراحِ

إلى الدساكر، فالدير المقابلها ... لدى الاكيراح من دير ابن وضاحِ

منازلاً لم أزلْ حيناً ألازمُها ... لزومَ غادٍ إلى اللذات روّاحِ

وبالحِيرة أيضاً موضع يقال له الاكيراح، وفيه دير بناه عبد بن حنيف من بني لحيان، الذين كانوا مع لخم، وملك الحيرة منهم ملكان، وأظنه الذي عناه بكر بن خارجة، لأنه كوفي في الشعر المتقدم إنشاده.

وفي هذه الاكيراح، يقول علي بن محمد العلوي، الحماني:

كم وقفةٍ لك بالخَوَر ... نق ما تُوازي بالمواقفْ

بين الغَدير إلى السدير ... إلى ديارات الأساقفْ

فمواقف الرّهبان في ... أطمارِ خائفةٍ وخائفْ

دِمَنٌ كأن رياضَها ... يُكسَين أعلامَ المطارفْ

وكأنما غُدرانُها ... فيها عُشُورٌ في المصاحفْ

تلقى أوائلها أوا ... خرها بألوان الرفارفْ

بحرية شتواتها ... بريّة فيها المصايف

درّية الحصباء كا ... فوريّة منها المشارف

باتت سواريها تمخض ... في رواعدها القواصف

وكأنَّ لمع بروقها ... في الجو أسياف المثاقف

ثم انبرت سحاً كبا ... كيةٍ بأربعةٍ ذَوارف

فكأنما أنوارُها ... تهتَزُ في الدرج العواصف

طُرَرُ الوصائف يلتفتن ... بها إلى طُرَر الوصائفْ

دافعتها عن دجنها ... بالقلّب البيض، الغطارفْ

يعبق يوم اليأ ... س شراً بين في يوم المتارفْ

سمح بحرّ المال وقّا ... فون في يوم المتالفْ

واهاً لأيام الشبا ... ب وما لبسن من الزخارفْ

وزوالهن بما عرفت ... من المناكر والمعارفْ

أيام ذكرك في دوا ... وين الصبا صَدر الصحائفْ

واهاً لأيامي وأيَّا ... م النقياتِ المراشفْ

والغارسات ألبان قُض ... باناً على كُثُبِ الرّوادفْ

والجاعلاتِ البدرَ ما ... بين الحواجبِ والسوالفْ

أيامَ يُظهرنَ الخلا ... ف بغير نيّات المخالفْ." (١)

"بلى، فسقاك الغيث صوب غمامة ... عليك لها بعد الرواح بكورُ

تذكرت قومي خالياً فبكيتهم ... بشجو، ومثلي بالبكاء جديرُ

وعزيت نفسي وهي نفس إذا جرى ... لها ذكر قومي أنة وزفيرُ

لعل زماناً جار يوماً عليهم ... له بالذي تهوى النفوس يدورُ

فيفرح محزون، وينعم بائس ... ويطلق من ضيق الوثاق أسيرُ

رويدك إن اليوم يتبعه غد ... وإن صروف الدائرات تدورُ!

قال: فلما قرأها المتوكل ارتاع لها وتطير وقال أعوذ بالله من سوء أقداره! ثم دعا بصاحب الدير، فقال له: من كتب هذه الرقعة؟ فأقسم أنه لا يدري. قال: وأنا مذ نزل أمير المؤمنين هذا الموضع، لا أملك من أمر هذا الدير شيئاً، يدخله الجند والشاكرية ويخرجون، وغاية قدرتي أني متوارٍ في قلايتي، فهم بضرب عنقه، وإخراب الدير، فكلمه صحبه إلى أن سكن غضبه، ثم بان بعد ذلك أن الذي كتب الأبيات رجل من بني روح بن زنباع الجذامي، وأمه من موالي هشام بن عبد الملك.

دير الرها

---

(١) الديارات للأصبهاني، ص/٧

دير الرها: بالجزيرة بين الموصل والشام.

حدثني أبو محمد حمزة بن القاسم الشامي: قال: اجتزت بكنيسة الرها عند مسيري إلى العراق. فدخلتها لأشاهد ما كنت أسمعه عنها. فبينما أنا في تطوافي، إذ رأيت على ركن من أركانها مكتوباً بالحمرة: حضر فلان بن فلان وهو يقول: من إقبال ذي الفطنة، إذا ركبته المحنة انقطاع الحياة، وحضور الوفاة. وأشد العذاب تطاول الأعمار في ظل الإدبار. وأنا القائل:

ولي همة أدنى منازلها السها ... ونفس تعالت بالمكارم والنهى

وقد كنت ذا حال بمرو قريبة ... فبلغت الأيام بي بيعة الرها

ولو كنت معروفاً بها لم أقم بها ... ولكنني أصبحت ذا غربة بها

ومن عادة الأيام إبعاد مصطفى ... وتفريق مجموع وتنغيص مشتهى

فاستحسنت النظم والنثر وحفظتهما.

دير زرارة

دير زرارة: وهو بين الكوفة وحمام أعين، على يمين الحاج من بغداد، نزه، كثير الحانات والشراب، لا يخلو ممن يطلب اللهو واللعب، ويؤثر البطالة والقصف.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا العباس بن ميمون بن طائع قال حدثني ابن خرداذبة قال: خرج مطيع بن إياس، ويحيى بن زياد حاجين، فقدما أثقالهما وقال أحدهما للآخر: هل لك أن نمضي إلى زرارة فنقصف ليلتنا عنده، ثم نلحق أثقالنا؟ فما زال ذلك دأبهم، حتى انصرف الناس من مكة.

قال: فركبا بعيريهما وحلقا رؤوسهم ودخلا مع الحجاج المنصرفين، وقال مطيع في ذلك:

ألم ترني ويحيى قد حججنا ... وكان الحج من خير التجارة

خرجنا طالبي خير وبر ... فمال بنا الطريق إلى زرارة

فعاد الناس قد غنموا وحجوا ... وأبنا موقرين من الخسارة

وقد روي هذا الخبر لبشار بن برد وغيره.

دير زَكّى

دير زَكّى: هو دير بالرها بإزائه تل يقال له: تل زفر، وهو زفر ابن الحارث الكلابي، وفيه ضيعة يقال لها الصالحية، اختطها عبد الملك بن صالح الهاشمي –كذا قال الأصبهاني – فيها بستان موصوف بالحسن، وفيه سروتان قديمتان. وقد ذكره الشعراء، وذكروا بهجته، وتشوقوه. أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك. وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو العباس الكاتب قال: كان الرشيد يحب ماردة – جاريته – وكان خلّفها بالرقة، فلما قدم إلى مدينة السلام اشتاقها، فكتب إليها:

سلام على النازح المغترب ... تحية صبٍ به مكتئب

غزال مراتعه بالبليخ ... إلى دير زَكّى فقصر الخشب

أيا من أعان على نفسه ... بتخليفه طائعاً من أحب
سأستر ... والستر من شيمتي هوى من أحب بمن لا أحب
فلما ورد كتابه عليها أمرت أبا حفص الشطرنجي – صاحب علية – فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات، فقال:
أتاني كتابك يا سيدي ... وفيه العجائب كل العجب
أتزعم أنك لي عاشق ... وأنك بي مستهام وصب
فلو كان هذا كذا لم تكن ... لتتركني نهزة للكرب
وأنت ببغداد ترعى بها ... نبات اللذاذة مع من تحب
فيا من جفاني ولم أجفه ... ويا من شجاني بما في الكتب
كتابك قد زادني صبوة ... وأسعر قلبي بحرّ اللهب." (١)
"أضر بجرداء النسالة سمحج ... يقلبها إذ أعوزته الحلائل
إذا جاهدته الشد جد وإن ونت ... تساقط لا وان ولا متخاذل
وإن هبطا سهلاً أثار عجاجة ... وإن علوا حزناً تشظت جنادل
ورب بني البر شاء ذهل وقيسها ... وشيبان حيث استبهلتها المنازل
لقد عالني ما سرها وتقطعت ... لروعاتها مني القوى والوسائل
فلا يهنئ الأعداء يصرح ملكهم ... وما عتقت منه تميم ووائل
وكانت لهم ربعية يحذرونها ... إذا خضخضت ماء السماء القبائل
يسير بها النعمان تغلي قدوره ... تجيش بأسباب المنايا المراحل
تحث الحداة جالزاً بردائه ... بقي حاجبيه ما يثير القنابل
يقول رجال ينكرون خليقتي ... لعل زياداً "لا ابا لك" غافل
أبي غفلتي أني إذا ما ذكرته ... تحرك داء في فؤادي داخل
وإن تلادى إن ذكرت وشكتي ... ومهري وما ضمت لدي الأنامل
حباؤك والعيس العتاق كأنها ... هجان المها تحدى عليها الرحائل
فإن تك قد ودعت غير مذمم ... أواسي ملك ثبتتها الأوائل
فلا تبعدن إن المنية موعد ... وكل امرئ يوماً به الحال زائل
فما كان بين الخير لو جاء سالماً ... أبو حجر إلا ليال فلائل
فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت ... فما في حياتي بعد موتك طائل
فآب مصلوه بعين جلية ... وغودر بالجولان حزم ونائل

(١) الديارات للأصبهاني، ص/١٣

سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسم ... بغيث من الوسمي قطر ووابل

ولا زال ريحان ومسك عنبر ... على منتهاه ديمة ثم هاطل

ونبت حوذاناً وعوف منورا ... سأتبعه من خير ما قال قائل

بكى حارث الجولان من فقد ربه ... وحوران منه موحش متضائل

قعوداً له غسان يرجون أوبه ... وترك ورهط الأعجمين وكابل

قال الأعلم الشنتمري في شرحه للديوان: كمل جميع ما رواه الأصمعي من شعر النابغة نصل به قصائد متخيرة مما رواه غير الأصمعي إن شاء الله تعالى.

- ٢٣ - وقال:

غشيت منازلاً بعريتنات ... فأعلى الجزع للحي المبن

تعاورهن صرف الدهر حتى ... عفون؛ وكل منهمر مرن

وقفت بها القلوص على اكتئاب ... وذاك تفارط الشوق المعني." (١)

"ثانياً، من حيث الأسلوب: وأسلوب طرفة قوي جزل رصين، يمتاز بالمتانة، وأسر اللفظ وفخامة الأسلوب وقوة القافية مع سهولتها.

تجد فيه جزالة وقوة في كثير من شعره، ورقة وسهولة في بعض غزله وفي حكمته وفي عتابه وفي وصف مطامحه وآماله وآلامه. والجزالة والرقة تختلف موضعها باختلاف المقام ومواطن الكلام وفنونه والمناسبات التي تسنح للشاعر فتجعل نفسه مرحة فرحة أو تجعلها مكتئبة كزة نافرة.

وفي أسلوبه معاظلة في التركيب وتعقيد في الكلام حيناً، وفي غالب الأحايين نجد وضوحاً ودقة تصوير وجمال تعبير وقرب مأخذ وسهولة عرض ورشاقة بيان.

ثالثاً، من حيث المعاني والأخيلة: معاني طرفة تتصل بنفسه وحياته وقبيلته وبالصحراء والبادية التي عاش فيها وبتاريخ قومه وأحسابهم وبالحياة العربية عامة اتصالاً وثيقا.

وطرفة في معانيه قريب، واضح أحياناً، وخفي معقد حيناً، يقتصر على بيان الحقيقة، قليلة الغلو والمبالغة، يصور الحقائق والواقع تصويراً قوياً.

وخياله خيال يقظ مشبوب حاد. يحلق قريباً من الحياة والواقع، يظهر في أسلوب الاستعارة والتشبيه أحياناً، ويجنح إلى القصد والاعتدال والصدق. وفي معانيه معان مكرورة، متقاربة الخيال. وطرفة على أي حال من المقلين في الشعر، ومعلقته سبب شهرته وتمتاز بوفرة معانيها وتنوع أغراضها وقوة قافيتها وصدق تصويرها.

رابعاً، من حيث أغراض الشعر وفنونه: ولقد نظم طرفة الشعر في أغراض كثيرة وأجاد فيها إجادة بليغة. ومن أهم هذه الأغراض: ١ - الهجاء: فقد كان طرفة هجاء. هجا عمرو بن هند الملك، كما هجا ابن عمه عبد عمرو. وهجا قومه كما

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/٧٨

هجا أعداءهم، وتنبأ له المتلمس منذ طفولته بالقتل بسبب نشأته وفطرته على الهجاء.
ترجع أسباب ميله إلى الهجاء إلى توقد عاطفته وحدة شعوره واضطرام حسه وإلى قوة اعتزازه بنفسه وشدة تأثره مما يشعر به من تقصير في حقه من قومه وسواهم وإلى يتمه الذي جعله يتوهم العداوة من الصديق والضر حتى من القريب.." (١)
"شرح سنن أبي داود [٤٩٦]

إن الحدود في الإسلام إنما شرعت جبراً للنقص الذي طرأ على المسلم نتيجة مقارفته لهذا الحد، وزجراً له ولغيره من الناس عن الوقوع في هذا الحد، ولما كان هذا الأمر يستلزم حضور العقل فقد عفي عن كل من لم يحضر عقله وإدراكه عند ذلك كالمجنون والصبي.

ما جاء في المجنون يسرق أو يصيب حداً

شرح حديث (رفع القلم عن ثلاثة...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً. حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن حماد عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر)]. يقول الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله تعالى: [باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً]، أي: ما حكمه؟ هل يقطع أو هل يقام عليه الحد؟ والمجنون إذا كان حصل منه الذي يقتضي إقامة الحد في حال جنونه فإنه لا حد عليه؛ لأنه غير مكلف وغير مؤاخذ؛ ولأن عقله ليس معه، وأما إن كان يصحو ويحصل له الجنون في فترات متقطعة، فإنه إذا حصل ذلك في حال صحته وعافيته فإنه يقام عليه الحد؛ لأنه فعل وهو مكلف. فإذاً: فيه تفصيل، إن كان حصل في حال جنونه وعدم صحوه فإنه لا يؤاخذ ولا يكلف، ولا يقام عليه الحد، وإن حصل في حال سلامته من الجنون، وفي حال صحته وعافيته فإنه يقام عليه الحد؛ لكونه فعل الأمر المحرم الذي يكون عليه الحد في حال تكليفه. أورد أبو داود رحمه الله حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، والمبتلى حتى يبرأ، والصغير حتى يكبر)، يعني: حتى يصل إلى سن البلوغ. ومعنى: (رفع القلم)، يعني: أنه رفع الإثم والمؤاخذة عليه في حال صغره، وحال جنونه، وحال نومه، فإنه لا يكون مؤاخذاً، وهذا فيما يتعلق بالإثم، وفيما يتعلق بكتابة الشر، يعني: رفع ذلك عنه فإنه لا يؤاخذ، وأما بالنسبة للثواب والحسنات، فإن ذلك يحصل له كما جاء في حديث المرأة التي رفعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم صبياً، وقالت: (ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجرٌ)، يعني: هو له حج، وهي لها أجر، لكونها حجّجته، ولكونها نوت الحج عنه.

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ص/١٢٧

وعلى هذا فلا يؤاخذ على ما يحصل منه في حال جنونه، وفي حال صغره، وفي حال نومه؛ لأنه قد رفعت عنه المؤاخذة، وكتابة الشرور والأعمال السيئة؛ لأنه ليس من أهل التكليف: (رفع القلم عن ثلاثة: النائم حتى يستيقظ، والمبتلى حتى يبرأ، والصحيح حتى يكبر).

تراجم رجال إسناد حديث (رفع القلم عن ثلاثة...)

قوله: [حدثنا عثمان بن أبي شيبة]. عثمان بن أبي شيبة ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي وأما النسائي فقد أخرج له في عمل اليوم الليلة. [حدثنا يزيد بن هارون]. هو يزيد بن هارون الواسطي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا حماد بن سلمة]. هو حماد بن سلمة بن دينار البصري ، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن حماد]. هو ابن أبي سليمان ، وهو صدوق له أوهام، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و مسلم وأصحاب السنن. [عن إبراهيم]. هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي ، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الأسود]. هو الأسود بن قيس ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عائشة]. عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، الصديقة بنت الصديق ، وهي واحدة من سبعة أشخاص عرفوا بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

شرح حديث (رفع القلم عن ثلاثة...) من طريق ثانية

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: (أُتي عمر رضي الله عنه بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناساً، فأمر بها عمر أن ترجم، فمر بها على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونة بني فلان زنت فأمر بها عمر أن ترجم، قال: فقال: ارجعوا بها، ثم أتاه فقال: يا أمير المؤمنين!أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى، قال: فما بال هذه ترجم؟ قال: لا شيء، قال: فأرسلها، قال فأرسلها، قال: فجعل يكبر)]. أورد أبو داود حديث علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بمجنونة قد زنت، فأمر برجمها، فلما ذُهِب بها لترجم مُر بها على علي فسأل عنها وأُخبر، فجاء إلى عمر وقال له: أما علمت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ، وعن الصغير حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ؟ قال: بلى، فقال: فما بالها؟ قال: لا شيء) يعني: أنه لا شيء عليها يعني: أنه رجع عن اجتهاده إلى أنه لا يقام عليها حد. ومن المعلوم أن عمر رضي الله عنه لا يعقل أن يكون أمر برجمها وهي قد أتت ذلك في حال جنونها؛ لأنه لا مؤاخذة على مجنون، وإنما يكون الأمر أنها تصحو ويحصل لها الجنون في فترات متقطعة، فيكون ذلك على اعتبار أنه قد حصل منها في حال صحوها، وهذا هو الذي يُستحق به إقامة الحد، وأما إن كان في حال الجنون ممن يصحو ويحصل له الجنون، فإنه لا يقام عليه الحد إذا حصل فعل المنكر في حال جنونه؛ لأنه غير مكلف، وقد رفع عنه القلم؛ ولكنه إذا كان في حال سلامته من الجنون في بعض الأوقات، ثم أتى الأمر المنكر، فإن هذا هو الذي يقام عليه الحد، فعمر رضي الله عنه لعله رأى أن هذا

كان في حال صحوها، وفي حال سلامتها من الجنون، وأنه لما جيء بها، أو كلمه علي رضي الله عنه في شأنها فقال: إن القلم رفع، معناه: أن ذلك قد حصل منها حال جنونها، والحدود تدرأ بالشبهات، وهذه شبهة، فعند ذلك عمر رضي الله عنه قال: لا شيء عليها، ثم أرسلها وتركها ولم يحدّها. وهذا هو الذي يحمل عليه ما جاء عن عمر ، فلما ذكر علي له ذلك، رأى أن هذا مما تدرأ به الحدود، وترك إقامة الحد عليها. قوله: [عن ابن عباس قال: (أُتي عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناساً، فأمر بها عمر أن ترجم فمُر بها على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونة بني فلان زنت، فأمر بها عمر أن ترجم، قال: فقال: ارجعوا بها، ثم أتاه فقال: يا أمير المؤمنين! أما علمت: أن القلم قد رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى، قال: فما بال هذه ترجم؟ قال: لا شيء، قال: فأرسلْها، قال: فأرسلها، قال: فجعل يكبر)]. وعلى هذا فيكون عمر رضي الله عنه إنما كان فعل ذلك لأنه رأى أن ذلك في حال صحوها أو في حال مقاربتها للصحو، وقد استشار بعض الناس في ذلك، ولعله أشير عليه بذلك، وكان عمر رضي الله عنه يستشير فيما لا نص فيه؛ ولكن لما كانت المسألة فيها شبهة والحدود تدرأ بالشبهات أشار عليه علي بذلك، فإنه قال: لا شيء، أي: لا شيء عليها. فكان تغير اجتهاده من كونه يرجمها إلى كونه لا يرجمها، وأن ذلك من الشبهات التي تدرأ بها الحدود. وفي مخاطبة علي رضي الله عنه لعمر بقوله: (يا أمير المؤمنين!) دليل على ما كان عليه علي رضي الله عنه من رضا بولاية الشيخين قبله؛ وكذلك ولاية عثمان قبله، وأنه كان يخاطبهم بإمرة المؤمنين، وأنه لم يحصل منه شيء يخالف ما هم عليه، وأنه قد أخذ منه شيء، وأن الحق كان له، فلم يحصل شيء من ذلك، ولم يطالب علي رضي الله عنه بشيء أخذ منه، بل كان يتابعهم ويصلي وراءهم، ويغزو معهم ويقوم بالشيء الذي يطلب منه رضي الله تعالى عنه وأرضاه. فالقول بأن الحق له، وأن أولئك –أي: الصحابة الذين قبله أبو بكر و عمر و عثمان – إنما هم مغتصبون هذا من البهتان، وهذا من الكذب، و علي رضي الله عنه من أشجع الناس، ولو كان عنده علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الحق له ما كان يخفيه، ولو كان عند الصحابة رضي الله تعالى عنهم علم بأن الحق لعلي ما كان أحد منهم يقدم على ترك شيء جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن هذا الذي حصل من علي يدل على أنه ليس عنده تأثر وتألم، وأنه حيل بينه وبين ما يستحق، فالذي حصل من مبايعة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي هذا هو الذي أراده الله شرعاً وقدراً، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)، وجاء عنه قوله صلى الله عليه وسلم: (خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء). قوله: [(أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى، قال فما بال هذه ترجم؟ قال: لا شيء)]. قوله: (لا شيء) لأنه تغير اجتهاده عما كان من قبل من أجل درء الحدود بالشبهات. قوله: [(قال: فأرسلها قال: فأرسلها قال: فجعل يكبر)]. يعني: يقول: الله أكبر، وقد كانوا يكبرون عند الأمور العظيمة والمستحسنة، بينما الناس في هذا الزمان يصفقون، وفيما مضى كانوا يكبرون، والتكبير ذكر، والتصفيق ليس مما شرع، وليس مما جاء شيء يدل عليه، فالسنة عند ذكر الأمور المستحسنة هو التكبير كما جاء في هذا الأثر عن عمر ، وكما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم لما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة –أو ثلث أهل الجنة– فكبروا وقالوا: الله أكبر)، يعني: أنه أعجبهم وفرحوا وسروا فصاروا يكبرون.

تراجم رجال إسناد حديث (رفع القلم عن ثلاثة...) من طريق ثانية

قوله: [حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير]. عثمان بن أبي شيبة مر ذكره، وجرير هو ابن عبد الحميد الضبي الكوفي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الأعمش]. هو سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي ، وهو ثقة، أخرجه أصحاب الكتب الستة. [عن أبي ظبيان]. هو الحصين بن جندب الجنبي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن عباس]. هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد العبادلة الأربعة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المكثر من الرواية عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومن العجيب الغريب: أنه ظهر في هذا الزمان شخص ابتلي بالنيل من الصحابة والكلام عليهم، فزعم أن العباس بن عبد المطلب ليس بصحابي، وأن ابنه عبد الله بن عباس ليس بصحابي، وهذا من عجائب الزمان كون إنسان يتفوه بمثل هذا الكلام ويقوله، فإن هذا من أبطل الباطل، وقد نادى على نفسه بالخزي في هذه الحياة الدنيا، فإن القول بأن العباس ليس بصحابي خزي على من يقوله. [عن علي]. هو علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين الهادين المهديين، صاحب المناقب الجمة والفضائل الكثيرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [قال: أتي عمر]. هو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، وثاني الخلفاء الراشدين الهادين المهديين، صاحب المناقب الجمة والفضائل الكثيرة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

حديث (رفع القلم عن ثلاثة...) من طريق ثالثة وتراجم رجال إسناده

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا يوسف بن موسى حدثنا وكيع عن الأعمش نحوه، وقال أيضاً: (حتى يعقل)، وقال: (وعن المجنون: حتى يفيق)، قال: فجعل عمر رضي الله عنه يكبر]. أورد الحديث من طريق أخرى، وهو مثل الذي قبله، مع اختلاف في بعض العبارات من حيث الترادف. قوله: [حدثنا يوسف بن موسى]. يوسف بن موسى صدوق، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و النسائي في مسند علي و ابن ماجة . [حدثنا وكيع]. هو وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الأعمش]. هو سليمان بن مهران الكاهلي ، وقد مر ذكره.

حديث (رفع القلم عن ثلاثة...) من طريق رابعة، وتراجم رجال إسناده

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا ابن السرح أخبرنا ابن وهب أخبرني جرير بن حازم عن سليمان بن مهران عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: مر على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمعنى عثمان ، قال: أو ما تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم؟ قال: صدقت، قال: فخلى عنها)]. أورد أبو داود الحديث من طريق أخرى وهو مثل الذي قبله. قوله: [حدثنا ابن السرح]. هو أحمد بن عمرو بن السرح ، وهو ثقة، أخرج حديثه مسلم و أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [أخبرنا ابن وهب]. هو ابن وهب المصري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرني جرير بن حازم]. جرير

بن حازم ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن سليمان بن مهران]. سليمان بن مهران هو الأعمش ، وهنا ذكر باسمه، وفيما مضى ذكر بلقبه، ومن أنواع علوم الحديث معرفة الألقاب للمحدثين، وفائدة معرفتها: ألا يظن الشخص الواحد شخصين إذا ذكر باسمه مرة وذكر بلقبه مرة أخرى، فيظن أن سليمان بن مهران غير الأعمش ، ومن عرف أن الأعمش لقب لسليمان بن مهران فسواء جاء ذكر الأعمش أو جاء ذكر سليمان بن مهران عرف أنه شخص واحد ذكر مرة باسمه ومرة بلقبه. [عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: مر على علي]. وقد مر ذكرهم.

شرح حديث (رفع القلم عن ثلاثة...) من طريق خامسة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا هناد عن أبي الأحوص ح وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير المعنى عن عطاء بن السائب عن أبي ظبيان قال هناد : الجنبي قال: أُتي عمر رضي الله عنه بامرأة قد فجرت فأمر برجمها فمر علي رضي الله عنه فأخذها فخلى سبيلها، فأخبر عمر قال: ادعوا لي علياً ، فجاء علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبرأ)، وإن هذه معتوهة بني فلان، لعل الذي أتاها أتاها وهي في بلائها قال: فقال عمر : لا أدري، فقال: علي رضي الله عنه: وأنا لا أدري]. أورد أبو داود الحديث من طريق أخرى في قصة المرأة المجنونة التي زنت، وفيه: أن علياً رضي الله عنه قال: لعل التي أتاها أتاها في حال بلائها، يعني: في حال جنونها، وكونها مبتلاة؛ لأنها تجن وتصحو، فلعله حصل ذلك في حال جنونها، ومعنى ذلك: أنها غير مكلفة، فقال عمر : لا أدري، أنه حصل في حال جنونها، ثم قال علي : لا أدري أنه حصل في حال صحوها، إذاً: فالمسألة محتملة، والحدود تدرأ بالشبهات، فترك عمر رضي الله عنه إقامة الحد عليها.

تراجم رجال إسناد حديث (رفع القلم عن ثلاثة...) من طريق خامسة

قوله: [حدثنا هناد]. هو هناد بن السري ، وهو ثقة، أخرج حديثه البخاري في خلق أفعال العباد و مسلم وأصحاب السنن. [عن أبي الأحوص]. هو سلام بن سليم الحنفي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [ح وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير المعنى عن عطاء بن السائب]. عثمان بن أبي شيبة و جرير مر ذكرهما، و عطاء بن السائب صدوق اختلط، وحديثه أخرجه البخاري وأصحاب السنن، و جرير ممن روى عنه بعد الاختلاط، ولكنه كما هو معلوم موافق للروايات الأخرى، والشيخ الألباني رحمه الله قال: إنه صحيح إلا قوله: (لعل الذي أتاها أتاها في حال بلائها) يعني: إن هذا مما انفرد به عطاء بن السائب في هذه الطريق، وأما ما عدا ذلك فهو موجود في الطريق الأخرى، ولا إشكال في هذه الجملة أيضاً من ناحية أن علياً رضي الله عنه ذكر الاحتمال وأشار إليه، و عمر رضي الله عنه لو علم أن الذي حصل هو في حال البلاء لا يمكن أن يقيم عليها حداً وهي فاقدة العقل، ولكن لعله ظن أو علم بأنه حصل في حال صحوها؛ ولهذا قال: (لا أدري) يعني: أنه حصل في حال كذا، ثم قال علي : لا أدري أنه إنما حصل في حال صحوها، وما دام الأمر فيه اشتباه: فإن الحدود تدرأ بالشبهات. [عن عطاء بن السائب]. عطاء بن السائب صدوق اختلط، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. [عن أبي ظبيان قال هناد : الجنبي]. أبو ظبيان مر ذكره، وهناد -وهو أحد الشيخين- زاد الجنبي ،

أي: زيادة على أبي ظبيان ، وأما الشيخ الثاني الذي هو عثمان بن أبي شيبة فإنه قال: أبو ظبيان فقط، ولم يقل: الجنبي ، يعني: هذا فيه إشارة إلى الفرق بين ما جاء عن شيخي أبي داود أحدهما قال: أبو ظبيان الجنبي ، والثاني قال: أبو ظبيان فقط، ولم يأت بزيادة الجنبي .

معنى قوله (فخلى سبيلها) الواردة في الحديث

قوله: [فخلى سبيلها]، لعل المقصود -على ما جاء في الروايات السابقة- أنه حال بينها وبين القتل، ويمكن أنه قال: اتركوها ولا ترجموها، وإذا كان المقصود أنه أمر بإطلاقها، ففيه نكارة؛ لأن معناه: أنه تصرف دون الرجوع إلى الإمام، ولكن الذي مر في الروايات السابقة: أنه جيء بها، أو أنه قال: لا ترجموها، فيمكن أن يكون أنه أرسلها، ويمكن أن يكون المقصود بذلك كونه قال: لا ترجموها، وأنه حال بينها وبين الرجم، فيمكن أن يكون هذا هو الإرسال، وإذا كان الأمر كذلك فلا إشكال، وإن كان المقصود أنه أطلقها وتركها دون مراجعة الإمام، نقول: هذا لا شك أن فيه نكارة؛ لكن الألباني الذي أنكره هو الكلام الأخير وهو قوله: (لعل الذي أتاها أتاها وهي في بلائها) أي: في حال جنونها.

ذكر من روى عن عطاء بن السائب قبل اختلاطه

الذين عرفت روايتهم عن عطاء بن السائب قبل الاختلاط هم سبعة، وقد سبق أن عرفنا أن الحافظ ابن حجر في آخر ترجمة عطاء بن السائب في تهذيب التهذيب، ذكر أن هؤلاء سمعوا منه قبل الاختلاط، ومنهم سفيان الثوري و شعبة ، و حماد بن زيد ، وذكر ستة، وذكر الشيخ الألباني السابع وهو الأعمش. وأما أبو الأحوص و جرير فليسا من هؤلاء الذين عرف أنهم رووا قبل الاختلاط، والمختلط تعتبر رواية من روى عنه قبل الاختلاط. قوله: [عن أبي ظبيان قال: هناد : الجنبي ، قال: أُتي عمر بامرأة قد فجرت، فأمر برجمها..]. وهو مرسل ولكنه مطابق لما تقدم إلا في بعض الألفاظ الجديدة.

شرح حديث (رفع القلم عن ثلاثة..) من طريق سادسة، وتراجم رجال إسناده

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب عن خالد عن أبي الضحى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل)]. أورد أبو داود حديث علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل)، وهو مثل ما تقدم، وهو الذي جاء عن علي رضي الله عنه، وتذكيره لعمر به. قوله: [حدثنا موسى بن إسماعيل]. هو موسى بن إسماعيل التبوذكي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا وهيب] . هو وهيب بن خالد ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن خالد]. هو خالد بن مهران الحذاء ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي الضحى]. هو مسلم بن صبيح ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن علي]. علي رضي الله عنه قد مر ذكره. وأبو الضحى لم يدرك علياً ، وألفاظ

الحديث مرت في الأحاديث السابقة.

حديث (رفع القلم عن ثلاثة..) من طريق أخرى معلقة، وتراجم رجال إسناده

[قال أبو داود : رواه ابن جريج عن القاسم بن يزيد عن علي رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم زاد فيه: (والخرف)]. أورد أبو داود طريقاً معلقة زاد فيها: (والخرف)، يعني: الذي بلغ من الكبر ما حصل منه التخريف، فهو بسبب الهرم والكبر صار لا يعقل من غير أن يكون به جنون، فإذاً: حكمه حكم المجنون، وهو مماثل له، فإذا حصل منه شيء فهو في حال خرفه لا يقام عليه الحد كالمجنون، وإن كان تحصل له الإفاقة أحياناً، ويحصل له البلاء أحياناً أخرى، فما كان في حال خرفه لا يؤاخذ عليه، وما كان في حال رجوع عقله وذاكرته فإنه يؤاخذ كما يؤاخذ المجنون لو ثبت أنه حصل في حال صحوه. [قال أبو داود : رواه ابن جريج]. هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن القاسم بن يزيد]. القاسم بن يزيد مجهول، أخرج له ابن ماجة . [عن علي]. علي رضي الله عنه. وهذا سند منقطع، وفيه راو مجهول أيضاً.

ما جاء في الغلام يصيب الحد

شرح حديث عطية القرظي (كنت من سبي بني قريظة، فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في الغلام يصيب الحد. حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان أخبرنا عبد الملك بن عمير حدثني عطية القرظي، قال: (كنت من سبي بني قريظة، فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل، ومن لم ينبت لم يقتل، فكنت فيمن لم ينبت)]. أورد أبو داود هذه الترجمة، وهي: [باب في الغلام يصيب حداً]. الغلام الصغير الذي لم يبلغ لا يقام عليه الحد كما سبق أن مر في المجنون؛ لأنه داخل في حديث الثلاثة الذين رفع عنهم القلم، وهو غير مكلف، ولا يؤاخذ فلا يقام عليه الحد، وإنما يقام الحد على البالغ، والبلوغ يحصل بالنسبة للذكور بثلاثة أمور: أولها: الاحتلام، فلو احتلم في سن مبكرة، فإن احتلامه يدل على بلوغه، وأنه قد بلغ بذلك، وبعض الصغار يحتلمون في سن مبكرة كما جاء عن المغيرة بن مقسم الضبي أنه احتلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: عمرو بن العاص أكبر من ابنه عبد الله بثلاث عشرة سنة. وذكر أيضاً عن الشافعي أنه قال: هناك جدة عمرها واحد وعشرون سنة، فيحصل الاحتلام قبل سن الخامسة عشرة، فإذا وجد الاحتلام قبل هذه السن فإنه يكون بالغاً بذلك، وكذلك إذا نبت شعر خشن عند القبل فإنه يكون علامة على البلوغ. الأمر الثالث: إذا لم يحصل منه احتلام، ولم يحصل منه إنبات شعر، فإنه بتمام خمس عشرة سنة يكون قد بلغ الحلم، وحصل البلوغ وتجاوز سن الصغر، والمرأة تزيد على هذه الأمور الثلاثة بالحيض، فإذا حصل لها الحيض قبل أن تبلغ سن الخامسة عشرة فإنها تكون قد بلغت بذلك. أورد أبو داود حديث عطية القرظي رضي الله عنه، وكان في سبي بني قريظة، ومعلوم أن بني قريظة نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، بأن تقتل المقاتلة، وتسبى الذرية، والنبي صلى الله عليه وسلم قال:

(لقد حكمت فيهم بحكم الملك) يعني: بحكم الله، ولمعرفة من بلغ ومن لم يبلغ لا يسألونهم عن السن؛ لأنهم غير مأمونين على بيان السن، فاليهود يكذبون لو سئلوا، وقد يدعون صغر السن ويقولون هذه المقالة من أجل أن يسلموا من القتل، فكانوا يفتشون عن عوراتهم، فإذا وجدوا الشعر قد نبت اعتبروه من المقاتلة فقتل، وإذا كان لم ينبت اعتبروه من الذرية فصار سبياً، فعطية رضي الله عنه فتشوه ووجدوا أنه لم ينبت، فتركوه ولم يقتلوه فصار من السبي، وقد أورد أبو داود حديث عطية وهو يدل على أن البلوغ يحصل بنبات الشعر الخشن الذي يكون حول القبل.

تراجم رجال إسناد حديث عطية القرظي (كنت من سبي بني قريظة، فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل...)

قوله: [حدثنا محمد بن كثير]. هو محمد بن كثير العبدي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا سفيان]. هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا عبد الملك بن عمير]. هو عبد الملك بن عمير ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثني عطية القرظي]. عطية القرظي رضي الله عنه، وهو صحابي صغير، أخرج له أصحاب السنن، وهذا رباعي من أعلى الأسانيد عند أبي داود .

إسناد حديث (كنت من سبي بني قريظة...) من طريق أخرى

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير بهذا الحديث، قال: فكشفوا عانتي فوجدوها لم تنبت فجعلوني من السبي]. وهذا مثل الذي قبله. قوله: [حدثنا مسدد]. هو مسدد بن مسرهد البصري ، وهو ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و النسائي . [حدثنا أبو عوانة]. هو وضاح بن عبد الله اليشكري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبد الملك بن عمير]. عبد الملك بن عمير مر ذكره.

شرح حديث ابن عمر (أن النبي عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا يحيى عن عبيد الله قال: أخبرني نافع عن ابن عمر : (أن النبي صلى الله عليه وسلم عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه)]. وهذا يدل على أن بلوغ خمس عشرة سنة يكون معها البلوغ، ويدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم على الجهاد في سبيل الله، فالصغير يرغب في الجهاد؛ ولكنه إذا لم يبلغ لا يمكنونه من ذلك، فقد عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر وعمره أربع عشرة سنة فلم يجزه، وعرض عليه وعمره خمس عشرة سنة فأجازه، فدل على أن البلوغ يكون ببلوغ خمس عشرة سنة، فالحديث الأول يدل على أن البلوغ يكون بالإنبات، وهذا يدل على أن البلوغ يكون بهذه السن.

تراجم رجال إسناد حديث ابن عمر (أن النبي عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه...)

قوله: [حدثنا أحمد بن حنبل]. هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

[حدثنا يحيى]. هو يحيى بن سعيد القطان ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبيد الله]. هو عبيد الله بن عمر العمري المصغر، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال: أخبرني نافع]. هو نافع مولى ابن عمر ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن عمر]. هو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الصحابي الجليل، وهو أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. وغزوة أحد يقال: إنها في السنة الثالثة، والخندق كانت في السنة الخامسة، ولعلّ ذلك كان في أول هذه وفي آخر هذه، فكان الفرق سنة واحدة، يكون بها بلغ خمس عشرة سنة.

حديث ابن عمر (أن النبي عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة...) من طريق أخرى، وتراجم رجال إسناده

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا ابن إدريس عن عبيد الله بن عمر قال: قال نافع : حَدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال: إن هذا الحد بين الصغير والكبير]. أورد أبو داود الحديث من طريق أخرى، وفيه: أن نافعاً حدث به عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه، فقال: إن هذا الحد بين الصغير والكبير، يعني: بلوغه خمس عشرة سنة. قوله: [حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا ابن إدريس]. هو عبد الله بن إدريس ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبيد الله بن عمر قال: قال نافع]. عبيد الله بن عمر و نافع قد مر ذكرهما.

ما جاء في الرجل يسرق في الغزو أيقطع

شرح حديث (لا تقطع الأيدي في السفر...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في الرجل يسرق في الغزو أيقطع؟ حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني حيوة بن شريح عن عياش بن عباس القتباني عن شييم بن بيتان و يزيد بن صبح الأصبحي عن جنادة بن أبي أمية قال: (كنا مع بسر بن أرطأة في البحر فأتي بسارق يقال: له مصدر قد سرق بختية فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تقطع الأيدي في السفر. ولولا ذلك لقطعته)]. قال أبو داود : [باب في الرجل يسرق في الغزو أيقطع؟]. وهذه الترجمة معقودة لبيان من حصل منه ذلك هل يقطع أو لا يقطع؟ ولهذا أتى بها على الاستفهام، أيقطع أو لا يقطع؟ وكونه في الغزو جاء الحديث بأنه لا يقطع، وعدم القطع فيه لاحتمالين: أنه توجد شبهة؛ وذلك أنه قد تكون السرقة من الغنيمة، والغنيمة للإنسان فيها نصيب، والحدود تدرأ بالشبهات. الاحتمال الثاني: أن قطعه قد يلحقه بالكفار، فربما يغره الشيطان ويلعب عليه فيلحق بالكفار، فيكون ذلك سبباً في ارتداده وبعده وإلحاقه بالكفار، فمن أجل ذلك جاء ما يدل على أنه لا يقطع لهذه الاحتمالات. قوله: [عن جنادة بن أبي أمية قال: (كنا مع بسر بن أرطأة رضي الله عنه في البحر فأُتي بسارق يقال: له مصدر قد سرق بختية فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تقطع الأيدي في السفر.

ولولا ذلك لقطعته)]. وهذا مبني على أنه لعله كان في غزو، والترجمة كما هو معلوم في الغزو، ومعلوم أن الغزو لا يكون إلا في السفر، وهنا جاء ذكر السفر، فيحتمل أن يكون ذلك في غزو، وفيه أن بسر بن أرطأة رضي الله عنه أُتي برجل قد سرق بختية، والبختية: نوع من أنواع الإبل، وهي البخت التي تأتي من العجم، ومنهم من قال: من خراسان. قوله: [(لا تقطع الأيدي في السفر. ولولا ذلك لقطعته)]. ولعل ذلك -كما عرفنا- كان في الغزو، وأما ما يتعلق بالسفر فإن الحدود تقام على من كان حاضراً أو من كان مسافراً، ولكن فيما يتعلق بالغزو فإنه تكون فيه تلك الاحتمالات، فقد يكون سرق من الغنيمة وله فيها نصيب، والحدود فيها شبهات، أو أنه يلحق بالكفار، والناس قد غزو الكفار وذهبوا إليهم، وقد يكون ذلك القطع سبباً في لحوقه بهم.

تراجم رجال إسناد حديث (لا تقطع الأيدي في السفر...)

قوله: [حدثنا أحمد بن صالح]. أحمد بن صالح ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي في الشمائل. [حدثنا ابن وهب]. ابن وهب مر ذكره. [أخبرني حيوة بن شريح]. هو حيوة بن شريح المصري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وحيوة بن شريح اثنان، أحدهما حمصي والثاني مصري ، والحمصي هو من شيوخ أبي داود ، فعندما يأتي في شيوخ أبي داود : حدثنا حيوة بن شريح ، فالمقصود به الحمصي، وعندما يأتي بينه وبينه واسطتان، أو واسطة فالمراد بها المصري، الذي هو حيوة بن شريح هذا. [عن عياش بن عباس القتباني]. عياش بن عباس القتباني ثقة، أخرج له البخاري في جزء القراءة و مسلم وأصحاب السنن. [عن شييم بن بيتان]. شييم بن بيتان ثقة، أخرج له أبو داود و الترمذي و النسائي . [و يزيد بن صبح الأصبحي]. يزيد بن صبح الأصبحي مقبول، أخرج له أبو داود . [عن جنادة بن أبي أمية]. جنادة بن أبي أمية مختلف في صحبته، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال: كنا مع بسر بن أرطأة]. بسر بن أرطأة رضي الله عنه، وهو صحابي، أخرج له أبو داود و الترمذي و النسائي.

الأسئلة

التعليق على كلام الخطابي في علة عدم قطع السارق في الغزو

السؤال: يقول الخطابي : هو يشبه أن يكون إنما أسقط عنه الحد؛ لأنه لم يكن إماماً وإنما كان أميراً أو صاحب جيش، وأمير الجيش لا يقيم الحدود في أرض الحرب على مذاهب بعض الفقهاء إلا أن يكون الإمام أو يكون أميراً واسع المملكة. الجواب: لكن قوله: (لولا أنه في سفر لقطعته) يفيد بأن الذي منعه من قطعه كونه في سفر أو كونه في غزو، ولكن لا شك أن الحدود لا يقيمها إلا الإمام أو من ينيبه.

الحكم إذا عاد السارق من الغزو

السؤال: لا تقطع الأيدي في السفر فإذا رجعوا من السفر فما الحكم؟ الجواب: معلوم أنها تقطع في السفر في غير الغزو، وأما الغزو فإن فيه الشبهة وفيه الاحتمال المعلوم، وإذا كانت المسألة لا شبهة فيها، وقد يكون أنه ما سرق من الغنيمة، وإنما سرق من رفقائه، ومن حرز في حقائب رفقائه، وهذا هو الذي يستبعد ما يتعلق بأن السرقة أنها تكون من الغنيمة، يبقى بعد ذلك شبهة احتمال لحوقه بالكفار. وإذا عاد من الغزو ولم تكن هناك شبهة كأن تكون من الغنيمة فإنه يقطع، والجمهور على أنه يقطع في الحضر والسفر، لكن فيما يتعلق بالغزو إذا كان فيه احتمال السرقة هي الغنيمة فإنها شبهة تدرأ بها الحدود، وإن كان ليس كذلك، وقطعه في الغزو قد يؤدي إلى ضرر أكبر فإنه يؤجل ويؤخر.

ما جاء في قطع النباش

شرح حديث أبي ذر (... كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف؟..)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في قطع النباش. حدثنا مسدد حدثنا حماد بن زيد عن أبي عمران عن المشعث بن طريف عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذر ! قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، فقال: كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف -يعني: القبر- ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، أو ما خار الله ورسوله، قال: عليك بالصبر، أو قال: تصبر). قال أبو داود : قال حماد بن أبي سليمان : يقطع النباش؛ لأنه دخل على الميت بيته]. أورد أبو داود هذه الترجمة، وهي: [باب في قطع النباش]، والنباش: هو الذي ينبش القبور، ويسرق الأكفان من الموتى، وكثير من العلماء اعتبروا القبر حرزاً، وكونه يفتح القبر ويستخرج منه الكفن فيكون سرق من حرز، وقد أورد أبو داود الحديث هنا؛ لأنه سمى القبر بيتاً، ومعنى ذلك: أن من نبش القبر واستخرج ما فيه فقد استخرج شيئاً من حرز فيقطع بسبب ذلك؛ ولهذا أورد أبو داود رحمه الله هذه الترجمة، وهي باب في قطع النباش، وأورد أبو داود حديث أبي ذر رضي الله عنه. قوله: [(كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف؟)]. البيت: الذي هو القبر، بالوصيف: يعني: أنه يشترى بالعبد، أو أنه يحفر القبر وأجرته عبد يدفع له، وذلك لكثرة الموتى، ولحاجة الناس إلى اتخاذ القبور، وأنهم مضطرون إلى أن يدفعوا في مقابل ذلك الوصيف، أو أن الأراضي تضيق على الناس ولا يكون هناك أماكن يدفن بها، فيحتاجون إلى شراء أماكن القبور، أو البقعة التي يدفن فيها الميت ويحفر له فيها قبر يدفن فيه، فتكون قيمتها بالوصيف أي: بالعبد. و أبو داود رحمه الله أورد هذا الحديث؛ لأنه سمى القبر: بيتاً، ومعنى ذلك: أن من فتح القبر فهو مثل الذي فتح الباب أو كسر ودخل البيت وأخرج ما فيه، فهذا بيت وهذا بيت، هذا بيت للحي، وهذا بيت للميت.

تراجم رجال إسناد حديث (.. كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف؟...)

قوله: [حدثنا مسدد حدثنا حماد بن زيد عن أبي عمران]. مسدد و حماد بن زيد مر ذكرهما، وأبو عمران هو الجوني ، وهو عبد الملك بن حبيب ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن المشعث بن طريف]. المشعث بن طريف

مقبول، أخرج له أبو داود و ابن ماجة . [عن عبد الله بن الصامت]. عبد الله بن الصامت ثقة، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن أبي ذر]. هو جندب بن جنادة رضي الله عنه، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخرج له أصحاب الكتب الستة، والحديث سبق أن مر بنا في كتاب الفتن. والذي ينبش القبور من أجل أن يحصل على الأكفان هذا يدل على قساوة قلبه والعياذ بالله! والحديث سبق أن مر بنا أنه صحيح، و الألباني صححه. [قال أبو داود : قال حماد بن أبي سليمان : يقطع النباش؛ لأنه دخل على الميت بيته]. يعني: دخل على الميت بيته فأخذ كفنه، فالقبر هو بيت الميت، كما أن القصر أو البنيان الذي يسكنه الإنسان بيت الحي، وقد سبق أن ذكرت في تلك المناسبة الكلام الذي ذكره بعض العلماء ناصحاً بعض الولاة، حيث قال له: فاعمر قبرك كما عمرت قصرك. فقوله العالم الناصح لذلك الوالي: اعمر قبرك كما عمرت قصرك أي: اعمره بالأعمال الصالحة التي تفعلها حتى تلقاها بعد الموت، فهذه عمارة القبور، كما جاء في الحديث: (.. يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله)، فيرجع اثنان ويبقى عمله، ويجد الثواب على ذلك في قبره قبل يوم البعث والنشور، كما جاء في حديث البراء أنه إذا كان من الموفقين: (.. يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها، فيكون كذلك حتى تقوم الساعة ..).

الأسئلة

حكم أخذ جثة الميت وبيعها لطلبة كلية الطب

السؤال: بعض الناس في بلادنا يسرق الجثة كاملة ويبيعها لطلبة كلية الطب فهل حده القطع؟ الجواب: هذا أسوأ من النباش، الذي يريد الكفن يجني على الميت، أما الذي يفعل هذا الفعل فهو أسوأ منه بلا شك؛ لأنه أخذ الرجل وكفنه.

حكم نبش قبور الكفار لأجل أخذ الحلي منهم

السؤال: في بلادنا قبور للنصارى يدفنون موتاهم بحليهم، فيعمد بعض المسلمين فينبشونها ويأخذون ما فيها، فهل تقطع أيديهم؟ وهل صحيح أن قبر الكافر لا حرمة له؟ الجواب: الكافر لا حرمة له، ولكن إذا كان يترتب على الفاعلين مضرة فلا يجوز لهم أن يقدموا على ذلك، ولكن لا تقطع أيديهم؛ لأن هذا مال مضيع، أما الكفن فنعم هذا مكانه، ولا بد منه، وأما المال والذهب فلا تكون في القبور، فإذا كان لا يترتب عليه مضرة وأمكن أخذه فلا بأس، ولا يقال: إنه مال محفوظ في حرز.

علة عدم القطع في السفر

السؤال: ألا تكون العلة في عدم القطع في حالة السفر هي كون الرجل في السفر يحتاج إلى ذلك كاضطرار الأكل من البستان؛ لأن الإنسان في السفر قد يكون مضطراً إلى الأخذ للأكل كما اضطر من يدخل البستان ليأكل منه، فلا قطع في ثمر ولا كثر؟ الجواب: هذا ليس بواضح؛ لأن الإنسان قد يضطر حتى في البلد، ومسألة الاضطرار لا تكون مسوغاً، والإنسان يمكن أن يأتي الأمور من أبوابها، ويطلب أو يستقرض أو يسأل، ولكن هذا يمكن أن يكون جشعاً وطمعاً ويريد أن يحصل المال بأي وسيلة.

ضابط إدراك الركوع بعد الإمام للمسبوق

السؤال: من جاء والإمام راكع، هل يدرك الركعة بأن يسبح ولو تسبيحة واحدة أم أن الإدراك يكون بالطمأنينة؟ الجواب: إذا استقر المأموم المسبوق في الركوع قبل أن يسمع: سمع الله لمن حمده من الإمام، فقد أدرك الركوع.

معنى قول النبي (هل من امرأة تائبة إلى الله عز وجل ورسوله؟)

السؤال: جاء في الحديث: (هل من امرأة تائبة إلى الله عزّ وجل ورسوله؟) ومن المعلوم أن التوبة عبادة فكيف يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ورسوله؟). الجواب: المراد من ذكر الرسول أنها تتوب إلى الله عز وجل؛ ولكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمعنى: أنه هو المقيم لشرع الله، وهو المنفذ لحدود الله.

حكم التكبير بصوت جماعي عند الإعجاب بالموعظة

السؤال: في بلادنا إذا سُرّ الناس بما يقوله الواعظ، يقول أحدهم: تكبير، فيقول الباقون: الله أكبر، فما الحكم؟ الجواب: ما يحتاج إلى أن يقال: تكبير، ولكن إذا أعجبهم شيء يقولون: الله أكبر مباشرة، دون أن يلقنهم أحد؛ لأنه قد يكون هناك شيء لا يحتاج إلى تكبير ولا يستحق ذلك.

حكم المسحور يعمل المحرمات

السؤال: هل المسحور أو الذي به صرع له حكم المعذورين؟ وهل إذا فعل إثماً ثم عُلم أنه مسحور وفعل هذا بغير إرادته لا يقام عليه الحد؟ الجواب: إذا كان فاقد العقل فإنه لا يقام عليه الحد، وأما إذا لم يكن فاقد العقل، وإنما يحصل له شيء من تلك العوارض وعقله موجود معه فإنه يقام عليه الحد، حتى لو كان عنده ألم أو اكتئاب وعدم ارتياح، لكن الشيء الذي يعذر فيه هو فقدان العقل.

حكم تأديب السارق بالضرب قبل تسليمه الشرطة

السؤال: هل للذي سرق منه أن يقوم بتأديب السارق بالضرب قبل تسليمه للشرطة في البلاد التي لا تطبق الشرع؟ الجواب: ليس للإنسان أن يضربه؛ لأنه لو ضربه يمكن أن يبادله ذاك بضرب أشد، وقد يحصل ضرر أكبر من ضرر السرقة.

حكم مناداة الشخص برموز لا تدل على اسمه

السؤال: نحن في أندونيسيا من عادتنا أن ننادي إخواننا بأسمائهم مختصرة -فمثلاً- إذا كان الرجل اسمه عبد الرحمن، نناديه: (من!)، وإذا كان عبد الله نناديه (دل) فهل يجوز هذا؟ الجواب: ليس هناك تناسق بين (من) و(عبد الرحمن) لو كان الاسم (منصور) فيمكن يناديه: (من) لأنه بعض (منصور)، فأقول: نادوا بالأسماء كاملة خير لكم.

حكم الصبي إذا فعل محظوراً من محظورات الإحرام

السؤال: الصبي إذا فعل محظوراً من محظورات الإحرام في الحج أو في العمرة، هل يجب عليه ما يجب على المكلف أو يجب على وليه؟ الجواب: يجب على وليه أن يقوم بما يلزم عليه، كما يقوم بما يلزم على نفسه؛ لأنه هو الذي جعله يدخل في هذا النسك أو مكنه من الدخول في النسك.

ما جاء في السارق يسرق مراراً

شرح حديث (جيء بسارق إلى النبي فقال اقتلوه...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في السارق يسرق مراراً. حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل الهلالي حدثنا جدي عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: (جيء بسارق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقتلوه، فقالوا: يا رسول الله! إنما سرق، فقال: اقطعوه، قال: فقطع، ثم جيء به الثانية، فقال: اقتلوه، فقالوا: يا رسول الله! إنما سرق، فقال: اقطعوه، قال: فقطع، ثم جيء به الثالثة فقال: اقتلوه، فقالوا: يا رسول الله! إنما سرق، فقال: اقطعوه، ثم أُتي به الرابعة فقال: اقتلوه فقالوا: يا رسول الله! إنما سرق قال: اقطعوه فأتي به الخامسة فقال: اقتلوه، قال جابر : فانطلقنا به فقتلناه، ثم اجتررناه فألقيناه في بئر ورمينا عليه الحجارة)]. يقول الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله تعالى: [باب في السارق يسرق مراراً]، يعني: يتكرر منه السرقة، وإذا تكررت السرقة من السارق في المرة الأولى تقطع يده اليمنى، وفي المرة الثانية تقطع رجله اليسرى، وبعد ذلك قال بعض أهل العلم: إنه يحبس ويسجن، وبعضهم قال: إنه إذا عاد الثالثة تقطع اليد اليسرى، وإذا عاد الرابعة قطعت رجله اليمنى، ثم إن عاد فإنه يسجن أو يجلد. فأبو داود رحمه الله أورد في هذا الباب حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم: أُتي بسارق فقال: اقتلوه، فقالوا: إنما سرق، قال: اقطعوه،

فقطعوا يده اليمنى، ثم سرق مرة أخرى فقال: اقتلوه، فقالوا: إنما سرق، قال: اقطعوه، فقطع، حتى جاء الرابعة وقطع، وفي الخامسة قال: اقتلوه، قال: فقتلوه وسحبوه ورموه في بئر وألقوا عليه الحجارة. وهذا الحديث في متنه نكارة، وفي إسناده ضعف، أما الضعف الذي في إسناده: فإن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير لين الحديث. والنكارة فيه من جهة: أنه من أول وهلة قال: (اقتلوه، ثم قيل: إنما سرق، قال: اقطعوه)، ثم تكرر ذلك أربع مرات، وفي كلها يأمر بالقتل، فيقولون: إنما سرق، ثم بعد ذلك يأمر بالقطع، وفي الأخيرة قال: اقتلوه؛ لأنه ما بقي مجال للقطع، فعند ذلك قتلوه وألقوه في بئر، وألقوا عليه الحجارة. والنكارة الثانية: من جهة أنهم ألقوه في البئر، ورموا عليه الحجارة، ومعلوم أنه إن كان مسلماً فإنه لا يعامل هذه المعاملة ولا يهان هذه الإهانة. وكثير من العلماء قالوا بعدم ثبوت الحديث وأنه ضعيف، وأنه لو صح يُحمل على أنه تعزير، وأن للإمام أن يعزر فيما إذا كان الشخص من المفسدين في الأرض، وأن التخلص منه يكون بقتله دفعاً لإفساده وضرره. ومنهم من قال: إن هذه المعاملة -وهي كونه يلقى، ويهان هذه الإهانة- أنه يكون مع سرقته مرتداً، ويكون ذلك مثل ما حصل للعرنيين الذين ارتدوا وساقوا النعم، وقتلوا الراعي ومثّلوا به، فالنبي صلى الله عليه وسلم عاملهم تلك المعاملة. لكن يبقى الإشكال في قضية قوله: (اقتلوه) فقالوا: إنما سرق، فقال: (اقطعوه)، ثم في المرة الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة .. وهكذا. ولهذا فالذي يبدو والله أعلم أن الحديث ضعيف، والسبب في ذلك ما في متنه من النكارة، وما في إسناده من الضعف، و النسائي لما أورده في سننه قال: هذا حديث منكر. و الألباني حسنه في سنن أبي داود ؛ ولكنه لم يذكره في صحيح سنن النسائي ، ولم يذكره في ضعيفه، بل ذكر الباب الذي هو فيه، وهو قطع اليدين والرجلين، ولم يذكر تحته حديثاً لا في الصحيح ولا في الضعيف، فالذي يبدو أنه حديث منكر في متنه، وضعيف في سنده، والله تعالى أعلم.
تراجم رجال إسناد حديث (جيء بسارق إلى النبي فقال اقتلوه..)

قوله: [حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل الهلالي]. محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل الهلالي صدوق، أخرج حديثه أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [حدثنا جدي]. هو عبيد بن عقيل ، وهو صدوق، أخرج له أبو داود و النسائي . [عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير]. مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير لين الحديث، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن محمد بن المنكدر]. محمد بن المنكدر ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن جابر بن عبد الله]. جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه، وهو صحابي جليل، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. والحديث كما قلت: إن صح فهو محمول على التعزير، فيكون مثل شارب الخمر بعد المرة الثالثة، فإن قتله من باب التعزير.
ما جاء في تعليق يد السارق في عنقه

شرح حديث (أتي رسول الله بسارق فقطعت يده، ثم أمر بها فعلقت في عنقه)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في تعليق يد السارق في عنقه. حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عمر بن علي حدثنا الحجاج عن مكحول عن عبد الرحمن بن محيريز قال: (سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق اليد في العنق للسارق أمن السنة هو؟ قال: أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعت يده، ثم أمر بها فعلقت في عنقه)]. أورد أبو داود هذه الترجمة، وهي: [باب في تعليق يد السارق في عنقه]، يعني: هل يشرع أو لا يشرع؟ أورد أبو داود حديثاً ضعيفاً، وهو حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بسارق فأمر بقطع يده، ثم أمر بتعليق يده في عنقه). ومعلوم أن تعليقها في العنق من أجل الزجر والردع، ومعلوم أن مجرد رؤية اليد المقطوعة يكفي في الزجر والردع، بالنسبة له وبالنسبة لغيره، أما هو فقد قطعت يده، وخسرها بسبب السرقة، فذلك يكون سبباً في عدم تكرار ذلك منه، وغيره إذا رأى يده المقطوعة فإنه يبتعد ويحذر أن يقع في السرقة، حتى لا يعامل هذه المعاملة، ومعلوم أن هذه العلامة مستمرة وليست مؤقتة، بخلاف تعليق اليد، فإنها تعلق مدة يوم أو يومين وإلا فإنها تنتن ولا تبقى، ولكن مشاهدة اليد المقطوعة هذا مستمر، والمقصود: أن يحصل الزجر بمشاهدة تلك اليد التي قطعت. ومعلوم أن الحدود هي جوابر وزواجر، فهي جوابر للنقص الذي قد حصل من الذي أقيم عليه الحد، حتى لا يعاقب عليه في الآخرة، وإنما يعاقب عليه في الدنيا بهذا الحد، ويكفيه ذلك ولا تتكرر عليه العقوبة، وزواجر أيضاً له ولغيره، فهو لا يعود ولا يتكرر منه ذلك لئلا يزاد في عقوبته، وغيره كذلك ينزجر حتى لا يعامل بهذه المعاملة. قوله: [عن عبد الرحمن بن محيريز قال: (سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق اليد في العنق للسارق أمن السنة هو؟ قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعت يده، ثم أمر بها فعلقت في عنقه)]. يعني: أنه لما سئل فضالة بن عبيد ، هل ذلك من السنة؟ ذكر الحديث، وأن الرسول أمر بتعليقها في عنقه؛ لكن الحديث ضعيف بسبب الحجاج بن أرطأة .

تراجم رجال إسناد حديث (أتي رسول الله بسارق فقطعت يده، ثم أمر بها فعلقت في عنقه)

قوله: [حدثنا قتيبة بن سعيد]. هو قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف البغلاني ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا عمر بن علي]. هو عمر بن علي بن عطاء بن المقدم ، وهو ثقة وكان يدلس شديداً، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا الحجاج]. هو الحجاج بن أرطأة ، وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس، وهنا مع كونه كثير الخطأ روى بالعنعنة، وحديثه أخرجه البخاري تعليقاً في الأدب المفرد و مسلم وأصحاب السنن. [عن مكحول]. هو مكحول الشامي ، وهو ثقة كثير الإرسال، وهذا أيضاً روى بالعنعنة، فهذه أيضاً علة أخرى، أخرج له البخاري في جزء القراءة و مسلم وأصحاب السنن. [عن عبد الرحمن بن محيريز]. عبد الرحمن بن محيريز ثقة، ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أخرج له أصحاب السنن. [عن فضالة بن عبيد]. فضالة بن عبيد رضي الله عنه، وهو صحابي أخرج حديثه البخاري في جزء القراءة و مسلم وأصحاب السنن.

ما جاء في بيع المملوك إذا سرق

شرح حديث (إذا سرق المملوك فبعه ولو بنش)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في بيع المملوك إذا سرق. حدثنا موسى -يعني ابن إسماعيل - حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سرق المملوك فبعه ولو بنش)]. أورد أبو داود هذه الترجمة، وهي: [باب في المملوك إذا سرق]، والمملوك إذا سرق يعامل معاملة غيره من السراق، فإذا سرق من حرز وبلغ ما يسرقه نصاباً فأكثر فإنه يعامل كغيره من السراق الأحرار، فتقطع يده، وأورد أبو داود رحمه الله حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سرق المملوك فبعه ولو بنش). والنش: عشرون درهماً، ومقداره نصف أوقية؛ لأن نصاب الفضة (٢٠٠) درهم، والنصاب (٥) أواق، والأوقية (٤٠) درهماً، أي: (٤٠ × ٥) والألباني ضعف الحديث، ولكن يبدو أنه ليس بضعيف؛ وذلك لأن رجاله لا بأس بهم، وأيضاً يشهد له الحديث الذي قال: (بعها ولو بحبل من شعر) متفق عليه، قوله: (ولو بحبل من شعر) فيه تزهيد فيها، وأنها تباع برخص، كما جاء في هذا الحديث أنه يباع ولو بنش، وهو عشرون درهماً.

تراجم رجال إسناد حديث (إذا سرق المملوك فبعه ولو بنش)

قوله: [حدثنا موسى -يعني ابن إسماعيل-]. هو موسى بن إسماعيل التبوذكي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا أبو عوانة]. هو أبو عوانة وضاح بن عبد الله اليشكري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عمر بن أبي سلمة]. وهو صدوق يخطئ، أخرج له البخاري تعليقاً وأصحاب السنن. [عن أبيه]. هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وهو ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة في عصر التابعين، على أحد الأقوال الثلاثة في السابع منهم، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [عن أبي هريرة]. هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو أكثرهم على الإطلاق. والسبعة هم: أبو هريرة ، و ابن عمر ، و ابن عباس ، و أبو سعيد الخدري ، و جابر بن عبد الله ، و أنس بن مالك ، وأم المؤمنين عائشة ، ستة رجال وامرأة واحدة. والكلام عند أهل العلم على عمر بن أبي سلمة ؛ لأنه تضعيف من قبل أهل العلم، وإذا أخذنا بكلمة الحافظ فهو الذي يمشي مع الحديث، أما إذا أخذنا بكلام المتقدمين فإن فيه تضعيفاً."

". (١)

"شرح سنن أبي داود [٤٩٤]

جاء الإسلام بالعدل في الثواب والعقاب بين الشريف والوضيع فالكل تحت مظلة الإسلام لا فرق بينهم، من أتى حداً من

---

(١) شرح سنن أبي داود - عبدالمحسن العباد، ص/٢

حدود الله تعالى أقيم عليه الحد ولو كان أشرف الشرفاء أو أغنى الأغنياء لا فرق بين عربي ولا عجمي ولا شريف ولا وضيع إلا بالتقوى.

ما جاء في الحد يشفع فيه

شرح حديث: (...أتشفع في حد من حدود الله؟...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في الحد يشفع فيه. حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن موهب الهمداني قال: حدثني ح وحدثنا قتيبة بن سعيد الثقفي حدثنا الليث عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة : (أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها؟ يعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: ومن يجترئ إلا أسامة بن زيد حب النبي صلى الله عليه وسلم؟! فكلمه أسامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أسامة ! أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)]. أورد أبو داود رحمه الله تعالى هذه الترجمة وهي: [باب في الحد يشفع فيه]. يعني: حكم ذلك، وهو أنه لا يجوز إذا بلغ السلطان، وأما إذا كان لم يبلغ السلطان فإنه لا بأس بذلك، والمنع إنما هو فيما إذا بلغ السلطان، فإنه لا تجوز الشفاعة فيه. أورد أبو داود حديث عائشة رضي الله عنها في قصة المخزومية، وأن قريشاً همهم شأنها؛ لأن بني مخزوم قبيلة مشهورة، ولها منزلة وشرف عند الناس، فهم أهمهم كون امرأة تسرق منهم، وهذا يدل على أن الإنسان إذا جنى وحصل منه شيء فإنه يؤثر على من ينسب إليه، وعلى من هو منه، وأن هذا يعتبر فيه نسبة إلى تلك القبيلة، ولهذا أهمهم شأن المخزومية، فقالوا: من يشفع لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي: محبوبه، والحب: هو المحبوب، فكلمه أسامة في ذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: (أتشفع في حد من حدود الله؟!) وهذا استفهام إنكار، ثم قال: (إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) وهنا قوله: (الشريف) معنى هذا أن الشفاعة من أجل أنها شريفة، وأن قبيلتها لها شرف ومنزلة، ومن أجل ذلك أهمهم وطلبوا الشفاعة حتى لا يقام الحد ويكون في ذلك سبة على هذه القبيلة، ومعلوم أن الجاني لا تحمل وزره القبيلة قال تعالى: وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [الأنعام:١٦٤]، وأن من يكون لهم شرف أو منزلة فقد يحصل فيهم من يكون ساقطاً أو يكون عنده شيء من الخطأ أو الخلال، والمخزومية حصل منها هذه السرقة كما يحصل من سائر الناس، ولكن الذي أهمهم كونها شريفة، ولكن جناية الجاني لا تتعداه إلى غيره، وإن كان ذلك قد يؤثر على الناس من جهة أنهم لا يحبون أن ينسب إليهم من يكون سارقاً أو يكون فيه صفات ذميمة، وإن كان من الناس من قد يحصل منه ذلك ولو كان أهله من أحسن وأفضل وأشرف الناس. قوله: [(أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها يعني: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا: ومن يجترئ إلا أسامة

بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه أسامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم)]. إن الناس الذين يكون فيهم شرف، ولهم منزلة ومكانة قد يحصل من أحد منهم شيء من الأشياء التي قد يستصعبون نسبتها إليهم، وأنه قد يكون فيهم ساقط، لكن بالنسبة لهذه المرأة التي هي المخزومية لا يقال عنها: إنها ساقطة، ولكن نقول في الجملة: إن من الناس من يكون فيهم شرف وقد يحصل من أحدهم هذا الفعل، وأما بالنسبة للصحابة إذا حصل من أحدهم شيء وأقيم عليه الحد كان كفارة له، وكذلك غيرهم، ولكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يذموا ويعابوا وأن ينسب إليهم شيء لا يليق، ومن أقيم عليه الحد كان كفارة له، وقد حصل له الشرف بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ولو حصل منه ذنب وأقيم عليه الحد فإنه يكون كفارة له، وإن لم يقم عليه الحد وستره الله عز وجل فإن أمره إلى الله سبحانه وتعالى، إن شاء عفا عنه وتجاوز، وإن شاء عذبه، وهذا في كل أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قوله: [ومن يجترئ]، يعني: كونه يتقدم ليشفع إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه أسامة فأنكر عليه وقال: (أتشفع في حد من حدود الله؟!) ثم خطب الناس وبين لهم هذا الحكم، وأن الأمم السابقة كان من أسباب هلاكهم: (أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)، ثم ضرب مثلاً بابنته فاطمة التي هي سيدة نساء أهل الجنة رضي الله تعالى عنها وأرضاها وهي بضعة منه فقال: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) رغم أن لها ذلك الشرف العظيم، وهو نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكونها ابنته، فلو حصل منها ذلك فإن الحكم واحد، ولا فرق بين شريف ووضيع.

تراجم رجال إسناد حديث: (...أتشفع في حد من حدود الله؟...)

قوله: [حدثنا يزيد بن خالد بن عبد الله بن موهب الهمداني]. يزيد بن خالد بن عبد الله بن موهب الهمداني ثقة، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [قال: حدثني ح وحدثنا قتيبة بن سعيد الثقفي]. قتيبة بن سعيد الثقفي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. و(حدثنا) هنا عامل التحويل بين الإسنادين، والصيغة واحدة وهي صيغة التحديث إلا أن الفرق أن الأول أتى بضمير الإفراد، والثاني أتى بضمير الجمع، ففي الأول قال: حدثني، وفي الثاني قال: حدثنا، قالوا: والفرق بين التعبيرين أن الراوي إذا حدثه الشيخ وحده عبر بقول: حدثني، وإما إذا حدثه ومعه غيره عبر بحدثنا، يعني: هو وغيره، ولم يحدثه وحده، والفرق هنا ليس كالذي مر بين أخبرنا وحدثنا، وهذا كما ذكرت من دقة المحدثين وعنايتهم بذكر ألفاظ الرواة على هيئتها وكيفيتها سواء كان للفرق بين كلمتين كحدثنا وأخبرنا، أو للضمير، وإن كانت الكلمة واحدة وهي حدثنا وحدثني. [حدثنا الليث]. هو الليث بن سعد المصري مر ذكره. [عن ابن شهاب]. هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عروة بن الزبير بن العوام]. عروة بن الزبير بن العوام ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين، وحديثه أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عائشة]. عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، وهي واحدة من سبعة أشخاص عرفوا بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

شرح حديث: (.. أتشفع في حد من حدود الله؟..) من طريق ثانية

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا عباس بن عبد العظيم و محمد بن يحيى قالا: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: (كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع يدها) وقص نحو حديث الليث قال: (فقطع النبي صلى الله عليه وسلم يدها)]. أورد أبو داود حديث عائشة رضي الله عنها من طريق أخرى، وأنها كانت تستعير المتاع وتجحده، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بقطع يدها، والحديث الأول ذكر السرقة، ولعلها كانت جمعت بين الأمرين.

تراجم رجال إسناد حديث: (.. أتشفع في حد من حدود الله؟..) من طريق ثانية

قوله: [حدثنا عباس بن عبد العظيم]. هو عباس بن عبد العظيم العنبري ، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [و محمد بن يحيى]. هو محمد بن يحيى الذهلي ، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. [قالا: حدثنا عبد الرزاق]. هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني اليماني ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا معمر]. هو معمر بن راشد الأزدي البصري ثم اليماني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الزهري عن عروة عن عائشة]. الزهري و عروة و عائشة قد مر ذكرهم في الإسناد الذي قبل هذا.

طرق أخرى لحديث: (أتشفع في حد من حدود الله) وتراجم رجال الإسناد

[قال أبو داود : روى ابن وهب هذا الحديث عن يونس عن الزهري وقال فيه كما قال الليث : إن امرأة سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح]. وهذا مثل الذي قبله إلا أن فيه ذكر السرقة، وأن ذلك في غزوة الفتح يعني: عام الفتح. قال المصنف رحمه الله تعالى: [ورواه الليث عن يونس عن ابن شهاب بإسناده فقال: استعارت امرأة]. يونس بن يزيد الأيلي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. قال المصنف رحمه الله تعالى: [وروى مسعود بن الأسود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال: سرقت قطيفة من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم]. وروي هذا الحديث معلقاً وهو عن مسعود بن الأسود الصحابي رضي الله عنه أنها سرقت قطيفة من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. و[مسعود بن الأسود صحابي أخرج له ابن ماجة ، وهنا ما ذكر أبو داود أنه معلق وليس متصلاً؛ لأنه ليس له ذكر عند أبي داود في المتصلات، وإنما هو في المعلقات. [قال أبو داود ورواه أبو الزبير عن جابر : (أن امرأة سرقت فعاذت بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم)]. ذكر طريقاً أخرى عن أبي الزبير ، وهو محمد بن مسلم بن تدرس المكي ، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن جابر]. هو جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وهو أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي، وأنها سرقت واستعاذت بزينب يعني: طلبت منها أن تعيذها وأن تكون عوناً لها على التخلص من مغبة ما حصل لها.

شرح حديث: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا جعفر بن مسافر و محمد بن سليمان الأنباري قالا: أخبرنا ابن أبي فديك عن عبد الملك بن زيد نسبه جعفر إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن محمد بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)]. أورد أبو داود هذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود) وهذا يدل على أن الحدود لا يشفع فيها، وأنه لابد أن ينفذ الحد إذا بلغ السلطان، وأما العثرات التي ليس فيها حدود وكان الشخص الذي حصل منه ذلك ليس له سوابق، أو أنه معروف بالسلامة والصلاح ولكنه حصل منه خطأ عارض فإنه يمكن مسامحته وإقالة عثرته، وأما من كان معروفاً بالتساهل في هذه الأمور التي ليس فيها حد ولكن فيها تعزير، فإن هذا يردع بما يمنعه حتى لا يعود، وأما إذا حصل ممن له منزلة ومكانة وهو معروف بالصلاح، وهو غير متكرر منه، فإنه تقال عثرته، وهذا هو مقتضى هذا الحديث، وهو يدل على أن غير الحدود ليست كالحدود، وأنه يمكن أن يشفع فيها ويمكن أن يعفى عنها في حق من يكون كذلك من ذوي الهيئات.

تراجم رجال إسناد حديث: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)

قوله: [حدثنا جعفر بن مسافر]. جعفر بن مسافر صدوق ربما أخطأ، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [و محمد بن سليمان الأنباري]. محمد بن سليمان الأنباري صدوق، أخرج له أبو داود . [قال: أخبرنا ابن أبي فديك]. هو محمد بن إسماعيل بن مسلم ، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبد الملك بن زيد نسبه جعفر إلى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل]. عبد الملك بن زيد ذكره أحد الرواة، وهو محمد بن سليمان وقال: عبد الملك بن زيد ، ووقف عندها، أما جعفر الذي هو الشيخ الأول فنسبه إلى جده وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل الذي هو أحد المبشرين بالجنة. و عبد الملك بن زيد قال عنه النسائي : لا بأس به، أخرج له أبو داود و النسائي . [عن محمد بن أبي بكر]. هو محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عمرة]. هي عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ، وهي ثقة، أخرج لها أصحاب الكتب الستة. [عن عائشة]. عائشة رضي الله عنها وقد مر ذكرها.

الأسئلة

حكم من به مرض نفسي

السؤال: هل المريض مرضاً نفسياً يعتبر مرفوعاً عنه القلم؟ الجواب: القلم مرفوع عمن يغيب عقله، وأما من كان عقله حاضراً وعنده اكتئاب وأمراض نفسيه فهذا لا يكون مرفوعاً عنه القلم، وإنما يرفع القلم عن فاقد العقل، كما جاء في الحديث: (رفع القلم عن ثلاثة: النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يفيق، والصغير حتى يبلغ).

كيفية قضاء الصلوات الفائتة في عمر العبد

السؤال: ما هي كيفية قضاء الصلوات المكتوبة الفائتة في العمر السابق؟ ومتى؟ وهل تكون بنية جهرية بين العبد وربه؟
الجواب: إذا كان الإنسان تاركاً للصلاة فيما مضى من حياته فيتوب إلى الله عز وجل توبة نصوحاً، والتوبة تجب ما قبلها، ويحرص في المستقبل على أن يستقيم، وأن يلتزم بالطاعة، والبعد عن المعصية، ومن تاب تاب الله عليه، والإنسان إذا كان عليه شيء من الصلاة فبعض أهل العلم يقول: إنه كافر، والشيء الذي يحصل في الكفر لا يقضى، وإنما يتوب منه، ومن تاب تاب الله عليه.
ما جاء في العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان

شرح حديث: (تعافوا الحدود فيما بينكم..)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان. حدثنا سليمان بن داود المهري أخبرنا ابن وهب قال: سمعت ابن جريج يحدث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب)]. أورد أبو داود السجستاني رحمه الله تعالى هذه الترجمة وهي: [باب العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان]. أي: أن التسامح في الحدود والأعراض هذا قبل أن تصل إلى السلطان سائغ، وأن المحظور والممنوع فيما إذا بلغت السلطان، فإنه ليس لأحد أن يعفو بعد بلوغ السلطان، وليس لأحد أن يشفع، وليس للسلطان أن يعفو، بل الواجب هو إقامة الحدود، وقبل بلوغها السلطان يمكن المسامحة، ويمكن الإعراض عنها وعدم المطالبة بها إلا إذا أراد الإنسان الذي حصلت له الجناية أو عليه الجناية، وأما إذا بلغت السلطان فإنه ليس هناك إلا التنفيذ. وقد أورد أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب) أي: هذا أمر لغير الولاة، وهو للجاني والمجني عليه، فالتسامح والتعافي يكون فيما بينهم قبل أن تبلغ السلطان، فإذا وصلت إلى السلطان فإنه لا مجال لعفو صاحب المجني عليه، ولا مجال للشفاعة أيضاً في ترك الحد، وليس للسلطان أن يترك ذلك بعد ثبوته، وإنما عليه أن يقيم الحد، ولهذا قال: (ما بلغني من حد فقد وجب) يعني: وجب تنفيذه، والتسامح والتعافي إنما هو قبل بلوغه السلطان.
تراجم رجال إسناد حديث: (تعافوا الحدود فيما بينكم..)

قوله: [حدثنا سليمان بن داود المهري]. هو سليمان بن داود المهري المصري ، وهو ثقة، أخرج له أبو داود و النسائي . [أخبرنا ابن وهب]. هو عبد الله بن وهب المصري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال: سمعت ابن جريج]. هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عمرو بن شعيب].

هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو صدوق، أخرج له البخاري في جزء القراءة وأصحاب السنن. [عن أبيه]. هو شعيب بن محمد ، وهو صدوق، أخرج حديثه البخاري في جزء القراءة والأدب المفرد وأصحاب السنن. [عن عبد الله بن عمرو بن العاص]. وهو الصحابي الجليل أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا فيه بيان الراوي عن المرء الذي روى عنه شعيب بن محمد ، فإن روايته عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، فكثير من الروايات يأتي فيها: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وهذا فيه بيان للجد، وأنه جد شعيب ، و شعيب يروي عن جده وقد ثبت سماعه منه، وهو متصل، وهذا الإسناد فيه تسمية الجد، وأنه عبد الله بن عمرو بن العاص ، أي: أن شعيباً يروي عن جده عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما. و عبد الله بن عمرو بن العاص حديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

ما جاء في الستر على أهل الحدود

شرح حديث: (... لو سترته بثوبك كان خيراً لك)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في الستر على أهل الحدود. حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان عن زيد بن أسلم عن يزيد بن نعيم عن أبيه : (أن ماعزاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأقر عنده أربع مرات، فأمر برجمه وقال لهزال : لو سترته بثوبك كان خيراً لك)]. أورد أبو داود هذه الترجمة، وهي: [باب الستر على أهل الحدود]. والمقصود بالستر عليهم هو: عدم إظهار أمرهم، ورفع دعواهم وأنه يستر عليهم، ولكن هذا فيه تفصيل؛ لأنه إذا كان قبل أن يصل إلى السلطان فقد مر بنا حديث التعافي، وأن التسامح في ذلك ممكن، وإنما المحذور إذا بلغت السلطان. والستر على أصحاب الحدود إذا كان الشخص معروفاً بالفسق والفجور أو معروفاً بأمور محرمة والإقدام عليها، وكونه لم تحصل له عقوبة تردعه فإن عدم الستر في هذه الحالة أولى؛ لأنه يترتب على ذلك كون شره ينتشر، وأنه يحصل منه هذا العمل المنكر باستمرار، ويحصل الإضرار بالناس، وأما إذا كان لم يحصل منه هذا التكرار، وإنما حصل منه هفوة أو زلة أو ما إلى ذلك، فهذا يمكن أن يفرق بينه وبين من يكون معروفاً بالسوابق وتكرار تلك الأمور المحرمة، وإنما الستر فيه تفصيل. و أبو داود رحمه الله أورد حديثاً ضعيفاً، لكن الحديث الذي مر والأمر بالتعافي يدل على الستر، ولكن كما أشرت ليس كل صاحب حد يستر عليه. أورد أبو داود حديث نعيم بن هزال رضي الله تعالى عنه: أن ماعزاً أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأقر بالزنا، فقال لهزال الذي هو والد نعيم : (لو سترته بثوبك كان خيراً لك) وذلك أن هزالاً كان ولي أمر ماعز ، وقد أوصاه به والده مالك والد ماعز ، وكان نشأ في حجره، ولما حصل له ذلك قال له: لو ذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته بالذي حصل من الزنا، فالرسول قال له: (لو سترته) يعني: لو أخفيت عنه وما قلت له يأتي إلي، هذا هو المقصود بمحل الشاهد للترجمة في قوله: (الستر على أهل الحدود) لأنه قال: (لو سترته بثوبك) يعني: لو أخفيت أمره ولم تقل له أن يأتي إلي ويعترف بالزنا، والإنسان إذا استتر بستر الله وتاب إلى الله عز وجل، وأحسن في المستقبل، فالتوبة تجب ما قبله، والله تعالى يتوب على من

تاب.

شرح حديث: (... لو سترته بثوبك كان خيراً لك) من طريق أخرى

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا محمد بن عبيد حدثنا حماد بن زيد حدثنا يحيى عن ابن المنكدر : أن هزالاً أمر ماعزاً أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره]. وهذا فيه بيان وجه كون النبي قال لهزال : (لو سترته بثوبك كان خيراً لك) لأنه هو الذي أمر ماعزاً أن يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالذي حصل منه. فالثاني فيه بيان أن هزالاً هو الذي أمره، وذلك فيه بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهزال وهو الذي أمره بأن يبلغ النبي عليه السلام بما حصل منه: (لو سترته بثوبك كان خيراً لك).

تراجم رجال إسنادي حديث: (...لو سترته بثوبك كان خيراً لك)

قوله: [حدثنا مسدد]. هو مسدد بن مسرهد البصري ، وهو ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و النسائي . [حدثنا يحيى]. هو يحيى بن سعيد بن القطان ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن سفيان]. هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن زيد بن أسلم]. زيد بن أسلم ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن يزيد بن نعيم]. يزيد بن نعيم مقبول، أخرج له مسلم و أبو داود و النسائي . [عن أبيه]. هو نعيم بن هزال ، وهو صحابي، أخرج له أبو داود و النسائي . وقوله: [حدثنا محمد بن عبيد]. هو محمد بن عبيد بن حساب ، وهو ثقة، أخرج له أبو داود و النسائي . [حدثنا حماد بن زيد]. حماد بن زيد ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا يحيى]. هو يحيى بن سعيد الأنصاري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن المنكدر]. هو محمد بن المنكدر ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أن هزالاً]. هزال مر ذكره، وهذا مرسل؛ لأنه يخبر عن شيء حصل في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ما جاء في صاحب الحد يجيء فيقر

شرح حديث الرجل الذي وقع على المرأة وهي ذاهبة إلى المسجد

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في صاحب الحد يجيء فيقر. حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا الفريابي حدثنا إسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن علقمة بن وائل عن أبيه: (أن امرأة خرجت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم تريد الصلاة فتلقاها رجل فتجللها، فقضى حاجته منها، فصاحت، وانطلق، فمر عليها رجل فقالت: إن ذاك فعل بي كذا وكذا، ومرت عصابة من المهاجرين فقالت: إن ذلك الرجل فعل بي كذا وكذا، فانطلقوا فأخذوا الرجل الذي ظنت أنه وقع عليها، فأتوها به فقالت: نعم هو هذا، فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أمر به قام صاحبها الذي وقع عليها فقال: يا رسول الله! أنا صاحبها فقال لها: اذهبي فقد غفر الله لك، وقال للرجل قولاً حسناً). قال أبو داود : يعني الرجل المأخوذ،

وقال للرجل الذي وقع عليها: (ارجموه) فقال: (لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقبل منهم). قال أبو داود : رواه أسباط بن نصر أيضاً عن سماك]. أورد أبو داود رحمه الله هذه الترجمة وهي: [باب في صاحب الحد يجيء فيقر]. يعني: يقر ويعترف بالجناية التي حصلت منه أو الأمر المحرم الذي يكون عليه حد. وقد أورد أبو داود رحمه الله حديث وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه، أن امرأة خرجت إلى المسجد فتجللها رجل وقضى حاجته منها، يعني: معناه أنه غشيها وحصل منها ما يحصل الرجل مع أهله وهرب، فاستنجدت، فلحق به واحد ليغيثها وليقبض على ذلك الذي اعتدى عليها، فجاءه أناس بعده، وهم جماعة من الأنصار فأخبرتهم، فلحقوا به، فوجدوا الرجل الذي ذهب ليغيثها في الأول، فأتوا به، وقالت: إنه صاحبها، وهو ليس بصاحبها، ولعل ذلك كان في الليل وفي الظلام، ولم تكن يتضح لها ذلك، فظنت أن هذا الشخص الذي أتي به -وهو الذي كان ذهب ليغيثها- هو الذي تجللها وغشيها، فعندما حصل ما حصل وحول إقامة الحد عليه، جاء الذي فعل بها الأمر المنكر وقال: أنا صاحبها، يعني: أراد ألا يجمع بين مصيبتين، ويكون فعل أمراً محرماً، ثم يقتل بسببه شخص آخر وهو بريء، فأخبر بأنه هو الذي حصل منه الجناية ووقع في الأمر المحرم، فلما اجتمع الثلاثة: المرأة، والرجل الذي أخذ وهو سليم، والرجل الذي فعل الأمر المنكر وأقر به، قال الرسول صلى الله عليه وسلم للمرأة: (اذهبي فقد غفر الله لك)؛ لأنها مكرهة والمكره معذور، (وقال للثاني قولاً حسناً) أي: الذي أخذ، والذي اتهم وهو بريء، يعني: ما ذكر كيفية ذلك القول، ولكنه وصف بأنه حسن، يعني: تلطف له وخاطبه بكلام حسن لإنهاء ما قد جرى، وقال في حق ذلك المقر: (ارجموه)، وقد جاء ذكر الرجل من هذه الطريق. وذكر الشيخ الألباني رحمه الله خلافاً في قصة الرجم التي رواها أن الفريابي في هذا الحديث، وبين أنه رواه غيره ولم يذكر الرجم، وذلك أنه أقر وتاب إلى الله توبة نصوحاً، وأراد أن ينقذ نفسه من تبعتين: تبعة فعل الأمر المنكر مع المرأة، وتبعة كون إنسان سليم يؤخذ بجريرة غيره، فاعترف بذلك، فلم يذكر غير الفريابي الرجم، وأتى بعده بأنه تاب توبة لو وزعت على أهل المدينة لوسعتهم، فيكون في ذلك فائدة ومصلحة، وهي: أن من يكون عليه الحد لا يترك غيره يقام عليه الحد، وإن كان إقامة الحد كما هو معلوم مشكل في الحديث فيما يتعلق بالرجل الذي أخذ؛ لأن الحد لا يقام إلا باعتراف منه، أو بشهود يشهدون، وأما مجرد ادعاء المرأة مع عدم اعترافه وعدم الشهود فإنه لا يترتب عليه الحد، ولكن لعل الأمر في ذلك أنه لما رأى أن الأمر قد بلغ إلى محاكمة غيره، وأنه قد يحصل له ذلك، جاء وأخبر بالذي قد حصل حتى لا يقع شيء في حق ذلك الرجل وهو لا يستحقه، وإلا فإن مجرد ما حصل من ادعاء المرأة بأنه هو الذي فعل بها ما فعل فإنه لا يكفي، فإقامة الحد لا بد فيه من شهود أو اعتراف من المدعى عليه، والمدعى عليه لم يعترف، وجاء في الحديث: (لو أعطي الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم، ولكن البينة على المدعي، واليمين على المدعى عليه). وعلى هذا فاختلفت الروايات هل رجم أو لم يرجم؟ و الألباني يقول: الأرجح أنه لم يرجم، وأن الذين رووا الحديث وهم غير محمد بن يوسف الفريابي ما ذكروا الرجم، وهو الذي يناسب اعترافه، وكونه أراد أن ينقذ غيره فالحكم في ذلك مشكل، وأنا لا أدري ما الراجح في هذه المسألة، هل يرجم باعترافه، أم أنه لا يرجم لكونه حصل منه هذا الذي حصل؟ وهذا فيه تشجيع للذين يحصل منهم شيء، ويؤدي الأمر إلى إتلاف غيرهم، فصنيعهم هذا فيه إنقاذ لغيرهم، فيكون في ذلك مسوغ لترك إقامة الحد عليهم، والله تعالى أعلم.

تراجم رجال إسناد حديث الرجل الذي وقع على المرأة وهي ذاهبة إلى المسجد

قوله: [حدثنا محمد بن يحيى بن فارس]. هو محمد بن يحيى بن فارس الذهلي ، وهو ثقة، أخرج له البخاري و أصحاب السنن. [حدثنا الفريابي]. هو محمد بن يوسف الفريابي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا إسرائيل]. هو إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا سماك بن حرب]. سماك بن حرب ، صدوق، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن علقمة]. هو علقمة بن وائل بن حجر ، وهو صدوق، أخرج له البخاري في رفع اليدين و مسلم وأصحاب السنن. [عن أبيه]. هو وائل بن حجر رضي الله عنه، وهو صحابي، أخرج له البخاري في جزء القراءة و مسلم وأصحاب السنن، و علقمة بن وائل سمع من أبيه، وهو أكبر من عبد الجبار ، و عبد الجبار لم يسمع من أبيه، وأما علقمة فقد سمع من أبيه، وفي التقريب قال: إنه لم يسمع من أبيه، ولكن الصحيح أنه سمع من أبيه، وفي صحيح مسلم بعض أحاديث من روايته عن أبيه. [قال أبو داود : رواه أسباط بن نصر أيضاً عن سماك]. أسباط بن نصر صدوق كثير الخطأ يغرب، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن سماك]. سماك بن حرب مر ذكره.

ما جاء في التلقين في الحد

شرح حديث: (أن النبي أتي بلص قد اعترف ... فقال رسول الله: ما إخالك سرقت...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في التلقين في الحد. حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبي المنذر مولى أبي ذر عن أبي أمية المخزومي : (أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بلص قد اعترف اعترافاً ولم يوجد معه متاع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما إخالك سرقت، قال: بلى، فأعاد عليه مرتين أو ثلاثاً، فأمر به فقطع وجيء به، فقال: استغفر الله وتب إليه، فقال: أستغفر الله وأتوب إليه، فقال: اللهم تب عليه، ثلاثاً)]. أورد أبو داود هذه الترجمة وهي: [باب في التلقين في الحد]، يعني: تلقين المعترف شيئاً يخلصه من إقامة الحد عليه، وهذا إنما يكون في أمر مشتبه ومحتمل، ومن شخص قد يكون لا يعرف السرقة من غير السرقة، وما يوجب القطع مما لا يوجب القطع، وقد يظن أن كل شيء يوجب القطع، ومن المعلوم أن القطع لا بد له من شروط: ومنها الحرز، والنصاب.. وما إلى ذلك، وقد يكون الشخص عنده شيء من التغفيل وعدم المعرفة، فما جاء من التلقين فهو في مثل هذا. والحديث الذي أورده أبو داود عن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه: (أن النبي عليه الصلاة والسلام أتي بلص اعترف أنه سرق، فقال: ما إخالك سرقت! قال: بلى) يعني: ما أظنك سرقت، قال: بلى، وقوله: (ما إخالك سرقت) هذا المقصود من الترجمة، وهو التلقين، يعني: ما أظنك سرقت، لكنه أكد أنه قد سرق، فأمر به فقطعت يده لما حصل منه الاعتراف بالسرقة، ثم بعد ذلك أتي به فقال: (استغفر الله وتب إليه) فاستغفر فقال: (اللهم اغفر له وتب عليه، ثلاثاً) قال ذلك رسول الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. والحديث في إسناده أبو المنذر وهو مقبول.

تراجم رجال إسناد حديث: (أن النبي أتي بلص قد اعترف ... فقال رسول الله: ما إخالك سرقت...)

قوله: [حدثنا موسى بن إسماعيل]. هو موسى بن إسماعيل التبوذكي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا حماد]. هو ابن سلمة بن دينار ، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة]. هو إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي المنذر مولى أبي ذر]. أبو المنذر مولى أبي ذر مقبول، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن أبي أمية المخزومي]. أبو أمية المخزومي رضي الله عنه صحابي، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة .

إسناد حديث: (أن النبي أتي بلص قد اعترف... فقال رسول الله: ما إخالك سرقت...) من طريق أخرى

[قال أبو داود : رواه عمرو بن عاصم عن همام عن إسحاق بن عبد الله قال: عن أبي أمية رجل من الأنصار عن النبي صلى الله عليه وسلم]. أورد أبو داود طريقاً أخرى للحديث. قوله: [رواه عمرو بن عاصم]. هو صدوق في حفظه شيء، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن همام]. هو همام بن يحيى العوذي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن إسحاق بن عبد الله عن أبي أمية]. إسحاق بن عبد الله ، وأبو أمية مر ذكرهما، وهنا قال: رجل من الأنصار، وهناك قال: المخزومي، ومعلوم أن بني مخزوم غير الأنصار، يعني: هو شك في هذه النسبة. وهنا لم يذكر أبا المنذر بين إسحاق بن عبد الله و أبي أمية ، ولا أدري هل سمع إسحاق بن عبد الله من أبي أمية أو لا؟! والإسناد الأول فيه أبو المنذر و الألباني ضعف الحديث، ولعله بسبب هذا.

ما جاء في الرجل يعترف بحد ولا يسميه

شرح حديث: (أن رجلاً أتى النبي فقال يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه عليَّ...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في الرجل يعترف بحد ولا يسميه. حدثنا محمود بن خالد حدثنا عمر بن عبد الواحد عن الأوزاعي قال: حدثني أبو عمار حدثني أبو أمامة رضي الله عنه: (أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إني أصبت حداً فأقمه علي قال: توضأت حين أقبلت؟ قال: نعم، قال: هل صليت معنا حين صلينا؟ قال: نعم، قال: اذهب فإن الله تعالى قد عفا عنك)]. أورد أبو داود رحمه الله هذه الترجمة وهي: [باب في الرجل يعترف بحد ولا يسميه]، يعني لا يسمي الحد الذي فعله، وقد يكون حداً وقد يكون غير حد، ومعناه: أنه عمل ذنباً، وهذا الذنب قد يكون من الكبائر التي يكون فيها حد، وقد يكون من الصغائر وهو يستعظمه ويظن أن فيه حداً، وقد أورد أبو داود حديث أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه: (أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله إني أصبت حداً، فأقمه علي قال: هل توضأت حين قدمت أو أتيت إلى المسجد؟ قال: نعم، قال: هل صليت معنا؟ قال: نعم، قال: اذهب فإن الله قد عفا عنك) وهذا محمول على أنها من الصغائر، وليست المعصية من الكبائر التي فيها

حدود، ومعلوم أن الصغائر تكفر باجتناب الكبائر، والحسنات تكفر الصغائر، وأما الكبائر فلا يكفرها إلى التوبة، كما قال الله عز وجل: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ [النساء:٣١] وقال صلى الله عليه وسلم: (الجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر)، فالصغائر تكفر بالأعمال الصالحة وتكفر بالصلاة، وما جاء في أن الحسنات يذهبن السيئات، إنما يكون ذلك في الصغائر وليس في الكبائر.

تراجم رجال إسناد حديث: (أن رجلاً أتى النبي فقال يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه عليّ...)

قوله: [حدثنا محمود بن خالد]. هو محمود بن خالد الدمشقي ، وهو ثقة، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [حدثنا عمر بن عبد الواحد]. عمر بن عبد الواحد ثقة، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن الأوزاعي]. هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال: حدثني أبو عمار]. هو شداد بن عبد الله ، وهو ثقة، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و مسلم وأصحاب السنن. [عن أبي أمامة]. هو أبو أمامة صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

ما جاء في الامتحان بالضرب

حديث النعمان بن بشير في حبس المتهم دون ضربه

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في الامتحان بالضرب. حدثنا عبد الوهاب بن نجدة حدثنا بقية حدثنا صفوان حدثنا أزهر بن عبد الله الحرازي (أن قوماً من الكلاعيين سرق لهم متاع فاتهموا أناساً من الحاكة، فأتوا النعمان بن بشير صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، فحبسهم أياماً ثم خلى سبيلهم، فأتوا النعمان فقالوا: خليت سبيلهم بغير ضرب ولا امتحان؟ فقال النعمان : ما شئتم، إن شئتم أن أضربهم فإن خرج متاعكم فذاك، وإلا أخذت من ظهوركم مثلما أخذت من ظهورهم، فقالوا: هذا حكمك؟ فقال: هذا حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم) قال أبو داود : إنما أرهبهم بهذا القول، أي: لا يجب الضرب إلا بعد الاعتراف]. أورد أبو داود هذه الترجمة، وهي: [باب في الامتحان بالضرب]، يعني: المتهم هل يمتحن بالضرب ليعرف ما عنده، وليقر أو لا يضرب؟ وهل يحبس أو لا يحبس؟ أورد أبو داود حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه الذي فيه الحبس في التهمة دون الضرب، وأنه جاء جماعة من الكلاعيين إلى النعمان بن بشير رضي الله عنه، واتهموا رجالاً من الحاكة، والحاكة: جمع حائك، وهم الذين يحيكون الثياب، فحبسهم مدة بالتهمة ثم خلى سبيلهم، فقالوا: خليت سبيلهم دون أن تضربهم؟ قال: ما شئتم، إن شئتم أن أضربهم، وإذا لم يظهر شيء بسبب الضرب، أضربكم كما ضربتهم، قالوا: هذا حكمك؟ قال: هذا حكم الله ورسوله، يعني: دل على أن الحكم هو الحبس، وأنه لا يضرب، وأن الضرب إنما يكون بعد الاعتراف، وأما قبل الاعتراف فقد يضرب البريء وهو سليم، فحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه يدل على جواز الحبس دون الضرب، وأخبر بأن هذا حكم الله ورسوله وليس حكمه، وهو إنما حكم بالحبس دون

الضرب، وأخبرهم أنهم إن أردوا أن يضربوا، فإذا لم يثبت الذي عليهم بالضرب ولم يعترفوا، فإنه يؤخذ من هؤلاء كما أخذ من أولئك، فيكون قصاصاً؛ لأنهم لا يستحقون الضرب، فإذا ضربوا ولم يترتب على ذلك فائدة، فإن هؤلاء الذين طلبوا ضربهم أيضاً يضربون، وأما الحبس فإنه سائغ، وقد جاء في هذا الحديث أن النعمان حبسهم ولم يضربهم، وقال: إن هذا حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. [قال أبو داود : إنما أرهبهم بهذا القول]. يعني: بين أن الضرب إيذاء لهم، وإلحاق الضرر بهم، وإنما أرهبهم بهذا الضرب. قوله: [أي: لا يجب الضرب إلا بعد الاعتراف]. يعني: أنه لا يستحق الضرب إلا بعد الاعتراف وكون الاعتراف يستوجب ضرباً أو يترتب عليه ضرب. والمقصود به والله أعلم أن المعاقبة إنما تكون بعد الاعتراف. وأبو داود فهم من ذلك أنه يكون من قبيل التعزير، لكن معلوم أن الإنسان السارق لا يضرب إذا ثبت عليه بالاعتراف وإنما يقام عليه الحد.

تراجم رجال إسناد حديث النعمان بن بشير في حبس المتهم دون ضربه

قوله: [حدثنا عبد الوهاب بن نجدة]. عبد الوهاب بن نجدة ثقة، أخرج له أبو داود و النسائي . [حدثنا بقية]. هو بقية بن الوليد ، وهو صدوق، أخرج حديثه البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [حدثنا صفوان]. هو صفوان بن عمرو ، وهو ثقة، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و مسلم وأصحاب السنن. [حدثنا أزهر بن عبد الله الحرازي]. الأزهر بن عبد الله الحرازي صدوق، أخرج له أبو داود و الترمذي و النسائي . [عن النعمان بن بشير]. النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما، وهو صحابي ابن صحابي، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة."

." (١)

"شرح سنن أبي داود [٤٨٨]

لقد أمرنا الله عز وجل بإنكار المنكر وجعله على درجات حسب إيمان العبد واستطاعته، فبدأ التغيير باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب، ثم حذرنا الشارع من ترك هذا الركن العظيم؛ لأنه سبب رئيس لسخط الله وعقابه.

ما جاء في الأمر والنهي

شرح حديث (... لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب الأمر والنهي. حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا يونس بن راشد عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أول ما دخل

---

(١) شرح سنن أبي داود – عبدالمحسن العباد، ص/٢

النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا! اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ))[المائدة:٧٨]، إلى قوله: فَاسِقُونَ [المائدة:٨١]، ثم قال: كلا، والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً)]. أورد أبو داود هذه الترجمة، وهي: باب في الأمر والنهي. والمقصود بالأمر والنهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد أورد أبو داود هذا الباب في كتاب الفتن والملاحم وذلك لأن من تلك الأمور التي هي فتن وملاحم أمور محرمة ومنكرة، فالفتن والنهي عنها والحث على الابتعاد منها هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فلعل أبا داود رحمه الله أورده من أجل هذه الصلة التي بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفتن والملاحم التي تجري والتي يكون المسلم فيها بعيداً عنها ولا يشارك فيها، وأن يكون حذراً ويقظاً وبعيداً عنها، فلعله من أجل ذلك أورد أبو داود هذا الترجمة تحت هذا الكتاب. أورد أبو داود حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أن الواحد منهم كان يلقى أخاه، فيقول له -وقد ارتكب معصية-: يا هذا! اتق الله، ثم بعد ذلك لا يلبث حتى يلقاه من الغد، فيكون أكليه وشريبه وجليسه)، والأكيل والشريب والجليس بمعنى أنه يؤاكله ويجالسه ويشاربه، وينبسط معه، ولا يحصل منه شيء من التأثر، ولا يرى في وجهه شيئاً من التغير بسبب ما حصل منه من المنكر. ثم تلا قول الله عز وجل: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ *كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [المائدة:٧٨-٧٩]. فبين أن هذا من أسباب ما حصل لبني إسرائيل من اللعن، وأنه كان بسبب تخليهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قوله: (كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً)]. الأطر الإلزام والمقصود به: إلزامه بالحق. قوله: (ولتقصرنه) أي: تحبسونه عليه بحيث لا يتعداه ولا يتجاوزه إلى ما هو منكر ومحرم، بل يكون واقفاً عند حدود ما هو معروف، وبعيداً عما هو منكر.

تراجم رجال إسناد حديث: (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر)

قوله: [حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي]. عبد الله بن محمد النفيلي ، ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. [حدثنا يونس بن راشد]. يونس بن راشد ، هو صدوق، أخرج له أبو داود . [عن علي بن بذيمة]. علي بن بذيمة ثقة، أخرج له أصحاب السنن. [عن أبي عبيدة]. أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبد الله بن مسعود]. عبد الله بن مسعود الهذلي صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. و أبو عبيدة لم يسمع من أبيه، فهو منقطع، ولهذا ضعف الألباني الحديث.

إسناد حديث: (... لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ...) من طريق أخرى

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا خلف بن هشام حدثنا أبو شهاب الحناط عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة

عن سالم عن أبي عبيدة عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه، زاد : (أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعننكم كما لعنهم)]. أورد أبو داود حديث ابن مسعود من طريق أخرى، وفيه زيادة قال: (أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم). قيل معناه: إنه يخلط هذه القلوب ويضرب بعضها ببعض، فلا يصل إليها خير، ولا تكون على هدى. قوله: [(ثم ليلعنكم كما لعنهم)] يعني: في قوله: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ [المائدة:٧٨]. أي: بسبب عدم التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر.

تراجم رجال إسناد حديث: (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ..) من طريق أخرى

قوله: [حدثنا خلف بن هشام]. خلف بن هشام ثقة، أخرج له مسلم و أبو داود . [حدثنا أبو شهاب الحناط]. وهو: عبد ربه بن نافع، وهو صدوق يهم، أخرج له أصحاب الكتب إلا الترمذي . [عن العلاء بن المسيب]. العلاء بن المسيب، ثقة ربما وهم، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي . [عن عمرو بن مرة]. عمرو بن مرة الهمداني ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن سالم]. سالم بن عجلان الأفطس ، وهو ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن أبي عبيدة عن ابن مسعود]. وقد مر ذكرهما. [قال أبو داود : رواه المحاربي عن العلاء بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن سالم الأفطس عن أبي عبيدة عن عبد الله ، ورواه خالد الطحان عن العلاء عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة]. يعني: أن فيه اختلافاً قبل أبي عبيدة، فالطريق الأولى فيها: عمرو بن مرة ، والطريق الثانية فيها: المحاربي، قال: عبد الله بن عمرو بن مرة بدل عمرو بن مرة، والطريق الثالثة: خالد الطحان ، وليس فيها ذكر سالم . [قال أبو داود : رواه المحاربي]. وهو عبد الرحمن بن محمد لا بأس به، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن العلاء بن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن مرة]. عبد الله بن عمرو بن مرة صدوق يخطئ، أخرج له ابن ماجة . [عن سالم الأفطس عن أبي عبيدة عن عبد الله]. وقد مر ذكرهم. [ورواه خالد الطحان]. خالد بن عبد الله الطحان الواسطي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن العلاء عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة]. يعني: مثل الذي قبله، فليس فيه سالم .

شرح حديث: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا وهب بن بقية عن خالد ح وحدثنا عمرو بن عون أخبرنا هشيم المعنى، عن إسماعيل عن قيس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (يا أيها الناس! إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها: ((عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ))[المائدة:١٠٥]، قال عن خالد : وإنا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)، وقال عمرو عن هشيم : وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا، إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب)]. أورد أبو داود حديث أبي بكر رضي الله عنه، الذي قال فيه: إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ

[المائدة:١٠٥]. وبعض الناس قد يفهم منها ترك الأمر والنهي، ولكن أبا بكر رضي الله عنه بين أن هذا وضع لها على غير موضعها، وأن هذا إنما يكون إذا حصل منه الأمر والنهي، وأدى الواجب الذي عليه، ثم بعد ذلك لا يضره من ضل. وأما ألا يحرك ساكناً، ولا يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر فإن ذلك يضره، ولهذا جاء في الآية قال تعالى: ((إِذَا اهْتَدَيْتُمْ))، ولا شك أن من جملة الاهتداء أن يكون الإنسان يهدي ويرشد غيره إلى الصواب والحق والهدى، وذلك عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والآية تشعر وتشير إلى هذا الذي ذكره أبو بكر رضي الله عنه، وهو قوله: ((إِذَا اهْتَدَيْتُمْ))، فإنه ليس المقصود بذلك أن الإنسان يكون على استقامة ولا يحرك ساكناً، ولا يعنى بهداية وإصلاح الناس، ويتركهم على ما هم عليه من المنكرات، بل إن مقتضى الاهتداء أن يكون أيضاً هادياً كما كان مهتدياً، وهذا من الاهتداء كونه يهدي غيره فتعود منفعته عليه، وذلك بأن يؤجر بمثل أجور من استفاد خيراً بسببه، ومن اهتدى بسببه فإن الله تعالى يثيب المهتدي الذي اهتدى على يديه ويثيب من كان سبباً في هدايته بمثل أجره، لقوله صلى الله عليه وسلم: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً). وعلى العكس من ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: (ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً). وعلى هذا فالآية الكريمة لا تفهم على أن الناس يتركون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنهم إذا كانوا مهتدين لا يضرهم ضلال من ضل، بل الأمر إنما هو مبني على أنهم إذا أمروا ونهوا فلم ينتفع بأمرهم ونهيهم فعند ذلك لا يضرهم ضلال من ضل إذا كانوا مهتدين. قوله: [قال أبو بكر رضي الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (يا أيها الناس! إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها: ((عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ))[المائدة:١٠٥]، قال عن خالد : وإنا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)]. وهذا يبين أن الآية ليس المقصود بها ترك الأمر والنهي، وإنما المقصود بها الأمر والنهي، وأنهم إذا تركوا الأمر والنهي فإنه يوشك أن يعمهم العقاب بسبب المعاصي، وذلك العقاب لا يخص من كان عاصياً، بل يصيب العاصي وغير العاصي، كما قال الله عز وجل: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً [الأنفال:٢٥]، فتصيب الظالم وغير الظالم، وكما في الحديث الذي فيه (أنه يخسف بهم، وقال: إنهم يبعثون على نياتهم). [وقال عمرو عن هشيم : وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لايغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب)]. وهذا أيضاً يبين أن تكون المعاصي في قوم يقدرون على أن يغيروا ولم يغيروا، فإن الله يعمهم بعقاب أو بعذاب. إذاً: فقوله: (وهم يقدرون على أن يغيروا) ليس معنى ذلك أن الإنسان يترك الأمر والنهي ويقول: لا يضرني من ضل إذا اهتديت، فهذا هو الذي جعل أبا بكر رضي الله عنه يبين أن المقصود بها: لا يضره بعد قيامه بما أوجب الله عليه، أما وهو لم يقم بما أوجب الله عليه فإنه آثم، لتركه الأمر والنهي.

تراجم رجال إسناد حديث: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)

قوله: [حدثنا وهب بن بقية]. وهب بن بقية الواسطي ، ثقة، أخرج له مسلم و أبو داود و النسائي . [عن خالد]. خالد بن عبد الله الطحان الواسطي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [ح وحدثنا عمرو بن عون]. عمرو بن

عون، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا هشيم]. هشيم بن بشير الواسطي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن إسماعيل]. إسماعيل بن أبي خالد ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن قيس]. قيس بن أبي حازم ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي بكر]. هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو أول الخلفاء الراشدين، خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو صاحب المناقب الجمة، والفضائل الكثيرة، وحديثه عند أصحاب الكتب الستة. و قيس بن أبي حازم هذا من المخضرمين، وهو الذي قيل عنه إنه اتفق له أن يروي عن العشرة المبشرين بالجنة؛ لأنه متقدم وقد روى عن المتقدمين. [قال عن خالد: وإنا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم]. يعني: في رواية أبي بكر من طريق خالد.

شرح حديث: (إن الناس إذا رأوا الظالم...) من طريق أخرى

[قال أبو داود : ورواه كما قال خالد أبو أسامة وجماعة، قال شعبة فيه: (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمل)]. هذا الذي جاء عن خالد جاء عن غيره، وقد جاء عن شعبة أنه قال: هم أكثر ممن يعمله؛ لأنه إذا كان الصالحون والمستقيمون أكثر فمعناه أنه يكون هناك قوة وقدرة على منعهم من فعل المنكر، وكونهم يتركون ذلك فإنهم يوشك أن يعمهم الله بعذاب؛ لأن القدرة موجودة، ولكونهم أكثر من أولئك المنحرفين الذين هم بحاجة إلى أن ينهوا عن المنكر. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كفائي، وقد يكون واجباً عينياً إذا لم يكن هناك غير هذا الإنسان ممن يقوم مقامه، فإنه يتعين عليه، وأما إذا وجد من يقوم بهذا الأمر فإنه يكون فرض كفاية. فإذا قام به من يكفيه سقط الفرض عن الباقين، ولكنه قد يتعين بحيث يكون في أناس لا يوجد فيهم من يقوم بذلك إلا هو، فيكون بذلك متعيناً عليه، لأنه ليس هناك من يقوم مقامه ويكفي عنه. [قال أبو داود : ورواه كما قال خالد أبو أسامة وجماعة]. أبو أسامة حماد بن أسامة ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [وقال شعبة]. شعبة بن الحجاج الواسطي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

شرح حديث: (ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي..)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص حدثنا أبو إسحاق أظنه عن ابن جرير عن جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتو)]. أورد أبو داود حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتو). هذا مثل الذي قبله، وفيه أنه إذا كان قوم فيهم منكر وهم قادرون على تغييره ولم يغيروه، فإنه يصيبهم العذاب قبل أن يموتوا، أي: يعجل الله لهم العذاب في هذه الحياة الدنيا، والعذاب كما هو معلوم يكون بأنواع متعددة، فقد يكون عن طريق الهلاك، وقد يكون عن طريق المرض، أو عن طريق الابتلاء والفتن وما إلى ذلك، فيفتن الإنسان فيحصل له عذاب في الدنيا على عدم القيام بالأمر والنهي الذي هو واجب ومتعين عليه. وإذا غلب على الظن أن هذا الذي يفعل المنكر لا يستمع النصيحة فهل يترك فتكون الآية على ظاهرها: عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا

يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ [المائدة:١٠٥] ؟ الظاهر أنه إذا كان سيحصل الفائدة ينصح، ولكن الإنسان كونه يبذل النصيحة هو على خير سواء قبلت النصيحة أم لم تقبل.

تراجم رجال إسناد حديث: (ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي..)

قوله: [حدثنا مسدد]. مسدد بن مسرهد البصري ، ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و النسائي . [حدثنا أبو الأحوص]. سلام بن سليم الحنفي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا أبو إسحاق]. عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن جرير]. ابن جرير قيل: هو المنذر . وقيل: عبيد الله بن جرير ، وكأنه عبيد الله . وعبيد الله بن جرير بن عبد الله البجلي ، مقبول، وفي الأسماء رمز له بـ(ق) يعني: في ابن ماجة، وفي الأبناء رمز له بـ(د). وكذلك المنذر بن جرير مقبول، لكن أخرج له مسلم و أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن جرير]. جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

شرح حديث: (من رأى منكم منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره..)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا محمد بن العلاء و هناد بن السري قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد رضي الله عنه وعن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من رأى منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده). وقطع هناد بقية الحديث، وفّاه ابن العلاء : (فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع بلسانه فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)]. أورد أبو داود حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الأيمان). وهذا لفظ مسلم ، و أبو داود هنا ذكره عن شيخين، أحد شيخيه هناد بن السري ذكره مختصراً، وقف عند قوله: (من رأى منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده). وأما شيخه الثاني وهو محمد بن العلاء فوفاه، يعني: أتى به وافياً وكاملاً حيث قال بعد ذلك: (فإلم يستطع فبلسانه، فإلم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان). وهذا فيه بيان أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على درجات: الدرجة الأولى: التغيير باليد التي يكون معها إزالة المنكر والقضاء عليه، وهذا يكون ممن يملكه كالسلطان ونوابه الذين يستطيعون أن يغيروا المنكر بأيديهم وبقوتهم، وكرب البيت فإنه قادر على التغيير بيده، فإن له ولاية على أهل البيت، فيستطيع أن يقضي على المنكر الذي يكون في بيته. فإن لم يستطع فلينتقل إلى الدرجة الثانية وهي: التغيير باللسان، وذلك أن يأمر وينهى، ويبين المنكر ويحذر منه، ويحذر من مغبته وعواقبه الوخيمة. فإن لم يستطع فيلنتقل بعد ذلك إلى الإنكار بالقلب، وليس أمامه إلا التغيير بالقلب، وذلك بأن يتأثر وأن يظهر ذلك عليه، وليس ذلك بمجرد كونه في قلبه أو أنكر بقلبه ولم يظهر ذلك التأثر على صفحات وجهه، بل يتأثر بحيث إن الإنسان إذا رئي يظهر عليه التأثر والاكتئاب وعدم الرضا، والكراهية لذلك المنكر الذي لم يستطع أن يغيره بلسانه، وذلك أضعف الأيمان، وهذا أقل شيء، فالإنسان ينكر بقلبه لأنه لا يستطيع ما هو أعلى من ذلك، والحديث من جوامع كلم الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وقد اختاره النووي من جملة الأربعين التي جمعها،

وهي تبلغ اثنين وأربعين حديثاً، وهي من جوامع الكلم، ولهذا أضاف إليه ابن رجب ثمانية أحاديث فأكملها الخمسين، وشرحها في مجلد سماه: (جامع العلوم والحكم في شرح الخمسين حديثاً من جوامع الكلم)، وهو كتاب نفيس مشتمل على الآثار عن السلف، كما هي عادة ابن رجب في أجزائه الحديثية ومؤلفاته الحديثية؛ لأنه يعنى بالنقول عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الآثار المتعلقة بموضوع الحديث الذي يشرحه، وهو كتاب نفيس وعظيم.

تراجم رجال إسناد حديث: (من رأى منكم منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره)

قوله: [حدثنا محمد بن العلاء]. محمد بن العلاء أبو كريب ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [و هناد بن السري]. هناد بن السري أبو السري ، وهو ثقة، أخرج له البخاري في خلق أفعال العباد، و مسلم وأصحاب السنن. [قالا: حدثنا أبو معاوية]. محمد خازم الضرير الكوفي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الأعمش]. سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن إسماعيل بن رجاء]. إسماعيل بن رجاء بن ربيعة ، وهو ثقة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [عن أبيه]. وهو صدوق، أخرج له مسلم و أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن أبي سعيد]. هو أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان ، صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. [وعن قيس بن مسلم] قيس بن مسلم ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن طارق بن شهاب]. طارق بن شهاب رضي الله عنه صحابي صغير، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي سعيد الخدري]. أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

تعليق الإمام النووي على حديث: (من رأى منكراً فاستطاع أن يغيره فليغيره)

ويوجد كلام للنووي في (عون المعبود) حول هذا الحديث. قال في (عون المعبود): قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم : ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف، ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو. قال العلماء: ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، والذي عليه الأمر والنهي لا القبول، ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال، ممتثلاً ما يأمر به، مجتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر؟! وينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. قال: وهذا الباب -أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه. وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيله رضا الله تعالى أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم لاسيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته، ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن

الله تعالى قال: وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ [الحج:٤٠]. وقال: ولا يتاركه أيضاً لصداقته ومودته ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها. وصديق الإنسان ومحبه هو من يسعى في عمارة آخرته وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من سعى في ذهاب دينه أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه. انتهى ملخصاً.
الأسئلة

لزوم مفارقة مكان المنكر بعد الإنكار بالقلب

السؤال: هل يشترط في المرتبة الثالثة -الإنكار بالقلب- مفارقة المكان الذي حصل فيه المنكر؟ الجواب: أقول: لا شك أن مفارقة المكان هذا يؤثر ويفيد.

هجران أماكن المنكرات فيه السلامة

السؤال: هل يكفي الإنكار بالقلب فقط دون أن يخرج من مكان المنكر مع أنهم لا يزالون ماضين في منكرهم، وهو جالس معهم ويقول: أنا أنكر بقلبي؟ الجواب: الخروج من مشاركتهم وعدم مجالستهم لا شك أنه هو الذي فيه السلامة له.

حكم الإنكار باليد على من ليس له عليه ولاية

السؤال: هل لي أن أنكر المنكر بيدي إذا تحققت من أنه لا يحصل بذلك مضرة، وليس لي سلطان أصلاً على هذا المنكر؟ الجواب: ليس للإنسان أن ينكر بيده شيئاً لا يملكه وليس من أهله؛ لأن هذا وإن ظن أنه لا يضره فقد يكون الأمر بخلاف ظنه، فيترتب على ذلك مضرة عليه وعلى غيره.

حكم الوقوف بعيداً عن النبي صلى الله عليه وسلم عند السلام عليه

السؤال: نرى بعض الناس يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد، فهل يجب علينا أن نأمرهم وننهاهم، أم يكفي قيام هيئة الأمر بالمعروف بذلك؟ الجواب: قد تكون الهيئة والمسئولون ما رأوا هذا الشخص الذي رأيته، فكونك تنبهه وترشده إلى أن هذه الهيئة غير صحيحة لا بأس، وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه يقول في آخر المنسك عند الكلام على زيارة المدينة: إن هذا أقرب إلى الجفا منه إلى المحبة والصفا، يعني: كون الإنسان يقف في مكان بعيد ويسلم، ومعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم لما كان بين أظهرهم، ما كان الواحد منهم يقف في مكان بعيد

ويستقبل المكان الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم -سواء في الحجرة أو في غير الحجرة- ويسلم هذا السلام، وإنما كان الواحد يمشي حتى يصل إليه، ويقول: السلام عليك يا رسول الله! ورحمة الله وبركاته، وأما أن يقف في مكان بعيد ويسلم فهذا غير صحيح.

حكم الأمر بالمعروف في وقت الفتن

السؤال: نقل عن الشيخ عبد العزيز رحمة الله عليه أنه ذكر في مجلة الجامعة في أحد الأعداد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون فرض عين في زمن الفتن كهذا الزمان؟ الجواب: معلوم أنه في الفتن وغير الفتن إذا وجد من يقوم بهذا الأمر حصلت الكفاية كما يبدو بغض النظر عن هذا الكلام الذي نسب إليه هل صحيح أو غير صحيح.

إنكار الأغاني ببيان أدلة التحريم

السؤال: نحن نركب مع أصحاب السيارات فيفتحون الأغاني، ونقول لهم: نحن لا نحب أن نسمع هذا فهلا أغلقت هذا؟ فيفعل، فهل يكفي هذا أم لابد من بيان وجه التحريم والدليل؟ الجواب: يمكن أن يقول هذا أولاً، ثم بعد ذلك يبين له، فكونك تسمع فإن هذا لا يسوغ ولا يجوز، أنت بذلك تجني على نفسك وتجلب لها العذاب، وتسعى إلى إغراقها، فتبين له الأحاديث في ذلك. فلا يكفي أن يقول: نحن لا نحب هذا، يعني فيغلقه مادام أنهم موجودون وإذا ذهبوا يفتحه، وإنما عليه أن ينبهه حتى يتخلص من ذلك نهائياً، لا أن يتخلص منه مادام راكباً معه، فإذا نزل فتحه.

حديث: (من رأى منكراً ...) وادعاء القلب فيه

السؤال: إن المؤمن إذا رأى المنكر فإن أول ما يقع في نفسه الإنكار القلبي، ثم يتطور مع القدرة إلى الإنكار القولي، أو الإنكار الفعلي إن كان يستطيع ذلك، فصار الحديث كأنه فيه قلب؟ الجواب: لا ليس فيه قلب، فالمنكر موجود والمطلوب تغييره، فما هي الطرق المطلوبة لتغييره؟! إذا وجدت الطريق العليا التي فيها الخلاص منه انتهى الأمر، فلا يحتاج إلى القول ولا إلى إنكار القلب، ويتنزل فيها حسب المراحل، والإنكار بالقلب لابد منه، ومعلوم أنه لا يحصل التغيير باليد إلا مع التأثر بالقلب، وفيما قاله بعض السلف: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه شيء وقر في القلب وصدقته الأعمال.

حكم الشخص إذا رأى آخر يشرب سيجارة فقام بكسرها

السؤال: طالب رأى طالباً آخر يشرب الدخان فأخذ منه السجارة فكسرها، فهل عمله صحيح؟ الجواب: عمله ليس صحيحاً؛ لأنها في جيبه وسيخرج مكانها واحدة أخرى وثانية.. وثالثة.. ورابعة.. وعاشرة، ولكن العمل الصحيح أن ينبهه

ويبين له خطأه وأضراره على جسمه وماله وعلى علاقته بالناس الآخرين، لأنه يؤذيهم، فيبين له ذلك. وأما كونه يستعمل هذا الدخان فكونك ضيعت عليه حبة من هذه الأشياء التي كان يستعملها ما استفاد شيئاً ولكن الفائدة كونه يبين له حتى يتخلص مما معه، وحتى يبتعد عن ذلك في المستقبل، وحتى يهتدي على يديه، فهذا هو الذي ينبغي له.

علامة التأثر القلبي من المنكر تظهر على الوجه

السؤال: قلتم أن التغيير بالقلب يلزم منه تغير الوجه، وأن ذلك أضعف الإيمان، السؤال، فإذا كان تغير قسمات الوجه عند تغييره بقلبه يجلب له السوء والضرر، أي: أن تمعر الوجه قد يسبب له ضرراً إذا رئي، فما الحكم؟ الجواب: هذا -كما هو معلوم- لا يحصل فيه تكلف، وإنما يحصل بالشيء الذي يكون في قلبه، فمن شدة التأثر يظهر ذلك على وجهه، وليس فيه تكلف.

الفرق بين النصيحة والإنكار

السؤال: هل هناك فرق بين النصيحة والإنكار؟ الجواب: النصيحة أعم، فهي تكون بالأمر والنهي، وأما الإنكار فيكون بالنهي، وتكون في الأمور المحرمة، وأما النصيحة فهي عامة تشمل الأوامر والنواهي، والدعوة إلى كل خير، والتحذير من كل شر، فهي أعم من الإنكار.

ضعف إيمان من لا يغير المنكر بقلبه

السؤال: الذي لا يستطيع تغيير المنكر إلا بالقلب، هل يدل هذا على أن إيمانه ضعيف؟ الجواب: لا شك أن ذاك الذي يغير بلسانه وبقلبه يكون أكمل وأقوى، فهو من جنس قوله: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير). يعني: كلهم في خير، ولكن بعضهم أحسن من بعض، وأقوى من بعض.

علاقة التغيير بإنكار القلب

السؤال: كيف يسمى إنكار المنكر بالقلب تغييراً مع أن المنكر باق على حاله؟ الجواب: كما هو معلوم حتى الإنكار باللسان فالمنكر يكون باق على حاله، مع وجود البيان بالقول، فقد يتكلم الإنسان بالقول ولا يحصل التغيير، وكونه يظهر عليه التأثر قد يكون ذلك سبباً في استفادة الشخص الواقع في المنكر، كما أن القول باللسان يمكن أنه يؤثر، فأيضاً ظهور ذلك على وجه الإنسان قد يكون مؤثراً ومفيداً.

لا يلزم من إنكار المنكر الرؤية

السؤال: هل يلزم رؤية المنكر للإنكار، أم يكفي مثلاً إذا سمعت أن فلاناً يعمل منكراً أذهب لأنكر عليه؟ الجواب: لا يلزم ذلك، فإذا كنت قد تحققت من هذا، وثبت لديك ذلك وإن لم تره فعليك أن تنصحه، وأن تبين له خطورة ذلك، إذا كان ذلك ثابتاً، فليس لازماً للإنسان ألا ينكر إلا شيئاً رآه وشاهده وعاينه، بل إذا شهد عنده ثقاة بأنه حصل من فلان كذا وكذا، فإنه ينصح ذلك الذي حصل منه وإن لم يكن شاهد ذلك وعاينه.

العيش في مجتمعات المعاصي يضعف الإيمان

السؤال: هل صحيح أن العيش في مجتمعات تعج بالمعاصي والمنكرات يفقد القلب إنكاره للمنكر، ويضعف الإيمان؟ الجواب: أقول: لاشك أنه إذا كثر الإمساس قل الإحساس، وقد تألف النفوس هذا الشيء بالسكوت عليه وعدم التأثر منه، فيصير شيئاً مألوفاً.

حكم المشاركة في الانتخابات لأجل تغيير المنكر

السؤال: هل المشاركة في الانتخابات من تغيير المنكر باليد، حيث إن الإنسان يختار الرجل الصالح ليكون حاكماً؟ الجواب: هذه الانتخابات ليست من الطرق الشرعية، وإنما هي من الطرق الوافدة على المسلمين من أعدائهم، والحكم فيها للغلبة ولو كانت الأغلبية من أفسد الناس، أو كان الذي ينتخبونه من أفسد الناس؛ لأنهم ينتخبون واحداً منهم، والحكم للغلبة، وحيث يكون الغلبة أشراراً فإنهم سيختارون شريراً منهم. والدخول في الانتخابات إذا لم يحصل من ورائه فائدة ومصلحة فلا يصلح، ولكن إذا كان سيترتب عليه مصلحة من أن الأمر يدور بين شخصين أحدهما سيء والثاني حسن، ولو لم يشارك في تأييد جانب ذلك الحسن فإنه تغلب كفة ذلك السيئ، فإنه لا بأس بالمشاركة من أجل تحصيل تلك المصلحة ودفع المضرة. بل لو كان الأمر يدور بين شخصين أحدهما شرير والثاني دونه في الشر كما يحصل في بعض البلاد التي فيها أقليات إسلامية والحكم فيها للكفار، فإذا صار الأمر يدور بين كافرين أحدهما شديد الحقد على المسلمين، وشديد المعاداة لهم، ويضيق عليهم، ولا يمكنهم من أداء شعائرهم، والثاني مسالم، ومتعاطف مع المسلمين، وليس عنده الحقد الشديد عليهم، فلا شك أن ترجيح جانب من يكون خفيفاً على المسلمين أولى من ترك الأمر بحيث يتغلب ذلك الكافر الشديد الحقد على المسلمين. ومعلوم أنه جاء في القرآن أن المسلمين يفرحون بانتصار الروم على الفرس، وهم كفار كلهم، لكن هؤلاء أخف؛ لأن هؤلاء ينتمون إلى دين، وأولئك يعبدون الأوثان ولا ينتمون إلى دين، وإن كان الجميع كفاراً، لكن بعض الشر أهون من بعض. ومن قواعد الشريعة ارتكاب أخف الضررين في سبيل التخلص من أشدهما، فإذا ارتكب أخف الضررين في سبيل التخلص من أشدهما فإن هذا أمر مطلوب. فالحاصل أن الانتخابات في الأصل هي وافدة على المسلمين وليست مما جاء به دينهم، والمشاركة فيها إذا كان سيترتب على ذلك ترجيح جانب من فيه خير على من فيه شر ولو ترك ترجح جانب من فيه شر، فلا بأس بذلك، وكذلك عندما يكون كل منهما شرير، ولكن أحدهما أخف، وأريد ترجيح جانب من

كان أخف، كما ذكرت في حق الكافرين اللذين يرجح جانب أحدهما من أجل عدم حصول الضرر من ذلك الذي يكون أشد خبثاً وحقداً على المسلمين، فإنه والحالة هذه يسوغ الانتخاب لهذه القاعدة بارتكاب أخف الضررين في سبيل التخلص من أشدهما. فلا يجوز أن يشارك في الانتخابات إلا إذا كان الأمر يدور بين خير وشر، وإذا لم يشارك في تأييد الخير سيتقدّم الشرير على غيره، فيجوز الدخول في الانتخابات من أجل تحصيل هذه المصلحة، أو يكونا اثنين خبيثين لكن أحدهما أخف على المسلمين من الآخر، ويمكِّنهم من إقامة شعائرهم، فمثل هذا إذا رجح جانبه من قبل الأقليات الإسلامية لا بأس بذلك؛ لأنهم لا يختارون إماماً للمسلمين، وإنما يختارون واحداً متعاطفاً معهما، فهما شران لا بد منهما، وبعض الشر أهون من بعض، فمن كان أصلح لهم وأخف ضرراً عليهم فإن ارتكاب أخف الضررين في سبيل التخلص من أشدهما أمر مطلوب. والحاصل: أن الدخول في الانتخابات ليس على إطلاقه، والأصل ألا يدخل فيها إلا إذا حصل في الدخول مصلحة بأن كان الأمر دائراً بين شرير وطيب، أو بين شريرين أحدهما أخف من الآخر، وكان ترك المشاركة يؤدي إلى تغلب من هو أخبث وأشد؛ ففي هذه الحالة لا بأس بذلك من أجل ارتكاب أخف الضررين في سبيل التخلص من أشدهما.

مناسبة عقد باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتاب الفتن

السؤال: ألا تكون المناسبة بين هذا الباب وبين كتاب الفتن: أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في الفتن؟ الجواب: بلى، فلا شك أن هذا من أسباب الفتن، وأيضاً فإن الفتن مع وجودها وحصولها يحتاج فيها إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بعدم الدخول فيها.

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل وقت

السؤال: ألا يمكن أن يقال: إنه لا حجة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمجرد حصول الفتن والملاحم، بل لا بد من ذلك في سائر الأوقات؟ الجواب: لاشك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلوبان دائماً وأبداً، وليس ذلك في وقت دون وقت، أو حال دون حال.

لزوم التدرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

السؤال: هل يعارض هذا الحديث مسألة التدرج مع المدعو لتألفه وترغيبه؛ لأن الشدة والهجر له قد يزيد في غيه ومعصيته؟ الجواب: التدرج واللين أمران مطلوبان، أي: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكونان باللين والرفق ويكونان بالسر؛ حتى يكون هناك قبول. ولاشك أن الأخذ بالوسائل أمر مطلوب في الأمر والنهي، وهذه هي الصفات التي ينبغي أن يكون عليها الأمر و النهي؛ لأن المقصود من الأمر والنهي هو حصول الفائدة، وكل شيء يكون به تحصيل الفائدة فلا شك أنه أولى ومطلوب، فالرفق واللين مطلوبان ويكون ذلك الأمر سراً، فلا شك أنه يفيد وتحصل من ورائه ثمرة، فلا تكون النصيحة

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علانية، ولا يكون بالشدة والغلظة، وإنما يكونان بالرفق واللين والسر. وكما أن الإنسان هو نفسه يعجبه أن ينصح سراً وأن يرفق به عند النصيحة، فعليه أن يعامل غيره أيضاً كما يحب أن يعامل، لقوله صلى الله عليه وسلم: (من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه).

حال حديث: (لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم)

السؤال: ألا يوجد معارضة في قوله: (لتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً)، لأن فيه نوع من الشدة والقوة؟ الجواب: الحديث في إسناده أبو عبيدة عن أبيه، وهو لم يسمع منه، فالحديث إذاً غير صحيح، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكونان باللين، وإذا ما نفع فلابد من القوة ولا يترك الأمر والنهي، ولكن كما جاء في الحديث الذي سيأتي: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإلم يستطع فبلسانه، فإلم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان). والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على درجات، فمن الناس من يستطيع أن يغير بيده، ومنهم من يستطيع أن يغير بلسانه، ومنهم من لا يستطيع لا بهذا ولا بهذا، بل حظه ونصيبه أن يتأثر قلبه، ويظهر ذلك على وجهه بحيث يحصل منه التأثر، ويحصل منه التغيير الذي به يظهر الإنسان أمام من ينكر عليه بأنه منكر عليه."

". (١)

"شرح سنن أبي داود [٣١٤]

الجهاد في سبيل الله تعالى شرف عظيم، وله أحكام وآداب شرعية تخصه، فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبدأ القتال أول النهار أو يؤخره إلى ما بعد الزوال، وكذلك مشروعية التزام الصمت حال القتال إلا من ذكر الله عز وجل، وكذلك استحباب فعل ما يظهر قوة المسلمين أمام أعدائهم؛ ولذا جاز الاختيال بين الصفوف.

وقت استحباب لقاء الكفار في الجهاد

شرح حديث قتاله صلى الله عليه وسلم أول النهار أو بعد زوال الشمس

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في أي وقت يستحب اللقاء. حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أخبرنا أبو عمران الجوني عن علقمة بن عبد الله المزني عن معقل بن يسار أن النعمان -يعني ابن مقرن - رضي الله عنهما قال: (شهدت

---

(١) شرح سنن أبي داود - عبدالمحسن العباد، ص/٢

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر)]. أورد أبو داود [باب في أي وقت يستحب اللقاء] يعني لقاء الكفار. وقد أورد أبو داود حديث النعمان بن المقرن رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا لم يقاتل أول النهار أخر حتى تزول الشمس وتهب الرياح، وذلك وقت صلاة الظهر وصلاة العصر جمعاً، فيكون وقت قبول الدعاء. وهذا فيه دليل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان هديه القتال في أول النهار أو بعد منتصف النهار ودخول وقت صلاة الظهر، فإذا لم يقاتل أول النهار في الصباح يقاتل بعد الزوال وبعد دخول وقت الصلاة صلاة الظهر والعصر في الحال الجمع. فهذا هو الوقت الذي يستحب فيه اللقاء، في الصباح أو بعد الزوال.

تراجم رجال إسناد حديث قتاله صلى الله عليه وسلم أول النهار أو بعد زوال الشمس

قوله: [حدثنا موسى بن إسماعيل]. هو موسى بن إسماعيل التبوذكي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا حماد]. هو حماد بن سلمة ، ثقة، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [أخبرنا أبو عمران الجوني]. هو عبد الملك بن حبيب ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن علقمة بن عبد الله المزني]. علقمة بن عبد الله المزني ثقة، أخرج له أصحاب السنن. [عن معقل بن يسار]. هو معقل بن يسار رضي الله عنه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [أن النعمان بن مقرن]. هو النعمان بن مقرن رضي الله تعالى عنه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

ما يؤمر به من الصمت عند اللقاء

شرح حديث: (كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكرهون الصوت عند اللقاء)

قال المصنف رحمه الله تعالى:[باب فيما يؤمر به من الصمت عند اللقاء. حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام . ح وحدثنا عبيد الله بن عمر حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا هشام حدثنا قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد أنه قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكرهون الصوت عند اللقاء عند القتال]. أورد أبو داود : [باب فيما يؤمر به من الصمت عند اللقاء] يعني السكوت وعدم الصخب والكلام، وإنما يكون الجهاد سكوتاً إلا في ذكر الله سبحانه وتعالى فلا بأس بذلك، وأما أن يكون هناك صراخ أو صياح أو كلام في غير ذلك فلا يصلح. وقد أورد أبو داود هذا الأثر عن قيس بن عباد عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا عند اللقاء أو عند القتال يكرهون الصوت. أي: يكرهون التكلم إلا في ذكر الله عز وجل والتكبير، لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا [الأنفال:٤٥] ومن الذكر التكبير. وهذا الأثر موقوف على أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ينتهي إسناده إلى أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم. وهو حجة، لكون الصحابة كان هذا شأنهم وهذه طريقتهم، وهم أسبق الناس إلى كل خير وأحرص الناس على كل خير رضي الله عنهم وأرضاهم.

تراجم رجال إسناد حديث :(كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكرهون الصوت عند اللقاء)

قوله: [حدثنا مسلم بن إبراهيم]. هو مسلم بن إبراهيم الفراهيدي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا هشام]. هو هشام بن أبي عبد الله الدستوائي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [ح وحدثنا عبيد الله بن عمر]. هو عبيد الله بن عمر القواريري ، وهو ثقة، أخرج له البخاري و مسلم و أبو داود و النسائي . [حدثنا عبد الرحمن بن مهدي]. عبد الرحمن بن مهدي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا هشام حدثنا قتادة]. هشام قد مر ذكره، و قتادة هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الحسن]. هو الحسن بن أبي الحسن البصري ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن قيس بن عباد]. قيس بن عباد ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي .

إسناد آخر لحديث كراهية الصوت عند اللقاء وتراجم رجاله

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا عبيد الله بن عمر حدثنا عبد الرحمن عن همام حدثني مطر عن قتادة عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمثل ذلك]. أورد أبو داود الحديث هنا ولكنه مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقوله: [بمثل ذلك] يعني أنه لا يؤتى بالصوت عند اللقاء، وإنما يكون السكوت والصمت وعدم الكلام إلا في ذكر الله عز وجل. قوله: [حدثنا عبيد الله بن عمر عن عبد الرحمن عن همام]. همام هو همام بن يحيى العوذي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثني مطر]. هو مطر الوراق ، وهو صدوق كثير الخطأ والنسيان، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن قتادة عن أبي بردة]. قتادة قد مر ذكره، و أبو بردة هو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبيه]. هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسمه عبد الله بن قيس ، وهو صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة. والحديث ضعفه الألباني ، ولعل ذلك من أجل مطر الوراق ، لكن كون أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يفعلون ذلك يدل على أنهم أخذوه من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا سيما وإسناده إلى جميعهم وإلى عمومهم وليس إلى فرد واحد منهم.

الترجل عند اللقاء

شرح حديث ترجل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته يوم حنين

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في الرجل يترجل عند اللقاء. حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه أنه قال: (لما لقي النبي صلى الله عليه وسلم المشركين يوم حنين فانكشفوا نزل عن بغلته فترجل)]. أورد أبو داود باب الترجل عند اللقاء. والترجل هو المشي على الرجل، وهذا يدل على الشجاعة وعلى القوة وعلى عدم **الاكتئاب** وعدم الخوف، ولهذا لما انكشفوا نزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته وكان يقول: (أنا النبي لا كذب

أنا ابن عبد المطلب)، فثبت ثم رجع أصحابه وصار النصر للمسلمين على أعدائهم. فالترجل هنا غير الترجل فيما يتعلق بالزينة وهو تسريح الشعر ودهنه، بل هو المشي على الرجل، وهو يدل على الثبات وعلى قوة الجأش وعدم الخوف والذعر.

تراجم رجال إسناد حديث ترجل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته يوم حنين

قوله: [حدثنا عثمان بن أبي شيبة]. عثمان بن أبي شيبة ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي و إلا النسائي ، ولم يخرج له النسائي إلا في عمل اليوم والليلة. [حدثنا وكيع]. هو وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن إسرائيل]. إسرائيل هو ابن يونس بن أبي إسحاق ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي إسحاق]. قد مر ذكره. [عن البراء] هو البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما، وهو صحابي، أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة.

الخيلاء في الحرب

شرح حديث ما يحبه الله تعالى من الغيرة والخيلاء وما يبغضه منهما

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في الخيلاء في الحرب. حدثنا مسلم بن إبراهيم و موسى بن إسماعيل -المعنى واحد- قالا: حدثنا أبان حدثنا يحيى عن محمد بن إبراهيم عن ابن جابر بن عتيك عن جابر بن عتيك رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: (من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة، وإن من الخيلاء ما يبغض الله ومنها ما يحب الله، فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال واختياله عند الصدقة، وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي) قال موسى : والفخر]. أورد أبو داود هذه الترجمة، وهي [باب الخيلاء في الحرب] أي أنها سائغة، والخيلاء في الأصل غير سائغة، فكون الإنسان يكون مختالاً ويكون فخوراً لا يجوز، والله تعالى قد ذم المختال الفخور، ولكن ذلك في حال الحرب سائغ وجائز؛ لأنه يدل على ثبات الجأش وعلى القوة وعلى عدم ضعف النفس، ويدل على عزة النفس، وعلى ثبوت الرجل وعدم خوفه وضعفه وخوره، فأبيح في هذه الحالة التي هي حالة الحرب. وأورد أبو داود حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [(من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة)] يعني كون الإنسان يغار على أهله في ريبة وفي أمر محرم حتى لا يحصل، وهذا مما يحبه الله عز وجل، والغيور هو ضد الديوث الذي يقر الخبث في أهله ولا يبالي ولا يهتم. فالغيرة في الريبة وفيما هو ريبة مما يحبه الله، والغيرة في غير ذلك يبغضها الله، قالوا: ومن أمثلة ذلك كون الإنسان يغار على نكاح قرائبه وزواج قرائبه ويكره ذلك، فإن هذا في أمر مباح وأمر مشروع، فالغيرة فيه وكراهية ذلك أمر مبغوض عند الله عز وجل، وكون الإنسان كذلك يغار على أمه في زواجها ويكره زواجها بعد أبيه فهذا مما يكرهه الله ومما هو مبغوض، و هذه غيرة في غير ريبة، فتكون الريبة هنا مما يبغضه الله عز وجل، فالغيرة في الريبة محمودة والغيرة في

غيرها -أي: فيما هو مباح ومشروع- مذمومة. قوله: [(وإن من الخيلاء ما يبغض الله ومنها ما يحب الله فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال)]. اختيال الرجل نفسه عند القتال هو أن يحصل عنده اختيال يدل على قوة جأشه وعلى عدم انهزام نفسه وعلى عدم الخور عنده. قوله: [(واختياله عند الصدقة)]. يعني كونه يجود بالصدقة ويبذلها، ويترتب على ذلك اقتداء به ومتابعة له، فإن ذلك سائغ. قوله: [(وأما التي يبغض الله فاختياله في البغي)]. أي: كونه يختال على أحد باغياً عليه ومعتدياً عليه، ويتعاظم عند ما يقتل إنساناً معصوماً، أو عندما يأخذ مالاً لغيره، فإن هذا مما يبغضه الله عز وجل. قوله: [قال موسى : والفخر]. أي: البغي والفخر، وهذه الزيادة هي من أحد شيخي أبي داود ، وهو موسى بن إسماعيل، فكلمة (الفخر) جاءت عند موسى بن إسماعيل وحده وليست عند الشيخ الأول مسلم بن إبراهيم .

تراجم رجال إسناد حديث ما يحبه الله تعالى من الغيرة والخيلاء وما يبغضه منهما

قوله: [حدثنا مسلم بن إبراهيم]. هو مسلم بن إبراهيم الفراهيدي ، وقد مر ذكره. [و موسى بن إسماعيل]. موسى بن إسماعيل مر ذكره. [حدثنا أبان]. هو أبان بن يزيد العطار ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجة . [حدثنا يحيى]. هو يحيى بن سعيد الأنصاري ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن محمد بن إبراهيم]. هو محمد بن إبراهيم التيمي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن جابر بن عتيك]. قيل: هو عبد الرحمن . وقيل: آخر، وكل منهما مجهول، فهذا مجهول وذاك غير معروف، والنتيجة واحدة، سواء أكان هو المسمى الذي هو عبد الرحمن أم الآخر الذي لم يسم، وقيل: إنه أبو سفيان ، وكل منهما مجهول، ولكن الحديث له شاهد عن عقبة بن عامر ذكره الشيخ الألباني رحمه الله في إرواء الغليل. [عن جابر بن عتيك]. جابر بن عتيك رضي الله عنه، صحابي، وحديثه أخرجه أبو داود و النسائي .

الرجل المسلم يستأسر

شرح حديث قصة أصحاب الرجيع العشرة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في الرجل يستأسر. حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا إبراهيم -يعني ابن سعد - أخبرنا ابن شهاب أخبرني عمرو بن جارية الثقفي حليف بني زهرة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرة عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه، فنفروا لهم هذيل بقريب من مائة رجل رام، فلما أحس بهم عاصم لجئوا إلى قردد، فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحداً. فقال عاصم : أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة نفر، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب و زيد بن الدثنة ورجل آخر رضي الله عنهم، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل

الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لي بهؤلاء لأسوة، فجروه فأبى أن يصحبهم فقتلوه، فلبث خبيب أسيراً حتى أجمعوا قتله، فاستعار موسى يستحد بها، فلما خرجوا به ليقتلوه قال لهم خبيب : دعوني أركع ركعتين، ثم قال: والله لولا أن تحسبوا ما بي جزعاً لزدت)]. أورد أبو داود [باب في الرجل يستأسر]. يعني: يأسره الكفار. وأورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل عشرةً عيناً، أي: جواسيس يأتون بأخبار العدو، وهذا يدل على أن الجاسوس قد يكون واحداً وقد يكونون أكثر من واحد، كما ذكر هنا أنهم عشرة، وسبق أن مر فيما يتعلق بكون الإنسان يسافر وحده أنه يمكن أن يرسل وحده من أجل التجسس على الكفار، ويكون مسافراً وحده، ويكون مستثنىً مما جاء من كراهية أن يسافر الإنسان وحده. قوله: [وأمر عليهم عاصم بن ثابت] أي: جعله أميراً على العشرة يرجعون إليه ويكون مرجعاً لهم. وقد سبق أن مر أن الثلاثة عندما يسافرون يؤمرون واحداً منهم حتى يرجعوا إليه، وهنا النبي صلى الله عليه وسلم أمر على هؤلاء العشرة عاصم بن ثابت رضي الله تعالى عنه، فجاءهم جماعة خرجوا لهم من هذيل، فأحاطوا بهم؛ فصعدوا فوق مكان مرتفع يقال له: قردد، فصار هؤلاء الكفار تحت وهؤلاء فوق، فصاروا ينادونهم ويقولون: انزلوا وسلموا أنفسكم ولكم الأمان والعهد أنه لا يحصل لكم شيء. فقال عاصم الذي هو أميرهم: لا أنزل على ذمة كافر. فرموهم حتى قتلوا منهم سبعة فيهم عاصم الذي هو أميرهم، وبقي ثلاثة، فنزل هؤلاء الثلاثة، وهم خبيب و زيد بن الدثنة ورجل آخر، فلما نزلوا أطلقوا أوتار قسيهم – جمع قوس– فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر. وهو كونهم قالوا: انزلوا ولكم العهد أنه لا يحصل لكم شيء. ثم بعد ذلك ربطوهم، فقال: لي بأصحابي أسوة ولن أصحبكم. فجعلوا يجرونه وهو يأبى أن يصحبهم، فقتلوه فصار الذين قتلوا ثمانية، فبقي الاثنان خبيب و زيد بن الدثنة ، ثم إنهم بعد ذلك أجمعوا على قتل خبيب ، فقال: دعوني أصلي ركعتين. وطلب منهم موسى ليستحد بها. أي: يحلق بها عانته؛ لأن الاستحداد هو حلق العانة بالحديدة، فقيل له: استحداد؛ لأنه إزالة للشعر بالحديدة التي هي الموسى. فأذنوا له فصلى ركعتين، ثم إنه لما صلى ركعتين قال: والله لولا أن تظنوا أن بي جزعاً لزدت على ذلك. يعني: زدت ركعتين. ثم إنهم قتلوه رضي الله تعالى عنه وأرضاه. والحاصل أن هؤلاء الثلاثة سلموا أنفسهم وأسرهم أولئك وعاملوهم بهذه المعاملة. وقوله: [(فنفروا لهم هذيل)] فيه الجمع بين الاسم الظاهر والضمير، وهي اللغة التي يسمونها لغة (أكلوني البراغيث) وهي الجمع بين الاسم الظاهر والضمير، وقد جاء بها القرآن والسنة، أما القرآن ففي قول الله عز وجل: وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا [الأنبياء:٣] وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل). والترجمة[الرجل يستأسر] دالة على أن الرجل له أن يسلم نفسه للأسر عند الحاجة؛ لأنه قال: [يستأسر] يعني: يطلب منه، فالاستئسار هو الطلب؛ لأن السين والتاء تدلان على الطلب، أي: يطلب منه أن يسلم نفسه للأسر، فهؤلاء الثلاثة سلموا أنفسهم، وأحدهم لما رأى الغدر من أول وهلة لم يشأ أن يصحبهم، فسحبوه، ولما لم يستجب لهم قتلوه رضي الله عنه، ففيه جواز الامتناع عن الأسر ولو أدى ذلك إلى قتل الممتنع.

تراجم رجال إسناد حديث قصة أصحاب الرجيع العشرة

قوله: [حدثنا موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد]. موسى بن إسماعيل مر ذكره، و إبراهيم بن سعد ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا ابن شهاب]. هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، ثقة، أخرج له

أصحاب الكتب الستة. [أخبرني عمرو بن جارية الثقفي]. هو عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي ، أخرج له البخاري و مسلم و أبو داود و النسائي . [عن أبي هريرة]. هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه حديثاً على الاطلاق رضي الله عنه وأرضاه.

إسناد آخر لحديث قصة أصحاب الرجيع وتراجم رجاله

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا ابن عوف حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي -وهو حليف لبني زهرة، وكان من أصحاب أبي هريرة رضي الله عنه- فذكر الحديث]. أورد أبو داود الحديث من طريق أخرى عن أبي هريرة ، وهو مثل ما تقدم. قوله: [حدثنا ابن عوف]. هو محمد بن عوف ، ثقة، أخرج له أبو داود و النسائي في مسند علي . [حدثنا أبو اليمان]. هو الحكم بن نافع ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن شعيب]. هو شعيب بن أبي حمزة الحمصي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الزهري أخبرني عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية]. قد مر ذكرهما، وهنا قال: عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية، ففي الإسناد الأول نسبه إلى جده، وفي هذه الطريق الثانية ذكر نسبه كاملاً.
الأسئلة

حكم صلاة ركعتين قبل القتل

السؤال: هل الركعتان سنة عند القتل بدلالة فعل خبيب رضي الله تعالى عنه؟ الجواب: ما أعلم سنيتهما، لكنهما جائزتان.

استشكال في الإعلام بخبر أصحاب الرجيع لكونهم قتلوا جميعاً

السؤال: إذا كان العشرة من الصحابة قد قتلهم الهذليون فمن الذي أخبر بخبرهم؟ الجواب: قد يكون الذي أخبر خبرهم هو زيد بن الدثنة ؛ لأنه لم يعرف أمره بعد ذلك في القتل، وقد يكون أحد الهذليين أسلم بعد ذلك ثم أخبر بالخبر، ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك عن طريق الوحي، ففي صحيح البخاري أن خبيباً قال: (اللهم! أخبر عنا نبيك).

قيام طالب العلم من مجلسه في الحلقة للداخل

السؤال: إذا كنت في مجلس أو حلقة علم ودخل علينا أحد فهل القيام له سنَّة؟ الجواب: من كانوا في حلقة علم فالذي

ينبغي لهم أن يكونوا كلهم مشتغلين بالعلم، وإذا انتهوا من الاشتغال بالعلم يقوم من يريد أن يقوم لهذا الجالس. لكن إذا كانوا في مجلس من المجالس فقاموا أو قام بعضهم لاستقبال القادم والداخل فهذا لا بأس به وهو مشروع ومستحب إذا كان فيه إيناس وإدخال للسرور، فلا بأس بذلك، وأما فيما يتعلق بحلقة العلم والاشتغال بالعلم فالذي ينبغي هو المواصلة، وإذا جاء أحد فإنه يجلس ويستمع ثم يقام له، وقد يكون سائغاً، مثل ما حصل لكعب بن مالك رضي الله عنه حين نزلت توبته، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً مع أصحابه، فلما دخل كعب بن مالك قام طلحة واستقبله يهنئه بتوبة الله عز وجل عليه.

معنى الصمت عند لقاء العدو وحكم الأناشيد وقت اللقاء

السؤال: هل معنى الصمت عند لقاء العدو عدم التكبير والتهليل إلا بصوت منخفض؟ وإذا كانت هناك أناشيد تدعو للحماس فهل يجوز التغني بها لرفع الهمم؟ الجواب: التكبير هو الذي ترفع به الهمم، وأما التغني بالأناشيد فإنه لا يرفع الهمم بل يثبطها.

حكم قتل المستأمنين من الكفار مقابل قتل دولهم رعايا المسلمين

السؤال: ما حكم قتل الكفار الذين يعيشون في بلاد المسلمين للعمل أو للسياحة، حيث إن حكوماتهم تقتل المسلمين وتعين على قتلهم؟ الجواب: لا يجوز قتل من دخل وأعطي الأمان ليعمل أو ليتجول في بلد من البلدان وقد أذن له بذلك، وإن حصل أن الكفار اعتدوا على المسلمين فهم لا ذمة لهم ولا عهد لهم، فالمسلمون عليهم أن يفوا بالعهود. ثم كون الكفار يغدرون بواحد من المسلمين لا يبيح للمسلمين أن يغدروا بأحد ما حصل منه غدر وما حصل منه خيانة وما حصل منه شيء ينقض عهده."

." (١)

"شرح سنن أبي داود [٣٠٧]

من الآداب التي علمنا النبي صلى الله عليه وسلم إياها في السفر: دعاء ركوب الدابة، وعند السفر وعند الوداع، وألا يسافر الشخص أول الليل حتى تذهب فحمة العشاء، وألا يسافر لوحده، وأن يبكر في سفره.

ما يقول الرجل إذا سافر

---

(١) شرح سنن أبي داود - عبدالمحسن العباد، ص/٢

شرح حديث (كان رسول الله إذا سافر قال اللهم أنت الصاحب في السفر...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب ما يقول الرجل إذا سافر. حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا محمد بن عجلان قال: حدثني سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر قال: اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال، اللهم اطو لنا الأرض، وهون علينا السفر)]. أورد أبو داود هذه الترجمة، وهي: باب ما يقول الرجل إذا سافر. أي: الدعاء الذي يدعو به المسافر عند سفره، وقد أورد أبو داود رحمه الله في كتاب الجهاد جملة من الأحاديث تتعلق بآداب السفر، وذلك لأن الجهاد يكون غالباً عن طريق السفر، لأنهم يخرجون من بلادهم يقاتلون في سبيل الله، وليسوا باقين في بيوتهم إن جاءهم العدو دفعوه، بل يعقدون الألوية ويذهبون للجهاد في سبيل الله ودعوة الناس إلى أن يدخلوا في دين الله، ويغزون الكفار في بلادهم. فالجهاد يحصل عن طريق السفر، كما أن السفر يكون في غيره، ولكنه من أجل أن الجهاد يكون فيه السفر أورد هذه الآداب في كتاب الجهاد؛ لأن سفر الجهاد أفضل الأسفار، وهو خير الأسفار؛ لأنه سفر لإعلاء كلمة الله، وانتصار المسلمين على غيرهم من الكفار، فمن أجل هذا أورد أبو داود رحمه الله جملة من آداب السفر -سواء للجهاد أو غير الجهاد- في كتاب الجهاد. ثم أورد أبو داود حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر قال: (اللهم أنت الصاحب في السفر) يعني: الصاحب الذي يكون معهم فيحفظهم ويكلؤهم ويرعاهم، ويحوطهم بحفظه ورعايته سبحانه وتعالى، (والخليفة في الأهل) يعني: يكون معه في سفره يرعاه ويحفظه ويخلفه في أهله في حفظهم ورعايتهم، وتحصيل ما يفيدهم، وتحقيق ما يريدون، فهو سبحانه وتعالى المصاحب للمسافر في سفره، وهو الخليفة له في أهله، يعني: فهو يسأل الله عز وجل أن يكون معه في سفره بالتوفيق والتسديد، والحفظ والرعاية، وأن يكون لأهله حافظاً وراعياً وموفقاً ومسدداً، فيسأل له ولغيره في سفره، ولمن وراءه من أهله. قوله: [(اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر)]. وعثاء السفر: شدته وتعبه، وما يحصل فيه من المصائب والبلاء والمشقة والعناء. قوله: [(وكآبة المنقلب)]. بأن ينقلب من سفره وقد حصل له بلاء أو مصائب أو أضرار أو كونه أراد المهمة التي سافر من أجلها فلم يحصل على ما يريد فرجع بدون طائل. وكذلك أيضاً فيما يتعلق بأهله أن يرجع إليهم وقد حصل لهم بلاء أو أضرار، أو فقد أحداً منهم، فيكون كئيباً حزيناً مكتئباً للأمر الذي حصل له، أو الأمر الذي حصل لأهله، فإذا رجع يرجع وقد أصيب بشيء من هذه المصائب، أو لما فاته من الخير الذي أراده. قوله: [(وسوء المنظر في الأهل والمال)]. يعني: كونه تكون مصائب في الأهل ومصائب في المال، فيكون المنظر سيئاً بأن يحصل للمال احتراق أو أي مصيبة تصيبه وتحصل له، بحيث يرجع صاحبه فيراه على وجه يسوءه، وكذلك أيضاً بالنسبة لأهله كونه يرى فيهم شيئاً يسوءه سواء في أخلاقهم أو خلقهم. قوله: [(اللهم اطو لنا الأرض وهون علينا السفر)]. يعني: كون الأرض تطوى لهم بمعنى أنهم يقطعونها بسهولة ويسر، وكذلك يهون عليهم السفر فيكون سهلاً ليس فيه عناء ولا نصب، ولا يصيبهم بلاء ولا تعب.

تراجم رجال إسناد حديث (كان رسول الله إذا سافر قال اللهم أنت الصاحب في السفر...)

قوله: [حدثنا مسدد]. مسدد بن مسرهد البصري ، ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و النسائي . [حدثنا يحيى]. يحيى بن سعيد القطان البصري ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا محمد بن عجلان]. محمد بن عجلان المدني ، وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [حدثني سعيد المقبري]. سعيد بن أبي سعيد المقبري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي هريرة]. أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر أصحابه حديثاً على الإطلاق رضي الله عنه وأرضاه.

شرح حديث (أن رسول الله كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا الحسن بن علي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أن علياً الأزدي أخبره أن ابن عمر رضي الله عنهما علمه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال: ((سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ [الزخرف:١٣-١٤] اللهم إني أسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، اللهم اطو لنا البعد، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وجيوشه إذا علوا الثنايا كبروا، وإذا هبطوا سبحوا، فوضعت الصلاة على ذلك)]. أورد أبو داود رحمه الله حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه دعاء السفر، أنه كان إذا ركب على دابته يكبر ثلاثاً يقول: الله أكبر! الله أكبر! الله أكبر، سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ [الزخرف:١٣-١٤]. ((سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا)) أي: المركوب وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ، وهذا نص الآية التي في القرآن، يقول تعالى: لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ [الزخرف:١٣]، فجاء هذا الثناء على الله عز وجل بهذه الإشارة التي تصلح لكل مركوب، يعني: سواء يكون في البر أو البحر أو الجو كل ذلك يقال فيه: ((سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا)). وجاء فيه بالإشارة دون أن يحدد الشيء الذي يركب ويبين عينه ونوعه، فصار الدعاء صالحاً لكل مركوب، بحيث الإنسان إذا ركب سيارة، أو ركب طيارة، أو ركب بعيراً، أو ركب حماراً، أو ركب حصاناً، أو ركب سفينة، كل ذلك يأتي بهذه الصيغة: ((سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)) يعني: ثناء على الله عز وجل، وتقديس له لأنه الذي سخر للناس هذا المركوب الذي يركبونه. أما الدواب والبهائم فقد ذللها الله فصارت مسخرة، ولو عتت لما استفاد الناس منها مع كبر حجمها وقوتها. قال تعالى: ((سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)) يعني: ما كنا له مطيقين لولا تسخير الله عز وجل وتسهيله وتيسيره، ولو نفرت أو صالت لما استفاد الناس منها، بل يتضررون منها، ولكن بتسخير الله عز وجل وتسهيله وتيسيره حصلت الاستفادة منها على الوجه الأكمل، وكان الناس يقطعون بها الفيافي، ويبلغون فيها أماكن لا يبلغونها إلا بشق الأنفس. قوله: [(اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى)]. البر والتقوى: كلمتان إذا جمع بينهما في الذكر فرق بينهما في المعنى، وإذا انفردت إحداهما عن الأخرى شملت المعنى الذي تفرق عند الاجتماع، فالبر عند إطلاقه يشمل كل الأوامر والنواهي، والتقوى إذا انفردت تشمل كل الأوامر والنواهي،

ولكن إذا جمع بينهما فسر البر بامتثال الأوامر، وفسرت التقوى باجتناب النواهي، فهما من جنس الفقير والمسكين، والإسلام والإيمان، فهذه ألفاظ إذا جمع بينها في الذكر وزع المعنى عليها، وإذا فرق بينها في الذكر بأن جاء أحدها ليس معه الآخر فإنه يستوعب المعاني التي وزعت عند الاجتماع. قوله: [(اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى)]. يعني: وفقنا فيه للأعمال الصالحة التي ترضاها لنا وتقبلها منا. قوله: [(اللهم هون علينا سفرنا هذا)]. يعني: اجعله هيناً سهلاً لا يصيبنا فيه نصب ولا تعب، ولا مشقة. قوله: [(اللهم اطو لنا البعد)]. يعني: المسافة الطويلة اجعلنا نقطعها بسهولة ويسر، بدون أن نشعر بعناء ومشقة. وقد مر بنا الحديث: (عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى)، معناه أن السير في الليل فيه نشاط وقوة، ولا يوجد عناء ومشقة مثلما يكون في النهار من الحر وشدة الشمس، فيكون هناك نشاط، فيقطع الناس المسافة وهم مرتاحون لم يشعروا بنصب ومشقة، أما إذا كانوا في مشقة فإنهم يجدون أنهم يمشون والأرض أمامهم طويلة ما حصل لهم ارتياح في السير. قوله: [(اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال)]. هذا مر ذكره في الحديث السابق. قوله: [(وإذا رجع قالهن، وزاد فيهن:)]. أي: أن المكان الذي انتهى إليه وقصده انتهى شغله فيه وأراد أن يرجع إلى أهله، فإنه يقول هذا الدعاء، ويزيد: (آيبون) من الإياب والرجوع (تائبون عابدون لربنا حامدون) وهذا في حال الرجوع والانصراف من السفر، فيأتي بالدعاء المتقدم الذي يكون عند ابتداء السفر، ويضيف إليه هذا الذكر الذي هو (آيبون.. إلى آخره). قوله: [(وكان النبي صلى الله عليه وسلم وجيوشه إذا علوا الثنايا كبروا)]. يعني: عند الصعود يكبرون، وعند النزول يسبحون تعظيماً لله عز وجل، والثناء عليه بالمحامد التي هو أهل لها، والتسبيح: هو تنزيه وتقديس لله عز وجل عن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى. (فوضعت الصلاة على ذلك) يعني: فيها تكبير وتسبيح. والتكبير في العلو، والتسبيح في الهبوط خاص بالسفر.

تراجم رجال إسناد حديث (أن رسول الله كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً...)

قوله: [حدثنا الحسن بن علي]. الحسن بن علي الحلواني ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا النسائي . [حدثنا عبد الرزاق]. عبد الرزاق بن همام الصنعاني اليماني ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا ابن جريج]. عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال: أخبرني أبو الزبير]. أبو الزبير مر ذكره. [أن علياً الأزدي أخبره]. علي بن علي الأزدي ، وهو صدوق ربما أخطأ، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [عن ابن عمر]. عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، الصحابي الجليل، أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ما جاء في الدعاء عند الوداع

شرح حديث (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في الدعاء عند الوداع. حدثنا مسدد حدثنا عبد الله بن داود عن عبد العزيز بن عمر عن إسماعيل بن جرير عن قزعة قال: قال لي ابن عمر رضي الله عنهما: (هلم أودعك كما ودعني رسول الله صلى الله عليه وسلم: أستودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك)]. أورد أبو داود هذه الترجمة، و هي: باب في الدعاء عند الوداع، أي توديع المسافر عندما يريد أن يسافر، فيودعه أهله أو يودعه أحد من الناس، فإنه يدعو بهذا الدعاء: (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك). قوله: (أستودع)، يعني: أن هذه وديعة عند الله، فيكون حافظاً له أو كالئاً له بحيث يكون محفوظاً فيها. قوله: (دينك) بدأ بالدين لأنه أهم شيء وهو الأساس، وكل خير وسعادة تحصل للإنسان إنما تكون بسبب الدين، وبدون الدين يكون لا خير فيه، وذكر الدين هنا قيل: للإشارة إلى أنه قد خسر أو حصل منه بسبب العناء والنصب تقصير في بعض الأعمال، أو تقصير في العبادات؛ فيكون ذلك فيه سؤال لأن يحفظ في دينه بألا يحصل منه تقصير، ولا يحصل منه إخلال في الشيء الذي هو واجب عليه بسبب سفره، والنصب والتعب الذي قد يحصل له بسببه. قوله: [(وأمانتك)]. يعني: كل ما هو مؤتمن عليه سواء كان لله أو للناس، سواء كان من حقوق الله عليه أو من حقوق الناس عليه أو الأمانات التي هي عنده للناس، فكل ذلك داخل تحت الأمانة. قوله: [(وخواتم عملك)] يعني: كونه يختم له بخير، وأن تكون أعماله مختومة بخير.

تراجم رجال إسناد حديث (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك)

قوله: [حدثنا مسدد]. مسدد مر ذكره. [حدثنا عبد الله بن داود]. عبد الله بن داود الخريبي ، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. [عن عبد العزيز بن عمر]. عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو صدوق يخطئ أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن إسماعيل بن جرير]. إسماعيل بن جرير وقيل: إنه يحيى بن إسماعيل بن جرير وقيل: إن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز اضطرب فيه، فأحياناً يرويه عن قزعة مباشرة وبدون واسطة، وأحياناً يرويه عن إسماعيل بن جرير ، وأحياناً يرويه عن يحيى بن إسماعيل بن جرير و يحيى بن إسماعيل بن جرير لين الحديث، يعني: فهو ضعيف دون المقبول، والمقبول يحتاج إلى متابعة فإذا توبع يتقوى، وأما هذا اللين فإنه ضعيف، ولكن الحديث له شواهد منها: حديث عبد الله بن يزيد الخطمي الذي بعده، وكذلك أحاديث أخرى تشهد له وتدل على ما دل عليه. ويحيى بن إسماعيل بن جرير لين الحديث، أخرج له النسائي في عمل اليوم والليلة. وإذا كان الراوي هو إسماعيل بن جرير فقد أخرج له أبو داود . [عن قزعة]. قزعة بن يحيى ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن عمر]. ابن عمر قد مر ذكره.

شرح حديث (كان النبي إذا أراد أن يستودع الجيش قال أستودع الله دينكم...) وتراجم رجال إسناده

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا الحسن بن علي حدثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن محمد بن كعب عن عبد الله الخطمي رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يستودع الجيش قال: أستودع الله دينكم، وأمانتكم، وخواتيم أعمالكم)]. أورد أبو داود حديث عبد الله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يودع الجيش قال: أستودع الله دينكم، وأمانتكم، وخواتيم

أعمالكم)، وهو شاهد للحديث الذي قبله الذي فيه ذلك الرجل لين الحديث. قوله: [حدثنا الحسن بن علي]. الحسن بن علي مر ذكره. [حدثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني]. يحيى بن إسحاق السيلحيني ، وهو صدوق، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [حدثنا حماد بن سلمة]. حماد بن سلمة ، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن أبي جعفر الخطمي]. وهو عمير بن يزيد ، صدوق، أخرج له أصحاب السنن. [عن محمد بن كعب]. محمد بن كعب القرظي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبد الله الخطمي]. عبد الله بن يزيد الخطمي ، وهو صحابي صغير، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

ما يقول الرجل إذا ركب

شرح حديث علي في الدعاء عند ركوب الدابة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب ما يقول الرجل إذا ركب. حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص حدثنا أبو إسحاق الهمداني عن علي بن ربيعة قال: (شهدت علياً رضي الله عنه وأتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: باسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ [الزخرف:١٣-١٤] ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقيل: يا أمير المؤمنين! من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت ثم ضحك، فقلت: يا رسول الله! من أي شيء ضحكت؟ قال: إن ربك يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري)]. أورد أبو داود هذه الترجمة، وهي: باب ما يقول الرجل إذا ركب، أي: إذا ركب الدابة أو ركب المركوب، فإنه يسمي الله. وقد أورد أبو داود حديث علي رضي الله عنه (أنه أتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب)، يعني: في الركاب الذي يوضع على البعير؛ لأن الذي يوضع على البعير يقال له: ركاب، والذي يوضع على الفرس يقال له: سرج. فلما وضع رجله في الركاب قال: (باسم الله) فهذا أول شيء قاله، ثم قال: الحمد لله، ثم قال ((سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ)) ثم حمد الله ثلاثاً، ثم كبر الله ثلاثاً ثم قال: (سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك فقيل له: لم ضحكت؟ قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت، ثم ضحك. يعني: في هذا الذكر وهذا الدعاء. ثم قال: (إن ربك يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري). وهذا الدعاء مطلق يقال في الحضر والسفر. قوله: [(إن ربك يعجب)]. هذا فيه صفة العجب، والله تعالى من صفاته أنه يعجب، وقد جاء ذلك في القرآن في إحدى القراءات: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ [الصافات:١٢] فإن في إحدى القراءات المتواترة (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ).

تراجم رجال إسناد حديث علي في الدعاء عند ركوب الدابة

قوله: [حدثنا مسدد حدثنا أبو الأحوص]. مسدد مر ذكره. وأبو الأحوص هو: سلام بن سليم الحنفي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا أبو إسحاق الهمداني عن علي بن ربيعة]. أبو إسحاق الهمداني مر ذكره. وعلي بن ربيعة ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن علي]. علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين الهادين المهديين، صاحب المناقب الجمة، والفضائل الكثيرة، رضي الله عنه وأرضاه، وحديثه عند أصحاب الكتب الستة.

ما يقول الرجل إذا نزل المنزل

شرح حديث (كان رسول الله إذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربي وربك الله...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل. حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا بقية قال: حدثني صفوان حدثني شريح بن عبيد عن الزبير بن الوليد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال: يا أرض! ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، ومن شر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد)]. أورد أبو داود هذه الترجمة، وهي باب ما يقول الرجل إذا نزل المنزل. يعني: إذا كان في سفر ونزل فإنه يقول: (يا أرض! ربي وربك الله). قوله: [(أعوذ بالله من شرك)]. يعني: شر الأرض وما فيها. قوله: [(وشر ما فيك وشر ما خلق فيك)]. يعني: ما جعل فيها من الشر، وما خلق فيها من الشرور. قوله: [(ومن شر ما يدب عليك)]. يعني: الحيوانات التي تدب عليها كالهوام والحيات والعقارب والسباع، وكل شيء يدب عليها فيه شر فإنه يستعيذ بالله منه. (وأعوذ بالله من أسد وأسود) الأسود المقصود به: الحية. قوله: [(ومن الحية والعقرب)]. هذا بالنسبة للحية تكرار، وذكر العقرب مع ذلك، لأن كل ذلك مما يدب، لكنه تفصيل بعد إجمال. قوله: [(ومن ساكن البلد)]. قيل: ما يكون فيها من إنس إذا وجدوا فيها، وإذا لم يكن فيها إنس فما يكون فيها من الجن الذين لا يراهم الناس، وهم يرون الناس، قال تعالى: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ [الأعراف:٢٧]. قوله: [(ومن والد وما ولد)]. قيل: إن المقصود به إبليس وجنوده، يعني: إبليس ونسله الذين هم الجن، كما قال الله عز وجل: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ [الكهف:٥٠]. وقيل: من كل والد وما ولد أي: كل والد وما ولد مطلقاً والاستعاذة من الشر الذي يحصل منه. والحديث ضعيف، فيه من هو متكلم فيه.

تراجم رجال إسناد حديث (كان رسول الله إذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربي وربك الله...)

قوله: [حدثنا عمرو بن عثمان]. عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، وهو صدوق، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [حدثنا بقية]. بقية بن الوليد ، وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب

السنن. [حدثني صفوان]. صفوان بن عمرو ، وهو ثقة، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و مسلم وأصحاب السنن. [حدثني شريح بن عبيد]. شريح بن عبيد ، وهو ثقة، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن الزبير بن الوليد]. الزبير بن الوليد ، وهو مقبول أخرج له أبو داود و النسائي . [عن عبد الله بن عمر]. عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه، وقد مر ذكره.

الأسئلة

حكم امرأة تابت من الرقص والفن ولديها مال

السؤال: امرأة من إحدى الدول العربية كانت تعمل في الفن والتمثيل والرقص، ثم تابت من هذه المعصية، فهل يجوز لها أن تقوم بإنشاء محلات مطاعم وغيرها بهذه النقود التي اكتسبتها قبل أن تتوب، أم لا بد أن تتخلص من تلك النقود؟ الجواب: الذي يظهر أنها تتخلص من هذه النقود في إنفاقها في أمور ممتهنة؛ لأنه مال حرام يتخلص منه في طرق ممتهنة."

". (١)

"الحياة الطيبة للدعاة: فيعيشون عيشة طيبة، فلهم الأمن والأمان في هذا المجال، فيكونون مطمئني النفس والبال، مرتاحي الضمير والخاطر، ليسوا قلقين من الحياة ولا مكتئبين منها، ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل:٩٧]. وطلب العلم والدعوة إلى الله من أجل الأعمال.

إبراء الذمة عن الأمة بمسؤولية التبليغ امتثالًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»(١).

وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٤].

القيام بمسؤولية طلب العلم على الأمة ونشرها للناس، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سورة التوبة :١٢٢].

ازدياد إيمان العبد: وهو من أهم الثمرات؛ إن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأن الدعوة إلى الله من أعلى مراتب الطاعات، بل هو لب الطاعات.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٦١).." (٢)

---

(١) شرح سنن أبي داود – عبدالمحسن العباد، ص/٢

(٢) مثل ما بعثني الله، ص/١٤٢

"لم يضره شيء (والخليفة في الأهل) ، الخليفة من ينوب عن المستخلف ، فيما يستخلفه فيه يعني الذي يقوم مقام أحد في إصلاح أمره ، والمعنى أنت الذي أرجوه وأعتمد عليه في غيبتي عن أهلي ، أن يلم شعثهم ويثقف أودهم ويداوي سقمهم ويحفظ عليهم دينهم وأمانتهم ، (اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر) ، بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة وبالمد ، أي شدته ومشقته وتعبه وأصله من الوعث وهو الرمل والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق ويقال رمل أوعث ورملة وعثاء أي لما يشتد فيه السير للينه ثم قيل للشدة والمشقة وعثاء على التمثيل . وقال التوربشتي : وعثاء السفر مشقته أخذ من الوعث وهو مكان السهل الكثير الدهس الذي يتعب الماشي فيه ويشق عليه (وكآبة المنظر) ، قال الجزري : المنظر هو ما ينظر إليه من أهله وماله وحاله ، والكآبة بفتح الكاف وبالمد وهي تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن يقال كئب كآبة واكتئب فهو مكتئب وكئيب – انتهى . وقال الشوكاني : الكآبة بالمد التغير والانكسار من مشقة السفر وما يحصل على المسافر من الاهتمام بأموره – انتهى . والمنظر بفتح الظاء المعجمة مصدر ميمي أي من تغير الوجه بنحو مرض والنفس بالانكسار مما يعرض لها فيما يحبه مما يورث الهم والحزن وقيل : المراد منه الاستعاذة من كل منظر يعقب الكآبة عند النظر إليه (سوء المنقلب) بفتح اللام مصدر ميمي أي سوء الرجوع (في المال والأهل) أي من سوء الانقلاب إلى أهله وماله وذلك بأن يرجع منقوصا مهموما بما يسوءه وقيل أي من أن يعود إلى وطنه فيرى في أهله وماله ما يسوءه مثل أن يصيب ماله آفة أو يجد أهله مرضى أو فقد بعضهم ، وقيل أي من أن يطمع ظالم أو فاجر في المال والأهل (وإذا رجع) ، أي النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ من سفره إلى أهله (قالهن) ، أي الكلمات أو الجمل." (١)

"أنت عندما تطلب العلم يجب أن تصبر على جفوة شيخك؛ لأنك أنت ربما تأتيه وهو مكدر الخاطر. ذات مرة أتى إلي شخص وقال لي: انظر! أنا تركت مجلسك وصار لي سنتان، أظن أنه من حقي أن تعطيني من صبرك ومن وقتك. قلت له: أنت تركتني منذ سنتين لكن غيرك لم يتركني، يعني أنا مشغول بصفة مستمرة، وأنت ممن انقطع. فقد يكون الإنسان مكدر الخاطر، بالذات إذا كان رجلاً يحمل هم الدعوة، ونشر الدين، ومشاكل الناس؛ لأن مشاكل الناس تترك نكتة سوداء على القلب. يعني تخيل مثلاً لما يأتيك أن شخصاً زنى بابنته! رجل متهتك، سافل، وآخر تزوج عشر نساء، هذا الذي زنى بابنته هرب واختفى، لا يعرفون أين هو، فكبرت البنت والتزمت، وتقدم لها خطاب كثيرون وكانت ترفض، وبعد رفضها لكل خاطب تنطلق في نوبة من البكاء، وكان أخوها أيضاً ملتزم وهو لا يعلم بما حصل، فسألها، لماذا ترفضين كل من يتقدم لخطبتك فلم تفصح عن السبب، وبعد حوالي سنة من هذه المسألة صارحت أخاها بما حصل لها وقالت: ماذا يقال عني لو أني قبلت أن أتزوج بهذا الإنسان؟ فيأتي هذا الأخ ويسأل: هل يجوز ترقيع غشاء البكارة؛ لكي ننقذ هذه البنت، ولا يساء الظن بها؟ فقيل له: لا، لا يجوز؛ لأنه إن صح أنك تريد أن تستر بنتاً، لكنك خدعت رجلاً يريد بكراً، وهما متقاسمان في الحقوق، لا يجوز لك لكي تنقذها أنك تأخذ حق الرجل المتقدم. فأنت كداعية وعالم لما تعرض عليك مثل هذه المسائل يحصل عندك نوع من الاكتئاب، فعندما تكون مكتئباً ويرد عليك عشرات أمثال هذا، وهذا أكل حق هذا، وهذا كذا، مع مخططات أعدائنا الخارجية، كل هذا يجعل الإنسان مكتئباً أو شبه مكتئب، فأنت لما تأتي للشيخ وهو مكتئب، وأنت

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح، ٣٦٤/٨

تظن أنه متفرغ لك؛ فصدك أو ردك، كان من الواجب عليك أن تعذره. قبل أن أغادر هذه المسألة، أيضاً نذكر الفتوى في مسألة البنت هذه، فكان الجواب وقتها أني قلت: ممكن أن تكذب في طريقة إزالته، كأن تقول مثلاً: قفزت من على جدار، وهي تعمل." (١)

" الله تعالى فإنه المميت فالمعنى ياناصر أمت العدو وفي شرح السنة يامنصور أمت فالمخاطب كل واحد من المقاتلين ذكره القارىء

قال المنذري وأخرجه النسائي

[٢٥٩٧] (عن المهلب بن أبي صفرة) بضم المهملة وسكون الفاء (إن بيتم) بصيغة المجهول أي إن بيتكم العدو أي قصدوكم بالقتل ليلا واختلطتم معه

قال بن الأثير تبييت العدو هو أن يقصد في الليل من غير أن يعلم فيؤخذ بغتة وهو البيات انتهى (حم لا ينصرون) قال الخطابي معناه الخبر ولو كان بمعنى الدعاء لكان مجزوما أي لا ينصروا وإنما هو إخبار كأنه قال والله إنهم لا ينصرون

وقد روى عن بن عباس أنه قال حم اسم من اسماء الله فكأنه حلف بالله أنهم لا ينصرون

وقال في النهاية معناه اللهم لا ينصرون ويريد به الخير لا الدعاء

وقيل إن السور التي أولها حم سور لها شأن فنبه أن ذكرها لشرف منزلتها مما يستظهر بها على استنزال النصر من الله

وقوله لا ينصرون كلام كأنه حين قال قولوا حم قيل ماذا يكون إذا قلناها فقال لا ينصرون

كذا في مرقاة الصعود

قال المنذري وأخرجه الترمذي والنسائي وذكر الترمذي أنه روى عن المهلب عن النبي صلى الله عليه و سلم مرسلا

- ٦٠

([٢٥٩٨] باب ما يقول الرجل إذا سافر)

(اللهم أنت الصاحب في السفر) أي الحافظ والمعين (والخليفة في الأهل) الخليفة من يقوم مقام أحد في إصلاح أمره (من وعثاء السفر) بفتح الواو وسكون العين المهملة أي مشقته وشدته (وكآبة) هي تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن يقال كئب كآبة **واكتئاب** فهو كئيب **ومكتئب** كذا في النهاية (المنقلب) مصدر ميمي ." (٢)

"قوله : (قال ابن عباس : ثم لم تكن فتنتهم معذرتهم)

وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عنه ، وقال معمر عن قتادة فتنتهم مقالتهم ، قال وسمعت من يقول " معذرتهم " أخرجه عبد الرزاق ، وأخرج عبد بن حميد عن يونس عن شيبان عن قتادة في قوله : (ثم لم تكن فتنتهم) قال معذرتهم .

---

(١) شرح كتاب العلم من صحيح البخاري للحويني، ص/٥٣

(٢) عون المعبود، ٧/١٨٥

قوله : (معروشات ما يعرش من الكرم وغير ذلك)

كذا ثبت لغير أبي ذر ، وقد وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله : (وهو الذي أنشأ جنات معروشات) قال ما يعرش من الكروم (وغير معروشات) ما لا يعرش ، وقيل المعروش ما يقوم على ساق ، وغير المعروش ما يبسط على وجه الأرض .

قوله : (حمولة ما يحمل عليها)

وصله ابن أبي حاتم أيضا من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : (حمولة وفرشا) فأما الحمولة فالإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه ، وقال أبو عبيدة الفرش صغار الإبل التي لم تدر ولم يحمل عليها . وقال معمر عن قتادة عن الحسن : الحمولة ما حمل عليه منها ، والفرش حواشيها يعني صغارها . قال قتادة : وكان غير الحسن يقول : الحمولة الإبل والبقر والفرش الغنم ، أحسبه ذكره عن عكرمة أخرجه عبد الرزاق ، وعن ابن مسعود : الحمولة ما حمل من الإبل ، والفرش الصغار أخرجه الطبري وصححه الحاكم .

قوله : (وللبسنا لشبهنا)

وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يقول لشبهنا عليهم .

قوله : (لأنذركم به أهل مكة)

هكذا رأيته في " مستخرج أبي نعيم " في هذا الموضع ، وكذا ثبت عند النسفي ، وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن بن عباس في قوله تعالى (وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به) يعني أهل مكة ، وقوله : (ومن بلغ) قال ومن بلغه هذا القرآن من الناس فهو له نذير .

قوله : (وينأون يتباعدون)

وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله (وهم ينهون عنه وينأون عنه) قال يتباعدون ، وكذا قال أبو عبيد (ينأون عنه) أي يتباعدون عنه ، وكذا قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ، وأخرجه من وجه آخر عن ابن عباس : نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتباعد عما جاء به . وصححه الحاكم من هذا الوجه .

قوله : (تبسل تفضح)

وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : (وذكر به أن تبسل نفس) يعني أن تفضح . وروى عبد بن حميد من طريق مجاهد (أن تبسل) أي تسلم ، ومن طريق قتادة تحبس .

قوله : (أبسلوا أفضحوا)

كذا فيه من الرباعي وهي لغة ، يقال فضح وأفضح ، وروى ابن أبي حاتم أيضا من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) يعني فضحوا ، وقد مضى كما ترى لهذه الكلمة تفسير آخر عن غير ابن عباس ، وأنكر الإسماعيلي هذا التفسير الأول فكأنه لم يعرف أنه عن ابن عباس .

قوله : (باسطو أيديهم ، البسط الضرب)

وصله ابن أبي حاتم أيضا من هذا الوجه عن ابن عباس في قوله (والملائكة باسطو أيديهم) قال : هذا عند الموت ، والبسط الضرب . صلى الله عليه وسلم (استكثرتم أضللتم كثيرا) وصله ابن أبي حاتم أيضا كذلك .

قوله : (مما ذرأ من الحرث جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيبا ، وللشيطان والأوثان نصيبا)

وصله ابن أبي حاتم أيضا عن ابن عباس في قوله : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الآية قال : جعلوا لله فذكر مثله وزاد " فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله من نصيب الشيطان تركوه ، وإن سقط مما جعلوا للشيطان في نصيب الله لقطوه " وروي عن عبد بن حميد من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : كانوا يسمون لله جزءا من الحرث ولشركائهم جزءا ، فما ذهبت به الريح مما سموا لله إلى جزء أوثانهم تركوه وقالوا : الله غني عن هذا ، وما ذهبت به الريح من جزء أوثانهم إلى جزء الله أخذوه . والأنعام التي سمى الله هي البحيرة والسائبة كما تقدم تفسيرها في المائدة ، وقد تقدم في أخبار الجاهلية قول ابن عباس : إن سرك أن تعلم جهل العرب فأشار إلى هذه الآية .

قوله : (أكنة واحدها كنان)

ثبت هذا لأبي ذر عن المستملي ، وهو قول أبي عبيدة ، قال في قوله تعالى (أكنة أن يفقهوه) واحدها كنان أي أغطية ، ومثله أعنة وعنان وأسنة وسنان .

قوله : (سرمدا دائما)

كذا وقع هنا ، وليس هذا في الأنعام وإنما هو في سورة القصص ، قال أبو عبيدة في قوله تعالى (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة) سرمدا أي دائما ، قال : وكل شيء لا ينقطع فهو سرمد . وقال الكرماني كأنه ذكره هنا لمناسبة قوله تعالى في هذه السورة (وجاعل الليل سكنا) .

قوله : (وقرا صمم)

قال أبو عبيدة في قوله تعالى (وفي آذانهم وقرا) أي الثقل والصمم وإن كانوا يسمعون ، لكنهم صم عن الحق والهدى . وقال معمر عن قتادة في قوله : (على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) قال : يسمعون بآذانهم ولا يعون منها شيئا كمثل البهيمة تسمع القول ولا تدري ما يقال لها ، وقرأ الجمهور بفتح الواو ، وقرأ طلحة بن مصرف بكسرها .

قوله : (وأما الوقر)

أي بكسر الواو

(فإنه الحمل)

هو قول أبي عبيدة قاله متصلا بكلامه الذي قبله فقال : الوقر الحمل إذا كسرته . وأفاد الراغب الوقر حمل الحمار ، والوسق حمل الجمل ، والمعنى على قراءة الكسر أن في آذانهم شيئا يسدها عن استماع القول ثقيلا كوقر البعير .

قوله : (أساطير واحدها أسطورة وإسطارة وهي الترهات)

هو كلام أبي عبيدة أيضا ، قال في قوله (إلا أساطير الأولين) واحدها أسطورة وإسطارة ومجازها الترهات انتهى . والترهات بضم أوله وتشديد الراء أصلها بنيات الطريق ، وقيل إن تاءها منقلبة من واو وأصلها الوره وهو الحمق .

قوله : (البأساء من البأس ويكون من البؤس)

هو معنى كلام أبي عبيدة ، قال في قوله تعالى (فأخذناهم بالبأساء) هي البأس من الخير والشر ، والبؤس انتهى . والبأس الشدة والبؤس الفقر ، وقيل البأس القتل والبؤس الضر .

قوله : (جهرة معاينة)

قال أبو عبيدة في قوله : (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة) أي فجأة وهم لا يشعرون ، أو جهرة أي علانية وهم ينظرون .

قوله : (الصور جماعة صورة كقولك سورة وسور)

بالصاد أولا وبالسين ثانيا كذا للجميع إلا في رواية أبي أحمد الجرجاني ففيها كقوله " صورة وصور " بالصاد في الموضعين ، والاختلاف في سكون الواو وفتحها ، قال أبو عبيدة في قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور) يقال إنها جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيا ، بمنزلة قولهم سور المدينة واحدها سورة ، قال النابغة : ألم تر أن الله أعطاك سورة يرى كل ملك دونها يتذبذب انتهى .

والثابت في الحديث أن الصور قرن ينفخ فيه ، وهو واحد لا اسم جمع ، وحكى الفراء الوجهين وقال في الأول : فعلى هذا فالمراد النفخ في الموتى ، وذكر الجوهري في الصحاح أن الحسن قرأها بفتح الواو ، وسبق النحاس فقال : ليست بقراءة ، وأثبتها أبو البقاء العكبري قراءة في كتابه " إعراب الشواذ " وسيأتي البحث في ذلك في كتاب الرقاق إن شاء الله تعالى .

قوله : (يقال على الله حسبانه)

أي حسابه ، تقدم هذا في بدء الخلق ، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله تعالى (والشمس والقمر حسبانا) قال : يدوران في حساب . وعن الأخفش قال : حسبان جمع حساب مثل شهبان جمع شهاب .

قوله : (تعالى علا)

وقع في " مستخرج أبي نعيم " تعالى الله علا الله ، وهو في رواية النسفي أيضا .

قوله : (حسبانا مرامي ورجوما للشياطين)

تقدم الكلام عليه في بدء الخلق .

قوله : (جن أظلم)

قال أبو عبيدة في قوله تعالى (فلما جن عليه الليل) أي غطى عليه وأظلم ، وما جنك من شيء فهو جنان لك أي غطاء .

قوله : (مستقر في الصلب ومستودع في الرحم)

هكذا وقع هنا ، وقد قال معمر عن قتادة في قوله (فمستقر ومستودع) قال مستقر في الرحم ومستودع في الصلب ، أخرجه عبد الرزاق . و أخرج سعيد ابن منصور من حديث ابن عباس مثله بإسناد صحيح وصححه الحاكم ، وقال أبو عبيدة : مستقر في صلب الأب ومستودع في رحم الأم ، وكذا أخرج عبد بن حميد من حديث محمد بن الحنفية ، وهذا موافق لما عند المصنف مخالف لما تقدم ، وأخرج عبد الرزاق عن ابن مسعود قال : مستقرها في الدنيا ومستودعها في الآخرة

، وللطبراني من حديثه : المستقر الرحم والمستودع الأرض .
(تنبيه) :
قرأ أبو عمرو وابن كثير (فمستقر) بكسر القاف والباقون بفتحها ، وقرأ الجميع (مستودع) بفتح الدال إلا رواية عن أبي عمرو فبكسرها .
قوله : (القنو العذق ، والاثنان قنوان ، والجماعة أيضا مثل صنو وصنوان)
كذا وقع لأبي ذر تكرير صنوان الأولى مجرورة النون والثانية مرفوعة ، وسقطت الثانية لغير أبي ذر . ويوضح المراد كلام أبي عبيدة الذي هو منقول منه ، قال أبو عبيدة في قوله تعالى (ومن النخل من طلعها قنوان) قال : القنو هو العذق بكسر العين يعني العنقود ، والاثنان قنوان ، والجمع قنوان كلفظ الاثنين ، إلا أن الاثنين مجرورة ونون الجمع يدخله الرفع والنصب والجر ، ولم نجد مثله غير صنو وصنوان والجمع صنوان . وحاصله أن من وقف على قنوان وصنوان وقع الاشتراك اللفظي في إرادة التثنية والجمع ، فإذا وصل ظهر الفرق ، فيقع الإعراب على النون في الجمع دون التثنية فإنها مكسورة النون خاصة ، ويقع الفرق أيضا بانقلاب الألف في التثنية حال الجر والنصب بخلافها في الجمع ، وكذا بحذف نون التثنية في الإضافة بخلاف الجمع .
(تنبيه) :
قرأ الجمهور (قنوان) بكسر القاف ، وقرأ الأعمش والأعرج - وهي رواية عن أبي عمرو - بضمها وهي لغة قيس ، وعن أبي عمرو رواية أيضا بفتح القاف ، وخرجها ابن جني على أنها اسم لقنو لا جمع ، وفي الشواذ قراءة أخرى .
قوله : (ملكوت وملك رهبوت رحموت ، وتقول ترهب خير من أن ترحم)
كذا لأبي ذر ، وفيه تشويش ، ولغيره ملكوت ملك ، مثل رهبوت خير من رحموت ، وتقول ترهب خير من أن ترحم ، وهذا هو الصواب . فسر معنى ملكوت بملك وأشار إلى أن وزنه رهبوت ورحموت ، ويوضحه كلام أبي عبيدة فإنه قال في قوله تعالى (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض) أي ملك السماوات ، خرج مخرج قوله في المثل رهبوت خير من رحموت ، أي رهبة خير من رحمة ، انتهى . وقرأ الجمهور ملكوت بفتح اللام ، وقرأ أبو السماك بسكونها ، وروي عن عبد بن حميد والطبري عن عكرمة قال (ملكوت السماوات والأرض) ملك السموات والأرض وهي بالنبطية " ملكوثا " أي بسكون اللام والمثلثة وزيادة ألف ، وعلى هذا فيحتمل أن تكون الكلمة معربة والأولى ما تقدم وأنها مشتقة من ملك ورد مثله في رهبوت وجبروت .
قوله : (وإن تعدل تقسط لا يقبل منها في ذلك اليوم)
وقع هذا في رواية أبي ذر وحده ، وقد حكاه الطبري واستنكره ، وفسر أبو عبيدة العدل بالتوبة قال : لأن التوبة إنما تنفع في حال الحياة ، والمشهور ما روى معمر عن قتادة في قوله تعالى (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) أي لو جاءت بملء الأرض ذهبا لم يقبل ، فجعله من العدل بمعنى المثل وهو ظاهر أخرجه عبد الرزاق وغيره .
قوله : (أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، يعني هل تشمل إلا على ذكر أو أنثى ، فلم تحرمون بعضا وتحلون بعضا)
كذا وقع لأبي ذر هنا ، ولغيره في أوائل التفاسير وهو أصوب ، وهو إردافه على تفاسير ابن عباس ، فقد وصله ابن أبي

حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مثله ، ووقع عند كثير من الرواة " فلم تحرموا ولم تحللوا " بغير نون فيهما ، وحذف النون بغير ناصب ولا جازم لغة . وقال الفراء قوله : (قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) يقول أجاءكم التحريم فيما حرمتم من السائبة والبحيرة والوصيلة والحام من قبل الذكرين أم من الأنثيين ؟ فإن قالوا من قبل الذكر لزم تحريم كل ذكر أو من قبل الأنثى فكذلك ، وإن قالوا من قبل ما اشتمل عليه الرحم لزم تحريم الجميع لأن الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى ، وقد تقدم في أخبار الجاهلية قول ابن عباس : إن سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ الثلاثين ومائة من سورة الأنعام ، يعني الآيات المذكورة .

قوله : (مسفوحا مهراقا)

وقع هذا للكشميهني ، وهو تفسير أبي عبيدة في قوله تعالى (أو دما مسفوحا) أي مهراقا مصبوبا ، ومنه قوله سفح الدمع أي سال .

قوله : (صدف أعرض)

قال أبو عبيدة في قوله تعالى (ثم هم يصدفون) أي يعرضون ، يقال صدف عني بوجهه أي أعرض ، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله : (يصدفون) أي يعرضون عنها .

قوله : (أبلسوا أويسوا)

كذا للكشميهني ، ولغيره أيسوا بغير واو ، قال أبو عبيدة في قوله تعالى (فإذا هم مبلسون) المبلس الحزين النادم ، قال رؤبة بن العجاج " وفي الوجوه صفرة وإبلاس " أي اكتئاب وحزن ، وقال الفراء : قوله : (فإذا هم مبلسون) المبلس البائس المنقطع رجاؤه ، وكذلك يقال الذي يسكت عند انقطاع حجته فلا يجيب : قد أبلس ، قال العجاج : يا صاح هل تعرف رسما دارسا قال نعم أعرفه وأبلسا وتفسير المبلس بالحزين بالبائس متقارب .

قوله : (أبسلوا أسلموا)

قال أبو عبيدة في قوله تعالى (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) أي أسلموا ،

وقوله في الآية الأخرى (أن تبسل نفس) أي ترتهن وتسلم ، قال عوف ابن الأحوص " وإبسالي بني بغير جرم " وروى معمر عن قتادة في قوله : (أن تبسل نفس) قال تحبس ، قال قتادة وقال الحسن : أي تسلم أي إلى الهلاك ، أخرجه عبد الرزاق ، وقد تقدم لهذه الكلمة تفسير آخر ، والمعنى متقارب .

قوله : (استهوته أضلته)

هو تفسير قتادة أخرجه عبد الرزاق ، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى (كالذي استهوته الشياطين) : هو الذي تشبه له الشياطين فيتبعها حتى يهوي في الأرض فيضل .

قوله : (تمترون تشكون)

قال أبو عبيدة في قوله تعالى (ثم أنتم تمترون) أي تشكون . وكذا أخرجه الطبري من طريق أسباط عن السدي .

قوله : (يقال على الله حسبانه)

أي حسابه ، كذا لأبي ذر ، أعاده هنا وقد تقدم قبل .." (١)

"أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر القاضي قالا ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق الصغاني ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الرزاق أنبأ معمر قال سمعت ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال * افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج بن علاط يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلا وإني أريد أن آتيهم فأنا في حل إن أنا نلت منك شيئا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما شاء قال فأتى امرأته حين قدم فقال اجمعي لي ما كان عندك فإني أريد أن اشتري من غنائم محمد وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم قال وفشا ذلك بمكة فانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحا وسرورا وبلغ الخبر العباس بن عبد المطلب فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم قال معمر فأخبرني عثمان الجزري عن مقسم قال فأخذ العباس ابنا له يقال له قثم واستلقى فوضعه على صدره وهو يقول حبي قثم شبيه ذي الأنف الأشم نبي ذي النعم يزعم من زعم قال معمر قال ثابت قال أنس في حديثه ثم أرسل العباس بن عبد المطلب غلاما له إلى الحجاج بن علاط ويلك ماذا جئت به وماذا تقول فما وعد الله خير مما جئت به قال فقال الحجاج بن علاط لغلامه اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه فإن الخبر على ما يسره فجاء غلامه فلما بلغ باب الدار قال أبشر يا أبا الفضل قال فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه وأخبره بما قال الحجاج فأعتقه ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر وغنم أموالهم وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي واتخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته ولكني جئت لمال كان لي ههنا أردت أن اجمعه فأذهب به فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي أن أقول ما شئت فأخف عني ثلاثا ثم اذكر ما بدا لك قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي أو متاع فدفعته إليه ثم استمر به فلما كان بعد ذلك بثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك فأخبرته أنه قد ذهب يوم كذا وكذا وقالت لا يحزنك يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك قال أجل فلا يحزنني الله لم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا فتح الله خيبر على رسوله صلى الله عليه وسلم وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه فإن كان لك في زوجك حاجة فالحقي به قالت أظنك والله صادقا قال فإني صادق والأمر على ما أخبرك قال ثم ذهب حتى أتى مجلس قريش وهم يقولون إذا مر بهم لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل قال لم يصبني إلا خير بحمد الله قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرت فيها سهام الله واصطفى لنفسه صفيه وقد سألني أن أخفي عليه ثلاثا وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء ههنا ثم يذهب قال فرد الله الكآبة التي كانت في المسلمين على المشركين قال وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئبا حتى أتوا العباس رضي الله عنه فأخبرهم وسر المسلمون ورد الله ما كان فيهم من غيظ وحزن \ ١٨٢٢٠\

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٣٥/١٣

البيهقي في سننه الكبرى ج٩/ص١٥١ ح١٨٢٣٥." (١)

"حدثنا عبد الله قال أخبرني محمد بن الحسين ثنا راشد أبو سعيد حدثني عاصم الخلقاني قال قال الربيع بن عبد الرحمن إن لله عبادا أخمصوا له البطون عن مطاعم الحرام وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام وأهملوا له العيون لما أختلط عليهم الكلام رجاء أن تبين ظلمة قبورهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها فهم في الدنيا مكتئبون وإلى الآخرة متطلعون بعدت أبصار قلوبهم بالغيب إلى الملكوت فرأت فيه ما راجت من عظيم الثواب فازدادوا والله بذلك جدا واجتهادا عند معاينة ما انطوت عليه آمالهم فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا وهم الذين تقر أعينهم غدا بطلعة ذلك الموت عليهم قال ثم يبكي حتى يبل لحيته

ابن أبي الدنيا في الهم والحزن ج١/ص٨٠ ح١١٨." (٢)

"إِذَا عُرِفَ أَنَّ النَّاسَ فِيهِمْ " أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ " فَيَجِبُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كَمَا فَرَّقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بَيْنَهُمَا، فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)(١)[

---

(١) – الأولياء : جمع ولي مأخوذ من الولي بمعنى القرب والدنو ، يقال : تباعد فلان من عبد ولي أى : بعد قرب.

والمراد بهم : أولئك المؤمنون الصادقون الذى صلحت أعمالهم ، وحسنت بالله – تعالى – صلتهم ، فصاروا يقولون ويفعلون كل ما يحبه ، ويجتنبون كل ما يكرهه .

قال الفخر الرازي : " ظهر فى علم الاشتقاق أن تركيب الواو واللام والياء يدل على معنى القرب ، فولى كل شيء هو الذى يكون قريبا منه .

والقرب من الله إنما يتم إذا كان القلب مستغرقاً فى نور معرفته ، فإن رأى رأى دلائل قدرته ، وإن سمع سمع آيات وحدانيته ، وإن نطق نطق بالثناء عليه ، وإن تحرك تحرك فى خدمته ، وإن اجتهد اجتهد فى طاعته ، فهنالك يكون فى غاية القرب من الله – تعالى – ويكون وليا له – سبحانه – .

وإذا كان كذلك كان الله – وليا له – أيضاً – كما قال : ﴿ الله وَلِيُّ الذين آمَنُواْ يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظلمات إِلَى النور ﴾ وقد افتتحت الآية الكريمة بأداة الاستفتاح ﴿ ألا ﴾ وبحرف التوكيد ﴿ إن ﴾ لتنبيه الناس إلى وجوب الاقتداء بهم ، حتى ينالوا ما ناله أولئك الأولياء الصالحون من سعادة دنيوية وأخروية .

وقوله : ﴿ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ تمييز لهم عن غيرهم ممن لم يبلغوا درجتهم .

والخوف : حالة نفسية تجعل الإنسان مضطرب المشاعر لتوقعه حصلو ما يكرهه .

---

(١) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١/١٧١٠٣

(٢) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١/٢١٤٦٢

والحزن اكتئاب نفسي يحدث للإنسان من أجل وقوع ما يكرهه .
أى : أن الخوف يكون من أجل مكروه يتوقع حصوله ، بينما الحزن يكون من أجل مكروه قد وقع فعلاً .
والمعنى : ألا إن أولياء الله الذين صدق إيمانهم ، وحسن عملهم ، لا خوف علهيم من أهوال الموقف وعذاب الآخرة ، ولا هم يحزنون على ما تركوا وراءهم من الدنيا ، لأن مقصدهم الأسمى رضا الله – سبحانه – فمتى فعلوا ما يؤدي إلى ذلك هان كل ما سواه .
وقوله : ﴿ الذين آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ استئناف مسوق لتوضيح حقيقتهم فكأن سائلا قال : ومن هم أولياء الله؟ فكان الجواب هم الذين توفر فيهم الإيمان الصادق ، والبعد التام عن كل ما نهى الله – تعالى – عنه .
وعبر عن إيمانهم بالفعل الماضي ، للإشارة إلى أنه إيمان ثابت راسخ . لا تزلزله الشكوك ، ولا تؤثر فيه الشبهات .
وعبر عن تقواهم بالفعل الدال على الحال والاستقبال للإيذان بأن اتقاءهم وابتعادهم عن كل ما يغضب الله من الأقوال والأفعال ، يتجدد ويستمر دون أن يصرفهم عن تقواهم وخوفهم منه – سبحانه – ترغيب وترهيب .
وقوله – سبحانه – ﴿ لَهُمُ البشرى فِى الحياة الدنيا وفِى الآخرة ﴾ زيادة تكريم وتشريف لهم .
والبشرى والبشارة : الخبر السار ، فهو أخص من الخبر ، وسمى بذلك لأن أثره يظهر على البشرة وهى ظاهر جلد الإنسان ، فيجعله متهلل الوجه ، منبسط الأسارير ، مبتهج النفس .
أى : لهم ما يسرهم ويسعدهم فى الدنيا من حياة آمنة طيبة ، ولهم – أيضاً – فى الآخرة ما يسرهم من فوز برضوان الله ، ومن دخول جنته .
قال الآلوسى ما ملخصه : " والثابت فى أكثر الروايات ، أن البشرى فى الحياة الدنيا ، هى الرؤيا الصالحة . . فقد أخرد الطيالسي وأحمد الدارمي والترمذي . . وغيرهم عن عبادة بن الصامت قال : سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن قوله – تعالى – ﴿ لَهُمُ البشرى فِى الحياة الدنيا ﴾ فقال : " هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له " .
وقيل المراد بالبشرى : البشرى العاجلة نحو النصر والغنيمة والثناء الحسن ، والذكر الجميل ، ومحبة الناس ، وغير ذلك .
ثم قال : وأنت تعلم أنه لا ينبغي العدول عما ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى تفسير ذلك إذا صح . وحيث عدل من عدل لعدم وقوفه على ذلك فيما أظن ، فالأولى أن تحمل البشرى فى الدارين على البشارة بما يحقق نفي الخوف والحزن كائناً ما كان . . . "
وقوله : ﴿ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله ﴾ أى : لا تغيير ولا خلف لأقوال الله – تعالى – ولا لما وعد به عباده الصالحين من وعود حسنة ، على رأسها هذه البشرى التي تسعدهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .
واسم الإشارة فى قوله – تعالى – ﴿ ذلك هُوَ الفوز العظيم ﴾ يعود إلى ما ذكر من البشرى فى الدارين .
أى : ذلك المذكور من أن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، هو الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه ، والذي لا يفوته نجاح أو فضل .الوسيط لسيد طنطاوي – (ج ١ / ص ٢١٣٢)." (١)

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص/٣١٠

"فضل الحسن بن علي راوي الحديث

راوي هذا الحديث هو: أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وأمه هي: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أضافه النبي صلى الله عليه وسلم إلى نفسه بالبنوة تشريفا وتكريما حينما صعد صلى الله عليه وسلم المنبر، فأخذه وحمله وقال: (إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين من المسلمين).

وصفه النووي بأنه ريحانة رسول الله، والريحانة نبت معروف، وهو الريحان، وهو من أنواع النباتات العطرية، ومادة: روح مثل ريحان والارتياح تعطي الارتباط من ارتياح النفس إلى الطيب، وقد كان الحسن و الحسين رضوان الله تعالى عليهما ريحانتي المصطفى، وهما سيدا شباب أهل الجنة، والريحانة استعملت هنا إما على سبيل الاستعارة، أو على سبيل الحقيقة، فالاستعارة لارتياح النبي صلى الله عليه وسلم عند رؤيتهما، والحقيقة حينما يأخذهما ويشمهما فإنه يجد منهما انطلاقا من العاطفة والرحمة- مثلما يجد من شم الريحانة بالفعل.

ونحن نشاهد هذا بين الطفل وأمه، وبين الأم وطفلها، تجد الأم لو كانت مكتئبة وولدها غائب عنها، فإذا أخذته -وخاصة إذا كان صغيرا- فإنها تقبله وتشم رائحته، وقد قال سبحانه في قصة يعقوب مع يوسف: ﴿ إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ﴾ [يوسف:٩٤]، إذا: فهو ريحانة رسول الله إما على الحقيقة فيجد منه الريح الطيبة ويرتاح إليه، وإما على سبيل الاستعارة، فكما ترتاح النفس إلى شم الريحان فكذلك ترتاح إلى رؤيتهما، ومهما يكن من شيء فيكفي في مناقبهما رضوان الله تعالى عنهما أنهما سيدا شباب أهل الجنة.

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لعل الله أن يصلح به بين الطائفتين)، وفعلا بعد أن توفي علي رضي الله تعالى عنه، بويع الحسن خليفة، ومكث في الخلافة ستة أشهر، قال علماء التاريخ: وهي تتمة الثلاثين عاما المذكورة في حديث: (الخلافة ثلاثون عاما، ثم يكون بعد ذلك الملك العضوض)، وهذا أمر تاريخي لا حاجة لنا في الخوض فيه، فبايعه أربعون ألفا من أهل العراق، وذهب ليلتقي مع معاوية ، فلما التقى الجيشان، رأى أنه إن كان غالبا أو مغلوبا فلابد من إراقة الدماء، ولابد من قتل الأنفس، ولابد من ضحايا من الجانبين، فرأى أن يترك الأمر لـ معاوية ، ولم ينازعه حقنا للدماء، وكتب شروطه وقبلت بكاملها، وحقق الله ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يصلح الله به بين طائفتين) وقالوا: إن يزيد بن معاوية بعد أن استتب الأمر لأبيه، أرسل إلى زوجة الحسن لتسمه، وكان من أمره ما كان، ونرجع إلى شرح الحديث، ولا ندخل في قضايا التاريخ.

ووصف النووي هنا الحسن بن علي بأنه سبط رسول الله، والسبط ولد البنت، قال: حفظت، وهو رضي الله تعالى عنه ولد في السنة الثالثة من الهجرة، ومعنى ذلك أنه أدرك من حياة رسول الله سبع سنوات، وفي هذه الحالة إذا روى حديثا فإنه يحتاج إلى التثبت وإلى التأكد؛ ولذا يقول: حفظت، ومن كان في سن السابعة يحفظ، ومن هنا قال: حفظت من رسول الله، وأحاديثه قليلة؛ لأنه -كما أشرنا- توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع سنوات، فمما حفظ قوله صلى الله عليه وسلم: (دع) بمعنى: اترك (ما يريبك إلى مالا يريبك) (ما) من صيغ العموم، وهي بمعنى: الذي، والريبة: الشك واللبس كما في قوله سبحانه: ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ [البقرة:٢] أي: لا شك ولا لبس فيه،

والشيء الذي فيه الريبة، والذي فيه الشك واللبس بخلاف ذلك، وقوله: (دع ما يريبك) أي: اترك الشكوك وما فيه الريبة في نفسك إلى ما لا ريبة ولا شك فيه، وعليك بما كان خالصا واضحا لا لبس فيه ولا شك فيه.

وهذا الأمر (دع) فعل أمر بمعنى اترك؛ لأن (دع) ليس لها ماض، ولها مضارع (يدع)، فدع فعل أمر أغفل ماضيه.." (١)

" واطوها من زاوي يزوي زيا وهون أمر من التهوين أي يسر من وعثاء السفر بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة بالمد أي شدته ومشقته وأصله من الوعث وهو الرمل والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق يقال رمل أوعث وعثاء وكآبة المنقلب الكآبة بفتح الكاف وبالمد وهي تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن يقال كئب كآبة واكتئب فهو مكتئب وكئيب المعنى أنه يرجع من سفره بأمر يحزنه إما إصابة في سفره وإما قدم عليه مثل أن يعود غير مقضي الحاجة أو أصابت ماله آفة أو يقدم على أهله فيجدهم مرضى أو قد فقد بعضهم كذا في النهاية

والمنقلب بفتح اللام المرجع

قوله (هذا حديث حسن غريب) وأخرجه أبو داود والنسائي والحاكم في مستدركه

[٣٤٣٩] قوله واخلفنا بضم اللام من باب نصر أي كن خليفتنا ومن الحور بعد الكور أي من النقصان بعد الزيادة وقيل من فساد الأمور بعد صلاحها وأصل الحور نقض العمامة بعد لفها وأصل الكور من تكوير العامة وهو لفها وجمعها ومن دعوة المظلوم أي أعوذ بك من الظلم فإنه يترتب عليه دعاء المظلوم ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ففيه التحذير من الظلم ومن التعرض لأسبابه

قال الطيبي فإن قلت دعوة المظلوم يحترز عنها سواء كانت في الحضر أو السفر قلت كذلك الحور بعد الكور لكن السفر مظنة البلايا والمصائب والمشقة فيه أكثر فخصت به انتهى

ويريد به أنه حينئذ مظنة للنقصان في الدين والدنيا وباعث على التعدي في حق الرفقة وغيرهم لا سيما في مضيق الماء كما هو مشاهد في سفر الحج فضلا عن غيره ومن سوء المنظر بفتح الظاء في الأهل والمال أي من أن يطمع ظالم أو فاجر في المال والأهل قاله القارىء وقال في المجمع سوء المنظر في الأهل والمال أن يصيبهما آفة بسوء النظر إليه

قوله (هذا حديث ." (٢)

"٣٧٨٥ - قوله (مالك مكتئبا)

من اكتأب الرجل بهمزة بعد التاء المثناة افتعال من كئب أي كئيبا حزينا وفي كثير من النسخ كئيبا

(إمرة)

بكسر الهمزة أي إمارته أي أما رضيت بخلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه

(روحا)

---

(١) شرح الأربعين النووية، ٣/٣٣

(٢) تحفة الأحوذي، ٩/٢٨١

أي رحمة ورضوانا وفي الزوائد اختلف على الشعبي فقيل عنه هكذا وقيل عنه عن أبي طلحة عن أبيه وقيل عنه عن يحيى عن أمه وسعدى عن طلحة وقيل عنه عن طلحة مرسلا .." (١)

"كنف : فيه ﴿ إنه توضأ فأدخل يده في الإناء فكنفها وضرب بالماء وجهه ﴾ أي جمعها وجعلها كالكنف، وهو الوعاء. ومنه حديث عمر ﴿ أنه أعطى عياضا كنف الراعي ﴾ أي وعاءه الذي يجعل فيه آلته. ومنه حديث ابن عمرو وزوجته ﴿ لم يفتش لنا كنفا ﴾ أي لم يدخل يده معها، كما يدخل الرجل يده مع زوجته في دواخل أمرها. وأكثر ما يروى بفتح الكاف والنون، من الكنف، وهو الجانب، تعني أنه لم يقربها. ومنه حديث عمر ﴿ أنه قال لابن مسعود: كنيف ملىء علما ﴾ هو تصغير تعظيم للكنف، كقول الحباب بن المنذر: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب. وفيه ﴿ يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه ﴾ أي يستره. وقيل: يرحمه ويلطف به. والكنف بالتحريك: الجانب والناحية. وهذا تمثيل لجعله تحت ظل رحمته يوم القيامة. ومنه حديث أبي وائل ﴿ نشر الله كنفه على المسلم يوم القيامة هكذا، وتعطف بيده وكمه ﴾ وجمع الكنف: أكناف. ومنه حديث جرير ﴿ قال له: أين منزلك؟ قال [له] (سقط من ا، واللسان) : بأكناف بيشة ﴾ أي نواحيها. وفي حديث الإفك ﴿ ما كشفت من كنف أنثى ﴾ يجوز أن يكون بالكسر من الأول؛ وبالفتح من الثاني. ومنه حديث علي ﴿ لا تكن للمسلمين كانفة ﴾ أي ساترة والهاء للمبالغة. وحديث الدعاء ﴿ مضوا على شاكلتهم مكانفين ﴾ أي يكنف بعضهم بعضا. وحديث يحي بن يعمر ﴿ فاكتنفته أنا وصاحبي ﴾ اي أحطنا به من جانبيه. ومنه الحديث ﴿ والناس كنفيه ﴾ وفي رواية ﴿ كنفتيه ﴾. وحديث عمر ﴿ فتكنفه الناس ﴾. وفي حديث أبي بكر حين استخلف عمر ﴿ أنه أشرف من كنيف فكلمهم ﴾ أي من ستره. وكل ما ستر من بناء أو حظيرة، فهو كنيف. ومنه حيث كعب بن مالك وابن الأكوع: تبيت بين الزرب (الزرب) والكنيف أي الموضع الذي يكنفها ويسترها. وفي حديث عائشة ﴿ شققن أكنف مروطهن فاختمرن به ﴾ أي أسترها وأصفقها. ويروى بالثاء المثلثة. وقد تقدم. وفي حديث أبي ذر ﴿ قال له رجل: ألا أكون لك صاحبا أكنف راعيك وأقتبس منك ﴾ أي أعينه وأكون إلى جانبه، أو أجعله في كنف. وكنفت الرجل، إذا قمت (في الأصل: ﴿ أقمت ﴾ والتصحيح من ا) بأمره وجعلته في كنفك. وفي حديث النخعي ﴿ لا يؤخذ في الصدقة كنوف ﴾ هي الشاة القاصية التي لا تمشي مع الغنم. ولعله أراد لإتعابها المصدق باعتزالها عن الغنم، فهي كالمشيعة المنهي عنها في الأضاحي. وقيل: ناقة كنوف: إذا أصابها البرد، فهي تستتر بالإبل

كنصت : بالصاد. يقال: كنص في وجه فلان إذا استهزأ به

كرزن : في حديث الخندق ﴿ فأخذ الكرزين فحفر ﴾ الكرزين: الفأس. ويقال له: كرزن أيضا بالفتح والكسر (في القاموس: كجعفر، وزبرج، وقنديل) ، والجمع: كرازين وكرازن. ومنه حديث أم سلمة ﴿ ما صدقت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت وقع الكرازين ﴾

كأب : فيه ﴿ أعوذ بك من كآبة المنقلب ﴾ الكآبة: تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن. يقال: كئب كآبة واكتاب، فهو كئيب ومكتئب. المعنى أنه (في ا: ﴿ والمعنى أن ﴾) يرجع من سفره بأمر يحزنه، إما أصابه في سفره وإما قدم

---

(١) حاشية السندي على ابن ماجه، ١٨٥/٧

عليه، مثل أن يعود غير مقضي الحاجة، أو أصابت ماله آفة، أو يقدم على أهله فيجدهم مرضى، أو قد فقد بعضهم

كأد : في حديث الدعاء ﴿ ولا يتكاءدك عفو عن مذنب ﴾ أي يصعب عليك ويشق. ومنه العقبة الكؤود: أي الشاقة. ومنه حديث أبي الدرداء ﴿ إن بين أيدينا عقبة كؤودا لا يجوزها إلا الرجل المخف ﴾. ومنه حديث علي ﴿ وتكأدنا (في الأصل: ﴿ ويكأدنا ﴾، وفي ا: ﴿ تكاءدنا ﴾ والمثبت من اللسان. قال صاحب القاموس: ﴿ وتكأدني الأمر: شق علي، كتكاءدني ﴾) ضيق المضجع ﴾. ومنه حديث عمر ﴿ ما تكأدني شيء ما تكأدتني خطبة النكاح ﴾ أي صعب علي وثقل وشق

كأس : قد تكرر ذكر ﴿ الكأس ﴾ في الحديث، وهو الإناء فيه شراب، ولا يقال لها كأس إلا إذا كان فيهما شراب. وقيل: هو اسم لهما على انفراد والاجتماع. والجمع أكؤس، ثم كؤوس. واللفظة مهموزة. وقد يترك الهمز تخفيفا

كأكأ : في حديث الحكم بن عتيبة ﴿ خرج ذات يوم وقد تكأكأ الناس على أخيه عمران فقال: سبحان الله لو حدث الشيطان لتكأكأ الناس عليه ﴾ أي عكفوا عليه مزدحمين." (١)

"إذا رآني قد أتيت قرطبا ... وجال في جحاشه وطرطبا

وأنشد أبو علي " ١ - ٦٥،٦٥ " لذي الرمّة:

ظلّت تفالي وظلّ الجون مصطخماً ... كأنّه بتناهي الرّوض محجوم

ع وبعده:

حتّى إذا حان من خضر قوادمه ... ذي جدتين يكفّ الطرف تغييم

خلّي لها سرب أولاها وهيّجها ... من خلفها لاحق الصقلين همهيم

يعني العير والأتن. ورواية أبي العباس:

وظلّ الجأب مكتئباً ... كأنه عن سرار الأرض محجوم

ظلّت تفالي يفلي بعضها بعضاً، والحمار مكتئب لأنها تضرحه من أجل أنها حوامل. وسرار الأرض أكرمها وأخلقها للنبات. يقول منعه إفراط العطش أن يأكل لأنه إنما يأكل اليبيس فصار بمنزلة المحجوم من الإبل وهو المكموم الفم. وخضر قوادمه: يعني الليل والأخضر الأسود عند العرب، قال سبحانه في صفة الجنّتين بشدّة الخضرة: " مدهامّتان " . وقوادمه: أوائله. والجدّة: طريقة ممتدّة مثل الطرّة. وجعل إلباس الليل الأرض بمنزلة الغيم. خلّي لها سرب أولاها: أي خلاّها تتبع أواخرها سوابقها لما أرادت من الورد. وهيّجها: حثّها لطلب الماء. وهمهيم: ذو هماهم يردّدها في صدره. والتناهي في رواية أبي علي جمع تنهية وهي مواضع تنهبط ويجتمع إليها ماء السيل.

وأنشد أبو علي " ١ - ٦٥،٦٥ " :

قوم إذا اشتجر القنا ... جعلوا القلوب لها مسالك

اللابسين قلوبهم ... فوق الدروع لدفع ذلك

---

(١) جامع غريب الحديث، ٢/٢٦٧

هذه إشارة إلى أنهم يقدّمون المدافعة بجنن الرأي والسياسة قبل المدافعة بجنن السلاح والبزّة لّما كان الحزم والتدبير وصحّة النظر في الأمور إنما تكون بالعقل والقلب هو الذي يعقل به كما قال الله سبحانه: " أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها " وقد بيّن هذا المعنى ابن نباتة بقوله:

لبسوا القلوب على الدروع حزامة ... منهم فليس تقلّم الأظفار

وقال أبو تمام:

من كل أروع ترتاح المنون له ... إذا تجرّد لا نكس ولا جحد

إذا رأوا للمنايا عارضاً لبسوا ... من اليقين دروعاً مالها زرد

فاليقين هنا بإزاء الحزامة في قول ابن نباتة والرأي هو المقدّم في الحروب كما قال أبو الطيّب:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أوّل وهي المحلّ الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس مرّة ... بلغت من العلياء كلّ مكان

وقول ابن نباتة:

فليس تقلّم الأظفار

يعني لا يفلّ لهم حدّ ولا تخضد لهم شوكة كما قال الذبياني:

وبنو فزارة لا محالة أنهم ... آتوك غير مقلّمي الأظفار

وقال معن بن أوس:

وذي رحم قلّمت أظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلم

وذكر أبو علي " ١ - ٦٦،٦٦ " خبر الأصمعي قال: بينا أنا بحمى ضريّة إذ وقف عليّ غلام من بني أسد إلى آخره.

ع قال بعض الرواة: ضريّة التي نسب إليها الحمى ضريّة بنت نزار بن معدّ بن عدنان. وقيل هي خندف زوج اليأس بن مضر وأم طابخة ومدركة وقمعة. وخندف: لقب. والخندفة مشية الذي يقلّب قدميه كأنه يعزف بهما ولتلقيبهما خبر، والصحيح أن اسم خندف ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وقوله حريقيص: الحرقوص دويّبة مجذّعة تشبّه بها أطراف السياط، يقال لمن يضرب أخذته الحراقيص وقيل الحرقوص شبيه بالبرغوث وربما نبت له جناحان فطار. وقال أبو عمر المطرّز وهي دويّبة تألف أرحام الأبكار. قال الراجز في ذلك:

ويلك يا حرقوص مهلاً مهلاً ... أإبلاً أعطتني أم نخلا

وقال آخر:

مالقي الأبكار من حرقوص ... من مارد لصّ من اللصوص

يدخل بين الغلق المرصوص ... من غير مهر غال أو رخيص

والحرقوص أيضاً: نواة البسرة الخضراء، والحرقوص أيضاً: طرف السوط، يقال للمضروب أخذته الحراقيص، وبكل ذلك يحتمل أن يسمّي الرجل. وقال محمد بن يزيد: كان اسم ذي الثديّة الذي أنذر به النبيّ صلى الله عليه وسلم وقتله عليّ رضي الله عنه حرقوصاً، وأنشد للرهين المراديّ الخارجيّ:

وأسأل الله بيع النفس محتسباً ... حتى ألاقي في الفردوس حرقوصا

وفي الخبر: أنشدك لمرّارنا، قد تقدّم ذكر المرّارين وهو الأسديّ منهم وهو الفقعسيّ وفي الشعر:." (١)

"أقول لنفسي في الخلاء ألومها ... لك الويل ما هذا التجلد والصبر!

ألا تفهمين الخبر أن لست لاقيا ... أخي إذ أتى من دون أوصاله القبر

وكنت إذا ينأى به بين ليلة ... يظل على الأحشاء من بينه الجمر

فهذا لبين قد علمنا إيابه ... فكيف لبين كان موعده الحشر؟

وهون وجدي أنني سوف أغتدى ... على إثره حقاً وإن نفس العمر

فلا يبعدنك الله إما تركتنا ... حميدا، وأودى بعدك المجد والفخر

فتى كان يعطى السيف في الروع حقه ... إذا ثوب الداعي وتشقي به الجزر

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

فتى لا يعد المال رباً ولا ترى ... له جفوة إن نال مالاً ولا كبر

فنعم مناخ الضيف كان إذا سرت ... شمال وأمست لا يعرجها ستر

ومأوى اليتامى الممحلين إذا انتهى ... إلى بابه سغبي وقد قحط القطر

ع وقيل إن أخاه المؤبن مسلمة بن معراء. وأنشد محمد بن يزيد أبياتا من أول هذا الشعر للأبيرد اليربوعي يرثى أخاه بريداً، والصحيح أن أوله لسلمة، وقد خلط أبو علي فيه أبياتا من قصيدة الأبيرد المشهورة التي يرثى بها أخاه بريدا وهي من قوله:

فتى كان يعطى السيف في الروع حقه

وروى بعض الرواة أن خنساء كانت بعد الإسلام تنشد ليلة هذا الشعر: أقول لنفسي في الخلاء ألومها ترددها وتبكي أخاها صخراً، فهتف بها هاتف من مؤمني الجن: يا خنساء قبضه خالقه، واستأثر به رازقه، وأنت فيما تفعلين ظالمة، وفي البكاء عليه آثمة. ومثل قوله: فتى كان يدنيه الغنى من صديقه قول المقنع الكندي:

لهم جل مالي إن تتابع لي غنى ... وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا

وقول الآخر:

يعرف الأبعد إن أثرى ولا ... يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

وقول إبراهيم بن العباس الصولي:

ولكن الجواد أبا هشام ... نقي الجيب مأمون المغيب

بطيء عنك ما استغنيت عنه ... وطلاع عليك مع الخطوب

وقوله أيضاً: رأيتك إن أيسرت خيمت عندنا. وقد تقدم، وقوله: وقد قحط القطر. يقال: قحط القطر وقحط الناس بكسرها وأقحطوا وأنشد أبو علي لجميل قصيدة منها:

---

(١) سمط اللآلي، ص/٦٦

وطارت بحد من فؤادي ونازعت ... قرينتها حبل الصفاء إلى حبلي

ع قرينتها: نفسها، نازعت وصل حبله نفسها تدعوها إلى ذلك وهي تأباه. وقوله إلى حبلي: يريد مع حبلي كما قال الله تعالى " من أنصاري إلى الله " . وفيه: فقر بني يوم الحصاب إلى قتلي. الحصاب: جمع حصبة، محركة الصاد مثل أكمة وإكام. وقال أبو علي عند إنشاد هذه القصيدة، قال الزبير: كان عمر وجميل يتنازعان الشعر، قال: فيقال إن عمر في الرائية والعينية أشعر من جميل، وجميل أشعر في اللامية.

ع قال الزبير: وأنا لا أقول هذا لأن قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة، فيها طوالع النجد، وخوالد المهد. وقصيدة عمر ملساء المتون، مستوية الأبيات، أخذ بعضها بأذناب بعض. ولو أن جميلا خاطب في كلامه مخاطبة عمر لارتج عليه، وتعثر في كلامه. ولم يذكر أبو علي كلام الزبير وأنتقاده وهو صحيح وبه يتم الخبر.

وذكر أبو علي خبر قيس بن ذريح مع أبيه وهو قيس بن ذريح بن الحباب بن سنة، أحد بني ليث بن بكر بن عبد مناة، وأمه بنت الكاهل بن عمرو الخزاعي، أرضعت الحسين بن علي رضي الله عنهما، فقيس رضيع الحسين. ولبنى هي بنت الحباب الكعبية. قال القحذمي: كان قيس وأبوه من حاضر المدينة، ومنازل قومه بظاهر المدينة. وقد أختلف في آخر أمر قيس ولبنى، فقيل إنهما ماتا على افتراقهما قال المدائني: ماتت لبنى فخرج قيس ومعه جماعة من أهله حتى وقف على قبرها فقال:

ماتت لبنى فموتها موتى ... هل تنفعن حسرة على الفوت

إني سأبكي بكاء مكتئب ... قضى حياة وجداً على ميت." (١)

"ومما يختار له قوله:

وإني لمن أحببت حبي دائم ... ولست بذي لونين أسود أبلق

مدوف يرى الخلان منه تظرفاً ... له خلق عند البلاء ممزق

يخالط إخواناً له بملاقة ... وثر الأخلاء الخئون المملق

وإني لأستحيي الصديق وأتقي ... وكل امرئ لا يتقي الدمم أحمق

ومما سار له قوله:

ما ينزل الله بي أمراً فأكرهه ... إلا سينزل بي من بعده الفرجا

يا رب أمرين قد فرجت بينهما ... من بعد ما اشتبكا في الصدر واعتلجا

أخبار أبي نواس

حدثني علي بن حرب أخو محمد بن حرب بن خالد بن المهزم، قال: حدثني أخي محمد بن حرب – وكان بين الأخوين قريب من خمسين سنة – أن أبا نواس – واسمه الحسن بن هانئ، ويكنى أبا علي – ولد بالأهواز، بالقرب من الجبل المقطوع المعروف براهبان سنة تسع وثلاثين ومائة، ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة، وكان عمره خمساً وخمسين سنة، ودفن

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢٠٥

في مقابر الشونيزي في تل اليهود، ومات في بيت خمارة كان يألفها. وكانت أمه أهوازية يقال لها جلبان من بعض مدن الأهواز يقال لها نهر بيري وأبوه من جند مروان بن محمد، من أهل دمشق، مولى لآل الحكم بن الجراح من بني سعد العشيرة، وكان قدم الأهواز أيام مروان بن محمد لرباط الخيل، فتزوج جلبان فأولدها عدة، منهم أبو نواس وأخواه أبو محمد وأبو معاذ، وكان أبو معاذ يؤدب ولد فرج الرخجي، ومات والدهم هانئ، وأبو نواس صغير، فنقلته أمه إلى البصرة وهو ابن ست سنين، فأسلمته إلى الكتاب، فلما ترعرع خرج إلى الأهواز، فانقطع إلى والبة بن الحباب الشاعر، وكان والبة يومئذ مقيماً بالأهواز عند ابن عمه النجائي وهو واليها، فأدبه وخرجه. وكان أبو نواس وضيئاً صبيحاً. فعشقه والبة وأعجب به، وعُني بتأديبه حتى خرج منه ما خرج. ولما مات والبة لزم خلفاً الأحمر وكان خلف أشعر أهل وقته وأعلمهم، فحمل عنه علماً كثيراً وأدباً واسعاً، فخرج واحد زمانه في ذلك، وحدثني ناس عن أبي نواس أنه قال: ما ظنكم برجل لم يقل الشعر حتى روى دواوين ستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنكم بالرجال؟ وحدثت عن ابن مرزوق عن أبي هفان قال: كان أبو نواس آدب الناس وأعرفهم بكل شعر، وكان مطبوعاً، لا يستقصي، ولا يحلل شعره، ولا يقوم عليه، ويقوله على السُّكر كثيراً فشعره متفاوت، لذلك يوجد فيه ما هو في الثريا جودة وحسناً قوة، وما هو في الحضيض ضعفاً وركاكة، وكان مع كثرة أدبه وعلمه خليعاً ماجناً وفتي شاطراً، وهو في جميع ذلك حلو ظريف، وكان يسحر الناس لظرفه وحلاوته وكثرة ملحه، وكان أسخى الناس، لا يحفظ ماله ولا يمسكه، وكان شديد التعصب لقحطان علي عدنان، وله فيهم أشعار كثيرة، يمدحهم ويهجو أعداءهم، وكان يُتهم برأي الخوارج، فمما يروى له في تفضيل اليمن والافتخار بهم قوله:

لست لدار عفت وغيرها ... ضربان من قطرها وحاصبها

وفي هذه القصيدة يقول:

فنحن أرباب ناعط ولنا ... صنعاء والمسك في محاربها

ودان أذواؤنا البرية من ... معترها رغبة وراهبها

وكان منا الضحاك يعبده ال ... خابل والوحش في مسار بها

ونحن إذ فارس تُدافع به ... رام قسطنا على مرازبها

حتى جمعنا إليه مملكة ... يجتمع الطرف في مواكبها

وفاظ قابوس في سلاسلنا ... سنين سبعاً وفت لحاسبها

ويوم ساتيدما ضربنا بني ال ... أصفر والموت في كتائبها

فافخر بقحطان غير مكتئب ... فحاتم الجود من مناقبها

إذ لاذ برويز عند ذاك بنا ... والحرب تُمرى بكف حالبها

يذب عنه بنو قبيصة بال ... خطى والشهب من قواضبها

ولا ترى فارساً كفارسها ... إذ زالت الهام عن مناكبها

عمرو وقيس والأشتران وزي ... دُ الخيل أُسْدٌ لدى ملاعبها

واهج نزاراً وأفر جلدتها ... وهتك الستر عن مثالبها

واحبب قريشاً لحب أحمدها ... واشكر لها الجزل من مواهبها." (١)

"وكيف طاب الثرى ببلته ... وهب نواره من النومِ

لو أنه سيم لاشتراه بنو الل ... هو ولوكان غالي السوم

وعاند الصب والمنادم والعا ... شق في مقلتيه ذا اللومِ

وله أيضاً:

أيا كبداه من غصص الفراق ... وحب ما أراه وما أُلاقي

له صدغان معقوفان، منه ... بنات القلب تجنح في السباق

على خد يجمش وجنتيه ... عناقيد مزرفنه البطاق

تلاحظه العيون بكل وجه ... ولكن لا سبيل إلى التلاقي

يتيه بصدره رمان ثدي ... على عكن تفتح عن نطاق

تعاوره الحواضن كل يوم ... بمسح العارضين إلى التراقي

أقول له وقد أودى بقلبي ... سقام ما يفتر عن خناقي

أيا قمر القبيلة من لصب ... أسير الحب أصبح في وثاق

وله البيت العجيب في تشبيه المصلوب الذي ليس لأحد مثله في قوله:

كأنه عاشق قد مد بسطته ... يوم الفراق إلى توديع مُرتحلِ

أو قائم من نعاس فيه لوثته ... مواصل لتمطيه من الكسلِ

أخبار القصافي واسمه عمرو

حدثني السكز بن محمد الأنباري قال: رأيت هداب بن يحيى التميمي يسأل محمد بن واصل في ابن أبي سليمان الهاشمي، وكان ختن هداب يتعافى له عن جرم اجترمه. فقال له ابن واصل: لا ولا كرامة، والله لا عفوت عنه، ولا عفوت عنه، ولا قصرت في تأديبه. فأقبل هداب يبكي بكاء شديداً، حتى ضحك الناس من فرط بكائه مع طول لحيته. فالتفت ابن واصل إلى القصافي، ونظر إليه مبتسماً. فقال القصافي أصلح الله الأمير، إن قلت في بكائه بيتين نادرين فما لي؟ قال: علي كرامتك. فأنشأ يقول:

دمعه يجري على ذقنه ... قائماً يبكي على ختنهْ

ليس يدري من رقاعته ... ما قبيح القول من حسنه

ومما يستحسن للقصافي قوله:

آلفني الدرب حب ساكنه ... والحب يدعو الهوى الذي نصبا

---

(١) طبقات الشعراء، ص/٥٧

لو كان درب بكى لمكتئب ... أو رق أو كان بلغ الكتبا

بلغ كتبي ورق لي وبكى ... وكان لي عند سيدي سببا

يا ظبي عبد الحميد ما صنعتْ ... عيناك بالقلب؟ أورثت كربا

من نظرة عدت من مغبتها ... حيران صب الفؤاد مكتئبا

طرفي دعاني إليك عن قدر ... يا شؤم طرفي علي، ما جلبا؟

أسترزق الله منك لي مقة ... يوماً لأقضي من وصلك الأربا

أخبار أبي العيناء

حدثني أبو سليمان العكبري قال: دخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فشكا ضيقته. فأمر له بخمسة آلاف درهم فقال: أصلح الله الوزير لا أستقل قليلك ولا أستكثر كثيرك، قال له: ولم؟ قال: لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه، ولا أستقل قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك. فأعجب بكلامه وقال: اكتبوه وزيدوا خمسة آلاف أخر.

حدثني أبو الحسن علي بن محمد البغدادي قال: قال المتوكل يوماً لأبي العيناء: بلغني أنك مأبون، فقال له: يا أمير المؤمنين، مولى القوم منهم. وكان أبو العيناء من موالي بني العباس.

حدثني زهير بن حرب الجرجاني قال: قال لي أبو العيناء: كان لي عم لا يُعرف إلا بأبي. وكان ينفر من ذلك ويشتد عليه ولا ينفعه شيئاً. فلما مات أبي صار لا يعرف إلا بي فقال: هذا والله شر، ليتنا بقينا على الأمر الأول.

وحدثني زهير قال: ولد لأبي العيناء غلام، فصار إليه ابن مكرم وكان يجري بينهما أبداً مزاح وظرف، فلما أراد ابن مكرم الانصراف، أخرج من كمه حجراً فوضعه بين يدي أبي العيناء من حيث لا يدري ثم خرج، ووقعت يد أبي العيناء عليه فقال لغلامه: من وضع هذا الحجر هاهنا؟ قال: ابن مكرم. قال: أخزاه الله، إنما عرض بقول النبي صلى الله عليه وسلم: " الولد للفراش وللعاهر الحجر " .

ومما يستحسن قوله في علي بن الجهم:

أراد ابن جهم أن يقول قصيدة ... بمدح أمير المؤمنين فأذنا

فقلت له لا تعجلن بإقامة ... فلستُ على طهر، فقال ولا أنا

وقد روى الناس أن هذين البيتين لمروان، وليس ذلك بشيء.

أخبار أحمد بن أبي طاهر." (١)

" عوارض الغير والغرر وأصار أيامه محسنة لوجوه الأيام كالغرر

ورد الكتاب الذي أنعم بإرساله بل المشرف الذي كسته اليد العالية حلة من حلل جماله فوقف عليه وفهمه وتذكر به إحسانه الذي لاينساه وتفضله الذي لا يعرف سواه فأما التعزية بفلان فإنه رد بعذب لفظها قوته وبل بماء حسنها غلته وصبره على حادثته بفلان بعد أن عز عليه العزاء وأعوزه وطلب وعده من صبره فما أنجزه لأنه كان وجد لموت المذكور حزنا

---

(١) طبقات الشعراء، ص/١٢٥

ما استطاع له تركا وفقد لموته خلا مثله يناح عليه ويبكى وفي بقاء مولانا مسرة تطرد كل حزن وفي بهاء طلعته عوض عن كل منظر حسن جعله الله ساميا على أترابه مقدما على أضرابه ما سمت الأسماء على الأفعال وتقدم الحال على الاستقبال

آخر ضاعف الله بقاءه وأطال عمره وشرح لإسداء المكارم صدره وأنفذ نهيه وأمره ولا زال إلى أوليائه محسنا وفضله يحصل لمحبيه غاية السول والمنى ورد مشرفه المعزي بوفاة فلان سقى الله عهده عهاد رضوانه وأسكنه في غرف غفرانه فجبر مصابا وفتح إلى الصبر أبوابا وهدى إلى طريق الخير وقال صوابا وسكن نفسه وذكره إحسانه الذي لم ينسه وأزال الوحشة وزاد أنسه بعد أن كان فقد المذكور قد هد ركنه وفت عضده وأوصله إلى أمد الحزن وضاعف على الأيام أمده وألبسه رداء الاكتئاب على تربه الذي أصبح تحت التراب وصديقه الموصوف بالصدق الذي فاق سناه ذلك الأفق جعله الله أصلا في تحصيل المسرة إذا ذوت الفروع وسيفا يقهر به وليه الحوادث التي تروع إن شاء الله تعالى

آخر جعل الله أجره عظيما كقدره والقلوب مجمعة على حبه كإجماع الألسنة على شكره

المملوك يعلمه بورود كتابه الكريم المعزي بفلان قدس الله روحه وأمطر سحائب الرحمة ضريحه عليه وعنده من شديد الحزن ما أعدمه لذيذ ." (١)

" الوسن ومن زائد الاكتئاب ما كاد يحرمه التقمص بثوب الثواب بحيث إنه عوض بالزمن الأسود عن العيش الأخضر وذاق من موجب لبس الأبيض طعم الموت الأحمر وأنه ضمه إليه ضم المحبوب وابتهج به ابتهاج من ظفر بغاية السول والمطلوب فأغمدت الكآبة خوفا من قلمه سيفها وأزالت الدنيا الدنية عنه حيفها وعزى نفسه وسلاها وشغله إحسانه عن محاسن محا الموت سناها فرفض من توجعه ما فرضته حادثته وسلك منهجا غير المنهج الذي فتتت فيه حشاه ومهجته فالله تعالى يكفينا ما نحاذره في المجلس ويحرس سناه ويديم سعده وعلاه

النوع الثالث من مقاصد المكاتبات التهادي والملاطفة

قال في مواد البيان رقاع التهادي يجب أن تودع من الألفاظ المستحسنة ما يمهد لقبول الملاطفة والمبرة التي تتميز في المودة قال وينبغي أن يطرف الكاتب إذا كان مهديا أو مستهديا وقد جرت العادة أن تودع هذه الرقاع من أوصاف الشيء المهدى ما يحسنه في نفس المهدى إليه قال وينبغي لمن ذهب هذا المذهب أن لا يعتمد تفخيم هديته ولا الإشارة إلى جلالة خطرها فإن ذلك يخل بشروط المروءة ويتحاماه الكرماء

ثم هي على ثلاثة أضرب

الضرب الأول ما يكتب مع التقادم إلى الملوك من أهل مملكتهم إلى القائمين بإيصال التقدمة إلى الملك وكاتب السر ونحوهما

الشيخ جمال الدين بن نباتة إلى كاتب السر بالأبواب السلطانية ." (٢)

---

(١) صبح الأعشى، ١٠٠/٩

(٢) صبح الأعشى، ١٠١/٩

"١٧–تصور القصيدة حنيناً إلى غائبة يتذكرها عند رؤية جموع السنونو وقد لاحت على الأفق ويتمنى أن تلوح هي كذلك ولو مرة واحدة. والغائبة هذه تبدو امرأة والطرف الثاني صبي وليس رجلاً، فالعلاقة هنا هي علاقة صبا. وهي عبارة عن نكوص واسترداد لمرحلة ما من الطفولة:

(حملت اندفاعة هذا الصبي

كما احتملت طفلها الوالدة)

١٨–محاولة رسم صورة لفمها فهو كبرعم، كلوحة، كفكرة، كجملة غير مفهومة، كنجمة، كزجاجة طيب مختومة، إنه لوحة مبهمة وهو وهم وغموض (منضمة الشفاه.. لا تفصحي/ أريد أن أبقى بوهم الفم)، وما دام ذلك كذلك يجب أن تظل صاحبته صامتة حتى تستمر الدهشة، ولا يتحقق شيء مما يريده منها.

١٩–المرأة هنا صانعة القصيدة ففي عينيها تختبئ قصائده، والطرف الثاني طفل مغامر، تجارته الأشباح والوهم والليل. والحب عنده تطرف، وتكسير أبعاد، ونار لها أكل، وتكسير أسوار، وفتح سماء، وتخطيط ألوان، وتعمير أنجم ورسم زمان ماله شكل.وجماله عنده تختزله عناصر أنوثتها متمثلة في صدرها المملوء بألف هدية، ونهدها وخصرها المعتل وثغرها دفاق الينابيع، وهي له بمثابة العطر للوردة.

٢٠–إن هذه المسافرة التي جاءها نازف الجراح والتي تستفسره عن حاله سرعان ما تعامله معاملة الأم لطفلها وتقدم إليه النصائح وتواسيه وتطمئنه وتدعوه إلى التفاؤل لأن صداقتهما ستستمر:

نم على زندي الرحيم.. وأشفق

يا رفيق الصبا.. على أعصابك

ارفع الرأس والتفت لي قليلا

يا صغيري أكأبتني **باكتئابك**." (١)

"والمذكار التي تلد الذكران، والمئنات عندهم أحمد.

وقال الشماخ:

بانت سعاد ففي العينين ملمولُ ... وكان في قصرٍ من عهدها طولُ

كان ينبغي أن يقول: وكان في طول من عهدها قصر، أو يقول: وصاري في قصر من عهدها طول.

وقول أبي داؤد الإيلدي:

لو أنَّها بذلت لذي سقم ... مَرْةِ الفؤادِ مشارفُ القبضِ

أنُسُ الحديثِ لظلَّ **مكتئباً** ... حَرَّانَ من وجدٍ بها مضّ

لو أنه قال: يذهب سقمه، لكان أبلغ لنعتها.

وقول أبي ذؤيب:

---

(١) شعرية المرأة وأنوثة القصيدة – قراءة في شعر نزار قباني –، ص/١٠

ولا يُهنئ الواشين أن قد هجرتُها ... وأظلم دوني ليلَها ونهارُها

كان ينبغي أن يقول: وأظلم دونها ليلي ونهاري.

وقوله:

عصاني إليها القلبُ إني لأمره ... سميعٌ فما أدري أرشدٌ طلابُها

كان ينبغي أن يقول: أم غي، فنقص العبارة.

وقول ساعدة بن جؤية:

فلو نبأتَك الأرضُ أو لو سمعتَهُ ... لآيقنت أني كدت بعدك أكمدُ

لو قال: إني بعدك كمد، لكان أبلغ من قوله: كدت أكمد.

وقول أبن أحمر:

غادرني سهمه أعشى وغادرهُ ... سيف ابن أحمر يشكو الرأسَ والكبدا

أراد: غادرني سهمه أعور فلم يمكنه، فقال أعشى.

وقول طرفة:

كأن جناحي مضرحيّ تكنَّفا ... حفافيه شكا في العسيبِ بمسردِ

وإنما توصف النجائب بدقة شعر الذنب وخفته، وجعله هذا كثيفاً طويلا عريضاً.

وقول امرئ القيس:

وأركب في الروعِ خيفانةً ... كسا وجَهها سعفٌ مُنْتشرْ

شبه ناصيتها بسعف النخل لطولها، وإذا غطى الشعر العين لم يكن الفرس كريماً: وقول الحطيئة:

ومن يطلب مساعي آل لأي ... تصعّده الأمورُ إلى علاها

كان ينبغي أن يقول: من طلب مساعيهم عجز عنها وقصر ن بلوغها فأما إذا تساوى بهم غيرهم فأي فضل لهم. وقوله:

صفوفٌ وماذيُّ الحديد عليهم ... وبيضٌ كأولاد النعام كثيف

شبه البيض باولاد النعام، أراد بيض النعام.

وقول لبيد العامري:

ولقد أُعْوِصُ بالخصمِ وقد ... أملأُ الجفنةَ من شحم القُلَلْ

أراد السنام، ولا يسمى السنام شحما وقوله:

لو يقومُ الفيلُ أو فيالُهُ ... زَلَّ عن مثل مقامي وزَحَلْ

وليس للفيال مثل أيد الفيل فيذكره.

ولقوله النابغة الذبياني:

ماضي الجنانِ أخي صبر إذا نَزلت ... حربٌ يوائل منها كلُّ تنبالِ

التنبال القصير من الرجال، فإن كان كذلك فكيف صار القصير أولى بطلب الموئل من الطويل، وإن جعل التنبال الجبان

فهو أعيب لأن الجبان خائف وجل، اشتدت به الحرب أم سكنت، وإن كان عن مثل قول الهمذاني:

يكرُّ على المصاف إذا تعادى ... من الأهوال شجعانُ الرجالِ

وقول طرفة بن العبد:

من الزمرات أسبل قادماها ... وضرتها مركَّنةٌ ذرورُ

لا يكون القادمان إلا لما له آخرون، وتلك الناقة التي لها أربعة أخلاف. ومثله قول امرئ القيس:

إذا مسَّتْ قوادمها أرنَّتْ ... كأنَّ الحيَّ بينهُمُ نِعيُّ

وقول المسيب بن علس:

فتسلَّ حاجتها إذا هي أعرضت ... بخميصةٍ سرح اليدين وساعِ

وكأن قنطرة بموضع كورها ... ملساءَ بين عوامض الأنساعِ

وإذا أطفْت بها أطفت بكلكلٍ ... نبض الفرائض مجفر الأضلاعِ

فكيف تكون خميصة وقد شبهها بالقنطرة لا تكون إلا عظيمة، وقال هي مجفرة الأضلاع، فكل هذا ينقض ما ذكره من الخمص.

قال: وقول الحطيئة:

حرجُ يلاوذُ بالكناسِ كأنه ... متطرفُ حتى الصباح يدورُ

حتى إذا ما الصبحُ شق عمودَهُ ... وعلاه أسطع لا يردُّ منيرُ

وحصى الكثيبِ بصفحتيه كأنَّهُ ... صدأُ الحديدِ أطارهن الكيرُ

زعم أنه لم يزل يطوف حتى أصبح وأشرف على الكثيب فمن أين الحصى بصفحتيه.

الشعر الرديء النسج

ومن الأبيات المستكرهة الألفاظ القلقة القوافي، الرديئة النسج فليست تسلم من عيب يلحقها في حشوها أو قوافيها، أو ألفاظها، او معانيها، قول أبي العيال الهذلي:

ذكرتُ أخي فعاودني ... صداع الرأسِ والوصبُ

فذكر الرأس مع الصداع فضل.." (١)

"إخوتي لا تبعدوا أبدا ... وبلى والله قد بعدوا

ولو تملتهم عشيرتهم ... لاقتناء العز أو ولد

هان من بعض الرزيئة أو ... هان من بعض الذي أجد

كل ما حي وإن أمروا ... واردو الحوض الذي وردوا

لك أن تروي إخوتي و أخوتا. فمن روى إخوتي فإنه يسكن الياء وأصله الحركة، لكونه علامة الضمير متطرفا على حرف

---

(١) عيار الشعر، ص/٢٩

واحد فوجب تقويته بالتحريك كما كان سبيل أختيه الكاف والهاء لو وقعا موقعه، لكنهم آثروا الفتحة لخفتها، ويدل على أن الأصل الفتحة أنه لو كان ما قبله ساكنا كان لا يجيء إلا مفتوحا. وذلك قولك رحاي وعصاي، إلا أنه لما كان باب النداء باب حذف وإيجاز، لكثرة استعمالهم له، سكنوا الياء. ومن قال إخوتا فر من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة، فانقلبت الياء ألفا. على ذلك قولهم بادية وباداة، وناصية وناصاة، وقولك يأباهما وأنت تريد بأبي هما. وقوله لا تبعدوا قد تقدم القول فيه. فأما استدراكه لقوله وبلى والله قد بعدوا فإنه تنبيه منه على أن لا تبعدوا وإن كان لفظه لفظ الدعاء فهو جار على غير أصله، وأنه إنما هو تحسر وتوجع.

وقوله لو تملتهم عشيرتهم، يريد: لو بقوا معهم ملاوة من الدهر ممتعين بهم، ومقتنين العز بمكانهم أو أولادهم بقوا معهم فتربوا في حجورهم، وتأدبوا بسياستهم، واحتبوا بأردية السيادة في أقنيتهم ومحافلهم – لهان بعض الرزيئة. ولك أن تروى أو ولدوا على أن يكون فعلا وواو الضمير بعد حرف الروي تجعل وصلا، ويكون المعنى: لو أعقبوا وخلفوا أولادا يرثون مجدهم ويحيون أسماءهم، ويعمرون معالي آبائهم بعدهم. وجواب لو أول البيت الذي يليه، وهو هان من بعض الرزيئة ومعناه: لو قضى الأمر على ذلك لخف بعض ما على الناس لهم ومن أجلهم، أو خف بعض الذي أجده أنا من **الاكتئاب** والاهتمام مفوتهم. وقوله من بعض الرزيئة الأخفش يجيز زيادة " من " في الواجب، فعلى طريقته يكون المعنى هان بعض الرزيئة. وسيبويه يمتنع من زيادة من إلا فيما ليس بواجب، كالاستفهام والنفي. فعلى طريقته يكون المعنى: كان ابتداء المهون بعض الرزيئة أو من بعض الرزيئة. وقوله كل ما حي ما زائدة، ويجوز أن يريد بالحي القبيلة. ومعنى أمروا كثروا. يقال أمر الشيء وآمره الله له. ويجوز أن يريد بالحي ضد الميت ويكون الضمير من أمروا عائدا إلى لفظ كل. فيقول: كل قبلة وإن تناسلوا وتكاثروا فمآل أمرهم إلى مثل ما آل أمر إخوتي، وموردهم من الذهاب والفناء مثل موردهم، إذ كان الموت لا معدل عنه، ولا منجي لأحد منه. وجواب الشرط في قوله وإن أمروا دل عليه قوله واردو الحوض الذي وردوا، والضمير العائد من الصلة إلى الموصول محذوف، كأنه قال: الذي وردوه، لأنهم استطالوا الاسم بصلته.

وقالت امرأة أخرى

طاف يبغي نجوة ... من هلاك فهلك

ليت شعري ضلة ... أي شيء قتلك

النجاة والنجوة: ما ارتفع من الأرض حتى لا يصل إليه السيل ولا يبلغه. قال:

فمن بنجوته كمن بعقوته ... والمستكن من يمشي بقرواح

فجعله ها هنا مثلا لما كان يطلبه من وجه الخلاص من الآفات. وكأن هذا المرثي كان استشعر خوفا من الموت فأخذ يتنقل في البلاد والبقاع ويتطلب موضعا يبعده من الآفات، فبقى يتردد في ذلك ويتحير، فإذا الهلاك قد فاجأه من حيث لا يحتسب ولا يرتقب. وإنما نكر من هلاك لأنه جعل كل نوع منه هلاكا، ولم يدر ماذا يصيبه.." (١)

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢٨٤/١

"تركنا أبا الأضياف في ليلة الصبا ... بمر ومردى كل خصم يجادله

يروى تركنا أبا الحجناء وهو فيما أظنه كنية المرثي. وجعله أبا الأضياف لتوفره عليهم، ولأن داره كانت مثواهم. وهم يقولون: فلان أبو مثواى، وفي المرأة: أم مثواى، لمن قراهم. وأشار بليلة الصبا إلى ليلة بعينها اتفق فيها على هذا الرجل بمر، وهو موضع، اجتماع الخصوم حوله. والمردى: صخرة يكسر بها النوى؛ هذا أصله، ثم يقال فلان مردى الخصوم، أي يرمون به فيكسرهم. وقوله كل خصم أراد بالخصم الكثرة، كأنه حضره من كل قبيل من مخالفيه مردى لهم يجادله عنهم ويجاذبه. وقوله بمر منعه من الصرف لأنه جعله مؤنثا معرفة، ولو ذكره لصرفه. والواو من قوله ومردى كل خصم واو الحال. والصبا: ريح تستقبل القبلة؛ والفعل منه صبا يصبو. وأضاف الليلة إلى الصبا تعريفا وتخصيصا، كأنه كان للصبا شأن في تلك الليلة.

تركنا فتى قد أيقن الجوع أنه ... إذا ما ثوى في أرحل القوم قاتله

يقول: تركنا في ذلك المكان فتى كان ربيعا للفقراء، ومألفا للأضياف. وإذا اشتد الزمان وأسنت الناس تيقن الجدب والقحط أنه لا يقاره، بل يقتله بما يفيضه على الناس من إحسانه، ويشملهم من تفقده وبره. وقوله قد أيقن الجوع إلى آخر البيت، من صفة الفتى، وفي طريقته قول الآخر:

يقاتل جوعهم بمكللات ... من الفرني يرعبها الجميل

وقوله إذا ما ثوى ظرف لقاتله.

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وأباجله

معنى قد قد السيف أنه في مضائه ونفاذه كالسيف. والقد: القطع طولا. ويقال: هو حسن القد، أي التقطيع؛ وهو على قده، أي على قدره. وهو يقتد الأمور بالسيف، إذا دبرها بالسيف. ومعنى لا متضائل: لا متخاشع. والضؤولة: الدقة، يقال: هو ضئيل الجسم. والرهل: المسترخي اللحم من السمن. يقال: فرس رهل الصدر. واللبات: جمع اللبة، وهو الصدر؛ وجمعه على ما حوله، أو جعل كل قطعة لبة. والأباجل: جمع أبجل، وهو عرق في الساق، والمعنى أنه ليس بكثير اللحم على الصدر غليظ الساق. وهم يتمدحون بالهزال ويذمون السمن. ويروى وبآدله، وهو ما بين العنق والترقوة. ومعنى البيت: أنه في قد السيف ومضائه، لا يشينه تخاضع، ولا هو سمين مسترخي اللحم على الصدر ولا على ما حوله. ولا متضائل، ارتفع متضائل على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: لا هو متضائل. ولباته ارتفع بفعله، وفعله رهل.

إذا جد عند الجد أرضاك جده ... وذو باطل إن شئت ألهاك باطله

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما ... وكل الذي حملته فهو حامله

يصفه بأنه كان مستصلحا للهزل والجد، فإن جد حسن جده وتناهى الرضا به والاستحسان له، وإن هزل ألهى هزله على اقتصاد فيه واستطابة له، لأنه أخذ من مكارم الأخلاق بأوفر النصيب، فهو ينخرط في كل سلك، ويدخل في كل شأن وأمر.

وقله يسرك مظلوما انتصب مظلوما على الحال. يقول: إن اهتضمت انتقم لك من ظلمك، وإن اهتضمت أنت غيرك لم يبعد عن نصرتك. وهذا على طريقتهم في قولهم : " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " . وقوله وكل الذي حملته فهو حامله يصفو برحابة الصدر والأخذ في كل ما يدعى إليه بالصبر، وأنه يتحمل الأعباء الثقيلة عن ذويه والمنتسبين إليه، لا يضجر

بما يحل بفنائه، ولا يتسخط أمرا يقترح عليه، أو يستنهض إليه.

وقال أبو الحجناء

أعاذل من برزأ كحجناء لا يزل ... كثيبا ويزهد بعده في العواقب

يقول: يا عاذلة، من يصب بمثل من أصبت به يتصل اكتئابه، ويدم زهده في عواقب أطهار النساء ومباشرتهن علما بأن مثل ذلك الولد لا يعتاض منه. وحجناء: ابنه. كأن عاذلة آذته بتكرير الوصاة عليه وإدامة الوعظ له، وأن ما يأتيه من التفجع مستسرف ومستقبح، لخروجه عن العادات، فأقبل يجيبها ويذكر عذره لها. وقد صرح غيره بهذا المعنى فقال:

أفبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الأطهار

حبيبا إلى الفتيان صحبة مثله ... إذا شان أصحاب الرحال الحقائب." (١)

"وقوله فتى كملت خيراته غير أنه جواد هذا استثناء في نهاية الحسن، فهو كالتأكيد لأول الكلام؛ لأن كونه جوادا لا يكون عيبا فيخرجه من قوله كملت خيراته، لكنه إذا كان عيبه المستثنى من الخيرات الجود الذي هو مؤثر عند الله تعالى وعند الناس، فخصاله المحمودة الباقية ماذا ترى تكون. فهو استثناء منقطع من الأول، كأنه قال: كملت خيراته لكنه جواد. وإذا تأملت وجدت البيت الثاني مثل البيت الأول، في أنه أتبع ثناء بثناء، وأردف مديحا بمديح، فعجز كل واحد منهما يؤكد صدره، ويزيده مبالغة معنى وتظاهر مبدأ ومنتهى. ومثلهما بيت النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن يسوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

وموضع قوله فتى في البيتين جميعا نصب على الاختصاص، كأنه قال أذكر فتى هذه صفته. ولا يمتنع أن يكون موضعه رفعا على أن يكون خبر مبتدأ محذوف. فإن قيل: ما موضع على أن فيه ما يسوء الأعاديا من الإعراب؟ قلت: هو يجري وإن كان جمعا بين صفتين متضادتين على أن الثانية كالحال للأولى، كأنه قال: فيه ما يسر صديقه مركبا على ما يسوء الأعاديا. وقوله فما يبقى من المال باقيا تأكيد للجود. وانتصاب باقيا يجوز أن يكون على المفعول، ويجوز أن يكون على المصدر، وقد وضعه موضع الإبقاء. ومثله:

كفى بالنأي من أسماء كاف

وضع كاف موضع كفاية، وهو مصدر منصوب، لكنه حذف فتحة الإعراب من آخره وإن كانت الفتحة مستخفة، على طريقة من قال:

أن أيديهن بالقاع القرق

وقال:

وأي فتى ودعت يوم طويلع ... عشية سلمنا عليه وسلما

رمى بصدور العيس منخرق الصبا ... فلم يدر خلق بعدها أين يمما

فيا جازي الفتيان بالنعم اجزه ... بنعماه نعمى واعف إن كان أظلما

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢٨٦/١

انتصب " أي " بودعت، والكلام فيه تعجب على طريق التفخيم للشأن، والتعظيم للأمر. وانتصب عشية على البدل من يوم، والمعنى: ما أجل شأن فتى ودعناه عشية شيعناه من يوم طويلع، وقضينا فيما بيننا وبينه بعد حق التوديع، بأن سلمنا عليه وسلم هو علينا، أي قلنا: أصحبك الله السلامة، وحفظك حيث كنت! وقال لنا مثل ذلك. وهذا كأنه كان تثنية للوداع حينئذ، وتذكرة من بعد من الشاعر. وإرسال القول فيه تحسر وتوجع. وقوله وسلما يريد وسلم علينا، فحذف علينا ويجوز أن يكون أراد بودعت الوداع الذي لا تلاقي بعده. ألا ترى أنه يقال للمفارق: غير مودع! أي جعل الله بعده التقاء. وقد كشف عن هذا المعنى طرفة حيث يقول:

قفي ودعينا اليوم يا ابنة مالك ... وعوجي علينا من صدور جمالك

قفي لا يكن هذا تعلة ساعة ... لبين ولا ذا حظنا من نوالك

فإذا جعلت ودعت على هذا، انفصل معناه عن معنى سلمنا عليه وسلما. وهذا ظاهر.

وقوله رمى بصدور العيس مخرق الصبا يريد أنه توجه في المفازة حيث تنخرق الريح، ورمى بصدور رواحله نحوها، فلم يعرف له بعد ذلك خبر ولا أثر. وقوله أين يمما موضع الجملة من الإعراب نصب على أنه مفعول لم يدر، كأنه قال: لم يدر خلق ما يقتضي هذا السؤال. وهذا الكلام نهاية فيما يثيره الجزع من المشفق القلق، ويدور في شكوى المتوله الحدب، لأنه إذا لم يمكنه الرجوع إلى شيء بعد جولة الوداع والافتراق، إلا إلى صدمة اليأس **والاكتئاب**، فذاك أجلب للوادع الرزيئة، وأجمع لبوارح الشكية.

وقوله فيا جازي الفتيان بالنعم اجزه دعاء له، والمعنى أحسن إليه بدل إحسانه إلى خلقك، وجزاء على إنعامه في عبادك، وتجاوز عن سيئاته فيما كان فيه ظالما، وعن الحق والنصف عادلا. وقوله كان أظلما أي كان ظالما. وأفعل بمعنى فاعل جاء كثيرا. ومثله:

فتلك سبيل لست فيها بأوحد

وجعل في الثاني شرطا لأنه قال واعف إن كان وفي الأول لم يأت بمثله ليدل على سلامة طريقته من الجور والاهتضام، وبراءة ساحته في غالب ظنه مما يستحق به العقاب والانتقام. الكلام وإن كان فيه دعاء فهو تحسر وتوجع. وإنما قلت هذا لأن استعمال الدعاء بعقب ما ذكر طريق في إظهار الخيبة لا يكاد يعفيها تعاور الأحوال بالسلوة، ولا يحول عن سلوكها تعاقب الأزمان بالمساءة والمسرة.

وقال شبيب بن عوانة

لتبك النساء المعولات بعولة ... أبا حجر قامت عليه النوائح." (١)

"وقولها(أكر) أي لأكثر كرا. و (أحمى) يجوز أن يكون من الحماية ويجوز أن يكون من الحمية. والمعنى: لله عينا رجل رأى فتى مثله أكر منه وأحمى. وقولها (من) نكرة يرتيد رجلا أو إنسانا. و (رأى مثله) صفة لمن. وقولها (إذا أشرعت فيه الأسنة)، تريد: في الهياج. ويجوز أن تريد في المرثى، أي قبله. والهياج يجوز أن يكون مصدر هائج، ويجوز أن يكون جمع

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٠١/١

هيج، والراد به الحرب وقد هاجت. فتريد: إذا هيئت الرماح لطعنه اقتحمها وتلقاها، لا يحيد عنها حتى يخوض الموت بها، فيتركه أحمر، أي شديدا.

ويقال: ميتة حمراء، وسنة حمراء، وسنون حمراوات. ويقولون: (الحسن أحمر)، أي طلب الجمال تتجشم فيه المشاق.

وقالت امرأة من طيء

تأوب عيني نصبها واكتئابها ... ورجيت نفسا رث عنها إيابها

أعلل نفسي بالمرجم غيبة ... وكاذبتها حتى أبان كذابها

أصل التأوب والتأويب: سير النهار كله حتى يتصل بالليل. وقد فسر ابن الأعرابي قول النابغة:

وليس الذي يتلو النجوم بآيب

على أنه من هذا لا من الأوبة الرجوع. والنصب، من قولهم أنصبه المرض والحزن، إذا أثر فيه. قال:

تعناك نصب من أميمة منصب

وقال الدريدي: يقال نصبه أيضا. والاكتئاب: الحزن. والمعنى أنه ناب عيني، وواظب عليها من السهر والكآبة والهم الناصب، ماأثر فيها، وعلقت رجائي بنفس غائبة عني قد استعجمت أخبارها علي، فأبطأ رجوعها إلي.

وقولها (أعلل نفسي بالمرجم غيبة) تريد: أزجى وقتي وأرضي نفسي بظن مرجوم وأمل مرجو، وحديث مؤلف، وتمن مزخرف فيما لا حقيقة يعتمد عليها، ولا أمارة يتأكد الطمع فيها. ويقال: رجم الرجل بالغيب، إذا تكلم بما لا يعلم.

وقولها (وكاذبتها حتى أبان كذابها) أي استعلمت ملفق الأحاديث ومموه الأباطيل معها، إلى أن برح الخفاء، وانكشف عن جلية الأمر الغطاء، وتعلى رغوة الكذب عن مصدوقة الخبر. والمكاذبة تكون من اثنين، كأنه كان يكذب نفسه فتقتربهوتزيد عليه.

فلهفي عليك ابن الأشد لبهمة ... أفز الكماة طعنها وضرابها

متى يدعه الداعي إليه فإنه ... سميع إذا الآذان صم جوانبها

هو الابيض الوضاح لو رميت به ... ضواح من الريان زالت هضابها

تتلهف على مافات عشيرتهمنه من حسن الدفاع، والثبات في وجه الشجاع الذي لا بدري كيف يدفع، وأنى يؤتى ويقدع، وقد طرد الشجعان وطرقهم ذعرا، شدة مطاعنته، وقوة مضاربته. وقال الخليل: أفزه: أفزعه. واستفزوه: أخرجوه من داره وخدعوه حتى ألقوه في الجهل. وفي القرآن: وإن كادور ليستفزوانك من الأرض ليخرجوك منها . والبهمة تقع على الواحد والجماعة، وهاهنا هي للواحد، بدلالة قولها (متى يدعه الداعي إليه) فلم تقل إليهم، فأما قولها(طعنها وضرابها) فالضمير جاء فيه على لفظ البهمة.

ومعنى (متى يدعه الداعي إليه)، أنه إذا الداعي لمارزة هذه البهمة ومنازلته، فإنه كان يسمع ويجيب، في وقت تستك فيه المسامع لشدة الأمر، وإلباس الخوف. وجعل الصمم للجواب مجازا، وإنما تصم الآذان عن السماع فينقطع الجواب.

وقولها (هو الابيض الوضاح) تريد خلوص النسب وزكاء المنصب، واشتهار الذكر في الأفق. وقولها (لورميت به ضواح) تريد

نفاذه وحسن خروجه مما يدخل فيه وشدة صدمته للأمور، ولجاجه في إبرامها. فيقول: لو رميت بوارز هذا الجبل به لزعزعها، وهد جوانبها.

وقالت العوراء ابنه سبيع

أبكي لعبد الله إذ ... حشت قبيل الصبح ناره

طيان طاوى الكشح لا ... يرخي لمظلمة إزاره

يعصى البخيل إذا أرا ... د المجد مخلوعا عذاره

تريد أنها إذا تذكرت حال المرثي فيما كان تجري أموره عليه، ويأخذ نفسه به، عاودها البكاء والنحيب. ومعنى (حشت ناره) ضم ما تفرق من الخطب إليها وأوقدت. وإنما تريد نار الضيافة. ومعنى (طيان) صغير البطن، مهضوم الجنبين، قليل الطعم. وقولها (طاوى الكشح) أي يمضى في الأمور لوجهه لا يعرج على شيء ولا ينثني. ويقال: انطوى كشحا فيصير من باب تصبب عرقا. قال:

أخ قد طوى كشحا وأب ليذهبا

وقولها (لا يرخى لمظلمة إزاره) تريد أنه إذا نابته النوائب تجرد لها وفيها وهو مشمر الإزار، مقلص الذيل، فدواها بدوائها، ونهض فيها نهض المقتدرعليها، الفاصل لها.." (١)

"قوله ألا بأبينا، الجملة في موضع المفعول لقوله نقول. والباء من بأبينا تعلق بفعل مضمر، والمراد: نفدى بأبينا وأمهاتنا جعفرا إذا سار الخميس وحمل لواء الجيش قاصدا إلى الهيجاء. وأضاف اللواء إلى ضمير لحاجتها إليه. وقوله ولا عيب فيه يريد أن جعفرا بريء من العيوب إلا من مخافة قومه على نفسه ألا تطول مدتها، ولا يتنفس مهلها. وليس ذلك بعيب، وإنما يشفقون مما ذكر تنافسا في حياته، ورغبة في الانتفاع به وبمكانه، لكنه أراد أن من ذلك معيبه، فكيف يكون مرضيه. فإن قيل: لم أدخل هذا في جملة النسيب وليس هو منه؟ قلت: لطافة لفظه وحلاوة معناه، ومناسبته بذلك للنسيب، أدخلته في هذا الباب. وقد فعل لمل هذه العلة مثل هذا فيما تقدم، ونبهنا عليه.

وقال آخر:

وإني على هجران بيتك كالذي ... رأى نهلا ريا وليس مناهل

يرى برد ماء ذيد عنه وروضة ... برود الضحى فينانة بالأصائل

يقول: إني على ما أجرى عليه من تعزلي لبيتك، ومهاجرتي لفنائك، ولما أتقى به من مكاشفة الرقباء على ترصدهم بالمكروه لي ولك، واختلافهم في التقاط حديثي وحديثك، لكالعطشان وقد رأى ماء مرويا كثيرا، باردا شهيا، فمنع منه، وشافه روضة باردة الظل عند الضحاء، كثيرة الأفنان والغصون، إذا هبت رياح العشاء فحيل بينه وبينها. والنهل: الماء. والناهل: الريان هاهنا، ويكون العطشان أيضا في غير هذا. وذيد عنه، أي منسع منه. والفينانة: الكثيرة الأفنان؛ وهو فيعال. والفنن: الغصن. والأصائل: العشيات.

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٤٠/١

وقوله يرى برد ماء، فيقول: يرى ماء باردا، لأن البرد لا يدرك بالعين. وإن شئت قلت: جعله للمبالغة في الوصف كالمحسوس.

وقال آخر:

فمرا على أهل الغضي إن بالغضى ... رقارق لا زرق العيون ولا رمدا

أكاد غداة الجزع أبدى صبابة ... وقد كنت غلاب الهوى ماضيا جلدا

يخاطب صاحبين له يسألهما أن يجوزا بأهل الغضى، لأن فيها نساء يترقرق ماء الشباب فيهن، لا زرق في عيونهن ولا رمد. ويقال: فتى رقراق، وفتاة رقراقة، والمراد به ابتداء الشباب. وذكر بعضهم أن المراد بالرقارق مياه رقيقة، وأن الزرق الصافية، والرمد المتغيرة الألوان، والأول أقرب، لأن الرمد لا يستعمل إلا في الحاسة، ولأن الفائدة في كون مياه بالغضي على هذه الصفة قليلة. وقصد الشاعر فيما كلف صاحبيه أن يجددا عهد بأهل الغضى، ويتعرفا من أخبار محبوبته، ما تسكن نفسه إليه. وفي قوله إن بالغضي رقارق، إذا جعلت الرقارق نساء، نسيب بها وبصواحبها: وقوله لا زرق العيون، ثبت لهن كحل العيون وسلامتها من الآفات، بنفي الأضداد عنها، وهذا كتحديد الشيء بالسلب.

وقوله أكاد غداة الجزع يصف ما ناله يوم البين، وأنه مع ثباته في الشدائد، وصبره على النوائب، وحسن تمسكه عن جوالب الهوى، يفتضح ويظهر عليه من الاكتئاب والوجد ما يستدل به على مستكنات صبابته، وخفيات أحواله.

فلله درى أي نظرة ذي هوى ... نظرت وأيدى العيس قد نكبت رقدا

يقربن ما قدامنا من تنوفة ... ويزددن ممن خلفهن بنا بعدا

قوله لله درى يجري مجرى: لله خيري. ومن عادتهم أن ينسبوا ما يعجبهم إلى الله تعالى ذكره، وإن كانت الأشياء كلها في الحقيقة له. وقد فارق درى بالاستعمال على هذا الوجه المصادر، فلا يتعلق به شيء من متعلقاتها. وقوله أي نظرة ذي هوى تعجب، وانتصب أي بنظرت. وكأنه لما صبر عندما رأى من أيات الفراق ولواذع البين، وصار بمرأى منه وبمسمع، من التهيؤ للارتحال، ومن تدبير عوارض السفر، عد ذلك من نظره وجلده شيئا عجيبا. ومعنى نكبت رقدا وهو موضع كان يجمعهم. ويجوز أن يريد بذلك نظره في إثر الظعائن تحسرا وصاحبته معهن، كما قال الآخر:

بعيني ظعن الحي لما تحملوا ... لدى جانب الأفلاج من جنب تيمرا

وقوله:

ولما بدا حوران في الآل دونها ... نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا

ويكون على هذا قوله نكبت رقدا معناه انحرفن عنه وتركنه، لكونه مفرق الطرق.

وقوله يقربن ما قدامنا من تنوفة وصف العيس بالسرعة. والتنوفة: المفازة. والمراد أن ما يقطعه غيرها في يومين تقطعها هذه في يوم. والكلام تحسر وتوجع، لتباعده عمن هواه معهم. ومثله قول الاخر:." (١)

"يقول: بلغني سعي طالبي الحمد، ومدخري الشرف والمجد، وما عليه ملوك الأرض في مضصارفهم ومباغيهم، وحزمهم ومساعيهم، فقسمت بعضه ببعض، فلم أجد كحزم أبي قابوس حزما، ولا كنائله نائلا. ثم دعا له بالسقيا ولمحله بالخصب

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٤٣٥/١

والحيا فقال: جمع الله لك وفي فنائك ما هو مفرق في أطرار الأرض، وجوانب الأفق، من سواكب الغيث، فصار حواليك، فأي واد نزلته من الأرض جعله ممطور التلاع والمذاني، مخصب المسايل والمدافع، سائلا بصوبه، مغمورا بنداه وبركته. وانتصب حزما على التمييز، والكاف من كمثل أبي قابوس زائدة، ومثله:

لواحق الأقراب فيها كالمقق

أراد فيها المقق، كما أن هذا يريد: لم أر مثل أبي قابوس. وفي القرآن: " ليس كمثله شيء " ، ويروى: فسيق إليه الغيث في كل بلدة إليك. وكأنه أخبر في صدر البيت ثم خاطب على عاداتهم. وقوله من كل بلدة إليك أي إليك أمرها وتدبيرها، فصرت تتولاها. وهذا كما قال: جعل بلد كذا إلى فلان. والمراد من البيت على هذه الرواية: جعل الله الدنيا تحت أمرك، ومنوطة بتدبيرك، ثم ساق إلى الغيث من آفاقها وأطرارها كلها إلى ما حولك فصار محتفا ببيتك، ومشتملا على مخلك. فأين تنقلت ونزلت صحبك الخير وانساق معك الغيث. وعلى هذا يكون قوله من كل بلدة عاما في أقطار الأرض وأبلادها. وروى أيضا: فسيق الغمام الغر من كل بلدة وهو ظاهر المعنى. وقوله فأصبح منه، أي من الغيث. وقوله كل واد وصفه بقوله حللته وانتصب مسفوح المذانب على أنه خبر أصبح.

متى تنع ينع البأس والجود والندى ... وتصبح قلوص الحرب جرباء حائلا

فلا ملك ما يدركنك سعيه ... ولا سوقة ما يمدحنك باطلا

يقول: بقاء السخاء والمروءة وتقوى الإله والشدة، متصل ببقائك، لأنها شيمك وطبائعك، فأنت تقيمها وتربها، وتحفظها عن الذهاب والدروس وتحرسها فإن هلكت فقد هلك جميعها، ويصبح الاستسلام والانقياد لهضمية والشر شاملين للناس، فلا يكون بهم دونها دفاع، ولا إباء منها ولا امتناع، وتصير قلوص الحرب سيئة الحال يقتطعها الحيال عن اللقاح، ويمتلكها ما بنفسها من الجرب والضعف عن النزو والجذاب. وهذا مثل لما يفارق الناس من العز والاقتدار، ويلازمهم من الذل والاكتئاب. وضد هذا قول زهير:

.... وتلقح كشافا ثم تحمل فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقوله فلا ملك ما يدركنك سعيه يصفه بأنه لا غاية وراء غايته لمرتق ولا فوق نهايته نهاية لمعتل، فكل ساع من الملوك يقف دونها، وينحط عن درجتها، وأن السوق وإن أسرفوا وأفرطوا في التفريط والإطراء، يقصرون عن بلوغ حده بالوصف، وتصوير كنهه عند النعت، بل أحسن أحوالهم أن يقولوا بعض ما قيل من الحق.

وأدخل النون الثقيلة في يمدحنك و يدركنك لما في الكلام من من معنى النفي، ولأن ما الزائدة للتأكيد لفظه لفظ ما النافية. ومثله:

في عضة ما ينبتن شكيرها

وبألم ما تختننه. وقوله ما يمدحنك باطلا أراد مدحا باطلا، فانتصب باطلا على أنه صفة لمصدر محذوف.

ومثل البيت الأول قول النابغة:

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ... ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش ... أجب الظهرليس له سنام
وقول الآخر:
فإذا ولي أبو دلف ... ولت الدنيا على أثره
وقال آخر:
ومستنبح بعد الهدو دعوته ... بشقراء مثل الفجر ذاك وقودها
فقلت لها أهلا وسهلا ومرحبا ... بموقد نار محمد من يرودها
نصبنا له جوفاء ذات ضبابة ... من الدهم مبطانا طويلا ركودها
فإن شئت أثويناك في الحي مكرما ... وإن شئت بلغناك أرضا تريدها
يعني بالمستنبح طالب ضيافة، وقد تقدم الكلام فيه. ومعنى دعوتهبشقراء أي رفعت له نار شقراء حتى اهتدى بها، فكأني دعوته. وجعل النار شقراء، وربما قيل صفراء، لأنها أوقدت خالية من طرح اللحم عليها فاشتعلت شقراء، ولو كبب عليها اللحم لالتهبت كميت اللون من أجل دخانها. لذلك قال الأعشى:
وأوقدتها صفراء في رأسي تنضب ... وللمكثت أروى للنزيل وأشبع." (١)
"قال أبو محمد هي البصرة مسكّنة الصاد وكسرها خطأ قال الفرزدق:
لولا ابن عتبة عمرو والرجاء له ... ما كانت البصرة الحمقاء لي وطنا
السّيلحون قرية بقرب الكوفة قال الشاعر:
وتجبى إليه السيلحون ودونها ... صريفون في أنهارها والخورنق
"كتاب الأبنية "
باب فعلت وأفعلت باتفاق المعنى
قال أبو محمد " أضاء القمر وضاء " وأنشد للعباس بن عبد المطلب يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:
من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشرٌ ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
وأنت لما ظهرت أشرقت ال ... أرض وضاءت بنورك الأفق
قوله في الظلال جمع ظل يعني ظلال الجنة أراد أنه كان طيّباً في صلب آدم عليه السلام وآدم في الجنة قبل أن يهبط من الجنة إلى الأرض وقوله حيث يخصف الورق حيث خصف آدم وحواء عليهما من ورق الجنة أي ضمّا بعضاً إلى بعض وقوله

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٢/٢

ثم هبطت البلاد يعني لما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان في صلبه ولم يكن إذ ذاك بشراً ولا مضغة ولا علقة بل نطفة يريد بل كنت نطفة وقوله تركب السفين يريد ركوب نوح السفينة وقت الطوفان وكنت في صلبه والسفين جمع سفينة وهذا الجمع غريب في المصنوعات ولا يكون إلا في المخلوقات نحو شعيرة وشعير وتمرة وتمر ولا يقال قصعة وقصعٌ وقوله ألجم نسراً نسرٌ صنمٌ وألجمهم منعهم من الكلام وقوله تنقل من صالب أي من صلب إلى رحم يقال صلبٌ وصلبٌ وصالبٌ وقوله إذا مضى عالمٌ أي مضى قرن بدا قرن وقيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض يقال هذا مطر طبق الأرض وقوله لما ظهرت أي ولدت وأشرقت أضاءت وأنّث الأفق على معنى الناحية. قال أبو محمد " سلكته وأسلكته قال الله عز وجل ما سلككم في سقر " وقال عبد مناف بن ربع الهذلي:

كأنهم تحت صيفي له نحم ... مصرح طحرت أسناؤه القردا

حتى إذا أسلكوهم في قتائده ... شلاّ كما تطرد الجمالة الشردا

صيفي سحاب له نحم صوت رعد ينحم مثل نحيم الدابة مصرح صرح بالماء صبه وانكشف فصار غيما خالصاً ونفى عنه القرد والقرد من السحاب الصغار المتلبد المتراكب بعضه على بعض وطحرت دفعت والأسناء جمع سناً وهو الضوء ويقال مطر مطحرٌ إذا كان شديد الدفعة بعيد المذهب يقول كأنهم تحت مطر صيفي مما يقع بهم من الضرب وقتائدة مكان والشلّ الطرد والجمالة أصحاب الجمال وقال الأصمعي ليس لإذا جواب قال ويقال إن قوله شلاّ هو الجواب كأنه قال حتى إذا اسلكوهم في هذا الموضع شلّوهم شلاّ.

قال أبو محمد " هلكت الشيء وأهلكته قال العجاج " :

ومهمةٍ هالك من تعرجا ... هائلة أهواله من أدلجا

المهمة القفر من الأرض وهالك من وصف المهمة ومن تعرّج في معنى الذين تعرّجوا فيه والألف واللام في معنى الذي فيصير المعنى هالك المتعرجين فيه ويجوز أن يكون هالك من فعل المتعرجين والضمير العائد إلى المهمة محذوف تقديره ومهمةٍ هالك متعرجوه كما تقول ومكان مهتد سالكوه فإذا نقلت الضمير وأدخلت الألف واللام قلت ومكان مهتد السالكين بنصب السالكسن وتنوين مهتد ويجوز الإضافة فتقول مهتدي السالكين وهذا التفسير على غير الوجه الذي ذكره ابن قتيبة بمعنى أهلكت ويقول هلكت لا يتعدى وتقدير بيث العجاج مستقيم على أن هالكاً لا يتعدى والذين جعلوا هلكت بمعنى أهلكت في التعدي استشهدوا بهذا البيت وجعلوا الفعل للمهمة وهائلة من وصف المهمة وأهواله فاعلة ومن أدلج مفعول يعني أن أهواله تهول من أدلج فيه.

قال أبو محمد " جلا القوم عن الموضع وأجلوا تنحوا عنه وأجليتهم وجلوتهم " قال أبو ذؤيب:

تدلى عليها بين سبّ وخيطة ... بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها

فلما جلاها بالأيام تحيزت ... ثبات عليها ذلّها واكتئابها." (١)

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/١١٤

"يصف مشتار العسل وإنه يتدلى لأخذه من الجبل لأن النحل تعسل في الجبال والجرداء ها هنا الصخرة الملساء شبه الصخرة في أملاسها بالنطع والوكف النطع والكبوّ العثار والسبّ الحبل بلغة هذيل والخيطة الوتد وقيل أن الخيطة درّاعة يلبسها المشتار وجلاها طردها والأيام الدخان وتحيزت تفرقت وتميزت في كل وجه ويقال اجتمع بعضها إلى بعض ويروى تحيرت أي بقيت لا تدري إلى أين تذهب والذي يأخذ العسل لا يصعد إلا ومعه شيء يدخن به عليهن لئلا يلسعنه يقال منه آمها يؤومها أوماً والثبات جمع ثبةٍ وهو القطعة من القوم ومن كل شيء **والاكتئاب** الحزن.

قال أبو محمد " وهنه الله فأوهنه قال طرفة " :

وإذا تلسنني ألسنها ... أنني لست بموهون فقر

وقد تقدم تفسيره. وأنشد.

أقتلت سادتنا بغير دم ... إلا لتوهن آمن العظم

هذا الاستفهام على سبيل الإنكار والمعنى ما قتلت به سادتنا بغير دم أراقوه إلا لتذلنا فنكون بمنزلة العظم الصحيح الآمن من الوهن حتى لحقه كسرٌ فأوهنه وأضعفه وإذا قتل سادة القوم فقد ذهب عزهم وذلوا. قال أبو محمد " خطئت وأخطأت قال الله تعالى " لا يأكله إلا الخاطئون " وأنشد بيتا لأمية بن أبي الصلت:

عبادك يخطئون وأنت ربٌّ ... بكفّيك المنايا لا تموت

هكذا أنشده لا تموت والقصيدة ميمة وأولها:

سلامك ربنا في كل فجر ... بريئاً ما تغنثك الذموم

عبادك يخطئون وأنت رب ... بكفيك المنايا والحتوم

من الآفات لست لها بأهل ... ولكن المسيء هو الظلوم

قوله سلامك ربّنا أي سلمنا يا رّبنا وقوله ما تغنثك أي ما تلزمك ويروى ما تليق بك الدموم وهي جمع ذم وبريئا نصب على الحال وهذه الحال موكدة ويروى بريءٌ بالرفع وهو خبر مبتدأ تقديره أنت بريء. يقال خطئت خطأ إذا أثمت قال الله تعالى " إنه كان خطئاً كبيرا " وأخطأت في غيره يقال لأن تخطئ في العلم خير من أن تخطأ في الدين وأبو عبيدة يقول هما لغتان والحتوم جمع حتم وهو القضاء وقوله من الآفات من تتعلق بقوله بريئاً من الآفات والمليم الذي يأتي بما يلام عليه.

باب فعلت الشيء عرضته للفعل

قال أبو محمد " أبعت الشيء عرضته للبيع " قال الأجدع بن مالك الهمداني:

فرضيت آلاء الكميت فمن يبع ... فرسا فليس جوادنا بمباع

آلاء الكميت خصاله ويقال نعمه جعل نجاته به من المهالك نعماً ويروى أفلاء الكميت وهو جمع فلو كعدو وأعداء ويقال في جمعه فلاء وفليّ وفلي يقول لرغبتنا في جوادنا وخبرنا بعتقه وكرمه لا نعرضه للبيع إذا عرض الناس خيلهم للبيع ويروى فمن يبع بفتح الياء ويبع بضمها.

باب فعلت الشيء وجدته كذلك

قال أبو محمد " وأقهرت الرجل وجدته مقهورا " وأنشد بيتا للمخبل السعدي قبله:
ألم تعلمي يا أم عمرة أنني ... تخاطأني ريب الزمان لأكبرا
وأشهد من عوف حلولا كثيرة ... يحجون سبّ الزبرقان المزعفرا
تمنى حصين أن يسود جذاعه ... فأمسى حصين قد أذل وأقهرا
يهجو الزبرقان قوله تخاطأني بمعنى تخطاني أي تجاوزني ريب الزمان وريبه صروفه وحوادثه وقوله وأشهد بالنصب عطف على لأكبرا وأشد من عوف وعوف هذا هو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم والحلول الجماعة الواحد حال أي نازل ويحجون يقصدون والسّبّ العمامة ها هنا وحصين اسم الزبرقان ورهطه يقال لهم الجذاع ويقال لأخوتهم الأحمال قال جرير:
أم من يقوم لشدة الأحمال
وقوله قد أذل وأقهر أي وجد ذليلا مقهورا ويروى قد أذل وأقهر أي صار إلى الذل والقهر. وأنشد للأعشى:
أثوى وقصر ليلة ليزودا ... فمضى وأخلف من قتيلة موعدا
ويروى أثوى على طريق الاستفهام يقال ثوى وأثوى لغتان وزودت الرجل الزاد فتزوده ومن الزاد اشتقاق المزود وفي مضت ضمير يعود إلى الليلة والتقدير فمضت الليلة ويروى فمضى أي مضى الرجل لأجل وعدها ويجوز أن يكون الضمير في مضت لقتيلة وهو اسم امرأة وأضمره على شريطة التفسير يريد أنه حبس نفسه عليها لتزوّده فلم تفعل.
قال أبو محمد " وأهيجتها أي وجدتها هائجة النبات " وأنشد لرؤبة: حتى إذا ما اصفر حجران الذرق وأهيج الخلصاء من ذات البرق." (١)

"قال أبو محمد قال سيبويه ليس في الكلام فعل إلا حرفان في الأسماء إبل والحبر وهو القلح في الأسنان وحرف في الصفة قالوا امرأة بلز وهي الضخمة قال ابن قتيبة وقد جاء حرف آخر وهو إيل. قلت وقد جاء في الصفات أتان إبد وهي المتوحشة وقيل التي تلد كل عام ورويت عن ابن دريد إنه قال دبس ودبس فهذا في الأسماء. قال أبو محمد قال سيبويه ليس في الكلام فعل وصف الأحرف واحد من المعتل يوصف به الجميع وذلك قولك قوم عدي قال ابن قتيبة وقال غيره قد جاء مكان سوى أي عدل بين الموضعين قلت وقد جاء غير ذلك قال الله تعالى " دينا قيما " وقالوا لحم زيم وهو المتعضل المتفرق ومنازل زيم أي متفرقة ومال خير أي كثير وزيم أيضا اسم فرس الأخنس بن شهاب قال فيها:
هذا أوان الشد فاشتدي زيم
ومثل بمغفور ومغثور ومغمور واحد المغافير وهي شيء ينضجه العرفط حلو كالناطف وله رائحة كريهة تشبه رائحة الثوم. الهذلول الخفيف والبعكوك الرهج والغبار والمرّيق العصفر والجرجار نبت والدهداه صغار الإبل والصلصال الطين اليابس الذي يصل من يبسه أي يصوت يقال قرب حقحاق وهقهاق وقهقاه إذا كان شديدا صعبا والحملاق ما يظهر من العين إذا فتح الرجل عينه وقنطار قيل ألف دينار وقيل ملء مسك ثور ذهبا وشملال ناقة سريعة والسرداح الناقة الطويلة وجمعها سرداح

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/١١٥

والسرداح الناقة الكثيرة اللحم والسرداح أماكن تنبت النجمة والنصى قال:

عليك سرداح من السرادح ... ذا عجلة وذا نصي واضح

هلباج رجل ضخم فدم والهلباج والهلباجة الأحمق الأصمعي الهلباج أختر اللبن فأما قولهم بهماه وسعلاه فإن الألف فيهما ليست لتأنيث لأنه لا يجتمع في اسم علامتان للتأنيث وكذلك رجل عزهاه وهو الذي لا يحب اللهو والغزل. الضيزى القسمة الجائرة قلعم وهو اسم. هبلع الشديد البلع والمسيطر المتعهد للشيء المسلط عليه والمهيمن الشاهد والمؤيمن وأصله مؤيمن وسبى طيبة إذا لم يكن عن غدر ولا نقض عهد والأبلم خوص المقل وإمدان منقع ماء والأربيان ضرب من السمك ويوم أرونان صعب شديد وعجين انبجان إذا انتفخ وعظم. قال ولم يأت على فعاليل الأحرف واحد قالوا ماء سخاخين ليس وزن سخاخين فعاليل وإنما وزنه فعاليل لأن العين تكررت ولم تتكرر اللام وألنجج افنعل العود الذي يكتحل منه يقال ألنجج ويلنجج ويلنجوج وألنجوج ورجا ندد وهو الشديد الخصومة والسيراء ضرب من البرود فيه خطوط كالسيور خفيق الناقة السريعة مأخوذ من خفقان الريح.

شواذ التصريف

قال أبو محمد من ذلك قولهم إني لتيه بالغدايا والعشايا فجمعوا الغداة غدايا وأنشد:

هتاك أخبية ولاج أبوبة ... يخلط بالجد منه البر واللينا

الخباء جمعه أخبية وكذا جمع فعال في القلة كفراش وأفرشة وكساء واكسية وباب جمعه أبواب على أفعال كقولهم مال وأموال وقاع وأقواع فغيره عن أفعال إلى فعلة لتقدم أخبية والمعنى أن هذا الممدوح يغير على أعدائه فيستبيحهم ويهتك بيوتهم يقتلعها من مواضعها ويسبي نساءهم وهو شريف رفيع القدر إذا قصد الملوك ولج أبوابهم ولم يحجب لعزه ومحله ووصفه أنه يجد في موضع الجد ويلين في موضع اللين.

قال أبو محمد وقال آخر هو منظور بن مرثد الأسدي:

هل تعرف الدار بأعلى ذي القور ... قد درست غير رماد مكفور

مكتئب اللون مروح ممطور ... أزمان عيناء سرور المسرور

عيناء حوراء من العين الحير

وهو الجبل الصغير أي هل تعرف الدار بأعلى المكان ذي القور وقد درست وذهبت معالمها الأرمادا مكفورا وهو الذي سفت عليه الريح التراب فغطاه ومكتئب اللون يضرب لونه إلى السواد كلون وجه الكئيب والمروح الذي أصابته الريح والممطور الذي أصابه المطر وعيناء امرأة وهي مبتدأ وسرور المسرور خبره وأزمان مضاف إلى الجملة والمعنى هل تعرف الدار في الزمان الذي كانت فيه هذه المرأة تسر من رآها لحسنها وحوراء أي حوراء العين والحور بياض بياض العين في شدة سوادها والعين جمع عيناء وهي البقرة شبهها بها والحير أراد الحور جمع حوراء كسرت حاؤه فانقلبت واوه ياء ورواه غيره من العين الحور.

وأنشد أبو محمد شاهدا على أرض مسنية ومسنوة قول الراجز:

ما أنا بالجافي ولا المجفى

وقد مضى تفسيره وتفسير البيت الذي بعده وهو:." (١)

"أنا الليث معدوا علي وعاديا وأنشد أبو محمد على التلقاء بيتا للراعي:

أملت خيرك هل تأتي مواعده ... فاليوم قصر عن تلقائك الأمل

مواعد جمع موعد يقول رجوت خيرك هل تصدق فيه مواعيدك فقد عجز الأمل حين لقيتك أي خاب.

وأنشد أبو محمد:

مكتئب اللون مروح ممطور

وقد مضى تفسيره.

وأنشد أبو محمد:

وماء قدور في القصاع مشيب

البيت للسليك ابن السلكة السعدى وأوله: سيكفيك ضرب القوم لحم معرض وماء قدور ويروى مشوب يخاطب صاحباً له كان اسمه صرد وكان معه في غزوة يقول سيكفيك اللبن الحامض الذي كنت تشربه واللحم المعرض بالضاد معجمة وهو الذي لم يتم تضجه مثل المضهب والملهوج وإنما لم ينضجوه لعجلتهم لأنهم غزاة وقيل في المعرض إنه الكثير ويروى معرص الصاد غير معجمة وهو الذي قد أخذ في التغير وقد ردت الرواية الأولى فقيل هي تصحيف ويروى مغرض بالغين والضاد المعجمتين وهو الطري.

وأنشد أبو محمد قال أنشد الكسائي فيما جاء بالواو:

ويأوي إلى زغب مساكين دونهم ... فلا لا تخطاه الرفاق مهوب

الشعر لحميد بن ثور وهو في صفة قطاة والإنشاد الصحيح:

غدت لم تباعد في السماء ودونها ... إذا نظرت أهوية وصبوب

فجاءت وما جاء القطاثم قلصت ... لمسكنها والواردات تنوب

وتأوي إلى زغب مساكين دونها ... فلا لا تخطاه الرفاق مهوب

قوله لم تباعد أي لم تحلق في السماء فيكون أبطأ لها ولم تسف إلى الأرض فيكون أضعف لها ولكنها أخذت وسطا من ذلك فارتفعت عن الأسفاف وانخفضت عن التحليق وقوله ودونها إذا نظرت أهوية وصبوب يقول لم ترتفع فتكون إذا نظرت إلى الأرض فكأنها تنظر إلى أهوية وهي البئر وصبوب منصب الماء في الأرض ومنحدره قوله فجاءت وما جاء القطا يقول جاءت هذه القطاة وما جاء القطا بعد لأنها تبادر ألأولادها أن تعطش وقوله لمسكنها أي لفراخها التي في عشها وتنوب تجيء ناب للورد جاء للشرب وقوله وتأوي أي تنضم إلى زغب يعني فراخها الزغب ما يكون على الفرخ من الريش قبل ان يقصب ومساكين أي هي صغار لا تطير والرفاق جمع رفقة وهم الذين ينهضون في سفر يسيرون معاً وينزلون معاً لا يفترقون

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/١٤٧

ومهوب يهاب.
أخبر أن هذه الفلاة مخوفة لا تتخطى من هولها ويروى:
تبادر أطفالا مساكين دونها ... ملاً ما تخطاه العيون رغيب
الأطفال أفراخها والملا الصحراء ما تخطاه العيون أي لا تدرك العيون أقصاه ولا تقطعه والتخطي أن ترفع بصرك إلى أقصى شيء تراه وتدع ما دونه ورغيب واسع والذي روى لنا عن ابن قتيبة دونهم بالميم والصواب دونها لأن الهاء والميم تختص بمن يعقل.
قال أبو محمد قال سيبويه ومما جاء على أصله:
وصاليات ككما يؤثفين
وقد فسر.قال أبو محمد وقول الآخر:
كرات غلام في كساء مؤرنب
هو من بيت لليلى الأخيلية وقبله:
إذا افترت ضرب الجناحين عاقبت ... على شزنيها منكباً بعد منكب
فلما أحسا جرسها وتضوّرا ... وآبتهما من ذلك المتأوب
تدلت إلى حص الرؤوس كأنها ... كرات غلام في كساء مؤرنب
أي إذا المنكب ومرة على هذا المنكب وفترت أعيت وجرسها صوتها وتضوّرا يعني فرخيها أي تحركا وآبتهما رجعت إليهما مساء من ذلك المكان ويروي:
إذا ما احسا رزها وتضوعا
الرز الصوت وتضوعا تحركا وقوله حص الرؤوس فراخ لا ريش عليها وكرات جمع كرة شبه رؤوس الفراخ بكرات في لطفها واستدارتها والمؤرنب المنسوج من مسوك الأرانب.
قال أبو محمد وأغضى الليل فهو غاض ومغض وأنشد بيتاً لرؤبة قبله:
يقطع أجواز الفلا انقضاضى ... بالعيس فوق الشرك الرفاض
كأنما ينضحن بالخضخاض ... يخرجن من أجواز ليل غاض
نضو قداح النابل النواضي." (١)
"والأخنس: القصير المشافر، وإنما توصف المشافر بالسّبوطة.
ووصف أعرابي إبلا، فقال: كوم بهازر، مكد خناجر، عظام الحناجر، سباط المشافر، أجوافها رغاب، وأعطانها رحاب، تمنع من البُهُم، وتبذل للجممِ.
ناقة مكود وخنجورة: كثيرة اللبن. والبهازر: العظام. والكوم: المرتفعة الأسنمة. ولم يحسن أيضاً صفة ورود الإبل. قال:

---

(١) شرح أدب الكاتب، ص/١٤٨

جاءت تسامي في الرَّعيلِ الأوَّلِ ... والظَّلُّ عن أخفافِهَا لم يفضُل

ذكر أنها وردتْ في الهاجرة، وهذا خلاف المعهود، وإنما يكون الورود غلسا، كقول الآخر:

فوردتْ قبلَ الصّباحِ الفاتقِ

وقال الآخر:

فوردن قبل تبين الألوانِ

وقول لبيد:

إن من وردى تغليس النَّهلْ

ومن الغلط قول أبي النّجم:

صلبُ العصا جافٍ عن التغزُّل

يصف راعي الإبل بصلابة العصا، وليس بالمعروف.

والجيّد قول الراعي:

ضعيفُ العصا بادي العروق ترَى لهُ ... عليهَا إذا ما أجدبَ الناسُ إصبعاً

وإنما يقال: فلانٌ صلب العصا على أهله إذا كان شديداً عليهم.

ومن الغلط قول أبي النّجم أيضاً في وصف الفرس، وهو غلط في اللّفظ

كأنّها ميجنة القصَّار

وإنما الميجنة لصاحب الأدم، وهي التي يدقُّ عليها الأدمُ من حجرٍ وغيره.

ومن فساد المعنى قول الشمَّاخ:

بانتْ سعاد وفي العينينِ ملمُولُ ... وكانَ في قصرٍ من عهدها طولُ

كان ينبغي أن يقول: في طول من عهدها قصر، لأنَّ العيش مع الأحبّةِ بوصف بقصر المدة، كما قال الآخر:

يطولُ اليومُ لا ألقاكَ فيه ... وحولٌ نلتقي فيه قصيرُ

ومن اضطراب المعنى قول أبي دواد الأيادي:

لو أنها بذلتْ لذي سقمٍ ... حرض الفؤادِ مشارف القبضِ

حسنَ الحديثِ لظلَّ مكتئباً ... حرَّان من وجد بها مضّ

وكان استواء المعنى أن يقول: لبرأ من سقمه كما قال الأعشى:

لو أسندتْ ميتاً إلى نحرِهَا ... عاشَ ولم ينقلْ إلى قابرِ

وقال تأبط شراً:

قليلُ غرارِ النّومِ

تقديره قليل يسير النوم، وهذا فاسد، ووجهُ الكلام أن يكون ما ينام إلاَّ غراراً، فإن احتلت له قلت: يعنى أن نومه أيسر من

اليسير.

وقول أبي ذؤيب:

فلا يهنأ الواشونَ أن قد هجرتُها ... وأظلمَ دوني ليلُها ونهارُها

هذا من المقلوب، كان ينبغي أن يقول: وأظلم دونَها ليلى ونهاري.

وقول ساعدة:

فلو نبأتك الأرضُ أو لو سمعتَه ... لأيقنتَ أني كدتُ بعدكَ أكمدُ

كان ينبغي أن يقول: إنِّ بعدك أكمَد.

ومن الخطأ قول طرفة يصف ذنب البعير

كأنَّ جناحي مضرحيٍّ تكنَّفَا ... حفافيه شكًّا في العسيب بمسردِ

وإنما توصفُ النجائب بخفّة الذنب ... وجعله هذا كثيفاً طويلاً عريضاً

وقول امرئ القيس:

وأركبُ في الرَّوعِ خيفانةً ... كسا وجههَا سعفٌ منتشرْ

شبّه ناصية الفرس بسعف النخلة لطولها، وإذا غطى الشعرُ العين لم يكن الفرس كريماً.

وقول الحطيئة:

ومن يطلب مساعِي آل لأي ... تصعّدُهُ الأمورُ إلى علاهَا

كان ينبغي أن يقول: من طلب مساعيها جز عنها وقصّر دونها، فأما إذا تناهى إلى علاها فأي فخر لهم، فإن قيل: إنه أراد به أنه يلقى صعوبة كما يلقى الصاعد من أسفل إلى علو، فالعيبُ أيضاً لازم له، لأنه لم يعبّر عنه تعبيراً مبيناً.

وقول النابغة:

ماضِي الجنان أبي صبرٍ إذا نزلتْ ... حربٌ يوائلُ منها كل تنبالِ

التّنبال: القصير من الرجال، وليس القصير بأولى بطلب الموئل من الطوال، وإن جعل التّنبال الجبان فهو أبعد من الصواب، لأن الجبان خائف وجل اشتدت الحرب أم سكنت.

والجيد قول الهمداني:

يكرُّ عل المصافِّ إذا تعادَى ... من الأهوالِ شجعانُ الرّجالِ

وقول المسيب بن علس:

فتسلَّ حاجتَها إذا هي أعرضتْ ... بخميصةٍ سرح اليدين وساعٍ

وكأنَّ قنطرةً بموضع كورِها ... وتمدّ ثنى جديلها بشراعِ

وإذا أطفتَ بها أطفتَ بكلكلٍ ... نبضِ الفرائص مجفَر الأضلاعِ

وهذا من المتناقض، لأنه قال خميصة، ثم قال: كأن موضع كورِها قنطرة، وهي مجفرة الأضلاع، فكيف تكون خميصة وهذه صفتها.

وقول الحطيئة:

حرج بلاوذُ بالكناس كأنّه ... متطوّف حتى الصباح يدورُ." (١)

"وأما الوجه الآخر، فإن أراد ندماؤكم الانصراف فلا تمنعوهم من ذلك ولا تحبسوهم للمبيت، واحذروا ذلك غاية الحذر، فإنن آفات المبيت أعظم ضرراً مما ذكرنا منن آفات الصبوح لأنه قد يكون في القوم الخفيف المنام، السريع القيام فيفرّ عنه نومُه، ويحتاج إلى المؤانسة فيقيم من يطيب له النوم ويشتد عليه القيام، ويمتنع منه الكلام، فإن ساعده بعضهم، احتاج إلى تجديد المجلس وطلب الطعام، ولعل ذلك يتعذَّر على العيال في جوف الليل فلم يكونوا أعدُّوا منه عُدة، ولو كان معداً، لقد كان في إيقاد السِّراج، وإيقاظ النيام، وإحضار الطعام والشراب أشدّ الإبرام. وإن كان في القوم دبَّابٌ عند إطفاء السِّراج ونزول الظلام. وقد بيَّت على الغلام فأخطأه وأصاب المولى وبعض الندماء، فيا لك من رفسةٍ ولكمةٍ ولطمةٍ وجدع أُذن بكدمةٍ، فإن احتيج إلى إشعال السراج لينظروا من الفاعل ولم يكن في الدار نار وفتح الباب وخرج الغلام ورافق ذلك مرورُ الحرس فقُبض عليه وحُبس فإن أَحسُّوا بهيمنة العربدة، كسروا الباب ودخلوا الدار وولَّد ذلك أكثر مما كانوا فيه وكانت الفضيحة بين الجيران وثقل المغرم لأعوان السلطان، وإن سلموا من هذا كلّه وانتبهوا عند الصباح، طلبوا الرؤوس وعرفوا بالصبوح، ووصلوه بالغبوق، فحلَّ على صاحب المنزل يوم ودعوتان في دعوة، واتصل نصبُه وطال تعبه. وآفات هذا الباب كثيرة، ولو استقصيتها لكم لطال بها الخطاب. والذي أُوصيكم به أن يجوِّدوا نبيذكم ما استطعتم وإن قلَّ طعامكم وتعذَّر، فإن مسافة الطعام قصيرة قليلة، ومسافة الشراب كثيرة طويلة، فإنكم إذا اهتممتم للفتيان في الطعام، وأتيتموهم بالحار والبارد من الجداء والحملان والسمك والدجاج والبط والدُّرَّاج والحلو والحامض ثم قدَّمتم إليهم شراباً غير طيب، نغَّصتم عليهم جميع ما أكلوه عندكم، ولو عظم إنفاقكم عليه ولو أتيتموهم بكل غريب من النقل والريحان والطِّيب والأدهان لما أصلح ذلك كله خسار شرابكم. فإن غبت تشاكوا، وإن حضرت كانت غاية أحدهم حبس كأسه في يده وإن غفل الساقي عنه كبه في ذلك الريحان فيدعي أحدهم مغساً في جوفه، وآخر صداعاً برأسه، وآخر يقول في نفسه ليتني اعتذرت ولم أكن جئت، وأنتم إذا قدَّمتم اليسير من الطعام الذي لا كلفة فيه عليكم وجودتم شرابكم حُمدت دعوتكم ولذَّت معاشرتكم وسَرَّت منادمتكم وعرف موقعها، فأحسنوا التدبير في جودة النبيذ، فإنه من أفضل ما تحوطون به أنفسكم وتحفظون به مروءاتكم وفقكم الله وسدَّدكم.

وقال ابن المعتز في ذم الصبوح:

اِسمع فإني للصَّبوح عائبُ

عنديَ من أخباره عجائبُ

إذا أردت الشرب عند الفجرِ

والنجم في لجة ليلٍ يجري

وكان بردٌ بالنسيم يرتَعِدْ

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/٣٠

وريقُهُ على الثنايا قد جَمَدْ

وللغلام ضجرة وهَمْهمة

وشتمة في صدره مُجمجمة

يمشي بلا رجلٍ من النُّعاسِ

ويدفق الكأسَ على الجُلاَّسِ

ويلعن المولى إذا دعاهُ

ووجههُ، إن جاءَ، في قفاه

فإن أحسَّ من نديمٍ صوتاً

قال مجيباً: طعنةً وموتا

أعجل من مسواكهِ وزينتهْ

وهيئة تظهر حسن صورتِهِ

وإن يكن للقوم ساقٍ يُعشقُ

فجفنه بجَفنه مُرَنَّقُ

ورأسهُ كمثل فروٍ قد مُطِرْ

وصدغهُ كالصولجان المنكسِرْ

فإن طردتَ البردَ بالسُّتورِ

وجئت بالكانونِ والبخورِ

فأي فضلٍ للصبوحِ يعرفُ

على الغبوقِ والظلام مُسدفُ

ولو دَسَسْت في استِ محمومٍ لما

نجوت من قُرادٍ إما صَمَّما

تحسب في رياحه الشمائل

صوارماً ترسب في المفاصل

وقد نسيت شررَ الكانونِ

كأنه نثار ياسمينِ

يرمي بها الجمر إلى الأحداقِ

فإن وَنَى قرطسَ في الآماق

وترك البساط بعد الخمدِ

بنقطٍ سودٍ كجلد الفهدِ

وقطَعَ المجلس في اكتئابِ

وذكر حَرْقِ النار للثياب

ولم يزل للقوم شغلاً شاغلاً

وأصبحت ثيابهم مناخِلا

حتى إذا ما ارتفعت شمس الضحى

قيل فلان وفلانٌ قد صحا

وربما كان ثقيلاً يحتشِمْ

فطوَّلَ الكلام حيناً وجَشَم

ورفِعَ الرَّيحان والنبيذ

وزال عنا عيشنا اللذيذ

ولست في طول النهار آمناً." (١)

"بنفسج بذكي الروح مخصوص ... ما في زمانك إن وافاك تنغيص

كأنه شعلة الكبريت بارزةٌ ... أو خد أغيد بالتجميش مقروص

ولابن المعتز في النور المختلف:

وترى البهار معانقاً لبنفسجٍ ... وكأن ذلك زائرٌ ومزور

وكأن نرجسه عيون كحلت ... بالزعفران جفونها الكافور

تحيي النفوس بطيبها فكأنها ... طعم الرضاب يناله المهجور

الباب الثامن في الصيف والخريف والشتاء

من أحن ما قيل في الحر قول بعض العرب:

ويومٍ كأن المصطلين بحره ... وإن لم يكن جمراً قيامٌ على الجمر

صبرت له حتى يمر وإنما ... تفرج أيام الشدائد بالصبر

وقول مؤلف الكتاب:

رب يومٍ هواؤه يتلظى ... فيحاكي فؤاد صب متيم

قلت إذ صلت حره حر وجهي: ... ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

ولأبي إسحاق الصابي في البق:

وليلةٍ لم أذق من حرها وسناً ... كأن في جوها النيران تشتعل

أطاف بي عسكرٌ للبق ذو لجب ... ما فيه إلا شجاعٌ فاتكٌ بطل

---

(١) قطب السرور في اوصاف الخمور، ص/٨٢

من كل شائلة الخرطوم طاعنةٍ ... لا تحجب السجف مسراها ولا الكلل

طافوا علينا وحر الشمس يطبخنا ... حتى إذا نضجت أجسادنا أكلوا

وقول مؤلف الكتاب:

وليلٍ بته رهن **اكتئاب** ... أقاسي فيه ألوان العذاب

إذا شرب البعوض دمي وغنى ... فللبرغوث رقصٌ في ثيابي

ومن أحسن ما قيل في الباذنجان:

وباذنجانة حشيت حشاها ... صغار الدر باللبن الحليب

تقمصت البنفسج واستقلت ... من الآس الرطيب على قضيب

ومن أحسن ما قيل في المشمش:

أما ترى المشمش يا خل الأدب ... مشطبا أكرم بهاتيك الشطب

مثقب الهامات من غير ثقب ... كأنه بنادقٌ من الذهب

قد صاغها صائغها بلا تعب

ومن أحسن ما قيل في التفاح:

راحٌ وتفاحةٌ من كف جارية ... بيضاء بالحسن والإحسان منفردةً

كأنما هذه هاتياك دانيةٌ ... وهذه هذه في الكف منعقدة

وللصاحب في وصف حبه عنبٍ:

وحبةٍ من عنبٍ قطفها ... تحسدها العقود في الترائب

كأنها من بعد تمييزي لها ... لؤلؤة في ثقبت من جانب

ومن أحسن ما سمعت في أكل العنب تعللا به وتسلياً عن الخمر:." (١)

"ومنها وصية زوجة عوف بن ملحم الشيباني لابنتها حينما زفت إلى زوجها الحارث بن عمرو ملك كندة، وفيها تقول: "أي بنية، إن الوصية لو تركت لفضل أدب؛ تركت لذلك منك؛ ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة يكن لك عبدا. يا بنية: احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا، الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح؛ ولا يشم منك إلا أطيب ريح؛ والتعهد لوقت طعامه؛ والهدوء عند منامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله؛ فإن الاحتفاظ بالمال حسن التدبير، والإرعاء على الحشم والعيال جميل حسن التقدير، ولا تفشي له سرا، ولا تعصي له أمرا؛ فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، ثم اتقي -مع ذلك- الفرح إن كان ترحا،

---

(١) قصائد من عيون الشعر، ص/١٨

والاكتئاب عنده

٢٦٨ ٤٧٨

Results ١،١،١،١٩١

في تاريخ الأدب الجاهلي

الوصايا

إن كان فرحا، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظاما، يكن أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك"١٧.

---

١٧ البيان والتبيين جـ٢ ص٧.

٢٦٩ ٤٧٨

Results ١،١،١،١٩٢

في تاريخ الأدب الجاهلي

سجع الكهان

سجع الكهان:

". (١)

"وإن سلك الغرام به طريقاً ... فخذ عرضاً سوى ذاك الطريق

فليجاب الحقوق بغير راع ... حقوقك رأس تضييع الحقوق

آخر

وإذا الصديق نأى بجانب نفعه ... وحماك صوب غمامه المتدفق

وازورّ عنك بجاهه وبماله ... وببشره وجنى ولم يتخلق

فاعدده في الموتى فلا معنى له ... وأرمي به الغرض البعيد وحلق

---

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي، /

إن ظنني للنار منه شفاعة ... يوم القيامة ساء ظنّ الأحمق

الكميت

ولست إذا ولي الصديق بودّه ... **بمكتئب** أبكى عليه وأندب

ولكنه إن دام دمت وإن يكن ... له مذهب عني فلي عنه مذهب

إلا أنّ خير الودّ ودّ تطوّعت ... به النفس لا ودّ أتى وهو متعب

أبو العتاهية

ما أنا إلا كمن عناني ... أرى خليلي كما يراني

لست أرى ما ملكت طراً ... مكان من لا يرى مكاني

من ذا الذي يرتضي الأقاصي ... إن لم ينل خيره إلا داني

آخر

ومن شيمتي أني إذا المرء ملني ... وأظهر إعراضاً ومال إلى الغدر

أطلت له قيماً يجب عنانه ... وتاركته في جس مس وفي سر

فإن عاد في ودّي رجعت لودّه ... وإن لم يعد ألغيت ذاك إلى الحشر

محمد بن حازم

تمادى به الهجران واستحسن الغدرا ... وإلى يميناً لا يكلمني الدهرا

فوالله ما استسننت بعد مودّة ... صديقاً ولا أرهقت ذا زلة عسرا

فإن عاد في ودي رجعت لودّه ... وإلا فإني لا أحمله اصرا

وإن مال عني خائباً نحو عذره ... تسليت عنه واستعرت له صبرا

اعدّ لمن أبدى العداوة مثلها ... وأجزى على الاحسان واحدة عشرا

سعيد

أشكو إلى الله حياء امرئ ... ما كان بالجافي ولا بالملول

كان وصولاً دائماً عهده ... خير الاخلاء الودود الوصول

ثم ثناه الدهر عن رأيه ... فحال والدهر لقوم يحول

فإن يعد أشكو له ودّه ... وإن يطل هجراً فإني حمول

آخر

في سعة الأرض وفي أهلها ... مستبدل بالخل والجار

فمن دنا منك فأهلاً به ... ومن تولى فإلى النار

ملح من مدح الأخلاء الأصفياء وصفات مودات الأصدقاء الأولياء مدح الصاحب بن عباد صديقاً له فقال تصفحت

أوطار القلوب فلم أجد أحسن من قربه وتأملت أشخاص الخطوب فلم أرع بأفظع من بعده محاسنه أنوار لم تحجب بسجوف ومباسمه شموس لم تتصل بكسوف وألفاظه تذكرني بالشباب وريعانه بل بأفنان الصبا وفتيانه ومدح أعرابي صديقاً له فقال مجالسته غنيمة وصحبته سليمة ومواخاته كريمة هو كالمسك إن بعته نفق وإن تركته عبق شاعر يصف أخاً له

أخ وأب وابن وأم شفيقة ... تفرق في الأحباب ما هو جامعه

سلوت به عن كل من كان قبله ... وأذهلني عن كل ما هو تابعه

آخر

ولي صاحب أصفيه ودّي وإنه ... لينصفني في ودّه ويزيد

أمنت صروف الدهر بيني وبينه ... إذا دبّ بين الصاحبين حسود

وصف المأمون ثمامة بن أشرس فقال إنه كان يتصرف في القلوب تصرف السحاب مع الجنوب شاعر ولقد أحسن في وصفه لصديقه

خل بلغت برأيه شرف العلا ... وأخ غنيت به عن الاخوان

ومتى طلبت عليه طالب حاجة ... كفلت يداه بذمتي وضماني

آخر

موفق لسبيل الرشد متبع ... يزينه كل ما يأتي ويجتنب

له خلائق بيض لا يغيرها ... صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

ومن كلام الثعالبي يصف صديقاً له فلان كريم ملء لباسه موفق مدد أنفاسه ذو جد كعلو الجد وهدى كحديقة الورد عشرته ألطف من نسيم الشمال على صفحات الماء الزلال وألصق بالقلب من علائق الحب

فتى قدّ قدّ السيف ما ناء عوده ... ولا وهنت أعضاؤه ومفاصله

إذا جدّ عند الجدّ ألهاك جدّه ... وذو باطل إن شئت ألهاك باطله

آخر." (١)

"البحر : منسرح (ماتَتْ لُبَيْنَى فموتها موتي ** هَلْ تَنْفَعَنْ حَسْرَةٌ على الفَوْتِ) (وَسَوْفَ أبْكِي بُكَاءَ **مُكْتَئِبٍ** ** قَضَى حياةً وجداً على مَيْتِ)

." (٢)

---

(١) غرر الخصائص الواضحة، ص/٢٤٢

(٢) ديوان قيس لبنى، ص/١٢

"البحر : كامل تام (راعَ الفؤادَ تفرقُ الأحبابِ ، ** يَوْمَ الرَّحِيلِ فَهَاجَ لي أَطْرَابي) (فَظَلِتُ **مُكْتَئِباً** أُكَفْكِفُ عَبْرَةً ** سَحًّاً تَفِيضُ كَوَاشِلِ الأَسْرَابِ) (لما تنادوا للرحيلِ ، وقربوا ** بُزْلَ الجِمَالِ لِطِيَّةٍ وَذَهَابِ) ٤ (كادَ الأسى يقضي عليكَ صبابةً ، ** وَالْوَجْهُ مِنْكَ لِبَيْنِ إِلْفِكَ كَابِ)

---

(١) ".

"البحر : مجزوء الوافر (طربتَ ، وردّ من تهوى ** جِمَالَ الحيّ فَ بْتَكَرا) (فَظِلْتُ مُكَفْكِفَاً دَمْعاً ** إذا نهنهتهُ ، ابتدرا) (وَبِتُّ لِذاكَ **مُكْتَئِباً** ** أُقَاسي الهَمَّ وَ لسَّهَرا) ٤ (لِبَيْنِ الحَيّ إِذْ هَاجُوا ** لكَ الأحزانَ والذكرا) ٥ (فإن يكُ حبلُ من ته ** واهُ أمسى منكَ منبترا) ٦ (فَقِدْماً كُنْتَ لا تَلْقَى ** لصفوٍ قد مضى كدرا) ٧ (لَيَالِيَ لاَ أُبَالي مَنْ ** لَحَى في الحُبِّ أَوْ عَذَرا) ٨ (وَلَنْ أَنْسَى بِخَيْفِ مِنًى ** تُسَارِقُ زَيْنَبُ النَّظَرَا) ٩ (إليّ ، بمقلتيْ ريمٍ ، ** ترى في طرفها حورا). (وَثَغْرٍ وَاضِحٍ رَتَلٍ ** ترى في خده أشرا)

---

(٢) ".

"البحر : وافر تام (أخٌ لي عادَ من بعدِ اجتِنَابِهْ ** ففرَّقَ بينَ قلبي **واكتِئَابِهْ**) (حَبَانِي بالعتابِ وكانَ ظنّي ** بِهِ أنْ لا سَبِيلَ إلى عِتَابِهْ) (وخَاطَبَنِي فَخِلْتُ بأنَّ زَهرَ ال ** رُبى الموشِيَّ يُجْنى مِنْ خِطَابِهْ) ٤ (بلفظٍ لو بَدَا لحليفِ شَيْبٍ ** لفارَقَهُ وعادَ إلى شَبَابِهْ) ٥ (فَقَرَّبَ بينَ أجفاني وغَمْضِي ** وباعَدَ بين دَمعِي وانسِكابِهْ) ٦ (وردَّ البرءَ في جسمٍ نوى مِنْ ** سُقَامِ الصدِّ حينَ ثَوَى لِمَا بِهِ) ٧ (أَتاني أَرْيُ مَنْطِقِهِ فَعَضَّ ** على ما ذُقتُهُ من طَعمِ صَابِهْ) ٨ (وكانَ أَلَذَّ عندي مِنْ رُضَابِ ال ** حَبِيبِ إذا قَدرتُ على رِضَابِهْ) ٩ (إذا انتسبَ الثّقَاتُ إلى وفاءٍ ** فحسبُكَ بانتسابي وانتسابِهْ). (على أنِّي وإن جِزْتُ الثريَّا ** فليسَ أقاسَ بَعْدُ إلى تُرَابِهْ)

---

(٣) ".

"البحر : مديد تام (يَا لَقَومِي مَنْ **لمكتَئِبٍ** ** دَمْعُهُ في الخدّ منسَفِحَ) (لامَهُ العذّالُ في رشإٍ ** عُذْرُهُ في مِثْلِهِ يَضَحُ) (وادعُوا نُصْحي وأخوّنُ ما **كانَ عُذَّالِي إذا نَصَحُوا) ٤ (خَوّفُوني مِنْ فضيحَتِه ** لَيَتهُ وَافَى وأُفتَضِحُ) ٥ (ذَهبِيُّ الخَدِّ تَحْسَبُ في ** وَجْنَتَيْهِ النارَ تَنْقَدِحُ) ٦ (كيفَ يسلو القلبُ عن غُصُنٍ ** عَلّهُ من مائِه المرحُ) ٧ (وكأنَّ الشمسَ نِيطَ بها ** قمرٌ يُمْنَاهُ والقَدَحُ) ٨ (صَدَّ إنْ مَازَحْتُهُ غضباً ** ما على الأحبابِ إنْ مزَحُوا) ٩ (وَهْوَ لا يدري لِنَخْوَتِهِ ** أنّنا في النّومِ نصطَلِحُ). (ثمّ لا أنسَى مقالتَه ** أَطُفَيليٌّ وَمُقْتَرِحُ)

---

(١) ديوان عمر ابن أبي ربيعة، ص/٢٩

(٢) ديوان عمر ابن أبي ربيعة، ص/٢٣٩

(٣) ديوان كشاجم، ص/٤٣

". (١)

"البحر : مديد تام (من ترى ينصفُني من خَليلِ ** لَمْ يَزَلْ يلبسُ ثوبَ المَلُولِ) (كلّما طَافَ بهِ العاذِلونَ ** لجّ به في سرعةٍ بالقُبُولِ) (والوشاةُ وَيْحَهُم لا ينونَ ** في اقتضابِ حَبْلِ وصالِ الوَصُولِ) ٤ (كيفَ لا يحولُ هَوَى من لَدَيهِ ** منظرٌ ومستمعٌ للعَذُولِ) ٥ (لو يَرَى مودّتَهُ في الضّميرِ ** لَمْ يَزَلْ يقابلُني بالجَمِيلِ) ٦ (لا ولا كرامةٌ للعاذلينَ ** لا أصدُّ قَبلَ قيامِ الدّلِيلِ) ٧ (لا أصدُّ منهمُ للصّديقِ ** أسرتي وأسرتُهُ من قبيلِ) ٨ (أنفسٌ مؤتلفةٌ بالإخاءِ **كلّها تَدِينُ بحبّ الرّسُولِ) ٩ (فارجُ الظّلامِ وهادي الأنامِ ** والوصيّ صَاحِبِهِ والبَتُولِ)٠ (فَضْلُ هذا لصاحبِهِ وال ** عَدُوّ مكتئبٌ قلبُهُ بالغَلِيلِ)

". (٢)

"فإنْ تسلُ عنكَ النفسُ، أو يذهلُ الهوى ... فباليأسِ أسلو عنكِ، لا بالتجلدِ

وقال الحارث بن حلزة:

ويئستُ مما قد شغفتُ بهِ ... منها، ولا يسليكَ كاليأسِ

وقال الآخر يرد هذه الأقاويل:

أرى الألفَ يسلو للتنائي وللهوى ... ولليأسِ، إلاّ أنني لستُ ساليا

وقال الزبير بن بكار:

ولما بدا لي أنها لا تحبني ... وأنَّ فؤادي ليسَ عني بمنجلِ

تمنيتُ أنْ تهوى سوايَ، لعلها ... تذوقُ حراراتِ الهوى، فترقُّ لي

ثم قال الآخر: طريقنا إلى السلو وبرد الأكباد من الغرام والاكتئاب، وكأنه أصاب في هذا الباب:

شفاءُ الحبِّ تقبيلٌ وضمٌّ

وقال بعض أهل العصر:

والله ما يشفي المحبَّ ... سوى اعتناقٍ والتزامِ

ودوامِ ما تختارهُ ... حتى تملَّ من الدوامِ

رجعنا إلى قصة يعقوب بن الربيع وقصة ملك، التي كان يهواها. قال: فلما جاوز السبع سنين ظفر بها، فلم تلبث عنده إلا ستة أشهر، ثم ماتت. فناله من الحزن والجزع عليها أكثر مما كان يلقاه من حبها. فما رثاها به قوله:

إنما حسرتي، إذا ما تفكر ... تُ، عنائي بها، وطولُ طلابي

---

(١) ديوان كشاجم، ص/٦٩

(٢) ديوان كشاجم، ص/٣٨٤

لم أزلْ في الطلابِ سبعَ سنينٍ ... أتأتى لذاكَ من كلِّ بابِ

فاجتمعنا على اتفاقٍ وقدرٍ ... وغنينا، من فرقةٍ، باصطحابِ

أشهرٌ ستةٌ صحبكِ فيها ... كنَّ كالحلمِ، أو كلمعِ السرابِ

فأتى في شعره بجملة خبره. وقال في شعر آخر:

خلسَ الزمانُ أعزَّ مختلسِ ... ويدُ الزمانِ كثيرةُ الخلسِ

لله هالكةٌ فجعتُ بها ... ما كانَ أبعدها عن الدنسِ

أتتِ البشارةُ والنعيُّ معاً ... يا قربَ مأتمها من العرسِ

فشاركه في هذا المعنى جماعة. وألطف ما سمعت قول لبابة بنت علي بن المهدي، وكانت زوجة الأمين، فقتل ولم يدخل بها:

أبكيكَ لا للنعيمِ والأنسِ ... بل للمعالي والرمحِ والفرسِ

أبكي على فارسٍ فجعتُ بهِ ... أرملني قبلَ ليلةِ العرسِ

ولإبراهيم بن المهدي يرثي ابنه أحمد:

بكيتُ على أحمدَ المختلسْ ... بدمعٍ يردُّ مجاري النفسْ

وناديتُ في القبرِ جثمانهُ ... فلا الرمسُ ردَّ، ولا المرتمسْ

ويومُ وفاتكَ يومُ الملاكِ ... ويومُ الختانِ، ويومُ العرسِ

وممن أجاد وبرز في وصف قرب الحياة من الممات محمد بن حسان، في قوله يرثي ولده أحمد، وقد توفي طفلاً:

هيي لأحمدَ في الثرى بيتُ ... وخلا لهُ من أهلهِ بيتُ

فكأنَّ مولدهُ ومأتمهُ ... صوتٌ دعى، فأجابه صوتُ

ولمحمد الأموي يرثي طفلاً له:

فطمتكَ المنونُ قبلَ الفطامِ ... واعتراكَ النقصانُ قبلَ التمامِ

بأبي أنتَ ظاعنٌ، لم أمتعْ ... بوداعٍ منهُ، ولا بسلامِ

ومن أحسن ما سمعت في هذا الباب للتهامي في طفل له:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره ... وكذا تكون كواكب الأسحار

وأحسن من هذا لابن رومي:

بنيَّ الذي أهدتهُ كفاهُ للثرى ... فيا عزةَ المهدى، ويا خسرةَ المهدي

لقد قلَّ بين اللحدِ والمهدِ لبثهُ ... فلم ينسَ عهدَ المهدِ، إذ ضمَّ للحدِ

عجبتُ لقلبي كيفَ لم ينفطرْ لهُ ... ولو أنهُ أقسى من الحجرِ الصلدِ

وهذا باب يطول. وقال يعقوب، أيضاً، يرثي ملكاً:

أمرُّ بقبرٍ فيهِ ملكٌ مجانباً ... كأنيَ لا أعنى بصاحبةِ القبرِ

أمرُّ إذا جاوزتهُ متلفتاً ... تلاحظهُ عيني، ودمعتها تجري

فلو أنني إذْ حلَّ وقتُ حمامها ... أحكمُ في عمري، لشاطرتها عمري

فحلَّ بنا المقدارُ في ساعةٍ معاً ... فماتتْ ولا أدري، ومتُّ ولا تدري

فإنْ تبقني الأيامُ للدهرِ لعبةً ... فقد كنت، قبل اليومِ، ألعبُ بالدهرِ

وهذا معنى مليح جداً. وقد تقدم في ذلك قول بشار:

الله صيرها وصورها ... لاقتكَ، أو أتبعتها ترها

نصباً لعينكَ لا ترى نزهاً ... إلا ذكرتَ بها لها شبها

إني لأشفقُ أن أؤخرها ... بعدي، وأكرهُ أنْ أقدمها

وقول الآخر مطبوع:

لا متُّ قبلكَ، بل حيينا ... نكوي قلوبَ الحاسدينا

نحيي جميعاً، والسرو ... رُ لنا جميعاً ما حيينا." (١)

"لا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعلى من التقوى ولا شفيع أغنى من التوبة. أولى الناس بالأمر من حافظ عليه. الخير موضوع لمن أراده موفور لمن عمل به. الرغبة مفتاح الطلب ومطية الخطوة. الحرص داع إلى الحرمان. التنفل بالحسنة ينفي السيئة. المكافأة بالسيئة دخول فيها. البغي سائق إلى الحين. إصلاح الرعية أنفع من كثرة الجنود. حق المذموم التأنيب وحق المحروم المعونة. من الجهل والجفاء إظهار الفرح عند المحزون. المحزون يحقد على الفرح ويشكر المكتئب في ظل السلامة تدب أفاعي الآفات. أعظم الناس قدراً من لم يجعل الدنيا لنفسه قدراً. ما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة. عزائم الأمور خيارها ومحدثاتها أشرارها. الملك يكتسب من اتفاقه والعامة تنفق من تكسبها. من أفنى عمره بجمع المال مخافة العدم فقد أسلم نفسه للعدم. قال الشاعر:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالذي فعل الفقر!

من لم يقدر على جمع الفضائل فلتكن فضائله ترك الرذائل. إذا لم تكن ملحاً تصلح فلا تكن ذباباً تفسد. إصلاح بعض العدو أفضل من هلاكه. من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى في عدوه ما يسره. خير الكتب ما إذا أعاد قاريه فيه النظر زاد حسنه ووقف على خيره. أثقل الأحمال من اتسعت مروءته وقلت مقدرته. استح من الله تعالى بقدر قربه من عقلك وأطعمه بقدر حاجتك إليه، وخفه بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك على النار، واعمل للدنيا بقدر بقائك فيها واعمل للآخرة بقدر بقائك فيها. الملك ينفق ليكتسب والعامة تكتسب لتنفق. الطاعة بقدر الفاقة.

يفحش زوال النعم إذا زال معها التجمل. أولى الأمور بك واجبها عليك. الدنيا العافية والشباب الصحة. إذا أقبل الأمر تشبه وإذا أدبر صرح. إذا عدل السلطان ملك قلوب الرعية، وإذا جار لم يملك منهم إلا الرياء والتصنع. الصدقة من سعة، وابدأ بمن تعول. إذا أضرت النوافل بالفرائض تركت النوافل وقدمت الفرائض. قدر الرجل على قدر همته وصدقته على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته وعفته على قدر غيرته. من أطاع الواشي ضيع الصديق. ومن جعل لنفسه حظاً من

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص/٤١

حسن الظن يروح عن قلبه. شر مالك ما لزمك إثم مكتسبه، وحرمت منفعة انفاقه. رب مغبوط بليلة قامت بواكيه في آخرها. لا ترج خير من لا يرجو خيرك ولا تأمن جانب من لا يأمن جانبك.

تارك الطلب ضجراً أرجى للعودة من تاركه جوراً. ثمرات الشهوات المخازي. الخصومة تمرض القلب. أعم الأشياء نفعاً ترك الأشرار. من استكفى الكفاة كفى الأعداء. خير مالك ما أغناك وخير منه ما وقاك، صولة الكريم صلم. ذنب أسد خير من رأس كلب. بجبهة العير يعدو وحافر الفرس. من استبد برأيه خفت وطأته على أعدائه. إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك. من أمن الزمان خانه ومن تعزز عليه أهانه. كما يجب أن تكون المرآة ضوء من الناظر فكذلك يجب أن يكون المؤدب أفضل ممن يؤدب. من ترك العمل بما ينبغي عمل ما لا ينبغي. ليس في الشر أسوة ولا في الحظ قدوة.

لم تكن لله ناصحاً حتى تحب عدوك إذا أطاع الله في عداوتك على عداوته وتقلع عما عاداك عليه، وتبغض وليك إذا عصى الله تعالى في موالاتك وتنزع عما والاك عليه. لا تكن على الإساءة أقوى منك على الإحسان. الشقي كل الشقاء من جمع لغيره وضن على نفسه بخيره. شر أخلاق الكريم أن يمنع خيره. من كانت الآخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه، ومن كانت الدنيا رأس ماله كانت الآخرة خسارته. أفضل العلم وقوف الرجل عند علمه. أفضل المال ما قضيت به الحقوق. البدع فخاخ محبوبة قد علقت عليها ألفاظ ظاهرة. رجاء العامة أمنية على ضلالة ورجاء الخاصة يقين على ثقة. القليل من الملك كالكثير من غيره. عطاء الملك زينة وسؤاله شرف.." (١)

"إنَّ اصطبار المرء مفتتحٌ ... متغلق البأساء والعسرُ

ومنفس عنه الكروب إذا ... ضاقت بهن جوانح الصدرِ

كم من حزين بات مكتئباً ... متعسر الأحشاء ذا زفرِ

ما يرتجى جلباب ليلته ... أن ينزوي طرفاه بالسفرِ

فاتته ألطافٌ منفسةٌ ... لفؤاده من حيث لا يدري

ولكم بعيد الضيق من سعةٍ ... ولكم بعيد العسر من يسرٍ!

هل بعد معتكر الظلام سوى ... بلج الصباح وطلعة الفجرِ

أو بعد ظمأة هجمةٍ وردت ... إلاّ ارتواء جانب الغدرِ

أو بعد خانقة التلاع سوى ... فيح الفجاج وفسحة البهرِ؟

و قول الآخر:

أ مقتولة الأجفان مالك والهاً ... ألم ترك الأيام نجما هوى قبلي؟

أقلي بكاءً: لستِ أول حرةٍ ... طوت بالأسى كشحا على مضض الثكلِ

وفي أم موسى عبرةٌ إذ رمت به ... إلى اليم في التابوت فاعتبري واسلي

ولله فينا علم غيبٍ وحسبنا ... به عند جور الدهر من حكم عدلِ

---

(١) سراج الملوك، ص/١٦٧

و الشعر في هذا المعنى اكثر من أن يحصى.

وقال الغري:

قالوا: بعدت ولم تقرب فقلت لهم: ... بعدي عن الناس في هذا الزمان حجا

لولا التباعد بين الحاجبين به ... بان افتراقهما لم نعرف البلجا

و مثله قول الارجاني:

أسفت على عمرٍ تصرم ضائعاً ... وجدت بدمعٍ يستهل هتونِ

وآنسني بعدي من الناس جانباً ... وإن هم على أحداقهو حملوني

ولّما غدا عنا على جفن ناظري ... لقاء الورى من صاحبٍ وخدينِ

ألفت الفضا مستوطناً ظهر ناقةٍ ... تلف سهولاً دائماً بحزونِ

وما سرت إلاّ في الهواجر وحدها ... كراهة ظل أن يكون قريني

و قول أبي العلاء المعري:

فظم بسائر الإخوان شراً ... ولا تأمن على سرٍ فؤادا:

فلو خبرتهم الجوزاء خبري ... لّما طلعت مخافة أن تكادا!

و قوله أيضاً:

جربت دهري وأهليه فما تركت ... لي التجارب في ودٍّ امرئ غرضا

و قول أبن القلاقس:

اعلق بأطراف الوداد فانه ... من دافع الأمواج مات غريقا

وإذا انتهى الإخلاص أوجب ١ده:إنَّ التجمع ينتج التفريقا!

وقول أبن الرومي، وهو المثل المشهور في هذا:

عدوك من صديقك مستفادٌ: ... فلا تستكثرن من الصحابِ

فإنَ الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشرابِ!

و قول الآخر:

جزى الله خيراً كل من ليس بيننا ... ولا بينه ودٌ ولا متعارفُ

فما نالني ضيمٌ ولا مسني أذى ... من الناس إلاّ من فتى كنت آلفُ!

و قول الآخر:

أحذر عدوك مرةً ... وأحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الزمان ... فكان أعرف بالمضرة!

و قول أبن سناء الملك:

أبى الهر إلاّ ضد ما أنا طالبٌ: ... فيا ليت مني مكن الله ضده!

يعد الفتى إخوانه لزمانه ... وأعدى له من خوفه من أعده

و قولي من قصيدة:

وبنو دهرك العضال من الداء ... العديم الأساة ذو الأزمانِ

وأضر الأدواء من تتولاه ... وتحجوه أقرب الإخوانِ

إنما الأقرباء في الناس جساسٌ ... عليك في السر والإعلانِ

يخبرون العورات حفظاً وإعداداً ... ليوم البأساء والشنآنِ

و قول الأنصاري الأول:

ألا رب من تحجو صديقاً ولو ترى ... مقاتله بالغيب ساءك ما يفري:

لسانٌ له كالشهد ما دمت حاضراً ... وبالغيب مطرورٌ على ثغرة النحرِ

و قولي من قصيدة:

فتوخ في الناس الوفي إذا ... عاشرتهم وحذار الله تعالى الغدرِ!

واسبرهم قبل الإخاء ولا ... تغتر في الإخوان بالسبرِ!

كم من أخٍ مذق الوداد على ... ما فيه من إجنٍ ومن سبرِ

إن تلقه فالشهد مقولته ... وإذا تعيب يكون كالصبرِ

يسمى بوجهك تستميل وإن ... أدبرت عنه فكية الظهرِ

وإذا الزمان دعاك نائبه ... العازي إليه ترجى البرِ

فسيحتبيك بوعد غانيةٍ ... أو وعد عرقوبٍ جنى التمرِ

وإذا تعود يظل مكتلحاً ... متغيظاً ينزو ويستشري

وإذا تصادف ذا الصفا فكن ... منه ولو صافحك ذا حذرِ

وأسم سوائم سمعه طرقاً ... مطروقةً من مسرح السرِ." (١)

"وأشد من عد الرمال ومن ... نقل الجبال ومحمل الصخر

واضر من كل النوائب إن ... عظمت عليك وكل ما شر

وتقلد للمن من يده ... غل على هاديك في الأسر

بل وخزة في القلب ناكئة ... بل طعنة في لبة النحر

وغناك عنه بالقناعة في ... حاليك من يسر ومن عسر

أجدى من الملك الذي جمعت ... أبناء هرمز غابر الهر

وألذ من سنة الشباب على ... جدة ومن وثرٍ على وثر

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/١٨٠

ولباس صونك عن تملقه ... أبهى من الأستبرق الخضر
وحلى الوقار عليك أجمل من ... أن تحتلي بقلائد النصر
وصبابة من ماء وجهك أنفس ... من رحيق سلسل غمر
فإذا عرتك الحادثات فثق ... بمليكها ذي الخلق والأمر
واصبر لروح الله مرتجياً ... فلتحمدن عواقب الصبر
إنَّ اصطبار المرء مفتتح ... متغلق البأساء والعسر
ومنفس عنه الكروب إذا ... ضاقت بهن جوانح الصدر
كم من حزين بات **مكتئباً** ... متسعر الأحشاء ذا أفر
لا يرتجي جلباب ليلته ... أن ينثني طرفاه بالسفر
فأتته ألطاف منفسة ... لفؤاده من حيث لا يدري
ولكم بعيد الضيق من سعة ... و لكم بعيد العسر من يسر
هل بعد معترك الظلام سوى ... بلج الصباح وطلعة الفجر
أو بعد ظمأة هجمة وردت ... غير ارتواء جانب الغدرِ
أو بعد خانقة التلاع سوى ... فيح الفجاج وفسحة البهر
وإذا تحاول نيل مكرمة ... فانهض إليها نهضة الشمر
وأركب جواد الجد مكتفيا ... ذيل الملالة منك والفتر
فلربَّ ذي أمل على ملل ... و مهدر في العنة الحجر
والربَّ ذي رعد على صلف ... فتراه يخلق ثم لا يفري
ومخاطراً بالنفس فيه فما ... يرجى الخطير بغير ذي خطر
وأعلم بأنَّ الغوص في لجج ... خضر يخف لجالب الدر
وتعسف القنن الصعاب علي ... خصب يخف لحالب الدَّر
ولدى الرياح الكثر بحمد ما ... جاب المفاوز صاحب التجر
ولدى الصباح يكون مغتبطا ... و ينال بغيته الذي يسري
وتسنمن ذرى الأمور ولا ... تخلد إلى سفسافها الخضر
واعلم بأنك ما استطبت جنى ... إلاّ لطيب الجذر والبذر
والكرم يجدي المجتني عنباً ... و الشوك لا يجدي سوى الشصر
ولكم ترى مرعى ولست ترى ... كرعاية السعدان والثغر
والناس كالغوغاء هائمة ... لو كان يبلو الناس ذو خبر

والمرء كل المرء بينهم ... ذو الملبس الزاهي وذو الوفر

لا ينظرون إلى الوفاء ولا ... فصل الذكاء وثاقب الفكر

لو أقبلت دغة لهش لها ... كل إذا راحت إلى دثر

أو جاء قيس يستغيث صدى ... لم يسق إن أمسى أخا فقر

لم يدروا أنَّ الكمال لذي ... فضل الندى والحلم والحجر

لا ذي الحلى المسبور مائله ... أعطافه بالزهو والكبر

فالعجب بالملبوس من سخف ... في اللب وهو لربة الخدر

والسيف ليس يشينه خلق ... في الجفن وهو العضب ذو الأثر

وكذا ذبول المتن ليس يرى ... عيبا على الخطية السمر

والطرف ليس يعاب من ضمر ... يعشاه بعد تداول الحصر

ولكم ترى نبتاً يلد على ... شحبٍ وكم من ناعم مر

ولكم ترى دمناً تعاف إذا ... تشتم وهي أنيقة الزهر

فتوخ في الناس الوفى إذا ... عاشرتهم وحذار ذا الغدر

واسبرهم قبل الإخاء ولا ... تغتر في الأخوان بالسبر

كم من أخ مذق الوداد على ... ما فيه من إحن ومن سبر

إن تلقه فالشهد مقوله ... و إذا تغيب يكون كالصبر

سيمى بوجهك تستميل وأن ... أدبرت عنه فكية الظهر

وإذا الزمان دعاك نائبه ... العاري إليه ترجى البر

فسيحتبيك بوعد غانيةٍ ... أو وعد عرقوب جنى التمر

وإذا تعود يظل مكتلحاً ... متغيظاً ينزو ويستشري

وإذا تصادف ذا الصفاء فكن ... منه ولو صافاك ذا حذر

وأسم سوائم سرحه طرراً ... مطروقةً من مسرح السر

وصن السرارة واللباب ولا ... تبذل له منه سوى القشر

فلربما يلوي الزمان به ... فيكون أبصر فيك بالضر." (١)

""""""""" صفحة رقم ٤٠١ """""""

فزحف حتى انحدر عن الفرش ثم قال لي : زدني ، فأنشدته : الرمل :

عش فحبيك سريعا قاتلي . . . والضنى إن لم تصلني واصلي

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص/٣١٥

ظفر الحب بقلب دنف . . . فيك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وضنى . . . تركاني كالقضيب الذابل

وبكى العاذل لي من رحمة . . . فبكائي لبكاء العاذل

فنعر طربا وقال : يلبق ؛ كم معك لنفقتنا ؟ قال . ثمانمائة وخمسون دينارا . قال : أقسمها بيني وبين خالد ، فدفع إلي نصفها .

وأنشد جحظة أو غيره ولم يسم قائله : البسيط :

لا يبعد الله إخوانا لنا سلفوا . . . أفناهم حدثان الدهر والأبد

نمدهم كل يوم من بقيتنا . . . ولا يؤوب إلينا منهم أحد

ما قيل في السكين

وكان أحمد بن يوسف جالسا بين يدي المأمون ، فسأل المأمون عن السكين فناوله أحمد السكين ، وقد أمسك بنصابها ، وأشار إليه بالحد ، فنظر إليه المأمون نظر منكر ؛ فقال : لعل أمير المؤمنين أنكر علي أخذي النصاب ؛ وإشارتي إليه بالحد ؛ وإنما تفاءلت بذلك أن يكون له الحد على أعدائه ، فعجب المأمون من سرعة فطنته ، ولطيف جوابه .

وقال بعض الكتاب : السكين مس الأقلام يشحذها إذا كلت ، ويصقلها إذا نبت ، ويطلقها إذا وقفت ، ويلمها إذا شعثت ، وأحسنها ما عرض صدره ، وأرهف حده ، ولم يفصل على القبضة نصابه .

وقال أبو الفتح كشاجم يرثي سكينا سرقت له : البسيط :

يا قاتل الله كتاب الدواوين . . . ما يستحثون من أخذ السكاكين

لقد دهاني لطيف منهم ختل . . . في ذات حد كحد السيف مسنون

فأقفرت بعد عمران بموقعها . . . منها دواة فتى بالكتب مفتون

تبكي على مدية أودى الزمان بها . . . كانت على جائر الأقلام تعديني

كانت تقدم أقلامي وتنحتها . . . نحتا وتسخطها بريا فترضيني." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٦١ """""""

لكنه قد فطنت عينه . . . بلحظ عيني فطنة المستريب

إن كان علم الغيب مستخفيا . . . عنا فعند اللحظ علم الغيوب

وقال : مجزوء الكامل :

قالوا الرحيل لخمسة . . . تأتي سريعا من جمادى

فأجبتهم إني اتخذ . . . ت له الأسى والحزن زادا

سبحان من قسم الأسى . . . بين الأحبة والبعادا

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٤٠١/١

وأعار للأجفان حس . . . نا تسترق به العبادا

وقال : الخفيف :

عقرب الصدغ فوق تفاحة الخد . . . نعيم مطرز بعذاب

وسيوف اللحاظ في كل حين . . . مانعات جنى الثنايا العذاب

وعيون الوشاة يفسدن بالرق . . . بة والمنع رؤية الأحباب

فمتى يشتفي المحب وتطفى . . . بالتداني حرارة **الاكتئاب** ؟

وقال : البسيط :

ترى عذاريه قد قاما بمعذرتي . . . عند العذول فيغدو وهو يعذرني

ريم كأن له في كل جارحة . . . عقدا من الحسن أو نوعا من الفتن

كأن جوهره من لطفه عرض . . . فليس تحويه إلا أعين الفطن

والله ما فتنت عيني محاسنه . . . إلا وقد سحرت ألفاظه أذني

ما تصدر العين عنه لحظها مللا . . . لأنه كل شخص مرتضى حسن." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٩٦ """""""

بكائي ، فالقلب دهش ، والبنان يرتعش ، وأنا من البقاء متوحش : قد انتهى بي الهلع إلى حيث لا التأسي مصحب ، ولا التناسي مصاحب ، بي انزعاج يحل عقد الحزم ، **واكتئاب** ينقض شروط العزم . قد بلغ الحزن مبلغا لم أبتذله للنوائب ، وإن جلت وقعا ، ونالت مني منالا لم يعتد طرق المصائب ، وإن عظمت فجعا . كتبت عن اضطراب نفس ، واضطرام صدر ، والتهاب قلب ، وانتهاب صبر ، فما أعظمه مفقودا وما أكرمه ملحودا إني لأنوح عليه نوح المناقب ، وأرثيه مع النجوم الثواقب ، وأبكيه مع المعالي والمحاسن ، وأثني عليه ، بثناء المساعي والمآثر . ليت يمين الزمان شلت قبل أن فتكت بمهجة الفضل ، وعين الزمان كفت قبل أن رأت مصرع الفخر . لقد رزئنا من فلان عالما في شخص ، وأمة في نفس . مضى والمحاسن تبكيه ، والمناقب تعزى فيه . العيون لما قرت به أسخنها فيه ريب المنون ، ولما شرحت به الصدور قبضها بفقده المقدور . قد ركب على الأعناق ، بعد العتاق ، وعلى الأجياد بعد الجياد ، وفاح فتيت المسك من مآثره ، كما يفوح العنبر من مجامره . كان منزله مألف الأضياف ، ومأنس الأشراف ، ومنتجع الركب ، ومقصد الوفد ، فاستبدل بالأنس وحشة ، وبالغضارة غبرة ، وبالبياض ظلمة ، واعتاض من تزاحم المراكب تلادم المآتم ، ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء والعويل . هذي المكارم تبدي شجوها لفقده ، وتلبس حدادها من بعده ، وهني المحاسن قد قامت نوادبها مع نوادبه ، واقترنت مصائبها بمصائبه . لو قبلت الفدية لوقيته بنفسي وأيام عمري ، علما بأن العيش بمثله من إخوان الصفا يصفو ، وبظعنه عن الدنيا يكدر ويعفو . لو وقي من الموت عزيز قوم لعزته ، أو كبير بأولاده وأسرته ، أو ذو سلطان باستطالته وقدرته ، أو زعيم دولة بحشده وعدته ، لكان الماضي أحق من وقي وأولى من فدي ، وكنا أقدر على دفع ما حدث ، وذب

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٢/١٦١

ما كرث وأرهق ؛ لكنه الأمر المسوي فيه بين من عز جانبه وذل ، وكثر ماله وقل ، حتى لحق المفضول بالفاضل ، والناقص بالكامل .

ولهم فيما يطابق هذا النحو من وصف الدهر وذم الدنيا : هو الدهر لا يعجب من طوارقه ، ولا ينكر هجوم بوائقه . عطاؤه في ضمان الارتجاع ، وحباؤه في قران الانتزاع . من عرف الزمان لم يستشعر منه الأمان ، وتصرف الحوادث ، بين الموروث والوارث . الدهر مشحون بطوارق الغير ، مشوب صفو أيامه بالكدر ، ممزوج صابه." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٠ """"""

القلب بقرحه ، وكيف أصف حالا لا يقرع الدهر مروة حاله ، ولا ينتقض عروة إجلاله ؛ فما أولاني بأن أذكره مجملا ، وأتركه مفصلا ، والسلام .

وكتب إلى بعض إخوانه في أمر رجل ولي الأشراف : فهمت ما ذكرت – أطال الله بقاءك – من أمر فلان أنه ولي الأشراف ، فإن يصدق الطير يكن إشرافا على الهلاك ، بأيدي الأتراك ، فلا تحزنك ولايته فالحبل لا يبرم إلا للفتل ، ولا تعجبك خلعته فالثور لا يزين إلا للقتل ، ولا يرعك نفاقه فأرخص ما يكون النفط إذا غلا وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا ، وكأني به وقد شن عليه جران العود ، شن المطر الجود ، وقيد له مركب الفجار ، من مربط النجار ، وإنما جر له الحبل ، ليصفع كما صفع من قبل ، وستعود تلك الحالة إحالة ، وينقلب ذلك الحبل حبالة ، فلا يحسد الذئب على الإلية يعطاها طعمة ، ولا يحسب الحب ينثر للعصفور نعمة ، وهبه ولي إمارة البحرين أليس مرجعه ذلك العقل ، ومصيره ذلك الفضل ، ومنصبه ذلك الأصل ، وعصارته ذلك النسل ، وقعيدته تلك الأهل ، وقوله ذلك القول ، وفعله ذلك الفعل ، فكان ماذا ؟ أليس ما قد سلب أكثر مما أوتي ، وما عدم أوفر مما غنم ؟ ما لك تنظر إلى ظاهره ، وتعمي عن باطنه ؟ أكان يعجبك أن تكون قعيدته في بيتك ، وبغلته من تحتك ، أم كان يسرك أن تكون أخلاقه في إهابك ، وبوابه على بابك ؟ أم كنت تود أن تكون وجعاؤه في إزارك ، وغلمانه في دارك ؟ أم كنت ترضى أن تكون في مربطك أفراسه ، وعليك لباسه ، ورأسك راسه ؟ جعلت فداك ما عندك خير مما عنده ، فاشكر الله وحده على ما آتاك ، واحمده على ما أعطاك ، ثم أنشد : البسيط :

إن الغني هو الراضي بعيشته . . . لا من يظل على الأقدار مكتئبا

بين البخل والجود

ألف سهل بن هارون كتابا يمدح فيه البخل ويذم الجود ؛ ليظهر قدرته على البلاغة ،." (٢)

"في القفى ورفعا لستر اللطف الخفي وإمساكا بالحجر والأكمام ومنعا للمباشرة والإلمام واستنطاقا عند الأخذ بالكلام وإسكاتا عند صريف الأقلام فإذا أدلى بحجته من أدلى وسعهما دينه عدلا وحق القول واستقر الهول ووجبت اليمين أو الأداء الذي يفوت له الذخر الثمين أو الرهن أو الضمين أو الاعتقال الذي هو على أحدهما الأمين نهش الصل الذي سليمه لايبل ولسبت العقارب الذي لا يفلتها الهارب ولا تنجى منها المسارب وكم تحت الظلام من غرارة يحملها غر وحرة

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ١٩٦/٢

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب، ٢٢٠/٢

ريح فيها صر وسهد في انتظار قلة شهد وكبش يجر تارة بروقيه ويدفع بعد رفع ساقيه ومعزى وجدي وقلايد هدى وسرب دجاج ذوات لجاج يقضحن الطارق ويشيعن المفارق فمتى يستفيق سيدي مع هذا اللغط العايد بالصلة واللهى المتصلة أو تتفرغ يده البيضاء لأعمال ارتياض وخط سواد في بياض أو حنين لدوح أو رياض أو إمتاع طرف باكتئاب حرف أو إعمال عدل لرسول في صرف أو حشو طرب يتحفه ظرف شأنه أشد استغراقا وميوله أكثر طراقا من ذكر حبيب ومنزل وأم معزل وكيف يستخدم القلم الذي يصارف ماء الحبر يذوب التبر في ترهات عدم جناها وأقطع جانب الخيبة لفظها ومعناها اللهم إلا أن تحصل النفس على كفاية تختم لها الصرر وتشام من خلالها للجين الغرر أو تحن النفس إلى الفكاهة والأنس وينفق لديها ذمام الإبقاء على الجنس فربما تقع المخاطبة المنزورة وتبيح هذا المرتكب الصعب للضرورة والمرغوب من سيدي القاضي أن يذكر بؤسنا بالإغفال عند نعيمه ولا يخيب آمالنا المتعلقة بأذيال زعيمه ويسهمنا حظا من فوايد حظه لا من فوايد خطته ويجعل لنا كفلا من فضل بريته وفطنته لا من فضل بعره وقطته فقد غنينا عن الحلاوات
". (١)

" ما لا يدري أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه واتكل على خالق السماء لأتحفه المولى جل وعز بإدراك ما لا يسعى فيه والظفر بما لو سعى فيه وهو حريص عسى لتعذر عليه وجوده

وأنشدني علي بن محمد البسامي ... ألا رب باغ حاجة لا ينالها ... وآخر قد تقضي له وهو أيس ... يحاولها هذا وتقضي لغيره ... وتأتي الذي تقضي له وهو جالس ...

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش ... وكم من أكلة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر ... وكم من طالب يسعى لشيء ... وفيه هلاكه لو كان يدري ...

قال أبو حاتم رضى الله عنه الحرص علامة الفقر كما أن البخل جلباب المسكنه والبخل لقاح الحرص كما أن الحمية لقاح الجهل والمنع أخو الحرص كما أن الأنفة توأم السفه وأنشدني عمر بن محمد قال أنشدني الغلابي ... لا تأتين نذالة لمنالة ... فليأتينك رزقك المقدور ... واعلم بأنك آخذ كل الذي ... لك في الكتاب محبر مسطور ... والله ما زاد امرءا في رزقه ... حرص ولا أزرى به التقصير ...

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي ... وارض من العيش في الدنيا بأيسره ... ولا ترومن ما إن رمته صعبا ... إن الغني هو الراضي بعيشته ... لا من يظل على ما فات مكتئبا ...

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن يحي بن حميد الطويل حدثنا أبو عبد الرحمن العتبي حدثني ابي قال اختصمت بنو إسرائيل في القدر خمسمائة عام ثم تحاكموا الى عالم من علمائهم فقالوا له أخبرنا عن القدر وقصر وبين لتفهمه عنك العوام فقال حرمان عاقل وحظ جاهل

قال أبو حاتم رضى الله عنه لاحظ في الراحة لمن أطاع الحرص إذ الحرص ." (٢)

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ٢/٢٢٧

(٢) روضة العقلاء، ص/١٣١

"٣- التشويش : التخليط وقد تشوش عليه الأمر .

٤- لوم : عذل وتعنيف من لامَه يَلومه لَوماً إذا عذَلَه وعنَّفه .

٥- التحريش : الإغراء بين الناس وبين الكلاب .

٦- مبطوش : البطشة السطوة والأخذ بالعنف والتناول بشدة عند الصَّوْلة والأَخذُ الشديدُ في كل شيء بطشٌ .

٧- منعوش : محمول على سرير الموت ، والنعش : سرير الميت ، سمي بذلك لارتفاعه وإذا لم يكن عليه ميت فهو سرير .

هَجَرْتُهُ عَامِدًا

أَبِيْتُ فِي حِيْرَةٍ وَالْقَلْبُ مُكْتَئِبُ أُحِبُّ إِخْلاصَهُ رَاضٍ بِقَسْوَتِهِ لأَنَّ أَيْمَنَ (٤) يُمْنٌ (٥) فِي تَعَامُلِهِ طَلَبْتُهُ مَطْلَبًا فَاهْتَزَّ مِنْ عَجَبٍ أَأَنْتَ تَرْفُضُ مَا أُمْلِيْهِ مِنْ طَلَبٍ هَجَرْتُهُ عَامِدًا فَاغْتَالَهُ سَقَمٌ فَبَانَ مِنْ حُزْنِهِ مَا كَانَ مُنْبَهِمًا دَعُوا التَّسَرُّعَ فِي حُكْمٍ وَتَأْدِيَةٍ فبِالتَّأَنِّيْ (٩) نَجَا الْمَغْبُوْنُ مِنْ تُهَمٍ وَكَمْ تَكَبَّلَ مَظْلُوْمٌ بِسِلْسِلَةٍ .

وَلَوْعَتِي (١) فِي الْجَوَى (٢) كَالنَّارِ تَلْتَهِبُ فَمَا وَنَى (٣) الْحُبُّ أَوْ سَارَتْ بِهِ النُّجُبُ وَمِنْ صِبَاهُ طَرِيْقَ الْخَيْرِ يَنْتَخِبُ (٦) فَسِرْتُ فِي عَجَبٍ بَلْ رَفْضُهُ عَجَبُ وَلَيْسَ فِي طَلَبِي جَهْدٌ وَلانَصَبُ وَالدَّمْعُ مِنْ حُرَقٍ يَهْمِيْ (٧) وَيَنْسَكِبُ سُوْءُ التَّفَاهُمِ فِي أَنْيَابِهِ الْعَطَبُ (٨) لا تَغْضَبُوا أُمَّتِي فَالسَّوْءَةُ الْغَضَبُ وَبِالتَّسَرُّعِ لَمْ يَسْلَمْ أَخٌ وَأَبُ فَمَاتَ فِي سِجْنِهِ وَالظَّالِمُ السَّبَبُ .

١- لوعة : الحب حرقته والتاع فؤاده احترق من الشوق .

٢- الجوى : الحُرْقة وشدَّة الوَجْدِ من عشق أَو حُزْن .

٣- ونى : ضعف .

٤- أَيْمَن : ولد الناظم سمي بهذا الاسم يوم ولادته ثم غيرالاسم أبوه إلى (عبد الجبار) .

٥- يمن : بركة .

٦- ينتخب : يختار .." (١)

"رَأَيْتُهُ مُلْتَوٍ (١) كَالْقَوْسِ (٢) فِي الدَّارِ وَزَوْجُهُ اسْوَدَّ مِنْهَا الْوَجْهُ مِنْ هَلَعٍ (٤) أَبٌ كَئِيْبٌ (٦) عَلَى طِفْلٍ تُدَاعِبُهُ (٧) وَالأُمُّ مِنْ لَهَبِ الأَحْزَانِ ذَابِلَةٌ يَمُرُّ دَهْرٌ وَقَلْبُ الأُمِّ فِي قَلَقٍ حَنَانُ أُمِّكَ يَاحَسَّانُ (٩) عِطْرُ شَذَا (١٠) أَبُوْكَ جَوْهَرَةٌ وَالأُمُّ لُؤْ لُؤَةٌ .

وَالدَّمْعُ فِي عَيْنِهِ مُسْتَرْسِلٌ (٣) جَارِيْ فَتُهْتُ (٥) فِي حِيْرَةٍ مِنْ حَالَةِ الْجَارِ حُمَّى وَتَحْضُنُهُ أَمْرَاضُ أَخْطَارِ حُزْنًا عَلَى الطِّفْلِ مِنْ آثَارِ أَضْرَارِ عَلَى الصَّغِيْرِ وَفِي أَعْمَاقِ أَكْدَارِ (٨) وَسَلْسَبِيْلٌ (١١) وَطَلٌّ (١٢) فَوْقَ أَشْجَارِ هُمَا الْوُرُوْدُ وَنَهْرٌ بَيْنَ أَزْهَارِ ج

---

(١) روضة الشعر الهادف، ص/٤٩

١- ملتو : منثني ، ولَوَى يَده لَيّاً ولَوْياً ثَناها وقَرْنٌ أَلْوى : مُعْوَجٌّ .

٢- القَوْس التي يُرْمى عنها والجمع أَقْوُسٌ وأَقْواس وأَقْياس .

٣- مسترسل : سائل .

٤- الهَلَعُ : الجَزَعُ وقِلّةُ الصبرِ ، وقيل : هو أَسْوأُ الجَزَعِ وأَفْحَشُه والهَلَعُ : الحُزْنُ .

٥- تهت : احترت ، من تاه إذا ضل وذهب متحيرا وفي الحديث : (إِنك امْرُؤٌ تائِهٌ) . أَي متكبر أَوضالٌّ متحيِّر .

٦- كئيب : حزين ، والكآبةُ : سُوءُ الحالِ ، والانكِسارُ من الحُزن واكْتَأَبَ اكتِئاباً حَزِنَ .

٧- تداعبه : تمازحه وداعَبَه مُداعَبةً : مازَحَه ، والمُداعَبةُ : المُمازَحةُ والدُّعابةُ .

٨- أكدار : الكَدَرُ : نقيض الصفاء .

٩- حسان : ابن الناظم .

١٠- الشَّذا : شِدَّةُ ذكاءِ الريح الطَّيِّبة .

١١- السَلْسَبيل : عين في الجَنَّة ، وقيل الخالص الصافي من القَذَى والكدَر .

١٢- الطل : المطر الصغار القطر الدائم ، وهو أرسخ المطر ندى .." (١)

"""""""" صفحة رقم ٢٥١ """"""

الوحوش وقال آخرون الحور شدة سواد العين في شدة بياض بياضها وقال بعض الحور سعة العين وعظم المقلة وهل يجوز أيها المتمتع بالحور العين إن يقال حير كما يقال حور فانهم ينشدون هذا البيت بالياء . إلى السلف الماضي وآخر واقف . . . إلى ربرب حير حسان جاذره فإذا صحت الرواية بالياء في هذا البيت قدح ذلك في قول من يقول : انهم قالوا الخير اتباعاً للعين كما قال الراجز . هل تعرف الدار بأعلى ذي القور . . . قد درست غير رماد مكفور مكتئب اللون مريح ممطور . . . أزمان عيناء سرور المسرور حوراء عيناء من العين الحير وكيف يستجيز من فرشه من الإستبرق إن يمضي عليه ابد وهو لا يدري كيف يجمعه جمع التكسير ولا كيف يصغره والنحويون يقولون في جمعه أبارق وفي تصغيره أبيرق وكان أبو إسحاق الزجاج يزعم انه في الأصل مسمى بالفعل الماضي وذلك الفعل استفعل من البرق أو البرق وهذه دعوى من أبي." (٢)

"البحر : مديد تام (يَا قَرِيرَ الْعَيْنِ بِالْوَسَنِ ! ** ما الذي ألهاكَ عنْ شجني) (كيفَ لاَ ترثي لمكتئبٍ ** شفهُ برحٌ منَ الحزنِ ؟) (هبكَ لمْ تسمعْ شكاةَ فمي ** أَوَ لَمْ تُبْصِرْ ضَنَى بَدَنِي ؟) ٤ (يَا عِبَادَ اللَّهِ ! مَنْ لِفَتًى ** بِيَدِ الأَشْوَاقِ مُرْتَهَنِ ؟) ٥ (رَعَتِ الأَشْوَاقُ مُهْجَتَهُ ** وَبَرَاهُ الْوَجْدُ ؛ فَهْوَ ضَنِي) ٦ (آهِ منْ ظبيٍ خلعتُ بهِ ** فِي مَيَادِينِ الْهَوَى رَسَنِي

---

(١) روضة الشعر الهادف، ص/١١٩

(٢) رسالة الملائكة، ص/٢٥١

) ٧ (سَاحِرُ الْعَيْنَيْنِ مَا بَرِحَتْ ** لَحَظَاتُهُ مَصْدَرَ الْفِتَنِ) ٨ (سلمتْ بعضُ الوشاةِ بِهِ ** منْ نميمِ الغيَّ فِي سننٍ) ٩ (صرفوهُ عنْ طبيعتهِ **)٠ (صرفوهُ عنْ طبيعتهِ ** وَعِنَانُ الْقَلْبِ فِي الأُذُنِ)

---

(١) ".

"البحر : مجزوء الوافر (حَيَاتِي فِي الْهَوَى تَلَفُ ** وَأَمْرِي فيهِ مُخْتَلِفُ) (أَبِيتُ اللَّيْلَ مُكْتَئِباً ** وَقَلْبِي فِي الحَشَا يَجِفُ) (فَنَوْمِي كُلُّهُ سَهَرٌ ** وعَيشك كلُّهُ أسَفُ) ٤ (وَمَا أُخْفِيهِ مِنْ وَجْدِي ** وحُزنِي فوقَ ما أصِفُ) ٥ (فَهَلْ مِنْ صَاحِبٍ يَرْثِي ** لِما ألقَى فَينعَطِفُ ؟) ٦ (أيقتلُنِي الهَوى ظُلماً ** وَمَا فِي النَّاسِ لِي خَلَفُ ؟) ٧ (وهَبنِي فارسَ الهَيَجا ** ءِ أغشاها فتنكَشِفُ) ٨ (أَلَيْسَ الْعِشْقُ سُلْطَاناً ** لَهُ الأَكْوَانُ تَرْتَجِفُ ؟) ٩ (إِذَا كَانَ الْهَوَى خَصْمِي ** فَقُلْ لِي : كيفَ أنتصِفُ ؟)

---

(٢) ".

"فلا أبصرت عيني تهلل بارق يحاكي ندى كفيك إلا استهلت

ولو قبلت أرواحنا عنك فدية لجدنا بها عند الفداء وقلت

وقال أبو الحسن محمد بن الحسين الحسني ، المعروف بالوصي الهمداني في رثائه (١) (من مجزوء الكامل) :

مات الموالي والمحب لأهل بيت أبي تراب

قد كان كالجبل المنيع لهم فصار مع التراب

وله في رثائه أيضاً (من الكامل) (٢) :

نوم العيون على الجفون حرام ودموعهن مع الدماء سجام

تبكي الوزير سليل عباد العلا والدين والقرآن والاسلام

تبكيه مكة والمشاعر كلها وحجيجها والنسك والإحرام

تبكيه طيبة والرسول ومن بها وعقيقها والسهل والأعلام

كافي الكفاة قضى حميدا نحبه ذاك الإمام السيد الضرغام

مات المعالي والعلوم بموته فعلى المعالي والعلوم سلام

ورثاه الشريف الرضي بقصيدة لامية شرحها أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى ٣٩٢هـ في مجلد واحد (٣) أولها) من الكامل : (

أَكَذا المَنونُ تُقَنطِرُ الأَبطالا أَكَذا الزَمانُ يُضَعضِعُ الأَجيالا

---

(١) ديوان محمود سامي البارودي، ص/٣٢٢

(٢) ديوان محمود سامي البارودي، ص/٦٠٢

أَكَذا تُصابُ الأُسدُ وَهيَ مُذِلَّةٌ تَحمي الشُبولَ وَتَمنَعُ الأَغيالا
أَكَذا تُقامُ عَنِ الفَرائِسِ بَعدَما مَلأَت هَماهِمُها الوَرى أَوجالا
أَكَذا تُحَطُّ الزاهِراتُ عَنِ العُلى مِن بَعدِ ما شَأَتِ العُيونَ مَنالا

ومر أبو العباس الضبي بباب الصاحب بعد وفاته فقال (من الخفيف) (٤) :

أيها الباب لم علاك اكتئاب؟! أين ذاك الحجاب والحجاب؟!
أين من كان يفزع الدهر منه؟! فهو اليوم في التراب تراب

---

(١) يتيمة الدهر٣/٢٨٦

(٢) يتيمة الدهر٣/٢٨٦

(٣) انظر معجم الأدباء ١٢/١١٢ ، ولنشر القصيدة في ديوان الشريف وفي غير واحد من أمات الكتب نكتفي بذكر ما ذكرناه منها ، وتبلغ أبياتها [١١٢] بيتا .

(٤) يتيمة الدهر ٣/٢٨٥ . ٢٨٦." (١)

"٦(أمسحها فيك أو تقرَّ وقد ** أوغل في أمّ رأسها الشغبُ) ٦(حلى من المعدن الصريح إذا ** غشَّ تجارُ الأسعارِ ما جلبوا) ٦(تشكرها الفرسُ في مديحك لل ** معنى وترضى لسانها العربُ) ٦٤ (يظهرُ منها السرورَ حاسدها ** ضرورةَ الحقَّ وهو مكتئبُ) ٦٥ (يطرِ به البيتُ وهو يحزنهُ ** و من انين الحمامةِ الطربُ) ٦٦ (يا آل عبد الرحيم لا تزل ال ** دنيا رحىً أنتمُ لها قطبُ) ٦٧ (إن تفضلوا الناسَ والحسينُ لكم ** و منكمُ فافضلوا فلا عجبُ) ٦٨ (فداكمُ خاملون لو كاثروا ال ** رملَ بأعدادهم لما حسبوا) ٦٩ (لا يخلقُ العدلُ في خلائقهم ** ليناً ولا يكرمونَ إن شربوا) ٧٠ (أخرَ أقدامهم وقدمكم ** أنهمُ يحسبون ما كتبوا)

". (٢)

"البحر : خفيف تام (أيّ مضنى يمدّها باكتئاب ** أنةً تترك الحشا في التهاب) (يتشكى والليل وحف الاهاب ** ضمن بيت جثا على الاعقاب) (صفعتْه فمال كفُّ الخراب **) ٤ (تسمع الأذْن منه صوتاً حزيناً ** راجفاً في حشا الظلام كمينا) ٥ (يملأ الليل بالدعاء أنينا ** ربّ كن لي على الحياة معينا) ٦ (ربِّ إن الحياة أصل عذابي **) ٧ (وجعٌ في مفاصلي دقَّ عظمي ** ودهاني ولم يرق لعُدمي) ٨ (عاقني عن تكسبي قوت يومي ** ربِّ فارحم فقري بصحة جسمي) ٩ (أن فقري اشد من اوصابي **)٠ (يا طبيباً وأين منيّ الطبيب ** حال دون الطبيب فقرٌ عصيب)

---

(١) رسالة ابن عباد في أمثال المتنبي، ص/٢٥

(٢) ديوان مهيار الديلمي، ص/٥٢

(١) ".

" ٥٠ (وبأخرى دهناً وبعض أرزٍ ** منحوها به وذو العرش يجزي) ٥(من أعان الفقير حسن الثواب **) ٥(ليلة تنشر العواطفُ ذعراً ** ثكلت روح أمه وأبيه) ٥(ذا هزيمٍ يمجّ في الاذن وقرا ** حين تبدى صوالج البرق تترى) ٥٤ (فبدا لوح أبؤس **واكتئاب** **) ٥٥ (مدّ فيها ذاك المريض الأكفا **) ٥٦ (يا أخي أنت ساكن أفجوعا ** حيث يغضي طرفاً ويفتح طرفا) ٥٧ (عاجزاً عن تكلم وخطاب **) ٥٨ (فدعته والعين تُذرى الدموعا ** اخته وهي قلبها قد ريعا) ٥٩ (يا أخي أنت ساكت أفجوعا ** ساكت أنت يا أخي أم هجوعا)

---

(٢) ".

" ٨٧ - وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال مراء في القرآن كفر // إسناده صحيح

٨٨ - وروي عن أبي جهيم رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم عن النبي صلى الله عليه و سلم قال لا تماروا في القرآن فإن مراء فيه كفر

٨٩٧ ٩ - ٧أ وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل فجعل عمر يسأله عن الناس فقال يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا قال ابن عباس فقلت والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة قال فزجرني عمر رضي الله عنه ثم قال مه فانطلقت إلى منزلي **مكتئبا** حزينا فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني فأخذ بيدي فخلا بي فقال ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفا فقلت يا أمير المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقوا ومتى يحتقوا يختصموا ومتى يختصموا ." (٣)

" **مكتئبا** حزينا فقلت قد نزلت من هذا الرجل منزلا ما أراني إلا سقطت من نفسه فرجعت إلى منزلي فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع وما هذا إلا الذي يقلبني به عمر رضي الله عنه فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال لي أجب أمير المؤمنين فخرجت فإذا هو قائم بالباب ينتظرني فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفا فقلت يا أمير المؤمنين فإني كنت إياك فإني أستغفر الله وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت قال لتحدثني ما الذي كرهت مما قال الرجل قلت يا أمير المؤمنين متى يسارعوا هذه المسارعة يختلفوا ومتى يختلفوا يختصموا ومتى يختصموا يقتتلوا فقال لله أبوك والله إن لا وذكر ." (٤)

""""""""" صفحة رقم ١٨ """""""

لك ، والأمور متسقة عليك ، وقد مثلت ونفست . وهو قول الله تبارك وتعالى ' ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير

---

(١) ديوان معروف الرصافي، ص/٥٦

(٢) ديوان معروف الرصافي، ص/٦١

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد، ١/١٣٥

(٤) أحاديث في ذم الكلام وأهله، ٢/٣٩

لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ' . أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك نساءك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه ؟ قد هتكت ستورهن ٣٥٤ ، وضحكت بحوجهن مكتئبات تخدى بهن الأباعر ، ويحدو بهن الأعادي ، من بلد إلى بلد لا يراقبن ولا يؤوين ، يتشوفهن القريب والبعيد ، ليس معهن ولي من رجالهن ، وكيف يستبطأ في بغضتنا من نظر إلينا بالشنف والشنان ، والإحن والأضغان ؟ أتقول : ليت أشياخي ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم ، وأنت تنكت ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك ؟ ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة ، بإهراقك دماء ذرية محمد صلى الله عله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ، ولتردن على الله وشيكا موردهم ، ولتؤدن أنك عميت وبكمت ، وإنك لم تقل : فاستهلوا وأهلوا فرحا اللهم ، خذ بحقنا ، وانتقم لنا ممن ظلمنا والله ما فريت إلا في جلدك ولا خرزت إلا في لحمك ، وسترد على رسول الله برغمك ، وعترته ولحمته في حظيرة القدس ، يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث ، وهو قول الله تبارك وتعالى : ' ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ' وسيعلم من بوأك ومكنك من رقاب المؤمنين ، إذا كان الحكم الله والخصيم محمد ، وجوارحك شاهدة عليك . فبئس للظالمين بدلا ، وأيكم شر مكانا وأضعف جندا ، مع أني – والله – يا عدو الله وابن عدوه أستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، غير أن العيون عبرى ، والصدور حرى وما يجري ذلك أو يغني عنا ، وقد قتل." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٥١ """""""

ترسه ، فإن أقر فضعي الإكاف على ظهره فإنما هو حمار . وأوصت أخرى ابنتها وقد زوجتها فقالت : لو تركت الوصية لأحد لحسن أدب أو لكرم حسب لتركتها لك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ومعونة للعاقل . يا بنية : إنك قد خلفت العش الذي فيه درجت ، والموضع الذي منه حرجت ، إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، كوني لزوجك أمة ، يكن لك عبدا ، واحفظي عني خصالا عشرا ، تكن لك ذخرا وذكرا ، أما الأولى والثانية : فحسن الصحابة بالقناعة ، وجميل المعاشرة بالسمع والطاعة ، ففي حسن الصحابة راحة القلب ، وفي جميل المعاشرة رضا الرب . والثالثة والرابعة : التفقد لموضع عينه ، والتعاهد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا تجد أنفه منك خبث ريح . واعلمي أن الكحل أحسن الحسن المودود ، وأن الماء أطيب الطيب الموجود ، والخامسة والسادسة ، فالحفظ لماله ، والإرعاء على حشمه وعياله ، واعلمي أن أصل الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير ، والإرعاء على الحشم والعيال من حسن التدبير . والسابعة والثامنة : التعاهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فحرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة ، والتاسع والعاشر : فلا تفشين له سرا ولا تعصين له أمرا ، فإنك إن أفشيت سره ، لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره . لما حضرت وكيعا الوفاة ، دعا بنيه فقال : يا بني إن قوما سيأتونكم قد فرحوا جباههم وعرضوا لحاهم ، يدعون أن لهم على أبيكم دينا فلا تقضوهم ، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفرها الله ، لم تضره هذه ، وإلا فهي مع ما تقدم . لما حضرت سعد بن زيد مناة الوفاة جمع ولده ، فقال : يا بني أوصيكم بالناس شرا ، كلموهم نزرا ، واظعنوهم شذرا ، ولا تقلبوا لم عذرا ، اقصروا الأعنة ، واشحذوا الأنة ، وكلوا القريب يرهبكم البعيد . وأوصيت امرأة ابنتها وقد أهدتها إلى زوجها ، فقال : كوني له فراشا يكن

---

(١) نثر الدر ، ٤/١٨

لك معاشا ، وكوني له وطاء يكن لك غطاء ، وإياك والاكتئاب إذا كان فرحا ، والفرح إذا كان كئيبا ، ولا يطلعن منك على قبيح ، ولا يسمن منك إلا الطيب." (١)

"ولم تر لانفراج الضيق وجها وقد أعيي بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب

ومولانا الإله فخير مولى له إحسانه ولنا الذنوب

****

وقال آخر:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

****

وقال آخر:

فإذا أتتك مصيبة فاصبر لها عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

****

وقال أبو العتاهية:

الناس في الدين والدنيا ذوو درج والمال ما بين موقوف ومختلج

من ضاق عنك فأرض الله واسعة في كل وجه مضيق وجه منفرج

قد يدرك الراقد الهادي برقدته وقد يخيب أبو الروحات والدلج

خير المذاهب في الحاجات أنجحها وأضيق الأمر أدناه من الفرج

****

وقال آخر:

سأصبر للزمان وإن رماني بأحداث تضيق بها الصدور

وأعلم أن بعد العسر يسرا يدور به القضاء المستدير

****

وقال آخر:

سيفتح باب إذا سد باب نعم وتهون الأمور الصعاب

ويتسع العيش من بعد ما تضيق المذاهب فيها الرحاب

مع الهم يسران هون عليك فلا الهم يجدي ولا الاكتئاب

---

(١) نثر الدر . ، ٢٥١/٦

فكم ضقت ذرعا بما هبته فلم ير من ذاك قدر يهاب

وكم برد خفته من سحاب فعوفيت وانجاب عنك السحاب

ورزق أتاك ولم تأته ولا أرق العين منه الطلاب

وناء عن الأهل من بعدما علاه من الموج طام عباب

إذا احتجب الناس عن سائل فما دون سائل ربي حجاب

يعود بفضل على من رجاه وراجيه في كل حين يجاب

فلا تاس يوما على فائت وعندك منه رضاء واحتساب

فلا بد من كون ما خط في كتابك، تحبى به أو تصاب

فمن حائل دون ما في الكتاب ومن مرسل ما أباه الكتاب

إذا لم تكن تاركا زينة إذا المرء جاء بها يستراب

تقع في مواقع تردى بها وتهوي إليك السهام الصياب

تبين زمانك ذا واقتصد فإن زمانك هذا عذاب

واقفل عتابا فما فيه من يعاتب حين يحق العتاب

مضى الناس طرا وبادوا سوى أراذل عنهم تجل الكلاب." (١)

"القدر

يقول زهير بن أبي سلمى:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم

****

قال الشافعي

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا

يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا

****

يقول الشاعر:

سيفتح باب إذا سد باب نعم وتهون الأمور الصعاب

ويتسع العيش من بعد ما تضيق المذاهب فيها الرحاب

مع الهم يسران هون عليك فلا الهم يجدي ولا الاكتئاب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٤/١١٩

فكم ضقت ذرعا بما هبته فلم ير من ذاك قدر يهاب

وكم برد خفته من سحاب فعوفيت وإنجاب عنك السحاب

ورزق أتاك ولم تأته ولا أرق العين منه الطلاب

وناء عن الأهل من بعدما علاه من الموج طام عباب

إذا احتجب الناس عن سائل فما دون سائل ربي حجاب

يعود بفضل على من رجاه وراجيه في كل حين يجاب

لا تأس يوما على فائت وعندك منه رضا واحتساب

فلا بد من كون ما خط في كتابك ، تحبى به أو تصاب

فمن حائل دون ما في الكتاب ومن مرسل ما أباه الكتاب

تقع في مواقع تردى بها وتهوي إليك السهام الصياب

تبين زمانك ذا واقتصد فان زمانك هذا عذاب

واقفل عتابا فما فيه من يعاتب حين يحق العتاب

مضى الناس طرا وبادوا سوى أراذل عنهم تجل الكلاب

يلاقيك بالبشر دهماؤهم وتسليم من رق منهم سباب

فأحسن وما الحر مستحسن صيان لهم عنهم واجتناب

فدع ما هويت فان الهوى يقود النفوس إلى ما يعاب

وميز كلامك قبل الكلام فان لكل كلام جواب

فرب كلام يمص الحشا وفيه من المزح ما يستطاب

****

يقول ابن المقري

لا تجزعن لخطب ما به حيل تغني إلا فلا تعجز عن الحيل

****

يقول ابن دريد:

لن تستطيع لأمر الله تعقيبا فاستنجد الصبر أو فاستشعر الحوبا

وافزع إلى كنف التسليم وارض بما قضى المهيمن مكروها ومحبوبا." (١)

"ما بالها أقبلت من غير توقيت

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٢٣

قصيده كتبها شاعرنا يهجو فيها وزيرةالخارجية الأمريكية اليهودية الأصل

مادلين أولبرايت

فيقول:

ما بالها أقبلت من غير توقيت

تسير مابين تصفيق وتصويت

رأيتها لارعى الرحمن صورتها

انسانة أقبلت في جسم خرتيت

في وجها صورة للمكر بارزة

كأنها حين يبدو وجه عفريت

كأنها حين تبدو لناظرها

شيطانةخرجت من بطن تابوت

من أين جاءت ؟ روى الراوي لنا خبرا

بأنها من سلالات (ابن مسحوت)

أما ابن مسحوت فالنسابة اتفقوا

بأنه جاء من أصلاب (ابن مغلوت)

وحدثتنا الروايات التي رويت

بأن مفلوت ممن صادروا قوتي

وأنها انحدرت من صلبه ونمت

نمو شوك وزقوم وحلتيت

وأنها ولدت والليل **مكتئب**

مابين مدخل سرداب وحانوت

وحدثتنا عن التخثير في دمها

وأنها من بقايا جيش جالوت

وأنها لم يسر في دربها أحد

إلا وضاع ولم يفرح بخريت

لو كنت املك يوما أن أزوجها

لكنت زوجتها من وحش تكريت

فربما اغتالها ليلا وحنطها

كما تحنط أشباح العفاريت

وربما سربت في جوفه حمما

من ريقها فتوارى في التوابيت

لو تنطق الأرض قالت حين تبصرها

تمشي ملفلفة في جنحها موتي

طاف الممالك لم تصر كمنظرها

ولامشابه قبح عين ياقوت

كأنما وجهها من سوء طلعته

هو القفا وقفاها وجه مسبوت

ثيابها قصرت حتى غدت مثلا

لكل ثوب قبيح النسج ممقوت

حوت يسير على رجلين حملتا

بجثة ، فتأمل مشية الحوت

أعوذ بالله من ساقين مامشتا

إلا لزرع خلافات وتشتيت

كأنما هي سعلاة لها شفة

مقلوبةالصقت في وجه منحوت

في ذهنها فعل أمريكا التي فعلت

فعل الجوارح في زغب الكتاكيت

وعندها سيف أمريكا تريق به دم

الضعيف وتحمي رأس طاغوت

لابأس في عرفها من قتل كوكبة

من الصغار ومن جور وتبكيت

وليس يزعجها هدم البيوت على

سكانها وانتقاص الماء والقوت

ولا يضايقها غدر اليهود بنا

ونقضهم عهد هاروت وماروت

وحرق مسجدنا الأقصى يروق لها

فكم تجود ببارود وكبريت

سفينة الغدر مازالت تخوض بها

محيط أطماعها والظالم النوتي." (١)

"من أين أبدأ رحلتي(تساؤلات طفل شردته الحرب)

الليل **مكتئب** وقريتنا يضاجعها الخراب

ونساء قريتنا على الطرقات يسدلن الحجاب

يخشين – يا أبتي – على أعراضهن من الذئاب

وبكاؤهن يشيع في آفاق قريتنا **اكتئاب**

وعويل أطفال يذيب القلب ، قد فقدوا الصواب

وهزيم رعد – يا أبتي – يفضي بآلام السحاب

ووميض برق تستضيء به المشارف والشعاب

وسفينة في البر آمنة وأخرى في العباب

وغناء عصفور على فنن يردده غراب

وأنين أفئدة يمزقها التلهف والعذاب

ويد مكبلة وهذا السيف يلمع كالشهاب

وصراخ أسئلة بلا وعي ، تحن إلى جواب :

ما بالهم يستأسدون ويطحنون رؤى الشباب ؟!

ويعربدون ، وينشرون على الورى قانون غاب ؟!

ما بالهم ، في غيهم يتسلطون على الرقاب ؟

ما بالهم ، شربوا دماء الأبرياء بلا حساب ؟؟

همج .. أليس لهم إلى البشر ، انتماء وانتساب ؟؟

بشر؟؟ نعم لكنهم عند عند الرغائب كالدواب

هم كالوحوش بدا لهم في حربنا ظفر وناب

أواه من جور العدو ومن مجافاة الصحاب

من أين أبدأ– يا أبي ؟ والليل يرفده الضباب

من أين ألبس – يا أبي ؟ جسدي يحن إلى الثياب

كل المنابع أصبحت مستنقعات للذباب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٢٨٠

صارت وجوه الهاربين دفاتر الأمل المذاب
وعيونهم صارت كهوفا للذهول وللعذاب
من أين أبدأ رحلتي ووجوه أصحابي غضاب ؟
يبست على دربي الخطا وتنابحت حولي الكلاب
ستقول يا- أبتي – تصبر ، سوف نقتحم الصعاب
ستقول : لا تجزع ، فمثلك في الحوادث لا يهاب
أتظن أني لا أرى ما نحن فيه من اضطراب ؟!
أتظن أني لا أرى سجني ، ولا تلك الرحاب ؟!
إني لأسمع ما يقال على المنابر من سباب
إني لأعرف كل وجه يختفي خلف الحجاب
كم من وعود – يا أبي – لكنها مثل السراب
هذا صواب يا بني ، وهل تقول سوى الصواب ؟؟
أعداؤنا مثل الذئاب ونحن نصطاد الذئاب
بيقيننا نمضي ونهزم كل شك وارتياب
وإلى متى هذا السؤال وعندنا نحن الجواب
سنسد باب الظلم يا ولدي ونفتح ألف باب." (١)

"أقلي اللوم عاذل والعتابا

جرير يهجو الشاعر النميري

١. أقلي اللوم عاذل والعتابا ... وقولي، إن أصبت، لقد أصابا
٢. أجدك ما تذكر أهل نجد ... و حيا طال ما انتظروا الايابا
٣. بلى فارفض دمعك غير نزر، ... كما عينت بالسرب الطبابا
٤. و هاج البرق ليلة أذرعات ... هوى ما تستطيع له طلابا
٥. فقلت بحاجة وطويت يكاد منه ضمير القلب يلتهب التهابا
٦. سألناها الشفاء فما شفتنا؛ ... و منتنا المواعد والخلابا
٧. لشتان المجاور دير أروى ... ومن سكن السليلة والجنابا
٨. أسيلة معقد السمطين منها ... فقلت بحاجة وطويت أخرى
٩. ولا تمشي اللئام لها بسر، ... و لا تهدى لجارتها السبابا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٢٨٣

١٠. وفي فرعي خزيمة ، أن أعابا ... شعاب الحب إن له شعابا

١١. فهاج علي بينهما اكتئابا ... تبين في وجوههم اكتئابا

١٢. إذا لاقى بنو وقبان غما، ... شددت على أنوفهم العصابا

١٣. تنح، فإن بحري خندفي، ... وأحرزنا الصنائع والنهابا

١٤. لنا تحت المحامل سابغات ... أعزك بالحجاز، وإن تسهل

١٥. وذي تاج له خرزات ملك، ... سلبناه السرادق والحجابا

١٦. ألا قبح الاله بني عقال ... وزادهم بغدرهم ارتيابا

١٧. أجيران الزبير برئت منكم ... فلا وأبيك ما لاقيت حيا

١٨. لقد عز القيون دما كريما ... و رحلا ضاع فانتهب انتهابا

١٩. وقد قعست ظهورهم بخيل ... تجاذبهم أعتها جذابا

٢٠. علام تقاعسون وقد دعاكم ... أهانكم الذي وضع الكتابا

٢١. تعشوا من خزيرهم فناموا ... و لم تهجع قرائبه انتخابا

٢٢. أتنسون الزبير ورهط عوف، ... و جعثن بعد أعين والربابا

٢٣. ألم تر أن جعثن وسط سعد ... تسمى بعد فضتها الرحابا." (١)

"بان الخليط، ولو طوعت ما بانا،

١. بان الخليط، ولو طوعت ما بانا، ... و قطعوا من حبال الوصل أقرانا ...

٢. حي المنازل إذ لا نبتغي بدلا ... بالدار دارا، ولا الجيران جيرانا ...

٣. قد كنت في أثر الأظعان ذا طرب ... مروعا من حذار البين محزانا ...

٤. يا رب مكتئب لو قد نعيت له باك، وآخر مسرور بمنعانا ...

٥. لو تعلمين الذي نلقى أويت لنا ... أو تسمعين إلى ذي العرش شكوانا ...

٦. كصاحب الموج إذ مالت سفينته ... يدعو إلى الله أسرارا وإعلانا ...

٧. يا أيها الراكب المزجي مطيته، ... بلغ تحيتنا، لقيت حملانا ...

٨. بلغ رسائل عنا خف محملها ... على قلائص لم يحملن حيرانا ...

٩. كيما نقول إذا بلغت حاجتنا ... أنت الأمين، إذا مستأمن خانا ...

١٠. تهدي السلام لأهل الغور من ملح، ... هيهات من ملح بالغور مهدانا ...

١١. أحبب إلى بذاك الجزع منزلة ... بالطلح طلحا وبالأعطان أعطانا ...

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٣٠٥

١٢. يا ليت ذا القلب لاقى من يعلله ... أو ساقيا فسقاه اليوم سلوانا ...

١٣. أو ليتها لم تعلقنا علاقتها؛ ... غدر الخليل إذا ماكان ألوانا ...

١٤. هلا تحرجت مما تفعلين بنا؛ ... يا أطيب الناس يوم الدجن أردانا ...

١٥. قالت: ألم بنا إن كنت منطلقا، ... ولا إخالك، بعد اليوم، تلقانا ...

١٦. يا طيب! هل من متاع تمتعين به ... ضيفا لكم باكرا يا طيب عجلانا ...

١٧. ماكنت أول مشتاق أخي طرب ... هاجت له غدوات البين أحزانا ...

١٨. يا أم عمرو جزاك الله مغفرة ... ردي علي فؤادي كالذي كانا ...

١٩. ألست أحسن من يمشي على قدم ... يا أملح الناس كل الناس إنسانا ...." (١)

"حي المنازل إذ لا نبتغي بدلا

حي المنازل إذ لا نبتغي بدلا بالدار دارا و لا الجيران جيرانا

قد كنت في أثر الأظعان ذا طرب مروعا من حذار البين محزانا

يا رب **مكتئب** لو قد نعيت له باك و آخر مسرور بمنعانا

لو تعلمين الذي نلقى أويت لنا أو تسمعين إلى ذي العرش شكوانا

كصاحب الموج إذ مالت سفينته يدعو إلى الله أسرارا و إعلانا

يا أيها الراكب المزجي مطيته بلغ تحيتنا لقيت حملانا

بلغ رسائل عنا خف محملها على قلائص لم تحملن حيرانا

كيما نقول إذا بلغت حاجتا أنت الأمين اذا مستأمن خانا

تهدي السلام لأهل الغور من ملح هيهات من ملح بالغور مهدانا

أحبب إلى بذاك الجزع منزلة بالطلح طلحا و بالأعطان أعطانا

يا ليت ذا القلب لاقى من يعلله أو ساقيا فسقاه اليوم سلوانا

أو ليتها لم تعلقنا علاقتها و لم يكن داخل الحب الذي كانا

هلا تحرجت مما تفعلين بنا يا أطيب الناس يوم الدجن أردانا

قالت ألم بنا إن كنت منطلقا و لا أخالك بعد اليوم تلقانا

يا طيب هل من متاع تمتعين به ضيفا لكم باكرا يا طيب عجلانا

ماكنت أول مشتاق أخي طرب هاجت له غدوات البين أحزانا

يا أم عمرو جزاك الله مغفرة ردى على فؤادي كالذي كانا

ألست أحسن من يمشي على قدم يا أملح الناس كل الناس إنسانا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٣١٥

يلقى غريمكم من غير عسرتكم بالبذل بخلا و بالاحسان حرمانا
لا تأمنن فاني غير آمنه غدو الخليل إذا ما كان ألوانا
قد خنت من لم يكن يخشى خيانتك ما كنت أول موثوق به خانا
لقد كتمت الهوى حتى تهيمنى لا أستطيع لهذا الحب كتمانا
كاد الهوى يوم سلمانين يقتلني و كاد يقتلني يوما ببيدانا
و كاد يوم لوا حواء يقتلني لو كنت من زفرات البين قرحانا
لا بارك الله فيمن كان يحسبكم إلا على العهد حتى كان ما كانا." (١)
"سئمت من المواصلة العتابا

رقم القصيدة : ١٦٣٤١ ... نوع القصيدة : فصحى ...
سئمت من المواصلة العتابا ... وأمسى الشيب قد ورث الشبابا
غدت هوج الرياح مبشرات ... إلى بين نزلت به السحابا
لقد أقررت غيبتنا لواش ... و كنا لا نقر لك اغتيابا
أناة لا النموم لها خدين، ... و لا تهدى لجارتها السبابا
تطيب الأرض إن نزلت بأرض ... و تسقى حين تنزلها الربابا
كأن المسك خالط طعم فيها ... بماء المزن يطرد الحبابا
ألا تجزينني، وهموم نفسي ... بذكرك قد أطيل لها اكتئابا
سقيت الغيث حيث نأيت عنا ... فما نهوى لغيركم سقابا
أهذا البخل زادك نأي دار ... فليت الحب زادكم اقترابا
لقد نام الخلي وطال ليلي ... بحبك ما أبيت له انتحابا
أرى الهجران يحدث كل يوم ... لقلبي حين أهجركم عتابا
وكائن بالأباطح من صديق ... يراني لو أصبت هو المصابا
ومسرور بأوبتنا إليه، ... و آخر لا يحب لنا إيابا
دعا الحجاج مثل دعاء نوح ... فأسمع ذا المعرج فاستجابا
صبرت النفس يا ابن أبي عقيل ... محافظة فكيف ترى الثوابا
ولو لم يرض ربك لم ينزل، ... مع النصر الملائكة الغضابا
إذا أفرى عن الرئة الحجابا ... رأى الحجاج أثقبها شهابا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٣١٨

ترى نصر الامام عليك حقا ... إذا لبسوا بدينهم ارتيابا
تشد فلا تكذب يوم زحف ... إذا الغمرات زعزعت العقابا
عفاريت العراق شفيت منهم ... فأمسوا خاضعين لك الرقابا
و قالوا لن يجامعنا أمير ... أقام الحد واتبع الكتابا
إذا أخذوا وكيدهم ضعيف ... بباب يمكرون فتحت بابا
و اشمط قد تردد في عماه ... جعلت لشيب لحيته خضابا
إذا علقت حبالك حبل عاص ... رأى العاص من الأجل اقترابا

بأن السيف ليس له مرد." (١)

"عرس المجد

١. ... يا عروس المجد تيهي واسحبي في مغانينا ذيول الشهب

٢. ... لن تري حبة رمل فوقها لم تعطر بدما حر أبي

٣. ... درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب

٤. ... وارتمى كبر الليالي دونها لين الناب ، كليل المخلب

٥. ... لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب!

٦. ... من هنا شق الهدى أكمامه وتهادى موكبا في موكب

٧. ... وأتى الدنيا فرفت طربا وانتشت من عبقه المنسكب

٨. ... وتغنت بالمروءات التي عرفتها في فتاها العربي

٩. ... أصيد ، ضاقت به صحراؤه فأعدته لأفق أرحب

١٠. ... هب للفتح ، فأدمى تحته حافر المهر جبين الكوكب!

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٣٢٢

١١. ... وأمانيه انتفاض الأرض من غيهب الذل ، وذل الغيهب

١٢. ... وانطلاق النور حتى يرتوي كل جفن بالثرى مختضب

١٣. ... حلم ولى ، و لم يجرح به شرف المسعى ونبل المطلب

١٤. ... يا عروس المجد، طال الملتقى بعدما طال جوى المغترب

١٥. ... سكرت أجيالنا في زهوها وغفت عن كيد دهر قلب

١٦. ... و صحونا ، فإذا أعناقنا مثقلات بقيود الأجنبي

١٧. ... فدعوناك فلم نسمع سوى زفرة من صدرك **المكتئب**

١٨. ... قد عرفنا مهرك الغالي فلم نرخص المهر و لم نحتسب

١٩. ... فحملنا لك إكليل الوفا ومشينا فوق هام النوب

٢٠. ... وأرقناها دماء حرة فاغرفي ما شئت منها واشربي!

٢١. ... نحن من ضعف بنينا قوة لم تلن للمارج الملتهب

٢٢. ... كم لنا من ميسلون نفضت عن جناحيها غبار التعب

٢٣. ... كم نبت أسيافنا في ملعب وكبت أفراسنا في ملعب

٢٤. ... من نضال عاثر مصطخب لنضال عاثر مصطخب

٢٥. ... شرف الوثبة أن ترضي العلى غلب الـ واثب أم لم يغلب!

٢٦. ... فالتفت من كوة الفردوس يا فيصل العلياء وانظر واعجب

٢٧. ... أترى كيف اشتفى الثأر من الـ فاتح المسترق المستلب ؟

٢٨. ... و طوى ما طال من راياته في ثنايا نجمه المحتجب." (١)

"ولكن هذه الرؤية الواثقة المتفائلة، ماتلبث أن تصاب بفاجعة كبيرة، عندما ترتد القوى العربية على أعقابها عام ١٩٤٧، ويعلن الكيان الصهيوني في ١٥ أيار ١٩٤٨ عن قيام دولة إسرائيل، فينفجر الغضب في قلب الشاعر، ويعاتب أمته بقسوة، منكرا عليها تقصيرها في الدفاع عن الحق في قصيدة له شهيرة عنوانها " أمتي " (١٩٤٧) يقول في مطلعها (ص٧):

أمتي، هل لك بين الأمم

أتلقاك وطرفي مطرق

ألإسرائيل تعلو راية

كيف أغفيت على الذل ولم

منبر للسيف أو للقلم

خجلا من أمسك المنصرم

في حمى المهد وظل الحرم

تنفضي عنك غبار التهم

وسرعان مايصب الشاعر نقمته على القادة العرب آنئذ ويحملهم المسؤولية، ويعاتبهم بحدة بالغة، فيقول عنهم: (ص١٠)

رب وامعتصماه انطلقت

لامست أسماعهم لكنها

ملء أفواه البنات اليتم

لم تلامس نخوة المعتصم

ثم يلتفت إلى الشعب العربي ليحمله المسؤولية كلها، ويلومه على سكوته عن حكامه، فيقول (ص١٠- ١١):

أمتي كم صنم عبدته

لايلام الذئب في عدوانه

فاحبسي الشكوى فلولاك لما

لم يكن يحمل طهر الصنم

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٣٧٥

إن يك الراعي عدو الغنم

كان في الحكم عبيد الدرهم

والقصيدة مفعمة بالحدة وشدة الانفعال، وهي تضج بالأسئلة والنداءات، وقد عني الشاعر فيها بالطرافة والإدهاش، وتعد إحدى قصائده المتميزة، وقد لقيت في حينها رواجا كبيرا، وحسبها أنه استهل بها ديوانه الذي أصدره عام ١٩٧١.

- ٧ -

وينتاب الشاعر بعد ذلك قدر غير قليل من الاكتئاب والحزن، وهو يرى القدس تنتهك، وقوافل اللاجئين تجر خطا الألم والشقاء والعذاب، والعرب لاهون عنهم عابثون، فيطلق قصيدة مطولة عنوانها " حماة الضيم" (١٩٤٨)، وفيها يقول (ص١٧-٢٠):

هل في روابي القدس كهف عبادة

خشب الصليب على الرمال مخضب

فإذا سبيل الحق منفض الصوى

وإذا قوافله العجاف طريدة

كم متعب جر السنين وراءه

متلفتا صوب الديار مودعا

كم حرة لم تدر عين الشمس ما

وبناتها وجلى تضج أمامها

بمن استجارت هذه الزمر التي." (١)

"يا عروس المجد تيهي

١. يا عروس المجد تيهي واسحبي في مغانينا ذيول الشهب

٢. لن تري حبة رمل فوقها لم تعطر بدما حر أبي

٣. درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب

٤. وارتمى كبر الليالي دونها لين الناب ، كليل المخلب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٧/١٣٧٦

٥. لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب!

٦. من هنا شق الهدى أكمامه وتهادى موكبا في موكب

٧. وأتى الدنيا فرفت طربا وانتشت من عبقه المنسكب

٨. وتغنت بالمروءات التي عرفتها في فتاها العربي

٩. أصيد ، ضاقت به صحراؤه فأعدته لأفق أرحب

١٠. هب للفتح ، فأدمى تحته حافر المهر جبين الكوكب!

١١. وأمانيه انتفاض الأرض من غيهب الذل ، وذل الغيهب

١٢. وانطلاق النور حتى يرتوي كل جفن بالثرى مختضب

١٣. حلم ولى ، و لم يجرح به شرف المسعى ونبل المطلب

١٤. يا عروس المجد، طال الملتقى بعدما طال جوى المغترب

١٥. سكرت أجيالنا في زهوها وغفت عن كيد دهر قلب

١٦. و صحونا ، فإذا أعناقنا مثقلات بقيود الأجنبي

١٧. فدعوناك فلم نسمع سوى زفرة من صدرك **المكتئب**

١٨. قد عرفنا مهرك الغالي فلم نرخص المهر و لم نحتسب

١٩. فحملنا لك إكليل الوفا ومشينا فوق هام النوب

٢٠. وأرقناها دماء حرة فاغرفي ما شئت منها واشربي!

٢١. نحن من ضعف بنينا قوة لم تلن للمارج الملتهب

٢٢. كم لنا من ميسلون نفضت عن جناحيها غبار التعب

٢٣. كم نبت أسيافنا في ملعب وكبت أفراسنا في ملعب

٢٤. من نضال عاثر مصطخب لنضال عاثر مصطخب

٢٥. شرف الوثبة أن ترضي العلى غلب الـ واثب أم لم يغلب!

٢٦. فالتفت من كوة الفردوس يا فيصل العلياء وانظر واعجب

٢٧. أترى كيف اشتفى الثأر من الـ فاتح المسترق المستلب ؟

٢٨. و طوى ما طال من راياته في ثنايا نجمه المحتجب." (١)

"اليسر بعد العسر

يقول الشاعر:

أيها الدهر الكئيب تبسم إن بعد العسر الشديد يسرا

وترنم فالنصر آت قريبا يصرع الخير في الوجود الشرا

سيسود الخلاص كل قبيل ويعم السلام برا وبحرا

ويطل الربيع يرقص بشرا و تفوح الرياض طيبا وعطرا

****

يقول الشاعر:

سيفتح باب إذا سد باب نعم وتهون الأمور الصعاب

ويتسع العيش من بعد ما تضيق المذاهب فيها الرحاب

مع الهم يسران هون عليك فلا الهم يجدي ولا **الاكتئاب**

فكم ضقت ذرعا بما هبته فلم ير من ذاك قدر يهاب

وكم برد خفته من سحاب فعوفيت وإنجاب عنك السحاب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٣٩٧

ورزق أتاك ولم تأته ولا أرق العين منه الطلاب

وناء عن الأهل من بعدما علاه من الموج طام عباب

إذا احتجب الناس عن سائل فما دون سائل ربي حجاب

يعود بفضل على من رجاه وراجيه في كل حين يجاب

فلا تاس يوما على فائت وعندك منه رضاء واحتساب

فلا بد من كون ما خط في كتابك ، تحبى به أو تصاب

فمن حائل دون ما في الكتاب ومن مرسل ما أباه الكتاب

تقع في مواقع تردى بها وتهوي إليك السهام الصياب

تبين زمانك ذا واقتصد فان زمانك هذا عذاب

واقفل عتابا فما فيه من يعاتب حين يحق العتاب

مضى الناس طرا وبادوا سوى أراذل عنهم تجل الكلاب

يلاقيك بالبشر دهاماؤهم وتسليم من رق منهم سباب

فأحسن وما الحر مستحسن صيان لهم عنهم واجتناب

فدع ما هويت فان الهوى يقود النفوس إلى ما يعاب

وميز كلامك قبل الكلام فإن لكل كلام جواب

فرب كلام يمص الحشا وفيه من المزح ما يستطاب

****

يقول الشاعر:

ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر

****

يقول الشاعر:

إذا ابتليت فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله

*********************************." (١)

"ويتسع العيش من بعد ما ... تضيق المذاهب فيها الرحاب

مع الهم يسران هون عليك ... فلا الهم يجدي ولا **الاكتئاب**

فكم ضقت ذرعا بما هبته ... فلم ير من ذاك قدر يهاب

وكم برد خفته من سحاب ... فعوفيت وانجاب عنك السحاب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/١٦٩

ورزق اتاك ولم تاته ... ولا ارق العين منه الطلاب

وناء عن الاهل من بعدما ... علاه من الموج طام عباب

اذا احتجب الناس عن سائل ... فما دون سائل ربي حجاب

يعود بفضل على من رجاه ... وراجيه في كل حين يجاب

فلا تاس يوما على فائت ... وعندك منه رضاء واحتساب

فلا بد من كون ما خط في ... كتابك ، تحبى به او تصاب

فمن حائل دون ما في الكتاب ... ومن مرسل ما اباه الكتاب

اذا لم تكن تاركا زينة ... اذا المرء جاء بها يستراب

تقع في مواقع تردى بها ... وتهوي اليك السهام الصياب

تبين زمانك ذا واقتصد ... فان زمانك هذا عذاب

واقلل عتابا فما فيه من ... يعاتب حين يحق العتاب

مضى الناس طرا وبادو سوى ... اراذل عنهم تجل الكلاب

يلاقيك بالبشر دهمائهم ... وتسليم من رق منهم سباب

فاحسن وما الحر مستحسن ... صيان لهم عنهم واجتناب

فدع ما هويت فان الهوى ... يقود النفوس الى ما يعاب

وميز كلامك قبل الكلام ... فان لكل كلام جواب

فرب كلام يمص الحشاء ... وفيه من المزح ما يستطاب

****

وقال محمود الوراق:

تعز بحسن الصبر عن كل هالك ... ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم

إذا أنت لم تسل اصطبارا وحسبة ... سلوت على الأيام مثل البهائم

وليس يذود النفس عن شهواتها ... من الناس إلا كل ماضي العزائم

****

قال أبو العتاهية:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد

أو ما ترى أن المصائب جمة ... وترى المنية للعباد بمرصد

من لم يصب ممن ترى بمصيبة ... هذا قبيل لست فيه بأوحد

وإذا أتتك مصيبة تشجي بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

****

وقال آخر:-

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا ** ** ** فما حيلة المضطر إلا ركوبها؟

****

وقال آخر:-

ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى ... من العيش ما يصفو وما يتكدر." (١)

"يرجو صديقا في الفلاة ، وأين في القفر الصديق

يهوى البروق وضوءها ، ويخاف تخدعه البروق

بل أنت أعظم حيرة من فارس تحت القتام

لا يستطيع الانتصار

ولا يطيق الانكسار

هذي الهواجس لم تكن مرسومة في مقلتيك

فلقد رأيتك في الضحى ورأيته في وجنتيك

لكن وجدتك في المساء وضعت رأسك في يديك

وجلست في عينيك ألغاز ، وفي النفس اكتئاب

مثل اكتئاب العاشقين

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٣٣٩/١٠٠

سلمى ...بماذا تفكرين
بالأرض كيف هوت عروش النور عن هضباتها؟

أم بالمروج الخضر ساد الصمت في جنباتها؟

أم بالعصافير التي تعدو إلى وكناتها؟

أم بالمسا؟ إن المسا يخفي المدائن كالقرى

والكوخ كالقصر المكين

والشوك مثل الياسمين

لا فرق عند الليل بين النهر والمستنقع

يخفي ابتسامات الطروب كأدمع المتوجع

إن الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع

لكن لماذا تجزعين على النهار وللدجى

أحلامه ورغائبه

وسماؤه وكواكبه؟

إن كان قد ستر البلاد سهولها ووعورها

لم يسلب الزهر الأريج ولا المياه خريرها

كلا ، ولا منع النسائم في الفضاء مسيرها

ما زال في الورق الخفيف وفي الصبا أنفاسها

والعندليب صداحه

لا ظفره وجناحه

فاصغي إلى صوت الجداول جاريات في السفوح

واستنشقي الأزهار في الجنات مادامت تفوح

وتمتعي بالشهب في الأفلاك مادامت تلوح

من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان

لا تبصرين به الغدير
ولا يلذ لك الخرير

مات النهار ابن الصباح فلا تقولي كيف مات
إن التأمل في الحياة يزيد إيمان الفتاة

فدعي الكآبة والأسى واسترجعي مرح الفتاة

قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا

فيه البشاشة والبهاء

ليكن كذلك في المساء

*****

هذه القصيدة قالها : المهلهل التغلبي يرثي أخاه كليبا
أهاج قذاء عيني الادكار ؟
هدوءا فالدموع لها انهمار

وصار الليل مشتملا علينا

كأن الليل ليس له نهار

وبت أراقب الجوزاء حتى

تقارب من أوائلها انحدار." (١)

"بان الخليط ولو طوعت ما بانا

جرير

بان الخليط، ولو طوعت ما بانا، و قطعوا من حبال الوصل أقرانا

حي المنازل إذ لا نبتغي بدلا بالدار دارا، ولا الجيران جيرانا

قد كنت في أثر الأظعان ذا طرب مروعا من حذار البين محزانا

يا رب **مكتئب** لو قد نعيت له باك، وآخر مسرور بمنعانا

لو تعلمين الذي نلقى أويت لنا أو تسمعين إلى ذي العرش شكوانا

كصاحب الموج إذ مالت سفينته يدعو إلى الله أسرارا وإعلانا

يا أيها الراكب المزجي مطيته، بلغ تحيتنا، لقيت حملانا

بلغ رسائل عنا خف محملها على قلائص لم يحملن حيرانا

كيما نقول إذا بلغت حاجتنا أنت الأمين، إذا مستأمن خانا

تهدي السلام لأهل الغور من ملح، هيهات من ملح بالغور مهدانا

أحبب إلى بذاك الجزع منزلة بالطلح طلحا وبالأعطان أعطانا

يا ليت ذا القلب لاقى من يعلله أو ساقيا فسقاه اليوم سلوانا

أو ليتها لم تعلقنا علاقتها؛ غدر الخليل إذا ماكان ألوانا

هلا تحرجت مما تفعلين بنا؛ يا أطيب الناس يوم الدجن أردانا

قالت: ألم بنا إن كنت منطلقا، ولا إخالك، بعد اليوم، تلقانا

يا طيب! هل من متاع تمتعين به ضيفا لكم باكرا يا طيب عجلانا

ما كنت أول مشتاق أخي طرب هاجت له غدوات البين أحزانا

يا أم عمرو جزاك الله مغفرة ردي علي فؤادي كالذي كانا

ألست أحسن من يمشي على قدم يا أملح الناس كل الناس إنسانا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٦/٣٦٠

يلقى غريمكم من غير عسرتكم بالبذل بخلا وبالإحسان حرمانا

لا تأمنن فاني غير آمنه غدو الخليل إذا ما كان ألوانا." (١)

"نشعر فيه عندما ''''''''''''''''''' نحس جوعا أو ظما

بأن إخوانا لنا '''''''''''''''''''' قد حرموا من عطفنا

وأننا في ما مضى '''''''''''''''''''' في غفلة لا ترتضى

وتصمت الألسنة '''''''''''''''''''' عما الإله يمقت

مشغولة بذكره '''''''''''''''''''' راغبة في أجره

والحق أن صومنا '''''''''''''''''''' فيه غذاء روحنا

وصحة الأجسام '''''''''''''''''''' تكمن في الصيام

فهل بدا لقومي '''''''''''''''''''' حكم شهر الصوم

وحققوا لربهم '''''''''''''''''' تقواه في نفوسهم

نعم ولكن قلة '''''''''''''''''' وفي القليل قدوة

وللعصاة الفجره '''''''''''''''''''' لظاهم المستعره

وبزكاة الفطر '''''''''''''''''''' يعف أهل الفقر

ويحصل الطهر لنا '''''''''''''''''''' عند ختام صومنا

وكلنا مكتئب '''''''''''''''''''' لضيفنا إذ يذهب

ولمحبي الطاعة '''''''''''''''''''' صيام ست حانت

بل إن هذا الزمنا '''''''''''''''''''' للحج جاء معلنا

والآن يا إخوتنا '''''''''''''''''''' أطل يوم عيدنا

فلنلبس الجديدا '''''''''''''''''''' وننشد النشيدا

وليأت في المقدمه '''''''''''''''''''' أكل لذيذ الأطعمه

ولنركب الخيولا '''''''''''''''''''' ولنطرد الخمولا

فاليوم يوم فرح '''''''''''''''''''' وطرب ومرح

وهاهنا قال الكبير '''''''''''''''''''''' عبد المهيمن الخبير

لكن أخونا الحسن '''''''''''''''''''''''' يبدو عليه الحزن

قوموا إليه لنرى '''''''''''''''''' إن كان خطب قد عرا

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٣٦٩

فقال عبد البر ```````````````` مستوضحا للأمر

مالي أراك متعبا ```````````````````` وغاضبا مكتئبا." (١)

"في يوم عيد المسلم ````````````````````` ولم تكن بالمعدم

فقال يا إخواني ```````````````````` جددتم أحزاني

كيف يسر المسلم ```````````````````` بالعيد وهو يعلم

بالقتل والتشريد `````````````````` في يوم هذا العيد

للإخوة الأطهار ```````````````````` من قبل الكفار

وبعضهم من الظما `````````````````` والجوع روحا أسلما

بل كيف يلهو المسلم ``````````````````````` ما دام كفر يحكم

وليس للقرآن ```````````````` هناك من سلطان

أليس عيد الفطر ````````````````````` قد جاء بعد بدر

وكان فيها النصر ```````````````````````` لنا وذل الكفر؟

وأخذ المكتئب ``````````````````````` أمامنا ينتحب

وكلنا قد أدركا ```````````````` السر في هذا البكا

قال الحسين عجب ````````````````````` لأمرنا أنطرب

والمسلمون في حزن ```````````````````` لقد نصحت يا حسن

وخيم الوجوم ```````````````` وعمت الهموم

وذابت الأفراح ```````````````` ورست الأتراح

وسالت الدموع ````````````````` وانتحب الجميع

فقام فينا الحسن `````````````````` ينصحنا ويعلن

دعوا البكاء البائسا``````````````````` خاب الذي به ائتسى

قلنا ألست البادیا ```````````````````` قال ولكن حاديا

إلى الجهاد الدائم ```````````````````` والحفز للعزائم

لنصر إخوان لنا ```````````````````````` أذلهم أعداؤنا

فعاهدوا بأنكم ``````````````` جند لنصر دينكم

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١٢/٣٩١

بالنفس والأموال ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ وكل أمر غال

قلنا نعم نعاهد ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ وأنت فينا القائد." (١)

"‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘حق الجار (٤٣)’’‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘

وأنتم جيراني ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ ينالكم إحساني

إكرامكم من خلقي ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ وضركم سأتقي

وأبشروا بخدمتي ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ لكم بكل سرعة

وما عليكم أبخل ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ بأي خير يبذل

جميلكم سأنشر ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ وما عداه أستر

أوصى بكم جبريل ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ وبلغ الرسول

وكلنا قد أذعنا ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ لذاك يا جيراننا

‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ الضيف ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘

وبيتنا لضيفنا ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘كبيته فانزل بنا

تر الوجوه تحتفي ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ بضيفها المشرف

والضيف بين قومنا ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘كالفرد من أفرادنا

لا تعتريه كربه ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ ولا يحس غربه

ولا يرى سآمه ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ مهما يطل مقامه

قرى الضيوف طبعنا ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ حث عليه ديننا

والطبع والدين إذا ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ يجتمعان حبذا

وبئس طبع الغربي ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ لا سيما الأوربي

فضيفهم لا يكرم ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ وإن يجع لا يطعم

ويكثر اكتئابنا ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ عند رحيل ضيفنا

ترى الصغير باكيا ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ ومن سواه داعيا

يا رب وفق ضيفنا ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ ألا يطيل هجرنا

فطرة وقدوة

ولحيتي الموقره ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ في السنة المطهره

لست لها بحالقي ‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘ مستحيا من خالق

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١٣/٣٩١

لأنها من فطرتي ''''''''''''''' ومن شعار ملتي

والأصل أن حلقها '''''' للمشركين السفها (١)

وتركها رجولة '''''''''''''''''''''' وحلقها أنوثة

ومن عجيب المنكر ''''''''''''''''' أن النظام العسكري." (١)

"سيفتح باب إذا سد باب

سيفتح باب إذا سد باب ... نعم وتهون الاموروالصعاب

ويتسع العيش من بعد ما ... تضيق المذاهب فيها الرحاب

مع الهم يسران هون عليك ... فلا الهم يجدي ولا الاكتئاب

فكم ضقت ذرعا بما هبته ... فلم ير من ذاك قدر يهاب

وكم برد خفته من سحاب ... فعوفيت وانجاب عنك السحاب

ورزق اتاك ولم تاته ... ولا ارق العين منه الطلاب

وناء عن الاهل من بعدما ... علاه من الموج طام عباب

اذا احتجب الناس عن سائل ... فما دون سائل ربي حجاب

يعود بفضل على من رجاه ... وراجيه في كل حين يجاب

فلا تاس يوما على فائت ... وعندك منه رضاء واحتساب

فلا بد من كون ما خط في ... كتابك ، تحبى به او تصاب

فمن حائل دون ما في الكتاب ... ومن مرسل ما اباه الكتاب

اذا لم تكن تاركا زينة ... اذا المرء جاء بها يستراب

تقع في مواقع تردى بها ... وتهوي اليك السهام الصياب

تبين زمانك ذا واقتصد ... فان زمانك هذا عذاب

واقلل عتابا فما فيه من ... يعاتب حين يحق العتاب

مضى الناس طرا وبادو سوى ... اراذل عنهم تجل الكلاب

يلاقيك بالبشر دهمائهم ... وتسليم من رق منهم سباب

فاحسن وما الحر مستحسن ... صيان لهم عنهم واجتناب

فان يغنه الله عنهم يفر ... ر والا فذالك فيما الخطاء والصواب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٣٨/٣٩١

فدع ما هويت فان الهوى ... يقود النفوس الى ما يعاب

وميز كلامك قبل الكلام ... فان لكل كلام جواب

فرب كلام يمص الحشاء ... وفيه من المزح ما يستطاب." (١)

"عروس المجد

عمر أبو ريشة

١. ... يا عروس المجد تيهي واسحبي في مغانينا ذيول الشهب

٢. ... لن تري حبة رمل فوقها لم تعطر بدما حر أبي

٣. ... درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب

٤. ... وارتمى كبر الليالي دونها لين الناب ، كليل المخلب

٥. ... لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب!

٦. ... من هنا شق الهدى أكمامه وتهادى موكبا في موكب

٧. ... وأتى الدنيا فرفت طربا وانتشت من عبقه المنسكب

٨. ... وتغنت بالمروءات التي عرفتها في فتاها العربي

٩. ... أصيد ، ضاقت به صحراؤه فأعدته لأفق أرحب

١٠. ... هب للفتح ، فأدمى تحته حافر المهر جبين الكوكب!

١١. ... وأمانيه انتفاض الأرض من غيهب الذل ، وذل الغيهب

١٢. ... وانطلاق النور حتى يرتوي كل جفن بالثرى مختضب

١٣. ... حلم ولى ، و لم يجرح به شرف المسعى ونبل المطلب

١٤. ... يا عروس المجد، طال الملتقى بعدما طال جوى المغترب

١٥. ... سكرت أجيالنا في زهوها وغفت عن كيد دهر قلب

١٦. ... و صحونا ، فإذا أعناقنا مثقلات بقيود الأجنبي

١٧. ... فدعوناك فلم نسمع سوى زفرة من صدرك **المكتئب**

١٨. ... قد عرفنا مهرك الغالي فلم نرخص المهر و لم نحتسب

١٩. ... فحملنا لك إكليل الوفا ومشينا فوق هام النوب

٢٠. ... وأرقناها دماء حرة فاغرفي ما شئت منها واشربي!

٢١. ... نحن من ضعف بنينا قوة لم تلن للمارج الملتهب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٤٥٩

٢٢. ... كم لنا من ميسلون نفضت عن جناحيها غبار التعب

٢٣. ... كم نبت أسيافنا في ملعب وكبت أفراسنا في ملعب

٢٤. ... من نضال عاثر مصطخب لنضال عاثر مصطخب

٢٥. ... شرف الوثبة أن ترضي العلى غلب الواثب أم لم يغلب!

٢٦. ... فالتفت من كوة الفردوس يا فيصل العلياء وانظر واعجب

٢٧. ... أترى كيف اشتفى الثأر من الـ فاتح المسترق المستلب ؟

٢٨. ... و طوى ما طال من راياته في ثنايا نجمه المحتجب." (١)

"ويعوزه التقلب وهو ذلق

*

*

وسر الشاعرية في دماغ

ذكي وهو في التدبير خرق

*

*

تخبط في بسائطه وحلت

على يده من الأفكار غلق

*

*

مشاهير وما طلبوا اشتهارا

مشت برد بهم وأثير برق

*

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٥٠٧

*

ومرموقون من بعد وقرب

لهم أفق وللقمرين أفق

*

****

هذه القصيدة للشاعر ايليا أبي ماضي

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين

والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين

والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين

لكنما عيناك باهتتان في الأفق البعيد

سلمى ...بماذا تفكرين؟

سلمى ...بماذا تحلمين؟

أرأيت أحلام الطفولة تختفي خلف التخوم؟

أم أبصرت عيناك أشباح الكهولة في الغيوم؟

أم خفت أن يأتي الدجى الجاني ولا تأتي النجوم؟

أنا لا أرى ما تلمحين من المشاهد إنما

أظلالها في ناظريك

تنم ، ياسلمى ، عليك

إني أراك كسائح في القفر ضل عن الطريق

يرجو صديقا في الفلاة ، وأين في القفر الصديق

يهوى البروق وضوءها ، ويخاف تخدعه البروق

بل أنت أعظم حيرة من فارس تحت القتام

لا يستطيع الانتصار

ولا يطيق الانكسار

هذي الهواجس لم تكن مرسومة في مقلتيك

فلقد رأيتك في الضحى ورأيته في وجنتيك

لكن وجدتك في المساء وضعت رأسك في يديك

وجلست في عينيك ألغاز ، وفي النفس **اكتئاب**

مثل **اكتئاب** العاشقين

سلمى ...بماذا تفكرين

بالأرض كيف هوت عروش النور عن هضباتها؟

أم بالمروج الخضر ساد الصمت في جنباتها؟

أم بالعصافير التي تعدو إلى وكناتها؟

أم بالمسا؟ إن المسا يخفي المدائن كالقرى

والكوخ كالقصر المكين

والشوك مثل الياسمين

لا فرق عند الليل بين النهر والمستنقع

يخفي ابتسامات الطروب كأدمع المتوجع

إن الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع

لكن لماذا تجزعين على النهار وللدجى

أحلامه ورغائبه

وسماؤه وكواكبه؟

إن كان قد ستر البلاد سهولها ووعورها

لم يسلب الزهر الأريج ولا المياه خريرها." (١)

"الصبح قد أهدى إلى الأزهار قبلته ** والعلقم المر قد أمسى بكاساتي

يا قبلة الحب يا من جئت انشدها ** شعرا لعل الهوى يشفي جراحاتي

داوت أزهار روحي وهي يابسة ** ماتت أغاني الهوى ماتت حكاياتي

ماتت بمحراب عينيك ابتهالاتي ** واستسلمت لرياح اليأس راياتي

جفت على بابك الموصود أزمنتي ليلى ** وما أثمرت شيئا نداءاتي

أنا الذي ضاع لي عامان من عمري ** وباركت وهمي وصدقت افتراضاتي عامان ما رف لي لحن على وتر ** ولا استفاقت على نور سماواتي

اعتق الحب في قلبي واعصره ** فأرشف الهم في مغبر كاساتي

وأودع الورد أتعابي وازرعه ** فيورق الورد وينمو في حشاشاتي

ما ضر لو عانق النور غاباتي ** أو صافح الورد أوراقي الحزينات

ما ضر لو أن كفا منك جثيما** تحقد تنفض آلامي المريرات

سنين تسع مضت والأحزان تسحقني ** ومت حتى تناستني صباباتي

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٦/٥٥٨

تسعى على مركب الأشواق في سفن ** والريح تعصف في عنف شراعاتي

طال انتظاري متى أحبيبتي تفتح لي ** دروبا إليها أطفئ نار آهاتي

متى سأجد إلى كفيك يا حبيبتي ** متى ترفرف يا عشاق راياتي

غدا سأذبح أحزاني وادفنها ** غدا سأطلق أنغامي الضحوكات

ولكن ولكن للعشاق قاتلتي ** إذا أعقب فرحتي شلال حيراتي

فعدت احمل نعش الحب مكتئبا ** وامضي البوادي واسماري قصيداتي

ممزق أنا لا جاه ولا ترف ** يغريك في فخليني وآهاتي

لو تعصرين سنين العمر أكملها ** لسال منها نزيف في جراحاتي

كل القناديل عذب نورها ** وأنا تظل تشكو نضوب الزيت مشكاتي

لو كنت ذا ترف ما كنت رافضة حبي ** ولكن عسر الحال مأساتي

فليمضغ اليأس آمالي التي يبست ** وليغرق الموج يا ليلى بضاعاتي

عانيت لا حزني أبوح به ** ولست تدرين شيئا عن معاناتي

امشي واضحك يا ليلى مكابرة ** علي أخبي عن الناس احتضاراتي

لا الناس تعرف ما أمري فتعذرني ** ولا سبيل لديهم في مواساتي

لاموا افتتاني بسوداء العيون ** ولو رأوا جمال عينيك ما لاموا افتتاناتي." (١)

"أبكيك

أحقا؟

أمحمد..

الزيارة الأخيرة..

المؤمن و الشقي

انظر إلي

بكل رجاء..

قصاصات ورق

قلب بالألوان!!

هدى

و عيون تنظر للصورة

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٦٦/٥٦٢

وداعا..
أبكيك

أبكيك يا أقصى بلادي كلما
رجم الحجارة في الربا أطفال
فمدينة الاسلام تبكي حظها

حين اختفى عن أرضها الأبطال
لم تبق أيام الهزيمة والردى
غير الكلام ينوحها و يقال
شعب يموت و مسجد حرماته
صارت على قلب الشقي وبال!
"ما شأننا" قال الجبان و عينه

نامت و شعب كامل يغتال
هو حالنا خوف و بخل فيهما

لا تبذل الأرواح و الأموال

أحقا؟

نظرت إلى الشمس و قت الغروب
و ساءلت نفسي: أحقا يتوب؟
أحقا يعود الحبيب إلي
و يشعل في النفس مالا يذوب
سألت المغيب و كلي شقاء
أحقا يتوب المسيء الغضوب؟
* * *

سألت النجوم التي ساهرتني

و ذكرتها بالذي قد مضى

حبيب الفؤاد القريب البعيد

و من عشقه عم كل الفضا

مضى حبه من فؤادي و تمت

و ها ليل حبي مضى وانقضى

* * *

سألت الزهور لماذا يعود؟

و هل بعد هجر يفي بالوعود؟

أبعد الخيانة يا زهر يأتي

و يرجع عهدا مضى و يعود؟

أبعد المعاصي يتوب الشقي؟

و تبدو عليه علام السجود؟

أمحمد..

أمحمد لا تسأل الأيام في زمن العتاب

كيف الأماني في محبتنا يغطيها **اكتئاب**

و لم العيون الظامئات إلى اللقاء رأت سراب!

لا تسأل الأيام و اسألني، سأعطيك الجواب.

***

أنا يا محمد قد أماتتني القيود الجائرة

كم ألف آه في فؤادي و دموع حائرة

في القلب أحزان و انات الليالي الغابرة

أنا يا حبيب القلب يا زهر الروابي الناضرة

الزيارة الأخيرة..

قد تهت حبيبي في الدنيا

أتعبني اللف مع الدوران

والآن أسير و لا أدري

و كرهت "الأمس" كرهت "الآن"

في جسدي نفس ثائرة." (١)

"من أين أبدأ رحلتي(تساؤلات طفل شردته الحرب)

الليل مكتئب وقريتنا يضاجعها الخراب

ونساء قريتنا على الطرقات يسدلن الحجاب

يخشين – يا أبتي – على أعراضهن من الذئاب

وبكاؤهن يشيع في آفاق قريتنا اكتئاب

وعويل أطفال يذيب القلب ، قد فقدوا الصواب

وهزيم رعد – يا أبتي – يفضي بآلام السحاب

ووميض برق تستضيء به المشارف والشعاب

وسفينة في البر آمنة وأخرى في العباب

وغناء عصفور على فنن يردده غراب

وأنين أفئدة يمزقها التلهف والعذاب

ويد مكبلة وهذا السيف يلمع كالشهاب

وصراخ أسئلة بلا وعي ، تحن إلى جواب :

ما بالهم يستأسدون ويطحنون رؤى الشباب ؟!

ويعربدون ، وينشرون على الورى قانون غاب ؟!

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٦٤٤

ما بالهم ، في غيهم يتسلطون على الرقاب ؟

ما بالهم ، شربوا دماء الأبرياء بلا حساب ؟؟

همج .. أليس لهم إلى البشر ، انتماء وانتساب ؟؟

بشر؟؟ نعم لكنهم عند عند الرغائب كالدواب

هم كالوحوش بدا لهم في حربنا ظفر وناب

أواه من جور العدو ومن مجافاة الصحاب

من أين أبدأ- يا أبي ؟ والليل يرفده الضباب

من أين ألبس – يا أبي ؟ جسدي يحن إلى الثياب

كل المنابع أصبحت مستنقعات للذباب

صارت وجوه الهاربين دفاتر الأمل المذاب

وعيونهم صارت كهوفا للذهول وللعذاب

من أين أبدأ رحلتي ووجوه أصحابي غضاب ؟

يبست على دربي الخطا وتنابحت حولي الكلاب

ستقول يا- أبتي – تصبر ، سوف نقتحم الصعاب

ستقول : لا تجزع ، فمثلك في الحوادث لا يهاب

أتظن أني لا أرى ما نحن فيه من اضطراب ؟!

أتظن أني لا أرى سجني ، ولا تلك الرحاب ؟!

إني لأسمع ما يقال على المنابر من سباب

إني لأعرف كل وجه يختفي خلف الحجاب

كم من وعود – يا أبي – لكنها مثل السراب

هذا صواب يا بني ، وهل تقول سوى الصواب ؟؟

أعداؤنا مثل الذئاب ونحن نصطاد الذئاب

بيقيننا نمضي ونهزم كل شك وارتياب

وإلى متى هذا السؤال وعندنا نحن الجواب

سنسد باب الظلم يا ولدي ونفتح ألف باب." (١)

"ولم تر لانفراج الضيق وجها وقد أعيى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٨٣٦

وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب

ومولانا الإله فخير مولى له إحسانه ولنا الذنوب

****

وقال آخر:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

****

وقال آخر:

فإذا أتتك مصيبة فاصبر لها عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

****

وقال أبو العتاهية:

الناس في الدين والدنيا ذوو درج والمال ما بين موقوف ومختلج

من ضاق عنك فأرض الله واسعة في كل وجه مضيق وجه منفرج

قد يدرك الراقد الهادي برقدته وقد يخيب أبو الروحات والدلج

خير المذاهب في الحاجات أنجحها وأضيق الأمر أدناه من الفرج

****

وقال آخر:

سأصبر للزمان وإن رماني بأحداث تضيق بها الصدور

وأعلم أن بعد العسر يسرا يدور به القضاء المستدير

****

وقال آخر:

سيفتح باب إذا سد باب نعم وتهون الأمور الصعاب

ويتسع العيش من بعد ما تضيق المذاهب فيها الرحاب

مع الهم يسران هون عليك فلا الهم يجدي ولا **الاكتئاب**

فكم ضقت ذرعا بما هبته فلم ير من ذاك قدر يهاب

وكم برد خفته من سحاب فعوفيت وانجاب عنك السحاب

ورزق أتاك ولم تأته ولا أرق العين منه الطلاب

وناء عن الأهل من بعدما علاه من الموج طام عباب

إذا احتجب الناس عن سائل فما دون سائل ربي حجاب

يعود بفضل على من رجاه وراجيه في كل حين يجاب

فلا تاس يوما على فائت وعندك منه رضاء واحتساب

فلا بد من كون ما خط في كتابك، تحبى به أو تصاب

فمن حائل دون ما في الكتاب ومن مرسل ما أباه الكتاب

إذا لم تكن تاركا زينة إذا المرء جاء بها يستراب

تقع في مواقع تردى بها وتهوي إليك السهام الصياب

تبين زمانك ذا واقتصد فإن زمانك هذا عذاب

واقفل عتابا فما فيه من يعاتب حين يحق العتاب

مضى الناس طرا وبادوا سوى أراذل عنهم تجل الكلاب." (١)

"عرس المجد

١. ... يا عروس المجد تيهي واسحبي في مغانينا ذيول الشهب

٢. ... لن تري حبة رمل فوقها لم تعطر بدما حر أبي

٣. ... درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب

٤. ... وارتمى كبر الليالي دونها لين الناب ، كليل المخلب

٥. ... لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب!

٦. ... من هنا شق الهدى أكمامه وتهادى موكبا في موكب

٧. ... وأتى الدنيا فرفت طربا وانتشت من عبقه المنسكب

٨. ... وتغنت بالمروءات التي عرفتها في فتاها العربي

٩. ... أصيد ، ضاقت به صحراؤه فأعدته لأفق أرحب

١٠. ... هب للفتح ، فأدمى تحته حافر المهر جبين الكوكب!

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٤/٨٦

١١. ... وأمانيه انتفاض الأرض من غيهب الذل ، وذل الغيهب

١٢. ... وانطلاق النور حتى يرتوي كل جفن بالثرى مختضب

١٣. ... حلم ولى ، و لم يجرح به شرف المسعى ونبل المطلب

١٤. ... يا عروس المجد، طال الملتقى بعدما طال جوى المغترب

١٥. ... سكرت أجيالنا في زهوها وغفت عن كيد دهر قلب

١٦. ... و صحونا ، فإذا أعناقنا مثقلات بقيود الأجنبي

١٧. ... فدعوناك فلم نسمع سوى زفرة من صدرك **المكتئب**

١٨. ... قد عرفنا مهرك الغالي فلم نرخص المهر و لم نحتسب

١٩. ... فحملنا لك إكليل الوفا ومشينا فوق هام النوب

٢٠. ... وأرقناها دماء حرة فاغرفي ما شئت منها واشربي!

٢١. ... نحن من ضعف بنينا قوة لم تلن للمارج الملتهب

٢٢. ... كم لنا من ميسلون نفضت عن جناحيها غبار التعب

٢٣. ... كم نبت أسيافنا في ملعب وكبت أفراسنا في ملعب

٢٤. ... من نضال عاثر مصطخب لنضال عاثر مصطخب

٢٥. ... شرف الوثبة أن ترضي العلى غلب الـ واثب أم لم يغلب!

٢٦. ... فالتفت من كوة الفردوس يا فيصل العلياء وانظر واعجب

٢٧. ... أترى كيف اشتفى الثأر من الـ فاتح المسترق المستلب ؟

٢٨. ... و طوى ما طال من راياته في ثنايا نجمه المحتجب." (١)

"عروس المجد عمر أبو ريشة

يا عروس المجد تيهي واسحبي ... في مغانينا ذيول الشهب

لن تري حفنة رمل فوقها ... لم تعطر بدما حر أبي

درج البغي عليها حقبة ... وهو ى دون بلوغ الأرب

وارتمى كبر الليالي دونها ... لين الناب كليل المخلب

لا يموت الحق مهما لطمت ... عارضيه قبضة المغتصب

من هنا شق الهدى أكمامه ... وتهادى موكبا في موكب

وأتى الدنيا فرقت طربا ... وانتشت من عبقه المنسكب

وتغنت بالمروءات التي ... عرفتها في فتاها العربي

أصيد ضاقت به صحراؤه ... فأعدته لأفق أرحب

هب للفتح فأدمى تحته ... حافر المهر جبين الكوكب

وأمانيه انتفاض الأرض من ... غيهب الذل وذل الغيهب

وانطلاق النور حتى يرتوي ... كل جفن بالثرى مختضب

حلم ولى ولم يجرح به ... شرف المسعى ونبل المطلب

يا عروس المجد طال الملتقى ... بعدما طال جوى المغترب

سكرت أجيالنا في زهوها ... وغفت عن كيد دهر قلب

وصحونا فإذا أعناقنا ... مثقلات بقيود الأجنبي

فدعوناك فلم نسمع سوى ... زفرة من صدرك المكتئب

قد عرفنا مهرك الغالي فلم ... نرخص المهر ولم نحتسب

فحملنا كل إكليل الوفا ... ومشينا فوق هام النوب

وأرقناها دماء حرة ... فاغرفي ما شئت منها واشربي

وامسحي دمع اليتامى وابسمي ... والمسي جرح الحزانى واطربي

نحن من ضعف بنينا قوة ... لم تلن للمارد الملتهب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٩٤٠

كم لنا من ميسلون نفضت ... عن جناحيها غبار التعب

كم نبت أسيافنا في ملعب ... وكبت أفراسنا في ملعب

من نضال عاثر مصطخب ... لنضال عاثر مصطخب

شرف الوثبة أن ترضي العلى ... غلب الواثب أم لم يغلب." (١)

"ولكن هذه الرؤية الواثقة المتفائلة، ماتلبث أن تصاب بفاجعة كبيرة، عندما ترتد القوى العربية على أعقابها عام ١٩٤٧، ويعلن الكيان الصهيوني في ١٥ أيار ١٩٤٨ عن قيام دولة إسرائيل، فينفجر الغضب في قلب الشاعر، ويعاتب أمته بقسوة، منكرا عليها تقصيرها في الدفاع عن الحق في قصيدة له شهيرة عنوانها " أمتي " (١٩٤٧) يقول في مطلعها (ص٧):

أمتي، هل لك بين الأمم

أتلقاك وطرفي مطرق

ألإسرائيل تعلو راية

كيف أغفيت على الذل ولم

منبر للسيف أو للقلم

خجلا من أمسك المنصرم

في حمى المهد وظل الحرم

تنفضي عنك غبار التهم

وسرعان مايصب الشاعر نقمته على القادة العرب آنئذ ويحملهم المسؤولية، ويعاتبهم بحدة بالغة، فيقول عنهم: (ص١٠)

رب وامعتصماه انطلقت

لامست أسماعهم لكنها

ملء أفواه البنات اليتم

لم تلامس نخوة المعتصم

ثم يلتفت إلى الشعب العربي ليحمله المسؤولية كلها، ويلومه على سكوته عن حكامه، فيقول (ص١٠- ١١):

أمتي كم صنم عبدته

لايلام الذئب في عدوانه

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٩٤١

فاحبسي الشكوى فلولاك لما

لم يكن يحمل طهر الصنم

إن يك الراعي عدو الغنم

كان في الحكم عبيد الدرهم

والقصيدة مفعمة بالحدة وشدة الانفعال، وهي تضج بالأسئلة والنداءات، وقد عني الشاعر فيها بالطرافة والإدهاش، وتعد إحدى قصائده المتميزة، وقد لقيت في حينها رواجا كبيرا، وحسبها أنه استهل بها ديوانه الذي أصدره عام ١٩٧١.

- ٧ -

وينتاب الشاعر بعد ذلك قدر غير قليل من **الاكتئاب** والحزن، وهو يرى القدس تنتهك، وقوافل اللاجئين تجر خطا الألم والشقاء والعذاب، والعرب لاهون عنهم عابثون، فيطلق قصيدة مطولة عنوانها " حماة الضيم" (١٩٤٨)، وفيها يقول (ص١٧-٢٠):

هل في روابي القدس كهف عبادة

خشب الصليب على الرمال مخضب

فإذا سبيل الحق منفض الصوى

وإذا قوافله العجاف طريدة

كم متعب جر السنين وراءه

متلفتا صوب الديار مودعا

كم حرة لم تدر عين الشمس ما

وبناتها وجلى تضج أمامها

بمن استجارت هذه الزمر التي." (١)

"يا عروس المجد تيهي

١. يا عروس المجد تيهي واسحبي في مغانينا ذيول الشهب

٢. لن تري حبة رمل فوقها لم تعطر بدما حر أبي

٣. درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ٧/٩٤٢

٤. وارتمى كبر الليالي دونها لين الناب ، كليل المخلب

٥. لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب!

٦. من هنا شق الهدى أكمامه وتهادى موكبا في موكب

٧. وأتى الدنيا فرفت طربا وانتشت من عبقه المنسكب

٨. وتغنت بالمروءات التي عرفتها في فتاها العربي

٩. أصيد ، ضاقت به صحراؤه فأعدته لأفق أرحب

١٠. هب للفتح ، فأدمى تحته حافر المهر جبين الكوكب!

١١. وأمانيه انتفاض الأرض من غيهب الذل ، وذل الغيهب

١٢. وانطلاق النور حتى يرتوي كل جفن بالثرى مختضب

١٣. حلم ولى ، و لم يجرح به شرف المسعى ونبل المطلب

١٤. يا عروس المجد، طال الملتقى بعدما طال جوى المغترب

١٥. سكرت أجيالنا في زهوها وغفت عن كيد دهر قلب

١٦. و صحونا ، فإذا أعناقنا مثقلات بقيود الأجنبي

١٧. فدعوناك فلم نسمع سوى زفرة من صدرك **المكتئب**

١٨. قد عرفنا مهرك الغالي فلم نرخص المهر و لم نحتسب

١٩. فحملنا لك إكليل الوفا ومشينا فوق هام النوب

٢٠. وأرقناها دماء حرة فاغرفي ما شئت منها واشربي!

٢١. نحن من ضعف بنينا قوة لم تلن للمارج الملتهب

٢٢. كم لنا من ميسلون نفضت عن جناحيها غبار التعب

٢٣. كم نبت أسيافنا في ملعب وكبت أفراسنا في ملعب

٢٤. من نضال عاثر مصطخب لنضال عاثر مصطخب

٢٥. شرف الوثبة أن ترضي العلى غلب الـ واثب أم لم يغلب!

٢٦. فالتفت من كوة الفردوس يا فيصل العلياء وانظر واعجب

٢٧. أترى كيف اشتفى الثأر من الـ فاتح المسترق المستلب ؟

٢٨. و طوى ما طال من راياته في ثنايا نجمه المحتجب." (١)

"نَشْعُرُ فِيهِ عِنْدَمَا ''''''''''''''''''''''''' نُحِسُّ جُوعاً أَوْ ظَمَا

بِأَنَّ إِخْوَاناً لَنَا ''''''''''''''''''''''''' قَدْ حُرِمُوا مِنْ عَطْفِنَا

وَأَنَّنَا فِي مَا مَضَى ''''''''''''''''''''''''' فِي غَفْلَةٍ لاَ تُرْتَضَى

وَتَصْمُتُ الأَلْسِنَةُ ''''''''''''''''''''''''' عَمَّا الإِلَهُ يَمْقُتُ

مَشْغُولَةً بِذِكْرِهِ ''''''''''''''''''''''''' رَاغِبَةً فِي أَجْرِهِ

وَالْحَقُّ أَنَّ صَوْمَنَا ''''''''''''''''''''''''' فِيهِ غِذَاءُ رُوحِنَا

وَصِحَّةُ الأَجْسَامِ ''''''''''''''''''''''''' تَكْمُنُ فِي الصِّيَامِ

فَهَلْ بَدَا لِقَوْمِي ''''''''''''''''''''''''' حِكَمُ شَهْرِ الصَّومِ

وَحقَّقُوا لِرَبِّهِمْ ''''''''''''''''''''''''' تَقْوَاهُ فِي نُفُوسِهِم

نَعَمْ وَلَكِنْ قِلَّة ''''''''''''''''''''''''' وفي القليل قدوة

وَلِلعُصَاةِ الْفَجَرَهْ ''''''''''''''''''''''''' لَظَاهُمُ الْمُسْتَعِرَهْ

وَبِزَكَاةِ الْفِطْرِ ''''''''''''''''''''''''' يُعَفُّ أَهْلُ الْفَقْرِ

---

(١) موسوعة الشعر الإسلامي، ١/٩٦٩

وَيَحْصُلُ الطُّهْرُ لَنَا ““““““““““““““““““ عِنْدَ خِتَامِ صَوْمِنَا

وَكُلُّنَا مُكْتَئِبُ ““““““““““““““““““ لِضَيْفِنَا إِذْ يَذْهَبُ

وَلِمُحِبِّي الطَّاعَةِ ““““““““““““““““““ صِيَامُ سِتٍّ حَانَتِ

بَلْ إِنَّ هَذَا الزَّمَنَا ““““““““““““““““““ لِلْحَجِّ جَاءَ مُعْلِنَا

وَالآنَ يَا إِخْوَتَنَا ““““““““““““““““““ أَطَلَّ يَوْمُ عِيدِنَا

فَلْنَلْبَسِ الْجَدِيدَا ““““““““““““““““““ وَنُنْشِدِ النَّشِيدَا

وَلْيَأْتِ فِي الْمُقَدِّمَهْ ““““““““““““““““““ أَكْلُ لَذِيذِ الأَطْعِمَهْ

وَلْنَرْكَبِ الْخُيُولاَ ““““““““““““““““““ وَلْنَطْرُدِ الْخُمُولاَ

فَالْيَومُ يَوْمُ فَرَحِ ““““““““““““““““““ وَطَرَبٍ وَمَرَحِ

وَهَاهُنَا قَالَ الْكَبِيرْ ““““““““““““““““““ عَبْدُ الْمُهَيْمِنِ الْخَبِيرْ

لَكِنْ أَخُونَا الْحَسَنُ ““““““““““““““““““ يَبْدُو عَلَيْهِ الْحَزَنُ

قُومُوا إِلَيْهِ لِنَرَى ““““““““““““““““““ إِنْ كَانَ خَطْبٌ قَد عَرَا

فَقَالَ عَبْدُ الْبَرِّ ““““““““““““““““““ مُسْتَوْضِحاً للأَمْرِ

مَالِي أَرَاكَ مُتْعَبَا ““““““““““““““““““ وَغَاضِباً مُكْتَئِبَا." (١)

"فِي يَوْمِ عِيدِ الْمُسْلِمِ ““““““““““““““““““ وَلَمْ تَكُنْ بِالْمُعْدِمِ

فَقَالَ يَا إِخْوَانِي ““““““““““““““““““ جَدَّدْتُمُ أَحْزَانِي

كَيْفَ يُسَرُّ الْمُسْلِمُ ““““““““““““““““““ بِالْعِيدِ وَهْوَ يَعْلَمُ

بِالْقَتْلِ وَالتَّشْرِيدِ ““““““““““““““““““ فِي يَوْمِ هَذَا الْعِيدِ

لِلإِخْوَةِ الأَطْهَارِ ““““““““““““““““““ مِنْ قِبَلِ الْكُفَّارِ

وَبَعْضُهُمْ مِنَ الظَّمَا ““““““““““““““““““ وَالْجُوعِ رُوحاً أَسْلَمَا

بَلْ كَيْفَ يَلْهُو الْمُسْلِمُ ““““““““““““““““““ مَا دَامَ كُفْرٌ يَحْكُمُ

وَلَيْسَ لِلْقُرْآنِ ““““““““““““““““““ هُنَاكَ مِنْ سُلْطَانِ

أَلَيْسَ عِيدُ الْفِطْرِ ““““““““““““““““““ قَدْ جَاءَ بَعْدَ بَدْرِ

وَكَانَ فِيهَا النَّصْرُ ““““““““““““““““““ لَنَا وَذَلَّ الْكُفْرُ؟

وَأَخَذَ الْمُكْتَئِبُ ““““““““““““““““““ أَمَامَنَا يَنْتَحِبُ

وَكُلُّنَا قَدْ أَدْرَكَا ““““““““““““““““““ السِّرَّ فِي هَذَا الْبُكَا

قَالَ الْحُسَيْنُ عَجَبُ ““““““““““““““““““ لأَمْرِنَا أَنْطَرَبُ

---

(١) منظومة جوهرة الإسلام، ص/١٢

وَالْمُسْلِمُونَ فِي حَزَنْ """""""""""""""""" لَقَدْ نَصَحْتَ يَا حَسَن

وَخَيَّمَ الْوُجُومُ """""""""""""""" وَعَمَّتِ الْهُمُومُ

وَذَابَتِ الأَفْرَاحُ """""""""""""""" وَرَسَتِ الأَتْرَاحُ

وَسَالَتِ الدُّمُوعُ """""""""""""""" وانْتَحَبَ الْجَمِيعُ

فَقَامَ فِينَا الْحَسَنُ """""""""""""""" يَنْصَحُنَا وَيُعْلِنُ

دَعُوا الْبُكَاءَ الْبَائِسَا"""""""""""""""""" خَابَ الَّذِي بِهِ ائْتَسَى

قُلْنَا أَلَسْتَ الْبَادِيَا """""""""""""""""" قَالَ وَلَكِنْ حَادِيَا

إِلَى الْجِهَادِ الدَّائِمِ """""""""""""""""" وَالْحَفْزِ لِلْعَزَائِم

لِنَصرِ إِخْوَانٍ لَنَا """""""""""""""""""" أَذَلَّهُمْ أَعْدَاؤُنَا

فَعَاهِدُوا بِأَنَّكُمْ """""""""""""" جُنْدٌ لِنَصْرِ دِينِكُمْ

بِالنَّفْسِ وَالأَمْوَالِ """""""""""""""""" وَكُلِّ أَمْرٍ غَالِ

قُلْنَا نَعَمْ نُعَاهِدُ """""""""""""""""" وَأَنْتَ فِينَا الْقَائِدُ." (١)

"""""""""""""حق الجَارُ (٤٣)""""""""""""""""""""""

وَأَنْتُمْ جِيرَانِي """""""""""""""" يَنَالُكُمْ إِحْسَانِي

إِكْرَامُكُمْ مِنْ خُلُقِي """""""""""""" وَضُرُّكُمْ سَأَتَّقِي

وَأَبْشِرُوا بِخِدْمَتِي """""""""""" لَكُمْ بِكُلِّ سُرْعَةِ

وَمَا عَلَيْكُمْ أَبْخَلُ """""""""""""" بِأَيِّ خَيْرٍ يُبْذَلُ

جَمِيلَكُمْ سَأَنْشُرُ """""""""""""" وَمَا عَدَاهُ أَسْتُرُ

أَوصَى بِكُمْ جِبْرِيلُ """""""""""" وَبَلَّغَ الرَّسُولُ

وَكُلُّنَا قَدْ أَذْعَنَا """""""""""""" لِذَاكَ يَا جِيرَانَنَا

"""""""""""""""""" الضَّيْفُ """"""""""""""""""

وَبَيْتُنَا لِضَيْفِنَا """"""""""""""""كَبَيْتِهِ فَانْزِلْ بِنَا

تَرَ الْوُجُوهَ تَحْتَفِي """""""""" بِضَيْفِهَا الْمُشَرَّفِ

وَالضَّيْفُ بَيْنَ قَوْمِنَا """""""""" كَالْفَرْدِ مِنْ أَفْرَادِنَا

لاَ تَعْتَرِيهِ كُرْبَهْ """""""""""""""" وَلاَ يُحِسُّ غُرْبَهْ

وَلاَ يَرَى سَآمَهْ """""""""""""" مَهْمَا يُطِلْ مَقَامهْ

---

(١) منظومة جوهرة الإسلام، ص/١٣

قِرَى الضُّيُوفِ طَبْعُنَا ''''''''''' حَثَّ عَلَيْهِ دِينُنَا

وَالطَبْعُ والدِّينُ إِذَا '''''''''''' يَجْتَمِعَانِ حَبَّذَا

وَبِئْسَ طَبْعُ الْغرْبِي '''''''''' لاَ سِيَمَا الأُورُبِّي

فَضيْفُهم لاَ يُكْرَم '''''''''' وَإن يجُعْ لاَ يُطْعَمُ

وَيَكْثُرُ **اكْتِئَابُنَا** '''''''''''''' عِنْدَ رَحِيلِ ضَيْفِنَا

تَرَى الصَّغِيرَ بَاكِيَا '''''''''' وَمَنْ سِوَاهُ دَاعِيَا

يَا رَبِّ وَفِّقْ ضَيْفَنَا '''''''''' ألاَّ يُطِيلَ هَجْرَنَا

فِطْرَةٌ وَقُدْوَةٌ

وَلِحْيَتِي الْمُوَقَّرَهْ '''''''''' فِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَهْ

لَسْتُ لَهَا بِحَالِقِي ''''''''' مُسْتَحِياً مِنْ خَالِقِي

لأَنَّهَا مِنْ فِطْرَتِي ''''''''''''' وَمِنْ شِعَارِ مِلَّتِي

وَالأَصْلُ أَنَّ حَلْقَهَا ''''' لِلْمُشْرِكِينَ السَّفَهَا (١)

وَتَرْكُهَا رُجُولَةٌ '''''''''''''''' وَحَلْقُهَا أُنُوثَةٌ

وَمِنْ عَجِيبِ الْمُنْكَرِ ''''''''''''' أَنَّ النِّظَامَ الْعَسْكَرِي." (١)

"أنا ابنُ حماةِ العالمينَ وراثةً ... وأعظمهم جرثومةً في الجرائمِ

وأمنعهم داراً وأكثرهم حصىً ... وأدفعهم عن جارهِ للمظالمِ

وقال عروة بن أذينة أيضاً:

أهاجتكَ دارُ الحيِّ وحشاً جنابها ... أبت لم تكلمنا وعيَّ جوابها

نعم ذكرتنا ما مضى وبشاشةً ... إذا ذكرتها النفسُ طالَ انتحابها

وعيشاً بسعدى لانَ ثمَّ تقلبت ... به حقبةٌ غالَ النفوسَ انقلابها

كأن لم يكن ما بيننا كانَ مرةً ... ولم تغنَ في تلكَ العراصِ قبابها

ألا لن يعودَ الدهرُ خلةَ بيننا ... ولكن إيابُ القارظينِ إيابها

وعهدي بها ذوابةُ الطرفِ تنتهي ... إلى رملةٍ منها هيالٍ حقابها

وما فوقةُ لدنُ العسيبِ وشاحهُ ... يغني الحشا أثناؤها واضطرابها

وتضحكُ عن حمشِ اللثاثِ كأنما ... نشا المسكِ في ذوبِ النسيلِ رضابها

على قرقفٍ شجت بماءِ سحابةٍ ... لشربٍ كرامٍ حينَ فتَّ قطابها

لها واردٌ دانٍ على جيد ظبيةٍ ... بسائلةٍ ميثاء عفرٍ ذئابها

---

(١) منظومة جوهرة الإسلام، ص/٣٨

دعاها طلاً خافت عليهِ بجزعها ... كواسبَ لحمٍ لا يمنُّ اكتسابها

إذا سمعت منهُ بغاماً تعطفت ... وراعَ إليهِ لبها وانسلابها

ألمت بنا طيفاً تسدى ودونهُ ... مخاريقُ حسمى قورها وهضابها

كأنَّ خزامى طلةً ضافها الندى ... وفارةَ مسكٍ ضمنتها ثيابها

فكدتُّ لذكراها أطيرُ صبابةً ... وغالبتُ نفساً زادَ شوقاً غلابها

إذا اقتربت سعدى لججتَ بهجرها ... وإن تغترب يوماً يرعكَ اغترابها

ففي أيّ هذا راحةٌ لكَ عندها ... سواءٌ لعمري نأيها واقترابها

تباعدها عندَ الدنوّ وربما ... دنت ثمَّ لم ينفع وشدَّ حجابها

وفي النأي منها ما علمتَ إذا النوى ... تجردَ ناويها وشدت ركابها

كفى حزناً ألاَّ تزالَ مريرةً ... شطونٌ بها تهوي يصيحُ غرابها

يقولُ لي الواشونَ سعدى بخيلةٌ ... عليكَ معنٍّ ودها وطلابها

فدعها ولا تكلف بها إذ تغيرت ... فلم يبقَ إلاَّ هجرها واجتنابها

فقلتُ لهم سعدى عليَّ كريمةٌ ... وكالموتِ بلهَ الصرمِ عندي عتابها

فكيفَ بما حاولتمُ إنَّ خطةً ... عرضتم بها لم يبقَ نصحاً خلابها

وسعدى أحبُّ الناسِ شخصاً لو أنها ... إذا أصقبت زيرت وأجدى صقابها

ولكن أتى من دونها كلمُ العدى ... ورجمُ الظنونِ جورها ومصابها

فأمست وقد جذت قوى الحبلِ بغتةً ... وهرت وكانت لا تهرُّ كلابها

وعادَ الهوى منها كظلّ سحابةٍ ... ألاحت ببرقٍ ثمَّ مرَّ سحابها

فلا يبعدن وصلٌ لها ذهبت بهِ ... ليالٍ وأيامٌ عناناً ذهابها

ولا لذةُ العيش الذي لن يردهُ ... على النفسِ يوماً حزناً واكتئابها

ولا عبراتٌ يترعُ العينَ فيضها ... كما فاضَ من شلكٍ الصناع طبابها

إذا أغرقت إنسانها وسوادهُ ... تداعى بملءٍ الناظرين انسكابها

ومن حبّ سعدى لا أقولُ قصيدةً ... أرشحها إلاَّ لسعدى شبابها

لها مهلٌ من ودنا ومحلةٌ ... من القلبِ لم تحلل عليها شعابها

فإن تكُ قد شطت بها غربةُ النوى ... وشرفَ مزداراً عليكَ انتيابها

فقد كنتَ تلقاها وفي النفسِ حاجةٌ ... على غيرِ عينٍ خالياً فتهابها

وتشفقُ من إحشامها بمقالةٍ ... إذا حضرت ذا البثّ غلقَ بابها

فلا وأبيها ما دعانا تهالكٌ ... إلى صرمها إن عنَّ عنا ثوابها

وما زال يثنيني على حبّ غيرها ... وإكرامهِ إكرامها وحبابها
وقولي عسى أن تجزيني الودَّ أو ترى ... فتعتبَ يوماً كيفَ دأبي ودأبها
وكم كلفتنا من سرى حدِّ ليلةٍ ... حبيبٌ إلى الساري المجدِّ انجيابها
كأن على الأشرافِ ضربَ جليدةٍ ... ندائفَ برسٍ جللتهُ حدابها
ومن فورِ يومٍ ناجمٍ متضرمٍ ... بأجوازِ موماةٍ تعاوى ذئابها
يظلُّ المها فيها إلى كلّ مكنسٍ ... دموحاً إذا ما الشمسُ سالَ لعابها
ووالى الصريرَ الجندبُ الجونُ وارتقت ... حرابيٌّ في العيدانِ حانَ انتصابها." (١)

"ولم تشهدِ الجونينِ والشّعبَ ذا الصّفا ... وشدّاتِ قيسٍ يومَ ديرِ الجماجمِ
أكلَّفتَ قيساً أن نبا سيفُ غالبٍ ... وشاعتْ لهُ أحدوثةٌ في المواسمِ
بسيفِ أبي رغوانَ سيفِ مجاشعٍ ... ضربتَ ولم تضربْ بسيفِ ابن ظالمِ
ضربتَ به عندَ الإمامِ فأرعشَتْ ... يداكَ وقالوا محدَثٌ غيرُ صارمِ
ضربتَ بهِ عرقوبُ نابٍ بصوأرٍ ... ولا يضربونَ البيضَ تحتَ العمائمِ
عنيفٌ بهزِّ السّيفِ قينُ مجاشعٍ ... رفيقٌ بأخراتِ الفؤوسِ الكرازمِ
ستخبرُ يا ابن القينِ إنَّ رماحَنا ... أباحتْ لنا ما بينَ فلجٍ وعاسمِ
ألا ربَّ قومٍ قدْ نكحنا بناتهمْ ... بصمّ القنا والمقرباتِ الصّلادمِ
لقد حظيتْ قدماً سليمٌ وعامرٌ ... وعبسٌ بتجريدِ السّيوفِ الصّوارمِ
وعبسٌ همُ يومَ الفروقينِ طوّقوا ... بأسيافهمْ قدموسَ رأسٍ صلادمِ
وإنّي وقيساً يا ابن قينِ مجاشعٍ ... كريمٌ صفيُّ مدحتي للأكارمِ
إذا عدَّتِ الأيامُ أخزيتَ دارماً ... ويخزيكَ يا ابنَ القينَ مسعاةُ دارمِ
ألم تعطِ عصباً ذا الرّقيبةِ حكمَهُ ... ومنيةَ قيسٍ في نصيبِ الزّهادمِ
وأنتمْ فررتُم عنْ ضرارٍ وعثجَلٍ ... وأسلمَ مسعودٌ غداةَ الحناتمِ
وفي أيّ يومٍ واضحٍ لم تقرّنوا ... أسارَى كتقرينِ البكارِ المقاحمِ
ويومَ الصّفا كنتمْ عبيداً لعامرٍ ... وبالحزنِ أصبحتُمْ عبيدَ اللّهازمِ
وليلةَ وادِي رحرحانَ رفعتُمُ ... فراراً ولم تلوُوا زفيفَ النّعائمِ
تركتُمْ أبا القعقاعِ في الغلّ معبداً ... وأيُّ أخٍ لمْ تسلِمُوا للأداهمِ
جلبتُم إلى عوفٍ مزاداً فقادهُ ... برمَّةِ مخذولٍ على الدَّينِ غارمِ
إذا نزلُوا يوماً سمعتُمْ ملامةً ... بجمعٍ منَ الأعياصِ أو آلِ هاشمِ

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/٩٥

أحاديثُ رُكبانِ المحجّةِ كلّما ... تأوّهنَ خوصاً داميات المناسمِ

وجارتْ عليكمْ في الحكومةِ منقرٌ ... كما جارَ عرفٌ في قتيلِ الضّماضمِ

فأخزاكمُ عوفٌ كما قدْ خزيتُمُ ... وأدركَ عمّارٌ ترات البراجمِ

لقدْ ذقتُ منّي طعمَ حربٍ مريرةٍ ... وما أنتَ إنْ جاريتَ قيساً بسالمِ

قفيرةٌ من قنّ لسلمى بن جندلٍ ... أبوكَ ابنُها بينَ الإماء الخوادمِ

وقال جرير يهجُو الرّاعي النُّميري:

أقلّي اللّومَ عاذلَ والعتابا ... وقولِي إنْ أصبْتُ لقدْ أصابا

أجدَّكَ لا تذكّرُ أهلَ نجدٍ ... وحيّاً طالَ وما انتظرُوا الإيابا

بلى فارفضَّ دمعكَ غيرَ نزرٍ ... كما عينتَ بالسّرَبِ الطّبابا

أيجمعُ قلبُهُ طرباً إليكُمْ ... وهجراً بيتَ أهلِك واجتِنابا

سألناها الشّفاءَ فما شفتْنا ... ومنَّتنا التّودّدَ والخلابا

وقلتُ بحاجةٍ وطلبتُ أخرَى ... وهاجَ عليَّ بينهمُ اكتئابا

أسيلَةُ معقدِ القرْطينِ منها ... وريّاً حيثُ تعتقدُ الحقابا

ولا يمشي اللّئيمُ لها بسبٍّ ... ولا تهدِي لجارَتِها السّبابا

ووجدٍ قدْ طويتُ يكادُ منهُ ... ضميرُ القلبِ يلتهبُ التْهابا

متى أذكَرْ لخورِ بني عقالٍ ... تبيَّنَ في وجوههمُ اكتئابا

إذا لاقى بنُور وقبانَ غمّاً ... شددتُ على أنوفِهِم العصابا

أبى لي ما مضى لي في تميمٍ ... وفي حتَّى خزيمةَ أنْ أعابا

سيعلمُ منْ يكونُ أبوهُ قيناً ... ومنْ عرفتْ قصائدهُ اجتلابا

أثعلبةَ الفوارِسِ أو رياحاً ... عدلتَ بهمْ طهيَّةَ والخشابا

رأيتَ سوادَهُ فدنونَ منهُ ... فيرميهنَّ أخطأَ أو أصابا

فلا وأبيكَ ما لا قيتَ حيّاً ... كيربوعٍ إذا رفعُوا العقابا

وما وجدَ الملوكُ أعزَّ منّا ... وأسرَعَ من فوارِسِيَ استلابا

إذا حربٌ تلقَّحُ عنْ حيالٍ ... ودرَّتْ بعدَ مريتِها اعتصابا

ونحنُ الحاكمونَ على قلاخٍ ... كفينا ا الجريرةِ والمصابا

حمينا يومَ نجبٍ حمانا ... وأحرزْنا الصّنائعَ والنّهابا

لنا تحتَ الحمائلِ سابغاتٌ ... كنسجِ الرّيحِ تطّردُ الحبابا." (١)

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/١٦٢

"وإذا عدلتَ بهِ رجالاً لمْ تجدْ ... فيضَ الفراتِ كراشِح الأوشالِ
وإذا تبوعَ للحمالَةِ لمْ يكنْ ... عنها بمنبهرٍ ولا سعالِ
وإذا أتى بابَ الأميرِ لحاجةٍ ... سمتِ العيونُ إلى أغرَّ طوالِ
ضخمٌ سرادقُهُ يعارضُ سيبهُ ... نفحاتِ كلِّ صباً وكلِّ شمالِ
وإذا الملوكُ تؤوكلتْ أعناقها ... فالحملْ هناكَ على فتًى حمالِ
ليستْ عطيتهُ إذا ما جئتهُ ... نزراً وليسَ سجالهُ كسجالِ
فهو الجوادُ لمنْ تعرضَ سيبهُ ... وابنُ الجوادِ وحامِلُ الأثقالِ
ومسومٍ خرقُ الحتوفِ يقودهُ ... للطعنِ يومَ كريهةٍ وقتالِ
أقصدتَ رائدها بعاملِ صعدةٍ ... ونزلتَ عندَ تواكلِ الأبطالِ
والخيلُ عابسةٌ كأنَّ فروجها ... نحورها ينضحنَ بالجريالِ
والقومُ تختلفُ الأسنةُ بينهمْ ... يكبونَ بينَ سوافِلٍ وعوالِي
ولقد تزيلُ الخيلَ عن أهوائِها ... وتفلَّ حدَّ رجالِها برجالِ
وموقعٍ أثَرَ السفارِ بخطمهِ ... من سودِ عقةَ أو بَنِي الجوالِ
تمرِي الجلاجلُ منكباهُ كأنهُ ... قرقورُ أعجمَ من تجارِ أوالِ
بكرتْ عليَّ بهِ التجارُ وفوقَهُ ... أرواحُ طيبةِ الرياحِ حلالِ
فوضعتُ غيرَ غبيطهِ أثقالَهُ ... بسباءِ لا حصِرٍ ولا وغالِ
ولقد شربتُ الخمرَ في حانوتِها ... وشبربتُها بأريضةٍ محلالِ
ولقدْ رهنتُ يدِي المنية معلماً ... وحملتُ عندَ تواكلِ الحمالِ
ولأجعلنَّ بني كليبٍ شهرةً ... بعوارمٍ ذهبتْ معَ القفالِ
كلُّ المكارمِ قدْ بلغتْ وأنتمُ ... زمعُ الكلابِ معانقو الأطفالِ
وكأنما نسيتْ كليبٌ عيرها ... بينَ الصريحِ وبينَ ذي العقالِ
يمشونَ حولَ مخدمٍ قدْ سحجتْ ... متنيهِ عدلُ حناتمٍ وسخالِ
وإذا أتيتَ بني كليبٍ لمْ تجدْ ... عدداً يهابُ ولا كثيرَ نوالِ
العادلينَ بدارمٍ يربوعهمْ ... جدعاً جريرُ لألأمِ الأعدالِ
وإذا أردْتَ جريُ فاحبِسْ صاغِراً ... إنَّ البُكورَ لحاجبٍ وعقالِ
وقال الأخطل يمدح مصقلة بن هبيرة الشيباني: البسيط
هل تعرفُ اليومَ من ماويةَ الطللا ... تحملتْ إنسهُ منهُ وما احتملا
ببطنِ خنيفَ منْ أمِّ الوليدِ وقدْ ... تامتْ فؤادكَ أو كانتْ له خبلا
جرتْ عليهِ رياحُ الصيفِ حاصبها ... حتى تغير بعدَ الأنسِ أو خملا

فما به غيرُ موشيٍّ أكارعهُ ... إذا أحسَّ بشخصٍ نابئٍ مثلا

يرعى بخينفَ أحياناً وتضمرهُ ... أرضٌ خلاءٌ وماءٌ سائلٌ غللا

شهريْ جمادى فلما كانَ في رجبٍ ... أتمتِ الأرضُ مما حملتْ حبلا

كأنَّ عطارَةً باتتْ تطيفُ بهِ ... حتى تسربلَ مثلَ الورسِ وانتعلا

من خضبِ نورِ خزامَى قدْ أطاعَ لهُ ... أصابَ بالفقرِ من وسميهِ خضلا

فهو يقرُّ بها عيناً لمرتعهِ ... والقلبُ مستشعرٌ من خيفةٍ وجلا

حتى إذا الليلُ كفَّ الطرفَ ألبسهُ ... غيثٌ إذا ما مرتهُ ريحهُ سحلا

داني الربابِ إذا ارتجتْ حوامِلُهُ ... بالماءِ سدَّ فروجَ الأرضِ واحتفلا

فباتَ مكتئباً للبرقِ يرقبهُ ... كليلةِ الوصبِ ما أغفى وما غفلا

فباتَ في حقفِ أرطاةٍ يلوذُ بها ... إذا أحسَّ بسيلٍ تحتهُ انتقلا

كأنه ساجدٌ من نضحِ ديمتهِ ... مسبحٌ قامَ بعضَ الليلِ فابتهلا

ينفي الترابَ بروقيهِ وكلكلهِ ... كما استمازَ رئيسُ المقنبِ النفلا

كأنما القطرُ مرجانٌ يساقطهُ ... إذا علا الروقَ والمتنين والكفلا

حتى إذا الشمسُ وافتهُ بمطلِعها ... صبحهُ ضامرٌ غرثانُ قدْ نحلا

طاوٍ أزلُّ كسرحانِ الفلاةِ إذا ... لم يؤنس الوحشُ منهُ نبأةً ختلا

يشلِي سلوقيةً غضفاً إذا اندفعتْ ... خافتْ جديلةَ في الأثارِ أو ثعلا

مكلبينَ إذا اصطادوا كأنهم ... يسقونهمْ بدماءِ الأبدِ العسلا

فانصاعَ كالكوكبِ الدريّ جردَهُ ... غيثٌ تقشَّعَ عنهُ طالَ ما هطلا

حتى إذا قلتْ نالتهُ سوابقُها ... كرَّ عليها وقدْ أمهلتهُ مهلا." (١)

""""""""" صفحة رقم ٦٥ """""""

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا . . . علينا ، فقد أمسى هوانا يمانيا . نسائلكم : هل سال نعمان بعدنا . . . فحب إلينا بطن نعمان واديا . قال : فسألت عنه فقيل : هذا رجل من أهل البصرة ، كانت له ابنة عم ، وكان يحبها فتزوجها رجل من أهل الطائف فنقلها ، فتوله عليها . إبراهيم بن المهدي والشعر كتب إلي أبو غالب بن بشران من واسط قال : أخبرنا ابن دينار قال : أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني قال : حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال : حدثني الحسين بن إسحاق قال : حدثني خالد قال : لما بويع لإبراهيم بن المهدي بالخلافة طلبني ، وقد كان يعرفني وقد كنت متصلا ببعض أسبابه ، فأدخلت إليه فقال : أنشدني يا خالد شيئا من شعرك فقلت : يا أمير المؤمنين ليس من الشعر الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إن من الشعر لحكما ، وإنما أمزح وأهزل . قال : لا تقل هذا هات أنشدني ، فأنشدته

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب، ص/٢٥٨

: عش فحبيك سريعا قاتلي . . . والضنى إن لم تصلني واصلي . ظفر الشوق بقلب دنف . . . فيك والسقم بجسم ناحل . فهما بين اكتئاب وضنى . . . تركاني كالقضيب الذابل .." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٤٩ """"""""

وفي هذه القصيدة يقول أبو دهبل : ثم فارقتها على خير ما كا . . . ن قرين مقارنا لقرين . وبكت خشية التفرق والبي . . . ن بكاء الحزين نحو الحزين . فاسألي عن تذكري واكتئابي . . . جل أهلي إذا هم عذلوني . وقد روي هذا الشعر لعبد الرحمن بن حسان ، وليس بصحيح . قال : فلما جاء الأجل أراد الخروج إليها ففاجأه موتها ، فأقام .

باب ثان مفرد في خلوات العشاق

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال بمصر قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن أبي عدي السمرقندي قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي وغلامه أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال بمصر قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن عدي السمرقندي قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن أليسع قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الخياط قال : قال أبو حمزة الصوفي : رأيت مع أحمد بن علي الصوفي ببيت المقدس غلاما جميلا ، فقلتك مذ كم صحبك هذا الغلام ؟ فقال : منذ سنين ، فقلت : لو صرتما إلى بعض المنازل فكنتما فيه بحيث لا يراكما الناس كان أجمل بكما من الجلوس في المساجد والحديث فيها . فقال : أخاف احتيال الشيطان علي فيه في وقت خلوتي به ، وإني لأكره أن يراني الله معه على معصية فيفرق بيني وبينه يوم يظفر المحبون بأحبابهم .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٢٢٩ """"""""

قال : فدنوت منها لأسألها عن أمرها فإذا هي ميتة . إسحاق وزهر الأعرابية وبإسناده قال : حدثنا القالي قال : حدثني جحظلة قال : حدثني حماد بن إسحاق الموصلي قال : حدثني أبي قال : كتبت إلي زهر الأعرابية ، وقد غابت عني ، كتابا فيه : وجدي يجل ، على أني أجمجمه ، . . . وجد السقيم ببرء بعد إزفاف . أو وجد ثكلى أصاب الموت واحدها ، . . . أو وجد منشعب من بين ألاف . قال حماد : قال لي أبي ، فكتبت إليها : اقرأ السلام على زهر إذا شحطت ، . . . وقل لها : قد أذقت القلب ما خافا . أما أويت لمن قد بات مكتئبا ، . . . يذري مدامعه سحا وتوكافا . فما وجدت على إلف أفارقه ، . . . وجدي عليك ، وقد فارقت آلافا .." (٣)

"""""""""" صفحة رقم ١٤ """"""""

لا تحنثن ، أمير المؤمنين ، وفي . . . بعهدك اليوم في رفق وإحسان وما ركبت حراما حين أعجبني ، . . . فكيف سميت باسم الخائن الزاني وسوف تأتيك شمس لا خفاء بها . . . أبهى البرية من إنس ومن جان حوراء يقصر عنها الوصف إن

---

(١) مصارع العشاق، ٦٥/١

(٢) مصارع العشاق، ١٤٩/١

(٣) مصارع العشاق، ٢٢٩/١

وصفت ، . . . أقول ذلك في سر وإعلان فلما ورد على معاوية الكتاب قال : إن كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة ، فهي أكمل البرية ، فاستنطقها ، فإذا هي أحسن الناس كلاما ، وأكملهم شكلا ودلا ، فقال : يا أعرابي هل من سلو عنها بأفضل الرغبة ؟ قال : نعم ، إذا فرقت بين رأسي وجسدي ، ثم أنشأ يقول : لا تجعلني ، والأمثال تضرب بي ، . . . كالمستغيث من الرمضاء بالنار أردد سعاد على حران **مكتئب** . . . يمسي ويصبح في هم وتذكار قد شفه قلق ما مثله قلق ، . . . وأشعر القلب منه أي إشعار والله والله لا أنسى محبتها . . . حتى أغيب في رمس وأحجار كيف السلو وقد هام الفؤاد بها . . . وأصبح القلب عنها غير صبار." (١)

"في هذا الجو المشحون بالجنون الفكري والفن، أصبح لشخصية (البطل) في الآداب الأوروبية الجديدة سمات وملامح تعبر بقوة عن هذه التيارات الصاخبة، التي كانت ومازالت غير قادرة على الرسوخ والصمود، وبدا البطل بصفة عامة .كإنسان العصر . غريباً، هذه الغربة المحزنة وصمت البطل، وجعلته ساخطاً رافضاً متمرداً، لا يعرف المأنينة والاستقرار، ولا ينعم بالسعادة ولا ينعم أو الحب الحقيقي، إنه يعاني الأوراق **والاكتئاب**، والوحدة والعجز، عن خواءه الروحي، وإمكاناته المحدودة، وخضوعه لسيطرة الآلة، ودورانه في ساقية المطالب المعيشية الآنية، قد أفرغت كيانه من مقومات القوة وافرادة القادرة على صنع التغيير، وإن فقره العقائدي قد جرده من أهم أسلحة معركة الحياة.. ذلك هو البطل المعاصر في الآداب الأوروبية، بل وفي آداب الشرق التي تقلد وتعيش عالة على التراث العلمي والتكنولوجي والفكري للغرب

بطل يائس، يتغنى بيأسه، ويقدم التراتيل والصلوات المرذولة بطل متمرد رافض، قد تنكر لكل شيء، فمات بين جوانحه الأمل بطل منطوٍ منعزل، تقطعت روابطه بدفء الأخوة والصداقة، فأصبح في التيه وحدة.

بطل هارب إلى الحانات والمراقص والموسيقى المجنونة، يغرق تعاسة في الخمر والمخدات والشذوذ، يمضي مختاراٍ إلى حيث الفناء.

بطل غارق حتى أذنيه في الوهم، يخدعه الساسة، وتخدره الفنون، ويصنعة الإعلام دمية تتحرك حسب الأوهام والأهواء بطل بلا فضيلة.

ولو كان هذا الإنسان مدركاً حقاً لمأساته، راغباً في التخلص منها، لهان الأمر، لكن تراكم الترهات والخداع، واستغلال (العلم) فيما يُقدم من تحليلات وتفسيرات، قد زاد الطين بلة، وأكد أن الكارثة باقية، فالبطل لا يعرف أنه مريض ويحتاج إلى علاج، وهكذا تمضي الفنون بالإنسان التعس من متاهة إلى أخرى.

---

(١) مصارع العشاق، ١٤/٢

والآن، بعد أن استعرضنا صورة البطل في الآداب المعاصرة، فما هو التصور بالنسبة للبطل في الأدب الإسلامي؟؟." (١)

"من عظمت همته وقصرت موجدته:

قيل: ذو الهمة وإن حط نفسه تأبى إلا العلو، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا. وقيل: أسوأ الناس من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعدت همته؛ أخذ ذلك المتنبي فقال:

وأتعب خلق الله من زاد همة ... ويقصر عما تشتهي النفس وجده

ابن نباتة:

أرى هم المرء اكتئابا وحسرة ... عليه إذا لم يسعد الله جده

الحث على طلب الجسام والاعتزال عن الأنام:

قال في كليلة: ينبغي لذي المروءة أن يكون إما مع الملوك مبجلا أو مع النساك متبتلا، كالفيل إما أن يكون مركبا نبيلا أو في البرية مهيبا جليلا. وقال حكيم: الناس رجلان دنياوي وأخري، فالدنياوي صاحب سلطان وذو لسان أو سنان لا يفضي على هوان، والأخري المتباعد من الناس الجاعل بينه وبينهم سدا، ولا واسطة بينهما. وقال معاوية لابنه: كن مترفعا عن الناس ومستترا عنهم.

الممدوح بعظم الهمة:

قال أعرابي: فلان يرمي بهمته حيت يشير إليه الكرم، يتحسى مرارة الأخوان ويسقيهم عذبه، له همة تناطح النجوم وكرم يشامخ الغيوم.

أبو الغمر:

وهمة نبلت عن أن يقال لها ... كأنها وتعالت عن مدى الهمم

آخر:

ولي هم بيني وبين بلوغها ... بحور من الآمال ليس لها جسر

المتنبي:

له هم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر

وله:

فتى أصاب من الدنيا نهايتها ... وهمه في ابتداءات وتشتيت

آخر:

صدر رحيب لما يأتي الزمان به ... وهمة تسع الدنيا وما تسع

من ضاق به الزمان لعظم همته:

---

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص/٤٠

المتنبي:

فتى يشتهي طول البلاد، ووقته ... تضيق به أوقاته والمقاصد

وله:

تجمعت في فؤاده همم ... ملء فؤاد الزمان إحداها

الموسوي:

ضاق الزمان فضاق فيه تقلبي ... والماء يجعل نفسه في جدول

تحمل المكاره في نيل المكارم:

قيل: المكارم موصولة بالمكاره. وقيل: من سما لمكرمة فليتحمل مكروهها.

الخبزارزي:

فقل لمرجي معالي الأمور ... بغير اجتهاد: رجوت المحالا!

أبو تمام:

ما ابيض وجه المرء في طلب العلا ... حتى وجهه في البيد

وقيل: إذا لم تتهن لم تتودع، وإذا لم تنفجع لم تتمتع. دون نيل المعالي هول العوالي. وقيل للربيع بن خيثم: أتعبت نفسك في العبادة وإصلاح أمر الناس. فقال: راحتها أريد، فإن أفره العبيد أكسبهم لمولاه. وقيل لروح بن حاتم: طال وقوفك في الشمس! فقال: ليطول وقوفي في الظل. وقد أجمع حكماء العرب والعجم أنه لم يدرك نعيم بنعيم قط، وما أدرك نعيم إلا ببؤس قبله.

شاعر:

وتحمل المكروه ليس بضائر ... ما خلته سببا إلى محمود

امرؤ القيس:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة ... كفاني، ولم أطلب قليلا من المال

المتنبي:

إذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع، بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر صغير ... كطعم الموت في أمر عظيم

وله:

على قدر أهل ... العزم تأتي العزائم

الصاحب:

وقائلة: لم عرتك الهموم ... وأمرك ممتثل في الأمم؟

فقلت: دعيني على غصتي ... بقدر الهموم تكون الهمم!

وكتب بليغ: فلان تعب في طلب المكارم غير ضال في طرقها ولا متشاغل عنها.

استطابة تحمل الشدة للوصول إلى الرفعة:

المتنبي:

تلذ له المروءة وهي تؤذي ... ومن يعشق يلذ له الغرام

أبو فراس:

تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر

أبو دلف:

وليس فراغ القلب مجدا ورفعة ... ولكن شغل القلب للهم رافع

وذو المجد محمول على كل آلة ... وكل قصير الهم في الحي وادع

ذم من همته نفسه:

لما قال الحطيئة في الزبرقان:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي." (١)

"إن تنل منفسة لا تلفنا ... ترف الخيل ولا نكبو لضر

الزبير بن الأسدي:

ولا يراني على ما ساء مكتئبا ... ولا يراني على ما سر مبتهجا

مثله:

فتى إن هو استغنى تحذق في الغنى ... وإن قل مالا لم يضع سنة الفقر.

اجتناب عرض الدنيا:

قيل: العاقل من لا يجزع من قعود الدهر به، علما بأن مراتب الأقسام توضع على قدر الافهام. وقيل: وكل الحرمان بالعقل، والرزق بالجهل، ليعلم العبد أن ليس له من أمر الرزق شيء. وقيل: أبت الدنيا أن تعطي أحدا ما يستحقه: أما محطوط عن درجته أو مرفوع فوق قدره. وقيل لأفلاطون: لم لا يجتمع العلم والمال؟ فقال: لعزة الكمال. وقال:

ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وقيل: من أعطاه الله عقلا احتسب عليه من الرزق. وقيل: لو جعل الله المال للعقلاء مات الجهال، فلما جعله في أيدي الجهال استقلهم العقلاء، واستنزلوهم عنه بلطفهم. وقد تقدم في باب العقل شيء من هذا.

علة ميل الدنيا إلى الأنذال:

سعيد بن المسيب رضي الله عنه: الدنيا نذلة تميل إلى الأنذال. وقال الحكيم: إذا أردت أن تزهد في الدنيا فانظر عند من هي. وقال النظام: مما يدل على لؤم الذهب والفضة كثرة كونهما عند اللئام، فالشيء يصير إلى شكله: ومن هنا أخذ المتنبي قوله:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٠١/١

وشبه الشيء منجذب إليه ... وأشبهنا بدنياها الطغام

حسان:

المال يغشى رجالا لا طباع لهم ... كالسيل يغشى أصول الدندن البالي

أبو تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

ابن الرومي:

ورأيت الدهر يرفع كل وغد ... ويخفض كل ذي رتب شريفه

كمثل البحر يرسب فيه حي ... ولا ينفك تطفو فيه جيفه

وكالميزان يخفض كل واف ... ويرفع كل ذي زنة خفيفه

معاتبة الدهر لتقديم جاهل وتأخير فاضل:

جحظة البرمكي:

غلط الدهر بما أعطاكم ... وفعال الدهر جهل وغلط

الموسوي:

ومما يحلل ذم الزما ... ن أقصاؤه الأفضلين الخيارا

أبو حاتم:

أظن الدهر قد آلى فبرا ... بأن لا يكسب الأموال حرا

لقد قعد الزمان بكل حر ... ونقص من قواه ما استمرا

أبو تمام:

لقد ساسنا هذا الزمان سياسة ... سدى لم يسسها قط عبد مجدع

حلت نطفت منها لنكس وذو الحجى ... يداف له سم من العيش منقع

فإن نك أهملنا فأضعف بسعينا ... وإن نك أجبرنا ففيم نتمتع؟

وما أحسن ما قال: ليس المقل على الزمان براض ومن السخف قول التمار:

أرى فقحة الدنيا على معشر تخرى ... فإن أقبلت نحوي رأيت بها خضرا

ومن الجيد في هذا قول عابدة المهلبية ويروى للمهلبي:

ألست ترى استراق الدهر حظي ... وكيف يفيت في أدب الخمول

أأبغي العون منه وهو خصمي؟ ... كما استبكت ضرائرها الثكول

وقال رجل لمنجم: انظر في نجمي هل ترى لي غنى؟ فقال: دع عنك هذا فإن الدهر مشغول بالسفل، فلا يتفرغ إلى أحد.

وقيل: الدهر لا يعطي أحدا ما يستحقه إما أن يزيده أو ينقصه.

معاتبة القدر في ذلك:

قال أبو العيناء لرجل سأله: ما بال الركيك الأحمق يرزق والأديب يحرم؟ فقال: لأن هذه الدنيا دار اختبار، وأحب الرازق أن يعلمهم أن الأمور ليست لهم، فإن غلات السواد تباع بكف أنموذج فهلا اكتفى في ذلك بنقرة؟ جحظة:

يا رب إن الشكوك قد علقت ... أوكارنا، والشكوك تعترض

وغد له نعمة مؤثلة ... وسيد لا يزال يعترض

فنحن من قبح ما نشاهده ... من معشر في قلوبهم مرض

عبدان:

لقوله نحن قسمنا بينهم زال المرا

ولو تولى غيره قسمة أرزاق الورى

جرت حظوظ بيننا ... لكننا تحت العرا

وقيل: إذا رأيت الجاهل مرزوقا والعاقل منحوسا، فاعلم أن بين السماء والأرض اكرادا يقطعون الطرق. وقيل لمدني شكا الفقر: أحمد الله فإنه رزقك الإسلام والعافية. فقال: أجل لكن جعل بينهما جوعا تتقلقل منه الأحشاء.

شاعر:." (١)

"كأن فؤاده كرة تنزى ... حذار البين لو نفع الحذار

آخر:

كأن فؤادي في يد عبثت به ... محاذرة أن يقضب الحبل قاضبه

ديك الجن:

كأن قلبي إذا تذكرها ... فريسة بين ساعدي أسد

ضيق القلب:

أبو الشيص:

كأن بلاد الله في ضيق خاتم ... علي فما تزداد طولا ولا عرضا

العباس:

كأن جميع الناس عند صدودكم ... تصور في عيني سود العقارب

أخذ الكبد باليد من خشية التقطع:

بعضهم:

واذكر أيام الحمى ثم أنثني ... على كبدي من خشية أن تقطعا

عبد الصمد بن المعدل:

مكتئب ذو كبد حرى ... تبكي عليه مقلة عبرى

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٢٣٤

يرفع يمناه إلى ربه ... يدعو وفوق الكبد اليسرى

تصدع الكبد:

الأعشى:

وبانت وفي الصدر صدع لها ... كصدع الزجاجة لا يلتئم

الخضري:

وإنك لو نظرت فدتك نفسي ... إلى كبدي وجدت بها صدوعا

افتقاد القلب:

الخبزارزي:

فلو كان لي قلبين عشت بواحد ... وأفردت قلبا في هواك يعذب

ولي ألف وجه قد عرفت مكانه ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهب؟

خالد الكاتب:

كان لي قلب أعيش به ... فاصطلى بالحب فاحترقا

البهوت لفرط الوجد:

بعضهم:

يوم ارتحلت برحلي قبل برذعتي ... والعقل متله والقلب مشغول

ثم انصرفت إلى نضوي لبعثه ... أثر الحدوج الغوادي وهو معقول

الماني:

تحسبه مستمعا منصتا ... وقلبه في أمة أخرى

ذو الرمة:

عشية مالي حيلة غير أنني ... بلقط الحصى والجر في الأرض مولع

كثرة سقم العاشق:

كشاجم:

دموعي فيك أنواء غزار ... وقلبي ما يقر له قرار

وكل فتى عليه ثوب سقم ... فذاك الثوب مني مستعار

المستدل بالجمادات والبهائم على الوجد:

قال كثير:

سلي البانة الغناء بالأجرع الذي ... به البان هل حييت أطلال دارك

وهل قمت في أفيائهن عشية ... قيام أخي البأساء واخترت ذلك؟

جميل:

يقولون: ما أبلاك والمال غامر ... عليك وضاحي الجلد منك كنين؟

فقلت لهم: لا تعذلوني وانظروا ... إلى النازع المقصور كيف يكون

ونقل ذلك أبو تمام فقال:

إن شئت أن لا ترى صبرا لمصطبر ... فانظر إلى أي حال أصبح الطلل

المتحمل من الوجد ما تعجز عنه الجبال:

الحارثي:

لاقيت من حبها ما لو على جبل ... يلقى لطارت شقافا منه أفلاق

عمرو بن براق:

ولو أن ما بي بالحصى فلق الحصى ... وبالريح لم يسمع لهن هبوب

شجو العاشق:

يقال للعاشق: هو أسخن عينا ممن بات بين قبرين، وأسوأ حالة ممن طوى يومين وليلتين. ذكر أعرابي عاشقا فقال:

يثني طرف عين قد قرحت مآقيها ... ويحنو على كبد قد أعيت مداويها

شكوى أحد المتحابين مقاساة شدة من صاحبه:

كان بعض القسس يمر، فسمع كلاما خفيا من زقاق، فإذا جارية تشكو إلى صديق لها ما لقيت فيه فقالت: أوعدوني وضربوني ومزقوا ثيابي وفعلوا وصنعوا، وهو ساكت لا يتكلم فقال القسيس: خذوه. فأخذ وخلي عن المرأة ثم قال للرجل: إنها تقص عليك ما لاقت فيك فلم كنت ساكتا؟فقال: أصلحك الله لم ألق فيها شكوى ولم أكذب؟فأمر به فضرب خمسين درة وقال: ارجع فاشك إليها ما لاقيته فيها.

المجنون:

أعد الليالي ليلة بعد ليلة ... وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا

الخجل ممن حصل منه اليأس:

بعضهم:

وإني لا يغول النأي ودي ... ولو كنا بمنقطع التراب

المتنبي:

أحن إلى أهلي وأهوى لقاءهم ... وأين من المشتاق عنقاء مغرب

اظهار التشوق في البعد والقرب:

كتب عبد الله بن عباس إلى أحمد بن يوسف: جعلت فداك لا أدري كيف أصنع؟أغيب فأشتاق ثم نلتقي فلاأشتفي، يجدد لي اللقاء الذي يدفع به الشقاء حرقة مثل لوعة الفرقة. سأل المهدي عن أنسب بيت فقيل له:." (١)

---

(١) محاضرات الأدباء، ٣٦٣/١

"من أمثالهم: الدنيا طرفة عين لا تثبت على حالة. دخل أعرابي عمر مائة وعشرين سنة على معاوية فقال له: صف لي الدنيا؛فقال: سنيات بلاء، وسنيات رخاء، يولد مولود ويهلك هالك، ولولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الأرض.

شاعر:

هل الدهر إلا ضيقة وانكشافها ... وشيكا وإلا ترحة وانفراجها

وقال:

وحادثات أعاجيب خسا وذكا ... ما الدهر في فعله إلا أبو العجب

وقال:

الدهر من شأنه أن لا يدوم له ... ما يحتويه الفتى منه وما يمق

وقال:

وما حالة إلا ستطرف حالها ... إلى حالة أخرى وسوف تزول

آخر:

ومن عادة الأيام أن صروفها ... إذا ساء منها جانب سر جانب

وقال:

إنما الدنيا هبات ... وعوار مسترده

شدة بعد رخاء ... ورخاء بعد شده

الدنيا لا يدوم فيها فرح ولا ترح:

شاعر:

وما اكتأبت نفس فدام **اكتئابها** ... ولا ابتهجت نفس فدام ابتهاجها

آخر:

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي ... بما كان فيها من بلاء ومن خفض

فهونك لا تحفل اساءة عارض ... ولا فرحة تأتي فكلتاهما تمضي

ويرور عن أبي الفتح بن العميد لما قبض عليه قال: الفلك أحد والدوار أجد من أن يبقى أحدا على أحد.

اعتبار الباقي بالماضي:

قال الحجاج: والله إن الذي بقي من عمري لأشبه بما مضى من التمرة بالتمرة، ومن الماء بالماء.

الدهر آخره شبه بأوله ... يوم بيوم وأيام بأيام

حارثة بن بدر:

وما الدهر إلا مثل أمس الذي مضى ... ومثل الغد الجائي وكل سيذهب

وقال أعرابي: جعلنا الله ممن يعتبر بمن يعبر الدنيا أي يعتبر بمن يقطعها.

وصف الدنيا بأنها غرارة:

قال أمير المؤمنين: الدنيا تغر وتضر وتمر. وقيل: الدنيا غرور حائل وزخرف زائل، وظل آفل ومسند مائل. وقال يحيى: الدنيا جارية زانية وتتهم بمن يقرب منها.

يغر الفتى مر الليالي سليمة ... وهن به عما قليل عواثر

آخر:

وما زالت الأيام تستدرج الفتى ... وتملي له من حيث يدري ولا يدري

آخر:

لقد غرت الدنيا رجالا فأصبحوا ... بمنزلة ما بعدها متحول

آخر:

يعللنا هذا الزمان من الوعد ... ويخدع عما في يديه من النقد

آخر:

فذي الدار أخدع من مومس ... وأخون من كفة الحابل

وهذا مثل ما قيل: الدنيا قحبة يوما عند عطار ويوما عند بيطار.

النهي عن الإغترار بأوقاتها:

قيل: لا تغتر بصفاء الأوقات فتحتها غوامض الآفات. وقيل: لا يغرنك الأملء فالأملاء من الاستدراج. والله تعالى يقول " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين " . وقيل: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها وفي جوفها السم الناقع، يهوي إليها الصبي الجاهل ويحذرها الحازم العاقل.

شاعر:

إن دنياك حية تنفث السم ... وإن كانت المجسة لانت

وقال أبو عمرو بن العلاء: كنت أدور في ضيعتي في شدة الحر فسمعت هاتفا يقول:

وإن امرءا دنياه أكبر همه ... لمستمسك منها بحبل غرور

فنقشت ذلك على خاتمي. وقال الشاعر:

يا واثقا بزمانه ... أخطر تصرفه ببالك

ووجد بخط نصر بن أحمد:

ولا تخدعنك صروف الزمان ... فإن الزمان كثير الخدع

تصور الدنيا يزيد الغموم:

قال الشاعر:

ومن عرف الأيام لم ير خفضها ... نعيما ولم يعدد تصرفها بلوى

الدنيا واعظة:

قال أمير المؤمنين: أيها الذام الدنيا، بم غرتك؟بمصارع آبائك تحت الثرى أم بمضاجع أمهاتك في البلى؟كم مرضت بيديك وغسلت بكفيك فلم يغن عنك؟وقيل: ما ضمنت الدنيا لأحد المتاع بها بل نادت فصرخت أنها ميراث الدول وصبابة الأزمنة وأوعية الفجائع ومفرقة الآلات.

عبد الله بن عيينة:

إن الليالي والأيام لو بحثت ... عن عيب نفسها لم تكتم الخبرا

أبو تمام:

عمري لقد نصح الزمان وإنه ... لمن العجائب ناصح لا يشفق

أبو العتاهية:

نحن في دار تخبرنا ... ببلاء ناطق لسن." (١)

" – عجبتُ لجازعٍ باكٍ مصابٍ ... ذي **اكتئابِ**

– يَشُقُّ الجيبَ يدعو الويلَ جَهْلاً ... كأن الموتَ بالشيءِ العُجابِ

– وساوى اللّهُ فيه الخلقَ حتى ... بنيَّ اللّهِ منه لم يُجابِ

– له مَلْكٌ ينادي كُلَّ يومٍ ... لدوا للموتِ وابنُوا للخرابِ

علي بن أبي طالب ." (٢)

" – إن الغنيَّ هو الراضي بعيشتِهِ ... لا مَنْ يظلُّ على الأقدارِ **مكتئبا**

الهمذاني ." (٣)

" – وارضَ من العيشِ في الدنيا بأيسرِهِ ... ولا ترومنَّ إن رُمْتَهُ صَعُبا

– إن الغنيَّ هو الراضي بعيشتهِ ... لا مَنْ يظلُّ على ما فاتَ **مكتئبا**

محمد البغدادي ." (٤)

" ٣٧٥٩ – ما وراءك يا عصام ؟

قال المفضل : أول من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة وذلك أنه لما بلغه جمال ابنة عوف بن محلم الشيباني وكمالها وقوة عقلها دعا امرأة من كندة يقال لها عصام ذات عقل ولسان وأدب وبيان وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف فمضت حتى انتهت إلى أمها وهي أمامة بنة الحارث فأعلمتها ما قدمت له فأرسلت أمامة إلى ابنتها وقالت : أي بنية هذه خالتك أتتك لتنظر إليك فلا تستري عنها شيئا إن أرادت النظر من وجه أو خلق وناطقيها إن استنطقتك

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٤٨٥

(٢) مجمع الحكم والأمثال، ص/

(٣) مجمع الحكم والأمثال، ص/

(٤) مجمع الحكم والأمثال، ص/

فدخلت إليها فنظرت إلى ما لم ترقط مثله فخرجت من عندها وهي تقول : ترك الخداع من كشف القناع فأرسلتها مثلا ثم انطلقت إلى الحارث فلما رآها مقبلة قال لها : ما وراءك ياعصام ؟ قالت : صرح المخض عن الزبد رأيت جبهة كالمرآة المصقولة يزينها شعر حالك كأذناب الخيل إن أرسلته خلته السلاسل وإن مشطته قلت عناقيد جلاها الوابل . وحاجبين كأنما خطا بقلم أو سودا بحمم تقوسا على مثل عين ظبية عبهرة بينهما أنف كحد السيف الصنيع حفت به وجنتان كالأرجوان في بياض كالجمان شق فيه فم كالخاتم لذيذ المبتسم فيه ثنايا غر ذات أشر تقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان بعقل وافر وجواب حاضر تلتقي فيه شفتان حمراوان

تحلبان ريقا كالشهد إذا دلك في رقبة بيضاء كالفضة ركبت في صدر كصدر تمثال دمية وعضدان مدمجان يتصل بها ذراعان ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يجس ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما لين عصبهما تعقد إن شيءت منهما الأنامل نتأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها تحت ذلك بطن طوى طي القباطي المدمجة كسر عكنا كالقراطيس المدرجة تحيط بتلك العكن سرة كالمدهن المجلو خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ينتهي إلى حضر لولا رحمة الله لا نبتر لها كفل يقعدها [ص ٢٦٣] إذا نهضت وينهضها إذا قعدت كأنه دعص الرمل لبده سقوط الطل يحمله فخذان لفا كأنما قلبا على نضد جمان تحتهما ساقان خدلتان كالبرديتين وشيتا بشعر أسود كأنه حلق الزرد يحمل ذلك قدمان كحذو اللسان فتبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها فزوجها إياه وبعث بصداقها فجهزت فلما أراد أن يحملوها إلى زوجها قالت لها أمها : أي بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغني أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال . أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا يا بنية احملي عنى عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا :

الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة والتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا طيب ريح والكحل أحسن الحسن والماء أطيب الطيب المفقود والتعهد لوقت طعامه والهدو عنه عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة والاحتفاظ ببيته وماله والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير ولا تفشي له سرا ولا تعصي له أمرا فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحا والاكتئاب عنده إن كان فرحا فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير وكوني أشد ما تكونين له إعظاما يكن أشد ما يكون لك إكراما وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت والله يخير لك فحملت فسلمت إليه فعظم موقعها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن

وروى أبو عبيد " ما وراءك " على التذكير وقال : يقال : إن المتكلم به النابغة الذبياني قاله لعصام بن شهبر حاجب النعمان وكان مريضا وقد أرجف بموته فسأله النابغة عن حال النعمان فقال : ما وراءك يا عصام ؟ [ص ٢٦٤]

ومعناه ما خلفك من أمر العليل أو ما أمامك من حاله ووراء : من الأضداد

قلت : يجوز أن يكون أصل المثل ما ذكرت ثم اتفق الاسمان فخوطب كل بما استحق من التذكير والتأنيث ." (١)

" مكتئبا حزينا فقلت قد نزلت من هذا الرجل منزلا ما أراني إلا سقطت من نفسه فرجعت إلى منزلي فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع وما هذا إلا الذي يقلبني به عمر رضي الله عنه فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال لي أجب أمير المؤمنين فخرجت فإذا هو قائم بالباب ينتظرني فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفا فقلت يا أمير المؤمنين فإني كنت إياك فإني أستغفر الله وأتوب إليه وأنزل حيث أحببت قال لتحدثني ما الذي كرهت مما قال الرجل قلت يا أمير المؤمنين متى يسارعوا هذه المسارعة يختلفوا ومتى يختلفوا يختصموا ومتى يختصموا يقتتلوا فقال لله أبوك والله إن لا وذكر

". (٢)

"هو الذي ليس بعد الله من أحد ... سواه في الناس محمود ومشكور

مشمر في المعالي ذيل مجتهد ... وماله في سوى العلياء تشمير

ومن أخرى:

أترضى بالتخلف والتواني ... على ضرب اللجاجة والحران؟

وما أنا والأحاديث اللواتي ... تزهد في المثالث والمثاني؟

ألا طربت إلى النشوات نفسي ... وتقت إلى معتقة الدنان

كما طربت أباريق الندامى ... إلى أصوات قهقهة القناني

ويومك إذ تطوف به فتاة ... على الخدين منها وردتان

مهفهفة القوام إذا تثنت ... تثنت كالقضيب الخيزران

ولم أر قبلها شمسا تبدت ... ولا قمرا بأعلى غصن بان

لحاه الله من شيخ ضروط ... ضجيج ضراطه بالنهروان

ولكن رأسه جلد جليد ... صبور عند مختلف الطعان

ولم أر قبله رأسا سواه ... غدا وقفا على حرب عوان

ولا إذا الأيدي توالت ... عليه والتقت حلق البطان

---

(١) مجمع الأمثال، ٢/٢٦٢

(٢) ذم الكلام وأهله، ٢/٣٩

ومنها:

إلى من راحتاه ندى وجود ... علينا بالمواهب ثرتان

كريم لا يدافع عن سماح ... جواد ماله في الجود ثان

تناهت عنده الآمال لما ... غدا أقصى النهاية في الأماني

ومن أخرى:

كل يوم أنا من أي ... ري في أمر عجاب

ليس يخليني من هـ ... م وحزن واكتئاب

لم يدع لي ذهبا إلا ... رماه بالذهاب

وابتدى المشؤوم أن يع ... مل في أمر التباب

هل مجير لي منه ... أهل ودي وصحابي

أو وإلا تبت والرح ... من من لعب الكعاب

أنا مبلي من بلايا ... هـ بنصب وعذاب

أنا لولاه لألفي ... تقليل الاضطراب

وتجزيت بنزر ... من طعام وشراب

ولما طال انتزاحي ... عن بلادي واغترابي

لعنة الله عليه ... وبراغيث الكلاب

فلكم أوقفني مو ... قف خزي واكتئاب

ولكم أغلقت بابا ... من هواه دون باب

رب قد أبليتني من ... هـ بمعتوه مصاب

عينه في كل من د ... ب على وجه التراب

ثم لا يرضيه منه ... غير دبر مستطاب

ومنها:

وبإحسان تميم ... عذت من عظم مصابي

بالأمير السيد الما ... جد والقرم اللباب

والهمام المنعم المف ... ضل والبحر العباب

والذي لا فرق ما بي ... ن جداه والسحاب

تنثني منه إلى ذي ... كرم رحب الجناب

رافع دون بني الآ ... مال أستار الحجاب

لم أزره قط إلا ... بت محمود الإياب
ذكره أعذب في الأن ... فس من ذكر الشباب
ولقد رق عن الما ... ء وعن طبع الشراب
أكثم في الرأي والفض ... ل وقس في الخطاب
وقوله:
كتب الحصير إلى السرير ... أن الفصيل ابن البعير
فلمثلها طرب الأمي ... ر إلى طباهجة بقير
فلأمنعن حمارتي ... سنتين من علف الشعير
لا هم إلا أن تطي ... ر من الهزال مع الطيور
فلأخبرنك قصتي ... فلقد وقعت على الخبير
إن الذين تصافعوا ... بالقرع في زمن القشور
أسفوا علي لأنهم ... حضروا ولم أك في الحضور
لو كنت ثم لقليل: هل ... من آخذ بيد الضرير؟
ولقد دخلت على الصدي ... ق البيت في اليوم المطير
متشمرا متبخترا ... للصفع بالدلو الكبير
فأدرت حين تبادروا ... دلوي فكان عمى المدير." (١)
"ما أطربت فوق الغصون حمامة ... إلا رأيت دموع عيني تسكب
وإذا الرياح تناوحت ألفيتني ... بين الصبابة والأسى أتقلب
يا عاذلي في الحب مهلا بالأذى ... لو كنت تعشق ما ظللت تؤنب
كم حاولت نفسي السلو فطالبت ... أسبابه جهدا فعز المطلب
غسان بن سعيد
قال:
من خانه حسب فليطلب الأدبا ... ففيه منيته إن حل أو ذهبا
فاطلب لنفسك آدابا تعز بها ... كيما تسود بها من يملك الذهبا
محمد بن يحيى النحوي المعروف بقلفاط
قال:
طوى عني مودته غزال ... طوى قلبي على الأحزان طيا

---

(١) يتيمة الدهر، ١٠٧/١

إذا ما قلت يسلاه فؤادي ... تجدد حبه فازددت غيا

أحييه وأفديه بنفسي ... وذاك الوجه أهل أن يحيا

وقوله:

أيا طيفا سما وهنا إليا ... لقد جددت لوعاتي عليا

غزال لو رأى غيلان يوما ... محاسنه إذا أنساه ميا

شهيد بن المفضل عفا الله عنه

قال:

كم ذا عنان شوقك صابرا ... وأخو الصبابة لا يكون صبورا

فاخلع عذارك في هواه فربما ... كان المحب على الهوى معذورا

ما العز إلا أن تذل مع الهوى ... شحا عليه وإن ظللت أسيرا

منصور بن أبي الهول

قال:

كم إلى كم أتسلى ... ليس لي صبر، أجل لا

بأبي أنت وأمي ... أترى قتلي حلا

حاش لله بأن أس ... لو عن الحب وكلا!

وأنشدني له لبعض شعرائهم:

إسار الهوى لا إسار العدا ... هو التارك الحر مستعبدا

عبودية تؤيس الآملين ... له أن يباع وأن يفتدى

فليس له فرج يرتجيه ... من الأسر غير تمني الردى

فيا غصن بان إذا ما مشى ... ويا بدر تم إذا ما بدا

ويا عارضا كلما أطمعت ... بوارقه زاد قلبي صدى

أسرت فهلا بحكم الكتا ... ب قضيت بالمن أو بالفدى

ولكن أبيت سوى قسوة ... يفوت بها قلبك الجلمدا

غريب بن سعيد

أنشدني له:

وجد دخيل واكتئاب ... وفراق شمل واقتراب

ما بين قلبي إذ نأي ... ت وبين إخواني حجاب

فإذا خلا ولجت علي ... ه همومه من كل باب

يا عاذلي لما رأى ... دمع العيون له انسكاب
ما لي على برح النوى ... جلد فأقصر في العتاب
وله:
ألان يوم الفراق قسوته ... حتى جرى دمعه وما شعرا
فخلت ما سال من مدامعه ... درا على وجنتيه منتثرا
لم يبك شوقا لكن بكى حزنا ... لهول يوم الفراق إذ حضرا
في مشهد لو أطاق شاهده ... فيه استتارا لوجده استترا
أبى أساه وفيض أدمعه ... إلا اشتهارا في الحب فاشتهرا
وقوله:
أستودع الريح الجنوب تحية ... إليكم تؤدي من سلامي ومن شكري
وكم بلغت ريح الشمال نسيمكم ... فأهدت إلينا منكم أطيب النشر
رعى الله أحبابا تألف شملهم ... بقرطبة بين الرصافة والقصر
تعوضت من أنسى بهم وحشة النوى ... ومن قربهم قرب المهامه والفقر
إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي
وقال:
ولم أنسها يوم الوداع ومسحها ... بوادر دمع العين والعين تذرف
أفانين تجري من دموع ومن دم ... على الخد منها تستهل وترعف
وتكرارنا نجوى الهوى ذات بيننا ... وكل إلى كل يلين ويعطف
جعلنا هناك الهجر منا بجانب ... وللبين داع بالترحل يهتف
ولولا النوى لم نشك ضعفا عن الأسى ... ومن يحمل الأشجان بالبين يضعف
فقلت كلانا مشتك من صبابة ... ولكنني عن حملها منك أضعف
قال: وحدثت أن إدريس بن الهيثم غنى بأبيات أولها:." (١)
"فحائر وشهاب الرمح لاحقه ... وهارب وذباب السيف طالبه
يهوي إليه بمثل النجم طاعنه ... وينتحيه بمثل البرق ضاربه
يكسوه من دمه ثوبا ويسلبه ... ثيابه فهو كاسيه وسالبه
وهو من قول البحتري:
سلبوا وأشرقت الدماء عليهم ... محمرة فكأنهم لم يسلبوا

---

(١) يتيمة الدهر، ١/١٧٠

وقال السري من قصيدة في سيف الدولة، وذكر العدو:

تروع أحشاءه بالكتب وهولها ... خوف الردى ورجاء السلم مستلم

لا يشر الماء إلا غص من حذر ... ولا يهوم إلا راعه الحلم

وهو من قول أشجع السلمي:

فإذا تنبه رعته، وإذا غفا ... سلت عليه سيوفك الأحلام

وقال من قصيدة:

وقفنا نحمد العبرات لما ... رأينا البين مذموم السجايا

كأن خدودهن إذا استقلت ... شقيق فيه من طل بقايا

وهو من قول الناشئ الأوسط:

كأن الدموع على خدها ... بقية طل على جلنار

وقال من قصيدة في مرثية أم أبي تغلب:

تذال مصونات الدموع إزاءها ... وتمشي حفاة حولها الرجل والركب

تساوت قلوب الناس في الحزن إذ ثوت ... كأن قلوب الناس في موتها قلب

ومصراع البيت الأول من قول المتنبي:

مشى الأمراء حوليها حفاة

والبيت الثاني من قول ابن الرومي:

سلالة نور ليس يدركها اللمس ... إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس

به أضحت الأهواء بجمعها هوا ... كأن نفوس الناس في حبه نفس

ولأبي بكر الخالدي في الأخذ منه:

وبدر دجى يمشي به غصن رطب ... دنا نوره لكن تناوله صعب

إذا ما بدا أغرى به كل ناظر ... كأن قلوب الناس في حبه قلب

وقال السري من قصيدة:

أيام لي في الهوى العذري مأربة ... وليس لي في هوى العذال من أرب

سقى الغمام رباها دمع مبتسم ... وكم سقاها التصابي دمع مكتئب

وردد هذا المعنى فقال:

ولما اعتنقنا خلت أن قلوبنا ... تناجي بأفعال الهوى وهي تخفق

هي الدار لم يخل الغمام ولا الهوى ... معالمها من عبرة تترقرق

وهو من قول أبي تمام:

دمن طالما التقت أدمع المز ... ن عليها وأدمع العشاق

وفي قصيدة السري:

وطوقت قوما في الرقاب صنائعا ... كأنهم منها الحمام المطوق

وهو من قول المتنبي:

أقامت في الرقاب له أياد ... هي الأطواق والناس الحمام

وللسري من قصيدة في سيف الدولة:

تبسم برق الغيم فاختال لامعا ... وحل عقود الغيث فارفض هاملا

فقلت علي منك أعلى صنائعا ... إذا ما رجوناه وأرجى مخايلا

وإنما نسج فيه على منوال البحتري فقال:

قد قلت للغيم الركام ولج في ... إبراقه وألح في إرعاده

لا تعرضن لجعفر متشبها ... بندى يديه فلست من أنداده

وقال السري من قصيدة:

قامت تميل للعناق مقوما ... كالخوط أبدع في الثمار وأغربا

حملت ذاره الأقحوان مفضضا ... يسقي المدامة والشقيق مذهبا

وأبت وقد أخذ النقاب جمالها ... حركات غصن البان أن تتنقبا

وهو من قول أبي تمام:

أرخت خمارا على الفرعين وانتقبت ... للناظرين بقد ليس ينتقب

وقال السري في وصف شعره:

وغريبة تجري عليك رياحها ... أرجا إذا لفحت عدوك نارها

ممن له غرر الكلام تفتحت ... أبوابها وترفعت أستارها

تجري وتطلبه عصاب قصرت ... عن شأوها فقصارها إقصارها

فتعيش بعد مماته أشعاره ... وتموت قبل مماتها أشعارها

وهو من قول دعبل:

يموت رديء الشعر من قبل أهله ... وجيده يبقى وإن مات قائله

وقال من قصيدة:

صادق البشر يرى ماء الندى ... يرتقي في وجهه أو ينحدر

قلت إذ برز سبقا في العلا ... أإلى المجد طريق مختصر؟

وهو من قول البحتري:." (١)

"في كل يوم لنا في الدهر معركة ... هام الحوادث في أرجائها فلق

حظي من العيش أكل كله غصص ... مر المذاق وشرب كله شرق

وقال:

وكم من خليل قد تمنيت قربه ... فجربته حتى تمنيت بعده

وما للفتى في حادث الدهر حيلة ... إذا نحسه في الأمر قابل سعده

أرى هم المرء اكتئابا وحسرة ... عليه إذا لم يسعد الله جده

كأنه مأخوذ من قول المتنبي:

وأتعب خلق الله من زاد همه ... وقصر عما تشتهي النفس وجده

وقال من قصيدة:

ما بال طعم العيش عند معاشر ... حلو، وعند معاشر كالعلقم

من لي بعيش الأغبياء فإنه ... لا عيش إلا عيش من لم يعلم

هذا معنى متداول، ومن احسن ما قيل فيه قول ابن المعتز:

وحلاوة الدنيا لجاهلها ... ومرارة الدنيا لمن عقلا

وقال من أخرى:

يأبى مقامي في مكان واحد ... دهر بتفريق الأحبة مولع

كفكف قسيك يا فراق فإنه ... لم يبق في قلبي لسهمك موضع

كأنه من قول المتنبي:

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال

وقال:

برمت من الحياة، وأي عيش ... يكون لمن مطاعمه الخبال؟

ولو أني أعد ذنوب دهري ... لضاع القطر فيها والرمال

سقام ما يصاب له طبيب ... وأيام محاسنها عيوب

ودهر ليس يقبل من أديب ... كما لا يقبل التأديب ذيب

يحب على المصائب والرزايا ... فلا كان المحب ولا الحبيب

---

(١) يتيمة الدهر، ١/١٩٧

وقال:

متى أرجو مسالمة الهموم ... وآمل صحة الجسم السقيم؟

وكر الحادثات علي تجني ... جنايات القروف على الكلوم؟

وقال:

طلاب المعالي للمنون صديق ... وطول الأماني للنفوس عشيق

تسربل ثياب الموت أو حلل الغنى ... تعش ماجدا أو تعتلقك علوق

وما الفقر إلا للمذلة صاحب ... وما الناس إلا للغني صديق

وأصغر عيب في زمانك أنه ... به العلم جهل والعفاف فسوق

وكيف يسر الحر فيه بمطلب ... وما فيه شيء بالسرور حقيق

إذا لم تكن هذي الحياة عزيزة ... فماذا إلى طول الحياة تتوق

ألا إن خوف الموت مر كطعمه ... وخوف الفتى سيف عليه ذلوق

وإنك لو تستشعر العيش في الردى ... تحليت طعم الموت حين تذوق

وقال:

كيف السبيل إلى الغنى ... والبخل عند الناس فطنه

خذ من زمانك كل شي ... لا يجر عليك منه

ونبت بنا أرض العرا ... ق فما محناها بمحنه

غير الرحيل، كفى البلا ... د بنقلة الفضلاء هجنه

وقال رحمه الله:

وتأخذ من جوانبنا الليالي ... كما أخذ المساء من الصباح

أما في أهلها رجل لبيب ... يحس فيشتكي ألم الجراح

أرى التشمير فيه كالتواني ... وحرمان العطية كالنجاح

ومن لبس التراب كمن علاه ... فلا تخضعك أنفاس الرياح

وكيف يكد مهجته حريص ... يرى الأرزاق في ضرب القداح

وقال سامحه الله:

أراحني الله من قلب منيت به ... يهوي القعود ويهوى أشرف الرتب

أطلب لصدرك هما بالمنى كلفا ... وخل صدري فما لي فيه من أرب

والمجد يطلب بالآفات طالبه ... لم يحظ بالمجد من لم يحظ بالنكب

ما للزمان سوى أولاده درن ... إن لم يكونوا بنيه فالزمان أبي

الفخر والحماسة قال:

خليلي قد لج الزمان ولج بي ... مراد، وأحداث الزمان تعوق

وأي فتى غنيتما وسقيتما ... فتى فيه نفث السحر ليس يحيق." (١)

"ببدر التم إشراقا وحسنا ... وقد سترت محاسنه الغيوم

عهدت البدر تكنفه نجوم ... وذا بدر تطيف به رجوم

وقال:

عابوا وقالوا تسل عنه ... فقلت هذا أوان حبي

إن الذي عبتموه منه ... هو الذي يشتهيه قلبي

وكلما عبتموه عندي ... زاد جنوني به وعجبي

وقال:

أحببت بدرا ما له مشبه ... في الحسن لولا أنه جافي

أحور في مقلته حجة ... للعين والشين مع القاف

وفي ارتجاج الردف داع إلى ... نون وياء قبل ما كاف

سألته الوصل فلم يحتشم ... وقال قدم نقدك الوافي

وقال:

يا سيدي مؤملي ... قد شفني شوقي إليكا

دمعي عليك مورد ... فكأنه من وجنتيكا

وقال في غلام أعرض:

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم ... العيب يحدث في غصون البان

ماذا علي إذا استجدت شمائلا ... وروادفا تغني عن الكثبان

إني أحب جلوسه وأريده ... للنوم لا للجري في الميدان

في كل عضو منه حسن كامل ... ما ضرني أن زلت القدمان

وله:

ليس شرف المدام للمستهام ... مذهبا ما به من الأسقام

كلما دبت المدامة في الأع ... ضاء دب اشتياقه في العظام

وقال في غلام رش عليه ماء الورد:

ليت شعري عن ماء وردك هذا ... هو من وجنتيك أم شفتيكا

رق حسنا وطاب عرفا فقد د ... ل بأوصافه الظراف عليكا

---

(١) يتيمة الدهر، ٢٩٣/١

وقال:

بات سكران لا يحير جوابا ... عن كلامي وبت ألثم فاه

وأتاني إبليس يأمر بالسو ... ء فما كان ذاك لا وهواه

شيمة الظرف أن أصون حبيبي ... عن قبيح يراه أو لا يراه

أي فرق بين الحبيب إذا ني ... ك ولم يحتشم وبين سواه

وقال:

في وجه إنسانة كلفت بها ... أربعة ما اجتمعن في أحد

الخد ورد، والصدغ غالية ... والريق خمر، والثغر من برد

لكل جزء من حسنها بدع ... تودع قلبي بدائع الكمد

وقال:

يا نظير البدر في صورته ... وشبيه الغصن في قامته

والذي ينتسب الورد إلى ... روضة تضحك في وجنته

ما ترى في عاشق **مكتئب** ... دمعه وقف على مقلته

واقف بالباب يشكو ما به ... فمتى تنظر في قصته

وقال:

بأبي الأسمر الذي فزت منه ... بهلال يبين للناظرينا

قد سقانا فما شفانا مداما ... وشربنا من ريقه فروينا

وقال:

غزال فؤادي إليه صبا ... وهش ولولاه لم يهشش

أجل نظرا في نقا خده ... وفي خدي الأصفر الأنمش

تجد صحن خديه تفاحة ... وخدي من أجله مشمشي

وقال:

خذ من الدهر ما صفا لك منه ... ودع الفكر في بنات الطريق

أي شيء يكون أطيب من كأ ... س رحيق شيبت بريق عشيق

وقال:

تظن أني أسلو ... كلا ورب البنيه

الآن تيم قلبي ... باللحية السجية

الخد خمرة فضل ... على الخدود النقيه

فيه بقية حسن ... لم تبق مني بقيه

وله:

أنا والله تالف ... أيس من سلامتي

أو أرى القامة التي ... قد أقامت قيامتي

وقال:

وشادن ما رأيته غرته الغ ... راء إلا شككت في القمر

قد قلت لما رأيت صورته ... تبارك الله خالق الصور

وقال في غلام زطي زامر:

ظبي من الزط تعلقته ... فصار معشوقي ومولاي

أحسن والإحسان لم يجمعا ... في حسن إلا لبلواي

إذا نأت روحي عن جسمها ... رد لي النأي بالناي

وقال في غلام يعرف بابن برغوث من مشاهير الملاح:

بليت ولا أقول بمن لأني ... متى ما قتل من هو يعشقوه." (١)

"قال أبو الحسين: وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الأستاذ الرئيس وزنها، واستحلى رونقها، وأنشد جماعة ممن حضر ما حضرهم على ذلك الروى، وهو قول القائل:

لئن كففت وإلا ... شققت منك ثيابي

فأصغى إلينا الأستاذ أبو الفتح، ثم أنشدني في الوقت:

يا مولعا بعذابي ... أما رحمت شبابي

تركت قلبي قريحا ... نهب الأسى والتصابي

إن كنت تنكر ما بي ... من ذلتي واكتئابي

فارفع قليلا قليلا ... عن العظام ثيابي

قال: فتأمل هذه الطريقة، وانظر إلى هذا الطبع، فإنه أتى بمثل ما أنشده في رشاقته وخفته، ولم يعد الجنس، ولم يقصر دونه. وبذلك تعرف قدرة القادر على الخطابة والبلاغة.

قال: ومن شعره وهو في المكتب قوله من قصيدة في أبيه أولها:

أليل هو أم شعر ... وبرق هو أم ثغر

وحر الدر ما ضم ... نت الأحشاء أم جمر؟

ويهماء كمثل البحر ... يرتاع لها السفر

---

(١) يتيمة الدهر، ٣١٣/١

تعسفت على هول ... وتحتي بازل جسر

إلى من وجهه بدر ... ومن راحته بحر

ومن جدواه مد لل ... ورى ليس له جزر

هو الغيث هو الليث ... هو الفخر هو الذخر

لأمر مظلم يخشى ... وخطب فادح يعرو

وقوله من نيروزية فيه:

أبشر بنيروز أتاك مبشرا ... بسعادة وزيادة ودوام

واشرب فقد حل الربيع نقابه ... عن منظر متهلل بسام

وهديتي شعر عجيب نظمه ... ومديحه يبقى على الأيام

فاقبله واقبل عذر من لم يستطع ... إهداء غير نتيجة الأفهام

ومن إحسانه المشهورة قوله من قصيدة:

عودي وماء شبيبتي في عودي ... لا تعمدي لمقاتل المعمود

وصليه ما دامت أصايل عيشه ... تؤويه في فيء لها ممدود

ما دام من ليل الصبا في فاحم ... رجل الذرى فينان كالعنقود

قبل المشيب فطارقات جنوده ... يبدلنه يققا بسحم سود

وقوله لما تقلد الوزارة بعد أبيه:

دعوت الغنى ودعوت المنى ... فلما أجابا دعوت القدح

إذا بلغ المرء آماله ... فليس له بعدها مقترح

وقال:

إذا أنا بلغت الذي كنت أشتهي ... وأضعافه ألفا فكلني إلى الخمر

وقل لنديمي قم إلى الدهر فاقترح ... عليه تهوي ودعني مع الدهر

وله:

أين لي من يفي بشكر الليالي ... إذ أضافت خيالها وخيالي

لم يكن لي على الزمان اقتراح ... غيرها منية فجاد بها لي

وقوله في أترجة أهداها إلى والده الأستاذ الرئيس:

أتتك صفراء تحكي لون ذي مقة ... وريح راح حشاها شادن خنث

زففتها حين زفت لي على أمل ... إني غلامك لا مين ولا عبث

وقوله من قصيدة أخرى في عذد الدولة، أولها:

عتبت على الأيام لو عرفت عتبا ... وعاتبتها لو أعقبت ذنبها عتبى

قضت بيننا أحكامها البين كلما ... طلعن بنا شرقا غربن بها غربا

تحجب عني الشمس من نور وجهها ... وتمنح رياها الركائب والركبا

ومنها:

وكنت أظن الحب قبل خلابة ... فها هو ذا يغري بمخلبه الخلبا

تدور السقاة بالأباريق بيننا ... فنحسبها سربا يزجي لنا سربا

ومنها:

وقد نظمت شمل العصابة روضة ... منورة النوار تحسبها عصبا

ومنها في وصف النجائب:

متى لم أنل أقصى المنى بنجابها ... فلا نهضت نجبا تسير بنا نجبا

ولا رحلت نحو العفاة رحالها ... ولا كان لي ما بين آمالها نهبا

ولا كنت عبدا للذي الدهر عبده ... أعد النجوم بعد صحبته حصبا

وقوله من قصيدة أخرى فيه، أولها:

أفضت عقودا أم أفيضت مدامع ... وهذي موع أم نفوس هوامع؟." (١)

"لقد كان وفق الجو عند ارتفاعه ... نشاطا وملء الأرض عند انخفاضه

لو أن خدود الورد أرض لأرضه ... لما مسها منه أذى بارتكاضه

يريك نحول السهم عند اقتباله ... ويبدي مثول الطود عند اعتراضه

ويخفى اصطفاق الرعد رجع صهيله ... ويخفت صوت الليث بين غياضه

تعز أبا عيسى وليك ثابت ... وجل التسلي لم يرع بانتقاضه

ومن عرف الدنيا استهان بخطبها ... ولا سيما من طال عهد ارتياضه

ولو قبل الدهر الخؤون ذخائري ... لقدمتها عنه رضى باعتياضه

ولكنه يبقى الذي لا نوده ... ويردي الذي نهوى بصرف غضاضه

وهذا الذي بي لو غدا زاد مرضع ... لشيب فوديه اشتعال بياضه

سقا الأصدأ الكدري ما نقع الصدا ... غمام حداه الرعد عند ائتماضه

وفي بعض حملان الوزير معوضة ... وسلوان قلب مسلم لانقضاضه

فسر كيفما آثرت فوق جياده ... ومس كيفما أحببت بين رياضه

ومن أرجوزة أبي دلف الخزرجي:

دهر على أبنائه وثاب ... تعجمهم أنيابه الصلاب

---

(١) يتيمة الدهر، ٣٧٦/١

فما لهم من كيده حجاب ... يا لك دهرا كله عقاب

أصبح لا يردعه العتاب ... إن المنايا ولها أسباب

تصيدنا والصيد مستطاب ... واها لناء ما له إياب

لكل قلب بعده **اكتئاب** ... مسوم تعنو له الأسراب

أصدأ بادي الحسن لا يعاب ... قد كملت في طبعه الآداب

وهذبت أخلاقه الذعاب ... أقب مما ولد الأعراب

ذو نسب تحسده الأنساب ... وميعة ينزو بها الشباب

كأنما غرته شهاب ... كأنما لباته محراب

كأنما حجوله سراب ... كأنما حافره مجواب

للصخر عند وقعه التهاب ... إذا تدانى فهو الحباب

إن القرارات له انصباب ... وإن علا فالصقر والعقاب

للريح في مذهبه ذهاب ... فالوحش ما يلقاه والهراب

دماؤها لنحره خضاب ... يا غائبا طال به الإياب

لا خبر منك ولا كتاب ... ما كنت إلا روضة تنتاب

مستأنسا تألفك الرحاب ... تعشقك العيون والألباب

ترتج كالموج له عباب ... تناوبتك للردى أنياب

تجزع من أمثالها الأحباب ... وكنت لو طالت بك الأوصاب

يخف في مصرعك المصاب ... ما طاب عن إضرابك الإضراب

ولا صحا من حبك الأصحاب ... وأنت فرد ما له أتراب

يا حزنا إذ ضمك الخراب ... وأغلقت من دونك الأبواب

كصارم أسلمه القراب ... وقد جرى من فمك اللعاب

وامتاز منه النحل والذباب ... واعتورتك الفئة الغضاب

وفيك أطراف المدى تنساب ... حتى نضى عن جسمك الإهاب

هل هو إلا هكذا العذاب ... وقد إذا الإصطبل والجناب

يبكيك والسائس والبواب ... والسرج واللجمام والركاب

قل لأبي عيسى وما الإسهاب ... بنافع تم لك الثواب

والرأي في دفع صواب ... فاسكن فهذا الصاحب الوهاب

شيمته السخاء والإيجاب ... في جوده وفضله مناب

آلاؤه ليس بها ارتياب ... يضل في إحصائها الحساب

لا زال والدعاء يستجاب ... يبقى لنا ما بقي التراب

ومن قصيدة أبي محمد محمود:

بكاء على الطرف يسبق الطرفا ... على ذلك الإلف الذي فارق الإلفا

وقف مدد الأحزان وقفا مؤبدا ... عليه وخل الدمع يجري له وكفا." (١)

"فجعت بمنصلت يعرض للقنا ... أعناقها ويحصن الأكفالا

طرح الرجال لك العمائم حسرة ... لما رأوك تسير أو إجلالا

قالوا وقد فجئوا بنعشك سائرا ... من ميل الجبل العظيم فمالا

وتبادروا عط الجيوب وعاجلوا ... عض الأنامل يمنة وشمالا

ما شققوا إلا كساك وآلموا ... إلا أنامل نلن منك سجالا

من ذا يكون معوضا ما مزقوا ... ومعولا لمؤمل وثمالا

فرغت أكف من نولك بعدها ... وأطال عظم مصابك الأشغالا

أعزز علي بأن يبدل زائر ... بعد التهلل عندك استهلالا

أو أن يناديك الصريخ لكربة ... حشدت عليه فلا تحير مقالا

قد كنت آمل أن أراك فأجتني ... فضلا إذا غيري جنى أفضالا

وأفيد سمعك منطقي وفضائلي ... وتفيدني أيامك الإقبالا

وأعد منك لريب دهري جنة ... تثني جنود خطوبه فلالا

فطواك دهرك طي غير صيانة ... وأعاد أعلام العلا أغفالا

قبر بأعلى الري شق ضريحه ... لأغر حفزه الردى إعجالا

فرعاه من أرعى البرية سيبه ... وسقاه من أسقى به الآمالا

إن يمس موعظة الأنام فطالما ... أمسى مهابا للورى ومهالا

لنسلي الدنيا عليه فإنها ... نزعت به الإحسان والإجمالا

ولأبي العباس الضبي وقد مر بباب الصاحب:

أيها الباب لم علاك اكتئاب ... أين ذاك الحجاب والحجاب؟

أين من كان يفزع الدهر منه ... فهو اليوم في التراب تراب؟!

ولبعض بني المنجم لما استوزر أبو العباس الضبي ولقب بالرئيس وضم إليه أبو علي ولقب بالجليل بعد موت الصاحب تغمده الله برحمته آمين:

---

(١) يتيمة الدهر، ٣٩٣/١

والله والله لا أفلحتم أبدا ... بعد الوزير ابن عباد بن عباس

إن جاء منكم جليل فاجلبوا أجلي ... أو جاء منكم رئيس فاقطعوا رأسي

وأنشدني أبو العباس العلوي الهمذاني الوصي لنفسه في مرثية الصاحب:

مات الموالي والمحب لأهل بيت أبي تراب

قد كان كالجبل المنيع لهم فصار مع التراب

وأنشدني أيضا فيه لنفسه:

نوم العيون على الجفون حرام ... ودموعهن مع الدماء سجام

تبكي الوزير سليل عباد العلا ... والدين والقرآن والإسلام

تبكيه مكة والمشاعر كلها ... وحجيجها والنسك والإحرام

تبكيه طيبة والرسول ومن بها ... وعقيقها والسهل والأعلام

كافي الكفاة قضى حميدا نحبه ... ذاك الإمام السيد الضرغام

مات المعالي والعلوم بموته ... فعلى المعالي والعلوم سلام

ولبعض أهل نيسابور من قصيدة:

ألا يا غرة العليا ... ألا يا نكبة الدنيا

وشمس الأرض فرد الدهر عين السؤدد اليمنى

أما استحيا أبو يحيى ... لفض المهجة الكبرى

لئن ختمت بك الدنيا ... لقد فتحت بك الأخرى

الباب الرابع

في ذكر

أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي

وملح من نثره ونظمه

هو جذوة من نار الصاحب أبي القاسم، ونهر من بحره، وخليفته النائب منابه في حياته، القائم مقامه بعد وفاته، وكان الصاحب استصحبه منذ الصبا، واجتمع له الرأي والهوى، فاصطنعه لنفسه، وأدبه بآدابه، وقدمه بفضل الاختصاص على سائر صنائعه وندمائه، وخرج به صدرا يملأ الصدور كمالا، ويجري في طريقه ترسما وترسلا، وفي ذرى المعالي توقلا، وتحقق قول أبي محمد الخازن فيه من قصيدة:

تزهى بأترابها كما زهيت ... ضبة بالماجدين ماجدها

سماؤها شمسها غمامتها ... هلالها بدرها عطاردها

يروى كتاب الفخار أجمع عن ... كافي كفاة الورى وواحدها

وقوله فيه من أخرى:

نماه ضبة في أزكى مناصبه ... فخرا وأوطاه الشعرى وأمطاه." (١)

"قال مؤلف الكتاب: وقد كانت تبلغني لمع يسيرة من شعره فتروقني وتشوقني إلى أخواتها، حتى استدعى أبو نصر سهل لن المزربان من بغداد مجموع شعره كعادته في استنساخ الظرف واستجلاب الغرر، وبذل النفائس في استحداث الملح، فأهدى إليه ابن بابك مجلدة من شعره بخطه يسحب ذيلها على الروض الممطور. والوشي المنشور. فلم أدر الدفتر أملح أو الخط أحسن أم الشكل أصبح أو اللفظ أبرع أم المعنى أبدع، وجمعت يدي منها على الضالة المنشودة، والغريبة الموجودة، فأخرجت منها غررا ما هي إلا أنس المقيم وزاد المسافر ومنية الكاتب وتحفة الشاعر، كقوله في وصف الشراب من قصيدة:

عقار عليها من دم الصب نفضة ... ومن عبرات المستهام فواقع

معودة غصب العقول كأنما ... لها عند أرباب الرجال ودائع

تحير دمع المزن في كأسها كما ... تحير في ورد الخدود المدامع

وقوله من أخرى في وصف إضرام النار في بعض غياض طريقه إلى الصاحب:

ومقلة في مجر الشمس مسحبها ... أرعيتها في شباب السذقة الشهبا

حتى أرتني وعين النجم فاترة ... وجه الصباح بذيل الليل منتقبا

وليلة بت أشكو الهم أولها ... وعدت آخرها أستنجد الطربا

في غيضة من غياض الحزن دانية ... مد الظلام على أرواقها طنبا

يهدى إليها مجاج الخمر ساكنها ... فكلما دب فيها أثمرت لهبا

حتى إذا النار طاشت في ذوائبها ... عاد الزمرد من عيدانها ذهبا

ومنها:

مرقت منها وثغر الصبح مبتسم ... إلى أغر يرى المذخور ما وهبا

ذو غرة كجبين الشمس لو برقت ... في صفحة الليل للحرباء لانتصبا

يا أغزر الناس أنواء ومحتلبا ... وأشرف الناس أعراقا ومنتسبا

أصبحت ذائقة بالوفر منك وإن ... قال العواذل ظن ربما كذبا

إن المنى ضمنت عنك الغنى فأجب ... فالبحر يمنح فضل الري من شربا

فحسن ظني قد استوفى مدى أملي ... وحسن رأيك لي لم يبق لي أربا

ومن أخرى:

حجبت وما حجبت عن الصباح ... وليل الصب ممطول البراح

وبات السقم يكمن في عظامي ... كمون الموت في حد الصفاح

---

(١) يتيمة الدهر، ٤١٦/١

ومنها:

كسوت الحمد ذا عرض مصون ... يمتع في حمى مال مباح

مزوح اللفظ مجذوع العطايا ... جموح العزم مجنون السماح

إذا اشتجرت على الملك العوالي ... هززت أصم موشى الجناح

يريق على الظبا ريق المنايا ... ويكحل بالردى مقل الرماح

وقوله من أخرى يمدح ويعاتب ويستبطئ:

أرى الأيام تسرف غي عقابي ... ودون رياضتي شيب الغراب

ألا يا عامر الآمال مالي ... أسير الطرف في أمل خراب

أفون مطارح الأمل انتظارا ... وأسرح بين سقم واغتراب

أراع ولا أراعي والأماني ... لقى بين **اكتئاب** وارتياب

وكم كسر جبرت فكان طوقا ... على نحر الدعاء المستجاب

وقوله من أخرى:

لقد نشر النيروز وشيا على الربا ... من النور لم تظفر به كف راقم

كأن ابن عباد سقى المزن نشره ... فجاد برشاش من الوبل ساجم

ومن أخرى يهنئه بالأضحى:

ليهنك عيد لو تناجت سعوده ... لما اقترحت إلا سماءك مطلعا

فضح بمن ماطلته عدة الردى ... فما اكتن صدر السيف إلا ليقطعا

وله من قصيدة يذكر خلعة أمر له الصاحب بها:

وخلعة فاجأت بلا عدة ... من منعم في عطائه سرف

غلت لساني عن الثناء فما ... يجري ولكن لشأنها يصف

ومن أخرى:

أقبلت في شرف اللباس فأبلسوا ... نظر البغاث إلى انقضاض الجارح

إشتق من خلع الفخار عمامة ... ورفاء تهزأ بالكثيب البارح

ومزنر الأردان ناقلني الضنا ... وافتر عن سمطي شتيت واضح." (١)

"لا أشتكي زمني هذا فاظلمه ... وإنما أشتكي من أهل ذا الزمن

قد كان لي كنز صبر فافتقرت إلى ... إنفاقه في مزاراتي لهم وقني

وقد سمعت أفانين الحديث فهل ... سمعت قط بحر غير ممتحن

---

(١) يتيمة الدهر، ٤٥١/١

شمسويه البصري قال في غلام يبيع الفراني:

قلت للقلب ما دهاك: أجبني ... قال لي: بائع الفراني فراني

ناظراه فيما جنى ناظراه ... أو دعاني أمت بما أو دعاني

أبو الفضل النهر عاسي قال:

لولا تعاليل النفوس وأنها ... مخدوعة ما سرها محبوب

خاب امرؤ محض النصيحة نفسه ... كل يشوب لنفسه ويروب

أحمد بن بندار قال:

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما ... عفت منه آثار وجفت مشارعه

فقلت إلى أن يرجع الماء عائدا ... ويعشب شطاه تموت ضفادعه

أبو عبد الله الروزباري قال في وصف الثلج:

ما لابن هم سوى شرب ابنة العنب ... فهاتها قهوة فراجة الكرب

أدهق كؤوسك منها واسقني طربا ... على الغيوم فقد جاءتك بالطرب

أما ترى الأرض قد شابت مفارقها ... بما نثرن عليها وهي لم تشب

نثار غيث حكى لون الجمان لنا ... فاشرب على منظر مستحسن عجب

جاد الغمام بدمع كاللجين جرى ... فجد لنا بالتي في اللون كالذهب

الباب الثامن

في ذكر من هم

شرط الكتاب من أهل فارس والأهواز

سوى من تقدم ذكرهم في ساكني العراق كعبد العزيز بن يوسف وأبي أحمد الشيرازي، وسوى من يتأخر ذكرهم في الطارئين على خراسان كأبي إسحاق المتصفح كان ببخارى وأبي الحسن محمد بن الحسين النحوي المقيم الآن بإسفرائين من نيسابور وأبي الحسين الأهوازي صاحب كتاب القائد والفرائد المقيم كان بالصغانيات.

أبو بكر هبة الله بن الحسين الشيرازي

المعروف بابن العلاف كان بفارس للأدب مجمعا، وللشعر مفزعا، مع التصرف في مدارج الأحكام، والمعرفة بشعب الحلال والحرام، والقبول التام، عند الخاص والعام، خنق التسعين ولم تبيض له شعرة، وهو القائل في التبرم بشبابه من قصيدة:

إلام وفيم يظلمني شبابي ... ويلبس لمتي حلل الغراب

وآمل شعرة بيضاء تبدو ... بدو البدر من خلل السحاب

وأدعى الشيخ ممتلئا شبابا ... كذي ظمأ يعلل بالسراب

فيا هلكي هنا لك من مشيبي ... ويا خجلي هنا لك واكتئابي

ألا يا خاضب الشيب المعنى ... أعني في الشباب على الخضاب

فكافور المشيب أجل عندي ... وفي فودي من مسك الشباب

وأين من الصباح ظلام ليل ... وأين من الرباب دجى ضباب

ألا من يشتري مني شبابا ... بشيب واسودادا باشهباب

ومما يستحسن من شعره في عضد الدولة قوله:

يا علم العالم في الجود ... مثل جودا غير موجود

بيضت من وجه الندى بالندى ... ما اسود في أيامه السود

كم لك في كسبك للحمد من ... سعي على الأيام محمود

بين مطيع لك أصفدته ... وبين عاص لك مصفود

بك استوى الجود على خدمة ... كما استوى الفلك على الجودي

كم مورد منك ندى أو ردى ... بين الرضا والسخط مورود

وسؤدد منك بعز العلا ... يا عضد الدولة معضود

والدهر طوع لك في كل ما ... تحده من كل محدود

وكل جار لك من جوره ... في ظل أمن بك ممدود

فعش وعيد سالما آمنا ... ما عاد لطف الماء في العود

واسعد يد الدهر بما شئت من ... ملك لأبنائك موطود

ومما يستجاد من شعره قوله في الغزل:

خداك للخنس السبع العلا فلك ... ومقلتاك لشراد الهوى شرك." (١)

"وقوله:

أرقت لضيف من الشيب زارا ... فأهدى إليك النهى والوقارا

وجلك الحلم ثوب الكرام ... وبزك ثوب الشباب المعارا

وقد كان شرح الشباب الذي ... تولى عدوا وإن كان جارا

أمل على ملكيك الذبو ... ب حتى أملهما ثم سارا

أخذه من قول أبي الطيب المصعبي:

زائر لم يزل مقيما إلى أن ... سود الصحف بالذبوب وولى

وقوله:

شوقي إليك كشوق المدنف الحرض ... إلى الطبيب الذي يشفي من المرض

---

(١) يتيمة الدهر، ٤٦٦/١

فإن يكن لك عنى يا أخي عوض ... فلا وحقك ما لي عنك من عوض

وقوله من قصيدة في بعض الوزراء:

ومطهم برح العنان معود ... خوض المهالك كل يوم براز

وإذا توقل في ذرى يمنع ... صعب بعيد العهد بالمجتاز

تركت سنابله بصم صخوره ... أثرا كنقش صدر البازي

ومنها:

يا أيها الشيخ الجليل بحقه ... لا من طريق تملق ومجاز

إن لم يكن لي في جانبك مرتع ... فالرأي في الإبعاد لي بجواز

وأنشدني ابنه أبو منصور لأبيه في سفرجل وتفاح ورمان وآذريون أهداها إلى بعض الرؤساء في يوم مهرجان:

بعثت إليك ضحى المهرجان ... بمعشوقة العرف والمنظر

معطرة صانها في الحجال ... مطارف من سندس أخضر

نضت حين زارتك عنها الفريد ... وجاءتك في سرق أصفر

بيسر وبهنكة نضة ... وثدي مبتلة معصر

وبيضاء رائقة غضة ... منقطة الوجه بالعصفر

وحق عقيق ملاه الهجير ... من الجوهر الرائق الأحمر

وأقداح تبر حشت قعرها ... يد الشمس بالمسك والعنبر

فكن ذا قبول لها إنها ... هدايا مقل إلى مكثر

وحي على الراح قبل الرواح ... ومطربة الشدو والمزهر

وعش ما تشاء كما تشتهي ... بعزم يدوم إلى المحشر

وله من نتفة يسترجع بها كتابا معارا:

أنا أشكو إليك فقد نديم ... قد فقدت السرور منذ تولى

كان لي مؤنسا يسلي همومي ... بأحاديث من منى النفس أحلى

عن أبي حاتم عن ابن قريب ... واليزيدي كل ما كان أملى

وهو رهن لديك يشكو ويبكي ... ويغني: قد آن لي أن أخلى

فتفضل به علي فإني ... لست إلا بمثله أتسلى

وله من أخرى في معناها:

طلبت مني كتابا ... ألفته في شبابي

ألفته إلف عظمي ... لحمي ولحمي إهابي

وقد تأخر حتى ... لبست ثوب **اكتئاب**

وقد أتاني عنه ... ما لم يكن في حسابي

من نظم شعر بديع ... مستظرف مستطاب

أما كريم رحيم ... يرثي لطول اغترابي

يا رب يسر إيابي ... قد حان وقت انقلابي

وله في أبي الحسن العتبي:

يا سائلي عن وزير ... مدحرج مستدير

كبط شط سمين ... عريض صدر قصير

إن كنت أبصرت قردا ... منذ كنت فوق سرير

فهو الوزير وإن كا ... ن في عداد الحمير

وله من نتفة في قابض كفه:

الله صور كفه ... لما براه فأبدعه

من تسعة في تسعة ... وثلاثة في أربعة

وله من أخرى:

تغيرت مع الدهر ... لنا يا شاعر البصرة

ولم ترع لنا عهدا ... قديم الود والعشرة

عسى صيرك الشيخ الذي ... يكنى أبا مرة

وله:

لزوم البيت أرواح في زمان ... عدمنا فيه فائدة البروز

فلا السلطان يرفع من محلى ... ولست على الرعية بالعزيز

ولست بواجد حرا كريما ... أكون لديه في كنف حريز

وله من المسرح:

أشكو إلى الله ضيق ذات يدي ... قد بان صبري وخانني جلدي." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧٥ """""""

عنها من سلوة بأفضل الرغبة ؟ قال نعم ، إذا فرقت بين رأسي وجسدي فقال : أعوضك عنها يا أعرابي بثلاث جوار ومع كل واحدة ألف دينار وأقسم لك من بيت المال ما يكفيك في كل سنة ويعينك على صحبتهن . فشهق شهقة ظن معاوية أنه مات . فقال له : ما بالك يا أعرابي ؟ قال : أشر بال وأسوأ حال ، استجرت بعدلك من جور ابن الحكم ، فعند من

---

(١) يتيمة الدهر، ٢/٢١

أستجير من جورك ؟ ثم أنشأ يقول :

لا تجعلني والأمثال تضرب بي . . . كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أردد سعاد على حيران مكتئب . . . يمسي ويصبح في هم وتذكار

قد شفه قلق ما مثله قلق . . . وأسعر القلب منه أي إسعار

كيف السلو ، وقد هام الفؤاد بها . . . وأصبح القلب عنها غير صبار ؟

قال : فغضب معاوية غضبا شديدا ، ثم قال : يا أعرابي ، أنت مقر بأنك طلقتها ومروان مقر بأنه طلقها ، ونحن نخيرها فإن اختارتك أعدناها إليك بعقد جديد ، وإن اختارت سواك زوجناه بها . ثم التفت إليها أمير المؤمنين وقال : ما تقولين ، يا سعدى ؟ أيما أحب إليك ، أمير المؤمنين في عزه وشرفه وسلطانه وما تصيرين إليه عنده ، أو مروان بن الحكم في عسفه وجوره ، أو هذا الأعرابي في فقره وسوء حاله ؟ فأنشأت تقول :

هذا ، وإن كان في فقر وإضرار ، . . . أعز عندي من قومي ومن جاري

وصاحب التاج أو مروان عامله . . . وكل ذي درهم عندي ودينار." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٢٨ """""""

وقال أيضا :

يا لقومي من لمكتئب . . . دمعه في الخد منسفح ؟

لامه العذال في رشإ . . . عذره من مثله يضح .

وادعوا نصحي وأخون ما . . . كان عذالي إذا نصحوا

خوفوني من فضيحته ، . . . ليته وافى وأفتضح

كيف يسلو القلب عن غصن ، . . . عله من مائه المرح ؟

ذهبي الحسن تحسب من . . . وجنتيه النار تقتدح

وكأن الشمس نيط لها . . . قمر ، يمناه والقدح .

صد أن مازحته غضبا . . . ما على الأحباب إن مزحوا ؟

وهو لا يدري لنخوته . . . أننا في النوم نصطلح ثم لا أنسى مقالته : . . . أطفيلي ومقترح ؟

وقال تاج الملوك ابن أيوب :

فديت وجه الحبيب بدرا . . . والبدر يفدى ، وليس يفدي

سبى فؤادي بليل شعر . . . وصبح وجه وغصن قد .

في فمه عنبر مداف . . . في قهوة خولطت بشهد .

كأنما خده شقيق ، . . . نقط من خاله بند .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ١٧٥/٢

ظبي من الترك ذو دلال . . . يستحسن الجور والتعدي .

كأنه غصن خيرزان ، . . . إذا انثنى أو قضيب رند .

يحل في الحب عقد صبري . . . إن شد في الخصر عقد بند." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٢ """""""

إذا البعيد الوطن انتابه . . . حل إلى نهي وواد خصيب

أدنته أيدي العيس من ساحة . . . كأنها مسقط رأس الغريب

أظلمت الآمال من بعده . . . وعريت من كل حسن وطيب

كانت خدودا صقلت برهة . . . واليوم صارت مألفا للشحوب

كم حاجة صارت ركوبا به . . . ولم تكن من قبله بالركوب

حل عقاليها كما أطلقت . . . من عقد المزنة ريح الجنوب

إذا تيمموناه في مطلب . . . كان قليبا ورشاء القليب ونعمة منه تسربلتها . . . كأنها طرة برد قشيب

من اللواتي وني شاكر . . . قامت لمسديها مقام الخطيب

متى تنخ ترحل بتفضيله . . . أو غاب يوما حضرت بالمغيب

فما لنا اليوم ولا للعلا . . . من بعده غير الأسى والنحيب

وقال يرثي أحمد بن هارون القرشي :

دأب عيني البكاء ، والحزن دابيفاتركيني وقيت ما بي لما بي

سأجزي بقاء أيام عمري . . . بين بثي وعبرتي واكتئابي

فيك يا أحمد بن هارون خصت . . . ثم عمت رزيتي ومصابي

فجعتني الأيام في الصادق النط . . . ق فتى المكرمات والآداب

بخليل دون الأخلاء لا بل . . . صاحبي المصطفى على أصحابي

أفلما تسربل المجد واجتا . . . ب من الحمد أيما مجتاب

وتراءته أعين الناظريه . . . قمرا باهرا ورئبال غاب

وعلا عارضيه ماء الندى الجا . . . ري وماء الحجا وماء الشباب

أرسلت نحوه النية عينا . . . قطعت منه أوثق الأسباب." (٢)

""""""""" صفحة رقم ١٤٢ """""""

وأما القلب – فهو أن يكون الكلام أو البيت كيفما انقلبت حروفه كان بحاله لا يتغير ، ومنه في التنزيل قوله تعالى : "كل

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٢٨/٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٠٢/٥

في فلك " " وربك فكبر " وقولهم : ساكب كاس .

ومنه قول العماد الأصفهاني للقاضي الفاضل : سر فلا كبا بك الفرس ، وجواب القاضي الفاضل له : دام علا العماد ، وهي أول قصيدة للأرجاني ، مطلعها : " دام علا العماد " ومن ذلك قول الأرجاني :

مودته تدوم لكل هول . . . وهل كل مودته تدوم

وأما التندير – فهو أن يأتي المتكلم بادرة حلوة ، أو نكتة مستظرفة يعرض فيها بمن يريد ذمه بأمر ، وغالب ما يقع في الهزل ، فمنه قول أبي تمام فيمن سرق له شعرا :

من بنو بجدل ، من ابن الحباب . . . من بنو تغلب غداة الكلاب

من طفيل ، من عامر ، أم من الحا . . . رث ، من عتيبة بن شهاب

إنما الضيغن الهصور أبو الأش . . . بال هتاك كل خيس وغاب

من عدت خيله على سرح شعري . . . وهو للحين راتع في كتاب

يا عذرای الكلام صرتن من بع . . . دي سبايا تبعن في الأعراب

لو ترى منطقي أسيرا لأصب . . . حت أسيرا ذا عبرة واكتئاب

طال رغبي إليك مما أقاسي . . . ه ورهبي يا رب فاحفظ ثيابي

ومن ذلك ما قاله شهاب الدين بن الخيمي يعرض بنجم الدين بن إسرائيل لما تنازعا في القصيدة المعروفة لابن الخيمي التي أولها :

يا مطلبا ليس لي من غيره أرب

فقال من قطعة منها :

هم العريب بنجد مذ عرفتمو . . . لم يبق لي معهم مال ولا نشب." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٠ """""""

وكتب أيضا :

أكذا كل غائب . . . غاب عمن يحبه

غاب عنه بشخصه . . . وسلا عنه قلبه

ولو أن لي يدا تكتب ، أو لسانا يسهب ، أو خاطرا يستهل ، أو فؤادا يستدل ؛ لوصفت إليه شوقا إن استمسك بالجفون نثر عقدها ، أو نزل بالجوانح أسعر وقدها ؛ أو تنفس مشتاق أعان على نفسه ، وظنه استعاره من قبسه ؛ أو ذكر محب ؟ حبيبا خاله خطر في خلده ، وتفادى من أن يخطر به ذكر جلده

حتى كأن حبيبا قبل فرقته . . . لا عن أحبته ينأى ولا بلده

بالله لا ترحموا قلبي وإن بلغت . . . به الهموم فهذا ما جنى بيده

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٤٢/٧

ولولا رجاؤه أن أوقات الفراق سحابة صيف تقشعها الرياح ، وزيارة طيف يخلعها الصباح ؛ لاستطار فؤاده كمدا ، ولم يجد ليوم مسرته أمدا ؛ ولكنه يتعلل بميعاد لقياه ، ويدافع سما أعله بلعله أو عساه

غنى في يد الأحلام لا أستفيده . . . ودين على الأيام لا أتقاضاه

ومن غرائب هذه الفرقه ، وعوارض هذه الشقه ؛ أن مولاي قد بخل بكتابه وهو الذي يداوي به أخوه غليل **اكتئابه** ، ويستعديه على طارق الهم إذا لج في انتيابه

كمثل يعقوب ضل يوسفه . . . فاعتاض عنه بشم أثوابه وهب أن فلانا عاقه عن الكتب عائق ، واختدع ناظره كمن هو في ناضر عيش رائق ؛ فما الذي عض لمولانا حتى صار جوهر وده عرضا ، وجعل قلبي لسهام إعراضه غرضا ؟

بي منه ما لو بدا للشمس ما طلعت . . . من المكاره أو للبرق ما ومضا." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٢٤ """""""

ذكر شيء من الأبيات الداخلة في هذا الباب

فمن ذلك قول بعض الشعراء :

إني لعظم تشوقي . . . وشديد وجدي **واكتئابي**

أصبحت أحسد من يفو . . . ز بقربكم حتى كتابي

وقال آخر :

وما تأخر كتبي عنك من ملل . . . طوبى لودك يا بن السادة النجب

لكن حسدت كتابي أن يراك وما . . . أراك فاخترت إمساكي عن الكتب

وقال آخر :

عفت الرسائل طامعا أن نلتقي . . . فأبى الزمان يتيح لي ما أطلب

وتأخرت كتبي فقلت أعاتب . . . في ذاك أنت علي أم متعتب

فإذا وجدتك في الضمير ممثلا . . . أبدا تناجيني إلى من أكتب

وقال آخر :

الكتب تكتب للبعي . . . د وأنت من قلبي قريب

فإذا وجدتك في الفؤا . . . د فمن أكاتب أو أجيب

وقال آخر :

لو أن كتبي بقدر الشوق واصلة . . . كانت إليك مع الأنفاس تتصل

لكنني والذي يبقيك لي أبدا . . . على جميل اعتقادي فيك أتكل

وقال آخر :

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ٢٠/٨

وفي الكتب نجوى من يعز لقاؤه . . . وتقريب من لم يدن منه مزار

فلم تخلني منها وتعلم أنها . . . لعيني وقلبي قرة وقرار." (١)

""""""""" صفحة رقم ٨٦ """""""

كأنه والعيون تنظره . . . إذا بدا زهره على القضب

وقال عبد الصمد :

كأنه في ناضر الأغصان . . . زمرد لاح على التيجان

وقال كمال الدين بن بشائر الإخميمي – وهو عصري – :

حيث بها رائحة . . . كالمسك للمستنشق

وقال شبهها لنا . . . فقلت غير مطرق مكحلة مخروطة . . . من دهنج موثق

سدادها من ذهب . . . وميلها من ورق

وقال شاعر يصف البسر الأحمر :

أما ترى النخل حاملات . . . بسرا حكى لونه الشقيقا

كأنما خوصه عليه . . . زمرد مثمر عقيقا

وقال ابن المعتز :

كقطيع الياقوت يانعات . . . بخالص التبر مقمعات

وقال في الأصفر :

أما ترى البسر الذي . . . قد حاز كل العجب

كيف غدا في لونه . . . كعاشق مكتئب

مكاحل من فضة . . . قد طليت بالذهب

ووصفوا الرطب والتمر ، فمن ذلك ما قاله محمد بن شرف القيرواني :

ومطبوخ بغير عقد نار . . . عزمت على جناه بابتكار." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٢٠٥ """""""

ذكر وفاة عبد الرحمن وصفته وشيء من أخباره وسيرته

كانت وفاته بقرطبة في يوم الثلاثاء لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة ، وقيل توفي في غرة جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين ومائة ، وهو الصحيح وصلى عليه ابنه عبد الله ، وكان قد عهد إلى ابنه هشام بمدينة ماردة واليا عليها ، وابنه سليمان بطليطلة واليا عليها ، فلم يحضرا موت أبيهما .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٢٤/٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٨٦/١١

وكان مولد عبد الرحمن بدير حنا من عمل دمشق ، وقيل العلياء من ناحية تدمر في سنة ثلاث عشرة ومائة فكان عمره تسعا وخمسين سنة ، ومدة ولايته بالأندلس ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوما . وكان أصهب خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم أعور ، وكان فصيحا لسنا شاعرا حليما عالما حازما ، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه . لا يخلد إلى راحة ، ولا يسكن إلى دعة ، ولا يكبل أموره إلى غيره ، ولا ينفرد في إبرامها برأيه . وكان يشبه بأبي جعفر المنصور في حزمه وشدته وضبطه لملكه . وبنى الرصافة بقرطبة تشبها بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام ، فقال :

وكان عبد الرحمن من ذوي الآداب ، وله شعر حسن ، فمن شعره ما قاله بالأندلس يتشوق معاهده بالشام :

أيها الراكب الميمم أرضي . . . أقر من بعضي السلام لبعضي

إن جسمي كما علمت بأرض . . . وفؤادي كما عملت بأرض

قدر البين بيننا فافترقنا . . . وطوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الله بالفراق علينا . . . فعسى باجتماعنا سوف يقضي

ومن شعره ما قاله لما عمر الرصافة بقرطبة ، وقد رأى فيها نخلة منفردة ، فقال :

تبدت لنا بين الرصافة نخلة . . . تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب مثلها . . . وطول اكتئابي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيه غريبة . . . فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن من صوبها الذي . . . يسح ويستمري السماكين بالوبل." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٧١ """""""

من الجهات . فلما اتصل خبر ملك جنكزخان بخارى بالسلطان ، عبر جيحون وقد أيس من بلاد ما وراء النهر ، وفارقه إلى التتار من الأتراك عشيرة أخواله زهاء سبعة آلاف من الخطايية ، واتصل علاء الدين صاحب قندز وغيره بجنكزخان وأخذ الناس في التخاذل والتسلل ، فلما اتصلت هذه الجموع بجنكزخان عرفوه بمكان السلطان وبما هو عليه من الوجل ، وبما داخله من الخوف فعند ذلك جرد يمنوية وسبطى بهادر في ثلاثين ألف فارس فعبروا النهر صوب خراسان ورحل السلطان من حافة جيحون إلى نيسابور ، وتسلل عنه الناس فلم يقم بنيسابور إلا ساعة من نهار ، ثم سار حتى أتى العراق فنزل بمرج دولت أباد ، وهي من أعمال همذان وأقام أياما يسيرة ومعه زهاء عشرين ألف فارس فلم يرعه إلا صيحة الغارة وإحداق خيول التتار به ، فغاتهم بنفسه ، وشمل القتل جل أصحابه ، ونجا السلطان في نفر يسير من خواصه إلى بلد الجبل ثم منها إلى الاستنداد وهي أمنع ناحية من نواحي مازندران ذات دربندات ومضايق ثم منها إلى حافة البحر وأقام عند الغرضة بقرية من قراها ، يحضر إلى المسجد فيصلى به إمام القرية الصلوات الخمس ويقرأ له القرآن ، وهو يبكي وينذر النذور ويعاهد الله تعالى بإقامة العدل . ولم يزل كذلك إلى أن كبسه التتار فحين هجموا الضيعة ركب السلطان المركب وخاضت خلفه طائفة منهم فلم يدركوه .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٣/٢٠٥

قال شهاب الدين المنشى : حدثني غير واحد ممن كان مع السلطان في المركب قال : كنا نسوق المركب بالسلطان وبه من علة ذات الجنب ما آيسه من الحياة وهو يظهر الاكتئاب ، ويقول لم يبق لنا مما ملكناه من أقاليم الأرض قدر ذراعين . فلما وصل الجزيرة سر بذلك سرورا تاما وأقام بها فريدا طريدا والمرض يزداد به . وكان في أهل مازندران ناس يتقربون إليه بالمأكول والمشروب وما يشبهه ، فقال في بعض الأيام : أشتهي أن يكون عندي فرس يرعى حول خيمتي هذه – وقد ضربت له خيمة صغيرة – فلما سمع تاج الدين حسن وكان من جملة سرهنكيته أهدى إليه فرسا أصفر قال : وكانت جشارات خيله تنيف على ثلاثين ألف جشار متفرقة في ممالكه." (١)

"فواعَجباً كيف اتفقْنا فناصحٌ ... وفيٌّ، ومطويٌّ على الغلّ غادرُ

فقد أتى بإزاء كل ما وصفه من نفسه بما يضاده على الحقيقة ممن عاتبه، حيث قال بإزاء ناصح: مطوى على الغل وبإزاء وفي: غادر.

ومثل قول الآخر:

تقاصرنَ واحلولين لي ثمَّ إنهُ ... أتتْ بعدُ أيامٌ طوالٌ أمرتِ

فقابل القصر والحلاوة: بالطول والمرارة.

ومثله قول الآخر:

وإذا حديثٌ ساءني لم أكتئبْ ... وإذا حديثٌ سرني لم آشرِ

فقد جعل بإزاء سرني: ساءني، وبإزاء الاكتئاب: الأشر، وهذه المعاني في غاية صحة التقابل، ومثل قول عقيل بن حجاج:

تستنُّ في حيثُ لمْ تبعدْ مصعدةً ... ولمْ تصوبْ إلى أدنَى مهاويها

فجعل بإزاء قوله: تبعد مصعدة: أدنى مهاويها، ولو جعل بإزاء الإبعاد في الصعود: الهوى، من غير أن يقول: أدنى المهاوي لكانت المقابلة ناقصة، لكن لما قال: تبعد قال: أدنى، ولو لم يقل: تبعد لقنع منه بأن يقول: تهوى فقط، من غير أن يأتي بالدنو.

وللطرماح بن حكيم:

أسرناهمْ وأنعمنَا عليهمْ ... وأسقيْنا دماءهمُ الترابَا

فما صبرُوا لبأسٍ عندَ حربٍ ... ولا أدوْا لحسنِ يدٍ ثوابَا

فجعل بإزاء أن أسقوا دماءهم التراب وقاتلوهم: أن يصبروا، وبإزاء أن أنعموا عليهم: أن يثيبوا، ولآخر:

جَزى الله عنَّا ذاتَ بعلٍ تصدقتْ ... على عزبٍ حتَّى يكونَ له أهلُ

فإنَّا سنجزيَها كما فعلتْ بنَا ... إذا ما تزوجنا وليسَ لها بعلُ

فقد أجاد هذا الشاعر، حيث وضع مقابل أن تكون المرأة ذات بعل، وهو لا زوج له: أن يكون ذا زوج في وقت عزب المرأة، وقابل حاجته وهو عزب: بحاجتها وهي عزبة، من غير أن يغادر شرطاً، ولا أن يزيد شيئاً.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب . ، ١٧١/٢٧

ومن أنواع المعاني صحة التفسير.

صحة التفسير

وهي أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه، فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها، ولا يزيد أو ينقص، مثل قول الفرزدق:

لقدْ خنتُ قوْماً لو لجأتَ إليهمُ ... طريدَ دمٍ أو حامِلاً ثقلَ مغرمِ

فلما كان هذا البيت محتاجاً إلى تفسير، قال:

لألفيتَ فيهمْ مطعِماً ومطاعِناً ... وراءَك شزْراً بالوشيجِ المقومِ

ففسر قوله: حاملاً ثقل مغرم: بأنه يلقى فيهم من يعطيه، وفسر قوله: طريد دم بقوله: إنه يلقي من يطاعن دونه ويحميه

ومثل قول الحسين بن مطير الأسدي:

فلهُ بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ... ضحكٌ يراوحُ بينهُ وبكاءُ

ففسر بلا حزن: ببكاء ولا بمسرة: بضحك، وقال صالح ابن جناح اللخمي:

لئن كنتُ مُحتاجاً إلى الحلمِ إنَّني ... إلى الجهلِ في بعض الأحايينِ أحوجُ

وفسر ذلك بأن قال:

ولي فرسٌ للحلمِ بالحلمِ ملجمٌ ... ولي فرسٌ للجهلِ بالجهْل مسرجُ

فلم يزد المعنى ولا نقص منه، ثم فسر البيت الثاني أيضاً، فقال:

فمنْ رام تقويمي فإنِّي مقومٌ ... ومن رام تعويجي فإنِّي معوجُ

وقال سهل بن هارون:

فواحسرتَا حتَّى متى القلبُ موجعٌ ... بفقدِ حبيبٍ أو تعذرِ إفضالِ

وفسر ذلك فقال:

فراقُ خليلٍ مثله يورثُ الأسَى ... وخلةُ حرٍّ لا يقومُ بها مالِي

أنواع نعوت المعاني

ومن أنواع نعوت المعاني التتميم:

التتميم

وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به.

مثل قول نافع بن خليفة الغنوي:

رجالٌ إذا لم يقبلِ الحقُّ منهمُ ... ويعطوهُ عاذُوا بالسيوفِ القواطعِ

فإنما تمت جودة المعنى بقوله: ويعطوه، وإلا كان المعنى منقوص الصحة، ومثل قول عمير بن الأيهم التغلبي:

بها نلنَا القرائبَ من سوَانا ... وأحرزنَا القرائبَ أن تنالا

فالذي أكمل جودة هذا البيت قوله: وأحرزنا القرائب أن تنالا، مع أنهم القرائب من سواهم.

ومثله قول طرفة:

فسقَى ديارِكِ غيرَ مفسدِهَا ... صوبُ الربيع وديمةٌ تهمِي

فقوله: غير مفسدها، إتمام لجودة ما قاله، لأنه لو لم يقل: غير مفسدها، لعيب، كما عيب ذو الرمة في قوله:." (١)

"وحلب، وجريت معه طلق الجموح في ميادين الأدب، وأنشدني بدمشق (١) :

أنا من سكر هواهم ثمل ... لا أبالي هجروا أم وصلوا

فبشعري وحديثي فيهم ... زمزم الحادي وسار المثل

إن عشاق الحمى تعرفني ... والحمى يعرفني والطلل

رحلوا عن ربع عيني فلذا ... أدمعي عن مقلتي ترتحل

ما لها قد فارقت أوطانها ... وهي ليست لحماهم تصل

لا تظنوا أنني أسلوا فما ... مذهبي عن حبكم ينتقل وقوله رحمه الله تعالى (٢) :

بالله يا بانة الوادي إذا خطرت ... تلك المعاطف حيث الشيح والغار

فعانقيها عن الصب الكئيب فما ... على معانقة الأغصان إنكار

وعرفيها بأني فيك مكتئب ... فبعض هذا لها بالحب إخبار

وأنتم جيرة الجرعاء من إضم ... لي في حماكم أحاديث وأسمار

وأنتم أنتم في كل آونة ... وإنما حبكم في الكون أطوار

ويا نسيما سرى تحدو ركائبه ... لي بالغوير لبانات وأوطار وله (٣) :

يا رعى الله أنسنا بين روض ... حيث ماء السرور فيه يجول

تحسب الزهر عنده يتثنى ... وتخال الغصون فيه تميل وله (٤) :

---

(١) الأبيات في القدح المعلى.

(٢) القدح: ٢٠٧.

(٣) قالهما في بستان على نهر ثورا أحد أنهار دمشق، انظر القدح: ٢٠٨ والفوات: ٣٢٤.

(٤) القدح: ٢٠٨.." (٢)

"ومن نظمه أيضا ما كتب به إلى أخيه عماد الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي أفاض الله تعالى علينا من فتوحاته، قوله:

ما للنوى رقة ترثي لمكتئب ... حران في قلبه والدمع في حلب

---

(١) نقد الشعر، ص/٢٤

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٢١/٢

قد أصبحت حلب ذات العماد بكم ... وجلق إرم هذا من العجب وتوفي الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧، ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضي ابن الزكي، رحم الله تعالى الجميع.

وابن الزكي أيضا محيي الدين.

ومن نظم سعد الدين المذكور في وسيم رآه بالزيادة في دمشق (١) :

يا خليلي في الزيادة ظبي ... سلبت مقلتاه جفني رقاده

كيف أرجو السلو عنه وطرفي ... ناظر حسن وجهه في الزياده وله:

علقت صوفيا كبدر الدجى ... لكنه في وصلي الزاهد

يشهد وجدي بغرامي له ... فديت صوفيا له شاهد وله أيضا:

صبوت إلى حريري مليح ... تكرر نحو منزله مسيري

أقول له: ألا ترثي لصب ... عديم للمساعد والنصير

أقام ببابكم خمسين شهرا ... فقال: كذا مقامات الحريري وله:

وغزال من اليهود أتاني ... زائرا من كنيسه أو كناسه

---

(١) انظر الفوات والوافي.." (١)

"المنصور ابن السفاح، وقتل عبد الرحمن ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية.

ومن شعر عبد الرحمن وقد رأى نخلة برصافته (١) :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول اكتئابي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة ... فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي ... يسح ويستمري السماكين (٢) بالوبل وكان نقش خاتمه " بالله يثق عبد الرحمن، وبه يعتصم " .

وأشاع سنة ١٦٣ الرحيل إلى الشام لانتزاعها من بني العباس، وكاتب جماعة من أهل بيته ومواليه وشيعته، وعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالأندلس في طائفة، ويذهب بعامة من أطاعه، ثم أعرض عن ذلك بسبب أمر الحسين (٣) الأنصاري الذي انتزى عليه بسرقسطة، فبطل ذلك العزم.

ومن شعر عبد الرحمن أيضا قوله يتشوق إلى معاهد الشام (٤) :

أيها الراكب الميمم أرضي ... اقر مني بعض السلام لبعضي

إن جسمي كما علمت بأرض ... وفؤادي ومالكيه بأرض

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٧٢/٢

قدر البين بيننا فافترقنا ... وطوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الله بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضي وترجمة الداخل طويلة، وقد ذكر منها ما فيه مقنع، انتهى؛ والله تعالى الموفق للصواب.

---

(١) انظر ابن عذاري ٢: ٦٢ والحلة السيراء: ٢٧.

(٢) المقتطفات و ق: يصح ويستمري المساكين.

(٣) المقتطفات و ق: الحسن؛ وقد تقدم ذكره باسم " الحسين " .

(٤) تقدمت هذه الأبيات ص: ٣٨.." (١)

"أنا للنسخ محمل خف حملي ... أنا في الشكل سلم الإطلاع ١٠٣ - وقال أحمد بن رضى المالقي:

ليس المدامة مما أستريح له ... ولا مجاوبة الأوتار والنغم

وإنما لذتي كتب أطالعها ... وخادمي أبدا في نصرتي قلمي ١٠٤ - وقال أبو القاسم البلوي الإشبيلي:

لمن أشكو مصابي في البرايا ... ولا ألقى سوى رجل مصاب

أمور لو تدبرها حكيم ... لعاش مدى الزمان أخا اكتئاب

أما في الدهر من أفشي إليه ... بأسراري فيؤنس بالجواب

يئست من الأنام فما جليس ... يعز على نهاي سوى كتابي ١٠٥ - وقال أبو زكريا يحيى، ابن صفوان بن إدريس صاحب كتاب " العجالة " و " زاد المسافر " وغيرهما:

ليت شعري كيف أنتم ... وأنا الصب المعنى

كل شيء لم تكونوا ... فيه لفظ دون معنى وله في نصراني وسيم لقيه يوم عيد:

توحد في الحسن من لم يزل ... يثلث والقلب في صده

يشف لك الماء من كفه ... ويقتدح النار من خده وهذان البيتان نسبهما له بعض معاشريه، وأبوه صفوان سابق الميدان.

١٠٦ - وقال ابن بسام (١) :ساير ابن عمار في بعض أسفاره غلامان من

---

(١) بدائع البدائه ٢: ١٣٠.." (٢)

"لبستم في مآتمكم بياضا ... فجئتم منه في زي غريب

صدقتكم فالبياض لباس حزن ... ولا حزن أشد من المشيب ٢٥٣ - وقال أبو جعفر ابن خاتمة:

هل جسوم يوم النوى ودعوها ... باقيات لسوء ما أودعوها

---

(١) حاشية فارغة

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٣٢٥/٣

يا حداة القلوب ما العدل هذا ... أتبعوها أجسامها أو دعوها ٢٥٤ - وقال القسطلي يصف هول البحر (١) :

إليك ركبنا الفلك تهوي كأنها ... وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربان

على لجج خضر إذا هبت الصبا ... ترامى بها فينا ثبير وثهلان

مواثل ترعى في ذراها موائلا ... كما عبدت في الجاهلية أوثان

يقلن وموج البحر (٢) والهم والدجى ... يموج بها فيها عيون وآذان

ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنا ... سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان ٢٥٥ - وقال الرمادي يهنئ ابن العطار الفقيه بمولود:

يهنيك ما زادت الأيام في عددك ... من فلذة برزت للسعد من كبدك

كأنما الدهر دهر كان مكتئبا ... من انفرادك حتى زاد في عددك

لا خلفتك الليالي تحت ظل ردى ... حتى ترى ولدا قد شب من ولدك ٢٥٦ - وقال ابن صارة في النار:

هات التي للأيك أصل ولادها ... ولها جبين الشمس في الأشماس

يتقشع الياقوت في لباتها ... بوساوس تشفي من الوسواس

---

(١) ديوان ابن دراج: ٨٧ والذخيرة ١ / ١: ٧٤.

(٢) في الأصول: مقاتل موج.." (١)

"الواهب الألف بعد الألف من ذهب كالجمر يلمع في مستوقد الضرم

والفاعل الفعل لم يهمم به أحد والقائل القول فيه حكمة الحكم

ذاكم هو الشيخ فاعجب أنه هرم جودا وحاشاه أن يعزى إلى هرم

وحسبنا أن أيدينا به اعتصمت من حبله بوثيق غير منفصم

فما مخالفه يوما بمضطهد ولا مؤالفه يوما بمهتضم

ولا موافيه في جهد بمطرح ولا مصافيه في ود بمتهم

ولا محيا محييه بمنكسف ولا رجاء مرجيه بمنخرم

وما تكرمه سرا بمنكشف ولا تنكره جهرا بمكتتم

وليس لامح مرآه بمكتئب وليس راضع جدواه بمنفطم

ولا مقبل يمناه الكريمة في محل ممتهن بل دست محترم

وما وسيلتنا العظمى إليه سوى ما ليس ينكر ما فيها من العظم

وإنما هي وما أدراك ما هي من وسيلة ردها أدهى من الوخم

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٤٤١/٣

نبينا المصطفى الهادي بخير هدى محمد خير خلق الله كلهم

داعي الورى من أولي خيم وأهل قرى إلى طريق رشاد لاحب أمم

عليه منا صلاة الله ما ذكرت ... " أمن تذكر جيران بذي سلم " (١) وما تشفع فيها بالشفيع له دخيل حرمته العلياء في الحرم

ربنا ظلمكنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم، نعم المولى ونعم النصير.

أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح، يدعو إلى سبيل

---

(١) صدر قصيدة البوصيري المشهورة في مدح الرسول (ص).." (١)

"وإياك أن ترضى بصحبة ساقط ... فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

فرفع أبو من ثم خفض مزمل ... يبين قولي مغريا ومحذرا وهذا معنى قول الشاعر:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي وما أحسن قول أبي بحر صفوان بن إدريس المرسي رحمه الله تعالى:

إنا إلى الله من أناس ... قد خلعوا لبسة الوقار

جاورتهم فانخفضت هونا ... يا رب خفض على الجوار ومن نظم الشريف رحمه الله تعالى:

وأحور زان خديه عذار ... سبى الألباب منظره العجاب

أقول لهم وقد عابوا غرامي ... به إذا لاح للدمع انسكاب

أبعد كتاب عارضه يرجى ... خلاص لي وقد سبق الكتاب ومن الغريب في توارد الخواطر ما وجد بخط الأديب أبي القاسم ابن جزي الكلبي رحمهما الله تعالى - وسيأتيان - ما معناه: قلت هذه القطعة:

ومعسول اللمى عادت عذابا ... على قلبي ثناياه العذاب

وقد كتب العذار بوجنتيه ... كتابا حظ قارئه **اكتئاب**

وقالوا لو سلوت فقلت خيرا ... وأنى لي وقد سبق الكتاب ثم عرضتها على شيخنا القاضي أبي القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة فقال لي: قد نظمت هذا المعنى بالعروض والقافية في هذه الأيام اليسيرة، وأنشدني:

وأحور زان خديه عذار ... الأبيات السابقة.." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٥٣٥/٤

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩١/٥

"المتحيز إلى حزب السلامة المنقبض عن الغمار العزوف عن فضول القول والعمل جامع المحاسن الأشتات (١) من عقل رصين وطلب ممتع وأدب نقاوة ويد صناع أبوالقاسم بن أبي زكريا البرجي، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة (٢) :

أصغى إلى الوجد لما جد عاتبه ... صب له شغل عمن يعاتبه

لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا ... فضل من ظل إرشادا يخاطبه

لولا النوى لم يبت حران **مكتئبا** ... يغالب الوجد كتما وهوغالبه

يستودع الليل أسرار الغرام وما ... تمليه أشجانه فالدمع كاتبه

لله عصر بشرقي الحمى سمحت ... بالوصل أوقاته لوعاد ذاهبه

يا جيرة أودعوا إذ ودعوا حرقا ... يصلى بها من صميم القلب ذائبه

يا هل ترى تجمع (٣) الأيام ألفتنا ... كعهدنا أويرد القلب سالبه

ويا أهيل ودادي، والنوى قذف ... والقرب قد أبهمت دوني مذاهبه

هل ناقض العهد بعد البعد حافظه ... وصادع الشمل يوم الشعب شاعبه

ويا ربوع الحمى لا زلت ناعمة ... يبكي عهودك مضنى الجسم شاحبه

يا من لقلب مع الأهواء منعطف ... في كل أوب له شوق يجاذبه

يسمو إلى طلب الباقي بهمته ... والنفس بالميل للفاني تطالبه

وفتنة المرء بالمألوف معضلة ... والأنس بالإلف نحوالإلف جاذبه

أبكي لعهد الصبا والشيب يضحك بي ... يا للرجال سبت جدي ملاعبه

ولن ترى كالهوى، أشجاه سالفه ... ولا كوعد المنى، أحلاه كاذبه

وهمة المرء تغليه وترخصه ... من عز نفسا لقد عزت مطالبه

---

(١) الأشتات: ثبتت في ق ص وسقطت من الإحاطة.

(٢) القصيدة في الإحاطة وبعضها في الكتيبة.

(٣) الكتيبة: ترجع.." (١)

"ومن موشحات ابن الصابوني قوله:

ما حال صب ذي ضنى **واكتئاب** ... أمرضه يا ويلتاه الطبيب

عامله محبوبه باجتناب ... ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب

جفا جفوني النوم لكنني ... لم أبكه إلا لفقد الخيال

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٧٠/٦

وذو الوصال اليوم قد غرني ... منه كما شاء وشاء الوصال

فلست باللائم من صدني ... بصورة الحق ولا بالمحال واشتهر بير العدوة ابن خلف الجزائري صاحب الموشحة المشهورة:

يد الإصباح قد قدحت ... زناد الأنوار من مجامر الزهر وابن خزر البجائي، وله من موشحة:

ثغر الزمان موافق ... حياك منه بابتسام ومن محاسن الموشحات موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية وسبتة من بعدها (١) :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى ... قلب صب حله عن مكنس

فهو في حر وخفق مثلما ... لعبت ريح الصبا بالقبس وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره فقال:

جادك الغيث إذا الغيث همى ... يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلما ... في الكرى أو خلسة المختلس

---

(١) انظر ديوان ابن سهل: ٢٨٣ وهي الموشحة التي شرحها الأفراني في كتاب سماه " المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل " . يقول الأفراني: وقد وقفت على أزيد من اثنتي عشرة موشحة مما عورض به توشيح ابن سهل.." (١)

"بحره الوافر بالعلم طما ... كامل الأمداد لم يحتبس

نال منه الناس حتى عمما ... مشرقا والغرب للأندلس موشحات لسان الدين بن الخطيب

رجع إلى موشحات لسان الدين ابن الخطيب، رحمه الله تعالى، فمن المنسوب إلى محاسنه قوله:

قد حرك الجلجل بازي الصباح ... والفجر لاح فيا غراب الليل حث الجناح ... وهذا مطلع موشح بديع له لم يحضرني الآن تمامه؛ لكوني تركته وجملة من كلام لسان الدين في كتبي بالمغرب جبرها الله تعالى علي، وهو معارض للموشح الشهير الذي أوله:

بنفسج الليل تذكى وفاح ... بين البطاح كأنه يسقى بمسك وراح ... وهذا المنحى هو الذي سلكه الجمال ابن نباتة (١) إذ قال مادحا لجلال الدين الخطيب رحم الله تعالى الجميع:

ما سح محمر دموعي وساح ... على الملاح إلا وفي قلبي المعنى جراح ...

بي من بني الأتراك حلو الشباب ... مر السطا

عشقته حين عدمت الصواب ... من الخطا

تشكو حشا الغزلان منه التهاب ... إذا عطا

وربما تشكو الغصون اكتئاب ... إذا خطا

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١١/٧

(١) هو محمد بن محمد بن محمد ابن نباتة الفارقي وله ترجمة مسهبة في الوافي ١: ٣١١ - ٣٣١ ولم ترد الموشحة هنالك أو في ديوانه.." (١)

"وقال:

وحمراء في الكأس مشمولة ... تحث على العود في كل بيت

فلا غرو أن جاءني سابقا ... إلى الأنس خل يحث الكميت وقال:

بروضتنا الظمياء طال **اكتئابنا** ... فلله غيث ميت آمالنا أحيا

وأشبه مهيارا فها تلك عينه ... تفيض إذا شام البروق على ظميا وقال:

اثنان عزا فلم يظفر بنيلهما ... وأعوزا من هما في الدهر مطلبه

أخ مودته في الله صادقة ... ودرهم من حلال طاب مكسبه وقال موريا بالقائد نافع على ما اختاره البخاري وجماعة أن أصح الأسانيد مالك عن نافع:

عن نافع أسند حديث أحبتي ... يا مالكا رقي بحسن صنائع

فأجل إسناد وخير رواية ... عندي رواية مالك عن نافع وقال:

إني لأعجب من فعالك في الهوى ... لما حللت بحسن ذاتك ذاتي

ونفيت نومي ثم أثبت الأسى ... فجمعت بين النفي والإثبات وقال:

ألا معصم للصب من وشي معصم ... أطلت إليه نظرة المتوسم

فأبقت به عيني حلى من سوادها ... وبعض سواد وسط قلبي المتيم." (٢)

"فدام لنا ما هب عرف من الصبا ... وأومض برق في الظلام كليل

وحن مشوق للحجاز إذا بدت ... لعينيه منه شامة وطفيل

وأشرق نجم مثل قلبي خافق ... وحان له عند الغروب أفول

ولا زالت الأقدار تجري بأمره ... وصنع إله العرش فيه جميل وقال في إعذار ابن السلطان رحمه الله تعالى ورضي عنه:

أثرها عزمة تنضي الركابا ... وإن دميت لها العين انسكابا

لعل الوجد تطفأ منه نار ... أبت إلا زفيرا والتهابا

أما بعد الألى ترجو قلوب ... تسارع نحو أرضهم انقلابا

فيا أخوي كفا عن عتابي ... فلست بسامع أبدا عتابا

تذكرت العقيق فسال دمعي ... عقيقا من تذكره مذابا

أقول لنسمة مرت صباحا ... يعطر عرفها القفر اليبابا

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨٦/٧

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١١٦/٧

ألا يا هذه كوني رسولي ... وكوني إن رجعت لي الجوابا

نشدتك بلغي صحبي سلامي ... إذا جئت المعاهد والقبابا

يلومني العواذل في اشتياقي ... إذا ما القلب من وجدي تصابى

وكم بين الأباطح من مهاة ... تروع بلحظها الأسد الغضابا

رمتني ثم قالت وهي تزري ... ولم تحذر بفتكتها العقابا

إذا ما الشهب للغرب استمالت ... وفود الليل بالإصباح شابا

أوجه إن رقدت إليك طيفي ... كلمع البرق يخترق السحابا

فقلت: لقد بخلت على مشوق ... أبى إلا غراما (١) **واكتئابا**

وكيف له بنوم بعد وجد ... يذيب لهيبه الصم الصلابا

---

(١) ق: عراما.." (١)

"وسلم نفسه، وآن أن تأفل من تلك المطالع شمسه، آذن آمته بالفراق وأعلمهم، وناشدهم في أخذ القصاص وكلمهم ، مخافة أن يمضي إلى الملك الحق، وعليه تباعة لأحد من الخلق، وحاشاه عليه الصلاة والسلام، من صفات جائر للأمة ظلام، ولكنه تعريف من نبي الرحمة بما يجب وإعلام، ثم استمر به صلوات الله وسلامه عليه وتمادى، وزاد به السقم المنتاب وتهادى، حتى واراه ملحده، وخلا منه ربعه ومسجده، فعم الحزن **والاكتئاب**، وتوارى النور فأظلم الجناب، وعاد الأصحاب، وكأنما دموعهم السحاب، فقالت فاطمة وقد رابها من دفن أبيها الكريم ما راب: أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب فكأن كلامها للقلوب المفجعة كلام، وللعيون المفجرة بالدموع انسفاح وانسجام.

وفي مثل هذا الشهر شهر ربيع، المشيد بذكر الأشجان المذيع، كانت وفاة هذا النبي الهادي الشفيع، وانتقاله إلى الملإ الأعلى والرفيق الرفيع، هحين ناداه ربه إلى قربه، فلبى بشوق قلبه تلبية المهطع المطيع، وحن إلى حضرة القدس فانتظم حين حل بها ما كان من شمله الصديع، وانتظر من صنع الرب جميل الصنيع، وإنجاز وعد الشفيع في الجميع، إذ أعطي لواء الحمد وقام محمود المقام، ووقف على الحوض ينادي: هلموا إلي أروكم من العطش والأوام.

اللهم اسقنا من حوضه المورود، وشرفنا بلوائه المعقود، وشفعه فينا في اليوم المشهود، وارحمنا به إذا صرنا تحت أطباق اللحود، اللهم اعجعله لنا تعزية من كل مفقود، وأوجد لنا من بركاته أشرف موجود، وجازه عنا بما أنت أهله من فضل وإحسان وجود، وانفعنا بمحبته ومحبة آله وصحابته الركع السجود، واجعلنا معهم في الجنة دار الخلود ودار السلام. واخصصهم عنا بأكرم تحية وأفضل سلام، وصل عليهم صلاة تستلم أركان رضوانك أي استلام، وتنتظم له كرامات إحسانك أي انتظام. فصلوات الله عليه، وأطيب تحياته ورحمته تتوالى لديه، وأجزل بركاته." (٢)

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٧/٢٩٥

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٧/٤٣٠

"وقد وضعت أنا في لك كتابا وسميته جنان الجناس قسمت فيه الجناس إلى ما أمكن تقسيمه، فجاء ما يقارب الستين قسما . فمن أراد تحرير التجنيس في أقسامه فليقف عليه هناك.

التجنيس المعكوس

قال: القسم الرابع من المشبه بالتجنيس ويسمى المعكوس ثم أورد عادات السادات سادات العادات، وشيم الأحرار أحرار الشيم وما شابه ذلك وساق أشياء كثيرة له ولغيره.

أقول: ما لهذا النوع دخول في باب التجنيس، وإنما هو من باب رد الأعجاز على الصدور، وهو باب مستقل بذاته. ومن أحسن ما جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار.

وقول الأرجاني.

شبت أنا والتحى حبيبي ... حتى برغمي سلوت عنه

ابيضّ ذاك السواد مني ... واسودّ ذاك البياض منه

وقول عفيف الدين التلمساني وفيه زيادة صنعة:

يا بأبي معاطف وأعين ... يصول منها رامح ونابل

فهذه ذوابل نواضر ... وهذه نواظر ذوابل

ألا ترى أن الذوابل والنواضر في الأول، غير الذوابل والنواظر في الثاني. ولو عد ابن الأثير مثل هذا في باب التجنيس لكان ذلك قولا صحيحا. فإن الألفاظ اتفقت والمعاني اختلفت.

ومما قلته أنا في ذلك:

أضاع نسكي عذار مسك ... فكيف تركي لحاظ تركي

تنكى سهام الجفون منه ... ومقلتي لا تزال تبكي

قضى على أدمعي بسفحٍ ... يقضي بها في دمي بسفك

وشكّ قلبي برمح قدٍّ ... قدّ فؤادي بغير شك

فالشك والقد في الأول، غير الشك والقد في الثاني.

ومما نظمته في غير هذا النمط:

قد فاق غصن النقا حبيبي ... وأخجل البدر في التمام

ذاك قوامٌ بلا محيا ... وذا محيّا بلا قوام

يقال: إنه رفعت إلى القاضي الفاضل قصة باسم مؤذنين يستخدمان، أحدهما اسمه مرتضى والآخر زيادة، فكتب عليها: أما زيادة فمرتضى، وأما مرتضى فزيادة. فاستخدم زيادة، وصرف مرتضى. وهذا في غاية الحسن.

التجنيس المجنب

قال في القسم الخامس المشبه بالتجنيس ويسمى المجنب. ثم إنه أخذ في الاستشهاد على ذلك بقول القائل.

أبا العباس لا تحسب بأني ... لشيبي من حلى الأشعار عار

فلي طبعٌ كسلسالٍ معينٍ ... زلالٍ من ذرى الأحجار جار

إذا ما أكبت الأدوار زندا ... فلي زندٌ على الأدوار وار

ثم قال: وهذا القسم فيه عندي نظر، لأنه بلزوم ما لا يلزم أولى منه بالتجنيس. وأخذ يعلل ذلك بأشياء تعسف فيها.

أقول: الصحيح أن هذا من أقسام التجنيس. وهو النوع الذي يسمونه بالمزدوج. ولزوم ما لا يلزم باب معقود بذاته لا مدخل له في هذا، ولا لهذا فيه مدخل. فإن اللزوم عبارة عن أن يأتي الشاعر أو الكاتب في القافية قبل الروي بحرف أو أكثر، يلتزم بورود ذلك في كل قافية. كما ورد في قول المعري:

لا تطلبنّ بآلةٍ لك رتبةً ... قلم البليغ بغير حظٍ مغزل

سكن السماكان السماء كلاهما ... هذا له رمحٌ وهذا أعزل

فإن المعري التزم بالزاي قبل الروي وهو اللام. ولو قال مع ذلك: معول وأول وأفضل لصحت القافية ولكن ورود الزاي لزوم ما لا يلزم، وكما تقول: الحمام والغمام والتمام والكمام. أو: البدور والصدور أو الشذور والنذور.

فإن الميم والدال والذال لزوم ما لا يلزم. ويجوز أن تقول مع الحمام، السلام ومع البدور القبور ومع الشذور، الحرور.

وعلى هذا الشرط بنى المعري لزومياته من أولها إلى آخرها. وأما الذي أورده ابن الأثير، فلم يكن كذلك، لأنه قبل الألف الأولى عين، والثانية جيم، والثالثة واو. ففات اللزوم.

ومما اتفق لي من نمط أبي الفتح البستي:

تذكرت عيشا مرّ حلوا بكم فهل ... لأيامنا تلك الذواهب واهب

وما انصرفت آمال نفسي لغيركم ... ولا أنا هذي الرغائب غائب

سأصبر كرها في الهوى غير طائعٍ ... لعلّ زماني بالحبائب آيب

وقلت أيضاً :

بنفسي من إذا ادّكر **اكتئابي** ... وأني لا أرى الأوزار زارا

يبيت وللتّقى حرس عليه ... ولي فإذا رأى الأسحار حارا." (١)

"٣(بأعظم من مصر **اكتئاباً** وحسرةً ** وقد زال عنها عزها المتصرم)(لقد هرمت مصر ونزعم أنها ** فتاةٌ فهل أدعى فتىً حين أهرم)(بدا ظهرها بعد الشباب مقوساً ** وقد كان قبل الشيب وهو مقوم)٤ (ولو أسفرت عن وجهها لبدت لنا ** حقيقتها لكنها تتلثم)٥ (إذا حاولت مصرٌ إلى المجد نهضةً ** أبى ذاك عظمٌ واهنٌ متهشم)٦ (أتلك فتاةٌ يا بني مصر إنكم ** توهمتمو هذا فخاب التوهم)٧ (وفلاح مصرٍ كم توالت مصائبٌ ** عليه تلقى شرها وهو مرغم)٨ (رأى القوت من هم الحياة فباعه ** يخاف أذاهم وانثنى يتألم)٩ (له صبيةٌ خمص البطون كأنهم ** جوازل وكرٍ ما لها فيه مطعم) ٤٠ (وبادية الثديين أخلق ثوبها ** وأبلاه بعد الحول حول مجرم)

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر، ص/٣٣

(١) ".

"٣(هاجوا الغليل على حران **مكتئبٍ** ** معذب النفس والآمال عانيها)(لا يرفع الصوت يدعوهم لمنقبةٍ ** إلا تنافس قومٌ دونهم فيها)(أين السيوف لأعناقٍ بها زورٌ ** لولا الحفاظ أقامته مواضيها)٤ (هي الدواء الذي يرجى الشفاء به ** لأنفسٍ حار فيها من يداويها)٥ (أعيت على نطس الكتاب علتها ** فارتد يعثر بالأقلام آسيها)٦ (وأعجزت من بباني كل معجزةٍ ** تكاد تنهض بالموتى قوافيها)٧ (ويلمها أمةً في مصر ضائعةً ** الخسف مرتعها والذئب راعيها)٨ (ما ترفع الراس إلا غال نخوتها ** تهدار مضطرم الأحشاء واريها)٩ (ولا تطاولت الأعناق من شممٍ ** إلا علتها يد الجلاد تلويها) ٤٠ (ولا ابتغت صالح الأعمال ناهضةً ** إلا انبرى ناهض العدوان يثنيها)

---

(٢) ".

"٥(تدفق الدم لم يمدد إليه يداً ** ولم يرعه رعافٌ منه ينسكب) ٥(أقوت خزائنهم فاستحدثوا ورقاً ** يهفو مع الريح إلا أنه نشب) ٥(زادوا به الحرب من جهلٍ ومن نزقٍ ** ما كف من مثله واستنكف الذهب) ٥٤ (ظلت تهون على الأيام قيمته ** حتى ترفع عنه الترب والخشب) ٥٥ (يبتاع ذو الألف منه حين يملكها ** أدنى وأهون ما يشرى ويجتلب) ٥٦ (لو فارق الناس أو طاح الزوال به ** إذن لزال عناء العيش والتعب) ٥٧ (يا أمة الشام هل بالشام مبتهجٌ ** والنيل من أجلكم حران **مكتئب**) ٥٨ (صونوا البلاد وكونوا معشراً صبراً ** لا يخفضون جناح الذل إن نكبوا) ٥٩ (دعوا لفيصل ما تملي مشيئته ** لا فيصل اليوم إلا المرهف الذرب) ٦٠ (أمسى معنى الأماني ما تصان له ** تلك العهود ولا يقضى له أرب)

---

(٣) ".

"١(أَوفى على الشيءِ الذي لا يُذكرُ ** وأدخلَ الاصبعَ فيه يخبرُ)(فاتهم الفيلُ البعوضَ ، واضطربْ ** وضيَّقَ الثقب ، وصالَ بالذنبْ)(فوقَعَ الضربُ على السليمه ** فلحِقَتْ بأُختِها الكريمه)٤ (ونزل البصيرُ ذا **اكتئابِ** ** يشكو إلى الفيلِ من المُصابِ)٥ (فقال : لا مُوجِب للندامه ** الحمد لله على السلامه)٦ (من كان في عينيْه هذا الداءُ ** ففي العَمى لنفسِه وقاءُ)

---

(٤) ".

---

(١) ديوان أحمد محرم، ص/١٦

(٢) ديوان أحمد محرم، ص/٢٨٤

(٣) ديوان أحمد محرم، ص/٤١٢

(٤) ديوان أحمد شوقي، ص/٧٠٤

"البحر : وافر تام (وليلٍ بتُّه رهنَ **اكتئابِ** ** أقاسي فيهِ أنواعُ العذابِ) (إذا شربَ البعوضُ دمي وغنّى ** فللبرغوثِ رقصٌ في ثيابي)

(١) ".

"٤(بَنى لَنَا العِزَّ ، مَرْفُوعا دَعَائِمُهُ ، ** وشَيَّدَ المجدَ ، مشتداً مرائرهُ) ٤(فَمَا فَضَائِلُنَا إلاّ فَضَائِلُهُ ، ** وَلا مَفَاخِرُنَا إلاّ مَفَاخِرُهُ) ٤٤ (لقدْ فقدتُ أبي ، طفلاً ، فكانَ أبي ، ** منَ الرجالِ ، كريمُ العودِ ، ناضرهُ) ٤٥ (فهوَ ابنُ عمي دنيا ، حينَ أنسبهُ ** لَكِنّهُ لِيَ مَوْلىً لا أُنَاكِرُهُ) ٤٦ (ما زالَ لي نجوةً ، مما أحاذرهُ ، ** لاَ زالَ ، في نجوةٍ ، مما يحاذرهُ) ٤٨ (** مِنْهُ ، وَعُمّرَ للإسْلاَمِ عَامِرُهُ) ٤٩ (هَذا كِتَابُ مَشوقِ القَلبِ **مكتَئِبٍ** ** لمْ يَألُ نَاظِمُهُ ، جُهْداً ، وناثِرُهُ) ٥٠ (وَقَد سَمَحتُ غَداةَ البَيْنِ ، مُبتَدِئاً ** مِنَ الجَوَابِ ، بوَعدٍ أنتَ ذاكِرُهُ) ٥(بقيت ، ماغردتْ ورقُ الحمامِ ، وما ** استهلَّ منْ مونقِ الوسميّ باكرهُ) ٥(حَتى تُبَلَّغَ أقْصى مَا تُؤمّلُهُ ، ** من الأمُورِ ، وَتُكفَى ما تُحاذِرُهُ)

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (أمِن تَذَكُّرِ دهرٍ غيرِ مَأمونِ ** أصبحتَ **مُكتئباً** تَبكي كَمَحزونِ ؟) (أَمْ مِن تذكُّرِ أقوامٍ ذَوي سَفَهٍ ** يَغشَوْنَ بالظلمِ مَن يدعو إلى الدِّينِ ؟) (لا يَنْتَهون عنِ الفحشاءِ ما أمروا ** والغَدْرُ فيهم سَبيلٌ غيرُ مأمونِ) ٤ (ألا يرونَ أذلَّ الله جَمْعَهُمو ** أنّا غَضِبْنا لعثمانَ بنِ مَظْعونِ ؟) ٥ (إذْ يلطِمونَ ولا يَخشَوْنَ مُقْلَتَهُ ** طَعْناً دِراكا وضَرْباً غير مَرهونِ) ٦ (فسوفَ نجزيهمو إنْ لم يُمتْ عَجِلاً **كيلاً بكيلٍ جزاءً غيرَ مَغْبونِ) ٧ (أو ينتهونَ عنِ الأمرِ الذي وقفوا ** فيه ويرضَوْنَ منّا بعدُ بالدُّونِ) ٨ (ونمنَعُ الضَّيمَ مَن يَبْغيَ مَضامَتَنا ** بكلِّ مُطَّرِدٍ في الكفِّ مَسنونِ) ٩ (ومُرْهَفاتٍ كأنَّ الملحَ خالطَها ** يُشْفَى بها الدَّاءُ مِن هامِ المجانينِ).(حتى تُقرَّ رجالٌ لا حلومَ لها ** بعدَ الصُّعوبةِ بالإسْماحِ واللِّينِ)

(٣) ".

"١(أقولُ بها وقَدْ أوحَتْ بعين ** إليَّ تشكي الدنفِ السقيمِ)(بكُورُكِ أشعَرُ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً ** و أوفى الناس في حسب صميمِ)(لمالَكِ تَشتكِينَ وأنتِ تَحْتي ** وتحتَ محمّدٍ بَدْرِ النُّجومِ ؟)٤ (متى أظمتك هاجرةٌ فشيمي ** أنامِلَه تُرَوكِ بالنَّسِيمِ)٥ (و إنغشيتكِ ظلماءُ فجلّي ** بِغُرّته دُجَى الليلِ البَهيمِ)٦ (فمَرَّتْ مِثْلما يَمْشِي شَهيدٌ ** سويّاً إلى

(١) ديوان أبي منصور الثعالبي، ص/١٨

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني، ص/١٧٣

(٣) ديوان أبي طالب، ص/٩١

صراطٍ مستقيمٍ)٧ (ولولا الله يومَ مِنىً لأبدَتْ ** هواها كلُّ ذاتِ حشا هضيمِ)٨ (رَميْنَ أخا اغترابٍ واكتئَابٍ ** بَعيْنَيْ جُؤْذَرٍ وبجيدِ رِيمِ)

---

(١) ".

"البحر : خفيف تام (دأبُ عيني البكاءُ والحزنُ دابي ** فاتركيني وقيت ما بي لما بي) (سَأُجَزي بَقَاءَ أَيَّامِ عُمْرِي ** بين بثي وعبرتي واكتئابي) (فيكَ يا أحمدَ بن هارونَ خصتْ ** ثمَّ عمتْ رزيئتي ومصابي) ٤ (فجعَتْني الأيَّامُ فيك فأُنْسِي ** في اختلالي وعصمتي في اضطرابي) ٥ (فَجعَتْني الأيَّامُ بالصَّادقِ النُّطْ ** ق فتى المكرماتِ والآدابِ) ٦ (بخليلٍ دونَ الأخلاءِ لا بلْ ** صاحبي المصطفى على أصحابي) ٧ (شمريّ يحتالُ من سلفيْ مرْ ** وَانَ في الأَكْرَمِينَ والصُّيَّابِ) ٨ (أفلَمَّا تسربَلَ المَجْدَ واجْ ** تابَ منَ الحمدِ أيما مجتابِ) ٩ (وترَاءَتْهُ أَعْيُنُ النَّاظِرِيهِ ** قمراً باهراً ورئبالَ غابٍ)٠ (وعلا عارضيه ماءُ الندى الجا ** ري وماءُ الحجى وماءُ الشبابِ)

---

(٢) ".

"البحر : خفيف تام (مَنْ بَنُو عامرٍ مَن ابنُ الحُبَابِ ** مَنْ بنو تغلب غَداةَ الكُلابِ ؟) (من طفيلٌ من عامرٌ ومن الحا ** ثُ أَمْ مَنْ عُتَيْبَةُ ابنُ شِهابِ !) (إنَّما الضَّيْغمُ الهَصُورُ أبو الأش ** بالِ مناعُ كلَّ خيس وغابِ) ٤ (من غدتْ خيلهُ على سرحِ شعري ** وهْوَ للحَيْنِ رَاتِعٌ في كِتابي) ٥ (غارَةٌ أسخَنتْ عُيُونَ المَعاني ** واستَحلّتْ مَحَارِمَ الآدابِ) ٦ (لَوْ تَرَى مَنْطِقي أَسِيراً لأَصبح ** تَ أَسَيراً لِعَبْرَةٍ واكتئابِ) ٧ (يا عذارى الكلامِ صرتُنَّ منْ بع ** دي سبايا تبعنَ في الأعرابِ !) ٨ (عبقاتٍ بالسمعِ تبدي وجوهاً ** كوجُوهِ الكَواعِبِ الأتْرَابِ) ٩ (قَدْ جَرَى في مُتُونِهِنَّ مِنَ الإِف ** رندِ ماءٌ نظيرُ ماءِ الشبابِ)٠ (إنَّ ذَمي محمَّدَ بنَ يَزيدٍ ** في الذي نالَهُ لَغَيرُ صَوَابِ)

---

(٣) ".

"البحر : كامل تام (ما غاض دمعي عند نازلةٍ ** إلا جعلتك للبكا سببا) (وإِذَا ذَكَرْتُكَ مَيّتا سَفَحَتْ ** عَيْنِي الدُّمُوعَ فَفَاضَ وَانْسَكَبَا) (بالسيف في نهنهة الكتائب ** عَضْبُ كَلَوْنِ المِلْحِ في أَقْرابِ) (إني أجل ثريَ حللت بِهِ ** عَنْ أَنْ أُرى لِسِوَاهُ مُكْتَئِبا)

---

(١) ديوان أبي تمام، ص/٢١١

(٢) ديوان أبي تمام، ص/٤٤٤

(٣) ديوان أبي تمام، ص/٧٦٢

(١) ".

"البحر : وافر تام (عَجِبْتُ لجَازِعٍ باكٍ مُصابِ ** بأهل أو حميم ذي اكتئاب) (يشق الجيب يدعو الويل جهلاً **كأنَّ المَوْت بالشيء العُجابِ) (وَسَلوى الله فيهِ الخَلْقُ حتّى ** نبيّ الله مِنْهُ لم يُحابِ) ٤ (له ملك ينادي كل يوم ** لدوا للموت وابنوا للخراب)

---

(٢) ".

"ومهما يكن من أمر فإن هذه القصيدة استطاعت أن تجمع كل ألوان القهر والتسلط والحرمان، التي يعانيها إنسان العصر، كما أنها استطاعت أن تجمع من جهة أخرى كل ألوان النفاق والتدجيل والتدليس التي يحترفها القاهرون ... وبذلك نستطيع القول أنها صرخة مدوية ضدّ مظاهر القبح الذي يكتنف العالم، وضد الواقع المضاد لتقدم وسيادة الإنسان، ولعل "الجدة التي تنطوي عليها تلك القصيدة تحمل الطابع الذي بدأ يميز شعر صلاح، فهورغم عدم إيمانه بأي شئ –إلى حد يبدوكأنه لم يلتزم اجتماعيا بشيء– يتحدث فيها عن الإيمان، وهوحين يتحدث عنه لا يعني الله ولا رسله ولا أو لياءه –مع أنه يتعرض لهم– وإنما يعني إحساسا بقضايا العصر في أبعاده التاريخية والأسطورية وفي امتدادها على نحويختلط فيه الوهم بالحقيقة"(١)، وغني عن البيان أن مشاعر الوهم واللاإلتزام وعدم الإهتمام الديني، هي من مشاعر اللامنتمي، فهوحينما يقول:

أمُعّيري بالوهم ...

لا وَهْمَ هناك ولا حقيقة.

فإنما يؤكد هذه المشاعر، ويؤكد من ورائها رفضه لكثير مما هو قائم من نظم سياسية، واجتماعية طبقية، وربما حتى عقائدية، وبالتالي فهويعبر عن أزمة حضارية خانقة. وحينما يقول الشاعر في موضع آخر من الديوان:

قلبي المليء بالهموم المشبعة

وروحي الخائفة المضطربة

ووحشة المدينة المكتئبة(٢)

فإنه لا يزيد على تأكيد جوالكآبة الذي استحكمت قبضته بالنفوس، و"اتصاف المدينة بالكآبة، يتضمن الوعي المغترب النابع –أساسا– من أزمة حضارية إنسانية، وقف أمامها عاجزاً، وترتبت عليها حساسية شعرية غلب عليها الشعور بالألم والاغتراب والتمزق"(٣).

---

(١) – أحمد كمال زكي : دراسات في النقد الأدبي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٠، ص ٢٤٧.

---

(١) ديوان علي بن أبي طالب، ص/١٥

(٢) ديوان علي بن أبي طالب، ص/٤٧

(٢) – صلاح عبد الصبور : الأعمال الشعرية الكاملة، ٥٠٢/٢.

(٣) – أحمد يوسف : تجليات القلق في شعر عبد الصبور، (مرجع سابق).." (١)

"فالأُطر المكانية التي يزدحم بها هذا المقطع، والمتنوعة ما بين العلوي/السفلي: (السماء وقرارة المحيط) و(الحضيض والعلاء)، والسماوي/ والمائي/ والترابي: (السماء، المحيط، الثرى)، والمفتوح المضيء/المغلق المظلم: (السماء، قرارة المحيط)، فهذه الأبعاد المكانية كفلت للشاعر –دون السقوط في المباشرة– التعبير عن رؤية مأساوية للحياة، وأبانت عن واقع مرعب يحاصر فيه الموت الإنسان من كل جانب، وفي أي مكان يحل به، فما دام قد أصبح (الحضيض) و(العلاء) سيان، و(الماء) و(الثرى) سواء، فلابد أن تكون الحياة كالفناء. فالمكان يمثل هنا عنصرا ضاغطا على الذات لإخراج ما في داخلها، وإسقاطه على المكان، كما أنه يحرك في الشاعر كوامن هذه الذات ويبين عن ما يراودها اتجاهه من مخاوف ليست إنسانية فقط، بل إنسانية –كونية، كامنة في اللاوعي البشري وتوهماته.

جـ- الخوف في المكان:

والشاعر المعاصر – وبخاصة الوافد من الريف مؤخرا – يعاين المكان بشعور خوفي حاد، وربما ليس لهذا الخوف من مبررات واقعية إطلاقا، وإنما قد يكون نتاج أو حصيلة جملة من التصورات والتخيلات، والتوهمات والمعتقدات الساذجة في ذات الريفي عن عجائبية المدينة وغرابتها وطرافتها، أتى محمَّلا بها من ريفه البسيط. ونعتقد أنها شعور إنساني طبيعي إزاء كل ما هو جديد وغير مألوف، هذا ما يجسده لنا الشاعر صلاح عبد الصبور في

قوله: (١)

قلبي المليء بالهموم المشبعة

وروحي الخائفة المضطربة

ووحشة المدينة المكتئبة

ويقول في موضع أخر: (٢)

أحس أني خائف

وأن شيئا في ضلوعي يرتجف

وأنني أصابني العي، فلا أبين

وأنني أو شك أن أبكي

وأنني

... ... سقطت

... ... في

... ... كمين

---

(١) دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص/٢٥٦

وتقول الشاعرة ربيعة جلطي: (٣)

ما الذي يحدث في هذه المدينة الراضية

أتحسس رأسي،

لا أحد يملك فروة رأسه

الشارع القانع مزعج

---

(١) – صلاح عبد الصبور: الأعمال الكاملة ٣/٥٠٢.

(٢) – شجر الليل، ص ٨.

(٣) – شجر الكلام، ص ٧٠.." (١)

"والنماذج من هذا القبيل في شعرنا المعاصر كثيرة، ولكن الشيء المؤكد –من هذا كله– هو أن الذات الشاعرة على الرغم من معايشتها الطويلة للمدينة، إلا أنها لم تستطع التكيف مع طبيعة مكانها. وأشد ما يتجلى هذا عند السياب، الذي كان ارتباطه بمكان الطفولة (جيكور)، ارتباطا صميميا، دائم المثول في وجدانه، بحيث كان بمثابة الأم –باعتبارها عصب الانتماء المشيمي إلى مكان الألفة الأول، وإلى وطن الرحم– بالنسبة له، بعدما وراها ثراه، لذلك لم يكن حضوره في المدينة سوى غياب مستمر عنها، بينما كان غيابه عن الريف حضورا دائما فيه. وغني عن البيان أن الغياب يستدعي الحضور –باعتبار كل شيء يحمل نقيضه– والخيال ينشط لاستدعاء (الهناك) المستقرة في الأعماق كلّما اشتدت المحاصرة وتكرس الإحباط في (الهنا). وهذا الاستدعاء الخيالي يتم من خلال الصورة؛ فهي التي تكفل للذات أن تتنفس في الطبيعة بحُرية. ولكن هذا لا يعني أن الصورة الشعرية في وضعها الأساسي، هي تعبير منتقى قَصَدَ به أن يدل على فكرة مجردة، حدد الشاعر معالمها سلفا ثم راح يتأمل الطبيعة من حوله ويختار أكثرها مناسبة لتصوير فكرته، بل إنها انبثاق تلقائي حر يفرض نفسه على الشاعر كتعبير وحيد عن لحظة نفسية انفعالية تريد أن تتجسد في حالة من الانسجام مع الطبيعة من حيث هي مصدرها البعيد الأغوار(١)، ومن حيث هي مكان بكر ساكن تستكين النفس إليه، ولذلك فهودائم التذكر لها والحلم بالعودة إليها يقول في قصيدته (في السوق القديم) بعدما يتطرق إلى معاناته في هذا السوق وغربته فيه(٢) :

الريح تعبث، في فتور **واكتئاب**، بالدخان،

وصدى غناء ..

ناء يذكر بالليالي المقمرات وبالنخيل؛

وأنا الغريب.. أظل أسمعه وأحلم بالرحيل...

---

(١) دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص/٣٠٤

(١) – حسين عبدالله محمد : الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة.

(٢) – بدر شاكر السياب : الديوان ١/٢٢.." [١]

" ومن لطائف مجونه قوله

(قال لي الواسع صف لي ... مثل ما أعرف وصفك)

(أين باب الخرق قل لي ... قلت باب الخرق خلفك)

ومن غرائب النكت قوله

(أبيات شعرك كالقصور ... ولا قصور بها يعيق)

(ومن العجائب لفظها ... حر ومعناها رقيق)

ومن بديع اختراعاته قوله

(قالوا قد احترقت بالنار راحته ... وهي الغمام ومنها الوابل الغدق)

(وقال قوم وما ضلوا وما همُوا ... بأنها النيل قلت النيل يحترق) ومن غريب نكته قوله

(بخالد الأشواق يحيي الدجا ... يعرف هذا العاشق الوامق)

(فخذ حديث الوجد عن جعفر ... من دمع عيني إنه الصادق) ومن بديع تغزله قوله

(يا مالكي ولديك ذلي شافعي ... وما لي سألت فما أجبت سؤالي)

(فوخدك النعمان إن بليتي ... وشكايتي من جفنك الغزال) ومن بديع غزله قوله

(أقول لمن جفنه سيفه ... ولكنه ليس يخشى نبوه)

(تكلف جفنك حمل الفتور ... وأخرج فيه من الضعف قوه) ومن نكته الغريبة قوله

(قلت لسقم الجسم مني وقد ... أفرط بي فرط ضنى **واكتئاب**)

(فعلت بي يا سقم ما لم يكن ... تلبس والله عليه الثياب) ." [٢]

"وكيف أحوز خلا من خيال ... وأطمع في شراب من سراب؟

سقى الله العراق وساكنيه ... بواكر مسبل داني الرباب

وخص بذاك ربعا، حل منه ... محل الخال من خد الكعاب

به خلفت قلبي يوم زمت ... على عجل، لفرقته، ركابي

فإن ظفر الزمان، بحد ظفر، ... بقلبي، أو بناب غير نابي،

فكم قد جاء بالعتبى فأغنى ... وأغنى عن مطاولة العتاب

إلام أبيت في طمع ويأس، ... وأصبح بين روح **واكتئاب؟**

---

(١) دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص/٣٥١

(٢) خزانة الأدب، ٢/٦٣

وأقتحم الظلام بلا دليل، ... وأعتسف البلاد بلا صحاب؟
ولي من جود عون الدين عون ... به يغنى المشيب عن الشباب
وطرف رجاي، عنه غير مغض ... وطرف نداه عني غير كاب
أقول لمشتكي الأزمان: صمتا، ... فبحر نواله طامي العباب
إذا ما البرق أخلف شائميه ... وضن بقطره جون السحاب
وأمحلت البلاد، وعد ظلما ... على ساري الدجى ظلم الوطاب
وعطلت القداح، فعدن غفلا ... وعريت الأكف من الرباب
وعطل موقد النيران ليلا، ... وبات بحر ألسنة الكلاب
وعز الفصد من عجف، وأمسى ... قرى الأضياف أكباد الضباب،
فسمعك للنداء إلى طهاةتذيل نفائس الردح الرحاب
لدى ملك منيع الجار، حامي ال ... ذمار، معظم، سامي القباب
ألا يا عاقر البدر العوالي ... إذا ضن الجواد بعقر ناب،
بدأت مؤمليك بلا سؤال، ... وقابلت الوفود بلا حجاب.
فما عذراء من جون الغوادي ... تهادى في سكون واضطراب،
تكاد تسح وجه الأرض، زحفا ... عليها، في دنو واقتراب
إذا سحت مدامعها بكاء ... تبسم ضاحكا زهر الهضاب
كأن على الثرى منها جمانا ... تنظمه الربا نظم السخاب،
بأغزر من نداك إذا توالى ... فأغنى وافديك عن الطلاب.
وما قاض على المهجات ماض ... بأرواح الكماة إلى ذهاب
إذا ما قابلته الشمس، أجرت ... بمتنيه شعاعا من لعاب
تقاسم خلفه ماء ونار ... أذيبا من صفاء والتهاب،
بأمضى من يراعك يوم روعتفل به الكتائب بالكتاب.
وما هصر أبو شبلين ضار ... يصول بمخلب وبحد ناب،
له نحض الفريسة حين تبدو ... وأعظمها لنسر أو عقاب
ترى جثث الكماة لديه صرعى ... معفرة الجباه على التراب
إذا ما غاب عن غاب، أحالت ... عليه من الطوى طلس الذئاب
فتصبح حوله الأشلاء نهبا ... مقسمة بأكناف الشعاب،
بأثبت منك جأشا في مقامينوب الرأي فيه عن الضراب.
وما عانية يهدي سناها ... لدى الظلماء ضلال الركاب،

تنفس عن نسيم من عبير، ... وتبسم عن ثغور من حباب
كأن كؤوسها ماء جماد ... يشف سناه عن ذهب مذاب،
بأحسن منك بشرا وابتساما،وأعذب من خلائقك العذاب.
فكيف ينال شأوك ذو فخار؟ ... وأين ذرا العقاب من العقاب؟
فضلت بني الزمان على ومجدا ... كما فضل الثواب على العقاب
وزير، دوخ الأملاك بأسا ... فقيدت بين طوع واغتصاب
وبز عزيزها، فعنت إليه، ... ولم تطمح لفوت من طلاب." (١)
"وذي صفاء ليس لي دونه ... سر صريح الود محض الحباب
قال لقد غيرت اسم التي ... سميتها في الشعر أخت الرباب
وهو كما قال ولكنني ... أراقب الغيران أي ارتقاب
وهني رداح الخلق خمصانة ... أحسن من جيبت عليه ثياب
تفتر عن مثل أقاح النقا ... غر الثنايا واضحات عذاب
إن وعدت لم يشفني وعدها ... هل ينقع الظمآن لمع السراب
ويحي وما ويح بمجد جدا ... فكل عيش وبقا في ذهاب
إن أنا لما أعظ أمنية ... قد لهجت نفسي بها فهي داب
لو قال لي ما تشتهي قائل ... لقلتها إما خطا أو صواب
عندي من الشيب القليل الذي ... أمسيت منه في عنا **واكتئاب**
فكيف لا كيف يكون العزا ... إن وقع النسر وطار العقاب
وكل شيء يتعزى الفتى ... عنه إذا ما فات إلا الشباب
أستغفر الله بديع العلى ... إليه أدعو وإليه مآب
من سيئات أثقلت كأهلي ... قد ملأ الكاتب منها الكتاب
يا ليت شعري هل ليالي الغضى ... آئبة أم ما لها من مآب
أيام إن يدع الهوى أستجب ... فاليوم ما عندي له من جواب
ما لي وغمر حاسد ينتحي ... عرضي بالغيب بظفر وناب
يغتابني ظلما وتأبى العلى ... من أن تراني في مقام اغتياب
لم يستطع مثلي صعود العلى ... فعاد يرميني بهجر السباب
فكنت كالنجم علا منزلا ... فكاده بالنبح بعض الكلاب

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١٥٦/١

يعدو على مالي جودي ولا ... تعدو عليه عاديات الذئاب

ولو جمعت المال أثرت يدي ... وآض لي مال عميم وثاب

وكيف ينمي المال من باذل ... طلابه الحمد ونعم الطلاب

فاز بما وطد من سؤدد ... وضل شانيه المعنى وخاب

وكنت إن خفت أذى من عدى ... بدلت سيفي مفرقا من قراب

ومنها في صفة السفينة:

يا أيها الرائح تنحو به ... هوجاء تنقض انقضاض العقاب

لم يرأم الفحل لمها في الفلا ... ولا عراضا لقحت في الضراب

ولا رعت حم ا ولا خلة ... يوما ولم تجتر بهمى العداب

ولا اعتقى الحالب أغبارها ... ولا رأت سقبا لها في السقاب

لا تشتكي الأين إذا ما اشتكت ... من الوجى الوجناء ذات الهباب

دهماء لم تلمس لها أشطرا ... كلبية قد عصبتها اعتصاب

تنساب والتيار ذو حومة ... مثل الحباب الصل فوق الحباب

طالت على العود بأعوادها ... والناب لكن ما لها قط ناب

بني حرام الصيد إن جئتهم ... بالبصرة الفيحاء ذات الرحاب

أبلغ سلامي قاسما إنه ... دعا فؤادي شوقه فاستجاب

أعني الحريري فوجدي به ... وجد الصدي الظامي ببرد الشراب

قد حل من قلبي على نأيه ... بين السويداء وبين الحجاب

سمعت بالبحر سماعا وقد ... يقال فيما قيل عنه عجاب

وقد رأيت الدر لا قيمة ... له وفي الدر الذي فيه عاب." (١)

"فتأمل عجبا من ناظر ... خائن يخبر عن قلب أمين

في سبيل الحب مني مهجة ... قتلت بين خدود وعيون

يئست أن تفتدى أفئدة ... أسرت بين فتور وفتون

وقلوب ملكتهن المها ... فاتكات بالنهى، ملك اليمين

جيرة ما زال قتلى دينها ... واعتصامي بمجير الدين ديني

وله من قصيدة في الشيب:

يا هند من لأخي غرام، ما جرى ... برق الثغور لطرفه إلا جرى

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢٥٨/١

أبكته شيبته وهل من عارض ... شمت البوارق فيه إلا أمطرا
لا تنكري وضحا لبست قتيره ... ركض الزمان أثار العثيرا
وله من قصيدة فيم جير الدين أيضا:
أتراك عن وتر وعن وتر ... ترمي القلوب بأسهم النظر
كيف السبيل إلى طلاب دمي ... والثأر عند معاقل الحور
هي وقعة الحدق المراض فمن ... جرح جبار أو دم هدر
تمضي العزائم حيث لا وزر ... وتفل دون معاقد الأزر
يا صاح راجع نظرة أمما ... فقد اتهمت على المها بصري
بكرت تطاعننا لواحظها ... فتنوب أعيننا عن الثغر
وتري مباسمها معاصمها ... مجلوة في لؤلؤ الثغر
لا لائم العشاق إنهم ... ليرون ذنبك غير مغتفر
أوما علمت بأنها صور ... جادت بأنفسها على الصور
ومدامة كالنار مطفئها ... غرض لها ترميه بالشرر
يجري الحباب على جاجتها ... والتبر خير مراكب الدرر
كالجمر تلفح كف حاملها ... فتظنه منها على خطر
والكأس والساقي إذا اقترنا ... فانظر إلى المريخ والقمر
عذلا على طربي بجائرة ... لولا مجير الدين لم تجر
وله في مدح مجير الدين من قصيدة:
أرى الصوارم في الألحاظ تمتشق ... متى استحالت سيوفا هذه الحدق
واويلتا من عيون قلما رمقت ... إلا انثنت عن قتيل ما به رمق
يا صاح دعني وما أنكرت من ولهي ... بان الفريق فقلبي بعدهم فرق
أما ترى أي ليث صاده رشأ ... وأي خرق دهاه شادن خرق
في معرك لذوات الدل لو شرقت ... بحره أنفس العشاق ما عشقوا
من كل شمس لها من خدرها فلك ... وبدر تم له من فرعه غسق
ومن كثيب تجلى فوقه قمر ... على قضيب له من حلة ورق
وغادة في وشاح يشتكي عطشا ... إلى حجول بها من ريها شرق
تبسمت والنوى تبدي الجوى عجبا ... من لوعة تحتها الأحشاء تحترق
وأنكرت لؤلؤ الأجفان حين طفا ... منها على لجة غواصها غرق
ومنها:

يا من لصب شجاه ليل صبوته ... لما تبسم هذا الأبيض اليقق

متى نهته النهى حنت علاقته ... إن الكريم بأيام الصبى علق

صاحبت عمري مسرورا ومكتئبا ... كذلك العيش فيه الصفو والرنق

وعشت أفتح أبوابا وأغلقها ... حتى سمت بي علا ما دونها غلق

فسرت مغتبق الإدلاج معتنقا ... ذرى عزائم من تعريسها العنق

لا أرهب الليل حتى شاب مفرقه ... وهل يخاف الدجى من شمسه أبق

وله فيه من قصيدة هي آخر ما أنشده في شعبان سنة ثمان وأربعين:

بين فتور المقلتين والكحل ... هوى له من كل قلب ما انتحل

توق من فتكتها لواحظا ... أما ترى تلك الظبا كيف تسل." (١)

"ولا تغلقن بحمل الهمو ... م باب السرور إذا ما انفتح

وإن خفت من عاتب فاستتر ... بليل الشباب إذا ما جنح

فتبا لدهر يعز اللئام ... وقدر الكرام به مطرح

ذلول إذا ما امتطاه الجهول ... وما رامه الحر إلا ممتدح

وقد طمست أوجه المكرمات ... وقد عطلت هجنها والصرح

ولا خير فيمن غدا طائعا ... للؤم ألم وبخل ألح

إذا بهرجته عقول الرجال ... وأخجله النقص لما افتضح

لئن قصرت خطوة الحظ بي ... فمالي عن همتي منتزح

وإن عد مفتخر فضله ... فبي يختم الفضل بل يفتتح

وكم للفضائل من خاطب ... وما كل خاطب بكر نكح

قال، وقلت:

لا تلق دهرك بالعتاب ... فعهوده ذات انقلاب

والبد إذا وثب الردى ... واصبر على مضض المصاب

فالدهر يخدع بالسرو ... ر كمثل تلميع السراب

ما جئته مستروحا ... إلا حصلت على اكتئاب

فإذا طلبت صفاءه ... فابشر بأنواع العذاب

لا تشكون فما يبا ... لي إن شكوت ولا يحابي

يا صاحبي ماذا يضر الأسد من حنق الذئاب

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٣٣٨/١

لولاك، غزلان الفلا ... ما هان مرتكب الصعاب

ألفت منازلة القلو ... ب فما تمل من الحراب

يدنو فيمنعه الحيا ... فيعود مسدول الحجاب

والبدر أحسن ما يكو ... ن إذا تنقب بالسحاب

لله عيش سالف ... واللهو موفور النصاب

وسرورنا مستيقظ ... فرح، وطرف الهم كاب

إذا نقلنا لثم الخدو ... د وشربنا خمر الرضاب

إذ نحن في جاه الصبا ... والعمر مجهول الحساب

فارحل عن الدنيا وجد ودع ملاعبة التصابي

دعها فقد جاء المشيب بعزل سلطان الشباب

ما اللهو بعد الأربعين وإن قدرت، بمستطاب

بعثت طلائعها المنو ... ن إليك مسرجة العراب

وقلت: لما ولي الملك السعيد رضي الله عنه لسيدنا الأجل عماد الدين أبي حامد محمد بن محمد، ابن أخي العزيز، الإشراف على ديوانه وسائر مملكته مضافا إلى ما كان يتولاه من ديوان الإنشاء، وكان قد ولد له ولد بعقب ذلك. ولم يتفق إنفاذها إليه في ذلك الوقت بسبب رحيل اتفق للملك السعيد ورحلنا معه في سنة ثمان وستين وخمسمائة. وهي محتاجة إلى تنقيح:

خان المحالف والمعاهد ... وجفا الموالي والمساعد

سهرت عيون فضائلي ... لكن طرف الحظ راقد

أخذ بصفقة تاجر ... طلب المقاصد بالقصائد

فاخر فإنك في زما ... نك صالح، والوقت فاسد

أوليس قومك معشر ... كانت عوائدهم عوائد

لا تتعب الحساب في ... عدد الكرام فأنت واحد

فلئن فخرت بمن مضى ... فلتفخرن بك المشاهد

فابشر بمولود يجدد ذكر آباء أماجد

ولد أتانا مخبرا ... في مهده عن خير والد

ما فت في عضد ولكن فت أكباد الحواسد

رفعت دموعي بعدكم ... مما أكابده جرائد

أين الذين نعدهم ... عند النوائب والشدائد

يلقوك في شوس الخطو ... ب مشمرين عن السواعد

نفقت ملابيس النفا ... ق وسوق أهل الفضل كاسد

رفعت دواوين الكفا ... ة وخلخلت منها القواعد

واستبهمت حتى لقد ... أيس المعلل والعوائد." (١)

"وقفنا وللألحاظ في معرك النوى ... سهام غرام في القلوب وقوعها

ومنها:

وبيض أعاضتني نواها بمثلها ... ألا رب بيض لا يسر طلوعها

خلعت لها برد الصبا عن مناكبي ... وعفت الهوى لما علاني خليعها

وقوله كتبها إلى والده يتشوقه:

شوقي على طول الزما ... ن يزيد في مقداره

وجوى فؤادي لا يق ... ر وكيف لي بقراره

والقلب حلف تقلب ... وتحرق في ناره

والطرف كالطرف الغر ... يق يعوم في تياره

وتأسفي وتلهفي ... باق على استمراره

من ذا يرق لنازح ... عن أهله ودياره

لعب الزمان بشمله ... وقضى ببعد مزاره

فالسقم من زواره ... والهم من سماره

والصبر من أعدائه ... والدمع من أنصاره

وهمومه مقصورة ... أبدا على تذكاره

وقوله إلى القاضي الأجل الأشرف ابن البيساني متولي الحكم بعسقلان:

لعل تحدر الدمع السفوح ... يسكن لوعة القلب القريح

وعل البرق يروي لي حديثا ... فيرفعه بإسناد صحيح

ويا ريح الصبا لو خبرتني ... متى كان الخيام بذي طلوح

فلي من دمع أجفاني غبوق ... تدار كؤوسه بعد الصبوح

وأشواق تقاذف بي كأني ... علوت بها على طرف جموح

ودهر لا يزال يحط رحلي ... بمضيعة ويرويني بلوح

كريم بالكريم على الرزايا ... شحيح حين يسأل بالشحيح

وأيام تفرق كل جمع ... وأحداث تجيز على الجريح

فيا لله من عود بعود ... ومن نضو على نضو طليح

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٣٧١/١

وأعجب ما منيت به عتاب ... يؤرق مقلتي ويذيب روحي

أتى من بعد بعد **واكتئاب** ... وما أنكى الجروح على الجروح

وقد أسرى بوجدي كل وفد ... وهبت بارتياحي كل ريح

سلام الله ما شرقت ذكاء ... وشاق حنين هاتفة صدوح

على تلك الشمائل والسجايا ... وحسن العهد والخلق السجيح

على أنس الغريب إذا جفاه ال ... قريب ومحتد المجد الصريح

على ذي الهمة العلياء والمن ... ة البيضاء والوجه الصبيح

ومنها:

صفوح عن مؤاخذة الموالي ... وليس عن الأعادي بالصفوح

همام ليس يبرح في مقام ... كريم، أو لدى سعي نجيح

حديد الطرف في فعل جميل ... وقور السمع عن قول قبيح

مددت إليه يدي فشد أزري ... وذاد نوائب الدهر اللحوح

وفزت بوده بعد ارتياد ... ولكن صدني عنه نزوحي

وما أدركت غايته بنظمي ... ولو أدركت غاية ذي القروح

ولكني وقفت على علاه ... عتادي من ثناء أو مديح

وقوله من قصيدة:

إلام ألوم الدهر فيكم وأعتب ... وحتام أرضى في هواكم وأغضب

أما من خليل في الهوى غير خائن ... أما صاحب يوما على النصح يصحب

بأية عضو ألتقي سورة الهوى ... ولي جسد مضنى وقلب معذب

عذيري من ذكرى إذا ما تعرضت ... تعرض لاح دونها ومؤنب

ومنها:

أرى الدهر عونا للهموم على الفتى ... وضدا له في كل ما يتطلب

فأبعد شيء منه ما هو آمل ... وأقرب شيء منه ما يتجنب." (١)

"وقد يحسب الإنسان ما ليس مدركا ... كما يدرك الإنسان ما ليس يحسب

وقوله من قصيدة كتبها إلى والده سنة ثلاث وأربعين:

ظن النوى منك ما ظن الهوى لعبا ... وغره غرر بالبين فاغتربا

فظل في ربقة التبريح مؤتشبا ... من مات من حرقة التوديع منتحبا

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١/٢

متيم في بني كعب به نسب ... لكنه اليوم عذري إذا انتسبا

أجاب داعي النوى جهلا بموقعها ... فكان منها إلى ما ساءه سببا

يا عاتبي رويدا من معاتبتي ... فلست أول مخط في الورى أربا

ردا حديث الهوى غضا على وصب ... يكاد يقضي إذا هبت عليه صبا

وجددا عهده بالسمع عن حلب ... فإن أدمعه لا تأتلي حلبا

ومنها:

لله قلبي ما أغرى الغرام به ... وحسن صبري لولا أنه غلبا

يا قاتل الله عزما كنت أذخره ... رزيته في سبيل الحب محتسبا

إذا تفكرت في أمري وغايته ... عجبت حتى كأني لا أرى عجبا

ومنها:

أستودع الله أحبابا أشاهدهم ... بعين قلبي وليست دارهم كثبا

أصبحت لا أرتجي من بعد فرقتهم ... خلا أفاوضه جدا ولا لعبا

فإن سررت فإني مضمر حزنا ... أو ابتسمت وجدت القلب مكتئبا

وقوله:

قالوا تركت الشعر قلت لهم ... فيه اثنتان يعافها حسبي

أما المديح فجله كذب ... والهجو شيء ليس يحسن بي

وقوله في كسر الخليج بمصر:

حبذا كسر الخليج ... وهو ذو مرأى بهيج

حبذا ما نحن فيه ... من دعاء وضجيج

والشواني فيه تجري ... كالصياصي في النسيج

نحن في جو سماء ... ما لديها من فروج

كبدور في بروج ... أو سطور في دروج

أو زهور في مروج ... أو ملوك في سروج

وله منها في المدح:

قلت إذ أقبل كالد ... ري في الليل الدجوجي

ما رأينا قط بحرا ... سائرا نحو الخليج

وقوله من قصيدة:

من لي بأحور قربي في محبته ... كالبعد، لكن رجائي منه كالياس

مستعذب جوره فالقلب في يده ... معذب، ويدي منه على راسي
ودعته من بعيد ليس من ملل ... لكن خشيت عليه حر أنفاسي
وقوله:
ما ضرهم يوم جد البين لو وقفوا ... وزودوا كلفا يودي به الكلف
تخلفوا عن وداعي ثمت ارتحلوا ... وأخلفوني وعودا ما لها خلف
ومنها:
أستودع الله أحبابا ألفتهم ... لكن على تلفي يوم النوى ائتلفوا
تقسموني، فقسم لا يفارقهم ... أين استقلوا وقسم شفه الدنف
عمري لئن نزحت بالبين دارهم ... عني فما نزحوا دمعي ولا نزفوا
يا حبذا نظرة منهم على وجل ... تكاد تنكرني طورا وتعترف
وتوفي أبو علي بن أبي جرادة بالقاهرة في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.
أخوه:
القاضي الأعز أبو البركات بن أبي جرادة
كان أمينا على خزانة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر وهو عدلها، وبيده عقدها وحلها، إلى أن توفي بعد سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ووجدت من شعره في ديوان أخيه من قصيدة كتبها إليه بمصر:
يمينا بما ضمت غداة المحصب ... جنوب منى من ذي بطاح وأخشب
ومنها:
وشعث على شعث كأن وجوههم ... شموس نهار أو أهلة غيهب." (١)
"والله لو لم تكن من أعظم خلقت ... ما كنت أحسبها إلا حصى برد
ومن فتور الحيا في لحظها مرض ... تشفى به الأعين المرضى من الرمد
شبيهة الظبية العجماء قاتلتي ... عمدا، وليس على العجماء من قود
متى تحيا بلاد بالشآم أقل ... حييت يا آمد السوداء من بلد
إن أكبدتني هموم أمرضت هممي ... فإنما خلق الإنسان في كبد
إن كادني أحد لم أشك منه، بلى ... أشكو إليه ولا أشكو إلى أحد
قال في تاريخه: وأنشدني أبو علي الآمدي لنفسه ببرفطا:
من هاؤلياء الظباء العين ... حقا فلي شك بها ويقين
وكأنما تلك الهوادج فوقها ... صدف وهن اللؤلؤ المكنون

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٢

فالحسن من فوق الرحال منضد ... والخيل من تحت الرجال عرين
كحلى العيون وما اكتحلن بإثمد ... يوما ولا رمدت لهن جفون
ولقد أغض الطرف يوم يلوح لي ... في الريط من برق الجسوم غضون
من بعد ما قد لاح لي فوق الطلى ... أقمار ليل تحتهن غصون
والقلب يرمقها بعين بصيرة ... ومن البصائر في القلوب عيون
ضنت بماعون السلام ولو سخت ... فكثير ما يسخو به ماعون
في لحظها من كل غنج فترة ... وفتور لحظ الغانيات فتون
وديار بكر كان لي زمنا بها ... أبكار لهو تستفيض وعون
لا غرو أن رزقت هواك على الصبا ... تلك المعاقل والقباب الجون
يا حبذا تلك القلاع وحبذا ... تلك البقاع وحبذا ليسون
هل أنت يا بغداذ أحسن منظرا ... أم آمد السوداء أم جيرون
عجبا لطول الحين كيف يروقني ... والحين يجلبه إلي الحين
يا هل تبلغني إليها جسرة ... وجناء صادقة الوجيف أمين
كذا روي وأنا أظن أن الصواب أمون
الكامل أبو المكارم محمد بن الحسين الآمدي
أبا حسن كففت عن التقاضي ... بوعدك لاعتصابك بالمطال
ومن ذم السؤال فلي لسان ... فصيح دأبه حمد السؤال
جزى الله السؤال الخير إني ... عرفت به مقادير الرجال
أبو طالب إبراهيم بن هبة الله بن علي بن عبد الله بن أحمد بن الحسن
الدياري
من أهل ديار بكر، كان فقيها نبيها، محترما وجيها، عفيفا نظيفا، ظريفا لطيفا، فاضلا مناظرا، صالحا، لله ذاكرا، دائم التلاوة للقرآن، كثير الخشية من الرحمن، ذكره السمعاني في كتابه، وأثنى عليه وعلى آدابه، وقال إنه ورد بغداد وأقام بها مدة، وخرج إلى خراسان وأقام ببلخ عند أبي المعالي ابن شهفور، وكان معيد درسه، وتوفي بها في أوائل محرم سنة وثلاثين وخمسمائة، قرأت في تاريخ السمعاني أنشدنا عمر أبي حسن الإمام ببلخ أنشدنا أبو طالب الديار بكري قال:
طلبت في الحب نيل الوصل بالخلس ... فنال هجرك مني نيل مفترس
فلو تسامحت بالشكوى إلى أحد ... لفاض دمعي وغاض البحر من نفسي
وصرت لا أرتضي حسنا يجاوزهم ... فأورثوني عمى أدهى من الطمس
وقرأت في تاريخه: أنشدنا أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الجياني ببلخ أنشدنا أبو طالب الدياري لنفسه:

إني لأذكر حسادي فأرحمهم ... لما يلاقون من هم ومن كرب

أسهرتهم يذكروني في كآبتهم ... ونمت ملء جفوني غير **مكتئب**." (١)

"رود ترود حمى قلبي وتشرب من ... دمعي وتسكن من صدري إلى حرم

نادت محاسنها العشاق معلنة ... أن المنى والمنى في مقلتي وفمي

فما احتكمت وعينيها إلى فمها ... إلا شغلت عن الخصمين بالحكم

غراء كالدرة البيضاء تحجبها ... أستار بحر بماء الموت ملتطم

تهوى فتهوي المنى دون اللحاق بها ... أفديك من أمم أعيا على الأمم

زارت فأيقظت صوبي في زيارتها ... ليقظتي وندبت الحلم للحلم

آليت أسأل إلمام الخيال ولي ... عين وقد ظعن الأحباب لم تنم

كأنني بهم أقسمت لا طمعت ... طيب الكرى فأبرت مقلتي قسمي

وكيف لي يوم ساروا لو صحبتهم ... من المطايا ورأسي موضع القدم

بانوا فربع اصطباري منذ بينهم ... بال كربعهم البالي بذي سلم

وا وحشتي إذ أنادي في معالمهم ... صما تجيب بما يشفي من الصمم

يشكو صداها إلى عيني فتمنحها ... دمعا إذا فاض أغناها عن الديم

وكلما قال صحبي طال موقفنا ... فارحل بنا قالت الآثار بل أقم

منازل كلما طال البعاد عفت ... كأنما تستمد السقم من سقمي

قفوا فأقوى غرامي ما يجدده ... برسمه طلل أقوى على القدم

قل للألى غرهم حلمي ونقصهم ... إياكم وطريق الضيغم اللحم

فالحلم جفن وإن سلت حفيظته ... فربما كشفت عن صارم خذم

وله قصيدة طائية على وزن قصيدة المعري وقد أثبتها جميعها لإثبات أخواتها من أشعار أهل العصر كتب بها إلى الرئيس أبي طالب الحسين بن محمد بن الكميت وهي:

أعذلك هذا أن رأيتهم شطوا ... وفي الآل إذ غطوا هوادجهم غطوا

لئن قوضت فاراتهم وتحملوا ... لقد نصبت في خاطري وبه حطوا

فلا تحسبن الشحط يذهل عنهم ... فأقرب ما كانوا إذا اعترض الشحط

رضيت بمن أهوى فدام لي الرضا ... وتسخطه مني فدام لك السخط

رأيت الألى كلفتني الصبر عنهم ... بهم قسمي ما إن تناسيتهم قط

هم سوموا ليلي وصبحي كتائبا ... من الروم تغزوني و تخلفها الزط

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٦٧/٢

فأعجب مني كيف أغتر بالهوى ... وأسأله قسطا وما شأنه القسط

وعن رغبة حكمت في القلب جائرا ... فشكواي منه القسط في حكمه، قسط

نصحتكم لا تركبوا لجج الهوى ... ألا إن بحر الحب ليس له شط

بسقط اللوى أبكى امرأ القيس منزلوليس اللوى داء ابن حجر ولا السقط

لقيت برهطي كل خطب تدافعوا ... فحين لقيت الحب أسلمني الرهط

وأربط جأشي عند كل عظيمة ... تلم ويوم البين ينتكث الربط

ولما أذاعوا ما أسروا من النوى ... وظلت على العشاق أحداثها تسطو

كتبنا على صحف الخدود بمذهب ... وكان من الأجفان بالحمرة النقط

ومقتبس سقطا أشرت إلى الحشا ... وجاحمها لما تعذرت السقط

أحل رياض الحزن مكتئب الحشاوقلبي بحيث الأثل والسدر والخمط

تعلق بالقرط المعلق قائلا ... سكوني محال كلما اضطرب القرط." (١)

"دفعت لها عقلي وديني مقدما ... فقالت وجنات النعيم مؤجلي

وقال في جارية في خدها ماسور:

بنفسي فتاة يكتب الغصن إن مشت ... إلى قدها المياس: من عبد عبدها

ولي جسد ما زال مأسور صدها ... إلى أن حكى في السقم ماسور حدها

أشبه ذاك الخد منها بجمرة ... وشابورة الماسور طابع ندها

وقال يمدح الأجل الفاضل ويشكره على عيادته له في مرضه:

رأيت طرفك يوم البين حين همى ... والدمع ثغرا وتكحيل الجفون لمى

فاكفف ملامك عني حين ألثمه ... فما تشككت أني قد رأيت فما

لو كان يعلم مع علمي بقسوته ... تألم القلب من وخز الملام لما

رنا إلي فقال الحاسدون رنا ... وما أقول رنا لكن أقول رمى

رمى فأصمى ولو لم يرم مت هوى ... أما ترون نحولي في هواه أما

وبات يحمي جفوني من طروق كرى ... ولم أر الظبي منسوبا إليه حمى

وصاد طائر قلبي يوم ودعني ... يا كعبة الحسن مذ أحللته حرما

يا كعبة ظل فيها خالها حجرا ... كم ذا أطوف ولا ألقاه مستلما

مذ شف جسمي من نار الغرام ضنا ... لاح الشعاع على خديه مضطرما

وشف كأس فم منه لرقته ... فلاح فيه حباب الثغر منتظما

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٧٨/٢

يا كسرة الجفن لم أسموك كسرته ... وجيشه بك للأرواح قد غنما

وكم أغرت على الأرواح ناهبة ... إن كان ذلك عن جرم فلا جرما

مولاك فاق ملاح الخلق قاطبة ... فهو الأمير وقد أضحوا له حشما

أقول والريح قد شالت ذؤابته ... أصبحت فيهم أميرا أم لهم علما

شكرت طيفك في إغباب زورته ... لأن مثلي لا يستسمن الورما

ولست أطلب منه رفده أبدا ... لأن ذا الحلم لا يسترفد الحلما

لكن عهدا قديما منك أطلبه ... وربما نسي العهد الذي قدما

وازداد حبك أضعافا مضاعفة ... وربما صغر الشيء الذي عظما

ولست أنكر لا ريبا ولا تهما ... من يعرف الحب لا يستنكر التهما

ولست أتبع حبي بالملام كما ... لا يتبع ابن علي بره ندما

ذاك الأجل الذي تلقى منازله ... فوق السماء وتلقى داره أمما

أغنى وأقنى وأعطى سؤل سائله ... وأوجد الجود لما أعدم العدما

وقصر البحر عنه فهو مكتئب ... أما تراه بكفي موجه التطما

وولت السحب إذ جارته باكية ... أما ترى الدمع من أجفانها انسجما

ولو رأى ابن أبي سلمى مواهبه ... رأى جدا هرم مثل اسمه هرما

ولو أعار شماما من خلائقه ... حلما لأبصرت في عرنينه شمما

ومذ رأيت نفاذا في يراعته ... رأيت بالرمح من أخبارها صمما

إذا امتطى القلم العالي أنامله ... حلى الطروس وجلى الظلم والظلما

قضى له الله مذ أجرى له قلما ... بالسعد منه وقد أجرى به القلما

ذات العماد يمين قد حوت قلما ... هو العماد لملك قد حوى إرما

يريك في الطرس زهر الأفق زاهرة ... وقد ترى فيه زهر الروض مبتسما

ويرقم الوشي فيه من كتابته ... وما سمعنا سواه أرقما رقما

سطوره ومعانيه وما استترت ... هن الستور وهذي خلفهن دمى." (١)

"يا منصفا في كل أحواله ... لا تخرج الإنصاف عن رسمه

هب أنني أبديت جرما وقد ... يعتذر الإنسان من جرمه

قد كثر القيل وحاشاك أن ... تسمع قول الخصم في خصمه

انظر إلى الباطن من أمرنا ... فراحة العالم في علمه

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٢٣٦

فإن رأيت الحق حقي فلا ... تمكن الظالم من ظلمه

وقوله:

إن بين الكرى وأجفان عيني ... مثل ما بين وصل حبي وبيني

ولقد أوجب الهوى بعد صبري ... مثل ما أوجب النوى قرب حيني

زعم اللائمون أن سقامي ... شين جسمي فليت لوني شيني

لي ديون على الحبيب كثير ... وأرى حظي المطال بديني

أنا من كثرة الصدود مليء ... غير أني في الوصل صفر اليدين

وقوله:

أنا بالصبر فيه لا الصبر عنه ... تحت حكم الهوى بما جاء منه

قد صفت في محبة لم أكدر ... ها وعهد مقدم لم أخنه

فاعتراني الصدود إن زال حبي ... وحرمت الوصال إن لم أصنه

قد تمنيت أن تكون وصولا ... فتفضل به علي وكنه

كل حب له إذا نظر النا ... ظر كنه وما لحبي كنه

وقال:

تريد الهوى صرفا من الضر والبلوى ... لعمرك ما هذي قضية من يهوى

إذا لم يكن طرف المحب مسهدا ... وأدمعه تجري فهذا هو الدعوى

ولا حب إلا أن ترى كلفة الهوى ... ألذ من المن المنزل والسلوى

وحتى ترى القلب القريح من الهوى ... يمانعه الصبر الجميل من السلوى

رعى الله من أعطى المحبة حقها ... وإن لم يكن فيها من الأمر ما يقوى

ونقلت له من مجموع آخر هذه المقطعات الموشعا ت ورأيت إثبات ما به من الأبيات قال:

يا من يتيه على الزمان بحسنه ... اعطف على الصب المشوق التائه

أضحى يخاف على احتراق فؤاده ... أسفا لأنك منه في سودائه

وقال:

يا حادي العيس اصطبر ساعة ... فمهتجي سارت مع الركب

لا تحد بالتفريق عن عاجل ... رفقا بقلب الهائم الصب

لو كنت تدري ما احتكام الهوى ... وجوره من تلف القلب

رثيت لي مما يجن الحشا ... من شدة الهجران والكرب

وقال:

والله لولا أن ذكرك مؤنسي ... ما كان عيشي بالحياة يطيب

ولئن بكت عيني عليك صبابة ... فلكل جارحة عليك نحيب

أتظن أن البعد حل مودتي ... إن بان شخصك فالخيال قريب

كيف السلو وقد تمكن في الحشا ... وجد على ما في الفؤاد رقيب

وإليك قد رحل الهوى بحشاشتي ... والسقم مشتمل وأنت طبيب

وقال:

يا من يصارمني بلا سبب ... مهلا فإن هواك برح بي

انظر إلى رمق تجيل به ... أيدي الهوى أنفاس **مكتئب**

واسمح بحسن العطف منك لمن ... غادرته وقفا على العطب

قد فل صبري فيك منهزما ... لا ينثني وهواك في الطلب

وقال:

حاولت وصلكم فعز المطلب ... وذهبت أسألكم فضاق المذهب

لا تعتبوا أني تشكيت الهوى ... ردوا علي تصبري ثم اعتبوا

أثبتم غدرا وما أنا غادر ... وجعلتم ذنبا ما أنا مذنب

إني لأعجب من تحملي الهوى ... وبقاء جسمي بعد ذلك أعجب." (١)

"أمثلي يا فدتك نفسي يجفى ... ويصرف عنه وجه الود صرفا

كتبت فلم تجبني عن كتابي ... ولم يعد الرسول علي حرفا

فآها ثم آها ثم آها ... وأفا ثم أفا ثم أفا

وله من قطعة يستدعي بعض إخوانه:

عندي الذي تتمنى ... عندي الذي تشتهيه

وما يتم سرور ... إلا إذا كنت فيه

وقوله:

تأمل إن في اسمك شر معنى ... وقد يدري الغرائب مبتغيها

لئن سموك يعلى ما أرادوا ... بفتح الياء إلا الضم فيها

وقوله:

صبرت على سوء أخلاقه ... زمانا أقدر أن يصلحا

فلما تزوج قاطعته ... لأني تخوفت أن ينطحا

وقوله:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٣١٦

إذا سبك إنسان ... فدعه يكفك الرب

ولا تنبح على كلب ... إذا ما ينبح الكلب

وقوله:

يقرب قوله لك كل شيء ... وتطلبه فتبصره بعيدا

فما يرجو الصديق الوعد منه ... ولا يخشى العدو له وعيدا

طابق ثلاثة بثلاثة في هذا البيت.

وقوله:

قاطعت عمران ولم أستطع ... صبرا على أشياء ليست تليق

فالكف إن حلت بها آفة ... يقطعها المرء فكيف الصديق

وقوله في التصوف:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ... ولا بكاؤك إن غنى المغنونا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب ... ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا

بل التصوف أن تصفو بلا كدر ... وتتبع الحق والقرآن والدينا

وأن ترى خائفا لله ذا ندم ... على ذنوبك طول الدهر محزونا

وقوله في الزهد:

لو قلت لي أي شيء ... تهوى لقلت خلاصي

الناس طرا أفاع ... فلات حين مناص

نسوا الشريعة حتى ... تجاهروا بالمعاصي

فشرهم في ازدياد ... وخيرهم في انتقاص

حتى يوافوا المنايا ... فيؤخذوا بالنواصي

يا ويحهم لو أعدوا ... لهول يوم القصاص

أبو الحسن

علي بن الحسن ابن الطوبي

ذكر أنه إمام البلغاء، وزمام الشعراء، مؤلف دفاتر، ومصنف جواهر، ومقلد دواوين، ومعتمد سلاطين، سافر الى الشرق، وحل منه في الأفق، وكان في زمان المعز بن باديس عنفوانه، وله فيه قصيدة رصع بها ديوانه:

أجارتنا شدي حزيمك للتي ... هي الحزم أو لا تعذلي في ارتكابها

وكفي فإن العذل منك زيادة ... علي كفى نفسي الحزينة ما بها

ومنها:

وإما المنى أو فالمنية إنها ... حياة لبيب لم ينل من لبابها

وهل نعمة إلا ببؤسي وإنما ... عذوبة دنيا المرء عند عذابها

سآوي الى عز المعز لعله ... سيأوي لنفس حرة واكتئابها

إليك معز الدين وابن نصيره ... حملت عقود المدح بعد انتخابها

وأثواب حمد حكت أثواب وشيها ... على ثقة مني بعظم ثوابها

وله من قصيدة:

أجارتنا إن الزمان لجائر ... وإن أذاه للكرام لظاهر

أجارتنا إن الحوادث جمة ... ومن ذا على ريب الحوادث صابر

أجيراننا إن الفؤاد لديكم ... لثاو وإن الجسم عنكم لسائر

أأترك قلبي عندكم وهو حائر ... وآخذ طرفي منكم وهو ساهر

كذا يغلب الصبر الجميل كما أرى ... ويخسر في بيع الأحبة تاجر

وله:

أعددت للدهر إن أردت حوادثه ... عزما يحل عليه كل ما عقدا

وصار ما تتخطى العين هزته ... كأنما ارتاع من حديه فارتعدا

وذابلا توضح العليا ذبالته ... كأنها نجم سعد لاح منفردا

ونشرة ليس للريح المضي بها ... إلا كما عرضت للنهي فاطردا

وسابحا لا تروع الأرض أربعه ... كأنه ناقد مالا قد انتقدا

فداك مال متى يحرزه وارثه ... فخير ما وجد الإنسان ما وجدا

وله:." (١)

"لها في الجو وكر لم ... ترم عنه ولم ترحل

فما ترقى مع النسر ... ولا تهوي مع الأجدل

عوان نكحت دهرا ... فلم تعلق ولم تحبل

نشبت بها دهرا ... في ساحتها أنزل

وواصلت مراسيها ... ولكن كنت من أسفل

فلما أن أصبت الما ... ء صب العارض المسبل

تنحيت ولم أستح ... ي من فعلي ولم أخجل

وثبت .... ولم أعي ولم أنكل

وقوله:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٤٠٥

حجبت مسامعه عن العذال ... وأبى فليس عن الغرام بسال

ويح المتيم لا يزال معذبا ... بخفوق برق أو طروق خيال

وإذا البلابل بالعشي تجاوبت ... بعثت بأضلعه جوى البلبال

وا رحمتا لمعذب يشكو الجوى ... بمنعم يشكو فراغ البال

نشوان من خمرين: خمر زجاجة ... عبثت بمقلته وخمر دلال

كالريم إلا أن هذا عاطل ... أبدا وذا في كل حال حالي

لا يستفيق وهل يفيق بحالة ... من ريق فيه سلافة الجريال

علم العدو بما لقيت فرق لي ... ورأى الحسود بليتي فرثى لي

يا من برى جسمي بطول صدوده ... هلا سمحت ولو بوعد وصال

قد كنت أطمع فيك لو عاقبتني ... بصدود عتب لا صدود ملال

وقوله، وذلك مما أنشدنيه الفقيه نصر بن عبد الرحمان الإسكندراني الفزاري ببغداد، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن الحسن بن معبد القرشي بالإسكندرية، قال: أنشدني أبو الصلت لنفسه بالمهدية سنة تسع وخمسمائة في داره يصف فرسا:

وأشهب كالشهاب أضحى ... يلوح في مذهب الجلال

قال حسودي وقد رآه ... يخب خلفي الى القتال

من ألجم الصبح بالثريا ... وأسرج البرق بالهلال

قال: قال أمية: عملت هذه قبل أن أسمع بشعر ابن خفاجة الأندلسي في لاميته، له منها:

أشهب اللون أثقلته حلي ... خب فيهن فهو ملقي الجلال

فبدا الصبح ملجما بالثريا ... وسرى البرق مسرجا بالهلال

فما أعجب توارد خاطريهما، وهما في زمان واحد، في بلدين متباعدين.

وقوله في كاتب:

ومجيد في النظم والنثر فذ ... لست تدري ألفظه الدر أم لا

ظل يملي فكان أبلغ ممل ... بهر السمع حكمة حين أملى

وقوله:

أقول لمسرور بأن ريع سربنا ... وصوح مرعانا وزلت بنا النعل

لنا حسب إن غالنا الدهر مرة ... وزلت بنا نعل فإنا به نعلو

وقوله في الحث على الكسب والحركة:

لا تقعدن بكسر البيت مكتئبا ... يفنى زمانك بين اليأس والأمل

واحتل لنفسك في شيء تعيش به ... فإن أكثر عيش الناس بالحيل

ولا تقل إن رزقي سوف يدركني ... وإن قعدت فليس الرزق كالأجل

وقوله:

لا ترج في أمرك سعد المشتري ... ولا تخف في فوته نحس زحل

وارج وخف ربهما فهو الذي ... ما شاء من خير ومن شر فعل

وقوله:

رمتني صروف الدهر بين معاشر ... أصحهم ودا عدوا مقاتل

وما غربة الإنسان في بعد داره ... ولكنها في قرب من لا يشاكل

وقوله في ثقيل:

لي جليس عجبت كيف استطاعت ... هذه الأرض والجبال تقله

أنا أرعاه مكرها وبقلبي ... منه ما يتلف الحياة أقله

فهو مثل المشيب أكره مرآ ... ه ولكن أصونه وأجله

الميم وقوله:

كبد تذوب ومقلة تدمى ... فمتى أطيق للوعتي كتما

يا تاركي غرضا لأسهمه ... إذ لم تخف دركا ولا إثما

زدني جوى بل استزدك جوى ... وإذا ظلمت فعاود الظلما

فالحب أعدل ما يكون إذا ... صدع الفؤاد وأنحل الجسما." (١)

"لله هيفاء قدمتها ... هيفاء كالغصن في التثني

إشراقها والضياء منها ... وحرها والدموع مني

جاءت بها ساطع سناها ... يرفع سجف الظلام عني

وقوله من قصيدة:

أقصرت من كلفي بالخرد العين ... فما الصبابة من شغلي ولا ديني

ورب أكلف قد طال الثواء به ... في بيت أشمط من رهبان جيرون

يممت ساحته بالشهب من نفر ... بيض وجوههم شم العرانين

ثم انتحيت له أستام ذروته ... بمرهف الحد ماضي الغرب مسنون

فانصاب منه على كفي غبيط دم ... كأنه سرب من جوف مطعون

دم من الراح مسفوك بمعركة ... يغادر الشرب صرعى دون تجنين

أيام لهو ولذات جريت بها ... مرخي الأعنة في تلك الميادين

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٤٥١/٢

أستنزل البدر من أعلى منازله ... وأقنص الظبي من بين السراحين

ثم ارعويت فلم أعط الهوى رسني ... وانجاب عني فلم أتبع شياطيني

وقوله:

جرد معاني الشعر إن رمته ... كيما توقى اللوم والطعنا

ولا تراع اللفظ من دونها ... فاللفظ جسم روحه المعنى

وقوله في وصف كتاب وصل إليه:

وافى كتابك قد أودعته فقرا ... شكا افتقارا إليه لفظ سحبانا

نظما ونثرا تكافا الحسن بينهما ... حتى لخلتهما شكرا وإحسانا

ومنها:

لله أي كتاب زار مكتئبا ... منه وحر كلام زار حرانا

ولم أكن حيث بستان ولا نهر ... فزار لحظي وفكري منه بستانا

أرى قوافيه أطيارا مغردة ... بألسن الحمد والأبيات أغصانا

أجل وأقطف من ميماته زهرا ... إذا وردت من الصادات غدرانا

زهر تقيم على الأيام جدته ... وإنما توجد الأزهار أحيانا

من كل لفظ كماء المزن يوسعني ... ما شئت ريا ولا أنفك ظمآنا

وقوله في ذم الدهر:

ساد صغار الناس في عصرنا ... لا دام من عصر ولا كانا

كالدست مهما هم أن ينقضي ... عاد به البيدق فرزانا

الهاء وقوله يصف منزلا في قصر:

منزل ودت المنازل في أع ... لى ذراها لو أنها إياه

فأجل فيه لحظ عينيك تبصر ... أي حسن دون القصور حواه

سال في سقفه النضار ولكن ... جمدت في قراره الأمواه

ومنها:

منظر يبعث السرور ومرأى ... يذكر المرء طيب عصر صباه

طاب ممساه للعيون فأكد ... طيبه بالصبوح في مغداه

وأدرها سلافة كدم الخش ... ف لجفن السرور عنها انتباه

من يدي كل فاتن اللحظ عينا ... ه على فعل كأسه عوناه

ريم قفر بل ريم قصر، شغاف ال ... قلب مأواه والحشا مرعاه

قوبل الحسن فيه فاختصرت خص ... راه عمدا وأذرفت عيناه

وقوله:

أسلفتني الغرام سالفتاه ... وأطرت عني الكرى طرتاه

وأعانت وجدي على الصبر عينا ... ه فويحي مما جنت عيناه

رشأ ورده المدامع والأض ... لع مأواه والحشا مرعاه

لم يعدني بالوصل يوما فأخشى ... بتمادي الصدود أن ينساه

وقوله في وصف فرس:

وخير ذخائر الأملاك طرف ... يروق الطرف حين يجول فيه

ترى ما بينه والخيل طرا ... كما بين الروية والبديه

وقوله في أمرد التحى فقبح:

قد صوحت نرجستا مقلتيه ... واصفر ذاك الورد من وجنتيه

وكان قيد اللحظ في حسنه ... فصار لا يوما بلحظ إليه

قد مسخت صورته لحية ... أفرغ منها كل ذل عليه." (١)

"إذا هدم الناس المعالي شادها ... ولن يستوي الباني ومن شأنه الهدم

وإن أخر الأقوام نقص تقدمت ... به رتبة تعنو لها الرتب الشم

له قلم ماضي الشباة كأنما ... يمج به في طرسه الأرقم السم

كفيل بصرف الدهر يصرف كيده ... وقد عز من حد الحسام له حسم

شدوت بذكراه فمصغ وقائل ... أخو كرم حياه بابنته الكرم

أبا الضوء وافاني كتابك يزدهي ... به النثر من تلك البلاغة والنظم

كتاب لو استدعى به العصم قانص ... لما استعصمت من أن تخر له العصم

ولما فضضت الختم عنه تضوعت ... لطيمة سفر فض عن مسكها الختم

وسرحت طرفي في رياض محاسن ... وشاها الحيا المنهل بل علمك الجم

فدم، وابق، واسلم، واستطل عزة، وصلوسد، وارق، واغنم، واستزد نعمة، وانم

فلن يتنافى اثنان: رأيك والنهى ... ولن يتلاقى اثنان: فعلك والذم

ولأبي الصلت أيضا فيه من قصيدة، جوابا:

إيه أبا الضوء هل يقضي اللقاء لنا ... وبيننا لجح والموج يلتطم

وافى كتابك مختوما على درر ... يروق منتثر منها ومنتظم

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٤٥٥

طرس غدا الغيث بالتقصير معترفا ... عما وشاه به من روضه القلم

قد أودع الزهر إلا أنه فقر ... والأنجم الزهر إلا أنها كلم

ولأبي الصلت أيضا في أبي الضوء في صدر كتاب جوابا عن أبيات:

أزهر الربى برضوب الغوادي ... أم الحلي فوق نحور الغواني

أم الإلف زار بلا موعد ... فأبرأني منه ما قد براني

وغيض دمعي وكم قد طفقت ... وعيناي عيناه نضاحتان

أم الطرس أعمل فيه اليراع ... وأودع أحسن رقم البنان

فذم لمرآه وشي الصناع ... وبيع له الدر بيع الهوان

وما خلت أن برود الكلام ... تقدر حسب قدود المعاني

ولم أدر أن بنات العقو ... ل تفعل فعل بنات الدنان

وما السحر سحر مراض الجفون ... ولكنما السحر سحر البيان

وأين الخدود من الجلنار ... وأين الثغور من الأقحوان

كتاب نفيت اكتئابي به ... ونلت الأماني بظل الأماني

أتى من بعيد مرامي الضمي ... ر والفكر مرهف غرب اللسان

زرى في الترسل بابن العميد ... كما قد شأى في القريض ابن هاني

فقرب من فرحي كل ناء ... وأبعد من ترحي كل دان

صفي نأى ودنا ذكره ... فناب السماع مناب العيان

ومهما تصافت قلوب الرجال ... فحال تباعدها كالتداني

ولكن على ذاك قرب المزار ... وأشهى وأحلى جنى في الجنان

أبا الضوء سدت فبات الحسود ... يراك بحيث يرى الفرقدان

فجادك عارض صوب الغمام ... وجازك عارض صرف الزمان.." (١)

"البحر : خفيف تام (راعها منهُ صَمتُه ووجُومُه ** وشجاها شكوبهُ وسُهُومهُ) (فأمَرَّتْ كفًّا على شَعْره العا ** ري برفقٍ ، كأنَّها ستُنِيمُهْ) (وأطلّتْ بوجهها الباسمِ الحلْ ** وِ على خدِّه وقالتْ تَلُومُهْ :) ٤ (' أيّها الطائرُ الكئيب تَغَرَّد ** إنّ شَدْوَ الطُّيورِ حلوٌ رَخِيمُهْ)) ٥ (وأجبني - فدتكَ نفسي - ماذا ؟ ** أَمُصَابٌ ؟ أَمْ ذاك أمرٌ ترومُهْ ؟)) ٦ ((بل هو الفنُّ واكتئابُه ، والفنَّ ** جمٌّ أحزانهُ وهمومُهُ) ٧ ((أبداً يحملُ الوجودَ بما في ** هكأنْ ليسَ للوجودِ زعيمُهْ :)) ٨ (خلِّ عبءَ الحياة عنك ، وهيًّا ** بمحيّاً ، كالصّبح ، طلْقٍ أديمُه) ٩ ((فَكثيرٌ عليكَ أن تحْمل الدّن ** يا وتمشي بِوقْرِها لا تَرِيمُهْ))٠ ((والوجودُ العظيم أُقْعِدَ في الما ** ضي وما أنتَ رَبُّهُ فَتُقِيمُهْ))

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ٢/٤٥٩

---

(١) ".

"البحر : – – (نَوَى قلبيَ ، وَصَغَارا **) (** دنياكَ كونُ عواطفٍ وشعورِ) (شعري نفاثةُ صدري ** يُهيجُ فيها غُبارا) (لولاهُ ما انجابَ عني ** يَخَالُ كُلَّ خَيَالٍ) ٤ (** أيامُهُ بضياءِ الفجرِ والشفقِ) ٤ (ولا وجدتُ اكتئابي ** ولا وجدتُ سروري) ٥ (غردْ ، ففي قلبي إليكَ مودةٌ ** لكنْ مودةُ طائرٍ مأسورِ) ٦ (لولاهُ ما سمعتْ في الكونِ أغنيةٌ ** دُونَ أَنْ تَبْلَغَ النُّفُو) ٦ (** لِلْجَهْلِ في الجوِّ نَارا) ٧ (لا أنظمُ الشعرَ أرجو ** به رضاءَ الأمير)

---

(٢) ".

"٥(وسار نحوك منّا كلّ شارقةٍ ** سلام كلّ شجيّ القلب مكتئب) ٥(تحية الله تهديها وتتبعها ** فبعدَ بعدكِ ما في العيش من أرب) ٥(وخفّف الحزن إنا لاحقون بمن ** مضى فأمضى شباة الحادث الأشب) ٥٤ (إن لم يسر نحونا سرنا إليه على ** أيامنا والليالي الذهب والشهب) ٥٥ (إنا من التّرب أشباح مخلقة ** فلا عجيبٌ مآلُ التربِ للترب)

---

(٣) ".

"١(ما أنس لا أنس لقيانا وقد غفلت ** عين الهوى عن قرير العين طماح)(قابلت شعرك بعد الوجه ملتفتاً ** فأنعم الله امسائي واصباحي)(حيث الرضى في جبين الصب مكتئب ** أيام لم يمح اسطار الصبي ماح)٤ (و حامل الكأس تحت الدجن يعملها **كأنه مدلجٌ يمشي بمصباح)٥ (و الغيم دان لكأس الراح يمزجها ** يكاد يمسكه من قام بالراح)٦ (و الآن كاسي دموعي والتذكر إن ** أعي التذكر تشدو شدو مفصاح)٧ (يا عنبرَ الخال في ريحان سالفه ** هل بابُ عيشيَ مسرورٌ بمفتاح)٨ (و هل إلى أرض مصر زورةٌ لشجٍ ** بسائل من دموع الشوق ملحاح)٩ (و هل أباكرُ بحرَ النيل منشرحاً ** فأشرب الحلوَ من أكواب ملاح)٠ (و أشتكي النأيَ في باب العلاءِ إلى ** نعم المليّ بأنجائي وإنجاحي)

---

(٤) ".

---

(١) ديوان أبي القاسم الشابي، ص/١٠٣

(٢) ديوان أبي القاسم الشابي، ص/١٧٥

(٣) ديوان ابن نباتة المصري، ص/١٢٦

(٤) ديوان ابن نباتة المصري، ص/٤٦٠

"١(فأيُّ قلبٍ لو تولهِ طَرباً ** وأيُّ عقلٍ دَعتهُ لم يُجبِ)(ضمَّنْتَها العذرَ فاسْتلبتَ بها ** فُنونَ همٍّ من قلبِ مُكتئِبِ)(إن لم تُجبْ دَعوتي فأنتَ فَتىً ** يَملأُ دلوَ الرّضا إلى الكَربِ)٤ (سبحانَ مُوليكَ فِطرةَ اللَّعب ** بالنَّظم والنَّثر أيَّما لَعبِ)٥ (دمتَ من العيش في بُلَهْنيةٍ ** تجرُّ أذيالها مَدى الحِقَب)

---

(١) ".

"١(وابسط العذرَ في الجواب فقد قا ** بلتُ شمس الضحى بضوء التُّرابِ)(حرَّكتني أناملُ العزِّ للشِّعر ** وهيهاتَ أينَ منها جَوابي)(فجوابي شِعرٌ وشعرُكَ سرٌّ ** حار في دَرْكه أولو الألبابِ)٤ (أنت تُملي من عالَمِ الغيبِ إلها ** ماً وشِعري من عالَمِ الأسبابِ)٥ (غير أن الإخلاص أوجبَ ما أوْ ** جَبَ منّي في رَفع هذا الحجابِ)٦ (فالحظَنّي بنظرةٍ منك في السرِّ ** تَقِيني من كُرْبةٍ واكتِئابِ)٧ (وابقَ واسلم ممتَّعاً بنعيمٍ ** ساحباً ذيله لدى الأحبابِ)

---

(٢) ".

"٤(أحيا به اللّهُ قوماً قام سعدهم **كما أمات به قوماً طواغيتا) ٤(لولاه ما خاطب الرحمان من بشرٍ ** ولا أبان لهم ديناً ولا هوتا) ٤(له يدٌ لا نُرجّي غيرَ نائِلِهَا ** وقاصد البحر لا يرجو الهراميتا) ٤٤ (فلو حوت ما حوته السُّحب من كرمٍ ** لما سمعت بها للرعد تصويتا) ٤٥ (فقل لمن صدَّه عنه غوايته ** لو اهتديت إلى سبل الهدى جيتا) ٤٦ (ما رام حصر معانيه أخو لسنٍ ** إلاَّ وأصبح بادي العيّ صِمِّيتا) ٤٧ (يا أشرفَ الرُّسْلِ والأملاكِ قاطبةً ** ومن به شرَّف اللُّه النَّواسيتا) ٤٨ (سمعاً لدعوة ناءٍ عنك مكتئبٍ ** فكم أغثت كئيباً حين نوديتا) ٤٩ (يرجوك في الدِّين والدُّنيا لمقصده ** حاشا لراجيك من يأسٍ وحوشيتا) ٥٠ (أضحى أسيراً بأرض الهند مغترباً ** لم يرجُ مخلصَه إلاَّ إذا شيتا)

---

(٣) ".

"١(خذ في التجنّي ودع من مات فيك يقل ** أنا القتيلُ بلا إثمٍ ولا حَرَجِ)(خلعت فيك عذاري غير معتذرٍ ** وفي عذارك عذري واضح الحجج)(وكيف أصْحو غَراماً من هواكَ وقد ** سقيتني الحبَّ صرفاً غير ممتزج)٤ (هام المحبُّون وجداً فيك فانزعجوا ** وهمت فيك بقلبٍ غير منزعج)٥ (شتَّان ما بين صبٍّ راح مكتئباً ** وبين صَبٍّ بجَوْر الحبّ مُبْتَهج)٦ (يا لاهِجاً بمَرامي في هوى رشاءٍ ** بسَلْب ألباب أرْبابِ الهوى لَهِجِ)٧ (إن لم يَلجْ حسنُه في ناظريكَ فلي ** سمعٌ وحقِّك فيه العذل لم يلج)٨ (حَلَتْ حلاه لقلبي إذْ شُغِفتُ به ** والحبُّ أعذب لي من عذلك السَّمج)٩ (لي من

---

(١) ديوان ابن معصوم المدني، ص/٢٣

(٢) ديوان ابن معصوم المدني، ص/٢٥

(٣) ديوان ابن معصوم المدني، ص/٥٠

ذوائبه ليلٌ دجا فسجا ** فيه يطيب السُّرى وهناً لمدَّلِجِ) . (ومن محياه صبحٌ إن أضاء لنا ** جَلا الدُّجى بصباحٍ منه مُنْبَلِجِ)

---

(١) ".

"البحر : بسيط تام (أليَّةً بانعطافِ القامةِ النَّضرَه ** ونظرةٍ لاختطاف العقلِ مُنتظِرَه) (وغرةٍ كضياء الصبح مشرقةٌ ** وطُرَّةٍ كظَلام اللَّيلِ مُعتكرَه) (ما مالَ قلبي المعنَّى بعدَ فُرقتها ** عنها لمعرفةٍ كلاَّ ولا نَكِرَه) ٤ (ظنت سلوي فراحت وهي عاتبةٌ ** ولو درَتْ لأتتني وهي مُعتذِرَه) ٥ (إن تعتبن فلها العتبى وإن نقمت ** مني على غي ذنبٍ فهي مقتدرة) ٦ (أما وعَهْدِ الهوى ما ساءَها خُلقي ** ولا تنمرت من أخلاقها النمره) ٧ (لكن كتمتُ عن الواشينَ بي وبها ** محبَّةً هي في الأحشاءِ مُستَتِرَه) ٨ (فأرْجفوا أنَّني سالٍ وما عَلِمُوا ** بأن نار الهوى في القلب مستعره) ٩ (هيهات أين من السُّلوان مكتئِبٌ ** قد مله ليله من طول ما سهره) . (أنفاسُه بزفير الشوقِ صاعدةٌ ** لكن أدمعه بالوجد منحدرة)

---

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (يا دارَ ميَّة بالجرعاءِ حيَّاك ** صوب الحيا الرائح الغادي وأحياك) (ولا أغبك من دمعي سواجمه ** إن كان يُرضيكِ ريًّا مدمعي الباكي) (سَقياً ورَعياً لأيَّامٍ قضيتُ بها ** عيش الشبيبة في أكناف مرعاك) ٤ (ما هينَمَتْ نسماتُ الرَّوض خافقةً ** إلا تنسمت منها طيب رياك) ٥ (ولا تغنى حمام الأيك في فننٍ ** إلاَّ تذكرتُ أيَّامي بمغناكِ) ٦ (أصبو إلى الرمل من جرعاء ذي إضمٍ ** وما لقلبي وللجرعاءِ لولاكِ) ٧ (يخونُني جَلَدي ما حنَّ مكتئِبٌ ** وينفذُ الصبرُ مهما عنَّ ذكراكِ) ٨ (لله طيبُ ليالٍ فيكِ مشرقةٍ ** مرت فما كان أحلاها وأحلاك) ٩ (إذ النَّوى لم تُرْع شملي ولا عرِيَتْ ** من اصطياد الظباء الغيد أشراكي) . (ياظبيةً بالكثيب الفرد راتعةً ** أوحشتِ عيني وفي الأحشاءِ مثواكِ)

---

(٣) ".

"البحر : بسيط تام (نأى ففرق بين الطرف والوسن ** وألف البين بين القلب والحزن) (فيا رفيقيَّ لا أعداكما شجني ** بالله ربّكما عُوجا على سكني) (وعاتباه لعلَّ العتبَ يعطفُهُ **) ٤ (وأنشدا من نسيبي أو نسيبَكما ** وكنيا عن غرامي في نشيدكما) ٥ (فإن صبا فاذكراني لأرزئتكما ** وعرِّضا بي وقولا في حديثكما) ٦ (ما بالُ عبدك بالهجران تُتلفُه **) ٧ (إرحَمْهُ من عبرات فيك واكفةٍ ** ومهجة بغليل الوجدِ لاهفةٍ) ٨ (شوقاً لأيَّام أنس منك سالفةٍ ** فإن

---

(١) ديوان ابن معصوم المدني، ص/٦٥

(٢) ديوان ابن معصوم المدني، ص/١٥٢

(٣) ديوان ابن معصوم المدني، ص/٢٩١

تبسَّم قولا في ملاطفةٍ) ٩ (ما ضر لو بوصالٍ منك تسعفه **)٠ (وهو الذي بك طول الدهر **مكتئب** ** وقلبُه بسعير الهجر يلتَهبُ)

(١) ".

"البحر : بسيط تام (رَوَى عَنِ الرّيقِ مِنْهَا الثَّغْرُ وَالشَّنَبُ ** مَعْنىً عَنِ الْرَاحِ تَرْوِي نَظْمَهُ الْحَبَبُ) (وَحَدَّثَتْ عَنْ نُفُوسِ الصَّيْدِ وَجْنَتُهَا ** أخبارَ صدقٍ يقوّيها دمٌ كذبُ) (وَأَرْسَلَتْ لِلْدُّجى مِنْ فَرْعِهَا مَثَلاً ** تمثّلته فروعُ البانِ والعذبُ) ٤ (وَجَالَ مَاءُ مُحَيَّاهَا فَأَوْهَمَنَا ** أَنَّ الصَّبَاحَ غَدِيرٌ مَوْجُهُ ذَهَبُ) ٥ (بَيْضَاءُ عَنْ وَجْهِهَا فِي الْجِنحِ مَا سَفَرَتْ ** إِلاَّ وَقَامَتْ لَهَا الْحِرْبَاءُ تَرْتَقِبُ) ٦ (لمْ يلقها الليلُ إلا دُهمهُ صدرتْ ** بيضَ الثيابِ وغارتْ فوقها الشهبُ) ٧ (رِيمٌ بأَحْدَاقِهَا لَيْثٌ يَصُولُ وَفِي ** أَطْوَاقِهَا ذَنَبُ السِّرْحَانِ مُنْتَصِبُ) ٨ (إذا أصابَ غبارُ الكحلِ مقلتها ** تَكَادُ تَرْقُصُ مِنْ أَهْدَابِهَا الْعُضُبُ) ٩ (منْ لحظها لا يصونُ القرنُ مهجتهُ ** ولا تُضمُّ عليهِ البيضُ والسلبُ)٠ (يحنو إليها حمامُ البانِ حينَ يرى ** منها القوامَ فيشدو وهوَ **مكتئبُ**)

(٢) ".

"٢(وصبحَ طلاً تسترَّ في خمار ** وآخرَ قدْ تنفّسَ في نقابِ)(وَرَاحَاتٍ بِدَمْعٍ أَوْ نَجِيعٍ ** مضرّجةً وأخرى في خضابِ)(وَكَمْ بِخُدُودِ نِسْوَتِهِمْ وَأَيْدِي ** فوارسهمْ توقّدَ منْ شهابِ)٤ (حَوَتْ أَفْوَاهُهُمْ خَمْراً فَصِيغَتْ ** فَاحْدَثَ فِي الوَرَى نِعماً وَبُؤْساً)٥ (كَأنَّ بِهِ إلى رُؤْيَاكَ مَا بِي ** إِذَا مِنْهَا تَرَشَّفَ بِاللُعَابِ)٦ (كَأَنَّهُمْ إِذَا سَطَعَتْ عَلَيهِمْ ** مَجَامِرُهُمْ شُمُوسٌ فِي ضَبَابِ)٧ (تحنّث السّاجعاتُ إذا تثنّوا ** فَتُؤْثِرُهُمْ عَلَى القُضُبِ الْرِّطَابِ)٨ (همُ راحي وريحاني وروحي ** وجَنَّاتِي وَإِنْ كَانُوا عَذَابِي)٩ (وَعَافِيَّتِي وَأَمْرَاضِي وَبُرْئِي ** وَأَفْرَاحِي وَحُزْنِي **وَاكْتِئَابِي**)٠ (تولّوا والصّبا معهمْ تولّى ** فهلْ لهمْ إلينا منْ إيابِ)

(٣) ".

"٢(وكم قد نزلنا ثغرَ قوم أعزَّةٍ ** فلم نَرْتَحِلْ حتى تَداعى خرابُه)(وكم يوم هولٍ ضاقَ فيه مجالُنا ** صبرنا له والموتُ يُحرق نابُه)(يسيرُ بنا تحتَ اللواءِ ممدَّحٌ **كريمُ السجايا طاهراتٌ ثيابُه)٤ (نجيبٌ كصدرِ السمهريِّ منجّحِ ال ** سرايا كريمُ الطبعِ صافٍ لبابُه)٥ (من القومِ وضَّاحُ الأسرَّةِ ماجدٌ ** إلى آلِ أيوبَ الكرامِ انتسابُه)٦ (ففرَّج ضيقَ الْقَوْمِ عنَّا طعانُه ** وشتَّت شملَ الكفر عنّا ضِرابُه)٧ (وأصبح وجهُ الدين بعد عبوسهِ ** طليقاً ولولاهُ لطالَ **اكتئابه**)٨ (جهادٌ

---

(١) ديوان ابن معصوم المدني، ص/٤٦٤

(٢) ديوان ابن معتوق، ص/١٩٤

(٣) ديوان ابن معتوق، ص/٢٨٠

لوجه اللهِ في نصر دينهِ ** وفي طاعةِ اللهِ العزيزِ احتسابُه)٩ (حميتُ حمى الإسلامِ فالدينُ آمنٌ ** تُذاد أقاصيهِ ويُخشى جنابُه)٠ (وما بغيتي إلاَّ بقاؤك سالماً ** لذا الدينِ لا مالٌ جزيلٌ أُثابُه)

---

(١) ".

"٥(ألاوذ عنها قلب مكتئب شج ** وتحفز نحوي قلب ذي لوعة صب) ٥(وتكذبني عنها الأماني وإنها ** إلي لأهدى من قطاة إلى شرب) ٥(وإن كان أضنى الحب فالعقل حاكم ** بأن ضنى الشنآن فوق ضنى الحب) ٥٤ (وفي راحتي عبد الفعيل بن فاعل ** شفائي وفي نعمى مكارمه طبي) ٥٥ (دعوت فلباني وآوى تغربي ** إلى كرم للعز ذي مرتقى صعب) ٥٦ (وجلى همومي من سناه ببارق ** أضاء به ما بين شرق إلى غرب) ٥٧ (وأسبل لي من ستره فوق ستة ** أهيم بهم في الأرض مثل القطا الزغب) ٥٨ (فأصبحت في إكرامه مانع الحمى ** وأمسيت في سلطانه آمن السرب) ٥٩ (وحمدا لمن هدى لساني لحمده ** وحسبي له من قد قضى أنه حي)

---

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (شوق شديد ووصل من حبيبين ** فليت شعري ما خطب العذولين) (يا ليت شعري إذ لاما وشعرهما ** أفي السويداء من قلبي ومن عيني) (من أمكن من أذني عذلهما ** فيها إذا قام عذري في العذارين) ٤ (وقد تعبدني رب الهوى فبه ** أعوذ من مشرك فيه إلهينأ) ٥ (وليس ذنبي عند العاذلين سوى ** أني أرى في رضاه ثاني اثنين) ٦ (وكم طلبت بها الأيام مجتهدا ** طلاب رب نفيس الدين بالدين) ٧ (وكم بذلت لها في الشوق مكتئبا ** غروب جفنين ما تشكو من الأين) ٨ (بدمع عين أبى ما في الضمير له ** حتى يصيره دمعا بلا عين)

---

(٣) ".

"البحر : مجزوء الرمل (دأبك الهجر ودابي ** فيك إدمان التصابي) (أيها المغرى بقتلي ** بك أصبحت لما بي) (لا ومن آوى اغترابي ** وشفى حر مصابي) ٤ (وكفاني صرف دهر ** سامني سوء العذاب) ٥ (ما رأت عيني كظبي ** لاح في تم الشباب) ٦ (أسبل الليل على متنيه إسبال النقاب **) ٧ (فتجلى كتجلي البدر من تحت السحاب **) ٨ (في عقود من نجوم ** ووشاح من سراب) ٩ (فهو نومي وسروري ** وسهادي واكتئابي)

---

(١) ديوان ابن عنين، ص/٢١

(٢) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/١١٤

(٣) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٤٢٢

(١) ".

"٢(مخدع بأماني الغدر مكتئب ** بالخزي مشتمل بالذل ملتحف)(فات السيوف بشلو حائن ومضى ** أمضى من السيف في أحشائه الأسف)(فالفخر منتظم والملك منتقم ** والحق منتصر والدين منتصف)٤ (أ في شيعة بين الخزي المحيط بهم ** عن غب ما اجترحوا غدرا وما اقترفوا)

---

(٢) ".

"٢(ودسسوا لي في مثنى حبائلهم ** شنعاء بت بها حران مكتئبا)(حتى هززت فلا زند القريض كبا ** فيما لدي ولا سيف البديه نبا)(وأشرقت شاهدات الحق تنشر لي ** نورا غدت فيه أقوال الوشاة هبا)٤ (هيهات أعجز أهل الأرض أن يجدوا ** للدر غير عباب البحر منتسباب)٥ (وحاش للورد أن يعزى إلى رمض ** وأن يكون له غير الربيع أبا)٦ (لمن سنا الشمس إن أضحت مشكلة ** فيه لمن نفحات المسك إن كذبا)٧ (وكيف يصدقني منك الرجاء ولا ** أجزي ثناءك إلا المين والكذبا)٨ (ودون ما أنا من نعماك محتمل ** ما أنطق الصخر أو ما أنبط القلبا)٩ (حاشى لقدرك أن أزجي الثناء له ** دعوى وأهدي إليه الدر مغتصبا)٠ (لكنها هم أنشأتها نعما ** تشاكها بنفيس القدر فاصطحبا)

---

(٣) ".

"البحر : بسيط تام (ما أطبق الهم إلا ريثما انفرجا ** ما أطبق الهم إلا ريثما انفرجاولا دجا الخطب إلا وشك ما انبلجا) (ما كاد يبدو الضحى بالحزن مكتئبا ** حتى رأينا الدجى بالنور منبلجا) (فاليوم قد لبس الإظلام ثوب سنا ** في عقب ما لبس الإصباح ثوب دجى) ٤ (وأورقت شجر الدنيا لدن عريت ** وعاد يشدو حمام الملك إذ نشجا) ٥ (بشر بالشمس إشراق الضحى فشفى ** في إثر ناع نعى نجم الهدى فشجا) ٦ (رزء حكى كظم الأرواح أعقبه ** صنع أعاد إلى أوطانها المهجا) ٧ (فأصبح الملك لا ريثا ولا خللا ** وأصبح الدين لا أمتا ولا عوجا) ٨ (فلتهننا نعم الرحمن حين هدى ** بعبده سبل الحق الذي نهجا) ٩ (بناصر الدين والإسلام مفتتحا ** بيمنه كل باب للمنى أرتتجا)٠ (يا بن الذي قاد من أذواء ذي يمن ** عرفا بعرف المعالي والهدى وشجا)

---

(٤) ".

---

(١) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٤٣٣

(٢) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٤٣٧

(٣) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٤٤٠

(٤) ديوان ابن دارج القسطلي، ص/٥٤٦

"٤(منْ كلّ مظهرِ ودٍّ ليسَ يضمرهُ ** وَضاحكٍ لكَ خوفاً وَهوَ **مكتئبُ**) ٤(وَمَنْ أَحَقُّ التَّنْوِيهِ مِنْ مَلِكٍ ** ماضي الغرارِ إذا ماكلتِ القضبُ) ٤(تَرْضَى المُلُوكُ بِأَنْ يُدْعَى لَهَا شَرَفاً ** وَتعتلي باسمهِ الأشعارُ وَالخطبُ) ٤٤ (أنالهُ الجودُ وَالإقدامُ منزلةً ** مَا نَالَهَا سَالِفاً آباؤُهُ النُّجُبُ) ٤٥ (وَتاجُ ملةِ خيرِ الأنبياءِ لهُ ** جدٌّ وَتاجُ ملوكِ الخافقينِ أبُ) ٤٦ (وَإنْ معاليهمُ طالتْ فقدْ بلغتْ ** بِهِ المآثرُ مالاَ يبلغُ الحسبُ) ٤٧ (لَقَدْ ظَفِرْتَ مِنَ المَجْدِ الصَّرِيحِ ** نصيبُ طلابهِ الإكداءُ وَالنصبُ) ٤٨ (منافياً كلَّ منْ تخفيهِ همتهُ ** فليسَ يعرفُ إلاَّ حينَ ينتسبُ) ٤٩ (بكَ اقتضى الدينُ ديناً حانَ ماطلهُ ** فَيَسَّرَ اللّهُ ما تَرْجُو وَتَرْتَقِبُ) ٥٠ (فليسَ يعصيكَ إلاَّ منْ حشاشتهُ ** يَسْتاقُها الحَتْفُ أَوْ يَشْتاقُها العَطَبُ (

---

(١) ".

"٤(ليتني لمْ أفقْ فقدْ جاءَ منْ فق ** دِيْهِ ما سَهَّلَ الْحِمامَ فَطابَا) ٤(لاَ يوازي معشارَ ما كانَ يولي ** قطعيَ العمرَ حسرةً **وَاكتئابا**) ٤(سرني حاضراً وَ أدنى وَ أغنى ** فعدمتُ السرورَ لما غابا) ٤٤ (وبرغمي أنْ أجعلَ المدحَ تأبي ** ناً وَأَدْعُو مَنْ لَوْ وَعى لَأَجابَا) ٤٥ (بمقالٍ لاَ أستزيدُ بهِ زل ** فى وَلاَ أبتغي عليهِ ثوابا) ٤٦ (سائرٍ لاَ يَزَالُ يَشْكُرُ نُعْما ** هُ كَمَا تَشْكُرُ الرِّياضُ السَّحابَا)

---

(٢) ".

"البحر : خفيف تام (حدّثيني يا همَّ سُؤلي ونفسي ، ** مَن دهاني في الحبّ أو مَن وَشَى بي) (لا ، ومَن قدّرَ الشّقاءَ على العُشّا ** قِ ما خنتُ ساعَةً في حِسابي) (ليتَ أنّ الرّسولَ كانَ يُؤدّي ** لَحظَ عَيني ، كما يُؤدّي كتابي) ٤ (فأرى شرّ كلّ يومٍ ، ويشفى ** سُقمُ نفسي ، وحسرَتي **واكتئابي**)

---

(٣) ".

"البحر : منسرح (لاحَ له بارقٌ ، فأرّقَه ، ** فباتَ يرعى النجومَ **مكتئباً**) (يُطيعُه الطَّرفُ عندَ دَمعتِه ، ** حتى إذا حاولَ الرّقادَ أبَى)

---

(٤) ".

---

(١) ديوان ابن حيوس، ص/١٧٧

(٢) ديوان ابن حيوس، ص/٢٣٢

(٣) ديوان ابن المعتز، ص/٧٥

(٤) ديوان ابن المعتز، ص/٨٠

"البحر : خفيف تام (يا نسيمَ الرياحِ من بلدي ، ** إنْ لم تفرجْ همي ، فلا تردِ) (أبيتُ ، والشوقُ في الفراش معي ، ** يكحلُ عيني بمرود السهدِ) (معترفاً بالشّوقِ **مُكتئِباً** ، ** أشكُو إلى اللهِ لا إلى أحَدِ) ٤ (صباً يرى آخرَ الحياةِ ، ولا ** يطمعُ في راحةٍ ة لا خلدِ)

". (١)

"٧(فإن طردتَ الكأسَ بالسنورِ ، ** وجئتَ بالكانونِ والسَّمّورِ) ٧(فأيُّ فضلٍ للصبوحِ يعرفُ ، ** على الغَبوقِ ، والظلامُ مُسدِفُ) ٧(يَحُسُّ من رِياحهِ الشمائلِ ، ** صوارماً ترسبُ في المفاصلِ) ٧٤ (وقد نَسيتُ شرَرَ الكانُونُ ، **كأنهُ نثارُ ياسمينِ) ٧٥ (يرمي بهِ الجمرُ إلى الأحداقِ ، ** فإنْ وبى قرطسَ في الآماقِ) ٧٦ (و تركَ النياطَ بعدَ الخمدِ ، ** ذا نقطٍ سودٍ كجلد الفهدِ) ٧٧ (وقطّعَ المَجلِسَ في **اكتئابِ** ، ** و ذكرِ حرقِ النارِ للثيابِ) ٧٨ (ولم يَزَلْ للقوْمِ شُغلاً شاغِلا ، ** و اصبحتْ جباهُمْ مناخلا) ٧٩ (حتى إذا ما ارتفعتْ شمسُ الضّحى ** قيل : فلانٌ وفلانٌ قد أتى) ٨٠ (و ربما كانَ ثقيلاً يحتشم ، ** فطَوّل الكَلاَمِ حِيناً وجشَم)

". (٢)

"البحر : طويل (لعل خيالا ضل حين انتيابها ** رأى نار شوقي موهنا فاهتدى بها) (وإلا فأين الطيف من راكب السرى ** نزولا على حكم النوى واغترابها) (أخي كلف أسرى بأشقى صبابة ** فوسدها في الصبح أيدي ركابها) ٤ (ألم بنا والليل ينفض لمة ** على الأفق ريب من بقايا خضابها) ٥ (تخطى إلينا نائبا عن وصالها ** وأعرض عنا مغربا بعتابها) ٦ (فوالله ما أدري وقد نفر الكرى ** سرى ببرود النفس أو **باكتئابها**) ٧ (وإني لمخبول الغرام بحبها ** على ما أرى من هجرها واجتنابها) ٨ (ألا إنما قاضي القضاة وشمسها ** سماء يرب المجد هامي ربابها) ٩ (تصد الغوادي عن مباراة كفه ** وقد شغلت من عجبها وعجابها)

". (٣)

"١(يا من لصب شجاه ليل صبوته ** لما تبسم هذا الأبيض اليقق)(متى نهته النهى حنت علاقته ** إن الكريم بأيام الصبا علق)(صاحبت عمري مسرورا **ومكتئبا** **كذلك العيش فيه الصفو والرنق)٤ (وعشت أفتح أبوابا وأغلقها ** حتى سمت بي علا ما دونها غلق)٥ (فسرت مغتبق الإدلاج معتنقا ** ذرى عزائم من تعريسها العنق)٦ (لا أرهب الليل حتى شاب مفرقه ** وهل يخاف الدجى من شمسه أبق)

---

(١) ديوان ابن المعتز، ص/٣٠٤

(٢) ديوان ابن المعتز، ص/٩٦٥

(٣) ديوان ابن القيسراني، ص/٤٢

___

(١) ".

"البحر : بسيط تام (ما بينَ مُعْتَرَكِ الأحداقِ والمُهَجِ ، ** أنا القَتيلُ بلا إثْمٍ ولا حَرَجِ) (ودَّعْتُ ، قبلَ الهَوى ، رُوحي ، لما نَظَرَتْ ** عيناي مِنْ حسنِ ذاكَ المنظرِ البهجِ) (لِلهِ أجفانُ عينٍ ، فيكَ ، ساهِرَةٍ ، ** شَوْقاً إليكَ ، وقَلْبٌ ، بالغَرامِ ، شَجِ) ٤ (وأضْلُعٌ نَحِلَتْ كادتْ تُقَوِّمُها ، ** مِنَ الجَوى ، كَبِدي الحرّى ، مِنَ العَوَجِ) ٥ (وأدمعٌ هملتْ لولا التَّنفسُ منْ ** نارِ الهَوى ، لمْ أكَدِ أنجو مِنَ اللُّجَجِ) ٦ (وحبَّذا فيكَ أسقامُ خَفيتُ بها ** عنّي تَقومُ بها ، عِنْدَ الهَوى ، حُجَجي) ٧ (أصبحتُ فيكَ كما أمسيتُ **مكتئباً** ** ولَمْ أقُلْ جَزَعاً : يا أزْمَةُ انْفَرِجي) ٨ (أهفو إلى كلّ قلبٍ بالغرامِ لهُ ** شغلٌ وكلِّ لسانٍ بالهوى لهجِ) ٩ (وكُلِّ سَمْعٍ عنِ اللاحي ، بهِ صَمَمٌ ؛ ** وكلّ جفنٍ إلى الإغفاءِ لمْ يعجِ)٠ (لا كانَ وجدٌ بهِ الآماقُ جامدةٌ ** ولا غَرامٌ بهِ الأشْواقُ لمْ تَهِجِ)

___

(٢) ".

"٩(لو سَبَّ غيرَ بني ثوا ** بةَ ما جَشِمتُ لهم سِبابهْ) ٩(وَلَما رضيتُ لمنطقي ** فَزْعَ اللئيمِ ولا نِصابهْ) ٩(لكنني أحميهُمُ ** ما حالَفَتْ تَجْري صُبابهْ) ٩٤ (وأرى يسيراً فيهمُ ** تدنيسَ عرضي أو ذَهابَهْ) ٩٥ (إن المكارِه في حِما ** يتهم عِذابٌ مُستطابهْ) ٩٦ (والِيْتُهم ما حالفتْ ** أوعالُ شابةَ هضبَ شَابَهْ) ٩٧ (وإذا امرؤ عاداهُم ** أصفرتُ من وُدّي وِطابهْ) ٩٨ (ومتى امترى خلفَ الوصا ** ل ملأتُ من هجر عِلابَهْ) ٩٩ (إذ لا أبالي فيهمُ ** حسكَ العدو ولا ضِبابَهْ)٠٠ (من كان **مكتئباً** لذا ** ك فقد توخيت **اكتئابهْ**)

___

(٣) ".

"٣(إذا فَقَدَ الشبابَ سوى عذابِ ** فقُل لبناتِ دهري فلتُصبني)(إذا ولَّى بأسهُمِها الصُّيابِ ** سقى عهدَ الشبيبةِ كلُّ غيثٍ)(أغرَّ مُجلجلٍ داني الرَّبابِ ** ليالي لم أقلْ سَقْيا لعهدٍ)٤ (ولم أَرغَبْ إلى سُقيا سَحابِ ** ولم أتنفس الصُّعداءَ لَهفاً)٥ (على عيشٍ تداعَى بانقضابِ ** أُطالعُ ما أمامي بابتهاجٍ)٦ (ولا أقفو المُوَلّي **باكتئاب** ** أَجَدَّ الغانيات قَلَيْنَ وصلي)٧ (وتَطْبيني إليهنَّ الطَّوابي ** صددن بأعيُنٍ عني نَواب)٨ (ولسنَ عن المَقاتل بالنوابي ** ولم يصدُدنَ من خَفَرٍ ودَلٍّ)٩ (ولكن من بِعادٍ واجتنابِ ** وقلنَ كفاكَ بالشيبِ امتهاناً) ٤٠ (وبالصَّرمِ المُعَجَّلِ من عِقاب ** وما أنصفنَ إذ يَصرِمْنَ حَبلي)

___

(١) ديوان ابن القيسراني، ص/٢٠١

(٢) ديوان ابن الفارض، ص/١٣٨

(٣) ديوان ابن الرومي، ص/٣٨١

". (١)

"٧(بحَثِّك خَلْفَه عَجِلاً رِكابي ** إذا ألحقتني بشقيق عَيْشِي) ٧(فقد وَفَّيتني فيه ثوابي ** وحسبي من ثوابي فيه أني) ٧(وإياهُ نؤوب إلى مآبِ ** لعمرُك ما الحياةُ لكلّ حي) ٧٤ (إذا فَقَدَ الشبابَ سوى عذابِ ** فقُل لبناتِ دهري فلتُصبني) ٧٥ (إذا ولَّى بأسهُمِها الصُّيابِ ** سقى عهدَ الشبيبةِ كلُّ غيثٍ) ٧٦ (أغرَّ مُجلجلٍ داني الرَّبابِ ** ليالي لم أقلْ سَقْيا لعهدٍ) ٧٧ (ولم أرغَبْ إلى سُقيا سَحابِ ** ولم أتنفس الصُّعداءَ لَهَفاً) ٧٨ (على عيشٍ تداعَى بانقضابِ ** أُطالعُ ما أمامي بابتهاجٍ) ٧٩ (ولا أقفو المُوِلّي **باكتئاب** ** أَجَدَّ الغانيات قَلَيْنَ وصلي) ٨٠ (وتَطْبيني إليهنَّ الطَّوابي ** صددن بأعيُنٍ عني نَواب)

". (٢)

"١٢(أغرَّ مُجلجلٍ داني الرَّبابِ ** ليالي لم أقلْ سَقْيا لعهدٍ)٢(ولم أَرغَبْ إلى سُقيا سَحابِ ** ولم أتنفس الصُّعداءَ لَهَفاً)٢(على عيشٍ تداعَى بانقضابِ ** أُطالعُ ما أمامي بابتهاجٍ)٢٤ (ولا أقفو المُوِلّي **باكتئاب** ** أَجَدَّ الغانيات قَلَيْنَ وصلي)٢٥ (وتَطْبيني إليهنَّ الطَّوابي ** صددن بأعيُنٍ عني نَواب)٢٦ (ولسنَ عن المَقاتل بالنوابي ** ولم يصدُدنَ من خَفَرٍ ودَلٍّ)٢٧ (ولكن من بِعادٍ واجتنابِ ** وقلنَ كفاكَ بالشيبِ امتهاناً)٢٨ (وبالصَّرمِ المُعَجَّلِ من عِقاب ** وما أنصفنَ إذ يَصرِمْنَ حَبلي)٢٩ (بذنبٍ ليس منّي باكتسابِ ** وكُنَّ إذا اعتدَدْنَ الشيبَ ذنباً)٣٠ (على رجلٍ فليس بمُستتابِ ** ومَا لَكَ عند من يعتدُّ ظلماً)

". (٣)

"٢٠(ولم أتنفس الصُّعداءَ لَهَفاً ** على عيشٍ تداعَى بانقضابِ).(أُطالعُ ما أمامي بابتهاجٍ ** ولا أقفو المُوِلّي **باكتئاب**).(أَجَدَّ الغانيات قَلَيْنَ وصلي ** وتَطْبيني إليهنَّ الطَّوابي)٤٠ (صددن بأعيُنٍ عني نَواب ** ولسنَ عن المَقاتل بالنوابي)٥٠ (ولم يصدُدنَ من خَفَرٍ ودَلٍّ ** ولكن من بِعادٍ واجتنابِ)٦٠ (وقلنَ كفاكَ بالشيبِ امتهاناً ** وبالصَّرمِ المُعَجَّلِ من عِقاب)٧٠ (وما أنصفنَ إذ يَصرِمْنَ حَبلي ** بذنبٍ ليس منّي باكتسابِ)٨٠ (وكُنَّ إذا اعتدَدْنَ الشيبَ ذنباً ** على رجلٍ فليس بمُستتابِ)٩٠ (ومَا لَكَ عند من يعتدُّ ظلماً ** عليك بذنب غيرِك من مَتابِ)١٠ (يذكّرِني الشبابَ صَدَىً طويلٌ ** إلى بَرَدِ الثنايا والرُّضابِ)

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٦١٥

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٦١٩

(٣) ديوان ابن الرومي، ص/٦٢٤

(١) ".

"البحر : – (أمسى الشبابُ رداءً عنك مستلبا ** ولن يدومَ على العصرَين ما اعْتقبا) (أعزِزْ عليَّ بأن أضحتْ مناسبُهْ ** بُدِّلنَ فيه وفي أيامهِ نُدَبَا) (سَقيا لأزمان لم أستسقِ من أسفٍ ** لمَّا تولى ولا بكَّيت ما ذهبا) ٤ (أيام أستقبلُ المنظورَ مبتهجاً ** ولا أَحنُّ إلى المذكور **مكتئبا**) ٥ (للّه درُّك من عهدٍ ومن زمنٍ ** لا يَبْعُدا بَعُدا بالرغم أو قرُبا) ٦ (إذا أصحبُ الدهرَ مغتراً بصحبته ** إذا أعارَ متَاعَاً خِلْتُهُ وهَبَا) ٧ (لا أحسب العيس يَبلَى ثوبُ جِدَّتهِ ** ولا إخالُ زماني يُعْقِبُ العُقَبا) ٨ (أغدو فأجني ثمار اللهو دانيةً ** مثلَ الغصون وأرمي صيدَه كَثَبَا) ٩ (بينا كذلك إذ هبّتْ مُزَعزِعةٌ ** أضحى لها مُجتَنى اللذّات مُحْتَطَبَا)٠ (يا ظبيةً من ظباءٍ كان مسكنُها ** في ظل غُصني إذا ظلُّ الضحى التهبا)

---

(٢) ".

"البحر : – (لما استكنَّ الكرى في كل ناظرةٍ ** وبات جفنٌ من الواشي به شرقا) (سرى إليَّ على خوفٍ يحاذره ** زورٌ أتى تحت جنحِ الليل منسرقا) (أخفى من الطيف إلا أن بهجته ** حُسناً جلت بسنا أنواره الأفقا) ٤ (مضمَّخٌ بغوالٍ علَّ مفْرِقه ** أيدي حواضنِه مسكاها عبقا) ٥ (تشكو إلى قلقٍ حيران **مكتئبٍ** ** صبٍ إلى قُربه الأحزان والقلقا) ٦ (صوتاً ترائيَ مجنوناً أخا كلفٍ ** إذا سليمانُ يوماً قد به نطقا) ٧ (قد سحب الناس أذيال الظنون بنا ** وفرّق القوم فينا ظنهم فِرقا)

---

(٣) ".

"١٩(عوائدُ من إحسانِهِ المُتقادمِ ** وقولي ألا إنَّ **اكتئاباً** لشاخِصٍ)٩(سيُعْقِبُهُ اللّهُ ابتهاجاً بقادمِ ** وقالتْ أَتَضْحي قلت للظِّلِ ذاكُمُ)٩(فكم من نسيم هبَّ لي من سمائمِ ** أيُبكيكَ سفكي ماء وجْهي برحلةٍ)٩٤ (تُنَزِّهُني عن سفكه في الألائمِ ** صيانةُ وجهٍ لا أبا لك بذْلهُ)٩٥ (لِما ذبَّ عنهُ الذُّلَّ يا أُمَّ سالمِ ** وما صانَ كِنٌّ قطُّ وجْهاً أذالهُ)٩٦ (سؤالُ مصونِ المالِ عندَ المغارمِ ** منيعِ الجَدا لو يُسألُ النِقْرَ لم يَكُن)٩٧ (لتأخُذَهُ في البُخْلِ لومةُ لائمِ ** أبى الله وُردي حَوْضَ ذاك وأن أُرى)٩٨ (تحومُ رجائي حَوْلهُ في الحوائمِ ** ولي مثلُ إسماعيلَ عنه مُراغمٌ)٩٩ (وهل كأبي سهْل لحُرٍّ مُراغمِ ** وما اكتَنَّ مُكْتَنٌّ ولاوفْرَ عنده)٠٠ (فلم يصْلَ نيرانَ الهُموم اللَّوازِمِ ** وللجاحمُ المشبوبُ في القلب والحشا)

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٦٣٢

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٨٠٥

(٣) ديوان ابن الرومي، ص/٣١٧٢

(١) ".

"٣٠(ألا فاستخيري الله لي عِنْدَ رِحْلتي ** فذلك أجْدى من مَلامَ اللوائم)٠(ألا واستخِيري الله لي إنَّ جارهُ ** بمَنْجًى بعبدٍ من ممرِّ القواصمِ)٠(وظُنِّي جميلاً بالذي لم تزلْ له ** عوائدُ من إحسانِهِ المُتقادمِ)٠٤ (وقولي ألا إنَّ **اكتئاباً** لشاخِصٍ ** سيُعْقِبُهُ اللّهُ ابتهاجاً بقادمِ)٠٥ (وقالتْ أتَضْحي قلت للظِّلِ ذاكُمُ ** فكم من نسيم هبَّ لي من سمائمِ)٠٦ (أيُبكيكَ سفكي ماء وجْهي برحلةٍ ** تُنَزِّهُني عن سفكه في الألائمِ)٠٧ (صيانةُ وجهٍ لا أبا لك بذْلهُ ** لِما ذبَّ عنهُ الذُّلَّ يا أُمَّ سالمِ)٠٨ (وما صانَ كِنٌّ قطُّ وجْهاً أذالهُ ** سؤالُ مصونِ المالِ عندَ المغارمِ)٠٩ (منيع الجَدا لو يُسألُ النِقْرَ لم يَكُن ** لتأخُذَهُ في البُخلِ لومةُ لائمِ)١٠ (أبى الله وُردي حَوْضَ ذاك وأن أُرى ** تحومُ رجائي حَوْلهُ في الحوائمِ)

---

(٢) ".

"٤٦(كِلي رعيتي عند المغيبِ إلى الذي ** رعانا قديماً في غُيوبِ المشائمِ) ٤٦(هو الكاليءُ الراعي ونَحْنُ وغيرُنا ** بعيْنَيْهِ مَرْعيُّونَ رعْيَ السوائمِ) ٤٦(فمَنْ ظنَّ أنَّ الناسَ يرْعَوْنَ دونَهُ ** نفوسهُمُ فلْيَعْتَبِر بالبهائمِ) ٤٦٤ (فإنْ هي كانتْ مُلْهَماتٍ رشادها ** على جَهْلها فليعترف للمُخاصمِ) ٤٦٥ (ألا فاستخيري الله لي عِنْدَ رِحْلتي ** فذلك أجْدى من مَلامَ اللوائم) ٤٦٦ (ألا واستخِيري الله لي إنَّ جارهُ ** بمَنْجًى بعبدٍ من ممرِّ القواصمِ) ٤٦٧ (وظُنِّي جميلاً بالذي لم تزلْ له ** عوائدُ من إحسانِهِ المُتقادمِ) ٤٦٨ (وقولي ألا إنَّ **اكتئاباً** لشاخِصٍ ** سيُعْقِبُهُ اللّهُ ابتهاجاً بقادمِ) ٤٦٩ (وقالتْ أتَضْحي قلت للظِّلِ ذاكُمُ ** فكم من نسيم هبَّ لي من سمائمِ) ٤٧٠ (أيُبكيكَ سفكي ماء وجْهي برحلةٍ ** تُنَزِّهُني عن سفكه في الألائمِ)

---

(٣) ".

"٢١(وحُقَّتْ بأن تسودَّ وابيضَّتْ اللِّمَم ** وأظلمتِ الدنيا وباخ ضياؤها)١(نهاراً وشمسُ الصَّحوِ حَيْرى على القمَم ** وأجدبتِ الأرضُ التي كنتِ روضةً)١(عليها وأبدتْ مَكْلحاً بعد مُبْتَسم ** ومادتْ لك الأجبال حتى كأنما)١٤ (شواهقها كان بمحياك تُدَّعمْ ** وأصبحَ يبْكيكِ السحابُ مُجاوِداً)١٥ (فأرزم إرزامَ العجولِ ومارذم ** وناحتْ عليكِ الريحُ عبري وأصبحتْ)١٦ (لئْنْ عَدِمَتْ ريَّاكِ تجري فلا تُشَمْ ** وقامتْ عليكِ الجنُّ والإنس مأتماً)١٧ (تُبكِّي صلاةَ الليلِ والخمص والهضم ** أضحتْ عليكِ الوحشُ والطيرُ وُلَّها)١٨ (تبكِّي الرواء النضر والمخبر العمَم ** وأبدى **اكتئاباً** كلُّ شيءٍ علمتُه)١٩ (وأضعافٌ ما أبداه من ذاك ماكتَم **كذاك أرى الأشياءَ إما حقيقةً)٢٠ (بدتْ لي وإما حُلْمَ مُسْتَيْقظٍ حَلم ** ولن يَحْلُم اليقظانُ إلاَّ وقد أتتْ)

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٤١٣٠

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/٤١٤١

(٣) ديوان ابن الرومي، ص/٤١٥٧

---

(١) ".

"البحر : متقارب تام (بِنَفْسِي عَلى قُرْبِهِ النَّازِحُ ** وإن غالَنِي خطبُهُ الفادِحُ) (تصافَحَ تربتُهُ والنَّسمُ ** فنشْرُ الصَّبا عطِرٌ فائحُ) (كأنَّ المُغَرّدَ فِي مَسْمَعِي ** لِفَرْطِ اكْتِئابِي لَهُ نائحُ) ٤ (أَيا نازِلاً حيثُ يَبْلى الجديدُ ** ويذْوِي أخُو البهجةِ الواضِحُ) ٥ (ذكرتكَ ذكرى المُحبِّ الحبيبَ ** هيَّجَها الطَّلَلُ الماصِحُ) ٦ (فما عزَّنِي كَبِدٌ تلْتظِي ** وَلا خانَني مَدْمَعٌ سَافِحُ) ٧ (مُقيمٌ بحيثُ يصمُّ السميعُ ** ويعْمى عنِ النَّظَرِ الطامِعُ) ٨ (يَرِقُّ عَلَيكَ العَدُوُّ المُبِينُ ** وَيَرْثِي لَكَ الْحاسِدُ الكاشِحُ) ٩ (كأنْ لَمْ يَطُلْ بِكَ يَوْمَ الفَخارِ ** سَرِيرٌ وَلا أجْرَدٌ سابِحُ) ٠ (وَلَمْ تَقْتَحِمْ غَمَراتِ الخُطُوبِ ** فَيُغْرِقَها قَطْرُكَ النَّاضِحُ)

---

(٢) ".

"البحر : وافر تام (تَحَرّانِي الزَّمانُ بكُلِّ خطبٍ ** وعانَدَنِي القضاءُ بغيرِ ذنْبِ) (كأنَّ الدهرَ يُحزنُهُ سُروري ** أوِ الأيامَ يظْمِئُهُنَّ شُرْبِي) (أيا زَمَنَ اللِّئامِ إلى مَ حَمْلاً ** عليَّ وبعضُ ما حُمِّلتُ حسبِي) ٤ (أما يحْظى الكِرامُ لديكَ يوماً ** فأرْكَبَ فيكَ عَيْشاً غيرَ صعْبِ) ٥ (أعُدْماً واغتِراباً واكتئاباً ** لقدْ أغريتَ بي يا دهْرُ نَحْبِي) ٦ (لعلَّ فتىً حمْتُ بهِ حياتِي ** زماناً والخُطوبُ يُرِدنَ نَهْبِي) ٧ (يُعينُ كما أعانَ فيَجْتبِينِي ** بنُعْمى طالَما فرَّجْنَ كَرْبِي) ٨ (فيُنقِذَ مِنْ غمارِ الموتِ نفسِي ** ويُطلقَ منْ إسارِ الهمِّ قلْبِي) ٩ (وكنتُ إذا عتبتُ على زمانٍ ** أزالَ سماحُ نصْرِ اللهِ عتْبِي)٠ (أؤَمّلهُ لحادِثةِ اللّيالي ** فأخْصِبُ والزّمانُ زمانُ جَدْبِ)

---

(٣) ".

"البحر : كامل تام (أقدَمْ ، كما قَدِمَ الرّبيعُ الباكرُ ، ** واطْلُعْ ، كما طَلَعَ الصّباحُ الزّاهِرُ) (قسماً ، لقد وفَى المُنى ، ونفى الأسَى ، ** مَنْ أقْدَمَ البُشرَى بِأنّكَ صَادِرُ) (ليُسَرّ مُكْتَئِبٌ ، وَيُغْفَى ساهِرٌ ، ** ويراحَ مرتقبٌ ، ويوفَى ناذرُ) ٤ (قَفَلٌ وإبْلالٌ ، عَقِيبَ مُطِيفَةٍ ** غشيَتْ ، كمَا غشيَ السّبيلَ العابرُ) ٥ (إنْ أعنَتَ الجسمَ المكرَّمَ وعكُها ؛ ** فلَرُبّما وُعِكَ الهِزَبْرُ الخَادِرُ) ٦ (ما كانَ إلاّ كانجلاء غيابةٍ ، ** لبِسَ ، الفِرِنْدَ بها ، الحُسامُ الباترُ) ٧ (فلتغْدُ ألسنةُ الأنامِ ، ودأبُهَا ** شكرٌ ، يجاذبُهُ الخطيبَ الشّاعرُ) ٨ (إن كان أسعدَ ، من وصولكَ ، طالعٌ ، ** فكذاكَ أيمَنَ ، من قُفُولِكَ ، طائرُ) ٩ (أضْحَى الزّمانُ ، نَهارُهُ كَافُورَةٌ ، ** وَاللّيلُ مِسْكٌ ، منْ خِلالِكَ ، عاطِرُ)٠ (قَد كانَ هجري الشّعرَ ، قبلُ ، صَرِيمَةً ، ** حَذَرِي ، لذلكَ النّقدِ فيها ، عاذِرُ)

---

(١) ديوان ابن الرومي، ص/٤٢٦٥

(٢) ديوان ابن الخياط، ص/٤٦

(٣) ديوان ابن الخياط، ص/١٣٥

". (١)

"ولا تقول متظرّفة لأخرى هذه وردتكِ، ولوزتكِ، ونبقتُكِ، وجوزتك، ورمانتك، وتينتك، وذلك عندهم أجلّ العيوب، تشمئزّ منه القلوب، ويَجتنبونه أشدّ الاجتناب، ويكتئبون له أمرَّ **اكتئابٍ**.

وكذلك لا تقول واحدةٌ لأخرى: ارفعي رجلكِ، ولا ذيلك، ولا اقعُدي عليه، ولا أدخليه وأخرجيه، ولا أصعديه، ولا صُبيّه، ولا انفُخيه، ولا سيّبي، ولا سرّحي، ولا شيلي، ولا انتحي، ولا اعملي، ولا قد عملتِ، ويَجتنبون ذلك وما أشبهه من الكلام، مما كثُر استعماله في خِطاب العوامّ، ولا يَكادون يلفظون به، ولا يُطيف بألسنتهم، ولا يُجيزونه في شيء من مُخاطبتهم، ويَحذرونه، ويتوقّون منه، ويَعيبون المتكلّم به، ويُعرضون عنه.

ذكر زيهم في الشراب

الذي يتخيّره ذوو الألباب

أما ما عليه الظرفاء، وأهل المروّة والأدباء، فإنهم لا يشربون من الشراب أسوده، ولا يشربون إلا أجوده، مثل المشمّس، والزّبيبي، والمعسّل، والمطبوخ، والطلاء، والمعدَّل، ولا يقربون ما لاءمه الخثَرُ، ولا ما خالطه الكَدَر؛ ولا يشربون إلا ما صفا من الشراب، ويتجاللون عن المسحوري الدوشاب، إذ هو من شراب العامّة والرَّعاع، وشُرب السوقة والأتباع؛ ولا يتنقّلون على شرابهم بالأشياء الرَّذْلة مثل الباقلي والبلّوط، والبُسر المقلوّ، والقَريثاء، والحنطة، والغُبيراء، والشاهْبَلوط، والخُرنوب الشامي، وما أشبه من الأنفال.

وأكثر ما يتنقّل به المتظرّفون، ويعبث به المُتزيّكون، مملوح البُندق، ومقشَّر الفستق، والملح النِّفطي، والعود الهندي، والطين الخراساني، والملح الصَّنعاني، والسَّفرجل البلخي، والتفّاح الشامي، ويتّخذون من كل شيء من الآنية أسراه، ومن الزجاج أجوده وأنقاه.

وأما ما اجتنبوه من الهدايا، وتخوّفوا من هديته البَلايا، فأشياء يكثُرُ بها العَدد، ويطول بها الأمد؛ وأنا أذكر من يسيرها ما يُستدلّ به على كثيرها.

ذكر الأشياء التي يتطير الظرفاء من إهدائها

ويرغبون عنها لشناعة أسمائها

فمن ذلك الأُترجّ، والسفرجل، والشقائق، والسوسن، والنَّمّام، وأطباق الخِلاف، والغَرَب، والبان. فأما الأُترجّ فإن باطنه خلاف ظاهره، وهو حسن الظاهر، حامض البطن، طيّب الرائحة، مختلف الطعم، ولذلك يقول فيه الشاعر:

أهدى له أحبابه أُترجّةً، ... فبكى، وأشفق من عِيافة زاجر

خاف التلوّن، إذ أتته، لأنها ... لونان باطنها خلاف الظاهر

فَرِقَ المتيَّم من حموضة لبّها ... واللون زيّنها لعين الناظر

(١) ديوان ابن زيدون، ص/١٩٧

وأما السفرجل فلأنّ فيه اسم السفر، وقد قال فيه الشاعر:

مُتحفي بالسفرجل، ... لا أريد السفرجلا!

اسمه، لو عرفتَهُ، ... سفرٌ جَلَّ، فاعتلى!

وقال آخر:

أهدت إليه سفرجلاً، فتطيّرا ... منه وظلّ مُتيَّماً، مستعبرا

خاف الفِراق، لأن أول اسمه ... سفرٌ فحقّ له بأن يتطيّرا

وأما الشقائق، فلشطْر اسمه، ولقول الشاعر فيه:

لا تراني طَوال ده ... ري أهوى الشقائقا

إن يكن يشبه الخدو ... د، فنصف اسمه شَقا

وقال آخر:

لا يحب الشقائقا ... كل من كان عاشقا

إن نصف اسمه شقا ... ءٌ، إذا فُهتَ ناطقا

وأما السوسن، فلأن اسمه السوء، وقال فيه الشاعر:

سُوسنةٌ أعطيتنيها، وما ... كنتِ بإعطائكها محسنهْ

شطر اسمها سوءٌ، فإن جئت بال ... آخر منها، فهو سوءٌ سَنَهْ

وأنتِ إن هاجرتني ساعةً، ... قلتُ: أتتُ من قبل السوسنهْ

وقال آخر:

يا ذا الذي أهدى لنا سوسنا، ... وما كنتَ في أهدائه محسنا

أوله سوءٌ، فقد ساءني، ... يا ليت أني لم أر السوسنا

وأما الياسمين فلمبدأِ اسمه تُطُيِّر منه، ولقول الشاعر:

إني لأذكر بالريحان رائحةً ... منها، فَلِلْقَلب بالريحان إيناسُ

وأمنح الياسمين البُغض من حذري ... لليأس، إذ كان في بعض اسمه ياسُ

وقال آخر:

أبصرتُه في المنام ناولني ... من كفّه الياسَمين والغَرَبا

فكان يأسٌ في الياسمين، وفي الغ ... رب اغترابٌ، يا شؤم ما وهبا." (١)

"كتبتُ أشكو إليكَ ما بي ... ممّا أقاسي فما تُبالي

يا حَسَن الوجه كُن شَفيعي ... إليكَ إنْ لم أبُح بحالي

---

(١) الموشى، ص/٦٠

ما ذكر القلبُ منك شيئاً ... إلا تمثّلتَ لي خِيالي

وقال آخر:

هذا كتابي فتىً لغَيبِكَ حافظٍ ... صَبٍّ بذكرك مُستهامٍ مُدنَفِ

إنْ غبتَ آنسَ طرفه بدموعه ... وإذا أصابك طرْفُهُ لم يَطرِفِ

وقال آخر:

هذا كتاب أهي هوىً مشتاقٍ ... قَرِحِ الجُفون بدمعه المُهراقِ

أملى هواه على بَنان يمينه ... فأبان كيف مَصارع العُشّاق

وكأنه يُنبي بما في نفسه ... من طول شَوقٍ **واكتئابٍ** باقِ

وقال آخر:

هذا كتاب مُتيَّمٍ مشتاقٍ ... يشكو إلى مستظرَفٍ ذَوّاقِ

أهدى له الهجران بعد تواصُلٍ ... وكذاك فعل الخائن المَذّاقِ

ما هكذا فعلُ الكِرام فأجملي ... وتحرّجي أن تَنقضي ميثاقي

وارْثي لصبٍّ هائم قد شفّه ... طول النحيب وشدّة الإقلاقِ

وأنشدني إبراهيم بن محمد لنفسه:

هذا كتاب متيَّمٍ في قلبه ... نارٌ تَضَرَّمُ بُكرةً وأصيلا

فإذا قرأتَ كتابه فاجعل له ... بعد الصُّدود إلى الوِصال سبيلا

فلقد تركتَ فؤاده في غَمرةٍ ... وتركتَ في الأحشاء منه غَليلا

ولقد تبرّم بالحياة وطُولها ... وعسى مَداه أن يكون قليلا

لا تُغرين به رَداهُ وحَينَهُ ... حاشاك أن تُردي يَداك قَتيلا

حاشاك من قَلَقٍ أطارَ رُقاده ... فأبى الرُّقادَ فما يَلَذُّ مَقيلا

وأنشدني أيضاً لنفسه:

هذا كتابي إليكَ فاقرأ ... كتاب ذي صَبوةٍ عَميدِ

أقلقه شوقه المُعنيّ ... وهدَّه لوعةُ الصُّدودِ

لكنّه في الظلام يبكي ... بُكاءَ ذي الفَقدِ للفقيدِ

إن كنتَ غضبان فارضَ عني ... رِضى الموالي عن العبيدِ

ولأبي الطيّب في هذا المعنى:

هذا كتابي إليكَ فاقرأ ... كتابَ من شفّه السَّقامُ

وارثِ لسُقمي وطول صبري ... فقد وَهَت منّي العِظامُ

ولا تُرِد قتلتي وهجري ... فقتلُ حِلفِ الهوى حَرامُ

وقال آخر:

أثَرُ المَحو في سُطور كتابي ... شاهدٌ لي بعبرةٍ وانتحابِ

وبكائي يدُلّ أني سقيمٌ ... خاضعٌ للهوى طويلُ العذابِ

أنا بين الرجاء واليأس وقفٌ ... لستُ أدري بما يكون جوابي

فإذا اشتقتُ أن أراك أنادي ... فرجَ الله لي من الحُجّابِ

وقال آخر:

غضِبَتْ لَمحوٍ في الكتاب كثير ... قالت أراد خِيانتي وغُروري

كتب الكتاب على خلاف ضميره ... والمحوُ فيه لعلّة التغييرِ

ما كان دمعي للغُرور وظنّكم ... كلاًّ ولا للسهو والتقصير

كَتَبَتْ يميني والدموع هواطلٌ ... حَذَرَ الفِراق لما يُجَنّ ضميري

فالمحوُ من قِبلِ الدموع وإنما ... تَجري دموع العاشقِ المهجورِ

وقال آخر:

ما زِلتُ أبكي وفي يدي قلمٌ ... حتى استهلّت مدامع القَلَمِ

أكتُمُ وَجدي والدمع يُظهره ... بواكفٍ كالجُمان منسَجِمِ

ما زلتُ خِلواً من الهوى فلقد ... عذّبني من هويتُ بالسَّقمِ

يا سيّداً تاهَ ما يُكلّمني ... نِمتَ وعينُ الشجيّ لم تَنَمِ

أنا قتيلُ الهوى وميّتُهُ ... لا عَذّب الله قاتلي بدمي

وقال آخر:

إني رفعتُ إليكِ قصة عاشقٍ ... ورجوتُ عدلك فانظُري في قصتي

ولقد كتبتُ ودمع عيني ساكبٌ ... فإذا قرأتِ فأحسني وتثبّتي

إن الدموع تفجّرت فتحدّرتْ ... منها فنونٌ في صفات مودّاتي

لا فَرَج الله الصبابة والهوى ... عني، ولا زالت عليكِ مضجَنّتي

وقال آخر:

أما الرسول فقد مضى بكتابي ... يا ليتَ شِعري ما يكون جَوابي؟." (١)

"فنعم المعتزى «٨٦» رحلت إليه رحى حيزومها كرحى الطّحين

و إنما توصف النجائب بصغر الكركرة و لطف الخفّ.

---

(١) الموشى، ص/٧١

و قوله «٨٧»:

و أعددت للساقين و الرّجل و النّسا لجاما و سرجا فوق أعوج مختال

و إنما يلجم الشّدقان لا الساقان.

و قول الأعشى «٨٨»:

و ما مزبد من خليج الفرا ت جون غواربه تلتطم «٨٩»

بأجود منه بما عونه إذا ما سماؤهم لم تغم

يمدح ملكا و يذكر أنه يجود بالماعون.

و قوله «٩٠»:

شتّان ما يومى على كورها و يوم حيّان أخى جابر

و كان حيان أشهر و أعلى ذكرا من جابر، فأضافه إليه اضطرارا.

و قول عدى «٩١»:

و لقد عدّيت دوسرة كعلاة القين مذكارا «٩٢»

الموشح، ص: ١١٤

و المذكار: التى تلد الذكران، و المئناث عندهم أحمد؛ و أراد مذكّرة فلم يتفق له.

و قول الشماخ «٩٣»:

بانت سعاد ففى «٩٤» العينين ملمول و كان فى «٩٥» قصر من عهدها طول

كان ينبغى أن يقول: و كان فى طول عهدها قصر، أو يقول: فصار فى قصر عهدها طول.

و قول أبى دواد الإيادى «٩٦»:

لو أنها بذلت لذى سقم مره «٩٧» الفؤاد مشارف القبض

أنس «٩٨» الحديث لظلّ مكتئبا حرّان من وجد بها مضّ

لو قال: إنه كان يذهب سقمه كان أبلغ لنعتها.

و قول أبى ذؤيب «٩٩»:

و لا يهنى ء الواشين أن قد «١٠٠» هجرتها و أظلم دونى ليلها و نهارها

كان ينبغى أن يقول: و أظلم دونها ليلى و نهارى.

و قوله «١٠١»:

عصانى إليها القلب «١٠٢» إنى لأمره سميع فما أدرى أرشد طلابها

كان يحتاج أن يقول أغىّ أم رشد، فنقص العبارة.

الموشح، ص: ١١٥

و قول ساعدة بن جؤيّة «١٠٣»:

فلو نبّأتك الأرض أو لو سمعته لأيقنت أنى كدت بعدك أكمد

لو قال: إنى بعدك كمد كان أبلغ من قوله: كدت أكمد.

و قول ابن أحمر «١٠٤»:

غادرنى سهمه أعشى و غادره سيف ابن أحمر يشكو الرأس و الكبرا

أراد غادرنى سهمه أعور، فلم يمكنه، فقال: أعشى.

و قول طرفة «١٠٥»:

كأنّ جناحى مضرحيّ تكنّفا حفافيه شكّا فى العسيب بمسرد «١٠٦»." (١)

"يعني قول " نعم " فجعل الوعد هو الفعل نفسه لصحته وصدقه، وقد مثل البحتري أيضاً الموعد وكيف تحول عطاء تمثيلا آخر حسناً، فقال:

وشكرت منك مواهباً مشكورةً ... لو سرن في فلكٍ لكن نجوماً

ومواعداً لو كن شيئاً ظاهراً ... تفضي إليه العين كن غيوماً

وذلك لأن الغيم يصير مطرا، كما أن الموعد يصير عطاء، وأبو تمام - فيما يذهب إليه - غالط؛ لأنه وضع الاستعارة في غير موضعها.

٣٠ - ومن خطائه قوله:

فلو ذهبت سنات الدهر عنه ... وألقى عن مناكبه الدثار

لعدل قسمة الأرزاق فينا ... ولكن دهرنا هذا حمار

قوله " وألقى عن مناكبه الدثار " لفظ ردئ، وليس من المعنى الذي قصده في شيء، وصدر البيت لائق بالمعنى؛ فلو كان أتبعه بما يكون مثله في معناه، بأن يقول: فلو ذهبت سنات الدهر عنه واستيقظ من رقدته أو انتبه من نومته أو انكشف الغطاء عن وجهه؛ لكان المعنى يمضي مستقيما؛ لأن من كان في سنةٍ أو نوم أو مغطى على وجهه أو عينيه فإنه لا يبصر الرشد، ولا يكاد يهتدى لصواب، وإنما هذه كلها استعارات، والمراد بها هداية القلب وإبصاره وفهمه، وقد جرت العادة باستعارتها في هذا المعنى، فأما دثار المناكب فليس من هذا الباب في شيء؛ إذ قد يبصر الإنسان رشده ويهتدي لصواب أمره وعلى مناكبه دثارٌ وعلى ظهره أيضاً حمل، ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطاء على العين؛ لأنه إنما يراد نوم القلب والتغطية عليه؛ لأن الإنسان إنما يقال له: " قد عمى قلبك " و " قد عميت عن الصواب عينك " و " قد غطى على فهمك " ولا يقال: " قد غطيت بالدثار عن الصواب مناكبك، ولا ظهرك " ، ولفظة الدثار أيضاً إنما تستعمل لمنع الهواء والبرد، لا لمنع الفهم والرشد.

٣١ - ومن خطائه قوله:

---

(١) الموشح، ص/٦٧

وأرى الأمور المشكلات تمزقت ... ظلماتها عن رأيك المتوقد

عن مثل نصل السيف، إلا أنه ... مذ سل أول سلةٍ لم يغمد

فبسطت أزهرها بوجهٍ أزهرٍ ... وقبضت أربدها بوجهٍ أربد

فقال " الأمور المشكلات " وجعل لها ظلمات، فكيف يقول: فبسطت أزهرها، والزهر هي النيرات، والمشكلات لا يكون شيء منها نيراً؟ وكأنه يريد أن الأمور المشكلة منها جيد قد أشكل الطريق إليه، ومنها ردئ قد جهلت أيضاً حاله؛ فهي كلها مظلمة، فيمزق ظلماتها برأيه، ويكشف عن الجيد منها ويبسطه: أي ستعمله، ويكشف عن رديئها ويقبضه: أي يكفه ويطرحه، ولكن ما كان ينبغي له أن يقول " بوجه أزهر " و " بوجه أربد " ؛ لأنه لا صنع ههنا للوجه ولا تأثير؛ لأن الصنع إنما هو للرأي وللعقل؛ فإذا رأى ذو الرأي أمراً استبان منه الأشياء المظلمة، وانفتحت المغلقة، أو رأى أن يغلق أمراً مفتوحاً إذا كان الصواب موجباً ذاك عنده؛ فالرأي على الأحوال كلها أزهر مسفر، والوجه على الأحوال كلها أبيض، وليس يريد أبيض في لونه.

والعاجز إذا ورد عليه الأمر يبهظه تبينت الكآبة في وجهه؛ ولله در منصور النمري حيث يقول:

ترى ساكن الأوصال باسط وجهه ... يريك الهوينا، والأمور تطير

فقال " ساكن الأوصال باسط وجهه " فدل على قلة اكتراثه بالأمور التي ترد عليه، وقول أبي تمام " بوجهٍ أربد " لا معنى له؛ لأنه من صفات الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه، وو عندي في ذلك غالط، وفي ذلك مسيء.

٣٢ - ومن خطائه قوله يذكر سير الإبل:

كالأرحبي المذكى سيره المرطى ... والوخد والملع والتقريب والخبب

فالأرحبي من الإبل: منسوبٌ إلى أرحب، حي من همدان تنسب إليهم النجائب، والمذكى: الذي قد انتهى في سنه وقوته، والمرطى: من عدو الخيل فوق التقريب ودون الإهذاب، والوخد: الاهتزاز في السير مثل وخد النعام، والملع: من سير الإبل السريع، والتقريب: من عدو الخيل معروفٌ، والخبب: دونه، وليس التقريب من عدو الإبل، وهو في هذا الوصف مخطئ، وقد يكون التقريب لأجناسٍ من الحيوان، ولا يكون للإبل، وإنا ما رأينا بعيراً قط يقرب تقريب الفرس، والمرطى أيضاً: من عدو الخيل، ولم أره في اوصاف الإبل ولا سيرها.

٣٣ - ومن خطائه قوله:

ومشهدٍ بين حكم الذل منقطعٌ ... صاليه، أو بحبال الموت متصل

جليت والموت مبدٍ حر صفحته ... وقد تفرعن في أفعاله الأجل." (١)

"وقد كان طلاع النجاد وبين ال ... لسان ومدلاج السرى غير فاترِ

فأقسمت أبكي بعد توبة هالكاً ... وأحفل من نالت صروف المقادرِ

وقالت الفارعة ترثي أخاها الوليد بن طريف:

---

(١) الموازنة، ص/٥٥

بتلٍّ تُهاكَى رسم قبرٍ كأنه ... على جبلٍ فوق الجبال مُنيفِ

تضمّنَ مجداً عدلمياً وسؤدداً ... وهمة مقدامٍ، ورأي حصيفِ

فيا شجر الخابور مالكَ مورقاً ... كأنك لم تحزن على ابن طريفِ

فتىً لا يحبُّ الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قناً وسيوفِ

ولا الدخر إلا كل جرداء صلدمٍ ... معاودةٍ للكرّ بين صفوفِ

كأنك لم تشهد هناك ولم تقُمْ ... مقاماً على الأعداء غير خفيفِ

ولم تستلم يوماً لوردٍ كريهةٍ ... من السرد في خضراء ذات رفيفِ

ولم تسعَ يوم الحرب، والحربُ لاقحٌ ... وسمرُ القنا ينكزنها بأنوفِ

حليف الندى ما عاش يرضى به الندى ... فإن مات لا يرضى الندى بحليفِ

فقدناك فقدان الشباب، وليتنا ... فديناك من ساداتنا بألوفِ

وما زال حتى أزهق الموت نفسه ... شجاً لعدوٍّ أو نجاً لضعيفِ

ألا يا لقومي للحمام وللبلى ... وللأرض همت بعده برجوفِ

ألا يا لقومي للنوائب والردى ... ودهرٍ ملحٍّ بالكرام عفيفِ

وللبدر من بين الكواكب إذ هوى ... وللشمس لما أزمعت بكسوفِ

ولليث كل الليث إذ يحملونه ... إلى حفرةٍ ملحودةٍ وسقيفِ

ألا قاتل الله الحشا حيث أضمرت ... فتىً كان للمعروف غير عيوفِ

فإن يكُ أرداه يزيد بن مزيدٍ ... فرُبَّ زحوفٍ لفها بزحوفِ

عليه سلام الله وقفاً، فإنني ... أرى الموت وقاعاً بكل شريفِ

وقالت أيضاً:

يا بني وائلٍ لقد فجعتكم ... من يزيدٍ سيوفه بالوليدِ

لو سيوفٌ سوى سيوف يزيدٌ ... قاتلته لاقت خلاف السعودِ

وائلٌ بعضها يقتل بعضاً ... لا يفل الحديد غير الحديدِ

وقال أعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي:

إنني أتتني لسانٌ لا أُسرُّ بها ... من علو لا عجبٌ فيها، ولا سخرُ

فظلت مكتئباً حرَّان أندبه ... وكنت أحذره، لو ينفع الحذرُ

فجاشت النفس لما جاء جمعهم ... وراكبٌ جاء من تثليث معتمرٍ

يأتي على الناس لا يلوي على أحدٍ ... حتى التقينا، وكانت دوننا مضرُ

إن الذي جئت من تثليث تندبه ... منه السماح ومنه النهي والغِيرُ

تنعى امرءاً لا تغبُّ الحيَّ جفنته ... إذا الكواكب أخطأ نوءها المطرُ
وراحت الشولُ مغبراً مناكبها ... شعثاً تغير منها النِّيُّ والوبرُ
وألجأ الكلبَ موقوع الصقيع به ... وألجأ الحيَّ من تنفاخها الحُجَرُ
عليه أول زاد القوم قد علموا ... ثم الطيُّ، إذا ما أرملوا جزروا
قد تكظم البُزْلُ منه حين تبصرهُ ... حتّى تقطّع في أعناقها الجِررُ
أخو رغائبَ يعطيها ويسلبها ... يأبى الظلامة منه النوفلُ الزفرُ
لم ترَ أرضاً، ولم تسمع بساكنها ... إلا بها من بوادي وقعه أثرُ
وليس فيه، إذا استنظرته عجلٌ ... وليس فيه، إذا ياسرته العُسُرُ
فإن يصبك عدوٌ في مناوأةٍ ... يوماً فقد كنت تستعلي وتنتصرُ
من ليس في خيره من يكدِّرهُ ... على الصديق، ولا في صفوه كَدَرُ
أخو حروبٍ ومكسابٌ إذا عدموا ... وفي المخافة منه الجد والحذرُ
مِرْدى حروبٍ ونورٌ يستضاء به ... كما أضاء سواد الظلمة القمرُ
مهفهفٌ أهضمُ الكشحين منخرقٌ ... عنه القميصُ، لسير الليل محتقرُ
طاوي المصير على العزاء منجردٌ ... بالقوم ليلة لا ماءٌ ولا شجرُ
لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه ... وكل أمرٍ سوى الفحشاء يأتمرُ
لا يتأرى لما في القدر يرقبه ... ولا يعضُّ على شرسوفه الصَّفَرُ
لا يغمز الساق من أين ولا نصبٍ ... ولا يزال أمام القوم يقتفرُ
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه ... في كل فجٍّ، وإن لم يغزُ منتظرُ
يكفيه حزة فلذٍ إن ألم بها ... من الشواء، ويروي شربه الغُمرُ
لا تأمن البازل الكوماء غدوتهُ ... ولا الأمُون، إذا ما اخروَّطَ السفرُ." (١)

"الخندفيُّ الذي يحمي حقيقته ... في كل يومٍ مخوف الشر والعارِ
والقائدُ الخيلُ قباً في أعنتها ... بالقوم حتى تلفّض القارَ بالقارِ
من كل أبيضَ كالمصباحِ من مُضرٍ ... يجلو بسنَّتهِ الظلماء للساري
ماضٍ على الهول مقدامٌ إذا اعترضتْ ... سمرُ الرماحِ، وولى كلُّ فرَّارِ
إن قال قولاً وفى بالقول موعده ... إن الكنانيَّ وافٍ غير غدَّارِ
وقال خفاف بن ندبة يرثي حضير الكتائب، وكان صديقه:
أتاني حديثٌ فكذبتهُ ... وقيل: خليلكَ في المَرْمَسِ

---

(١) حماسة القرشي، ص/١٢

فيا عين بكّي حضير الندى ... حضير الكتائبَ والمجلسِ
ويومٍ شديد أوارِ الحديدِ ... تقطَّع منه عُرى الأنفسِ
صليتَ به وعليك الحدي ... دُ ما بين سلعٍ إلى الأعرَسِ
فأودى بنفسك يوم الوغى ... ونقَّى ثيابك، لم تدْنُسِ
وقال أبو داؤدٍ الإيادي:
لا أعدُّ الإقتار عُدماً، ولكن ... فَقْدُ من قد رُزِئْتُهُ الإعدامُ
من رجالٍ من الأقاربِ بانوا ... من جذامٍ هم الرؤوسُ الكرامُ
سُلّط الموتُ والمنونُ عليهم ... فلهم في صدى المقابر هامُ
وكذاكم سبيلُ كل أناسٍ ... سوف، حقاً، تبليهم الأيامُ
وقال محمد بن بشير الخارجي يرثي زيد بن الحسن:
نعاهُ لنا الناعي، فظلنا كأننا ... نرى الأرض فينا أنه حان حينها
وزلَّتْ بنا أقدامنا، وتقلَّبتْ ... ظهور روابيها بنا وبُطونُها
وآبَ ذوو الألباب منا كأنما ... يرون شمالاً فارقتها يمينُها
سقى الله سُقيا رحمةٍ تُربَ حفرةٍ ... مقيمٍ على زيدٍ ثراها وطينها
وقال أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي:
واحربا من فراق قومٍ ... هم المصابيحُ والحصونُ
والأُسْدُ والمُزْنُ والرواسي ... والأمنُ والخفضُ والسكونُ
لم تتنكر لنا الليالي ... حتى توفتهم المنونُ
فكل نارٍ لنا قلوبٌ ... وكل ماءٍ لنا عيونُ
وقال العباس بن الأحنف:
سبحان ربِّ العُلا ما كان أغفلني ... عما رمتني به الأيام والزمنُ !
من لم يذقْ فرقةَ الأحبابِ ثم يرى ... آثارهم بعدهم لم يدرِ ما الحزنُ ؟
وقال آخر:
بالله يا قبرُ ! هل زالت محاسنها ... وهل تغير ذاك المنظر النَضِرُ ؟
ما أنت يا قبر، لا روضٌ، ولا فلكٌ ... فكيف جمّع فيك الغُصْنُ والقَمَرُ ؟
وقال أبو دهبل الجمحي يرثي ابن الأزرق:
لقد غال هذا اللحد من بطن عُليبٍ ... فتىً كان من أهل الندى والتكرُّمِ
فتىً كان فيما ناب يوماً هو الفتى ... ونعم الفتى للطارقِ المتيمّمِ
أألْحَقُّ أني لا أزال على مِنىً ... إذا صدر الحُجّاج عن كل موسمِ

سقى الله أرضاً أنت ساكن قبرها ... سجالَ الغوادي من سحيلٍ ومبرمِ

وقال آخر:

ما غاض دمعي عند نازلةٍ ... إلا جعلتك للبكا سببا

فإذا ذكرتك سامحتْكَ به ... مني الجفونُ، ففاض وانسكبا

إني أُجلُّ ثرىً حللْتَ به ... من أن أُرى لسواه مُكتئبا

وقال الخثعمي:

فتىً كغرار السيف لاقى منيةً ... وأيدي المنايا جمةُ الخَلَجانِ

فمات وأبقى من تُراثِ عطائهِ ... كما أبقتِ الأنواءُ للحيوانِ

الباب الثالث في

النسيب

قال امرؤ القيس:

تقول، وقد جردتها من ثيابها ... كما رُعتَ مكحولاً من العينِ أَتْلَعا

وجدِّكَ لو شيءٌ أتانا رسولهُ ... سواك، ولكن لم نجد لك مَدْفعا

فبتنا نذود الوحش عنا كأننا ... قتيلانِ، لم يعلم لنا الناس مصْرعا

إذا أخذتها هِزَّةُ الروعِ أمسكتْ ... بمنكبِ مقدامٍ على الهولِ أروعا

وقال نُصيب:

كأن على أنيابها الخمرُ شَجَّها ... بماء الندى في آخر الليلِ عابقُ

وما ذُقْتُهُ إلا بعيني تفرساً ... كما شيمَ في أعلى السحابةِ بارقُ

وقال عروة بن أُذينة:

كأن خُزامى طلةٍ صابها الندى ... وفارة مسكٍ ضُمِّنتها ثِيابُها

فكِدْتُ لذكراها أطيرُ صبابةً ... وغالبتُ نفساً زاد شوقاً غِلابُها." (١)

"حرام إسم المشتار، يقول خوّفها و حذرها، وراقه أعجبه ذرى العسل ولا يرى إلا أعاليه لأنه مطرور بالشمع، عرضها عرض الشهد وانتصابها في السماء يريد قرصة الشهد.

فأعلق أسباب المنية و ارتضى ... ثقوفته إن لم يخنه انقضابها

أسباب المنية تلك الحبال لأنه على خطر فإن سقط كان سبب منيته، و الثقوفة و الثقافة واحد وهو الحذق، و انقضابها انقطاعها.

تدلّى عليه بين سبٍّ وخيطة ... بجرداءٍ مثل الوكف يكبو غرابها

---

(١) حماسة القرشي، ص/١٥

السب في كلام هذيل مثل السبب، و الخيطة الوتد، يقول هو بين الحبل و الوتد في أعلى الجبل، والوكف النطع، جرداء صخرة ملساء يزل عنها الغراب من ملاستها.

فلما جلاها بالأيام تحيزت ... ثبات عليها ذلّها و اكتئابها

جلاها طردها و أخرجها و الإيام الدخان، تحيزت انحازت و تميزت قطعاً قطعاً، ثبات جماعات الواحدة ثبة.

وقال أيضاً وذكر خماراً جلب خمراً:

فبات بجمع ثم تمّ إلى منى ... فأصبح راداً يبتغي المزج بالسحل

فجاء بمزج لم ير الناس مثله ... هو الضحك إلا أنه عمل النحل

راداً أي مرتاداً يطوف يبتغي عسلاً يمزج به خمره، والمزج العسل والسحل النقد، يقال سحله مائة درهم مثل نقده، و الضحك الثغر يقول جاء بعسل هي الثغر بياضاً، قال الأصمعي سألت بن أبي طرفة عن الضحك فقال أظنه أراد المضحك أي بياض الثغر.

وقال ابن الأعزابي يقال للطلع الضحك و الأغريض، يقال ضحك النخل و هو أن ينشق كافوره عن طلعه.

يمانيةٌ أحيا لها مظّ مأبد ... و آل قراس صوب أسفية كحل

المظّ الرمان البري تأكل النحل نوره، و مأبد بلد، قراس أجبل معروفات لهذيل، كحل د، أسفية جمع سفى و السفى و الرمى سحابتان شديدتا الوقع عظيمتا القطر ليس لهما جدا على الأرض و هما سوداوان من سحاب الحميم والخريف.

وقال:

وما ضرب بيضاء يأوي مليكها ... إلى طنف أعيا براق و نازل

الضرب العسل الأبيض الذي قد صلب يقال قد استضرب العسل، و الطنف ما نتأ من الجبل، و مليكها أميرها وهو اليعسوب.

تهال العقاب أن تمر بريده ... و ترمي دروءاً دونه بالأجادل

الريد الناحية من الجبل، والدروء العوج يقال بين القوم درء، والأجادل الصقور.

تنمّى بها اليعسوب حتى أقرّها ... إلى مألف رحب المباءةعاسل

تنمى ارتفع بهذا النحل حتى جعلها في مألفه، و المباءة مرجع الإبل أي مبيتها الذي تأوي إليه فضربه مثلاً، عاسل كثيرة العسل كما يقال لابن وتامر:

فلو كان حبلٌ من ثمانين قامة ... وتسعين باعاً نالها بالأنامل

يقول لو كان الحل الذي يتدلى به إلى الوقبة ثمانين قامة أو تسعين باعاً لناله يده. وقال سعدة بن جؤية:

أرى الجوارس في ذؤابة مشرف ... فيه النسور كما تحبى الوكب

يقول هو وعر ففيه النسور قد استدارت فكأنهم الركب قد نزلوا واحتبوا.

من كان معنقة وكل عطافة ... مما يصدقها ثوّاب يزعب

يعني الهضبة معنقة طويلة العنق، و عطافة منحنى هضبة أخرى ينعطف، وثواب ما يثوب أي يجتمع في الوادي، ويزعب يتدافع يقال مر الوادي يزعب ومر الرجل يزعب بحمله، وقوله مما يصدقها – يقول إذا رأيتها رأيت لها مخيلة يصدقها ما يثوب من الماء.

منها جوارس للسراة و تأتري ... كربات أمسلة إذا تتصوّب

تأتري تفتعل من الأرى وهو العمل، و الكربات مواضع من الوادي فيها غلظ، و أمسلة بطون الأودية التي تسيل، ويروي: وتحتوي كربات، أي تغلب عليها، وقوله: للسراة أي من السراة.

فتكشّفت عن ذي متون نير ... كالريط لاهفٍ ولا هو مخربُ

تكشفت النحل عن ذي متون أي عسل له طرائق بيض وشبهها بالربط في البياض، و الهف الخالي الذي ليس فيه شيء مخرب أخذ من الخراب، أراد قرص العسل.

وكأن ما جرست على أعضادها ... حيث استقّل بها الشرائع محلب

أعضادها أجنحتها، يريد أنها تحمله عليها و شبه ما تحمله من الشمع بحب محلب، قال الأصمعي: ولا يدري من أين تجيء بالشمع، و الشرائع طرائق في الجبل شرعت فيه لترعى.

حتى أشبَّ لها وطال إيابها ... ذو رجلة شئن البراثن جحنب." (١)

"فقال بعض كتابه لأبي عبيد الله: والله أصلحك الله ما قصد حتى أمّلك، وما أمّلك حتّى أجال النظر، وأمن الخطر، وأيقن بالظفر. فحقّق أمله بتهيئة التعجُّل، فإن الشاعر يقول:

إذا ما اجتلاه المجدُ عن وعد آمل ... تبلَّج عن نُجحٍ ليستكمل الشُّكرا

ولم يثنِه مطلُ العِدات عن التي ... يجوزُ بها الحمدَ الموفَّر والأجرا

فأمر أبو عبيد الله بإحضار جائزته فقال الأعرابي للفتى: خذها، فأنت سببها. فقال الفتى: شكرك أحبّ إليّ منها. فقال أبو عبيد الله للأعرابي: خذها فقد أمرت للكاتب بمثلها. فقال الأعرابي: الآن كمّلت النّعمة، وتّمت المنّة، أحسن الله جزاءك، وأدام نعماءك.

وقال أبو عبيد الله لرجل تحمّل عليه بشفعاء: لولا أنّ حقَّك لا يضاع لحجبتُ عنك حسنَ نظري أتظنّني أجهلُ الإحسانَ حتّى أعلّمه، ولا أعرف موضع المعروف حتى أعرفه. لو كان لا ينال ما عندي إلاّ بغيري لكنت بمنزلة البعير الذّلول، عليه الحمل الثقيل، إن قيد انقاد، وإن أنيخ ترك لا يملك من نفسه شيئاً.

فقال الرجل: معرفتك بمواقع الصنائع أثقب من معرفة غيرك، ولم أجعل فلاناً شفيعاً إنما جعلته مذكرا.

فقال وأيّ إذكار لمن رعى حقَّك أبلغ من تسليمك عليه، ومصيرك إليه. إنه متى لم يتصفّح المأمول أسماء مؤمّليه بقلبه غدوة وعشياً لم يكن للأمل أهلاً، وجرى المقدار لمؤمليه على يديه بما قدِّر، وهو غير محمود ولا مشكور. وما لي إمامٌ أدرسه بعد وردي من القرآن إلاّ أسماء رجال التأميل لي، وما أبيتُ ليلةً حتّى أعرضهم على قلبي.

---

(١) المعاني الكبير، ص/١٤٦

ووقّع في كتاب عامل: عجّل علينا بمبلغ ما اجتمع قبلك من الغلاّت، ولا تبطئ به، وإيّاك أن تستملي من جارك مطلاً به، ودفعاً عنه. وانفضْ عنك مقالة من يشينك ولا يزينك، ويوردك ولا يصدرك. ولله درُّ عديّ بن زيد حين يقول:

عن المرء لا تسأَل وأبصر قرينه ... فإنّ القرين بالمقارن يقتدى

تمثَّل المهديُّ وقد نظر إلى أبي عبيد الله:

رأيتك للأقصى صباً غير قرّةٍ ... تذاءبَ منها مرزغٌ ومسيلُ

وأنت على الأدنى شمالٌ عريّةٌ ... شآميةٌ تزوي الوجوه بليلُ

وفي مثله لمسافر بن أبي عمرو:

تمتُّ إلى الأقصَى بثديك كلِّه ... وأنت على الأدنى صروم مجدَّد

فإنك لم أصلحت من أنت مفسِدٌ ... تودّدك الأقصى الذي تتودّد

أخبرنا محمد بن يحيى قال: أخبرنا الحارث بن أبي أسامة عن المدايني قال: جرى بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد منازعة، فأغلظ له عمرو، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: يا عمرو، تكلِّم أمير المؤمنين بمثل هذا؟ فقال له عمرو بن سعيد: اسكت فو الله لقد سلبوك ملكك ونكحوا أمَّك، وغلبوا أمرَك، فما هذا النُّصح الموشَّح يغشّ! أنت والله كما قال الشاعر:

كمرضعةٍ أولاد أخرى وضيَّعتْ ... بنيها فلم ترقع بذلك مرقَعا

وفي مثل هذا لابن هرمة:

فإني وتركي نجى الأكرمين ... وقدحي بكفِّيَ زنداً شحاحا

كتاركةٍ بيْضَها بالعراءِ ... وملبسةٍ بيضَ أخرى جناحا

أخبرنا نفطويه أبو عبد الله قال: أخبرنا ثعلبٌ عن الزبير بن بكّار قال: خرج الفضل بن يحيى يريد سفراً، فودّعه أهله مكتئبين لفرقته، فقال: قاتل الله جميلاً حيث يقول:

لّما دنا البينُ بينُ الحيّ واقتسموا ... حبلَ النَّوى فهو في أيديهمُ قطَعُ

جادت بأدمعها سَلمى وأعجزني ... قربُ الفراق فما أُبقي ولا أدعُ

يا قلبُ ويحكَ لا سلمى بذي سلمٍ ... ولا الزمان الذي قد فات مرتَجَعَ

أكُلَّما مرَّ ركبٌ لا تلائمهم ... ولا يبالون أن يشتاقَ من فجَعوا

علَّقتني بهوىً منهم فقد جعلتْ ... من الفراق حصاةُ القلب تنصدعُ." (١)

" (الرجز)

(لا بارك الرحمن في رمي القتر ... أعوذ بالخالق من سوء القدر)

(أأخطأ السهم لإرهاق الضرر ... أم ذاك من سوء اختيار ونظر)

---

(١) المصون في الأدب، ص/١٦

(أم ليس يغني حذر عند قدر ...) ثم صنع صنيع الثاني وأنشأ يقول

(الرجز)

(ما بال سهمي يوقد الحباحبا ... قد كنت أرجو أن يكون صائبا)

(وأمكن العير وولى جانبا ... فصار رأيي فيه رايا خائبا)

(أظل منه في **اكتئاب** دائبا ...)

ثم صنع صنيع الثالث وأنشأ يقول

(الرجز)

(يا أسفى للشؤم والجد النكد ... أخلف ما أرجو لأهل وولد)

(فيها ولم يغن الحذار والجلد ... فخاب ظن الأهل فيه والولد)

ثم صنع صنيع الرابع وأنشأ يقول

(الرجز)

(أبعد خمس قد حفظت عدها ... أحمل قوسي وأريد ردها)

(أخزى الإله لينها وشدها ... والله لا تسلم عندي بعدها)

(ولا أرجى ما حييت رفدها ...) ." (١)

"يوهمنيك الشوق حتى كأنني ... أناجيك عن قرب وما أنت في قربي

قال فدعا المأمون وأمر بعلاجهما فعولجا حتى برئا وزوج الفتى من ابنة عمه وأجرى عليهما ما يصلحهما وكانا في جملة حاشيته حتى مات.

؟حكاية

عتب عبد الله بن طاهر على بعض كتابه فسجنه في مقصورة. فأشرفت عليه جارية لعبد الله كانت حظية عنده فنظرت إلى الفتى وكان أديباً ووافقت نظرة منه إليها. فوقع في قلبها محبة شديدة وعالجت الصبر عنه فلم تقدر عليه. فأخذت رقعة فكتبت فيها:

أيها الزاني بعين ... يه وفي الطرف حتوف

إن ترد وصلاً فقد ... أمكنك الظبي الألوف

ثم دلت إليه الرقعة بخيط، فلما قرأها كتب فيها:

إن تريني راني ... العينين فالقلب عفيف

ليس إلا النظر الفا ... تك والعقل ظريف

فلما رأته الجارية يكتب في الرقعة جواباً فرحت ولم تشك أنه فيها أرغب. فلما رفعت الرقعة وقرأتها ساءها رده فقلبتها وكتبت

---

(١) المستقصى في أمثال العرب، ٣٨٨/١

في ظهرها:

قد أردناك على أن ... تجتلي ظبياً ألوفا

فأبيت الآن لا ... زلت لقيديك حليفاً

ثم دلتها فلما قرأها كتب فيها:

ما تركت الظبي إني ... كنت للظبي عنيفا

غير أني خفت رباً ... لم يزل براً رؤوفا

فرفعت الرقة فلما رأتها ساءها ذلك فأومأت بها لتجعلها في جيبها فجعلتها بين ثوبها وهي لا تدري. فدخلت مقصورتها، وجاء عبد الله ماشياً في سطح قصره فمر بالرقعة فتناولها فعرف خط الجارية وخط الفتى، فحجب من عفته وصبره عنها على حسنها وجمالها، وكانت من أعز جواريه عليه فدخل عليها فوجدها مكتئبة حزينة. فقال: ما هذه الرقعة يا فلانة؟. قالت: أعز الله الأمير هي ما رأيت. قال لها: فالله عليك شاهد أنه لأحب إليك مني قالت: إي والله. قال:فأمر الفتى ففكت قيوده وكساه وأجازه وقال له: خذ هذه الجارية بجميع ما يحويه ملكها ثواباً لعفتك وتقاك وخوفك الله تعالى، ورفع مرتبته من كتابه، ولم يزل مكرماً له.

؟؟حكاية

قال الهيثم بن عدي كان يزيد بن قرة الشيباني شديداً منيعاً، وكان يرى رأي الخوارج، ولم يكن يخشى عمال العراق، فغاظ ذلك الحجاج وبلغ منه فكتب إلى عبد الملك يخبره بذلك فكتب إليه عبد الملك احتل له فإن قدرت عليه فاضرب عنقه. فدعا الحجاج يزيد بن رويم وجرير بن يزيد فأكرمهما وأدناهما وقال ليزيد لك شرط العراق ولجرير ديوان الخراج إن أتيتماني بيزيد بن قرة. فركبا إليه فقالا له: إن الأمير قد غضب عليك وإنا نخاف أن ينال غضبه جميع أهلك فاركب إليه. قال: لا أفعل إنه إن نظر إلي قتلني، قالوا له: ما هو فاعل ولابد لك أن تركب معنا. فأتى معهما وتهيأ للقتل وخرج نساؤه معه. فلما دخل على الحجاج قال له: أنت يزيد بن قرة؟ قال نعم. قال: قتلني الله إن لم أقتلك، قال نشدتك الله أن تقتلني فإني قيّم أربع وعشرين امرأة ليس فيهن رجل غيري ولا لهن قيم سواي. قال: ومن يعلم ذلك؟ قال هن بالباب. فأمر بإدخالهن وكل واحدة منهن تقول اقتلني ودعه. فيقول من أنت؟ فتقول عمته أو خالته أو بنته أو بنت أخ أو بنت أخت حتى اجتمعن بين يديه. فقالت أخته:

أحجاج هبه اليوم لله وحده ... وللباكيات الصارخات تفجعا

أحجاج إما أن تمن بنعمة ... عليه وإما أن تقتلنا معا

أحجاج كم تُفجِع به إن قتلته ... ثماني عشر واثنتيت وأربعا

أحجاج لو تسمع بكاء نسائه ... وعماته يفدينه الليل أجمعا

فرق لها الحجاج وبكى وحبسه وكتب في أمره إلى عبد الملك يصف ما جرى. فكتب إليه أُعف عنه وأَلحق عياله في العطاء ففعل.

؟حكاية

قيل لأبي عقيل البليغ: كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة؟ قال: رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر، وحاجته إلى قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحب الحاجة.

؟؟حكاية

لقي أبو دلامة أبو دلف في مصادله وهو والي العراق فأخذ بعنان فرسه وأنشد:

إني حلفت لئن رأيتك سالماً ... بقرى العراق وأنت ذو وفر

لتصلين على النبي محمد ... ولتملأن دراهماً حجري

فقال: أما الصلاة على النبي محمد فصلى الله عليه وسلم. وأما الدراهم فلا. قال له: جعلت فداك لا تفرق بينهما بالذي أسأله أن لا يفرق بينك وبين النبي صلى الله عليه وسلم. قال: فاستسلفها أبو دلف وصبت في حجره حتى أثقلته.." (١)

"نفكر فإن حدثت أنّ أخا هوى ... نجاساً فأرجو النجاة من الحبّ

وأطيب أيام الهوى يومك الذي ... تروّع بالتحريش فيه وبالعتب

وقيل أن هذه الأبيات غناء لعلية بنت المهدي وكانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني التي تريدها لأي من الشعراء.

عرّضن للذي تحب بحب ... ثم دعه يروضه إبليس

فلعل الزمان يدنيك منه ... أن هذا الهوى جليل نفيس

صابر الحب لا يصرفك فيه ... كم حبيب تجهم وعبوس

وأقل اللجاج واصبر على الجهد فإن الهوى نعيم وبوس

لأحدهم:

سلام على النازح المغترب ... تحية صب به مكتئب

غزال مراتعه بالبليح ... إلى دير زكي فقصر الخشب

أيا من أعان على نفسه ... تخليفه طائعاً من أحب

سأستر والستر من شيمتي ... هوى من أحب بمن لا أحب

وقال:

أتاني كتابك يا سيدي ... وفيه العجائب كل العجب

أتزعم أنك لي عاشق ... وأنك بي مستهام وصب

فلو كان هذا كذا لم تكن لتتركني نهزة للكرب

وأنت ببغداد ترعى بها ... نبات اللذاذ مع من تحب

فيا من جفاني ولم أجفه ... ويا من شجاني بما في الكتب

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد، ص/٦٦

كتابك قد زادني صبوة ... واسعر قلبي بحر اللهب

فهبني نعم قد كتمت الهوى ... كيف بكمان دمع سرب

ولو لا إتقاؤك يا سيدي ... لوافتك بي الناجيات النجيب

معيدو للفرزدق يفاخر بها في وصد بني هاشم:

هذا الذي تعرف لبطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا أين خبر عباد الله كلهم ... هذا التقي نقي الظاهر العلم

هذا إبن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يغضي حياء ويغضي من مهابته ... فما يكلم ألا حين يبتسم

بكفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

الله شرّفه قدماً وعظمه ... جري بذاك له في لوحة القلم

أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأوّلية هذا أو له نعم

من يشكر الله يشكر أوليّة ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأمم

ينمي إلى ذروة الدين التي قصرت ... عنها الأكف وعن إدراكها القدم

من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأمم

مشقة من رسول الله نعته ... طبت مغارسه والخيم والشيم

ينشق ثوب الدجى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم

من معشر حبهمو دين وبغضمو ... كفر وقربهمو منجى ومعتصم

مقدم بعد ذكر الله ذكرمو ... في كل بر ومحتوم به الكلم

أن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير اهل الأرض قيل همو

لا يستطيع جواد بعد جودهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

يستدفع الشر والبلوى بحبهم ... ويسترب به الإحسان والنعم

فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينة فقال:

اتحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد ... وعيناً له حولاه بادٍ عيوبها

فبلغ شعره هشاماً فوجه فأطلقه: " أخبرنا " عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن الهيثم بن عديّ قال أخبرنا أبو روح الراسي قال لما ولي خالد بن عبد الله العراق ولي مالك بن المنذر شرطة البصرة فقال الفرزدق:

يبغض فينا شطة المصراني ... رأيت عليها مالكاً عقب الكلب

قال فقال مالك عليّ به فمضوا به إليه فقال:." (١)

"وشاهد المدح في موضع الاستهزاء قول ابن الذروى في ابن أبي حصينة من أبيات خفيف:

لا تظنن حدبة الظهر عيباً ... فهي في الحسن من صفات الهلال

؟وكذاك القسي محدودبات وهي أنكى من الظبا والعوالي

وإذا ما علا السنام ففيه ... لقروم الجمال أي جمال

وذنابى القطاة وهي كما تع ... لم كانت موصوفة بالجلال

وأرى الانحناء في منسر البا ... زي لم يعد مخلب الرئبال

كون الله حدبة فيك إن شئ ... ت من الفضل أو من الإفضال

فأتت ربوة على طود حلمٍ ... طال أو موجةً ببحر نوال

ما رأتها النساء إلا تمنت ... لو غدت حليةً لكل الرجال

ثم ختمها بقوله:

وإذا لم يكن من الهجر بدٌ ... فعسى أن تزوري في الخيال

وكقول ابن الرومي سريع:

فيا له من عمل صالح ... يرفعه الله إلى أسفل

وأحسب أن أول من نطق بالتهكم في شعره امرؤ القيس، حيث يقول: متقارب:

فأنشب أظفاره في النسا ... فقلت هبلت ألا تبصر

فإن قوله للثور هبلت ألا تبصر من التهكم اللطيف. وأطرف ما سمعت في التهكم قول حماد عجرد مجزوء الكامل:

فيا ابن نوح يا أخا ال؟ ... حلس ويا بن القتب

ومن نشا والده ... بين الربا والكثب

يا عربي يا عربي ... يا عربي يا عربي

والفرق بين التهكم والهزل الذي يراد به الجد أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل، وهو ضد الأول، لأن الهزل الذي يراد به الجد يكون ظاهره هزلاً وباطنه جداً.

؟باب التنذير

وهو أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة، أو مجنة مستطرفة، وهو يقع في الجد والهزل ومن لطيف ما جاء منه في الجد وبديعه قوله تعالى: " فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت " فانظر مبالغته سبحانه وتعالى في وصف المنافقين بالجبن والخوف حيث أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف تدور أعينهم عند النظر كحالة من

---

(١) المرقصات والمطربات، ص/٧٨

يغشى عليه من الموت، ولو اقتصر سبحانه وتعالى على قوله "كالذي يغشى عليه "كان كافياً في المقصود، لكن أراد الزيادة على المقدار الذي قصد من المبالغة، فأوغل بقوله سبحانه " من الموت " إذ حالة المغشى عليه من الموت أشد من حالة غيره، ولا شك في أن المنافقين من الجبن والخوف من الموت بهذه المثابة، وذلك الذي دعاهم إلى النفاق، فإن من كان قوي النفس شجاع القلب، لا يرتضي النفاق، إذ هو لا يخشى الموت ولا يخافه، وفي هذا الكلام من طريف التندير لمن يتدبره ما يبهرج كل نادرة.

وأما ما جاء منه في الهزل فكقول أبي تمام فيمن سرق له شعراً، وهو محمد بن يزيد الرقى خفيف:

من بنو بحدل من ابن الحباب ... من بنو تغلب غداة الكلاب

من طفيل من عامر أو من الحا ... رث أم من عتيبة بن شهاب

إنما الضيغم الهصور أبو الأش؟ ... بال هتاك كل خيس وغاب

من عدت خيله على سرح شعري ... وهو للحين راتع في كتاب

يا عذارى الكلام صرتن من بع؟ ... دي سبايا تبعن في الأعراب

؟لو ترى منطقي أسيراً لأصبح؟ ... ت أسيراً ذا عبرة **واكتئاب**

ثم ختمها بقوله: ؟طال رغبي إليك مما أقاسي؟ - ه ورغبي يا رب فاحفظ ثيابي وكقوله في هجاء موسى بن إبراهيم الرافقي كامل:

عجباً لقوم يسمعون مدائحي ... لك لم يقولوا قم فأنت مصاب

نبزوا بكذاب مسيلمة فقد ... غلطوا ومانوا بل أنا الكذاب

وما رويت ألطف من قول ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب في الرشيد عمر الفوى وكان به داء الثعلب وهو من نوادر ما قيل في أقرع وافر:

أقول لمعشر غلطوا وغضوا ... من الشيخ الرشيد وأنكروه

هو ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى يضع العمامة تعرفوه

والفرق بين التندير وما قبله من باب التهكم وما يلتبس بالتهكم من الهزل الذي يراد به الجد أن التندير ظاهره وباطنه هزل بخلاف البابين، والله أعلم.

؟باب الإسجال بعد المغالطة." (١)

"لبسك وأمرت بحسبك فأطرق إطراق الأفعوان ثم شمر للحرب العوان وقال:

اسمع حديثي فإنه عجب

يضحك من شرحه وينتحب

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ص/١٢٧

أنا امرؤ ليس في خصائصه

عيب ولا في فخاره ويب

سروج داري التي ولدت بها

والأصل غسان حين أنتسب

وشغلي الدرس والتبحر في العل

م طلابي وحبذا الطلب

ورأس مالي الكلام الذي

منه يصاغ القريض والخطب

أغوص في لجة البيان فأخ

تار اللآلئ منها وانتخب

وأجتني اليانع الجني من ال

قول وغيري للعود يحتطب

وآخذ اللفظ فضة فإذا

ما صغته قيل إنه ذهب

وكنت من قبل امتري نشبا

فالأدب المقتني وأحتلب

ويمتطي أخمصي لحرمته

مراتبا ليس فوقها رتب

وطالما زفت الصلات إلى

ربعي فلم أرض كل من يهب

فاليوم من يعلق الرجاء به

أكسد شيء في سوقه الأدب

لا عرض أبنائه يصان ولا

يرقب فيهم إل ولا نسب

كأنهم في عراصهم جيف

يبعد من نتنها ويجتنب

فحار لبي لما منيت به

من الليالي وصرفها عجب

وضاق ذرعي لضيق ذات يدي

وساروتني الهموم والكرب

وقدني دهري المليم إلى

سلوك ما يستشينه الحسب

فبعت حتى لم يبق لي لبد

ولا بتات إليه أنقلب

وادنت حتى أثقلت سالفتي

بحمل دين من دونه العطب

ثم طويت الحشا على سغي

خمسا فلما أمضني السغب

لم أر جهازها عرضا

أجول في بيعه وأضطرب

فجلت فيه والنفس كارهة

والعين عبرى والقلب **مكتئب**

وما تجاوزت إذ عبثت به

حد التراضي فيحدث الغضب

فإن يكن غاظها توهما

أن بناني بالنظم تكتسب

أو أنني إذ عزمت خطبتها

زخرفت قولي لينجح الأرب." (١)

"ولايراقب إلا من يراقبه

ولايصاحب إلا كل ذي نبل

ولايعد عيوبا للورى أبدا

بل يعتني بالذي فيه من الخلل

ولا يظن بعهم سواءا ولا حسنا

بل التجارب تهديه على مهل

ولايؤمل آمالا بصبح غد

إلا على وجل من وثبة الأجل

ولا يصد عن التقوى بصيرته

لأنها للمعالي أوضح السبل

فمن تكن حلة التقوى ملابسه

لم يخش في دهره يوما من العطل

من لم تفده صروف الدهر تجربة

لافيما يحاول فليسكن مع الهمل

---

(١) جواهر الأدب، ٢٥١/١

من سالمته الليالي فليثق عجلا

منها بحرب عدو جاء بالحيل

من ضيع الحزم لم يظفر بحاجته

ومن رمى بسهام العجب لم ينل

من جاد ساد وأحيا العالمون له

بديع حمد بمدح الفعل متصل من

رام نيل العلى بالمال يجمعه

من غير حل بلي من جهله وبلي

من لم يصن نفسه ساءت خليقته

بكل طبع رديء غير منتقل

من جالس الوغد والحمقى جنى ندما

لنفسه ورمي بالحادث الجلل

فخذ مقال خبير قد حوى حكما

إذ صغته بعد طول الخبر في عملي

"وقال حسام الدين الواعظي المتوفى سنة ٩٩٠هـ"
من ضيع الحزم في أفعاله ندما

وظل مكتئبا والقلب وقد سقما

مالمرء إلا الذي طابت فضائله

والدين زين يزين العاقل الفهما

والعلم أنفس شيء أنت ذاخره

فلا تكن جاهلا تستورث الندما

تعلم العلم واجلس في مجالسه

ماخاب قط لبيب جالس العلماء

والوالدين فأكرم تنج من ضرر

ولا تكن نكدا تستوجب النقما

ولازم الصمت لات نطق بفاحشة

وأكرم الجار لاتهتك له حرما

واحذر من المزح كم في المزح من خطر

كم من صديقين بعد المزح فاختصما

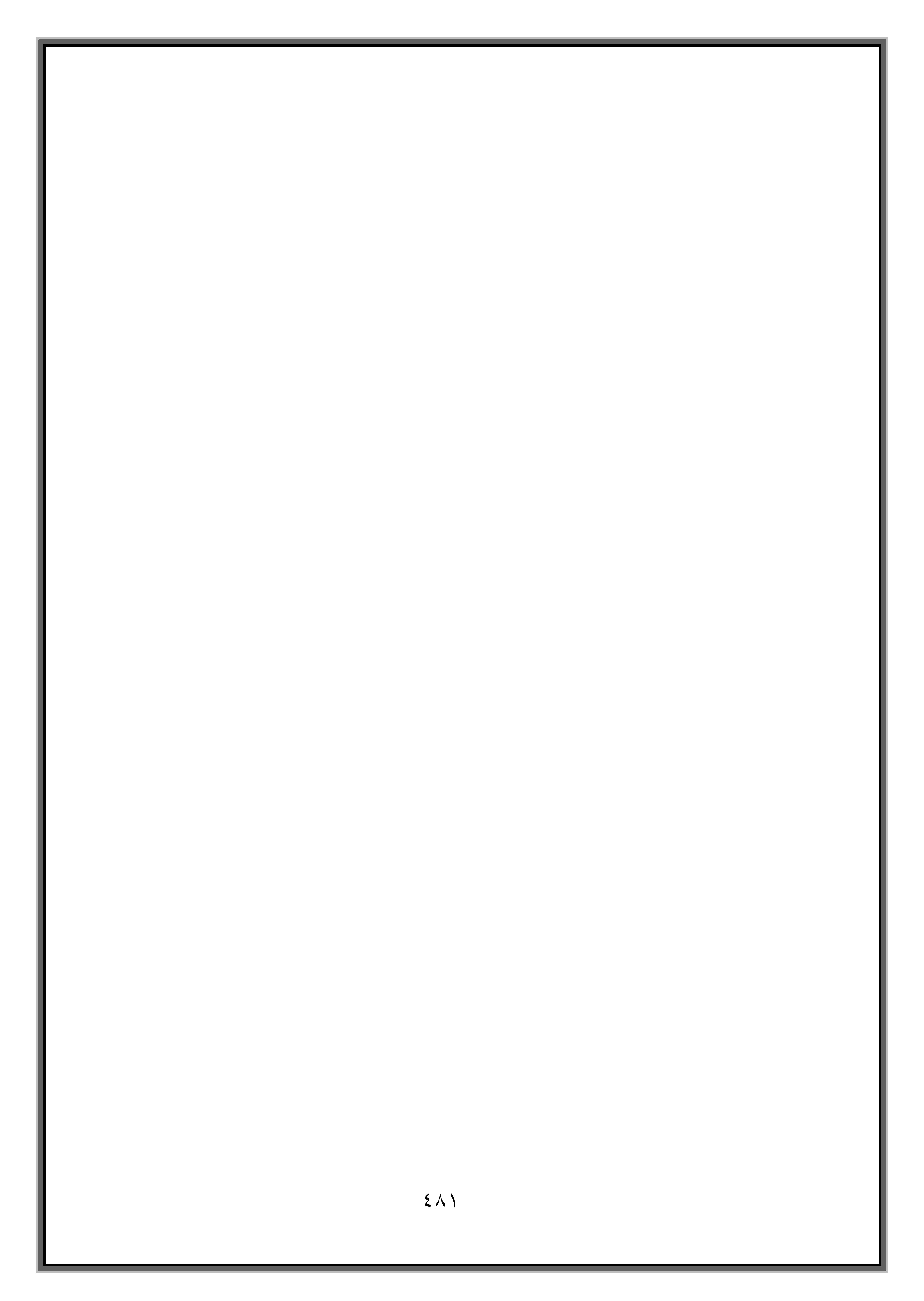
وصبر النفس وارشدها إذا جهلت

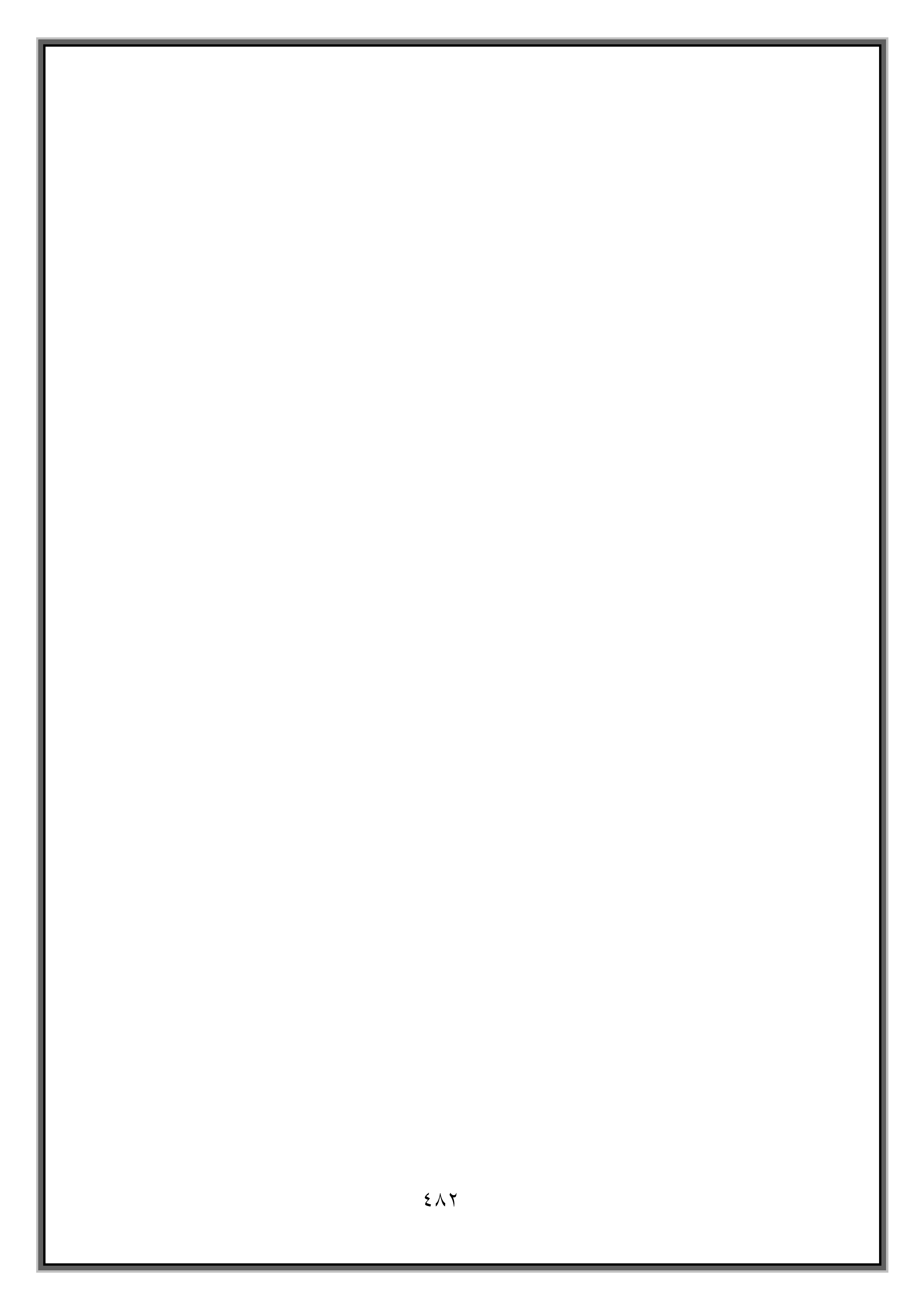
وإن حضرت طعاما لا تكن نهما

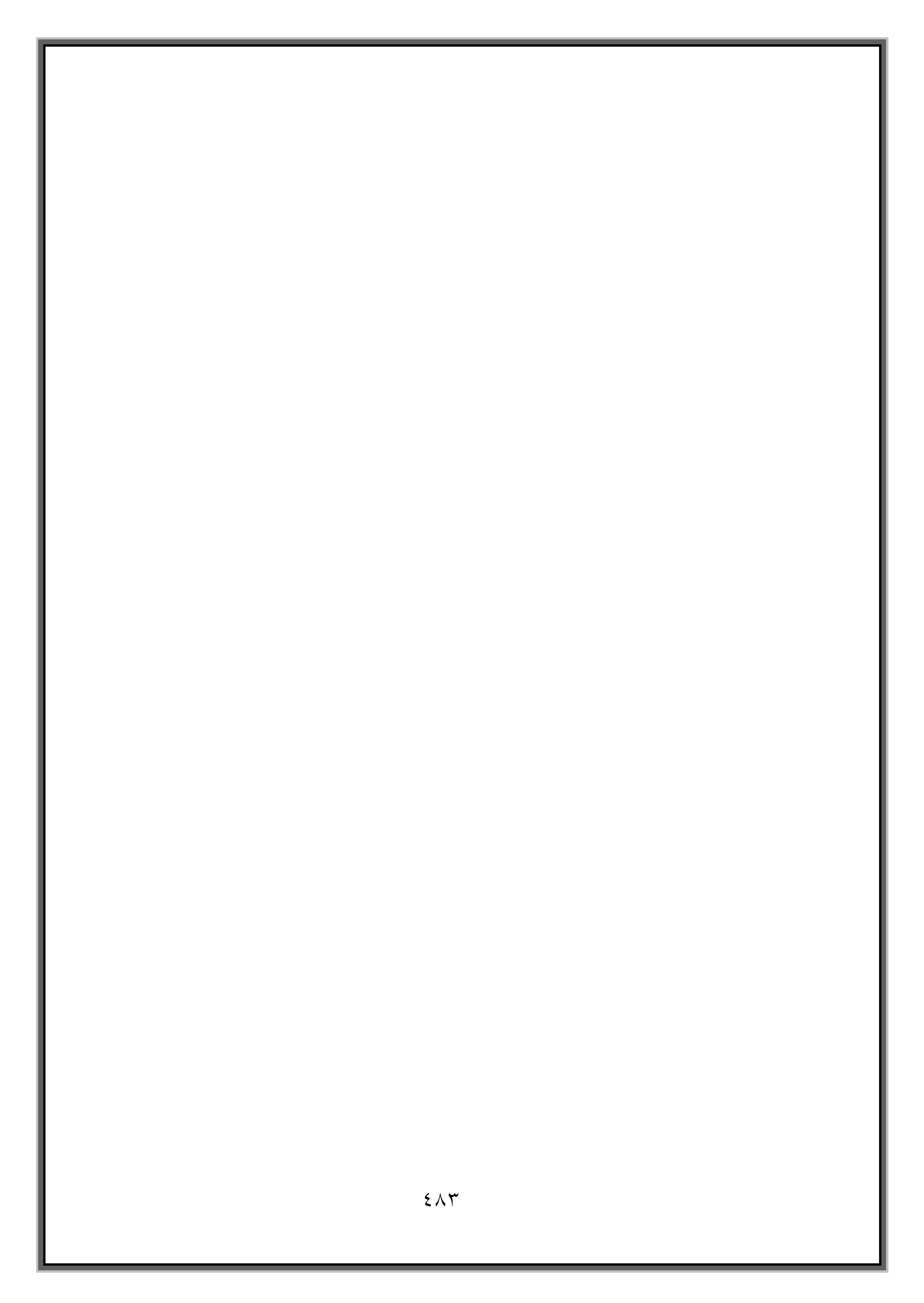
آس اللهيف إذا ماكنت مقتدرا." (١)

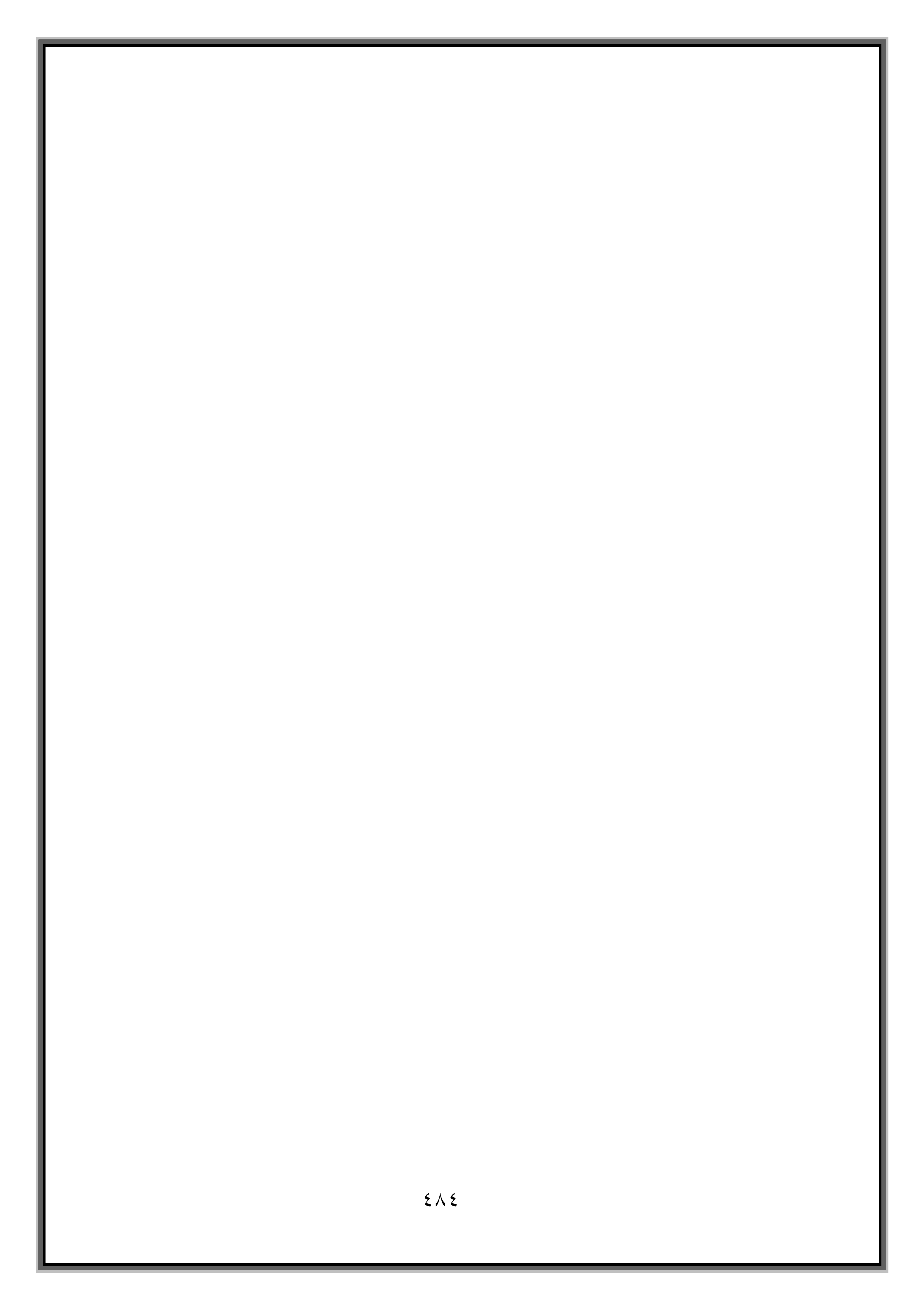
---

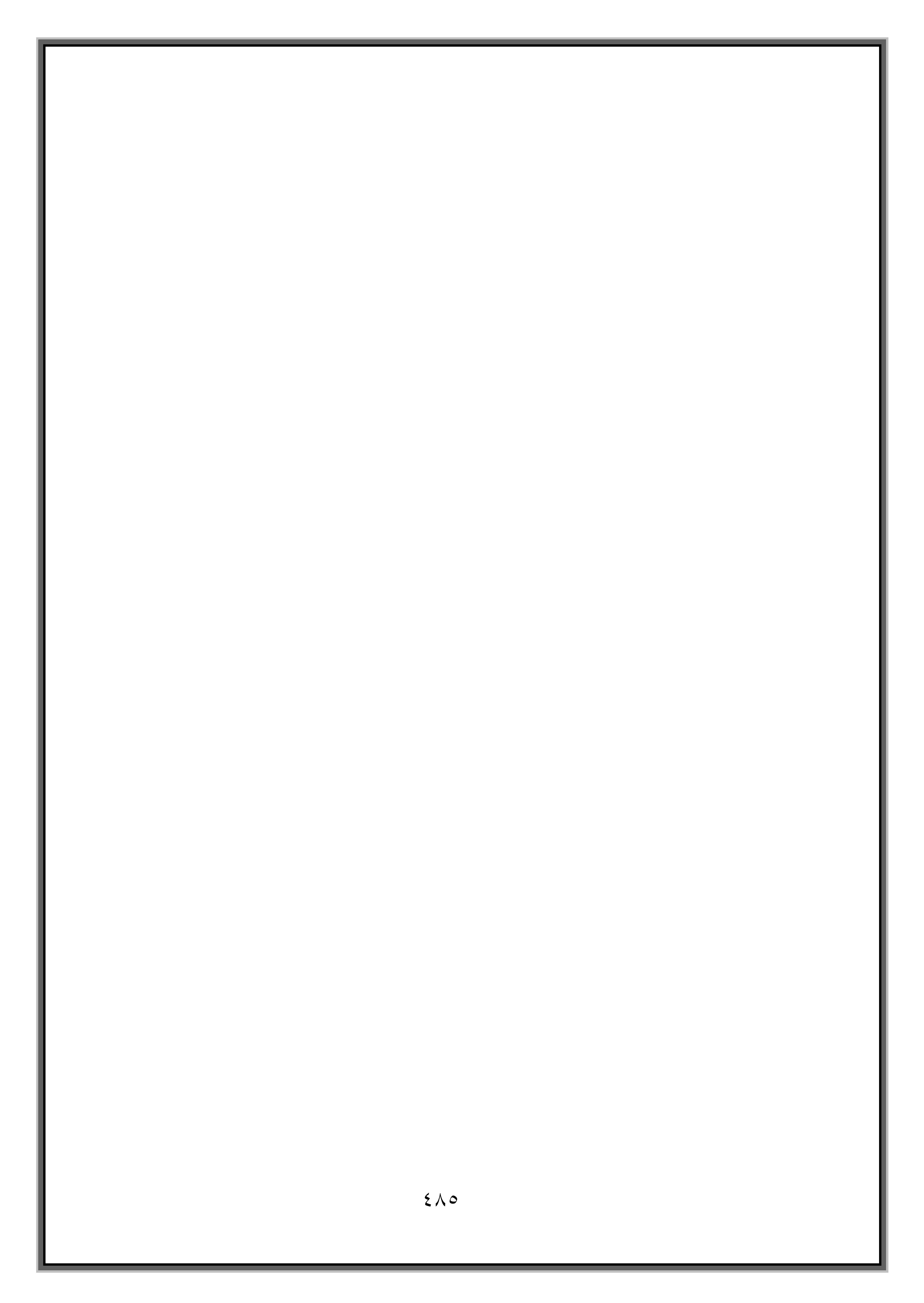
(١) جواهر الأدب، ٤٢/٢

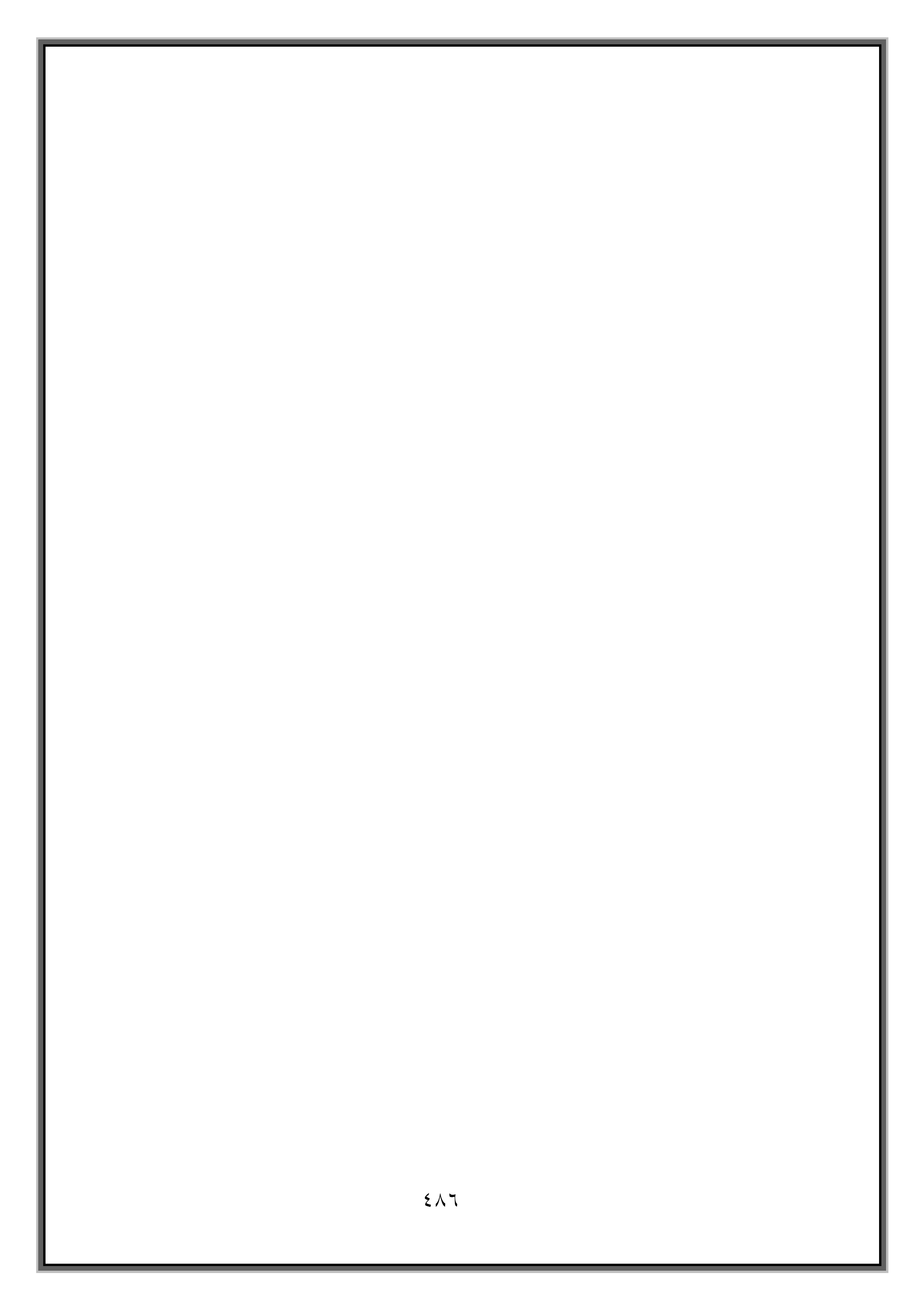


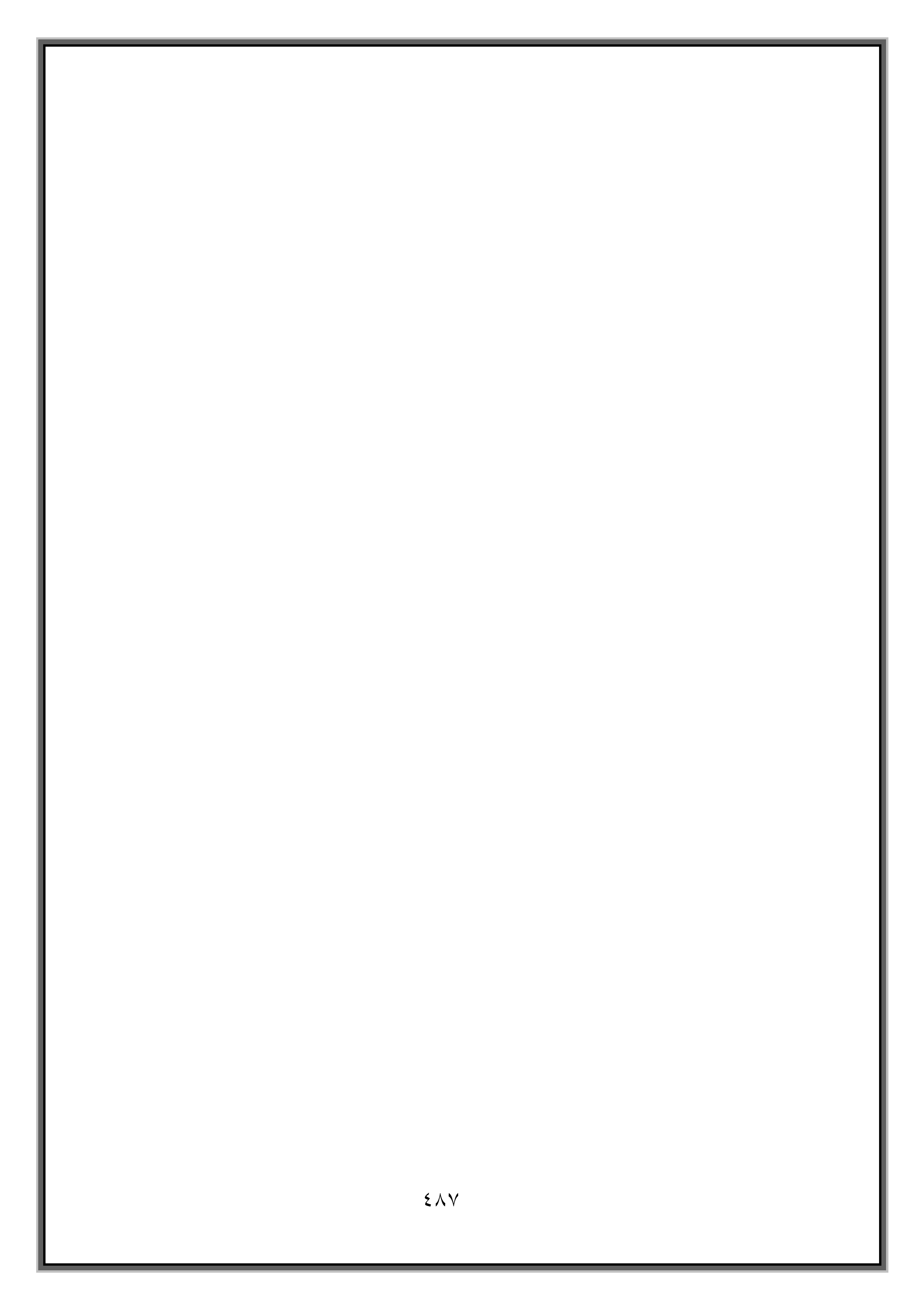












وكانت في رواية ابي اليقظان ألفاظ ردئية مردودة تركتها

١٠٧٥ – قولهم صري عزم من أبي سمال

يضرب مثلا للرجل يصدق عزمه على الشيء فلا ينثني عنه حتى يناله

وأصله ما اخبرني أبو احمد عن نفطويه عن احمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال كان ابو سمال الأسدي متهما في دينه فضلت ناقته فحلف ." (١)

"وأعلَمُ أنّ اللّهَ لَيسَ كصنعِهِ ... صَنيعٌ ولا يَخفَى على اللّهِ مُلْحِدُ

الملحد: المائل، قال الله عز وجل: " إن الذين يلحدون في آياتنا " ، أي يميلون. وقال حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه: الطويل

وزُفّوا إلَينا في الحَديدِ، كأنّهم ... أُسُودُ عَرِينٍ ثَمّ عندَ المَبَارِكِ

الزف: المشي قدماً، قال الله تعالى: " فأقبلوا إليه يزفون " . وقال العباس، رضي الله عنه: الرمل

أنتَ نورٌ من عَزيزٍ راحِمٍ، ... تَقمَعُ الشِّركَ وعُبّادَ الوَثَنْ

نورٌ: أي هدى، قال الله عز وجل: " الله نور السموات والأرض " ، أي هداها. وقال الزبير بن العوام، رضي الله عنه: الرمل

يَخرُجُ الشَّطْءُ على وَجهِ الثّرَى، ... ومِنَ الأشجار أفنانُ الثّمَر

الشطء: النبت، قال الله تعالى: "كزرعٍ أخرج شطأه " . وقال عثمان بن مظعون، رضي الله عنه: الرمل

أهل حوبٍ وعيوبٍ جمةٍ ... ومعراتٍ بكسب المكتسب

المعرة: الإثم، قال الله تعالى: " فتصيبكم منهم معرةٌ " .

والأخبار في هذا لعمري تطول، والشواهد تكثر، غير أنا اقتصرنا من ذلك على معنى ما حكيناه في كتابنا هذا.

أول من قال الشعر

قال محمد: أخبرنا أبو عبد الله المفضل بن عبد الله المحبري قال: سألت أبي عن أول من قال الشعر، فأنشدني هذه الأبيات: الوافر

تَغَيّرَتِ البلادُ، ومَن علَيها، ... فَوَجهُ الأرضِ مُغبَرٌّ قَبِيْحُ

---

(١) جمهرة الأمثال / العسكري، ٥٧٢/١

تغيّر كلُّ ذي لونٍ وطَعمٍ، ... وقلّ بَشاشَةَ الوَجهُ الصّبيحُ

بشاشة: منصوب على التمييز، والتقدير: وقل الوجه الصبيح بشاشةً؛ وحذف التنوين لالتقاء الساكنين: التنوين والألف واللام.

وَجاوَرَنا عَدوٌّ لَيْسَ يَفنى، ... لَعِينٌ لا يَمُوتُ فَنَسْتَرِيحُ

أَهابِلُ! إن قُتِلْتَ، فإنّ قلبي ... عَليكَ اليَومَ مُكْتَئِبٌ قَرِيحُ

ثم سمعت جماعةً من أهل العلم يؤثرون أن قائلها أبونا آدم، عليه السلام، حين قتل إبنه قابيل هابيل؛ فالله أعلم أكان ذلك أم لا.

وذكر أن إبليس عدو الله أجاب آدم، عليه السلام، بهذه الأبيات، فقال: الوافر

تَنَحَّ عنِ الجِنانِ وساكِنيها، ... ففي الفِردَوْسِ ضَاقَ بِكَ الفسيحُ

وَكُنْتَ بها وزَوْجَكَ في رَخاءٍ، ... وقلبُكَ من أذَى الدّنيا مَريحُ

فَما بَرِحَتْ مُكايَدَتي ومَكري ... إلى أَنْ فاتَكَ الثّمَنُ الّربيحُ

ولَولا رَحمَةُ الرَّحمَنِ أَمْسَى ... بِكَفِّكَ مِنْ جِنانِ الخُلدِ ريحُ

وروي أن بعض الملائكة، عليهم السلام، قال هذا البيت: الوافر

لِدُوا للمَوتِ، وابنُوا للخَرابِ ... فَكُلُّكُمُ يَصيرُ إلى الذهابِ

قال المفضل: وقد قالت الأشعار العمالقة، وعاد، وثمود. قال معاوية ابن بكر بن الحبتر بن عتيك بن قرمة بن جلهمة بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، عليه السلام، وكان يومئذٍ سيد العمالقة، وقد قدم إليه قيل بن عير، وكانت عاد بعثوه ولقمان بن عاد وفداً معهما ليستسقوا لهم حين منعوا الغيث، فقال معاوية بن بكر: الوافر

أَلا يا قَيْلُ! وَيْحَكَ! قُمْ فَهَينمْ، ... لعَلَّ اللّهَ يَصْبَحُنا غَمامَا

فَيَسْقي أَرْضَ عادٍ، إنَّ عاداً ... قَدَ اضْحَوا ما يُبِينُونَ الكَلاَمَا

مِنَ العَطَشِ الشَّديدِ بأَرْضِ عادٍ ... فَقَدْ أَمْسَتْ نِساؤُهُمُ أَيامَى

وإنّ الوَحشَ تأْتيهِمْ جَهاراً، ... فَما تَخْشَى لِعَادِيٍّ سِهامَا

فَقُبِّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفدِ قَوْمٍ، ... ولا لُقُّوا التَّحِيَّةَ والسّلامَا

وقال مرثد بن سعد بن عفير، وكان من الوفد، وكان مسلماً من أصحاب هود، عليه السلام: الوافر

عَصَتْ عادٌ رَسولَهُمُ، فأَمْسَوا ... عطاشاً ما تَبُلُّهُمُ السَّماءُ

وَسُيِّرَ وَفْدُهم مِن بَعدِ شَهرٍ، ... فأَردَفَهُمْ مَعَ العَطَشِ العَماءُ

بِكُفرِهِمُ بِرَبِّهِمُ جَهاراً ... على آثارِ عادِهِمُ العَفاءُ." (١)

---

(١) جمهرة أشعار العرب، ص/٦

"وَإنّي لَبَاكِيهِ، وإنّي لَصَادِقٌ ... عَلَيْهِ، وَبَعْضُ القَائِلِينَ كَذُوبُ
فَتى الحَربِ إنْ جارَتْ تَرَاهُ سِمَامَهاوَفي السّلْمِ مفْضَالُ اليَدَيْنِ وَهُوبُ
وَحَدَّثْتُمَاني إنَّمَا المَوْتُ في القُرَى، ... فَكَيْفَ؟ وَهذَا رَوْضَةٌ وَقَلَيْبُ
وَمَاءُ سَماءٍ، كَانَ غَيْرَ مَحَمَّةٍ ... بِدَاوِيّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جَنُوبُ
وَمَنْزِلِهِ في دَارِ صِدْقٍ وَغِبْطَةٍ، ... وَمَا اقْتَالَ مِنْ حكمٍ عَلَيْهِ طَبِيبُ
فَلَوْ كَانَتِ الدّنْيا تُبَاعُ اشْتَرَيْتُهُ،بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النّفوسُ تَطِيبُ
بِعَيْنَيّ أَوْ يُمْنَى يَدَيّ، وقيلَ لي: ... هُوَ الغَانِمُ الجَذْلاَنُ يَوْمَ يَؤُوبُ
لَعَمْرُكُمَا إنَّ البَعِيدَ لَمَا مَضَى، ... وإنّ الذي يَأْتِي غَداً لَقَرِيبُ
وَإنّي وَتَأْمِيلي لِقَاءَ مُؤَمَّلٍ، ... وَقَدْ شَعَبَتْهُ عن لِقَايَ شَعُوبُ
كَدَاعِي هُذَيلٍ لا يَزَالُ مُكَلَّفاً، ... وَلَيْسَ لَهُ، حتى المَمَاتِ، مُجيبُ
سَقَى كلَّ ذِكرٍ جَاءَنَا مِنْ مُؤَمَّلٍ، ... على النّأيِ، زَحّافُ السّحَابِ سَكُوبُ
أعشى باهلة البسيط
يرثي بهذه القصيدة أخاً له يقال له المنتشر، قتله بنو الحرث بن كعب:
إنّي أَتَتني لِسانٌ مَا أُسَرُّ بها، ... من عُلوَ لا عَجَبق فِيهَا ولا سَخَرُ
جَاءَتْ مُرَجّمَةً قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُها، ... لو كانَ يَنْفَعُني الإشْفَاقُ والحَذَرُ
تَأْتِي على النّاسِ لا تُلوي على أَحدٍ، ... حتى أَتَتْنَا، وَكَانَتْ دُونَنَا مُضَرُ
إذا يُعَادُ لها ذِكْرٌ أُكَذّبُهُ، ... حتى أتَتْني بِهَا الأنْبَاءُ وَالخَبَرُ
فَبِتُّ **مُكْتَئِباً** حَيْرَانَ أَنْدُبُهُ، ... وَلَسْتُ أَدْفَعُ ما يَأْتِي بِهِ القدَرُ
فَجَاشَتِ النّفْسُ لَمّا جَاءَ جَمْعُهُمُ، ... وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثَ، مُعْتَمِرُ
إنَّ الذي جِئْتَ، مْنْ تَثْلِيثَ، تَنْدُبُهُمِنْهُ السّمَاحُ وَمِنْهُ الجودُ وَالغِيَرُ
تَنعَى امرأً لاَ تَغُبَّ الحيَّ جَفْنَتُهُ، ... إذا الكَوَاكِبُ خَوّى نَوْأَها المَطَرُ
وَرَاحَتِ الشَّوْلُ مُغْبَرّاً مَنَاكِبُها،شُعْثاً تَغَيّرَ مِنْهَا النَّيُّ وَالوَبَرُ
وَأَجْحَرَ الكَلْبَ مُبْيَضُّ الصَّقِيعِ بِهِ، ... وَضَمّت الحيَّ مِنْ صُرّادِهِ الحُجَرُ
عَلَيْهِ أَوّلُ زَادِ القَوْمِ، قَدْ عَلِموا،ثُمَّ المَطيَّ، إذا ما أَرْمَلوا، جَزَرُوا
لا تَأْمَنُ البازلُ الكوماءُ ضَرْبَتَهُ ... بِالمَشْرَفيّ، إذا ما اخْرَوّطَ السّفَرُ
قَدْ تَكْظِمُ البُزْلُ مِنْهُ حِينَ يَفْجؤها ... حَتّى تَقَطَّعَ في أَعْنَاقِها الجِرَرُ
أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا وَيَسْأَلُهَا،يَخْشَى الظُّلامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزَّفَرُ
مَنْ لَيْسَ في خَيْرِهِ مَنٌّ يُكَدّرُهُ ... عَلَى الصَّدِيقِ، وَلاَ في صَفْوِهِ كَدَرُ

يَمْشي بِبَيْدَاءَ لا يَمْشي بِهَا أَحَدٌ، ... وَلاَ يُحَسُّ، خَلاَ الخَافي بِهَا أَثَرُ

كَأَنّهُ، بَعْدَ صِدْقِ القَوْمِ أَنْفُسَهم،بِالبأسِ يَلْمَعُ، مِنْ أَقْدَامِهِ، الشّرَرُ

وَلَيْسَ فِيهِ إذا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ؛ ... وَلَيْسَ فيهِ إذا ياسَرْتَهُ عُسُرُ

إمّا يُصِبْهُ عَدوٌّ في مُنَاوَأةٍ ... يَوْماً، فَقَدْ كَانَ يَسْتَعلي، وَيَنْتَصِرُ

أَخُو حُروبٍ، وَمِكْسَابٌ، إذا عَدَمُوا، ... وفي المَخَافَةِ مِنْهُ الجِدُّ والحَذَرُ

مِردَى حُروبٍ، شِهابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ، ... كَمَا أَضَاءَ سَوَادَ الصَّخْيَةِ القَمَرُ

مُهَفْهَفٌ، أَهْضَمُ الكَشْحَينِ، مُنْخَرِقٌعَنْهُ القَمِيصُ، لِسَيْرِ اللّيْلِ مُحْتَقِرُ." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٤٣ """"""

فرق الناس له هذا ولما طلقت نقلت إلى العدة بأمر ابن أبي عتيق فمن ذاهب إلى أنها أكملت عدتها وتزوجها وأقاما إلى الموت بدليل مدحه لابن أبي عتيق حيث قال :

جزى الرحمن أفضل ما يجازى . . . على الاحسان خيرا من صديق

فقد جربت إخواني جميعا . . . فما ألفيت كابن أبي عتيق

سعى في جمع شملي بعد صدع . . . ورأى حدت فيه عن الطريق

وأطفأ لوعة كانت بقلبي . . . أغصتني حرارتها بريقي

ومن ذاهب وهم الأكثر إلى أنها ماتت في العدة وأن مدحه لابن أبي عتيق حين لم يشك في عودها إليه وقد نهاه عن مدحه وقال له من سمع بهذا يعدني قوادا والقائلون بموت لبنى في العدة أجمعوا أن قيسا خرج حين بلغه ذلك حتى وقف على قبرها وأنشد :

مات لبيني فموتها موتي . . . هل ينفعن حسرة على الفوت

إني سأبكي بكاء مكتئب . . . قضى حياة وجدا على ميت ثم بكى حتى أغمي عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن إلى جانبها وكان ذلك في سنة وله أشعار كثيرة منها حكاه الشهاب في منازل الأحباب عن أبي العباس على تردد في أنه لابن الدمينة .

وفي عروة العذري إن مت أسوة . . . وعمرو بن عجلات الذي قتلت هند." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٢٩٩ """"""

فهما بين اكتئاب وضنى . . . تركاني كالقضيب المائل

وحكى عن حمزة الشاعر نحو ما سبق عن ابن الجهم من رؤيته مع الصبيان وادخاله وإطعامه لكنه قال : فأطعمه رطبا فقط واستنشدته فأنشد :

---

(١) جمهرة أشعار العرب، ص/٧١

(٢) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ١٤٣/١

قد حاز قلبي فصار يملكه . . . فكيف أسلو وكيف أتركه

رطيب جسم كالماء تحسبه . . . يخطر في القلب منك مسلكه." (١)

"""""""" صفحة رقم ٣٢٨ """"""

الجمال والحياء ، فأنفقت عليها إلى أن أملقت ، فرفع أبوها القصة إلى ابن أم الحكم فضيق علي السجن والقيود حتى طلقت كارها ، فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوج بها فأتيتك مستغيثا بعدلك ، فكتب معاوية إليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلي عنها ، ويقول في آخر الكتاب :

ركبت ذنبا عظيما لست أعرفه . . . فاستغفر الله من جور أمرىء زاني

قد كنت تشبه صوفيا له كتب . . . من الفرائض أو آيات فرقان

حتى أتاني الفتى العذري منتحبا . . . يشكو إلي بحق غير بهتان

أعطى الإله عهودا لا أخيس بها . . . أولا فبرئت من ديني وإيماني

إن أنت راجعتني فيما كتبت به . . . لأجعلنك لحما بين عقبان

طلق سعاد وفارقها بمجتمع . . . واشهد على ذاك نصر أو ابن ظبيان

فما سمعت كما بلغت من عجب . . . ولا فعالك حقا فعل إنسان

فلما وقف عليه ، قال وددت لو خلي بيني وبينها سنة ، ثم عرضني على السيف ثم طلقها فأخرجها ، فلما وصلت إلى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها ، وقالوا هذه لا تصلح لأعرابي ، إنما تكون لأمير المؤمنين فعجب بها ثم استنطقها ، فإذ هي فتنة فقال له هل لك عوض عنها ، قال نعم إذا بان رأسي عن بدني ، ثم أنشد :

لا تجعلني والأمثال تضرب بي . . . كالمستجير من الرمضاء بالنار

أردد سعاد على حران مكتئب . . . يمسي ويصبح في هم وتذكار

قد شفه قلق ما مثله قلق . . . وأشعر القلب منه أي أشعار

والله والله لا أنسى محبتها . . . حتى أغيب في رمس وأحجار

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها . . . وأصبح القلب عنها غير صبار." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٣٤ """"""

تحسين الفراق

قال بعض الظرفاء : في الفراق مصافحة التسليم ، ورجاء الأوبة ، والسلامة من الملل ، وعمارة القلب بالشوق ، والأنس

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ٢٩٩/١

(٢) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ٣٢٨/١

بالمكاتبة . وكتب أبو عبد الله الزنجي الكاتب : جزى الله الفراق عنا خيراً ، فإنما هو زفرة وعبرة ، ثم اعتصام وتوكل ، ثم تأميل ، وتوقع . وقبح الله التلاقي ، فإنما هو مسرة لحظة ومساءة أيام ، وابتهاج ساعة **واكتئاب** زمان . وكتب أحمد بن سعد ؛ إني لأكره الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور . ومع الفراق غمة يخفيها توقع إسعاف النوى ، وتأميل الأوبة والرجعى . وكتب آخر : لو قلت إني لم أجد للرحيل ألماً وللبين حرقة لقلت حقاً . لأني نلت في ساعة الفراق من طيب اللقاء وأنس العناق ، ما كان معدوماً أيام التلاقي . وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : من أراد أن يسمع ما يقطر منه ماء الطرف فليستنشد قول محمد بن أبي محمد اليزيدي في تحسين الفراق : ليس عندي شحط النوى بعظيم . . . فيه غم ، وفيه كشف غموم من يكن يكره الفراق ، فإني . . . أشتهيه لموضع التسليم إن فيه اعتناقة لوداع . . . ورجاء اعتناقة لقدوم." (١)

"ومن عجائب الدنيا، صنم قادس في غرب الأندلس على البحر من كورة شذونة، وقد ذكره الأوائل، ونقل أهل الأخبار خبره، ومن أحسن ما قيل في وصفه من النظم ما أنشده غير واحد لأبي عثمان الشذوني العروضي، يخاطب بعض قواد شذونة، إذ أدخله إليه فرآه على قرب في تلك الجزيرة، فقال:

يا سيدا أبصرت عيني به عجباً ... فما أبالي يقول الناس عن رهبي

لله ما أبصرته في شذونة من ... عجائب كنت في إبصارها سببا

آثار مملكةٍ دلت على ملكٍ ... أذل بالملك أعناق الورى حقبا

وأسودٍ واقفٍ في رأس صومعةٍ ... كأنه فوقها بالروح قد صلبا

مقدماً رجله اليمنى ليرفعها ... كأنه يشتكي من طول ما تعبا

يمد يمناه بالمفتاح تحسبه ... مناولا غيره عجلان **مكتئبا**

وصكه في اليد اليسرى قد انقبضت ... كأنه ساتر عنا لما كتبا

يومي إلى البحر نحو الغرب وجهته ... مستقبلاً لغروب الشمس منتصبا

لابد والله من قفلٍ سيفتحه ... مفتاحه بعد الميقات أو قربا

وسائلٍ لي عما ضل جوهره ... والذهن في فك معناه قد انتشبا

أجبته إن في أخباره عجباً ... فلا تسل عنه صفراً كان أو ذهبا

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: ما خلق الله خلقاً أشر من الخزر، ما بعث منهم نبي ولا صديق.

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لابنه الحسن: يا بني! كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع. قال: وكيف؟ قال: الإيمان ما سمعناه بآذاننا وصدقناه بقلوبنا، واليقين ما رأيناه بأعيننا فتيقنا، وبين السمع والبصر أربع أصابع. قال: أشهد أنك ابن رسول الله.

قال الحكماء: شيئان أعيت الحكماء الحيلة فيهما، إذا أقبل الأمر أعيت الحيلة فيه أن يدبر، وإذا أدبر أعيت الحيلة فيه أن

---

(١) تحسين القبيح وتقبيح الحسن، ص/٣٤

يقبل.

قال خالد بن صفوان: احترس من العين فو الله لهي أنم من اللسان.

كان يقال: من أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك.

كان يقال: مثلت الدنيا بطائر، فالبصرة ومصر جناحان، والشام والعراق والجزيرة وما والاها الجوف، واليمن الذنب.

تقول العرب: مضر رحاها خندف، وهامتها تميم، وفرسانها قيس، وأئمتها كنانة، ولسانها أسد.

قال الخشني: لا تكرم ولا تعظم إلا من يرجى خيره، أو يخاف شره، أو يقتبس من علمه، أو من بركة دعائه.

خطب أرسطو طاليس يوماً فأطال، وعنده شاب مطرق، فقال له: مالك لا تتكلم؟ قال: إن الله خلق الإنسان أذنين اثنين ولساناً واحداً ليسمع أكثر مما يقول.

من أمثال العرب: من يجمع بين الأروى والنعام! لأن الأروى لا تسهل، وإنما تسكن الجبال، والنعام يسكن السهل، ولا ترقى الجبال.

ومن قولهم: بيضة البلد؛ فمدح وذم، فمن المدح قول علي رضى الله عنه: أنا بيضة الإسلام، ومن المدح قول حسان:

وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

يعني نفسه. وأما الذم فقول الراعي في عدي بن الرقاع:

لو كنت من أحدٍ يهجي هجوتكم ... يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاعة أن تدري لكم نسباً ... وابنا نزارٍ فأنتم بيضة البلد

ابنا نزارٍ: ربيعة ومضر.

قال قبيصة بن جابر الأسدي، يوم صفين:

قد حافظت في حربها بنو أسد ... ما مثلها تحت العجاج من أحد

لسنا بأوباشٍ ولا بيض البلد قيل للأموية: أي شيءٍ أحسن؟ قالت: القصور والبيض في الحدائق الخضر.

قال أبو لبيد الرياحي: سألت شيخاً لنا: أي شيء أحسن؟ قال: بيضة في روضة.

تقول العرب: لا شيء أظل من حجر، ولا أفيأ من شجر.

قال الشاعر:

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى ... فأبعدكن الله من شجرات

وقال آخر:

فلا تجزعن على أيكةٍ ... أبت أن تظلك أغصانها

وقال آخر، هو الحسن بن هانئ:

لا أذود الطير عن شجرٍ ... قد بلوت المر من ثمره

كلم الحجاج امرأة من الخوارج، وهي معرضة عنه، فقيل لها: يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه؟ فقالت: إني لأستحي أن

أنظر إلى من لا ينظر الله إليه.

قال رجل من بني كلاب من الخوارج، يخاطب معاوية بن أبي سفيان رحمه الله:." (١)

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من شاب شيبةً في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة " .

قال جعفر الخواص: رأيت يحيى بن أكثم في النوم، فقلت ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه فسألني وناقشني، وقال: يا شيخ السوء! لولا شيبتك لأدخلتك النار - رددها ثلاثاً - فقلت: يا رب! ما هكذا حدثني عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري عن أنس، عن نبيك، عن جبريل، عنك. قال: وما هو؟ قلت: " حدث أنه من شاب شيبةً في الإسلام لم تحرقه بالنار " ، فقال الله عز وجل: " صدق عبد الرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهري، وصدق أنس، وصدق نبي، وصدق جبريل؟ انطلقوا به إلى الجنة " .

وقال أبو موسى الزمن: رأيت أبا الوليد الطيالسي في النوم فقلت: يا أبا الوليد، أليس قدمت؟ قال: بلى. قلت: فما فعل الله بك. قال: غفر لي ورحمني وطيبني بيده، وقال: هكذا أفعل بأبناء الخمسين والسبعين.

وممن مدح الشيب من الشعراء الفرزدق، حيث يقول:

تفاريق شيب في السواد لوامع ... وما خير ليلٍ ليس فيه نجوم

وقال أبو هفان:

تعجبت هند من شيبي فقلت لها ... لا تعجبي فبياض الصبح في السدف

وزادها عجباً أن رحت في سملٍ ... وما درت هند أن الدر في الصدف

وقال دعبل:

أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه ... سمة العفيف وحلية المتحرج

وكأن شيبي نظم درً زاهرٍ ... في تاج ذي ملكٍ أغر متوج

وقال أيضاً:

أحب الشيب لما قيل ضيف ... لحبي للضيوف النازلينا

لمحمد بن عبد الملك الزيات:

وعائبٍ عابني بشيبي ... لم يعد لما ألم وقته

فقلت غذ عابني بشيبي ... يا عائب الشيب لا بلغته

وقال آخر:

لا يرعك المشيب يا بنة عبد الله ... فالشيب جلة ووقار

إنما تحسن الرياض إذا ما ... ضحكت في خلالها الأنوار

ولأبي الفتح البستي:

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/٢١٤

ما استقامت قناة رأيي إلا ... بعدما عوج المشيب قناتي

ولدعبل بن علي:

تعجبت أن رأت شيبي فقلت لها: ... لا تعجبي من يطل عمر به يشب

شيب الرجال لهم زين وتكرمة ... وشيبكن لكن الويل فاكتئبي

فينا لكن وإن شيب بدا أرب ... وليس فيكن بعد الشيب من أرب

وقال أبو الحسن علي بن محمد السهواجي، وسهواج بلدة من أعمال مصر:

ومما زاد في طول اكتئابي ... طلائع شيبتين ألمتا بي

فأما شيبة ففزعت منها ... إلى المقراض من حب التصابي

وأما أختها فكففت عنها ... لتشهد بالبراء من الخضاب

فيا عجباً لذلك من مشيبٍ ... أقمت به الدليل على الشباب

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين، وأقلهم من تجاوز ذلك " . قال أبو هريرة: وأنا من أقلهم، وقاله أبو سلمة ومحمد بن عمرو.

ومن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " من تعظيم خلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم " .

رأى إياس بن قتادة شعرةً بيضاء في لحيته، فقال: أرى الموت يطلبني، وأراني لا أفوته، أعوذ بك يا رب من فجأة الموت. يا بني سعد! قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبي.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " خير شبابكم من تشبه بكهولكم، وشر كهولكم من تشبه بشبابكم " . من حديث أنس.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " إن الله عز وجل ليكرم أبناء السبعين ويستحي من أبناء الثمانين أن يعذبهم " .

باب في خضاب الشيب ونتفه

قال محمود الوراق:

إذا ما الشيب جار على الشباب ... فعاجله وغالط في الحساب

وقل لا مرحباً بك من نزيلٍ ... وعذبه بأنواع العذاب

بنتفٍ أو بقص كل يومٍ ... وأحياناً بمكروه الخضاب

فإن هو لم يحر وأتى لوقته ... فقل في رحب دار واقتراب

ولا تعرض له إلا بخيرٍ ... وإن عدي على شرخ الشباب

وخذ للشيب أهبته وبادر ... وخل عنان رحلك للذهاب." (١)

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/٢١٩

"قال سهل بن هارون: التهنئة على آجل الثواب أولى من التعرية على عاجل المصيبة.

قال عيينة بن حصن الفزاري، وقد قدم من سفر، وقد أصابه مصيبة، فأتاه قومه فقال لهم: اجعلوا لقاءكم سلاماً، ولا يأتي أحدكم معزياً، فإن التعزية تهيج التذكرة، ومن أراد أن يدعو بخير في الرزية فليظهر العتب.

أصيب محمود الوراق بجارية يقال لها نشوى، كان علمها وخرجها وأعطى فيها مالا كثيراً فأبى، فأتى بعض إخوانه يعزيه عنها، وهو عنده أنه شامت، فجعل يعذله على ما كان يحمل إليه من ثمنها ويذكر حاله، ويطنب في وصفها، فأنشأ محمود يقول:

ومنتصح يكرر ذكر نشوى ... على عمدٍ ليبعث لي **اكتئابا**

فقلت وعد ما كانت تساوي سيحسب ذاك من خلق الحسابا

عطيته إذا أعطى سرور ... وإن أخذ الذي أعطى أثابا

فأي النعمتين أعم فضلا ... وأحمد في عواقبها إيابا

أنعمته التي أهدت سروراً ... أم الأخرى التي أهدت ثوابا

بل الأخرى وإن نزلت بكرهٍ ... أحق بشكر من صبر احتسابا

وقال محمود أيضاً في نشوى:

لعمري لئن غال صرف الزمان ... نشوى لقد غال نفساً حبيبه

ولكن علمي بما في الثواب ... عند المصيبة ينسى المصيبة

روى يحيى القطان، عن خالد بن أبي عثمان، قال: أتاني سعيد بن جبير يعزيني عن أبي، فرآني مستكيناً، فقال لي: أما علمت أن الاستكانة من الجزع.

كان علي رحمه الله إذا عزى قوماً قال: عليكم بالصبر؛ فبه يأخذ الحازم، وإليه منصرف الجازع.

ولما دفن علي فاطمة رضى الله عنهما تمثل على قبرها بهذين البيتين:

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي واحداً بعد واحدٍ ... دليل على ألا يدوم خليل

يقال: إنها له، وقال ابن الأعرابي: هي أبيات لسقران السلاماني.

كان يقال: جزعك على مصيبة أخيك أحمد من صبرك، وصبرك على مصيبتك أحمد من جزعك.

ومن أبيات لضابئ بن الحارث البرجمي:

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

عزى رجل رجلاً فقال: لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها.

قال بعض تميم:

لقد عزى ربيعة أن يوماً ... عليها مثل يومك لا يعود

ومن عجبٍ قصدن له المنايا ... على عمدٍ، وهن له جنود

أخذه يعقوب بن الربيع في رثائه جاريته، فقال:

لئن كان قربك لي نافعاً ... لبعدك أصبح لي أنفعا

لأني أمنت رزايا الدهور ... وإن جل خطب فلن أجزعا

وقال محمود الوراق:

لا تطل الحزن على فائتٍ ... فقلما يجدي عليك الحزن

سيان محزون لما قد مضى ... ومظهر حزنٍ لما لم يكن

وقال أخو ذي الرمة:

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده ... عزاءً وجفن العين ملآن مترع

ولم تنسني أوفى المصائب بعده ... ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

وقال آخر:

أترجو البقاء وهذا محال ... ولله عز وجل البقاء

فلو كان للفضل يبقى كريم ... لما مات من خلقه الأنبياء

تموت النفوس وتبقى الشخوص ... وعند الحساب يكون الجزاء

دخل أبو العتاهية على الفضل بن الربيع يعريه بابنه العباس، فقال: الحمد الله الذي جعلنا نعريك عنه، ولم يجعلنا نعزيه عنك. فدعا الفضل بالطعام فأكل، وقد كان قبل ذلك امتنع من الأكل.

ومن أحسن ما قيل في رثاء البنين قول العتبي:

ألا يزجر الدهر عنا المنونا ... يبقى البنات ويفنى البنينا

وأخنى على بلا رحمةٍ ... فلم يبق لي فوق جفنٍ جفونا

وكنت أبا صبية كالبدور ... أفقي بهم أعين الكاشحينا

فمروا على حادثات الزمان ... كمر الدراهم بالناقدينا

وما زال ذلك دأب الزمان ... حتى أماتهم أجمعينا

وحتى بكى لي حسادهم ... وقد أقرحوا بالدموع العيونا

وحسبك من حادثٍ بامرئٍ ... ترى حاسديه له راحمينا." (١)

"ومن لا يُصانع في أُمورٍ كثيرةٍ ... يُضرسْ بأنيابٍ ويُوطَأ بمنسِمِ

ومن يَغتربْ يحسِبْ عدوّاً صديقَهُ ... ومن لا يُكرّم نفسه لا يكرَّمِ

ومن يجعلِ المعروفَ من دونِ عِرضه ... يَفِرْه ومن لا يتَّقي الشّتم يُشتَمِ

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص/٢٥٢

لسانُ الفَتَى نصفٌ ونصفٌ فؤاده ... فلم يبقَ إلاَّ صورةُ اللَّحمِ والدَّمِ
وكائنْ تَرَى من صامت لكَ معجب ... زيادتهُ أو نقصُهُ في التَّكلُّمِ
وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قبلَهُ ... ولكنَّني عن علمِ ما في غدٍ عَمِي
ومن يَكُ ذا فضلٍ فَيَبخلْ بفضلِهِ ... علَى قومِهِ يُسْتغنَ عنهُ ويُذمَمِ
ومَن لمْ يزلْ يستحملُ النَّاسَ نفسَهُ ... ولا يُغْنِها يوماً من الدَّهر يُسْأمِ
ومنْ هابَ أسبابَ المنايا ينلنَهُ ... ولو رامَ أسبابَ السَّماءِ بسلّمِ

آخر:

والشَّيْبُ يبرُقُ في الشَّبابِ كأنَّه ... ليلٌ يَصيحُ بجانبيهِ نَهَارُ

آخر:

وَدِدْتُ بياضَ السَّيف يوم لقينني ... مكانَ بيضَ الشَّيْبِ لاحَ بمَفْرِقِي

أخبرني أبو بكر الإصلاحي، قال: أنشدنا أبو بكر العلاف لنفسه في تمنّي الشَّيْب وكان مُخلَداً:

إلامَ وفيمَ يَظلمُني شَبابِي ... ويُلبِسُ لَّمتي حَلَكَ الغُرابِ
فيا ابنَ المعتلينَ علَى البَرَايا ... بعلياءِ النُّبوَّةِ والكتابِ
أبِنْ هل من دواءٍ مُسْتجادٍ ... لديكم أو دعاءٍ مستجابِ
لأبدِلَ من سوادِ اللَّيلِ صُبْحاً ... يُضيءُ وادْهِماماً باشْهِبابِ
فكافورُ المشيبِ لديَّ أحلَى ... وفي العينينِ من مِسْكِ الشَّبابِ

وقال آخر:

كأنَّ الشَّيْبَ والحَدَثانَ جَرْياً ... إلى نفسِ الفَتَى فرسَا سباقِ
كأنَّ بني أميَّة لم يكونُوا ... ملوكاً بالحجازِ ولا العراقِ
فما الدُّنيا بباقيةٍ لحيّ ... وما حيٌّ إلى الدُّنيا بباقِ

وقال الأسود بن يعفر:

ومن العجائبِ لا أبا لَكَ أنَّني ... ضُربتْ عليَّ الأرضُ بالأسدادِ
لا أهتَدِي فيها لَمدفعِ تَلْعَةٍ ... بينَ العراقِ وبينَ أرضِ مُرادِ

وقال علي بن القاسم الخوافي صاحب المختصر من العين:

شاعَ في عارِضَيَّ هذا المشيبُ ... فهوَ الموتُ والفراقُ قريبُ
كلّ يومٍ للموتِ منّي نصيبٌ ... وسهامٌ أرمِي بها وتُصيبُ
وتفانَى أحبَّتِي ولِدَاتِي ... والبَلايا مع الرَّزايا تَنوبُ
كلّ يومٍ يُنْعَى إليَّ رفيقٌ ... أو قريبٌ أُحبُّهُ أو حبيبُ
وكأنَّ الفَناءَ صُبَّ عليهم ... فهُمُ في التُّرابِ مُرْدٌ وشِيبُ

وقال آخر:

أصبحتُ لا أحمِلُ السِّلاحَ ولا ... أملِكُ رأسَ البعيرِ إنْ نَفَرَا

والذِّئبُ أخشاهُ إنْ خلوتُ بِهِ ... وحدِي وأخشَى الرِّياحَ والمَطَرَا

من بعدِ ما قوَّةٍ أُسَرُّ بها ... أصبحتُ شيخاً أُعالجُ الكِبَرَا

وقال الحسن بن هانئ:

قالوا كبِرْتَ فقلتُ لم تكبرْ يدِي ... من أنْ تخِفَّ إلى فمِي بالكاسِ

وإذا عددتُ سِنِّي كم هيَ لم أجدْ ... للشَّيبِ عُذراً في الحلولِ براسِي

فإذا نزعتَ عن الغوايةِ فليكُنْ ... لله ذاكَ النَّزْعُ لا للنَّاسِ

آخر:

قالوا: أنينُكَ طولَ ليلِي يُسْهِرُنا ... فما الَّذي تشتَكِي قلتُ الثَّمانينا

أنشدني إبراهيم بن علي الطيفوري:

وقالوا ما أشابَكَ قبلَ وقتٍ ... فقلتُ هوًى وهجرٌ **واكتِئابُ**

ولو أنَّ الغرابَ اهتمَّ همِّي ... وفكَّرَ فكرتِي شابَ الغُرابُ

وقال آخر:

كَرِهْتُ شيبي وكرهٌ أنْ يُفارِقَني ... أعْجِبْ بشيءٍ علَى البغضاءِ مَوْدُودُ

أمَّا الشَّبابُ فمفقودٌ لهُ بَدَلٌ ... والشَّيْبُ يذهبُ مفقوداً بمفقودِ

وقال آخر:

عَجَباً للشَّبابِ كيفَ تولَّى ... ولثوبِ المشيبِ أيَّ لِباسِ

ليسَ جُودُ الجوادِ فَضْلَ مالٍ ... إنَّما الجودُ للمقِلِّ المُواسِي

وقال بشر بن الحارث:

شَيبٌ يلوحُ كأنَّما نَفَضَتْ ... زَغَباً عليهِ حمائمٌ بُلْقُ

ما كنتُ أفسُقُ والشَّبابُ أخي ... أفحينَ شِبْتُ يجوزُ لي فُسْقُ." (١)

"رأيت العاشقين لهم جسوم ... براها الشوق لو نفخوا لطاروا

وقال بن عبد ربه:

ولما أن رأى أهلي سقامي ... تجاوز حده حد السقيم

سددت منافس النسمات عني ... مخافة أن أطير مع النسيم

وقال آخر:

---

(١) حماسة الظرفاء، ص/٧

وإذا عائد دنا لكلامي ... لعبت بي أنفاسه في الفراش

وقال آخر:

عبثت به أيدي الضنى فكأنه ... سر خفي في ضمير كتوم

أنحلني حبك يا متلفي ... وزادني الشوق فلم أعرف

وذبت حتى لو رمى بي الهوى ... في ناظر الناظر لم يطرف

وقال ناصر الدين الفقعسي:

يقول جسمي لنحولي وقد ... أفرط بي فرط ضنى **واكتئاب**

فعلت بي يا سقم ما لم يكن ... يلبس والله عليه الثياب

ومما ينخرط في هذا اليلك ما وصفت به الشعراء الخصر من الخول وقد بالغ ابن إسرائيل فيه حيث قال وأحسن في المقال:

واها على الخصر الرفيق وإنما ... قطع الطريق حديثه الموثوق

خصر أدير عليه معصم قبلة ... فكأن تقبيلي له تعنيق

وقال الشيخ صفي الدين الحلي:

مليح يغار الغصن عند اهتزازه ... ويخجل بدر التم عند شروقه

فما فيه معنى ناقص غير خصره ... وما فيه شيء بارد غير ريقه

قلت أخذه من قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني وأراد قصره على الحسن فقصر وجرى خلفه ليعثر على المعنى فاعثر عليه بل تعثر والفرق بينهما كما بين الأجاج والكوثر والخصر والخنصر ألا ترى قول ابن العفيف وحلاوة منطقه الظريف.

فكم يتجافى خصره وهو ناحل ... وكم يتحالريقه وهو بارد

وكم يدعى صوناً وهذي جفونه ... بفترتها للعاشقين تواعد

وقال أيضاً:

شكوت إلى ذاك الجمال صبابة ... تكلف جفني أنه قط لا يغفو

فلانت لي الأعطاف والخصر رق لي ... ولكن تجافى الشعروا ناقل الردف

وقال أيضاً:

تلاعب الشعر على ردفه ... أوقع قلبي في العريض الطويل

يا ردفة جرت على خصره ... رفقاً به ما أنت إلا ثقيل

وعلى ذكر الردف ما أحسن قول الآخر:

للبدر من وجنته نكتة ... وفترة في الظبي من طرفه

إذا مشى جاذ به ردفه ... كأنه يمشي إلى خلفه

وقال الشيخ صفي الدين الحلي في مليح راقص:

جاء وفي قده اعتدال ... مهفهف ما له عديل

قد خففت عطفه شمال ... وثقلت جفنه شمول

ثم أنثى راقصاً بقد ... تثني إلى نحوه العقول

يجول ما بيننا بوجه ... فيه مياه الحيا تجول

ورنح الرقص منه عطفاً ... خف به اللطف والدخول

فعطفه داخل خفيف ... وردفه خارج ثقيل

وقال ابن رشيق:

أحمل أثقالي على ردفه ... وأمسك الخصر لئلا يضيع

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

سألت النقا والبان يحكي لناظري ... روادف أو أعطاف من طال صدها

فقال كثيب الرمل ما أنا حملها ... وقال قضيب البان ما أنا قدها

الباب الخامس والعشرون

ذكر ما يكابده الأحباب من الأمور الصعاب

وغير ذلك مما يقاسونه من تحمل المشاق وألم الفراق

كقوله:

شكى ألم الفراق الناس قبلي ... وروع النوى حي وميت

وأما مثل ما ضمت ضلوعي ... فإني ما سمعت ولا رأيت

أقول هذا الباب عقدناه لذكر ما يقايسه المحب من ركوب الأخطار في طلب الأوطار فهو لا يزال مشغولاً بحاله متقلباً تحت أحماله يقاسي في طلب الحبيب من الأهوال ما هو أثقل من الجبال ويسمح في مقابلة اللمحة اليسيرة منه بالنفس والمال.

قال الطغرائي:

ومن طلب الأحبة كان اسخى ... ببذل النفس من كعب بن مامه

ومن طلب الغنائم لم يهب من ... نضى من دون مطلبه حسامه

وقال أيضاً:

لأكره الطعنة النجلاء قد شفعت ... برشقة من نبال الأعين النجل

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني ... باللمح من خلل الأستار والكلل." (١)

"٢(ولهفي على عهد الشباب ولمة ** أطَرّتْ غَداةَ الخَيْفِ عَنّي غُرَابَهَا)(وَمِنْ دارِ أحْبَابٍ نَبُلّ طُلُولَهَا ** بِمَاءِ الأمَاقي أوْ نُحَيّي جَنَابَهَا)(وَمِنْ رِفْقَةٍ نَجْدِيّةٍ بَدَوِيّةٍ ** تُفَاوِضُنَا أشْجَانَهَا وَاكْتِئَابَهَا)٤ (وَنُذْكِرُها الأشْوَاقَ حتى تُحِنَّهَا ** وتعدي

---

(١) ديوان الصبابة، ص/٧٥

باطراف الحنين ركابها)٥ (إذا مَا تَحَدّى الشّوْقُ يَوْماً قُلُوبَنا ** عَرَضْنَا لَهُ أنْفَاسَنَا وَالتِهَابَهَا)٦ (وَمِلْنَا عَلى الأكْوَارِ طَرْبَى ، كأنّما ** رَأيْنَا العِرَاقَ ، أوْ نَزَلْنَا قِبَابَهَا)٧ (نشاق الى اوطاننا وتعوقنا ** زِيادَاتُ سَيْرٍ مَا حَسِبْنَا حِسَابَهَا)٨ (وَكَمْ لَيْلَةٍ بِتْنَا نُكَابِدُ هَوْلَهَا ** ونمزق حصباها اذا الغمر هابها)٩ (وَقَد نَصَلَتْ أنضَاؤنَا مِنْ ظَلامِهَا ** نصول بنان الخود تنضو خضابها).(وَهَاجِرَةٍ تُلقي شِرَارَ وَقُودِهَا ** على الركب انعلنا المطي ظرابها)

---

(١) ".

"٤(فما لقياكم الا دليل ** على كنز الغنيمة والثواب) ٤(وَلي قَبْرَانِ بالزّوْرَاءِ أشْفي ** بقربهما نزاعي **واكتئابي**) ٤(أقُودُ إلَيهِمَا نَفْسِي وَأُهْدِي ** سَلاماً لا يَحِيدُ عَنِ الجَوَابِ) ٤٤ (لِقَاؤهُمَا يُطَهّرُ مِنْ جَنَاني ** ويدرأ عن ردائي كل عاب) ٤٥ (قَسِيمُ النّارِ جَدّي يَوْمَ يُلْقَى ** بِهِ بَابُ النّجَاةِ مِنَ العَذابِ) ٤٦ (وساقي الخلق والمهجات حرى ** وَفاتِحَةُ الصّرَاطِ إلى الحِسَابِ) ٤٧ (وَمَنْ سَمَحَتْ بخَاتَمِهِ يَمِينٌ ** تَضَنُّ بكُلّ عَالِيَةِ الكِعَابِ) ٤٨ (اما في باب خيبر معجزات ** تُصَدَّقُ ، أوْ مُنَاجَاةُ الحِبَابِ) ٤٩ (أرَادَتْ كَيْدَهُ ، وَاللَّهُ يَأبَى ** فَجَاءَ النّصْرُ مِنْ قِبَلِ الغُرَابِ) ٥٠ (أهَذا البَدْرُ يُكْسَفُ بالدياجي ** وهذي الشمس تطمس بالضباب)

---

(٢) ".

"البحر : خفيف تام (مَن لصَبٍّ أدنىَ البعادُ وفاتَه ، ** إذ عَداهُ وصلُ الحَبيبِ وفاتَه) (فاتَهُ من لِقا الأحبّةِ عَيشٌ ، **كان يخشَى قَبلَ الوَفاةِ فَواتَه) (كان ثبتاً قبلَ التفرقِ لكنْ ** زَعزَعَتْ روعةُ الفراقِ ثَباتَه) ٤ (سرَّهُ جمعُ شملِهِ بلقاهم ، ** فقضَى حادثُ الزّمانِ شَتاتَه) ٥ (ما عصَى الحبَّ ، حينَ أطنبتِ الوا ** شونَ فيهم ، ولا أطاعَ وشاتَه) ٦ (سرَّهُ ذكرُهم ، وقد ساءَه اللو ** مُ ، فأحياهُ عَذلُهم وأماتَه) ٧ (أظهروا لي تملقاً **واكتئاباً** ** هو عندي تهكمٌ ، وشماتَه) ٨ (فصَمتْ شدّةُ الهمومِ عُرى القل ** بِ وأصدى مرأى العدى مرآته) ٩ (كيفَ تَفري الهمومُ حدَّ اصطباري ** بعدما فلتِ الخطوب شباتَه).(كنتُ مستنصراً بأسيافِ صبري ، ** فنَبَتْ بعدَ فُرقَةِ ابنِ نُباتَه)

---

(٣) ".

"البحر : مقتضب (أينَ في الحِمَى عَرَبُ ** لي بربعهمْ أربُ) (كُلّما ذَكَرْتُهُمُ ** هَزّني لهمْ طَرَبُ) (جيرةٌ بحيهمُ ** لَيسَ يُحفَظُ الحَسَبُ) ٤ (العهودُ والحقو ** قُ عندهم تُغتَصَبُ) ٥ (في خِيامِهِمْ قَمَرٌ ** بالصّفاحِ مُحتَجِبُ) ٦ (

---

(١) ديوان الشريف الرضي، ص/١٠٠

(٢) ديوان الشريف الرضي، ص/١٦٥

(٣) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٤٦٦

رِيقُهُ مُعَتَّقَةٌ ** ثغرُهُ لها حببُ) ٧ (بِتُّ في ديارِهِمُ ** والفؤادُ مكتئبُ) ٨ (الدموعُ هاطلةٌ ** والضّلوعُ تَلتَهِبُ) ٩ (إنّ للغَرامِ يَداً ، ** مسني بها العطبُ) ٠ (إن قَضَيتُ فِيهِ أسًى ، ** فَهوَ بَعضُ ما يجبُ)

---

(١) ".

"البحر : وافر تام (غشيتُ منازلاً بعريتناتٍ ، ** فأعْلى الجِزْعِ للحَيّ المُبِنّ) (تعاورهنّ صرفُ الدهرِ ، حتى ** عَفَوْنَ ، وكلُّ مُنْهَمِرٍ مُرِنّ) (وقفتُ بها القلوصَ ، على اكتئابٍ ، ** وذاكَ تَفارُطُ الشّوقِ المُعَنّي) ٤ (أُسائِلُها ، وقد سَفَحَتْ دُموعي ، ** كأنّ مَفيضَهُنّ غُروبُ شَنّ) ٥ (بُكاءَ حَمامَةٍ ، تَدعو هَديلاً ، ** مفجعةٍ ، على فننٍ ، تغني) ٦ (الكني يا عيينَ إليكَ قولاً ** سأهديهِ إليكَ ، إليك عني) ٧ (قوافيَ كالسلامِ ، إذا استمرتْ ، ** فليسَ يردّ مذهبها التظني) ٨ (بهنّ أدينُ مَنْ يَبْغي أذاني ، ** مداينةَ المداينِ ، فليدنيب) ٩ (أتخذلُ ناصري وتعزّ عبساً ، ** أيَرْبوعَ بنَ غَيْظٍ للمِعَنّ)٠ (كأنكَ منْ جمالِ بني أقيشٍ ، ** يقعقعُ ، خلفَ رجليهِ ، بشنّ)

---

(٢) ".

"١(ولاترغبْ بنفسك عن فلاة ** تخالُ سَرَابَ قَيْعَتها شَرَابا)(فكم ملكٍ ينالُ بخوضِ هلكٍ ** فلا يُبهِمْ عليك الخوْفُ بابا)(وقفتُ من التناقضِ مُستريبا ** وقد يقفُ اللبيبُ إذا استرابا)٤ (كأن الدهر محسنه مسيءٌ ** فما يجزي على عمل ثوابا)٥ (ولو أخذَ الزّمان بكفّ حرّ ** لكان بطبعِهِ أمْرا عُجابا)٦ (يَجُرّ عليّ شُرْبُ الراحِ هَمّاً ** ويورثُ قلبيَ الشدُوُ اكتئابا)٧ (وفي خُلُق الزّمان طباعُ خُلْفٍ ** تُمَرّرُ في فمي النُّغَبَ العذابا)٨ (وقد بدلت بعد سراة قومي ** ذئاباً في الصحابة لا الصحابا)٩ (وألفيتُ الجليس على خلافي ** فلسْتُ مجالِساً إلاّ كِتابَا)٠ (وما العنقاء أعوزُ من صديق ** إذا خبثُ الزمانُ عليك طابا)

---

(٣) ".

"١(لم يُغنيا عنه : لا عزٌّ يدلُ بهِ ** مَنْ كانَ بالكبر في عرنينه أشرُ)(ولا مهابة محجوبٍ تبرجُها **كأنه عندَ أبصارِ الورى خفر)(شُقّتْ جيوبُ المعالي بالأسى وبكَتْ ** في الخافقين عليهِ الأنجمُ الزهرُ)٤ (إذ السماءُ بصوتِ الرعدِ صرختها ** يكادُ منها فؤادُ الأرْضِ يَنْفَطِر)٥ (والجوّ مُتّقِدُ الأحشاءِ مُكْتَئِبٌ **كأنَّما البرقُ فيها للأسى سُعُر)٦ (وقل لابنِ تميمٍ حُزنُ مأتمها ** فكلّ حزنٍ عظيمٍ فيه محتقرُ)٧ (قامَ الدليلُ ويحيى لا حياةَ لهُ ** إنَّ المَنِيَّةَ لا تُبْقِي ولا تذر)٨ (

---

(١) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٦٥٠

(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص/٩٦

(٣) ديوان عبد الجبار بن حمديس، ص/٢١

أمسي دفيناً ولم تُدْفَنْ مَفاخِرُهُ **كالمسكِ يُطوى ، ونشرٌ منه ينتشرُ)٩ (قد كنتُ أحسبُ أن أُعْطَى مُنايَ به ** وأن يطولَ على عمري لهُ عمر)٠ (وها أنا اليومَ أرثيهِ وكنتُ لهُ ** أنقّحُ المدحَ ، والدنيا لها غيرُ)

---

(١) ".

"٤(ففيهم شيَّد الله المعالي ** وفيهم أنزل الله الكتابا) ٤(أولئك آلُ بيتٍ أنزلوها ** تراثاً عن أبيهم واكتسابا) ٤٤ (شواهق من جبال المجد تسمو ** مفاخرها وأبنية رحابا) ٤٥ (وأخلاقاً مهذبة لداناً ** وإيماناً من الجدوى رطابا) ٤٦ (إليكم ننتمي وبكم نباهي ** من البحر الشرايع والعبابا) ٤٧ (وفي الدّارين ما زلنا لديكم ** نجوز الأجر منكم والثوابا) ٤٨ (وأبلغ ما يكون به التمني ** دنوّاً من جنابك واقترابا) ٤٩ (زماناً راعني بنواك شهراً ** فما لي لا أريع به الركابا) ٥٠ (فليس العيدُ ما أوفى بعيدٍ ** ولم أشهد به ذاك الجنابا) ٥(وعاتبنا بفرقتك الليالي ** على ما كان حزناً واكتئابا)

---

(٢) ".

"٤(أبى الله والنفس الأبيّة أن يُرى ** بغير المعالي همُّه واكتئابه) ٤(فدانت له الأخطار بعد عتوّها ** وذلّت له من كل خطب صعابه) ٤(ولو شاء كشف الضرّ فرّق جمعه ** وما فارق العضب اليماني قرابه) ٤٤ (ومجتهدٍ في كلّ علمِ أبيَّةٍ ** فلا يتعداها لعمري صوابه) ٤٥ (بفكرٍ يرى ما لا يرى فكر غيره ** يشقّ جلابيب الظلام شهابه) ٤٦ (مقيم على أنْ لا يزال قطاره ** يصوب وهذا صوبه وانصبابه) ٤٧ (وإمّا خلا ذاك الغمام فمقلع ** وعمّا قليل يضمحل ضبابه) ٤٨ (وناهيك بالندب الذي إنْ ندبته **كفاك مهمّات الأمور انتدابه) ٤٩ (ذباب حسام البأس جوهر عضبه ** وما الصارم الهندي لولا ذبابه ؟) ٥٠ (عليم بما يقني الثناء وعامل ** وداعٍ إلى الخيرَ العظيم مجابه)

---

(٣) ".

"البحر : وافر تام (دعاه إلى الهوى داعي التّصابي ** فراح يذكر أيّام الشباب) (يذيل مدامعاً قد أرسَلَتها ** لواعج فرط حزن واكتئاب) (وأبصره العذول كما تراه ** بما قاسى شديد الاضطراب) ٤ (وفي أحشائه وجدٌ كمينٌ ** يغذّبه بأنواع العذاب) ٥ (فلام ولم يصب باللّوم رشداً ** وكان العذر أهدى للصواب) ٦ (جفته الغانيات وقد جفاها ** فلا وصل من البيض الكعاب) ٧ (وكان يروعه من قبل هذا ** هوى سلمى وزينب والرباب) ٨ (يروع إلى الدمى

---

(١) ديوان عبد الجبار بن حمديس، ص/٢٩٢

(٢) ديوان عبد الغفار الأخرس، ص/٤٤

(٣) ديوان عبد الغفار الأخرس، ص/٢٠٢

صابٍ إليها ** ويأنس في أوانها العراب) ٩ (أعيدي النَّوح يا ورقاء حتى **كأنكِ قد شكوتكِ بعض ما بي)٠ (بكيت وما بكيت لفقد إلفٍ ** على أني أصبتُ ولم تُصابي)

". (١)

"٨(إذا نحن لم نحمد بحال ذهابنا ** إلى شرِّ جيلٍ شرّهم قد أنابنا) ٨(فَلِمْ لا نعاني حزننا **واكتئابنا** **كفى حزناً أنَّا نعنيّ ركابنا) ٨٥ (تركت ديار اللّهو والعقل تابعي ** وبدَّلْتُ سكناها بسكنى المرابع) ٨٦ (وما غرّني في الكون برق المطامع ** إذا كانت العلياء حشو مسامعي) ٨٧ (يريني المعالي سفحها وطلوعها **) ٨٨ (لقد خاب مسعاها إليهم وبئس ما ** تقحّمتْ الأمرَ الخطير تقحّما) ٨٩ (تروح رواءً ترتمي أيَّ مرتمى ** فترجع حَسْرى ظلّعاً شفّها الظما) ٩٠ (فيا ليتها ضلتْ وساءَ سبيلها **) ٩(لئن كان صحبي كلُّ أروع يجتري ** على كل ليث في الكريهة قَسوَر) ٩(ترفَّعت عن رذل الصفات مصعّر ** فلا ألوي للأنذال جيدي ومعشري)

". (٢)

"البحر : وافر تام (ذكرتُ على النّوى عهد التّصابي ** فأشجاني وهيَّجَ بعضَ ما بي) (وشوَّقني معالم كنتُ فيها ** بأنعم طيبِ عيشٍ مستطاب) (فبتُّ أحنُّ من شوق إليها **كما حنَّ المشيبُ إلى الشباب) ٤ (سقى تلك الديار وساكنها ** مُلِثُّ القَطر منهلّ الرباب) ٥ (فكم ظبيٍ هنالك في كناسٍ ** ينوب بفتكه عن ليث غاب) ٦ (بنفسي من أفدّيه بنفسي ** ويعذب في تجنّبه عذابي) ٧ (ولي قلبٌ تَوَقَّدَ في التهابٍ ** ولي دمع توالى ب نسكاب) ٨ (وليلٍ طال بالزفرات منّي ** ولم يقصر لحزني **واكتئابي**) ٩ (وكم همٍ أساءَ إلى فؤادي ** وطال مع الزمان به عتابي)٠ (وأزعجني عن الأحباب بينٌ ** وبالبينِ أنزعاجي واظطرابي)

". (٣)

"البحر : رمل تام (إسألِ الأَرْسُمَ لو ردَّتْ جوابا ** وَوَعَتْ للمُغرَم العاني خطابا) (عَرصاتٌ يَقِفُ الصبّ بها ** ينفدُ الدَّمع ذهاباً وإيابا) (عاتب الدهر على إقوائها ** إنَّ للحرّ مع الدهر عتابا) ٤ (ما رعت فيها الليالي ذمّةً ** وكستها من دياجيها نقابا) ٥ (فسقتها عبرة مهراقة **كالسحاب الجون سحاً وانسكابا) ٦ (كلَّما أسبلها مُسبِلُها ** روت الأغواز منها والهضابا) ٧ (لا قضت عيناي فيها واجباً ** إنْ تكن عيناي تستجدي السحابا) ٨ (وقف الركب

---

(١) ديوان عبد الغفار الأخرس، ص/٢٢٠

(٢) ديوان عبد الغفار الأخرس، ص/٣٦٣

(٣) ديوان عبد الغفار الأخرس، ص/٦٥٣

على أفنائها ** وقفة الأميّ يستقري الكتابا) ٩ (منكراً من أرسُمٍ معرفة ** لبست للبين حزناً **واكتئابا**)٠ (لأرينَّكُما وَجدي بها ** ما أرتني الدار إلاّ ما أرابا)

---

(١) ".

"١(لا درَّ درُّ اللّيالى أخذها فرصٌ ** ومنعها غصصٌ بل جودها سرفُ)(إذا حزنتَ فقلبُ المجد **مكتئبٌ** ** وإنْ قُذِيتَ ففي وجهِ الضُّحَى سَدَفُ)(ولو علمتَ ببسطِ الدَّهرِ قبضتَهُ ** إلى فِنائِك ما طالتْ له كَتِفُ)٤ (لكنّه سارقٌ يخفى زيارته ** وليس من سطوةِ السُّرّاقِ مُنتَصَفُ)٥ (إنْ كان أطلق فيك الدّهرُ منطقه ** فقد دعاك لسانٌ حشوهُ كففُ)٦ (أو كان ألْهَبَ في مَغناك سابقَهُ ** فقد ثناه برجلٍ ملؤها حنفُ)٧ (يهدى العزاءَ إلى المفقودِ مفتقدٌ ** مؤزَّرٌ بثيابِ الموتِ مُلتحفُ)٨ (ويصرف الهمَّ عن قلبٍ أطاف به ** مَن قلبُهُ لِنَواصي الهمّ مُكتنفُ)٩ (إنَّ الّتي أَضْرمتْ أحشاءَنا جَزَعاً ** تلقاك منها غداً في الجنَّةِ الزُّلَفُ)٠ (ولن يُذكِّرَك المُسْلونَ مَوعظةً ** وأنتَ تعلمُ منها فوقَ ما وَصَفوا)

---

(٢) ".

"١(كم ذا فَقَدنا كراماً لا إيابَ لهمْ ** حطوا من المنزل الأعلى ' ونفتقدُ ')(ذاقتْ شِفاهُهُمُ طعمَ الرَّدى مَقراً ** وطالما كانَ يجري بَينها الشَّهَدُ)(و كم وردنا وما تغنى ورادتنا ** إنّا وردنا وأُعْفُوا مُرَّ ما وَرَدوا)٤ (لم يُغنِ عنهُمْ وقد همَّ الحِمامُ بهمْ ** ما جَمَّعوا لدفاع البُؤْسِ واحتشدوا)٥ (وليسَ يُجدي وإنْ أَرْبَى بكثرتِه ** على الفتى مَدَداً إذا انقضتْ مُدَدُ)٦ ('كأنهُمْ بعد ما ' امتدّ ' الزمانُ لهمْ ** لّما مَضَوا في سبيلِ الموتِ ما وُلِدوا)٧ (فنحنُ نبكي على آثارِهِمْ جَزَعاً ** نقولُ لا تبعدوا عنا وقد بعدوا)٨ (قلْ للوزير سواك المرءُ نوقظهُ ** و سمعَ غيرِكَ يغشى العذلُ والفندُ)٩ (حتى متى أنتَ فيما فات **مكتئبٌ** ** جنى الحمامُ فلا عقلٌ ولا قودُ ؟)٠ (دَعِ التتبُّعَ للعمرِ الذي قطعتْ ** عنه الحياةَ المنايا وانْتَهى الأمدُ)

---

(٣) ".

"البحر : بسيط تام (هل هاجَ شوقَك صوتُ الطائرِ الغَرِدِ ** في الربعِ والربعُ عريانٌ بلا أحدِ ؟) (غنَّاك ما قلبُه شوقاً **بمُكتئبٍ** ** وليس دمعٌ له حُزْناً بمطَّرِدِ) (و ربما هاجَ أحزانَ الفؤادِ وما ** يَدْري خليٌّ منَ الأشجانِ والكَمَدِ) ٤ (أمّا الذينَ رَمَتْ عَسفانَ عِيرُهُمُ ** بكلِّ مَوَّرةٍ عَيرانةٍ أُجُدِ) ٥ (ففي الفؤادِ على آثارِهِمْ جَزَعٌ ** لا يستفيق وهمٌّ غيرُ مفتقدِ) ٦ (حنوا إليك وقد شطّ المَزارُ بهمْ **كأنهمْ لم يصدوا عنك من صددِ) ٧ (قد قلتُ لّما لقِينا الظَّعنَ سائرةً : ** ماذا

---

(١) ديوان عبد الغفار الأخرس، ص/٧٣٦

(٢) ديوان الشريف المرتضى، ص/٢٥٣

(٣) ديوان الشريف المرتضى، ص/٧٢٤

يفيد لقيناهنَّ من غيدِ ؟) ٨ (مِن كلِّ مَوسومةٍ بالحسن بَهْكَنَةٍ **كأنَّما سُرقتْ من جنَّةِ الخُلُدِ) ٩ (من عاذري في الغواني غبَّ منتشرٍ ** من المشيبِ كنوارِ الضحى بددِ)٠ (وافى ولم يبغِ مني أن أهيبَ به ** و حلَّ مني كرهاً حيث لم أردِ)

---

(١) ".

"٢(وانظرْ إلى ماتركتْ بعدَها ** من نعمٍ للواهب المجزلِ)(دع زمناً في الغاب خلّى لنا ** أسوده تعبث بالأشبلِ)(ولا تلُمْهُ ورؤوسٌ لنا ** سليمةٌ إنْ عاثَ بالأرجُلِ)٤ (وفي كثيبٍ فاتَنا سَلْوةٌ ** إنْ دفعَ السَّوءُ عن الأجبُلِ)٥ (و اصبرْ عليها طخيةً مرّةٍ ** فإنّها عن كَثَبٍ تَنْجلي)٦ (عداك ما أرهف من حدّها ** و عن أبيك الأوحدِ الأكملِ)٧ (ثُمَّ بَنيكَ الغُرِّ مُلّيتَ مِنْ ** بقائِهِمْ بالأمثلِ الأمثلِ)٨ (فاعدِلْ لهذي نِعماً ضَخْمةً ** عن سنّةِ المكتئبِ المعولِ)٩(وكذِّبِ القائلَ فى قولِهِ : ** قد ظلمَ الدَّهرُ ولم يعدِلِ)٠ (إنْ كان حزنٌ فليكُنْ من فتىً ** لم يقل السّوء ولم يفعلِ)

---

(٢) ".

"٦(ألمْ ترَ هذه الأيّامَ عوجاً ** موارقَ من أكفِّ الّلابسينا ؟) ٦(وقد كنَّ الصِّحاحَ بغيرِ داءٍ ** فهاهنَّ الصَّحائحُ قد دُوِينا) ٦(أُقلِّبُ في الورى قلبي وطَرْفي ** فأعجبُ من ضلالِ الحائرينا) ٦٤ (عيونٌ عاشياتٌ من هُداها ** وقدماً ما كللنَ ولا عشينا) ٦٥ (وآراءٌ مضلَّلَةُ النَّواحي ** لُوِينَ عن الإصابةِ أوْ زُوِينا) ٦٦ (وإنّي لو شكوتُ إلى جنينٍ ** أشَبْتُ بحَرِّ شكوايَ الجنينا) ٦٧ (' وصمّاءٍ بثثتُ ' لها التّشكى ** أهوّنها وتأبى أن تهونا) ٦٨ (رأتْ عندي السُّرورَ ، ولو بغيري ** ألَمّتْ ظلَّ مكتئباً حزينا) ٦٩ (وظنّوا أنَّها تُفني اصطباري ** وشرُّ القومِ أكذبهمْ ظنونا) ٧٠ (وقالوا : إنَّها خُططٌ صعابٌ ** فقلت : نعم ، ولكنْ قد خطينا)

---

(٣) ".

"البحر : خفيف تام (يا ضلوعين تلهّي في اكتئابِ ** يا دُموعي تَأَهَّبي لِانْسِكابِ) (إنَّ برحَ الغرامِ ينزفُ دمعاً ** راضَ شوقي إباءهُ في التَّصابي) (وكذا الماءُ ليسَ يجريهِ إلاَّ ** وهجُ النارِ منْ غصونٍ رطابِ) ٤ (وبلائي ثلاثةٌ طرقتني ** بسهادٍ ولوعةٍ وانتحابِ) ٥ (حنّةٌ بعدَ صيحةٍ ونعيبٌ ** منء مطيّ وسائقٍ وغرابِ) ٦ (فتقضَّتْ شبيبتي بينَ شكوى ** وتجنٍّ وهجرةٍ وعتابِ) ٧ (والْتِفاتي إلى سِنِيَّ يُريني ** عَدَدَاً لَيْسَ يَقْتَضي غَدْرُها بي) ٨ (شابَ رأسي ولمْ تمسَّ يميني ** ذَنَبَ الأَرْبَعِينَ عِنْدَ حِسابي) ٩ (ورأتْ شيبيَ الرَّبابُ فقالتْ : ** ما جَناهُ ؟ فقُلتُ : حُبُّ الرَّبابِ)٠ (ملكتْ رقّيَ الصَّبابةُ حتّى ** خاضَ صبحُ المشيبِ ليلَ الشَّبابِ)

---

(١) ديوان الشريف المرتضى، ص/٩٠٢

(٢) ديوان الشريف المرتضى، ص/١٠١٦

(٣) ديوان الشريف المرتضى، ص/١٤٥٥

(١) ".

"البحر : كامل أحذ (يا نجدُ ما لأحبَّتي شطُّوا ** لمْ يحمِ أرضكِ مثلهمْ قطُّ) (ظعنوا فما لكَ لا تفارقهمْ ** يا قلبُ إنْ رَحَلُوا وَإنْ حَطُّوا) (وكأنَّ عيسَهُمُ ، على حَدَقٍ ** تدمي الجفونَ دموعها تخطو) ٤ (أَلِفتْ جِوارَ الرَّكبِ غانيةٌ ** يأبى جوارَ عقودها القرطُ) ٥ (والعينُ ممّا الهندُ تطبعهُ ** والقدُّ ممّا ينبتُ الخطُّ) ٦ (ربعيَّةُ الآباءِ إنْ نسبتْ ** فَلَها أَراقِمُ وائِلٍ رَهْطُ) ٧ (يا سلمُ شفَّ الجسمَ وعدكِ لي ** برضىً يشفُّ وراءهُ سخطُ) ٨ (وَمَلاثِ مِرْطِكِ ، إنَّهُ قَسَمٌ ** برٌّ يخصُّ بمثلهِ المرطُ) ٩ (إنّي لأُحْيِي اللَّيْلَ **مُكْتَئِباً** ** حَتّى يُرَى وَفُرُوعُهُ شُمْطُ).(في منزلٍ أودعتِ عرصتهُ ** مِسْكاً يَمُجُّ فَتيتَهُ المِشْطُ)

(٢) ".

"البحر : وافر تام (سَئِمْتُ مِنَ الْمُوَاصَلَةِ العِتَابَا ** وَأمسَى الشَّيبُ قَد وَرِثَ الشّبَابَا) (غدتْ هوجُ الرياح مبشراتٍ ** إلى بِينٍ نَزَلْتِ بِهِ السّحابَا) (لقدْ أقررتِ غيبتنا لواشٍ ** و كنا لا نقرُّ لكِ اغتيابا) ٤ (أَنَاةٌ لا النَّمُومُ لَهَا خَدينٌ ، ** و لا تهدى لجارتها السبابا) ٥ (تطيبُ الأرضُ إنْ نزلتْ بأرضٍ ** و تسقى حينَ تنزلها الربابا) ٦ (كأنَّ المسكَ خالطَ طعمَ فيها ** بماءِ الْمُزْنِ يَطّرِدُ الحَبَابَا) ٧ (ألا تَجزينَني ، وهُمُومُ نَفْسِي ** بذكركِ قَدْ أُطيلُ لَهَا **اكْتِئَابَا**) ٨ (سُقِيتِ الغَيثَ حَيْثُ نأيتِ عَنّا ** فما نهوى لغيركم سقابا) ٩ (أهذا البخلُ زادكِ نأي دارٍ ** فليتَ الحبَّ زادكمُ اقترابا).(لقدْ نامَ الخليُّ وطالَ ليلي ** بِحُبّكِ ما أبيتُ لَهُ انْتِحَابَا)

(٣) ".

"البحر : طويل (أصَاحِ أَلَيسَ اليَوْمَ مُنتَظري صَحبي ** نُحَيّي دِيارًا الحَيّ مِنْ دارَةِ الجَأبِ) (و ماذا عليهمْ أنْ يعوجوا بدمنةٍ ** عفتْ بينَ عوصاءَ الأميلحِ والنقبِ) (ذكرتكَ والعيسُ العتاقُ كأنها ** ببرقةِ أحجارٍ قياسٌ منَ القضبِ) ٤ (فإنْ تَمْنَعي مني الشّفاءَ فقدْ أرَى ** مشارعَ للظمآنِ صافيةَ الشرب) ٥ (كأُمّ الطَّلا تَعتادُ ، وَهْيَ غَريرَةٌ ، ** بأجمدَ رهبي عاقدَ الجيدِ كالقلبِ) ٦ (إذا أنا فارقتُ العذابَ وبردها ** سقيتُ ملاحاً لا يعيبُ بها قلبي) ٧ (وَأنّا لَنَقْري حينَ يُحْمَدُ بالقِرَى ** و لمْ يبقَ نقيٌ في سلامي ولا صلبِ) ٨ (إذا الأُفُقُ الغَرْبِيّ أمْسَى كأنّهُ ** سلا فرسٍ شقراءَ **مكتئبَ** العصبِ) ٩ (و نعرفُ حقَّ النازلينَ ولمْ تزلْ ** فوارسنا يحمونَ قاصيةَ السربِ).(على مقرباتٍ هنَّ معقلُ منْ جنا ** و سمُّ العدى والمنجياتِ من الكربِ)

---

(١) ديوان الأبيوردي، ص/٥٥١

(٢) ديوان الأبيوردي، ص/٧١٨

(٣) ديوان جرير، ص/١٤

(١) ".

"١(فهَاجَ عَليّ بيْنَهُمَا اكْتِئابَا ** تبينَ في وجوههم اكتئابا)(إذا لاقَى بَنُو وَقْبَانَ غَمّاً ، ** شددتُ على أنوفهمِ العصابا)(تَنَحّ ، فَإنّ بَحْري خِنْدِفيٌّ ، ** وَأحْرَزْنَا الصّنائعَ والنِّهَابَا)٤ (لنا تحتَ المحاملِ سابغاتٌ ** أعُزُّكَ بالحِجازِ ، وَإنْ تَسَهّلْ)٥ (وَذي تَاجٍ لَهُ خَرَزاتُ مُلْكٍ ، ** سَلَبْنَاهُ السُّرادِقَ وَالحِجَابَا)٦ (ألا قبحَ الالهُ بني عقال ** وَزَادَهُمُ بغَدْرِهِمُ ارْتِيابَا)٧ (أجِيرانَ الزّبَيرِ بَرِئْتُ مِنْكُمْ ** فَلا وَأبيكَ ما لاقَيتُ حَيّاً)٨ (لقدْ عزَّ القيونُ دماً كريماً ** و رحلاً ضاعَ فانتهبَ انتهابا)٩ (وَقَدْ قَعِسَتْ ظُهُورُهُمُ بخَيْلٍ ** تجاذبهمْ أعتها جذابا)٠ (علامَ تقاعسونَ وقدْ دعاكمْ ** أهانكمُ الذي وضعَ الكتابا)

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (بَانَ الخَليطُ ، وَلَوْ طُوّعْتُ ما بَنَا ، ** و قطعوا منْ حبالِ الوصلِ أقرانا) (حَيِّ المَنَازِلَ إذْ لا نَبْتَغي بَدَلاً ** بِالدارِ داراً ، وَلا الجِيرَانِ جِيرَانَا) (قَدْ كنْتُ في أثَرِ الأظْعانِ ذا طَرَبٍ ** مروعاً منْ حذارِ البينِ محزانا) ٤ (يا ربَّ مكتئبٍ لوْ قدْ نعيتُ لهُ ** بَاكٍ ، وآخَرَ مَسْرُورٍ بِمَنْعَانَا) ٥ (لوْ تعلمينَ الذي نلقى أويتِ لنا ** أوْ تَسْمَعِينَ إلى ذي العرْشِ شكوَانَا) ٦ (كصاحبِ الموجِ إذْ مالتْ سفينتهُ ** يدعو إلى اللهِ أسراراً وإعلانا) ٧ (يا أيّهَا الرّاكِبُ المُزْجي مَطيّتَهُ ، ** بَلِّغْ تَحِيّتَنَا ، لُقّيتَ حُمْلانَا) ٨ (بلغْ رسائلَ عنا خفَّ محملها ** عَلى قَلائِصَ لَمْ يَحْمِلْنَ حِيرَانَا) ٩ (كيما نقولَ إذا بلغتَ حاجتا ** أنْتَ الأمِينُ ، إذا مُستَأمَنٌ خَانَا)٠ (تُهدي السّلامَ لأهلِ الغَوْرِ من مَلَحٍ ، ** هَيْهَاتَ مِنْ مَلَحٍ بالغَوْرِ مُهْدانَا)

(٣) ".

"١(والمتقن الجواد يرضى ** الله عنه والصحابا)(أنظر إلى تمثيلهم ** أفما ترى عجبا عجابا)(فاقوا به المتفوقين وأدركوا منه الحبابا **)٤ (أسمعت حسن أدائهم ** إما سؤالا أو جوابا)٥ (أشهدت من إيمائهم ** ما يجعل البعد اقترابا)٦ (أشجتك رنات بها ** نبروا وقد فصلوا الخطابا)٧ (قد أبدعوا حتى أرونا ** جابرة العثرات آبا)٨ (حيا كما لقي النعيم بعزة لقي العذابا **)٩ (لا تستبين به سرورا ** إن نظرت ولا اكتئابا)٠ (ما إن يبالي حادثا ** من حادثات الدهر نابا)

---

(١) ديوان جرير، ص/٦١

(٢) ديوان جرير، ص/٦٩

(٣) ديوان جرير، ص/٦٥٧

". (١)

"البحر : خفيف تام (ساءني ما تشتكي يا ابن أخي ** راجع الحزم فما يجدي **اكتئاب**) (كم أديب عده في قومه ** عد ألف وهو صفر في الحساب) (لو أسأت الظن بالناس لما ** دخل اللص ولم يحجبه باب) ٤ (فعلة الكواء مست بالنوى **كبدا حرى على تلك الثياب) ٥ (أيها غيرك يغدو رافلا ** وهي لا تنكر تغيير الإهاب) ٦ (حسنها شين على من لم يخف ** لبسها بعدك يا زين الشباب) ٧ (إن تكن تعزية فهي بها ** منك أحرى لو أحست باغتراب) ٨ (قيمة الظاهر لا تأبه لها ** إنما القيمة للفضل اللباب)

". (٢)

"البحر : سريع (**مكتئب** ذو كبد حرَّى ** تبكي عليه مقلة عبرى) (يرفع يمناه إلى ربهِ ** يدعو وفوق الكبد الأخرى)

". (٣)

"البحر : رمل تام (أنَا مَنْ تَسمَعُ عَنهُ وَتَرَى ** لا تُكذِّبْ عَن غَرامي خَبَرَا) (لي حبيبٌ كملتْ أوصافهُ ** حقّ لي في حبهِ أنْ أعذرا) (حينَ أضحى حسنهُ مشتهرا ** رُحتُ في الوَجدِ بهِ مُشتَهِرَا) ٤ (كلُّ شيءٍ مِنْ حَبيبي حَسَنٌ ** لا أرى مثلَ حبيبي في الورى) ٥ (أحورٌ أصبحتُ فيهِ حائراً ** أسْمَرٌ أمسَيتُ فيهِ سَمَرَا) ٦ (بعضُ ما ألقاهُ منهُ أنهُ ** لا يَزالُ الدّهْرَ بي مُستَهتِرَا) ٧ (فَترَاني باكِياً **مُكْتَئِباً** ** وَتَراهُ ضاحِكاً مُستَبشِرَا) ٨ (إنّ ليلاً قد دجا من شعرهِ ** فيهِ ما أحلى الضنى والسهرا) ٩ (وصَباحاً قد بدَا مِنْ وَجْهِهِ ** حَيّرَ الألبابَ لّما أسْفَرَا) ١٠ (وَافتِضاحي فيهِ ما أطيَبَهُ **كانَ ما كانَ ويدري من درَى)

". (٤)

"٣(ونعم جارُ العيَّلِ السِّغابِ ** يهوون في المحمرَّةِ الغلابِ)(رحبُ الفناء ممرعُ الجنابِ ** يلقاك ذو الغصَّةِ للشَّرابِ)(بلجَ المحيَّا محصَدَ الأسباب ** يجري على العلاَّتِ غير كابِ)٤ (مستفزعاً جريَ ذوي الأحسابِ ** ما أحْسنَ الْجُودَ علَى الأَرْبابِ)٥ (وَأقبح الْمطْلَ علَى الْوهَّاب ** أبطأتُ عن أصهاريَ الحبابِ)٦ (والشُّهْدُ مِنَّا ولَقَةُ الْغُرَابِ ** وأنا مِنْ عبدةَ في عذابِ)٧ (قدْ وعدتْ والْوعْدُ كالْكِتابِ ** فأنْتَ لِلأَذْنَيْن والجِنابِ)٨ (كالأُّم لا تحْفُو علَى الْعِتابِ ** فأمضها

---

(١) ديوان خليل جبران، ص/١٦٨

(٢) ديوان خليل جبران، ص/٢٤٠

(٣) ديوان عبد الصمد بن المعذل، ص/٦٥

(٤) ديوان بهاء الدين، ص/١٩٣

من بحرك العبابِ)٩ (بالنَّجنجيَّاتِ مع الثِّيابِ ** فَذاكَ كُلُّ مَلِقٍ خيَّابِ) ٤٠ (داني المنى ناءٍ عنِ الطُّلاَّبِ ** إنِّي من الحبسِ على **اكتئاب**)

---

(١) ".

"٢(شابَ وقد كانَ في شبيبته ** شهماً يبول الرِّئبالُ من غضبهْ)(حَتَّى إِذَا دَرَّت الدَّرُورُ لهُ ** وَرَغَّثَتْهُ الرُّوَاةُ فِي نَسَبِهْ)(قضى الإمامُ المهديُّ طعنتهُ ** عن رأسِ أخرى كانت على أربِهِ)٤ (فَالحَمْدُ للهِ لا أُسَاعِفُ بِاللَّهْوِ ** وَلا أَنْتَهِي **بِمُكْتَئِبِهْ**)

---

(٢) ".

"البحر : كامل تام (طَرِبَ الحمامُ فَهَاجَ لِي طَرَبَا ** وبما يكونُ تذكُّري نصبا) (إذ لامني ' عمروٌ ' فقلتُ لهُ : ** غُلِبَ العزاءُ وربَّما غَلَبَا) (إنَّ الحبيبَ - فلا أكافئهُ - ** بَعَثَ الخَيَالُ علي واحْتَجَبَا) ٤ (فاعْذِرْ أخاكَ ودَعْ مَلاَمَتَهُ ** إنَّ الملامَ يزيدهُ تعبا) ٥ (لا تنهبنْ عرضي لتقسمهُ ** ما كان عرْضُ أخيك مُنْتَهَبَا) ٦ (وانْحُ الغَدَاةَ على مُقابِلِهِمْ ** لخليلكَ المشغوفِ إنْ طلبا) ٧ (الطرقُ مقبلةٌ ومدبرةٌ ** هَوِّنْ عَلَيْكَ لأَيِّهَا رَكِبَا) ٨ (لولا الحمامُ وطيفُ جاريةٍ ** ما شفَّنِي حُبٌّ ولا كَرَبَا) ٩ (إنَّ التي راحتْ مودَّتُها ** رغماً عليَّ فبتُّ **مكتئبا**)٠ (حوْراءُ لوْ وَهَبَ الإلهُ لنا ** منها الصَّفاءَ لحلَّ ما وهبا)

---

(٣) ".

"١٠ (وكُل أخٍ سَيَذْهبُ عنْ أخيه ** وباقي ما تُحبُّ إِلَى ذَهَاب)(ولما فارقتنا ' أم بكر ' ** وشطّت غربةً بعد **اكتئاب**)(وبِتُّ بحاجةٍ فِي الصَّدْر منْها ** تَحَرَّقُ نارُها بيْن الْحجاب)(خططتُ مثالها وجلستُ أشكو ** إِلَيْها ما لَقِيتُ علَى انْتِحَابِ)٤ (أكلِّمُ لَمْحَةً فِي التُّرْب مِنْها **كلام المستجير من العذاب)٥ (كأَنِّيَ عِنْدَها أشْكُو إِلَيْها ** همومي والشَّكاةُ إلى التراب)٦ (سقى الله القباب بتلِّ ' عبدى ' ** وبالشرقين أيام القباب)٧ (وأياماً لنا قصرت وطابتْ ** علَى (فُرْعَانَ) نَائِمَةَ الْكِلاَبِ)٨ (لقد شط المزار فبتُّ صبا ** يطالعني الهوى من كل باب)٩ (وعهدي بالفراع وأم بكر ** ثقال الردف طيبة الرضاب)

---

(١) ديوان بشار بن برد، ص/٣٨

(٢) ديوان بشار بن برد، ص/٥٠

(٣) ديوان بشار بن برد، ص/٦٨

(١) ".

"البحر : خفيف تام (طَرَقَتَنَا بالزَّابيَيْنِ الرَّبَابُ ** رُبَّ زَوْرٍ عَلَيْكَ منْهُ اكْتِئَابُ) (ولقد قلت لابن جهمة إذ بت ** تُ مَشوقاً وَنَام عنّي الصِّحابُ :) (غَنِّني بالرَّباب إنْ كُنْتَ تَشْدُو ** غَارَ نوْمي وجَنَّ فيَّ الشَّرابُ) ٤ (أمسكت عني الرقاد فتاةٌ ** دارُها الْخَبْتُ والرُّبى والْقِبَابُ) ٥ (مقبل مدبرٌ قريب بعيد ** يتصدى لنا وفيه احتجابُ) ٦ (كسَرَابِ الْمَوْمَاةِ تُبْصِرُهُ العَيْ ** نُ وَإنْ جِئتهُ اضْمَحَلَّ السَّرَابُ) ٧ (أو كبدر السماء غير قريبٍ ** حين أوفى والضوء فيه اقترابُ) ٨ (وَطِلابُ الرَّبَابِ مِنْ دُونِهَا السَّيْ ** ف سفاهٌ والطيفُ منها عذاب) ٩ (لَوْ أَقامَتْ نعِمْتُ بَالاً وَلكِنْ ** ذهَبَتْ وَالشَّقا عَليَّ الذَّهَاب)٠ (ساقها الأزرق الغيور إلى الشا ** م فذاتُ الأشياء منها خرابُ)

---

(٢) ".

"البحر : رمل تام (آبَ لَيْلِي لَيْتَ لَيْلِي لَمْ يَؤُبْ ** إنما الليل عناء للوصب) (أرقب الليل كأني واجدٌ ** راحةً في الصبح من جهد التعب) (وَلَقَدْ أعْلَمُ أنِّي مُصْبحٌ ** مثلما أمسيتُ إن لم تحتسب) ٤ (فأرتني ثم شطت شطةً ** تَرَكَتْ قَلْبي إلَيْهَا يَضْطَرِبْ) ٥ (ما أقل الصبر عنها بعدما **كثرت فينا أحاديث العرب) ٦ (قَرَّ عيْناً بحَبيبٍ نَظْرَةً ** لاَ يُقرُّ الْعَيْنَ إلاَّ مَا تُحِبْ) ٧ (وَكَلَتْ بِي جَارَتِي أسْهُودَةً ** شر ما وكل بالجار الجنب) ٨ (ونصيحين ألما باكرً ** بطبيبٍ وطبيبي المجتنب) ٩ (سألاني وصف ما ألقى ولا ** أسْتَطِيعُ الْوَصْفَ ، إنِّي مُكْتَئِبْ)٠ (غَيْرَ أَنِّي قُلْتُ فِي قَوْلِهِمَا ** قَوْلَةً أخْفَيْتُهَا كَالْمُنْتَيِبْ)

---

(٣) ".

"البحر : بسيط تام (يا شوْقَ منْ بَاتَ مشْغُوفاً ومُجْتَنَبا ** ويا صبابتهُ إن صدَّ أو قربا) (نام اللواتي عدمن الحب من مرحٍ ** وبتُّ أقْرِضُ في الظَّلْماءِ مُكْتئِبا) (وقائلٍ صح من دائي تجنبهُ ** لم يلق عجباً وإن حدثتهُ عجبا) ٤ (مَا لِي رَأيْتُكَ لاَ تَصْبُو إلَى لَعِبٍ ** فقلت : من قرَّ عيناً بالهوى لعبا) ٦ (لاَ تَعْجَلِ الْقَدَرَ الْمكْتُوب مَوْقِتَهُ ** فاسْتأنِ لاَ يسْبقُ الْعِجْلاَنُ ما طَلَبَا) ٧ (قد ضارع الحب قلبي ثم أدركه ** وهْنُ الْمُحبِّ فأمْسَى الْقَلْبُ قَدْ غُلبا) ٨ (كيْف السَّبيلُ إلَى لهْوٍ وقدْ تَرَكَتْ ** سعْدى علَى كَبِدِي منْ حُبِّها نُدَبا) ٩ (غزالةٌ غصبت ليثاً بمقلتها ** لم أر كاليوم مغصوباً ومغتصبا)٠ (يا نظْرةً عَقَلَتْ سلْمى بمُقْلتِهِ ** فما يزال قذىً في عينه نشبا)(تدنو مع الذكر تشبيهاً إذا نزحت ** حتَّى أرى شخْصَها في الْعيْنِ مُ قْتربَا)

---

(١) ديوان بشار بن برد، ص/١٤٦

(٢) ديوان بشار بن برد، ص/٢٠٥

(٣) ديوان بشار بن برد، ص/٢١٩

(١) ".

"١(وَصَابِرِينَ وَلَوْ يَلْقَوْنَ مِنْ طَرَبِي ** معشار عشر عشير العشر ما صبروا)(قالوا جهلت بذكراها فقلت لهم : ** لاَ بَلْ جُنِنْتُ فَكُفُّوا اللَّوْمَ وَازْدَجِرُوا)(ما لان قلبي لناهٍ عن زيارتها ** وهل يلين لقلب الواعظ الحجر)٤ (لا تكثروا لوم مشغوفٍ بجاريةٍ ** لاَ يَشْتَكِي سَهَراً مِنهَا وَمَا السَّهَرُ)٥ (لا يذكر الدهر أو يسري الخيالُ لهُ ** إلا تغنى بها أو مسه ضرر)٦ (صب كئيبٌ إذا ما ذكرةٌ خطرت ** نَادَى عُبَيْدَةَ حَتَّى يَذْهَبَ الْخَطَرُ)٧ (مَا بَالُ عَبْدَةَ لاَتَأوي لِمُكْتَئِبٍ ** وَالْوَحْشُ يَأوي لَهُ وَالْجِنُّ والْبَشَرُ)٨ (من كان معتذراً من حب غانيةٍ ** فَلَيْسَ منْ حُبِّهَا ما عَاشَ يَعْتَذِرُ)٩ (يرجو عبيدة يوماً أن تجود له ** وإن تطاول ما يرجو وينتظر)

---

(٢) ".

"٧(ظلَّتْ تفالى وظلَّ الجأبُ مكتئباً ** كأنَّهُ عنْ سرارِ الأرضِ محجومُ) ٧(حَتَّى إذَا حَانَ مِنْ خُضْرٍ قَوَادِمُهُ ** ذي جُدَّتينِ يكُفُّ الطَّرفَ تغييمُ) ٧٤ (خلَّى لها سربَ أولاها وهيَّجها ** مِنْ خَلْفِهَا لاَحِقُ الصُّقْلَيْنِ هِمْهِيمُ) ٧٥ (رَاحَتْ يَشُجُّ بِهَا الآكَامَ مُنْصَلِتاً ** فالصُّمُّ تُجرحُ والكذّانُ محطومُ) ٧٦ (فما انجلى اللَّيلُ حتَّى بيَّتتْ غلَلاً ** بينَ الأشاءِ تغشّاهُ العلاجيمُ) ٧٧ (وَقَدْ تَهَيَّأَ رَامٍ عَنْ شَمَائِلِهَا ** مُجَرَّبٌ مِنْ بَني جِلاَّنُ مَغْلُومُ) ٧٨ (كَأَنَّهُ حِيْنَ تَدْنُو وِرْدَهَا طَمَعاً ** بِالصَّيْدِ مِنْ خَشْيَةِ الإِخْطَآءِ مَحْمُومُ) ٧٩ (إذا توجَّسَ قرعاً منْ سنابكها ** أَوْ كَانَ صَاحِبَ أَرْضٍ أَوْ بِهِ الْمُومُ) ٨٠ (حتَّى إذا اختلطتْ بالماءِ أكرُعها ** أهوى لها طامعٌ بالصيدِ محرومُ) ٨(وَفي الشِّمَالِ مِنَ الشِّرْيَانِ مُطْعِمَةٌ ** كبداءُ في عودِها عطفٌ وتقويمُ)

---

(٣) ".

"البحر : وافر تام (كذا من شام بارقة العذاب ** ومنته المنى رشف الرضاب) (يلاقي الدهر مصفر الحواشي ** ويرعى العيش مغبر الجناب) (أأن قدح الصبا في الأفق نارا ** تركت الجفن مخضلَّ السحاب) ٤ (أأن سجع الحمام طربت وجدا ** وعادتك العوائد من رَباب) ٥ (أوجداً سرع هذا واكتئابا ** حلفت لتوكلَن بغير نابِ) ٦ (ألم أنذرك عن طلب الصبايا ** ألم أخبرك عن نكد التصابي) ٧ (حياءك يا حمام وبعضَ هذا ** لعل جميع ما بك بعض ما بي) ٨ (فقدت حمامة وفقدتُ ليلى ** وأسود مثل خافية الغُرابِ) ٩ (أليس الشيب أغزاني جيوشاً ** فآبت بالسبايا من شبابي)٠ (أليس الدهر غير في عذاري ** بوفديه وذلك من مُصابي)

---

(١) ديوان بشار بن برد، ص/٢٣٠

(٢) ديوان بشار بن برد، ص/٧٢٧

(٣) ديوان ذو الرمة، ص/٩٨

(١) ".

"البحر : – (أيغنيك دمع أنت في الربع ساكبه ** وقد رحلت غزلانه ورباربه) (تهون أمر الحب مدعيا له ** وما الحب أهل أن يهون جانبه) (لكل محب كأس هجر وفرقة ** فإن تصدق الدعوى فإنك شاربه) ٤ (عجبت لصب يستلذ معاشه ** وقد ذهبت أحبابه وحبائبه) ٥ (فلا حب مهما لم يبت وهو في الهوى ** قريح المآقي ذاهل القلب ذاهبه) ٦ (**ومكتئب** يشكو الزمان وقد غدت ** مشارقه مسلوكة ومغاربه) ٧ (وملتزم الأوطان يشكو همومه ** وقد ضمنت تفريجهن ركائبه) ٨ (فشق أديم الخافقين مجردا ** من العزم سيفا لا تكل مضاربه) ٩ (وحسبك أدراع من الصبر إنها ** لتحمد في جلى الخطوب عواقبه)٠ (فأي لئيم ما الزمان مسالم ** له وكريم ما الزمان محاربه)

---

(٢) ".

"٢(وأحفظني حبا لعهد وداده ** وأوهن عقد الود مني وأوهاه)(**ومكتئب** أخفي هواه صبابة ** زمانا فأضناه سقاما وأحفاه)(يهيم لعلوي النسيم إذا سرى ** بنشر أقاحي حاجر وخزاماه)٤ (ويصبو إلى الأغصان أغصان رامة ** إذا ذكرته قد من كان يهواه)٥ (ويسأل عن حال العقيق وأهله ** ألا فسقى الله العقيق وحياه)٦ (ويذري لتذكار الغوير مدامعا ** تكفل عن أيدي الغمام بسقياه)٧ (ويذكر نعمان الأراك فينتشي ** بعاثر رياه فكيف برؤياه)٨ (وما أنس لا أنس الحمى ولربما ** تحول دهر بالمحب فأنساه)٩ (وليل سريناه على متن همة ** تكلفنا ما يعجز الدهر مأتاه)٠ (تكفل فيه النسر خفض جناحه ** لعزم فتى لا يرتقي النسر مرقاه)

---

(٣) ".

"١(لا ؛ ولا تردعها سطوة ** ذي البأس المهابِ ؛)(هلى ترى فيها نعيماً ** صفوةُ غير مشاب)(أم سروراً لم تكدره ** بحزنٍ **واكتئابِ**)٤ (كم غدتْ تضربُ في ** الناسِ بسيفٍ غير نابي)٥ (ليس ترضى غير أروا ** حِ البرايا من قرابِ)٦ (كمْ أذالتْ من مصونٍ ** وأزالت من حجاب)٧ (ولكمْ فلتْ حساماً ** وأذلتْ ليث غابِ ؛)٨ (يقتل الأبطالَ من ** غير طعانٍ وضراب ؛)٩ (كم همامٍ قاهرِ ** السكوةِ . . عضته بناب)٠ (أزعجتهُ لفراقٍ ** غيرَ مرجوِ الإيابِ ؛)

---

(٤) ".

---

(١) ديوان بديع الزمان الهمذاني، ص/٩

(٢) ديوان الهبل، ص/١١٦

(٣) ديوان الهبل، ص/٢١٦

(٤) ديوان الهبل، ص/٥٦٢

"البحر : طويل (بكى لشتاتِ الدينِ **مكتئبٌ** صبٌّ ** وَفَاضَ بِفَرْطِ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِهِ غَرْبُ) (وقامَ إِمَامٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِدَايَةٍ ** فَلَيْسَ له دِينٌ ، وَلَيْسَ لَهُ لُبُّ) (وما كانت الأنباءُ تأتي بمثلهِ ** يُمَلَّكُ يَوْماً ، أَوْ تَدِينُ لَهُ العُرْبُ) ٤ (ولكنْ كما قالَ الذين تتابعوا ** من السلفِ الماضي الذي ضمهُ التربُ) ٥ (مُلوُكُ بني العَبَّاسِ فِي الكُتْبِ سَبْعَةٌ ** ولم تأتنا عن ثامنٍ لهم كتبُ) ٦ (كذلكَ أهل الكهفَ في الكهف سبعةٌ ** خيارٌ إذا عدُّوا ، وثامنهم كلبُ) ٧ (وإنّي لأُعلي كلبَهُمْ عَنْكَ رِفْعَةً ** لأنكَ ذو ذنبٍ وليس له ذنبُ) ٨ (كأَنَّكَ إِذْ مُلِّكْتَنا لِشَقَائِنَا ** عَجُوزٌ عليها التاجُ والْعِقدُ والإِتْبُ) ٩ (لقد ضاعَ أمرُ الناس إذْ ساس ملكهم ** وصيفٌ و أشناسٌ وقد عظمَ الكربُ).(و فضلُ بن مروانُ * سيثلم ثلمةً ** يظلُّ لها الاسلام ليس له شعبُ)

(١) ".

"البحر : منسرح (أضحى لهُ في **اكتئابه** سببُ ** بمبسمٍ في رُضابهِ شَنَبُ) (قَلْبٌ كَمَا يُفْهَمُ السُّلُوُّ جَرَى ** فِيهِ كَمَا يُعْلَمُ الهوَى لَهَبُ) (لاَ يَدَّعِي العَاشِقُونَ مَرتَبَتِي ** مَتَى تَساوَى التُّرَابُ والذَّهبُ) ٤ (أَبكي إِذَا مَا شَكَوْا وأَنْدُبُ إِنْ ** بَكَوْا وأَقْضِي نَحْبِي إِذَا انْتَحَبُوا) ٥ (فيمن بأعطافهِ وأعينهِ ** جُرَّ قضيبٌ وجُردتْ قُضُبُ) ٦ (مُنْتَقِمٌ بالصُّدُودِ مُنْتَقِلٌ ** عنْ ودِّه بالجمالِ منتقبُ) ٧ (مُعْرِضٌ بالوِدَادِ مُعْتَرِضٌ ** مُحْتَجِرٌ في الغَرَامِ مُحْتَجِبُ) ٨ (يا حبذا دارهُ وإن بعدت ** وَحبّذا أَهْلَهُ وإِنْ غَضِبُوا) ٩ (وَحَبَّذا الشَّامُ إِنْ سَمتْ بِحُسا ** مِ الدّين مِنْهَا البِطَاحُ والكُثُبُ).(لا أَخْتَشِي الحادِثَاتِ والحَسَنُ المُ ** حسنُ لي في جنابهِ أُربُ)

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (لا غَرْوَ إِنْ هَزَّ عِطْفِي نَحْوَكَ الطَّرَبُ ** قَدْ قَامَ حُسْنُكَ عَنْ عُذْرِي بِمَا يَجِبُ) (مَا كَانَ عَهْدُكَ إلا ضَوْءُ بَارِقَةٍ ** لاحت لنا وطوت أنوارها الحُجُبُ) (تَمِيلُ عَنِّي ملالاً مَا لَهُ سَبَبٌ ** سِوَى اعْتِرَافِي بِأَنِّي فِيكَ **مُكْتَئِبُ**) ٤ (فَرَاعني في ودادٍ كُنتُ رَاعيهُ ** أَنِّي بَعُدْتُ وَغَيْرِي مِنْكَ مُقْتَرِبُ) ٥ (لِلْعَيْنِ عِنْدَكَ رَاحَاتٌ مُوَفَّرَةٌ ** وَلِلْفُؤَادِ نَصِيبٌ كُلُّهُ نَصَبُ) ٦ (فإِنْ عَشِقْتَ فَهذا الحُسْنُ لِي وَطَرٌ ** وإِنْ سَلَوْتَ فهَذَا الهَجْرُ لِي سَبَبٌ) ٧ (لكنَّ لي حسنُ ظَنٍّ أن يعيدكَ لِي ** ذَاكَ الحَيَاءُ وَذَاكَ الفَضْلُ والأَدَبُ) ٨ (وَبَيْنَنَا مِنْ عَلاقاتِ الهَوَى ذِمَمٌ ** وَمِنْ رَضَاعَةِ أَخْلاَقِ الصِّبَا نَسَبُ) ٩ (قِسْنِي وَقُساً وَقَيْساً مَنْطِقاً وَهَوىً ** وانْصِفْ تَجِدْ رُتْبَتِي مِنْ دُونِهَا الرُّتَبُ).(ولا يغرنَّكَ مِنْ فوديَّ شيبهما ** فَصُبْحُ عَزْمِي بادٍ لَيْسَ يَحْتَجب)

---

(١) ديوان دعبل بن علي، ص/٤١

(٢) ديوان الشاب الظريف، ص/١٧

(١) ".

"البحر : بسيط تام (أَرْض الأحبّةِ مِنْ سَفْحٍ وَمِنْ كُثُبِ ** سَقاكِ مُنْهَمِرُ الأنواء مِنْ كَثَبِ) (وَلاَ عَدَتْ أَهْلَكِ النائينَ مِنْ نَفْسٍ ال ** صِبَا تحيّة عَاني القلب مُكْتَئِبِ) (قَوْمٌ هُمُ العُرب المَحْمي جارُهُم ** فَلاَ رَعَى الله إلا أَوْجُهَ العَربِ) ٤ (أعزّ عِنْدِي مِنْ سَمْعِي وَمِن بَصَرِي ** ومِنْ فُؤادي ومن أهلي ومِنْ نشبي) ٥ (لَهُمْ عَليَّ حُقوقٌ مُذْ عَرَفْتُهُمْ **كأنّني بَيْن أمّ مِنْهُمُ وأبِ) ٦ (إنْ كان أحسنُ ما في الشعر أكذبهُ ** فحسنُ شعري فيهمْ غيرُ ذي كَذِبِ) ٧ (حياكَ يا تربة الهادي الشَّفيع حياً ** بمنطق الرّعدِ بادٍ من فم السُّحبِ) ٨ (يا ساكِنِي طَيْبَة الفَيْحاء هَلْ زَمنٌ ** يُدني المحب لنيل السؤلِ والأربِ) ٩ (ضممتَ أعظمَ من يدعي بأعظم منْ ** يَسْعَى إليه أُخو صِدْقٍ فَلَمْ يَخِبْ)٠ (وحُزتَ أفصحَ من يهدي وأوضح مَنْ ** يُبْدِي وأَرْجَحَ مَنْ يُعْزى إلى نَسَبِ)

(٢) ".

"البحر : بسيط تام (لا تقعدن بكسر البيت مكتئبا ** يفنى زمانك بين اليأس والأمل) (واحتل لنفسك في شيء تعيش به ** فإن أكثر عيش الناس بالحيل) (ولا تقل إن رزقي سوف يدركني ** وإن قعدت فليس الرزق كالأجل)

(٣) ".

"البحر : بسيط تام (لله أي كتاب زار مكتئبا ** منه وحر كلام زار حرانا) (ولم أكن حيث بستان ولا نهر ** فراد لحظي وفكري منه بستانا) (أرى قوافيه أطيار مغردة ** بألسن الحمد والأبيات أغصانا) ٤ (أجل وأقطف من ميماته زهرا ** إذا وردت من الصادات غدرانا) ٥ (زهر تقيم على الأيام جدته ** وإنما توجد الأزهار أحيانا) ٦ (من كل لفظ كماء المزن يوسعني ** ما شئت ريا ولا أنفك ضمآنا)

(٤) ".

"البحر : متقارب تام (أزهر الربى برضوب الغوادي ** أم الحلي فوق نحور الغواني) (أم الإلف زار بلا موعد ** فأبرأني منه ما قد براني) (وغيض دمعي وكم قد طفقت ** وعيناي عينان نضاختان) ٤ (أم الطرس أعمل فيه اليراع ** وأودع أحسن رقم البنان) ٥ (فذم لمرآه وشي الصناع ** وبيع له الدر بيع الهوان) ٦ (وما خلت أن برود الكلام ** تقدر حسب قدود المعاني) ٧ (ولم أدر أن بنات العقول ** تفعل فعل بنات الدنان) ٨ (وما السحر سحر مراض

---

(١) ديوان الشاب الظريف، ص/٢١

(٢) ديوان الشاب الظريف، ص/٤٩

(٣) ديوان الحكم بن أبي الصلت، ص/١٩٢

(٤) ديوان الحكم بن أبي الصلت، ص/٢٣١

الجفون ** ولكنما السحر سحر البيان) ٩ (وأين الخدود من الجلنار ** وأين الثغور من الأقحوان)٠ (كتاب نفيت **اكتئابي** به ** ونلت الأماني بظل الأمان)

---

(١) ".

"البحر : وافر تام (رسولي قال : أوصلتُ الكتابَا ، ** ولكِنْ ليسَ يُعطونَ الجْوَابا) (فقلتُ : أليسَ قد قرَأُوا كتابي ؟ ** فقال : بلى ، فقلتُ : الآنَ طابا) (فأرْجو أن يكونوا هُمْ جوابي ، ** بلا شكٍّ ، إذا قرأوا الكتاب) ٤ (اجِدُّ لكَ الْمُنى يا قلبُ كيْلا ** تموتَ عليَّ غَمًّا **واكتئابا**)

---

(٢) ".

"١(إذ لاذَ بِرْوازُ يومَ ذاك بنا ** والحرْبُ تمْري بكفِّ حالِبِها)(يذودُ عنه بني قبيصةَ باخَ ** طيّ والبِيضِ من قواضِبِها)(حتى دَفَعْنا إلَيْهِ مُمْلَكَةً ** ينحسرُ الطَّرْفُ عن مواكبها)٤ (و فاضَ قابوسُ في سلاسلنا ، ** سنينَ سبعاً ، وفَتْ لحاسبها)٥ (ونحنُ حُزْنا من غيرِ ما كَنَبٍ ، ** بناتِ أشرافهمْ لغاصبها)٦ (من كلِّ مَسْبِيةٍ إذا عثرتْ ** قالتْ لَعاً متعةً لكاسبها)٧ (تعساً لمن ضيعَ المحارمَ يومَ ** الرّوعِ يحتاجُ من صواحِبِها)٨ (و فرَّ من خشيةِ الطِّعانِ وأنْ ** يلقى المنايا بكفِّ جالِبِها)٩ (فافْخَرْ بقحْطانَ غيرَ **مكتئِبٍ** ، ** فحاتِمُ الجْودِ من مَناقِبِها)٠ (ولا تَرى فارِساً كفارِسِها ، ** إذْ زالتِ الهامُ عن مناكِبِها)

---

(٣) ".

"البحر : مجزوء الوافر (رأيتُ الفَضْلَ **مكْتئِباً** ** يناغي الخبز والسمَكَا) (فقطّبَ حين أبصرَني ، ** ونَكّسَ رأسَهُ ، وبكى) (فلمّا أن حلفتُ لهُ ** بأنّي صائمٌ ضحكَا)

---

(٤) ".

"٨(وكم دعا ومحيَّا الأرضِ **مكتئبٌ** ** ثمَّ انثنى وله بِشرٌ وتهليلُ) ٨(فأصْبَحَ المَحْلُ فيها لا محَلَّ لَهُ ** وغالَ ذكرَ الغلا من خصبها غولُ) ٨(فبالظِّرابِ ضُرُوبٌ لِلْغَمامِ كما ** عَنِ البِناءِ عَزاليها مَعازيلُ) ٨٤ (وآضَ من روضها جيدُ الوجودِ به ** مِنْ لُؤْلُؤِ النَّورِ تَرْصِيعٌ وتكليلُ) ٨٥ (وَعَسْكَرٍ لجَبٍ قَدْ لجَّ في طَلَبٍ ** لغزوهِغَرَّهُ بأسٌ وترعيلُ) ٨٦ (دعا

---

(١) ديوان الحكم بن أبي الصلت، ص/٢٤٣

(٢) ديوان الحسن بن هانئ، ص/٥٦

(٣) ديوان الحسن بن هانئ، ص/١٠٨

(٤) ديوان الحسن بن هانئ، ص/٦٧٠

نزالِ فوليَّ والبوارُ به ** من الصَّبا والحصى والرُّعبِ منزولُ) ٨٧ (واغيرتا حين أضحى الغارُ وهو بِهِ **كمثلِ قلبي معمورٌ ومأهولُ) ٨٨ (كأنَّمَا المُصطَفى فيهِ وصاحِبُه الصِّ ** ديقُ ليثانِ قد آواهما غيلُ) ٨٩ (وَجلَّلَ الغارَ نَسْجُ العنكبوتِ عَلَى ** وَهْنٍ فيا حَبَّذا نَسْجٌ وَتَّخْلِيلُ) ٩٠ (عنايةٌ ضلَّ كيدُ المشركينَ بها ** وما مَكايِدُهمْ إلاَّ الأضاليلُ)

". (١)

" وقال امرأة من طيىء

١ – (تأوب عيني نصبها **واكتئابها** ... ورجيت نفسا راث عنها إيابها)

٢ – (أعلل نفسي بالمرجم غيبه ... وكاذبتها حتى أبان كذابها)

٣ – (ألهفى عليك ابن الأشد لبهمة ... أفر الكماة طعنها وضرابها)

٤ – (متى يدعه الداعي إليه فإنه ... سميع إذا الآذان صم جوابها)

٥ – (هو الأبيض الوضاح لو رميت به ... ضواح من الريان زالت هضابها)

إذا أشرعت في الحرب الأسنة إلى الفرسان خاضها فلا يرجع حتى يترك الموت شديدا ويسفك دماء كثيرة

١ – التأوب الرجوع والنصب التعب **والاكتئاب** الحزن وراث أبطأ والإياب الرجوع والمعنى توالى البكاء من عيني ورجع إليها تعبها وحزنها وعلقت رجائي بنفس غائبة عني وقد خفيت أخبارها علي وأبطأ رجوعها إلي

٢ – علله به شغله والغيب الخبر والترجيم التكلم بلا علم وأبان ظهر والمعنى أني أشغل نفسي وألاطفها بمن خبره يظن به الظنون تسكينا لها فلا زلت أعاملها بالكذب حتى ظهر الأمر

٣ – البهمة الشجاع وتأنيث الضمير في البيت مراعاة للفظ البهمة وأفر طرد والكماة الشجعان والمعنى أني في غاية التحسر عليك يا ابن الأشد لشجاعتك التي طردت بها الشجعان عن بعضهم بطعنك وضرابك

٤ – المعنى أنه كان إذا ناداه المستغيث إلى أن يدفع عنه ما هو فيه من الأمر النازل به فإنه يسرع بإجابته حين لا تصغى آذان غيره إلى الاستغاثة بل تصم

٥ – تريد بالأبيض الوضاح خلوص النسب واشتهار الذكر والضواحي النواحي والريان جبل معروف والهضاب ما دون المرتفع من الجبال والمعنى أنه صافي النسب ." (٢)

"٢(يقول لي الواشون سعدى بخيلةٌ ** عليك معنٍّ ودّها وطلابها)(فدعها ولا تكلف بها إذ تغيّرت ** فلم يبق إلا هجرها واجتنابها)(فقلتُ لهمْ سُعْدى عليَّ كريمةٌ ** وكالمَوْتِ بَلْهَ الصُّرْمِ عندي عِتابُها)٤ (فكيف بما حاولتم إنَّ خطّةً ** عرضتهم بها لم يبق نصحاً خلابها)٥ (وسعدى أحب الناسِ شخصاً لو أنها ** إذا أصقبت زيرت وأجدى صقابها)٦ (

---

(١) ديوان البوصيري، ص/٢١٧

(٢) ديوان الحماسة، ١/٤٦١

ولكنْ أتَى من دُونِها كَلِمُ العِدى ** ورَجْمُ الظُّنُونِ جَوْرُها ومُصابُها)٧ (فأمستْ وقد جُذَّتْ قُوَى الحبلِ بَغْتَةً ** وهرّت وكانت لا تهرّ كلابها)٨ (وعاد الهوى منها كظلّ سحابةٍ ** ألاحت ببرق ثم مرّ سحابها)٩ (فلا يَبعدَنْ وَصلٌ لها ذهبتْ بهِ ** ليالٍ وأيّامٌ عنانا ذهابها)٠ (ولا لذّة العيش الذي لن يردّه ** على النَّفْسِ يوماً حُزْنُها **واكتِئابُها**)

"(١) ".

"(ل) بلاه: أي: جربه. ويقال: "اللهم لا تبلنا إلا بالتي هي أحسن". وتلوت القرآن تلاوة. وتلوت الرجل تلوا، أي: تبعته. وكذلك تلوته: إذا خذلته. وجلوا عن البلد جلاء، وجلوتهم أنا، يتعدى، ولا يتعدى، قال أبو ذؤيب: فلما جلاها بالإيام تحيزت ثبات عليها ذلها **واكتئابها**

يصف النحل، يقول: لما جلاها المجتني عن مواضعها بالدخان، تجمعت جماعات في تفرقة ذليلة حزينة. وجلوت السيف جلاء، أي: صقلته. وجلوت بصري بالكحل. ويقال: جلاها زوجها وصيفا، أي: أعطاها إياها. وحلاه شيئا: إذا أعطاه على شيء فعله به حلوانا. وحلا الشيء وهو نقيض أمر، حلاوة. وخلا به خلاء. [وخلا على اللبن: إذا لم يأكل غيره]. ودلا دلوه، أي: جذبها ليخرجها. ودلوت الناقة، أي: سرتها سيرا رويدا. وسلوت عنه، وطلوت الطلا، أي: ربطته برجله. وعلا المكان، وعلاه، أي: غلبه. وعلاه بالسيف، وعلوا في هذا كله. وكذلك علا في الأرض، أي: تكبر علوا. وغلا في الأمر، أي: جاوز فيه القدر. وغلا السعر غلاء. وغلوت بالسهم غلوا. وفلاه عن أمه، أي: فطمه. وقلوته بالسيف: إذا ضربت رأسه. وقلا الحمار الأتن، أي: طردها. وقلوت اللحم والبسر. وقلوت بالقلة.

(م) السمو: الارتفاع. وطمو الماء: ارتفاعه. ونما الشيء، أي: زاد، لغة في نمى ينمي، [نماء].

ديوان الأدب أبو إبراهيم الفارابي الصفحة : ٤١٥." (٢)

"٣(حامي الوَديقَةِ ، تُغْضي الرّيحُ خَشيَتَهُ ** يكادُ يُذْكي شِرارَ النّارِ في العُطُبِ)(حتى يَظَلَّ لَهُ مِنْهُنَّ واعِيَةٌ ** مستوهلٌ عاملُ التقزيعِ والصخبِ)(إذا تكَبّدْنَ مِْحالاً مُسَرْبَلَةً ** من مسجهرّ ، كذوب اللون ، مضطرب)٤ (يأرِزْنَ مِنْ حِسّ مِضرارٍ لهُ دأبٌ ** مشمرٍ عنْ عمودِ الساقِ ، مرتقبِ)٥ (يخْشَيْنَهُ ، كلّما ارْتَجّتْ هماهِمُهُ ** حتى تجشمَ ربواً محمشَ التعبِ)٦ (إذا حبسنَ لتغميرٍ على عجلٍ ** في جمّ أخضرَ طامٍ نازحِ القربِ)٧ (يَعْتَفْنَهُ عِندَ تينانٍ بدِمْنَتِهِ ** بادي العُواء ، ضَئيلِ الشخص ، مُكتسِبِ)٨ (طاوٍ ، كأنَّ دُخانَ الرِّمْثِ ، خالطَهُ ** بادي السَّغابِ ، طويلِ الفَقْرِ ، **مُكتئبِ**)٩ (يمنحهُ شزْرَ ، إنكارٍ بمعرفةٍ ** لواغبَ الطرفِ قد حلقنَ كالقلبِ) ٤٠ (وهُنَّ عِندَ اغْترارِ القَوْمِ ثورَتَها ** يَرْهَقْنَ مُجتَمَعَ الأذقانِ للرُّكبِ)

(١) ديوان عروة بن أذينة، ص/٥

(٢) ديوان الأدب تأليف: أبو إبراهيم الفارابي، /

(١) ".

"١(أجَدَّ وقوفُنا بالدارِ شوقاً ** إليكَ وجِدَّةُ الشَّوقِ اكتئابُ)(وحنَّت في رُباكِ العِيسُحتى ** كأَنَّ طُلوهُنَّ لَها سِقابُ)(سأُبرزُها سَوافرَ لا يُواري ** محاسِنَهاإذا برزَتْنِقابُ)٤ (مُكرَّرَةً على راووقِ فِكرٍ ** مُرَوَّقَةً كما راقَ الشَّرابُ)٥ (محبَّبَةًلها في كلِّ قلبٍ ** وإنْ بَعُدَتْ مَناسِبُهااقترابُ)٦ (هي الكَلِمُ اللُّبابُ صَفاً وحُسْناً ** وسيفُ الدَّولةِ الملكُ اللُّبابُ)٧ (لأُدنى من غرائِبِها إليه ** وكان لهنّ في الأرضِ اغتِرابُ)٨ (فها هي لا تَزَحْزَحُ عن ذَراه ** ولا ترجوسواه ولا تَهابُ)٩ (هوالليثُ الذي إنْ يَحْمِ أرضاً ** فكلُّ فِجاجِ تلك الأرضِ غابُ)٠ (مُهنَّدُهإذا ما زارَ ظِفرٌ ** وعاملُه إذا ما صاب نابُ)

---

(٢) ".

"البحر : – (عَلَّ طيفاً سرَى حليفَ اكتئابِ ** مُطفيءٌ من صبَابةٍ وتَصابِ) (لم يُذِقْنا حلاوةَ الوَصْلِ إلاَّ ** بين عَتَبٍ مبرّحٍ وعِتابِ) (كيفَ عنَّتْ لنا ظِباءُ كِناسٍ ** غادَرَتْها النَّوى شموسَ قِبابِ) ٤ (كلُّ رِيمٍ يَشفي إذا رُمتَ منه ال ** وَصْلَ حَرَّ الهوى ببَرْدِ الرُّضابِ) ٥ (لطمَتْ خدَّها بحُمْرٍ لِطافٍ ** نال منها عَذابَ بيضٍ عِذابِ) ٦ (يتشكَّى العُنَّابُ نَورَ الأَقاحي ** واشتكى الوردُ ناضرَ العنَّابِ) ٧ (نحنُ في معدِنٍ من اللؤم مُطغٍ ** دونَ عَذْبِ النَّدى أليمِ العَذابِ) ٨ (قصدَتْنا يدُ الحوادثِ فيه ** بسِهامٍ من الخُطوبِ صِيابِ) ٩ (ودَعَتْنَا إلى العِراقِ هَناةٌ ** لأمورٍ تنقضُّ مثلَ العُقاب)٠ (كلُّ زنجيّةٍ كأن سوادَ ال ** لَيلِ أهدَى لها سوادَ الإهابِ)

---

(٣) ".

"٢(و الكَرْمُ مُشتَبكُ الأَفنانِ تُوسِعُنا ** أجناسُه في تساوي شِرْبِها عَجَبا)(فكَرمةٌ قَطَرَت أغصانُها سَبَجاً ؛ ** و كرمةٌ قطرتْ أغصانُها ذَهَبا)(كأنَّما الوَرَقُ المُخضَرُّ دونَهما ** غيرانُ يكسوهُما من سُنْدُسٍ حُجُبا)٤ (و الماءُ مُطَّرِدٌ فيه ومُنْعَرِجٌ ** كأنَّما مُلِئَتْ حيَّاتُه رُعُبا)٥ (و بركةٌ ليس يُخْفي مَوجُ لُجَّتِها ** من القَذى ما طفَا فيها وما رَسَبا)٦ (تُسدي عليها الصَّبا بُرْداً فإن رَكَدَتْ ** رأيتَه دارسَ الأفوافِ مُستلَبا)٧ (قد كالَمتْ بنجومٍ للحَبابِ ضُحًى ** فإن دَجا الليلُ عَادَتْ أنجُماً شُهُبا)٨ (ترى الإوزَّ سُروباً في ملاعِبها ** كما تأمَّلتَ في ديباجَةٍ لَعِبا)٩ (يَرِفُّ منه على أمواجِها زَهَرٌ ** أربى على الزَّهْرِ حتى عاد مُكْتَئِبا)٠ (مُسَلِّمٌ و سباعُ الطَّيرِ حائمةٌ ** يخطَفْنَ ما طارَ في الآفاقِ أو سَرَبا)

---

(١) ديوان الأخطل، ص/١٣

(٢) ديوان السري الرفاء، ص/٤٥

(٣) ديوان السري الرفاء، ص/٧٩

". (١)

"١(سقى الغمامُ رُباهَا دمعَ مُبتَسِمٍ ** و كم سقاها التَّصابي دمعَ مُكتَئِبِ)(و لو حَمدْتُ بها الأيامَ قلتُسقَى ** ربوعَها أحمدُ المحمودُ في النُّوَبِ)(سأبعثُ الحمدَ مَوشِيّاً سبايبُه ** إلى الأميرِ صحيحاً غيرَ مُؤتَشِبِ)٤ (إنَّ المدائحَ لا تُهدى لناقِدِها ** إلا وألفاظُها أصفى من الذَّهَبِ)٥ (كم رُضتُ بالفِكْرِ منها روضةً أُنُفاً ** تفتَّحَ الزَّهْرُ منها عن جَنَى الأدبِ)٦ (إذا الرجا هَزَّ أرواحَ الكلامِ بها ** أتتك أحسنَ من مُهتزَّةِ القَصَبِ)٧ (لَفظٌ يروحُ له الرَّيحانُ مُطَّرِحاً ** إذا جعلناه رَيحاناً على النُّخَبِ)٨ (أما تَراه أبا العَبَّاسِ مُعترِضاً ** على السُّها ويَدي تجنيهِ من قُرُبِ)٩ (خُطى المكارِمِ فردُ الحسنِ مُغترباً ** يلوذُ منه بفَردِ الجودِ مُقترِبِ)٠ (مُقسَّمٌ بين نَفْسٍ حُرَّةٍ ويَدٍ ** مقابلٌ بينَ أمٍّ بَرَّةٍ وأبِ)

". (٢)

"١(يَميلُ بها قضيبُ البا ** نِ أحياناً وينتصِبُ)(و قد رُفِعَتْ لنا سُودٌ ** نجومُ سَمَائِها الحَبَبُ)(تَجيشُ بما أفاءَ الطِّرْ ** فُ والمجنوبةُ النُّجُبُ)٤ (و ترطُنُ مثلَ ما جَعَلَتْ ** نساءُ الزِّنجِ تصطَخِبُ)٥ (و أحدَقْنا بأزهرَ خا ** فقاتٌ فوقَه العَذَبُ)٦ (يُواصِلُ في اسمه فِضْلَ ال ** مُقرَّبِ ثم يُجتَنَبُ)٧ (فما يَنفكُّ من سَبَجٍ ** يعودُ كأنه ذَهَبُ)٨ (و إخوانُ الصَّفاءِ إليْ ** كَ مشتاقٌ ومُكتَئِبُ)٩ (و ذكرُكَ بَيْنَهُمْ أزكى ** من الرَّيحانِ إن شَرِبوا)٠ (و قد وافاك مَوْكِبُهُمْ ** فكنْ حرّاً كما يَجِبُ)

". (٣)

"البحر : – (مَلَّ مِنْ وَجْدِهِ وَمِنْ فَرْطِ مَا بِهْ ** وَأرَاقَ الشَّرَابَ مِنْ أَكْوَابِهْ) (وَإذا الْقَلْبُ أَطْمَأَنَّهُ الأَمَانِيُّ ** فَمَاذَا يُرِيدُهُ مِنْ شَرَابِهْ) (وَإِذَا النَّفْسُ لَمْ تَكُنْ مَنْبِتَ الأُنْ ** سِ تَنَاءَى الْقَرِيبُ مِنْ أَسْبَابِهْ) ٤ (وَأَشَدُّ الآلاَمِ أَنْ تُلْزِمَ الثَّغْرَ ابت ** ساماً وَالْقَلْبُ رَهْنُ اكتِئَابِهْ) ٥ (كُلَّما اخْتَالَ في الزَّمانِ شَبَابٌ ** عَصفَتْ رِيحُهُ بِلَدْنِ شَبَابِهْ) ٦ (وَالنُّبُوغُ النُّبُوغُ يَمضي وَتَمْضِي **كلُّ آمالِ قَوْمِهِ في رِكَابِهْ) ٧ (غَرِدٌ مَا يكَادُ يَصْدَحُ حَتَّى ** يُسْكِتَ الدَّهْرُ صَوْتَهُ بِنُعابِهْ) ٨ (وحَبابٌ إِذَا علاَ الْسَماءَ وَلَّى ** فَاسْأَلِ الْمَاءَ هَلْ دَرَى بِحَبابِهْ) ٩ (وسَفينٌ مَاشَارَفَ الشَّطَّ حَتَّى ** مزَّقَ الْيَمُّ دُسْرَه بِعُبَابِهْ)٠ (بَخِلَ الدَّهْرُ أَنْ يُطَوِّلَ لِلْعَقْ ** لِ فيَجْري إِلَى مَدَى آرَابِهْ)

". (٤)

---

(١) ديوان السري الرفاء، ص/١٠٣

(٢) ديوان السري الرفاء، ص/١١٣

(٣) ديوان السري الرفاء، ص/١٨٥

(٤) ديوان علي الجارم، ص/١١٥

"قالت سليمى: أراك اليوم مكتئبا ... والرأس بعدي رأيت الشيب قد عابه

وحار بعد سواد الرأس جمته ... كمعقب الريط إذ نشرت هدابه (١)

ومرقب تسكن العقبان قلته ... أشرفته مسفرا والنفس مهتابه (٢)

عمدا لأرقب ما للجو من نعم ... فناظر رائحا منه وعزابه (٣)

وقد نزلت إلى ركب معقلة ... شعث الرووس كأن فوقهم غابه

لما ركبنا رفعناهن زفزفة ... حتى احتوينا سواما ثم أربابه (٤)

---

(١) حار: آب، رجع. الجمة: الشعر في مقدمة الرأس. المعقب: الخمار. الريط: ريطة وهي الملاءة. هدابه: الخيوط تكون في طرف الثوب.

(٢) المرقب: المكان المرتفع.

(٣) العزاب: جمع عازب أي البعيد.

(٤) الزفزفة: جري سريع. السوام: جمع سائمة: الدواب تسرح في المرعى. أربابه: أصحابه.." (١)

"كيف تجالس الناس؟:

لا تجالس امرأ بغير طريقته، فإنك إن أردت لقاء الجاهل بالعلم، والجافي بالفقه١، والعيي بالبيان، لم تزد على أن تضيع علمك، وتؤذي جليسك بحملك عليه ثقل ما لا يعرف، وغمك إياه، بمثل ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الأعجمي الذي لا يفقه عنه.

واعلم أنه ليس من علم تذكره عند غير أهله إلا عابوه، ونصبوا له٢، ونقضوه عليك، وحرصوا على أن يجعلوه جهلا، حتى إن كثيرا من اللهو واللعب الذي هو أخف الأشياء على الناس، ليحضره من لا يعرفه، فيثقل عليه، ويغتم به.

وليعلم صاحبك أنك تشفق عليه، وعلى أصحابه، وإياك إن عاشرك امرؤ، أو رافقك أن لا يرى منك بأحد من أصحابه وإخوانه وأخدانه رأفة، فإن ذلك يأخذ من القلوب مأخذا، وإن لطفك بصاحب صاحبك أحسن عنده موقعا من لطفك به في نفسه.

واتق الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقد على المنطلق٣، ويشكر للمكتئب.

---

١ الفقه: العلم بالشيء، والفهم له.

٢ نصبوا له: عادوه، وتجردوا له.

٣ المنطلق: المسرور المتهلل.." (٢)

---

(١) ديوان امرئ القيس ت المصطاوي امرؤ القيس ص/٨٤

(٢) الأدب الصغير والأدب الكبير ابن المقفع ص/١٢٧

"لم ينطق بهذا لحبه بالملك، ولكن لخلاص نفسه، والتماس العذر لها. فقال لها دمنة: ويلك! وهل علي في التماس العذر لنفسي عيب؟ وهل أحد أقرب إلى الإنسان من نفسه؟ وإذا لم يلتمس لها العذر، فمن يلتمسه؟ لقد ظهر منك ما لم تكن تملك كتمانه من الحسد والبغضاء؛ ولقد عرف من سمع منك ذلك أنك لا تحب لأحد خيرا؛ وأنك عدو نفسك، فمن سواها بالأولى. فمثلك لا يصلح أن يكون مع البهائم، فضلا عن أن يكون مع الملك، وأن يكون ببابه. فلما أجابه دمنة بذلك، خرج مكتئبا حزينا مستحيا. فقالت أم الأسد لدمنة: لقد عجبن منك، أيها المحتال، في قلة حيائك، وكثرة وقاحتك، وسرعة جوابك لمن كلمك. قال دمنة: لأنك تنظرين إلى بعين واحدة، وتسمعين مني بأذن واحدة، مع أن شقاوة جدي قد زوت عني كل شيء، حتى لقد سعوا إلى الملك بالنميمة علي، ولقد صار من بباب." (١)

"وجاورنا عدو ليس يفنى، ... لعين لا يموت فنستريح

أهابل! إن قتلت، فإن قلبي ... عليك اليوم مكتئب قريح

ثم سمعت جماعة من أهل العلم يؤثرون أن قائلها أبونا آدم، عليه السلام، حين قتل إبنه قابيل هابيل؛ فالله أعلم أكان ذلك أم لا.

وذكر أن إبليس عدو الله أجاب آدم، عليه السلام، بهذه الأبيات، فقال: الوافر

تنح عن الجنان وساكنيها، ... ففي الفردوس ضاق بك الفسيح

وكنت بها وزوجك في رخاء، ... وقلبك من أذى الدنيا مريح

فما برحت مكايدتي ومكري ... إلى أن فاتك الثمن الربيح

ولولا رحمة الرحمن أمسى ... بكفك من جنان الخلد ريح

وروي أن بعض الملائكة، عليهم السلام، قال هذا البيت: الوافر

لدوا للموت، وابنوا للخراب ... فكلكم يصير إلى الذهاب

قال المفضل: وقد قالت الأشعار العمالقة، وعاد، وثمود. قال معاوية ابن بكر بن الحبتر بن عتيك بن قرمة بن جلهمة بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، عليه السلام، وكان يومئذ سيد العمالقة، وقد قدم إليه قيل بن عير، وكانت عاد بعثوه ولقمان بن عاد وفدا معهما ليستسقوا لهم حين منعوا الغيث، فقال معاوية بن بكر: الوافر

ألا يا قيل! ويحك! قم فهينم، ... لعل الله يصبحنا غماما." (٢)

"جاءت مرجمة قد كنت أحذرها، ... لو كان ينفعني الإشفاق والحذر

تأتي على الناس لا تلوي على أحد، ... حتى أتتنا، وكانت دوننا مضر

إذا يعاد لها ذكر أكذبه، ... حتى أتتني بها الأنباء والخبر

فبت مكتئبا حيران أندبه، ... ولست أدفع ما يأتي به القدر

---

(١) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/١٥٩

(٢) جمهرة أشعار العرب أبو زيد القرشي ص/٣١

فجاشت النفس لما جاء جمعهم، ... وراكب جاء من تثليث، معتمر

إن الذي جئت، من تثليث، تندبهمنه السماح ومنه الجود والغير." (١)

"١ - (قد جاء من عل أنباء أنبوها ... إلى لا عجب منها ولا سخر)

٢ - (فظلت مرتفقا للنجم أرقبه ... حران مكتئبا لو ينفع الحذر)

٣ - (وجاشت النفس لما جاء جمعهم ... وراكب جاء من تثليث معتمر)." (٢)

"ذكر من تسمى في الجاهلية بمحمد رجاء أن تدركه النبوة للذي كان من خبرها

أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف عن سلمة بن عثمان عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال: كانت العرب تسمع من أهل الكتاب ومن الكهان أن نبيا يبعث من العرب اسمه محمد. فسمى من بلغه ذلك من العرب ولده محمدا طمعا في النبوة.

أخبرنا علي بن محمد عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق قال: سمي محمد بن خزاعي بن خزابة من بني ذكوان من بني سليم طمعا في النبوة. فأتى أبرهة باليمن فكان معه على دينه حتى مات. فلما وجه قال أخوه قيس بن خزاعي:

فذلكم ذو التاج منا محمد ... ورأيته في حومة الموت تخفق

أخبرنا علي بن محمد عن مسلمة بن علقمة عن قتادة بن السكن العربي قال:

كان في بني تميم محمد بن سفيان بن مجاشع. وكان أسقفا. قيل لأبيه: إنه يكون للعرب نبي اسمه محمد. فسماه محمدا. ومحمد الجشمي في بني سواءة. ومحمد الأسيدي. ومحمد الفقيمي سموهم طمعا في النبوة.

ذكر علامات النبوة بعد نزول الوحي على رسول الله- صلى الله عليه وسلم -

[أخبرنا عفان بن مسلم. أخبرنا حماد بن سلمة. أخبرنا علي بن زيد عن أبي زيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان بالحجون. وهو مكتئب حزين فقال: اللهم أرني اليوم آية لا أبالي من كذبني بعدها من قومي. فإذا شجرة من قبل عقبة المدينة. فناداها فجاءت تشق الأرض حتى انتهت إليه فسلمت عليه. ثم أمرها فرجعت. فقال: ما أبالي من كذبني بعدها من قومي] «١» .

أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثنا طلحة بن عمرو عن عطاء قال: بلغني أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مسافرا فذهب يريد أن يتبرز أو يقضي حاجته. فلم يجد شيئا يتوارى

---

(١) انظر الحديث في: [المطالب العالية (٣٨٣٧) ، (٣٨٣٨) ، والشفا (١/ ٧٩) ، ودلائل النبوة (٦/ ١٣) ، ومجمع الزوائد (٩/ ١٠)] .." (٣)

---

(١) جمهرة أشعار العرب أبو زيد القرشي ص/٥٦٩

(٢) الأصمعيات الأصمعي ص/٨٨

(٣) الطبقات الكبرى ط العلمية ابن سعد ١٣٤/١

"أخبرنا عفان بن مسلم، أخبرنا حماد بن سلمة، أخبرنا علي بن زيد، عن أبي زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالحجون وهو مكتئب حزين، فقال: «اللهم ﷺأرني اليوم آية لا أبالي من كذبني بعدها من قومي» فإذا شجرة من قبل عقبة المدينة، فناداها، فجاءت تشق الأرض حتى انتهت إليه فسلمت عليه، ثم أمرها فرجعت، فقال: «ما أبالي من كذبني بعدها من قومي»." (١)

"هيهات ذلك مطمع ... يعيي الأوائل والأواخر

لا تنس يا مولاي قو ... لة ضارع لأقول فاخر

ضبط الجزيرة عندما ... نزلت بعقوتها العساكر

أيام ظلت بها فري ... دا ليس غير الله ناصر

إذ كان يغشى ناظري ... لمع الأسنة والبواتر

وبصم أسماعي بها ... قرع الحجارة بالحوافر

وهي الحضيض سهولة ... لكن بها ثبت مخاطر

هبني أسأت كما اسأ ... ت أما لهذا العتب آخر

هب زلتي لبنوتي ... وأغفر فإن الله غافر

فقربه وأدناه، وصفح عما كان جناه، ولم تزل الحال آخذة في البوار، ومعتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار، حتى مضوا لغير طية، وقضوا بين الصوارم والرماح الخطية، حسبما سردناه، وعلى ما أوردناه، وإذا أراد الله إنفاذ أمر مسبق في علمه، فلا مرد لأمره ولا معقب لحكمه، لا إله إلا هو، كمل خبر الراضي والحمد لله كثيرا.

المتوكل على الله أبو محمد عمر بن المظفر رحمه الله وعفا عنه

ملك جند الكتائب والجنود، وعقد الألوية والبنود، وأمر الأيام فائتمرت، وطافت بكعبته الآمال واعتمرت، إلى لسن وفصاحة، ورحب جناب للوافد وساحة، ونظم يزري بالدر النظيم، ونثر تسري رقته النسيم، وأيام كأنها من حسنها جمع، وليال كان فيها على الأنس حضور ومجتمع، راقت إشراقا وتبلجا، وسالت مكارمه أنهارا وخلجا، إلى أن عادت الأيام عليه بعهود العدوان، ودبت إليه دبيبها لصاحب الأيوان، وانبرت إليه انبراءها لابن زهير وراء عمان، فأرغمت فيه للمجد معطسا، ورماه سهم الحادثات فقرطسا، فدجت أيامه المشرقة، وذوت غصونه المورقة، ونقل هو وابناه، إلى حيث أمر لهم الدهر جناه، فأمضى عليهم حد الحسام حكمه، وأنفذ فيهم جور الأيام ظلمه، بحيث لم تعطف عليهم إلا جوانح الليل، ولم تقف لديهم إلا بوارح الويل، ولم يجب استغاثتهم إلا عواء الذياب، أو صدى تتسعر فيه نار الاكتئاب، فرويت الأرض من دائهم، وتعطلت المنابر من أسمائهم، وعاد صبح ملكهم عاتما، وأقامت النجوم عليهم مأتما، فخروا على الثرى." (٢)

---

(١) الطبقات الكبرى ط دار صادر ابن سعد ١/ ١٧٠

(٢) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/٣٦

"كلامي قادة ودي فاهدي ... إليك قصيدة مثل الهدي

فخذها كالعروس تفوت طبعا ... ويا ويل الشجي من الخلي

وله: فيه من قصيدة وجه بها إليه في عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمس مائة بسيط

لدى سراك لعدو الجرد تصميم ... وفي عداك لبيض الهند تحطيم

وللمكارم لا زالت مخيمة ... بساحة الدولة العلياء تخييم

ثوى بربعك ملء الأرض منتظما ... من المآثر منثور ومنظوم

آيات عدلك تتلى وهي معتبر ... سر لكم في ضمير الدهر مكتوم

لله فيك حديث سوف يوضحه ... وللمعالي على علياك تحويم

تدبير ملكك بالتأييد مفتتح ... ما لم يكن هذا ملك فمذموم

قسطت عدلك بين الناس فاعتدلوا ... وللمالك تقسيط وتقسيم

لله فضلك ما يلقاك **مكتئب** ... ألا انثنى وهو مسرور ومعصوم

قضى الإله وجود منك يغمرنا ... بان مالك بين الخلق مقسوم

لما سريت إلى حمص وقد ظمئت ... أسرى إليها سحاب منك مركوم

وافيت الريح تستقي الغمام بها ... مهما تهب فللأنواء تغييم

كأنما المحل والأنواء تكنفه ... جيشان ذا هازم يلفى ومهزوم

لما اكتسى الدهر واشيا من أزاهره ... ومبرم المحل منبث ومفصوم

عاد الزمان ربيعا عندما طلعت ... مني لها في سماء الفضل تعظيم

رق النسيم وقت كل غادية ... فالأفق طلق برد الأرض مرقوم

ومنها، بسيط

قيدتني بأياد منك طائلة ... شتى فمنهن مجهول ومعلوم

كم منة لك عندي لا ينوء بها ... شكري على أنه بالمسك مختوم

من لي بذاك ولو وافتك تنجدني ... السبعة الشهب والسبع الأقاليم

ومنها: بسيط

يحف بي منك إعلاء وتكرمة ... بر بمنطقة الجوزاء محزوم

من حق من هجر الأوطان من سعة ... وقادة نحوكم حب وتتييم

أن يعتلي ويرى في النجم منزلة ... يحفه منك تكريم وتنعيم

ومنها: بسيط

بيني وبين النوى دخل فإن صدعت ... شملي فعندي تفويض وتسليم
وإن تكن نثرت سلكي نوى قذف ... فإن سلك رجائي فيك منظوم." (١)
"لعمري وقد جاوزت تسعين حجة ... وتسعين أرجو أن أعمرها غدا
فما زادني صبري على ما ينوبني ... من الدهر ضعفا لا، ولا كد لي زندا
وأرجو وأخشى أن أموت ولم أقم ... تخذعني بيض ضربنا بها السغدا
أذلت لنا أركانهم بعد عزة ... وكانوا أباة حين تعلقهم صمدا
فلا تهزئي منا ولا تتعجبي ... فلست أرى مما فضي الله لي بدا
وعاش بحر بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب بن هبل الكلبي مائة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام، فلم يسلم، وقال:
من عاش خمسين حولا بعدها مائة ... من السنين وأضحى بعد ينتظر
وصار في البيت مثل الحلس مطرحا ... لا يستشار ولا يعطي ولا يذر
مل المعاش ومل الأقربون له ... طول الحياة، وشر العيشة الكدر
قالوا: وعاش مسعود بن مصاد بن حصن بن كعب بن عليم بن جناب بن هبل، من كلب، مائة سنة وأربعين سنة، وقال:
أصبحت يا أم بكر قد تخونني ... ريب الزمان وقد أزرى بي الكبر
لا أستطيع نهوضا بالسلاح ولا ... أمضى الهموم كما قد كنت أبتكر
أمشي على محجن والراس مشتعل ... هيهات هيهات، طال العيش والعمر
قد كنت في عصر لا شيء يعد له ... فبان مني، وهذا بعده عصر
قالوا: وعاش امرؤ القيس بن حمام بن عبيدة بن هبل بن عبد الله بن كنانة ابن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة، فقال في ذلك:
إن الكبير إذا طالت زمانته ... فإنما حمله جنازة عار
ومن يعيش زمنا في أهلة خرفا ... كلا عليهم إذا حلوا وإن ساروا
يذمم مرارة عيش كان أوله ... حلوا، وللدهر إحلاء وإمرار
قالوا: وعاش عوف بن سبيع بن عميرة بن الهوان بن أعجب بن قدامة بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة مائة سنة وثمانين سنة.
وقال في ذلك:

---

(١) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/١٢٦

إلا هل لمن أجرى ثمانين حجة ... إلى مائة عيش وقد بلغ المدى

وما زالت الأيام ترمي صفاته ... ونغتاله حتى تضعضع وانحنى

وصار كفرخ النسر يهتز جيده ... يرى دون شخص المرء شخصا إذا رأى

وبدل من طرف جواد حشية ... ومن قوسه والرمح والصارم العصا

وإني رأيت المرء يظعن جاره ... لنيته لا بد يوما وإن ثوى

قالوا: وعاش عامر، وهو طابخة بن تغلب بن خلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة خمسمائة سنة وعشرين سنة، ولا أعلمه. قال شعرا، وهو معروف بطول العمر.

قالوا: وعاش أبو الطمحان القيني حنظلة بن الشرقي، من بني كنانة بن القين ابن جسر بن شيع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة مائتي سنة.

وقال في ذلك:

حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني خاتل يدنوا لصيد

قريب الخطو يحسب من رءاني ... ولست مقيدا أني بقيد

حدثنا أبو حاتم، قال حدثني عدة من أصحابنا، أنهم سمعوا يونس بن حبيب النحوي ينشد هذين البيتين كثيرا فيما زعم أصحابنا، وكان ينشد أيضا:

تقارب خطو رجلك يا سويد ... وقيدك الزمان بشر قيد

قالوا: وعاش حارثة بن صخر بن مالك بن عبد مناة بن هبل بن عبد الله بن كنانة ابن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة مائة سنة وثمانين سنة حتى أدرك الإسلام فلم يسلم، وأسلم ابنه جناب بن حارثة بن صخر، وهاجر إلى المدينة، فجزع من ذلك جزعا شديدا.

وأنشأ يقول:

تركت أباك بالأدوات كلا ... وأمك كالعجول من الظراب

فلا وأبيك ما باليت وجدي ... ولا شوقي الشديد ولا اكتئابي

ولا دمعا تجود به المآقي ... ولا أسفي عليك ولا انتحابي

فعمرك لا تلوميني ولومي ... جنابا حين أزمع بالذهاب." (١)

"وقال آخرون: إنما عني أنه كان شابا، وذلك قوله سوداء داجية، ثم أخلس وابيض بعض رأسه ولحيته، وذلك قوله، وسحق مفوف، ثم عاد رأسه كأنه ثغامة، فذلك قوله وأجد لونا بعد ذاك هجانا، والهجان البياض.

وزعم العمري عن عطا بن مصعب قال، حدثني عبيد بن أبان النميري قال، قدم فضالة بن زيد العدواني على معاوية، فقال له معاوية: - كيف أنت والنساء يا فضالة؟ فقال: يا أمير المؤمنين،

---

(١) المعمرون والوصايا السجستاني، أبو حاتم ص/٢٣

لا باه لي إلا المنى وأخو المنى ... جدير بأن يلحي ابن حرب ويشتما

" الرواية، ولا قمط لي، والقمط الجماع، ومن قال باه فقد أخطأ، لأن الباءة ممدودة، وهي تاء في الإدراج ".

وفيم تصابي الشيخ والدهر دائب ... بمبراته يلحو عروقا وأعظما

رمتني صروف الدهر حتى تركننب ... أجب السنام بعدما كنت أيهما

فخلت سهول الأرض وعثا ووعثها ... سهولا، وقد أجررت أن أتكلما

وكان سليطا مقولي متناذرا ... شذاه، فصرت اليوم ملعي أبكما

كذلك ريب الدهر يترك سهمه ... أخا العز والأد الذليل المذمما

الأد الأيد ذو القوة " وملعي من العي ".

وحرب يحيد القوم عن لهباتها ... شهدت، فكنت المستشار المقدما

توسطتها بالسيف إذ هاب حميها ال ... كماة، فلم يغشوا من الحرب معظما

فلما رأيت الموت ألقي بعاعه ... علي تعمدت امرءا كان معلما

فيممت سيفي رأسه وتركته ... يهر عليه الذئب أفضح قشعما

نفدت فما لي حيلة غير أنني ... أجود إذا سيل البخيل فهمهما

وأبذل عفوا ما ملكت تكرما ... وأجبر في اللأواء كلا ومعدما

فقال له معاوية: كم أتت لك من سنة يا فضالة؟ قال: عشرون ومائة سنة.

قال: فأي الأشياء بك منذ كنت بها أسر، وأي شيء بوقوعه كنت أشد اكتئابا؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم يقطع الظهر قطع الولد شيء، ولا دفع البلاء والمصائب مثل إفادة المال، والله يا أمير المؤمنين إن المال ليقع من القلب موقعا ما يقعه شيء، وإن الولد الصالح ليمثل منزلة المال، ولكن للمال فضيلة عليه، وإن كان طلب المال إنما يجمعه لولده، فإنه آثر عنده منه، لأنه قد يمنعه المال إذا طلبه منه، وإن كان يثمره له فهو أحلى متاع الدنيا عند أهل الدنيا.

فقال معاوية: ليس كل أحد على رأيك، للمال حال، والولد حبة القلب ووتد النفس، وقطبة العيش، لا خير في المال لمن لا ولد له إلا أن يكون مالا ينفقه في سبيل الله.

فقال فضالة: يا أمير المؤمنين،

وما العيش إلا المال فاحفظ فضوله ... ولا تهلكنه في الضلال فتندم

فإني وجدت المال عزا إذا التقت ... عليك ظلال الحرب ترهم بالدم

إذا جل خطب صلت بالمال حيثما ... توجهت من أرضي فصيح وأعجم

وهابك أقوام وإن لم تصبهم ... بنفع، ومن يستغن يحمد ويكرم

وتعطي الذي يبغي وإن كان باخلا ... بما في يديه من متاع ودرهم

وفي الفقر ذل للرقاب وقل ما ... رأيت فقيرا غير نكس مذمم

يلام وإن كان الصواب بكفه ... ويحمد آلاء البخيل المدرهم

كذلك هذا الدهر يرفع ذا الغنى ... بلا كرم منه ولا بتحلم

ولكن بما حازت يداه من الغنى ... يصير أميرا للئيم الملطم

فقال معاوية: قاتل الله أخا بني أسيد حين يقول:

بني أم المال الكثير يرونه ... وإن كان عبدا سيد الأمر جحفلا

وهم لمقل المال أولاد علة ... وإن كان محضا في العمومة مخولا

حدثنا أبو حاتم قال: وذكر العمري قال، حدثني عطاء بن مصعب عن الزبرقان قال عطاء، سمعته أنا وخلف الأحمر منه، قال، دخل خنابة بن كعب العبشمي على معاوية حين أتسق له الأمر ببيعة يزيد ابنه، وقد أتت لخنابة يومئذ أربعون ومائة سنة.

فقال له معاوية: يا خنابة، كيف نفسك اليوم؟." (١)

"قال: فبعث إلى أبيها فخطبها إليه، فزوجها إياه، فبعث إليها من الصداق بمثل مهور نساء الملوك، بمائة ألف درهم، وألف من الإبل.

فلما حان أن تحمل إليه دخلت إليها أمها لتوصيها.

فقالت: " أي بنية، إن الوصية لو تركت لعقل وأدب، أو مكرمة في حسب لتركت ذلك منك، ولزويته عنك، ولكن الوصية تذكرة للعاقل، ومنبهة للغافل.

أي بنية، إنه لو استغنت المرأة بغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عن الزوج، ولكن للرجال خلق النساء، كما لهن خلق الرجال.

أي بنية، إنك قد فارقت الحواء الذي منه خرجت، والوكر الذي منه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك ملكا، فكوني له أمة يكن لك عبدا، واحفظي عني خصالا عشرا، تكن لك دركا وذكرا؛ فأما الأولى والثانية فالمعاشرة له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة، فإن في القناعة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رأفة الرب؛ وأما الثالثة والرابعة فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلا طيب الريح؛ واعلمي، أي بنية، أن الماء أطيب الطيب المفقود، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود.

وأما الخامسة والسادسة فالتعهد لوقت وطعامه، والهدو عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النومة مغضبة؛ وأما السابعة والثامنة فللاحتفاظ بماله والرعاية على حشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير؛ وأما التاسعة والعاشرة فلا تفشي له سرا، ولا تعصي له أمرا، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

واتقي الفرح لديه إذا كان ترحا، **والاكتئاب** عنده إذا كان فرحا، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، واعلمي أنك

(١) المعمرون والوصايا السجستاني، أبو حاتم ص/٣٣

لن تصلي إلى ذلك منه حتى تؤثري هواه على هواك، ورضاه على رضاك فيهما أحببت وكرهت.

والله يخير لك، ويصنع لك برحمته.

قال: فلما حملت إليه غلبت على أمره، وولدت منه سبعة أملاك، ملكوا من بعده.

قالوا: وأوصي زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم، أنه جمع بنيه وبني بنيه فقال: يا بني، إنكم قد أصبحتم بيت تميم، بل بيت مضر، يا بني، ما هجمت على قوم قط من العرب لا يعرفونني إلا أحلوني، فإذا نسبوني ازددت عندهم شرفا، وفي أعينهم عظما، ولا وفدت إلى ملك إلا آثرني وشفعني، خذوا من أدبي، واثبتوا عند أمري، واحفظوا وصيتي.

" إياكم أن تدخلوا علي في قبري حوبة أسب بها ...

"كذا قال أبو حاتم، حوبة، وليس لها ههنا معنى، وينبغي أن تكون خربة، وهي المنقصة، أو خزية، والحوبة الخالة، وقال قوم هي الأم ".

... فوالله ما شايعتني نفسي قط على إتيان ريبة، ولا عمل بفاحشة، ولا ضمني وعاهرة سقف بيت قط، ولا حسنت لي نفسي الغدر منذ شدت يداي مئزري، ولا فارقني جار على قلي، ولا حملني هواي على أمر يعييني في مضر.

يا بني، إن القالة إليكم سريعة، فاتقوا الله في الليل إذا أظلم، وفي النهار إذا انتشر يكفكم ما أهمكم، وإياكم وشرب الخمر، فإنها مفسدة للعقول والأجساد، ذهابة بالطريف والتلاد.

يا بني، زوجوا النساء الأكفاء، وإلا فانتظروا بهن القضاء.

يا بني، قد أدركت سفيان بن مجاشع بن دارم شيخا كبيرا محجوبا، فأخبرني أنه قد حان خروج نبي بمكة من مضر، يقال له، أحمد، عليه السلام، يدعو إلى عبادة الله، فإن أدركتموه فاتبعوه، تزدادوا بذلك شرفا إلى شرفكم، وعزا إلى عزكم، إنه ليس فيكم سقط رجل واحد، ولا تمنيتكم أني بدلتكم بعدتكم من العرب، ولولا عجلة لقيط إلى الحرب، والحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث لشرفته عليكم، وهو بعد فارس مضر، وعليكم بحاجب، فإنه حليم عند الغضب، فراج للكرب، يجود إذا طلب إليه، ذو رأي لا ينكش، وزماع لا يفحش، فاسمعوا له وأطيعوا أمره، جنبكم الله الردى.

" لا ينكش لا يستقصي ما فيه، يقال: نكشت البئر أي أخرجت ما فيها، والزماع العزم، لا يفحش أي لا ينتقص ".

قالوا: وأوصي سعد العشيرة بنيه لما حضرته الوفاة، فقال:." (١)

"أخبار الشعراء

ومنه مع الشعراء، قال: (استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان في الحج فأذن لها، وكتب إلى الحجاج يأمره بالتقدم إلى عمر بن أبي ربيعة أن لا يذكرها في شعره، فلما بلغ عمر مقدمها، لم يكن له همة إلا أن يتهيأ بأجمل ما يقدر عليه من الحلل والثياب. وضربت لها قبة في المسجد الحرام، فكانت تكون فيها نهارا، فإذا أمست، تحولت إلى منزلها لتنظر إليه وتجلس بازاء القبة، وقد خبر عمر بشأنها، فإذا أرادت الطواف، أمرت جواريها فيسترنها بالمطاريف، فكانت تتطلع إلى عمر كثيرا، وكانت

---

(١) المعمرون والوصايا السجستاني، أبو حاتم ص/٣٧

تسأل من دخل عليها عنه، رجاء أن يكون قد قال شيئا، فلم يفعل، حتى قضت الحج، ورحلت، ونزلت من مكة على أميال، فأقبل راكب من مكة، فسألته: من أين أقبلت؟ قال: من مكة، قالت: عليك وعلي قرية أنت منها، لعنة الله. قال: ولم يا ابنة عبد الملك؟ قالت: قدمنا مكة فأقمنا أشهرا، فما استطاع الفاسق عمر بن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتا، كنا نلهو بها في سفرنا هذا. قال: فلعله قد فعل، قالت:

فاذهب إليه واسأله، ولك في كل بيت يأتني به منه عشرة دنانير.

فأقبل الرجل، وأتى عمر بن أبي ربيعة، فأخبره الخبر، فقال له: قد فعلت، ولكن أحب أن تكتم علي. قال: أفعل، ثم أنشده

راع الفؤاد تفرق الأحباب ... يوم الرحيل فهاج لي أطرابي

فظللت مكتئبا أكفكف عبرة ... سحا يفيض كوابل الأسراب

لما تنادوا للرحيل وقربوا ... بزل الجمال لطية وذهاب

كاد الأسى يقضي عليك صبابة ... والوجه منك لبين إلفك كابي." (١)

"بينهم مطروحا لكل عمل دنيء، للعبودية تارة، ولرعي الإبل أخرى؛ فبينا أنا ذات يوم تعب مكتئب، إذا ضل لنا بعير، فتوجه أخوتي كلهم في بغائه، فلم يقدروا عليه، فأتوا أبي وقالوا: «ابعث فلانا ينشد لنا هذا البعير» ، فدعاني أبي وقال: «أخرج فانشد هذا البعير» . فقلت: «والله ما أنصفتني ولا بنوك. أما إذا الإبل درت ألبانها، وطارت ركوبها، فأنتم جماعة أهل البيت أربابها، وإذا ندت ضلالها فأنا باغيها» . فقال: «قم، يا لكع، فإني أراه آخر يومك» .

فغدوت مقهورا، خلق «١» الثياب، حتى أتيت بلادا لا أنيس بها، فطفقت يومي ذلك أجول في القفر، فلما أمسيت، رفعت لي أبيات، فقصدت أعظم بيت منها، فإذا امرأة جميلة مخيلة للسؤدد والجزالة، فبدأتني بالتحية وقالت: «انزل عن الفرس، وأرح نفسك» . فأتتني بعشاء، فتعشيت، وأقبلت هذه تسخر مني وتقول: «ما رأيت كالعشية أطيب ريحا منك، ولا أنظف ثوبا، ولا أجمل وجها» .

فقلت: «يا هذه دعيني وما أنا فيه، فإني عنك في شغل شاغل» ، فأبت علي وقالت: «هل لك أن تلج على السجف إذا نام الناس» ؟

فأغراني- والله- الشيطان؛ فلما شبعت من القرى، وجاء أبوها وأخوتها، فضجعوا أمام الخيمة، قمت ووكزته برجلي. قالت: «ومن أنت» ؟ قلت:

«الضيف» . قالت: «لا حياك الله، أخرج، عليك لعنة الله» ؛ فعلمت أني لست في شيء من أمرها؛ فوليت راجعا، فواثبني كلب كأنه السبع لا يطاق، فأراد أكلي، فأنشب أنيابه في مدرعة صوف كانت علي، وجعل يمزقني، فردني القهقرى، وتعذر علي الخلاص، فأهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر أحسن الله إلي أنه لا ماء فيه؛ فلما سمعت المرأة الواغية، أتت بحبل فأدلته، وقالت: «إرتق، لعنك الله؛ فو الله لولا أنه يقتص أثري غدا، لوددت أنها قبرك» .." (٢)

---

(١) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/٢٨٧

(٢) المحاسن والأضداد الجاحظ ص/٣٠٤

"فداك الذي يبغي القضاء بسمته ... .الذئب أم غزال

فإن أردف العبد الصغير وراءه ... فويل لأيتام وإرث رجال

وإن ركب البرذون واشتد خلفه ... فصاحب أشراط وحمل إلال

وقال ابن مناذر في واحد من هذا الشكل:

رأيت أبا موسى يغر بسمته ... ويقسم في الجيران كر طعام

ويخدعهم والله غالب أمره ... بقد كقد المشرفي حسام

يريد قضاء المصر والمصر منكر ... لكل مراء مهتر بغلام

ببشر وسمت **واكتئاب** وخشعة ... وكثرة تسبيح ولين كلام

ويركب بغلا ثم يردف خلفه ... غلاما كما أبصرت شق جلام." (١)

"ببشر وسمت **واكتئاب** وخشعة ... وكثرة تسبيح ولين كلام

ويركب بغلا ثم يردف خلفه ... غلاما كما أبصرت شق جلام

يريد هلالا لا يحاول غيره ... وقدما سما للرأي غير مام

سواء لذي الرأي الشريف وغيره ... إذا كنت ذا حفظ فلج بسلام

يصير فقيها في شهور يسيرة ... فيالك حفظا لم يشب بغرام

ولو كان خيرا كد ... ... كما كد ذا الآثار بعد مرام

وما ضر سلمانا «١» وكعبا «٢» وبعده ... شريحا وسوارا «٣» ورهط هشام «٤»

وياسا وياسا والغلابي بعده ... ألآك الأولى كانوا نجوم ظلام

وما عرفوا النعمان.... ... ولا زفر المسقي صوب غمام

لقد تاب مما أحدث القوم توبة ... لساعة إخلاص ووقت حمام

قالوا: ويشبهون الأسد بالبغل، إذا كان الأسد تام الخلق. قال نهشل بن حري:

وما سبق الحوادث ليث غاب ... يجر لعرسه جزر الرفاق." (٢)

"وقال عبد الله بن العباس قدم على عمر بن الخطاب رجل فجعل عمر يسأل عن الناس فقال يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا

فقال ابن عباس فقلت والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة قال فنهرني عمر وقال مه فانطلقت إلى منزلي **مكتئبا** حزينا فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني فأخذ بيدي فخلا بي وقال ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفا _

---

(١) الرسائل للجاحظ الجاحظ ٣٠٨/٢

(٢) البغال الجاحظ ص/٨٠

فقلت يا أمير المؤمنين متى ما يتسارعوا هذه المسارعة يختلفوا ومتى ما يختلفوا يختصموا ومتى ما يختصموا يختلفوا ومتى ما اختلفوا يقتتلوا

قال لله أبوك والله إن كنت لاكمتها الناس حتى جئت بها وروى عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكم لن ترجعوا بشيء أفضل مما خرج منه يعني بالقرآن

وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال جردوا القرآن لا تكتبوا فيه شيئا إلا كلام الله عز وجل

وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال هذا القرآن كلام الله فضعوه موضعه

وقال رجل للحسن البصري يا أبا سعيد أني إذا قرأت كتاب الله وتدبرته كدت أن أياس وينقطع رجائي." (١)

"" جلا القوم عن الموضع " وأجلوا " تنحوا عنه، و " أجليتهم أنا "، و " جلوتهم "، قال أبو ذؤيب:

فلما جلاها بالأيام تحيزت ... ثبات عليها ذلها واكتئابها

يعني مشتار العسل جلاها عن موضعها بالدخان ليشتاره.

" لاح الرجل " وألاح " أي: أشفق، " سقت إليها الصداق " و " أسقته "، " جفلت الريح " و " أجفلت "، " خوت النجوم " وأخوت " إذا سقطت ولم تمطر.

" غبش الليل " و " أغبش " أظلم، " ذرق " الطائر " وأذرق "، " صم الرجل " و " أصم "، " غامت السماء " وأغامت "، " خلف فوه "، و " أخلف "، " زفت العروس " و " أزففتها "، " وعزت إليك في الأمر " و " أوعزت "، " داء الرجل " يداء، مثل شاء يشاء، و " أداء " و " يديء " إذا صار في جوفه الداء.

" ظلفت أثري " إذا مشيت في الحزونة حتى لا يرى، و " أظلفته "، " شنقت الناقة " و " أشنقتها " إذا كففتها بزمامها، " سنفتها "." (٢)

"قال: ومما بنى مفعوله على فعل ولم يأت على الأصل قول الشاعر:

مكتئب اللون مريح ممطور

أراد " مروح "، وقال الآخر:

وماء قدور في القصاع مشيب

يريد " مشوب " فبناه على شيب.

قالوا: وأكثر ما يأتي على هذا المنقول عن الواو إلى الياء، قال الفراء: وأنشدني الكسائي فيما جاء بالواو:

ويأوي إلى زغب مساكين دونهم ... فلا لا تخطاه الرفاق مهوب

قال: بناه على قول من قال " قد هوب الرجل ".." (٣)

---

(١) سيرة الإمام أحمد بن حنبل صالح بن أحمد ص/١١٨

(٢) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٤٤١

(٣) أدب الكاتب = أدب الكتاب لابن قتيبة الدِّينَوري، ابن قتيبة ص/٦٠٥

"منيته، والثقوفة والثقافة واحد وهو الحذق، وانقضابها انقطاعها.

تدلى عليه بين سب وخيطة ... بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها

السب في كلام هذيل مثل السبب، والخيطة الوتد، يقول هو بين الحبل والوتد في أعلى الجبل، والوكف النطع، جرداء صخرة ملساء يزل عنها الغراب من ملاستها.

فلما جلاها بالأيام تحيزت ... ثبات عليها ذلها **واكتئابها**

جلاها طردها وأخرجها والإيام الدخان، تحيزت انحازت وتميزت قطعا قطعا، ثبات جماعات الواحدة ثبة.

وقال أيضا وذكر خمارا جلب خمرا:

فبات بجمع ثم تم إلى منى ... فأصبح رادا يبتغي المزج بالسحل

فجاء بمزج لم ير الناس مثله ... هو الضحك إلا أنه عمل النحل

رادا أي مرتادا يطوف يبتغي عسلا يمزج به خمره، والمزج العسل والسحل النقد، يقال سحله مائة درهم مثل نقده، والضحك الثغر يقول جاء بعسل هي الثغر بياضا، قال الأصمعي سألت بن أبي طرفة عن الضحك فقال أظنه أراد المضحك أي بياض الثغر.

وقال ابن الأعزابي يقال للطلع الضحك والأغريض، يقال ضحك النخل وهو أن ينشق كافوره عن طلعه.

يمانية أحيا لها مظ مأبد ... وآل قراس صوب أسقية كحل." (١)

"الذين أساءوا إن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما يساق الأسارى إن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة وإن هذا لعظيم خطرك فشمخت بأنفك ونظرت في عطفيك جذلان فرحا حين رأيت الدنيا مستوسقة لك والأمور متسقة عليك وقد أمهلت ونفست وهو قول الله تبارك وتعالى لا يحسبن الذين كفروا إن ما نملي لهم خيرا لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك نساؤك وإماؤك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم لى الله عليه قد هتكت ستورهن وأصحلت صوتهن **مكتئبات** تخدى بهن الأباعر ويحدو بهن الأعادي من بلد إلى بلد لا يراقبن ولا يؤوين يتشوفهن القريب والبعيد ليس معهن ولي من رجالهن وكيف يستبطأ في بغضتنا من نظر إلينا بالشنق والشنآن والأحن والأضغان أتقول ليت أشياخي ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكث ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشاقة بإهراقك دماء ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ولتردن على الله وشيكا موردهم ولتودن أنك عميت وبكمت وأنك لم تقل فاستهلوا وأهلوا فرحا اللهم خذ بحقنا وانتقم لنا ممن ظلمنا والله ما فريت إلا في جلدك ولا حززت إلا في لحمك وسترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لى الله عليه برغمك وعترته ولحمته في حظيرة القدس يوم يجمع الله." (٢)

---

(١) المعاني الكبير في أبيات المعاني الدِّينَوري، ابن قتيبة ٦١٩/٢

(٢) بلاغات النساء ابن طيفور ص/٢٦

"وفي هذه القصة يقول:

أبت إلا بكاء وانتحابا ... وذكرا للمغيرة **واكتئابا**

ألم تعلم بأن القتل ورد ... لنا كالماء حين صفا وطابا

وقلت لها: قري وثقي بقولي ... كأنك قد قرأت به كتابا

فقد جاء الكتاب به فقولي ... ألا لا تعدم الرأي الصوابا

جلبنا الخيل من بغداد شعثا ... عوا بس تحمل الأسد الغضابا

بكل فتى أعز مهلبي ... تخال بضوء صورته شهابا

ومن قحطان كل أخي حفاظ ... إذا يدعى لنائبه أجابا

فما بلغت قرى كرمان حتى ... تخدد لحمها عنها فذابا

وكان لهن في كرمان يوم ... أمر على الشراة بها الشرابا١

وإنا تاركون غدا حديثا ... بأرض السند سعدا والربابا

تفاخر بابن أحورها تميم ... لقد حان المفاخر لي وخابا

وفي مثل هذا البيت الأخير يقول أبو عيينه:

أعاذل صه لست من شيمتي ... وإن كنت لي ناصحا مشفقا

أراك تفرقني دائبا ... وما ينبغي لي أن أفرقا٢

أنا ابن الذي شاد لي منصبا ... وكان السماك إذا حلقا

قريع العراق وبطريقهم ... وعزهم المرتجى المتقى

فمن يستطيع إذا ما ذهبـ ... ـت أنطق في المجد أن ينطقا

أنا ابن المهلب ما فوق ذا ... لعال إلى شرف مرتقى

فدعني أغلب ثياب الصبا ... بجدتها قبل أن تخلقا

قال أبو الحسن: وهذا شعر حسن، أوله:

ألم تنه نفسك أن تعشقا ... وما أنت والعشق لولا الشقا

أمن بعد شربك كأس النهى ... وشمك ريحان أهل النقا

عشقت فأصبحت في العاشقي ... ن أشهر من فرس أبلقا

---

١ الشراة: جماعة من الخوارج.

٢ تفرقني: تخوفني.." (١)

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٢٩/٢

"فأنزله غائبا عنك، فإنه إن لم يقدم عليك قدمت عليه. قال: يا أبا سعيد، قد هونت من وجدي على ابني.

وأخبرني عن أبي إسماعيل الهمداني عن مجالد عن الشعبي قال: مات ابن لشريح فلم يشعر أحد بموته، ولم يصرخ عليه أحد، فغدا قوم إلى شريح يسألونه عن ابنه فقالوا: كيف أصبح مريضك يا أبا أمية؟ قال: قد سكن علزه، ورجاه أهله، وما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة.

والعلز: شدة القلق.

وقال: أحد بني كليب: البسيط

وإن رأيت سهيلا ظلت **مكتئبا** ... كأنني راقب للنجم أو علز

وأخبر عن أبي عمرو بن يزيد قال: احتضر رجل فوضع رأسه في حجر أخيه، فدمعت عين أخيه فقطرت قطرة من دموعه على خد المريض، فأفاق من غشيته، فنظر إلى أخيه يبكي فقال: الطويل

أخيين كنا فرق الدهر بيننا ... إلى الأمد الأقصى ومن يأمن الدهرا؟." (١)

"شيبتا بشعر أسود كأنه حلق الزرد، يحمل قدمان كخدو اللسان. فتبارك الله مع صغرهما كيف يطيقان ما فوقهما؟! فأرسل الملك إلى أبيها فزوجه إياها. وبعث بصداقها فجهزت. فلما أرادوا أن يحملوها إلى زوجها قالت لها أمها: أي بنية! إن الوصية لو تركت لفضل في أدب تركت ذلك منك، ولكنها للغافل ومعونة للعاقل. ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغني أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه. ولكن للرجال خلقنا ولنا خلقوا. أي بنية! إنك فارقت الحواء الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه إياك عليك رقيبا ومليكا، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا. يا بنية! احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا: الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعاهد لموقع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا طيب الريح. والكحل أحسن الحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود. والتعاهد لوقت طعامه، والهدو عنه حين منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة. والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم حسن التدبير. ولا تفشي له سرا، ولا تعصي له أمرا، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره. ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحا، **والاكتئاب** عنده إن كان فرحا، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير. وكوني أشد ما تكونين له إعظاما أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة. واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت. والله جل وعز بخير لك.." (٢)

"فيه ما هو في الثريا جودة وحسنا قوة، وما هو في الحضيض ضعفا وركاكة، وكان مع كثرة أدبه وعلمه خليعا ماجنا وفتي شاطرا، وهو في جميع ذلك حلو ظريف، وكان يسحر الناس لظرفه وحلاوته وكثرة ملحه، وكان أسخى الناس، لا يحفظ

---

(١) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] محمد بن يزيد المبرد ص/١٩٩

(٢) الفاخر المفضل بن سلمة ص/١٨٦

ماله ولا يمسكه، وكان شديد التعصب لقحطان علي عدنان، وله فيهم أشعار كثيرة، يمدحهم ويهجو أعداءهم، وكان يتهم برأي الخوارج، فمما يروى له في تفضيل اليمن والافتخار بهم قوله:

لست لدار عفت وغيرها ... ضربان من قطرها وحاصبها

وفي هذه القصيدة يقول:

فنحن أرباب ناعط ولنا ... صنعاء والمسك في محاربها

ودان أذواؤنا البرية من ... معترها رغبة وراهبها

وكان منا الضحاك يعبده ال ... خابل والوحش في مسار بها

ونحن إذ فارس تدافع به ... رام قسطنا على مرازبها

حتى جمعنا إليه مملكة ... يجتمع الطرف في مواكبها

وفاظ قابوس في سلاسلنا ... سنين سبعا وفت لحاسبها

ويوم ساتيدما ضربنا بني ال ... أصفر والموت في كتائبها

فافخر بقحطان غير مكتئب ... فحاتم الجود من مناقبها

إذ لاذ برويز عند ذاك بنا ... والحرب تمرى بكف حالبها

يذب عنه بنو قبيصة بال ... خطى والشهب من قواضبها." (١)

"ليس يدري من رقاعته ... ما قبيح القول من حسنه

ومما يستحسن للقصافي قوله:

آلفني الدرب حب ساكنه ... والحب يدعو الهوى الذي نصبا

لو كان درب بكى لمكتئب ... أو رق أو كان بلغ الكتبا

بلغ كتبي ورق لي وبكى ... وكان لي عند سيدي سببا

يا ظبي عبد الحميد ما صنعت ... عيناك بالقلب؟ أورثت كربا

من نظرة عدت من مغبتها ... حيران صب الفؤاد مكتئبا

طرفي دعاني إليك عن قدر ... يا شؤم طرفي علي، ما جلبا؟

أسترزق الله منك لي مقة ... يوما لأقضي من وصلك الأربا

أخبار أبي العيناء

حدثني أبو سليمان العكبري قال: دخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فشكا ضيقته. فأمر له بخمسة آلاف درهم فقال: أصلح الله الوزير لا أستقل قليلك ولا أستكثر كثيرك، قال له: ولم؟ قال: لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه، ولا أستقل قليلك

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ابن المعتز ص/١٩٥

لأنه أكثر من كثير غيرك. فأعجب بكلامه وقال: اكتبوه وزيدوا خمسة آلاف أخر.

حدثني أبو الحسن علي بن محمد البغدادي قال: قال المتوكل يوما لأبي العيناء: بلغني أنك مأبون، فقال له:." (١)

"وهل كنت إلا معمدا قانط الهوى ... أسر فلما قاده الشوق أعلنا

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبي خاليا فتمكنا

ولعمري إن هذا لمن نفيس الكلام غير أن في البيت ضعفا وذلك أنه جعل سبب تمكن الهوى من قلبه أنه صادفه خاليا لم يسبقه إليه غيره وليست هذه من أحوال أهل التمام إذ كل من صادف محلا لا يدافع عنه لم يتعذر عليه طريق التمكن منه.

وقد قال بعض أهل هذا العصر:

وقد كان يسبي القلب في كل ليلة ... ثمانون بل تسعون نفسا وأرجح

يهيم بهذا ثم يعشق غيره ... ويسلاهم من فوره حين يصبح

وكان فؤادي صاحيا قبل حبكم ... وكان بحب الخلق يلهو ويمزح

فلما دعا قلبي هواك أجابه ... فلست أراه عن ودادك يبرح

رميت بهجر منك إن كنت كاذبا ... وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح

وإن كان شيء في البلاد بأسرها ... إذا غبت عن عيني عندي يملح

فإن شئت واصلني وإن شئت لم تصل ... فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

فالمحبة ما دامت لهوا ونظرا فهي عذبة المبتدأ سريعة الانقضاء فإذا وقعت مرتبة على التمام في المصافاة تعذرت قدرة القلب على هواه فحينئذ تضل أفهام المتميزين وتبطل حيل المتفلسفين.

وفي نحو ذلك يقول بعض الظرفاء:

طوى شجنا في الصدر فالدمع ناشره ... فإن أنت لم تعذره فالشوق عاذره

هوى عذبت منه موارد بدره ... فلما نمى أعيت عليه مصادره

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى لامرأة من قيس:

وما كيس في الناس يحمد رأيه ... فيوجد إلا وهو في الحب أحمق

وما من فتى ما ذاق بؤس معيشة ... فيعشق إلا ذاقها حين يعشق

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

ورمى الهوى منا القلوب بأسهم ... رمي الكماة مقاتل الأعداء

ومن العجائب قتله لكرامنا ... وشدادنا بمكائد الضعفاء

وقال أبو دلف:

الحرب تضحك عن كري وإقدامي ... والخيل تعرف آثاري وأقدامي

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ابن المعتز ص/٤١٤

سيفي مدامي وريحاني مثقفة ... وهمتي مقة التقصيم للهام

وقد تجرد لي بالحسن منفردا ... أمضى وأشجع مني يوم إقدامي

سلت لواحظه سيف السقام على ... جسمي فأصبح جسمي ربع أسقام

وقال آخر:

ألا قاتل الله الهوى كيف يقتل ... وكيف بأكباد المحبين يفعل

فلا تعذلني في هواي فإنني ... أرى سورة الأبطال في الحب تبطل

وقال آخر:

الحب يترك من أحب مدلها ... حيران أو يقضي عليه فيسرع

الحب أهونه شديد فادح ... يهن القوي من الرجال فيصرع

من كان ذا حزم وعزم في الهوى ... وشجاعة فالحب منه أشجع

وقال النابغة الذبياني:

لو أنها عرضت لأشمط راهب ... يدعو الإله صرورة متعبد

لرنا لبهجتها وحسن حديثها ... ولخاله رشدا وإن لم يرشد

أسع البلاد إذا أتيتك زائرا ... وإذا هجرتك ضاق عني مقعدي

وأنشدتني أعرابية بالبادية:

تبصر خليلي هل ترى بين وائش ... وبين أحي من ظعائن كالأثل

ظعائن يسلبن الفتى الغر عقله ... وذا الأهل حتى لا يبالي بالأهل

وقال آخر:

أروح ولم أحدث لليلى زيارة ... لبئس إذا راعي المودة والوصل

تراب لأهلي لا ولا نعمة لهم ... لشد إذن ما قد تعبدني أهلي

وقال ماني:

مكتئب ذو كبد حرى ... تبكي عليه مقلة عبرى

يرفع يمناه إلى ربه ... يدعو وفوق الكبد اليسرى

يبقى إذا كلمته باهتا ... ونفسه مما به سكرى

تحسبه مستمعا ناصتا ... وقلبه في أمة أخرى

وقال غيره وهو مجنون بني عامر:." (١)

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٧

"وكاد غداة سار الحي يبدي ... ضمير القلب تشحاج الغراب

غدا بي شامتا وغدوت صبا ... يريني ما به وأريه ما بي

يضاحكني فيضحك حين أبكي ... كذلك دابه أبدا ودابي

فلو أن الغراب يرق يوما ... لرق لطول وجدي **واكتئابي**

لعل الدهر يقلب حالتيه ... فإن الدهر حول ذو انقلاب

فيقلقه اشتياق وارتياح ... ويوحشه اغتراب كاغترابي

الباب الخامس والثلاثون

في حنين البعير المفارق أنس لكل صب وامق

قال مرة بن عقيل:

لعمري لقد هاجت علي حمامة ... قلوص العباديين ليلة حلت

تعدت لها والليل ملق رواقه ... فجاوبنها حتى مللن وملت

وقال تميم بن كميل الأسدي:

يحن قعودي بعدما كمل السرى ... بنخلة والضمر الحراجيج ضمر

يحن إلى ورد الحشاشة بعدما ... ترامى به خرق من البيد أغبر

وبات يجوب البيد والليل مائل ... يثني لتعريس يحن وأزفر

وبي مثل ما يلقى من الشوق والهوى ... على أنني أخفي الذي بي وأظهر

فقلت له لما رأيت الذي به ... كلانا إلى ورد الحشاشة أصور

فليت الذي ينسى تذكر إلفه ... وسربا بأحواض الحشاشة ينحر

وقال أيضا:

يحن قعودي ذو الحياط صبابة ... بمكة وهنا من تذكره نجدا

تذكر نجدا موهنا بعدما انطوت ... ثميلته وازداد عن إلفه بعدا

تذكر نجدا حاديا بعد قادم ... ولا يلبث الشوقان أن يصدعا الكبدا

فقلت له قد هجت بي شاعف الهوى ... أصاب حمام الموت أضعفنا وجدا

وقال آخر:

أيضرب جون أن تحن غريبة ... وما ذنب جون أن تحن الأباعر

يقولون لا تنظر وتلك بلية ... بلى كل ذي عينين لا بد ناظر

وقال آخر:

باتت تشوقني برجع حنينها ... وأزيدها شوقا برجع حنيني

نضوين مقترنين بين تهامة ... طويا الضلوع على جوى مكنون
لو خبرت عني القلوص لخبرت ... عن مستقر صبابة المحزون
وقال عروة بن حزام:
هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى ... وإني وإياها لمختلفان
فلو تركتني ناقتي من حنينها ... وما بي من وجد إذن لكفاني
فإن تحملي شوقي وشوقك تثقلي ... وما لك بالحمل الثقيل يدان
وقال آخر:
تحن قلوصي نحو نجد وقد أرى ... بعيني أني لست موردها نجدا
ولا واردا أمواه أجبلة الحمى ... وإن زهقت نفسي على وردها جهدا
وقال النجاشي:
رأت ناقتي ماء الفرات وذوقه ... أمر من السم الذعاف وأمقرا
وريعت من العاقول لما رأت به ... صياح النبيط والسفين المقيرا
وحنت حنينا موجعا هيجت به ... فؤادا إلى أن يدرك الربو أصورا
فقلت لها بعض الحنين فإن بي ... كوجدك إلا إنني كنت أصبرا
وقال آخر:
حنت وما عقلت فكيف إذا بكى ... شوقا يلام على البكا من يعقل
ذكرت قرى نجد فأقلقها الهوى ... وقرى العراق وليلهن الأطول
وكأنما يجنى لها ولركبها ... بنطاف دجلة والفرات الحنظل
وتمر من لجج السراب موارقا ... والخرق أغبر والقتام مجلل
فغدت وأيدي الصبح تلمع في الدجى ... كالبيض تغمد تارة وتسلل
وقال جرير:
أرى ناقتي تشكو طروقا وشاقها ... وميض إلى ذات السلاسل لامع
فقلت لها حني رويدا فإنني ... إلى أهل نجد من تهامة نازع
فلما رأت أن لا قفول وإنما ... لها من هواها ما تحن الأضالع
تمطت لمجدول طويل فطالعت ... وماذا من البرق اليماني تطالع
وقال آخر:
وحنت قلوصي آخر الليل حنة ... فيا روعة ما راع قلبي حنينها." (١)

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٩٨

"وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نقم ليلة معا

فإن تكن الأيام فرقن بيننا ... فقد بان محمودا أخي يوم ودعا

وقال عدي بن زيد:

فإن أمسيت مكتئبا حزينا ... كثير الهم يشهدني الحذار

فقد بدلت ذاك بنعم بال ... وأيام لياليها قصار

وأنشدني أحمد بن أبي طاهر قال أنشدنا أبو تمام لنفسه:

ألا إن صدري من غرامي بلاقع ... عشية شاقتني الديار البلاقع

لئن كان أمسى شمل وحشك جامعا ... لقد كان لي شمل بأنسك جامع

أسيء على الدهر الثناء فقد قضى ... علي بجور صرفه المتتابع

وقال حميد بن ثور:

قضى الله في بعض المكاره للفتى ... رشادا وفي بعض الهوى ما يحاذر

شربنا بثعبان من الطود بردها ... شفاء لغم وهي داء مخامر

ليالي دنيانا علينا رحيبة ... وإذ عامر في أول الدهر عامر

وقد كنت في بعض الصبابة أتقي ... وأخشى علينا أن تدور الدوائر

وأعلم أني إن تغطيت مرة ... من الدهر مكشوف غطائي فناظر

وقال أيضا:

خليلي إن دام هم النفوس ... عليها ثلاث ليال قتل

على أن شيئا سمعنا به ... يسمى السرور مضى ما فعل

وقال البحتري:

عيش لنا بالأبرقين تأبدت ... أيامه وتجددت ذكراه

والعيش ما فارقته فذكرته ... لهفا وليس العيش ما تنساه

وقال محمد بن عبيد الأزدي:

فلما قضينا عصمة من حديثنا ... وقد فاض من بعد الحديث المدامع

جرى بيننا منا رسيس يزيدنا ... سقاما إذا ما استيقنته المسامع

كأن لم تجاورنا أميم ولم تقم ... بفيض الحمى إذ أنت بالعيش قانع

فهل مثل أيام تسلفن بالحمى ... عوائد أو عيش الستارين واقع

وقال قيس بن ذريح:

فإن تكن الدنيا بليلى تقلبت ... علي وللدنيا بطون وأظهر

فقد كان فيها للأمانة موضع ... وللكف مرتاد وللعين منظر

وللهائم الظمآن ري بريقها ... وللدنف المشتاق خمر مسكر

قال أبو العباس محمد بن يزيد النحوي فقلنا له فما الذي بقي بعد ما وصفت قال بقيت الموافقة.

وقال البحتري:

كان الوصال بعيد هجر منقض ... زمن اللوى وقبيل بين آفد

ما كان إلا لفتة من ناظر ... عجل بها أو نهلة من وارد

ولبعض أهل هذا العصر:

رعى الله دهرا فات لم أقض حقه ... وقد كنت طبا بالأمور مجربا

ليالي ما كانت رياحك شمألا ... علي ولا كانت بروقك خلبا

ليالي وفيت الهوى فوق حقه ... وفاء وظرفا صادقا وتأدبا

فلم أر ودا عاد ذنبا وقد مضت ... له حقب يشجى بذكراه من صبا

ولم أر سهما هتك الدرع وانتهى ... إلى القلب قدما ثم قصر أو نبا

ولا عذر للصمصام إن بلغ الحشا ... وكل ولم يثلم له العظم مضربا

ولا لجواد سابق الريح سالما ... وقام فأعيا بل تقطر أو كبا

فأنى بعذر في اطراحي وجفوتي ... ونقض عهود أكدت زمن الصبا

إذا عوقب الجاني على قدر جرمه ... فتعنيفه بعد العقاب من الربا

وقال ابن ميادة:

ألا يا لقومي للهوى والتذكر ... وعين قذى إنسانها أم جحدر

فلم تر عيني مثل قلبي لم يطر ... ولا كضلوعي فوقه لم تكسر

وقال الطرماح:

عرفت لسلمى رسم دار تخالها ... ملاعب جن أو كتابا منمنما

وعهدي بسلمى والشباب كأنه ... عسيب نمى في ريه فتقوما." (١)

"عيناه سهمان له كلما ... أراد قتلي بهما تسلما

وهذه أبيات تصلح أن تكون كل كلمة منها متقدمة لصواحبها، وهذا مثالها:

على الفضل من الجود علامات مبينات

مبينات علامات من الجود على الفضل

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/١٠٦

من الجود على الفضل مبينات علامات

علامات مبينات على الفضل من الجود

بسعود لا بنحس خير طير ليزيد

خير طير ليزيد بسعود لا بنحس

لا بنحس خير طير ليزيد بسعود

ليزيد بسعود لا بنحس خير طير

وكتب بعض أهل هذا العصر إلى أخ له رسالة في حشو كلامها بيتين من شعر قد بينا حروف الشعر ليسهل استخراجه: بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاك وأدام عزك ونعماك وجعلني من المحذور دونك يا سيدي جعلت فداك لا ترضى لأخيك بل لعبدك أن يبقى أبدا على حال قد أيست منه أولياءه وأشمت به أعداءه. وبعد ذا فأنا معترف بذنبي وحق مؤثر الإقرار على الإنكار، وأن لا يعاقب لذنب جناه، ولو عرفت ما تنكره لم أعذر والله ما تأمره في كلما يعود علي ضرره فضلا عما يعود علي نفعه، فقد برح والله بي هجرك، وأنا لا أكون لعفوك أهلا لكثرة جناياتي، فأضفه إلى قديم صفحك عن إساءتي هذا نالني على أني والله ما أسخطك قط إلا مبتغيا رضاك ولا أظهرت الجفاء إلا وأنا ملتمس منه موافقة هواك، وقد أزال إعراضك اصطباري، وأفنى تجنبك اعتذاري، فلا ضرر الآن عما كان، فقد - وعزيز حياتك - عيل والصبر، فما لفظي إلا بذكرك، ولا أجزع إلا من هجرك، فانظر لعبدك الصبر والجلدا، ضعف من أن يقوم بجفائك أو يعتاض بها وصلك. فاصفح جعلت فداك عن عبدك، فإنه أولى بك والسلام.

وهذا شعر فيه اسم يستخرج من أوائل الأبيات:

آه من البارق الذي لمعا ... لم يدر ماذا بمهجتي صنعا

حكم فيها البلى فها أنذا ... مكتئب ما أفارق الجزعا

مذ لاح لي في السحاب أذكرني ... توريد خد من الجبا لمعا

دل على كنهه كذي فطن ... تفريقه فانتهره مجتمعا

وقال:

فآخر الترس له أول ... وثالث الدرع له آخر

وخامس الساعد ثان له ... ورابع السيف له دابر

وهذا بيت فيه أحد عشر صادا:

صاف الصديق وأصفه صفو الصفا ... واخصص صديقك بالصداقة تخصص

وهذا بيت فيه إحدى عشرة حاء:

تنحنح روح حين حاد بحاجب ... وزحزح روح حاجيا فتزحزحا

وبلغني أن رجلا أنشد الرياشي أو غيره:

ما للنوى جد النوى قطع النوى ... بالبين بين ميامني وشمالي

فقال: هو لعمري بيت حسن، غير أنه لو طرح بين يدي الشاة لأكلته، لأن فيه كيلجة نوى.

وهذه أبيات مرجعة:

يا بدني للفراق مت كمدا ... مت كمدا للفراق يا بدني

فارقني من هويت واحزنا ... واحزنا من هويت فارقني

كلمني بالشهيق من جزع ... من جزع بالشهيق كلمني

عانقني كالقضيب معتدلا ... معتدلا كالقضيب عانقني

تتركني كالغريب يا سكني ... يا سكني كالغريب تتركني

يحفظني الله فيك قلت له ... قلت له الله فيك يحفظني

وبلغني أن محمدا بن زبيدة قال لأبي نواس: قد أكثرت علي وأنا ملق عليك شيئا، فنفيت من هارون، لئن لم تجزه لأقتلنك وأستريح.. قال: وما هو يا أمير المؤمنين، قال: قل شعرا بلا قافية فقال:

ولقد قلت للمليحة قولي ... من بعيد لمن يحبك مه حكاية قبله

فأشارت بمعصم ثم قالت ... من بعيد خلاف قولي ماه حكاية لا

فتنفست ساعة ثم إني ... قلت للبغل عند ذلك راه حكاية عد

وهذا شعر فيه بالزنجية: حدثني أبو الحسن محمد بن الخطاب الكلابي، عن محمد بن مزرع البصري، قال: مررت ببطن مكة، ومعي صاحب لي، فرأيت على ركية ينشد شعرا بعضه أعجمي، وبعضه عربي، فقلت: يا أسود ما تقول؟ فأنشد:

ألا يا لائمي في حب ريم ... أفق من بعض لومك لا اهتديتا

أتأمرني بهجري بعض نفسي ... معاذ الله أفعل ما اشتهيتا

أحب لحبها الثقلين طرا ... وبكعة والبلين ودمع ليتا

فكائن والبكان ودوعينا ... وشكعة والندفت وعرريتا." (١)

"قد جاء من عل أنباء أنبؤها.

فظلت مكتئبا حران أند به ... وكنت أحذره لو ينفع الحذر

فهاجت النفس لما جاء جمعهم ... وراكب جاء من تثليث معتمر

معتمر معتمد.

يأتي على الناس لا يلوي على أحد ... حتى التقينا وكانت دوننا مضر

إن الذي جئت من تثليث تند به ... منه السماح ومنه النهي والغير

تنعى امرءا لا تغب الحي جفنته ... إذا الكواكب خوى نوءها المطر

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٢٢٦

إذا ناء النجم فلم يكن في نوئه مطر فقد خوى ويروى أخطا نوءها.

وراحت الشول مغبرا مناكبها ... شعثا تغير منها الني والوبر

وألجأ الكلب موقوع الصقيع به ... وألجأ الحي من تنفاحها الحجر

عليه أول زاد القوم قد علموا ... ثم المطي إذا ما أرملولا جزروا

قد تكظم البزل من حين تبصره ... حتى تقطع في أعناقها الجرر." (١)

"إن الفاروق لم يردد كلابا ... إلى شيخين ما لهما تواقي

فقال له عمر: اذهب إلى أبيك فقد وضعنا عنك الغزو وأجرينا ك العطاء. قال: وتغنت الركبان بشعر أبيه. فبلغه فأنشأ يقول:

لعمرك ما تركت أبا كلاب ... كبير السن مكتئبا مصابا

وأما لا يزال لها حنين ... تنادي بعد رقدتها كلابا

لكسب المال أو طلب المعالي ... ولكني رجوت به الثوابا

وكان كلاب من خيار المسلمين، وقتل مع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بصفين وعاش أبوه أمية دهرا طويلا حتى خرف، فمر به غلام له كان يرعى غنمه وأمية جالس يحثو على رأسه التراب فوقف ينظر إليه، فلما أفاق بصر بالغلام فقال:

أصبحت لهوا لراعي الضأن أعجبه ... ماذا يريبك مني راعي الضان

انعق بضأنك في أرض بمخضرة ... من الأباطح واحسبها بجلدان

انعق بضأنك إني قد فقدتهم ... بيض الوجوه بني عمي وإخواني

قال: وحدثني من سمع أعرابيا حاملا أمه في الطواف وهو يقول:

إني لها مطية لا أذعر ... إذا الركاب نفرت لا أنفر

ما حملت وأرضعتني أكثر ... الله ربي ذو الجلال أكبر

ثم التفت إلى ابن عباس، رحمه الله، فقال له: أتراني قضيت حقها؟ فقال: لا والله ولا طلقة من طلقاتها.

قال: ونحر أعرابي جزورا فقال لامرأته: أطعمي أمي منه. فقالت: أيها أطعمها؟ فقال: قطعي لها الورك. قالت: ظوهرت بشحمة وبطنت بلحمة، لا لعمر الله! قال: فاقطعي لها الكتف. قالت: الحاملة الشحم من كل مكان، لا لعمر الله! قال: فما تقطعين لها؟ قالت: اللحى ظوهرت بجلدة وبطنت بعظم. قال: فتزوديها إلى أهلك. وخلى سبيلها.

وروي أن الحسن بن علي، رضوان الله عليه، كان يمتنع من مؤاكلة أمه، صلوات الله عليها، فسئل عن ذلك وهو ابن ست سنين. فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى لقمة تقع عينها عليها فأكون قد عققتها.

مساوئ عقوق البنين

الأصمعي قال: حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت من الحي أطلب أعق الناس وأبر الناس فكنت أطوف بالأحياء

---

(١) أمالي اليزيدي اليزيدي ص/١٤

حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجرة والحر الشديد وخلفه شاب في يده رشاء من قد ملوى يضربه به قد شق ظهره بذلك الحبل. فقلت: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه من مد هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنه مع هذا أبي. قلت: فلا جزاك الله خيرا! قال: اسكت فهكذا كان يصنع هو بأبيه وكذا كان يصنع أبيه بجده. فقلت: هذا أعق الناس. ثم جلت أيضا حتى انتهيت إلى شاب في عنقه زبيل فيه شيخ كأنه فرخ فيضعه بين يديه في كل ساعة فيزقه كما يزق الفرخ. فقلت له: ما هذا؟ فقال: أبي وقد خرف فأنا أكفله. قلت: فهذا أبر العرب. فرجعت وقد رأيت أعقهم وأبرهم.

قيل: وكانت لخيزران في خلافة موسى الهادي كثيرا ما تكلمه في الحوائج فكان يجيبها إلى كل ما تسأل، حتى مضت لذلك أربعة أشهر من خلافته فاجتمع الناس إليها وطمعوا فيما قبلها فكانت المواكب تغدو إلى بابها وتروح، قال: فكلمته يوما في أمر فاعتل بعلة، فقالت: لا بد من إجابتي. قال: لا أفعل. قالت: فإني قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك. قال: فغضب وقال: ويلي عليه ابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها والله لا قضيتها له! قالت: إذا والله لا أسألك حاجة أبدا. فقال: إذا والله لا أبالي. وحمي وغضب ثم قال: مكانك حتى تستوعبي كلامي والله وإلا فأنا نفي من قرابتي من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي وخاصتي وخدمي لأضربن عنقه ولأقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلك، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم؟ أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إياك ثم إياك أن تفتحي بابك لملي ولا ذمي! فانصرفت ما تعقل ما تطأ فلم تنطق عنده بحلوة ولا بمرة بعد ذلك.." (١)

"قال: وكتب أعرابي إلى حماد الراوية المعروف بعجرد، وكان حماد يستثقله:

إن لي حاجة فرأيك فيها ... لك نفسي الفدا من الأوصاب

وهي ليست مما يبلغها غي ... ري ولا أستطيعها في كتاب

غير أني أقولها حين ألقا ... ك رويدا أسرها باكتئاب

فكتب إليه: اكتب بالحاجة يا ثقيل. فكتب:

إني عاشق لجبتك الدك ... ناء عشقا قد حال دون الشراب

فاكسنيها فدتك نفسي وأهلي ... أتمزى بها على أصحابي

ولك الله والأمانة إني ... أجعلنها عمري أمير ثيابي

وقد قيل: إذا علم الثقيل أنه ثقيل فليس بثقيل.

ومما قيل فيهم من الشعر:

سألتك بالله إلا صدقت ... وعلمي بأنك لا تصدق

أتبغض نفسك من بغضها ... وإلا فأنت إذا أحمق

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٢٣٥

ولآخر:

قل للبغيض أخي البغي ... ض ابن البغيض ابن البغيضه

أنت الذي حملتك أ ... مك بين فاحشة وحيضه

ضاقت على الثقلين من ... بغضائك الأرض العريضه

ودعت ملائكة السما ... ء عليك دعوى مستفيضه

ولآخر:

يا من تبرمت الدنيا بطلعته ... كما تبرمت الأجفان بالسهد

يمشي على الأرض مجتازا فأحسبه ... من بغض طلعته يمشي على كبدي

ولآخر:

شخصك في مقلة النديم ... أثقل من رعية النجوم

يا رائحا روحة علينا ... أثقل من سبة اللئيم

إني لأرجو بما أقاسي ... منك خلاصا من الجحيم

ولآخر:

يا مفرعا في قالب البغض ... بغضك يشكوك إلى بغض

كأنما تمشي على ناظري ... إذا تخطأت على الأرض

ولآخر:

يا من له حركات ... على النفوس ثقيله

وليس يعرف معنى ... قصيرة من طويله

أورثني بجلوسي ... إليك حمى مليله

فاصفع لنفسك عني ... فإن كفي عليله

ولآخر:

أيا من أعرض الرب ... عن العالم من بغضه

ومن عاذ مليك المو ... ت بالرحمن من قبضه

ويا من بغضه يشه ... د بالبغض على بغضه

مساوئ الحمقى

قيل في المثل: هو أحمق من عجل، هو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وذلك أنه قيل له: ما سميت فرسك؟ ففقأ عينه وقال: الأعور، أو قال: سميته أعور. وقال الشاعر فيه وفي قومه:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ... وأي امريء في الناس أحمق من عجل

أليس أبوهم عار عين جواده ... فصارت به الأمثال تضرب في الجهل

ويقال: هو أحمق من هبنقة، وبلغ من حمقه أنه ضل له بعير فجعل ينادي: من وجد البعير فهو له. فقيل له: فلم تنشده؟ قال: وأين حلاوة الوجدان! واختصمت إليه بنو الطفاوة وبنو راسب في رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء، فقالت الطفاوة: هذا من عرافتنا. وقالت بنو راسب: هذا من عرافتنا. ثم قالوا: قد رضينا بأول طالع علينا. فطلع عليهم هبنقة، فلما رأوه قالوا: إنا لله! من طلع علينا؟ فلما دنوا قصوا عليه قصتهم فقال هبنقة: الحكم في هذا بين، يذهب به إلى نهر البصرة فيلقى فيه فإن كان راسبيا رسب وإن كان طفاويا طفا. فقال الرجل: لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لي في الديوان. وكان هينقة يرعى غنم أهله فيرعى السمان في العشب وينحي المهازيل عنه. فقيل له: ويحك ما تصنع؟ فقال: أصلح ما أصلح الله وأفسد ما أفسد الله. أو قال: لا أفسد ما أصلح ولا أصلح ما أفسد الله. وقال الشاعر:

عش بجد فلن يضرك نوك ... إنما عيش من ترى بالجدود

عش بجد وكن هبنقة العي ... سي نوكا أو شيبة بن الوليد

رب ذي إربة مقل من الما ... ل وذي عنجهية مجدود

وكان شيبة من عقلاء العرب.." (١)

"(بانت سعاد ففي العينين مملول ... وكان في قصر من عهدها طول)

كان ينبغي أن يقول: وكان في طول من عهدها قصر.

أو يقول: وصار في قصر من عهدها طول.

وقول أبي دؤاد الإيادي:

(لو أنها بذلت لذي سقم ... مره الفؤاد مشارف القبض)

(أنس الحديث لظل مكتئبا ... حران من وجد بها مض

ولو قال: إنه كان يذهب سقمه لكان أبلغ لنعتها.

وقول أبي ذؤيب:

(ولا يهنأ الواشين أن قد هجرتها ... وأظلم دوني ليلها ونهارها)." (٢)

"وتينتك، وذلك عندهم أجل العيوب، تشمئز منه القلوب، ويجتنبونه أشد الاجتناب، ويكتئبون له أمر اكتئاب. وكذلك لا تقول واحدة لأخرى: ارفعي رجلك، ولا ذيلك، ولا اقعدي عليه، ولا أدخليه وأخرجيه، ولا أصعديه، ولا صبيه، ولا انفخيه، ولا سيبي، ولا سرحي، ولا شيلي، ولا انتحي، ولا اعملي، ولا قد عملت، ويجتنبون ذلك وما أشبهه من الكلام، مما كثر استعماله في خطاب العوام، ولا يكادون يلفظون به، ولا يطيف بألسنتهم، ولا يجيزونه في شيء من مخاطبتهم،

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/٢٥٠

(٢) عيار الشعر ابن طباطبا العلوي ص/١٦٢

ويحذرونه، ويتوقون منه، ويعيبون المتكلم به، ويعرضون عنه.

ذكر زيهم في الشراب

الذي يتخيره ذوو الألباب

أما ما عليه الظرفاء، وأهل المروة والأدباء، فإنهم لا يشربون من الشراب أسوده، ولا يشربون إلا أجوده، مثل المشمس، والزبيبي، والمعسل، والمطبوخ، والطلاء، والمعدل، ولا يقربون ما لاءمه الخثر، ولا ما خالطه الكدر؛ ولا يشربون إلا ما صفا من الشراب، ويتجاللون عن المسحوري الدوشاب، إذ هو من شراب العامة والرعاع، وشرب السوقة والأتباع؛ ولا يتنقلون على شرابهم بالأشياء الزذلة مثل الباقلي والبلوط، والبسر المقلو، والقريثاء، والحنطة، والغبيراء، والشاهبلوط، والخرنوب الشامي، وما أشبه من الأنفال.

وأكثر ما يتنقل به المتظرفون، ويعبث به المتزيكون، مملوح البندق، ومقشر الفستق، والملح النفطي، والعود الهندي، والطين الخراساني، والملح." (١)

"لو كان ينطق ذا الكتا ... ب شكا إليك عظيم ما به

وقال آخر:

هذا كتاب فتى شكا سقما ... الف السهاد فشفه سقمه

يبكي عليه جلإون مقلته ... عدد الحروف وقد بكى قلمه

لولا مراقبة العدو ومن ... أضحى من الرقباء يتهمه

لبكى علانية وقال لهم ... برح الخفاء وباح مكتتمه

وقال آخر:

هذا كتابي إليك أشكو ... إن لم تجد لي فما احتيالي

كتبت أشكو إليك ما بي ... مما أقاسي فما تبالي

يا حسن الوجه كن شفيعي ... إليك إن لم أبح بحالي

ما ذكر القلب منك شيئا ... إلا تمثلت لي حيالي

وقال آخر:

هذا كتابي فتى لغيبك حافظ ... صب بذكرك مستهام مدنف

إن غبت آنس طرفه بدموعه ... وإذا أصابك طرفه لم يطرف

وقال آخر:

هذا كتاب أهي هوى مشتاق ... قرح الجفون بدمعه المهراق

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء الوشاء ص/١٧١

أملى هواه على بنان يمينه ... فأبان كيف مصارع العشاق

وكأنه ينبي بما في نفسه ... من طول شوق **واكتئاب** باق." (١)

"قال أريدها قصيرة جميلة فيأتي ولدها فى جمالها وطولى فتزوجها على تلك الصفة فجاء ولدها فى قصرها وقبحه قدم أعرابى من طيء فاحتلب لبنا ثم قعد مع زوجته ينتجعان فقالت له من أنعم عيشا نحن أم بنو مروان قال لها بنو مروان أطيب منا طعاما إلا أنا أردأ منهم كسوة وهم أظهر منا نهارا إلا نحن أظهر منهم ليلا لا تفعلى فإنه وكلة تكلة الأصمعي قال خاصم أعرابى امرأته إلى السلطان فقيل له ما صنعت قال خيرا كبها الله لوجهها ولو أمر بى إلى السجن الأصمعي قال استشارت أعرابية فى رجل تتزوجه فقيل لها لا تفعلى فإنه وكلة تكلة يأكل خلله أى يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل قال أبو حاتم هو الخلالة ووكلة تكلة أى يكل أمره إلى الناس ويتكل عليهم يوم عتاب ويوم **اكتئاب** العتبي قال خطب إلى أعرابى رجل موسر إحدى ابنتيه وكان للخاطب امرأة فقالت الكبرى لا أريده قال أبوها ولم قالت يوم عتاب ويوم **اكتئاب** يبلى فيما بين ذلك الشباب قالت الصغرى زوجنيه قال لها على ما سمعت من أختك." (٢)

"عنان من اللذات قد كان فى يدي فلما قضى الإلف استردت عنانها منحت المها هجري فلا محسناتها أريد ولا يهوى فؤادى حسانها يقولون هل يبكى الفتى لخريدة إذا ما أراد اعتاض عشرا مكانها وهل يستعيض المرء من خمس كفه ولو صاغ من حر اللجين بنانها وقال أعرابي يرثى امرأته فوالله ما أدرى إذا الليل جننى وذكرنيها أينا هو أوجع أمنفصل عنه ثرى أم كريمة أم العاشق النابى به كل مضجع وقال محمود الوراق يرثى جاريته نشو ومنتصح يردد ذكر نشو على عمد ليبعث لى **اكتئابا** اقول وعد ما كانت تساوى سيحسب ذاك من خلق الحسابا عطيته إذا أعطى سرورا وإن أخذ الذى اعطى اثابا فأى النعمتين أعم نفعا وأحسن فى عواقبها إيابا أنعمته التى أهدت سرورا أم الأخرى التى أهدت ثوابا بل الأخرى وإن نزلت بحزن أحق بشكر من صبر احتسابا." (٣)

"أهابك أن أبوح بذات نفسي ... وتركي للعتاب من العتاب

وقال أشجع بن عمرو في هيبة السلطان:

منعت مهابتك النفوس حديثها ... بالشيء تكرهه وإن لم تعلم

ومن الولاة مفخم لا يتقى ... والسيف تقطر شفرتاه من الدم

وقال أيضا لهرون الرشيد:

وعلى عدوك يا بن عم محمد ... رصدان: ضوء الصبح والإضلام

فإذا تنبه رعته، وإذا غفا ... سلت عليه سيوفك الأحلام «١»

وقال الحسن بن هانيء في الهيبة فأفرط:

---

(١) الموشى = الظرف والظرفاء الوشاء ص/٢٠٤

(٢) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار ابن عبد ربه الأندلسي ص/٨٤

(٣) طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار ابن عبد ربه الأندلسي ص/٢١٤

ملك تصور في القلوب مثاله ... فكأنه لم يخل منه مكان

ما تنطوي عنه القلوب بفجرة ... إلا يكلمه بها اللحظان «٢»

حتى الذي في الرحم لم يك صورة ... لفؤاده من خوفه خفقان

فمجاز هذا البيت في إفراطه أن الرجل إذا خاف شيئا أو أحبه أحبه بسمعه وبصره وشعره وبشره ولحمه ودمه وجميع أعضائه، فالنطف التي في الأصلاب داخلة في هذه الجملة.

قال الشاعر:

ألا ترثي لمكتئب ... يحبك لحمه ودمه

وقال المكفوف في آل محمد:

أحبكم حبا على الله أجره ... تضمنه الأحشاء واللحم والدم

ومثل هذا قول الحسن بن هانيء:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه ... لتخافك النطف التي لم تخلق." (١)

"فغمز المأمون الجارية، فقالت له: شبت أبا دلف، إنا لله وإنا إليه راجعون لا عليك! فسكت أبو دلف، فقال له المأمون: أجبها أبا دلف. فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه.

فقال:

تهزأت أن رأت شيبي فقلت لها ... لا تهزئي من يطل عمر به يشب

شيب الرجال لهم زين ومكرمة ... وشيبكن لكن الويل فاكتئبي

فينا لكن وإن شيب بدا أرب ... وليس فيكن بعد الشيب من أرب

وقال محمود الوراق:

وعائب عابني بشيب ... لم يعد لما ألم وقته «١»

فقلت للعائبي بشيبي ... يا عائب الشيب لا بلغته

أنشدني أبو عبد الله الإسكندراني، معلم الإخوة:

ومما زاد في طول اكتئابي ... طلائع شيبتين ألمتا بي

فأما شيبة ففزعت منها ... إلى المقراض من حب التصابي

وأما شيبة فعفوت عنها ... لتشهد بالبراء من الخضاب!

وقال محمود بن مناذر:

لا سلام على الشباب ولا حي ... االإله الشباب من معهود

قد لبست الجديد من كل شيء ... فوجدت الشباب شر جديد

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٧/١

صاحب ما يزال يدعو إلى العي ... ب وما من دعا له برشيد

ولنعم المنيب والوازع الشي ... ب ونعم المفاد للمستفيد «٢»

كبرة السن

قيل لأعرابي قد أخذته كبرة السن: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت تقيدني." (١)

"وهل يستعيض المرء من خمس كفه ... ولو صاغ من حر اللجين بنانها «١»

وقال أعرابي يرثي امرأته:

فو الله ما أدري إذا الليل جنني ... وذكرنيها أينا هو أوجع

أمنفصل عنه ثرى أم كريمة ... أم العاشق النابي به كل مضجع

وقال محمود الوراق يرثي جاريته نشو:

ومنتصح يردد ذكر نشو ... على عمد ليبعث لي اكتئابا

أقول- وعد- ما كانت تساوي ... سيحسب ذاك من خلق الحسابا

عطيته إذا أعطى سرور ... وإن أخذ الذي أعطى أثابا

فأي النعمتين أعم نفعا ... وأحسن في عواقبها إيابا

أنعمته التي أهدت سرورا ... أم الأخرى التي أهدت ثوابا

بل الأخرى وإن نزلت بحزن ... أحق بشكر من صبر احتسابا

محب وجارية له ماتت:

أبو جعفر البغدادي قال: كان لنا جار، وكانت له جارية جميلة، وكان شديد المحبة لها؛ فماتت، فوجد عليها وجدا شديدا، فبينما هو ذات ليلة نائم، إذ أتته الجارية في نومه فأنشدته هذه الأبيات:

جاءت تزور وسادي بعد ما دفنت ... في النوم ألثم خدا زانه الجيد

فقلت قرة عيني قد نعيت لنا ... فكيف ذا وطريق القبر مسدود

قالت هناك عظامي فيه ملحدة ... تنهش منها هوام الأرض والدود «٢»

وهذه النفس قد جاءتك زائرة ... فاقبل زيارة من في القبر ملحود

فانتبه وقد حفظها، وكان يحدث الناس بذلك وينشدهم. فما بقي بعدها إلا أياما يسيرة حتى لحق بها.." (٢)

"فقالت الكبرى: لا أريده! قال أبوها: ولم؟ قالت: يوم عتاب، ويوم اكتئاب، يبلى فيما بين ذلك الشباب! قالت الصغرى: زوجنيه! قال لها: على ما سمعت من أختك؟

قالت: نعم، يوم تزين، ويوم تسمن، وقد تقر فيما بين ذلك الأعين.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٢/٣٦٧

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣/٢٣٦

لأعرابية ترقص طفلا:

الأصمعي قال: رأيت امرأة ترقص طفلا لها، وتقول:

أحبه حب الشحيح ماله ... قد كان ذاق الفقر ثم ناله

إذا أراد بذله بدا له

أعرابية فقدت زوجها:

الأصمعي قال: هلك أعرابي، فأدمنت امرأته البكاء عليه. فقال بعض بنيها:

أتفقدين من أبينا غيره ... أتفقدين نفعه وخيره

أراك ما تبكين إلا أيره

فأمسكت عن البكاء.

أعرابية وأعرابي ينظر إلى ابنتها:

جلس أعرابي إلى أعرابية، فعلمت أنه ما جلس إلا لينظر إلى ابنتها، فأنشأت تقول:

وما نلت منها غير أنك نائك ... بعينيك عينيها وأيرك خائب

الرياشي قال: أنشدني العتبي لأعرابي:

ماذا تظن بسلمى إن ألم بها ... مرجل الرأس ذو بردين مزاح

حلو فكاهته خز عمامته ... في كفه من رقى إبليس مفتاح!

أعرابي وامرأة خطبها:

أبو حاتم عن الأصمعي قال: خطب أعرابي امرأة، فقالت: سل عني بني فلان." (١)

"من شعر ماني

: قال الحسن بن هانيء: لقيت مانيا الموسوس، فأنشدني:

شعر حي أتاك من لفظ ميت ... صار بين الحياة والموت وقفا

قد برت جسمه الحوادث حتى ... كاد عن أعين البرية يخفى

لو تأملتني لتبصر شخصي ... لم تبين من المحاسن حرفا

من شعر جعيفران

: ثم مضيت فأتيت جعيفران الموسوس، وهو شيخ من بني هاشم أرت «١» اللسان، وعليه قيد من فضة، وفي عنقه غل من ذهب؛ فقال لي: من أين دببت يا حسن؟

قلت: من بيت مانويه. فقال: في حرام مانويه. فدعا بدواة وقرطاس، وقال لي:

اكتب.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٦٢/٤

ما غرد الديك ليلا في دجنته ... إلا حثثت إليك السير مجهودا «٢»

ولا هدت كل عين لذ راقدها ... بنومة في لذيذ العيش ممهودا

إلا امتطيت الدجا شوقا إليك ولو ... أصبحت في حلق الأقياد مصفودا «٣»

أسعى مخاطرة بالنفس يا أملي ... والليل مدرع أثوابه السودا

فلم ترق ولم ترث لمكتئب ... زودته حركات القلب تزويدا

هيهات لا غدر في جن ولا بشر ... من الخلائق إلا فيك موجودا

من شعر عدرد

: ثم قال: خرق رقعة مانويه. فخرقتها ثم مضيت، فلقيت عدرد المصاب وحوله الصبيان، وهو يلطم وجهه ويبكي، وينادي: أيها الناس، الفراق مر المذاق! فقلت له: أبا محمد، من أين أقبلت؟ قال: شيعت الحاج. قلت، وما الذي حملك على." (١)

"ضوامرا تحسبهن نقها ... يصدن للعادي بهن ما اشتهى

وما انتهت قط به حتى انتهى ... فكل ما شاءت من الصيد لها

من مختار شعره في الغزل

قال

قل لغصن البان الذي يتثنى ... تحت بدر الدجى وفوق النقا

ليت ليلا على الصراة طويلا ... لليالي في سر من رأى الفدا

أين مسك من حمأة، وبحور ... من بحار، وصفوة من قذا

وقال

لاح له بارق فأرقه ... فبات يرعى النجوم مكتئبا

يطيعه الطرف عند دمعته ... حتى إذا حاول الرقاد أبي

وقال

قد وجدنا غفلة من رقيب ... فسرقنا لحظة من حبيب

ورأينا ثم وجها مليحا ... فوجدنا حجة للذنوب

وقال

وصل الخيال وصد صاحبه ... والحب لا تفنى عجائبه." (٢)

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٩٠/٧

(٢) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم الصولي ص/٢٢٠

"وقد نسيت شرر الكانون ... كأنه نثار ياسمين

ترمى به الجمر إلى الأحداق ... فإن وني قرطس في الآماق

وترك البساط بعد الجده ... ذا نقط سود كجلد الفهده

فقطع المجلس **باكتئاب** ... وذكر حرق النار للثياب

ولم يزل للقوم شغلا شاغلا ... وأصبحت جبابهم مناخلا

حتى إذا ما ارتفعت شمس الضحى ... قيل فلان بن فلان قد أتى

وربما كان ثقيلا يحتشم ... فطول الكلام." (١)

"وراحت بهم أوغدت أينق ... تخب على الأين أو توضع

أتطمع فى العيش بعد الفرا ... ق لبئس لعمرك ما تطمع

ترجى هجوعك من بعدهم ... وأنت من الآن ما تهجع

لعمري لقد قلت يوم الوداع ... وأعلنت قولك لو يسمع

فما عرجوا حين ناديتهم ... ولا آذنوك ولا ودعوا

ألا إن بالغور لى حاجة ... فما يستقر بى المضجع

إذا الليل ألبسني ثوبه ... تقلب فيه فتى موجع

وقال يمدح جعفر بن يحيى، ويسأله أن يشترى له غلاما:

تغيرت المنازل والرباع ... وقيعان الأراكة والتلاع

ديار الحى مالك بعد سلمى ... تعلاك **اكتئاب** واختشاع

أجار بك الزمان ولا امتناع ... لما يجنى الزمان ولا دفاع

ومالك يا طاول ديار سلمى ... جواب مسلمين ولا استماع

أينصرم الزمان ولم تعودى ... إلى دنياك أيتها البقاع

بها بسط الغيوث منورات ... كما نسجت يمانية صناع

إذا نام الخلى فلا منام ... يطيف بمقلتي ولا اضطجاع

وكان العرب يوصل لي سرورا ... ففرقه تناء وانقطاع

فلما أن رأيت الصفو كدرا ... وفي العالي من العيش اتضاع

بعثت العيس تسرع بالفيافي ... قوائمها المقومة السراع

---

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم الصولي ص/٢٥٦

إلي ملك يدين المال منه ... سماح لا يطيف به امتناع

له القدم التى سبقت سواه ... إلى العلياء والشرف البقاع." (١)

"ومستأنف الأيام منها كسالف ... فبالسالف الماضى فقس ما نزاوله «١»

قال ابو بكر: وأنشدنى عون، قال: أنشدنى عبد الله بن احمد بن يوسف لأبيه:

إذا ما التقينا والعيون نواظر ... فألسننا حرب وأعيننا سلم

وتحت استراق اللحظ منا مودة ... تطلع سرا حيث لا يبلغ الوهم

وأنشدنى أيضا لأبيه:

محب شفه ألمه ... وخامر جسمه سقمه

وباح بما يجمجمه ... من الأسرار مكتتمه

أما ترثى لمكتئب ... يحبك لحمه ودمه

يغار على قميصك حي ... ن تلبسه ويتهمه

وقال ايضا:

صحيح تمنى أن يكون به سقم ... ليرحمه بالوصل من شأنه الصرم

فياليت أن الشكو والضر حل بي ... وصح لفضل طول مدته الجسم

وليس بمظلوم إذا ذل عاشق ... بعزة معشوق تغالى به الظلم

وقال ايضا:

كثير هموم النفس حتى كأنما ... عليه جواب السائلين حرام." (٢)

"وقال:

أطوف لست أبلغ ما أريد ... وينزلني الزمان كما يريد

أطول وتقصر الارزاق عني ... كأن الرزق عن طلبي يحيد

أحاول ثروة أسلو اليها ... فيأتيني من الرزق الزهيد

إذا عم البلاد سحاب جود ... أتانى منه هف ما يجود

أروم النوم مكتبئا عميدا ... وكيف ينام مكتئب عميد

عليك اذا طلبت بحسن قصد ... فليس الحرص فى رزق يزيد

قال: وكتبت الى ابن خرداذبه وقد دام المطر بسر من رأى وتأخرت عنه:

لعمرى لئن سر الحيا فى مواطن ... لقد ساءنى أن عاقنى عن لقائكا

---

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ١٠٣/١

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٢٢٧/١

وقد كنت مشغوفا بذاك أريده ... فحال قضاء الله من دون ذلكا

فصف لي فدتك النفس أمرا يسرني ... وأحمد فيه الله من حسن حالكا

وحال أخينا أحسن الله صنعه ... وحال فتانا منعما فى كتابكا

وكتب الى صديق له وجه اليه بتحية منه:

يا ابن الاكارم حقا ... ويا حليف الكرام

ويا أخا الجود وال ... بذل والأيادى الجسام

ويا مجيرا من الد ... هر وافيا بالذمام

ويا أخا الحال إذ ... بعضهم أخو الايام

هذى تحية خل ... أحلى من الانغام

(١٧- اوراق)." (١)

"وقال يفخر

من ذا يقيم دعائم الإسلام ... ويعم بالإفضال والإنعام

فينا النبوة والخلافة حكمنا ... ماض كما شئنا على الأيام

لا ينقض الأعداء مبرم أمرنا ... وبنا تمام النقض والإبرام

أمضى من الأجل المعجل أمرنا ... يأتيك قبل الفكر والأوهام

وقال على قافية النون

حبيب ليس ينصفنى ... ومولى ليس يرحمنى

أمر به فيبعدنى ... وأنصفه فيظلمنى

ولى أمل يلوذ به ... يعنينى ويطمعنى

يضن بوعده فإذا ... أجاب إليه أخلفنى

أما ترثى لمكتئب ... أسير فى يد الحزن

وقال على قافية الهاء

وابأبى من لست أنساه ... ومن على الهجران أهواه

إن واصل النسيان لى فى الهوى ... فاننى واصلت ذكراه

قال الصولى: وشعر الراضى كثير، وقد جئت بالمختار منه وفى بعضه." (٢)

---

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٢٤٩/١

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ١٨٢/٢

"ضوامرا تحسبهن نقها ... يصدن للعادى بهن ما اشتهى

وما انتهت قط به حتى انتهى ... فكل ما شاءت من الصيد لها

ومن مختار شعره فى الغزل

قال

قل لغصن البان الذى يتثنى ... تحت بدر الدجى وفوق النقا

ليت ليلا على الصراة طويلا ... لليالى فى سر من رأى الفدا

أين مسك من حمأة، وبحور ... من بحار، وصفوة من قذا

وقال

لاح له بارق فأرقه ... فبات يرعى النجوم مكتئبا

يطيعه الطرف عند دمعته ... حتى إذا حاول الرقاد أبى

وقال

قد وجدنا غفلة من رقيب ... فسرقنا لحظة من حبيب

ورأينا ثم وجها مليحا ... فوجدنا حجة للذنوب

وقال

وصل الخيال وصد صاحبه ... والحب لا تفنى عجائبه." (١)

"وقد نسيت شرر الكانون ... كأنه نثار ياسمين

ترمى به الجمر إلى الأحداق ... فان وبى قرطس فى الآماق

وترك البساط بعد الجده ... ذا نقط سود كجلد الفهده

فقطع المجلس باكتئاب ... وذكر حرق النار للثياب

ولم يزل للقوم شغلا شاغلا ... وأصبحت جباهم مناخلا

حتى إذا ما ارتفعث شمس الضحى ... قيل فلان بن فلان قد أتى

وربما كان ثقيلا يحتشم ... فطول الكلام حينا وختم

ورفع الريحان والنبيذ ... وزال عنك عبثك اللذيذ

ولست فى طول النهار آمنا ... من حادث لم يك قبل كائنا

أو خبر يكره أو كتاب ... يقطع طول اللهو والشراب

واسمع إلى مثالب الصبوح ... فى الصيف قبل الطائر الصدوح

جين حلا النوم وطاب المضجع ... وانكسر الحر ولذ المهجع

---

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٣/٢٢٠

وانهزم البق وكن وقعا ... على الدماء كيف شئن شرعا

من بعد ما قد أكلوا الأجسادا ... وطيروا عن الورى الرقادا

فقرب الزاد إلى نيام ... ألسنهم ثقيلة الكلام." (١)

"مطلقا، وللفرس أحوال يمتنع بها من أن ينتصب كل نصبة، ومع ذلك فإن هذا الشاعر إنما وصف الجهات التي يراها الإنسان من الفرس إذا كان على بسيط الأرض، وكان الرجل قائما أو قاعدا، إذ كانت هذه الحال هي التي يرى الإنسان عليها الخيل في أكثر الأمر، فأما مثل أن يكون الإنسان في علية فيرى من الفرس متنه فقط، أو أن يكون نائما فيرى بطنه فقط، فما أبعد ما يقع ذلك، ولم يقصده الشاعر ولا له وجه في أن يقصده، إذ كان ليس في ما يعرف ويعهد من النظر إلى الخيل إلا ما ذكره، وهو أن تستقبل أو تستدبر أو تستعرض من أحد الجانبين.

ومثال في هذا الباب أيضا قول أبي زبيد الطائي:

يا أسم صبرا على ما كان من حدث ... إن الحوادث ملقى ومنتظر

فليس في الحوادث إلا أن تكون قد لقيت، أو ينتظر لقيها. ومن أنواع المعاني وأجناسها أيضا

صحة المقابلات.

صحة المقابلات

وهي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض، أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطا، ويعدد أحوالا في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالف بأضداد ذلك، كما قال بعضهم:

فواعجبا كيف اتفقنا فناصح ... وفي، ومطوي على الغل غادر

فقد أتى بإزاء كل ما وصفه من نفسه بما يضاده على الحقيقة ممن عاتبه، حيث قال بإزاء ناصح: مطوى على الغل وبإزاء وفي: غادر.

ومثل قول الآخر:

تقاصرن واحلولين لي ثم إنه ... أتت بعد أيام طوال أمرت

فقابل القصر والحلاوة: بالطول والمرارة.

ومثله قول الآخر:

وإذا حديث ساءني لم أكتئب ... وإذا حديث سرني لم آشر

فقد جعل بإزاء سرني: ساءني، وبإزاء **الاكتئاب**: الأشر، وهذه المعاني في غاية صحة التقابل، ومثل قول عقيل بن حجاج:

---

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٣/٢٥٦

تستن في حيث لم تبعد مصعدة ... ولم تصوب إلى أدنى مهاويها

فجعل بإزاء قوله: تبعد مصعدة: أدنى مهاويها، ولو جعل بإزاء الإبعاد في الصعود:." (١)

"ما لا يدري أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه واتكل على خالق السماء لأتحفه المولى جل وعز بإدراك ما لا يسعى فيه والظفر بما لو سعى فيه وهو حريص عسى لتعذر عليه وجوده

وأنشدني علي بن محمد البسامي ... ألا رب باغ حاجة لا ينالها ... وآخر قد تقضى له وهو آيس

يحاولها هذا وتقضى لغيره ... وتأتي الذي تقضى له وهو جالس ...

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش ... وكم من أكلة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر

وكم من طالب يسعى لشيء ... وفيه هلاكه لو كان يدري ...

قال أبو حاتم رضي الله عنه الحرص علامة الفقر كما أن البخل جلباب المسكنة والبخل لقاح الحرص كما أن الحمية لقاح الجهل والمنع أخو الحرص كما أن الأنفة توأم السفه وأنشدني عمر بن محمد قال أنشدني الغلابي ... لا تأتين نذالة لمنالة ... فليأتينك رزقك المقدور

واعلم بأنك آخذ كل الذي ... لك في الكتاب محبر مسطور

والله ما زاد امرءا في رزقه ... حرص ولا أزرى به التقصير ...

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي ... وارض من العيش في الدنيا بأيسره ... ولا ترومن ما إن رمته صعبا

إن الغني هو الراضي بعيشته ... لا من يظل على ما فات مكتئبا ...

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عبد الله بن يحيى بن حميد الطويل حدثنا أبو عبد الرحمن العتبي حدثني أبي قال اختصمت بنو إسرائيل في القدر خمسمائة عام ثم تحاكموا إلى عالم من علمائهم فقالوا له أخبرنا عن القدر وقصر وبين لتفهمه عنك العوام فقال حرمان عاقل وحظ جاهل

قال أبو حاتم رضي الله عنه لاحظ في الراحة لمن أطاع الحرص إذ الحرص." (٢)

"أبا الوليد أما والله لو عملت ... فيك الشمول لما فارقتها أبدا

ولا نسيت حمياها ولذتها ... ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

وحدثني جحظة، قال: حدثني حماد بن إسحاق الموصلى، قال: حدثني أبي، قال: كتبت إلى زهراء الأعرابية، وقد غابت عني كتابا فيه:

---

(١) نقد الشعر قدامة بن جعفر ص/٤٧

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ابن حبان ص/١٣١

وجدي بجمل على أني أجمجمه ... وجد السقيم ببرء بعد إدناف

أو وجد ثكلي أصاب الموت واخدها ... أو وجد منشعب من بين آلاف

فكتبت إليها:

أما أويت لمن قد بات **مكتئبا** ... يذرى مدامعه سحا وتوكافا

اقر السلام على الزهراء إذ شحطت ... وقل لها قد أذقت القلب ما خافا

فما وجدت على إلف أفارقه ... وجدي عليك وقد فارقت ألافا

وأنشدنا الأخفش:

أقول لصاحبي بأرض نجد ... وجد مسيرنا ودنا الطروق

أرى قلبي سينقطع اشتياقا ... وأحزانا وما انقطع الطريق

وأنشدنا جحظة، عن حماد، عن أبيه:

طربت إلى الأصيبية الصغار ... وهاجك منهم قرب المزار

وأبرح ما يكون الشوق يوما ... إذا دنت الديار من الديار

وقرأت على أبي بكر لطفيل الغنوى:

أناس إذا ما أنكر الكلب أهله ... حموا جارهم من كل شنعاء مضلع

قال: ويروى: مفظع.

قوله أنكر الكلب أهله، أى إذا لبسوا السلاح وتقنعوا لم يعرف الكلب أهله

وحدثني بعض شيوخنا أن ابن حبيب قال: إذا ما غزوا فصار معهم أعدائهم في ديارهم فتواثبوا." (١)

"يؤرقني **اكتئاب** أبي نمير ... فقلبي من كآبته كئيب

فقلت هداك الله مهلا ... وخير القول ذو اللب المصيب

عسى الكرب الذى أمسيت ... فيه يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفك عان ... ويأتي أهله النائى الغريب

ألا ليت الرياح مسخرات ... بحاجتنا تباكر أو تؤوب

فتخبرنا الشمال إذا أتتنا ... وتخبر أهلنا عنا الجنوب

فإنا قد حللنا دار بلوى ... فتخطئنا المنايا أو تصيب

فإن يك صدر هذا اليوم ولى ... فإن غدا لناظره قريب

وقد علمت سليمى أن عودى ... على الحدثان ذو أيد صليب

وأن خليقتى كرم وأني ... إذا أبدت نواجذها الحروب

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ١/٥٥

أعين على مكارمها وأغشى ... مكارهها إذا كع الهيوب
وقد أبقى الحوادث منك ركنا ... صليبا ما تؤيسه الخطوب
على أن المنية قد توافى ... لوقت والنوائب قد تنوب
: قوله: تؤيسه: تؤثر فيه، قال الملتمس:
ألم تر أن الجون أصبح راسيا ... تطيف به الأيام ما يتأيس
وقال الطريف العنبري:
إن قناتى لنبع ما يؤيسها ... عض الثقاف ولا دهن ولا نار

مطلب ما وقع من المفاخرة بين طريف بن العاصي والحارث بن ذبيان عند بعضهم مقاول حمير وشرح غريب ذلك
وحدثنا أبو بكر بن دريد، رحمه الله، تعالى، قال: أخبرني عمى، عن أبيه، عن ابن الكلبى، عن أبيه، قال: اجتمع طريف بن العاصى الدوسى، وهو جد طفيل ذى النورين بن عمرو بن طريف، والحارث ابن ذبيان بن لجا بن منهب، وهو أحد المعمرين، عند بعض مقاول حمير، فتفاخرا، فقال الملك للحارث: يا حارث، ألا تخبرنى بالسبب الذى أخرجكم عن قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان؟ فقال:." (١)
"ابن المعتز:
إذا كظ الفرات بماء مد ... أغص به حلاقم كل نهر
وقوله في ماء المد عجيب:
أما ترى المد قد ... أتاك بماء مصندل
وهذا من فوارد شعره كقوله:
تميل من سكرات النوم قامته ... كمثل ماش على دف بتخنيث
وكقوله:
وكأن السقاة بين الندامى ... ألفات بين السطور قيام
وكقوله:
والبدر يأخذه غيم ويتركه ... كأنه سافر عن خد ملطوم
وكقوله:
في قمر مسترق نصفه ... كأنه مجرفة العطر
آخر:
وجدول كالحسام لاح على ... جلدة وشي لماعة الذهب

---

(١) أمالي القالي أبو علي القالي ٧٢/١

كأنه والمدود تتبعه ... سلخ حباب من كثرة الحبب

ابن المعتز:

وروضة كأنها ... جلد سماء عاريه

كأنما أنهارها ... بماء ورد جاريه

آخر:

وكأن درعا مفزعا من فضة ... ماء الغدير جرت عليه شمأل

وعلى ذكر المياه وقرارتها أحسن الصنوبري في صفة البركة:

يا حسنها من بركة أفردت ... بالحسن إحسانا من الواهب

كأنما الأعين في قعرها ... راسبة إثر القذى الراسب

بين بساتين ميادينها ... من سارق للب أو غاصب

ما بين مصبوغ بلا صابغ ... وبين مخضوب بلا خاضب

وجدول ينسل من جدول ... مثل انسلال المرهف القاضب

والطير من مستبشر ضاحك ... فيه ومن **مكتئب** نادب

وصادح أنسا إلى حاضر ... وهاتف شوقا إلى غائب

وله أيضا في البركة والفوارة:

وبركة منظرها يطرب ... للماء فيها ألسن تعرب

تحسبها من طول ترجيعها ... دائمة تنشد أو تخطب

كأن فواراتها وسطها ... إذا ترامت لعب تلعب

من يمنة فيها ومن يسرة ... قنطرة واقفة تذهب

علي بن الجهم:

صحون تسافر فيا العيون ... وتحسر من بعد أقطارها

إذا أوقدت نارها بالعرا ... ق أضاء الحجاز سنا نارها

وقبة ملك كأن النجو ... م تصغي إليها بأسرارها

وفوارة ثأرها في السما ... ء فليست تقصر عن ثارها

ترد على المزن ما أنزلت ... على الأرض من صوب أقطارها

لها شرفات كأن الربي ... ع كساها الرياض بأنوارها

فهن كمصطبحات خرج ... ن لفصح النصارى وإفطارها

فمن بين عاقصة شعرها ... ومصلحة عقد زنارها

الباب الخامس

جري الماء بين الخضر

أبو فراس وأحسن في تشبيهه:

والماء يفصل بين زه ... ر الروض في الشطين فصلا

كبساط وشي جردت ... أيدي القيون عليه نصلا

آخر:

كلبسك خفتان وشي بدا ... بياض الغلالة من شرجه

آخر:

وجدول كالمبرد المجلي ... على رياض وثرى ثري

الناجم:

انظر إلى الروض الذك ... ي فحسنه للعين قره

وكأن خضرته السما ... ء ونهره فيها المجره

النامي:

وكأنما الروض السماء وزهره ... فيها المجرة والكؤوس الأنجم

أبو فراس:

وكأنما الغدر الملاء تحفها ... أنواع ذاك الروض والزهر

بسط من الديباج بيض فروزت ... أطرافها بفراوز خضر

الباب السادس

تفتح الأنوار والأكمة

لبعضهم:

أكمة نوار تبدت كأنها ... صمامات وشي حرة البطن والظهر

ودائع للنيروز فيها كنينة ... من الفضة البيضاء أو خالص التبر

كما زرت الحسناء فضل جيوبها ... على الدر والمرجان في واضح النحر

المعوج:

حقاق من النوار مزرورة العرا ... على قطع الياقوت واللؤلؤ الغض

فهن على الأغصان أجفان فضة ... وبالأمس كانت مطبقات على الغمض

البحتري:

وقد نبه النيروز في غلس الدجى ... أوائل ورد كن بالأمس نوما." (١)

"وانفتحت المغلقة، أو رأى أن يغلق أمرا مفتوحا إذا كان الصواب موجبا ذاك عنده؛ فالرأي على الأحوال كلها أزهر مسفر، والوجه على الأحوال كلها أبيض، وليس يريد أبيض في لونه.

والعاجز إذا ورد عليه الأمر يبهظه تبينت الكآبة في وجهه؛ ولله در منصور النمري حيث يقول:

ترى ساكن الأوصال باسط وجهه ... يريك الهوينا، والأمور تطير

فقال " ساكن الأوصال باسط وجهه " فدل على قلة اكتراثه بالأمور التي ترد عليه، وقول أبي تمام " بوجه أربد " لا معنى له؛ لأنه من صفات الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه، وو عندي في ذلك غالط، وفي ذلك مسيء.

٣٢ - ومن خطائه قوله يذكر سير الإبل:

كالأرحبي المذكى سيره المرطى ... والوخد والملع والتقريب والخبب

فالأرحبي من الإبل: منسوب إلى أرحب، حي من همدان تنسب إليهم النجائب،." (٢)

"ومن جيد هذا الباب قول البحتري:

عرجوا فالدموع أن أبك في البد ... ع دموعي، والاكتئاب اكتئابي (١)

وكمثل الأحباب لو يعلم العا ... ذل عندي منازل الأحباب

وهذا نحو قول امرىء القيس:

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فجعل البكاء للحبيب والمنزل جميعا

ولا تزيد زيادة في لوم الأصحاب على حسن قول كثير:

يقول خليلي: سر بنا أي موقف ... وقفت، وجهل بالحليم المعمم

تلوم ولم تعلم بأسرار خلة ... فتعذر إلا عن حديث مرجم

فإن كنت لم أجهل فقد لمت ظالما ... وإن كنت قد أزرى بي الجهل فاحلم (٢)

أراد أي موقف هذا الذي وقفته، يقول لي الأحباب: سر أي موقف، كأنه يحكي إنكار صاحبه عليه الوقوف.." (٣)

"وعلى هذا المعنى حذا البحتري قوله:

عرجوا فالدموع إن أبك في الربـ ... ـع دموعي والاكتئاب اكتئابي (١)

وكمثل الأحباب لو يعلم العا ... ذل عندي منازل الأحباب

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب السري الرفاء ص/٧٩

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٢٣٧/١

(٣) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٥٦٢/١

وكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروءة وكرم العهد، ولذلك قال أبو تمام:

أمواقف الفتيان تطوى لم تزر ... شرفا، ولم تندب لهن صعيدا (٢)

أذكرتنا الملك المضلل في الهوى ... والأعشيين وطرفة ولبيدا (٣)

حلوا بها عقد النسيب ونمنموا ... من وشيها رجزا بها وقصيدا (٤)

قوله: «لم تزر شرفا» يريد ارتفاعا، «ولم تندب لهن صعيدا» أراد انخفاضا وهبوطا فلم يستقم له ذاك فقال: «صعيدا» لأن الصعيد التراب.

وهو يكون في أغواط الأرض، وما اطمأن منها أكثر منه فيما علا وارتفع.

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله:

«ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين»." (١)

"أي يصير الحب جنونا، وهذا كقول أبي تمام:

* أسارت في عقله لمما (١) *

وقال: عاد للصب شجوه واكتئابه ... ببعاد الذي يراد اقترابه (٢)

وقال أيضا:

أصدود غلا بها أم دلال ... يوم زمت برامة الأجمال (٣)

وهذه كلها ابتداآت جياد، حسان، مختارة المعاني.

وقال أبو تمام:

يوم الفراق لقد خلقت طويلا ... لم تبق لي جلدا، ولا معقولا (٤)

فجعل يوم الفراق طويلا.

... وقال البحتري كأنه يرد هذا المعنى (٥) على أبي تمام، وينسب يوم الفراق غلى القصر، وذكر العلة في ذلك فقال:

ولقد تأملت الفراق فلم أجد ... يوم الفراق على امريء بطويل (٦)

قصرت مسافته على متزود ... منه لدهر صبابة وعويل

وهذه إنما هي حال من كان محبوبه محجوبا منه، ورؤيته متعذرة عليه قبل يوم الفراق.." (٢)

"سأبكي حصينا ما تغنى حمائم ... وأبكي حصينا والحمائم هجد

لقد هدموا قدرا جماعا وجفنة ... بوارى سديف الشول كانت تشيد

وقد عاش محمودا وأصبح فقده ... على الأقربين والعدى وهو أنكد

أبو العالية:

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٥٦٦/١

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ١٤/٢

صبرت ولم أبد اكتئابا ولا ترى ... أخا جزع إلا يصير إلى الصبر

وإني وإن أبديت صبرا لمنطو ... على حر أحزان أحر من الجمر

وأملك من عيني الدموع وربما ... تبادر عاص من سوابقها يجري

تمثل قتيبة بن مسلم حين أتاه موت الحجاج بقول الحطيئة:

لعمري لنعم المرء من آل جعفر ... بحوران أمسى ألقته الحبائل

لقد فقدوا عزما جليلا وسؤددا ... وحلما أصيلا خالفته المجاهل

إذا عشت لم أملل حياتي وإن تمت ... فما في حياة بعد موتك طائل

وما كان بيني لو لقيتك سالما ... وبين الغنى إلا ليال قلائل

طفيل بن عوف الغنوي يرثي زرعة بن عمرو بن الصعق:

فلم أر هالكا من أهل نجد ... كزرعة يوم قام به النواعي

أعز رزية وأجل فقدا ... على المولى وأفضل في المساعي

وأعزز نائلا لمن اعتفاه ... وأصبر في اللقاء على المصاع

وأقول للتي نبذت بينها ... وقد رأت السوابق لا تراعي

فلا وقافة والخيل تردي ... ولا خال كأنبوب اليراع

شهاب يستضاء به إذا ما ... دجا الإظلام أوقد باليفاع

زينب بنت الطثرية ترثي أخاها يزيد:

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله

فتى قد قد السيف لا متضائل ... ولا رهل لباته وبآدله

فتى لا يرى خرق القميص بخصره ... ولكنما توهي القميص حمائله

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبه يوما دما فهو آكله." (١)

"لم أنس ةالله سؤل قلبي ... إذ سارت العين بالقباب

إذا قلت وصلي حياة قلبي ... والدمع ينهل بانسكاب

فقال والله إن قربي ... منك لمن أعظم المصاب

فهل رسول إليك مني ... يخبر عن سرعة الإياب

فقلت قد قال لي فؤادي ... مثلك من مات باكتئاب

لا قرار لمستهام كئيب ... فجعته النوى ببين حبيب

بأبي من أذاب قلبي وجسمي ... ورماني منه بسهم مصيب

---

(١) حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين الخالديان /

يا بديع التم الذي هو بدر ... فوق غصن مركب في كثيب

ليس لي يا معذبي خلف منك فجد بالرضا لصب كئيب

أيها المانعي منامي أبن لي ... هل لسقمي يا سيدي من طبيب

قد رثى لي بنو تميم وقالوا ... كلنا ناصر لكل غريب

فبحق النبي يا ابن الكريمين ... أجرني من قول واش كذوب

كيف تنسى قولي بوادي شعيب ... ودموعي تجري بسح سكوب

يا غزالا أطال سقمي ورعبي ... كن مجبري من الضنا والشحوب

فعذولي لا حاطه الله بيدي ... سرورا بلوعتي والكروب

يا عزيزا أبقاه ربي عزيزا ... إن هجري لمن عظيم الذنوب

(الناسخ الأشرفي)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على أشرف الخلق سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فيقول الفقير إلى رحمة ربه الوفي، محمد بن خاص بك الأشرفي، عامله الله بلطفه الخفي، أني وقفت على كتبي فاطلعت فيها على الكتاب المنسوب تأليفه للشيخ الإمام العالم العلامة محمد بن أحمد بن عبد المغيث التميمي الدارمي الكاتب المسمى كتابه بالتحف والظرف فوجدته مشتملا على صور وتماثيل من الطيور والوحوش والأشعار الموحشة لبعض تفسير آيات من القرآن الشريف ولبعض من الأحاديث الشريفة، والآثار المنيفة والمواعظ الرقيقة والحكم الأنيقة والطب اللطيف والنكت الدقيقة، مؤرخ كتاب النسخة المذكورة في ثامن ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وكتب كاتب النسخة المذكورة أنه علقها من نسخة داثرة تاريخ كتابتها شهر رجب سنة ثمان وسبعين وثلثمائة، واطلعت على نسخة أخرى ذكر مالكها أنها من خزائن بني رسول ملوك اليمن منسوب تأليفها للمؤلف المشار إليه، مشتملة على الأشعار المتضمنة لما ذكر خلا الطيور والوحوش والأشعار المشجرة، ثم أني قابلت نسختي المذكورة على النسخة الأخرى فتوافقتا في ست وثلاثين شعرا واختلفتا فيما عدا ذلك فكان ما وجد في النسخة المنسوبة لنا زيادة على ما اتفقتا عليه مائة شعر واثني عشر شعرا، وما وجد في النسخة الأخرى زيادة على ما اتفقتا عليه مائة شعر وعشرة أشعاره، جملة ذلك مائة شعر وثمانية وخمسون شعرا، وما وجد في نسختنا من الأشعار المشجرة ثمانية عشر شعرا، ومن الأشعار المكسورة المبسوطة ستة عشر شعرا، ورأيت ما ضمن من الأشعار في النسختين المذكورتين من التفسير والحديث والأثر والمواعظ والحكم والطب والنكت مفرقا غير مرتب، فجردت من كل شعر ما فيه من التفسير والحديث وغيره وضممته إلى أخيه، وجعلت ذلك سبعة أبواب، ليسهل على الناظر في هذا الكتاب ما يشكل عليه مما يقرأ في باطن الشعر بالحمرة، الباب الأول

في تفسير بعض آيات من القرآن العظيم، الباب الثاني: فيما ورد من الحديث الشريف، الباب الثالث: فيما ورد من الأثر المنيف، الباب الرابع: في المواعظ الرقيقة، الباب الخامس: في الحكم الأنيقة، الباب السادس: في الطب اللطيف، الباب السابع: في النكت الدقيقة، والله سبحانه تبارك وتعالى أعلم.

الباب الأول

في تفسير بعض آيات من القرآن العظيم

- قوله تعالى: أن بيوتنا عورة، أي خالية - قوله عز وجل: على حين غفلة من أهلها، قال: نصف النهار - وعنت الوجوه: أي ذلت - والله فضل بعضكم على بعض في الرزق، يعني السادة على المماليك - ولا تمش في الأرض مرحا، أي بالفخر والتيه - يدنين عليهن من جلابيبهن، أي يلبسن الأردية - قوله عز وجل: ثم ذهب إلى أهله يتمطى، قال: يتبختر - أيكم أحسن عملا، أي عقلا - ادفع بالتي هي أحسن، أي سلم عليه إذا لقيته - فانظر إلى أثر رحمة الله، يعني آثار المطر - كيف مد الظل: امتداده ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس - من كل زوج كريم، أي من كل جنس حسن - عن الصراط بناكبون، أي عادلون." (١)

"- سرق لرجل دراهم فقيل له: احمد الله فإنها في ميزانك، فقال: مع الميزان سرقت.

- كسوة الخادم تكبت العدو.

- قال بعض الأعراب: من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفي من الظمأ.

- دعا رجل جارية له تخرج شوكة من رجله، فلما حركتها بالإبرة ضرط فقال لها: رأيتها، فقالت: لا ولكن سمعت صوتها.

- اشترى رجل غلاما، فقيل له: إنه يبول في الفراش، فقال: إن وجد فراشا فليبل.

قد زال حين هجرت عني رقادي ... أواه فؤادي ما أشد ما بي

يا جمل تأكل فرط ولوبية ... بحب صبي تربيه وله بيه

- قال رجل لأبي الدرداء: فلان يقريك السلام فقال: هدية حسنة ومحمل خفيف.

- قال رجل وددت أن الله لم يخلقني وأني محموم سنة.

- لقد شئت بقلبي لا خفف الله عنه، كم لمته في هواه فقال: لا بد منه.

- قيل لرجل مات فلان فجأة فقال: هذه موتة نهى النبي صلى الله عليه عنها.

- لا والله يا أخي سقرهم باشللة شلل شلل له، جيت أعقله فقر نقزبي

سلي عائداتي كيف أبصرن لوعتي ... فإن كن قد حابينني فأسألي الناسا

فإن لم يقولوا مات أو هو ميت ... وإلا فزيديني هموما ووسواسا

- دخل لص منزل قوم فلم يجد إلا دواة، فكتب على الحائط: عز علي فقركم وعناي.

- وقف سائل على باب فقال: يا أهل الدار، دار الصالحين، فقال له من بالداخل: قد تحولوا.

- قيل لمزيد: كيف ضيفك؟ فقال: أسوأ الناس حالا، هو منقطع إلي وأنا منقطع بي.

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٢

– ولما انتهينا من جمع ما رقم بالحمرة في باطن الشعر في الترتيب المتقدم، قصدنا جمع الأشعار المضمنة الآتي ذكرها المنشورة في النسختين المذكورتين، كل فن إلى فنه على حكم الأبواب السابقة فجعلناها سبعة أبواب.

الباب الأول

الأشعار المضمنة لتفسير بعض آيات من القرآن العظيم

أجرني من الهجران يا أكرم الورى ... ففي كبدي منه حذار النوى شرر

منعت الهوى من أن يزور بيوتنا ... فليس البقا في غير ذكرك والسمر

فإن كنت ممن يبتغي ذكر عورة ... فلا تلق يا سؤلي رسولي بالضجر

لقد قل يا سؤلي عزائي فليس لي ... عزاء وهل صبر لمن عيشه كدر

رأيت ديار الصبر منه بلاقعا ... وخالية ما منه فيها له أثر

ومن ذلك:

صادني قوله إليك متابي ... من ذنوب قد أحصيت في الكتاب

قلت هذا عزيز قوم كرام ... ليس يرضى بذلتي **واكتئابي**

فبلاي فيه موثق وبقلبي ... وجل وهو غافل عن مصابي

فتثنى زهوا علي ونادى ... يقبح اليوم بالشيوخ التصابي

ما عليه لو كان حين رآني ... باكيا لورثي لطول انتحابي

هو عني في غفلة ودموعي ... لبلائي سريعة الإنسكاب

هو خلو من الغرام الذي بي ... وفؤادي في زفرة والتهاب

وأرى الدار أهلها كل يوم ... في أمور لكثرة الارتياب

حبذا اليوم من إذا قلت زرنا ... قال لي في غداة يوم الحساب

أشتهي أن أراه من أنصف الناس في هجره شديد العقاب

أقطع الليل والنهار بحزن+ ... دائم ما أرى له من ذهاب

ومن ذلك:

أما والهوى إني لصب متيم ... وإن دموعي عن غرامي تترجم

لقد أعنت العذال قلبي بعذلهم ... فخدي لما ألقى بدمعي مكلم

وقد كحلت تلك الوجوه وإنني ... لأعلم أن الحب بالحب أعلم

فيا عادلي أما عزاي فبائن ... وأما غرامي فهو عندي مخيم

وقد والهوى ذلت نفوس ذوي الهوى ... ودع لومهم فاللائم الصب ألوم

ومن ذلك:

والله يا من أطال عتبي ... إني لصب بغير صب

يا أفضل الناس دع ملامي ... فيمن جفاني بغير ذنبي

هل بعضكم كاشف غرامي ... يا قوم أو دافع لكرب

ماذا على من أطال لومي ... في رفعه لو قضيت نحبي

شكوت بعض الذي بقلبي ... فرحت فضوا بغير قلب

قد كنت في لذة وأمن ... حتى نأى الحب بعد قربي

من طلب الرزق من حبيب ... جاف ولاسيما كحبي

من كان يعنى بلومه لي ... نصحا فذاك المريد سبي

يا أيها السادة استعيذوا ... بالله من باخل بطبي

مالي على قاتلي معين ... سوى رجائي له وحسبي." (١)

"هي عندي عظيمة القدر لكن ... ما رضاها يا عذولي غير ذلي

ومن ذلك:

قد سرني قوله للعاذلين قفوا ... عن الملام فمالي عنه منصرف

قد والذين أذاقوني مودتهم ... حتى إذا أنقذوني في الهوى صدفوا

عجبت إذ يمكرون السوء بينهم ... عواذلي ودموعي سحة ذرفوا

إن قلت لومي فعل السيآت فلا ... يلحونني لم يبالوه ولم يخفوا

لما شكوت إلى مولاي مسكنتي ... قال التذلل في حكم الهوى شرف

حتى متى أنا في هم أكابده ... ومن أؤمله من شأنه الصلف

لما أقول وأصحاب صدق فمنها الضر والنحف

إن السماح بما أرجوه يا أملي ... هو الرباح وأهل الفضل قد عرفوا

ومن ذلك:

حتى م يا لائمي أشكو ضنا بدني ... إلى الذي صادني بالفنج والترف

يا عاذلي لو ترى ذلي ومسكنتي ... ومقلتي برة بالأدمع الذرف

كأن فيها سحابا فهي تسعدها ... بالسح حزنا على من تاه بالهيف

عوجا على دنف طال العذاب به ... يا عاذلاه فقد أشقى على التلف

أبكي ولا غرو أن أبكي على كبد ... فصدعت عنه بين التائه الصلف

هذا متاع قليل عيش مكتئب ... أضحى لشدة ما يلقى على جرف

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٧

يقول سؤلي ألا مت هائما دنفا ... إذا شكوت الذي ألقى من الدنف

إني لأشفق من حزن النبات على ... من يستطيل على المسكين بالشرف

ومن ذلك:

أتحمل توبيخ الحزين المتيم ... على قوله قد ذاب جسمي وأعظمي

أم ولا والله جئت بزلة ... فما عذر من يحتال في قتل مسلم

ولي سيد ما فيه عيب لعائب ... تعلقته بين الحطيم وزمزم

يماطلني والمطل فيه عقوبة ... لكل حزين مدنف القلب مغرم

يعنفني في حبه كل لائم ... وما أنا من يصغي إلى لوم لومي

أما والذي حاز الملاحة والذي ... به فتن الحجاج في كل موسم

لقد هجر الصبر الجميل فهجره ... فيه الردى من ظالم متظلم

إذا قلت أين الصفح عن متذلل ... يقول تراه بعد طول التندم

أقول له فاصفح هديت تكرما ... فأنت حقيق سيدي بالتكرم

الباب الثاني

في الأشعار المتضمنة للحديث الشريف

فمن ذلك:

البخل عار فلا تبخل على الدنف ... بالوصل يا قاتلي بالذل والهيف

يا من جفاني بلا ذنب أجر كبدي ... من فتك طرفك بي بالفتح والوطف

يكون أدوى من الهجران يا أملي ... لمدنف قد بكى بالأدمع الدرف

حتى متى أشتكي دائي وأكتمه ... مما رماني بالشنآن والشنف

أعاذه الله من أي ومن كمدي ... ولا لقى مثل ما ألقى من الدنف

لا زلت أبكي عليه ما بدا قمر ... للناظرين ولاح النجم بالشدف

قد يشهد الله فيه أني ممتحن ... وليس يرجع عن تيه ولا صلف

يظن وصلي حراما فهو يهجرني ... ويجعل القرب مني أكبر الجنف

لا، وأخذ الله عذالي فلو علموا ... لمحنتي لأقاموه على جرف

فهل رسول إلى مولاي يخبره ... بأن قلبي قد أشفى على التلف

من قال أن الهوى يحلو لذائقه ... فزاده الله ضرا ومن يخف

ومن ذلك:

من يرحم الجسم الضعيف الذي ... أنهكه حب الغزال الفرير

يا أيها المؤمن كن راحمي ... فليس لي يا سيدي من مجير

يا قوم هل من كاشف بعض ما ... لقيت في حب الهلال المنير

والله والله لفي مهجتي ... مما أقاسيه كحر السعير

أشكو إلى الله غرامي وما ... يظهر من وجدي بفرط الزفير

فيا أحب الناس جد لي بما ... أرجوه فالهجر لمثلي نكير

قد ذهبت مني القوى لي ... فالهجر يا مولاي قصد الظهور

من شيمة المؤمن جودا على ... كل ضعيف مسيكين فقير

يا من عليه أدمعي سحة ... كديمة في يوم غيم مطير

قد علم الله وحسبي به ... بأنني ما لسقامي نظير

يا من رأى وصلي حراما أما ... ترغب في الأجر مجير الكسير

أشكو إلى الله ضنى مهجتي ... وأنه يا قوم نعم النصير

ما لي رسول ناصح مشفق ... يخبره أني به مستجير

من قال أن الحب حلو فقد ... أتى بزور ومقال غرير

ومن ذلك:." (١)

"فالرجل المؤمن الذي لا ... يرى ملامي من الصواب

هل ينبغي لوم مستهام ... إذ قطع الليل بانتحاب

لو كان من لامني سفاها ... يخاف من شدة العقاب

رأى ملامي عليه إثما ... وكف عن كثرة العتاب

لا أنس والله سؤل قلبي ... إذ سارت العيس بالقباب

إذا قلت وصلي حياة روحي ... والدمع ينهل بأنسكاب

فقال والله إن قربي ... منك لمن أعظم المصاب

فهل رسول أتاك مني ... يخبر عن سرعة الإياب

فقلت قد قال لي فؤادي ... مثلك من مات باكتئاب

ومن ذلك:

قلت لمن قال دع هواها ... جهلا بما بي من الغرام

كيف وقد جاءني رسول ... ولم يكن ذاك في اكتتام

يقول والله إن سلمى ... توعدك الوصل بالحسام

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/١٠

فقلت إن أنعمت بوصل ... ففيه برؤ من السقام

أشكو إلى الله ضر قلبي ... من عاذل لام في هيامي

ولو رأى من عليه أبكي ... لكف يا قوم عن ملامي

يا لائمي لا تلم كئيبا ... آذن الصبر بانصرام

أي حليم بلي ببين ... لم يذرف الدمع بانسجام

ومن ذلك:

ألام في عشق بدر تم ... قد فضح الغصن بالقوام

ذو غنج قد زها بصدع ... معقرب تحت خط لام

تجرحه عثرة التمني ... إن طمع الصب باللثام

مالي مجير ولا نصير ... وهل مجير لمستهام

يا أيها الناس هل حكيم ... يزهد في البذل للسلام

وهل جميل ألام لما ... قلت أحسن جفا الأنام

ذو أدب قد أطاع قوما ... لاموا ولم أصغ للملام

تجربة الصبر يا عذولي ... تورد قلبي إلى الحمام

ومن ذلك:

قال ودمعي ممطر خدي ... من خده في صبغة الورد

أي رسول جائني مخبر ... عنك بما نلقى من الوجد

فقلت قد الله شاع الذي ... ألقاه في غور وفي نجد

فجد بوصلي يا مداهمتي ... حسبي من الإعراض والصد

مولاي قد والله روعتني ... وسوفتني بالخلف للوعد

يا سيدا طال عليه البكا ... يا مخجل الأغصان بالقد

يا من أذاب القلب كن راحمي ... فإنني في ذلة العبد

يا صلح أحوالي إذا زارني ... طيفك بعد الهجر والبعد

يا من أذاب القلب كن راحمي ... فقد تحريت عن القصد

واها لمن أصلح أحواله ... إن صد من يهوى على عمد

الجسد المضني دليل على ... الذي تأتيه بالصد

ومن ذلك:

لما رأى أدمعي دراكا ... قال ولم يرض لي هلاكا

والله ما جاءني رسول ... يخبرني عنك ما دواكا

قلت خف الله في عذابي ... فقال لي قد فعلت ذاكا

إن شئت وصلي فإن عندي ... رضاك أو يبتغي رضاكا

قلت له الله يا مناي ... يرعاك صبحا وفي مساكا

يا من عليه سفحت دمعي ... لا بك ما بي، ولا عراكا

يا من أذاب الفؤاد روحي ... وكل هذا الورى فداكا

مولاي لم صمت عن كلامي ... والحظ للصب أن يراكا

نجاك ذو العرش عن بلاي ... ونلت يا سيدي مناكا

ومن ذلك:

رسولي قال: قلت: أنا رسول ... إليك من الكئيب المستهام

فنادى رسول من كئيب ... لقد أدخلت نفسك في الزحام

فقلت الله يعلم أن قصدي ... خلاص الصب من أيدي السقام

فقال: أظن وصلي شئت قل لي: ... فقلت كذاك من غير احتشام

فقال: فإنني والله أربا ... بمثلك عن دخول في الإثام

فقلت عليه ضر واكتئاب ... أخاف عليك من درك الحمام

فقال: ليس يهجع قلت نرجو ... بذلك أن تواصل في المنام

فقال أتعرف الخبر الذي قد ... رواه الأكرمون بنو الكرام

أناس كالمعادن خير ناس ... حبوا بالفوز في دار السلام

إذا لم ينه تقوى الله عبدا ... عن الآثام فهو من الطغام

ومن ذلك:

رأى المعنف لي دمعي فأنكره ... وقال فيم تطيل النوح يا رجل

فقلت إن رسول الحب أخبرني ... عنه بما ساءني فالدمع منهمل

وقال قد سار فادع الله يحفظه ... فقلت لي والبكا عن ذاكم شغل

إن كان ليس يرى وصلي فكيف يرى ... قتلي ومالي لا ذنب ولا زلل." (١)

"لا وأخذ الله من بالوصل يمطلني ... والهجر فهو به يا عاذلي عجل

ماذا عليه إذا أعلمته دنفي ... لو جاد بالوصل فهو السؤال والأمل

يا من أذاب فؤادي لا تلم دنفا ... فليس يردعه لوم ولا عذل

أتاكم الله يا عشاق رحمته ... فكلكم أبدا من وحده ثمل

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/١٣

هل من كريم يجير المستجير به ... فإن لي كبدا بالشوق يشتعل

بالله قوم هل داع إلى خبل ... قد كاد يملكه مما به الخبل

مضى رسولي إلى الأحباب معتذرا ... فأكرموه وقالوا هكذا الرسل

ومن ذلك:

لما شكوت الهوى قال المعنف لي ... لا تشكون الذي تلقى من الدنف

فقلت قد جاءني يا من يفندني ... رسول حبي فأشفى بي من التلف

وقال قد أزمع الحب النسير غدا ... فقلت والله مالي منه من خلف

وقلت ما باله يا ابن الكرام يرى ... وصلي حراما وهذا أعظم الجنف

لا عذب الله من يرضيه سفك دمي ... وعذب الله من يرضيه بالخلف

يا سيدا أنا من هجرانه دنف ... يا من عليه يطيب النوح للكلف

إذا تنكر النوح لي فالحب أعظم ما ... بلي به الحر فاسمع قول معترف

إني لأعجب من قول النساء إذا ... قلن اصطبر عن شبيه البان في الهيف

والصبر أحسن مصحوب وأبركه ... إلا عن الشادن المخصوص بالترف

ما أكثر العاذلات اليوم فيه وما ... أقلهن لكشف الضر والنحف

إني لأعجب من حملي على دنفي ... مؤنة الموقفي دهري على جرف

ومن ذلك:

شكوت إليه حزني **واكتئابي** ... وما ألقاه من طول العذاب

فقابلني بوجه مكفهر ... وقلب لا يمل من العتاب

أنام الليل في خوف ورعب ... وأقطعه بدمع وانتحاب

وصبري مستعد غير وإن ... على السفر البعيد من الإياب

أقول لمن يعنفني عليه ... ويعذلني عدلت عن الصواب

أتحمل يا هداك الله لومي ... على القمر المحجب في القباب

على ظبي يرى وصلي حراما ... ويهجرني على غير ارتياب

رعاه الله من ظبي غرير ... يعذبني بهجر واجتناب

وليس له رسول غير فظ ... له قلب من الصم الصلاب

إذا قال المعنف لي تسلى ... جرى دمعي بسجم وانسكاب

ومن ذلك:

ماذا أقول إذا قال العدو أفق ... من الصبابة الأحزان والفكر

وقد أتاني رسول الحب يخبرني ... بأنه أزمع الترحال في السحر
فلست والله اسطيع السلو وقد ... سمعت ذلك عن سمعي وعن بصري
ظبي إذا شمته وصلي يعنفني ... ويبتديني مع التعنيف بالضجر
أشكو إلى الله ما بي من هواه وما ... ألقاه فيه من الأسقام والضرر
وما أكابد من وجدي عليه وما ... ألقاه فيه من التعذيب والسهر
قد افتقرت فدته الروح من جلدي ... بعد الغنى ولا رأي لمفتقر
يا عاذلي فيه ما أغناك عن عذلي ... لأن عذلك لي من أعظم النكر
اعلم هديت بأن النفس قد سكرت ... من الملام فما تصحو من السكر
ومن ذلك:
عجبت من قول من قال لها ... لم تصدين عن الصب الدنف
ثم قالت أيها الصادق في ... قوله أفديه من صب كلف
ما عليه لو شكا ما قاله ... فعسى قلبي عليه ينعطف
أبلغ الصب السلام ثم قل ... زر جهارا لا تكن ممن صدف
حبذا من تخجل البان إذا ... ما تثنت بالتهادي والهيف
وحكاها البقر العين إذا ... خطرت لا بل غاثها بالترف
هل لقلبي من شفاء عنده ... فلقد جارت وزادت في الجنف
قلت يوما وبدت مسفرة ... ودموعي لغرامي تنذرف
جل رب الناس ما أسمنها ... ثم ما أعجب أمري في النحف
فانثنت من خجل قائلة ... هل دواء لك من هذا الشغف
ومن ذلك:
تعرضت من بغيره ... من الصبر حتى قد عرضت إلى الصبر
إذا كان دمع الصب يظهر سره ... كففت عن الدمع المواصل في القطر
فيا رائق الحسن الذي فضح الورى ... جللت عن الشمس المنيرة والبدر
أجل الرياش السقيم للصب أنه ... إذا كان ذا جسم عزوه إلى الغدر
فيا من عليه الهجر ضربة لازم ... لصب عليه الصبر من أعظم الوزر." (١)
"فكيف يا لائمي هديت فقد ... سئمت طول الحياة يا لائمي
متى يكون الذي أؤمله ... متى أرى من مؤملي غانم

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/١٤

بدائم الوصل لا يكدره ... سعي الحسود على الجفا حائم

ومن ذلك:

لا تحسبني خلي القلب من كمد ... ولا أحن إلى صبر ولا جلد

هل تحقرن بكائي في الدجا أسفا ... فذلك الدمع أبراني من الرمد

قد بات مولاي في أمن وعافية ... وبت مكتحل الأجفان بالسهد

أنا الذي حمل الآثام عاذله ... أنا المقرن والإسقام في صفد

لا زال محتقرا من لام في دنفي ... وعاش مختبلا صبا مدى الأبدي

أفدي الذي كحل الأجفان بالسهد ... ووكل القلب بالأحزان والكمد

قد رق لي ورثى مما أكابده ... كل امرئ كان يوصي الحب بالبعد

لو كان يعلم من أضحى يعذبني ... أن سوف يقعد لي العذال بالرصد

لسره أن من في الحب يعذلني ... يجري بمثل الذي يأتي يدا بيد

يا عاذلي لست بالهاذي بنصحك لي ... كلا ولا بالذي تدعو إلى الرشد

كم عاذل ورقيب ضل سعيهما ... لطول ما اكتسبا باللوم والفند

ومن ذلك:

قال لي عاذلي لما رأى دنفي ... ومقلتي برة بالأدمع الذرف

يا طالب الوصل ممن ليس يرحمه ... لا تشك ما بك من وجد إلى الصلف

فقلت ما لذة الدنيا لمكتئب ... بلى من الحب بعد الغرب بالشنف

يا عاذلي إن تكن تبغي بلومك لي ... نصحي فلومك لي يدنيني من التلف

قد نال سؤلي من قلبي مسرته ... لما رآه وقد أشفى على جرف

يا لائمي بالبكا ماذا يضرك من ... ترك الكلام لصب هائم دنف

إن الغزال الذي ما زلت آمله ... قد رام قتلي بلا جرم ولم يخف

يصد عن غير ما جرم ولا سبب ... وتركه الوصل لي من أكبر الخيف

قل لي أيجمل أن أشكو الغرام به ... لغيره ولا بيت الله والصحف

هو الذخيرة لي في كل نائبة ... وإن سبى مهجتي بالذل والهيف

إن كان قد فاته قتلي بخنجره ... فطرفه قاتلي بالغنج والوطف

نوحوا على دنف قد مات من شغف ... وابكوا على عاشق قد مات من كلف

عاش المتيم مكروبا بغصته ... ما يستقيم من الإسقام والنحف

ومن ذلك:

حكيم من نفى عني رقادي ... وآلف بين جفني والسهاد
كأن الدار الآخرة اطمأنت ... لها روحي فنلت من المراد
بكيت على زمان قد تقضى ... وأيام بقرب من سعاد
هل الدنيا تعود لمستهام ... فتنصفه على رغم الأعادي
أعاذل قد هجرت النوم جهدي ... وآثرت السهاد على الرقاد
فدع لومي ولا تحفل بعذلي ... فإني قد هلكت من البعاد
وددت بأن شكوت إلى كريم ... فينقذني من الكرب الشداد
أطال الله عمر مذيب قلبي ... ومن يرضيه بعدي وانفرادي
ومن ذلك:
ومن أن قلت صبري قد عصاني ... يسر بلوعتي ويرى عنادي
ومن إن قلت: ما ينفك وجدي ... يقلبني على شوك القتاد
ينادي يال حيان أجبروني ... هديتم من شكايته فؤادي
أعاذل في محبته أبن لي ... على ما نالني من مستزادي
لقد هرم السلو وشب وجدي ... فصبري كل يوم في نفاد
إذا قال المعنف لي تسلى ... أقول له إلى يوم التناد
ومن ذلك:
قيل لي كم بكيت قلت دعوني ... فالذي بي يا قوم ليس بدوني
ذهب البعض من فؤادي مع العيس ... وذاب الذي بقى من شجوني
وأحاط الأعراب بالصبر نهبا ... وخلاف الأعراب لحظ العيون
إن صبري يبقى وقد صد عني ... سؤل قلبي يأخذه بالظنون
لي فؤاد أنت عليه هموم ... فهو منها مكبل في شجون
حسب قلبي يا عاذلي ... من ... حب ظبي جاف ظلوم خؤون
كثر الهجر وهو خمس وعشر ... ون صباحا وليس لي من معين
حبذا من وجهه سنة البد ... ر ومن قده كقد الغصون
أي حزن ما ينقضي من فؤادي ... وا بلائي من عظم داء دفين
أنا من أطول البرية ثكلا ... لبلائي بهجر جاف حزين
عمرك الله كم تطيل عذابي ... يا عذولي في غفلة وسكون." (١)

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٣٢

"قلت للحب جد فقال بماذا ... قد خلا فيك بالبكا والحنين

قلت يا حب لم تركت محبا ... قلت بالوصل قال بل بالمنون

قال خوفا من كثرة الحسد الظا ... هر في العاذل القريب المكين

ثم ولى عني بغير اكتراث ... فبقيت الغداة كالمسكين

ومن ذلك:

لقد صنعت بي كل شيء من النكر ... دموعي إذا صنت وقد بان بالعطر

لقد جل ما بي من غرام ولوعة ... ومن جمرة في القلب أذكى من الجمر

وعاذلة لامت فبئس لعمرها ... ملام كئيب قد أقام على الضر

بكيت فمنعت الدمع عند بكائها ... فقالت أبن لي ما دعاك إلى الصبر

فقلت لها لولا سئلت عن الهوى ... لقلت أبن يا سائلي أنت عن أمري

لقد أثم العذال إذ قلت كيف يا ... بني آدم صبري على اللوم والزجر

سئلت فأعطيت الذي قد سألته ... ولم أدر أن الحتف في ذلك الأمر

فيا ليتني لو قد سألت تصبرا ... ولم تكن الأطماع حظي من الدهر

وردت بهم ثم رحت بحسرة ... فكونت الأسقام لي موضع القبر

لقد صورت لي صورة البين ثم لم ... أحاذرها حتى دهيت على خبر

وددت بأن النفخ في الصور عاجلا ... لأني في حال تؤول إلى العسر

لقد صار قلبي أحسن الناس صورة ... فيا ليت شعري هل أفك من الأسر

ومن ذلك:

إذا قيل لي حتى م تبكي وتنتحب ... ولم يك بين قلت خوفا من الغضب

لو لم أهب الخشني خاف كبعض ما ... أخاف من البين المشتت الاكتاب

أعاذلتي مالي سلو وكيف لي ... وقد صد من أهواه من غير ما سبب

إذا قل صبري وفاض دمعي صبابة ... وإن غاض دمعي لم أزل منه في كرب

بليت بفظ ما يجد من نواله ... بمقدار لحظ البين للمدنف للسغب

أذل كذل العبد أسلف زلة ... فأصبح منها في عناء وفي حرب

على أنه ما في التذلل في الهوى ... على أهله عار كذا سنة العرب

وأكثر ما أعلنت هذا....... ... بليت بها من مسعد غير مجتنب

إذا بحت بالشكوى إلى من أذابني ... ليرحمني قال اصطبر ويك لم تخب

وأحسبني أظهرت هذا لراحة ... اصادفها فازددت من شقوتي تعب

فحسبي الذي من مدارة عاذلي ... وحسبي الذي ألقاه فيه من الغضب

إذا ما أطال الناس لومي زجرتهم ... ولم أصغ في لوم إلى حب من عتب

فهل من خلاص والسلامة في الذي ... أحاوله من قطعة الناس والهرب

فمن لي يترك الناس لا أبا لهم ... ومن شرهم قد صرت في أعظم العطب

ومن ذلك:

ألام في فيض دمعي يوم بينهم ... وفيه تفريج ما ألقى من الكرب

وإنما لؤم من يلحا على دنفي ... جهلا بما بي من الآلام والنصب

يا قوم ما لذة الدنيا لمكتئب ... جفاه مالكه من غير ما سبب

قد صار قلبي كجسر للهموم فما ... ينفك يعبره فالقلب في تعب

بلجة من سقام سوف تعرفه ... فدهره هو موقوف على العطب

إن الهوى لتعدية على كبدي ... أقامني عرضة للسقم والوصب

أبلى الهوى جسدي فالناس من سقمي ... يبكون لي رحمة بالأدمع السكب

فكن مجيري من السقم المبرح بي ... يا أحسن الناس من عجم ومن عرب

قد ردد الضر سهما ثم فوقه ... إلى فؤادي فما أخطاه بالطلب

من كان ينكر عدوان الهوى فأنا ... لحكمه شاكر في الجد واللعب

ومن ذلك:

يا ... جفاه منامه ... غذ صد مالكه وطال سقامه

يا طالب الكرم الذي هو زينه ... أقصر فقتل المستهام ملامه

ضن الحبيب بوصله فبمهجتي ... نار ودمعي ما يقر سجامه

لو يحفظ الرحم الذي هو بيننا ... لرثى لقلب طال فيه غرامه

ومن ذلك:

هجر المنام فلم يجد ... شيئا إلى طعم المنام

ما أثم صب إذ شكى ... ما قد لقاه من الغرام

ما حاجة الدنف المتيم ... غير ضم والتزام

واها لجسمي ما لقيه ... من الضنا ومن السقام

لم أقض ممن ملني ... وطرا وعاجل بانصرام

واخجلتي ممن قضى ... جورا علي بلا احتشام

إن السلو لرائح ... عني ووجدي في لزام." (١)

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٣٣

"أجر كبدي من شدة الضر والأسى ... فأنت بفعل الخير والبر تعرف

ومن ذلك:

ما تسكن النفس يا سؤلي إلى سكن ... قد هبت كشف الذي القى من الشجن

مسرة بعدت والساعة اقتربت ... إذ بالمدينة لاح لا يغتربي

كأن زوبعة بالقلب قد لعبت ... فكل ريح بقلبي لا تنهنهني

يا من أباهي به شمس النهار لقد ... كتمت وجدي فصاح القلب وا حزني

فغنها أدمعي تبدي إذا سجمت ... ما أكتم الناس يا من قد تملكني

عواذلي إن تتوبوا كان أجركم ... أجر الصلاة إذا قامت على السنن

كم لائم قد رأى دمعي فصاح لقد ... كشفت ما بك من سر ومن علن

كأن دمعي بحر مذرف رويت ... به الربا والقرى طرا مع المدن

ومن ذلك:

ألما بي على دار الرباب ... ببرد من غليلي واكتئابي

فإني من غرامي ليس ترقى ... دموعي من همول وانسكاب

فما حالي وأطيب من تحياتي ... مماتي للذي بي من عذابي

ومن سمك السماء لقد براني ... هوى شمس تجلت عن سحاب

أقول من من الصبابة حين تبدو ... من السحب المحيطة بالقباب

بروحي أحسن الثقلين وجها ... وأنطقهم حكما أو صواب

أما لو كنت أملك حسن صبري ... صبرت وما جنحت إلى العتاب

رأت دنفي فقالت أنت صب ... فقلت لها بصاحبة النقاب

٣فقالت كف عنك فقد أسنت مناك وزلت عن عهد الشباب

فقلت لها وما هذا ببدع ... إذا سمت الوصال بلا ارتياب

فقالت بعد أن قد شئت قل لي ... فقلت الشيب يستر بالخضاب

فقال شبابها لي كف عنها ... وفرق بيننا بأنواع العقاب

إذا وصفت فبدر فوق غصن ... على حقف من الصم الصلاب

ومن ذلك:

سر بما نالني من الوصب ... وأظهر الهجر لي بلا سبب

وعاق قلبي عن السلو فقد ... صار عزاي عنه من العجب

يا مدعي النصح قل لظالمتي ... أرث لقلبي من شدة الكرب

لا تهجريني فالهجر يقتلني ... وواصليني يا ظبية اللبب
لبست ثوبا للسقم يشملني ... فهو جمالي في العجم والعرب
حكم الهوى نافذ وأنفذه ... ما كان فيمن يقول باللعب
آفتي التي أرسلت تعاتبني ... مع ظنها بي وقفي على الريب
وقولها لي هذا أمر أبينه ... يكون بيع النفوس بالنشب
فقلت قلب المشوق أرسله ... يبيعه يا كريمة الحسب
وكان رهنا فسر يا أملي ... أن نشتريه بخالص الذهب
فتعتقيه فالرق منه لمن ... يملكه منك أشرف الرتب
صدت فلما شكوت مسكنتي ... جادت بفضل على الفتى الجذب
عادت بفضل عاد في كبدي ... صدع من الحب غير منشعب
وعاذل قال لي يعنفني ... وقد لعمري أخطا ولم يصب
ماذا بكم من أليم هجرك كم ... قلت حشائي قد ذاب من اللهب
يا بفنه في اللذي أراد من الهجر ... الصبر عن الحب غير مجتنب
فسره ما أرى وقال لقد صبرت عن لذة وعن طرب
فقلت دعني فكل داهية ... برأس مثلي حلت فلا كذب
فقال جد بالذي ذخرت له ... فبذلك الحال خير مكتسب
ومن ذلك:
صب أضر به طويل بكاه ... لما نأى عنه جميل عزاه
وأذاب طول اللوم فؤاده ... ووهت لعمر أبيك منه قواه
يا قوم هل رجل يعين بدعوة ... يجزيه رب العالمين جزاه
قد حرت في أمري وأمر معذبي ... بصدوده عني وطول جفاه
بؤسا لصب لاتني زفراته ... عن فعلها حتى تذيب حشاه
لهفي على من شفني بصدوده ... أسفي على من هدني بنواه
يا قوم كثرة لوعتي قد أمرضت ... قلبي فيا ويلي لطول ضناه
لهفي على الولد الشفيق لقد جفا ... زهوا فطرفي قد جفاه كراه
أبدي مصادمتي فعوتب فاحتوى ... قربي فصادمني جعلت فداه
عاتبته في ذلك الصلف الذي ... هو قاتلي فبكى ودام بكاه
ناديته لم ذا؟ فقال لطول ما ... تشكو ومن جمل الغرام شكاه
فأجبته هو ذا ترق لذلتي ... أي والذي خلق الهوى وبراه

فأجابني يا من تملك قلبه ... هل أنت ممن لا يخيب رجاه

فأجبته أكثرت عتبك في الهوى ... من طال فيك على البعاد بلاه." (١)

"ما احتيالي قد مات صبري وعاشت ... زفراتي من بعد طول الدثور

وعرتني بالحيل والرجل أحزان ... فقلبي من لوعتي في سعير

وإذا قيل من عشقت أنادي ... بدر تم من فوق غصن نضير

ومن ذلك:

لا غرو أن صحت ويلي من الكمد ... او قلت مالي من صبر ومن كمد

والله والله إيمانا مضاعفة ... لقد تمكن سهم الحب من كبدي

ماذا أقول لمن تلحى على دنفي ... إذا أطال من التعذال والفند

أجيء كل غداة أشتكي سقمي ... إلى طبيب لما ألقى من البعد

سقر يعجز عن برئي فوا أسفي ... على المعذب لي عن غير ما قود

هم يظنون أني غير مكتئب ... والعين بالدمع ما تعرى من الرمد

ومن ذلك:

إنني يا أخي وقفت بخيا ... ط ثوب رث كثير الفتوق

قلت شلله لي فقال بد ... ينار فناديته بقول رقيق

دع مكاسي وشلل البعض منه ... فبقلبي منه كمثل الحريق

يا مناي وسيدي أنت شلل ... قال قد جئتني بوجه صفيق

لست ممن علي حقوق ... لا ولا لي فما أرى من صديق

قلت قد جئت من مكان بعيد ... قال لو جئت من مكان سحيق

ثم نادى أبرمتني وحابي ... فكأني أهويت من منجنيق

عاش في ذلة علقه الله بعينيه في أشد مضيق

كاد عقلي يزول من قفزة لي ... ودعاه بالويل وسط الطريق

راعه الله كلما نقر الدف ... بفقدان كل خل شفيق

ورماه بمثل ما قد رماني ... من هوان وغلظة وعقوق

ومن ذلك:

نظرت إليها إذ تبدت من الحذر ... فناديتها والدمع من مقلتي يجري

وأظهرت أعرابي لقولك باسما ... فقالت أبتغي الوصل بالنحر والشعر

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٤٧

فقلت لها إني إلى الوصل راغب ... فجودي كي تنقذيني من الأسر
فقالت فلم يا أرجل الناس تشتكي ... غرامك قل لي قلت من شدة الضر
فقالت فعندي ياسمين منضد ... ودر كخدي قلت قد جئت بالسحر
فكم عاذل أعلمته لصبابتي ... فقال دع الشكوى وعود إلى الصبر
فقلت له والقلب مني نواله ... وأي اصطبار للكئيب على الهجر
لقد بان صبري يا عذول وخانني ... عزاي فدمعي ما يمل من القطر
جعلت لباسي في الأنام قطيفة ... من السقم تدنيني لحيني من القبر
فيا عاذلي ماذا عليك بلوعتي ... دع اللوم لي فاللوم من أعظم الوزر
أتعذلني في حب من هي فتنتي ... ومن قد زهت حسنا على الشمس والبدر
لقد نسج الحسن البديع بلطفه ... لها حلة تبقي عليها إلى الحشر
فدع لوم صب قد أضر الهوى به ... وأنحله فالسقم في جسمه يبري
وروح فؤادي من بكا بك ساعة ... فمالي إذا قد رمت الصبر من عذري
ومن ذلك:
قد زرت وجدا ووسواسا بهجرك لي ... يا هذا فأرسلي العواد عن خبري
أرى هموما على قلبي مواصلة ... عائداتي يطلن اللوم لي فذري
لومي وإلا فزيديني فلست بذي ... صبر وكيف بصبر لي على القمر
والآس من قال زيدي في ضناه ... ولو بصرن جسمي لما أسرعن في ضرري
يا ويح ميت الهوى ماذا لقيه لقد ... شهرت من لوعتي في البدو والحضر
لم يا عذولي أو هون عليك بما ... ألقى فإن ملامي أعظم النكر
من مات عشقا فلا تنكر شهادته ... وكن عليما بما قاسى من السهر
إن لم يقولوا بكا قالوا ضنى أسفا ... قد كنت أحذر لو وقيت من حذر
مفندي لم فان العاذلات على ... هواي حابيني إذ قلت بالنكر
الصبر فان فجودي يا معذبتي ... أو فاسألي جلدي يا أحسن البشر
فمن لعبدك والناس تشمله ... أقيك كل الردى بالسمع والبصر
ومن ذلك:
جهول بما بي قال لا تكثر البكا ... وكن صابرا أكرم صاحب
وهل رجل يا قوم يحس صبره ... ومحبوبه في قربه غير راغب
أطال فلان لوعتي بصدوده ... كغيث ابن عمي عنه خوف المراقب
فما غير زنديق يلوم متيما ... ويعذله والعذل لي غير غائب

إذا قيل لي حتى متى تكثر البكا ... أجبت بدمع دائم السح ساكب

أعاذل كيف الصبر بعد فراق من ... يرى أن الصب ضربة لازب." (١)

"فأنت خليلي والخلال منوطة إلى خله الخل الكريم المسالم

فرب عذول يجلب الصد والأسى ... إلى قلب من يلحاه غير مكاتم

رزقت الهوى مني وفي الرزق خطوة ... ولاسيما والوصل بعد التصادم

ومن ذلك:

دوائي دنو الحب بعد صدوده ... ليبرد قلبي من أليم وقوده

أرى كل محبوب يرق لحبه ... وحبي لا يرثي لضر عبيده

وكل محب خاضع لحبيبه ... ولاسيما أن راعه بصدوده

فسقيا لمن يحظى بقرب حبيبه ... ويرثى له إن لم يرعه وعيده

ومن ذلك:

قال الذين رأوا صدود منائي ... عني وطول صبابتي وعنائي

ما خلد الرحمن خلقا في الورى ... في ضنك عيش أو دوام رخاء

يا سادة الأدباء هل من راحم ... يرثي لمسكنتي وطول بكائي

أو من يرى في الناس يشفع لي بالي ... من قد علا كرما على الكرماء

أيكون في الدنيا كمثلي في الهوى ... أو مثل من أهواه في البخلاء

ذ ليس فعل الأسخياء فعاله ... في صده عني يريد فنائي

كيف لخلاص وفي فؤادي جمرة ... أبدا تزيد تغرما بذكائي

يا عاذلي إن كنت تبغي الآخرة ... التي هي بغية الشهداء

فافعل فديتك في فعال الأتقيا ... ء وخلني صبا أموت بدائي

ومن ذلك:

قال العذول وقد رأى سقمي ... حتام لا تخلو من الهم

فأجبته بأن الحسن أسقمني ... والحب يذهب صحة الجسم

لو كان طعم الهجر من عسل ... كان الطعام له من العزم

وأنا اليدين من الصدود لكم ... قبل الوصال وبعد ما ينم

أشكو نواهم قبل وصلهم ... والفقر من صبري ومن علم

والصبر عن طيب الطعام فهل ... به ينبغي بوصلك عارض السقم

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٥١

ومن ذلك:

ليس من أظهر القناعة بالطي ... ف قنوعا بل ذاك غير قنوع

كيف يا واحد الملاحة للصب ... المعنى بلذة من هجوع

رزق العاذل الجلادة والصبر ... ومال الرزقين غير بديع

ومن ذلك:

عن غير جرم نأى فبرح بي ... من هو زين الورى من العرب

بعد الرضى أظهر التبرم بي ... يا طول غولي ويا نعم حرب

يا طول حربي عليه حين جفا ... وصد عني عن غير ما سبب

على السرور السلام بعد ضنى ... أوقف قلبي ظلما على العطب

إذا شكوت الذي أكابده ... قال اكتئب شر **مكتئب**

حلل قتلي كذبحة الجز ... ار المقصود في ذبحه للنصب

كم يكمد القلب بالصدود وكلكم ... يسخن عيني بكثرة الشغب

يظهر ما في الحشا أسى ويذ ... يب الكليتين الضعاف

والدمع يبدي الذي أكاتمه ... من لوعتي ويقيم الغدر من تعب

كن ذاكرا بالجميل يا أملي ... فأنت في الذكر عالي النسب

ومن ذلك:

يا أفضل العالمين رأيا ... وأحسن العالمين شكلا

أروى جميع البقول دمعي ... وأعوز الخافقين سجلا

يا عالم الهند هل دواء لمد ... نف ما يفيق خبلا

يا فطنا بالأمور قل لي ... ما بال قلبي يزيد ثكلا

والله والله إن قلبي ... لا يتمنى سواك خلا

لو رام هذا لخس عندي ... ونال بين القلوب ذلا

ومن ذلك:

من لحزين دنف مغرم ... هان من السقم على العابد

عرف بعض السقم لما بدا ... عليه ماذا يبدو من الشاهد

ما بال من يتمنى هجره ... ما باله أعرض كالحاقد

قال تعذالي فيا ليته ... يبذل طيفا منه للراقد

ومن ذلك:

تبينت الحسناء وجدي فأعرضت ... وصدت دلالا لا تبتغي قتلي عمدا

فما حيلتي والمرأة السوء عندها ... تشير بأن الهجر للمبتلى أهدا

فلو تنصف الأيام لان فؤادها ... ولو أنه من قسوة قد غدا صلدا

أما ومرور اللهو بعد فراقها ... لقد تلفت روحي وفت بها وجدا

ومن عدم الإخوان أن ينصحوا اللقى مثل ما لاقيت من عيشة نكدا

محادثة الإخوان تكشف لذة ... وتورث من قد صد أحبابه زهدا

متى تذهب الأحزان علي بوصلها ... فتاة ترى أني لها في الهوى عبدا

ويعذلني من ليس يفنيني لوعتي ... بعدل بلى يزداد نار الهوى وقدا." (١)

"فمن منقذي من لحاظ الظبا ... ولسع عقارب تلك الخدود

أذاب فؤادي عذل العذو ... ل على دنفي بالحسان القدود

لقد دق قول الورى في الهوى ... ووضع الوصال مكان الصدود

وقد أورق الحب بعد الذبو ... ل فأي خيار لصب وحيد

معذبتي هل فعال الملو ... ل يقوم مقام فعال الودود

ومن ذلك:

قلبي وعيشك ذو وجد وذو سقم ... والعين تذرف دمعا وأكفا بدم

فقلت بحبك قد دام الغرام به ... موكل بالأسى والضر والألم

يا من لمكتئب بالحب مشتغف ... قد شاع ضر الهوى في اللحم والعظم

ومن ذلك:

قلت إذا قال رسول الحبي ... ب فيم أعلنت بالبكا والنحيب

يا رسول الحبيب حسبي الذي بي ... لا تلمني على اتصال الكروب

عمرك الله هل رأيت محبا ... لم يمت حسرة لبين الحبيب

ليس وصلي على الحبيب حرام ... بل حرام هجر الحزين الكئيب

فإلى الله أشتكي ما بقلبي ... من غليل وزفرة ونحيب

لي حبيب عليه أهلك ضرا ... لبلائي به وخوف الرقيب

يحسب الريح إن تنثني تثنيه ويحسن اعتداله للقضيب

تاه زهوا لطيبة الأصل والفر ... ع الذي قد زها بكل قضيب

قلت لم لا تشد بالوعد قلبي ... ولتكن يا هديت غير كذوب

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٥٥

قال لي القلب تستريح إلى الوعد سآتيك بالمعنى عن قريب

ومن ذلك:

لا عدت أشكو الهوى إلى أحد ... سواك يا سيدي ويا سندي

ما بذل سري إلى سواك وقد ... علمت ما بي من شدة الكمد

قد أعظم الناس ما أكابده ... من ضر جسمي غذ خانني جلدي

قد قدر الله حكم ملكك لي ... يا غايتي في الورى ومعتمدي

فكن مجيري من الغرام ومن ... نار تلظى بالجمر في كبدي

وإن أتحفوني قبل المساء بما ... أرجوه يا عدتي ويا عمدي

فأنت يا غايتي ويا أملي ... عن برء السقام من جسد

ومن ذلك:

قال ازدجر قلت إني غير مزدجر ... لقد أضر الهوى بالسمع والبصر

فهل رسول إلى مولاي يخبره ... أن العذول سعى والله في ضرري

يظن وصلي إذا ما سمته غررا ... كما أرى صحبة الحسنا من الغرر

والله والله لا طاوعت ذا عذل ... فيمن رضاه يزيد اليوم في عمري

أشكو إلى الله يوم الحب عن دنف ... كنومة المرأة الخرقاء في السحر

أبكي عليه لأني كلما ذهبت ... إلى الوصال بدا لم أحظ بالظفر

لو أحسن النظر الظبي العزيز لنا ... لجاد، والنظر الإحسان للبشر

ولو أشار إلى عمري لجدت له ... بالسمع والبصر.... للعمر

قد صادني بعذار لو رآه يدال ... خضرة الآس في روض من الزهر

لا مجل الأسى حسنا بل يزيد على ... حسن الرياض وحسن الشمس والقمر

ومن ذلك:

فرحت بطيف من أمامة زارني ... فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا

بمن قد أذاب القلب وجدا وحسرة وأظهر لي بعد الوصال تجنبا

فقال تنبه زادك الله حسرة ... فهذا إلى قلبي من الشهد أطيبا

فقلت وقاك الله من ألم الذي ... ألاقيه يا خير البرية منصبا

وأعطاك رب العرش ملكا مجردا ... وزادك منه ذو الجلال تغربا

فقد كنت أرجو منك قربا فزدتني ... بعادا فيا ويلي بقيت معذبا

وأظهرت لي بعد الوصال تناسيا ... ففي كبدي نار تزيد تلهبا

فحتام تنوي لي صدودا وغلظة ... وتركا لمن قد هام شرقا ومغربا

ومن ذلك:

قال المتيم حين ذاق غرامه ... والشوق منه وراءه وأمامه

من أين لي جلد على اللوم الذي ... قد طال منه فكن له وملامه

قد أكثر القشيري لومي في الهوى ... وخرجت لما أن سمعت كلامه

أما النهار إذا بدا قمر له ... وإذا أتى ليل رغبت ظلامه

كم حسرة دخلت فؤاد متيم ... ووراءه وظن يلب مقامه

ما بال هجراني مع الترحال عن ... من لا يلذ شرابه وطعامه

ما حيلتي يا عاذلي رجل عزا ... عني فكن أبدا تقود زمامه

وأظن لي وجد ومنزله جفا ... عني فدمعي قد بكيت سجامه

ومن ذلك:

قال المعنف لي لما شكوت له ... شوقي إلى من زها حسن على القمر." (١)

"عز قيام السلو يوما ... على فؤادي من الهيام

تبا لطرفي فإنه قد ... أوقف قلبي على الحمام

هل يورث اللوم حسن صبري ... هيهات بل زاد في الغرام

ما أضعف القلب غير من ... قد شرد عن مقلتي منامي

وأضعف القلب حب من قد ... تاه على البدر في التمام

ومن ذلك:

العار في قتل المحب الهائم ... يا بدر تم في قضيب ناعم

فتوق ما فيه التشبه جاهدا ... حاشاك من فعل الظلام الغاشم

يا أيها الملك المعظم قدره ... كن راحمي من فيض دمع ساجم

ويلي من اللحظ الخفي إذا بدا ... من حافظ للعهد غير مصارم

ومن ذلك:

تقتلني يا حب بالمطل ... فإنني مختبل العقل

ولا تشاور في وصال امرئ ... منزله وقف على الذل

تراه يبكي من غرام على ... ما فاته من لذة الوصل

يا عذولي ليس اصطباري بخلا ... في دفيق لقلة العقل

يا طول شوقي للفتى لبيته ... وما فؤادي منه بالثكل

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٥٧

ومن ذلك:

لقد صد من أهواه عن غير ما جرم ... سوى طول شكواي الذي من السقم

جفاه على ما بي من الضر والأسى ... فشوقي على طول الزمان به ينمي

سأبكي عليه ما حييت بعولة ... وإن زاد فيض الدمع كلما على كلم

على الصبر من قلبي السلام فما أرى ... سبيلا سوى صبري على فارط الهم

إذا ما شكوت الحب قال بضجرة ... سألتك لا تعنى وأسرف في الشتم

فوجدي به في كل يوم وليلة ... يزيد وحبي ليس يقلع عن ظلم

رعى الله أيام الصبى ونعيمها ... على أنني لم أخل فيها من الأثم

ومن سقمي في كل يوم وليلة ... يقطع قلبي بالقطيعة والصرم

ألا بأبي من أسبه البدر وجهه ... بلى فاق ضوء البدر في ليلة التم

سأندبه في كل ربع ومنزل ... بعبرة عيني ما تمل من السجم

تشير إلينا من بعيد أصابع ... كأني قد أبرأتها من جوى السقم

ويومئ لي من أحب مخافة ... بإصبعه هذا القتيل بلا جرم

ومن ذلك:

هذا فؤادي لديك فاحتكمي ... فيه بما شئت يا مدى هممي

غبت فغاب السرور يا أملي ... ودام ضري وزاد في ألمي

الذنب لي فاغفري لمعترف ... بذنبه ما يفيق من سقم

أنفع شيء يسير مغفرة ... لمذنف قد أتاك ذا عدم

من لي برد الذي فتنت به ... من برئ سقمي وشدة الألم

ألزمتني مذ كنت مسكنة ... أوهت فؤادي وأنت في نعم

ينيب بين الرقاد عن بصري ... فلم أنم حسرة ولم أنم

ومن ذلك:

قد آن أن ترحم الصب الكئيب وإن ... ترثي بلواه إذ قد طال بلواه

هو الحقير الذليل المستكين فجد ... له بوصل فقد أفسدت دنياه

يا أيها الناس هل داع لذي ارق ... حيران قد هجرت للغمض عيناه

أو شافع لي إلى من ليس يرحمني ... عساه يرثي لمن قد دام شكواه

ويترك الكبر والإعراض عن دنف ... يرى بطول التجني منه أعفاه

يا قاتلي إن رأيت الحظ فتلك لي ... فقد رضيت بما لو منك يلقاه

ومن ذلك:

أيا هاجري عن الوصل الذي كانا ... قد دام صبري وذقت النوم ألوانا

فأي منفعة للحاسدين إذا ... صددت عني وقد أظهرت هجرانا

فالمشاعر والبيت الحرام أجر ... قلبا كئيبا أتاك الله غفرانا

لك المكان الذي ما حله أحد ... من قلب عبدك فأبدل مناك إحسانا

أعاذلتي لا أنسى لله كفي ملام من ... به بعض ما يلقاه فنضرب المثل

ومن ذلك:

رأى ما بي من الضرر ... فناداني على ضجر

إلى سقراط فأشكو الحسب لا تشكو إلى بشر

إلى من رأس أهل العلم من بدو ومن حضر

وقل دمعي يراه الشوق لما بان مصطبري

فقل له على خوف ... فؤادك صيغ من حجر

وطرفك شجرة يوبو ... على هاروت بالحور

فقال وأنت مكتئب ... فقلت تراه في نظري

فقال بفرحة يا ليت ... دمعك فاض كالمطر

فقلت وكل ممتحن ... طويل السقم والضرر

لكان الشجر مقلته ... لما فيها من الفتر

أيجمل أن تعذبني ... بطول البث والسهر

فدع هجري هداك الله يا سمعي ويا بصري." (١)

"يا رسولي أعاذك الله من ضر ... فؤاد يزداد بالعذل كلما

كن معيني عليه إن فؤادي يتلظى والجسم يزداد سقما

أجميل بأن أقيم على الوحدة ... إذ رأى الدموع سحا وسجما

قل يا رسول ألقيت خيرا ... لم أذق مذ غبت للنوم طعما

عله أن يرق لي من سقامي ... فيرى بعد حربه لي سلما

قل له يا رسول مالي جليس ... أتشتكي به ليزداد علما

قل له أنت في أمان من السو ... ء ولم يبق لي صدودك جسما

ومن ذلك:

أيجمل يا بني العم الكرام ... ملامي على ما بي من سقام

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٦٠

فلم أر في الهوى أحدا شكى ما ... بقلبي من تباريح الغرام

ألا يا أحسن الأبوين جد لي ... بترك اللوم فهو من الآثام

ومن ذلك:

في مهجتي نار توقد ... وغرام ليس ينفذ

ومناي لا أشكو إليه صبابتي لا تهدد

ما باله قد ملني ... ظلما ومال يفند

يا لائمي في صبوتي ... والله جاء ولم ينكد

لو قد قنعت بطيفه ... والله جاء ولم ينكد

قل لي فديتك يا رسو ... ل نقالة الفطن المسدد

هل قال حبي بعض ما ... أهوى فقلبي مكمد

ومن ذلك:

إذا قال العذول وقد لحاني ... تنزه عنه واله عن الغواني

أتيت إلى رسول باكتئاب ... مخافة صبوة منه لشان

أقول الله يعلم ما ألاقي ... فكن عوني لأني ذو امتهان

فأنت مواصلي حقا لما بي ... تجود لقدر شاب من الهوان

فلي جسم براه الله نضوا ... ولي قلب من الأحزان فان

أقول لمن يعنفني عليه ... معينى ربك المبدي يراني

فليس أحادثني عنه بعجب ... بل الإعجاب ذلي واستكاني." (١)

"خرج الفضل بن يحي يريد سفرا، فودعه أهله مكتئبين لفرقته، فقال: قاتل الله جميلا حيث يقول:

لما دنا البين بين الحي واقتسموا ... حبل النوى فهو في أيديهم قطع

جادت بأدمعها سلمى وأعجزني ... قرب الفراق فما أبقي ولا أدع

يا قلب ويحك لا سلمى بذي سلم ... ولا الزمان الذي قد فات مرتجع

أكلما مر ركب لا تلائمهم ... ولا يبالون أن يشتاق من فجعوا

علقتني بهوى منهم فقد جعلت ... من الفراق حصاة القلب تنصدع

أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيي قال: سمعت أبا العيناء يحدث أن رجلا كلم بن خالد البرمكي في رجل أن يوليه، فقال يحي:

---

(١) التحف والظرف الدارمي، محمد بن أحمد التميمي ص/٦٢

إنا لا نشرك في أماناتنا ولا ينسب إلى عقولنا أفعال غيرنا، ولا نسترعي رعية أمير المؤمنين إلا المستحقين الذين توجب لهم المعرفة المنزلة،." (١)

"ولا تراني لما قد فات مكتئبا ... ولا تراني بما قد نلت مبتهجا

ثم ذكر البيت الثالث.

ولبعض الأعراب:

وقل وجه يضيق إلا ... ودونه مذهب فسيح

من روح الله عنه هبت ... من كل وجه إليه ريح

قرئ على أبي بكر الصولي، بالبصرة، في سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة، في كتابه: كتاب الوزراء، وأنا أسمع، حدثك الحسين بن محمد، قال: حدثني البيمارستاني، قال: أنشدت أبا العباس إبراهيم بن العباس الصولي، وهو في مجلسه بديوان الضياع:

ربما تكره النفوس من الأمر ... له فرجة كحل العقال

فنكت بقلمه، ثم قال:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنها لا تفرج." (٢)

"أما علمت بأن العسر يتبعه ... يسر كما الصبر مقرون به الفرج

وقال آخر:

إذا ما البين أحرجني ... فليس على النوى حرج

دعي لومي على صلتي ... سيقطع بيننا حجج

سأركب كل مظلمة ... أفرجها فتنفرج

غدا للبين موعدنا ... فإن إلى غد فرج

وقد بلغني على وزنها، وإعرابها، وقافيتها، أبيات لأبي محمد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهي:

دنا التهجير والدلج ... وقصدي للمنى لحج

ولي هم يؤرقني ... علي لبحره لجج

أطاف علي في وضح ... عليه من البلا نهج

---

(١) المصون في الأدب العسكري، أبو أحمد ص/١١١

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٥/١٥

أقول لنفس مكتئب ... عليه من الردى ثبج

رضا، ما دمت سالمة ... فإن العيش مندمج." (١)

"ابن الحاجب زيارته مع إخوانه في يوم ذكره لهم فصاروا إليه فلم يجدوه فقال ابن الرومي يعاتبه فيه أولها:

نجاك يا ابن الحاجب الحاجب ... وليس ينجو مني الهارب

فلما مات ابن الرومي أظهر ابن الحاجب قصيدة ذكر أنه أجاب بها ابن الرومي أوليها:

يا صاحبا أعضل في كيده ... كفيت خيرا أيها الصاحب

فهمت أبياتك تلك التي ... أثقبت فيها كيدك الثاقب

بيت وبيت عقرب تتقي ... وأري نحل في اللها ذائب

جرحتني فيها وداويتني ... فأنت أنت الصادع الثاعب

اليوسفي وهو محمد بن عبيد الله بن أحمد بن يوسف الكاتب. شاعر كاتب مترسل. قال في ابن منادة يهجوه من أبيات:

تكسبت بعد الفقر ما لم تمنه ... ولا دونه فيما مضى كنت تأمل

ونفسك تلك النفس أيام فقرها ... وأنت بها ما عشت في الناس خامل

أبو عبد الله محمد بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ابن علي بن أبي طالب. شاعر راوية عالم يروي كثيرا من أخبار أهله وبني عمه ولقي جماعة من شيوخنا وحدثونا عنه. وتوفي سنة سبع وثمانين ومائتين وهو القائل يعاتب رجلا:

لو كنت من أمري على ثقة ... لصبرت حتى يبتدي أمري

لكن نوائبه تحركني ... فاذكر رقيت نوائب الدهر

إجعل لحاجتنا وإن كثرت ... أشغالكم حظا من الذكر

والمرء لا يخلو على عقب ال؟ ... أيام من ذم ومن سكر

محمد بن زاهر يقول:

يا من هواي له هوى مستقبل ... أبدا وآخره بدئ أول

إنطال ليل أخي اكتئاب ساهر ... فهواك من سهري وليل أطول

ولقد ملأت بحسن طرفك مقلتي ... وتركتني وبصيرتي تتمثل

وإذا قصدت إلى سواك بنظرة ... ألفيت شخصك دونه يتخيل

وله:

أفنيت فيك معاني الأقوال ... وعصيت فيك مقالة العذال

حلمي بطيفك ين يغلبني الكرى ... وخيال وجهك إن سهرت خيالي

---

(١) الفرج بعد الشدة للتنوخي التنوخي، المحسن بن علي ٩١/٥

محمد بن موسى القاساني أبو عبد الله وهو أخو أبي الغمرة هارون بن موسى من شعراء الجبل له أشعار يصف فيها جبنه وفراره من وقائع حضرها. وله قصيدة طويلة يرثي فيها إزاره أولها:." (١)

"والمذكار: التى تلد الذكران، والمئناث عندهم أحمد؛ وأراد مذكرة فلم يتفق له.

وقول الشماخ «٩٣» :

بانت سعاد ففى «٩٤» العينين ملمول ... وكان فى «٩٥» قصر من عهدها طول

كان ينبغي أن يقول: وكان فى طول عهدها قصر، أو يقول: فصار فى قصر عهدها طول.

وقول أبي دواد الإيادى «٩٦» :

لو أنها بذلت لذى سقم ... مره «٩٧» الفؤاد مشارف القبض

أنس «٩٨» الحديث لظل مكتئبا ... حران من وجد بها مض

لو قال: إنه كان يذهب سقمه كان أبلغ لنعتها.

وقول أبي ذؤيب «٩٩» :

ولا يهنىء الواشين أن قد «١٠٠» هجرتها ... وأظلم دونى ليلها ونهارها

كان ينبغي أن يقول: وأظلم دونها ليلى ونهارى.

وقوله «١٠١» :

عصانى إليها القلب «١٠٢» إنى لأمره ... سميع فما أدرى أرشد طلابها

كان يحتاج أن يقول أغى أم رشد، فنقص العبارة.." (٢)

"يوهمنيك الشوق حتى كأنني ... أناجيك عن قرب وما أنت في قربي

قال فدعا المأمون وأمر بعلاجهما فعولجا حتى برئا وزوج الفتى من ابنة عمه وأجرى عليهما ما يصلحهما وكانا في جملة حاشيته حتى مات.

؟ حكاية

عتب عبد الله بن طاهر على بعض كتابه فسجنه في مقصورة. فأشرفت عليه جارية لعبد الله كانت حظية عنده فنظرت إلى الفتى وكان أديبا ووافقت نظرة منه إليها. فوقع في قلبها محبة شديدة وعالجت الصبر عنه فلم تقدر عليه. فأخذت رقعة فكتبت فيها:

أيها الزاني بعين ... يه وفي الطرف حتوف

إن ترد وصلا فقد ... أمكنك الظبي الألوف

ثم دلت إليه الرقعة بخيط، فلما قرأها كتب فيها:

---

(١) معجم الشعراء المرزباني ص/٤٥٣

(٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/١١٤

إن تريني راني ... العينين فالقلب عفيف

ليس إلا النظر الفا ... تك والعقل ظريف

فلما رأته الجارية يكتب في الرقعة جوابا فرحت ولم تشك أنه فيها أرغب. فلما رفعت الرقعة وقرأتها ساءها رده فقلبتها وكتبت في ظهرها:

قد أردناك على أن ... تجتلي ظبيا ألوفا

فأبيت الآن لا ... زلت لقيديك حليفا

ثم دلتها فلما قرأها كتب فيها:

ما تركت الظبي إني ... كنت للظبي عنيفا

غير أني خفت ربا ... لم يزل برا رؤوفا

فرفعت الرقة فلما رأتها ساءها ذلك فأومأت بها لتجعلها في جيبها فجعلتها بين ثوبها وهي لا تدري. فدخلت مقصورتها، وجاء عبد الله ماشيا في سطح قصره فمر بالرقعة فتناولها فعرف خط الجارية وخط الفتى، فحجب من عفته وصبره عنها على حسنها وجمالها، وكانت من أعز جواريه عليه فدخل عليها فوجدها مكتئبة حزينة. فقال: ما هذه الرقعة يا فلانة؟. قالت: أعز الله الأمير هي ما رأيت. قال لها: فالله عليك شاهد أنه لأحب إليك مني قالت: إي والله. قال: فأمر الفتى ففكت قيوده وكساه وأجازه وقال له: خذ هذه الجارية بجميع ما يحويه ملكها ثوابا لعفتك وتقاك وخوفك الله تعالى، ورفع مرتبته من كتابه، ولم يزل مكرما له.

؟؟ حكاية

قال الهيثم بن عدي كان يزيد بن قرة الشيباني شديدا منيعا، وكان يرى رأي الخوارج، ولم يكن يخشى عمال العراق، فغاظ ذلك الحجاج وبلغ منه فكتب إلى عبد الملك يخبره بذلك فكتب إليه عبد الملك احتل له فإن قدرت عليه فاضرب عنقه. فدعا الحجاج يزيد بن رويم وجرير بن يزيد فأكرمهما وأدناهما وقال ليزيد لك شرط العراق ولجرير ديوان الخراج إن أتيتماني بيزيد بن قرة. فركبا إليه فقالا له: إن الأمير قد غضب عليك وإنا نخاف أن ينال غضبه جميع أهلك فاركب إليه. قال: لا أفعل إنه إن نظر إلي قتلني، قالوا له: ما هو فاعل ولابد لك أن تركب معنا. فأتى معهما وتهيأ للقتل وخرج نساؤه معه. فلما دخل على الحجاج قال له: أنت يزيد بن قرة؟ قال نعم. قال: قتلني الله إن لم أقتلك، قال نشدتك الله أن تقتلني فإني قيم أربع وعشرين امرأة ليس فيهن رجل غيري ولا لهن قيم سواي. قال: ومن يعلم ذلك؟ قال هن بالباب. فأمر بإدخالهن وكل واحدة منهن تقول اقتلني ودعه. فيقول من أنت؟ فتقول عمته أو خالته أو بنته أو بنت أخ أو بنت أخت حتى اجتمعن بين يديه. فقالت أخته:

أحجاج هبه اليوم لله وحده ... وللباكيات الصارخات تفجعا

أحجاج إما أن تمن بنعمة ... عليه وإما أن تقتلنا معا

أحجاج كم تفجع به إن قتلته ... ثماني عشر واثنتيت وأربعا

أحجاج لو تسمع بكاء نسائه ... وعماته يفدينه الليل أجمعا

فرق لها الحجاج وبكى وحبسه وكتب في أمره إلى عبد الملك يصف ما جرى. فكتب إليه أعف عنه وألحق عياله في العطاء ففعل.

؟ حكاية

قيل لأبي عقيل البليغ: كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة؟ قال: رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر، وحاجته إلى قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحب الحاجة.

؟؟ حكاية

لقي أبو دلامة أبو دلف في مصادله وهو والي العراق فأخذ بعنان فرسه وأنشد:

إني حلفت لئن رأيتك سالما ... بقرى العراق وأنت ذو وفر

لتصلين على النبي محمد ... ولتملأن دراهما حجري

فقال: أما الصلاة على النبي محمد فصلى الله عليه وسلم. وأما الدراهم فلا. قال له: جعلت فداك لا تفرق بينهما بالذي أسأله أن لا يفرق بينك وبين النبي صلى الله عليه وسلم. قال: فاستسلفها أبو دلف وصبت في حجره حتى أثقلته.." (١)

"الأبيات التي تفك بها بحور دائرة المشتبه

بيت الهزج التام في الدائرة (مفاعيلن) ست مرات

(عفا يا صاح من سلمى مراعيها ... فظلت مقلتي تجري بما فيها)

بيت الرجز (مستفعلن) ست مرات

(دار لسلمى إذ سليمى جارة ... قفر ترى آياتها مثل الزبر)

بيت الرمل (فاعلاتن) ست مرات

(يا خليلي اعذراني إنني من ... حب سلمى في اكتئاب وانتحاب)." (٢)

"ومن اضطراب المعنى قول أبي داود الأيادى «١» :

لو أنها بذلت لذى سقم ... حرض «٢» الفؤاد مشارف القبض

حسن «٣» الحديث لظل مكتئبا ... حران من وجد بها مض

وكان استواء المعنى أن يقول: لبرأ من سقمه- كما قال الأعشى:

لو أسندت ميتا إلى نحرها ... عاش ولم ينقل إلى قابر

وقال تأبط شرا:

---

(١) المستجاد من فعلات الأجواد التنوخي، المحسن بن علي ص/٦٦

(٢) العروض ابن جني ص/١١٢

قليل غرار النوم

تقديره قليل يسير النوم، وهذا فاسد؛ ووجه الكلام أن يكون ما ينام إلا غرارا؛ فإن احتلت له قلت: يعنى أن نومه أيسر من اليسير.

وقول أبى ذؤيب «٤» :

فلا يهنأ «٥» الواشون أن قد هجرتها ... وأظلم دونى ليلها ونهارها

هذا من المقلوب؛ كان ينبغى أن يقول: وأظلم دونها ليلى ونهارى.

وقول ساعدة «٦» :

فلو نبأتك الأرض أو لو سمعته ... لأيقنت أنى كدت بعدك أكمد

كان ينبغى أن يقول: إنى بعدك أكمد.

ومن الخطأ قول طرفة يصف ذنب البعير «٧» :

كأن جناحى مضرحى تكنفا ... حفافيه شكا فى العسيب بمسرد «٨»

وإنما توصف النجائب بخفة الذنب «٩» ... وجعله هذا كثيفا طويلا عريضا.." (١)

"فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفينه فكوني له أمة يكن لك عبدا واحفظي مني عشر خصال تكن لك ذكرا أما الأولى والثانية والثالثة والرابعة فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح واعلمي أن الماء أطيب الطيب المفقود وان الكحل أحسن الحسن الموجود وأما الخامسة والسادسة فالتعهد لوقت طعامه والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فاحتفاظك بماله فإنه من حسن التقدير ورعايتك على الحشم والعيال فإنها من حسن التدبير وأما التاسعة والعاشرة فألا تفشي له سرا ولا تعصي له أمرا فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره وان عصيت أمره اوغرت صدره واتقي الفرح لديه إذا كان ترحا **والاكتئاب** عنده إذا كان فرحا واعلمي أنك لن تصلي إلى مرادك منه حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك والله يخير له ويصنع برحمته لك

وكانت في رواية ابي اليقظان ألفاظ ردئية مردودة تركتها

١٠٧٥ - قولهم صري عزم من أبي سمال

يضرب مثلا للرجل يصدق عزمه على الشيء فلا ينثني عنه حتى يناله

وأصله ما أخبرني أبو أحمد عن نفطويه عن أحمد بن يحي عن ابن الأعرابي قال كان أبو سمال الأسدي متهما في دينه فضلت ناقته فحلف." (٢)

"لي مهجته، كان أطوع لي من كفي، وكنت أذل له من نعله، أتكلم بكلامه فينطق بلساني، إن قلت خيرا أعانني، وإن ملت إلى سيئ ردعني، كان والله إذا قال فعل، وإذا حدث صدق، وإذا أؤتمن لم يخن، ضاحك السن، مسفر الوجه،

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/٩٣

(٢) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ٥٧٢/١

كان إذا غاب فكأنه شاهدي، وإذا غبت عنه فكأنه يراني، لا ينطق لسانه بخلاف ما يضمر جنانه، لا يدري أينا أسر بصاحبه، ولا أينا أصدق مودة بخليطه، آنس ما كنا إذا اجتمعنا، وأوحش ما كنا إذا افترقنا، ما تفرقنا طول صحبتنا إلا يوما حسبناه حولا، أغبط ما كنا إذ رمى الهر فلم يشق إذ رمى من كل روحه روحي، ونفسه أعز علي من نفسي، فليته أصابني وأخطأه، وإذا لم يخطئه أصابني معه، فيكون موتنا معا كما كان عيشنا معا، مات فمات الوفاء بعده، خاب الرجاء فما ألذ بعده طعاما، ولا أسيغ شرابا، غما له، **واكتئابا** عليه، وشوقا إليه، فلو كنت أقول الشعر لرثيته آخر الدهر، ولأتعبت بالقوافي الكاتبين، فبليت بعده بمن إذا أحببته أبغضني، وإن وددته عاداني، وإن أقبلت نحوه ولى عني، فهو كالذئب والغراب، ما للذئب يناله الغراب، وما للغراب فالذئب لا يطمع فيه، حسبك به غادرا، تراه عن الوفاء مبطئا، وإلى الخيانة مهملجا.

قال أرسطو طاليس في رسالة أفدناها أبو سليمان: تعهد الإخوان بإحياء الملاطفة، فإن التارك متروك، ثم تعهد إخوان الإخوان، فإن." (١)

"وأنشد ابن أبي طاهر صاحب كتاب بغداد وصاحب المنثور والمنظوم لشاعر: الطويل

فسقيا لأيام الشباب الذي مضى ... ورعيا لعيش عنده غير عائد

لهونا بها حينا وما كان مرها ... على طولها إلا كرقدة راقد

وأنشد ابن أبي طاهر أيضا لشاعر: البسيط

وقد رجوتك دون الناس كلهم ... وللرجاء حقوق كلها يجب

فأعطني منك ما أملت في عجل ... فإنني من تقاضي الجد **مكتئب**

إلا تكن لي أسباب أمت بها ... ففي العلا لك أخلاق هي النسب

قال الحسن البصري: ذم الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر.

وكان يقال: من أنذر كمن بشر.

وكان يقال: من عدم فضيلة الصدق في منطقه فقد فجع بأكرم أخلاقه.

ويقال: القصد ما إن زيد عليه كان إسرافا، وإن نقص منه كان تقتيرا.." (٢)

"لا يجمع الطرف أدناه وآخره ... ولا يسايره التحصيل والعدد

إذا أناخت على قوم كلاكله ... لم تطف حرته إلا وقد خمدوا

قال ابن أبي طاهر: ذكر أعرابي البراغيث فقال: قبحها الله، ليلها ناصب، وطالبها دائب، ومددها ثائب.

وقال إسحاق: ذكر آخر البراغيث فقال: أخزاها الله ما آذى صغارها، وما أشر كبارها، وما أخفى انطمارها، وما أسرع مطفارها، وأقبح آثارها. كذا حكي لي.

لبعض أهل المغرب: الوافر

---

(١) الصداقة والصديق أبو حيّان التوحيدي ص/٢٨٦

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١/٩٤

أتضحي في كتامة ذا **اكتئاب** ... تقارعها قياما في قيام

إذا ما وقعة دارت رحاها ... بحز معاصم وبفلق هام

أتت أخرى تطم وتعتليها ... يشيب لوقعها رأس الغلام

أألتذ الحياة بخفض عيش ... معاذ الله والشهر الحرام

ولكن التجلد لي خدين ... فسني ضاحك والقلب دام

لعل الله يجمعنا جميعا ... وقد تمت لنا رتب الكرام

قدم حماد بن جميل من فارس، فأتى آل المهلب في حق لهم وعليه جبة وشي، فنظر إليه يزيد بن المنجاب وقال: " هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا " الإنسان: ١، فقال حماد: "كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم " النساء: ٩٤.." (١)

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو الدرداء: لتدخلن الجنة كلكم أجمعون إلا من شرد على الله عز وجل شراد البعير.

رأى أبو الدرداء منزل رجل قد شاده فقال: ما أحكم ما تبنون، وما أطول ما تأملون، وأقرب ما تموتون.

قال فيلسوف: القوب أوعية السرائر، والشفاه أقفالها، والألسنة مفاتيحها، فليحفظ كل منكم مفتاح وعاء سره.

قال فيلسوف: أعلم الناس بالدهر أقلهم تعجبا من أحداثه.

يقال: من أثر الخير سار به ذكره، وتوفر عليه أجره.

شاعر: المنسرح

لاح له بارق فأرقه ... فبات يرعى النجوم **مكتئبا**

يطيعه الطرف عند دمعته ... حتى إذا حاول الرقاد أبي

قال أعرابي: خير المعروف ما لم يتقدمه مطل ولم يتبعه من.

قال ابن السماك: لولا ثلاث لم يسل سيف، ولم يقع حيف:." (٢)

"فمن ذا الذي يخشاكم لملة ... ومن ذا الذي يغشاكم بسلام

رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة ... بشرب مدام أو بلثم غلام

ولم تعلموا أن اللسان موكل ... بمدح كرام أو بذم لئام

كاتب: أشد من كرب الشوق، وأفطع من حرق الفراق، ما تضمنه صدر من لا تساعده دموعه، ولايطاوعه لسانه، فترى الزفرات تتردد في أحشائه، والغموم تتلظى تحت جوانحه، ولو انطلقت عبرته وأسمح لسانه، لطفي بعض ما يعانيه، ولهذا نبذ ما يقاسيه، وإن كان قدر التبل بفراقك أعظم من أن يوازن بالبكاء، ومقدار الصبابة إليك أقوى من أنيستدرك **بالاكتئاب**.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٤٠/١

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٧٠/١

قال الزيادي، قال السري: النبيذ صاوبن الغم.

شاعر: الخفيف

رب ليل وصلته بنهار ... ورضاب مزجته بعقار

ومدام أدرتها بيمين ... وصلاف أخذتها بيسار

وصغار شربتها بحبيب ... وحبيب صرعته بكبار

وظباء جمعت بين لذيذ ال ... عيش بيني وبينها في إزار." (١)

"قال الحسن البصري: لا يرد جوائز الأمراء إلا مراء أو أحمق.

قال الأصمعي: لما قتل المختار أخذ رأسه وحمل بدنه على بغل، فكان كلما مال مسك بأيره، فكان أيره سكانه. هذا لفظ الأصمعي.

لأبي الخطاب النحوي:

أما والله لولا خوف هجر ... يكون من التنازع والعتاب

وأمر لست أدري كيف آتي ... إذا فكرت فيه بالجواب

لقلت مقالة فيها شفاء ... لنفسي من هموم **واكتئاب**

ولكن سوف أصبر فاصطباري ... على المكروه أولى بالصواب

قال ابن السماك: عجبا للفتى المترف الذي تعود النعيم في الدنيا، والطعام الطيب، والمركب الوطيء، والمنزل الواسع، كيف لا يعمل ها هنا مخافة أن يفوته ذاك في الآخرة، وعجبا للفقير المجهود الذي لا يقدر من الدنيا على حاجته كيف لا يعمل رجاء أن يذهب إلى نعيم وروح ويستريح مما هو فيه.

قال عبيد الله بن زياد: إياكم والطمع فإنه دناءة، والله لقد." (٢)

"وقال:

وهبت الشمال البليل وإذ ... بات كميع الفتاة ملتفعا

ويسمى الجنوب: الأزيب، ويسمى النعامى، قال أبو ذؤيب:

مرته النعامى فلم يعترف ... خلاف النعامى من الشام ريحا

وتسمى الشمال محوة، ويقال: هاجت محوة غير مجراه، وتسمى الجربياء. قال ابن أحمر:

بواد من قسا ذفر الخزامي ... تداعي الجربياء به الحنينا

وإنما سميت محوة لأنها تمحو السحاب: تكشفه وتذهب به، ويقال: أصبحت السماء صحوة محوة إذا امحى ما عليها من السحاب.

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٨٩/٤

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٧١/٩

قال أبو زيد: من أسماء الدبور: محوة والقفواء. وعند الأصمعي: محوة اسم للشمال ويسمى أيضا مسعا ونسعا. قال شعرا:

قد حال دون دريسيه ماؤبه ... تسع لها بعضاة الأرض تهزيز

ويقال: أجنبنا وأشملنا وأدبرنا وأصبينا أي دخلنا فيها، وكذلك أرحنا فإن أردت أنها أصابتنا قلت: قبلنا وصبينا، فنحن مصبؤون ومصبيون وجنبنا ودبرنا ورحنا فنحن مريحون.

قال:

غير درست غير رماد مكفور ... **مكتئب** اللون مريح ممطور

وقال آخر: مجنوبة الدل مشمول خلائقها.

وخالف الطرماح أكثر العرب فجعل الهيف في البرد فقال:

وطفأ سارية وهيف مبرد

وقال أبو زياد يقول: إذا كان يوم ريح هذا يوم هائف طيب، ومن أمثالهم: ذهبت هيف لأديانها. وقال ذو الرمة:

أهاضيب أنواء وهيفان جرتا ... على الدار أعراف الجبال الأعافر

وثالثة تهوي من الشام حرجف ... لها سنن فوق الحصى بالأعاصر

ورابعة من مطلع الشمس أجلفت ... عليها بدقعاء المعا فقراقر

فذكر الرياح الأربع كلها فجعل الجنوب والدبور منها يحيي الخير، وهما الهيفان-." (١)

"سكنوا الياء. ومن قال إخوتا فر من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة، فانقلبت الياء ألفا. على ذلك قولهم بادية وباداة، وناصية وناصاة، وقولك يأباهما وأنت تريد بأبي هما. وقوله لا تبعدوا قد تقدم القول فيه. فأما استدراكه لقوله وبلى والله قد بعدوا فإنه تنبيه منه على أن لا تبعدوا وإن كان لفظه لفظ الدعاء فهو جار على غير أصله، وأنه إنما هو تحسر وتوجع.

وقوله لو تملتهم عشيرتهم، يريد: لو بقوا معهم ملاوة من الدهر ممتعين بهم، ومقتنين العز بمكانهم أو أولادهم بقوا معهم فتربوا في جحورهم، وتأدبوا بسياستهم، واحتبوا بأردية السيادة في أقنيتهم ومحافلهم - لهان بعض الرزيئة. ولك أن تروى أو ولدوا على أن يكون فعلا وواو الضمير بعد حرف الروي تجعل وصلا، ويكون المعنى: لو أعقبوا وخلفوا أولادا يرثون مجدهم ويحيون أسماءهم، ويعمرون معالي آبائهم بعدهم. وجواب لو أول البيت الذي يليه، وهو هان من بعض الرزيئة ومعناه: لو قضى الأمر على ذلك لخف بعض ما على الناس لهم ومن أجلهم، أو خف بعض الذي أجده أنا من **الاكتئاب** والاهتمام مفوتهم. وقوله من بعض الرزيئة الأخفش يجيز زيادة " من " في الواجب، فعلى طريقته يكون المعنى هان بعض الرزيئة. وسيبويه يمتنع من زيادة من إلا فيما ليس بواجب، كالاستفهام والنفي. فعلى طريقته يكون المعنى: كان ابتداء المهون بعض الرزيئة أو من بعض الرزيئة. وقوله كل ما حي ما زائدة، ويجوز أن يريد بالحي القبيلة. ومعنى أمروا كثروا. يقال أمر الشيء وآمره الله له. ويجوز أن يريد بالحي ضد الميت ويكون الضمير من أمروا عائدا إلى لفظ كل. فيقول: كل قبلة وإن تناسلوا وتكاثروا فمآل

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/٣١٦

أمرهم إلى مثل ما آل أمر إخوتي، ومورده من الذهاب والفناء مثل موردهم، إذ كان الموت لا معدل عنه، ولا منجي لأحد منه. وجواب الشرط في قوله وإن أمروا دل عليه قوله واردو الحوض الذي وردوا، والضمير العائد من الصلة إلى الموصول محذوف، كأنه قال: الذي وردوه، لأنهم استطالوا الاسم بصلته.

وقالت امرأة أخرى

طاف يبغي نجوة ... من هلاك فهلك." (١)

"عن ذويه والمنتسبين إليه، لا يضجر بما يحل بفنائه، ولا يتسخط أمرا يقترح عليه، أو يستنهض إليه.

وقال أبو الحجناء

أعاذل من برزأ كحجناء لا يزل ... كثيبا ويزهد بعده في العواقب

يقول: يا عاذلة، من يصب بمثل من أصبت به يتصل **اكتئابه**، ويدم زهده في عواقب أطهار النساء ومباشرتهن علما بأن مثل ذلك الولد لا يعتاض منه. وحجناء: ابنه. كأن عاذلة آذته بتكرير الوصاة عليه وإدامة الوعظ له، وأن ما يأتيه من التفجع مستسرف ومستقبح، لخروجه عن العادات، فأقبل يجيبها ويذكر عذره لها. وقد صرح غيره بهذا المعنى فقال:

أفبعد مقتل مالك بن زهير ... ترجو النساء عواقب الأطهار

حبيبا إلى الفتيان صحبة مثله ... إذا شان أصحاب الرحال الحقائب

انتصب حبيبا على الحال للضمير في قوله بعده. وصحبة ارتفع على أنه قام مقام فاعل حبيبا. ويروى حبيب إلى الفتيان فيكون خبرا مقدما، والمبتدأ صحبة مثله. وجواب إذا ما يدل عليه صدر البيت، كأنه قال: إذا بخل أصحاب الرحال بالزاد فشأنهم امتلاء حقائبهم وقلة إنفاقهم منها، ففي ذلك الوقت يستحب الفتيان صحبة مثل ابنى حجناء، لحسن توفره، ورحابة صدره، وكرم صحابته، وجميل تفقده لأصحابه. وإنما قال صحبة مثله ولم يقل صحبته، إجلالا له، وصيانة لاسمه، لا إثباتا لنظير له. وعلى هذا قولهم: مثل فلان لا يوازي، ومثلك لا يفعل كذا. وفي القرآن: " ليس كمثله شيء ".

نظام أناس كان يجمع شملهم ... ويصدع عنهم عاديات النوائب." (٢)

"وقوله رمى بصدور العيس مخرق الصبا يريد أنه توجه في المفازة حيث تنخرق الريح، ورمى بصدور رواحله نحوها، فلم يعرف له بعد ذلك خبر ولا أثر. وقوله أين يمما موضع الجملة من الإعراب نصب على أنه مفعول لم يدر، كأنه قال: لم يدر خلق ما يقتضي هذا السؤال. وهذا الكلام نهاية فيما يثيره الجزع من المشفق القلق، ويدور في شكوى المتوله الحدب، لأنه إذا لم يمكنه الرجوع إلى شيء بعد جولة الوداع والافتراق، إلا إلى صدمة اليأس **والاكتئاب**، فذاك أجلب للوادع الرزيئة، وأجمع لبوارح الشكية.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٤٥

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٥١

وقوله فيا جازي الفتيان بالنعم اجزه دعاء له، والمعنى أحسن إليه بدل إحسانه إلى خلقك، وجزاء على إنعامه في عبادك، وتجاوز عن سيئاته فيما كان فيه ظالما، وعن الحق والنصف عادلا. وقوله كان أظلما أي كان ظالما. وأفعل بمعنى فاعل جاء كثيرا. ومثله:

فتلك سبيل لست فيها بأوحد

وجعل في الثاني شرطا لأنه قال واعف إن كان وفي الأول لم يأت بمثله ليدل على سلامة طريقته من الجور والاهتضام، وبراءة ساحته في غالب ظنه مما يستحق به العقاب والانتقام. الكلام وإن كان فيه دعاء فهو تحسر وتوجع. وإنما قلت هذا لأن استعمال الدعاء بعقب ما ذكر طريق في إظهار الخيبة لا يكاد يعفيها تعاور الأحوال بالسلوة، ولا يحول عن سلوكها تعاقب الأزمان بالمساءة والمسرة.

وقال شبيب بن عوانة

لتبك النساء المعولات بعولة ... أبا حجر قامت عليه النوائح

عقيلة دلاه للحد ضريحه ... وأثوابه يبرقن والخمس مائح

خدب يضيق السرج عنه كأنما ... يمد ركابيه من الطول ماتح

لتبك النساء أمر من فعل يدل على الحال. ألا ترى أنه وصف النساء المأمورات بأنهن معولات. والأمر وإن كان في الأكثر يبنى على المستقبل يصح أن يبنى على ما." (١)

"وقولها (فلله عينا) تعجب، وهي في تعظيم الشيء ينسبونه إلى الله عز وجل، وإن كانت الأشياء كلها له تعالى وفي ملكته.

وقولها (أكر) أي لأكثر كرا. و (أحمى) يجوز أن يكون من الحماية ويجوز أن يكون من الحمية. والمعنى: لله عينا رجل رأى فتى مثله أكر منه وأحمى. وقولها (من) نكرة يرتيد رجلا أو إنسانا. و (رأى مثله) صفة لمن. وقولها (إذا أشرعت فيه الأسنة) ، تريد: في الهياج. ويجوز أن تريد في المرثى، أي قبله. والهياج يجوز أن يكون مصدر هائج، ويجوز أن يكون جمع هيج، والراد به الحرب وقد هاجت. فتريد: إذا هيئت الرماح لطعنه اقتحمها وتلقاها، لا يحيد عنها حتى يخوض الموت بها، فيتركه أحمر، أي شديدا.

ويقال: ميتة حمراء، وسنة حمراء، وسنون حمراوات. ويقولون: (الحسن أحمر) ، أي طلب الجمال تتجشم فيه المشاق.

وقالت امرأة من طيء

تأوب عيني نصبها واكتئابها ... ورجيت نفسا رث عنها إيابها

أعلل نفسي بالمرجم غيبة ... وكاذبتها حتى أبان كذابها

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٦٨٦

أصل التأوب والتأويب: سير النهار كله حتى يتصل بالليل. وقد فسر ابن الأعرابي قول النابغة:

وليس الذي يتلو النجوم بآيب

على أنه من هذا لا من الأوبة الرجوع. والنصب، من قولهم أنصبه المرض والحزن، إذا أثر فيه. قال:

تعناك نصب من أميمة منصب

وقال الدريدي: يقال نصبه أيضا. والاكتئاب: الحزن. والمعنى أنه ناب عيني، وواظب عليها من السهر والكآبة والهم الناصب، ماأثر فيها، وعلقت رجائي بنفس غائبة عني قد استعجمت أخبارها علي، فأبطأ رجوعها إلي.." (١)

"والمراد به ابتداء الشباب. وذكر بعضهم أن المراد بالرقارق مياه رقيقة، وأن الزرق الصافية، والرمد المتغيرة الألوان، والأول أقرب، لأن الرمد لا يستعمل إلا في الحاسة، ولأن الفائدة في كون مياه بالغضي على هذه الصفة قليلة. وقصد الشاعر فيما كلف صاحبيه أن يجددا عهد بأهل الغضى، ويتعرفا من أخبار محبوبته، ما تسكن نفسه إليه. وفي قوله إن بالغضي رقارق، إذا جعلت الرقارق نساء، نسيب بها وبصواحبها: وقوله لا زرق العيون، ثبت لهن كحل العيون وسلامتها من الآفات، بنفي الأضداد عنها، وهذا كتحديد الشيء بالسلب.

وقوله أكاد غداة الجزع يصف ما ناله يوم البين، وأنه مع ثباته في الشدائد، وصبره على النوائب، وحسن تمسكه عن جوالب الهوى، يفتضح ويظهر عليه من الاكتئاب والوجد ما يستدل به على مستكنات صبابته، وخفيات أحواله.

فلله درى أي نظرة ذي هوى ... نظرت وأيدى العيس قد نكبت رقدا

يقربن ما قدامنا من تنوفة ... ويزددن ممن خلفهن بنا بعدا

قوله لله درى يجري مجرى: لله خيري. ومن عادتهم أن ينسبوا ما يعجبهم إلى الله تعالى ذكره، وإن كانت الأشياء كلها في الحقيقة له. وقد فارق درى بالاستعمال على هذا الوجه المصادر، فلا يتعلق به شيء من متعلقاتها. وقوله أي نظرة ذي هوى تعجب، وانتصب أي بنظرت. وكأنه لما صبر عندما رأى من أيات الفراق ولواذع البين، وصار بمرأى منه وبمسمع، من التهيؤ للارتحال، ومن تدبير عوارض السفر، عد ذلك من نظره وجلده شيئا عجيبا. ومعنى نكبت رقدا وهو موضع كان يجمعهم. ويجوز أن يريد بذلك نظره في إثر الظعائن تحسرا وصاحبته معهن، كما قال الآخر:

بعيني ظعن الحي لما تحملوا ... لدى جانب الأفلاج من جنب تيمرا

وقوله:

ولما بدا حوران في الآل دونها ... نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا." (٢)

"ومشتملا على محلك. فأين تنقلت ونزلت صحبك الخير وانساق معك الغيث. وعلى هذا يكون قوله من كل بلدة عاما في أقطار الأرض وأبلادها. وروى أيضا: فسيق الغمام الغر من كل بلدة وهو ظاهر المعنى. وقوله فأصبح منه، أي من الغيث. وقوله كل واد وصفه بقوله حللته وانتصب مسفوح المذانب على أنه خبر أصبح.

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٧٧٤

(٢) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/٩٩٣

متى تنع ينع البأس والجود والندى ... وتصبح قلوص الحرب جرباء حائلا

فلا ملك ما يدركنك سعيه ... ولا سوقة ما يمدحنك باطلا

يقول: بقاء السخاء والمروءة وتقوى الإله والشدة، متصل ببقائك، لأنها شيمك وطبائعك، فأنت تقيمها وتربها، وتحفظها عن الذهاب والدروس وتحرسها فإن هلكت فقد هلك جميعها، ويصبح الاستسلام والانقياد لهضمية والشر شاملين للناس، فلا يكون بهم دونها دفاع، ولا إباء منها ولا امتناع، وتصير قلوص الحرب سيئة الحال يقتطعها الحيال عن اللقاح، ويمتلكها ما بنفسها من الجرب والضعف عن النزو والجذاب. وهذا مثل لما يفارق الناس من العز والاقتدار، ويلازمهم من الذل والاكتئاب. وضد هذا قول زهير:

.... وتلقح كشافا ثم تحمل فتتئم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقوله فلا ملك ما يدركنك سعيه يصفه بأنه لا غاية وراء غايته لمرتق ولا فوق نهايته نهاية لمعتل، فكل ساع من الملوك يقف دونها، وينحط عن درجتها، وأن السوق وإن أسرفوا وأفرطوا في التفريط والإطراء، يقصرون عن بلوغ حده بالوصف، وتصوير كنهه عند النعت، بل أحسن أحوالهم أن يقولوا بعض ما قيل من الحق.

وأدخل النون الثقيلة في يمدحنك ويدركنك لما في الكلام من من معنى النفي، ولأن ما الزائدة للتأكيد لفظه لفظ ما النافية. ومثله:

في عضة ما ينبتن شكيرها." (١)

"لك، والأمور متسقة عليك، وقد مثلت ونفست. وهو قول الله تبارك وتعالى " ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ". أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك نساءك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه؟ قد هتكت ستورهن ٣٥٤، وضحكت بحوجهن مكتئبات تخدى بهن الأباعر، ويحدو بهن الأعادي، من بلد إلى بلد لا يراقبن ولا يؤوين، يتشوفهن القريب والبعيد، ليس معهن ولي من رجالهن، وكيف يستبطأ في بغضتنا من نظر إلينا بالشنف والشنان، والإحن والأضغان؟ أتقول: ليت أشياخي ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم، وأنت تنكت ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك؟ ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، بإهراقك دماء ذرية محمد صلى الله عله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، ولتردن على الله وشيكا موردهم، ولتؤدن أنك عميت وبكمت، وإنك لم تقل: فاستهلوا وأهلوا فرحا اللهم، خذ بحقنا، وانتقم لنا ممن ظلمنا! والله ما فريت إلا في جلدك ولا خرزت إلا في لحمك، وسترد على رسول الله برغمك، وعترته ولحمته في حظيرة القدس، يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث، وهو قول الله تبارك وتعالى: " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين " وسيعلم من بوأك ومكنك من رقاب المؤمنين، إذا كان الحكم الله والخصيم محمد، وجوارحك شاهدة عليك. فبئس للظالمين بدلا، وأيكم شر

---

(١) شرح ديوان الحماسة المرزوقي ص/١١٤٩

مكانا وأضعف جندا، مع أني – والله – يا عدو الله وابن عدوه أستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، غير أن العيون عبرى، والصدور حرى وما يجري ذلك أو يغني عنا، وقد قتل." (١)

"ترسه، فإن أقر فضعي الإكاف على ظهره فإنما هو حمار. وأوصت أخرى ابنتها وقد زوجتها فقالت: لو تركت الوصية لأحد لحسن أدب أو لكرم حسب لتركتها لك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل. يا بنية: إنك قد خلفت العش الذي فيه درجت، والموضع الذي منه حرجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، كوني لزوجك أمة، يكن لك عبدا، واحفظي عني خصالا عشرا، تكن لك ذخرا وذكرا، أما الأولى والثانية: فحسن الصحابة بالقناعة، وجميل المعاشرة بالسمع والطاعة، ففي حسن الصحابة راحة القلب، وفي جميل المعاشرة رضا الرب. والثالثة والرابعة: التفقد لموضع عينه، والتعاهد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا تجد أنفه منك خبث ريح. واعلمي أن الكحل أحسن الحسن المودود، وأن الماء أطيب الطيب الموجود، والخامسة والسادسة، فالحفظ لماله، والإرعاء على حشمه وعياله، واعلمي أن أصل الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير، والإرعاء على الحشم والعيال من حسن التدبير. والسابعة والثامنة: التعاهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فحرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، والتاسع والعاشر: فلا تفشين له سرا ولا تعصين له أمرا، فإنك إن أفشيت سره، لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أوغرت صدره. لما حضرت وكيعا الوفاة، دعا بنيه فقال: يا بني إن قوما سيأتونكم قد فرحوا جباههم وعرضوا لحاهم، يدعون أن لهم على أبيكم دينا فلا تقضوهم، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفرها الله، لم تضره هذه، وإلا فهي مع ما تقدم. لما حضرت سعد بن زيد مناة الوفاة جمع ولده، فقال: يا بني أوصيكم بالناس شرا، كلموهم نزرا، واظعنوهم شذرا، ولا تقلبوا لم عذرا، اقصروا الأعنة، واشحذوا الأنة، وكلوا القريب يرهبكم البعيد. وأوصيت امرأة ابنتها وقد أهدتها إلى زوجها، فقال: كوني له فراشا يكن لك معاشا، وكوني له وطاء يكن لك غطاء، وإياك والاكتئاب إذا كان فرحا، والفرح إذا كان كئيبا، ولا يطلعن منك على قبيح، ولا يسمن منك إلا الطيب." (٢)

"وأما الوجه الآخر، فإن أراد ندماؤكم الانصراف فلا تمنعوهم من ذلك ولا تحبسوهم للمبيت، واحذروا ذلك غاية الحذر، فإنن آفات المبيت أعظم ضررا مما ذكرنا منن آفات الصبوح لأنه قد يكون في القوم الخفيف المنام، السريع القيام فيفر عنه نومه، ويحتاج إلى المؤانسة فيقيم من يطيب له النوم ويشتد عليه القيام، ويمتنع منه الكلام، فإن ساعده بعضهم، احتاج إلى تجديد المجلس وطلب الطعام، ولعل ذلك يتعذر على العيال في جوف الليل فلم يكونوا أعدوا منه عدة، ولو كان معدا، لقد كان في إيقاد السراج، وإيقاظ النيام، وإحضار الطعام والشراب أشد الإبرام. وإن كان في القوم دباب عند إطفاء السراج ونزول الظلام. وقد بيت على الغلام فأخطأه وأصاب المولى وبعض الندماء، فيا لك من رفسة ولكمة ولطمة وجدع أذن بكدمة، فإن احتيج إلى إشعال السراج لينظروا من الفاعل ولم يكن في الدار نار وفتح الباب وخرج الغلام ورافق ذلك مرور الحرس فقبض عليه وحبس فإن أحسوا بهيمنة العربدة، كسروا الباب ودخلوا الدار وولد ذلك أكثر مما كانوا فيه وكانت الفضيحة بين الجيران وثقل المغرم لأعوان السلطان، وإن سلموا من هذا كله وانتبهوا عند الصباح، طلبوا الرؤوس وعرفوا

---

(١) نثر الدر في المحاضرات الآبي ١٨/٤

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٢٥١/٦

بالصبوح، ووصلوه بالغبوق، فحل على صاحب المنزل يوم ودعوتان في دعوة، واتصل نصبه وطال تعبه. وآفات هذا الباب كثيرة، ولو استقصيتها لكم لطال بها الخطاب. والذي أوصيكم به أن يجودوا نبيذكم ما استطعتم وإن قل طعامكم وتعذر، فإن مسافة الطعام قصيرة قليلة، ومسافة الشراب كثيرة طويلة، فإنكم إذا اهتممتم للفتيان في الطعام، وأتيتموهم بالحار والبارد من الجداء والحملان والسمك والدجاج والبط والدراج والحلو والحامض ثم قدمتم إليهم شرابا غير طيب، نغصتم عليهم جميع ما أكلوه عندكم، ولو عظم إنفاقكم عليه ولو أتيتموهم بكل غريب من النقل والريحان والطيب والأدهان لما أصلح ذلك كله خسار شرابكم. فإن غبت تشاكوا، وإن حضرت كانت غاية أحدهم حبس كأسه في يده وإن غفل الساقي عنه كبه في ذلك الريحان فيدعي أحدهم مغسا في جوفه، وآخر صداعا برأسه، وآخر يقول في نفسه ليتني اعتذرت ولم أكن جئت، وأنتم إذا قدمتم اليسير من الطعام الذي لا كلفة فيه عليكم وجودتم شرابكم حمدت دعوتكم ولذت معاشرتكم وسرت منادمتكم وعرف موقعها، فأحسنوا التدبير في جودة النبيذ، فإنه من أفضل ما تحوطون به أنفسكم وتحفظون به مروءاتكم وفقكم الله وسددكم.

وقال ابن المعتز في ذم الصبوح:

اسمع فإني للصبوح عائب

عندي من أخباره عجائب

إذا أردت الشرب عند الفجر

والنجم في لجة ليل يجري

وكان برد بالنسيم يرتعد

وريقه على الثنايا قد جمد

وللغلام ضجرة وهمهمة

وشتمة في صدره مجمجمة

يمشي بلا رجل من النعاس

ويدفق الكأس على الجلاس

ويلعن المولى إذا دعاه

ووجهه، إن جاء، في قفاه

فإن أحس من نديم صوتا

قال مجيبا: طعنة وموتا

أعجل من مسواكه وزينته

وهيئة تظهر حسن صورته

وإن يكن للقوم ساق يعشق

فجفنه بجفنه مرنق

وراسه كمثل فرو قد مطر

وصدغه كالصولجان المنكسر

فإن طردت البرد بالستور

وجئت بالكانون والبخور

فأي فضل للصبوح يعرف

على الغبوق والظلام مسدف

ولو دسست في است محموم لما

نجوت من قراد إما صمما

تحسب في رياحه الشمائل

صوارما ترسب في المفاصل

وقد نسيت شرر الكانون

كأنه نثار ياسمين

يرمي بها الجمر إلى الأحداق

فإن وني قرطس في الآماق

وترك البساط بعد الخمد

بنقط سود كجلد الفهد

وقطع المجلس في **اكتئاب**

وذكر حرق النار للثياب

ولم يزل للقوم شغلا شاغلا

وأصبحت ثيابهم مناخلا

حتى إذا ما ارتفعت شمس الضحى

قيل فلان وفلان قد صحا

وربما كان ثقيلا يحتشم

فطول الكلام حينا وجشم

ورفع الريحان والنبيذ

وزال عنا عيشنا اللذيذ

ولست في طول النهار آمنا." (١)

---

(١) قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور الرقيق القيرواني ص/٨٢

"(ولم أر قبله رأسا سواه ... غدا وقفا على حرب عوان)

(ولا سيما إذا الأيدي توالت ... عليه والتقت حلق البطان) // من الوافر //

ومنها

(إلى من راحتهاه ندى وجود ... علينا بالمواهب ثرتان)

(كريم لا يدافع عن سماح ... جواد ماله في الجود ثان)

(تناهت عنده الآمال لما ... غدا أقصى النهاية في الأماني)

ومن أخرى

(كل يوم أنا من إيري ... في أمر عجاب)

(ليس يخليني من هم ... وحزن **واكتئاب)**

(لم يدع لي ذهبا إلا ... رماه بالذهاب)

(وابتدى المشؤوم أن يعمل ... في أمر التباب)

(هل مجير لي منه ... أهل ودي وصحابي)

(أو وإلا ثبت والرحمن ... من لعب الكعاب)

(أنا مبلي من بلاياه ... بنصب وعذاب)

(أنا لولاه لألفيت ... قليل الاضطراب)

(وتجزيت بنزر ... من طعام وشراب)

(ولما طال انتزاحي ... عن بلادي واغترابي)

(لعنة الله عليه ... وبراغيث الكلاب)." (١)

"(فلكم أوقفني موقف ... خزي **واكتئاب)**

(ولكم أغلقت بابا ... من هواه دون باب)

(رب قد أبليتني منه ... بمعتوه مصاب)

(عينه في كل من دب ... على وجه التراب)

(ثم لا يرضيه منه ... غير دبر مستطاب) // من مجزوء الرمل //

ومنها

(وبإحسان تميم ... عذت من عظم مصابي)

(بالأمير السيد الماجد ... والقرم اللباب)

(والهمام المنعم المفضل ... والبحر العباب)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣٩٤/١

(والذي لا فرق ما بين ... جداه والسحاب)

(تنثني منه إلى ذي ... كرم رحب الجناب)

(رافع دون بني الآمال ... أستار الحجاب)

(لم أزره قط إلا ... بت محمود الإياب)

(ذكره أعذب في الأنفس ... من ذكر الشباب)

(ولقد رق عن الماء ... وعن طبع الشراب)

(أكثم في الرأي والفضل ... وقس في الخطاب)

وقوله

(كتب الحصير إلى السرير ... أن الفصيل ابن البعير)." (١)

"(فاخلع عذارك في هواه فربما ... كان المحب على الهوى معذورا)

(ما العز إلا أن تذل مع الهوى ... شحا عليه وإن ظللت أسيرا) // الكامل //

٥١ - منصور بن ابي الهول

قال من مجزوء الرمل

(كم إلى كم أتسلى ... ليس لي صبر أجل لا)

(بأبي أنت وأمي ... أترى قتلي حلا)

(حاش لله بأن اسلو عن الحب وكلا ...) // مجزوء الرمل //

وأنشدني لبعض شعرائهم من المتقارب

(إسار الهوى لا إسار العدا ... هو التارك الحر مستعبدا)

(عبودية تؤيس الآملين ... له أن يباع وأن يفتدى)

(فليس له فرج يرتجيه ... من الاسر غير تمني الردى)

(فيا غصن بان إذا ما مشى ... ويا بدر تم إذا ما بدا)

(ويا عارضا كلما أطمعت ... بوارقه زاد قلبي صدى)

(أسرت فهلا بحكم الكتاب ... قضيت بالمن أو بالفدى)

(ولكن أبيت سوى قسوة ... يفوت بها قلبك الجلمدا) // المتقارب //

٥٢ - غريب بن سعيد

أنشدني له من مجزوء الكامل

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣٩٥/١

(وجد دخيل واكتئاب ... وفراق شمل واقتراب)

(ما بين قلبي إذ نأيت وبين إخواني حجاب ...)." (١)

"(تساوت قلوب الناس في الحزن إذ ثوت ... كأن قلوب الناس في موتها قلب) // الطويل //

ومصراع البيت الاول من قول المتنبي من الوافر

(مشى الامراء حوليها حفاة ...) // الوافر //

والبيت الثاني من قول ابن الرومي من الطويل

(سلالة نور ليس يدركها اللمس ... إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس)

(به اضحت الاهواء بجمعها هوى ... كأن نفوس الناس في حبه نفس) // الطويل //

ولابي بكر الخالدي في الاخذ منه من الطويل

(وبدر دجى يمشي به غصن رطب ... دنا نوره لكن تناوله صعب)

(إذا ما بدا أغرى به كل ناظر ... كأن قلوب الناس في حبه قلب) // الطويل //

وقال السري من قصيدة من البسيط

(أيام لي في الهوى العذري مأربة ... وليس لي في هوى العذال من ارب)

(سقى الغمام رباها دمع مبتسم ... وكم سقاها التصابي دمع مكتئب) // البسيط //

وردد هذا المعنى فقال من الطويل

(ولما اعتنقنا خلت أن قلوبنا ... تناجي بأفعال الهوى وهي تخفق)

(هي الدار لم يخل الغمام ولا الهوى ... معالمها من عبرة تترقرق) // الطويل //." (٢)

"(أرى هم المرء اكتئابا وحسرة ... عليه إذا لم يسعد الله جده) // الطويل //

كأنه مأخوذ من قول المتنبي من الطويل

(واتعب خلق الله من زاد همه ... وقصر عما تشتهي النفس وجده) // الطويل //

وقال من قصيدة من الكامل

(ما بال طعم العيش عند معاشر ... حلو وعند معاشر كالعلقم)

(من لي بعيش الاغبياء فإنه ... لا عيش إلا عيش من لم يعلم) // الكامل //

هذا معنى متداول ومن احسن ما قيل فيه قول ابن المعتز من الكامل

(وحلاوة الدنيا لجاهلها ... ومرارة الدنيا لمن عقلا) // الكامل //

وقال من اخرى من الكامل

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٥٩/٢

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ١٤٩/٢

(يأبى مقامي في مكان واحد ... دهر بتفريق الاحبة مولع)

(كفكف قسيك يا فراق فإنه ... لم يبق في قلبي لسهمك موضع) // الكامل //

كأنه من قول المتنبي من الوافر

(رماني الدهر بالارزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال)

(فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال) // الوافر //

وقال من الوافر

(برمت من الحياة وأي عيش ... يكون لمن مطاعمه الخبال)

(ولو أني أعد ذنوب دهري ... لضاع القطر فيها والرمال) // الوافر //." (١)

"(رق حسنا وطاب عرفا فقد ... دل بأوصافه الظراف عليكا) // الخفيف //

وقال

(بات سكران لا يحير جوابا ... عن كلامي وبت ألثم فاه)

(وأتاني إبليس يأمر بالسوء ... فما كان ذاك لا وهواه)

(شيمة الظرف أن أصون حبيبي ... عن قبيح يراه أو لا يراه)

(أي فرق بين الحبيب إذا نيك ... ولم يحتشم وبين سواه) // الخفيف //

وقال

(في وجه إنسانة كفلت بها ... أربعة ما من اجتمعن في أحد)

(الخد ورد والصدغ غالية ... والريق خمر والثغر من برد)

(لكل جزء من حسنها بدع ... تودع قلبي بدائع الكمد) // المنسرح //

وقال

(يا نظير البدر في صورته ... وشبيه الغصن في قامته)

(والذي ينتسب الورد إلى ... روضة تضحك في وجنته)

(ما ترى في عاشق **مكتئب** ... دمعه وقف على مقلته)

(واقف بالباب يشكو ما به ... فمتى تنظر في قصته) // الرمل //

وقال

(بأبي الأسمر الذي فزت منه ... بهلال يبين للناظرينا)

(قد سقانا فما شفانا مداما ... وشربنا من ريقه فروينا) // الخفيف //." (٢)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤٥١/٢

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٨/٣

"وكان مما أعجب به وتعجب منه واستضحك له حكايتي رقعة له وردت علي وصدرها رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقة وأقصر من أنملة نملة

قال أبو الحسين وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن الأستاذ الرئيس وزنها واستحلى رونقها وأنشد جماعة ممن حضر ما حضرهم على ذلك الروى وهو قول القائل

(لئن كففت وإلا ... شققت منك ثيابي)

فأصغى إلينا الأستاذ أبو الفتح ثم أنشدني في الوقت

(يا مولعا بعذابي ... أما رحمت شبابي)

(تركت قلبي قريحا ... نهب الأسى والتصابي)

(إن كنت تنكر ما بي ... من ذلتي واكتئابي)

(فارفع قليلا قليلا ... عن العظام ثيابي) من الجثث

قال فتأمل هذه الطريقة وانظر إلى هذا الطبع فإنه أتى بمثل ما أنشده في رشاقته وخفته ولم يعد الجنس ولم يقصر دونه وبذلك تعرف قدرة القادر على الخطابة والبلاغة

قال ومن شعره وهو في المكتب قوله من قصيدة في أبيه أولها

(أليل هو أم شعر ... وبرق هو أم ثغر)

(وحر الصدر ما ضمنت الأحشاء أم جمر ...)

(ويهماء كمثل البحر ... يرتاع لها السفر)." [1]

"(تصيدنا والصيد مستطاب ... واها لناء ما له إياب)

(لكل قلب بعده اكتئاب ... مسوم تعنو له الأسراب)

(أصدأ بادي الحسن لا يعاب ... قد كملت في طبعه الآداب)

(وهذبت أخلاقه العذاب ... أقب مما ولد الأعراب)

(ذو نسب تحسده الأنساب ... وميعة ينزو بها الشباب)

(كأنما غرته شهاب ... كأنما لباته محراب)

(كأنما حجوله سراب ... كأنما حافره مجواب)

(للصخر عند وقعه التهاب ... إذا تدانى فهو الحباب)

(إن القرارات له أنصباب ... وإن علا فالصقر والعقاب)

(للريح في مذهبه ذهاب ... فالوحش ما يلقاه والهراب)

(دماؤها لنحره خضاب ... يا غائبا طال به الإياب)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٢١٧/٣

(لا خير منك ولا كتاب ... ما كنت إلا روضة تنتاب)

(مستأنسا تألفك الرحاب ... تعشقك العيون والألباب)

(ترتج كالموج له عباب ... تناوبتك للردى أنياب)

(تجزع من أمثالها الأحباب ... وكنت لو طالت بك الأوصاب)

(يخف في مصرعك المصاب ... ما طاب عن أضرابك الإضراب)

(ولا صحا من حبك الأصحاب ... وأنت فرد ما له أتراب)

(يا حزنا إذ ضمك الخراب ... وأغلقت من دونك الأبواب)

(كصارم أسلمه القراب ... وقد جرى من فمك اللعاب)

(وامتار منه النحل والذباب ... واعتورتك الفئة الغضاب)." (١)

"(لنسلي الدنيا عليه فإنها ... نزعت به الإحسان والإجمالا) // الكامل //

ولأبي العباس الضبي وقد مر بباب الصاحب

(أيها الباب لم علاك اكتئاب ... أين ذاك الحجاب والحجاب)

(أين من كان يفزع الدهر منه ... فهو اليوم في التراب تراب) // الخفيف //

ولبعض بني المنجم لما استوزر أبو العباس الضبي ولقب بالرئيس وضم إليه أبو علي ولقب بالجليل بعد موت الصاحب تغمده الله برحمته آمين

(والله والله لا أفلحتم أبدا ... بعد الوزير ابن عباد بن عباس)

(إن جاء منكم جليل فاجلبوا أجلي ... أو جاء منكم رئيس فاقطعوا راسي) // البسيط //

وأنشدني أبو العباس العلوي الهمذاني الوصي لنفسه في مرثية الصاحب

(مات الموالي والمحب لأهل ... بيت أبي تراب)

(قد كان كالجبل المنيع ... لهم فصار مع التراب) // مجزوء الكامل //

وأنشدني أيضا فيه لنفسه

(نوم العيون على الجفون حرام ... ودموعهن مع الدماء سجام)

(تبكي الوزير سليل عباد العلا ... والدين والقرآن والإسلام)

(تبكيه مكة والمشاعر كلها ... وحجيجها والنسك والإحرام)

(تبكيه طيبة والرسول ومن بها ... وعقيقها والسهل والأعلام)

كافي الكفاة قضى حميدا نحبه ... ذاك الإمام السيد الضرغام)." (٢)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٢٦٤/٣

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣٣٦/٣

"(أصبحت ذائقة بالوفر منك وإن ... قال العواذل ظن ربما كذبا)

(إن المنى ضمنت عنك الغنى فأجب ... فالبحر يمنح فضل الري من شربا)

(فحسن ظني قد استوفى مدى أملي ... وحسن رأيك لي لم يبق لي أربا)

ومن أخرى

(حجبت وما حجبت عن الصباح ... وليل الصب ممطول البراح)

(وبات السقم يكمن في عظامي ... كمون الموت في حد الصفاح) // الوافر //

ومنها

(كسوت الحمد ذا عرض مصون ... يمتع في حمى مال مباح)

(مزوح اللفظ مجذوع العطايا ... جموح العزم مجنون السماح)

(إذا استجرت على الملك العوالي ... هززت أصم موشى لجناح)

(يريق على الظبا ريق المنايا ... ويكحل بالردى مقل الرماح) // الوافر //

وقوله من أخرى يمدح ويعاتب ويستبطىء

(أرى الأيام تسرف في عقابي ... ودون رياضتي شيب الغراب)

(ألا يا عامر الآمال مالي ... أسير الطرف في أمل خراب)

(أفوت مطارح الأمل انتظارا ... وأسرح بين سقم واغتراب)

(أراع ولا أراعي والأماني ... لقى بين اكتئاب وارتياب)

(وكم كسر جبرت فكان طوقا ... على نحر الدعاء المستجاب) // الوافر //." (١)

"(فيا هلكي هنا لك من مشيبي ... ويا خجلي هنا لك واكتئابي)

(ألا يا خاضب الشيب المعنى ... أعنيفي الشباب على الخضاب)

(فكافور المشيب أجل عندي ... وفي فودي من مسك الشباب)

(وأين من الصباح ظلام ليل ... وأين من الرباب دجى ضباب)

(ألا من يشتري مني شبابا ... بشيب واسودادا باشهباب) // الوافر //

ومما يستحسن من شعره في عضد الدولة قوله

(يا علم العالم في الجود ... مثلك جودا غير موجود)

(بيضت من وجه الندى بالندى ... ما اسود في أيامه السود)

(كم لك في كسبك للحمد من ... سعي على الأيام محمود)

(بين مطيع لك أصفدته ... وبين عاص لك مصفود)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤٣٩/٣

(بك استوى الجود على خدمة ... كما استوى الفلك على الجودي)

(كم مورد منك ندى أو ردى ... بين الرضا والسخط مورود)

(وسؤدد منك بعز العلا ... يا عضد الدولة معضود)

(والدهر طوع لك في كل ما ... تحده من كل محدود)

(وكل جار لك من جوره ... في ظل أمن بك ممدود)

(فعش وعيد سالما آمنا ... ما عاد لطف الماء في العود)

(واسعد يد الدهر بما شئت من ... ملك لأبنائك موطود) // السريع //

ومما يستجاد من شعره قوله في الغزل

(خداك للخنس السبع العلا فلك ... ومقلتاك لشراد الهوى شرك) // السريع //." (١)

"(ألفته إلف عظمي ... لحمي ولحمي إهابي)

(وقد تأخر حتى ... لبست ثوب **اكتئاب**)

(وقد أتاني عنه ... ما لم يكن في حسابي)

(من نظم شعر بديع ... مستظرف مستطاب)

(أما كريم رحيم ... يرثي لطول اغترابي)

(يا رب يسر إيابي ... قد حان وقت انقلابي) // من المجتث //

وله في أبي الحسن العتبي

(يا سائلي عن وزير ... مدحرج مستدير)

(كبط شط سمين ... عريض صدر قصير)

(إن كنت أبصرت قردا ... مذ كنت فوق سرير)

(فهو الوزير وإن كان ... في عداد الحمير) // من المجتث //

وله من نتفة في قابض كفه

(الله صور كفه ... لما براه فأبدعه)

(من تسعة في تسعة ... وثلاثة في أربعه) // من مجزوء الكامل //

وله من أخرى

(تغيرت مع الدهر ... لنا يا شاعر البصره)

(ولم ترع لنا عهدا ... قديم الود والعشره)

(عسى صيرك الشيخ الذي ... يكنى أبا مره) // من الهزج //

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤٨٦/٣

وله

(لزوم البيت أرواح في زمان ... عدمنا فيه فائدة البروز)." (١)

"فإن السيوف تحز الرقاب ... وتعجز عما تنال الإبر

أرى همم المرء اكتئابا وحسرة ... عليه إذا لم يسعد الله جده

وما للفتى في حادث الأمر حيلة ... إذا نحسه في الأمر قابل سعده

مثل خلعت على الزمان رداءه ... عوز الدراهم آفة الأجواد

يهوى الثناء مبرز ومقصر ... حب الثناء طبيعة الإنسان

ونبت بنا أرض العرا ... ق فما محناها بمحنه

غير الرحيل كفى البلا ... د برحلة الفضلاء هجنه

أحسد قوما عليك قد غلبوا ... وكل من بادر المدى غلبا

وكنت كالكرم من تكرمه ... تلتف أوراقه بما قربا

ابن لنكك البصري:

عدنا في زماننا ... عن حديث المكارم

من كفى الناس شره ... فهو في الجود حاتم

وماذا أرجي من حياة تكدرت ... ولو قد صفت كانت كأضغاث حالم

جار الزمان علينا في تصرفه ... وأي دهر على الأحرار لم يجر." (٢)

"تحسين الفراق

قال بعض الظرفاء: في الفراق مصافحة التسليم، ورجاء الأوبة، والسلامة من الملل، وعمارة القلب بالشوق، والأنس بالمكاتبة. وكتب أبو عبد الله الزنجي الكاتب: جزى الله الفراق عنا خيرا، فإنما هو زفرة وعبرة، ثم اعتصام وتوكل، ثم تأميل، وتوقع. وقبح الله التلاقي، فإنما هو مسرة لحظة ومساءة أيام، وابتهاج ساعة واكتئاب زمان. وكتب أحمد بن سعد؛ إني لأكره الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور. ومع الفراق غمة يخفيها توقع إسعاف النوى، وتأميل الأوبة والرجعى. وكتب آخر: لو قلت إني لم أجد للرحيل ألما وللبين حرقة لقلت حقا. لأني نلت في ساعة الفراق من طيب اللقاء وأنس العناق، ما كان معدوما أيام التلاقي. وكان أبو بكر الخوارزمي يقول: من أراد أن يسمع ما يقطر منه ماء الطرف فليستنشد قول محمد بن أبي محمد اليزيدي في تحسين الفراق: ليس عندي شحط النوى بعظيم ... فيه غم، وفيه كشف غموم من يكن يكره الفراق، فإني ... أشتهيه لموضع التسليم إن فيه اعتناقة لوداع ... ورجاء اعتناقة لقدوم." (٣)

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤/١٥٩

(٢) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/١١٦

(٣) تحسين القبيح وتقبيح الحسن الثعالبي، أبو منصور ص/٣٤

"باب مدح الفراق

قال بعض الحكماء: في الفراق مصافحة التسليم ورجاء الأوبة، والسلامة من السآمة وعمارة القلب بالشوق والأنس بالمكاتبة.

قال أبو تمام:

وليست فرحة الأوبات إلا ... بموقوف على ترح الوداع

وكتب بعض الكتاب: جزى الله الفراق خيرا، فما هو إلا زفرة وعبرة ثم اعتصام وتوكل ثم تأميل وتوقع، وقبح الله التلاقي، فإنما هو مسرة لحظة ومساءة أيام، وابتهاج ساعة واكتئاب زمان. وقال:

إني لأكره الاجتماع ولا أكره الفراق، لأن مع الفراق غمة يخفيها توقع إسعاف بتأميل الأوبة والرجعى. ومع الاجتماع محاذرة الفراق وقصر السرور: قال الشاعر:

ليس عندي سخط النوى بعظيم ... فيه غم وفيه كشف غموم

من يكن يكره الفراق فإني ... اشتهيه للذة التسليم

إن فيه اعتناقه لوداع ... وانتظار اعتناق لقدوم

وقال بعض الظرفاء من الكتاب: إن قلت: إني لم أجد للرحيل ألما وللبين حرقة، لقلت: حقا، لأني نلت به العناق وأنس اللقاء ما." (١)

"الباب الثامن في الصيف والخريف والشتاء

من أحن ما قيل في الحر قول بعض العرب:

ويوم كأن المصطلين بحره ... وإن لم يكن جمرا قيام على الجمر

صبرت له حتى يمر وإنما ... تفرج أيام الشدائد بالصبر

وقول مؤلف الكتاب:

رب يوم هواؤه يتلظى ... فيحاكي فؤاد صب متيم

قلت إذ صلت حره حر وجهي: ... ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

ولأبي إسحاق الصابي في البق:

وليلة لم أذق من حرها وسنا ... كأن في جوها النيران تشتعل

أطاف بي عسكر للبق ذو لجب ... ما فيه إلا شجاع فاتك بطل

من كل شائلة الخرطوم طاعنة ... لا تحجب السجف مسراها ولا الكلل

طافوا علينا وحر الشمس يطبخنا ... حتى إذا نضجت أجسادنا أكلوا

وقول مؤلف الكتاب:

---

(١) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/٢٣٣

وليل بته رهن اكتئاب ... أقاسي فيه ألوان العذاب

إذا شرب البعوض دمي وغنى ... فللبرغوث رقص في ثيابي." (١)

"ألمت فآلمت، وثملت فكلمت، وتركت النفوس مولهة، والعقول مدلهة. رزء هض وهاض، وأطال الانخزال والانخفاض، ولم يرض بأن فض الأعضاء حتى أفاض الدماء. رزء ملأ الصدور ارتياعا، وقسم الألباب شعاعا، وترك العقول مجروحة، والدموع مسفوحة، والقوى مهدودة، وطرق العزاء مسدودة، ورزء نكأ القلوب وجرحها، وأحر الأكباد وأقرحها. مصيبة أقرحت الأكباد، وأوهنت الأعضاد، وسودت وجوه المكارم والمعالي، وأعادت الأيام في صور الليالي.

ذكر الانخزال وكسوف البال والجزع والتوجع والاكتئاب لحادث المصاب

كتبت عن أجفان شرقة بالدموع، ونيران متقدة بين الأحشاء والضلوع، وبنان تود لو بانت قبل أن تخط بذكر نازل الخطة، ونفس أشاطت بها بلابل الهموم المشتطة. كتبت والنفس في شدة الانخزال والكمد، وفقد الاصطبار والجلد، على ما لا يستطاع ذكره، فكيف يتحمل ثقله. ما لي يد تخط إلا بكلفة، ولا نفس تتردد إلا على غصة، ولا عين تنظر إلا من وراء قذى، ولا صدر ينطوي إلا على أذى. الدموع واكفة، والقلوب واجفة، والهم وارد، والأنس شارد، والناس مأتمهم عليه واحد، أين مني كندة تأسف على حجر، أم الخنساء تبكي على صخر. كم عبرة وزفرة، وأنة وحسرة، وكم تململ واضطراب، وكم اشتعال والتهاب. مصيبة أصبحت لها وقيذ غمة، وأخيذ كربة، ما أم سبعة ركبوا الجياد، وشهروا السيوف الحداد نعوا إليها قتيلا بعد قتيل، وعرضوا عليها صريعا بعد صريع، بأشد مني انخزالا وأضعف بالا، وأدق تقلقلا، وأكثر تململا. ملك الجزع صبري وعزائي، وجعل ناظري في إسار بكائي، فالقلب دهش، والبنان مرتعش، وأنا من البقاء مستوحش. كتبت عن قلق يزيد ولا يفتر، وجزع يتضاعف ولا يضعف. انتهى بن الهلع إلى حيث لا التأسي مصحب، ولا التناسي مصاحب. انزعاج يحل عقود." (٢)

"الحزم، واكتئاب ينقض شروط العزم. قد بلغ الحزن مني مبلغا لم أبتذله للنوائب وإن جلت وقعا، وبلغ مني منالا لم يؤمله طروق المصائب وإن عظمت فجعا. كتبت عن اضطراب نفس، واضطرام صدر، والتهاب قلب، وانتهاب صبر.

التأبين والندبة

ما أعظمه مفقودا، وأكرمه ملحودا. إني لأنوح عليه بنوح المناقب، وأرثيه مع النجوم الثواقب، وابكيه مع المحاسن والمعالي، وأثني عليه بثناء المآثر والمساعي. ليت يمين الدهر شلت قبل أن فتكت بمهجة الفضل، وعين الزمان كفت قبل أن رأت مصرع الفخر. لقد رزئنا من فلان عالما في شخص، وأمة في نفس. مضى والمحاسن تبكيه، ومناقب تعزي فيه، لما قرت به العيون، أسخنت فيه المنون، ولما انشرحت به الصدور، قبضها لفقده المقدور. على المحاسن من بعده العفاء، ولا أنبتت الأرض ولا جادت السماء. قد ركب الأعناق، بعد العتاق، وعلا أجياد، بعد الجياد، وفاح فتيت المسك من مآثره، كما كان يفوح من مجامره. كان منزلهم ألف الأضياف، ومأنس الأشراف، ومنتجع الركب، ومقصد الوفد. فاستبدل بالأنس

---

(١) أحسن ما سمعت الثعالبي، أبو منصور ص/٤٤

(٢) سحر البلاغة وسر البراعة الثعالبي، أبو منصور ص/١٠٩

وحشة، وبالنضارة عبرة، وبالضياء ظلمة، واعتاض من تزاحم المواكب تلادم المآتم، ومن ضجيج النداء والصهيل، عجيج البكاء والعويل. هذي المكارم تبكي شجوها لفقده، وتلبس حدادها من بعده، وهذه المحاسن قد قامت نوادبها مع نوادبه، واقترنت مصائبها بمصائبه. ما أقبح العيش من بعده، وما أنكر العمر مع بعده.

في أن الفدية لا تغني

لو قبلت في فلان الفدية لوقيته بنفسي، وأيام عمري. علما بأن العيش." (١)

"وله: يا ليلة هي طولا ... كمثل شوقي ووجدي مدت سرادق وشي ... على الورى أي مد نجومها الزهر تحكي ... من حسنها نثر عقد والأنجم الحمر منها ... كالورد في اللازورد وله: هذه ليلة لها بهجة الطا ... ووس حسنا واللون لون الغداف رقد الدهر فانتبهنا وسارق ... ناه حظا من السرور الشافي بمدام صاف وخل مصاف ... وحبيب واف وسعد موافٍ وله: وليل كعين الظبي غير لونه ... براح كعين الديك بل هو ألمع فلما مزجت الراح مني براحها ... ترحل عني الهم والغم أجمع وله: وليل بته رهن **اكتئاب** ... أقاسي فيه أنواع العذاب إذا شرب البعوض دمي وغنى ... فللبرغوث رقص في ثيابي:." (٢)

"حدثنا إبراهيم بن أبي حصين، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا هارون بن إسحاق حدثني محمد بن عبد الوهاب القناد، ثنا مسعر بن كدام، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي عن يحيى بن طلحة، عن أمه سعدى المرية قالت: مر عمر بطلحة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو **مكتئب** فقال: ما لك أساءتك إمرة ابن عمك قال: لا ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا كانت نورا لصحيفته وإن جسده وروحه ليجدان لها فرجا عند الموت، فلم أسأله عنها.

قال عمر: فأنا أعلمها وهي التي أراد عليها عمه فلو علم شيئا أنجى له لأمره "." (٣)

"٣٩٤ - فحدثناه أبو القاسم إبراهيم بن أحمد بن أبي حصين، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا هارون بن إسحاق، حدثني محمد بن عبد الوهاب القناد، ثنا مسعر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن يحيى بن طلحة، عن أمه سعدى المرية، قالت: «مرﷺ عمر، بطلحة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو **مكتئب»**

وأما حديث شعبة

٣٩٥ - حدثناه أبو بكر عبد الله بن محمد، ثنا أبو بكر بن أبي عاصم، ثنا محمد بن المثنى، ثنا أبو زيد سعيد بن الربيع،

---

(١) سحر البلاغة وسر البراعة الثعالبي، أبو منصور ص/١١٠

(٢) خاص الخاص الثعالبي، أبو منصور ص/٢٣٦

(٣) تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان أبو نعيم الأصبهاني ١٤٨/٢

ثنا شعبة، عن إسماعيل، عن الشعبي، عن رجل، عن سعدى، امرأة طلحة، أن عمر، مر بطلحة، فذكر نحو حديث جابر وأما حديث منصور عن أبي وائل." (١)

"١٩٤٢ - حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: " لما افتتح رسول صلى الله عليه وسلم خيبر، قال الحجاج بن علاط يا رسول الله إن لي بمكة مالا، وإن لي بها أهلا، وإني أريد أن آتيهم، ﷺفأنا في حل إن أنا نلت منك، أو قلت شيئا، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما شاء، قال: فأتى امرأته حين قدم مكة، فقال: اجمعي لي ما عندك، فإني أريد أن أشتري من غنائم -[٧٢٩]- محمد وأصحابه، فإنهم قد استبيحوا، وأصيبت أموالهم، وفشا ذلك بمكة، فانقمع المسلمون، وأظهر المشركون فرحا وسرورا، قال: وبلغ الخبر العباس بن عبد المطلب، فعقر، وجعل لا يستطيع أن يقوم، ثم أرسل غلاما إلى الحجاج بن علاط وقال: ويلك، ماذا الذي جئت به؟ وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به ، قال: فقال الحجاج بن علاط اقرأ على أبي الفضل السلام، وقل له: فليخل لي في بعض بيوته لآتيه، فإن الخبر على ما يسره، قال: فجاء غلامه، فلما بلغ الباب، قال: أبشر يا أبا الفضل، قال: فوثب العباس فرحا، حتى قبل بين عينيه، فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه، قال: ثم جاء الحجاج، فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر، وغنم أموالهم، وجرت سهام الله في أموالهم، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي، واتخذها لنفسه، وخيرها بين أن يعتقها ويكون زوجها، أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها ويكون زوجها، ولكني جئت لمال كان لي هاهنا، أردت أن أجمعه فأذهب به، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأذن لي أن أقول ما شئت، فأخف علي ثلاثا، ثم اذكر ما بدا لك قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي أو متاع، فدفعت إليه، ثم انشمر به، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج، فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أن قد ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يحزنك الله يا أبا الفضل، لقد شق علينا الذي بلغك ، قال: أجل لا يحزنني الله، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا، فتح الله خيبر على رسوله، واصطفى صفية لنفسه فإن كان لك حاجة في زوجك فالحقي به، قالت: أظنك والله صادقا؟ قال: فإني والله صادق، والأمر على ما أخبرتك، -[٧٣٠]- قال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون: إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير. قال: لم يصبني إلا خير بحمد الله، لقد أخبرني الحجاج أن خيبر فتحها الله على رسوله، وجرت سهام الله فيه، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثا، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا، ثم يذهب فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئبا حتى أتوا العباس، فأخبرهم الخبر، فسر المسلمون، ورد الله تعالى ما كان من كآبة وغيظة أو حزن على المشركين "." (٢)

"٧٦٩٣ - حدثنا إبراهيم بن أحمد بن أبي حصين، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا هارون بن إسحاق، ثنا محمد بن عبد الوهاب القناد، ثنا مسعر بن كدام، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن يحيى بن طلحة، عن أمه، سعدى

---

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم أبو نعيم الأصبهاني ١٠٢/١

(٢) معرفة الصحابة لأبي نعيم أبو نعيم الأصبهاني ٧٢٨/٢

المرية، قالت: مر عمر بطلحة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مكتئب، فقال: مالك أساءتك إمارة ابن عمك؟ قال: لا، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ﷺ«إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا كانت نورا لصحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها فرحا عند الموت» فلم أسأله عنها، قال عمر: فأنا أعلمها، وهي التي أراد عليها عمه، فلو علم شيئا أنجى -[٣٣٦٤]- له منها لأمره "." (١)

"ومن لا يصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتقي الشتم يشتم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن لم يزل يستحمل الناس نفسه ... ولا يغنها يوما من الدهر يسأم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم

آخر:

والشيب يبرق في الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

آخر:

وددت بياض السيف يوم لقينني ... مكان بيض الشيب لاح بمفرقي

أخبرني أبو بكر الإصلاحي، قال: أنشدنا أبو بكر العلاف لنفسه في تمني الشيب وكان مخلدا:

إلام وفيم يظلمني شبابي ... ويلبس لمتي حلك الغراب

فيا ابن المعتلين على البرايا ... بعلياء النبوة والكتاب

أبن هل من دواء مستجاد ... لديكم أو دعاء مستجاب

لأبدل من سواد الليل صبحا ... يضيء وادهماما باشهباب

فكافور المشيب لدي أحلى ... وفي العينين من مسك الشباب

وقال آخر:

كأن الشيب والحدثان جريا ... إلى نفس الفتى فرسا سباق

كأن بني أمية لم يكونوا ... ملوكا بالحجاز ولا العراق

فما الدنيا بباقية لحي ... وما حي إلى الدنيا بباق

---

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم أبو نعيم الأصبهاني ٣٣٦٣/٦

وقال الأسود بن يعفر:

ومن العجائب لا أبا لك أنني ... ضربت علي الأرض بالأسداد

لا أهتدي فيها لمدفع تلعة ... بين العراق وبين أرض مراد

وقال علي بن القاسم الخوافي صاحب المختصر من العين:

شاع في عارضي هذا المشيب ... فهو الموت والفراق قريب

كل يوم للموت مني نصيب ... وسهام أرمي بها وتصيب

وتفانى أحبتي ولداتي ... والبلايا مع الرزايا تنوب

كل يوم ينعى إلي رفيق ... أو قريب أحبه أو حبيب

وكأن الفناء صب عليهم ... فهم في التراب مرد وشيب

وقال آخر:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك رأس البعير إن نفرا

والذئب أخشاه إن خلوت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا

من بعد ما قوة أسر بها ... أصبحت شيخا أعالج الكبرا

وقال الحسن بن هانئ:

قالوا كبرت فقلت لم تكبر يدي ... من أن تخف إلى فمي بالكاس

وإذا عددت سني كم هي لم أجد ... للشيب عذرا في الحلول براسي

فإذا نزعت عن الغواية فليكن ... لله ذاك النزع لا للناس

آخر:

قالوا: أنينك طول ليلي يسهرنا ... فما الذي تشتكي قلت الثمانينا

أنشدني إبراهيم بن علي الطيفوري:

وقالوا ما أشابك قبل وقت ... فقلت هوى وهجر **واكتئاب**

ولو أن الغراب اهتم همي ... وفكر فكرتي شاب الغراب

وقال آخر:

كرهت شيبي وكره أن يفارقني ... أعجب بشيء على البغضاء مودود

أما الشباب فمفقود له بدل ... والشيب يذهب مفقودا بمفقود

وقال آخر:

عجبا للشباب كيف تولى ... ولثوب المشيب أي لباس

ليس جود الجواد فضل مال ... إنما الجود للمقل المواسي

وقال بشر بن الحارث:

شيب يلوح كأنما نفضت ... زغبا عليه حمائم بلق

ما كنت أفسق والشباب أخي ... أفحين شبت يجوز لي فسق." (١)

"مثلما استوجب قاضي ال ... عدل من ذا الخلق شكرا

ملك غرا أيادي ... ه على الأسماع تترى

ملك ما زال يولي ... ني تقريبا وبرا

قارض الله أيادي ... ه مطيلا منه عمرا

ولأبي جعفر بن الأبار أبيات جليلة المقدار أشار فيها إلى تفضيله وهي: [مجزوء الكامل]

أصباه حب سميه ... فغدا الضنا من زيه

وهوى الهوى بفؤاده ... فاصفر غض جنيه

مثن على الملوين لا ... كشقيقه وسميه

حسب الزمان تفاؤلا ... بالخير من خيريه

فاحثث كؤوس مدامة ... تلق الغليل بريه

صفراء قلدها المزا ... ج لشربها بحليه

قوله: "على الملوين" يعني الليل والنهار. "لا كشقيقه وسميه" يعني الخيري النمام. وفي هذا البيت فضل الأصفر. ولصاحب الشرطة أبي بكر بن القوطية في تفضيله أبيات [بديهية سرية] وهي: [البسيط]

وأصفر نرجسي اللون نمام ... مبرإ من صنوف النقص والذام

زها اعتلاء على النمام يجمعه ... به اسمه فعل ذي لب وإلهام

فقال: لي الفضل إني في النهار وفي ... ليلي أنم وفي صبحي وإظلامي

وأنت يا مدعي اسمي طول يومك لا ... تدنى اطراحا إلى خيشوم شمام

وإن لونك من لون النحاس ولو ... ني في ملاحته ضرب من السامي

قال أبو الوليد: لما كثر الكلام في تفضيل الخيري الأصفر، صنعت قطعة ربما كان فيها بعض الرد على من فضله، وبخس النمام أكثر حقه، ولم يرع حسن خلقه وخلقه وهي: [الكامل]

يا من يذم خلائق النمام ... ويحطه عن خطة الإكرام

قدك اتئد عن لومه جهلا به ... فجماله زار على اللوام

هو أشهر الخيري حسنا فاحبه ... من بينه بتحية وسلام

متنزه عن أن يرى مستهترا ... إلا إذا اكتحل الورى بمنام

---

(١) حماسة الظرفاء الزَّوْزَني، العبدلكاني ص/٧

مستطرف في خلقه مستظرف ... في خلقه مستحسن الإلمام

لم يرض إلا المسك مسكا جسمه ... وبه يبوح إليك في الإظلام

والمنتمي أبدا إليه نضاره ... في الفضل أن يعزى إلى النمام

اصفر من حسد له وكآبة ... لما شآه بحسنة البسام

أيقاس منفرد بظرف معجز ... بمشارك أخلاق نور العام

لو كانت الشمس المنيرة سرمدا ... لم تلق بالإجلال والإعظام

قولي: "إلا المسك مسكا" المسك: الجلد، والغرض تشبيه لونه بلون المسك.

الفصل الثالث

في القطع المنفردة كل قطعة منها بنور على حدة

قال أبو الوليد: يجب أن نبدأ بأول الأنوار، وأبكر الأزهار، وهو من النواوير الربيعية، نور البهار. ولكن ما كان من النواوير باقيا في كل وقت، وثاويا مع كل فصل، هو أول على الحقيقة، وصدر في هذه الطريقة كالآس والياسمين، فأما الآس فقد فضل قديما على ضروب الأنوار وصنوف الأزهار، وصيغت في ذلك حسان الأشعار، إذ شجره يقوم مقام النوار، ثم يزيده نواره جمالا ثانيا، ويضيف إليه كمالا زائدا. وأما الياسمين فإن نورهلا ينقطع أبدا كله، ولا يذهب جميعه. فنبدأ بهما ثم نذكر النواوير على أزمنتها.

الآس

قال أبو الوليد: من حسن ما قيل ما أنشدنيه لنفسه الشيخ أبو عبد الله بن مسعود، وهو: [مجزوء الرجز]

الآس آس لأسى ... كل فؤاد **مكتئب**

في كل فصل زاهر ... وما سواه منقلب

إذا سرى منه الشذا ... في آخر الليل وهب

أهدى لأرواح به ... أرواح روح وطرب

كأنه في جنة ال ... خلد نما ثم اقتضب

لو نافر النور إلى ... عدل صحيح المعتقب

وصحفت نصبته ... جاء نبيا فغلب

قوله: "أرواح روح" الأرواح هنا جمع ريح، والروح: الراحة. والأرواح الأول: جمع روح. وقوله: "جاء نبيا" يعني أن هذا اللفظ تصحيف آس مقلوبا. ومما فيه من حسن التشبيه قول أبي عمر الرمادي في قطعة تضمنت وصف غيره وهو: [الطويل]

خلوف من الريحان راقت كأنها ... وإن حسنت في لحظنا لم شعث

ومما يقرب من هذا_وإن كانت فيه زيادة_بيت أبي الحسن بن أبي غالب: [الطويل]

فما شئت من آس تفتح نوره ... كما أخلست هام لها شعر جثل

يقال: أخلس الرأس إذا بدا شيبه. ومن الفائت الفائق، والرائع الرائق في وصفه قطعة خاطبني بها الوزير أبو عامر ابن مسلمة وبعث معهما مطيبا وهي: [الكامل]." (١)

"يا واحد الأدباء والشعراء ... وابن الكرام السادة النجباء

إني بعثت مطيبا نمقته ... من روض داري دارك الغناء

من آسه لا زلت تأسو عاطرا ... وتبيد ما يعدو من الأعداء

يحكي بطيب عرفه وبحسنه ... خلقا خليقا منك بالإطراء

هو كالسماء إذا بدت مخضرة ... لاحت عليها أنجم الجوزاء

[فاقبله من صب بحبك وده ... ألا تزال أخا علا وعلاء]

قال أبو الوليد: فجاوبته عن هذه الألفاظ البديعة، والمعاني الرفيعة بما يمكن أن يدخل في هذا الباب ويوافق بعض غرض هذا الكتاب، وهو: [الكامل]

يا من حبوت بوده حوباء ... وهي الفداء له من الأسواء

وصل المطيب معربا عن طيب من ... أهداه مكتئبا من الإهداء

أظميته من بعد ما أرويته ... بمدامة فيها دواء الداء

ما كان أشهر طيبه لو لم يكن ... متسترا بالقطعة الغراء

أربى عليه نظمك الحلو الحلى ... فانحط بعد الرتبة العلياء

إن كان نور الآس في ورقاته ... نورا بدا في ليلة ظلماء

فجمال خلقك حين ينظم عقده ... كالبدر ينظم أنجم الجوزاء

ومن المستحسن المستغرب، والمستطاب المستعذب، ما أنشدنيه لنفسه فيه صاحب الشرطة أبو بكر بن القوطية وهو: [السريع]

أما ترى الريحان أوراقه ... تلتف تجعيدا ولا تنبسط

دقيقة اللمات في رؤوسها ... كأنه أسود جعد قطط

وقد غدا تنويره جوهرا ... ففي الموامي والربا يلتقط

حتى إذا ما مل من مكثه ... في عوده المشرق فيه سقط

منكشفا عن ثمر أسود ... كأنه من نفض حبر نقط

قوله: "الموامي" جمع موماة وهي الفقر، ويقال: بوباة فيها أيضا. والربا جمع ربوة وهو ما ارتفع من الأرضز ومن المشرق جماله، المونق كماله، المعدوم مثاله، ما أنشدنيه لنفسه أبو جعفر ابن الأبار، وهو: [الوافر]

---

(١) البديع في وصف الربيع الحميري، أبو الوليد ص/٢٤

وآس كاسمه للهم آس ... تتيه به حلى الزمن القشيب

ترسل كالغدائر مرسلات ... بها قطط ونم بكل طيب

وكتم نوره فبدت لآل ... مدحرجة لها عرف الحبيب

كأن الصبح شق به جيوبا ... فغادر فيه أزرار الجيوب

ونافسه الورى شغفا وحبا ... فعود سود حبات القلوب

هذا الوصف مستوعب لجميع أحوال الآس لأن نوره أولا مبيض ثم يسود. وله أيضا فيه وصف يوازي هذا [ويضاهيه] ، وهو: [البسيط]

لا أيأس الآس هامي السكب مدرار ... فهو الوفي وكل النور غدار

تكاد تثمر نفس الصب من جذل ... إذا بدا ثمر منه ونوار

كأنما ألبسته المزن خضر حلى ... لها من المسك والكافور أزرار

هذا ما وقع إلي في الآس، وحين أكملته أبدأ بما ورد علي في الياسمين.

الياسمين

قال أبو الوليد: أبدع ما قيل فيه، وأبزع ما شبه به، [وأرفع] ما أمل علي لنفسه فيه ذو الوزارتين القاضي_حرس الله حوباءه وصان ذكاءه_وهو: [السريع]

وياسمين حسن المنظر ... يفوق في المرأى وفي المخبر

كأنه من فوق أغصانه ... دراهم في مطرف أخضر

قال أبو الوليد: هذا التشبيه معدوم الشبيه. ومما يوازيه دقة، ويضاهيه رقة، قوله أمله علي_أبقاه الله_وهو: [السريع]

وياسمين حسن المجتلى ... كأنه في قضبه الضافيه

زمرد رصع ما بينه ... مداهن من فضة صافيه

وأمل_أعزه الله، وأحسن ذكراه_علي فيه له قطعة قوية الوصف، سرية الرصف وهي: [السريع]

سبحان من أنشأ ذا الياسمين ... خلقا بديعا للنهى والعيون

كأنما الأغصان من تحته ... والورق المخضوضر المستبين

زمرد نضد فوق الربا ... وهو على أعلاه در مصون

آيات صدق شاهدت بأن ... ليس لمن أبدعها من قرين

وهذه التشبيهات كلها، والصفات بأسرها إنما هي فيه وهو في شجره، ولو لم يكن كذلك لم تشبه خضرته وأكثر ما وصف في هذه الحال، ولم يقع إلي في نواره مفردا إلا قول أبي عمر الرمادي، وهو من الصفات المطبوعة والتشبيهات البديعة: [مخلع البسيط]

انظر إلى روض ياسمين ... لم يرد الورد وهو وارد

كأنه عدة ولونا ... أكف حور بلا سواعد

قال أبو عمر أحمد بن فرج يصف بقاءه، ويقرض وفاءه: [الخفيف]

ليس كالياسمين نور الرياض ... هو باق والنور أجمع ماض." (١)

"الحرباء: مسمار الدرع. والحرباء أيضا: أسفل الظهر. والحرباء بالراء والزاي: الغلظ من الأرض. والجمع في ذلك كله: حرابئ. والثبرة: أرض سهلة. وقتير اللامة: مسامير الدرع أيضا. والهلال: بقية الماء في الحوض. والماج: الماء الملح.

رجع: إن زهد في الناس فإني فيهم لأزهد، وإن القوم لزهاد. لو كنت عبدا لغير الخالق لم يجزئ عتقي في الكفارة، ولو كنت ضائنة لم أجزئ في الأضحية؛ إنني لمريض، غرض وهو غريض؛ طال الليل، فلى الويل، أحسب خلوق الشفق كافور الفجر، ومن لى بالفجرين: صاحب الأيدع، وصاحب الودع! أيها الهلال الناحل، هل أنضتك المراحل، ليس لبحرك ساحل، ولا بلدك ماحل. قعدت والناس قيام، وسهرت والركب نيام، كل من شام البارق يضمه الشيام، يا ثول جاءك الإيام، لا أسأل أين بنيت الخيام، إن الذود لحيام، إن شاء الله شفى الهيام، ولو كنت من الماشية لكنت أحد الرجاج. غاية.

تفسير: غرض: مل. وغريض: طرئ. الفجران هاهنا: يحتمل وجهين: أحدهما أن يكونا الشفق والفجر؛ لأن فجر كل شئ أوله. وفجر الأيدع: الشفق، ويقال الأيدع الزعفران، ويقال دم الأخوين.

وفجر الودع: فجر الصبح؛ لأن الكواكب تشبه بالودع. والوجه الآخر أن يكون الفجران ذنب السرحان والفجر المستطير. والمعنى في الوجه الأول أن الشفق يكون قريبا من النهار ويكون العهد لم يبعد به.

والشيام: التراب. والثول: النحل. والإيام: الدخان ويقال إن المشتار يأخذ خشبة فيجعل فيها نارا ويدخلها إلى بيت النحل ليطردها؛ ومنه قول أبي ذؤيب:

فلما جلاها بالإيام تميزت ... ثبات عليها ذلها واكتئابها

والحيام: العطاش. والهيام " بالضم والكسر ": داء يصيب الإبل مثل الحمى فلا تروى من الماء؛ يقال ناقة هيماء والجمع هيم؛ ومنه قوله تعالى: " فشاربون شرب الهيم ". ودواء الهيماء فيما قيل أن يقطع حبل ذراعها.

رجع: رب لا تجعل صومي كصوم الفرس، وصلاتي كصلاة الحرباء. الشبيبة، أضعت الحبيبة، فكيف ورأسك خليس. وفي الصيف، أهنت الضيف، فكيف بك والشتاء منيخ. اهل البيت بالوليد فرحون، وهم بالشيخ متبرمون، كلام هذا يستظرف، وكلام ذاك خرف، والشعر في الحداثة كأنه إبر في الحدة وهو جون، فإذا جاء الكبر صار كالإبر في اللون، ولآن المس لذاك. وفي قدرة الخالق أن يجعل الراحة ذات ذوائب والهامة كفاثور اللجين وأن يجرى الفضة من الفجاج. غاية.

تفسير: صوم الفرس: إمساك عن الطعام والسير لا تعبد فيه ولا أجر، وكذلك صلاة الحرباء وهي إستقباله الشمس. والفاثور: طست من لجين، ويقال خران من لجين.

رجع: إن غويت فلى كالعالم غاية، لا ترفع لى أبدا راية، إذا حان الوقت زالت الآية، قد بنيت الثاية، وعليت لأمر الطاية، فما نفعت الرعاية؛ أين تفر الجداية، إذا فارقت الداية الداية، أمامها الهداية، ووراءها الحداية، وقعت في اللجة فلسانى

---

(١) البديع في وصف الربيع الحميري، أبو الوليد ص/٢٥

الجلاج. غاية.

تفسير: الآية هاهنا: الشخص. والثاية مراح الإبل. والطاية: السطح. والجداية: ولد الظبي يقال للذكر والأنثى. والداية: الفقارة من فقار الظهر.

رجع: قد أخذت منى الأيام وتركت، والنفس مطية ما أركت، سوف تسكن وإن تحزكت، طلق دنياك فقد فركت، كم طلبت قبلك فما أدركت. سبحت زي الشماخ وجيمه قبل أن يجعلهما روبين بما شاء الله من السنين، وكذلك قوافي رؤبة وقوافي العجاج. غاية.

تفسير: أركت: أقامت بالإراك. وزاي الشماخ:

عفا من سليمى بطن قو فعالز ... فذات الغضا فالمشرفات النواشز

وجيمه:

ألا ناديا أظعان ليلى تعرج ... يهيجن سقما ليته لم يهيج

رجع: قد غاب القمر، وما فنى السمر، وكل شئ غير الله فان.

إن الأطير، جاء من شطير، والله يقرب البعيد. باذا الخطير، ليس لك من مطير، والله بقدرته يطير ذوات الأخفاف. راعية البرير، لا ترفل في الحرير، والله كساالوحش والآناس. وأم الفرير، لا تأنس بالجرير، وربك مذل الصعاب. من للقادر، بلحم القادر، ولكن دونه السعاف. إفتقر الغابر، إلى أم جابر، وإستغنى الذاهب، عن المواهب، وربنا يغنى من شاء. ليس الفجر، بمانع من النجر، إلا بإذن أكرم الأكرمين. إسماع الكرائن، على قلب الإنسان رائن، فأنصت إلى ذكر الله ودع اللاهين. فرح من جنى المغفور، فكيف من صاد اليعفور. أتعجزين عن فعل الراعي بكل ثم أكل! إن هذا لهو العجز المبين.." (١)

"رجع: يا من يضرب ليصرب لو علمت ما يكون بعدك لقنعت بالصربة واجتنيت صربا. ضرب في الأرض هربا من المعصية خير لك من لزوم الآنسة أشبه ريقها راحا وضربا. في قدرة الخالق أن تقول الضبع لباغي الحرب: من يظلم، يخضب رأسه بالعظلم، وتأكله أضبع تغتلم، ويصبح أديمه قد حلم، وحسبك الخالق محسبا. تذكر قتيلة بما أنشدته، كما تذكر نتيلة بمن ولدته، وأين المرية من النمرية! ذكر تلك حسرة، وذكر هذه أسرة، ولا يزال ربك مرتقبا. يارب القود، واليقظة والرقود، والخمدة والوقود، والعالم بالضمير المعقود، ليت شخصى مفقود، الحياة إلى الموت تقود، أسألك بخافض وعال، وممتطي نوق ونعال، لا يصيدون الريم، كرامة لوجهك الكريم، هجروا هندا وأمامة، ولم يروعو الحمامة، من شام ويمن، وفجاج لا تقطع إلا في الزمن، أن تغفر لى وترحمن، فهأنا من خشية سخطك مكتئبا. آرى آرى، ما قصدت النصارى، والفرس ولا أتمارى، إلا الملك لا يبارى، إياك طلبت المهارى بالقوم كأنهم سكارى، رشحت الكشوح والذفارى، ونحن في قبضتك أسارى، والأرض تجمعنا جمارى، فوارني لأتوارى، لا تجعلنى لغيرك مرجبا. أبعد الله الملحدة غير أعفـءر ولا بررة، بل هم الفسق الخونة، إنهم للئام الزهدة، أعبد من أقام أوديه، بسط وقبض يديه، ليغفر إذا صفر جسديه، لو بعث على ثهلان قدرا صار كوتد ساخ. غاية.

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/٨٠

تفسير: يضرب: يذهب في الأرض. ويصرب: يجمع. والصربة: اللبن الحامض. والصرب: صمغ الطلح وهو أحمر. والعظلم: صبغ أحمر يقال إنه الفوة. والضبع توصف بالغلمة وأنها تقعد على غراميل القتلى إذا انتفخت؛ وكذلك فسروا قول الساعر:

فلو مات منهم من جرحنا لأصبحت ... ضباع بأكناف الشريف عرائسا

وحلم الأديم إذا تشقق وتعين؛ وأصل ذلك أن تقع فيه دودة يقال لها الحلمة وحسبك: كفايتك. ومحسبا: كافيا. وقتيلة: أخت النضربن الحارث أحد بني عبد الدار وهي صاحبة الأبيات القافية. ونتيلة: أم العباس وضرار ابني عبد المطلب وهي النمر بن قاسط؛ ويقال إن عبد المطلب سافر إلى اليمن فنزل ببعض الملوك وهو شيخ أشيب، فجاءه الملك بخضاب من السواد فغير لحيته فعاد إلى أهله خضيبا؛ فقال:

فلو دام لى هذا الشباب رضيته ... وكان بديلا من شباب قد انصرم

تمتعت منه والحياة لذيذة ... ولا بد من موت نتيلة أو هرم

والمرية: قتيلة لأنها من مرة بن كعب بن لؤي. والنمرية: نتيلة. والأسرة: آل الرجل وبنوه. والقود: جمع أقود وقودا، وهو الطويل العنق من الناس والبهائم. آرى بالفارسية: نعم. الذفاري والذفارى: جمع ذفرى وهي التي خلف أذن البعير كأنها محجمة، وهي من الفرس معقد العذار، وقد تستعمل في الإنسان. وقيل لأبي عمرو بن العلاء: الذفرى من الذفر؟ فقال نعم. والذفر: حدة الرائحة من طيب أو نتن. وذفرى البعير توصف بكثرة العرق؛ فلذلك قيل إن اشتقاقها من الذفر. وجمارى أي جميعا؛ ومنه قولهم: جمر الملك جنوده إذا بعثهم كلهم في البعوث: وفي حديث عمر رضي الله عنه " لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمروهم فتفنوهم " أي إذا بعثتم جيشا فلا تجمعوا المسلمين كلهم فيه. والمرجب: المعظم؛ ومنه اشتقاق رجب. يقال لئيم زاهد وزهيد، يوصف بالبخل وقلة العطاء. الأود: الاعوجاج. وصفر: خلا. ساخ الوتد في الأرض إذا نزل فيها.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الثقة الحمد لله الذي لا فضل إلا منه، ولا طول إلا من لدنه، وصلى الله على كاشف الغمة عن الأمة، نبي الرحمة، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما.

وصل الله بسيدي (الجليل) جناح الصنع الجميل، وواصل لديه السول، وأوصل إليه المأمول، وعمر بحبه ربوع أنسي، وأمطر بقربه ربيع نفسي، وأراه بناظر فهمه في مرآة علمه الصقيلة الساحة والأرجاء، الصافية من دنس الأقذاء، أن ما أبديه وأظهره، غير ما أطويه وأضمره، من ناطق الود، عن صادق العهد، وخالص الحب، عن مخلص القلب، كالنقطة في البحر، والذرة في القفر. (شعر) :

يا من عقدت بحبه ... دون الورى حبل اعتلاقي

فأخذت منه بموثق الأك ... راب مشدود العراقي

لم يرق جار أبي دؤا ... د معقلا، أنا منك راق

---

(١) الفصول والغايات أبو العلاء المعري ص/١٣١

أجني به ثمر المنى ... غض الجنى عذب المذاق

في حين أمنني الردى ... ووقى من الحدثان واق

قيدت مطلق همتي ... وملكت لي رق اشتياقي

فالقلب موقوف عليك ... الدهر وهو إليك تاق

وافى كتابك مشرقا ... بحلى معانيه الدقاق

وأنا في الجواب مقصر ... عن روم أسباب اللحاق

ولو أن مطبوع الحجاز ... يمد مصنوع العراق

وملكت ذاك فسقته بقريحتي خير المساق

لسعيت مرخى الذيل بالتقص ... ير محلول النطاق

لا أستقل مشمرا ... أجري إلى قصب السباق

ليس الرقيق من الركيك ... ولا الزلال من الزعاق

أنا لا أزال أطال الله بقاءك، وأدام نعماءك أطأ بساط كرمك، وأطالع من بسيط نعمك، ما أقابل به كريم عهدك، وأقبل عليه من صميم ودك، وأقابل معه من عظيم مجدك، وأجتلي فيه من زهر أنعامك واقتفائك، وأجتني له من ثمر إكرامك واحتفائك، ما أقول إذا غمر صدري، وبهر فكري: اللهم نصرا، على ما لا أطيق له شكرا، من فضل ينتظم بأخيه، ويلتئم مع ما يليه، مما يكثر أعداد تواليه، ويقل اعتداد مواليه، وهو بخنصر الفخر محسوب (و) في صفحة الدهر مكتوب، يقرأ في أعلام الإنعام، طرازا على الأيام، يحني بصفائح الصحائف وأسنة الأقلام، قبل أن تمحى آثاره، وتنطفئ أنواره، فلا زلت راتعا في زهرة رياضك، شارعا في غمرة حياظك، فإنها رياض لا تغض جفون غضارتها، ولا تغيض عيون نضارتها، وحياض تصدر القلوب الصادية عن مواردها الصافية، وقد رويت غللها، وشفيت عللها، إذا جرعها الفراق من مر مذاقه، وسقاها الدهاق من زعاقه:

قرأت على قلبي كتابك إذ أتى ... وقلت له: هذا أمانك في الدهر

به يرجع نافرك، إذا طار طئرك، ولا يسكن لاعجك، إذا هاج هائجك، فهو العوذة للهاجس، من خطر الوساوس، والراحة للنفس، من فقد الأنس، والشفاء للقلب، من طول الكرب، إذا كان معلم الجمال، وعلم الكمال، وباعث الجذل، ودافع الوجل، وحضور السرور، وذهاب الأوصاب، والمحذور، فياله من طرس، أحيا حشاشة نفس، وكتاب أماط مضاضة **اكتئاب**، فقلت لما رأيت ما يكاد يبيض الحبر من نوره، ويعبق المسك من كافوره: (شعر)

نقشت بحالك الأنقاس نورا ... جلا لعيوننا نورا وزهرا

فدبج من بسيط الفكر روضا ... أنيقا مشرق الجنبات نضرا

لو استسقى الغليل به لأروى ... أو استشفى العليل به لأبرا

هفا عطر الجنوب له نسيم ... أقول إذا أناسم منه نشرا
نثرت لنا على الكافور مسكا ... ولم تنثر على القرطاس حبرا
أمرت فيه أعلى الله أمرك، وأسنى قدرك قلبا لا يتقلب إلا في طاعتك وصبا لا يتصرف إلا في مرضاتك، أن يمد يد الاختيار والاستجادة، لما يقع منك بحسب الإشارة والإرادة، من تصنيف كتاب لطيف، ينظم نظم العقود، ويرقم رقم البرود، في مقطعات أدب كقراضة الذهب، من شذور منثور، وعيون موزون، ترتاح الأرواح إلى خفة أرواحها، وكثرة غررها وأوضاحها، ولطف متونها وحواشيها، وحسن عيونها ومعانيها، المشرقة التذهيب، المونقة التهذيب، التي إذا جلبت للطبع الذكي، وجليت على السمع الكفي، هزته أريحية الكريم إذا انتشى بماء الكروم: (شعر) :

بسماع أرق من دمعة الصب ... وشكوى المتيم المهجور." (١)
"ما هجرت المدام والورد والبد ... ر بطوع لكن برغم وكره
منعتني من الثلاثة من لو ... قتلتني لم أحك والله من هي
قالت: الورد والمدامة والبد ... ر رضابي ولون خدي ووجهي
قلت: بخلا بكل شيء؟ فقالت: ... لا ولكن بخلت بي وبشبهي
قلت: يا ليتني شبيهك قالت: ... إنما يقتل المحب التشهي
وقال [عمر بن أبي ربيعة] فيما يتعلق بالبيت الأخير:

أصبح القلب مستهاما معنى ... بفتاة من أسوأ الناس ظنا
قلت يوما لها وحركت العو ... د بمضرابها فغنت وغنى
ليتني كنت ظهر عودك يوما ... فإذا ما احتضنتني صرت بطنا
فبكت ثم أعرضت ثم قالت: ... من بهذا أتاك في اليوم عنا
لو تخوفت جفوة أو صدودا ... ما تطلبت ذا لعمرك منا
قلت لما رأيت ذلك منها ... بأبي ما عليك أن أتمنى
وقال أبو الفتح كشاجم فيه:

تمنيت من خدها قبلة ... وما كنت أطمع في قبلته
وكأسا أناولها ملأها ... فتبدا وأشرب من فضلته
فأبلغها ذاك عني الرسو ... ل في بعض ما نص من قصته

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحُصري القيرواني ص/١

فقالت لأقرب أترابها: ... ألا تنظرين إلى همته

فقالت: أنجمع هجرانه ... وبخلا عليه بأمنيته

وكان تميم بن المعز يقتفي طريق ابن المعتز في التشبيهات، وبدائع الصفات، ويتابعه في سلوك ألفاظ الملوك، وكانت يد فكره قاصرة عن مرماه، فيما عن له معناه، ولكنه أدمن فأحسن، في كثير مما اعتمده وقصده، وشعره بمصر مع استحكام السن، في غاية الحسن كقوله:

سقياني فلست أصغي لعذل ... ليس إلا تعلة النفس شغلي

أأطيع العذول في ترك ما أه ... وى كأني اتهمت رأيي وعقلي

عللاني بها فقد أقبل اللي ... ل كلون الصدود من بعد وصل

وانجلى الغيم بعد ما أضحك الرو ... ض بكاء السحاب فيه بوبل

عن هلال كصولجان نضار ... في سماء كأنها جام ذبل

وله أيضا:

رب صفراء عللتني بصفرا ... ء وجنح الظلام مرخى الإزار

بين ماء وروضة وكروم ... ورواب منيفة وصحاري

تتثنى بها الغصون علينا ... وتجيب القيان فيها القماري

وكأن الدجى غدائر شعر ... وكأن النجوم فيها مداري

وانجلى الغيم عن هلال تبدى ... في يد الأفق مثل نصف سوار

وله أيضا:

إذا حذرت زمانا لم تسر به ... كم قد أتى سهل أمر دون أصعبه

فأقبل الدهر ما أعطاك مختلطا ... لعل مرك يحلو في تقلبه

خذها إليك ودع لومي مشعشعة ... من كف أقنى أسيل الخد مذهبه

في كل مقعد حسن منه معترض ... عليه يحميه من أن يستبد به

فكحل عينيه ممنوع بخنجره ... وورد خديه محمي بعقربه

لا تترك القدح المملوء في يده ... إني أخاف عليه من تلهبه

وصنه عن سقينا إني أغار به ... وسقه واسقني من فضل مشربه

وانظر إلى الليل كالزنجي منهزما ... والصبح في أثره يعدو بأشهبه

والبدر منتصب ما بين أنجمه ... كأنه ملك في صدر موكبه

وقوله أيضا:

عقرب الصدغ فوق تفاحة الخ ... د نعمي مطرز بعذاب
وسيوف الألحاظ في كل حين ... مانعات جنة الثنايا العذاب
وعيون الوشاة يفسدن بالرق ... بة والمنع رؤية الأحباب
فمتى يظفر المحب ويشفي ... بالتداني مضاضة **الاكتئاب**
وقوله:

ترى عذاريه قد قاما بمعذرتي ... عند العذول فأضحى وهو يعذرني
ريم كأن له في كل جارحة ... عقدا من الحسن أو نوعا من الفتن
كأن جوهره من لطفه عرض ... فليس تحويه إلا أعين الفطن
أخفى من السر لكن حسن صورته ... إذا تأملته أبدى من العلن
والله ما فتنت عيني محاسنه ... إلا وقد سحرت ألفاظه أذني
ما تصدر العين عنه لحظها مللا ... كأنه كل شيء مرتضى حسن." (١)
"تعلم من الأفعى أمالي طبعها ... فآنس إذا أوحشت تعف من الذم
لئن كان سم كامن تحت نابها ... ففي لحمها ترياق غائلة السم
وقال:

الله يعلم أني لست ذا بخل ... ولست ملتمسا في البخل لي عللا
لكن طاقة مثلي غير خافية ... والذر يعذر في القدر الذي حملا
[وقال] أبو بكر الخالدي:

وأخ رخصت عليه حتى ملني ... والشيء مملول إذا ما يرخص
ما في زمانك ما يعز وجوده ... إن رمته إلا صديق مخلص
[وقال] أخوه أبو عثمان:

يا هذه إن رحت في ... خلق فما في ذاك عار
هذي المدام هي الحيا ... ة قميصها خزف وقار

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحُصري القيرواني ص/٢٠

أبو نصر بن نباتة:

ولا تحقرن عدوا رماك ... وإن كان في ساعديه قصر

فإن السيوف تجذ الرقاب ... وتعجز عما تنال الإبر

وله:

أرى همم المرء **اكتئابا** وحسرة ... عليه إذا لم يسعد الله جده

وما لامرئ في حادث الدهر حيلة ... إذا نحسه في الأمر وافق سعده

وله:

وعنفني في مركب الهول معشر ... وقالوا: أيهوى الجدب من هو في الخصب

وإني لأدري أن في العجز راحة ... وأعلم أن السهل أوطا من الصعب

ولو طلب الناس المكارم كلهم ... لكان الغنى كالفقر والعبد كالرب

ولكن أشخاص المعالي خفية ... على كل عين ليس تبصر باللب

يقول في هذه القصيدة يمدح علي بن المزربان:

ومن كعلي للفوارس تدعي ... وللخيل سامتها القوائم للوثب

ترى الشمس أما والكواكب إخوة ... وتنظر من بدر السماء إلى ترب

رأى الفلك الدوار تربة بابل ... أحق وأولى منه بالأنجم الشهب

يدب ويسري نشركم في نسيمها ... ويعبق منكم في المياه وفي الترب

وما بشروق الشمس منها تشرفت ... بكم شرفت شرق البلاد على الغرب

ابن وكيع:

لئيم لا يزال يلم وفرا ... لوارثه ويدفع عن حماه

ككلب صيد يمسك وهو طاو ... فريسته ليأكلها سواه

وقال:

تعمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن خالفتني لتريد نقصي ... فلا تغضب إذا لم تعط طاعة

وقال:

امزح بمقدار الطلاقة واجتنب ... مزحا تضاف به إلى سوء الأدب

لا تغضبن أخاك إن مازحته ... إن المزاح على مقدمة الغضب

[وقال] أبو إسحاق الصابي:

وأحق من نكسته ... بالصغر من درجاته

من مجده من غيره ... وسفاله من ذاته

وكتب إلى صديق له من السجن بقوله:

نحن في الصحبة كالنسرين لكني واقع

وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع

وكان سبب سجنه أنه في أيام عز الدولة بختيار بن معزها أحمد بن بويه الديلمي كان على ديوان الإنشاء، وكانت بين بختيار وعضد الدولة فنا خسرو منافسة في الرئاسة، فلما خلع الفضل بن جعفر المقتدر [وهو المطيع] وأقيم مكانه ابنه أبو الفضل عبد الكريم الطائع سنة أربع وستين وثلاثمئة، استولى على جميع الأمر عضد الدولة، وقتل بختيار وأمحى أثره، فأحضر الصابي، وقال: قد علمت ما كنت تعاملني به من قبيح المخاطبة في المكاتبة، وقد أحفظني ذلك، فأوجب حلفي على قتلك إذا ظفرت بك، وقد رأيت ذلك من الفساد إذ كنت مقدما في صناعتك، ولكن لا تعمل لي عملا أبدا.

واستصفى أمواله وحبسه، وولى ديوان الإنشاء أبا منصور المرزبان الشيرازي، وكان غاية في البلاغة والفصاحة وحسن آلات الكتابة. وزارة أبا إسحاق الصابي في السجن أبو الفرج الببغاء الشاعر زورة ثم قطعه فكتب إليه:

أبا الفرج أسلم وابق وانعم ولا تزل ... يزيدك صرف الدهر حظا إذا نقص

مضت مدة أستام ودك غاليا ... فأرخصته والبيع غال ومرتخص

وآنستني في محبسي بزيارة ... شفت كمدا من صاحب لك قد خلص

ولكنها كانت كحسوة طائر ... فواقا كما يستفرض السارق الفرص

وأحسبك استوحشت من ضيق محبسي ... وعادك عيد من تذكرك القفص

فعوفيت يا قس الطيور فصاحة ... إذا سرد المنظوم أو تلي القصص

من المنسر الأشغى ومن حزة المدى ... ومن بندق الرامي ومن قصة المقص

ومن صعدة فيها من الدبق لهذم ... لفرسانكم عند اللقاء بها قعص." (١)

---

(١) نور الطرف ونور الظرف الحُصري القيرواني ص/٢٥

"فزحف حتى صار في ثلثي الفراش، وقال: يا فتى، شبهوا الخدود بالورد، وأنت شبهت الورد بالخدود، زدنى فأنشدته:

عاتبت نفسى في هوا ... ك فلم أجدها تقبل

وأطعت داعيها إلي ... ك فلم أطع من يعذل

لا والذى جعل الوجو ... ه لحسن وجهك تمثل

لا قلت إن الصبر عنك ... من التصابى أجمل

فزحف حتى انحدر عن الفرش ثم قال لى: زدنى، فأنشدته:

عش فحبيك سريعا قاتلى ... والضنى إن لم تصلنى واصلى

ظفر الحب بقلب دنف ... فيك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وضنى ... تركانى كالقضيب الذابل

وبكى العاذل لى من رحمة ... فبكائى لبكاء العاذل

فنعر طربا وقال: يا يلبق؛ كم معك لنفقتنا؟ قال: ثمانمائة وخمسون دينارا.

قال: اقسمها بينى وبين خالد، فدفع إلى نصفها وأنشد جحظة أو غيره ولم يسم قائله:

لا يبعد الله إخوانا لنا سلفوا ... أفناهم حدثان الدهر والأبد

نمدهم كل يوم من بقيتنا ... ولا يؤوب إلينا منهم أحد

[السكاكين]

وكان أحمد بن يوسف جالسا بين يدى المأمون، فسأل المأمون عن السكين فناوله أحمد السكين، وقد أمسك بنصابها، وأشار إليه بالحد، فنظر إليه المأمون نظر منكر؛ فقال: لعل أمير المؤمنين أنكر على أخذى النصاب؛ وإشارتى إليه بالحد؛ وإنما تفاءلت بذلك أن يكون له الحد على أعدائه، فعجب المأمون من سرعة فطنته، ولطيف جوابه.." (١)

"مرجعه ذلك العقل، ومصيره ذلك الفضل، ومنصبه ذلك الأصل. وعصارته ذلك النسل، وقعيدته تلك الأهل] ، وقوله ذلك القول، وفعله ذلك الفعل، فكان ماذا؟ أليس [ما] قد سلب أكثر مما أوتى، وما عدم أوفر مما غنم! مالك تنظر إلى ظاهره، وتعمى عن باطنه؟ أكان يعجبك أن تكون قعيدته فى بيتك، وبغلته من تحتك، أم كان يسرك أن تكون أخلافه فى إهابك، وبوابه على بابك، أم كنت تود أن تكون وجعاؤه فى إزارك، وغلمانه فى دارك، أم كنت ترضى أن تكون فى مربطك أفراسه، وعليك لباسه، ورأسك راسه؟ جعلت فداك! ما عندك خير مما عنده، فاشكر الله وحده على ما آتاك، واحمده على ما أعطاك، ثم أنشد:

إن الغنى هو الراضى بعيشته ... لا من يظل على الأقدار مكتئبا

[فى البخل]

ألف سهل بن هارون كتابا «١» يمدح فيه البخل ويذم الجود؛ ليظهر قدرته على البلاغة، وأهداه للحسن بن سهل فى وزارته

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٢/٤٩٣

للمأمون، فوقع عليه: لقد مدحت ما ذمه الله، وحسنت ما قبح الله، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك، وقد جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه.

وكان الحسن من كرماء الناس وعقلائهم. سئل أبو العيناء عنه، فقال:

كأنما خلف آدم فى ولده، فهو ينفع عيلتهم، ويسد خلتهم، ولقد رفع الله للدنيا من شأنها، إذ جعله من سكانها أخذ هذا المعنى أبو العيناء من قول الشاعر:

وكأن آدم كان قبل وفاته ... أوصاك وهو يجود بالحوباء

ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم ... وكفيت آدم عيلة الأبناء." (١)

"٣٦٦ - أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنبأنا أبو علي الحسين بن صفوان، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، أخبرني محمد بن الحسين، حدثنا راشد أبو سعيد، حدثني عاصم الخلقاني قال: قال الربيع بن عبد الرحمن: " إن ﷺلله عز وجل عبادا أخمصوا له البطون، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام؛ رجاء أن ينير لهم ذلك ظلمة قبورهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها، فهم في الدنيا **مكتئبون** وإلى الآخرة متطلعون، نفذت أبصارهم بالغيب إلى الملكوت فرأت فيه ما رجت من عظيم الثواب فازدادوا والله بذلك جدا واجتهادا عند معاينة ما انطوت عليه آمالهم فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا وهم الذين تقر أعينهم غدا بطلعة ملك الموت عليهم قال: ثم يبكي حتى تبل لحيته "." (٢)

"أنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي، نا القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، إملاء، نا هارون بن إسحاق الهمداني، نا محمد بن عبد الوهاب القناد، عن مسعر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن يحيى بن طلحة، عن أمه سعدى المرية، قالت: مر عمر بطلحة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: مالك **مكتئب**، أساءتك إمرة ابن عمك؟، قال: لا، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا كان نورا لصحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت، فقال: أنا أعلمها، هي التي أراد عليه عمه، ولو علم أن شيئا أنجى له منها لأمره به "

ومحمد بن عبد الوهاب بن هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشي الشامي

حدث عن أبيه.

روى عنه: العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي.

أنا القاضي أبو بكر الحيري، نا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، نا العباس بن الوليد، أخبرني أبي، قال: أخبرني عبد الوهاب بن هشام بن الغاز، عن أبيه هشام بن الغاز، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٣/٨٨٨

(٢) الزهد الكبير للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/١٦٢

كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان بمنفعة بر، أو تيسير عسر، أعين على إجازة الصراط يوم دحض الأقدام»، قال العباس: ثم لقيت محمد بن عبد الوهاب، فحدثني به عن أبيه، عن جده، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثله." (١)

"ومن عجائب الدنيا، صنم قادس في غرب الأندلس على البحر من كورة شذونة، وقد ذكره الأوائل، ونقل أهل الأخبار خبره، ومن أحسن ما قيل في وصفه من النظم ما أنشده غير واحد لأبي عثمان الشذوني العروضي، يخاطب بعض قواد شذونة، إذ أدخله إليه فرآه على قرب في تلك الجزيرة، فقال:

يا سيدا أبصرت عيني به عجبا ... فما أبالي يقول الناس عن رهبي

لله ما أبصرته في شذونة من ... عجائب كنت في إبصارها سببا

آثار مملكة دلت على ملك ... أذل بالملك أعناق الورى حقبا

وأسود واقف في رأس صومعة ... كأنه فوقها بالروح قد صلبا

مقدما رجله اليمنى ليرفعها ... كأنه يشتكي من طول ما تعبا

يمد يمناه بالمفتاح تحسبه ... مناولا غيره عجلان مكتئبا

وصكه في اليد اليسرى قد انقبضت ... كأنه ساتر عنا لما كتبا

يومي إلى البحر نحو الغرب وجهته ... مستقبلا لغروب الشمس منتصبا

لابد والله من قفل سيفتحه ... مفتاحه بعد الميقات أو قربا

وسائل لي عما ضل جوهره ... والذهن في فك معناه قد انتشبا

أجبته إن في أخباره عجبا ... فلا تسل عنه صفرا كان أو ذهبا

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: ما خلق الله خلقا أشر من الخزر، ما بعث منهم نبي ولا صديق.

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لابنه الحسن: يا بني! كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع. قال: وكيف؟ قال: الإيمان ما سمعناه بآذاننا وصدقناه بقلوبنا، واليقين ما رأيناه بأعيننا فتيقنا، وبين السمع والبصر أربع أصابع. قال: أشهد أنك ابن رسول الله.

قال الحكماء: شيئان أعيت الحكماء الحيلة فيهما، إذا أقبل الأمر أعيت الحيلة فيه أن يدبر، وإذا أدبر أعيت الحيلة فيه أن يقبل.

قال خالد بن صفوان: احترس من العين فو الله لهي أنم من اللسان.

كان يقال: من أحبك نهاك، ومن أبغضك أغراك.

كان يقال: مثلت الدنيا بطائر، فالبصرة ومصر جناحان، والشام والعراق والجزيرة وما والاها الجوف، واليمن الذنب.

تقول العرب: مضر رحاها خندف، وهامتها تميم، وفرسانها قيس، وأئمتها كنانة، ولسانها أسد.

---

(١) تلخيص المتشابه في الرسم الخطيب البغدادي ٢/٦٣٦

قال الخشني: لا تكرم ولا تعظم إلا من يرجى خيره، أو يخاف شره، أو يقتبس من علمه، أو من بركة دعائه.

خطب أرسطو طاليس يوما فأطال، وعنده شاب مطرق، فقال له: مالك لا تتكلم؟ قال: إن الله خلق الإنسان أذنين اثنين ولسانا واحدا ليسمع أكثر مما يقول.

من أمثال العرب: من يجمع بين الأروى والنعام! لأن الأروى لا تسهل، وإنما تسكن الجبال، والنعام يسكن السهل، ولا ترقى الجبال.

ومن قولهم: بيضة البلد؛ فمدح وذم، فمن المدح قول علي رضى الله عنه: أنا بيضة الإسلام، ومن المدح قول حسان:

وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

يعني نفسه. وأما الذم فقول الراعي في عدي بن الرقاع:

لو كنت من أحد يهجي هجوتكم ... يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاعة أن تدري لكم نسبا ... وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

ابنا نزار: ربيعة ومضر.

قال قبيصة بن جابر الأسدي، يوم صفين:

قد حافظت في حربها بنو أسد ... ما مثلها تحت العجاج من أحد

لسنا بأوباش ولا بيض البلد قيل للأموية: أي شيء أحسن؟ قالت: القصور والبيض في الحدائق الخضر.

قال أبو لبيد الرياحي: سألت شيخا لنا: أي شيء أحسن؟ قال: بيضة في روضة.

تقول العرب: لا شيء أظل من حجر، ولا أفيأ من شجر.

قال الشاعر:

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى ... فأبعدكن الله من شجرات

وقال آخر:

فلا تجزعن على أيكة ... أبت أن تظلك أغصانها

وقال آخر، هو الحسن بن هانئ:

لا أذود الطير عن شجر ... قد بلوت المر من ثمره

كلم الحجاج امرأة من الخوارج، وهي معرضة عنه، فقيل لها: يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه؟ فقالت: إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه.

قال رجل من بني كلاب من الخوارج، يخاطب معاوية بن أبي سفيان رحمه الله:." (١)

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة ".

قال جعفر الخواص: رأيت يحيى بن أكثم في النوم، فقلت ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه فسألني وناقشني، وقال: يا

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٢١٤

شيخ السوء! لولا شيبتك لأدخلتك النار - رددها ثلاثا - فقلت: يا رب! ما هكذا حدثني عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري عن أنس، عن نبيك، عن جبريل، عنك. قال: وما هو؟ قلت: " حدث أنه من شاب شيبة في الإسلام لم تحرقه بالنار "، فقال الله عز وجل: " صدق عبد الرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهري، وصدق أنس، وصدق نبي، وصدق جبريل؟ انطلقوا به إلى الجنة ".

وقال أبو موسى الزمن: رأيت أبا الوليد الطيالسي في النوم فقلت: يا أبا الوليد، أليس قدمت؟ قال: بلى. قلت: فما فعل الله بك. قال: غفر لي ورحمني وطيبني بيده، وقال: هكذا أفعل بأبناء الخمسين والسبعين.

وممن مدح الشيب من الشعراء الفرزدق، حيث يقول:

تفاريق شيب في السواد لوامع ... وما خير ليل ليس فيه نجوم

وقال أبو هفان:

تعجبت هند من شيبي فقلت لها ... لا تعجبي فبياض الصبح في السدف

وزادها عجبا أن رحت في سمل ... وما درت هند أن الدر في الصدف

وقال دعبل:

أهلا وسهلا بالمشيب فإنه ... سمة العفيف وحلية المتحرج

وكأن شيبي نظم در زاهر ... في تاج ذي ملك أغر متوج

وقال أيضا:

أحب الشيب لما قيل ضيف ... لحبي للضيوف النازلينا

لمحمد بن عبد الملك الزيات:

وعائب عابني بشيبي ... لم يعد لما ألم وقته

فقلت غذ عابني بشيبي ... يا عائب الشيب لا بلغته

وقال آخر:

لا يرعك المشيب يا بنة عبد الله ... فالشيب جلة ووقار

إنما تحسن الرياض إذا ما ... ضحكت في خلالها الأنوار

ولأبي الفتح البستي:

ما استقامت قناة رأيي إلا ... بعدما عوج المشيب قناتي

ولدعبل بن علي:

تعجبت أن رأت شيبي فقلت لها: ... لا تعجبي من يطل عمر به يشب

شيب الرجال لهم زين وتكرمة ... وشيبكن لكن الويل فاكتئبي

فينا لكن وإن شيب بدا أرب ... وليس فيكن بعد الشيب من أرب

وقال أبو الحسن علي بن محمد السهواجي، وسهواج بلدة من أعمال مصر:

ومما زاد في طول اكتئابي ... طلائع شيبتين ألمتابي

فأما شيبة ففزعت منها ... إلى المقراض من حب التصابي

وأما أختها فكففت عنها ... لتشهد بالبراء من الخضاب

فيا عجبا لذلك من مشيب ... أقمت به الدليل على الشباب

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين، وأقلهم من تجاوز ذلك ". قال أبو هريرة: وأنا من أقلهم، وقاله أبو سلمة ومحمد بن عمرو.

ومن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " من تعظيم خلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم ".

رأى إياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته، فقال: أرى الموت يطلبني، وأراني لا أفوته، أعوذ بك يا رب من فجأة الموت. يا بني سعد! قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شيبي.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " خير شبابكم من تشبه بكهولكم، وشر كهولكم من تشبه بشبابكم ". من حديث أنس.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " إن الله عز وجل ليكرم أبناء السبعين ويستحي من أبناء الثمانين أن يعذبهم ".

باب في خضاب الشيب ونتفه

قال محمود الوراق:

إذا ما الشيب جار على الشباب ... فعاجله وغالط في الحساب

وقل لا مرحبا بك من نزيل ... وعذبه بأنواع العذاب

بنتف أو بقص كل يوم ... وأحيانا بمكروه الخضاب

فإن هو لم يحر وأتى لوقته ... فقل في رحب دار واقتراب

ولا تعرض له إلا بخير ... وإن عدي على شرخ الشباب

وخذ للشيب أهبته وبادر ... وخل عنان رحلك للذهاب." (١)

"قال سهل بن هارون: التهنئة على آجل الثواب أولى من التعرية على عاجل المصيبة.

قال عيينة بن حصن الفزاري، وقد قدم من سفر، وقد أصابه مصيبة، فأتاه قومه فقال لهم: اجعلوا لقاءكم سلاما، ولا يأتي أحدكم معزيا، فإن التعزية تهيج التذكرة، ومن أراد أن يدعو بخير في الرزية فليظهر العتب.

أصيب محمود الوراق بجارية يقال لها نشوى، كان علمها وخرجها وأعطى فيها مالا كثيرا فأبى، فأتى بعض إخوانه يعزيه عنها، وهو عنده أنه شامت، فجعل يعذله على ما كان يحمل إليه من ثمنها ويذكر حاله، ويطنب في وصفها، فأنشأ محمود يقول:

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٢١٩

ومنتصح يكرر ذكر نشوى ... على عمد ليبعث لي **اكتئابا**

فقلت وعد ما كانت تساوي سيحسب ذاك من خلق الحسابا

عطيته إذا أعطى سرور ... وإن أخذ الذي أعطى أثابا

فأي النعمتين أعم فضلا ... وأحمد في عواقبها إيابا

أنعمته التي أهدت سرورا ... أم الأخرى التي أهدت ثوابا

بل الأخرى وإن نزلت بكره ... أحق بشكر من صبر احتسابا

وقال محمود أيضا في نشوى:

لعمري لئن غال صرف الزمان ... نشوى لقد غال نفسا حبيبه

ولكن علمي بما في الثواب ... عند المصيبة ينسى المصيبة

روى يحي القطان، عن خالد بن أبي عثمان، قال: أتاني سعيد بن جبير يعزيني عن أبي، فرآني مستكينا، فقال لي: أما علمت أن الاستكانة من الجزع.

كان علي رحمه الله إذا عزى قوما قال: عليكم بالصبر؛ فبه يأخذ الحازم، وإليه منصرف الجازع.

ولما دفن علي فاطمة رضى الله عنهما تمثل على قبرها بهذين البيتين:

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي واحدا بعد واحد ... دليل على ألا يدوم خليل

يقال: إنها له، وقال ابن الأعرابي: هي أبيات لسقران السلاماني.

كان يقال: جزعك على مصيبة أخيك أحمد من صبرك، وصبرك على مصيبتك أحمد من جزعك.

ومن أبيات لضابئ بن الحارث البرجمي:

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

عزى رجل رجلا فقال: لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها.

قال بعض تميم:

لقد عزى ربيعة أن يوما ... عليها مثل يومك لا يعود

ومن عجب قصدن له المنايا ... على عمد، وهن له جنود

أخذه يعقوب بن الربيع في رثائه جاريته، فقال:

لئن كان قربك لي نافعا ... لبعدك أصبح لي أنفعا

لأني أمنت رزايا الدهور ... وإن جل خطب فلن أجزعا

وقال محمود الوراق:

لا تطل الحزن على فائت ... فقلما يجدي عليك الحزن

سيان محزون لما قد مضى ... ومظهر حزن لما لم يكن

وقال أخو ذي الرمة:

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده ... عزاء وجفن العين ملآن مترع

ولم تنسني أوفى المصائب بعده ... ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

وقال آخر:

أترجو البقاء وهذا محال ... ولله عز وجل البقاء

فلو كان للفضل يبقى كريم ... لما مات من خلقه الأنبياء

تموت النفوس وتبقى الشخوص ... وعند الحساب يكون الجزاء

دخل أبو العتاهية على الفضل بن الربيع يعريه بابنه العباس، فقال: الحمد الله الذي جعلنا نعريك عنه، ولم يجعلنا نعزيه عنك. فدعا الفضل بالطعام فأكل، وقد كان قبل ذلك امتنع من الأكل.

ومن أحسن ما قيل في رثاء البنين قول العتبي:

ألا يزجر الدهر عنا المنونا ... يبقى البنات ويفنى البنينا

وأخنى على بلا رحمة ... فلم يبق لي فوق جفن جفونا

وكنت أبا صبية كالبدور ... أفقي بهم أعين الكاشحينا

فمروا على حادثات الزمان ... كمر الدراهم بالناقدينا

وما زال ذلك دأب الزمان ... حتى أماتهم أجمعينا

وحتى بكى لي حسادهم ... وقد أقرحوا بالدموع العيونا

وحسبك من حادث بامرئ ... ترى حاسديه له راحمينا." (١)

"قد هاج قلبي منزل ... من أم عمرو مقفر

فهذه داخلة في القصيد، وليس يمتنع أيضا أن يسمى ما كثرت بيوته من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة؛ لأن اشتقاق القصيد من " قصدت إلى الشيء "كأن الشاعر قصد إلى عملها على تلك الهيئة، والرجز مقصود أيضا إلى عمله كذلك. ومن المقصد ما ليس برجز وهم يسمونه رجزا لتصريع جميع أبياته؛ وذلك هو مشطور السريع، نحو قول الشاعر أنشدناه أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي عن أبي علي الحسين بن إبراهيم الآمدي، عن ابن دريد، عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي زيد الأنصاري:

هل تعرف الدار بأعلى ذي القور ... غيرها نأج الرياح والمور

ودرست غير رماد مكفور ... مكتئب اللون مريح ممطور

وغير نؤى كبقايا الدعثور ... أزمان عيناء سرور المسرور

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٢٥٢

عيناء حوراء من العين الحور

وأنشد أبو عبد الله لابن المعتز:

ومقلة قد بات يبكيها ... فيض نجيع من مآقيها

وكلها طول تمنيها ... بأنجم الليل تراعيها

ومهجة قد كاد يفنيها ... طول سقام ثابت فيها

وبرؤها في كف مبليها ... كما ابتلاها فهو يشفيها

ليس لها من حبها ناصر ... من ذا على الأحباب يعديها

وهذا عند الجوهري من البسيط، والذي أنشد أبو عبد الله على قول الجوهري هو من الرجز، وجعل الجزء الآخر مستفع لن مفروق فيه الوتد، فأسكن اللام؛ لأن آخر البيت لا يكون متحركا، فخلفه مفعولات.." (١)

"ذكر من اسمه محمود

٧٠٧٢- محمود بن الحسن، الوراق الشاعر [١] :

أكثر القول في الزهد والأدب. روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا، وأبو العباس ابن مسروق، وغيرهما. ويقال: أنه كان نخاسا يبيع الرقيق، ومات في خلافة المعتصم.

أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل، أخبرنا أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي قال: قال أبو بكر بن أبي الدنيا، أنشدني محمود بن الحسن الوراق قوله:

رجعت على السفيه بفضل حلمي ... فكان الحلم عنه له لجاما

وظن بي السفاه فلم يجدني ... أسافهه وقلت له سلاما

فقام يجر رجليه ذليلا ... وقد كسب المذلة والملاما

وفضل الحلم أبلغ في سفيه ... وأحرى أن تنال به انتقاما

أخبرنا الجوهري، أخبرنا محمد بن العباس، حدثنا أبو الحسن علي بن موسى الرزاز، حدثنا قاسم الأنباري، حدثني أبو بكر الطالقاني عن أبيه قال: كنت جالسا عند محمود الوراق والناس يعزونه عن جاريته نشو، وكان قد أعطى بها آلافا من الدنانير، وإذا بعض المعزين يكرر ذكر فضلها عنده ليحزنه، ففطن له فأنشأ يقول:

ومنتصح يكرر ذكر نشو ... ليحدث لي بذكراها اكتئابا

أقول- وعد ما كانت تساوي ... سيخلفه الذي خلق الحسابا

عطيته إذا أعطى سرورا ... وإن أخذ الذي أعطى أثابا

فأي النعمتين أعم فضلا ... وأكرم في عواقبها إيابا

أنعمته التي أهدت سرورا ... أم الأخرى التي أهدت ثوابا

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ١٨٣/١

بل الأخرى وإن نزلت بكره ... أحق بصبر من صبر احتسابا

---

[١] ٧٠٧٢- انظر: المنتظم، لابن الجوزي ٦٩/١١. وفوات الوفيات ٢٨٥/٢. وحماسة ابن الشجري ١٤١.
والأعلام ١٦٧/٧.." (١)

"أنه خليفتي في أمتي من بعدي ١٧٢/١١

أنه دخل مكة عليه عمامة سوداء ٢٢/٦

أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب من ماء زمزم قائما ٤٢٣/٧

أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال: اسم الله الأعظم، ما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها ٣٢٤/٧

أنه سألهم ما تقولون في هذه النجوم التي ترمى ٤٧٧/٩

أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ: الذكر والأنثى
[النجم ٤٥] ٤/١٤

أنه صلى الظهر خمسا فسجد سجدتين وهو جالس بعد ما سلم ٩٢/١١

أنه طلق امرأته ألبتة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال: ما أردت قال: واحدة قال: آلله؟ قال: آلله قال: هي واحدة ٤٦٥/٨

أنه طلق امرأته وهي حائض، فاستأمر عمر نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: مره فليراجعها ثم يطلقها إذا طهرت ١٤٥/١٢

أنه غسل النبي صلى الله عليه وسلم، فعصر بطنه في الوسطى فلم يخرج شيئا ٢٦٦/٢

أنه كان إذا بعث أميرا قال: اقصر الصلاة، وأقل من الكلام، فإن من الكلام سحرا ٦٠/١٤

أنه كان إذا طاف للحج أو للعمرة- أو ما يقدم- سعى ثلاث أطواف بالبيت ٢٩٨/٧

أنه كان إذا كلم أحدا أو نازعه فعل ذلك ثلاثا ويقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ٤٧/٣

أنه كان في بني إسرائيل ملكان أخوان على مدينتين، وكان أحد ٤٠٣/١

أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئبا حزينا؟ ٣٤٩/٤

أنه كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة حتى يكونا حذو منكبيه، وإذا رفع رأسه من الركوع، وكان لا يفعل ذلك في السجود ٢٥/٤

أنه كان يصلي قبل الجمعة ركعتين، وبعدها ركعتين ٣٦٢/٦

أنه كان يقرأ في الوتر: ب سبح اسم ربك الأعلى

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٨٨/١٣

وقل يا أيها الكافرون

وقل هو الله أحد

٢٧١/١١

أنه كان يقرأ مالك يوم الدين ٣٤٦/٥

أنه كان يكره من لحوم الطير والوحش ما أكل الجيف ١٦١/١٣

أنه كان يمسح رأسه بفاضل ذراعيه ٢٤٢/١١." (١)

"كان فيمن كان قبلكم رجل لم يعمل لله خيرا قط، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: إذا أنا مت فخذوني وأحرقوني واسحقوني واذروني في يوم راح لعلي لا أصل إلى الله ١٥٤/٥

كان لا يأكل الثوم ولا الكراث ولا البصل من أجل أن الملائكة تأتيه، وأنه يكلم جبريل. ٢٦٢/٢

كان لا يدخر شيئا لغد ١٠٠/٧

كان لا يدخل بيته إلا لحاجة الإنسان ١٢٨/٢

كان لا يصافح النساء ٤٢٤/٥

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٣١٧/١١

كان للنبي صلى الله عليه وسلم كاتب يقال له سجل، فأنزل الله تعالى: يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب [الأنبياء ١٠٤] ١٧١/٨

كان للنبي صلى الله عليه وسلم ملحفة مصبوغة بالورس والزعفران، يدور بها على نسائه ٣٢١/١٣

كان له أمانا من الفقر، واستجلب به الغنى، وأمن من وحشة القبر، واستقرع به باب الجنة ٣٥٤/١٢

كان له عند الله أجر شهيد في سبيل الله عز وجل ٤٤٧/١٣

كان له مشط عليه جلاجل فضة ٤٥٨/١٣

كان له من الأجر كمن حج واعتمر ٣٣٩/٥

كان له من الأجر بعدد ذلك الثمر ٣٥٩/١٠

كان لون النبي صلى الله عليه وسلم أسمر ٤٠٦/٥

كان مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل فوقصته ناقته وهو محرم فمات، فقال النبي: صلى الله عليه وسلم اغسلوه ولا تقربوه- يعنى طيبا- ولا تغطوا وجهه ٢٩٢/٧

كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئبا حزينا؟ قال: نعم يا ابن عم رسول الله ٣٤٩/٤

كان معي في درجتي يوم القيامة ٢٨٩/١٣

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٥٧/٢٣

كان من تلبية رسول الله: صلى الله عليه وسلم لبيك إله الحق ٤٣٥/١٠

كان من قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاه الناهي تعذيرا ٢٩٦/٨

كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى مسح بيده اليمنى على رأسه ويقول: بسم الله الذي لا إله غيره الرحمن الرحيم ٤٧٩/١٢

كان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يتهادين الجراد يأكلنه ٧٥/٨." (١)

"حرف الخاء [من آباء الأحمدين]

ذكر من اسمه أحمد واسم أبيه خالد

٢١١٨- أحمد بن خالد، الخلال الفقيه [١] :

سمع سفيان بن عيينة، وإسماعيل بن علية، وأبا قطن عمرو بن الهيثم، ومحمد بن عبيد الطنافسي، ومحمد بن سابق، ويزيد بن هارون، وشبابة بن سوار، ومحمد بن إدريس الشافعي، والحسن بن بشر بن مسلم، وعبد الله بن صالح العجلي.

روى عنه محمد بن أحمد بن البراء، ويعقوب بن سفيان، وأحمد بن علي الأبار، والحسين بن إدريس الهروي، وعمر بن عبد الله بن عمرو. وأبو حسان الزيادي.

وقال أبو حاتم الرازي: حدثنا أحمد بن خالد الخلال- وكان خيرا فاضلا، عدلا ثقة، صدوقا رضيا.

أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل أخبرنا دعلج بن أحمد أخبرنا الحسين ابن إدريس الهروي حدثنا أحمد بن خالد الخلال البغدادي حدثنا الحسن بن بشر- قال وجاء بكتاب أبيه ولم نسمعه منه- حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد عن عطاء عن ابن عباس: أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئبا حزينا؟ قال: نعم يا ابن عم رسول الله.

لفلان علي حق، ولا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفلا أكلمه؟ قال: إن أحببت. فانتقل ابن عباس ثم خرج من المسجد فقال له الرجل:

أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم- والعهد به قريب- فدمعت عيناه وهو يقول: «من مشى في حاجة أخيه وبلغ منها كان خيرا من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، أبعد ما بين الخافقين» [٢] .

---

[١] ٢١١٨- هذه الترجمة برقم ١٨٠٢ في المطبوعة.

انظر: تهذيب الكمال ٣١ (١/٣٠١) . والجرح والتعديل ٤٩/١/١. وتهذيب التهذيب ٢٧/١.

[٢] انظر الحديث في: إتحاف السادة المتقين ٢٩٢/٦. وكنز العمال ٢٤٠١٩. والدر المنثور ٢٠٢/١.." (٢)

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٢٣٣/٢٣

(٢) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٣٤٩/٤

"أخبرني علي بن أيوب القمي أنبأنا محمد بن عمران المرزباني أخبرني محمد بن يحيى حدثني الحسين بن إسحاق حدثني أبو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب قال: لما بويع إبراهيم بن المهدي بالخلافة، طلبني وقد كان يعرفني، وكنت متصلا ببعض أسبابه، فأدخلت عليه فقال: يا خالد أنشدني من شعرك، فقلت يا أمير المؤمنين ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من الشعر حكما [١] »

. وإنما أمزح وأهزل، وليس مما ينشده أمير المؤمنين، فقال لي: لا تقل هذا يا خالد، فإن جد الأدب وهزله جد، أنشدني فأنشدته:

عش فحبيك سريعا قاتلي ... والضنى إن لم تصلني واصلي

ظفر الشوق بقلب كمد ... فيك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وبلى ... تركاني كالقضيب الذابل

وبكى العاذل لي من رحمة ... فبكائي لبكاء العاذل

فاستملح ذلك ووصلني.

٤٤٠٩- خالد بن أحمد بن خالد بن حماد بن عمرو بن مجالد بن مالك- وهو الخمخام- ابن الحارث بن حكمة بن أبي الأسود- واسمه: عبد الله بن حمران بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن ذهل بن شيبان، أبو الهيثم الذهلي الأمير [٢] :

ولي إمارة مرو، وهراة، وغيرهما من بلاد خراسان، ثم ولي إمارة بخارى وسكنها وله بها آثار مشهورة وأمور محمودة، وكان قد سمع من إسحاق بن راهويه، وعلي ابن حجر وإسحاق بن منصور الكوسج، وأبي داود السنجي، وعبيد الله بن عمر القواريري وبشر بن الحاكم النيسابوري، وحامد بن عمر البكراوي، والحسن بن علي الحلواني وهارون بن إسحاق الهمداني، وعمرو بن عبد الله الأودي، ومحمد بن علي الشقيقي، روى عنه نصر بن أحمد الكندي الحافظ، وأحمد بن محمد بن عمر المنكدري، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي.

وقال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي بالري وهو صدوق ثقة.

ولما استوطن بخارى أقدم إلى حضرته حفاظ الحديث، مثل محمد بن نصر

---

[١] الحديث سبق تخريجه.

[٢] ٤٤٠٩- انظر: المنتظم، لابن الجوزي ٢٢٥/١٢. واللباب ٤٤٧/١. والأعلام ٢٩٤/٢.." (١)

"حدثنا عبد العزيز بن علي الوراق حدثنا علي بن عبد الله الهمذاني حدثنا أحمد بن مقاتل الحريري- مذاكرة- قال: لما وافى ذو النون إلى بغداد، اجتمع إليه جماعة من الصوفية ومعهم من يقول، فاستأذنوه أن يقول شيئا من عنده، فقال: نعم، فابتدأ القوال:

صغير هواك عذبني ... فكيف به إذا احتنكا

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٣١٠/٨

وأنت جمعت من قلبي ... هوى قد كان مشتركا

أما ترثي لمكتئب ... إذا ضحك الخلي بكى؟

فقام ذو النون قائما، ثم سقط على وجهه، ترى الدم يجري منه ولا يسقط إلى الأرض منه شيء. ثم قام بعده رجل ممن كان حاضرا في المجلس يتواجد، فقال له ذو النون: الذي يراك حين تقوم

[الشعراء ٢١٨] فجلس الرجل.

أخبرني عبد الصمد بن محمد الخطيب حدثنا الحسن بن الحسين الهمذاني الفقيه.

قال سمعت محمد بن أبي إسماعيل العلوي يقول سمعت أحمد بن رجاء- بمكة- يقول سمعت ذا الكفل المصري- وهو أخو ذي النون- يقول: دخل غلام لذي النون إلى بغداد فسمع قوالا يقول: فصاح غلام ذي النون صيحة خر ميتا، فاتصل الخبر بذي النون، فدخل إلى بغداد فقال علي بالقوال، واسترد الأبيات، فصاح ذو النون صيحة فمات القوال، ثم خرج ذو النون وهو يقول النفس بالنفس والجروح قصاص.

أخبرنا الجوهري أخبرنا محمد بن العباس. وأخبرنا الأزهري أخبرنا أحمد بن محمد بن موسى القرشي قالا: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي قال:

ودخلها- يعني بغداد- أبو الفيض ذو النون النوبي المعروف بالمصري، حين أشخص إلى سر من رأى أيام المتوكل، ثم زار جماعة من إخوانه، فأقام ببغداد أياما يسيرة، ثم رجع إلى مصر.

أخبرنا أبو سعد الماليني- إجازة- أخبرنا الحسن بن رشيق المصري حدثني جبلة ابن محمد الصدفي حدثني عبيد الله بن سعيد بن كثير بن عفير قال: توفي ذو النون المصري سنة خمس وأربعين ومائتين.

وقال ابن رشيق: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الإخميمي قال:

سمعت أبا العباس حيان بن أحمد السهمي يقول: مات ذو النون بالجيزة، وحمل في مركب حتى عدي به إلى الفسطاط خوفا من زحمة الناس عند الجسر، ودفن في مقابر." (١)

"محمد بن جعفر بن هارون التميمي الكوفي قال: أنشدنا أبو بكر الدارمي عن عمه لصالح بن عبد القدوس:

مرء يجمع والزمان يفرق ... ويظل يرقع والخطوب تمزق

ولأن يعادي عاقلا خيرا له ... من أن يكون له صديق أحمق

فارغب بنفسك لا تصادق أحمقا ... إن الصديق على الصديق مصدق

وزن الكلام إذا نطقت فإنما ... يبدي عيوب ذوي العقول المنطق

ومن الرجال إذا استوت أحلامهم ... من يستشار إذا استشير فيطرق

حتى يجيل بكل واد قلبه ... فيرى ويعرف ما يقول فينطق

فبذاك يوثق كل أمر مطلق ... وبذاك يطلق كل أمر يوثق

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٣٩٣/٨

وإن امرؤ لسعته أفعى مرة ... تركته- حين يجر- حبل يفرق

لا ألفينك ثاويا في غربة ... إن الغريب بكل سهم يرشق

ما الناس إلا عاملان فعامل ... قد مات من عطش وآخر يغرق

والناس في طلب المعاش وإنما ... الجد يرزق منهم من يرزق

لو يرزقون الناس حسب عقولهم ... ألفيت أكثر من ترى يتصدق

لكنه فضل المليك عليهم ... هذا عليه موسع ومضيق

وإذا الجنازة والعروس تلاقيا ... ألفيت من تبع العرائس يطلق

ورأيت من تبع الجنازة باكيا ... ورأيت دمع نوائح يترقرق

لو سار ألف مدجج في حاجة ... لم يقضها إلا الذي يترفق

إن الترفق للمقيم موافق ... وإذا يسافر فالترفق أوفق

بقي الذين إذا يقولوا يكذبوا ... ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

أخبرني علي بن أيوب القمي، أخبرنا محمد بن عمران بن موسى، حدثني علي ابن هارون النجم عن أبيه قال: من مختار شعر صالح بن عبد القدوس قوله:

إن الغني الذي يرضى بعيشته ... لا من يظل على ما فات مكتئبا

لا تحقرن من الأيام محتقرا ... كل امرئ سوف يجزى بالذي اكتسبا

قد يحقر المرء ما يهوى فيركبه ... حتى يكون إلى توريطه سببا

بلغني عن عبد الله بن المعتز قال: حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن المعبر قال:

رأيت صالح بن عبد القدوس في المنام ضاحكا مستبشرا، فقلت: ما فعل بك ربك؟." (١)

"فيما يشيرون به إلى الله تعالى، وثالث هو فقير مجرد قطع العلاقات من الدنيا والآفات يسمعون بطيبة قلوبهم وهؤلاء أقربهم إلى السلامة.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: وقد سئل عن السماع.

فقال: مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب، وقال الخواص: وقد سئل ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ولا يجد ذلك في سماع القرآن؟ .

فقال: لأن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته وسماع القول ترويح فيتحرك فيه.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي يقول: سمعت الجنيد يقول: إذ رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة.

وسمعته يقول: سمعت علي بن عبد الله البغدادي يقول: سمعت أبا سعيد الرملي يقول: قال سهل بن عبد الله: السماع علم

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٣٠٥/٩

استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو.

وحكى أحمد بن مقاتل العكي.

قال: لما دخل ذو النون المصري بغداد اجتمع إليه الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه أن يقول بين يديه شيئا فأذن فابتداء يقول: صغير هواك عذبني فكيف به إذا احتنكا وأنت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا أما ترثي لمكتئب إذا ضحك الخلي بكى قال: فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض، ثم قام رجل من القوم يتواجد.

فقال له ذو النون: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ [الشعراء: ٢١٨] فجلس الرجل.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في هذه الحكاية: كان ذو النون صاحب إشراف على ذلك الرجل حيث نهبه أن ذلك ليس مقامه وكان ذلك الرجل صاحب إنصاف حيث قبل ذلك منه فرجع وقعد.

سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سعت الرقي يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة يقال لأحدهما: جبلة وللثاني: رزيق فزار رزيق يوما جبلة في أصحابه فقرأ رجل من أصحاب رزيق شيئا ، فصاح واحد من أصحاب جبلة ومات ، فلما أصبحوا.

قال جبلة لرزيق:." (١)

"سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت يحيى بن الرضا العلوي.

قال: سمع أبو سلمان الدمشقي طوافا ينادي: يا سعتر برى فسقط مغشيا عليه فلما أفاق سئل.

فقال: حسبته يقول: اسع تر برى: وسمع عتبة الغلام رجلا يقول: سبحان رب السماء إن المحب لفي عناء، فقال عتبة: صدقت.

وسمع رجل آخر ذلك القول.

فقال: كذبت فكل واحد سمع من حيث هو.

سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت أبا الحسن علي بن محمد الصوفي يقول: سمعت رويما وقد سئل عن المشايخ الذين لقيهم في السماع.

فقال: كالقطيع إذا وقع فيه الذئب.

وحكى عن أبي سعيد الخراز قال: رأيت علي بن الموفق في السماع يقول: أقيموني فأقاموه فقام وتواجد ثم قال: أنا الشيخ الزفان، وقيل: قام الرقي ليلة إلى الصباح يقوم ويسقط على هذا البيت والناس قيام يبكون والبيت:

بالله فاردد فؤاد مكتئب ... ليس له من حبيبه خلف

سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت علي بن الحسين بن حمد بن أحمد

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٥١٣/٢

بالبصرة يقول: سمعت أبي يقول: خدمت سهل بن عبد الله سنين كثيرة فما رأيته تغير عند سماع شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن وغيره، فلما كان في آخر عمره قرئ ببين يديه ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ [الحديد: ١٥] رأيته تغير وارتعد وكاد يسقط، فلما رجع إلى حال صحوه سألته عن ذلك.

فقال: يا حبيبي ضعفنا.

وحكى ابن سالم.

قال: رأيته مرة أخرى قرئ بين يدينه ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ [الفرقان: ٢٦]." (١)

"فلما تولى وانثنت دولتي به ... فككت فؤادي من اسار **اكتئابه**

وعدت إلى بيتي وعذت بعقوتي «١» ... وودعت باب الملك بعد انتيابه [١]

فيا طيب عيش المرء في صحن داره ... على كفه [٢] عن كرمه [٣] من شرا به

/ وله أيضا، كتب بها إلى بعض صنائعه:

نسيت عمري [٤] أو تناسيته ... كلاهما منك لعمري قبيح

(سريع)

أحين هبت ريح إقبالكم ... صرت كقصر الريح فحواك ريح؟

غيري [٥] المعلى «٢» سهمه في المنى ... فكم [٦] يرى سهمي [٧] منها المنيح «٣»

أمط [٨] همومي بصراحية «٤» [٩] ... إمساكها دوني تخل صريح [١٠]

---

[١] . البيت ساقط من ب ٢.

[٢] . في با وح: كنة.

[٣] . في ب ٢: مائه.

[٤] . في ف ١ ول ٢ ول ١: عهدي.

[٥] . في ل ٢: عين.

[٦] . في ل ٢: فلم.

[٧] . في ب ٣: فيه.

[٨] . في ف ١: أست.

[٩] . في ب ٣: بسراحيه.

[١٠] . القطعان السابقتان ساقطتان من ف ٢ ورا وبا وح. وسقطت هذه القطعة فقط من ف ٣.." (٢)

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٥١٦/٢

(٢) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ١٠٨٦/٢

"وذلك أنه علل تصعد الأنفاس من صدره بهذه العلة الغريبة، وترك ما هو المعلوم المشهور من السبب والعلة فيه، وهو التحسر والتأسف، والمعنى: رحل عني العزاء بارتحالي عنكم، أي: عنده ومعه أو به وبسببه، فكأنه لما كان محل الصبر الصدر، وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضا، صار العزاء وتنفس الصعداء كأنهما نزيلان ورفيقان، فلما رحل ذاك، كان حق هذا أن يشيعه قضاء لحق الصحبة. ومما يلاحظ هذا النوع، يجري في مسلكه وينتظم في سلكه، قول ابن المعتز:

عاقبت عيني بالدمع والسهر ... إذ غار قلبي عليك من بصري

واحتملت ذاك وهي رابحة ... فيك وفازت بلذة النظر

وذاك أن العادة في دمع العين وسهرها أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب، أو اعتراض الرقيب، ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب، وقد ترك ذلك كله كما ترى، وادعى أن العلة ما ذكره من غيرة القلب منها على الحبيب وإيثاره أن يتفرد برؤيته، وأنه بطاعة القلب وامتثال رسمه، رام للعين عقوبة، فجعل ذاك أن أبكاها، ومنعها النوم وحماها، وله أيضا في عقوبة العين بالدمع والسهر، من قصيدة أولها:

قل لأحلى العباد شكلا وقدا ... أبجد ذا الهجرأم ليس جدا." (١)

"فوارس من منولة غير ميل ... ومرة، فوق جمعهم العقاب

- ٢١ - وقال يهجو يزيد بن عمرو بن الصعف الكلابي:

لعمرك ما خشيت على يزيد ... من العحر المضلل ما أتاني

كأن التاج معصوبا عليه ... لأذواد أصبن بذي أبان

فحسبك أن تهاض بمحكمات ... تمر بها الروى على لساني

فقبلك ما شتمت وقاذعوني ... فما نزر الكلام ولا شجاني

يصد الشاعر الثنيان عني ... صدود البكر عن قرم هجان

أثرت الغي ثم نزعت عنه ... كما حاد الأزب عن الطعان

فإن يقدر عليك أبو قبيس ... تمط بك المعيشة في هوان

وتخضب لحية غدرت وخانت ... بأحمر من نجيع الجوف آني

وكنت أمينه لو لم تخنه ... ولكن لا أمانة لليمان

- ٢٢ - وقال يرثي النعمان بن الحارث بن أبي شمر الغساني:

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل ... وكيف تصابى المرء والشيب شامل

وقفت بربع الدار قد غير البلى ... معارفها والساريات الهواطل

أسائل عن سعدى وقد مر بعدنا ... على عرصات الدار سبع كوامل

فسليت ما عندي بروحة عرمس ... تخب برحلي تارة وتناقل

---

(١) أسرار البلاغة الجرجاني، عبد القاهر ص/٢٩٩

موثقة الأنساء مضبورة القرا ... نعوب إذا كل العتاق المراسل

كأني شددت الرحل حين تشذرت ... على قارح مما تضمن عاقل

أقب كعقد الأندي مسحج ... حزابية قد كدمته المساحل

أضر بجرداء النسالة سمحج ... يقلبها إذ أعوزته الحلائل

إذا جاهدته الشد جد وإن ونت ... تساقط لا وان ولا متخاذل

وإن هبطا سهلا أثار عجاجة ... وإن علوا حزنا تشظت جنادل

ورب بني البر شاء ذهل وقيسها ... وشيبان حيث استبهلتها المنازل

لقد عالني ما سرها وتقطعت ... لروعاتها مني القوى والوسائل

فلا يهنئ الأعداء يصرح ملكهم ... وما عتقت منه تميم ووائل

وكانت لهم ربعية يحذرونها ... إذا خضخضت ماء السماء القبائل

يسير بها النعمان تغلي قدوره ... تجيش بأسباب المنايا المراحل

تحث الحداة جالزا بردائه ... بقي حاجبيه ما يثير القنابل

يقول رجال ينكرون خليقتي ... لعل زيادا "لا ابا لك" غافل

أبي غفلتي أني إذا ما ذكرته ... تحرك داء في فؤادي داخل

وإن تلادى إن ذكرت وشكتي ... ومهري وما ضمت لدي الأنامل

حباؤك والعيس العتاق كأنها ... هجان المها تحدى عليها الرحائل

فإن تك قد ودعت غير مذمم ... أواسي ملك ثبتتها الأوائل

فلا تبعدن إن المنية موعد ... وكل امرئ يوما به الحال زائل

فما كان بين الخير لو جاء سالما ... أبو حجر إلا ليال فلائل

فإن تحي لا أملل حياتي وإن تمت ... فما في حياتي بعد موتك طائل

فآب مصلوه بعين جلية ... وغودر بالجولان حزم ونائل

سقى الغيث قبرا بين بصرى وجاسم ... بغيث من الوسمي قطر ووابل

ولا زال ريحان ومسك عنبر ... على منتهاه ديمة ثم هاطل

ونبت حوذانا وعوف منورا ... سأتبعه من خير ما قال قائل

بكى حارث الجولان من فقد ربه ... وحوران منه موحش متضائل

قعودا له غسان يرجون أوبه ... وترك ورهط الأعجمين وكابل

قال الأعلم الشنتمري في شرحه للديوان: كمل جميع ما رواه الأصمعي من شعر النابغة نصل به قصائد متخيرة مما رواه غير الأصمعي إن شاء الله تعالى.

- ٢٣ - وقال:

غشيت منازلا بعريتنات ... فأعلى الجزع للحي المبن

تعاورهن صرف الدهر حتى ... عفون؛ وكل منهمر مرن

وقفت بها القلوص على **اكتئاب** ... وذاك تفارط الشوق المعني

أسائلها وقد سفحت دموعي ... كأن مفيضهن غروب شن

بكاء حمامة تدعو هديلا ... مفجعة على فنن تغني

ألكني يا عيين إليك قولا ... سأهديه إليك: إليك عني

قوافي كالسلام إذا استمرت ... فليس يرد مذهبها التظني

بهن أدين من يبغي أذاتي ... مداينة المداين فليدني

أتخذل ناصري وتعز عبسا ... أيربوع بن غيظ للمعن

كأنك من جمال بني أقيش ... يقعقع خلف رجليه بشن

تكون نعامة طورا وطورا ... هوى الريح تنسج كل فن." (١)

"٧ – يضاف إلى ذلك فطرة الشاعر وخلقه وصفاته من حدة الذهن واضطرام الشعور وثوران العواطف والتهاب المشاعر، إلى ما سوى ذلك من أسباب الشعر وبواعثه في نفس الشاعر.

ولا عجب ذلك، فقد كانت ملكات البلاغة والشعر قوية في نفس طرفة حتى في طفولته، ولقد روي أن المتلمس شاعر ربيعة في زمانه وخال طرفة وقف على مجلس لقومه من بني قيس بن ثعلبة فاستنشدوه، فأنشدهم شعرا، جاء فيه:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره ... بناج عليه الصيعرية مكدم

والصيعرية: سمة تكون للإناث خاصة فقال له طرفة وهو غلام – وطرفة لا يعرفه –: استنوق الجمل، أي وصفت الجمل بوصف الناقة وخلطت، فذهبت كلمته مثلا، وضحك القوم وغضب المتلمس، ونظر إلى لسان طرفة وقال: ويل لهذا مني. يعني رأسه من لسانه. ويروى أن تلك القصة كانت مع عمرو بن كلثوم لا مع المتلمس (٤٠ و ٤١ جمهرة أشعار العرب) .

خصائص شاعريته

أولا، من حيث الألفاظ: يجمع طرفة بين العذوبة الجميلة السلسة والوحشية الغريبة المعقدة في ألفاظه. فإذا وصف رأيت ألفاظا بعيدة غريبة قوية ضخمة مسرفة في حوشيتها وغرابتها، وإذا فخر أو هجا رأيته يقرب من السهولة والوضوح في لفظه، وإذا أرسل الحكمة رأيت جمالا وسلاسة وسهولة.

والظاهر أن مرجع ذلك هو حياة الشاعر الشعرية، فقد بدأ في صغره ينظم الشعر، يصف به مشاهد الطبيعة وروائعها الماثلة أمام بصره، وكانت شاعريته في بدء أمرها قوية خشنة قوة البداوة وخشونة الصحراء، فقوي في ألفاظه وأغرب، ثم أخذت شاعريته تنضج وبدأ يكثر من قصائده في الفخر بأحسابه وهجاء خصومه فأخذت ألفاظه تلين وتسهل، ثم خبر الحياة

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٣٩

وطاف في الأرجاء وشاهد ألوانا من التفكير والمذاهب والآراء، فكانت شاعريته قد كمل نضجها. فبدأت ألفاظه تسلس وتسهل وتقرب من ذوق البدوي المتحضر الذي يبعد عن حياة الخشونة ومظاهر الإغراب في البداوة.

ثانيا، من حيث الأسلوب: وأسلوب طرفة قوي جزل رصين، يمتاز بالمتانة، وأسر اللفظ وفخامة الأسلوب وقوة القافية مع سهولتها.

تجد فيه جزالة وقوة في كثير من شعره، ورقة وسهولة في بعض غزله وفي حكمته وفي عتابه وفي وصف مطامحه وآماله وآلامه. والجزالة والرقة تختلف موضعها باختلاف المقام ومواطن الكلام وفنونه والمناسبات التي تسنح للشاعر فتجعل نفسه مرحة فرحة أو تجعلها مكتئبة كزة نافرة.

وفي أسلوبه معاظلة في التركيب وتعقيد في الكلام حينا، وفي غالب الأحايين نجد وضوحا ودقة تصوير وجمال تعبير وقرب مأخذ وسهولة عرض ورشاقة بيان.

ثالثا، من حيث المعاني والأخيلة: معاني طرفة تتصل بنفسه وحياته وقبيلته وبالصحراء والبادية التي عاش فيها وبتاريخ قومه وأحسابهم وبالحياة العربية عامة اتصالا وثيقا.

وطرفة في معانيه قريب، واضح أحيانا، وخفي معقد حينا، يقتصر على بيان الحقيقة، قليلة الغلو والمبالغة، يصور الحقائق والواقع تصويرا قويا.

وخياله خيال يقظ مشبوب حاد. يحلق قريبا من الحياة والواقع، يظهر في أسلوب الاستعارة والتشبيه أحيانا، ويجنح إلى القصد والاعتدال والصدق. وفي معانيه معان مكرورة، متقاربة الخيال. وطرفة على أي حال من المقلين في الشعر، ومعلقته سبب شهرته وتمتاز بوفرة معانيها وتنوع أغراضها وقوة قافيتها وصدق تصويرها.

رابعا، من حيث أغراض الشعر وفنونه: ولقد نظم طرفة الشعر في أغراض كثيرة وأجاد فيها إجادة بليغة. ومن أهم هذه الأغراض: ١ – الهجاء: فقد كان طرفة هجاء. هجا عمرو بن هند الملك، كما هجا ابن عمه عبد عمرو. وهجا قومه كما هجا أعداءهم، وتنبأ له المتلمس منذ طفولته بالقتل بسبب نشأته وفطرته على الهجاء.

ترجع أسباب ميله إلى الهجاء إلى توقد عاطفته وحدة شعوره واضطرام حسه وإلى قوة اعتزازه بنفسه وشدة تأثره مما يشعر به من تقصير في حقه من قومه وسواهم وإلى يتمه الذي جعله يتوهم العداوة من الصديق والضر حتى من القريب.

يقول في قومه:

أدوا الحقوق تفر لكم أعراضكم ... إن الكريم إذا يحرب يغضب

ويقول في ابن عمه:

ولا خير فيه غير أن له غنى ... وأن له كشحا إذا قام أهضما

ويقول في عمرو بن هند:

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور." (١)

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٦٣

"وأنشد أبو علي " ١ – ٦٥، ٦٥ " لذي الرمة:

ظلت تفالي وظل الجون مصطخما ... كأنه بتناهي الروض محجوم

ع وبعده:

حتى إذا حان من خضر قوادمه ... ذي جدتين يكف الطرف تغييم

خلي لها سرب أولاها وهيجها ... من خلفها لاحق الصقلين همهيم

يعني العير والأتن. ورواية أبي العباس:

وظل الجأب مكتئبا ... كأنه عن سرار الأرض محجوم

ظلت تفالي يفلي بعضها بعضا، والحمار مكتئب لأنها تضرحه من أجل أنها حوامل. وسرار الأرض أكرمها وأخلقها للنبات. يقول منعه إفراط العطش أن يأكل لأنه إنما يأكل اليبيس فصار بمنزلة المحجوم من الإبل وهو المكموم الفم. وخضر قوادمه: يعني الليل والأخضر الأسود عند العرب، قال سبحانه في صفة الجنتين بشدة الخضرة: " مدهامتان ". وقوادمه: أوائله. والجدة: طريقة ممتدة مثل الطرة. وجعل إلباس الليل الأرض بمنزلة الغيم. خلي لها سرب أولاها: أي خلاها تتبع أواخرها سوابقها لما أرادت من الورد. وهيجها: حثها لطلب الماء. وهمهيم: ذو هماهم يرددها في صدره. والتناهي في رواية أبي علي جمع تنهية وهي مواضع تنهبط ويجتمع إليها ماء السيل.

وأنشد أبو علي " ١ – ٦٥، ٦٥ ":

قوم إذا اشتجر القنا ... جعلوا القلوب لها مسالك." (١)

"بعض. ولو أن جميلا خاطب في كلامه مخاطبة عمر لارتج عليه، وتعثر في كلامه. ولم يذكر أبو علي كلام الزبير وأنتقاده وهو صحيح وبه يتم الخبر.

وذكر أبو علي خبر قيس بن ذريح مع أبيه وهو قيس بن ذريح بن الحباب بن سنة، أحد بني ليث بن بكر بن عبد مناة، وأمه بنت الكاهل بن عمرو الخزاعي، أرضعت الحسين بن علي رضي الله عنهما، فقيس رضيع الحسين. ولبنى هي بنت الحباب الكعبية. قال القحذمي: كان قيس وأبوه من حاضر المدينة، ومنازل قومه بظاهر المدينة. وقد أختلف في آخر أمر قيس ولبنى، فقيل إنهما ماتا على افتراقهما قال المدائني: ماتت لبنى فخرج قيس ومعه جماعة من أهله حتى وقف على قبرها فقال:

ماتت لبنى فموتها موتى ... هل تنفعن حسرة على الفوت

إني سأبكي بكاء مكتئب ... قضى حياة وجدا على ميت

ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه، ومات بعد ثلاث، فدفن إلى جنبها. وذكر القحذمى أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم، وإلى جماعة من قريش فقال: إن لي حاجة وإني أستعين بجاهكم وأموالكم عليها، قالوا: ذلك مبذول. فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لبنى، فلما رآهم أعظمهم، فقالوا: قد جئنا بأجمعنا في

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٢٣٢/١

حاجة لابن أبي عتيق، قال: هي مقضية كانت ما كانت، قال ابن أبي عتيق تهب لهم ولي لبنى وتطلقها، قال: نعم أشهدكم أنها طالق، فاستحيا القوم واعتذروا، وعوضوه مائة ألف درهم منها، وحملها ابن أبي عتيق حتى انقضت عدتها، ثم أرسل إلى أبيها فزوجها قيسا فقال قيس:." (١)

"مجنون المربد

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن إجازة قال: أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال: حدثنا أبو بكر خلف قال: حدثني محمد بن الفضل قال: حدثني بعض أهل الأدب عن محمد بن أبي نصر الأزدي قال: رأيت بالبصرة مجنونا قاعدا على ظهر الطريق بالمربد، فكلما مر به ركب قال:

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا ... علينا، فقد أمسى هوانا يمانيا.

نسائلكم: هل سال نعمان بعدنا ... فحب إلينا بطن نعمان واديا.

قال: فسألت عنه فقيل: هذا رجل من أهل البصرة، كانت له ابنة عم، وكان يحبها فتزوجها رجل من أهل الطائف فنقلها، فتوله عليها.

إبراهيم بن المهدي والشعر

كتب إلي أبو غالب بن بشران من واسط قال: أخبرنا ابن دينار قال: أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني قال: حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال: حدثني الحسين بن إسحاق قال: حدثني خالد قال: لما بويع لإبراهيم بن المهدي بالخلافة طلبني، وقد كان يعرفني وقد كنت متصلا ببعض أسبابه، فأدخلت إليه فقال: أنشدني يا خالد شيئا من شعرك! فقلت: يا أمير المؤمنين ليس من الشعر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من الشعر لحكما، وإنما أمزح وأهزل. قال: لا تقل هذا! هات أنشدني، فأنشدته:

عش فحبيك سريعا قاتلي ... والضنى إن لم تصلني واصلي.

ظفر الشوق بقلب دنف ... فيك والسقم بجسم ناحل.

فهما بين اكتئاب وضنى ... تركاني كالقضيب الذابل.

قال: فاستملح ذلك ووصلني.." (٢)

"حتى يعود إليها، وأعطته مالا كثيرا، فخرج من عندها بذلك المال حتى قدم على أهله، فرأى زوجته وما صارت إليه من الحزن، ونظر إلى ولده ممن اقتسم ماله، وجاؤوه فقال: ما بيني وبينكم عمل! أنتم ورثتموني وأنا حي، فهو حظكم، والله لا يشرك زوجتي أحد في ما قدمت به. وقال لزوجته: شأنك بهذا المال فهو كله لك، ولست أجهل ما كان من وفائك، وأقام معها وقال في الشامية:

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ٧١٠/١

(٢) مصارع العشاق السرّاج القارئ ٦٢/١

صاح! حي الإله حيا ودودا ... عند أصل القناة من جيرون.

فبتلك اغتربت بالشام حتى ... ظن أهلي مرجمات الظنون.

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغو ... ص ميزت من لؤلؤ مكنون.

وفي هذه القصيدة يقول أبو دهبل:

ثم فارقتها على خير ما كا ... ن قرين مقارنا لقرين.

وبكت خشية التفرق والبي ... ن بكاء الحزين نحو الحزين.

فاسألي عن تذكري **واكتئابي** ... جل أهلي إذا هم عذلوني.

وقد روي هذا الشعر لعبد الرحمن بن حسان، وليس بصحيح. قال: فلما جاء الأجل أراد الخروج إليها ففاجأه موتها، فأقام.." (١)

"أو وجد ثكلى أصاب الموت واحدها، ... أو وجد منشعب من بين ألاف.

قال حماد: قال لي أبي، فكتبت إليها:

اقرأ السلام على زهر إذا شحطت، ... وقل لها: قد أذقت القلب ما خافا.

أما أويت لمن قد بات **مكتئبا**، ... يذري مدامعه سحا وتوكافا.

فما وجدت على إلف أفارقه، ... وجدي عليك، وقد فارقت آلافا.

الضعيف الضائع

وبإسناده قال: حدثنا القالي قال: أنشدنا ابن دريد ولم يسم قائلا ولا عزاه إلى أحد:

آل ليلى! إن ضيفكم ... ضائع في الحي مذ نزلا.

أمكنوه من ثنيتها، ... لم يرد خمرا ولا عسلا.." (٢)

"وسوف تأتيك شمس لا خفاء بها ... أبهى البرية من إنس ومن جان

حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت، ... أقول ذلك في سر وإعلان

فلما ورد على معاوية الكتاب قال: إن كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة، فهي أكمل البرية، فاستنطقها، فإذا هي أحسن الناس كلاما، وأكملهم شكلا ودلا، فقال: يا أعرابي! هل من سلو عنها بأفضل الرغبة؟ قال: نعم، إذا فرقت بين رأسي وجسدي، ثم أنشأ يقول:

لا تجعلني، والأمثال تضرب بي، ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار

أردد سعاد على حران **مكتئب** ... يمسي ويصبح في هم وتذكار

---

(١) مصارع العشاق السرّاج القارئ ١/١٣٦

(٢) مصارع العشاق السرّاج القارئ ١/٢١٧

قد شفه قلق ما مثله قلق، ... وأشعر القلب منه أي إشعار

والله والله لا أنسى محبتها ... حتى أغيب في رمس وأحجار

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها ... وأصبح القلب عنها غير صبار

قال: فغضب معاوية غضبا شديدا، ثم قال لها: اختاري، إن شئت، أنا، وإن شئت ابن أم الحكم؛ وإن شئت الأعرابي، فأنشأت سعاد تقول:

هذا، وإن أصبح في أطمار، ... وكان في نقص من اليسار

أعز عندي من أبي وجاري، ... وصاحب الدرهم والدينار

أخشى، إذا غدرت، حر النار

فقال معاوية: خذها لا بارك الله لك فيها، فأنشأ الأعرابي يقول:

خلوا عن الطريق للأعرابي، ... إن لم ترقوا ويحكم لما بي

قال: فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم، وناقة ووطاء، وأمر بها، فأدخلت بعض قصوره حتى انقضت عدتها من ابن أم الحكم ثم أمر بدفعها إلى الأعرابي.." (١)

"(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (٢٤)

وقيل لحكيم: ألا تعظ فلانا، فقال: ذلك على قلبه قفل ضاع مفتاحه، فلا سبيل إلى معالجة فتحه.

وللإنسان مع كل فضيلة ورذيلة ثلاثة أحوال:

إما: أن يكون فى ابتدائها، فيقال: هو عبدها وابنها، ولهذا قال بعضهم: من لم يخدم العلم لم يرعه.

والثاني: أن يتوسطها فيقال: هو أخوها وصاحبها.

والثالث: أن ينتهي فيها بقدر وسعه، ويتصرف فيها كما أراد فيقال: هو سيدها وربها، ومنه قيل: فلان رباني في العلم، فإن رب الشيء هو الذي - ربه، وسيده هو الذي يملك سواده، - أي جميعه.

وغاية الفاضل في الفضيلة أن تقع منه الفضائل أبدا من غير فكر ولا روية، لغلبة قواها عليه، وبعد ما ينافيها منه، كالصانع الحاذق في صنعته.

وغاية الرذل في الرذيلة أن تقع منه الرذائل لغلبة قواها عليه، ولهذا حد الخلق

بأنه: حال للإنسان داعية إلى الفعل من غير فكر ولا روية.

الفرق بين ما يحمد ويذم من التخلق

الفرق بين الخلق والتخلق أن التخلق معه استثقال **واكتئاب**، ويحتاج إلى بعث

وتنشيط من خارج، والخلق معه استخفاف وارتياح ولا يحتاج إلى بعث من خارج.

---

(١) مصارع العشاق السرّاج القارئ ١٦/٢

والتخلق والتشبه بالأفاضل ضربان:

ضرب محمود: وذلك ما كان على سبيل الارتياض والتدرب، ويتحراه صاحبه سرا." (١)

"وقال امرأة من طيىء

(تأوب عيني نصبها واكتئابها ... ورجيت نفسا راث عنها إيابها)

(أعلل نفسي بالمرجم غيبه ... وكاذبتها حتى أبان كذابها)

٣ - (ألهفى عليك ابن الأشد لبهمة ... أفر الكماة طعنها وضرابها)

٤ - (متى يدعه الداعي إليه فإنه ... سميع إذا الآذان صم جوابها)

٥ - (هو الأبيض الوضاح لو رميت به ... ضواح من الريان زالت هضابها)

إذا أشرعت في الحرب الأسنة إلى الفرسان خاضها فلا يرجع حتى يترك الموت شديدا ويسفك دماء كثيرة

١ - التأوب الرجوع والنصب التعب والاكتئاب الحزن وراث أبطأ والإياب الرجوع والمعنى توالى البكاء من عيني ورجع إليها تعبها وحزنها وعلقت رجائي بنفس غائبة عني وقد خفيت أخبارها علي وأبطأ رجوعها إلي

٢ - علله به شغله والغيب الخبر والترجيم التكلم بلا علم وأبان ظهر والمعنى أني أشغل نفسي وألاطفها بمن خبره يظن به الظنون تسكينا لها فلا زلت أعاملها بالكذب حتى ظهر الأمر

٣ - البهمة الشجاع وتأنيث الضمير في البيت مراعاة للفظ البهمة وأفر طرد والكماة الشجعان والمعنى أني في غاية التحسر عليك يا ابن الأشد لشجاعتك التي طردت بها الشجعان عن بعضهم بطعنك وضرابك

٤ - المعنى أنه كان إذا ناداه المستغيث إلى أن يدفع عنه ما هو فيه من الأمر النازل به فإنه يسرع بإجابته حين لا تصغى آذان غيره إلى الاستغاثة بل تصم

٥ - تريد بالأبيض الوضاح خلوص النسب واشتهار الذكر والضواحي النواحي والريان جبل معروف والهضاب ما دون المرتفع من الجبال والمعنى أنه صافي النسب." (٢)

"ولبعض بني عامر:

إذا لم يكن للفتى همة ... تبوئه في العلا مصعدا

ونفس يعودها المكرما ... ت والمرء يلزم ما عودا

ولم تعد همته نفسه ... فليس ينال بها السؤددا

من عظمت همته وقصرت موجدته

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة الراغب الأصفهاني ص/١٠٢

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي التبريزي، أبو زكريا ١/٤٦١

قيل: ذو الهمة وإن حط نفسه، تأبى إلا العلو، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا. وقيل: أسوأ الناس من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعدت همته، أخذ ذلك المتنبي فقال:

وأتعب خلق الله من زاد همة ... ويقصر عما تشتهي النفس وجده «١»

وقال ابن نباتة:

أرى هم المرء **اكتئابا** وحسرة ... عليه إذا لم يسعد الله جنده

الحث على طلب الحسام والاعتزال عن الأنام

قال في كليلة: ينبغي لذي المروءة أن يكون إما مع الملوك مبجلا أو مع النساك متبتلا كالفيل إما أن يكون مركبا نبيلا أو في البرية مهيبا جليلا. وقال حكيم: الناس رجلان دنياوي وآخري فالدنياوي صاحب سلطان وذو لسان أو سنان لا يفضي على هوان، والآخري المتباعد من الناس الجاعل بينه وبينهم سدا ولا واسطة بينهما. وقال معاوية رضي الله عنه لابنه: كن مترفعا عن الناس ومستترا عنهم.

الممدوح بعظم الهمة

قال أعرابي: فلان يرمى بهمته حيث يشير إليه الكرم، يتحسى مرارة الإخوان ويسقيهم عذبه، له همة تناطح النجوم وكرم يشامخ الغيوم.

قال أبو الغمر:

وهمة نبلت عن أن يقال لها ... كأنها وتعالت عن مدى الهمم

وقال آخر:

ولي همم بيني وبين بلوغها ... بحور من الآمال ليس لها جسر

وقال المتنبي:

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر." (١)

"وقيل: سوء حمل الغنى أن يكون الفرح مرحا وسوء حمل الفقر أن يكون الطلب شرها. وقيل: حمل الغنى أشد من حمل الفقر ومؤنة الشكر أصعب من مشقة الصبر.

وقال بعضهم في من لا يبطر ولا يمكنه ستر غناه:

تأبى الدراهم إلا كشف أرؤسها ... إن الغنى طويل الذيل مياس «١»

وقال المرقش:

إن يخصبوا يعيوا بخصبهم ... أو يجدبوا تجديهم الأم «٢»

وقال الخبزارزي:

قد كان في حال محسود فأبطره ... طغيانه فاغتدى في حال مرحوم

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥٢٢/١

وقال مسلم بن الوليد:

فالكلب إن جاع لم يعدمك بصبصة ... وأن ينل شبعة ينبح على الأثر «٣»

مدح من لا يبطره اليسر ولا يدقعه الفقر

وقال هدبة:

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ... ولا جازع من صرفه المتقلب

وقال طرفة بن العبد:

إن ننل منفسة لا تلفنا ... ترف الخيل ولا نكبو لضر «٤»

وقال الزبير بن الأسدي:

ولا يراني على ما ساء مكتئبا ... ولا يراني على ما سر مبتهجا

ومثله:

فتى إن هو استغنى تحذق في الغنى ... وإن قل ما لا لم يضع سنة الفقر «٥»

اجتناب عرض الدنيا

قيل: العاقل من لا يجزع من قعود الدهر به علما بأن مراتب الأقسام توضع على قدر الأفقام. وقيل: وكل الله الحرمان بالعقل، والرزق بالجهل ليعلم العبد أن ليس له من أمر الرزق شيء.." (١)

"ضيق القلب

قال أبو الشيص:

كأن بلاد الله في ضيق خاتم ... علي فما تزداد طولا ولا عرضا

قال العباس:

كأن جميع الناس عند صدودكم ... تصور في عيني سود العقارب

أخذ الكبد باليد من خشية التقطع

قال بعضهم:

واذكر أيام الحمى ثم أنثني ... على كبدي من خشية أن تقطعا

قال عبد الصمد بن المعدل:

مكتئب ذو كبد حرى ... تبكي عليه مقلة عبرى «١»

يرفع يمناه إلى ربه ... يدعو وفوق الكبد اليسرى

تصدع الكبر

قال الأعشى:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٥٩٣/١

وبانت وفي الصدر صدع لها ... كصدع الزجاجة لا يلتئم

قال الخضري:

وأنك لو نظرت فدتك نفسي ... إلى كبدي وجدت بها صدوعا

افتقاد القلب

قال الخبزارزي:

فلو كان لي قلبان عشت بواحد ... وأفردت قلبا في هواك يعذب

ولي ألفاوجه قد عرفت مكانه ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهب؟

قال خالد الكاتب:

كان لي قلب أعيش به ... فاصطلى بالحب فاحترقا «٢»

البهوت لفرط الوجد

قال بعضهم:

يوم ارتحلت برحلي قبل برذعتي ... والعقل مثله والقلب مشغول «٣»." (١)

"وقال:

وما حالة إلا ستطرف حالها ... إلى حالة أخرى وسوف تزول

وقال آخر:

ومن عادة الأيام أن صروفها ... إذا ساء منها جانب سر جانب

وقال:

إنما الدنيا هبات ... وعوار مسترده «١»

شدة بعد رخاء ... ورخاء بعد شده

الدنيا لا يدوم فيها فرح ولا ترح

قال شاعر:

وما اكتأبت نفس فدام اكتئابها ... ولا ابتهجت نفس فدام ابتهاجها

وقال آخر:

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي ... بما كان فيها من بلاء ومن خفض

فهونك لا تحفل إساءة عارض ... ولا فرحة تأتي فكلتاهما تمضي «٢»

ويروى عن أبي الفتح بن العميد لما قبض عليه، قال: الفلك أحد والدوار أجد من أن يبقي أحدا على أحد.

إعتبار الباقي بالماضي

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/ ٩٤

قال الحجاج: والله إن الذي بقي من عمري لأشبه بما مضى من التمرة بالتمرة ومن الماء بالماء.

الدهر آخره شبه بأوله ... يوم بيوم وأيام بأيام

وقال حارثة بن بدر:

وما الدهر إلا مثل أمس الذي مضى ... ومثل الغد الجائي وكل سيذهب

وقال أعرابي: جعلنا الله ممن يعتبر ممن يعبر الدنيا أي يعتبر بمن يقطعها.

وصف الدنيا بأنها غرارة

قال أمير المؤمنين: الدنيا تغر وتضر وتمر. وقيل الدنيا غرور حائل وزخرف زائل وظل آفل ومسند مائل. وقال يحيى: الدنيا جارية زانية وتتهم بمن يقرب منها:

يغر الفتى مر الليالي سليمة ... وهن به عما قليل عواثر «٣»." (١)

"وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة

وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها وإما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق (١)

وهو المراد بقوله تعالى ﴿علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى﴾ إلى آخر هذه الآيات

وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الإطلاع على ضمائر القلوب وقد يعبر عن ذلك الإطلاع بالتفرس

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله (٢)

وقد حكى أن رجلا من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض المشايخ من الصوفية

فسأله فقال له معناه أن تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك

فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق

وكما حكى عن إبراهيم الخواص قال كنت ببغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابي يقع لي أنه يهودي فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أي شيء قال الشيخ في فاحتشموه فألح عليهم فقالوا له قالإنك يهودي قال فجاءني وأكب على يدي وقبل رأسي وأسلم وقال نجد في كتبنا أن الصديق لا تخطىء فراسته فقلت امتحن المسلمين فتأملتهم فقلت إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس في علمت أنه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٤٠١/٢

وإلى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله عليع السلام لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٣)

وإنما تحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فإنها مرعى الشيطان وجنده

ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه

وإليه الإشارة بقوله تعالى إلا عبادك منهم المخلصين وبقوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء

وعلى هذا يدل ما روى أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه في أن يقول لهم شيئا

فأذن لهم في ذلك فأنشأ يقول

صغير هواك عذبني ... فكيف به إذا احتنكا ... وأنت جمعت في قلبي

هوى قد كان مشتركا ... أما ترثى لمكتئب ... إذا ضحك الخلي بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم

فجلس ذلك الرجل وكان ذلك إطلاعا من ذي النون على قلبه

أنه متكلف متواجد فعرفه أن الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس

فإذا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلا

ولعلك تستبعد حالة أو علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عنه عن حقيقته فلا تستبعد ذلك فإنك تجد في أحوالك القريبة لذلك شواهد

---

(١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الأفق متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حديث غريب

(٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم." (١)

"فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يده فقال مالى وللدنيا وما للدنيا وما لى عليك يا دنيا بأبناء جنسك وألاف نعيمك إلى محبيك فاذهبي وإياهم فاخدعى ثم قال أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى الزمان يفنون فناديته يا عبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها ثم لها عنى ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر مغشيا عليه فقلت

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢/٢٩٤

قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول من أنا ما خطرى هب لى إساءتى من فضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبى بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك فقلت له بالذى ترجوه لنفسك وتثق به إلا كلمتنى فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أو بقته ذنوبه إنى لفى هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدنى فلم يجد عونا على ليخرجنى مما أنا فيه غيرك فإليك عنى يا مخدوع فقد عطلت على لسانى وميلت إلى حديثك شعبة من قلبى وأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يعيذنى من سخطه ويتفضل على برحمته قال فقلت هذا ولى الله أخاف أن أشغله فأعاقب فى موضعى هذا فانصرفت وتركته

وقال بعض الصالحين بينما أنا أسير في مسير لى إذ ملت إلى شجرة لأستريح تحتها فإذا أنا بشيخ قد أشرف على فقال لى يا هذا قم فإن الموت لم يمت ثم هام على وجه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس ذائقة الموت اللهم بارك لى في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهى بالنظر إليك واملأ قلبى من المحبة لك وأجرنى من ذلك التوبيخ غدا عندك فقد آن لى الحياء منك وحان لى الرجوع عن الإعراض عنك قم قال لولا حلمك لم يسعنى أجلى ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملى ثم مضى وتركنى

وقد أنشدوا في هذا المعنى

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بقمة أو بطن وادى

ينوح على معاص فاضحات ... يكدر ثقلها صفو الرقاد

فإن هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته أغثنى يا عمادى

فأنت بما ألاقيه عليم

كثير الصفح عن زلل العباد وقيل أيضا

ألذ من التلذذ بالغوانى ... إذا أقبلن في حلل حسان

منيب فر من أهل ومال ... يسيح إلى مكان من مكان

ليخمل ذكره ويعيش فردا ... ويظهر في العبادة بالأمانى

تلذذه التلاوة أين ولى ... وذكر بالفؤاد وباللسان

وعند الموت يأتيه بشير ... يبشر بالنجاة من الهوان

فيدرك ما أراد وما تمنى ... من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القرآن في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعنى أنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت." (١)

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/٤١٣

"صاحب الديوان ينسب إلى "ودان" مدينة بإفريقية من ذوي الرئاسة والنفاسة. وله فضائل وأدب وشعر، منه قوله يصف ليلة:

من يشتري مني النهار بليلة ... لا فرق بين نجومها وصحابي

دارت على فلك السماء ونحن قد ... درنا على فلك من الآداب

وأتى الصباح ... فلا أتى

وكأنه

شيب أطل على سواد شباب

وكأنما شفق السماء خضابه ... يبدو كنعمان بأرض سراب

وله في الشيب:

وبرغمي لما أتاني مشيبي ... قلت: أهلا بذا الضحوك القطوب

ولعمري ما كنت ممن يحي ... يه ولكن تملق المغلوب

كان في عهد ابن رشيق وبينهما مكاتبات

٥٣- أبو الحسن علي بن بشري الكاتب

كان في النظم والنثر سابقا لا يجارى، وفي اللغة والإعراب لا يبارى، وله في الشعر قوله:

وتعجبني الغصون إذا تثنت ... ولا سيما وفيهن الثمار

إذا ارتجت نهود في قدود ... فقل للحلم قد ذهب الوقار

وقوله أيضا:

ملكتني المدامة الخندريس ... وغزال يرنو وطرف يميس

إنما يملك النفوس فتعصي ... ناصحيها ما تشتهيه النفوس

قد ألفت الصبا وإن لحظتني ... فيه من عاذلي لواحظ شوس

رب يوم لهوت فيه بأبكا ... ر حسان كأنهن شموس

حضرتنا السعود فيه وغابت ... عن ذرانا فلم تطرنا النحوس

للقماري به غناء وللرو ... ض ابتسام وللغيوم عبوس

وقوله يصف البرق:

بدا البرق من نحو الحجاز مذكرا ... بسلمى وسعدى والتذكر ينصب

يلوح على لون الدجى فكأنه ... سيوف على زرق الثياب تقلب

فلله برق عذب القلب لمعه ... أكل محب بالبروق معذب؟

٥٤- أبو الحسن علي بن الحسن بن حبيب اللغوي

(أحد رجال اللغة المعدودين، والعلماء بها المبرزين) ، وممن تناول المرمى البعيد بقريب فهمه، وأوضح المبهمات بنور علمه،

(وكان مضطلعا بنقد الشعر ومعانيه، ناهضا بأعباء الغريب ومبانيه) ، فمن شعره قوله:

أهاب الكأس أشربها وإني ... لأجر أمن أسامة في النزال

أراوغها مراوغة كأني ... ألاقي عند ذاك شبا العوالي

٥٥- أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي سعيد القاضي سهل بن مهران

أحد المطيلين المحسنين والمداح المجيدين.

فمن شعره يمدح الأمير أبا القاسم علي بن الحسن الكلبي ملك صقلية ويعاتبه من قصيدة أولها:

مرادك من قرب الحبيب المباعد ... ضمان على طيف الخيال المعاود

ألم قبيل الصبح يجلبه الدجى ... على رقبة خوف العيون الرواصد

فأطمع مشتاقا وعلل مدنفا ... عديم الأسى فيه قليل المساعد

وبات فما زالت ذراعي وسادة ... تلي جيده المعطار دون الوسائد

٥٦- أبو الحسن علي بن الحسن ابن الطوبي

إمام البلغاء، وزمام الشعراء، مؤلف دفاتر، ومصنف جواهر، ومقلد دواوين، ومعتمد سلاطين، سافر إلى الشرق، وحل منه في الأفق، وكان في زمان المعز بن باديس عنفوانه، وله فيه قصيدة رصع بها ديوانه:

أجارتنا شدي حزيمك للتي ... هي الحزم أو لا تعذلي في ارتكابها

وكفي فإن العذل منك زيادة ... علي، كفى نفسي الحزينة ما بها

ومنها:

وإما المنى أو فالمنية إنها ... حياة لبيب لم ينل من لبابها

وهل نعمة إلا ببؤس وإنما ... عذوبة دنيا المرء عند عذابها

سآوي إلى عز المعز لعله ... سيأوي لنفس حرة واكتئابها

إليك معز الدين وابن نصيره ... حملت عقود المدح بعد انتخابها

وأثواب حمد حكت أثواب وشيها ... على ثقة مني بعظم ثوابها

وله من قصيدة:

أجارتنا إن الزمان لجائر ... وإن أذاه للكرام لظاهر

أجارتنا إن الحوادث جمة ... ومن ذا على ريب الحوادث صابر؟

ومنها:

أجيراننا إن الفؤاد لديكم ... لثاو وإن الجسم عنكم لسائر

أأترك قلبي عندكم وهو حائر ... وآخذ طرفي منكم وهو ساهر

كذا يغلب الصبر الجميل كما أرى ... ويخسر في بيع الأحبة تاجر

وله:

أعددت للدهر إن أردت حوادثه ... عزما يحل عليه كل ما عقدا

وصارما تتخطى العين هزته ... كأنما ارتاع من حديه فارتعدا." (١)

"لا هو يسطيع فك مروده ... لما غدا في يدي مرتهنا

ولا مجالي لضيق ذات يدي ... فيه اتساع للعفو حين جنى

فهذه قصتي وقصته ... فانظر إلينا وبيننا ولنا

فلما وعى القاضي قصصهما. وتبين خصاصتهما وتخصصهما. أبرز لهما دينارا من تحت مصلاه. وقال لهما: اقطعا به الخصام وافصلاه. فتلقفه الشيخ دون الحدث. واستخلصه على وجه الجد لا العبث. وقال للحدث: نصفه لي بسهم مبرتي. وسهمك لي عن أرش إبرتي. ولست عن الحق أميل. فقم وخذ الميل. فعرا الحدث لما حدث **اكتئاب**. واكفهر على سمائه سحاب. وجم له القاضي. وهيج أسفه على الدينار الماضي. إلا أنه جبر بال الفتى وبلباله. بدريهمات رضخ بها له. وقال لهما: اجتنبا المعاملات. وادرآ المخاصمات. ولا تحضراني في المحاكمات. فما عندي كيس الغرامات.." (٢)

"وقادني دهري المليم الى ... سلوك ما يستشينه الحسب

فبعت حتى لم يبق لي سبد ... ولا بتات إليه أنقلب

وادنت حتى أثقلت سالفتي ... بحمل دين من دونه العطب

ثم طويت الحشا على سغب ... خمسا فلما أمضني السغب

لم أر إلا جهازها عرضا ... أجول في بيعه وأضطرب

فجلت فيه والنفس كارهة ... والعين عبرى والقلب **مكتئب**

وما تجاوزت إذ عبثت به ... حد التراضي فيحدث الغضب

فإن يكن غاظها توهمها ... أن بناني بالنظم تكتسب

أو أنني إذ عزمت خطبتها ... زخرفت قولي لينجح الأرب." (٣)

"٣٧٥٩- ما وراءك يا عصام؟

قال المفضل: أول من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة، وذلك أنه لما بلغه جمال ابنة عوف بن محلم الشيباني وكمالها وقوة عقلها دعا امرأة من كندة يقال لها عصام ذات عقل ولسان وأدب وبيان، وقال لها: اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف، فمضت حتى انتهت إلى أمها، وهي أمامة بنة الحارث، فأعلمتها ما قدمت له، فأرسلت أمامة إلى ابنتها، وقالت: أي بنية، هذه خالتك أتتك لتنظر إليك، فلا تستري عنها شيئا إن أرادت النظر من وجه أو خلق، وناطقيها إن استنطقتك،

---

(١) الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة ابن القَطَّاع الصقلي ص/١٢

(٢) مقامات الحريري الحريري ص/٨١

(٣) مقامات الحريري الحريري ص/٩٠

فدخلت إليها فنظرت إلى ما لم ترقط مثله، فخرجت من عندها وهي تقول: ترك الخداع من كشف القناع، فأرسلتها مثلا، ثم انطلقت إلى الحارث فلما رآها مقبلة قال لها: ما وراءك ياعصام؟ قالت: صرح المخض عن الزبد، رأيت جبهة كالمرآة المصقولة، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل، إن أرسلته خلته السلاسل، وإن مشطته قلت عناقيد جلاها الوابل. وحاجبين كأنما خطا بقلم، أو سودا بحمم، تقوسا على مثل عين ظبية عبهرة، بينهما أنف كحد السيف الصنيع، حفت به وجنتان كالأرجوان، في بياض كالجمان، شق فيه فم كالخاتم، لذيذ المبتسم، فيه ثنايا غر ذات أشر، تقلب فيه لسان، ذو فصاحة وبيان، بعقل وافر، وجواب حاضر، تلتقي فيه شفتان حمراوان،

تحلبان ريقا كالشهد إذا دلك، في رقبة بيضاء كالفضة، ركبت في صدر كصدر تمثال دمية، وعضدان مدمجان يتصل بها ذراعان ليس فيهما عظم يمس، ولا عرق يجس، ركبت فيهما كفان دقيق قصبهما لين عصبهما، تعقد إن شيءت منهما الأنامل، نتأ في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها، تحت ذلك بطن طوى طي القباطي المدمجة كسر عكنا كالقراطيس المدرجة، تحيط بتلك العكن سرة كالمدهن المجلو، خلف ذلك ظهر فيه كالجدول، ينتهي إلى حضر لولا رحمة الله لا نبتر، لها كفل يقعدها -[٢٦٣]- إذا نهضت وينهضها إذا قعدت، كأنه دعص الرمل لبده سقوط الطل، يحمله فخذان لفا كأنما قلبا على نضد جمان، تحتهما ساقان خدلتان كالبرديتين وشيتا بشعر أسود كأنه حلق الزرد، يحمل ذلك قدمان كحذو اللسان، فتبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما، فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها، فزوجها إياه، وبعث بصداقها، فجهزت، فلما أراد أن يحملوها إلى زوجها قالت لها أمها: أي بنية، إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغني أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال. أي بنية، إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا، يا بنية احملي عنى عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا:

الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا طيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدو عنه عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير، ولا تفشي له سرا، ولا تعصي له أمرا، فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحا، والاكتئاب عنده إن كان فرحا، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظاما يكن أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك، فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك، فحملت فسلمت إليه، فعظم موقعها منه، وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن.

وروى أبو عبيد "ما وراءك" على التذكير وقال: يقال: إن المتكلم به النابغة الذبياني قاله لعصام بن شهبر حاجب النعمان،

وكان مريضا، وقد أرجف بموته، فسأله النابغة عن حال النعمان، فقال: ما وراءك يا عصام؟ -[٢٦٤]-
ومعناه ما خلفك من أمر العليل، أو ما أمامك من حاله، ووراء: من الأضداد.
قلت: يجوز أن يكون أصل المثل ما ذكرت، ثم اتفق الاسمان، فخوطب كل بما استحق من التذكير والتأنيث.." (١)

"قال النجاد: وذكر لنا أبو إسماعيل السلمي أمر الترمذي الذي رد فضيلة النبي - صلى الله عليه وسلم - وصغر أمره وقال: لا يؤمن بيوم الحساب.

قال النجاد: وعلى ذلك من أدركت من شيوخنا أصحاب أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فإنهم منكرون على من رد هذه الفضيلة ولقد بين الله ذلك على ألسنة أهل العلم على تقادم الأيام فتلقاه الناس بالقبول فلا أحد ينكر ذلك ولا ينازع فيه.

قال النجاد: فبذلك أقول: ولو أن حالفا حلف بالطلاق ثلاثا أن الله يقعد محمدا - صلى الله عليه وسلم - معه على العرش واستفتاني في يمينه لقلت له: صدقت في قولك وبررت في يمينك وامرأتك على حالها فهذا مذهبنا وديننا واعتقادنا وعليه نشأنا ونحن عليه إلى أن نموت إن شاء الله فلزمنا الإنكار على من رد هذه الفضيلة التي قالها العلماء وتلقوها بالقبول فمن ردها فهو من الفرق الهالكة.

قرأت بخط الوالد السعيد قال: حكى القاضي أبو علي بن أبي موسى عن أبي بكر النجاد أنه قال: رأى محمد - صلى الله عليه وسلم - ربه عز وجل إحدى عشرة مرة منها بالسنة تسع مرات: في ليلة المعراج حين كان يتردد بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل يسأله أن يخفف عن أمته الصلاة فنقص خمسة وأربعين صلاة في تسع مقامات ومرتين بالكتاب.

وقال أبو علي بن الصواف: حدثنا محمد بن علي بن حبيش أن رجلا من أهل القرآن رأى في المنام في مسجد نهر طابق: كأنه بأبي محمد الجنيد وبأبي الحسن بن بشار وهما في المسجد إذ أقبل إليهما رجل شاب كان يصلي معهما في المسجد فسلم عليهما واحتضنهما إليه ثم قام يصلي وهو مكتئب حزين يبكي ويتضرع في سجوده إلى الله عز وجل قلت للخلدي: من هذا؟ فقال لي: النبي - صلى الله عليه وسلم - يبكي ويتضرع فأقبلت على الخلدي فقلت له: قل لي ما هم فيه حتى أخبرهم فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لجعفر الخلدي: قل للرجل يقول لأمتي:." (٢)

"وكل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية، وينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظا للسانه منه لموضع قدميه.

وقال لابنه: يا بني لا تقتد بمن لا يخاف الله بظهر الغيب، ولا يعفو عن العيب، ولا يصلح عند الشيب.

وقال: قاتل هواك أشد ما يقاتلك عدوك.

وقال رجل لأبي حازم: إنك متشدد، لا أتشدد وقد ترصدني أربعة عشر عدوا، أما الأربعة: فشيطان يفتنني، ومؤمن يحسدني، وكافر يقاتلني، ومنافق يبغضني.

وأما العشرة: فالجوع ، والعطش ، والعري ، والحر ، والبرد ، والمرض ، والفقر والسؤال ، والموت ، والنار، ولا أطيقهن إلا

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢٦٢/٢

(٢) طبقات الحنابلة ابن أبي يعلى ١١/٢

بسلاح، ولا أجد لهن سلاحا أفضل من التقوى.

وقيل له: ما مالك؟ فقال: ثقتي بالله وإياسي مما في أيدي الناس.

وقال: لا تريد أن تموت حتى تتوب، ولا تتوب حتى تموت، وإن مت لم ترفع الأسواق لموتك، إن شأنك صغير فاعرف نفسك.

ومر بأبي جعفر المدائني وهو مكتئب حزين، فقال: لعلك ذكرت ولدك من بعدك فحزنت، قال: نعم.

قال: فلا تفعل، إن كانوا لله أولياء فلا تخف عليهم الضيعة، وإن كانوا لله أعداء فلا تبال ما لقوا بعدك.." (١)

"الروم نفدي بهم أسارى المسلمين، فدخلت يوما على قيصر، وإذا هو جالس على الأرض، قد نزل عن سريره وهو مكتئب، فقلت: ما شأن الملك؟ قال: وما تدري ما حدث؟ مات الرجل الصالح عمر «١» ، ثم قال: إني لست أعجب ممن أغلق بابه وترهب، ولكن أعجب ممن كانت الدنيا في يده وزهد فيها، إني لأحسب لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى ابن مريم لأحياهم عمر.

١١٩- كان داود صلوات الله عليه إذا ذكر عذاب الله تخلعت أوصاله، فلا يشدها إلا الأسر، فإذا ذكر رحمة الله رجعت أوصاله.

١٢٠- كان سعيد بن جبير يقول: كان أصحاب عبد الله سرج هذه القرية، يعني الكوفة.." (٢)

"ما غاص دمعي عند نازلة ... إلا جعلت للبكا سببا

فإذا ذكرتك سامحتك به ... مني الجفون ففاض وانسكبا

إني أجل ثرى حللت به ... من أن أرى بسواه مكتئبا

ورويت لمعقل بن عيسى العجلي أخو أبي دلف في جارية توفيت له.

١٠٣- مطر بن عكاش رفعه: إذا قضى الله لرجل أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة، وأنشد:

إذا ما حمام المرء كان ببلدة ... دعته إليها حاجة فيطير

١٠٤- عزى شبيب بن شيبة المهدي عن أمته فقال: والله، الله خير لها منك، ولثواب الله خير لك منها، وإن أحق ما صبر عليه ما لم يستطع دفعه.

١٠٥- وعزى آخر عن ولده فقال: وهبه الله لك فحملت مؤنه وتكاليفه فهنيت به، وقبضه فرفع عنك مؤنه وتكاليفه فعزيت عنه، ولو عمل على الحق لعزيت عما هنيت به، وهنيت بما عزيت عنه.

١٠٦- نعيت إلى ابن عباس بنت له في طريق مكة، فنزل عن دابته فصلى ركعتين، ثم رفع يديه وقال: عورة سترها الله، ومؤونة كفاها الله، وأجر ساقه الله. ثم ركب ومضى.

١٠٧- ماتت لبعض ملوك كندة بنت، فوضع بدرة»

---

(١) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني إسماعيل الأصبهاني ص/٧٩٥

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٢/١٨٠

بين يديه وقال:

من أبلغ في التعزية فهي له. فدخل أعرابي فقال: عظم الله أجر الملك، كفيت المؤونة، وسترت العورة، ونعم الختن القبر. فقال: أبلغت وأوجزت. وأعطاه البدرة.

١٠٨- توفيت أم قاضي بلخ، فقال له حاتم الأصم: إن كانت وفاتها." (١)

"(الرجز)

(لا بارك الرحمن في رمي القتر ... أعوذ بالخالق من سوء القدر)

(أأمخط السهم لإرهاق الضرر ... أم ذاك من سوء اختيار ونظر)

(أم ليس يغني حذر عند قدر ...) ثم صنع صنيع الثاني وأنشأ يقول

(الرجز)

(ما بال سهمي يوقد الحباحبا ... قد كنت أرجو أن يكون صائبا)

(وأمكن العير وولى جانبا ... فصار رأيي فيه رايا خائبا)

(أظل منه في اكتئاب دائبا ...)

ثم صنع صنيع الثالث وأنشأ يقول

(الرجز)

(يا أسفى للشؤم والجد النكد ... أخلف ما أرجو لأهل وولد)

(فيها ولم يغن الحذار والجلد ... فخاب ظن الأهل فيه والولد)

ثم صنع صنيع الرابع وأنشأ يقول

(الرجز)

(أبعد خمس قد حفظت عدها ... أحمل قوسي وأريد ردها)

(أخزى الإله لينها وشدها ... والله لا تسلم عندي بعدها)

(ولا أرجى ما حييت رفدها ...)." (٢)

"مفعول يعني أن أهواله تهول من أدلج فيه.

قال أبو محمد " جلا القوم عن الموضع وأجلوا تنحوا عنه وأجليتهم وجلوتهم " قال أبو ذؤيب:

تدلى عليها بين سب وخيطة ... بجرداء مثل الوكف يكبو غرابها

فلما جلاها بالأيام تحيزت ... ثبات عليها ذلها واكتئابها

يصف مشتار العسل وإنه يتدلى لأخذه من الجبل لأن النحل تعسل في الجبال والجرداء ها هنا الصخرة الملساء شبه الصخرة

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٤٠/٥

(٢) المستقصى في أمثال العرب الزمخشري ٣٨٨/١

في أملاسها بالنطع والوكف النطع والكبو العثار والسب الحبل بلغة هذيل والخيطة الوتد وقيل أن الخيطة دراعة يلبسها المشتار وجلاها طردها والأيام الدخان وتحيزت تفرقت وتميزت في كل وجه ويقال اجتمع بعضها إلى بعض ويروى تحيرت أي بقيت لا تدري إلى أين تذهب والذي يأخذ العسل لا يصعد إلا ومعه شيء يدخن به عليهن لئلا يلسعنه يقال منه آمها يؤومها أوما والثبات جمع ثبة وهو القطعة من القوم ومن كل شيء والاكتئاب الحزن.

قال أبو محمد " وهنه الله فأوهنه قال طرفة ":

وإذا تلسنني ألسنها ... أنني لست بموهون فقر

وقد تقدم تفسيره. وأنشد.

أقتلت سادتنا بغير دم ... إلا لتوهن آمن العظم

هذا الاستفهام على سبيل الإنكار والمعنى ما قتلت به سادتنا بغير دم أراقوه إلا لتذلنا فنكون بمنزلة العظم الصحيح الآمن من الوهن حتى لحقه كسر فأوهنه وأضعفه وإذا قتل سادة القوم فقد ذهب عزهم وذلوا. قال أبو محمد " خطئت وأخطأت قال الله تعالى " لا يأكله إلا الخاطئون " وأنشد بيتا لأمية بن أبي الصلت:

عبادك يخطئون وأنت رب ... بكفيك المنايا لا تموت

هكذا أنشده لا تموت والقصيدة ميمة وأولها:

سلامك ربنا في كل فجر ... بريئا ما تغنثك الذموم

عبادك يخطئون وأنت رب ... بكفيك المنايا والحتوم." (١)

"ويلنجوج وألنجوج ورجا ندد وهو الشديد الخصومة والسيراء ضرب من البرود فيه خطوط كالسيور خفيق الناقة السريعة مأخوذ من خفقان الريح.

شواذ التصريف

قال أبو محمد من ذلك قولهم إني لتيه بالغدايا والعشايا فجمعوا الغداة غدايا وأنشد:

هتاك أخبية ولاج أبوبة ... يخلط بالجد منه البر واللينا

الخباء جمعه أخبية وكذا جمع فعال في القلة كفراش وأفرشة وكساء واكسية وباب جمعه أبواب على أفعال كقولهم مال وأموال وقاع وأقواع فغيره عن أفعال إلى فعلة لتقدم أخبية والمعنى أن هذا الممدوح يغير على أعدائه فيستبيحهم ويهتك بيوتهم يقتلعها من مواضعها ويسبي نساءهم وهو شريف رفيع القدر إذا قصد الملوك ولج أبوابهم ولم يحجب لعزه ومحله ووصفه أنه يجد في موضع الجد ويلين في موضع اللين.

قال أبو محمد وقال آخر هو منظور بن مرثد الأسدي:

هل تعرف الدار بأعلى ذي القور ... قد درست غير رماد مكفور

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٢٢٦

مكتئب اللون مروح ممطور ... أزمان عيناء سرور المسرور

عيناء حوراء من العين الحير

وهو الجبل الصغير أي هل تعرف الدار بأعلى المكان ذي القور وقد درست وذهبت معالمها الأرمادا مكفورا وهو الذي سفت عليه الريح التراب فغطاه ومكتئب اللون يضرب لونه إلى السواد كلون وجه الكئيب والمروح الذي أصابته الريح والممطور الذي أصابه المطر وعيناء امرأة وهي مبتدأ وسرور المسرور خبره وأزمان مضاف إلى الجملة والمعنى هل تعرف الدار في الزمان الذي كانت فيه هذه المرأة تسر من رآها لحسنها وحوراء أي حوراء العين والحور بياض بياض العين في شدة سواد سوادها والعين جمع عيناء وهي." (١)

"البقرة شبهها بها والحير أراد الحور جمع حوراء كسرت حاؤه فانقلبت واوه ياء وراوه غيره من العين الحور.

وأنشد أبو محمد شاهدا على أرض مسنية ومسنوة قول الراجز:

ما أنا بالجافي ولا المجفى

وقد مضى تفسيره وتفسير البيت الذي بعده وهو:

أنا الليث معدوا علي وعاديا وأنشد أبو محمد على التلقاء بيتا للراعي:

أملت خيرك هل تأتي مواعده ... فاليوم قصر عن تلقائك الأمل

مواعد جمع موعد يقول رجوت خيرك هل تصدق فيه مواعيدك فقد عجز الأمل حين لقيتك أي خاب.

وأنشد أبو محمد:

مكتئب اللون مروح ممطور

وقد مضى تفسيره.

وأنشد أبو محمد:

وماء قدور في القصاع مشيب

البيت للسليك ابن السلكة السعدى وأوله: سيكفيك ضرب القوم لحم معرض وماء قدور ويروى مشوب يخاطب صاحبا له كان اسمه صرد وكان معه في غزوة يقول سيكفيك اللبن الحامض الذي كنت تشربه واللحم المعرض بالضاد معجمة وهو الذي لم يتم تضجه مثل المضهب والملهوج وإنما لم ينضجوه لعجلتهم لأنهم غزاة وقيل في المعرض إنه الكثير ويروى معرص الصاد غير معجمة وهو الذي قد أخذ في التغير وقد ردت الرواية الأولى فقيل." (٢)

"ثم أحييت فجرهم يا ابن يحيى ... بسراجين: نور دين ودنيا

وخلفت السحاب ظلا وجودا ... فوسعت الإسلام سقيا ورعيا

وتحليت من تجيب سناء ... كنت فيه للدين والملك محيا ومن كتاب له: وأكرم بها أعراقا سرت إليك، وأخلاقا نظمت

---

(١) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٢٩٧

(٢) شرح أدب الكاتب ابن الجواليقي ص/٢٩٨

عليك، وأعباء ملك حملت عاتقيك، وأعنة خيل أسلمت في يديك، [فإليك أهل الدليل، وأرزمت الحمول] ، ومن نداك سقي الغليل، وشفي العليل، وفي ذراك برد المقيل، وقصر الليل الطويل، وبعلاك أمن الخائف وعز الذليل، وبسناك هدي ابن السبيل [سواء السبيل] ، إلى الظل الظليل، والأمل المأمول، فحبل الغريب موصول، وعذر المسيء مقبول، وجفاء الضيف محمول، فكيف بضيفك المجتاب، إليك غول القفر اليباب، وهول البحر ذي العباب، يهدي إليك لباب الألباب، ويتحفك بجواهر الآداب، متضائلا في أسمال الاغتراب، مكفكفا من عبرات الاكتئاب، يتسلى بسلام الحجاب، واستلام الأبواب، إلى أن اكرمته برفع الحجاب [فيا روح ثنائه بكم الأحساب] ويا فوح رياضه بديم السحاب، ويا طيب طوبى وحسن مآب [لمن نصرت وآويت، ووصلت وأدنيت؛ ما دعاك حتى لبيت، ولا استسقاك حتى سقيت، ثاني عطفه عن الشكوى إليك، ناكص طرفه." (١)

"فعاتبه حلالي في اقتحامه عليهم وقال له: الفوت خفت أبا مسعود في بدارك -! أهذا دخول مكتئب بفراق عشيرته -! هو بدخول شامت أشبه! ! كأنك فتحت بلدا وطردت عدوا -! فاعتذر له حبوس، وقال: ما ذاك إلا لرسم الإمارة، وإرهاب الرعية. ثم استوطن حبوس البلد وأورثه عقبه.

قال ابن حيان: وبلغني أن زاوي استوهب علي بن حمود، يوم قتل سليمان بن الحكم رأسه، حنقا على بني مروان المهدى إليهم رأس زيري والده، وأنه أسعفه بذلك، فصار عنده، ونقله من الأندلس معه في ذلك الوقت مفتخرا به على أهل بيته. فإن يكن ذلك حقا فزاوي أكبر من أدرك الثأر المنيم، ورحض العار المقيم. وأخبار هذا الداهية زاوي كثيرة، ونوادر أفعاله مأثورة.

وكان حبوس هذا أحد نابي برابرة الأندلس اللذين يفترون عنهما لم يبق بعده يومئذ، سوى محمد بن عبد الله نظيره، من ترهب لد شذاة. وكان على قسوته يصغي إلى الأدب، وينتمي في العرب، للأثر المقفو في قومه صنهاجة. وكان يؤثر لذلك "كتاب التيجان " لابن دريد في ذكر مناقبهم، ولا يغب سماعه ومطالعته. وكان وقورا حليما، فظا مهيبا، نزر الكلام، قليل الضحك، كثير الفكر." (٢)

"تركتني يا حياتي للردى غرضا ... تفديك أمي من صرف الردى وأبي

يصلى فؤادي سعيرا من صبابته ... والعين في لجة من دمعها السرب

يا رب قد سفكت أم الوفاء دمي ... وقد تخوفت يوما أن تؤاخذ بي

وقد وهبت لها قلبي، وما خطري ... حتى يعاقب ذاك الحسن من سبي

نسيت إلا تدانينا وموقفنا ... على مراقبة من أعين الرقب

لما التقينا وقد قيل المساء دنا ... وغابت الشمس أو كادت ولم تغب

وأضلعي بين منقذ ومنقصف ... وأدمعي بين منهل ومنسكب

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٦٥/١

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٤٦٠/١

تأملني أخت المجد قائلة ... بمن أراك أسير الوجد والطرب

فقلت قلبي مسبي وإنك لو ... كتمت سري لم أكتمك كيف سبي

فأعرضت ثم قالت قد أسأت بنا ... ظنا، أيجمل هذا من ذوي الأدب

فقلت إني امرؤ لما لقيتكم ... والمرء وقف على الأرزاء والنوب

سبت فؤادي ذات الخال قادرة ... ولا نصيب له منها سوى النصب

أشقى بها وهي عني في بلهنية ... شتان والله بين الجد واللعب

أصابت القلب لما أن رمته ولو ... رمته أخرى إذن لاشك لم تصب

فقالت اشك إليها ما لقيت ولا ... ترهب فلن تبلغ الآمال بالرهب

عسى هواك سيعديها فينصبها ... وقد يكون الهوى أعدى من الجرب

فقلت أعظمها بل ما أكلمها ... إلا أشار إلي الموت من كثب

قالت أنا أتولى ذاك في لطف ... فقد أؤلف بين الماء واللهب

فقلت مثلك من يرجى لمعضلة ... لا زلت في غبطة ممتدة الطنب

قالت لها يا لذيذ الحسن صاحبنا ... يهفو إليك وأضحى جد مكتئب

صليه أو فاقتليه فالحمام له ... خير من الجهد وفي تعب

فلو تراني قد استسلمت مرتقبا ... منها حنان الرضى أو جفوة الغضب." (١)

"فأجابت لقد أحلت مثالا هو أنأى من الهلال منالا ... إن بدر السماء يطلع للأبصار ممسى ومصبحا وزوالا ...

وإذا ما استستر آب وقد ذاب اكتئابا من أن يغب وصالا ...

وهو البدر أجد ملالا ... واجتنابا كما أجد كمالا

يتوارى من العيون نهارا ... دمع الليل لا يزور خيالا وأنشدني له أيضا:

لا تطمئن إلى أحد ... واحذر وشمر واستعد

فالكل كلب مؤسد ... إلا إذا وجدوا أسد في ذكر الأديب أبي زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني (١)

من شعراء عربنا المشاهير، وله شعر يعرب عن أدب عزير، تصرف فيه تصرف المطبوعين المجيدين، وفي عنفوان شبابه وابتداء حاله، ثم تراجع طبعه عند اكتهاله.

أخبرني الوزير الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري (٢) المقتول بالأشبونة

---

(١) له ترجمة في الجذوة: ٢٦٠ (بغية الملتمس رقم ١٠٤٤) والمغرب ١: ٤١٣ والرايات: ٦٢ (٣٣ غ) وأشار في النفح ١: ٢١٤ إلى مدحه إدريس بن يحيي الحمودي صاحب مقالة، وأورد قصيدته النونية في مدح إدريس ١: ٤٣٣ وذكر في ٣:

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٧٣٦/٤

٢٦٤ اجتماعه مع ابن الشقاق عند ابن دري بجيان (وانظر أيضا مسالك الأبصار ١١: ٤٣٨ وبدائع البدائه: ٣٦٥ – ٣٦٦) وابن الشقاق هذا هو المنفتل، وقد مرت ترجمته في القسم الأول ص: ٧٥٤.

(٢) قد مرت الإشارة إلى قتله في هذا القسم ص: ٣٧٨ والقسم الثالث ص: ٧٥٤.." (١)

"قدر، وكان الشاعر إذا وفد عليه، أو مثل بين يديه، أخذ يناقشه الحساب، ويغلق دونه الأبواب، وينتحيه بضروب نقده، ويصب عليه من شآبيب برده، حتى يخرج بين الحائط والباب، ويرضى من الغنيمة بالاياب، على ذلك حجج أصحها جهله، وأوضحها بخله.

حدثني من شهد ذا الوزارتين ابن عمار – المتقدم الذكر – وهو يقول: إيه عنك يا ذا الوزارتين! بأي شيء عارضت قصيدتي:

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى

أبقولك في أول قصيدة:

أشممت نشرك أم شممت العنبرا

ومصصت ريقك أم مصصت السكرا

ومن ذكر هذا وأشباهه من القول، حتى عدل به عن سبيل الطرب، وكاد ينشق عليه جلده من الغضب.

وأخبرني من سمع ابن رزين في ذلك المجلس أو نظيره يقول [١٢ب] لمسلم المغني، وكان بحضرته يومئذ: أنا والله أغنى منك، وأشعر من ذلك يعني ابن عمار، فقال له ابن عمار، بذرب جنانه، وسلاطة لسانه: وأرقص ممن – أعزك الله – فلم يحر جوابا، وعاد نشاطه إطراقا واكتئابا.

وكان أدخل نفسه أيام إناخة الأمير مزدلي على بلنسية، فما أمر." (٢)

"ممن أرضى باريه، باسخاط أهليه، إن لي في من سلف أسوة، وبالنبي عليه السلام قدوة، ولو نظر بعين الحقيقة، ولم يعدل عن سنن الطريقة، لكان من أنصاري، في إقامة أعذاري: هذا خليل الرحمن، وكان في الأنبياء من كان، لما تبين أن أباه عدو لله تبرأ منه، وقد تل أيضا عليه السلام ابنه الذبيح للجبين، ووضع في حلقه السكين، وهو من أبر النبيين، اتباعا لأمر الله حتى فداه الرب الكريم، بالذبح العظيم، وصبر على ما لو حل بالصخر لفلقه، أو بالحجر لفرقه؛ وهذا عمر بن الخطاب، وكان من كان في الأصحاب، قد قسا قلبه علة أبي شحمة، لم تأخذه فيه [رأفة ولا] رحمة، حين جلده، حتى فقده، وصبر غير مكتئب، صبر المحتسب، إرضاء لباريه، وتقربا إليه بما يرضيه. وكان لبعض بني العباس، وهم أئمة الناس، في ابنه العاق ما قد درس خبره، وطمس أثره، ولولا أن الإطالة، تفضي إلى الملالة، لأوردت من خبره الأشنع، ما فيه مقنع، وأحدثهم عهدا في هذه العصور، عبد الله الأمير وأبو عامر المنصور، فأما عبد الله فقد قتل ابنه محمدا، لما أحس منه تمردا، وكان قرة عينيه، فما عيب ذلك عليه؛ وأما [٤٣أ] المنصور، وحسبك به جزالة وحزامة في الأمور، فقد فعل بابنه عبد الله

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٧٨٦/٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥٠/٥

ما فعل لما عصى، وشق العصا، هذا وما بلغا هذا المبلغ، ولا ولغا في الدم كما كاد هذا اللعين أن يلغ، ولو اقتصصت، فوق ما نصصت، لأطلت وأمللت." (١)

"ومن رسائله الإخوانيات

فصل له من رقعة في استفتاح خلطة: قد يتراسل الناس وإن لم تتقدم مباسطة، ولا سلف مخالطة، لأسباب تصل أهواءهم، وأحوال تجمع آراءهم، فتأتلف قلوبهم، وتعود ذات بينهم كأن لم تزل ملتئمة، وتلوح قواعد مؤاخاتهم كأن لم تبرح مستقرة مستحكمة، وقد دعاني إلى الأخذ بحظ من إخائك، والاكتئاب في ديوان أودائك وأصفيائك، سببان: أحدهما ما أرج إلي من طيب أخبارك، وجلي علي من محاسن آثارك، وقدر لدي من فضائلك التي تقاد اليك النفوس بأزمة ودادها، وتقف عليك خالص اعتقادها، فالفضائل حيث كانت مرغوبة محبوبة، والهمم نحوها جانحة طامحة، والأهواء بها كلفة، ولها مكتنفة؛ والسبب الآخر: مكانك من سيدنا الملك [الأعظم]- أدام الله رفعته، وثبت وطأته، ومكن سلطانه ودولته – وحظك الرفيع من أثرته، وحالك المشكورة في خدمته، فإن كل من اتصل به واعتصم بسببه، وفاء عليه ظله الظليل، وأحاط به فضله الجزيل، فقد جمعني وإياه ذمام كبير وسبب موصول، إذ أنا متمسك من حبله بأوثق عروة، ومستضيء من نوره بأنور جذوة. وله [فصل] من أخرى [في مثله] : قديما تواصل الناس على البعد، وتهادوا ثمر الإخلاص والود، وإن لم يتقدم سبب موجب للتواصل، ولم." (٢)

"المعروف، وسعيا إلى الفضل المألوف؛ وعبده يخدم البساط بالتقبيل، ويسأل أن ينزله منزلة القبول، مهتبلا، مجملا، إن شاء الله.

[وله من أخرى: كيف لا أتحكم – أيدك الله، وأوصلك إلى ما ترضاه – على سيادتك تحكم المدل، وأتقدم في ذلك تقدم المنبسط المسترسل، وقد مهدت لي جانب الإفضال، وأمنت سربي قديما وحديثا من الإملال والاخجال، فإن انسطت فبحق، وإن شفعت فبضمان صدق] .

[ومن أخرى: إذا استحكمت المقة، وتمكنت الثقة، وخلص الصفاء من كل شوب، وسلم الإخاء من كل عيب، ارتفعت أسباب التحفظ والترقب، وعصيت دواعي الانقباض والتهيب، واسترسل المرء راغبا في كل ما عن له، وانبسط شافعا لكل من اتصل به، وذلك عندي – أبقاك الله – رسمي في تواتر من كتبي، في من له به لديك عناية وإكرام، وله إلي وصلة وذمام]
.

[ومن أخرى: تلزمني – أيد الله مولاي – علائق لو وقف منها على السر، لتجلى له وجه العذر، من هز فضله في شأن فلان مملوكه وحبيسه بره، ليعطف عليه عطفه الماجد، ويحنو عليه حنو الوالد، على فراخ كزغب القطا، وعيال ليس منهن

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ١٦٠/٥

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ١٩١/٥

إلا المفجعة الحرى، دموعها تنهل كالسحاب، وضلوعها تلتهب بنار **الاكتئاب**، قد شملهم الفرار، ونبا بهم القرار، وعوضوا بالبؤس من النعيم، وأديلوا بالحزن من السرور المقيم، كأنما يتكحلون بالسهاد، وينامون على شوك القتاد] .." (١)

"وحمل على النفوس أحزانها، ولم يغرب الدهر عليه ببدع من نوائبه، ولم يفجعه بما لم يحسبه من مصائبه، ولم يتجاوز دمع العين حزن القلب، إلى إحباط الأجر وإسخاط الرب؛ وإن كان الله قد سلب بعدله، فقد وهب بفضله، وإن كان أخذ فقد أعطى، وإن كان اخترم فقد أبقى، وبهذا صدع عروة بن الزبير رضي الله عنه عندما مني به في أحد أبنائه، وبعض أعضائه، والله يمتعك بالباقي الراهن، وينفعك بالثاوي الظاعن، ويجعل هذه الرزية منهى بلواك، وآخر رزاياك، وييسرك للتسليم والاحتساب، ويحفظ عليك ما عرضك به من مذخور الثواب، وإن كان قد جرى هذا الأمر، على خلاف حكم الدهر، في تقدم الأسلاف على الأخلاف، فصنع الله لك أجمل، وصنعه في بقائك أعدل، لغنائك عن المسلمين، ومكانك للدنيا والدين، فالملم ببقائك مغتفر، والمهم وإن جل محتقر.

وذكرت أنه خرج من بيته مجاهدا، وعن حمى الدين ذائدا، فقد وقع أجره على الله، وفاز بكرامة الله، وإذا فاز بالسعادة والشهادة وهو فرطك وشافعك، فهو لا محالة مغتبطك ونافعك؛ وقد أخذت بحظى من هذه الحادثة الشنعاء، والداهية الدهياء، في من تستقبل له أحوال، وتناط به آمال ويعد في أكابر العدد، وفي دخله الصديق والولد، والآخر (-) إشفاقا عليك من مضطر فقده، وتصور شديد **اكتئابك** من بعده، فمثل هذا في مثله لم يكد للمصاب به صدر، ولا يثبت للصدمة الاجاجية صبر، فإن جزع الجازع فالعذر واضح، وإن صبر المصاب فالأجر راجح." (٢)

"على الدهر أن يؤثر في ودك، أو يحل رباطا من عقدك، ولكني أقول مع هذا: واصل فقد أغببت، واعتذر بما أذنبت، وهات يا سيدي أخبارك التي هي أشهى إلى نفسي من عصر الصبا، وأندى على كبدي من نسيم الصبا، وجدد بك وبها عهدي فقد عفا منه رسم، ولاح عليه للقدم وسم.

وفي فصل: وعرفني بم تقطع دهرك، وعلى أي شيء تنفق عمرك، ونص على ما تجده عندك من العجائب، واستفدته بعدي من الغرائب، ولا تكتمني شيئا وابسطه المسهب، واشرح جميعه شرح المستوعب، تمح بذلك إساءة الإغباب، وتزل عني دواعي **الاكتئاب**.

وله من أخرى: وقفت على كتاب من لدنك قد اشتمل على كل بر وحفاية، وإشفاق [ورثاية] ، وتسلية تذهل عن سوء الحال، وتعد على الأيام بضمان إقبال، فذهب مستودعه بغمة النفس، وأدال من الوحشة بالأنس، وغلب الرجال على اليأس، وظلت حشاشة الهمة تتراجع، وخفضة الأمل تترافع، حتى كاد هذا يستقيل من عثار، وتلك تنثر بعد إقبار، وليس هذا بأول انطباق أعتم فطلعت له من تأنيسك مصابيح، ولا بأول غلق استبهم فتداركته من ألطافك مفاتيح، بل هي لبيض

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥/٢١٢

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥/٢٢٠

أياديك شوافع، ولسوالف مشاركتك توال وتوابع.

وله من أخرى: ولو رأيت فلانا وادعاءه، وزعمه أن الله اتخذه." (١)

"كأن الفجر مبتهج ببشرى تلألأ لعدها اربد اكتئابا

كأن الليل مذعورا بفخر مريب راعه سيف فهابا

وله في مدح المنتصر بالله حسين بن يحيي المعتلي:

كأن السماء اللازوردي وهنة ملاء على جسم الزمان منمنم

كأن الثريا فيه كف خريدة أنيط له إذ أظلم الليل معصم

كأني أراها إذ بدا دبرانها قيب لتعذيب المتيم يلزم

كأن السها صب أضر به الهوى فلم يبق منه فيه لحم ولا دم

كأن به الجوزاء حين تطلعت أمير يحييه الدجى ويعظم

كأن شبيه الفرقدين متيم يقبل معشوقا جفاه ويلثم

كأن سنا المريخ في غسق الدجى شهاب تذكيه الرياح مضرم

كأن ظلام الليل قلب وقد هوى بايمانه نسر من الشرك قشعم

كأن ابتسام الصبح في جنباته نواجذ زنجي غدا يتبسم

وهذا يشبه قول ابن المعتز:

حتى تبدى تحت ليل مظلم كأنه غرة طرف أدهم

أو ثغر زنجي لدى التبسم

ومن أخرى في مدح ابن جهور:." (٢)

"١٦ - فصل:

فما انبرت النوائب إلا أرسل زمانها، ولا برت الحوادث إلا أنصل سهامها، ولا احتشدت الدواهي إلا كان من أعيانها، ولا استنجدت الليالي إلا كان من أعوانها. وهيهات أن يظفر بالحر الشريف جوهره، الكريم عنصره، فالناس اخبر تقله وبالاختبار يتبين الأوغاد من الأحرار، وعلى النار يتميز الخبيث من النضار. وإن الدهر لماش بأهله القهقرى في سماء الفضل والكرم، ومنازل النبل ومراقي الهمم.

١٧ - فصل:

كتاب قد أظلم بياضه في عيني وسواده، حتى تساوى طرسه ومداده. فيا له كتابا، ملى اكتئابا [وقرطاسا، لبس بدل الحداد أنقاسا، فلو أن الجماد أمكنه البكاء لبكى، وأعلن بالعويل وشكا] .

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥/٢٩٥

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥/٥١٢

١٨ - فصل:

[فها أنا بين عيش قد ذهب حلوه، ونضب صفوه، وأمل." (١)

"وفي المعتمد أيضا يقول من أخرى:

وقد أزار، وللزوار حكمهم ... عندي من البر والإيناس والأدب

وأفضل البر بر يقتضي طربا ... وأعوزتني أم اللهو والطرب

والدجن يبعث همي من مكامنه ... والشمس ما أخلفتها الريح لم تغب

والسحب للأرض بالسقيا مواصلة ... حتى ارتوت فاستكفت أبيض السحب

سح وهطل وجود صوب درهما ... فسح أنت بها واهطل وجد وصب

إني أعاطيك في الشكوى مفاكهة ... كما تعاطت أكف الشرب بالنخب

والنفس، ما انفردت بالجد، متعبة ... حتى تراوح بين الجد واللعب

برمت باثنين ضاق الصدر بينهما ... فقد المدامة واستيحاش مغترب

وكل ربع وإن حل الجميع به ... قفر إذا لم تكن فيه ابنة العنب

وقد حللت كناسا لا أروع به ... حور الظباء وإن أعرضن من كثب

كالليث عاد كسيرا لا افتراس به ... يطوي على زفرات نفس مكتئب وقال في الزهد:

أرى الدنيا الدنية لا تواتي ... فعالج في التصرف والطلاب

ولا يغرك منها حسن برد ... له علمان من ذهب الذهاب

فأوله رجاء من سراب ... وآخره رداء من تراب." (٢)

"كثيرا من اللعب واللهو الذي هو أخف الأشياء على الناس، ليحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به.

(٢٦) اتق الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقد على الطلق ويشكر المكتئب. وإذا سمعت من جليسك حديثا يحدث به عن نفسه أو عن غيره، مما تنكره وتستخفه، فلا يكونن منك التكذيب والتسخيف، ولا يجرئنك عليه أن تقول إنما حدث عن غيره، فإن كل مردود عليه سيمتعض من الرد، فإن كان في القوم من تكره له أن يستقر في قلبه ذلك القول لخطأ تخاف أن يعتقده أو مضرة تخشاها على أحد فإنك قادر على أن تنقض ذلك في ستر فيكون أيسر للنقض، وأبعد من البغضة، واعلم أن خفض الصوت وسكون الريح ومشي القصد من دواعي المودة إذا لم يخالط ذلك بأو ولا عجب.

(٢٧) تعلم حسن الاستماع وإمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت «١» إلى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول.

(٢٨) ومن الأخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع للحديث.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥٥٣/٦

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٣٠٥/٧

(٢٩) واعلم أن شدة الحذر عين عليك لما تحذر، وان شدة الاتقاء تدعو إلى ما تتقي.
(٣٠) إن رأيت نفسك قد تصاغرت الدنيا إليها، ودعتك نفسك إلى الزهادة فيها، على كل حال تعذر من الدنيا عليك، فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال، فإنها ليست بزهادة ولكنها ضجر واستخذاء عند ما أعجزك من الدنيا، وغضب منك عليها بما التوى عليك منها، ولو تممت على رفضها أوشكت أن ترى من نفسك من الضجر والجزع أشد من ضجرك الأول، ولكن إذا دعتك نفسك إلى بغض الدنيا وهي مقبلة عليك فاسرع." (١)

"ثم كان عاقبة الذين أساؤا السواى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن

(الروم: ١٠) .

أظننت يا يزيد حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة، وأن هذا لعظم خطرك فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان فرحا حين رأيت الدنيا مستوسقة لك، والأمور متسقة عليك، وقد مهلت ونفست وهو قول الله تبارك وتعالى:

ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين

(آل عمران: ١٧٨) . أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك نساءك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هتكت ستورهن، وهن مكتئبات، تخدي بهن الأباعر، وتحدوبهن الأعادي من بلد إلى بلد، لا يراقبن ولا يؤوين، يتشوفهن القريب والبعيد، ليس معهن ولي «١» من رجالهن؟

وكيف يستبطأ في بغضتنا من نظر إلينا بعين الشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟ أتقول: ليت أشياخي ببدر شهدوا، غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكث ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك؟ ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، بإهراقك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وسلم ونجوم الأرض من آل عبد المطلب؟! ولتردن على الله وشيكا موردهم ولتودن أنك عميت وبكمت ولم تقل: لأهلوا واستهلوا فرحا «٢» .

اللهم خذلنا بحقنا، وانتقم لنا ممن ظلمنا. والله ما فريت إلا في جلدك، ولا حززت إلا في لحمك، وسترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم برغمك، وعترته ولحمته في حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث، وهو قول الله تعالى:

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين

(آل عمران: ١٦٩- ١٧٠) . وسيعلم من بوأك ومكنك من رقاب." (٢)

"وطيبا ومالا، فودعه أبو شراعة وبكى، ثم قال: [من الرمل]

يا أبا إسحاق سر في دعة ... وامض مصحوبا فما منك خلف

ليت شعري أي أرض أجدبت ... فأغيثت بك من بعد العجف

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٣٩٣/١

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٦٣/٦

حكم الرحمن باللطف لهم ... وحرمناك بذنب قد سلف

إنما أنت ربيع باكر ... حيث ما صرفه الله انصرف

[كتابات في السفر والوداع]

٣٧٥- كتب الوزير ذو السعادات ابن أبي الفرج بن فسانجس إلى أبي غالب ابن بشران النحوي: [من الوافر]

أودعكم وإني ذو **اكتئاب** ... وأرحل عنكم والقلب آبي

وإن فراقكم في كل حال ... لأوجع من مفارقة الشباب

أسير وما ذممت لكم جوارا ... ولا ملت مباركها ركابي

لكم مني المودة في اغتراب ... وأنتم إلف نفسي في اقتراب

وروعات الفراق وإن أغامت ... تقشعها مسرات الإياب

«٣٧٦» - أبو عثمان الخالدي وقد عزم على توديع المهلبي: [من البسيط]

إنا لنرحل والأهواء أجمعها ... لديك مستوطنات ليس ترتحل

لهن من خلقك الروض الأريض ومن ... نداك يغمرهن العارض الهطل

لكن كل فقير يستفيد غنى ... دعاه شوق إلى أوطانه عجل

وكل غاز إذا جلت غنيمته ... فإن آثر شيء عنده القفل

«٣٧٧» - وكتب السري الرفاء إلى بني فهد يتشوقهم: [من الطويل]

تناءوا ولما ينصرم حبل عزمهم ... وحاشا لذاك الحبل أن يتصرما." (١)

"والحكايات في مدة لا يحفظون بها عشر ذلك من النحو واللغة والفقه والحساب وغير ذلك.

فائدة أخرى: إن الإنسان يستفيد في مدة قصيرة من أخبار وحكايات الماضين، وأحوال وعمران العالم والملوك والممالك، استفادة لا تتيسر له عن طريق المشاهدة إلا بالأعمار الطويلة، حتى ليكاد- وهو يتأمل التواريخ والقصص- أن يرى عيانا تلك الوقائع والحوادث، وتستنشق روحه عبير رياحين تلك القصص والأخبار، فيفرق بين التزوير والبهتان، والغش والأسطورة، فتدفع عنه كدورة الوحشة من منابع الوحدة، وتزيل ظلمة انقسام الخاطر عن ساحات الراحات:

يزيل **الاكتئاب** وقد يؤدي ... إلى كل امرئ ما غاب عنه

وقد رووا أن عامر الشعبي- وهو من علماء التابعين رحمة الله [١١] عليهم أجمعين- كان جالسا في مسجد مكة يحدث بأخبار مغازي المصطفى عليه السلام، وقد ازدحم الخلق على الحلقة التي يحدث فيها، ممتعين الأسماع بحسن الاستماع، تجللهم آثار الخضوع والخشوع، وكان من بينهم جماعة من بقايا صحابة رسول الله صلوات الله عليه ورضي عنهم، من الذين قسموا أوقاتهم بين العبادات الجسدية والروحية، وشرفوا ب رضي الله عنهم ورضوا عنه

«١» ، والذين كانوا أنامل ساعد صاحب الشريعة، ووابل سحائب صدر النبوة، وأنجم أفلاك الديانة، وسهام كنانة الفتوة

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٣٥/٨

والمروءة، قالوا: لقد شاهدنا القوم، والشعبي أعلم بتلك المغازي منا «٢» ، أي:
إننا قد نلنا سعادة حضور ومشاهدة تلك الغزوات، ورأيناها رأي العين، لكن أفكارنا لم تصل إلى وصف هذه الأحوال، وعيوننا لم تدرك دقائق نور سهيل هذا الفلك،." (١)

"ولما وصل مخلد إلى الشام، رضي عنه عمر بن عبد العزيز، كما أطلق سراح أبيه بشفاعته.

ثم مرض مخلد، وبسبب مرضه، امتنع أبوه يزيد عن تناول الطعام والشراب، فلما انتقل مخلد إلى جوار رحمة الخالق، لم يظهر يزيد الجزع، وانشغل بأعماله وقال:

لقد ذهب ولدي، ولا ينبغي أن أضيع من يدي أجر الصابرين:

فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

وكان عمر مخلد لما فارق الدنيا ستا وعشرين سنة، وصلى عليه الخليفة عمر بن عبد العزيز، ووقف على قبره وقال: لو أراد الله بيزيد بن المهلب خيرا لأبقى له هذا الفتى، فإنه من فتيان العرب.

قال حمزة بن بيض في رثائه «١» :

[٨٩]

أمخلد هجت حزني واكتئابي ... وسد علي يوم هلكت بابي

وعطلت الأسرة منك إلا ... سريرك يوم زين بالثياب

ولما ثقل المرض بعمر بن عبد العزيز، انتقل يزيد بن المهلب مع أهله وخدمه إلى البصرة، فوصلها ليلة النصف من رمضان سنة إحدى ومئة.

ثم إن يزيد بن عبد الملك أرسل أخاه مسلمة لحرب يزيد بن المهلب، الذي انصرف عنه أعوانه، فقتل على يد مسلمة.

ويزيد بن المهلب هو القائل: إن سكني في الدنيا ببيتين: إما السجن أو قصر الإمارة.." (٢)

"فلم ير نظام الملك بعد هذا منشغلا بشرب الخمر وقضاء شهوة على خلاف الشرع قائلا: يكفي سد واحد.

وقد طلب نظام الملك منه أن يقيم معه في الديوان، فرفض قائلا: إنه سيضرني ولا ينفعك.

والعقب منه: أبو شجاع الحسين، وأبو منصور المظفر، ووجيه العلماء أبو نصر أحمد، وبنات، عاشوا وجاوزوا عقبة الستين والسبعين، ولم يبق لهم عقب.

توفي جدي أبو القاسم رحمه الله سنة ثلاث وثمانين وأربع مئة.

وتوفي خالي الرئيس المكرم أبو منصور المظفر، في شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وخمس مئة.

وأما وجيه العلماء أحمد الذي كان صاحب أدب جزل، وقول فصل، وحافظا لكتاب الله تعالى، وعالما بعلوم القرآن، فقد توفي في شهور سنة إحدى وعشرين وخمس مئة، ومن منظومه وهو يرثي أخاه أبا شجاع الحسين رحمة الله عليه:

---

(١) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/١٠٠

(٢) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٢٠٠

بأن الحسين أخي عني فوا حزنا ... منه ووا أسفا أن لم أمت أسفا

قد كان درا يتيما لا نظير له ... فأصبحت جنة المأوى له صدفا

وقال أيضا وهو يرثي أخاه أبا منصور:

أبو منصور القرم المرجى ... مضى وأنا قرين **الاكتئاب**

وقد دخلت- إذا أمسى دفينا- ... علي إساءتي من كل باب

وإني في الجعاب بقيت سهما ... سيكسرني الزمان ولا يحابي." (١)

"عجيب/ الطويل/ ١٩٣

المهلب/ الطويل/ زياد الأعجم/ ١٩٥

جانبه/ الطويل/ البحتري بن قبيصة/ ١٩٧

يذهب/ الطويل/ ٢٠٠

الرقاب/ الوافر/ أبو جعفر الزيادي/ ٢١٠

موارب/ الطويل/ محمد بن عبد الرزاق/ ٣٠٩

أحسب/ الطويل/ علي بن سختويه/ ٣٢٥

الآداب/ الكامل/ علي بن سختويه/ ٣٢٥

القلوب/ الوافر/ ٣٥٦

ريب/ الطويل/ ٥١٤

الحجبة/ مجزوء الرجز/ الحسين بن جعفر الجعفري/ ٣١٣

أربي/ الطويل/ محمد السويزي/ ٣٤٠

وهبه/ الرمل/ الحسين الخسروآبادي/ ٣٧٠

الأدبا/ البسيط/ أحمد بن علي المقرئ/ ٤٥١

ذهبي/ البسيط/ إبراهيم المغيثي/ ٢٥٩

بالغائب/ المتقارب/ (أوس بن حجر) / ١٠٢

التجارب/ الطويل/ (بشار بن برد) / ١٠٢

المهلب/ الطويل/ نهار بن توسعة/ ١٩٧

بابي/ الوافر/ حمزة بن بيض/ ٢٠٠

بالشباب/ مجزوء الكامل/ (أبو فراس الحمداني) / ٢١٤

المآب/ الوافر/ حمزة بن محمد البيهقي/ ٢٢٢

---

(١) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٢٣٠

ثوابي/ الطويل/ زيد بن محمد البيهقي/ ٢٢٣

نصيبي/ الطويل/ علي بن زيد بن محمد/ ٢٢٧

الاكتئاب/ الوافر/ وجيه العلماء أحمد/ ٢٣٠." (١)

"١٢ – وقال من رسالة

نذرت لك العلى ونذرت برى ... وقد وفيت فليحسن وفاؤك

إذا كنت السماء وكنت أرضا ... ولك تمطر فما كانت سماؤك

وإن لم يسق عودى منك ماء ... فعودى يابس خجلا وماؤك

فأما خجلتني لسوء ظني ... وأما أنت فالتقصير دواؤك

قافية الباء ١٣وقال يمدح الملك الصالح [وافر]

أعندك أن وجدي **واكتئابي** ... تراجع مذ رجعت إلى اجتنابي

وأن الهجر أحدث لي سلوا ... يسكن برده حر التهابي

وأن الأربعين إذا تولت ... بريعان الصبا قبح التصابي

ولو لم ينهني شيب نهاني ... صباح الشيب في ليل الشباب

وأيام لها في كل وقت ... جنايات تجل عن العتاب

أقضيها وتحسب من حياتي ... وقد أنفقتهن بلا حساب." (٢)

"السمناني بسمنان (١) أنشدنا أبو سعيد عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري أنشدنا الشريف أبو الحسن عمران بن موسى المغربي أنشدنا أبو المطاع: إني حننت حنين **مكتئب** * مترادف الأحزان والكرب متذكر في دار شقوته * دار النعيم ومنزل الطرب جمعت مآرب كل ذي إرب * فيها ونخبة كل منتخب فهواؤها تحيا (٢) النفوس به * وترابها كالمسك في الترب تجري بها الأمواه فوق حصى * كرضاب ثغر بارد شنب من كل عين كالمراة صفا * أو جدول كمهند القضب يشتق أخضر كالسماء له * زهر كمثل الأنجم الشهب هذا ومن شجر (٣) تعطفه * يحكي انعطاف الخرد العرب عشنا به زمنا نلذ به (٤) * في غفلة من حادث النوب في فتية فطنوا لدهرهم * فتناولوا اللذات من (٥) كثب ما شئت من جود ومن كرم * فيهم ومن ظرف ومن أدب متواصلين على مناسبة * بالفضل تغنيهم عن النسب كم روحة بدمشق رحت بهم * والشمس قد كادت ولم تغب فكأنما صاغ الاصيل بها * لقصورها شرفا من الذهب ومما قاله ايضا في دمشق: سقى الله أرض الغوطتين وأهلها * فلي بجنوب الغوطتين شجون وما ذقت طعم الماء إلا استخفني * إلى (٦) برد ماء النيربين حنين

---

(١) بلدة بين الري ودامغان وبعضهم يجعلها من قومس وبنسا قرية يقال لها سمنان (معجم البلدان)

---

(١) تاريخ بيهق/تعريب البيهقي، ظهير الدين ص/٦١٣

(٢) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/١٦٢

(٢) في خع: يحيى

(٣) بالاصل " ومن شحر " وفي خع " ومن سحر " والمثبت عن المطبوعة ٢ / ١٧٤

(٤) عن خع وبالاصل: بلذته

(٥) في المطبوعة: عن كتب

(٦) بالاصل: " إلى بردتا النيريين " والمثبت عن خع وفي معجم البلدان (دمشق) : إلى بردى والنيربين حنين." (١)

"قال ثابت بن أنس ثم أرسل غلاما له إلى الحجاج بن علاط ويلك ما جئت به وماذا تقول فما وعد الله تبارك وتعالى خير مما جئت به قال الحجاج بن علاط لغلامه اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له فليخل لي في بعض بيوته لآتيه فإن الخبر على ما يسره فجاء غلامه فلما بلغ باب الدار قال أبشر يا أبا الفضل قال فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال الحجاج فاعتنقه قال ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد افتتح خيبر وغنم أموالهم وجرت سهام الله عز وجل في أموالهم واصطفى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صفية ابنة حيي فاتخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته ولكني جئت لمال كان لي ها هنا أردت أن أجمعه فأذهب به فاستأذنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأذن لي أن أقول ما شئت فاخف عني ثلاثا ثم اذكر ما بدا لك قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع فجمعته ودفعته إليه ثم انشمر به فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك فأخبرته أنه قد ذهب يوم كذا وكذا وقالت لا يخزيك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك قال أجل لا يخزيني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا فتح الله خيبر على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجرت فيها سهام الله عز وجل فاصطفى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صفية لنفسه فإن كانت لك حاجة إلى زوجك فالحقي به قالت أظنك والله صادقا قال فإني صادق الأمر على ما أخبرتك ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم لا يصيبك إلا خير (١) يا أبا الفضل قال لم يصبني إلا خير بحمد الله تعالى قال أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله تبارك وتعالى على رسوله (صلى الله عليه وسلم) وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثا وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شئ ها هنا ثم يذهب قال فرد الله تعالى الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئبا حتى أتوا العباس عليه السلام فأخبرهم الخبر فسر المسلمون ورد الله تعالى ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين لفظ حديث ابن الحصين والباقين نحوه انتهى

---

(١) بالأصل " خيرا "." (٢)

"فنعم اخو الإسلام كنت وانني * لاطمع أن تعطى الخلود وتحبرا (١) قد كنت تعطي السيف في الحرب حقه * وتعرف معروفا تنكر منكرا * (٢) قال وقال قيس بن فهدان الكندي يرثيه * يا حجر يا ذا الخير والحجر * يا ذا الفعال

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٩٨/٢

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٠٣/١٢

ونابه الذكر كنت المدافع عن ظلامتنا * عند الطلوع ومانع الثغر أما فقلت فأنت خيرهم * في العسر ذي العيصاء واليسر يا عين بكي خير ذي يمن * وزعيمها في العرف والنكر فلأبكين عليك (٣) مكتئبا (٤) * فلنعم ذو القربى وذي الصهر يا حجر من للمعتفين (٥) إذا * لزم (٦) الشتاء وقل من يقري من لليتامى والأرامل أن * حقب الربيع وضن بالوفر أم من لنا في الحرب أن بعثت * مستبسلا يفري كما يفري فسعدت ملتمس التقى وسقى * جدثا اجنك مسبل القطر كانت حياتك إذ حييت لنا * عزا وموتك قاصم الظهر وتريثنا في كل نازلة * نزلت بساحتنا ولا تبرى يا طول مكتأبي لقتلهم حجرا * وطول حرارة الصدر قد كدت (٧) اصعق جزعا * اسفا واموت من جزع على حجر فلقد جدلت وقد قتلت * ومن لم تستعبه حوادث الدهر فلذاك قلبي مشعر كمدا * ولذاك دمعي ليس بالنزر ولذاك نسوتنا حواسر * يستبكين بالأشراق والظهر

---

(١) الحبرة: النعمة وسعة العيش (النهاية)

(٢) الأبيات نقلها ابن العديم في بغية الطلب ٥ / ٢١٣١

(٣) في بغية الطلب ٥ / ٢١٣٢ عليه

(٤) مهملة بالأصل والمثبت عن ابن العديم

(٥) بالأصل: المعتفين والمثبت عن ابن العديم

(٦) بالأصل: " دمر " والمثبت عن ابن العديم

(٧) صدره في ابن العديم: قد كنت أصعق جهرة أسفا." (١)

"الصوفية ومعهم من يقول فاستأذنوه أن يقول شيئا عنده فقال نعم فابتدأ القوال صغير هواك عذبني * فكيف به إذا احتنكا وأنت جمعت من قلبي * هوى قد كان مشتركا أما ترثي (١) لمكتئب * إذا ضحك الخلي بكا * فقام ذو النون قائما ثم سقط على وجهه فرأى الدم يجري منه ولا يسقط إلى الأرض منه شئ ثم قام بعده رجل ممن كان حاضرا في المجلس يتواجد فقال له ذو النون الذي يراك حين تقوم فجلس الرجل أنبأنا أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل أنا أبو بكر المزكي نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت أحمد بن مقاتل البغدادي يقول لما دخل ذو النون بغداد دخل عليه صوفية بغداد ومعهم قوال فقالوا بادر له حتى يقول قال نعم فقال القوال صغير هواك عذبني * فكيف به إذا احتنكا وأنت جمعت من روحي * هوى قد كان مشتركا أما ترثي لمكتئب * إذا ضحك الخلي بكا * قال فقام ذو النون وتواجد وطال تواجده ثم قعد فقام رجل آخر يتواجد فقال له ذو النون الذي يراك حين تقوم فقعد الرجل وقال ذو النون من كان في توحيده ناظرا إلى نفسه لم ينجه توحيده من النار أنبأنا أبو عبد الله البلخي أنا أبو الحسين أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف قال قرأت على أبي الحسن محمد بن علي بن صخر في كتابه لذي النون المصري خلا من الذكر قلبه فقسا * كالعود طال الظمأ به فعشا عساه أما بكا واعول أن * يدرك ما فاته عسا وعسا عساه يلقى النعيم إن نعمت *

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٣٣/١٢

عيناه لما توسط الغلسا

---

(١) عن تاريخ بغداد ورسمها بالاصل: ترقى." (١)

"* إن الغني الذي يرمي (١) بعشيته * لا من يظل على ما فات مكتئبا لا تحقرن من الأيام محتقرا *كل امرئ سوف يجزى بالذي اكتسبا

قد يحقر المرء ما يهون (٢) فتركته * حتى يكون إلى توريطه سببا * أخبرنا أبو السعود أحمد بن محمد بن علي بن المجلي (٣) نا عبد المحسن بن محمد بن علي لفظا أنا أبو الحسين علي بن الحسين بن قسيم نا إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن سيبخت نا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن قريش الحكيمي أنشدني عون عنأبيه لصالح بن عبد القدوس * وإذا طلبت العلم فاعلم أنه * حمل فأبصر أي شئ تحمل * * فإذا علمت بأنه متفاضل * فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل * أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الجنيد وأبو محمد مسعود بن سعد الله بن أسعد الميهنيان بها قالا أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن محمد الفارسي بميهنة أنا أبو الغنائم محمد بن محمد بن محمد بن الفراء بالمسجد الأقصى أنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن بن جهضم بمكة حرسها الله تعالى قال ومن أحسن ما سمعت في تخير الأخوان ووصف شيم الاخوان أبيات صالح بن عبد القدوس أنشدنا محمد بن علي الذهبي عن بعض أشياخه * تخير من الأخوان كل ابن حرة * يسرك عند النائبات بلاؤه (٤) وقارن إذا قارنت حرا فإنما * يزين ويزري بالفتى قرناؤه حبيبا وفيا ذا حفاظ بغيبة * وبالبشر والحسنى يكون إلقاؤه أريب إذا شاورت في كل مشكل * أديب يسوء الحاسدين بقاؤه فلن يهلك الإنسان إلا إذا أتى * من الأمر ما لم يرضه فصحاؤه تمسك بهذا إن ظفرت بوده * فيهنيك منه وده و (٥) وفاؤه

---

(١) في تاريخ بغداد: يرضى

(٢) تاريخ بغداد: يهوي فيركبه

(٣) بالأصل: " المحلى " والصواب ما أثبت وضبط وقد مر قريبا

(٤) بالأصل تقرأ: " تحزن الاخوان

تلاوة " ولعل الصواب ما ارتأيناه

(٥) زيادة منا للوزن." (٢)

"تصوتان (١) فأشجاه ترنمهما وأطربه فأنشأ يقول * يا طائران على غضن أنا لكما * من أنصح الناس لا أبغي به ثمنا كونا إذا ما طرتما زوجا * فإنكما لا تأمنان إذا أفردتما حزنا هذا أنا لا على غيري أحيلكما * أخو اكتئاب بتركي الإلف والوطنا * قرات على أبي القاسم الشحامي عن أبي بكر البيهقي أنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني أبو بكر محمد بن علي الفقيه

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٣٧/١٧

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٥٤/٢٣

ببخارى نا أبو بكر محمد بن يحيى الصولي قال كتب علي بن هشام إلى عبد الله بن طاهر * أبن لي أبا العباس ما أنا صانع * أشكرك أم أغضي على غصص الصبر أتدعو فلا أعصي وأدعو فلا تجي * ففعلك هذا قد يدل على الكبر وخبرتني أن الرسول أتاكم * فوافاك عني بالكتاب مع العصر فهذا رسولي قد أتاك مبكرا * فلا تحبسنه بالغداة إلى الظهر ولا تعتذر نفسي تقيك من الردى * فما لك عندي إن تخلفت من عذر * قال فأجابه عبد الله بن طاهر * عجلت إلى لومي جعلت لك الفداء * وألزمتني ما ليس في من الكبر وبالله إني (٢) ما اعتللت وإنني * صدقتك فيما قد شرحت من العذر وها أنا ذا بعد الكتاب بساعة * فإن قلت لا أرجع إلى آخر الشهر أقمت لألقى هو ظن ظننته * وأذهب ما أكننت (٣) من غصص (٤) الصدر * أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم غير مرة أنا رشأ بن نظيف أنا الحسن بن إسماعيل أنا أحمد بن مروان نا أحمد بن عبدان الأزدي نا محمد بن منصور البغدادي قال دخلت على عبد الله بن طاهر وهو في سكرات الموت فقلت السلام عليك أيها الأمير فقال لا تسمني أميرا وسمني اسيرا ولكن أكتب عني بيتين عرضا

---

(١) بالأصل وم: يصوتان

(٢) سقطت من الأصل وم وأضيفت عن المطبوعة

(٣) عن م وبالأصل: ما أكتب

(٤) ضبطت بالأصل بضمة فوق الغين وفتحة فوق الصاد الأولى." (١)

"وقطعه واحدة من أسفل وكان خرج مع أخيه عبد الله بن علي حين خالف على المنصور وجعله ولي عهده وأمه كثيرة التي يقول فيها عبيد الله (١) بن قيس (٢) عاد له من كثيرة الطرب * فعينه بالدموع تنسكب كوفية نازح محلتها * لا أمم دارها ولا صقب (٣) والله ما إن صبت إلى ولا * يعرف (٤) بيني وبينها نسب إلا الذى أورثت كثيرة في * القلب وللحب سورة عجب قرأت على أبي محمد السلمى عن أبي محمد التميمي أنا مكى بن محمد بن الغمر أنا أبو سليمان الربعي قال وفيها يعنى سنة خمس وثمانين ومائة مات عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس

٤٠٧٩ - عبد الصمد بن محمد بن أحمد ابن غالب بن عليون الصوري الوراق أخو عبد المحسن الصوري الشاعر كان جميل الطريقة وكانت بينه وبين أخيه وحشة ولأخيه فيه أشعار قرأت بخط أبي الحسن على بن المقلد أبو نصر بن منقذ أنشدني القاضى أبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن مزاحم لعبد الصمد أخى عبد المحسن الصوري مما أنشده والده رحمه الله كتبت وللسقام علي ثوب * محيل دون كتبي للكتاب وقد أمليت من دمعى لأنى * قضيت به ديون الاكتئاب فكن لي عاذرا فيما حواه *كتابي من مخالفة الصواب * أنشدني جدي القاضى أبو المفضل يحيى بن عبد العزيز القرشى لعبد المحسن في أخيه وقد دخل كرما فأكثر عبد الصمد من أكل العنب الأبيض والأسود رأيتك فتاكا على الروم والزنج بغير سلاح

(٥) ببابك الفلج

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٣٩/٢٩

* (١) الاصل عبد الله تصحيف والصواب عن تاريخ بغداد

(٢) الابيات في ديوانه ط بيروت ص ١ - ٢، وتاريخ بغداد ١١ / ٣٨

(٣) نازح: بعيدة والسقب والصقب: القريب الملاصق

(٤) الديوان: يعلم

سبب

(٥) كلمة لم أتبينها بالاصل." (١)

"المعلى (١) العطار عن إبراهيم قال كنت عند (٢) عبيدة فسئل عن قول عبد الله في الجد فقال كان عبد الله يورثه إلى السدس لا ينقصه شيئا فأخذ في ما قدم وما حدث فقلت والله إن كان حديث علقمة كله هكذا ما أدري ما حسب حديث علقمة وما عبيدة عندي بمتهم فمررت بعبيد بن نضيلة (٣) وهو على بابه فقال يا أعور ما لي أراك مكتئبا قال قلت لا والله إلا أني كنت عند عبيدة فسئل عن قول عبد الله في الجد فقال كان عبد الله يورثه إلى السدس لا ينقصه شيئا فأخربي ما قدم وما حدث فقلت والله إن كان حديث علقمة هكذا كلها ما أدري ما حسب حديث علقمة وما عبيدة عندي بمتهم وكان علقمة قال عن عبد الله إنه كان يورثه إلى الثلث قال فقال لي قد صدقا جميعا قلت وكيف ذاك قال إن عبيدة كان يأتي الدار عن عبد الله وكان عبد الله يقول إلى السدس وكان علقمة ألزمهما له فقال عبد الله بعد إلى الثلث فأخبر علقمة بقوله (٤) الآخر وأخبر عبيدة بقوله الأول أخبرنا أبو العز بن كادش أنبأ أبو محمد الجوهري أنبأ أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن نصير بن عرفة بن لؤلؤ نا أبو القاسم عثمان بن إسماعيل بن بكر البكري نا شعيب بن أيوب نا يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن أبي (٥) عبد الرحمن الأنصاري قال قلت للأعمش (٦) على من قرأت قال وما يهمك من ذلك قال لولا أنه يهمني ما سألتك قال قرأت على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى بن وثاب على علقمة وقرأ علقمة على عبد الله وقرأ عبد الله على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنبأ أبو الحسين بن النقور أنا عيسى بن علي إملاء ثنا أبو بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد حدثني موسى بن موسى بن موسى وأبو طالب عبد الله بن أحمد بن سوادة قالا نا هارون بن حاتم نا الكسائي قال قلت لحمزة على من قرأت قال قرأت على ابن أبي ليلى وحمران بن أعين قلت فحمران على من قرأ قال على عبيد بن نضيلة الخزاعي وقرأ عبيد على علقمة فقرأ

---

(١) كذا بالاصل وم وفي المعرفة والتاريخ: ابي المعلى العطار

(٢) سقطت من الاصل واضيقت عن م والمعرفة والتاريخ (٣) في المعرفة والتاريخ: " نضلة " راجع تهذيب التهذيب ٧ / ٧٥ (ط

الهند) (٤) الاصل: بعلمه والمثبت عن م والمعرفة والتاريخ

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٥٤/٣٦

(٥) الاصل وم: أبو

(٦) الاصل: الاعمش والمثبت عن م." (١)

"فلو رأيت الأصغر من أولاده وقد غلب الحزن على فؤاده وغشي من الجزع عليه وخضبت الدموع خديه وهو يندب أباه ويقول يا ويلاه لعاينت من قبح المنية منظرا * يهال لمرآه ويرتاع ناظر أكابر أولاد يهيج اكتئابهم * إذا ما تناساه البنون الأصاغر ورنة نسوان عليه جوازع * مدامعهم فوق الخدود غوازر * ثم أخرج من سعة قصره إلى ضيق قبره فلما استقر في اللحد وهي (١) عليه اللبن وقد حثوا بأيديهم التراب وأكثروا التلدد (٢) عليه والانتحاب ووقفوا ساعة عليه وآيسوا من النظر إليه فولوا عليه معولين وكلهم * لمثل الذي لاقى أخوه محاذر كشاء رتاع آمنات بدا لها * بمذننة (٣) بادي الذراعين حاسر فربعت ولم ترتع قليلا وأجفلت * فلما نأى عنها الذي هو جازر * عادت إلى مرعاها ونسيت ما في أختها دهاها أفبأ (٤) فعال البهائم اقتدينا (٥) أم على عادتها جرينا عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى والثرى المدفوع إلى هول ما ترى ثوى مفردا في لحده وتوزعت * مواريثه أرحامه والأواصر وأخنوا على أمواله يقسمونها * بلا حامد منهم عليها وشاكر (٦) فيا عامر الدنيا ويا ساعيا لها * ويا آمنا من أن تدور الدوائر *كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائر إليها لا محالة أم كيف تهنأ بحياتك وهي مطينك إلى مماتك أم كيف تسيغ طعامك وأنت منتظر حمامك ولم تتزود للرحيل وقد دنا * وأنت على حال وشيكا مسافر فيا لهف نفسي كم أسوف توبتي * وعمري فان والردى لي ناظر وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت * يجازي عليه عادل الحكم قادر

---

(١) الوهي: الشق في الشئ وهي: تخرق وانشق واسترخي رباطه (القاموس)

(٢) التلد: تلدد تلفت يمينا وشمالا وتحير متبلدا وتلبث (القاموس)

(٣) رسمها بالاصل: بمدينة وفي " ز ": بمديته والمثبت عن المختصر

(٤) بياض بالاصل والمثبت عن المختصر وفي م: دهاما أفعال وفي " ز ": " دها أساء فقال "

(٥) بياض بالاصل وم وفي " ز ": " افتدينا " والمثبت عن المختصر

(٦) في البيت إقواء." (٢)

"صبب إذ لاح برق من ديارهم *كأنما خليه من قلبه حلبا بجانب النوم إن مرت بجانبه * ريح الجنوب ويصبو إن تهب صبا ويستطير اشتياقا كلما لمع * البرق اليماني من تلقائهم وخبا فهل يعين لذي عين (١) * عين من الدمع منها الماء ما نضبا بادي الصبابة لا يصبو إلى عذل * خلق الكآبة لا ينفك مكتئبا أغراه بالوجد من أغراه بعدهم * من التصبر عنهم فاستحال هبا يريك ظاهره بالعين باطنه * فغير خاف سوى ما في الضمير خبا قد كان يأمل أن يفضي الزمان له * إليهم رجعة يقضي بها أربا فعاقه قدر عما يحاوله * فإن قضى بهم وجدا فلا عجبا لو خير الخلد من أوطانه بدلا * لم يرضها بدلا

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٧١/٤١

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٠٧/٤١

منها فدع حلبا ولو تزف إليه الأرض قاطبة * لم يرض أرضا سواها مسرحا وربا وكيف أرضى بأرض ما وجدت بها * صديق صدق حوى فضلا ولا أدبا إلا أناسا بسمت العيش بعدهم * إذا عدى الناس رأسا خلتهم ذنبا لا يأمرون بمعروف كذاك ولا * ينهون عن منكر خوفا ولا رغبا إذا بلوتهم ألفيتهم خفرا * وإن بلوتهم ألفيتهم أدبا وإن نثرت عليهم كلما انتظموا * در القريض جزوني عنه مختلبا وكلما حضروا أحضرت من أدبي * مأدبا حار في آدابها الأدبا طلس الدباب (٢) أضل الله سعيهم * تطيلسوا اللوم لما استعذبوا العذبا وشرفا نالني فيها وأعجبه * إني اتخذت الأعادي صلة قربا أقمت حولين في أكناف أكنفها * حلف السقام أقاسي الهم والوصبا لم أحظ منهم بحظ مذ حللت بها * أغنى من الود لا مالا ولا نشبا فقرب الله في الترحال عن بلد * فيه الأجانب لي خير من القربا وباعد الله داري من ديارهم * ولا لقى لي إن سميتهم نسبا ومزقت يد دهر الشر (٣) شملهم * في كل شعب كشمل فرقت شعبا

---

(١) رسمها بالأصل: " مسمهدة "

(٢) كذا

(٣) غير واضحة بالأصل." (١)

"عامتهم وقلة من ثبت عليها فقاتلوه قتالا شديدا فنصره الله وكان بيننا وبينهم معركة تشبه الملحمة وأجاز بما كان سبا وغنم حتى لحقنا أرض الروم وذكر الوليد كان ذلك سنة أربع عشرة ومائة وأمير الصائفة معاوية بن هشام

٥٤١٤ - عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط واسمه أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو الوليد القرشي الأموي المدني المعروف بأبي قطيفة (١) وإنما قيل له أبو قطيفة لكثرة شعر رأسه وليحته شبه بالقطيفة شاعر محسن سيره ابن الزبير في جملة من سير من بني أمية إلى دمشق أخبرنا أبو الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا قالوا أنا أبو جعفر بن المسلمة أنا أبو طاهر المخلص أنا أحمد بن سليمان نا الزبير بن بكار قال (٢) ومن ولد الوليد بن عقبة عمرو بن الوليد يقال له أبو قطيفة كان كثير الشعر وأمه بنت (٣) الربيع بن ذي الخمار من بين أسد بن خزيمة وأبو قطيفة هو الذي يقول (٤) * ليت شعري وأين مني ليت * أعلى العهد يلبن فبرام أم كعهد البقيع أم غيرته * بعدي المعصرات والأيام أقطع الليل كله باكتئاب * وزفير فما أكاد أنام نحو قومي إذ فرقت بيننا الدار * وجادت عن قصدها الأحلام خشية أن يصيبهم عنت الهوى * وحرب يشيب منها الغلام ولقد حان أن يكون لهذا الدهر * عنا تباعد وانصرام وبقومي (٥) بدلت لخما وكلبا * وجذاما وأين مني جذام

---

(١) ترجمته في نسب قريش ص ١٤٦ جمهرة أنساب العرب ص ١١٥ والأغاني ١ / ١٢، معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٤٠

(٢) الخبر في نسب قريش للمصعب ص ١٤٦

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٠٤/٤٣

(٣) كذا بالأصل وم والأغاني ١ / ٢٠ وفي نسب قريش: وأمه الربيع بنت ذي الخمار

(٤) الأبيات في الأغاني ١ / ٢٨ - ٢٩

(٥) الأصل وم: وبقوسي والمثبت عن المختصر وفي الأغاني: وبأهلي." (١)

"أحمد بن محمد بن بكر الهزاني حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني قال وزعم العمري عن عطاء بن مصعب حدثني عبيد بن أبان النميري قال قدم فضالة بن زيد العدواني على معاوية فقال له معاوية كيف أنت والنساء يا فضالة قال يا أمير المؤمنين لا باه لي إلا المني وأخو المني * جدير بأن يلحى ابن حرب ويشتما * والرواية لا قمط لي والقمط الجماع ومن قال لا باه لي فقد أخطأ لأن الباه ممدود وهي ماء في الأوداج وفيم تصابي الشيخ والدهر دائب * بميراثه تلحو عروقا وأعظما رمتني صروف الدهر حتى رأيتني * أجب السنام بعدما كنت أيهما (١) فحلت سهول الأرض وعثا ووعثها * سهولا وقد أحرزت أن أتكلما وكان سليطا مقولي متبادرا * شباه فصرت اليوم مثل العي أبكما كذلك ريب الدهر ينزل سهمه * والاداء الذليل المذمما ألا ذو الأيدي القوة (٢) * وحرب يجيد القوم عن لهباتها * شهدت فكتبت المستشار المقدما توسطتها بالسيف اذهاب جبنها * الكماة فلم يعثو من الحرث معظما فلما رأيت الموت ألقى بعاعه * علي تعمدت أمرا من الحرث معلما فيممت سيفي رأسه فتركه * يهر عليه الذئب أنضح (٣) قشعما نفدت فيما لي حيلة غير أنني * أجود إذا سئل البخيل فهمهما وأبذل عفوا ما ملكت تكرما * وأجبر في اليلا وأكلا ومعدما * فقال له معاوية كم أتت لك سنة يا فضالة قال عشرون ومائة سنة قال فأي الأشياء حلت بك مذ كنت كنت بها أسر وأي شئ كنت بوقوعه أشد **اكتئابا** قال يا أمير المؤمنين لم يقطع الظهر قطع الولد شئ ولا دفع البلايا والمصائب مثل إفادة المال والله يا أمير المؤمنين إن المال ليقع من المرء موقعا ما يفقه شئ وإن الولد الصالح ليمثل منزلة المال ولكن للمال فضيلة عليه وإن كان طالب المال يجمعه لولده فإنه آثر عنده منه لأنه قد

---

(١) الايهم: الشجاع والجبل الصعب:

والحجر الاملس (القاموس) المحيط)

(٢) كذا

(٣) على هامش الاصل: والانضح الابيض وليس بخالص." (٢)

"أنبأنا أبو عبد الله الفراوي وغيره عن أبي بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين إجازة قال سمعت الشريف الفاضل أبا الحسن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن (١) بن علي بن أبي طالب الصوفي السني (٢) رحمه الله قال سمعت إبراهيم بن علان يقول سمعت محمد بن أحمد بن سعيد البيروتي رحمه الله يقول الحكيم بحر من البحور وجسر من الجسور إن غصت أخرجت اللآلئ وإن عبرت

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٤٦/٤٦

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٨١/٤٨

عليه أشرفت على المعالي

٥٩٠٠ - محمد بن أحمد بن سعيد بن الفضل أبو بكر البغدادي الكاتب (٣) صاحب شعر مستحسن ونثر في الكتابة حسن قدم دمشق وكتب عنه أبو محمد عبد الرحمن بن علي بن صابر السلمي أنبأنا أبو محمد بن صابر ونقلته من خطه قال سمعت الشيخ الرئيس الأجل أبا بكر محمد بن أحمد بن سعيد بن الفضل البغدادي الكاتب يقول في استهداء مداد وأقلام وكاغد محل مولاي الرئيس الأجل السيد أطال الله بقاءه وأدام علاه وحرس عزه وبهاه وكبت حسدته وأعلاه (٤) في نفسي ومكانه من نفنني (٥) وأنسي يوجب الانبساط فيما دق وجل وكثر وقل وإن كان كرمه مستفيضا وفضه طويلا عريضا وكان بيني وبين الوالد صداقة متأكدة ومودة مستحصدة توجب مثل هذه الحال وأنا استمد من معونته مدادا كلون الشباب أو سويداء دائم الاكتئاب كأنما كرع في ناظري رشا مذعورا وسويداء قلب غير مسرور فإن الدواة قد شابت ذوائبها وتبسم قاطبها وضحكت مستديرة وأضاءت مستنيرة * أشكو إليك مشيبا لاح بارقه * في فرع رهماء تجري بالأساطير كانت مفارقها مسكا مضمخة * فما لها بدلت منها بكافور ومقلة عهدت كحلا مرهها * طول البكاء على بيض الطوامير *

---

(١) " بن الحسن " كذا كررت بالاصل وم وت ود وسقطت من الانساب (الوصي)

راجع ترجمته في سير اعلام النبلاء ١٧ / ٧٧

(٢) كذا بالاصل وم وت ود ولعله: " الحسني " راجع سير اعلام النبلاء والانساب

(٣) ترجمته في الوافي بالوفيات ٢ / ١١٠

(٤) الاصل وم: واعداه وفي ت: واغداه ولعل ما اثبت عن د هو الوجه

(٥) كذا رسمها بالاصل وم وت ود." (١)

"* ما غاض دمعي عند نازلة * إلا جعلتك للبكا سببا إني أجل ثرى حللت به * من أن (١) أرى لسواك مكتئبا فإذا ذكرتك سامحتك به * مني الدموع ففاض فانسكبا * قال قيس فانصرفت وما تركت زيارة القبور مذ ذاك أخبرنا أبو القاسم الحسيني أنبأنا رشأ المقرئ أنبأنا الحسن بن إسماعيل أنبانا أحمد بن مروان ثنا محمد بن موسى بن حماد ثنا محمد بن الحارث عن المدائني قال بينما محمد بن علي بن الحسين (٢) في فناء الكعبة فإذا أعرابي فقال له هل رايت الله حيث عبدته فأطرق وأطرق من كان حوله ثم رفع رأسه إليه فقال (٣) ما كنت لأعبد شيئا لم أره فقال وكيف رأيته قال لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجوز في قضيته بأن من الأشياء وبانت الأشياء منه " ليس كمثله شئ " (٤) ذلك الله لا إليه إلا هو فقال الأعرابي الله أعلم حيث يجعل رسالاته قال وأنا ابن مروان ثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي حدثنا أبو نعيم (٥) ثنا أبو (٦) جعفر الرازي عن المنهال بن عمرو عن محمد بن علي قال اذكروا من عظمة الله ما شئتم ولا تذكرون (٧) منه شيئا إلا وهي أشد منه واذكروا من الجنة ما شئتم ولا تذكرون (٨) منها شيئا إلا وهي أفضل منه أخبرنا أبو بكر بن المزرفي أنبأنا أبو جعفر بن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٢/٥١

المسلمة أنبأنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن القاسم البزار (٩) المعروف بابن الأدمي ثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني ثنا محمد بن منصور الطوسي ثنا شبابة بن سوار ثنا بسام قال كنت عند أبي

---

(١) زيادة لتقويم الوزن عن د و " ز "

(٢) بالاصل و " ز ": " الحسن " تصحيف والمثبت عن د

(٣) زيادة عن د و " ز "

(٤) سورة الشورى الاية: ١١

(٥) كذا بالاصل ود وفي " ز ": إبراهيم

(٦) من طريق أبي نعيم رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٠٦

(٧) بالاصل ود و " ز ": تذكروا والمثبت عن سير أعلام النبلاء

(٨) راجع الحاشية السابقة

(٩) إعجامها مضطرب بالاصل ود والمثبت عن " ز "." (١)

"القاضي أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني أنشدنا أبو عبد الله الصوري الحافظ أنشدني أبو النمر أحمد بن عبد الرحمن بن قابوس (١) بن محمد بن خلف بن قابوس (١) اللغوي بطرابلس أنشدنا أبو نصر محمد بن محمد بن عمرو النيسابوري المعروف بالبنص لنفسه: سقطت نفوس بني الكرام فأصبحوا * يتطلبون (٢) مكاسب الأنذال ولقل (٣) ما طلب الزمان مساءتي * إلا صبرت وإن أضر بحالي نفسي تراودني وتأبى همتي * أن أستفيد غنى بذل سؤال قرأت بخط عبد الرحمن بن عمر بن نصر حدثني أبو القاسم عثمان بن محمد العراقي قاضي عين زربة (٤) وقد ولي حمص قال (٥) : حضرت مجلس الأمير سيف الدولة بحلب وقد وافاه القاضي أبو نصر محمد بن محمد القيسراني الملقب بالبنص (٦) فطرح من كمه كيسا فارغا ودرجا فيه شعر واستأذن الأمير في قراءته فأذن له فلما فرغ من إنشاده ضحك الأمير ضحكا شديدا وأمر له بألف درهم صحاح فجعلت في الكيس الذي جاء معه وكانت الأبيات: حباؤك معتاد وأمرك نافذ * وعبدك محتاج إلى ألف درهم ولم أحظ من إنشاد شعري بطائل * ولم أعط رزقا منذ شهر المحرم أروح وأغدو بين عسر وعلة * ودين وإفلاس وقلب مقسم * * تباعد مني ما توهمت قربه * فلم يبق مني الهم إلا توهمي (٧) أسائل عن أمري فأبقى لحيرتي * وطول اكتئابي باهتا مطبقا فمي (٨) لئن قلت أنشدت الأمير قصيدة *كوشي رياض جادها صوب مرزم فأطلق أرزاقي وأسنى عطيتي * وجاد بأفضال علي وأنعم كذبت وإن أصدق تكذب مقالتي * جميع البرايا من فصيح وأعجم

---

(١) في " ز ": في الموضعين نيروز

(٢) بالاصل: " يتطلبون في مكاسب " والمثبت عن " ز "

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٨٢/٥٤

(٣) في المختصر: وأقل

(٤) في معجم البلدان: عين زربى

(٥) الخبر بدون الشعر - باستثناء البيت الاول - في وفيات الاعيان ٣ / ٤٠٤ في ترجمة سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان

(٦) تحرفت في " ز " إلى: البنصر

(٧) عن " ز " وبالاصل: توهم

(٨) عن " ز " وبالاصل: فم." (١)

"قدم الشام غازيا (١) في ايام عمر بن عبد العزيز روى عنه نوح بن قيس الحداني الأزدي البصري أنبأنا أبو علي الحداد أنا أبو نعيم الحافظ نا عبد الله بن محمد نا محمد بن يحيي المروزي نا مرثد بن خداش نا نوح بن قيس حدثني محمد بن (٢) معبد أن عمر بن عبد العزيز أرسل بأسارى من أسارى الروم فادى بهم أسارى من أسارى المسلمين قال فكنت إذا دخلت على ملك الروم فدخلت عليه عظماء الروم خرجت قال فدخلت يوما فإذا هو جالس في الأرض مكتئبا حزينا فقلت ما شأن الملك فقال وما تدري ما حدث قلت وما حدث قال مات الرجل الصالح قلت من قال عمر بن عبد العزيز قال ثم قال ملك الروم إني لأحسب أنه لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى بن مريم لأحياهم عمر بن عبد العزيز ثم قال إني لست أعجب من الراهب أن أغلق بابه ورفض الدنيا وترهب وتعبد ولكن أتعجب ممن كانت الدنيا تحت قدميه فرفضها ثم ترهب أنبأنا أبو الغنائم محمد بن علي ثم حدثنا أبو الفضل أنا أبو الفضل وأبو الحسين (٥) والغنائم واللفظ له قالوا أنا أبو محمد زاد أبو الفضل ومحمد بن الحسن قالا أنا أحمد بن عبدان أنا محمد بن سهل أنا البخاري قال (٦) محمد بن معبد أدرك عمر بن عبد العزيز سمع منه نوح بن قيس (٧) أنبأنا أبو الحسين هبة الله بن الحسن وأبو عبد الله الحسين بن عبد الملك قالا أنا أبو القاسم بن مندة أنا حمد إجازة قال وأنا أبو طاهر أنا علي قالا أنا ابن أبي حاتم (٨) قال

---

(١) بالاصل: " عار " والمثبت عن د

(٢) بياض بالاصل والزيادة بين معكوفتين استدركت عن د

(٣) زيادة لازمة عن د

(٤) في د والمختصر: قدمه

(٥) في د: " الحسن "

(٦) التاريخ الكبير للبخاري ١ / ١ / ٢٣٩

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٨٩/٥٥

(٧) ما بين معكوفتين سقط من الاصل واستدرك عن د

(٨) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨ / ١٠٢." (١)

"فيا للدهر كيف يشهد بعدوا (١) * مصرا (١) يصطفى ويصبب ذفري يصيب عشيرتي ويصد عني * لعدة مدة وحمام قدر ومالي بعدهم في العيش خير * ولا أمل لو أن الدهر يدري تقول حليلتي وترى اكتئابي * وجسمي ما لجسمك كيف يجري فقلت لها مصائب موجعات * قرعن العظم ثم لحون ظهري أصبر بني الزبير فأفردوني * لأعدائي ولم يتركن وفري وإن الخير وأين الخير منا * أبا زيد قد أصبح زهر غبر ولم يترك لنا مثلا نراه * ببر في البلاد ولا ببحر هو الرحل المؤمل كان يرجى * لكل عظيمة ولكل أمر فشأن الدهر بعدك لا أبالي * بعسر كان بعدك أو بيسر فلا تبعد فقد أورثت حزنا * على الأكباد مثل رراه (٢) صخر *

٧٠٢٨ - محمد بن المنذر بن سعيد بن عثمان بن مردا س أبو عبد الرحمن ويقال أبو جعفر السلمي الهروي (٣) المعروف بشكر محدث مشهور صاحب رحلة وتصانيف سمع بدمشق يزيد بن محمد بن الصمد وسليمان بن أيوب بن (٤) حذلم وابا هبيرة محمد بن الوليد الهاشمي وإبراهيم بن بحر الدمشقي وابا علقمة عبد الله بن هارون الفروي وعمر بن شبة ومحمد بن رافع القشيري وعلي بن حرب ويوسف بن سعيد بن مسلم وأحمد بن عيسى وأبا أمية الطرسوسي وأحمد بن منصور الرمادي والفضل بن عبد الجبار الباهلي المروزي ومحمد بن سفيان المصيصي وعلي بن خشرم المروزي روى عنه المؤمل بن الحسن بن عيسى وأبو عمرو أحمد بن محمد بن أحمد الحيري وأبو حامد بن الشرقي وأبو بكر أحمد بن علي الحافظ ومحمد بن أحمد بن عمر وابا الحسن علي بن عيسى بن المثنى الماليني وأبو الوليد حسان بن محمد الفقيه وأبو

---

(١) كذا

٢ - () كذا

(٣) ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢ / ٧٤٨ والوافي بالوفيات ٥ / ٦٧ وسير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٢١ وشذرات الذهب ٢ / ٢٤٢ والعبر ٢ / ١٢٦

(٤) ما بين معكوفتين استدرك عن د ومكانه بياض بالاصل." (٢)

"حدثني حاتم بن قبيصة المهلبي حدثني عيسى بن أبي عيسى قال (١) صلى عمر بن عبد العزيز على مخلد بن يزيد بن المهلب ثم قال مات اليوم فتى العرب ثم أنشد متمثلا * على مثل عمرو تذهب النفس حسرة * وتضحى وجوه القوم مغبرة سودا * (٢) قال وأنا أبو عبيد الله إجازة نا ابن دريد أنا عبد الأول بن مرثد عن خالد بن خداش أن مخلد بن يزيد لما مات وقف عمر بن عبد العزيز على قبره وتمثل * على مثل عمرو يمهلك المرء حسرة * وتضحى وجوه القوم مسودة عندا * أخبرنا أبو بكر محمد بن نصر اللفتواني نا عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق أنا الحسن بن محمد بن معبد أنا أحمد بن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٥/٥٦

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣١/٥٦

محمد بن أحمد نا عبد الله بن محمد بن عبيد قال حدثت عن نصر بن علي بن وهب بن جرير عن أبيه عن يزيد بن حازم قال أو سمعت من محمد بن أبي عنبسة قال لما مات مخلد بن يزيد بن المهلب وقف عمر بن عبد العزيز على قبره فقال * على مثل عمرو تذهب النفس حسرة * وتضحى وجوه القوم مغبرة سودا * قال ونا عبد الله قال وحدثت عن خالد بن خداش قال لما مات مخلد بن يزيد رثاه حمزة بن بيض فقال (٣) * أمخلد هجت حزني **واكتئابي** * وفل عليك يوم هلكت نابي وعطلت الأسرة منك إلا * سريرك يوم تحجب بالثياب وآخر عهدنا بك يوم يحثى * عليك بدابق سهل التراب تركت عليك أم الفضل حرا * تلدد في معطلة خراب تنادي والها بالويل منها * وما داعيك مخلد بالمجاب أما لك أوبة ترجى إذا ما * رجا الغياب عاقبة الإياب وليت حريبتي فمضت وذخري * فكيف تصبري بعد احترابي

---

(١) الخبر والبيت في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٧٠ من طريق خالد بن خداش

(٢) الذي في سيرة عمر: وتضحي وجوه القوم مسودة غبرا

(٣) البيتان الثاني والثالث في وفيات الاعيان ٦ / ٢٨٦." (١)

"أبعدك ما بقيت (١) أبا خراش (٢) * وقد بغضتني برد الشراب * قال وكان مخلد يسمى أبا خداش أخبرنا أبو الحسين محمد بن كامل بن مجاهد أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة إجازة عن أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى نا ابن دريد أنا عبد الأول ابن مرثد عن خالد بن خداش قال وحدثني أحمد بن محمد الجوهري وأحمد بن إبراهيم البزار قالا نا الغنوي (٣) نا أبو مسلم المرعشي نا خالد بن خداش قال لما مات مخلد بن يزيد بن المهلب وقف عمر على قبره وتمثل * على مثل عمرو تهلك النفس حسرة * وتضحى وجوه القوم سودا مغبرة * ورثاه جمرة بن بيض الحنفي فقال * أمخلد هجت حزني **واكتئابي** * وفل عليك يوم هلكت نابي وعطلت الأسرة منك إلا * سريرك يوم تحجب بالثياب وآخر عهدنا بك يوم يحثى * عليك بدابق سهل التراب تركت عليك أم الفضل حرى * تلدد في معطلة خراب تنادي والها بالويل منها * وما داعيك مخلد بالمجاب أما لك أوبة ترجى إذا ما * رجا الغياب عاقبة الإياب وليت حريبتي فمضت وذخري * فكيف تصبري بعد احترابي * * لفقدك ما بقيت أبا خراش * وقد بغضتني برد الشراب * قال وحدثني أحمد بن محمد الجوهري وأحمد بن إبراهيم البزار قالا حدثنا الغزي (٤) نا أبو مسلم المرعشي نا خالد بن خداش قال مات مخلد بن يزيد بن المهلب وهو ابن ست وعشرين سنة وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وقام على قبره وقال لو أراد الله بيزيد خيرا لأبقى له هذا الفتى لقد كان من فتيان

---

(١) بالاصل: " أبعدك أبققيت " والمثبت عن م و " ز " ود

(٢) كذا بالاصل وم ود و " ز " هنا: خراش بالراء وسنبه المصنف أنكنية مخلد: أبو خداش

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٧٠/٥٧

(٣) كذا رسمها بالاصل وم و " ز " وفي د: الغزي

(٤) كذا بالاصل وم و " ز " هنا ومر قريبا: الغنوي وفي د هنا: العبري." (١)

"كذا في هذه الرواية ومروان لم يمت قبل أبيه فلعله ابن آخر سماه مروان (١) غير صاحب الترجمة وهذه القصة محفوظة لسليمان بن عبد الملك لما مات ابنه أيوب

٧٣٢٤ - مروان بن عبيد الله بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي (٢) له ذكر

٧٣٢٥ - مروان بن عثمان أبو الحسن السقلي المغربي الفقيه له شعر لا بأس به قدم دمشق سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ولقيه غيث بن علي بصور وأنشده شيئا من شعره حدثنا أبو عبد الله محمد بن المحسن بن أحمد بن الملحي وكتبه لي بخطه قال أبو الحسن مروان السقلي رجل صدر إمام زاهد فقيه عالم أحسن الناس خطا وأكثرهم في العلم حظا وصل إلى دمشق فأنزله الشيخ الأمين أبو محمد بن الأكفاني بمنزله وتكفل بجميع حوائجه مدة مقامه كان عنده ولم يكن يقبل الهدية ولا له في التكسب نية ولم يدرس أحدا ولا يكاد يظهر ولم أجتمع به إلا بعد أن استأذنه الشيخ ففسح في حضوري فحضرت ومعي الجمل (٣) وقرأت عليه منه كراسة واحدة وسار إلى بغداد واتصل بالخليفة وعزم عليه في تعليم ولده فدخل داره وهناك توفي رحمه الله وهو القائل * هل من لواعج هذا البين من جار * لمستهام غريب دمعه جاري حيران مغترب حران مكتئب * ذي مدمع (٤) سرب كالسيل خرار وكلما نسمت نجدية نظمت * ريح الجنوب تباريحي وأفكاري

---

(١) ذكر ابن سعد ٥ / ٢٢٣ في أسماء ولد عبد الملك: مروان الاكبر درج وأمه أم الوليد بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير العبسي ثم ذكر مروان صاحب الترجمة

(٢) له ذكر في جمهرة ابن حزم ص ٨٨

(٣) كتاب الجمل في النحو وهو تأليف عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم البغدادي الزجاجي النحوي: ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥ / ٤٧٥

(٤) الاصل: دمع والمثبت عن م و " ز "." (٢)

"٧٨٨٠ - نصر الشيباني شاعر قدم دمشق ذكر لي شيئا من شعره أبو عبد الله بن الملحي ثنا أبو عبد الله محمد بن المحسن بن أحمد السلمي في ذكر من اجتمع به ممن وصل إلى دمشق من أهل الأدب قال رجل شيخ شيباني اسمه نصر يشعر بالطبع ما ينال به النفع وهو القائل * هبت معادية ريح الصبا فصبا * صب (١) يكابد من أشجانه وصبا وافت بريا حبيب النفس واحتملت * ما حمل العاشقون الرسل والكتبا وأنذرت بوفاء العهد وانصرفت * عني ولم يعلم الواشون والرقبا يا انجم الليل أقري من أحبهم * مني السلام وكوني بيننا كتبا وخبريهم بأني بعد بينهم * ما بت إلا قريح القلب مكتئبا قد ادعوا شوقهم مثلي فقلت لهم * شوق بشوق وتسهيد الجفون ربا * وآخرها (٢) والرسم للعبد عشر من مواهبكم * ولو

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٧١/٥٧

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣١٢/٥٧

رجاها من الياقوت ما عربا *

٧٨٨١ - نصيب بن رباح أبو محجن مولى عبد العزيز بن مروان (٣) اشتراه من بني كنانة وأعتقه ويقال كان مولى لخزاعة ويقال بل كان أبوه (٤) من العرب وكانت أمه نوبية فجاء أسود فباعه عمه ووفد على عبد الملك وسليمان وعمر ويزيد وهشام أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا عبد الوهاب بن علي بن عبد الوهاب أنا علي ابن عبد العزيز قال قرئ على أحمد بن جعفر بن محمد نا الفضل بن الحباب نا محمد بن سلام الجمحي قال (٥) في الطبقة الثامنة (٦) من شعراء الإسلام عبد الله بن قيس والأحوص وجميل بن

---

(١) بالاصل: شب والمثبت عن " ز " وم

(٢) قوله: وآخرها سقط من م

(٣) ترجمته وأخباره في الاغاني ١ / ٣٢٤ والشعر والشعراء ص ٢٤٢ ومعجم الادباء ١٩ / ٢٢٨ وسير أعلام النبلاء ٥ / ٢٦٦ وطبقات فحول الشعراء ص ١٨٦

(٤) بالاصل: أبيه والمثبت عن " ز " وم

(٥) طبقات فحول الشعراء ص ١٨٦

(٦) كذا بالاصل وم و " ز " وقد ورد في طبقات فحول الشعراء في الطبقة السادسة." (١)

"أخبرتنا أم الفتح أمة السلام بنت أحمد بن كامل القاضي قالت نا أبو الطيب محمد بن الحسن بن حميد بن الربيع اللخمي قالوا أنا أبو القاسم هارون بن إسحاق الهمداني ح وأخبرنا أبو محمد بن طاوس أنا عاصم بن الحسن بن محمد أنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن (١) مهدي نا الحسين بن إسماعيل المحاملي قالوا نا هارون بن إسحاق زاد أبو يعلى الهمداني (٢) حدثني وقال بعضهم حدثنا محمد بن عبد الوهاب زاد أكثرهم القناد (٣) عن مسعر عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن يحيى بن طلحة عن أمه سعدى المرية قالت مر عمر بطلحة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال مالي أراك مكتئبا أيسوءك وقال البغوي أساءك وقال اللخمي وابن أبي حاتم أساءتك إمرة (٤) ابن عمك (٥) قال لا ولكن (٦) وقال الميانجي ولكني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته (٧) إلا كانت نورا لصحيفته وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت زاد اللخمي وابنأبي حاتم فقبض ولم أسأله قال وقال ابن المقرئ فقال أنا أعلمها هي الكلمة التي أراد عليها عمه زاد ابن أبي حاتم يعني لا إله إلا الله ولو أعلم أن شيئا وقال البغوي ولو علم شيئا أنجى له منها لأمره زاد المحاملي به

[١٣١٣٨] أخرجه النسائي عن هارون أخبرناه أبو القاسم إسماعيل بن حمد أنا أبو الحسين بن النقور أنا عيسى بن علي أنا عبد الله بن محمد نا يحيى بن عبد الحميد الحماني نا داود بن علية عن مطرف عن عامر عن يحيى بن طلحة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٥٢/٦٢

قال مر بي عمر بن الخطاب وأنا كئيب حزين فذكر معنى الحديث علي بن مسهر (٨)

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من الاصل واستدرك عن م و " ز "

(٢) في " ز ": الهمذاني

(٣) تحرفت في " ز " إلى: العباد وفي م: " العداد " راجع ترجمته في تهذيب الكمال ١٧ / ١٧

(٤) تقرأ بالاصل و " ز ": امرأة " خطأ والتصويب عن م

(٥) زيد بعدها في " ز " وم: وقال معلى: ما لك **مكتئبا** أساءتك إمرة ابن عمك في " ز ": امراة "

(٦) بالاصل و " ز ": ولكني والمثبت عن م

(٧) سقطت من الاصل واستدركت عن " ز " وم

(٨) كذا بالاصل وم: " علي بن مسهر " وفي " ز ": " ابن مسعر " ولعل الصواب: " فذكر معني الحديث عن مسعر "."

(١)

"أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد أنا أبو نعيم الحافظ أنا أحمد بن جعفر بن حمدان نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي نا إبراهيم بن إسحاق نا ضمرة بن ربيعة نا بلال بن كعب قال مر أبو حازم بأبي جعفر المديني وهو **مكتئب** حزين فقال ما لي أراك **مكتئبا** حزينا وإن شئت أخبرتك قال أخبرني ما وراءك قال ذكرت ولدك من بعدك قال نعم قال فلا تفعل فإن كانوا لله أولياء فلا تخف عليهم الضيعة وإن كانوا لله أعداء فلا تبال ما لقوا بعدك أخبرنا أبو الحسن بن قبيس أنا أبو الحسن بن أبي الحديد أنا جدي أنبأ أبو محمد بن زبر نا إسماعيل بن إسحاق نا نصر بن علي قال أخبرنا الأصمعي نا نافع عن أبي جعفر القارئ قال قال لو أن لي مثل أحد ذهبا كنت أفعل كذا وأفعل كذا وكذا وأفعل كذا وكذا أنبأنا أبو نصر بن الطوسي وأبو الحسن بن الزغواني قالا أنا أبو الحسين الصيرفي أنبأ محمد بن سعيد بن يعقوب أنا عمر بن محمد بن سيف نا عبد الله بن أبي داود نا يونس بن حبيب عن قتيبة بن مهران عن سليمان بن مسلم قال (١) شهدت أبا جعفر حين حضرته الوفاة جاءه أبو حازم الأعرج ومشيخة معه من جلسائه فأكبوا عليه يصرخون به فلم يجبهم قال شيبة وكان ختنه على ابنه أبي جعفر ألا أريكم منه عجبا قالوا بلى فكشف عن صدره فإذا دوارة بيضاء مثل اللبن فقال أبو حازم وأصحابه هذا والله نور القرآن قال سليمان فقالت لي أم ولده من بعدما مات أبو جعفر فإن ذلك البياض حين مات صار غرة بيضاء بين عينيه قرأت على أبي محمد السلمي عن أبي محمد التميمي أنا مكي بن محمد أنا أبو سليمان بن زبر قال سنة تسع (٢) وخمسين ومائة قال أبو موسى فيها مات أبو جعفر القارئ

---

(١) رواه الذهبي في معرفة القراء الكبار ١ / ٧٥

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٨٦/٦٤

(٢) من هنا

إلى آخر الخبر مكانه بياض في " ز " وكتب على هامشه: مقصوص بالاصل." (١)

"حكى عمن حدثه قال كان لنا شيخ قد صحبناه نتأدب به فكنا معه فاشتد بنا الجوع فشكونا إليه ما نجده من شدة الجوع فقال ويعرض لكم الجوع ثم قال أما إنكم لا تصحبوني بعدها ثم أخذ إزارا فتباعد عنا ونحن ننظر إليه فجعل يسفي (١) فيه الرمل ثم جمع طرفيه وحمله على كتفه وجاءنا به فوضعه بين أيدينا ثم قال كلوا فإذا هو خبز حار فأكلنا ومضينا وما قدرنا نصحبه بعدها

٨٤٦٦ - أبو الحسن الدويدة شاعر مشهور حج واجتاز بدمشق في طريقه وقيل اسمه علي بن أحمد بن محمد ومن شعره * ستور بيتك ذيل الأمن منك وقد * علقتها مستجيرا أيها الباري وما أظنك لما أن علقت بها * خوفا من النار تدنيني من النار وها أنا جار بيت قلت أنت لنا * حجوا إليه وقد أوصيت بالجار * وولد له ولد على كبر فقال * رزقتك يا محمد بعد يأس * وقد شابت من الرأس القرون فبعضي ضاحك طربا وبعضي * من الإشفاق مكتئب حزين مخافة أن تروعك الليالي * بفقدي أو تعاجلك المنون * وله في أبي اليسر شاكر بن زيد بن عبد الواحد بن سليمان * يا أبا اليسر غدا اليس * ر بكفيك دفاقا (٢) فقت في السبق إلى السؤ * دد والمجد البراقا (٣) بالذي زادك ما زا * د أعاديك احتراقا لا تقل إن لم أكن ذا * حاجة لا نتلاقى (٤) إنما أدعوك للأم * ر إذا اشتد وضاقا *

---

(١) سفت الريح التراب واليبيس والورق تسفيه سفيها: ذردته أو حملته والسفى: وإن لم تسفه الريح

(٢) سيل دفاق بالضم يملا جنبتي الوادي والدفاق أيضا: المطر الواسع الكثير

(٣) البراق: كغراب اسم دابة ركبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج وكانت دون البغل وفوق الحمار سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه وقيل: لسرعة حركتها (تاج العروس: برق)

(٤) في مختصر أبي شامة: نتلاقا." (٢)

"فرق له معاوية وكتب له إلى ابن أم الحكم كتابا عظيما وكتب في آخره * ركبت أمرا عظيما لست أعرفه * أستغفر الله من جور امرئ زاني قد كنت تشبه صوفيا له كتب * من الفرائض أو آيات فرقان حتى أتاني الفتى العذري منتحبا * يشكو إلى بحق غير بهتان أعطي الإله عهودا لا أخيس بها * أو لا فبريت (١) من دين وإيمان إن أنت راجعتني فيما كتبت به * لأجعلنك لحما بين عقبان طلق سعاد وفارقها بمجتمع * أشهد على ذلك نصرا وابن ظبيان فما سمعت كما بلغت من عجب * ولا فعالك حقا فعل إنسان * فلما ورد كتاب معاوية على ابن أم الحكم تنفس الصعداء وقال وددت أن امير المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلا يقدر فلما أزعجه الوفد (٢) طلقها ثم قال يا سعاد اخرجي فخرجت شكلة (٣) غنجة ذات هيئة وجمال فلما رآها الوفد قالوا ما تصلح إلا لأمير المؤمنين لا

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٦٠/٦٥

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٤٥/٦٦

لأعرابي وكتب جواب كتابه * لا تحنثن أمير المؤمنين فقد * أوفى بعهدك في رفق وإحسان وما ركبت حراما حين اعجبني * فكيف سميت باسم الخائن الزاني وسوف تأتيك شمس لا خفاء بها * أبهى البرية من إنس ومن جان حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت * أقول ذلك في سري وإعلاني * فلما ورد الكتاب على معاوية قال إن كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهي اكمل البرية فاستنطقها فإذا هي أحسن الناس كلاما وأكملهم شكلا ودلا فقال يا اعرابي هل من سلو عنها بأفضل الرغبة قال نعم إذا فرقت بين رأسي وجسدي ثم أنشأ الأعرابي يقول * لا تجعلني والأمثال تضرب لي * كالمستغيث من الرمضاء بالنار اردد سعاد على حيران مكتئب * يمسي ويصبح في هم وتذكار

---

(١) كذا

(٢) بالأصل: الوعد والمثبت عن مختصر ابن منظور

(٣) الشكل: غنج المرأة وغزلها وحسن دلها." (١)

"قال إسماعيل بن يسار النسائي قصيدته التي أولها:

ما على رسم منزل بالجناب «١» لو أبان الغداة رجع الجواب

غيرته الصبا وكل ملث «٢» دائم الودق «٣» مكفهر السحاب

دار هند وهل زماني بهند عائد بالهوى وصفو الجناب

كالذي كان والصفاء مصون لم تشبه بهجرة واجتناب

ذاك منها إذ أنت كالغصن غض وهي رؤد «٤» كدمية المحراب

غادة تستبي العقول بعذب طيب الطعم بارد الأنياب

وأثيث «٥» من فوق لون نقي كبياض اللجين في الزرياب «٦»

فأقل الملام فيها وأقصر لج قلبي من لوعة واكتئاب

صاح أبصرت أو سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب «٧»

وقال فيها يفخر على العرب بالعجم:

رب خال متوج لي وعم ماجد مجتدى كريم النصاب

إنما سمي الفوارس بالفر س مضاهاة رفعة الأنساب

فاتركي الفخر يا أمام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب

واسألي إن جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الأحقاب

إذ نربي بناتنا وتدسو ن سفاها بناتكم في التراب «٨»." (٢)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٤٥/٦٨

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٢٥/٧١

"بقين [فقال عمر: كيف تلومونني على ابن عباس؟] «١» .

وعن ابن عباس قال «٢» : كان عمر يجلس مع الأكابر من أصحاب محمد، ويقول لي:

لا تكلم حتى يتكلموا، ثم يسألني، ثم يقبل عليهم، فيقول: ما يمنعكم أن تأتوني بمثل ما يأتيني به هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه؟! «٣» .

وفي حديث آخر عن ابن عباس قال «٤» : كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر، ويأذن لي معهم. قال: فقال بعضهم: يأذن لهذا الفتى معنا ومن أبنائنا من هو مثله، فقال عمر: إنه ممن قد علمتم. قال: فأذن لهم ذات يوم، وأذن لي معهم فسألهم عن هذه السورة: إذا جاء نصر الله والفتح

وساق الحديث بمعنى ما تقدم.

وعن الزهري قال «٥» : قال المهاجرون لعمر: ألا ندعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟

قال: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا وقلبا عقولا. وعن ابن عباس قال «٦» : قدم على عمر رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قرأ منهم القرآن كذا وكذا، فقال ابن عباس: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة. قال: فزبرني عمر ثم قال: مه، قال: فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا، فقلت: قد كنت نزلت من هذا الرجل بمنزلة ما أراني إلا أني قد سقطت من نفسه، قال: فرجعت إلى منزلي فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع، وما هو إلا الذي نقلني به عمر، قال: فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال: أجب أمير." (١)

"(رزقتك يا محمد بعد يأس ... وقد شابت من الرأس القرون)

(فنصفي ضاحك فرحا ونصفي ... من الأحزان مكتئب حزين)

(مخافة أن تروعك الليالي ... بفقدي أو تعاجلك المنون)

(ومع ذا إنني أرجو صلاحا ... وسبحان العليم بما يكون) // الوافر //

٤٨٦ - أبو محمد هذا على ما حكاه لي ولد بالمعرة ودخل أصبهان وغيرها من بلاد الشرق ثم استوطن مصر وقد حج ورأى نفرا من أدباء بلده وكان يحفظ من شعرهم يسيرا ومن جملتهم أبو العلاء التنوخي سمعته يقول دخلت على أبي العلاء وأنا صبي مع عمي أبي طاهر نزوره فرأيته قاعدا على سجادة لبد وهو يسبح فدعا لي ومسح على رأسي وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيه إحداهما بادرة والأخرى غائرة جدا وهو مجدر الوجه نحيف الجسم

٤٨٧ - أنشدني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الإيادي المعري بالإسكندرية قال أنشدني أبو الحسن علي بن محمد البديع المعري بمعرة النعمان لنفسه

(يا رب أنت المستعان ... ومنك يلتمس الغنى)

(أرزق لأولاد الحلال ... حظوظ أولاد الزنى) // الكامل //

قال وأنشدني أبو الحسن علي بن محمد البديع المعري لنفسه بالمعرة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٨٧/٧٣

(لو أن للدنيا على ما أرى ... عند مليك الملك قدر نفيس)

(لم يسق منها لا ابن عون ولا البعدي ... نزر الماء ماء الحريس)

(لكنها خست لديه فما ... يرزق فيها الحظ إلا الخسيس) // السريع //." (١)

"مقام الحي مر له ثمان ... إلى عشرين قد بلى المقام

تعالى فوق أجرعك الخزامي ... بنور، واستهل بك الغمام

وقال البحتري:

ما على الركب من وقوف الركاب ... في مغاني الصبى ورسم التصابي

أين أهل القباب بالأجزع الفر ... د، تولوا، لا أين أهل القباب!

عرجوا فالدموع إن أبك في الرسم ... ، دموعي والاكتئاب اكتئابي

وكمثل الأحباب لو يعلم العا ... ذل عندي منازل الأحباب

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أمن رسم دار دمعك المترقرق ... سفاها، وما استنطاق ما ليس ينطق

بحيث التقى جمع ومفضى محسر ... معالمه كادت على العهد تخلق

ذكرت بها ما قدمضى وتذكر ال ... حبيب، ورسم الدار مما يشوق

ليالي من دهر إذ الحي حيرة ... وإذ هو مأهول الخميلة مونق

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي:

أمن آل سلمى الرسم أنت مسائل ... نعم، والمغاني قد درسن مواثل

فظلت بها تفضي على حد عبرة ... كأنك من تجريبك الدهر جاهل

وقد كان ما فيه لذي اللب عبرة ... ورأى لذي رأي، فهل أنت عاقل؟

تذكر إخوان مضوا فتتابعوا ... وشيب علا منك المفارق شامل

وقال ذو الرمة:

أهاجتك أطلال الرسوم الدوائر ... بأدعاص حوضي المغنقات النوادر

نعم هاجت الأطلال شوقا كفى به ... من الشوق إلا أنه غير ظاهر

فما زلت أطوى النفس حتى كأنها ... بذي الرمث لم تخطر على بال خاطر

حياء وإشفاقا من الركب أن يروا ... دليلا على مستودعات الضمائر

وقال مهيار:

ورب رسم ماثل ... أعجم ثم بينا

---

(١) معجم السفر أبو طاهر السِّلَفي ص/١٥٦

وقال: من هنا طع ... ن، وغربن من هنا

يا بأبي المسكون لو ... أني وجدت السكنا

قالوا: النوى تسمية ... والموت يعني من عنى

من اشتكى أشجانه ... فما أحس الشجنا

كان فؤادي وهم ... فظعنوا وظعنا

لم يترك الغادون لي ... قلبا نجن الحزنا

وقال المرتضى – رضي الله عنه –:

ما بال رسم بكثيب الحمى ... عطلا بلا شاء ولا جامل

حالت مغانيه ووجدي به ... غض جديد ليس بالحائل

لو أبصرتني ناحلا عينه ... لاستأنس الناحل بالناحل

وقال القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين، المعروف بابن الحباب:

أجدك لا تراك العين تذرى ... عقيقا كلما لاح العقيق

سقى رمل الحمى ورسوم مغنى ال ... لوى هزج يروق بما يريق

فيكسو عاطل الهضبات روضا ... له من زهره حلى أنيق

أراق الطل مدمعه عليه ... وشق جيوبه فيه الشقيق

وقلت:

وقفت على رسم ببيداء بلقع ... خلي من النادي صموت إذا دعي

نبت عنه عيني ثم قال لها البلى ... : هي الدار فاذرى من دموعك أو دعي

ولا تنكرن للدهر إخلاق جدة ... وتشتيت آلاف وإيحاش مجمع

فللموت سكان الديار، وللبلى ... منازلهم، وشملهم للتصدع

فصبرا فإن رد التفجع والأسى ... عليك الذي ولى من الأمر فاجزع

وقال الشماخ بن ضرار:

طال الثواء على رسم بتمثود ... أودي، وكل جديد مرة مود

دار الفتاة التي كنا نقول لها ... يا ظبية عطلا حسانة الجيد

وقال البحتري:

ولقد نهيت الدمع يوم سويقة ... فأبت غوالب عبرة ما تلب

عفت الرسوم، وما عفت أحشاؤه ... من عهد شوق ما يزول فيذهب

ولو أنني أنصفت في حكم الهوى ... ما شمت بارقة ورأسي أشيب

وقال أبو العتاهية:

سل الأيام عن أمم تقضت ... ستخبرك المعالم والرسوم
تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يا نئوم
تروم الخلد في دار المنايا ... وكم قد رام قبلك ما تروم
ألا يأيها الملك المرجى ... عليك نواهض الدنيا تحوم
لأمر ما تصرفت الليالي ... وأمر ما تقلبت النجوم
فصل آخر في ذكر الرسم
قال مالك بن معاوية بن سلمة القشيري:
تذكرت من سلمى وذو الشوق ذاكر ... وحاجة من لم تقض داء مخامر
تذكر ذي شوق وهاج صبابة ... خيال سليمى والرسوم الدوائر." (١)
"لكن دمع الحزن يحسب قطره ... ماء برودا، وهو جمر مضرم
وإذا رأيتك قفرة من معشري ... وبني أبي، وهم لعمرك ما هم؟!
فكأنني عاينت حفرة مالك ... وكأنني
وجدا عليه
متمم
وقلت:
وا وحشتي في الدار لما أصبحت موشحة من الظباء العين
كانت عرينا، وكناسا فاغتدت ... مقفرة الكناس والعرين
تقارن الأسد بها عين المها ... والدهر قطاع قوى القرين
فأصبحت كما ترى ليس بها ... إلا دواعي الوجد والحنين
وقلت:
نظرت إلى دار الأحبة قفرة ... وقد كان فيها العز والكرم المحض
فلما رأى صحبي عليها تلددي ... ودمعي بكى بعض وعنفني بعض
وقالوا: أفق، للأرض تبكي؟ فقلت: لا ... ولكنني أبكي لمن وارث الأرض
وقلت:
يا دار إن بخلت على ... مغناك سارية العهاد
فلأمطرنك من دمو ... عي ما ينوب عن الغوادي
حتى تعود رباك حا ... لية مفوفة الوهاد

---

(١) المنازل والديار أسامة بن منقذ ص/٤٣

كم حل ربعك من غض ... يض الطرف ممنوع الوداد
يستوقف الأبصار فه ... ي عليه حائمة صوادي
فرمت جموعهم اللي ... الي بالتشتت والبعاد
وصروف هذا الدهر تط ... رق بالحوادث أو تغادي
عاداتها رد الأمو ... ر من الصلاح إلى الفساد
يحسن لا عمدا ويأ ... تين الإساءة باعتماد
وقلت:
ما أنت أول من تناءت داره ... فعلام قلبك ليس تخبو ناره؟
إما السلو أو الحمام، وما سوى ... هذين قسم ثالث تختاره
ما بعد يومك من لقاء يرتجى ... أو يلتقي جنح الدجى ونهاره
هذا وقوفك للوداع وهذه أظعان من تهوى وتلك دياره
فاستبق دمعك فهو أول خاذل ... بعد الفراق، وإن طما تياره
مدد الدموع يقل عن أمد النوى ... إن لم تكن من لجة تمتاره
وقلت – وكتبت بها إلى أخي عز الدولة أبي الحسن علي بن مرشد بن علي بن مقلد – رحمه الله – وأنا بالعسكر الأتابكي بإربل:
وإن امرأ أضحت بإربل داره ... وفي سيزر إخوانه وشجونه
لغير ملوم في الحنين إليهم ... ومعذورة أن تستهل جفونه
وقال أخي عز الدولة أبو الحسن علي – رحمه الله –:
فيا أيها الدار التي شط أهلها ... وبالرغم مني أن سكانها شطوا
رضيت بحكم الدهر فيك وإنما ... رضى من نأت أحبابه بالنوى سخط
بهم كانت الدنيا التي غدرت بهم ... كأنهم فيها الحيا، والورى قحط
تزيد بهم هذي البسيطة بسطة ... ومن مثلهم يستحسن القبض والبسط
أعارتهم الأيام وارتجعتهم ... وكل بخيل في مواهبه ضبط
فصل آخر في ذكر الدار
قالت محبوبة الهذلية:
بان الخليط وخف حاضره ... لما دعا بالبين طائره
يا أنسنا من قرب دارهم ... قبل الذي كنا نحاذره
وتخلفت من بعد فرقتهم ... أوصال صب سار سائره
يا للرجال لأسر مرتهن ... جلب البلاء عليه ناظره

لم يغن عنه عز أسرته ... شيئا، ولم تنفع معاشره
هذي موارد ما بليت به ... والله أعلم ما مصادره
وقال آخر:
يقول خليلي يوم أكثبة النقا ... وعيناي من فرط الهوى تكفان
أمن أجل دار بين لوذان والنقا ... غداة اللوى عيناك تبتدران؟!
فقلت له: لا، بل قذيت، وإنما قذى العين مما هيج الطللان
فؤاد إذا ما قلت يصحو جلبتما ... عليه الهوى والشوق كل أوان
وقال الراجز:
هل تعرف الدار بأعلى ذي القور ... قد درست غير رماد مكفور
مكتئب اللون مراح ممطور ... أزمان عيناء سرور المسرور
عيناء حوراء من العين الحور وقال آخر
يا دار ما للكرب حين وقفتهم ... ما إن سقاك من الدموع لماظ
ترك الغرام عقولهم مشدوهة ... فتخالهم رقدوا وهم أيقاظ
عهدي بظلك والشباب نزيله ... أيام ربعك للحسان عكاظ
وقال الشريف الرضي – رضي الله عنه –:
أمن أجل دار بالمصلى إلى منى ... تعاد كما عيد السليم المؤرق؟!
حنينا إليها والتواء من الجوى ... كأنك في الحي الولود المطرق
أجل تراب الأرض كانوا حلولها ... وأجزع من مرى عليها وأشفق." (١)

"الأشم ثم أرسل غلاما له إلى الحجاج بن علاط فقال له ويلك ماذا جئت به وماذا تقول ما وعد الله خير مما جئت به قال فقال الحجاج بن علاط اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له ليخل لي في بعض بيوته لأتيه فإن الخبر على ما يسره قال فجاء غلامه فلما بلغ الباب قال ابشر يا أبا الفضل قال فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال الحجاج فاعتقه قال ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر وغنم أموالهم وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى صفية بنت حيي واتخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها وتكون زوجة أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجة ولكني جئت لما لي كان ههنا أردت أن أجمعه فاذهب به فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي أن أقول ما شئت فأخف عني ثلاثا ثم أذكر ما بدا لك قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع فدفعته إليه ثم انشمر به فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك فأخبرته أن قد ذهب يوم كذا وكذا وقالت لا يحزنك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك قال أجل لا يحزنني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا فتح الله خيبر

---

(١) المنازل والديار أسامة بن منقذ ص/٧٢

على رسوله وجرت سهام الله في أموالهم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه فإن كان لك حاجة في زوجك فالحقي به قالت أظنك والله صادقا قال فإني والله صادق والأمر على ما أخبرتك قال ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل قال لم يصبني إلا خير بحمد الله لقد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر فتحها الله على رسوله وجرت سهام الله فيهم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثا وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء ههنا ثم يذهب فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين وخرج المسلون ممن كان دخل بيته **مكتئبا** حتى دخل أبو الفضل العباس فأخبرهم الخبر فسر المسلمون ورد الله تعالى ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين

ومن المنقول عن نعيم بن مسعود قال أخبرنا." (١)

"يرفع قدما إلا كتب له بها حسنة، ولا يضع قدما إلا حط عنه بها خطيئة»

٤٢٠ – أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أنبأ أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأ علي بن محمد المعدل، قال: أنبأ دعلج، قثنا الحسين بن إدريس الهروي، قثنا أحمد بن خالد الخلال، قثنا الحسن بن بشر، قثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن عطاء، عن ابن عباس أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه رجل، فسلم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان، مالي أراك **مكتئبا** حزينا؟ قال: يا ابن عم رسول الله، لفلان علي حق، لا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك إن أحببت؟ قال: فانتعل ابن عباس، ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم، يقول: «من مشى في حاجة أخيه، وبلغ فيها، كان خيرا له من اعتكاف سنتين، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى، جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق، أبعد ما بين الخافقين»

٤٢١ – أخبرنا عبد الأول بن عيسى، قال: أنبأ عبد الله بن محمد الأنصاري، قال: أنبأ محمد بن المنتصر الباهلي، قثنا محمد بن يعقوب بن إسحاق،." (٢)

"فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله عز وجل. فيقال له: نم هنيا طبت حيا وميتا. وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرشه فراشا من الجنة ودثارا من الجنة،

ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم القيامة.

وقف بعض الحكماء على المقابر فقال: يا أهل القبور، أصبحتم نادمين على ما خلفتم في البيوت، وأصبحنا نقتتل على ما ندمتم عليه، فما أعجبنا وأعجبكم!

(يا أيها الواقف بالقبور ... بين أناس غيب حضور)

(قد أسكنوا في خرب مغمور ... بين الثرى وجندل الصخور)

---

(١) الأذكياء ابن الجوزي ص/٣٢

(٢) البر والصلة لابن الجوزي ابن الجوزي ص/٢٤٠

(ينتظرون صيحة النشور ... لا تك عن حظك في غرور)

قال بعض الصالحين: صليت ركعتين في الليل ثم وضعت رأسي على قبر ثم نمت، فإذا صاحب القبر يقول: لقد آذيتني منذ الليلة، إنكم تعلمون ولا تعملون، ونحن نعلم ولا نعمل ولا نقدر على العمل، إن الركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها. ثم قال: جزى الله أهل الدنيا عنا خيرا أقرئهم منا السلام فإنه يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال.

كان الربيع بن أبي راشد يخرج إلى الجبان فيقيم طول النهار ويرجع مكتئبا فيقول له إخوانه وأهله: أين كنت؟ فيقول: كنت في المقابر، نظرت إلى قوم قد منعوا ما نحن فيه.

(طالما صعروا الخدود وهزوا ... الأرض في يوم محفل وركوب)

(ثم أمسوا وفد القبور سكان أطباق ... الثرى تحت جندل منصوب)

(كم كريم منهم يرى الوعد بخلا ... مستقل لكثرة الموهوب)

(رد عني غرب الملام خليلي ... إن نفسي صارت علي حسيبي)

(وتنحيت عن طريق اللاهي ... والملاهي وقلت للنفس توبي)." (١)

"(وتدبر ما صنعت فلقد ... أبدت بصنايعها عجبا)

(ينساك الأهل إذا رجعوا ... عن قبرك لا تسمع كذبا)

(تركوك أسيرا إذ ذهبوا ... بتراب ضريحك محتجبا)

(وغدوا فرحين بما أخذوا ... وغدوت باثمك محتقبا)

(وترى أعمالك قد حضرت ... فتنكس رأسك مكتئبا)

(فكر في الذنب وما احتقبت ... كفاك عليك وما اكتسبا)

(كم بت على ذنب فرحا ... وغدوت على ذنب طربا)

(وعلمت بأن الله يرى ... فأسأت ولم تحسن أدبا)

(فأعد الزاد فما سفر ... كالموت ترى فيه نصبا)

(وافق والعمر به رمق ... فكأن قد فات وقد ذهبا)

يا كثير الدرن والدنس يا من كلما قيل أقبل انتكس يا من أمر بترك ما يفنى لما يبقى فعكس جاء الأجل وحديث الأمل هوس يا مؤثرا على الصواب عين الغلط يا جاريا في أمره على أقبح نمط يا مضيعا وقته المغتم الملتقط أي شيء بقي بعد الشمط أتنسى ما سلف لك وفرط وأبوك بزلة واحدة هبط ما عندك من التوبة خبر ولا لها فيك أثر تنوب من الذنب فإذا بدا لك بدا لك

من علم أن عندنا حسن المآب آب من خاف الجزاء بما في الكتاب تاب من حذر أليم العذاب ذاب من سار في طريق الإيجاب انجاب من ذكر فعل الموت بالأب والجد جد من تفكر في مرارة الكأس كاس ويحك دع محبة الدنيا فعابر السبيل

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ٤٨٥/١

لا يتوطن واعجبا تضيع منك حبة فتبكي وقد ضاع عمرك وأنت تضحك تستوفي مكيال هواك وتطفف في كيل صلاتك ﴿ألا بعدا لمدين﴾ تقف ببدنك في المحراب ووجهك ملتفت للجراب ما يصلح مثلك في الجرب أنت تفضح صف الجهاد ما تحسن الزردية على مخنث خمسين سنة في مكتب التعليم وما حذقت أبا جاد غدا توبخ وقت عرض ألواح ﴿أولم نعمركم﴾ بضاعتك أيام عمرك وقد انتهبها." (١)

"وآخر المعاصي عقاب فلا يخدعنك ضياء ضباب ولا يطعمنك شراب سراب فمجيء الدنيا على الحقيقة ذهاب وعمارة الفاني إن فهمت خراب وفرح الغرور ثبور **واكتئاب** ودنو الشيب ينسخ ضياء الشباب وكلما نادى الأمل ﴿أبلغه مأمنه﴾ صاح الأجل ﴿فضرب الرقاب﴾ يا تايها في ظلمة ظلمه

يا موغلا في مفازة تيهه يا باحثا عن مدية حتفه يا حافرا زبية هلكه يا معمقا مهواة مصرعه بئس ما اخترت لأحب الأنفس إليك ويحك تطلب الجادة ولست على الطريق كم فغر الزمان بوعظه فما سمعت ﴿لينذر من كان حيا﴾ كيف تطيب الدنيا لمن لا يأمن الموت ساعة ولا يتم له سرور يوم إذا كان عمرك في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى لقد نصبت لك اشراك الهلاك والأنفاس أدق الحبائل يا ماشيا في ظلمة ليل الهوى لو استضئت بمصباح الفكر فما تأمن من بئر بوار الشهوات مبثوثة في طريق المتقين وما يسلم من شرها شره الأولياء في حرم التقوى ﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ الدنيا مثل منام والعيش فيها كالأحلام قيل لنوح عليه السلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار ذات بابين دخلت من باب وخرجت من باب

(فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا)

يا ثقيل النوم أما تنبهك المزعجات الجنة فوقك تزخرف والنار تحتك توقد والقبر إلى جانبك يحفر وربما يكون الكفن قد غزل أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم يا حاضرا يرى التائبين وهو في عداد الغائبين

(واقف في الماء عطشان ... ولكن ليس يسقي)

عاتب نفسك على هواها فقد وهاها قل لها ادراجي درج المدرج وقد لاحت مني لا يوقفنك في الطريق طاقة من أم غيلان فالخبط." (٢)

"الفصل التاسع والسبعون

يا هذا قد سمعت أخبار المتقين فسر في سربهم وقد عرفت جدهم فتناول من شربهم ثم سل من أعانهم يعنك فما كان بهم لابن هندو

(لا يؤيسنك من مجد تباعده ... فإن للمجد تدريجا وترتيبا)

(إن القناة التي شاهدت رفعتها ... تنمي وتنبت أنبوبا فأنبوبا)

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٢٠٣

(٢) المدهش ابن الجوزي ص/٣١٣

إستغنى القوم بطبيبهم عن مدح خطيبهم فاسلك طريقهم تكن رفيقهم

لابن الرومي

(وسائل عنهم ماذا يقدمهم ... فقلت فضل به عن غيرهم بانوا)

(صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا ... منهن في سبل العلياء ما صانوا)

(المنعمون وما منوا على أحد ... يوما بنعمي ولو منوا لما مانوا)

(قوم يعزون إن كانت مغالبة ... حتى إذا قدرت أيديهم هانوا)

أطار خوف النار نومهم وأطال ذكر العطش الأكبر صومهم يحسبهم الناظر مرضى الأبدان وإنما بهم سقام الأحزان

(مكتئب ذو كبد حوى ... تبكي عليه مقلة عبرى)

(يرفع يمناه إلى ربه ... يشكو وفوق الكبد اليسرى)

(يبقى إذا حدثته باهتا ... ونفسه مما به سكرى)

(تحسبه مستمعا ناصتا ... وقلبه في أمه أخرى)." (١)

"لكاملة الخلق فلئن كملت لها النعمة مع حسن الصفة، لقد كملت النعمة لمالكها. فاستنطقها، فإذا هي أفصح نساء العرب. ثم قال: علي بالأعرابي.

فلما وقف بين يديه، قال له معاوية: هل لك عنها من سلو، وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار مع كل جارية منهن ألف درهم، على كل واحدة منهن عشر خلع من الخز والديباج والحرير والكتان، وأجري عليك وعليهن ما يجري على المسلمين، وأجعل لك ولهن حظا من الصلات والنفقات؟ فلما أتم معاوية كلامه غشي على الأعرابي وشهق شهقة ظن معاوية أنه قد مات منها. فلما أفاق قال له معاوية: ما بالك يا أعرابي؟ قال: شر بال، وأسوأ حال، أعوذ بعدلك يا أمير المؤمنين من جور مروان. ثم أنشأ يقول:

لا تجعلني هداك الله من ملك ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

أردد سعاد على حران مكتئب ... يمسي ويصبح في هم وتذكار

قد شفه قلق ما مثله قلق ... وأسعر القلب منه أي إسعار." (٢)

"الفصل الخامس والعشرون: احذر الغفلة

قال الله عز وجل: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾ .

فإن اختلف المفسرون في المراد بمقام ربه على قولين:

أحدهما: إنه قيام العبد بين يدي ربه يوم الجزاء.

---

(١) المدهش ابن الجوزي ص/٤٤٥

(٢) أخبار النساء لابن الجوزي ابن الجوزي ص/١٨

والثاني: إنه قيام الله تعالى عباده فأحصى ما اكتسب، والمراد بالهوى ههنا، ما يهوى العبد من المحارم، فيذكر مقامه للحسنات، واعلم: أن من تفكر عند إقدامه على الخطيئة في نظر الحق إليه رده فكره خجلا مما هم به، فالناس في ذلك على مراتب فمنهم من يتفكر عند جولان الهم بالذنب فيستحي من مساكنة ذلك الخاطر، وهذا مقام أهل الصفا، ومنهم من قويت أسباب غفلته فهو ساكن ذلك الهم إلا أنه لا يعزم عليه، ومنهم من يزعم لقوة غفلته، فهو يستسقي إقدامه فيما عزم عليه، ومنهم من زاد على ذلك بمقارنته المحظور ومداناته، ثم تدركه اليقظة، وإنما يكون هذا على مقدار تكاثف الغفلة وقلتها، فيفكر عند خاطره في عظمته من قد علم، وعند يقظه في جلال من قد سمع، وعند فعله في عزة من قد رأى، وهذا الفكر إنما نبت عن إصرار راسخ من الإيمان في القلب راعاه الحق إليه حذار علته ومعاملة صادقه في الخلوة، إلا أن الغفلة عن التذكرة والسعي على جادة الهوى غشى على القلب، وران عليه فإذا هم بخطيئة أو قاربها اقتلب مراعاة الحق إليه، خذ مراعاته بحق الحق قبل ذلك كما قال الله عز وجل: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ ، وقال: ﴿وكان أبوهما صالحا﴾ ، وكما جاء في الحديث: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» .

فما ينفر طائر قلبه من وسخ العزم على الذنب ثم عام في بحر الحياة خجلا مما هم به يخرج نقيا بعد الوسخ طاهرا بعد النجس، لأن الأصل محفوظ بالصدق ومرهون بالإيمان، ولولا لطف الحق لكشف حجب الغفلة لبراقع الذنب، غير أنه أراه برهان الهدى فرجع، وأقام له هاتف التقوى فخشع، والقلوب تحن إلى ما اعتادت وألفت، وتنازع إلى ما مرنت عليه وعرفت.

أما سمعت قول عمر بن أبي:

بينما نحن في ولادك فالقاع ... سراعا والعيش يهوي هويا

خطرت خطرة على القلب من ... ذكراك وهنا فما أطقت مضيا

قلت للشوق إذا دعاني ... لبيك وللحاديين ردوا المطيا

أثارهم بعدهم وما صنعوا ... تخبرنا أتنا لهم تبع

يا واقفا بالديار مكتئبا ... يندب قوما من ملكهم نزعوا

ادخل إلى الدار فهي خالية ... من سادة في التراب قد وضعوا

إذا تأملتهم كأنهم ما ... نظروا نظرة ولا سمعوا

ولا جرى بينهم مذاكرة ... ولا لنصر سعوا ولا نفعوا

كانوا كركب خطور رحالهم ... فما استراحوا حتى لها رجعوا

تم كتاب الياقوتة على التمام والكمال، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.." (١)

"وكيف أحوز خلا من خيال ... وأطمع في شراب من سراب؟

سقى الله العراق وساكنيه ... بواكر مسبل داني الرباب

وخص بذاك ربعا، حل منه ... محل الخال من خد الكعاب

---

(١) مواعظ ابن الجوزي - الياقوتة ابن الجوزي ص/١١٧

به خلفت قلبي يوم زمت ... على عجل، لفرقته، ركابي

فإن ظفر الزمان، بحد ظفر، ... بقلبي، أو بناب غير نابي،

فكم قد جاء بالعتبى فأغنى ... وأغنى عن مطاولة العتاب

إلام أبيت في طمع ويأس، ... وأصبح بين روح **واكتئاب؟**

وأقتحم الظلام بلا دليل، ... وأعتسف البلاد بلا صحاب؟

ولي من جود عون الدين عون ... به يغنى المشيب عن الشباب

وطرف رجاي، عنه غير مغض ... وطرف نداه عني غير كاب

أقول لمشتكي الأزمان: صمتا، ... فبحر نواله طامي العباب

إذا ما البرق أخلف شائميه ... وضن بقطره جون السحاب

وأمحلت البلاد، وعد ظلما ... على ساري الدجى ظلم الوطاب

وعطلت القداح، فعدن غفلا ... وعريت الأكف من الرباب

وعطل موقد النيران ليلا، ... وبات بحر ألسنة الكلاب

وعز الفصد من عجف، وأمسى ... قرى الأضياف أكباد الضباب،

فسمعك للنداء إلى طهاةتذيل نفائس الردح الرحاب

لدى ملك منيع الجار، حامي ال ... ذمار، معظم، سامي القباب

ألا يا عاقر البدر العوالي ... إذا ضن الجواد بعقر ناب،

بدأت مؤمليك بلا سؤال، ... وقابلت الوفود بلا حجاب.

فما عذراء من جون الغوادي ... تهادى في سكون واضطراب،

تكاد تسح وجه الأرض، زحفا ... عليها، في دنو واقتراب

إذا سحت مدامعها بكاء ... تبسم ضاحكا زهر الهضاب

كأن على الثرى منها جمانا ... تنظمه الربا نظم السخاب،

بأغزر من نداك إذا توالى ... فأغنى وافديك عن الطلاب.

وما قاض على المهجات ماض ... بأرواح الكماة إلى ذهاب

إذا ما قابلته الشمس، أجرت ... بمتنيه شعاعا من لعاب

تقاسم خلفه ماء ونار ... أذيبا من صفاء والتهاب،

بأمضى من يراعك يوم روعتفل به الكتائب بالكتاب.

وما هصر أبو شبلين ضار ... يصول بمخلب وبحد ناب،

له نحض الفريسة حين تبدو ... وأعظمها لنسر أو عقاب

ترى جثث الكماة لديه صرعى ... معفرة الجباه على التراب

إذا ما غاب عن غاب، أحالت ... عليه من الطوى طلس الذئاب

فتصبح حوله الأشلاء نهبا ... مقسمة بأكناف الشعاب،

بأثبت منك جأشا في مقامينوب الرأي فيه عن الضراب.

وما عانية يهدي سناها ... لدى الظلماء ضلال الركاب،

تنفس عن نسيم من عبير، ... وتبسم عن ثغور من حباب

كأن كؤوسها ماء جماد ... يشف سناه عن ذهب مذاب،

بأحسن منك بشرا وابتساما، وأعذب من خلائقك العذاب.

فكيف ينال شأوك ذو فخار؟ ... وأين ذرا العقاب من العقاب؟

فضلت بني الزمان على ومجدا ... كما فضل الثواب على العقاب

وزير، دوخ الأملاك بأسا ... فقيدت بين طوع واغتصاب

وبز عزيزها، فعنت إليه، ... ولم تطمح لفوت من طلاب." (١)

"فتأمل عجبا من ناظر ... خائن يخبر عن قلب أمين

في سبيل الحب مني مهجة ... قتلت بين خدود وعيون

يئست أن تفتدى أفئدة ... أسرت بين فتور وفتون

وقلوب ملكتهن المها ... فاتكات بالنهى، ملك اليمين

جيرة ما زال قتلى دينها ... واعتصامي بمجير الدين ديني

وله من قصيدة في الشيب:

يا هند من لأخي غرام، ما جرى ... برق الثغور لطرفه إلا جرى

أبكته شيبته وهل من عارض ... شمت البوارق فيه إلا أمطرا

لا تنكري وضحا لبست قتيره ... ركض الزمان أثار العثيرا

وله من قصيدة فيم جير الدين أيضا:

أتراك عن وتر وعن وتر ... ترمي القلوب بأسهم النظر

كيف السبيل إلى طلاب دمي ... والثأر عند معاقل الحور

هي وقعة الحدق المراض فمن ... جرح جبار أو دم هدر

تمضي العزائم حيث لا وزر ... وتفل دون معاقد الأزر

يا صاح راجع نظرة أمما ... فقد اتهمت على المها بصري

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٦٦/١

بكرت تطاعننا لواحظها ... فتنوب أعيننا عن الثغر

وتري مباسمها معاصمها ... مجلوة في لؤلؤ الثغر

لا لائم العشاق إنهم ... ليرون ذنبك غير مغتفر

أوما علمت بأنها صور ... جادت بأنفسها على الصور

ومدامة كالنار مطفئها ... غرض لها ترميه بالشرر

يجري الحباب على جاجتها ... والتبر خير مراكب الدرر

كالجمر تلفح كف حاملها ... فتظنه منها على خطر

والكأس والساقي إذا اقترنا ... فانظر إلى المريخ والقمر

عذلا على طربي بجائرة ... لولا مجير الدين لم تجر

وله في مدح مجير الدين من قصيدة:

أرى الصوارم في الألحاظ تمتشق ... متى استحالت سيوفا هذه الحدق

واويلتا من عيون قلما رمقت ... إلا انثنت عن قتيل ما به رمق

يا صاح دعني وما أنكرت من ولهي ... بان الفريق فقلبي بعدهم فرق

أما ترى أي ليث صاده رشأ ... وأي خرق دهاه شادن خرق

في معرك لذوات الدل لو شرقت ... بحره أنفس العشاق ما عشقوا

من كل شمس لها من خدرها فلك ... وبدر تم له من فرعه غسق

ومن كثيب تجلى فوقه قمر ... على قضيب له من حلة ورق

وغادة في وشاح يشتكي عطشا ... إلى حجول بها من ريها شرق

تبسمت والنوى تبدي الجوى عجبا ... من لوعة تحتها الأحشاء تحترق

وأنكرت لؤلؤ الأجفان حين طفا ... منها على لجة غواصها غرق

ومنها:

يا من لصب شجاه ليل صبوته ... لما تبسم هذا الأبيض اليقق

متى نهته النهى حنت علاقته ... إن الكريم بأيام الصبى علق

صاحبت عمري مسرورا **ومكتئبا** ... كذلك العيش فيه الصفو والرنق

وعشت أفتح أبوابا وأغلقها ... حتى سمت بي علا ما دونها غلق

فسرت مغتبق الإدلاج معتنقا ... ذرى عزائم من تعريسها العنق

لا أرهب الليل حتى شاب مفرقه ... وهل يخاف الدجى من شمسه أبق

وله فيه من قصيدة هي آخر ما أنشده في شعبان سنة ثمان وأربعين:

بين فتور المقلتين والكحل ... هوى له من كل قلب ما انتحل
توق من فتكتها لواحظا ... أما ترى تلك الظبا كيف تسل." (١)
"ولا تغلقن بحمل الهمو ... م باب السرور إذا ما انفتح
وإن خفت من عاتب فاستتر ... بليل الشباب إذا ما جنح
فتبا لدهر يعز اللئام ... وقدر الكرام به مطرح
ذلول إذا ما امتطاه الجهول ... وما رامه الحر إلا ممتدح
وقد طمست أوجه المكرمات ... وقد عطلت هجنها والصرح
ولا خير فيمن غدا طائعا ... للؤم ألم وبخل ألح
إذا بهرجته عقول الرجال ... وأخجله النقص لما افتضح
لئن قصرت خطوة الحظ بي ... فمالي عن همتي منتزح
وإن عد مفتخر فضله ... فبي يختم الفضل بل يفتتح
وكم للفضائل من خاطب ... وما كل خاطب بكر نكح
قال، وقلت:
لا تلق دهرك بالعتاب ... فعهوده ذات انقلاب
والبد إذا وثب الردى ... واصبر على مضض المصاب
فالدهر يخدع بالسرو ... ر كمثل تلميع السراب
ما جئته مستروحا ... إلا حصلت على **اكتئاب**
فإذا طلبت صفاءه ... فابشر بأنواع العذاب
لا تشكون فما يبا ... لي إن شكوت ولا يحابي
يا صاحبي ماذا يضر الأسد من حنق الذئاب
لولاك، غزلان الفلا ... ما هان مرتكب الصعاب
ألفت منازلة القلو ... ب فما تمل من الحراب
يدنو فيمنعه الحيا ... فيعود مسدول الحجاب
والبدر أحسن ما يكو ... ن إذا تنقب بالسحاب
لله عيش سالف ... واللهو موفور النصاب
وسرورنا مستيقظ ... فرح، وطرف الهم كاب
إذا نقلنا لثم الخدو ... د وشربنا خمر الرضاب

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٢٥٠

إذ نحن في جاه الصبا ... والعمر مجهول الحساب

فارحل عن الدنيا وجد ودع ملاعبة التصابي

دعها فقد جاء المشيب بعزل سلطان الشباب

ما اللهو بعد الأربعين وإن قدرت، بمستطاب

بعثت طلائعها المنو ... ن إليك مسرجة العراب

وقلت: لما ولي الملك السعيد رضي الله عنه لسيدنا الأجل عماد الدين أبي حامد محمد بن محمد، ابن أخي العزيز، الإشراف على ديوانه وسائر مملكته مضافا إلى ما كان يتولاه من ديوان الإنشاء، وكان قد ولد له ولد بعقب ذلك. ولم يتفق إنفاذها إليه في ذلك الوقت بسبب رحيل اتفق للملك السعيد ورحلنا معه في سنة ثمان وستين وخمسمائة. وهي محتاجة إلى تنقيح:

خان المحالف والمعاهد ... وجفا الموالي والمساعد

سهرت عيون فضائلي ... لكن طرف الحظ راقد

أخذ بصفقة تاجر ... طلب المقاصد بالقصائد

فاخر فإنك في زما ... نك صالح، والوقت فاسد

أوليس قومك معشر ... كانت عوائدهم عوائد

لا تتعب الحساب في ... عدد الكرام فأنت واحد

فلئن فخرت بمن مضى ... فلتفخرن بك المشاهد

فابشر بمولود يجدد ذكر آباء أماجد

ولد أتانا مخبرا ... في مهده عن خير والد

ما فت في عضد ولكن فت أكباد الحواسد

رفعت دموعي بعدكم ... مما أكابده جرائد

أين الذين نعدهم ... عند النوائب والشدائد

يلقوك في شوس الخطو ... ب مشمرين عن السواعد

نفقت ملابيس النفا ... ق وسوق أهل الفضل كاسد

رفعت دواوين الكفا ... ة وخلخلت منها القواعد

واستبهمت حتى لقد ... أيس المعلل والعوائد." (١)

"وقفنا وللألحاظ في معرك النوى ... سهام غرام في القلوب وقوعها

ومنها:

وبيض أعاضتني نواها بمثلها ... ألا رب بيض لا يسر طلوعها

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢٨٣/٢

خلعت لها برد الصبا عن مناكبي ... وعفت الهوى لما علاني خليعها

وقوله كتبها إلى والده يتشوقه:

شوقي على طول الزما ... ن يزيد في مقداره

وجوى فؤادي لا يق ... ر وكيف لي بقراره

والقلب حلف تقلب ... وتحرق في ناره

والطرف كالطرف الغر ... يق يعوم في تياره

وتأسفي وتلهفي ... باق على استمراره

من ذا يرق لنازح ... عن أهله ودياره

لعب الزمان بشمله ... وقضى ببعد مزاره

فالسقم من زواره ... والهم من سماره

والصبر من أعدائه ... والدمع من أنصاره

وهمومه مقصورة ... أبدا على تذكاره

وقوله إلى القاضي الأجل الأشرف ابن البيساني متولي الحكم بعسقلان:

لعل تحدر الدمع السفوح ... يسكن لوعة القلب القريح

وعل البرق يروي لي حديثا ... فيرفعه بإسناد صحيح

ويا ريح الصبا لو خبرتني ... متى كان الخيام بذي طلوح

فلي من دمع أجفاني غبوق ... تدار كؤوسه بعد الصبوح

وأشواق تقاذف بي كأني ... علوت بها على طرف جموح

ودهر لا يزال يحط رحلي ... بمضيعة ويرويني بلوح

كريم بالكريم على الرزايا ... شحيح حين يسأل بالشحيح

وأيام تفرق كل جمع ... وأحداث تجيز على الجريح

فيا لله من عود بعود ... ومن نضو على نضو طليح

وأعجب ما منيت به عتاب ... يؤرق مقلتي ويذيب روحي

أتى من بعد بعد **واكتئاب** ... وما أنكى الجروح على الجروح

وقد أسرى بوجدي كل وفد ... وهبت بارتياحي كل ريح

سلام الله ما شرقت ذكاء ... وشاق حنين هاتفة صدوح

على تلك الشمائل والسجايا ... وحسن العهد والخلق السجيح

على أنس الغريب إذا جفاه ال ... قريب ومحتد المجد الصريح

على ذي الهمة العلياء والمن ... ة البيضاء والوجه الصبيح
ومنها:
صفوح عن مؤاخذة الموالي ... وليس عن الأعادي بالصفوح
همام ليس يبرح في مقام ... كريم، أو لدى سعي نجيح
حديد الطرف في فعل جميل ... وقور السمع عن قول قبيح
مددت إليه يدي فشد أزري ... وذاد نوائب الدهر اللحوح
وفزت بوده بعد ارتياد ... ولكن صدني عنه نزوحي
وما أدركت غايته بنظمي ... ولو أدركت غاية ذي القروح
ولكني وقفت على علاه ... عتادي من ثناء أو مديح
وقوله من قصيدة:
إلام ألوم الدهر فيكم وأعتب ... وحتام أرضى في هواكم وأغضب
أما من خليل في الهوى غير خائن ... أما صاحب يوما على النصح يصحب
بأية عضو ألتقي سورة الهوى ... ولي جسد مضنى وقلب معذب
عذيري من ذكرى إذا ما تعرضت ... تعرض لاح دونها ومؤنب
ومنها:
أرى الدهر عونا للهموم على الفتى ... وضدا له في كل ما يتطلب
فأبعد شيء منه ما هو آمل ... وأقرب شيء منه ما يتجنب." (١)
"وقد يحسب الإنسان ما ليس مدركا ... كما يدرك الإنسان ما ليس يحسب
وقوله من قصيدة كتبها إلى والده سنة ثلاث وأربعين:
ظن النوى منك ما ظن الهوى لعبا ... وغره غرر بالبين فاغتربا
فظل في ربقة التبريح مؤتشبا ... من مات من حرقة التوديع منتحبا
متيم في بني كعب به نسب ... لكنه اليوم عذري إذا انتسبا
أجاب داعي النوى جهلا بموقعها ... فكان منها إلى ما ساءه سببا
يا عاتبي رويدا من معاتبتي ... فلست أول مخط في الورى أربا
ردا حديث الهوى غضا على وصب ... يكاد يقضي إذا هبت عليه صبا
وجددا عهده بالسمع عن حلب ... فإن أدمعه لا تأتلي حلبا
ومنها:

---
(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٤١٣/٢

لله قلبي ما أغرى الغرام به ... وحسن صبري لولا أنه غلبا

يا قاتل الله عزما كنت أذخره ... رزيته في سبيل الحب محتسبا

إذا تفكرت في أمري وغايته ... عجبت حتى كأني لا أرى عجبا

ومنها:

أستودع الله أحبابا أشاهدهم ... بعين قلبي وليست دارهم كثبا

أصبحت لا أرتجي من بعد فرقتهم ... خلا أفاوضه جدا ولا لعبا

فإن سررت فإني مضمر حزنا ... أو ابتسمت وجدت القلب مكتئبا

وقوله:

قالوا تركت الشعر قلت لهم ... فيه اثنتان يعافها حسبي

أما المديح فجله كذب ... والهجو شيء ليس يحسن بي

وقوله في كسر الخليج بمصر:

حبذا كسر الخليج ... وهو ذو مرأى بهيج

حبذا ما نحن فيه ... من دعاء وضجيج

والشواني فيه تجري ... كالصياصي في النسيج

نحن في جو سماء ... ما لديها من فروج

كبدور في بروج ... أو سطور في دروج

أو زهور في مروج ... أو ملوك في سروج

وله منها في المدح:

قلت إذ أقبل كالد ... ري في الليل الدجوجي

ما رأينا قط بحرا ... سائرا نحو الخليج

وقوله من قصيدة:

من لي بأحور قربي في محبته ... كالبعد، لكن رجائي منه كالياس

مستعذب جوره فالقلب في يده ... معذب، ويدي منه على راسي

ودعته من بعيد ليس من ملل ... لكن خشيت عليه حر أنفاسي

وقوله:

ما ضرهم يوم جد البين لو وقفوا ... وزودوا كلفا يودي به الكلف

تخلفوا عن وداعي ثمت ارتحلوا ... وأخلفوني وعودا ما لها خلف

ومنها:

أستودع الله أحبابا ألفتهم ... لكن على تلفي يوم النوى ائتلفوا

تقسموني، فقسم لا يفارقهم ... أين استقلوا وقسم شفه الدنف

عمري لئن نزحت بالبين دارهم ... عني فما نزحوا دمعي ولا نزفوا

يا حبذا نظرة منهم على وجل ... تكاد تنكرني طورا وتعترف

وتوفي أبو علي بن أبي جرادة بالقاهرة في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

أخوه:

القاضي الأعز أبو البركات بن أبي جرادة

كان أمينا على خزانة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آق سنقر وهو عدلها، وبيده عقدها وحلها، إلى أن توفي بعد سنة خمس وخمسين وخمسمائة، ووجدت من شعره في ديوان أخيه من قصيدة كتبها إليه بمصر:

يمينا بما ضمت غداة المحصب ... جنوب منى من ذي بطاح وأخشب

ومنها:

وشعث على شعث كأن وجوههم ... شموس نهار أو أهلة غيهب." (١)

"والله لو لم تكن من أعظم خلقت ... ما كنت أحسبها إلا حصى برد

ومن فتور الحيا في لحظها مرض ... تشفى به الأعين المرضى من الرمد

شبيهة الظبية العجماء قاتلتي ... عمدا، وليس على العجماء من قود

متى تحيا بلاد بالشآم أقل ... حييت يا آمد السوداء من بلد

إن أكبدتني هموم أمرضت هممي ... فإنما خلق الإنسان في كبد

إن كادني أحد لم أشك منه، بلى ... أشكو إليه ولا أشكو إلى أحد

قال في تاريخه: وأنشدني أبو علي الآمدي لنفسه ببرفطا:

من هاؤلياء الظباء العين ... حقا فلي شك بها ويقين

وكأنما تلك الهوادج فوقها ... صدف وهن اللؤلؤ المكنون

فالحسن من فوق الرحال منضد ... والخيل من تحت الرجال عرين

كحلى العيون وما اكتحلن بإثمد ... يوما ولا رمدت لهن جفون

ولقد أغض الطرف يوم يلوح لي ... في الريط من برق الجسوم غضون

من بعد ما قد لاح لي فوق الطلى ... أقمار ليل تحتهن غصون

والقلب يرمقها بعين بصيرة ... ومن البصائر في القلوب عيون

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٤١٤

ضنت بماعون السلام ولو سخت ... فكثير ما يسخو به ماعون

في لحظها من كل غنج فترة ... وفتور لحظ الغانيات فتون

وديار بكر كان لي زمنا بها ... أبكار لهو تستفيض وعون

لا غرو أن رزقت هواك على الصبا ... تلك المعاقل والقباب الجون

يا حبذا تلك القلاع وحبذا ... تلك البقاع وحبذا ليسون

هل أنت يا بغداذ أحسن منظرا ... أم آمد السوداء أم جيرون

عجبا لطول الحين كيف يروقني ... والحين يجلبه إلي الحين

يا هل تبلغني إليها جسرة ... وجناء صادقة الوجيف أمين

كذا روي وأنا أظن أن الصواب أمون

الكامل أبو المكارم محمد بن الحسين الآمدي

أبا حسن كففت عن التقاضي ... بوعدك لاعتصابك بالمطال

ومن ذم السؤال فلي لسان ... فصيح دأبه حمد السؤال

جزى الله السؤال الخير إني ... عرفت به مقادير الرجال

أبو طالب إبراهيم بن هبة الله بن علي بن عبد الله بن أحمد بن الحسن

الدياري

من أهل ديار بكر، كان فقيها نبيها، محترما وجيها، عفيفا نظيفا، ظريفا لطيفا، فاضلا مناظرا، صالحا، لله ذاكرا، دائم التلاوة للقرآن، كثير الخشية من الرحمن، ذكره السمعاني في كتابه، وأثنى عليه وعلى آدابه، وقال إنه ورد بغداد وأقام بها مدة، وخرج إلى خراسان وأقام ببلخ عند أبي المعالي ابن شهفور، وكان معيد درسه، وتوفي بها في أوائل محرم سنة وثلاثين وخمسمائة، قرأت في تاريخ السمعاني أنشدنا عمر أبي حسن الإمام ببلخ أنشدنا أبو طالب الديار بكري قال:

طلبت في الحب نيل الوصل بالخلس ... فنال هجرك مني نيل مفترس

فلو تسامحت بالشكوى إلى أحد ... لفاض دمعي وغاض البحر من نفسي

وصرت لا أرتضي حسنا يجاوزهم ... فأورثوني عمى أدهى من الطمس

وقرأت في تاريخه: أنشدنا أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الجياني ببلخ أنشدنا أبو طالب الدياري لنفسه:

إني لأذكر حسادي فأرحمهم ... لما يلاقون من هم ومن كرب

أسهرتهم يذكروني في كآبتهم ... ونمت ملء جفوني غير **مكتئب**." (١)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٤٧٩/٢

"رود ترود حمى قلبي وتشرب من ... دمعي وتسكن من صدري إلى حرم

نادت محاسنها العشاق معلنة ... أن المنى والمنى في مقلتي وفمي

فما احتكمت وعينيها إلى فمها ... إلا شغلت عن الخصمين بالحكم

غراء كالدرة البيضاء تحجبها ... أستار بحر بماء الموت ملتظم

تهوى فتهوي المنى دون اللحاق بها ... أفديك من أمم أعيا على الأمم

زارت فأيقظت صوبي في زيارتها ... ليقظتي وندبت الحلم للحلم

آليت أسأل إلمام الخيال ولي ... عين وقد ظعن الأحباب لم تنم

كأنني بهم أقسمت لا طمعت ... طيب الكرى فأبرت مقلتي قسمي

وكيف لي يوم ساروا لو صحبتهم ... من المطايا ورأسي موضع القدم

بانوا فربع اصطباري منذ بينهم ... بال كربعهم البالي بذي سلم

وا وحشتي إذ أنادي في معالمهم ... صما تجيب بما يشفي من الصمم

يشكو صداها إلى عيني فتمنحها ... دمعا إذا فاض أغناها عن الديم

وكلما قال صحبي طال موقفنا ... فارحل بنا قالت الآثار بل أقم

منازل كلما طال البعاد عفت ... كأنما تستمد السقم من سقمي

قفوا فأقوى غرامي ما يجدده ... برسمه طلل أقوى على القدم

قل للألى غرهم حلمي ونقصهم ... إياكم وطريق الضيغم اللحم

فالحلم جفن وإن سلت حفيظته ... فربما كشفت عن صارم خذم

وله قصيدة طائية على وزن قصيدة المعري وقد أثبتها جميعها لإثبات أخواتها من أشعار أهل العصر كتب بها إلى الرئيس أبي طالب الحسين بن محمد بن الكميت وهي:

أعذلك هذا أن رأيتهم شطوا ... وفي الآل إذ غطوا هوادجهم غطوا

لئن قوضت فاراتهم وتحملوا ... لقد نصبت في خاطري وبه حطوا

فلا تحسبن الشحط يذهل عنهم ... فأقرب ما كانوا إذا اعترض الشحط

رضيت بمن أهوى فدام لي الرضا ... وتسخطه مني فدام لك السخط

رأيت الألى كلفتني الصبر عنهم ... بهم قسمي ما إن تناسيتهم قط

هم سوموا ليلي وصبحي كتائبا ... من الروم تغزوني وتخلفها الزط

فأعجب مني كيف أغتر بالهوى ... وأسأله قسطا وما شأنه القسط

وعن رغبة حكمت في القلب جائرا ... فشكواي منه القسط في حكمه، قسط

نصحتكم لا تركبوا لجج الهوى ... ألا إن بحر الحب ليس له شط

بسقط اللوى أبكى امرأ القيس منزلوليس اللوى داء ابن حجر ولا السقط

لقيت برهطي كل خطب تدافعوا ... فحين لقيت الحب أسلمني الرهط

وأربط جأشي عند كل عظيمة ... تلم ويوم البين ينتكث الربط

ولما أذاعوا ما أسروا من النوى ... وظلت على العشاق أحداثها تسطو

كتبنا على صحف الخدود بمذهب ... وكان من الأجفان بالحمرة النقط

ومقتبس سقطا أشرت إلى الحشا ... وجاحمها لما تعذرت السقط

أحل رياض الحزن مكتئب الحشاوقلبي بحيث الأثل والسدر والخمط

تعلق بالقرط المعلق قائلا ... سكوني محال كلما اضطرب القرط." (١)

"دفعت لها عقلي وديني مقدما ... فقالت وجنات النعيم مؤجلي

وقال في جارية في خدها ماسور:

بنفسي فتاة يكتب الغصن إن مشت ... إلى قدها المياس: من عبد عبدها

ولي جسد ما زال مأسور صدها ... إلى أن حكى في السقم ماسور حدها

أشبه ذاك الخد منها بجمرة ... وشابورة الماسور طابع ندها

وقال يمدح الأجل الفاضل ويشكره على عيادته له في مرضه:

رأيت طرفك يوم البين حين همى ... والدمع ثغرا وتكحيل الجفون لمى

فاكفف ملامك عني حين ألثمه ... فما تشككت أني قد رأيت فما

لو كان يعلم مع علمي بقسوته ... تألم القلب من وخز الملام لما

رنا إلي فقال الحاسدون رنا ... وما أقول رنا لكن أقول رمى

رمى فأصمى ولو لم يرم مت هوى ... أما ترون نحولي في هواه أما

وبات يحمي جفوني من طروق كرى ... ولم أر الظبي منسوبا إليه حمى

وصاد طائر قلبي يوم ودعني ... يا كعبة الحسن مذ أحللته حرما

يا كعبة ظل فيها خالها حجرا ... كم ذا أطوف ولا ألقاه مستلما

مذ شف جسمي من نار الغرام ضنا ... لاح الشعاع على خديه مضطرما

وشف كأس فم منه لرقته ... فلاح فيه حباب الثغر منتظما

يا كسرة الجفن لم أسموك كسرته ... وجيشه بك للأرواح قد غنما

وكم أغرت على الأرواح ناهبة ... إن كان ذلك عن جرم فلا جرما

مولاك فاق ملاح الخلق قاطبة ... فهو الأمير وقد أضحوا له حشما

أقول والريح قد شالت ذؤابته ... أصبحت فيهم أميرا أم لهم علما

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٤٩٠

شكرت طيفك في إغباب زورته ... لأن مثلي لا يستسمن الورما

ولست أطلب منه رفده أبدا ... لأن ذا الحلم لا يسترفد الحلما

لكن عهدا قديما منك أطلبه ... وربما نسي العهد الذي قدما

وازداد حبك أضعافا مضاعفة ... وربما صغر الشيء الذي عظما

ولست أنكر لا ريبا ولا تهما ... من يعرف الحب لا يستنكر التهما

ولست أتبع حبي بالملام كما ... لا يتبع ابن علي بره ندما

ذاك الأجل الذي تلقى منازله ... فوق السماء وتلقى داره أمما

أغنى وأقنى وأعطى سؤل سائله ... وأوجد الجود لما أعدم العدما

وقصر البحر عنه فهو مكتئب ... أما تراه بكفي موجه التطما

وولت السحب إذ جارته باكية ... أما ترى الدمع من أجفانها انسجما

ولو رأى ابن أبي سلمى مواهبه ... رأى جدا هرم مثل اسمه هرما

ولو أعار شماما من خلائقه ... حلما لأبصرت في عرنينه شمما

ومذ رأيت نفاذا في يراعته ... رأيت بالرمح من أخبارها صمما

إذا امتطى القلم العالي أنامله ... حلى الطروس وجلى الظلم والظلما

قضى له الله مذ أجرى له قلما ... بالسعد منه وقد أجرى به القلما

ذات العماد يمين قد حوت قلما ... هو العماد لملك قد حوى إرما

يريك في الطرس زهر الأفق زاهرة ... وقد ترى فيه زهر الروض مبتسما

ويرقم الوشي فيه من كتابته ... وما سمعنا سواه أرقما رقما

سطوره ومعانيه وما استترت ... هن الستور وهذي خلفهن دمى." (١)

"يا منصفا في كل أحواله ... لا تخرج الإنصاف عن رسمه

هب أنني أبديت جرما وقد ... يعتذر الإنسان من جرمه

قد كثر القيل وحاشاك أن ... تسمع قول الخصم في خصمه

انظر إلى الباطن من أمرنا ... فراحة العالم في علمه

فإن رأيت الحق حقي فلا ... تمكن الظالم من ظلمه

وقوله:

إن بين الكرى وأجفان عيني ... مثل ما بين وصل حبي وبيني

ولقد أوجب الهوى بعد صبري ... مثل ما أوجب النوى قرب حيني

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٦٤٨

زعم اللائمون أن سقامي ... شين جسمي فليت لوني شيني
لي ديون على الحبيب كثير ... وأرى حظي المطال بديني
أنا من كثرة الصدود مليء ... غير أني في الوصل صفر اليدين
وقوله:
أنا بالصبر فيه لا الصبر عنه ... تحت حكم الهوى بما جاء منه
قد صفت في محبة لم أكدر ... ها وعهد مقدم لم أخنه
فاعتراني الصدود إن زال حبي ... وحرمت الوصال إن لم أصنه
قد تمنيت أن تكون وصولا ... فتفضل به علي وكنه
كل حب له إذا نظر النا ... ظر كنه وما لحبي كنه
وقال:
تريد الهوى صرفا من الضر والبلوى ... لعمرك ما هذي قضية من يهوى
إذا لم يكن طرف المحب مسهدا ... وأدمعه تجري فهذا هو الدعوى
ولا حب إلا أن ترى كلفة الهوى ... ألذ من المن المنزل والسلوى
وحتى ترى القلب القريح من الهوى ... يمانعه الصبر الجميل من السلوى
رعى الله من أعطى المحبة حقها ... وإن لم يكن فيها من الأمر ما يقوى
ونقلت له من مجموع آخر هذه المقطعات الموشعا ت ورأيت إثبات ما به من الأبيات قال:
يا من يتيه على الزمان بحسنه ... اعطف على الصب المشوق التائه
أضحى يخاف على احتراق فؤاده ... أسفا لأنك منه في سودائه
وقال:
يا حادي العيس اصطبر ساعة ... فمهتجي سارت مع الركب
لا تحد بالتفريق عن عاجل ... رفقا بقلب الهائم الصب
لو كنت تدري ما احتكام الهوى ... وجوره من تلف القلب
رثيت لي مما يجن الحشا ... من شدة الهجران والكرب
وقال:
والله لولا أن ذكرك مؤنسي ... ما كان عيشي بالحياة يطيب
ولئن بكت عيني عليك صبابة ... فلكل جارحة عليك نحيب
أتظن أن البعد حل مودتي ... إن بان شخصك فالخيال قريب
كيف السلو وقد تمكن في الحشا ... وجد على ما في الفؤاد رقيب
وإليك قد رحل الهوى بحشاشتي ... والسقم مشتمل وأنت طبيب

وقال:

يا من يصارمني بلا سبب ... مهلا فإن هواك برح بي

انظر إلى رمق تحيل به ... أيدي الهوى أنفاس مكتئب

واسمح بحسن العطف منك لمن ... غادرته وقفا على العطب

قد فل صبري فيك منهزما ... لا ينثني وهواك في الطلب

وقال:

حاولت وصلكم فعز المطلب ... وذهبت أسألكم فضاق المذهب

لا تعتبوا أني تشكيت الهوى ... ردوا علي تصبري ثم اعتبوا

أثبتم غدرا وما أنا غادر ... وجعلتم ذنبا ما أنا مذنب

إني لأعجب من تحملي الهوى ... وبقاء جسمي بعد ذلك أعجب." (١)

"أمثلي يا فدتك نفسي يجفى ... ويصرف عنه وجه الود صرفا

كتبت فلم تجبني عن كتابي ... ولم يعد الرسول علي حرفا

فآها ثم آها ثم آها ... وأفا ثم أفا ثم أفا

وله من قطعة يستدعي بعض إخوانه:

عندي الذي تتمنى ... عندي الذي تشتهيه

وما يتم سرور ... إلا إذا كنت فيه

وقوله:

تأمل إن في اسمك شر معنى ... وقد يدري الغرائب مبتغيها

لئن سموك يعلى ما أرادوا ... بفتح الياء إلا الضم فيها

وقوله:

صبرت على سوء أخلاقه ... زمانا أقدر أن يصلحا

فلما تزوج قاطعته ... لأني تخوفت أن ينطحا

وقوله:

إذا سبك إنسان ... فدعه يكفك الرب

ولا تنبح على كلب ... إذا ما ينبح الكلب

وقوله:

يقرب قوله لك كل شيء ... وتطلبه فتبصره بعيدا

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٧٢٨

فما يرجو الصديق الوعد منه ... ولا يخشى العدو له وعيدا

طابق ثلاثة بثلاثة في هذا البيت.

وقوله:

قاطعت عمران ولم أستطع ... صبرا على أشياء ليست تليق

فالكف إن حلت بها آفة ... يقطعها المرء فكيف الصديق

وقوله في التصوف:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ... ولا بكاؤك إن غنى المغنونا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب ... ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا

بل التصوف أن تصفو بلا كدر ... وتتبع الحق والقرآن والدينا

وأن ترى خائفا لله ذا ندم ... على ذنوبك طول الدهر محزونا

وقوله في الزهد:

لو قلت لي أي شيء ... تهوى لقلت خلاصي

الناس طرا أفاع ... فلات حين مناص

نسوا الشريعة حتى ... تجاهروا بالمعاصي

فشرهم في ازدياد ... وخيرهم في انتقاص

حتى يوافوا المنايا ... فيؤخذوا بالنواصي

يا ويحهم لو أعدوا ... لهول يوم القصاص

أبو الحسن

علي بن الحسن ابن الطوبي

ذكر أنه إمام البلغاء، وزمام الشعراء، مؤلف دفاتر، ومصنف جواهر، ومقلد دواوين، ومعتمد سلاطين، سافر الى الشرق، وحل منه في الأفق، وكان في زمان المعز بن باديس عنفوانه، وله فيه قصيدة رصع بها ديوانه:

أجارتنا شدي حزيمك للتي ... هي الحزم أو لا تعذلي في ارتكابها

وكفي فإن العذل منك زيادة ... علي كفى نفسي الحزينة ما بها

ومنها:

وإما المنى أو فالمنية إنها ... حياة لبيب لم ينل من لبابها

وهل نعمة إلا ببؤسي وإنما ... عذوبة دنيا المرء عند عذابها

سآوي الى عز المعز لعله ... سيأوي لنفس حرة واكتئابها

إليك معز الدين وابن نصيره ... حملت عقود المدح بعد انتخابها

وأثواب حمد حكت أثواب وشيها ... على ثقة مني بعظم ثوابها

وله من قصيدة:

أجارتنا إن الزمان لجائر ... وإن أذاه للكرام لظاهر

أجارتنا إن الحوادث جمة ... ومن ذا على ريب الحوادث صابر

أجيراننا إن الفؤاد لديكم ... لثاو وإن الجسم عنكم لسائر

أأترك قلبي عندكم وهو حائر ... وآخذ طرفي منكم وهو ساهر

كذا يغلب الصبر الجميل كما أرى ... ويخسر في بيع الأحبة تاجر

وله:

أعددت للدهر إن أردت حوادثه ... عزما يحل عليه كل ما عقدا

وصار ما تتخطى العين هزته ... كأنما ارتاع من حديه فارتعدا

وذابلا توضح العليا ذبالته ... كأنها نجم سعد لاح منفردا

ونشرة ليس للريح المضي بها ... إلا كما عرضت للنهي فاطردا

وسابحا لا تروع الأرض أربعه ... كأنه ناقد مالا قد انتقدا

فداك مال متى يحرزه وارثه ... فخير ما وجد الإنسان ما وجدا

وله:." (١)

"لها في الجو وكر لم ... ترم عنه ولم ترحل

فما ترقى مع النسر ... ولا تهوي مع الأجدل

عوان نكحت دهرا ... فلم تعلق ولم تحبل

نشبت بها دهرا ... في ساحتها أنزل

وواصلت مراسيها ... ولكن كنت من أسفل

فلما أن أصبت الما ... ء صب العارض المسبل

تنحيت ولم أستح ... ي من فعلي ولم أخجل

وثبت....... ... ولم أعي ولم أنكل

وقوله:

حجبت مسامعه عن العذال ... وأبى فليس عن الغرام بسال

ويح المتيم لا يزال معذبا ... بخفوق برق أو طروق خيال

وإذا البلابل بالعشي تجاوبت ... بعثت بأضلعه جوى البلبال

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٨١٧/٢

وا رحمتا لمعذب يشكو الجوى ... بمنعم يشكو فراغ البال

نشوان من خمرين: خمر زجاجة ... عبثت بمقلته وخمر دلال

كالريم إلا أن هذا عاطل ... أبدا وذا في كل حال حالي

لا يستفيق وهل يفيق بحالة ... من ريق فيه سلافة الجريال

علم العدو بما لقيت فرق لي ... ورأى الحسود بليتي فرثى لي

يا من برى جسمي بطول صدوده ... هلا سمحت ولو بوعد وصال

قد كنت أطمع فيك لو عاقبتني ... بصدود عتب لا صدود ملال

وقوله، وذلك مما أنشدنيه الفقيه نصر بن عبد الرحمان الإسكندراني الفزاري ببغداد، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن الحسن بن معبد القرشي بالإسكندرية، قال: أنشدني أبو الصلت لنفسه بالمهدية سنة تسع وخمسمائة في داره يصف فرسا:

وأشهب كالشهاب أضحى ... يلوح في مذهب الجلال

قال حسودي وقد رآه ... يخب خلفي الى القتال

من ألجم الصبح بالثريا ... وأسرج البرق بالهلال

قال: قال أمية: عملت هذه قبل أن أسمع بشعر ابن خفاجة الأندلسي في لاميته، له منها:

أشهب اللون أثقلته حلي ... خب فيهن فهو ملقي الجلال

فبدا الصبح ملجما بالثريا ... وسرى البرق مسرجا بالهلال

فما أعجب توارد خاطريهما، وهما في زمان واحد، في بلدين متباعدين.

وقوله في كاتب:

ومجيد في النظم والنثر فذ ... لست تدري ألفظه الدر أم لا

ظل يملي فكان أبلغ ممل ... بهر السمع حكمة حين أملى

وقوله:

أقول لمسرور بأن ريع سربنا ... وصوح مرعانا وزلت بنا النعل

لنا حسب إن غالنا الدهر مرة ... وزلت بنا نعل فإنا به نعلو

وقوله في الحث على الكسب والحركة:

لا تقعدن بكسر البيت مكتئبا ... يفنى زمانك بين اليأس والأمل

واحتل لنفسك في شيء تعيش به ... فإن أكثر عيش الناس بالحيل

ولا تقل إن رزقي سوف يدركني ... وإن قعدت فليس الرزق كالأجل

وقوله:

لا ترج في أمرك سعد المشتري ... ولا تخف في فوته نحس زحل

وارج وخف ربهما فهو الذي ... ما شاء من خير ومن شر فعل

وقوله:

رمتني صروف الدهر بين معاشر ... أصحهم ودا عدوا مقاتل

وما غربة الإنسان في بعد داره ... ولكنها في قرب من لا يشاكل

وقوله في ثقيل:

لي جليس عجبت كيف استطاعت ... هذه الأرض والجبال تقله

أنا أرعاه مكرها وبقلبي ... منه ما يتلف الحياة أقله

فهو مثل المشيب أكره مرآ ... ه ولكن أصونه وأجله

الميم وقوله:

كبد تذوب ومقلة تدمى ... فمتى أطيق للوعتي كتما

يا تاركي غرضا لأسهمه ... إذ لم تخف دركا ولا إثما

زدني جوى بل استزدك جوى ... وإذا ظلمت فعاود الظلما

فالحب أعدل ما يكون إذا ... صدع الفؤاد وأنحل الجسما." (١)

"لله هيفاء قدمتها ... هيفاء كالغصن في التثني

إشراقها والضياء منها ... وحرها والدموع مني

جاءت بها ساطع سناها ... يرفع سجف الظلام عني

وقوله من قصيدة:

أقصرت من كلفي بالخرد العين ... فما الصبابة من شغلي ولا ديني

ورب أكلف قد طال الثواء به ... في بيت أشمط من رهبان جيرون

يممت ساحته بالشهب من نفر ... بيض وجوههم شم العرانين

ثم انتحيت له أستام ذروته ... بمرهف الحد ماضي الغرب مسنون

فانصاب منه على كفي غبيط دم ... كأنه سرب من جوف مطعون

دم من الراح مسفوك بمعركة ... يغادر الشرب صرعى دون تجنين

أيام لهو ولذات جريت بها ... مرخي الأعنة في تلك الميادين

أستنزل البدر من أعلى منازله ... وأقنص الظبي من بين السراحين

ثم ارعويت فلم أعط الهوى رسني ... وانجاب عني فلم أتبع شياطيني

وقوله:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٨٦٣/٢

جرد معاني الشعر إن رمته ... كيما توقى اللوم والطعنا
ولا تراع اللفظ من دونها ... فاللفظ جسم روحه المعنى
وقوله في وصف كتاب وصل إليه:
وافى كتابك قد أودعته فقرا ... شكا افتقارا إليه لفظ سحبانا
نظما ونثرا تكافا الحسن بينهما ... حتى لخلتهما شكرا وإحسانا
ومنها:
لله أي كتاب زار مكتئبا ... منه وحر كلام زار حرانا
ولم أكن حيث بستان ولا نهر ... فزار لحظي وفكري منه بستانا
أرى قوافيه أطيارا مغردة ... بألسن الحمد والأبيات أغصانا
أجل وأقطف من ميماته زهرا ... إذا وردت من الصادات غدرانا
زهر تقيم على الأيام جدته ... وإنما توجد الأزهار أحيانا
من كل لفظ كماء المزن يوسعني ... ما شئت ريا ولا أنفك ظمآنا
وقوله في ذم الدهر:
ساد صغار الناس في عصرنا ... لا دام من عصر ولا كانا
كالدست مهما هم أن ينقضي ... عاد به البيدق فرزانا
الهاء وقوله يصف منزلا في قصر:
منزل ودت المنازل في أع ... لى ذراها لو أنها إياه
فأجل فيه لحظ عينيك تبصر ... أي حسن دون القصور حواه
سال في سقفه النضار ولكن ... جمدت في قراره الأمواه
ومنها:
منظر يبعث السرور ومرأى ... يذكر المرء طيب عصر صباه
طاب ممساه للعيون فأكد ... طيبه بالصبوح في مغداه
وأدرها سلافة كدم الخش ... ف لجفن السرور عنها انتباه
من يدي كل فاتن اللحظ عينا ... ه على فعل كأسه عوناه
ريم قفر بل ريم قصر، شغاف ال ... قلب مأواه والحشا مرعاه
قوبل الحسن فيه فاختصرت خص ... راه عمدا وأذرفت عيناه
وقوله:
أسلفتني الغرام سالفتاه ... وأطرت عني الكرى طرتاه

وأعانت وجدي على الصبر عينا ... ه فويحي مما جنت عيناه

رشأ ورده المدامع والأض ... لع مأواه والحشا مرعاه

لم يعدني بالوصل يوما فأخشى ... بتمادي الصدود أن ينساه

وقوله في وصف فرس:

وخير ذخائر الأملاك طرف ... يروق الطرف حين يجول فيه

ترى ما بينه والخيل طرا ... كما بين الروية والبديه

وقوله في أمرد التحى فقبح:

قد صوحت نرجستا مقلتيه ... واصفر ذاك الورد من وجنتيه

وكان قيد اللحظ في حسنه ... فصار لا يوما بلحظ إليه

قد مسخت صورته لحية ... أفرغ منها كل ذل عليه." (١)

"إذا هدم الناس المعالي شادها ... ولن يستوي الباني ومن شأنه الهدم

وإن أخر الأقوام نقص تقدمت ... به رتبة تعنو لها الرتب الشم

له قلم ماضي الشباة كأنما ... يمج به في طرسه الأرقم السم

كفيل بصرف الدهر يصرف كيده ... وقد عز من حد الحسام له حسم

شدوت بذكراه فمصغ وقائل ... أخو كرم حياه بابنته الكرم

أبا الضوء وافاني كتابك يزدهي ... به النثر من تلك البلاغة والنظم

كتاب لو استدعى به العصم قانص ... لما استعصمت من أن تخر له العصم

ولما فضضت الختم عنه تضوعت ... لطيمة سفر فض عن مسكها الختم

وسرحت طرفي في رياض محاسن ... وشاها الحيا المنهل بل علمك الجم

فدم، وابق، واسلم، واستطل عزة، وصلوسد، وارق، واغنم، واستزد نعمة، وانم

فلن يتنافى اثنان: رأيك والنهى ... ولن يتلاقى اثنان: فعلك والذم

ولأبي الصلت أيضا فيه من قصيدة، جوابا:

إيه أبا الضوء هل يقضي اللقاء لنا ... وبيننا لجح والموج يلتطم

وافى كتابك مختوما على درر ... يروق منتثر منها ومنتظم

طرس غدا الغيث بالتقصير معترفا ... عما وشاه به من روضه القلم

قد أودع الزهر إلا أنه فقر ... والأنجم الزهر إلا أنها كلم

ولأبي الصلت أيضا في أبي الضوء في صدر كتاب جوابا عن أبيات:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٨٦٧/٢

أزهر الربى برضوب الغوادي ... أم الحلي فوق نحور الغواني

أم الإلف زار بلا موعد ... فأبرأني منه ما قد براني

وغيض دمعي وكم قد طفقت ... وعيناي عيناه نضاحتان

أم الطرس أعمل فيه اليراع ... وأودع أحسن رقم البنان

فذم لمرآه وشي الصناع ... وبيع له الدر بيع الهوان

وما خلت أن برود الكلام ... تقدر حسب قدود المعاني

ولم أدر أن بنات العقو ... ل تفعل فعل بنات الدنان

وما السحر سحر مراض الجفون ... ولكنما السحر سحر البيان

وأين الخدود من الجلنار ... وأين الثغور من الأقحوان

كتاب نفيت **اكتئابي** به ... ونلت الأماني بظل الأماني

أتى من بعيد مرامي الضمي ... ر والفكر مرهف غرب اللسان

زرى في الترسل بابن العميد ... كما قد شأى في القريض ابن هاني

فقرب من فرحي كل ناء ... وأبعد من ترحي كل دان

صفي نأى ودنا ذكره ... فناب السماع مناب العيان

ومهما تصافت قلوب الرجال ... فحال تباعدها كالتداني

ولكن على ذاك قرب المزار ... وأشهى وأحلى جنى في الجنان

أبا الضوء سدت فبات الحسود ... يراك بحيث يرى الفرقدان

فجادك عارض صوب الغمام ... وجازك عارض صرف الزمان.." (١)

"عندي من الشيب القليل الذي ... أمسيت منه في عنا **واكتئاب**

فكيف لا كيف يكون العزا ... إن وقع النسر وطار العقاب

وكل شيء يتعزى الفتى ... عنه إذا ما فات إلا الشباب

أستغفر الله بديع العلى ... إليه أدعو وإليه مآب

من سيئات أثقلت كأهلي ... قد ملأ الكاتب منها الكتاب

يا ليت شعري هل ليالي الغضى ... آئبة أم ما لها من مآب

أيام إن يدع الهوى أستجب ... فاليوم ما عندي له من جواب

ما لي وغمر حاسد ينتحي ... عرضي بالغيب بظفر وناب

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/ ٨٧١

يغتابني ظلما وتأبى العلى ... من أن تراني في مقام اغتياب

لم يستطع مثلي صعود العلى ... فعاد يرميني بهجر السباب." (١)

"أنا ابن حماة العالمين وراثة ... وأعظمهم جرثومة في الجرائم

وأمنعهم دارا وأكثرهم حصى ... وأدفعهم عن جاره للمظالم

وقال عروة بن أذينة أيضا:

أهاجتك دار الحي وحشا جنابها ... أبت لم تكلمنا وعي جوابها

نعم ذكرتنا ما مضى وبشاشة ... إذا ذكرتها النفس طال انتحابها

وعيشا بسعدى لان ثم تقلبت ... به حقبة غال النفوس انقلابها

كأن لم يكن ما بيننا كان مرة ... ولم تغن في تلك العراص قبابها

ألا لن يعود الدهر خلة بيننا ... ولكن إياب القارظين إيابها

وعهدي بها ذوابة الطرف تنتهي ... إلى رملة منها هيال حقابها

وما فوقه لدن العسيب وشاحه ... يغني الحشا أثناؤها واضطرابها

وتضحك عن حمش اللثاث كأنما ... نشا المسك في ذوب النسيل رضابها

على قرقف شجت بماء سحابة ... لشرب كرام حين فت قطابها

لها وارد دان على جيد ظبية ... بسائلة ميثاء عفر ذئابها

دعاها طلا خافت عليه بجزعها ... كواسب لحم لا يمن اكتسابها

إذا سمعت منه بغاما تعطفت ... وراع إليه لبها وانسلابها

ألمت بنا طيفا تسدى ودونه ... مخاريق حسمى قورها وهضابها

كأن خزامى طلة ضافها الندى ... وفارة مسك ضمنتها ثيابها

فكدت لذكراها أطير صبابة ... وغالبت نفسا زاد شوقا غلابها

إذا اقتربت سعدى لججت بهجرها ... وإن تغترب يوما يرعك اغترابها

ففي أي هذا راحة لك عندها ... سواء لعمري نأيها واقترابها

تباعدها عند الدنو وربما ... دنت ثم لم ينفع وشد حجابها

وفي النأي منها ما علمت إذا النوى ... تجرد ناويها وشدت ركابها

كفى حزنا ألا تزال مريرة ... شطون بها تهوي يصيح غرابها

يقول لي الواشون سعدى بخيلة ... عليك معن ودها وطلابها

فدعها ولا تكلف بها إذ تغيرت ... فلم يبق إلا هجرها واجتنابها

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء العراق ج ٤ المجلد الثاني ٢ العماد الأصبهاني ص/٥٦٤

فقلت لهم سعدى علي كريمة ... وكالموت بله الصرم عندي عتابها

فكيف بما حاولتم إن خطة ... عرضتم بها لم يبق نصحا خلابها

وسعدى أحب الناس شخصا لو أنها ... إذا أصقبت زيرت وأجدى صقابها

ولكن أتى من دونها كلم العدى ... ورجم الظنون جورها ومصابها

فأمست وقد جذت قوى الحبل بغتة ... وهرت وكانت لا تهر كلابها

وعاد الهوى منها كظل سحابة ... ألاحت ببرق ثم مر سحابها

فلا يبعدن وصل لها ذهبت به ... ليال وأيام عنانا ذهابها

ولا لذة العيش الذي لن يرده ... على النفس يوما حزنا واكتئابها

ولا عبرات يترع العين فيضها ... كما فاض من شك الصناع طبابها

إذا أغرقت إنسانها وسواده ... تداعى بملء الناظرين انسكابها

ومن حب سعدى لا أقول قصيدة ... أرشحها إلا لسعدى شبابها

لها مهل من ودنا ومحلة ... من القلب لم تحلل عليها شعابها

فإن تك قد شطت بها غربة النوى ... وشرف مزدارا عليك انتيابها

فقد كنت تلقاها وفي النفس حاجة ... على غير عين خاليا فتهابها

وتشفق من إحشامها بمقالة ... إذا حضرت ذا البث غلق بابها

فلا وأبيها ما دعانا تهالك ... إلى صرمها إن عن عنا ثوابها

وما زال يثنيني على حب غيرها ... وإكرامه إكرامها وحبابها

وقولي عسى أن تجزني الود أو ترى ... فتعتب يوما كيف دأبي ودأبها

وكم كلفتنا من سرى حد ليلة ... حبيب إلى الساري المجد انجيابها

كأن على الأشراف ضرب جليدة ... ندائف برس جللته حدابها

ومن فور يوم ناجم متضرم ... بأجواز موماة تعاوى ذئابها

يظل المها فيها إلى كل مكنس ... دموحا إذا ما الشمس سال لعابها

ووالى الصرير الجندب الجون وارتقت ... حرابي في العيدان حان انتصابها." (١)

"ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا ... وشدات قيس يوم دير الجماجم

أكلفت قيسا أن نبا سيف غالب ... وشاعت له أحدوثة في المواسم

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت ... يداك وقالوا محدث غير صارم

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/٩٥

ضربت به عرقوب ناب بصوأر ... ولا يضربون البيض تحت العمائم

عنيف بهز السيف قين مجاشع ... رفيق بأخرات الفؤوس الكرازم

ستخبر يا ابن القين إن رماحنا ... أباحت لنا ما بين فلج وعاسم

ألا رب قوم قد نكحنا بناتهم ... بصم القنا والمقربات الصلادم

لقد حظيت قدما سليم وعامر ... وعبس بتجريد السيوف الصوارم

وعبس هم يوم الفروقين طوقوا ... بأسيافهم قدموس رأس صلادم

وإني وقيسا يا ابن قين مجاشع ... كريم صفي مدحتي للأكارم

إذا عدت الأيام أخزيت دارما ... ويخزيك يا ابن القين مسعاة دارم

ألم تعط عصبا ذا الرقيبة حكمه ... ومنية قيس في نصيب الزهادم

وأنتم فررتم عن ضرار وعثجل ... وأسلم مسعود غداة الحناتم

وفي أي يوم واضح لم تقرنوا ... أسارى كتقرين البكار المقاحم

ويوم الصفا كنتم عبيدا لعامر ... وبالحزن أصبحتم عبيد اللهازم

وليلة وادي رحرحان رفعتم ... فرارا ولم تلووا زفيف النعائم

تركتم أبا القعقاع في الغل معبدا ... وأي أخ لم تسلموا للأداهم

جلبتم إلى عوف مزادا فقاده ... برمة مخذول على الدين غارم

إذا نزلوا يوما سمعتم ملامة ... بجمع من الأعياص أو آل هاشم

أحاديث ركبان المحجة كلما ... تأوهن خوصا داميات المناسم

وجارت عليكم في الحكومة منقر ... كما جار عرف في قتيل الضماضم

فأخزاكم عوف كما قد خزيتم ... وأدرك عمار ترات البراجم

لقد ذقت مني طعم حرب مريرة ... وما أنت إن جاريت قيسا بسالم

قفيرة من قن لسلمى بن جندل ... أبوك ابنها بين الإماء الخوادم

وقال جرير يهجو الراعي النميري:

أقلي اللوم عاذل والعتابا ... وقولي إن أصبت لقد أصابا

أجدك لا تذكر أهل نجد ... وحيا طال وما انتظروا الإيابا

بلى فارفض دمعك غير نزر ... كما عينت بالسرب الطبابا

أيجمع قلبه طربا إليكم ... وهجرا بيت أهلك واجتنابا

سألناها الشفاء فما شفتنا ... ومنتنا التودد والخلابا

وقلت بحاجة وطلبت أخرى ... وهاج علي بينهم اكتئابا

أسيلة معقد القرطين منها ... وريا حيث تعتقد الحقابا

ولا يمشي اللئيم لها بسب ... ولا تهدي لجارتها السبابا

ووجد قد طويت يكاد منه ... ضمير القلب يلتهب التهابا

متى أذكر لخور بني عقال ... تبين في وجوههم اكتئابا

إذا لاقى بنور وقبان غما ... شددت على أنوفهم العصابا

أبى لي ما مضى لي في تميم ... وفي حتى خزيمة أن أعابا

سيعلم من يكون أبوه قينا ... ومن عرفت قصائده اجتلابا

أثعلبة الفوارس أو رياحا ... عدلت بهم طهية والخشابا

رأيت سواده فدنون منه ... فيرميهن أخطأ أو أصابا

فلا وأبيك ما لا قيت حيا ... كيربوع إذا رفعوا العقابا

وما وجد الملوك أعز منا ... وأسرع من فوارسي استلابا

إذا حرب تلقح عن حيال ... ودرت بعد مريتها اعتصابا

ونحن الحاكمون على قلاخ ... كفينا االجريرة والمصابا

حمينا يوم نجب حمانا ... وأحرزنا الصنائع والنهابا

لنا تحت الحمائل سابغات ... كنسج الريح تطرد الحبابا." (١)

"وإذا عدلت به رجالا لم تجد ... فيض الفرات كراشح الأوشال

وإذا تبوع للحمالة لم يكن ... عنها بمنبهر ولا سعال

وإذا أتى باب الأمير لحاجة ... سمت العيون إلى أغر طوال

ضخم سرادقه يعارض سيبه ... نفحات كل صبا وكل شمال

وإذا الملوك تؤوكلت أعناقها ... فالحمل هناك على فتى حمال

ليست عطيته إذا ما جئته ... نزرا وليس سجاله كسجال

فهو الجواد لمن تعرض سيبه ... وابن الجواد وحامل الأثقال

ومسوم خرق الحتوف يقوده ... للطعن يوم كريهة وقتال

أقصدت رائدها بعامل صعدة ... ونزلت عند تواكل الأبطال

والخيل عابسة كأن فروجها ... نحورها ينضحن بالجريال

والقوم تختلف الأسنة بينهم ... يكبون بين سوافل وعوالي

ولقد تزيل الخيل عن أهوائها ... وتفل حد رجالها برجال

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/١٦٢

وموقع أثر السفار بخطمه ... من سود عقة أو بني الجوال

تمري الجلاجل منكباه كأنه ... قرقور أعجم من تجار أوال

بكرت علي به التجار وفوقه ... أرواح طيبة الرياح حلال

فوضعت غير غبيطه أثقاله ... بسباء لا حصر ولا وغال

ولقد شربت الخمر في حانوتها ... وشبربتها بأريضة محلال

ولقد رهنت يدي المنية معلما ... وحملت عند تواكل الحمال

ولأجعلن بني كليب شهرة ... بعوارم ذهبت مع القفال

كل المكارم قد بلغت وأنتم ... زمع الكلاب معانقو الأطفال

وكأنما نسيت كليب عيرها ... بين الصريح وبين ذي العقال

يمشون حول مخدم قد سحجت ... متنيه عدل حناتم وسخال

وإذا أتيت بني كليب لم تجد ... عددا يهاب ولا كثير نوال

العادلين بدارم يربوعهم ... جدعا جرير لألأم الأعدال

وإذا أردت جري فاحبس صاغرا ... إن البكور لحاجب وعقال

وقال الأخطل يمدح مصقلة بن هبيرة الشيباني: البسيط

هل تعرف اليوم من ماوية الطللا ... تحملت إنسه منه وما احتملا

ببطن خنيف من أم الوليد وقد ... تامت فؤادك أو كانت له خبلا

جرت عليه رياح الصيف حاصبها ... حتى تغير بعد الأنس أو خملا

فما به غير موشي أكارعه ... إذا أحس بشخص نابئ مثلا

يرعى بخينف أحيانا وتضمره ... أرض خلاء وماء سائل غللا

شهري جمادى فلما كان في رجب ... أتمت الأرض مما حملت حبلا

كأن عطارة باتت تطيف به ... حتى تسربل مثل الورس وانتعلا

من خضب نور خزامى قد أطاع له ... أصاب بالفقر من وسميه خضلا

فهو يقر بها عينا لمرتعه ... والقلب مستشعر من خيفة وجلا

حتى إذا الليل كف الطرف ألبسه ... غيث إذا ما مرته ريحه سحلا

داني الرباب إذا ارتجت حوامله ... بالماء سد فروج الأرض واحتفلا

فبات **مكتئبا** للبرق يرقبه ... كليلة الوصب ما أغفى وما غفلا

فبات في حقف أرطاة يلوذ بها ... إذا أحس بسيل تحته انتقلا

كأنه ساجد من نضح ديمته ... مسبح قام بعض الليل فابتهلا

ينفي التراب بروقيه وكلكله ... كما استماز رئيس المقنب النفلا

كأنما القطر مرجان يساقطه ... إذا علا الروق والمتنين والكفلا

حتى إذا الشمس وافته بمطلعها ... صبحه ضامر غرثان قد نحلا

طاو أزل كسرحان الفلاة إذا ... لم يؤنس الوحش منه نبأة ختلا

يشلي سلوقية غضفا إذا اندفعت ... خافت جديلة في الأثار أو ثعلا

مكلبين إذا اصطادوا كأنهم ... يسقونهم بدماء الأبد العسلا

فانصاع كالكوكب الدري جرده ... غيث تقشع عنه طال ما هطلا

حتى إذا قلت نالته سوابقها ... كر عليها وقد أمهلنه مهلا." (١)

"(لكنت حقيقا يا ابن آدم بالبكا ... على نائبات الدهر مع كل مسعد)

فاستعد من ذنوبك يا مسكين قبل عرق الجبين وانتشار العرقين وقبل مد الشمال وقبض اليمين وتضعيف قوتك بالأنين ويكثر حواليك البكا والحنين وجرت دموعك لمفارقة الأهل والبنين ولا ينفعك ما جمعت من الأموال في الشهور والسنين ثم أنت في قبرك لعملك رهين إلى يوم عرضك على أسرع الحاسبين

قد تغير جسمك في الجنادل والتراب بعد تنعمك بدقائق الشباب

وأنشدوا

(من لم يطأ منا التراب برجله ... وطئ التراب بنضرة الخد)

(لو كشفت للناس أغطية البلى ... لم يعرفوا المولى من العبد)

(من كان بينك في التراب وبينه ... شبران كان بموضع البعد)

٢٦٠ - أسماء العباد

ذكر في بعض الأخبار أن لله سبحانه وتعالى شجرة فرعها تحت العرش مكتوب على كل ورقة من أوراقها اسم عبد من عبيده فإذا جاء أجل العبد سقطت تلك الورقة التي فيها اسمه في حجر ملك الموت فأخذ روحه في الوقت

وأنشدوا

(إني لعبت وحادي الموت في طلبي ... وإن في الموت شغل لي عن اللعب)

(لو شمرت مهجتي فيما خلقت له ... ما اشتد حرصي على الدنيا ولا كلبي)

(سبحان ربي فلا شيء يعادله ... إن الحريص على الدنيا لفي تعب)

(لا تغترر بديار لا مقام بها ... واقصد لدارك إن الموت في الطلب)

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما من يوم إلا وملكان يناديان يا أهل الدنيا ولدتم للموت وتبنون للخراب

---

(١) منتهى الطلب من أشعار العرب ابن ميمون ص/٢٥٨

وأنتم محاسبون ومعذبون عند ربكم)

وأنشدوا

(عجبت لجازع باك مصاب ... بأهل أو حميم ذي **اكتئاب)**

(شقيق الجيب داعي الويل جهلا ... كأن الموت كالشيء العجاب)

(وسوى الله فيه الخلق حتى ... نبي الله فيه لم يحابي)

(له ملك ينادي كل يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب)

(لمن نبني ونحن إلى تراب ... نعود كما خلقنا من تراب)." (١)

"فلما ورد على معاوية الكتاب قال إن كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهي أكمل البرية فاستنطقها فإذا هي أحسن الناس كلاما وأكملهم شكلا ودلا فقال يا أعرابي هل لك من سلو عنها بأفضل الرغبة قال نعم إذا فرقت بين رأسي وجسدي ثم أنشأ الأعرابي يقول

لا تجعلني والأمثال تضرب بي ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار

اردد سعاد على حيران **مكتئب** ... يمسي ويصبح في هم وتذكار

قد شفه قلق ما مثله قلق ... وأسعر القلب منه أي إسعار

والله والله لا أنسى محبتها ... حتى أغيب في رمس وأحجار

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها ... وأصبح القلب عنها غير صبار

قال فغضب معاوية غضبا شديدا ثم قال لها اختاري إن شئت أنا وإن شئت ابن أم الحكم وإن شئت الأعرابي فأنشأت سعاد تقول

هذا وإن أصبح في أطمار ... وكان في نقص من اليسار

أكثر عندي من أبي وجاري ... وصاحب الدرهم والدينار

أخشى إذا غدرت حر النار ...

فقال معاوية خذها لا بارك الله لك فيها

فأنشأ الأعرابي يقول

خلوا عن الطريق للأعرابي ... ألم ترقوا ويحكم لما بي

قال فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف درهم وناقة ووطاء وأمر بها فأدخلت في بعض قصوره حتى انقضت عدتها من ابن أم الحكم ثم أمر بدفعها إلى الأعرابي

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرني." (٢)

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ابن الجوزي ص/١٥١

(٢) ذم الهوى ابن الجوزي ص/٣٤١

"١٤٢- فصل: معاذ الله إنه ربي

٦٦٢- نازعتني نفسي إلى أمر مكروه في الشرع، وجعلت تنصب لي التأويلات، وندفع الكراهة، وكانت تأويلاتها فاسدة، والحجة ظاهرة على الكراهة.

فلجأت إلى الله تعالى في دفع ذلك عن قلبي، وأقبلت على القراءة١، وكان درسي٢ قد بلغ سورة يوسف، فاتحتها، وذلك الخاطر قد شغل قلبي، حتى لا أدري ما أقرأ. فلما بلغت إلى قوله تعالى: ﴿قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي﴾ [يوسف: ٢٣] ، انتبهت لها، وكأني خوطبت بها، فأفقت من تلك السكرة، فقلت: يا نفس! أفهمت؟ هذا حر بيع ظلما، فراعي حق من أحسن إليه، وسماه مالكا، وإن لم يكن له عليه ملك، فقال: ﴿إنه ربي﴾ ، ثم زاد في بيان موجب كف كفه عما يؤذيه، فقال: ﴿أحسن مثواي﴾ . فكيف بك، وأنت عبد على الحقيقة لمولى ما زال يحسن

= منامه: فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة ٧- والاحتفاظ ببيته وماله، ٨- والرعاية على نفسه وحشمه وعياله؛ فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والرعاية على العيال والحشم جميل حسن التدبير، ٩- ولا تفشي له سرا، ١٠- ولا تعصي له أمرا. فإنك إن أنت أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

ثم اتقي مع ذلك الفرح أمامه إن كان ترحا، **والاكتئاب** عنده إن كان فرحا، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له موافقة يكن لك أطول ما يكون موافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت. والله يخير لك.

١ قراءة القرآن.

٢ ورده ووظيفته.." (١)

"ثم يقول: وأيم الله ما تلك الغفلة إلا رحمة من الله لهم ونعمة من الله عليهم. ولولا ذلك لألفي المؤمنون طائشة عقولهم طائرة أفئدتهم منخلقة علوبهم لا ينتفعون مع ذكر الموت بعيش أبدا.

داود بن المحبر عن أبيه قال: مر بنا الربيع بن برة ونحن نسوي نعشا لميت فقال: من هذا الغريب الذي بين أظهركم؟ قلنا ليس بغريب بل هو قريب حبيب. قال: فبكى وقال: من أغرب من الميت بين الأحياء؟ قال: فبكى القوم جميعا.

عن محمد بن سلام قال: سمعت الربيع بن عبد الرحمن يقول: رضيت لنفسك، وأنت الحول القلب، أن تعيش عيش البهائم، نهارك هائم وليلك نائم والأمر أمامك جد.

محمد بن سلام الجمحي قال: كان الربيع بن برة يقول: نصب المتقون الوعيد من الله أمامهم فنظرت إليه قلوبهم بتصديق وتحقيق فهم والله في الدنيا منغصون، ووقفوا ثواب الأعمال الصالحة خلف ذلك فمتى سمت أبصار القلوب إلى ثواب الأعمال تشوقت القلوب وارتاحت إلى حلول ذلك، فهم والله إلى الآخرة متطلعون بين وعيد هائل ووعد حق صادق لا ينفكون من خوف وعيد إلا رجعوا إلى شوق موعود. فهم كذلك وعلى ذلك في الموت جعلت لهم الراحة. ثم بكى.

---

(١) صيد الخاطر ابن الجوزي ص/٢١٥

عاصم الخلقاني قال: قال الربيع بن عبد الرحمن: إن لله عبادا أخمصوا له البطون عن مطاعم الحرام، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام رجاء أن ينير لهم قلوبهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها، فهم في الدنيا **مكتئبون** وإلى الآخرة متطلعون، نفذت أبصار قلوبهم بالغيب إلى الملكوت فرأت فيه ما رجت من عظيم ثواب الله فازدادوا لله بذلك جدا واجتهادا عند معاينة أبصار قلوبهم ما انطوت عليه آمالهم فهم الذين لا راحة لهم في الدنيا وهم الذين تقر أعينهم غدا بطلعة ملك الموت عليهم. قال: ثم يبكي حتى يبل لحيته بالدموع.

محمد بن سلام الجمحي قال: سمعت الربيع بن عبد الرحمن يقول في كلامه: قطعتنا غفلة الآمال عن مبادرة الآجال فنحن في الدنيا حيارى لا ننتبه من رقدة إلا أعقبتنا في أثرها غفلة، فيا إخوتاه نشدتكم بالله هل تعلمون مؤمنا بالله أغر ولنقمته أقل حذرا من قوم هجمت بهم العبر على مصارع النادمين فطاشت عقولهم وضلت حلومهم مما رأوا العبر." (١)

"لقد رأيتك على حالين فيهما عجب: حالك في قدمتي الأولى وحالك هذه! قالت: لا تعجب فإن الذي رأيت من حالي الأولى أني كنت فيما رأيت من الخير والسعة، وكنت لا أصاب بمصيبة في ولد ولا في خول ولا مال ولا أوجه في تجارة إلا سلمت، ولا يبتاع لي شيء إلا أربح فيه فتخوفت أن لا يكون لي عند الله عز وجل خير، فكنت **مكتئبة** لذلك، وقلت: لو كان لي عند الله خير ابتلاني. فتوالت علي المصائب في ولدي الذي رأيت، وخولي ومالي، فما بقي لي منه شيء، ورجوت أن يكون الله عز وجل قد أراد بي خيرا فابتلاني، وذكرني ففرحت لذلك وطابت نفسي.

قال: فانصرفت فلقيت عبد الله بن عمر فأخبرته خبرها فقال: أرى والله هذه ما فاتها أيوب النبي صلى الله عليه وسلم إلا بقليل، لكني قد تخرق مطرفي هذا، أو كلمة نحوها، فأمرت به أن يصلح فلم يعمل كما كنت أريد فأحزنني ذلك. انتهى ذكر أهل البحرين.." (٢)

"كيف غدا في لونه ... كعاشق **مكتئب**

مكاحل من فضة ... قد طليت بالذهب

وقال ابن القطاع في البسر الأحمر:

أنظر إلى البسر إن صورته ... أحسن ما صورة رأى الرائي

كأنما شكله لمبصره ... أنامل قمعت بحناء

ومما يتعلق بما ذكرناه قول بعض الشعراء في الجمار:

أهدى لنا جمارة ... من لست أخلو من عذابه

فكأنما هي جسمه ... لما تجرد من ثيابه

ومن الشعر المجهول أيضا فيه:

جمارة كالماء لكنها ... ما بين أطمار من الليف

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٢/٢٠٩

(٢) صفة الصفوة ابن الجوزي ٢/٢٨٣

كأنها جسم رطيب وقد ... لفف في ثوب من الصوف

ومما يتعلق بتشبيه الطلع وما ذكرناه قول بعض الشعراء في تشبيه النخل:

أنظر إلى الظل والضباب ... وحجبة الشمس في السحاب

وانظر إلى النخلة الفرادى ... كأنها محوض التراب." (١)

"– المعنى يريد أيظن فحذف همزة الاستفهام وهو يريدها وروى بالتاء على الخطاب وبالياء على الإخبار عن سيف الدولة يريد أتظن أنى غير حزين وليس هذا مليحا فى حق امرأة أجنبية أن يخاطبها بمثل هذا فرواية الياء أحسن وهى روايتى عن شيخى أبى الحرم وأبى محمد

١٣ – المعنى أنه يقسم بحرمة من هذه صفاتها إنى **مكتئب** ودمعى منسكب ويروى

(بحرمة المجد والإسلام ...)

يريد بلى وحرمة هذه أن دمعى منسكب وفؤادى **مكتئب**

١٤ – الغريب النشب المال جميعه صامته وناطقه المعنى يريد قد مضت ولم يوجد مثلها بعدها من يتخلق بأفعالها فليس يرثها أحد وإن كان ما تملكه مباحا فخلائقها لا تورث لأنها تفردت بها دون غيرها

١٥ – الغريب الأتراب واحدها ترب يقال هذه ترب هذه أى لدتها وأكثر ما يستعمل فى المؤنث قال الله تعالى ﴿عربا أترابا﴾ بعضهن لدات بعض المعنى يريد همها مذ نشأت فى جمع العلا وتدبير الملك وأقرانها همهن فى اللهو واللعب وهذا مثل قول بعضهم

(فهمك فيها جسام الأمور ... وهم لداتك أن يلعبوا)

١٦ – الغريب الشنب حدة فى الأسنان وقيل برد وعذوبة وامرأة شنباء بينة الشنب وقال الجرمى سمعت الأصمعي يقول إنه برد الفم والأسنان فقلت له إن أصحابنا يقولون هو حدتها حين تطلع فيراد بذلك حدتها وطراءتها لأنها إذا أتت عليها السنون احتكت فقال ما هو إلا بردها وقول ذى الرمة

(بيضاء فى شفتيها حوة لعس ... وفى اللثات وفى أنيابها شنب)

يقوى قول الأصمعى لأن اللثات لا يكون فيها حدة وقول الأعرابية

(بأبى أنت وفوك الأشنب ... كأنما ذر عليه الزرنب)

يؤيد قول الأصمعى المعنى يريد أن أترابها إذا جئن إليها رأين حسن مبسمها ولا يعلم ما وراء شفتيها إلا الله لأنه لم يذقه أحد قال أبو الفتح كان المتنبى يتجاسر فى ألفاظه جدا ولقد أساء بذكره حسن مبسم أخت ملك وفى معنى بيت أبى الطيب

(لا والذى تسجد الجباه له ... مالى بما ضم ثوبها خبر)

---

(١) غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ابن ظافر الأزدي ص/١١٣

(ولا بفيها ولا هممت بها ... ما كان إلا الحديث والنظر)." [1]

"- الغريب تنائى تفاعل من النأى وهو البعد أنأيت الرجل ونأيته أبعدته المعنى يقول هذه الأيام مولعة بادناء من أبغض وإبعاد من أحب فما تغلط مرة بتقريب الحبيب وإبعاد البغيض فلو غلطت مرة وفعلت هذا وجعله غلطا من الدهر لأنه خلاف ما يفعله الدهر كما قيل فى بخيل

(يا عجبا من خالد كيف لا ... يغلط فينا مرة بالصواب ...)

وأصل هذا المعنى الذى ذكره أبو الطيب للمضرس

(لعمرك إنى بالخليل الذى له ... على دلال واجب لمفجع ...)

(وإنى بالمولى الذى ليس نافعى ... ولا ضائرى فقدانه لممتع ...)

ومثله للطرماح

(يفرق منا من نحب اجتماعه ... ويجمع منا بين أهل الضغائن ...)

وقال آخر

(عجبت لتطويح النوى من تحبه ... وإدناء من لا يستلذ له قرب ...)

وكقول لطف الله ابن المعافى

(ومن أهواه يبغضنى عنادا ... ومن أشناه شص فى لهاتى ...)

٣ - الإعراب الحدالى ابتداء وشرقي فى موضع نصب على الظرف وحذفت الإضافة منه لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الحدا لى خبرا وشرقى مبتدأ لأنه يجوز أن يكون ظرفا وغير ظرف قال جرير

(هبت جنوبا فذكرى ما ذكرتكم ... عند الصفاة التى شرقى حورانا ...)

ووجه النصب والرفع جائز على تقدير التى هى شرقى الغريب الحدالى بفتح الحاء وضمها موضع بالشام وقيل جبل وغرب جبل هناك معروف قال الشاعر

(ألا يا طول ليلى بالحدالى ... فأعتاد الأشق إلى رعالى ...)

(أبيت الليل مكتئبا حزينا ... وتسألنى العوائد كيف حالى ...)

وقوله تثية التثية التلبث والتمكث قال الشاعر

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٨٩/١

(قف بالديار وقوف زائر ... وتأى إنك غير صاغر ...)

المعنى يقول ما أسرع سيرى وأقتل تلبثى عشية كان هذا ن الموضعان على جانب الشرقى." (١)

"– الغريب النجوى ما يستر من الكلام والعراك المحاككة ١ والمزاحمة المعنى يقول لعضد الدولة مخاطبا أنا أستر منك ما يجرى بينى وبين القلب من المناجاة وأخفى عنك هموم فراقك التى قد أطلت بمزاحمتها ومغالبتها

٢١ – الغريب الركاك الضعاف وهو جمع ركيك كضعيف المعنى يقول إذا عاصيت الهموم فى فراق الممدوح اشتدت على فإن طاوعتها فى الارتحال سهلت ولانت وفاضت وإن عاصيتها فى الإقامة عندك اشتدت على ومثل هذا قول أبى العتاهية

(كم أمثور عاصيتهن زمانا ... ثم هونتها على فهانت)

٢٢ – الغريب الثوية مكان بالكوفة قريبا منها على ثلاثة أميال المعنى يقول كم دونها من إنسان حزين لفراقى فإذا قدمت فرح بقدومى فيقول له القدوم هذا السرور بالغم الذى كنت لقيته بالبعد وهذا كقول الطائى

(وليست فرحة الأوبات إلا ... لموقوف على ترح الوداع)

وقال ابن الرومى يخاطب أمه وقد أراد سفرا

(فقلت لها إن اكتئابا بشاخص ... سيتبعه الله ابتهاجا بقادم)

٢٣ – الإعراب ومن عذب عطف على قوله من حزين أى وكم من عذب الرضاب الغريب الرضاب ماء الأسنان وتروك اسم ناقة قد أعطاها له عضدا لدولة والوراك جلد يتخذه الراكب تحت وركه كالمخدة التى يثنى عليها الراكب رجله إذا تعب ليستريح وهى قدام واسطة الرجل والجمع ورك قال زهير

(مقورة تتبارى لا شوار لها ... إلا القطوع على الأجواز والورك)

المعنى يقول كم هناك من شخص عذب الرضاب إذا أنخت إليه ناقتى قبل رحلها ووراكها إعجابا بها يفديها بنفسه إكراما لها إذا أدنتنى إليه

٢٤ – الغريب صاك الشئ بالشئ لصق به ومنه قول الأعشى

(ومثلك معجبة بالشباب ... وصاك العبير بأجلادها)

المعنى يقول من وصف عذب الرضاب أنه يحرم الطيب لأجل مفارقتى له ولا يتصنع بشئ من الزينة بعدى فيتلقانى وقد برت أليته وكملت أمنيته بقدومى وفاح الطيب من أردانه وعبق وصاك العبير فى أثوابه ولصق." (٢)

"(وإن سلوى عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها)

المعنى يقول أنا محسود لفضلى ومكذوب على إذا خرجت من موضع لخوفهم مني ولا يقدر أحد أن يدركني والشجاع إذا

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١/١٧٧

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٢/٣٩١

حان وقته وأجله لقيني في معركة وصدر البيت من قول التغلبي

(يغتاب عرضي خاليا ... وإذا يلاقينا اقشعر)

ومن قول سويد بن أبي كاهل

(ويحييي إذا لاقيته ... وإذا يخلو له لحمي رتع)

١٣ – الإعراب ذهب سيبويه إلى أن همزة أشرئب أصلية وهي تزاد في مثل هذا الموضع كثيرا نحو قوله اطمأن وازمأر إذا تهيأ للقتال واشمأز من الشيء إذا تقبض وهذه الأماكن تشهد لها بالزيادة لا سيما والعرب إذا اضطرت همزت أفعالا فقالت أحمأر واسوأد الغريب أشرئب أتطلع إلى الشيء وحسران فعلان من الحسرة المعنى يقول لا أتطلع إلى شيء ولا أتحسر على شيء فلا أتطلع إلى ما لم يفت ولا أتحسر على ما فات وهو من قول عبد القدوس

(إن الغني الذي يرضى بعيشته ... لا من يظل على ما فات مكتئبا)

١٤ – المعنى يقول لا أفرح بما آخذه من غيري لأنه هو المحمود على عطائه ولو ملأ الدهر لي عطاء والحميد هو المحمود

١٥ – الغريب الركاب الإبل وقلقلن خركن والكيران جمع كور هو رحل الجمل يقال كور وأكوار وكيران المعنى يقول لا أقصد ما حييت ولا قلقك ركابي أكوارها وهذا قوله وقد قصد بعد هذا جماعة بل يشهد له آخر الشعر

١٦ – الإعراب بعرانا حال من الناس." (١)

"من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي فأتاني بصحيفة من ملك غسان فإذا فيها: أما بعد فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان فالحق بنا نواسك.

قال: فقلت: هذا أيضا من البلاء والشر فأسجرت لها التنور وأحرقتها.

فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي صلى الله عليه وسلم قد أتاني فقال: "اعتزل امرأتك" فقلت: أطلقها؟ قال: "لا ولكن لا تقربها".

وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف فهل تأذن لي أن أخدمه؟ قال: "نعم ولكن لا يقربنك" قالت: يا نبي الله! والله ما به من حركة لشيء ما زال مكتئبا يبكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان.

قال كعب: فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة حائطه وهو ابن عمي – فسلمت عليه فلم يرد علي فقلت: أنشدك الله يا أبا قتادة! أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت ثم قلت أيضا يا أبا قتادة! أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت ثم قلت: أنشدك الله يا أبا قتادة! أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ قال: الله ورسوله أعلم.

قال: فلم أملك نفسي أن بكيت ثم اقتحمت الحائط خارجا.

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٤/٢٢٤

حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامنا صليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم جلست وأنا في المنزلة التي قال الله عز وجل قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت إذ سمعت نداء من ذروة سلع: أبشر يا كعب بن مالك! فخررت ساجدا وعرفت أن الله تعالى قد جاء بالفرج ثم جاء رجل يركض على فرس يبشرني فكان الصوت أسرع من فرسه فلما جاءني الذي سمعت صوته أعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين قال: وكانت توبتنا نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ثلث الليل فقالت أم سلمة: يا نبي الله! ألا نبشر كعب بن مالك؟ قال: "إذا يحطمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة".

قال: وكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن بأمري فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستنارة القمر وكان إذا سر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال: "أبشر يا كعب بن مالك بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك" قال: قلت يا نبي الله أمن عند الله." (١)

"قال: فأحضرني ودعا نافذا وقرأ الأبيات عليه وقال له: فعلتها يا عدو الله؟! فغضب نافذ حتى كاد يبكي وجعفر يضحك ويصفق، ثم لم يعد بعدها إلى التعرض.

وحدث «١» علي بن الصباح قال: كانت امرأة من بني كلاب يقال لها زهراء تحدث إسحاق وتناشده، وكانت تميل إليه وتكني عنه في شعرها إذا ذكرته ب «جمل» قال: فحدثني إسحاق أنها كتبت إليه وقد غابت عنه:

وجدي بجمل على أني أجمجمه ... وجد السقيم ببرء بعد إدناف

أو وجد ثكلى أصاب الموت واحدها ... أو وجد مغترب من بين ألاف

قال فأجبتها:

اقرا السلام على زهراء إذ ظعنت «٢» ... وقل لها قد أذقت القلب ما خافا

أما أويت «٣» لمن خلفت مكتئبا ... يذري مدامعه سحا وتوكافا

فما وجدت على إلف فجعت به «٤» ... وجدي عليك وقد فارقت ألافا

وحدث محمد بن عبد الله الخزاعي قال: أنشدني إسحاق لنفسه «٥» :

سقى الله يوم الماوشان ومجلسا ... به كان أحلى عندنا من جنى النحل

غداة اجتنينا اللهو غضا ولم نبل ... حجاب أبي نصر ولا غضب الفضل

غدونا صحاحا ثم رحنا كأننا ... أطاف بنا شر شديد من الخبل

فسألته ان يكتبنيها ففعل، فقلت له: ما حديث يوم الماوشان فقال: لو لم أكتبك الأبيات ما سألت عما لا يعنيك، ولم يخبرني.

قال «٦» : وكان ابن الأعرابي يصف اسحاق ويقرظه ويثني عليه ويذكر أدبه وحفظه." (٢)

---

(١) التوابين لابن قدامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي ص/٦٦

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢/٦٠٨

"من قول المهلبي الوزير:

تصارمت الأجفان منذ صرمتني ... فما تلتقي إلا على دمعة تجري

وللصاحب أيضا «١» :

ومهفهف حسن الشمائل أهيف ... يروي النفوس بفترتي عينيه

ما زال يبعدني ويؤثر هجرتي ... فجذبت قلبي من إسار يديه

قالوا تراجعه فقلت بديهة ... قولا أقيم مع الروي عليه

والله لا راجعته ولو انه ... كالبدر أو كالشمس أو كبويه

أخذه من قول ابن المعتز:

والله لا كلمتها ولو انها ... كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

قال المؤلف: هكذا ذكر الثعالبي، ونسب هذا البيت الى ابن المعتز، وهو لأبي بكر محمد بن السراج النحوي، وله قصة طريفة، وهي مذكورة في أخباره من هذا الكتاب.

ومما هجي به الصاحب قول أبي العلاء الأسدي:

إذا رأيت مسجى في مرقعة ... يأوي المساجد حرا ضره بادي

فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت ... به الخطوب الى لؤم ابن عباد

وقال السلامي «٢» :

يا ابن عباد بن عباس بن عبد الله حرها ... تنكر الجبر وأخرجت الى دنياك كرها

ومر أبو العباس الضبي بباب الصاحب بعد موته فقال «٣» :

أيها الباب لم علاك اكتئاب ... أين ذاك الحجاب والحجاب

أين من كان يفزع الدهر منه ... فهو الآن في التراب تراب." (١)

"ولقد سئمت من الوزير ومن ذويه زائده ... وغسلت من معروفهم

كلتا يدي بواحده ... وضربتهم عرض الجدا

ر فليس فيهم فائدة

ومن مشهور قوله:

ومعقرب الأصداغ في ... خديه ورد ينتثر

لا عبته بالكعبتي ... ن مسامحا حتى قمر

فازداد حسنا وجهه ... لما رأى حسن الظفر

فنعرت نعرة عاشق ... قمر القمر قمر القمر

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢/٧١١

وله:

ومقرطق في صحن غرة وجهه ... متصرف صرف الجمال وتحته

عاقرته أسكرته قبلته ... جدلته فقحته سرحته

وله من أبيات كان يغنى بها في حضرة الأمير محمد بن محمود:

قم يا خليلي فاسقني ... كشعاع خدك من شراب

فلقد يمر العيش من ... قرضا ولا مر السحاب

فانعم بعيشك ما استطع ... ت ولا تضع شرخ الشباب

فلكم أضعت من الشبا ... ب وما استفدت سوى اكتئاب

قال ابن عبد الرحيم: ثم ورد العميد إلى بغداد في أوائل سني نيف وعشرين وأربعمائة، ومدح أمير المؤمنين القادر بالله والأجل عميد الرؤساء أبا طالب ابن أيوب كاتبه، ثم خرج من بغداد وبلغني الآن في سنة خمس وثلاثين أنه اتصل بالملوك السلجوقية الغز المتملكين على خراسان وخوارزم والجبل، وأنهم عرضوا عليه الخدم الجليلة، فاختار منها ما يظن معه سلامة العاقبة والخلاص من التبعة.

ومن قصيدته في القادر:

ولم يربي ذو منة غير خالقي ... وغير أمير المؤمنين ببابه

غنيا بلا دنيا عن الخلق كلهم ... وان الغنى إلا عن الشيء لا به." (١)

"يا ليت شعري هل سعد يساعدني ... أم هل لداء الهوى في الناس من راق

أم هل سبيل إلى سلوان مكتئب ... أم هل طريق إلى إيناس مشتاق

يا نجل إسحاق يا من ثوب سؤدده ... قد جل في الدهر عن وهي وإسحاق

فما تمهلت في يومي وغى وندى ... إلا قضيت بآجال وأرزاق

وكل ذكر وإن طال الزمان به ... فان وذكرك في نادي الندى باق.

[٧٦٢] علي بن سليمان الأديب البغدادي، أبو الحسن:

أحد الفضلاء المبرزين والظراف المشهورين. قرأت بخط أبي سعد قال: ذكر أبو المظفر محمد بن العباس الأبيوردي في «كتاب تعلة المشتاق» من تصنيفه قال فيه: وقد صممت العزم على معاودة الحضرة الرضوية بخراسان لأنهي إليها ما قاسيته في التأخر عن الخدمة، وعلم الأديب أبو الحسن علي بن سليمان صري عزمي، فجشم إلي قدمه، وجرى على عادته الرضية في رعاية جانبي تمهيدا لما استمر بيننا من أواصر المودة، ولعمر الفضل إني لم أجد في غربتي هذه فاضلا يباريه ولا ظريفا يجاريه، ومن وصف البغدادي بالفضل والظرف فقد كساه الثناء المختصر، وحمل التمر إلى هجر. ومن مليح ما أسمعنيه أنه قال: سألنا أبا القاسم عبد العزيز بن أحمد بن ناقيا البغدادي (قلت:

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٤/١٦٨٠

هكذا قال عبد العزيز وصوابه عبد الله ذكرناه في بابه من هذا الكتاب) عن المتنبي وابن نباتة والرضي فقال: إن مثلهم عندي مثل رجل بنى أبنية شاهقة وقصورا عالية وهو المتنبي، فجاء آخر وضرب حولها سرادقات وخيما وهو ابن نباتة، ثم جاء الرضي ينزل تارة عند هذا وتارة عند ذاك، فأنشدني قال أنشدني أسبهدوست بن محمد بن أسفار الديلمي قال: أنشدني أبو الفرج الببغا لنفسه «١» :

أشقيتني فرضيت أن أشقى ... وملكتني فقتلتني عشقا

---

[٧٦٢]- لم أعثر على ترجمة له.." (١)

"العذاب إلى أن تلف، ولما أحس بالقتل قال:

راعوا قليلا فليس الدهر عبدكم ... كما تظنون والأيام تنتقل

وهذا شيء من خبره وشعره:

قال «١» كان أبو الفضل أبوه قد جعل جماعة من ثقات أبي الفتح في صباه يشرفون عليه في منزله ومكتبه وينهون إليه أنفاسه، فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث من عقد مجلس مسرة واحضار الندماء في خفية شديدة واحتياط من أبيه، وأنه كتب رقعة إلى من سماه يستهديه شرابا، فحمل إليه ما يصلحهم من الشراب والنقل والمشموم، فدس أبوه إلى ذلك الانسان من جاء بالرقعة الصادرة عن أبي الفتح فإذا فيها بخطه: بسم الله الرحمن الرحيم قد اغتنمت الليلة- أطال الله بقاء سيدي ومولاي- رقدة من عين الدهر، وانتهزت فيها فرصة من فرص العمر، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا، فإن لم تحفظ علينا النظام باهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام. فاستطير أبوه فرحا وإعجابا بهذه الرقعة البديعة وقال: الآن ظهر لي أثر براعته ووثقت بجريه في طريقي ونيابته منابي، ووقع له بألفي دينار.

وحدث أبو الحسين ابن فارس قال «٢» : جرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسن أبو الفضل ابن العميد وزنها واستحلى رويها، وأنشد جماعة من حضر ما حضرهم على ذلك الروي وهو قول القائل:

لئن كففت وإلا ... شققت منك ثيابي

فأصغى إليها أبو الفتح ثم أنشدني في الوقت:

يا مولعا بعذابي ... أما رحمت شبابي

تركت قلبا قريحا ... نهب الأسى والتصابي

إن كنت تنكر ما بي ... من ذلتي واكتئابي

فارفع قليلا قليلا ... عن العظام ثيابي." (٢)

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٧٦٨/٤

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٨٨٩/٤

"على أنني راض بما ترتضونه ... وأفخر بالإعتاب فيكم وبالعتب

ولما سرى الوفد العراقي نحوكم ... وأعوزني المسرى إليكم مع الركب

جعلت كتابي نائبا عن ضرورة ... ومن لم يجد ماء تيمم بالترب

وأنفذت أيضا بضعة من جوارحي ... تنبئكم مشروح حالي وتستنبي

وقلت له عند الوداع وقلبه ... شج وأبوه الشيخ مكتئب القلب

ألا ابشر بما تحظى به حين تجتلي ... محيا سديد الدولة الماجد الندب

ولست أرى إذكاركم بعد خبركم ... بمكرمة حسبي اهتزازكم حسبي

هذه على عاهتها بنت ساعتها، فإن حظيت منه بالقبول المأمول، فيا بشرى للحامل والمحمول، وإن لمحت لمحة المستثقل، فيا خيبة المرسل والمرسل، والسلام.

ومن رسائل ابن الحريري رسالة التزم في كل كلمة منها السين نظما، كتبها على لسان بعض أصدقائه يعاتب صديقا له أخل به في دعوة دعا غيره إليها، وكتب على رأسها «١» : باسم القدوس أستفتح، وباسعاده أستنجح، سجية سيدنا سيف السلطان سدة سيدنا الاسفهسلار السيد النفيس سيد الرؤساء حرست نفسه، واستنارت شمسه، وبسق غرسه، واتسق أنسه، استمالة الجليس، ومساهمة الأنيس، ومؤاساة السحيق والنسيب، ومساعدة الكسير والسليب، والسيادة تستدعي استدامة السنن، والاستحفاظ بالرسم الحسن، وسمعت بالأمس تدارس الألسن سلاسة خندريسه، وسلسال كؤوسه، ومحاسن مجلس مسرته، وإحسان مسمعة ستارته، فاستسلفت الاستدعاء، وسوفت نفسي بالاحتساء «٢» ، ومؤانسة الجلساء، وجلست أستقري السبل الاسراء، وتوسمت أستطلع الرسل، وأستطرف تناسي رسمي، وأسامر الوسواس لاستحالة وسمي:

وسيف السلاطين مستأثر ... بأنس السماع وحسو الكؤوس." (١)

"العباس بن عبد المطلب الهاشمي: وقال المرزباني: هو أحمد بن محمد قتل في سنة خمسين ومائتين، في خلافة المستعين بالله، وكنيته أبو العباس، ويلقب بأبي العبر.

قال جحظة: لم أر قط أحفظ منه لكل عين ولا أجود شعرا، ولم يكن في الدنيا صناعه إلا وهو يعملها بيده حتى لقد رأيته يعجن ويخبز، وكان أبوه أحمد يلقب بالحامض، وكان حافظا أديبا في نهاية السنن، قتل بقصر ابن هبيرة وقد خرج لأخذ أرزاقه من هناك، سمعه قوم من الشيعة ينتقص عليا عليه السلام فرموا به من فوق سطح كان بائتا عليه فمات في السنة المقدم ذكرها.

وذكره أبو الفرج الأصبهاني في «كتاب الأغاني» فقال: كان أبوه أحمد يلقب حمدون الحامض، ولد لمضي خمس سنين من خلافه الرشيد، والرشيد بويع في سنة سبعين ومائة، وعاش إلى أيام المستعين بالله وكان في أول أمره يسلك في شعره الجد ثم عدل الى الهزل والحماقة فنفق بذلك نفاقا كثيرا وجمع به ما لم يجمعه أحد من شعراء عصره المجيدين، ومن سائر شعره قوله:

بأبي من زارني مكتئبا ... خائفا من كل حس جزعا

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٥/٢٢٠٩

رصد الخلوة حتى أمكنت ... ورعى السامر حتى هجعا
قمر نم عليه حسنه ... كيف يخفي الليل بدرا طلعا
ركب الأهوال في زورته ... ثم ما سلم حتى ودعا
قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب جامع الحماقات وحاوي الرقاعات. كتاب المنادمة وأخلاق الرؤساء «١» .
حدث أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي السلامي، حدثني أبو أحمد الهذلي، قال حدثنا أبو عبد الله الشعيري، وكان شاعرا من أهل بغداد قال: اجتمعت مع جماعة من الشعراء في مجلس نتناظر ونتناشد ونتساءل ونعد شعراء زماننا فمر بنا أبو العبرطر «٢» فقلنا: هذا أيضا يعد نفسه في الشعراء، فمال إلينا وقال: والله أشعر منكم." (١)

"وخياله بك في المنا ... م فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤا ... د وأنت لم تبصره سهما
ومتى رأيت جماله ... حتى كساك هواه سقما
وبأي جارحة وصل ... ت لوصفه نثرا ونظما
والعين راعية الهوى ... وبها يتم إذا استتما
فأجبت إني موسو ... ي العشق إنصاتا وفهما
أهوى بجارحة السما ... ع ولا أرى ذات المسمى
وقال في شمعة «١» :
جاءت بجسم لسانه ذرب ... تبكي وتشكو الهوى وتلتهب
كأنها في يمين حاملها ... رمح لجين سنانه ذهب
وله:
وروضات بنفسجها ... بصبغة صنعة الباري
كجرم لازوردي ... على ألفات زنجار
وله:
هويت هلالا سرى في الدجى ... وهاروت من جند أجفانه
فلا تعجبوا إن بدا وجهه ... نهارا وعظمت من شانه
فإن الهلال يرى طالعا ... مع الشمس في بعض أحيانه
وله أيضا:

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٢٩٨/٥

وزهرة لونها من العجب ... بيضاء فيها اصفرار **مكتئب**

كأنها درهم وقد جعلت ... في وسطه نقطة من الذهب." (١)

"الغرب: المنسرح: ابن عنين: ٢٦٦٣

مكتئب: المنسرح: مظفر بن ابراهيم: ٢٧٠١

النسب: المنسرح: مموبه: ٢٧١٦

وتجريب: المنسرح: أبو العالية الشامي: ٩٧٦

أيوب: المنسرح: ابن لنكك: ٢٦٢٠

أدبه: المنسرح:---: ١٩

أدبه: المنسرح: أبو تمام: ٦١٠

الأعاريب: الخفيف: أبو العيسجور: ٢٥٤

اللباب: الخفيف:---: ٦٤٩

لجوابي: الخفيف: الصابي: ١٥٤

والأداب: الخفيف: السلفي: ٤٨٩

وشبابي: الخفيف: نصر بن منفذ: ٥٩٢

وعذاب: الخفيف: خالد الكاتب: ١٢٤٥

حبيب: الخفيف: ابو البركات ابن أبي جرادة: ٢٠٧٤

بالتثويب: الخفيف:---: ١٠٠٩

السكوب: الخفيف: ابن لنكك: ٢٦٢٢

والأذناب: الخفيف: أبو الفرج الاصبهاني: ١٧١١

وحرب: الخفيف: أسامة بن منقد: ٥٧٩

المهلبي: مجزوء الخفيف:---: ١٧١٢

الرواهب: مجزوء الخفيف:---: ١٧١٤

لنصيبي: المجتث: نطاحة: ٢٠٠

الأصحاب: المجتث: الحسن بن وهب: ١٠٢٢

ثيابي: المجتث:---: ١٨٨٩

شبابي: المجتث: ابو الفتح ابن العميد: ١٨٨٩

حسبي: المجتث: أبو أحمد العروضي: ٥٢٤

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٧٠١/٦

الراهب: المتقارب: ابن أبي طاهر طيفور: ٢٨٦

الصواب: المتقارب: فتيان الأسدي: ٨٧٢

بالخضاب: المتقارب: سبط أبي منصور الخياط: ١٥٤٠

السحاب: المتقارب: ابن جني: ١٥٨٩

الصواب: المتقارب: خلف الأحمر: ٢١٤٨

ثعلب: المتقارب: القطريلي: ٥٤٣

ثعلب: المتقارب:---: ٢٦٨٠." (١)

"٦٩٨٢- سعدة بنت قمامة

(ب) سعدة بنت قمامة.

روى عنها أنها كانت تؤم النساء وتقوم في وسطهن، على حسب ما روى عن أم سلمة. يقال:

أنها أدركت النبي صلى الله عليه وسلم.

أخرجها أبو عمر مختصرا.

٦٩٨٣- سعدى بنت عمرو

(ب د ع) سعدى بنت عمرو المرية. قاله أبو عمر.

وقال ابن منده وأبو نعيم: سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان. وهي امرأة طلحة ابن عبيد الله، وهي أم يحيى بن طلحة.

روى عنها يحيى بن طلحة، وزفر بن عقيل، ومحمد ابن عمران بن طلحة.

أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن الفقيه بإسناده إلى أبي يعلى الموصلي: حدثنا هارون ابن إسحاق، حدثني محمد بن عبد الوهاب القناد، عن مسعر بن كدام، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن يحيى بن طلحة، عن أمه سعدى المرية قالت: مر عمر بطلحة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو مكتئب، فقال: أساءتك امرأة ابن عمك؟ قال: لا، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا كانت نورا في صحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت. قال عمر: أنا أعلمها، هي التي أراد عليها عمه، ولو علم شيئا أنجى له منها لأمره، يعني لا إله إلا الله. أخرجه الثلاثة.

٦٩٨٤- سعدى

(د ع) سعدى. غير منسوبة.

روى حديثها عبد الواحد بن زياد، عن عثمان بن حكيم، عن أبي بكر بن عبد الله، عن جدته سعدى- أو أسماء-: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، فقال:

يا عمة، حجي. فقالت: إني امرأة ثقيلة، وإني أخاف الحبس. فقال: حجي واشترطي أن تحلي حيث حبست. أخرجه ابن

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٩٨٣/٧

منده، وأبو نعيم

.." (١)

"٦٩٩١- سعدى بنت عمرو

ب د ع: سعدى بنت عمرو المرية قاله أبو عمر.

وقال ابن منده، وأبو نعيم: سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان.

وهي امرأة طلحة بن عبيد الله، وهي أم يحيى بن طلحة.

روى عنها يحيى بن طلحة، وزفر بن عقيل، ومحمد بن عمران بن طلحة.

(٢٢٧٩) أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن الفقيه، بإسناده إلى أبي يعلى الموصلي، حدثنا هارون بن إسحاق، حدثني محمد بن عبد الوهاب القناد، عن مسعر بن كدام، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن يحيى بن طلحة، عن أمه سعدى المرية، قالت: مر عمر بطلحة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو مكتئب، فقال: أساءتك امرأة ابن عمك؟ قال: لا، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا كانت نورا في صحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت ".

قال عمر، أنا أعلمها، هي التي أراد عليها عمه، ولو علم شيئا أنجى له منها لأمره، يعني لا إله إلا الله.

أخرجه الثلاثة." (٢)

"ومما ورد منه شعرا قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي يمتدح بها عضد الدولة أبا شجاع بن بويه، ومطلعها١:

فدى لك من يقصر عن مداكا٢

وسأذكر الموضع الذي حذف منه الفعل، وجوابه لتعلق الأبيات بعضها ببعض، وهي من محاسن ما يؤتى به في معنى الوداع، ولم يأت لغيره مثلها، وهي:

إذا التوديع أعرض قال قلبي ... عليك الصمت لا صاحبت فاكا٣

ولولا أن أكثر ما تمنى ... معاودة لقلت ولا مناكا٤

قد استشفيت من داء بداء ... وأقتل ما أعلك ما شفاكا

فأكتم منك نجوانا وأخفي ... هموما قد أطلت لها العراكا٥

إذا عاصيتها كانت شدادا ... وإن طوعتها كانت ركاكا٦

وكم دون الثوية من حزين ... يقول له قدومي: ذا بذاكا٧

---

١ ديوان المتنبي ٢/ ٣٨٥.

---

(١) أسد الغابة ط الفكر ابن الأثير، أبو الحسن ١٤١/٦

(٢) أسد الغابة ط العلمية ابن الأثير، أبو الحسن ١٤٢/٧

٢ هذا صدر المطلع، وعجزه:

فلا ملك إذن إلا فداكا

٣ إذا ظهر التوديع قال لي قلبي: اسكت، ولا تتكلم بالوداع، قال الواحدي: ويجوز أن يكون المعنى: لا تمدح غيره، ومعنى "لا صاحبت فاك" أي: لا نطقت: دعاء عليه.

٤ معناه: لولا أن قلبي أكثر ما يتمنى، ويطلب معاودة خدمة الممدوح، لقلت له: لا بلغت مناك: وقال الواحدي: لا بلغت مناك في الارتحال، حتى لا أفارقه. ولكنه يتمنى الارتحال للعود إليه.

٥ رواية الديوان "فأستر منك" موضع "فأكتم منك".

٦ الركاك: الضعاف، وهو جمع ركيك كضعيف.

٧ الثوبة مكان بالكوفة على بعد ثلاثة أميال منها، ومعنى البيت: كم دونها من إنسان حزين لفراقي، فإذا قدمت فرح لقدومي، فيقوله القدوم، هذا السرور بالغم الذي كنت لقيته بالبعد، وهذا كقول أبي تمام:

وليست فرحة الأوبات إلا ... لموقوف على ترح الوداع

وقول ابن الرومي يخاطب أمه، وقد أراد سفرا:

فقلت لها إن اكتئابا بشاخص ... سيتبعه الله ابتهاجا بقادم." (١)

"قيل بل الآتي هو الواحد". وهذا فصل من أول الكتاب.

ثم كتبت في هذا المعنى كتابين آخرين، وفي الذي أوردته من هذا الفصل مقنع.

ومن هذا الأسلوب ما كتبته إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه، وكانت الكتب قد انقطعت بيني وبينه زمانا، وهو: "لقاء كتب الأحباب كلقاء الأحباب، وقد تأتي بعد يأس منها فيشتبه دمع السرور بدمع الاكتئاب، ومن أحسنها كتاب المجلس السامي الفلاني جعل الله الليالي له صحبا، والمعاني له عقبا، ورفع مجده فوق كل ماجد حتى تكون حسناتهم لدى حسناته ذنبا، ولا زال اسمه في الأفواه عذبا وذكره في الألسنة رطبا، ووده لكل إنسان إنسانا ولكل قلب قلبا". ثم انتهيت إلى آخر الكتاب على هذا النسق، وإنما ذكرت ههنا مبتدأه؛ لأنه الغرض المقصود في هذه الموضع.

ومن ذلك ما كتبته إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه، وهو: "البشرى تعطى للكتاب كما تعطى لمرسله، وكل منهما يوفى حق قدره وينزل في منزله، وكذلك فعل الخادم بكتاب المجلس السامي الفلاني لا زال محله أنيسا، وذكره للفرقدين جليسا، وسعيه على المكارم حبيسا، ومجده جديد الملابس إذا كان المجد لبيسا"، وههنا ذكرت في هذا الكتاب كما ذكرته من الذي قبله، فإني لم أذكر إلا مبدأه الذي هو الغرض.

ومما ينتظم في هذا السلك ما كتبته في صدر كتاب يتضمن تعزية، وهو: "لو لم يلبس قلمي ثوب الحداد لهجر مداده، ونضا عنه سواده، وبعد عن قرينته، وعاد إلى طينته، وحرم على نفسه أن يمتطي يدا، أو يجري إلى مدى، لكنه أحد فندب وبكى

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ٢/٢٣٤

فسكب، وسطر هذا الكتاب من دموعه، وضمنه ما حملته أحناء ضلوعه، وإنما استعار ذلك من صاحبه الذي أعداه، وأبدى إليه من عزمه." (١)

"يدي إلى الكتاب بعد أن صافحت يد موصله، كما صافحت عبقة مندله، وقلت:

أهلا بمن أدنى من الحبيب مزارا، وأهدى لعيني قرة ولقلبي قرارا.

وهذا في الغرابة كأخواته التي تقدمت.

ولم أستقص ما اخترعته من هذا الباب في مطالع الكتب.

وأما ما أتيت فيه بالحسن من المعاني ولكنه غير مخترع؛ فمن ذلك مطلع كتاب كتبته عن الملك نور الدين أرسلان بن مسعود صاحب الموصل إلى الملك الأفضل علي بن يوسف يتضمن تعزية وتهنئة: أما التعزية فبوفاة أخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر، وأما التهنئة فبوراثة الملك من بعده، وهو: لا يعلم القلم أينطق بلسان التعزية أم بلسان التهنية، لكنه جمعهما جميعا فأتى بهما على حكم التثنية، وفي مثل هذا الخطب يظل القلم حائرا، وقد وقف موقف السخط والرضا فسخط أولا ثم رضي آخرا، وهذا البيت الناصري يتداول درجات العلى فما تمضي إلا وإليه ترجع، وشموسه وأقماره تتناقل مطالع السعود فما يغيب منها غائب إلا وآخر يطلع، والناس إن فجعوا بماجد ردفه من بعده ماجد، وإن قيل إن الماضي كان واحدا قيل بل الآتي هو الواحد.

وهذا فصل من أول الكتاب، ثم كتبت في هذا المعنى كتابين آخرين، وفي الذي أوردته من هذا الفصل مقنع.

ومن هذا الأسلوب ما كتبته إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه، وكانت الكتب قد انقطعت بيني وبينه زمانا، وهو: لقاء كتب الأحباب كلقاء الأحباب، وقد تأتي بعد يأس منها فيشتبه لها دمع السرور بدمع الاكتئاب، ومن أحسنها كتاب المجلس السامي الفلاني جعل الله الليالي له صحبا والمعاني له عقبا، ورفع مجده فوق كل ماجد حتى تكون حسناتهم لدى حسناته ذنبا، ولا زال اسمه في الأفواه عذبا وذكره في الألسنة رطبا، ووده لكل إنسان إنسانا ولكل قلب قلبا.

ثم انتهيت إلى آخر الكتاب على هذا النسق. وإنما ذكرت ههنا مبتدأه لأنه الغرض المقصود في هذا الموضع.

ومن ذلك ما كتبته إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه، وهو: البشرى تعطى." (٢)

"وخمسمائة: [مجزوء الكامل]

لا تركنن إلى المعاصي ... واشرع لنفسك في الخلاص

فإذا أردت بطالة (ر) ... فاذكر مرارات القصاص

لا يستوي عبد مطيع ... ربه فينا وعاصي

وانشدني لنفسه: [الطويل]

إذا المرء أثرى ثم لم ينتفع به ... صديق ولم يكشف بلاء لمعدم

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي ابن الأثير، ضياء الدين ١١٧/٣

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد ابن الأثير، ضياء الدين ٢٤٠/٢

تسارعت الأقوال فيه بذمه ... وإنشاد قول الشاعر المتقدم

«ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم» (ز)

وأردت أن أسمع عليه كتاب «مقتل عثمان» - رضي الله عنه (١٧) لابن أبي الدنيا (١٨) فأبى علي وقال: لو رأيناه ما رويناه. وأنشدني لنفسه:

[البسيط]

إذا تذكرتكم هام الفؤاد إلى ... أوطانكم طربا واشتاقت الروح

فالقلب مكتئب والنفس بالية ... والعين باكية والدمع مسفوح

وأنشدني لنفسه أيضا- رحمه الله-[الخفيف]

/ آفتي فيك أن قلبك خال ... من غرامي وأنني فيك صب

فغرامي الذي أعانيه حلو ... وعذابي يا منيتي فيك عذب

وأنشدني- رحمه الله- لنفسه: [الكامل المرفل]

ظني بكم يا سادتي (س) حسن ... حاشاكم أن تخلفوا ظني

ما لي على هجرانكم جلد ... بحقكم لا تعرضوا عني

قد كنت ذا خير وذا عزة ... أفناهما البين الذي يفني." (١)

"فضل، رحل إلى بغداد وبلاد فارس (٣) وكرمان والغور (٤) وغزنة (٥) ، وقطعة من بلاد الهند، ودخل سمرقند، وسكن هراة. وامتدح الملوك واكتسب مالا، وروى في تطوافه. قال ابن الدبيثي (أ) : أنشدني لنفسه، وأجاز لي ابن خولة كتابة: (الوافر)

إذا ما الدهر بيتني بجيش ... طليعته اهتمام واكتئاب (ب)

شننت عليه من جلدي (ت) كمينا ... أميراه (ث) الذبالة (ج) والكتاب

وبت أنص من شيم الليالي ... عجائب في حقائقها ارتياب

أريغ بها التسلي مستريحا ... وليس على الزمان بها عتاب (ح)

قال ابن الدبيثي: سألته عن مولده، فقال: في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة بغرناطة. وبلغنا أنه قتله الكفار بهراة في ربيع الأول سنة ثمان عشرة وستمائة.

٢٨٥- عبد السلام الجيلي (٥٤٨- ٦١١ هـ)

هو عبد السلام/ بن عبد الوهاب بن عبد القادر بن أبي صالح- واسمه جيلي دوست- الجيلي الأصل- البغدادي المولد والدار، أبو منصور بن أبي عبد الله بن أبي محمد الحنبلي (١) ، من بيت مشهور بالعلم والصلاح. تفقه على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل- رحمة الله عليه-، وسمع الحديث الكثير من أبي الحسن محمد بن إسحاق الكاتب (٢) المعروف

---

(١) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٤٤/١

بابن الصابي، ومن جده (أ) ، ومن جماعة بعدهما. ودرس في مدرسة جده الشيخ عبد القادر بعد وفاة أبيه (٣) .
وتولى عدة خدمات للديوان العزيز- أجله الله-. قدم رسولا إلى إربل، إلى مظفر الدين صاحبها، من الديوان العزيز. وما أعلم أنه حدث بها ولا بغيرها. وكان مولده في ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وتوفي." (١)

"القافية البحر رقم الورقة أطيب رجز ١٠ أ

عبد المطلب رجز ٩٢ أ

طلبا كامل ١٥ ب

طلابي كامل ٤٤ ب

ثعلب كامل ٩٠ ب

المذهب كامل ١٤٨ أ

وجنوب كامل ١٧٩ ب

وطيب كامل ١٩٣ ب

صحبا بسيط ٢٢ أ

الطلب بسيط ٨٣ أ

موصوب بسيط ١٥٤ ب

تجب بسيط ١٩٢ أ

غريبا وافر ١٠٣ أ

السراب وافر ١٦٣ ب

الكتاب وافر ١٧٩ أ

العقاب وافر ١٩٤ أ

ذئاب وافر ٢٠٨ أ

متعبه سريع ٢٠٩ ب

العذاب متقارب ١٦٠ أ

ذهبه رجز ٩٢ ب

بزينب كامل ٣٠ أ

الجلباب كامل ٦٠ ب

يعذب كامل ١٤٢ أ

صبا كامل ١٧٠ أ

---

(١) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٣٧٧/١

بعجيب كامل ١٧٩ ب

الاجرب كامل ٢٠١ ب

عرب بسيط ٦٨ ب

يصب بسيط ١٥٤ ب

الكتب بسيط ١٥٨ ب

القضب بسيط ٢٠٧ ب

القافية البحر رقم الورقة كثيب وافر ١٥٢ أ

واكتئاب وافر ١٧٧ أ

نصيب وافر ١٨٠ أ

المصيب وافر ١٩٦ ب

والمغرب سريع ١٥٢ أ

سكوب متقارب ١٢٣ ب

الرب رجز ٢٠ أ

حرف- ت- دهيت متقارب ٢٨ ب

آفات بسيط ١٣٧ أ

والسكوت وافر ١٨٠ أ

تحلت طويل ١٢٩ أ

أكنت طويل ١٣٥ ب

حاجني سريع ٩٥ أ

حرف- ث- تتلبث خفيف ١٧٧ أ

وتدمث كامل ٢١٤ أ

حرف- ج- أرج بسيط ١٠ أ

رجا متقارب ١١٥ ب

الفرج رمل ٣١ أ." (١)

"٥٥ - محمد بن أحمد الفراتي الأمير الخراساني

ذكره البيهقي في " الوشاح " قال بعث إلي بخطه الشريف: بسيط

لا تفخرن بغير السيف والقلم ... ودع حديثك عن ضال وعن نشم

---

(١) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٩٧٢/٢

لا تبكين على رسم ومنزلة ... عفى معالمها هطالة الديم

علام تصبح صبا بالهوى كلفا ... والقلب مكتئب والعين لم تنم؟

واترك طلاب الغواني إن مطلبها ... سجية خلقت من ألأم الشيم

وخض غمار الردى واركب مهالكها ... قسرا ولا تدمين كفاك بالندم

أما ظفرت بمن تهوى وتطلبه ... صرت ذا خول جم وذا خدم

٥٦ - محمد بن أحمد بن سهل الحنفي العدل النحوي الواسطي

أبو غالب المعروف بابن بشران ويعرف بابن الخالة أيضا من أهل واسط، كان أحد أئمة اللغة، وكان فاضلا بارعا مكثرا من كتب الأدب. قرأ على جماعة كثيرة من أئمة أهل الأدب، ثم صار شيخ العراق في اللغة في وقته، وكان الناس يرحلون إليه ويسمعون منه، ويقرؤون عليه، وله شعر أجود من شعر العلماء، فمنه:

ودعتهم والقلب يصحبني ... ثم انثنيت وليس لي قلب." (١)

"٢٩٠ - محمد بن زيد بن حمزة المسترشدي

شهاب الدين ابن أبي سعد الحسيني ذكره البيهقي ووصفه بالفضل وأنشد له: متقارب:

إمام الأئمة فقت المدى ... وأدركت حصل العلى فاربع

ملكت زمام الهدى هاديا ... إلى الدين والجانب الأمنع

فشرفتني إذ تذكرتني ... وقد كان ودك لي مقنعي

فلا زلت بدرا لنا كاملا ... مضيئا على أشرف المطلع

٢٩١ - محمد بن زاهر

شاعر مذكور في وقته، وهو القائل: كامل:

يا من هواي له هوى مستقبل ... أبدا، وآخره بدائي أول

إن طال ليل أخي اكتئاب ساهر ... فهواك من سهري وليلي أطول

ولقد ملأت بحسن طرفك مقلتي ... وتركتني، وبصبوتي يتمثل

وإذا قصدت إلى سواك بنظرة ... ألفيت شخصك دونه يتخيل

وله: كامل:

أفنيت فيك معاني الأقوال ... وعصيت فيك مقالة العذال

حلمي بطيفك حين يغلبني الكربوخيال وجهك إن سترت خيالي." (٢)

---

(١) المحمدون من الشعراء القفطي، جمال الدين ص/٨٩

(٢) المحمدون من الشعراء القفطي، جمال الدين ص/٣٣٣

"[سلام على النازح المغترب ... تحية صب به مكتئب «١»]

وله شعر كثير، وعليه اعتمد ابن دريد فى أكثر اللغة.

وتوفى أبو حاتم سنة خمس وخمسين ومائتين.

كان يقرأ عليه كتب الأخفش فيرد فيها ردا حسنا. قال ابن الغازى: ثم رأيتها تقرأ على أبى الفضل الرياشى؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله، أى ندف كان يندفها.

قال الرياشى على قبر أبى حاتم: ذهب بعلم كثير. قيل له: كتبه؛ فقال الرياشى: الكتب تؤدى ما فيها، ولكن صدره! وقيل لأبى زيد: على من يقرأ بعدك؟ فقال: على أبى سهل. وكان أبو حاتم يتهم بحب الصبيان، وكان بريئا من ذلك؛ إنما كان كثير الدعابة، فوجد ذلك السبيل إلى عرضه.

وقال أبو عثمان الخزاعى: رأيت كأنى بين النائم واليقظان، وسمعت قائلا يقول «٢»:

أبو حاتم عالم بالعلوم ... وأهل العلوم له كالخول «٣»

عليكم أبا حاتم إنه ... له بالقراءة علم جلل

فإن تفقدوه فلن تدركوا ... له ما حييتم بعلم بدل «٤»." (١)

"المفقودة، فأقبل عليها إقبال النهم الحريص، وقابلها بمقام لا يزمع عنها معه محيص، فجعل يرتع في حدائقها، ويستمتع بحسن خلقها وخلائفها، ويسرح طرفه فى طرفها، ويتلذذ بمبسوطها ونتفها، واعتقد المقام بذلك الجناب، إلى أن يجاور التراب:

إذا ما الدهر بيتني بجيش ... طليعته اغتمام واكتئاب [١].

شننت عليه من جهتى كمينا ... أميراه الذبالة والكتاب

وبت أنص من شيم الليالى ... عجائب في حقائقها ارتياب

بها أجلى هموى مستريحا ... إذا جلى همومهم الشراب [٢].

إلى أن حدث بخراسان ما حدث من الخراب، والويل المبير والتباب. وكانت لعمر الله بلادا مونقة الأرجاء، رائقة الأنحاء، ذات رياض أريضة [٣]، وأهوية صحيحة مريضة، قد تغنت أطيارها، فتمايلت طربا أشجارها، وبكت أنهارها، فتضاحكت أزهارها، وطاب روح نسيمها، فصح مزاج إقليمها، فلعهدى بتلك الرياض الأنيقة، والأشجار المتهدلة الوريقة، وقد ساقت إليها أرواح الجنائب، زقاق خمر السحائب، فسقت مروجها مدام الطل، فنشأ عن [٤] أزهارها حباب كاللؤلؤ المنحل، فلما رويت من تلك الصهباء أشجاره، رنحها النسيم وخماره [٥]، فتدانت ولا تدانى المحبين، وتعانقت ولا عناق العاشقين،

---

[١] ابن خلكان: «واغتراب».

[٢] ابن خلكان: «كما جلى».

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ٢/ ٦٠

[٣] أريضة: معجبة للعين رك ية.

[٤] ابن خلكان: «على».

[٥] الخمار: بقية السكر، وفي ابن خلكان: «رنحها من النسيم وخماره».." (١)

"القافية الشاعر الجزء والصفحة

الأدب المعافى بن زكريا ٣: ٢٩٦

عاجب يعقوب بن محمد الفارسى ٤: ٥٦

مضطربا ابن فارس ١: ١٢٨

خبا أبو ظالب الأدمى ١: ٤٧، ١٥٦

الصحبا إبراهيم بن محمد بن محمد. بن على بن أبى طالب ١: ٢٢١

يعابا أبو على الفارسى ١: ٣١٠

صهبا ابن شرف ١: ٣٣٧

قلبا ابن رشيق ١: ٣٣٧

مندوبا الخشاب المصرى ٢: ١٥٩

عنبا عباس بن الأحنف ٢: ٢٠٥

صوابا ابن الخردل ٢: ٢٨٣

حبيبا أبو نواس ٢: ٣٦٨

زينبا ابن كناسة ٣: ١٦١

أرنبا امرؤ القيس ٤: ١٧٤

أعجوبه الميدانى ١: ١٥٨

ضبه ٣: ٣٠٠

حسب أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل ١: ٦٠

فسيخرب ١: ١٧٦

غروب ١: ١٧٨

طبيب كعب الغنوى ١: ٢٨٨ ح

مشيب أبو هلال العسكرى ١: ٣٤٧ ح

غارب التاج الكندى ٢: ١٣، ١٤

يصاب على بن حزم ٢: ٢٣٣

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ٩٣/٤

العجب الرياشى ٢: ٣٦٨

شعب ٣: ٣٩

ألب ٣: ٣٩ ح

أشنب الزوزنى ٣: ٦٨

الرطب ابن بركات السعيدى ٣: ٧٨

الترب جحظة ٣: ٩٥." (١)

"وحاكيت من أهوى قواما ونظرة ... وضوء جبين نوره ليس يجحد

أرى لك أحشاء تذوب لطافة ... فما لحشا حيي غدا وهو جلمد

ولما أناخ الليل منها بكلكل ... تجلت فولى الليل وهو مشرد

وأقبل في جيش من الزنج حاملا ... فقابله منها سنان مسدد

وكيف بيات الليل وهو ضريبة ... إذا كافحته وهي سيف مجرد

أضاءت لها ندري أدري كوكب ... تلألأ أم قلب الدجنة يرعد

ولاحت فلا ندري وقد غسق الدجى ... أأومض برق أم تبصص أسود ١١٤٤ - المأموني (١) :

وحديقة تهتز فيها دوحة ... لم تنمها ترب ولا أمطار

فصعيدها صفر ونامي غصنها (٢) ... شمع وما قد أثمرته نار ١١٤٥ - يعقوب ملغزا فيها:

أحاجيك ما صفراء فوق سريرها ... على رأسها تاج الإمارة يلتهب

لها دل معشوق لها ذل عاشق ... لها ضحك مسرور لها دمع مكتئب ١١٤٦ - سيف الدين ابن سابق الدين ابن قزل (٣) :

ولم أر قبل شمعتنا عروسا ... تجلت في الدجى ما بين جمع

نصبناها لخفض (٤) العيش جزما ... فآذن ليلنا منها برفع

كأن (٥) عقود أدمعها عليها ... سلاسل فضة أو قضب طلع ١١٤٧ - أبو الحسن ابن عبد الكريم:

طعنت الدجى لما ادلهم ظلامه ... وقد كاد قلب النجم من فوقه يجب

---

(١) اليتيمة ٤: ١٧٣.

(٢) ص: وباقي جسمها.

(٣) هو سيف الدين علي بن سابق بن قزل كان مشدا، قدمه صاحب مصر على أعمالها ثم على أعمال دمشق وكانت وفاته سنة ٦٥٥ أو في التي تليها، انظر ترجمته في المغرب (قسم القاهرة) : ٢٣٣ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى. وأبياته

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ٣٩٦/٤

في المصدر المذكور: ٢٣٥.

(٤) ص: لحفظ.

(٥) المغرب: سلوك.." (١)

"وأما ما جاء منه في الهزل فكقول أبي تمام فيمن سرق له شعرا، وهو محمد بن يزيد الرقى خفيف:

من بنو بحدل من ابن الحباب ... من بنو تغلب غداة الكلاب

من طفيل من عامر أو من الحا ... رث أم من عتيبة بن شهاب

إنما الضيغم الهصور أبو الأش؟ ... بال هتاك كل خيس وغاب

من عدت خيله على سرح شعري ... وهو للحين راتع في كتاب

يا عذارى الكلام صرتن من بع؟ ... دي سبايا تبعن في الأعراب

؟ لو ترى منطقي أسيرا لأصبح؟ ... ت أسيرا ذا عبرة **واكتئاب**

ثم ختمها بقوله:؟ طال رغبي إليك مما أقاسي؟ - هـ ورغبي يا رب فاحفظ ثيابي وكقوله في هجاء موسى بن إبراهيم الرافقي كامل:

عجبا لقوم يسمعون مدائحي ... لك لم يقولوا قم فأنت مصاب

نبزوا بكذاب مسيلمة فقد ... غلطوا ومانوا بل أنا الكذاب

وما رويت ألطف من قول ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب في الرشيد عمر الفوى وكان به داء الثعلب وهو من نوادر ما قيل في أقرع وافر:." (٢)

"١٤ - الترغيب في الاعتكاف

١٦٤٩ - روي عن علي بن حسين عن أبيه رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتكف عشرا في رمضان كان كحجتين وعمرتين

رواه البيهقي

١٦٥٠ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس يا فلان أراك **مكتئبا** حزينا قال نعم يا ابن عم رسول الله لفلان علي حق ولاء وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه

قال ابن عباس أفلا أكلمه فيك فقال إن أحببت قال فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/٣٨٤

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ابن أبي الأصبع ص/٥٧٢

فقال له الرجل أنسيت ما كنت فيه قال لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم والعهد به قريب فدمعت عيناه وهو يقول من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين

رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي واللفظ له

والحاكم مختصرا وقال صحيح الإسناد كذا قال

قال الحافظ وأحاديث اعتكاف النبي صلى الله عليه وسلم مشهورة في الصحاح وغيرها ليست من شرط كتابنا

١٥ - الترغيب في صدقة الفطر وبيان تأكيدها

١٦٥١ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقة

رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري

قال الخطابي رحمه الله قوله فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر فيه بيان أن صدقة الفطر فرض واجب كافتراض الزكاة الواجبة في الأموال وفيه بيان أن ما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما فرض الله لأن طاعته صادرة عن طاعة الله وقد قال بفرضية زكاة الفطر." (١)

"فإن تسل عنك النفس، أو يذهل الهوى ... فباليأس أسلو عنك، لا بالتجلد

وقال الحارث بن حلزة:

ويئست مما قد شغفت به ... منها، ولا يسليك كاليأس

وقال الآخر يرد هذه الأقاويل:

أرى الألف يسلو للتنائي وللهوى ... ولليأس، إلا أنني لست ساليا

وقال الزبير بن بكار:

ولما بدا لي أنها لا تحبني ... وأن فؤادي ليس عني بمنجل

تمنيت أن تهوى سواي، لعلها ... تذوق حرارات الهوى، فترق لي

ثم قال الآخر: طريقنا إلى السلو وبرد الأكباد من الغرام **والاكتئاب**، وكأنه أصاب في هذا الباب:

شفاء الحب تقبيل وضم

وقال بعض أهل العصر:

والله ما يشفي المحب ... سوى اعتناق والتزام

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٩٦/٢

ودوام ما تختاره ... حتى تمل من الدوام

رجعنا إلى قصة يعقوب بن الربيع وقصة ملك، التي كان يهواها. قال: فلما جاوز السبع سنين ظفر بها، فلم تلبث عنده إلا ستة أشهر، ثم ماتت. فناله من الحزن والجزع عليها أكثر مما كان يلقاه من حبها. فما رثاها به قوله:

إنما حسرتي، إذا ما تفكر ... ت، عنائي بها، وطول طلابي

لم أزل في الطلاب سبع سنين ... أتأتى لذاك من كل باب

فاجتمعنا على اتفاق وقدر ... وغنينا، من فرقة، باصطحاب

أشهر ستة صحبك فيها ... كن كالحلم، أو كلمع السراب

فأتى في شعره بجملة خبره. وقال في شعر آخر:

خلس الزمان أعز مختلس ... ويد الزمان كثيرة الخلس

لله هالكة فجعت بها ... ما كان أبعدها عن الدنس

أتت البشارة والنعي معا ... يا قرب مأتمها من العرس

فشاركه في هذا المعنى جماعة. وألطف ما سمعت قول لبابة بنت علي بن المهدي، وكانت زوجة الأمين، فقتل ولم يدخل بها:

أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعالي والرمح والفرس

أبكي على فارس فجعت به ... أرملني قبل ليلة العرس

ولإبراهيم بن المهدي يرثي ابنه أحمد:

بكيت على أحمد المختلس ... بدمع يرد مجاري النفس

وناديت في القبر جثمانه ... فلا الرمس رد، ولا المرتمس

ويوم وفاتك يوم الملاك ... ويوم الختان، ويوم العرس

وممن أجاد وبرز في وصف قرب الحياة من الممات محمد بن حسان، في قوله يرثي ولده أحمد، وقد توفي طفلا:

هبي لأحمد في الثرى بيت ... وخلا له من أهله بيت

فكأن مولده ومأتمه ... صوت دعى، فأجابه صوت

ولمحمد الأموي يرثي طفلا له:

فطمتك المنون قبل الفطام ... واعتراك النقصان قبل التمام

بأبي أنت ظاعن، لم أمتع ... بوداع منه، ولا بسلام

ومن أحسن ما سمعت في هذا الباب للتهامي في طفل له:

يا كوكبا ما كان أقصر عمره ... وكذا تكون كواكب الأسحار

وأحسن من هذا لابن رومي:

بني الذي أهدته كفاه للثرى ... فيا عزة المهدى، ويا خسرة المهدي

لقد قل بين اللحد والمهد لبثه ... فلم ينس عهد المهد، إذ ضم للحد

عجبت لقلبي كيف لم ينفطر له ... ولو أنه أقسى من الحجر الصلد

وهذا باب يطول. وقال يعقوب، أيضا، يرثي ملكا:

أمر بقبر فيه ملك مجانبا ... كأني لا أعنى بصاحبة القبر

أمر إذا جاوزته متلفتا ... تلاحظه عيني، ودمعتها تجري

فلو أنني إذ حل وقت حمامها ... أحكم في عمري، لشاطرتها عمري

فحل بنا المقدار في ساعة معا ... فماتت ولا أدري، ومت ولا تدري

فإن تبقني الأيام للدهر لعبة ... فقد كنت، قبل اليوم، ألعب بالدهر

وهذا معنى مليح جدا. وقد تقدم في ذلك قول بشار:

الله صيرها وصورها ... لاقتك، أو أتبعتها ترها

نصبا لعينك لا ترى نزها ... إلا ذكرت بها لها شبها

إني لأشفق أن أؤخرها ... بعدي، وأكره أن أقدمها

وقول الآخر مطبوع:

لا مت قبلك، بل حيينا ... نكوي قلوب الحاسدينا

نحيي جميعا، والسرو ... ر لنا جميعا ما حيينا." (١)

"(ولا تمهل الأعداء يوما لقدرة ... وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا)

١٥٢ - وقال بشار بن برد العقيلى وقيل هو مولى بنى سدوس

(إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن ... برأى لبيب أو مشورة حازم)

(ولا تحسب الشورى عليك غضاضة ... فان الخوافى قوة للقوادم)

(وخل الهوينى للضعيف ولا تكن ... نؤوما فان الحزم ليس بنائم)

(فانك لا تستطرد الهم بالمنى ... ولا تبلغ العليا بغير المكارم)

١٥٣ - وقال عبد الله بن معاوية بن جعفر الطالبى ومنهم من نسبها إلى صالح بن عبد القدوس

(إن اللبيب يرضى بعيشه ... لا من يظل على ما فات مكتئبا)." (٢)

---

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء النشابي الإربلي ص/٤١

(٢) الحماسة البصرية صدر الدين البَصْري ٥٨/٢

"أي قاض يعدي لمكتئب غرته ... تلك الغريرة العدوية (٩٧- و)

مستهام تبيت أحشاؤه منها ... على لاعج الأسى محنيه

وانسكاب الدموع من جفنه ينشر ... طي السرائر المطويه

يا خليلي خليا ذكر سلع ... وربوع المعالم الحاجريه

واذكرا لي أكناف ساحة بطنان ... وتلك المشاهد التيمريه

وصفا لي أنهار تاذف مع أشجارها ... لا الحدائق الجلقيه

بت أسري وهنا من الباب والليل ... علينا ستوره حندسيه

أنا أعمى وقائدي في دجاه ... أعور والأتان لي مهريه

وهو مما تغشرم البيد يسعى ... أعرجا فاعجبوا لها من قضيه

من يرانا يظل يطرب بالسا ... ئق عجبا والممتطي والمطية

يا لنا من ثلاثة يعجز الطا ... لب عن رابع لنا في البريه

سرت حتى طويت أرض معير ثيا ... وتلك المعالم الغوريه

واتساع الميدان مع سطح ربا ... ثا وتلك الحفيرة النشزيه

وربا البقعة التي نشر الغيث ... عليها ملابسا سندسيه

وترتبت بالمرتب في ظهر ... أتاني لأدرك الأمنيه

وتجشمت بالصخير وشحنجار ... وعرا تهابه الشدقميه

وفليت الفلا إلى نحو بابلى ... بعزم أمضى من المشرفيه

وعلى هضب بانقوسا بدا الصبح ... ولاحت أنواره المخفيه (٩٧- و)

وأتى الدهر مقلعا إذ رأى ... أن ملاذي بالقلعة الظاهريه

فحططنا لما حططنا عن الدهر ... بها كل زلة وخطيه

يا ذوي البؤس يمموها تحلوا ... كعبة الجود والندى والعطيه

فبها مالك أقل أياديه ... تفوق الأيادي الطائيه." (١)

"فقيل هو ابن أخت أبي العلاء ابن أبي الندى، فقال الملك الظاهر: الخال لا يورث.

أنشدني أبو بكر بن أبي علي التنوخي الحلبي بها لنفسه: (٣١- و)

كل يوم أسى لقلبي المشوق ... واكتئاب على فراق فريق

حملوني ثقل الغرام وقد كنت ... لثقل الغرام غير مطيق

يا رفيقي رفقا علي فما ينفع ذا ... الوجد مثل رفق الرفيق

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٢٧٦/١

إن يكن يطلق الاسير فما بال ... فؤادي المشوق غير طليق

أنا ملقى ما بين قلب حريق ... من جوى لوعتي وجفن غريق

لو رأى حالتي عدوي لما ... سر بها حاله فكيف صديقي

وأنشدني لنفسه:

وأسمر حياني عشية زرته ... بما اعتصرت من طرفه واحوراره

سقاني بلحظ العين خمرا شرابها ... الى اليوم عندي فضلة من خماره

سلافة لحظ أسكرتني ولم تكن ... سلافة كأس عتقت من عقاره

فبت أسقاها طلا ذات سورة ... تفرق ما بين الفتى واصطباره

على ورد خديه وسوسن صدغه ... ونرجس عينيه وآس عذاره

وأنشدني لنفسه وقال: هذه طريقة سلكتها على نهج أبي العلاء بن سليمان في استغفر واستغفريني، أتعمد في أول الابيات الى كم، وتارة كم:

الى كم أيها اللاهي ... تجريك على الله

أتسهو عن رضا من لي ... س عن رزقك بالساه

ألا ينهاك يا ذا الجهل ... عن عصيانه ناه

(٣١- ظ)

أتستمسل للنفس ... بدنيا حبلها واه

وتمشي مشية المختال ... في سربالك الزاهي

ولا تفكر يا مغرور في ... صرف الردى الداهي

كن الأواه إن الله ... يهوى كل أواه

ولا تبد له تيها ... فيشنا كل تياه." (١)

"وبالكنيسة والحمام زلزلها ... وبالمللندين قبل العيد وازانا «١»

وحصن أرقان والأحواق ضعضعها ... وبالمثقب والتينات غادانا

وأهل بياس ابتاعوا مدينتهم ... من العدو كفى بالبيع خسرانا

وكم حصون إذا عددتها كثرت ... يكفيك من باطن المنشور عنوانا

مدائن أضحت بالثغر موحشة ... منابر عليت بالبغي صلبانا

ترى الخنازير تسعى في مساجدها ... وطالما عمرت فقها وقرآنا

ترى أئمتها صرعى وقد ذبحوا ... عند المحاريب إذلالا وإيهانا

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٣٥٨/١٠

ترى المصاحف والأجزاء محرقة ... هلا بكيت لها سرا وإعلانا

ترى الرجال كبدن الحج قد نحروا ... حول الحصون عليها الطير قطعانا

ترى النساء مع الولدان يجمعهم ... أراذل الروم أبكارا وصبيانا

ترى العرائس أقران العلوج ... معا عوضن بالسيف أزواجا وأختانا

يقول فيها:

محمد يا رسول الله لو نظرت ... عيناك أو سمعت أذناك شكوانا

وقد جفانا بنو الاسلام كلهم ... فلا مغيث لنا والله مولانا

لأبكين على الاسلام مكتئبا حتى ... أوسد في الأجداث أكفانا

ثم ذكر سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وقال: وفيها وردت الاخبار بإغارة الروم على الحصون الثملية واجتياح بلد الاسلام وهرب (٣٥- ظ) بقايا أهل الثغور عن معاقلهم الى الأقاصي.

وقال: ووافت قصيدة لأبي بكر القرشي المصيصي، وتداولها الناس أولها:

الى أهل الديانة أجمعينا ... رسالة أهل ثغر صابرينا

وهي مائة وستون قافية، فيها ما حل بأهل الثغر من القتل والسبي والحرق والنهب وأمور في استماع بعضها إذكار «وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون «٢» » ، فلم يحفلوا بها ولا انثنوا عليها.." (١)

"فارفع ظلامة من رمى مرماته بوعيده ... وسطا عليه بجوره وبصرفه وحقوده

فسعى إليك مشمرا برسيمه ووخيده ... لتسد منه فاقة عزت على تسديده

فامنن عليه بخلعه ليشق قلب حسوده ... من جيد الرقم الذي يختال في توريده

فلقد حباك جواهرا من مدحه وقصيده ... يزهو بجوهرها على ضليله «١» ولبيده

أمحمد بمحمد ووصيه وشهيده ... أنظر إليه نظرة تغنيه عن ترديده

فلأنت أكرم من مشى بالله فوق صعيده ... واسلم سلمت على الزمان وأنت درة جيده. (٢٤٨- ظ)

قال المسبحي: وله أيضا والأبيات التي ذكرها ابن الزبير من هذه القصيده:

صب يروح الى الغرام ويغتدي ... ومفند في الحب أي مفند

غريت به العذال حتى أنه ... يلفى الأسى بغرور عذل موصد

كم لائم في الحب لام ومرشد ... في عذله أضحى وليس بمرشد

دنف أضر به الغرام ولا يرى ... نصحا لقول عذوله والحسد

شط المزار به فأصبح مفردا ... متأسفا يبكي لفرقة مفرد

كيف السلو وفي الحشى نار الأسى ... تزداد بين تضرم وتوقد

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٤٣٦٤/١٠

عهدي بهم والعيش غض جامع ... شمل الوصال ولم يكن بمبدد

فأزاح صرف الدهر حتى صبحنا ... ليل وحتى ليلنا بالسرمد

وإذا الفتى قحطت به أيامه ... لم يرضه فعل الزمان الأنكد

يمسي ويصبح في **اكتئاب** ممرض ... يرنو إلى الدنيا بعيني أرمد." (١)

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٤٧٢٠/١٠

ظ ظبي اللحاظ وهي في أجفانها: اسماعيل بن المبارك بن منقذ: انسانها: ١٨٠٧

ظبيات أنس يقتنصن الاسد بال ... : أحمد عبد الغني القشيري: ظبيات: ٩٩٦

ظلت بقم مطيتي يعتادها: دعبل الخزاعي: المدلج: ٣٥١٤." (١)

"ألفت التباعد والغربه ... ففي كل يوم أطأ تربه

وفي كل يوم أرى حادثا ... يؤدي إلى كبدي كربه

أمر الزمان لنا طعمه ... فما لي ترى ساعة عذبه

قال: ومما قاله، وأنشدنيه جماعة، وبعض الناس ينحله الى غيره لما في نفوسهم مما كان يقع له في الوزن:

بليت بشادن كالبدر حسنا ... يعذبني بأنواع الجفاء

ولي عينان دمعهما غزير ... ونومهما أعز من الوفاء

قال الصولي: وحكى عبد الله بن خرداذبه أنه رأى هذين البيتين بخط الحضرمي وراق المعتمد، وقد كتب الحضرمي: أنشدنيهما المعتمد لنفسه.

قرأت في كتاب معجم الشعراء لأبي عبيد الله المرزباني: المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل على الله كان يقول (٦- ظ) الشعر المكسور، ويكتب له بالذهب، ويغني فيه المغنون وذكر له هذين البيتين والأبيات التي قبلها «١» .

أنبأنا ابن المقير عن ابن ناصر عن أبي القاسم البندار عن أبي أحمد المقرئ قال: أخبرنا الصولي- إجازة- قال: وكان المكتفي أخرج إلينا مدارج مكتوبة بالذهب، فكان فيها من شعر المعتمد على الله الموزون:

طال والله عذابي ... واهتمامي واكتئابي

لغزال من بني الأصفر ... لا يعنيه ما بي." (٢)

"أما ترثي لمكتئب ... نقضت عهوده ورعا

وكان حمامه بكم ... ومبدأ حبكم ولعا

فقل لفتى تعثر في ... هواك سلامة ولعا

قال: وكتب الى الأمير سديد الملك، يعني أبا الحسن بن منقذ.

إني وحقك في طرابلس كما ... تهوى العدى تحت المقيم المقعد (٧٠- ظ)

أما المحرم قد حرمت نجاز ما ... وعدوا وفي صفر فقد صفرت يدي

قالت لي العلياء لما أن سقو ... ني كاس مطلهم سكرت فعربد

قرأت بخط أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، وأخبرنا به أبو الحسن محمد ابن أحمد بن علي إجازة عنه قال: كتب عبد الله بن الدويدة المعري الى جدي سديد الملك أبي الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ وقد وفد عليه ابن الخيشي الشاعر:

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٩٠٨/١١

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٦٠٣/٢

يا علي بن منقذ يا هماما ... حين يدعى الوغي يعد بجيش

قد أتاك الخيشي في وسط آب ... بقريض يغنيك عن بيت خيش

أحمد بن حمزة بن محمد بن حمزة بن خزيمة الهروي:

أبو اسماعيل الحداد الصوفي المعروف بعمويه شيخ الصوفية بهراة «١» (٧١- و) .

أحمد بن حميدان الرماني:

أبو القاسم، له كلام حسن في الحقيقة وطريقة الصوفية.

روى عنه أبو الفرج هبة الله بن سهل، وقدم حلب في أيام سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان، وحضر عنده وفاوضه في شيء.." (١)

"كل يوم ترون في الحي كالحو ... م «١» تراغى قرومه وسقابه «٢»

لا تظني حولا يحول فللقى ... قاضيا للآسي عليه انقضابه

واضربي في البلاد طولا وعرضا ... أبدا لن ترى بها أضرابه

غاب عن لدنها السنان فما تح ... دث نفعا بعد السنان كعابه

وتعري من المعرة إذ كا ... ن ذهاب الجمال عنها ذهابه

أو أقيمي بها فأكثر أسبا ... ب علاها وفخرها أسبابه

منها:

بان مني من كان يكثر عني ... في الخطوب التي تنوب منابه

إن قضى نحبه فإني من لا ... ينقضي أو إليه يفضي انتحابه

وقليل لذي الكآبة والوج ... د عليه بكاؤه واكتئابه

فوشى قبره الربيع ولا زا ... ل مر باعلى ثراه ربابه «٣»

أحمد بن خليد بن يزيد بن عبد الله الحلبي:

أبو عبد الله الكندي، سمع بحلب زهير بن عباد الرواسي، وأبا نعيم عبيد بن هشام الحلبي، ومحمد بن أبي أسامة الحلبي، وعبيد بن جناد الحلبي القاضي، وأبا توبة الربيع بن نافع الحلبي، وبالثغور محمد بن عيسى الطباع، وإبراهيم بن مهدي المصيصي، (٧٧- ظ) وإسحاق بن عبد الله الأذني التميمي، وعبد الله بن السري الأنطاكي، وسعيد بن رحمة، وعبد الرحيم بن مطرف السروجي، وبدمشق عبد الله بن يزيد بن راشد الدمشقي، وبحمص أبا اليمان." (٢)

"الصولي إجازة قال: حدثني يحي بن علي قال: كنا مع المعتضد في بعض أسفاره فدعاني فقال لي: قلبي ببغداد وان كان جسمي هاهنا، فقل عني شعرا في هذا (١٢٤- ظ) المعنى أكتب به الى من أريد ببغداد، فاني قد رمت ذلك فلم

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٧١٩/٢

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٧٣٠/٢

يتسق لي فقلت عن لسانه:

هاهنا جسي مقيم ... وببغداد فؤادي

وكذا كل محب ... باع قربا ببعاد

أملك الأرض ولكن ... تملك الخود قيادي

غلب الشوق اصطباري ... مثل غلبي للأعادي

فأنا أحتال أن يخفى ... بجهدي وهو باد

ليس واد لا أرى فيه ... حبيبي لي بواد

فاستحسن الأبيات وكتب بها.

قال الصولي: والناس يروونها للمعتضد، وقد حدثني بهذا يحي بن علي، وكان ما علمت صدوقا فيما يحكيه، فأما الذي للمعتضد في هذا المعنى مما أنشدنيه له محمد بن يحي بن أبي عباد:

إن جسمي بسميا ... ط وقلبي بالعراق

غلب الشوق اصطباري ... من تباريح الفراق

أملك الأرض ولا أملك ... دفعا لاشتياقي

قال الصولي: ومن شعر المعتضد:

لم يلق من حر الفراق ... أحد كما أنا منه لاق

يا سائلي عن طعمه ... ألفيته مر المذاق (١٢٥- و)

جسمي يذوب ومقلتي ... عبرى وقلبي ذو احتراق

ما لي أليف بعدكم ... إلا اكتئابي واشتياقي

فالله يحفظكم جميعا ... في مقامي وانطلاقي." (١)

"فلأبكين عليه مكتئبا ... فلنعم ذو القربى وذو الصهر

يا حجر من للمعتفين «١» إذا ... لزم الشتاء وقل من يقري «٢»

من لليتامى والأرامل إن ... حقب «٣» الربيع وضن بالوفر

أم من لنا في الحرب ان بعثت ... مستبسلا يفري كما يفري

فسعدت ملتمس التقى وسقى ... جدثا أجنك «٤» مسبل القطر

كانت حياتك إذ حييت لنا ... عزا وموتك قاصم الظهر

وتريثنا في كل نازلة ... نزلت بساحتنا ولا تبري

يا طول مكتأبي لقتلهم حجرا ... وطول حرارة الصدر

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٢/٨٢١

قد كنت أصعق جهرة أسفا ... وأموت من جزع على حجر

فلقد جدلت وقد قتلت ... ومن لم تستعبه «٥» حوادث الدهر

فلذاك قلبي مشعر كمدا ... ولذاك دمعي ليس بالنزر

ولذاك نسوتنا حواسر ... يستبكين بالاشراق والظهر

ولذاك رهطي كلهم أسف ... جم التأوه دمعه يجري «٦»

حجر بن عنبس الكوفي:

أبو العنبس وقيل أبو السكن، أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به ولم يره، ويقال له كدام «٧» الدم، لأنه شرب الدم في الجاهلية، روى عن: علي رضي الله عنه، ووائل بن حجر. روى عنه: موسى (٦٦- ظ) بن قيس الحضرمي." (١)

"لا قلت إن الصبر عنك ... من التصابي أجمل

قال: فصاح ابراهيم: وأي عليك ابراهيم ثم أنشده:

لو ترى ما أراه منك إذا ... ما جال ماء الشباب في وجنتيك

لتمنيت أن تقبل خديك ... وإن لم تصل إلى خديك «١»

ثم أنشدته:

عش فحبيك سريعا قاتلي ... والضنا إن لم تصلني واصلي

ظفر الحب بقلب دنف بك ... والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وبلى ... تركاني كالقضيب الذابل

فبكى العاذل لي من رحمة ... فبكائي لبكاء العاذل (١٢٣- ظ)

قال: أحسنت والله، ثم قال: يا نصركم معك من العين؟ قال: ستمائة وخمسون دينارا، قال: ادفع إلى الفتى نصفها واجعل الكسر له سليما، فأخذتها وعدت الى منزلي، فاشتريت المنزل الذي كنت فيه فسترني وستر عيالي.

أنبأنا أبو حفص المكتب قال: أخبرنا محمد بن عبد الملك قال: أخبرنا أبو بكر ابن أبي أحمد قال أخبرني علي بن أيوب القمي قال: أخبرنا محمد بن عمران المرزباني قال: أخبرني محمد بن يحيي قال: حدثني الحسين بن اسحاق قال: حدثني أبو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب الشاعر قال: لما بويع ابراهيم بن المهدي بالخلافة طلبني، وقد كان يعرفني، وكنت متصلا ببعض أسبابه، فأدخلت اليه فقال لي:

يا خالد أنشدني من شعرك، فقلت: يا أمير المؤمنين ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان من الشعر حكما «٢» ، وإنما أمزح وأهزل وليس مما ينشده أمير المؤمنين، فقال: لا تقل هذا يا خالد فإن جد الأدب وهزله جد، أنشدني فأنشدته:." (٢)

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٢١٣٢/٥

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٣٢٠٢/٧

"عش فحبيك سريعا قاتلي ... والضنا إن لم تصلني واصلي

ظفر الشوق بقلب كمد فيك ... والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وبلى ... تركاني كالقضيب الذابل

وبكى العاذل لي من رحمة ... فبكائي لبكاء العاذل

فاستملح ذلك ووصلني.

أنبأنا أبو اليمن الكندي قال: أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي قال: أخبرنا علي بن أبي علي قال: حدثنا الحسين بن محمد (١٢٤- و) بن سليمان الكاتب قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السقاء الواسطي بها قال: حدثني جحظة قال: قال لي خالد الكاتب: أضقت حتى عدمت القوت أياما، فلما كان في بعض الأيام بين المغرب وعشاء الآخرة فاذا بابي يدق، فقلت: من هذا؟ فقال: من إذا خرجت اليه رأيته، فخرجت فرأيت رجلا راكبا على حمار عليه طيلسان أسود، وعلى رأسه قلنسوة طويلة ومعه خادم، فقال لي: أنت الذي تقول:

أقول للسقم عد إلي بدني ... حبا لشيء يكون من سببلك

قال: قلت: نعم، قال: أحب أن تنزل لي عنه، فقلت: وهل ينزل الرجل عن ولده؟ فتبسم، ثم قال: يا غلام أعطه ما معك، فأومأ إلي بصره في ديباجة سوداء مختومة، فقلت: إني لا أقبل عطاء من لا أعرفه، فمن أنت؟ قال: أنا ابراهيم بن المهدي.

أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن محمود الساوي الصوفي الساوي قال: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد السلقي قال: أخبرنا أبو علي أحمد بن محمد بن البرداني." (١)

"(صنم حوى بدع الجمال بأسرها ... ليحوز قلبي في وثاق إساره)

(البدر في أزراره والغصن في ... زناره والحقف ملء إزاره) الكامل

وقال أيضا

(من تقبل الدنيا عليه فإنها ... تثني محاسن غيره من لبسه)

(وكذاك مهما أدبرت عن فاضل ... سلبته ظالمة محاسن نفسه) الكامل

وقال أيضا

(لا تقعدن بكسر البيت مكتئبا ... يفني زمانك بين اليأس والأمل)

(واحتل لنفسك في رزق تعيش به ... فإن أكثر عيش الناس بالحيل)

(ولا تقل أن رزقي سوف يدركني ... وإن قعدت فليس الرزق كالأجل) البسيط

وقال أيضا

(لا ترج في أمرك سعد المشتري ... ولا تخف في فوته نحس زحل)

(وأرج وخف ربهما فهو الذي ... ما شاء من خير ومن شر فعل) الرجز

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٣٢٠٣/٧

وقال أيضا

(لا تعتبوني على أن لا أزوركم ... وقد تمنعتم عني بحجاب)

(إني من القوم يحلو الموت عندهم ... دون الوقوف لمخلوق على باب) البسيط

وقال في طبيب اسمه شعبان

(يا طبيبا ضجر العالم ... منه وتبرم)

(فيك شهران من العام ... إذا العام تصرم)

(أنت شعبان ولكن ... قتلك الناس محرم) الرمل

وقال في وقت شدة

(يقولون لي صبرا وإني لصابر ... على نائبات الدهر وهي فواجع)

(سأصبر حتى يقضي الله ما قضى ... وإن أنا لم اصبر فما أنا صانع) الطويل." (١)

"(فكيف مع قلة الجاري وخسته ... والبعد عن كل ذي فضل وذي أدب)

(فعد إلى جنة الدنيا فقد برزت ... لمجتلي الحسن في أثوابها القشب)

(ولا تقم بسواها مع حصول غنى ... فالعمر فيما سواها غير محتسب)

(واقطع زمانك طيبا في محاسنها ... وعد إلى اللهو واللذات والطرب)

(وبادر العمر قبل الفوت مغتنما ... ما دمت حيا فإن الموت في الطلب)

(وخذ عيانا إذا ما أمكنت فرص ... ولا تبع طيب موجود بمرتقب)

(فالعمر منصرم والوقت مغتنم ... والدهر ذو غير فأنعم به تصب)

(فاعمل بقولي ولا تجنح إلى أحد ... ممن يفند من عمري وذي رغب)

(يرى السعادة في نيل الحطام ولو ... حواه مع نصب من سوء مكتسب)

(فاستدرك الفائت المقضي في عمر ... فليس بالنأي عن مثواك من كثب)

(ولا تعش عيش ذي نقص وكن أبدا ... ممن سمت همة منه على الشهب)

(واغنم حياة أب ما زال ذا حزن ... مذ غبت عنه لبعد منك **مكتئب**)

(فلست تعدم مع رؤياه مكتسبا ... يسد بالقنع من عري ومن سغب)

(فالرأي ما قلته فاعمل به عجلا ... ولا تصخ نحو فدم غير ذي حدب)

(فغفلة المرء مع علم ومعرفة ... عن واضح بين من أعجب العجب) البسيط

فقلت في جوابه وكتب بها إليه

(مولاي يا شرف الدين الذي بلغت ... أدنى مساعيه أعلى رتبة بالأدب)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٥١٣

(ومن سمت في سماء المجد همته ... فأدركت في المعالي أرفع الرتب)

(قد فاق بقراط في علم وفي حكم ... وفاق سحبان في شعر وفي خطب)

(له التصانيف في كل العلوم ولا ... شيء يماثلها من سائر الكتب)

(أقدارها قد علت في الناس وارتفعت ... عن كل شبه كمثل السبعة الشهب)

(فيها المعاني التي كالدر قد نظمت ... في سلك خط وخير اللفظ منتخب)

(ولا عجيب لدر كان مورده ... من بحر علم لمولى في العلى دئب)

(قد نال راحة تحصيل العلوم وما ... من راحة حصلت إلا عن التعب)

(ورام مسعاه أقوام وما بلغوا ... البعض منه وكل جد في الطلب)

(وكل علم وجود فهو منه إلى ... من يجتديه كغيث دائم الصيب)

(لله كم من أياد منه قد وصلت ... إلي في سالف الأيام والحقب)

(إني لأشكرها ما دمت مجتهدا ... وشكر نعماه طول الدهر أجدر بي)

(عندي من البين أشواق إليك كما ... للناس في الجدب أشواق إلى السحب)

(تهمي دموعي إذا ما غن ذكركم ... على فؤاد بنار الشوق ملتهب)." (١)

"صدرا، فكأنما أخذ رمحا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل وأنشدوا:

عجبت لجازع، باك مصاب ... بأهل، أو حميم ذي اكتئاب

شقيق الجيب، داعي الويل، جهلا ... كأن الموت كالشيء العجاب

وسوى الله فيه الخلق حتى ... نبي الله منه لم يحاب

له ملك ينادي كل يوم: ... لدوا للموت وابنوا للخراب

باب ما جاء في تلقين الإنسان بعد موته شهادة الإخلاص في لحده

ذكر أبو محمد عبد الحق يروي «عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب.

فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب، ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعدا، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة الثالثة فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله، ولكنكم لا تسمعون.

فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأنك رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا، وبالقرآن إماما، فإن منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما.

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٦٨٠

ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا، وقد لقن حجته، ويكون الله حجيجهما دونه.

فقال رجل: يا رسول الله." (١)

"٤٠ - إبراهيم المروذى:

من أصحابنا المصنفين، تكرر ذكره فى الروضة، هو بفتح الميم، وضم الراء المشددة، وواو ساكنة، ثم ذال معجمة، منسوب إلى مرو الروذ مدينة بخراسان، وهو الإمام [......] (١) .

* * *

باب إبليس

٤١ - إبليس عدو الله:

مذكور فى المهذب فى باب الإقرار. قال الجوهرى وغيره: كنيته أبو مرة، واختلف العلماء فى أنه من الملائكة من طائفة يقال لهم: الجن، أم ليس من الملائكة؟ وفى أنه اسم عربى أم عجمى؟ والصحيح أنه من الملائكة، وأنه عجمى. قال الإمام أبو الحسن الواحدى: قال أكثر أهل اللغة والتفسير: سمى إبليس؛ لأنه أبلس من رحمة الله تعالى، أى أيس، والمبلس المكتئب الحزين الآيس. قال: وعلى هذا هو عربى مشتق.

وقال ابن الأنبارى: لا يجوز أن يكون مشتقا من أبلس؛ لأنه لو كان مشتقا لصرف، كما أن إسحاق إذا كان عربيا مأخوذا من أسحقه الله إسحاقا انصرف، فلو كان إبليس مشتقا لصرف كأكليل وبابه، فلما لم يصرف دل على أنه عجمى معرفة، والعجمى ليس مشتقا. وقال ابن جرير: إنما لم يصرف، وإن كان عربيا؛ لقلة نظيره فى كلام العرب، فشبهوه بالأعجمى، وهذا الذى قاله ابن جرير يبطل بباب إفعيل، فإنه مصروف كله إلا إبليس. قال الواحدى: والاختيار أنه ليس بمشتق؛ لإجماع النحويين على أنه منع الصرف للعجمة والمعرفة.

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض بالأصل.." (٢)

"وقصاراه أن يكون سليبا ... لذويه مقسومة أسلابه

وإذا كان آخر الأمر هذا ... فلماذا على الحياة اكتئابه

أيها السائر المقيم على حر ... ص مقيم لا تستقل ركابه

إن حبل الآمال والحرص كالأ ع ... مار طولا فبالفناء انقضابه." (٣)

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة شمس الدين القرطبي ص/٣٤٠

(٢) تهذيب الأسماء واللغات النووي ١٠٦/١

(٣) الصبر مطية النجاح ابن الظهير الإربلي ص/٢٣

"أما عند عينيك اللتين هما هما ... لمكتئب يرجوك شيئا سوى المنع

فإن كنت مطبوعا على الصد والجفا ... فمن أين لي صبر فأجعله طبعي

فإن يك أضحى فوق خديك روضة ... فإن على خدي غديرا من الدمع

سل المطر العام الذي عم أرضكم ... أجاء بمقدار الذي فاض من دمعي فقلت: زدني، فقال: لا يصيبك بحريسة ورطب غير هذا، والله أعلم.

٢١٦ - (١)

الشيخ الخصر بن عقيل الإربلي

أبو العباس الخصر بن نصر بن عقيل بن نصر الإربلي الفقيه الشافعي؛ كان فقيها فاضلا عارفا بالمذهب والفرائض والخلاف، اشتغل ببغداد على الكيا الهراسي وابن الشاشي ولقي عدة من مشايخها، ثم رجع إلى إربل، وبنى له بها الأمير أبو منصور سرفتكين بن عبد الله الزيني، نائب صاحب إربل، مدرسة القلعة، وتاريخها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ودرس فيها زمانا، وهو أول من درس بإربل، وله تصانيف حسان كثيرة في التفسير والفقه وغير ذلك، وله كتاب ذكر فيه ستا وعشرين خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم، وكلها مسندة، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به، وكان رجلا صالحا زاهدا عابدا ورعا متقللا ونفسه مباركا.

وذكره الحافظ ابن عساكر في " تاريخ دمشق " (٢) وأثنى عليه، وكان قد قدم دمشق فأقام بها مدة ثم رجع إلى إربل.

ومن جملة من تخرج عليه الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى

---

(١) ترجمة الخضر بن نصر الاربلي في طبقات السبكي ٥: ٢١٨ (بإيجاز) .

(٢) انظر تهذيب ابن عساكر ٥: ١٦٥.." (١)

"وزن الكلام إذا نطقت فإنما ... يبدي عيوب ذوي العقول المنطق

ومن الرجال إذا استوت أحلامهم ... من يستشار إذا استشير فيطرق

حتى يجيل بكل واد قلبه ... فيرى ويعرف ما يقول فينطق

ما الناس إلا عاملان فعامل ... قد مات من عطش وآخر يغرق

والناس في طلب المعاش فإنما ... بالجد يرزق منهم من يرزق

لو يرزقون الناس حسب عقولهم ... ألفيت أكثر من ترى يتصدق

لكنه فضل المليك عليهم ... هذا عليه موسع ومضيق

وإذا الجنازة والعروس تلاقيا ... ورأيت دمع نوائح يترقرق

سكت الذي تبع العروس مبهتا ... ورأيت من تبع الجنازة ينطق ومن مختار شعره:

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢/٢٣٧

ان الغني الذي يرضى بعيشته ... لا من يظل على ما فات مكتئبا

لا تحقرن من الأيام محتقرا ... كل امرئ سوف يجزى بالذي اكتسبا

قد يحفز المرء ما يهوى فيركبه ... حتى يكون إلى توريطه سببا قال أحمد بن عبد الرحمن المعبر: رأيت صالح بن عبد القدوس في المنام ضاحكا مستبشرا فقلت له: ما فعل بك ربك، وكيف نجوت مما كنت ترمى به قال: إني وردت على رب لا تخفى عليه خافية، فاستقبلني برحمته وقال: لقد علمت براءتك مما كنت تقذف به. وكان قتله سنة سبع وستين ومائة.." (١)

"وقال: إني أردت أن اتزوج ابنة خالي من بني الحارث بن كعب، أفتأذن لي قال: تزوج من شئت، فتزوج ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الركال بن قطن بن زياد بن الحارث بن كعب، فأولدها السفاح المذكور، فتولى الخلافة (١).

ووصف المدائني أبا مسلم فقال: كان قصيرا أسمر جميلا حلوا نقي البشرة أحور العين عريض الجبهة حسن اللحية وافرها طويل الشعرة طويل الظهر قصير الساق والفخذ خافض الصوت، فصيحا بالعربية والفارسية حلو المنطق راوية للشعر عالما بالأمور، لم ير ضاحكا ولا مازحا إلا في وقته ولا يكاد يقطب في شيء من أحواله، تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل به الحوادث الفادحة (٢) فلا يرى مكتئبا، وإذا غضب لم يستفزه الغضب، ولا يأتي النساء في السنة إلا مرة واحدة، ويقول: الجماع جنون ويكفي الإنسان أن يجن في السنة مرة، وكان من أشد الناس غيرة [أيدخل قصره غيره، وكان في القصر كوى يطرح لنسائه منها ما يحتجن إليه، قالوا: وليلة زفت أليه امرأته أمر بالبرذون الذي ركبته فذبح وأحرق سرجه، لئلا يركبه ذكر بعدها، وقال له ابن شبرمة: أصلح الله الأمير، من أشجع الناس قال: كل قوم في إقبال دولتهم؛ وكان أقل الناس طمعا، واكثرهم طعاما، ولما حج نادى في الناس: برئت الذمة ممن أوقد نارا، فكفى العسكر ومن معه أمر طعامهم وشرابهم في ذهابهم وإيابهم ومنصرفهم، وهربت الأعراب، فلم يبق في المناهل منهم أحد لما كانوا يسمعونه من سفكه الدماء: قتل في دولته ستمائة ألف صبرا، فقيل لعبد الله بن المبارك: أبو مسلم خير أو الحجاج قال: لا أقول إن أبا مسلم خيرا من أحد، ولكن الحجاج كان شرا منه] (٣).

---

(١) وكان أبو مسلم يدعو ... الخلافة: ورد في المسودة ور وبعضه في م ولم يرد في سائر النسخ والمطبوعة المصرية.

(٢) ل: القادحة، وسقطت من م.

(٣) ما بين معقفين لم يرد في النسخ الخطية.." (٢)

"هذه إلى هذه، وقال لسائل سأله: أيهما أصعب عليك وأشق قال: إذا عارضني النقرس فكأني بين فكي سبع يمضغني، وإذا اعتراني القولنج وددت لو استبدلت النقرس عنه، ويقال: إنه رأى أكارا في بستان يأكل خبزا ببصل ولبن وقد أمعن منه، فقال: وددت لو كنت كهذا الأكار آكل ما أشتهي؛ قلت: وهذه شيمة الدنيا، قل أن تصفو من الشوائب (١)

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢/٤٩٣

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ٣/١٤٨

.

ورأيت في بعض المجاميع أن الصاحب بن عباد عبر على باب داره بعد وفاته فلم ير هناك أحدا بعد أن كان الدهليز يغص من زحام الناس (٢) ، فأنشد:

أيها الربع لم علاك **اكتئاب** ... أين ذاك الحجاب والحجاب

أين من كان يفرغ الدهر منه ... فهو اليوم في التراب تراب

قل بلا رقبة وغير احتشام ... مات مولاي فاعتراني **اكتئاب** ثم رأيت في كتاب " اليميني " للعتبي هذه الأبيات، وقد نسبها إلى أبي العباس الضبي، ثم قال: ويقال إنها لأبي بكر الخوارزمي، وقد اجتاز بباب الصاحب ابن عباد، ولا يمكن أن تكون على هذا التقدير للخوارزمي لأنه مات قبل الصاحب كما تقدم ذكره.

ومثل هذه الحكاية ما حكاه علي بن سليمان قال: رأيت بالري دار قوم لم يبق منها إلا رسم بابها، وعليه مكتوب:

اعجب لصرف الزمان (٣) معتبرا ... فهذه الدار من عجائبها

عهدي بها بالملوك زاهية ... قد سطع النور في جوانبها

تبدلت وحشة بساكنها ... ما أوحش الدار بعد صاحبها (٢٢٣) ولما مات رتب مخدومه ركن الدولة ولده ذا الكفايتين أبا الفتح

---

(١) سقط من النسخ وهو ثابت في المطبوعة المصرية.

(٢) ق: الزحام بالناس.

(٣) ق: الأزمان.." (١)

"٢- تنوير: ثم يقسم المعاني والعبارات على الفصول ويبدأ منها بما يليق بمقصده أن يبدأ به، ثم يتبعه من الفصول بما يليق أن يتبعه به ويستمر هكذا على الفصول فصلا فصلا، ثم يشرع ي نظم العبارات التي أحضرها في خاطره منتثرة فيصيرها موزونة إما بأن يبدل فيها كلمة مكان كلمة مرادفة لها أو بان يزيد الكلام ما تكون لزيادته فائدة فيه أو بان ينقص منه ما لا يخل به أو بأن يعدل من بعض تصاريف الكلمة إلى بعضها أو بأن يقدم بعض الكلام ويؤخر بعضا أو بأن يرتكب في الكلام أكثر من واحد من هذه الوجوه.

٣- إضاءة: ولا يخلو عروض الشعر من أن يكون طويلا أو قصيرا أو متوسطا: فأما الطويل فكثيرا ما يفضل مقداره عن المعاني فيحتاج إلى الحشو، وأما القصير فكثيرا ما يضيق عن المعاني ويقصر عنها فيحتاج إلى الاختصار والحذف، وأما المتوسط فكثيرا ما تقع فيه عبارات المعاني مساوية لمقادير الأوزان فلا يفضل عنها ولا تفضل عنه فلا يحتاج فيه إلى حذف ولا حشو، لكنه يشارك الطويل والقصير في الاحتياج فيه إلى الوجوه الباقية إلى: العدل والبدل والتقديم والتأخير أو مجموع أكثر من واحد من ذلك.

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١١٠/٥

٤- تنوير: وللأعاريض اعتبار من جهة ما تليق به من الأغراض واعتبار من جهة ما تليق به من أنماط النظم: فمنها أعاريض فخمة رصينة تصلح لمقاصد الجد كالفخر ونحوه نحو عروض الطويل والبسيط وفئة وكثير من مقصرات ما سواه من الأعاريض. ومنها أعاريض تليق مقاصد التي تحتاج إلى جزالة نمط النظم يجب أن تنظم في سلك الأعاريض التي من شأن الكلام أن يكون نظمه فيها جزلا نحو عروض (الطويل) والكامل.

وأما المقاصد التي يقصد فيها إظهار الشجو **والاكتئاب**، فقد يليق بها الأعاريض التي فيها حنان ورقة، وقلما يخلو الكلام (الرقيق) من ضعف مع ذلك، لكن ما قصد به من الشعر هذا المقصد، فمن شانه أن يصفح فيه عن اعتبار القوة والفخامة، لأن المقصود بحسب هذا الغرض أن تحاكى الحال الشاجية بما يناسبها من لفظ ونمط تأليف ووزن. فكانت الأعاريض التي بهذه الصفة غير منافية لهذا الغرض، وذلك نحو المديد والرمل. وسيأتي لهذا زيادة بيان.

٥- إضاءة: واعلم أن الخواطر إذا تصورت فصول القصائد ومعانيها قبلا لشروع فيا لنظم، وقامت بها العبارات عن تلك المعاني قياما وهميا متخيلا، فقد يوجد في عبارة عبارة منها كلم يصلح أن تقع قوافي تكون كل عبارة منها فيها كلمة في كل ما عداها من العبارات كلمة تماثلها في المقطع، ويوجد فيها أيضا كلم مغايرة مقاطعها المتماثلة لمقاطع الأولى ولا تبلغ الثواني مبلغ الأولى فيا لكثرة، ويوجد فيها أيضا كلم لها مقطع ثالث إلا أنها في قليل من تلك العبارات.

٦- تنوير: فللشعراء بالنظر إلى ما يجب في المطالع وما يجب في القوافي، وبالنظر إلى ملاحظة ما يجب فيها ثلاثة مذاهب: أحدها مذهب المعتنين بالمبادئ. وهو أن يجعل مبدأ كلامه دالا على مقصده، ويفتتح القول بما هو عمدة في غرضه، وينظر في العبارة عن ذلك المعنى أصلح لفظة منها بالقافية؛ فإن كان مقطعها مماثلا لما تكاثر في معاني القصيدة من المقاطع المتماثلة حصلت له البغية في المبدأ والقوافي وتمكن مما أراد، وإن كان المقطع فيا لمبدأ مماثلا للمقاطع المتوسطة في مستأنف العبارات عن معاني القصيدة حصل له أيضا كثير مما أراد واحتال في ما لم يكن فيه من العبارات ما يماثل مقطع المبدأ باجتلاب ما يماثله على جهة إلحاقه بالعبارة ويتحرى أن يكون ذلك مفيدا، فإن لم يماثل مقطع المبدأ إلا المقاطع التي وقعت قليلة فيا لعبارات احتال في وصل ما عز فيه وأبدل المقطع بما يوجد فيه تحرى الإفادة والبعد عن التكلف ما استطاع وأبدل مكان بعض المعاني التي كان يريد أن يقولها معاني مناسبة لها في ما وقع فيها عمدة أو فضلة مفيدة مقطع مماثل لمقطع المبدأ وحذف ما لم يجد منه بدلا، فهذا مذهب.." (١)

"ا، ب ابن الخياط الدمشقى «١»

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه ... فقد كاد رياها يطير بلبه

وإياكما ذاك النسيم فإنه ... إذا حب كان الموت أيسر هبه «٢»

وفى الركب مطوى الضلوع على جوى ... متى يدعه داعى الغرام يلبه

إذا خطرت من جانب الرمل نفحة ... تضمن منها داؤه دون صحبه

ومحتجب بين الأسنة معرض ... وفى القلب من إعراضه مثل حجبه

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء القرطاجني ص/٦٥

أثمار إذا آنست فى الحى أنة ... حذارا وخوفا أن تكون لحبه

ا، ب ابن رواحة الحموى «٣»

يا غائبا وهو ذو عتاب ... وحاضرا وهو ذو اجتناب

ومن يديم الزمان هجرا ... وقد روى دائم **اكتئاب**." (١)

"نفكر فإن حدثت أن أخا هوى ... نجاسا فأرجو النجاة من الحب

وأطيب أيام الهوى يومك الذي ... تروع بالتحريش فيه وبالعتب

وقيل أن هذه الأبيات غناء لعلية بنت المهدي وكانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني التي تريدها لأي من الشعراء.

عرضن للذي تحب بحب ... ثم دعه يروضه إبليس

فلعل الزمان يدنيك منه ... أن هذا الهوى جليل نفيس

صابر الحب لا يصرفك فيه ... كم حبيب تجهم وعبوس

وأقل اللجاج واصبر على الجهد فإن الهوى نعيم وبوس

لأحدهم:

سلام على النازح المغترب ... تحية صب به **مكتئب**

غزال مراتعه بالبليح ... إلى دير زكي فقصر الخشب

أيا من أعان على نفسه ... تخليفه طائعا من أحب

سأستر والستر من شيمتي ... هوى من أحب بمن لا أحب

وقال:

أتاني كتابك يا سيدي ... وفيه العجائب كل العجب

أتزعم أنك لي عاشق ... وأنك بي مستهام وصب

فلو كان هذا كذا لم تكن لتتركني نهزة للكرب

وأنت ببغداد ترعى بها ... نبات اللذاذ مع من تحب

فيا من جفاني ولم أجفه ... ويا من شجاني بما في الكتب

كتابك قد زادني صبوة ... واسعر قلبي بحر اللهب

فهبني نعم قد كتمت الهوى ... كيف بكمان دمع سرب

ولولا إتقاؤك يا سيدي ... لوافتك بي الناجيات النجيب

معيدو للفرزدق يفاخر بها في وصد بني هاشم:

هذا الذي تعرف لبطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

---

(١) المقتطف من أزاهر الطرف ابن سعيد المغربي ص/١٣٣

هذا أين خبر عباد الله كلهم ... هذا التقي نقي الظاهر العلم

هذا إبن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يغضي حياء ويغضي من مهابته ... فما يكلم ألا حين يبتسم

بكفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

الله شرفه قدما وعظمه ... جري بذاك له في لوحة القلم

أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأولية هذا أو له نعم

من يشكر الله يشكر أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأمم

ينمي إلى ذروة الدين التي قصرت ... عنها الأكف وعن إدراكها القدم

من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأمم

مشقة من رسول الله نعته ... طبت مغارسه والخيم والشيم

ينشق ثوب الدجى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم

من معشر حبهمو دين وبغضمو ... كفر وقربهمو منجى ومعتصم

مقدم بعد ذكر الله ذكرمو ... في كل بر ومختوم به الكلم

أن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير اهل الأرض قيل همو

لا يستطيع جواد بعد جودهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

يستدفع الشر والبلوى بحبهم ... ويسترب به الإحسان والنعم

فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينة فقال:

اتحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد ... وعينا له حولاء باد عيوبها

فبلغ شعره هشاما فوجه فأطلقه: " أخبرنا " عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى عن الهيثم بن عدي قال أخبرنا أبو روح الراسي قال لما ولي خالد بن عبد الله العراق ولي مالك بن المنذر شرطة البصرة فقال الفرزدق:

يبغض فينا شطة المصراني ... رأيت عليها مالكا عقب الكلب

قال فقال مالك علي به فمضوا به إليه فقال:." (١)

---

(١) المرقصات والمطربات ابن سعيد المغربي ص/٧٨

"أخبر القاسم بن جريال، قال: نويت مفارقة اللاذقية والأقران المماذقية، لغلبة غلباء، وسنة شهباء، ما لمعت لها بروق، ولا لمعت بها لاقح ولا بروق، وكنت في تلك المجاعات، وتهافت الجماعات صاحب صبية، ومصاحب صبوة وصبية، أربح من لبب اللباب، وأبرح عن سبب السباب وأرمح لعباب العياب، وامرح في ثياب الثواب، ما عرف لي تفوه، وأنا مشفوه المشارب مشفوه، فحين نجم دخان خضرائها، وأنجم دخان غبرائها، وانجزم نسل نسائها، وانجرم النسل بأرجائها، وصهر حرور يوحها، وهصر بفودي الإفادة ماء طوفان نوحها، منحتها مر الطلاق، ونفحتها بانطلاق المطلاق، واحتلست مطية فاحمة الأطمار، متزاحمة الاختمار، مائلة عن النفار، عادلة عن العثار، مبرأة من البرى، مفدأة في السرى، لا يناهزها الإرزام، ولا يجز حيزومها الحزام، تزفن لشدة الاضطراب، زفن الشارب لنشوة الإطراب فأبرز الرايس شرعا كان أنشأها، وأحكم إتقانها وأنساها، وأصبح مصافح مجراها ومرساها، وقال: اركبوا فيها، باسم الله مجراها ومرساها فلم تزل تنازل فوارس الأهوال، وتغازل عوائس الأوهال، وتجانب جحافل الإجبال وهي تجري بهم في موج كالجبال، حتى شربنا كؤوس السعادة الكسروية، بأكف معالم الإسكندرية فولجتها وأنا من الميد كالمجنون، والقيظ كالمفتون، فأقبلت أتقلقل لمفارقة الرفاق، ومرافقة الفراق، إلى أن وقفت بالجامع ذي السوائر، وقفة الحرون الحائر، فألفيت غلمة واكفة الشؤون، ونسوة منشورة القرون، وعتاقا مقلوبة السروج، ونياقا مكبوبة الحدوج فقلت لمنحب واقف، ومكتئب لحنظل التحرق ناقف: ما هذا الفري الفظيع الواقع، والشري الشنيع الناقع، الذي ميطت له البراقع، وعجز عن إصلاح. خرقه الراقع؟ فقال: إنه قد درج صاحب ديوان الوزارة، المشهور بحسن الإشارة، ذو الضيف والقراع، والسيف واليراع، والخلة والخوان، والجلة والجفان، فقلت: تالله لا أزال أو أذوق بعد حور محاوراته، مر مرار مواراته، فإن استماع العظة مصقلة للقلوب، واتباع الجنائز مرقلة عن الزلل والحوب، ثم إني ولجته وعلوت بعير العبر، وحدجته فوجدته مغمورا من الغاشية، مسجورا من الغاشية والماشية وبين تيك الحزق، وهاتيك الخرق، وعاظ تلبوا للعصبصب الشديد، وترتبوا ترتيب أسماء التأكيد، فابتدر واعظ أفصح من قس المقال، وأرجح بالارتجال في ذلك المجال، فدنوت لقبض عقاص تلك الخلاص، وفض عفاص ذلك الإخلاص، فكان مما رعيته بالاختصاص ووعيته من خصاص الخصاص: ابن آدم إلام تعوم في بحار هفواتك، وتقوم لقطف ثمار خلواتك، وتكرع من فرات الآثم، ولا تركع لردع زفرات المآثم، وتنظر إصلاح حالك، ولا تنظر سواد ذنبك الحالك، وتحكي نفيس مالك، ولا تبكي لخسيس آمالك، وتمنع من فضول غمرك، ولا يطمع في أفول غمرك، وتركب وتصيد، ويلثم لك الوصيد، ويجبى بك الحصيد، وقد انقرض آباؤك الصيد، فلا يردعك الواعظ، ولا تخدعك المواعظ، ولا يرفعك فعل مليحة فتغنم، ولا ينصبك تمييز قريحة فتعلم ولا يخفضك خافض فضيحة فتندم، ولا يجزمك جازم قبيحة فتسلم، ويك أما تفزع من ركاب حينك، وتجزع من ارتكاب مينك وتقلع شجرات شينك، وتقلع عن شهوات عينك، تالله إن الموت ليشذب مواد سعيك، ويقرب نواد نعيك، ويبلقع خدور مغانيك، ويقطع صدور غوانيك، ويقلم قدود أعوانك." (١)

"يسألني، ثم يقبل عليهم فيقول: ما يمنعكم أن تأتونيبمثل ما يأتيني به هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه؟! وفي حديث آخر عن ابن عباس قال: كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر، ويأذن لي معهم. فقال بعضهم: يأذن لهذا الفتى

---

(١) المقامات الزينية ابن الصيقل الجزري ص/٩

معنا ومن أبنائنا من هو مثله، فقال عمر: إنه ممن قد علمتم. قال: فأذن لهم ذات يوم، وأذن لي معهم فسألهم عن هذه السورة: " إذا جاء نصر الله والفتح " وساق الحديث بمعنى ما تقدم.

وعن الزهري قال: قال المهاجرون لعمر: ألا ندعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟ قال: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا وقلبا عقولا.

وعن ابن عباس قال: قدم على عمر رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قرأ منهم القرآن كذا وكذا، فقال ابن عباس: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة. قال: فزبرني عمر ثم قال: مه، قال: فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا، فقلت: قد كنت نزلت من هذا الرجل بمنزلة ما أراني إلا أني قد سقطت من نفسه، قال: فرجعت إلى منزلي فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع، وما هو إلا الذي نقلني به عمر، قال: فبينا أن كذلك إذ أتاني رجل فقال: أجب أمير المؤمنين، قال: فخرجت فإذا هو قائم قريبا ينتظرني، فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال: ما كرهت مما قال الرجل؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إن كنت أسأت فأستغفر الله وأتوب إليه، وأنزل حيث أحببت، قال: لتحدثني ما الذي كرهت مما قال الرجل، فقلت: يا أمير المؤمنين إنهم متى سارعوا هذه المسارعة يحتقوا ومتى يحتقوا اختلفوا، ومتى اختلفوا يقتتلوا، قال: لله أبوك، والله لقد كنت أكاتمها الناس حتى جئت بها.." (١)

"وكان عبد الله يعني ابن مسعود وعلقمة يصفان الناس صفين عند أبواب كندة، فيقرئ عبد الله رجلا، ويقرئ علقمة رجلا، فإذا فرغا تذاكرا أبواب المناسك، وأبواب الحلال والحرام، فإذا رأيت علقمة فلا يضرك أن لا ترى عبد الله، أشبه الناس به سمتا وهديا، وإذا رأيت إبراهيم لا يضرك أن لا ترى علقمة، أشبه الناس به هديا وسمتا.

قال ابن سيرين: أدركت الكوفة وهم يقدمون خمسة: من بدأ بالحارث الأعور ثنى بعبيدة، ومن بدأ بعبيدة ثنى بالحارث، ثم علقمة بالثالث لا شك فيه، ثم مسروق، ثم شريح، فقال: وإن قوما أخسهم شريح لقوم لهم شأن.

وكان أصحاب عبد الله، الذين يقرئون القرآن ويصدر الناس عن رأيهم، ستة: علقمة والأسود ومسروق وعبيدة وعمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس.

قال إبراهيم: كنت عند عبيدة فسئل عن قول عبد الله في الجد، فقال: كان عبد الله يورثه إلى السدس، لا ينقصه شيئا، فأخذني ما قدم وما حدث، فقلت: لئن كان حديث علقمة كله هكذا، ما أدري ما حسب حديث علقمة، وما عبيدة عندي بمتهم.

فمررت بعبيد بن نضيلة وهو على بابه، فقال: يا أعور، ما لي أراك مكتئبا؟ قال: قلت: لا والله، إلا أني كنت عند عبيدة، فشئل عن قول عبد الله في الجد، فقال: كان عبد الله يورثه إلى السدس، لا ينقصه شيئا، فأخذني ما قدم وما حدث، فقلت: إن كان حديث علقمة هكذا، ما أدري ما حسب حديث علقمة، وما عبيدة عندي بمتهم. وكان علقمة قال عن عبد الله: إنه كان يورثه إلى الثلث.." (٢)

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٣٠٤/١٢

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٦٨/١٧

"أحاطت به أحزانه وهمومه ... وأبلس لما أعجزته المعاذر

فليس له من كربة الموت فارج ... وليس له مما يحاذر ناص ر

وقد جشأت خوف المنية نفسه ... ترددها منه اللها والحناجر

هنالك خف عنه عواده، وأسلمه أهله وأولاده، فارتفعت الرنة بالعويل، وأيسوا من برء العليل، فغمضوا بأيديهم عينيه، ومدوا عند خروج نفسه رجليه.

فكم موجع يبكي عليه ومفجع ... ومستنجد صبرا وما هو صابر

ومسترجع داع له الله مخلصا ... يعدد منه خير ما هو ذاكر

وكم شامت مستبشر بوفاته ... وعما قليل كالذي صار صائر

فشق جيوبها نساؤه، ولطم خدودها إماؤه، وأعول لفقده جيرانه، وتوجع لرزئه إخوانه، ثم أقبلوا على جهازه، وشمروا لإبرازه.

وظل أحب القوم كان لقربه ... يحث على تجهيزه ويبادر

وشمر من قد أحضروه لغسله ... ووجه لما قام للقبر حافر

وكفن في ثوبين واجتمعت له ... مشيعة إخوانه والعشائر

فلو رأيت الأصغر من أولاده. وقد غلب الحزن على فؤاده، وغشي من الجزع عليه، وخضبت الدموع خديه، وهو يندب أباه يقول: يا ويلاه.

لعاينت من قبح المنية منظرا ... يهال لمرآه ويرتاع ناظر

أكابر أولاد يهيج **اكتئابهم** ... إذا تناساه البنون الأصاغر

ورنة نسوان عليه جوازع ... مدامعهم فوق الخدود عوزار." (١)

"عمرو بن الوليد بن عقبة

ابن أبي معيط واسمه أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو الوليد القرشي، الأموي، المدني، المعروف بأبي قطيفة

وإنما قيل له أبو قطيفة لكثرة شعر رأسه ولحيته، شبه بالقطيفة. شاعر محسن، سيره ابن الزبير في جملة من سير من بني أمية إلى دمشق. وأبو قطيفة هو الذي يقول: من الخفيف

ليت شعري وأين مني ليت ... أعلى العهد يلبن فبرام

أم كعهدي البقيع أم غيرته ... بعدي المعصرات والأيام

أقطع الليل كله **باكتئاب** ... وزفير فما أكاد أنام

نحو قومي إذ فرقت بيننا الدا ... ر وجارت عن قصدها الأحلام

خشية أن يصيبهم عنت الده ... ر وحرب يشيب فيها الغلام

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٥٢/١٧

ولقد حان أن يكون لهذا الد ... دهر عنا تباعد وانصرام

وبقومي بدلت لخما وكلبا ... وجذاما وأين مني جذام

إقر عني السلام جئت قومي ... وقليل لهم لدي السلام

وقال أيضا أبو قطيفة: من الطويل

أيا ليت شعري هل تغير بعدنا ... بقيع المصلى أم كعهدي القرائن

أم الدور أكناف البلاط عوامر ... كما كن أم هل بالمدينة ساكن

أحن إلى تلك البلاد صبابة ... كأني أسير في السلاسل راهن." (١)

"محمد بن أحمد بن سعيد

أبو عبد الله الواسطي، المعروف بابن كساء حدث عن هشام بن خالد بسنده إلى كيسان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ".

محمد بن أحمد بن سعيد

ابن الفضل، أبو بكر البغدادي الكاتب صاحب شعر مستحسن، ونثر في الكتابة حسن. قدم دمشق.

يقول في استهداء مداد وأقلام وكاغد: وأنا أستمد من معونته مدادا كلون الشباب، أو سويداء دائم **الاكتئاب**؛ فإن الدواة قد شابت ذوائبها، وتبسم قاطبها، وضحكت مستديرة، وأضاءت مستنيرة: " من البسيط "

أشكو إليك مشيبا لاح بارقه ... في فرع دهماء تجري بالأساطير

وأقلام تقلم أظفار الخطوب، وتؤذن بدرك المطلوب، تهزأ بالسمر الطوال، وتستكن في جريها الأرزاق والآجال: " من المتقارب "

بها يدرك المرء آماله ... ويسمو إلى درجات العلى

تروق العيون بأزهارها ... وتخبر عن مضمرات الحشا

وبياضا مصقولا، يتكافأ عرضا وطولا، نقيا كعرضه الوافر، وقدحه الفائز الظافر، يرتاح القلب بإشراقه، ويبتهج عند وجوده ولحاقه: " من الطويل "

صحائف لو شئنا لقلنا صفائح ... فما بينها إلا أغر صقيل." (٢)

"قال قيس بن النعمان: خرجت يوما إلى بعض مقابر المدينة فإذا بصبي عند قبر يبكي بكاء شديدا، وإن وجهه ليلقي شعاعا من نور، فقلت: أيها الصبي ما الذي عقلت له من الحزن حتى أفردك بالخلوة في مجالب الموتى والبكاء على أهل البلاء وأنت بغو الحداثة مشغول عن اختلاف الأزمان وحنين الأحزان؟ فرفع رأسه وطأطأه وأطرق ساعة لا يحير جوابا

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٣١٨/١٩

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٧١/٢١

ثم قال: من البسيط

إن الصبي صبي العقل لا صغر ... أزرى بذي العقل فينا لا ولا كبر

ثم قال لي: يا هذا خلي الذرع من الفكر، سليم الأحشاء من الحرقة، أمنت تقارب الأجل بطول الأمل إن الذي أفردني بالخلوة في مجالب أهل البلى تذكر قول الله عز وجل " فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون " فقلت: بأبي أنت، من أنت؟ فإني لأسمع كلاما حسنا، فقال: إن من شقاوة أهل البلى قلة معرفتهم بأولاد الأنبياء، أن محمد بن علي بن الحسين بن علي وهذا قبر أبي فأي أنس آنس من قربه وأي وحشة تكون معه؛ ثم أنشأ يقول: من الكامل

ما غاض دمعي عند نازلة ... إلا جعلتك للبكا سببا

إني أجل ثرى حللت به ... من أن أرى بسواك مكتئبا

فإذا ذكرتك سامحتك به ... مني الدموع ففاض فانسكبا

قال قيس: فانصرفت وما تركت زيارة القبور مذ ذاك.

قال المدائني:

بينا محمد بن علي في فناء الكعبة أتاه أعرابي فقال له: هل رأيت الله حيث عبدته؟ فأطرق وأطرق من كان حوله، ثم رفع رأسه إليه فقال: ما كنت لأعبد شيئا لم أره؛ فقال: وكيف رأيته؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات منعوت بالعلامات." (١)

"سقطت نفوس بني الكرام فأصبحوا ... يتطلبون مكاسب الأنذال

وأقل ما طلب الزمان مساءتي ... إلا صبرت وإن أضر بحالي

نفسي تراودني وتأبى همتي ... أن أستفيد غنى بذل سؤالي

دخل القاضي أبو نصر البنص مجلس الأمير سيف الدولة، فطرح من كمه كيسا فارغا ودرجا فيه شعر، واستأذن الأمير في قراءته، فأذن له، فلما فرغ من إنشاءه ضحك الأمير وأمر له بألف درهم صحاح، فجعلت في كيسه الذي جاء معه، وكانت الأبيات: من الطويل

حباؤك معتاد وأمرك نافذ ... وعبدك محتاج إلى ألف درهم

ولم أحظ من إنشاد شعري بطائل ... ولم أعط رزقا مثل شهر المحرم

أروح وأغدو بين عسر وعلة ... ودين وإفلاس وقلب مقسم

تباعد مني ما توهمت قربه ... فلم يبق مني الهم إلا توهمي

أسأل عن أمري فأبقى لحيرتي ... وطول اكتئابي باهتا مطبقا فمي

لئن قلت: أنشدت الأمير قصيدة ... كوشي رياض جادها صوب مرزم

فأطلق أرزاقي وأسنى عطيتي ... وجاد بأفضال علي وأنعم

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٨٠/٢٣

كذبت وإن أصدق تكذب مقالتي ... جميع البرايا من فصيح وأعجم

ومن يلتمس يوما بفضل خصامه ... مغالبة الإجماع يغلب ويخصم

لئن لم تجد لي عاجلا غير آجل ... بألف صحاح لم تشب بمثلم

رجعت إلى بيتي وصفرت لحيتي ... وسميت نفسي لوردكن بن رستم

وجئت بسكين وخرج وخنجر ... وترس وزوبين وقوس وأسهم

وأعصب رأسي بعد ذاك بخرقة ... وأحضر يوم العرض في زي ديلمي

فتفرض لي في كل شهرين بدرة ... لشدة بأسي في الوغى وتقدمي

فآخذها حتى إذا ما بعثت بي ... مقدمة في ماقط يوم صيلمي

هربت على وجهي فرارا من العدى ... ولم آمن الجهال غب تعجمي." (١)

"محمد بن المعافى بن أحمد بن محمد

ابن بشير بن أبي كريمة أبو عبد الله الصيداوي، ويقال: البيروتي حدث بصيدا سنة عشر وثلاث مئة، عن عمرو بن عثمان، بسنده إلى ثوبان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يحل لمسلم أن ينظر في بيت رجل إلا بإذنه، فإن نظر فقد دخل؛ ولا يؤم قوما فيخص نفسه بدعاء دونهم، فإن فعل فقد خانهم؛ ولا يقوم إلى الصلاة وهو حاقن ".

قال محمد بن المعافى: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: اللبيب العاقل هو الفطن المتغافل.

قال أبو حاتم: لم يطعم محمد بن المعافى ثمانية عشر سنة من طيبات الدنيا شيئا غير الحسو عند إفطاره.

محمد بن معبد

أظنه بصريا.

قدم الشام أيام عمر بن عبد العزيز، وحدث عنه، أنه أرسل بأسارى من أسارى الروم، ففادى بهم أسارى من أسارى المسلمين، قال: فكنت إذا دخلت على ملك الروم ودخلت عليه عظماء الروم خرجت؛ قال: فدخلت يوما فإذا هو جالس في الأرض مكتئبا حزينا؛ فقلت: ما شأن الملك؟ فقال: وما تدري ما حدث؟ قلت: وما حدث؟ قال: مات الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز؛ ثم قال ملك الروم: إني لأحسب أنه لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى بن مريم لأحياهم عمر بن عبد العزيز؛ ثم قال: إني لست أعجب من الراهب إن أغلق بابه ورفض الدنيا، وترهب وتعبد، ولكن أتعجب ممن كانت الدنيا تحت قدمه فرفضها ثم ترهب.." (٢)

"بكوا حذيفة لن تبكوا مثله ... حتى تبيد قبائل لم تخلق

وقيل: تمثل: " من الطويل "

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٩٣/٢٣

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٥٠/٢٣

على مثل عمرو يهلك المرء حسرة ... وتضحي وجوه القوم مسودة غبرا

ورثاه حمزة بن بيض، فقال: " من الوافر "

أمخلد هجت حزني واكتئابي ... وفل عليك يوم هلكت نابي

وعطلت الأسرة منك إلا ... سريرك يو تحجب بالثياب

ةآخر عهدنا بك يوم يحثى ... عليك بدابق سهل التراب

تركت عليك أم الفضل حرى ... تلدد في معطلة خراب

تنادي والها بالويل منها ... وما داعيك مخلد بالمجاب

أما لك أوبة ترجى إذا ما ... رجا الغياب عاقبة الإياب

وليت حريبتي فمضت وذخري ... فكيف تصبري بعد احترابي

أبعدك ما بقيت أبا خداش ... وقد بغضتني برد الشراب

وقال الفرزدق يرثيه: " من الطويل "

وما حملت أيديهم من جنازة ... وما ألبست أثوابها مثل مخلد

أبوك الذي تستهزم الخيل باسمه ... وإن كان فيها قيد شهر مطرد

وقد علموا إذ شد حقويه أنه ... هو الليث ليث الغيل لا بالمعرد

مخلد بن يزيد بن يعلى

ابن قسيم بن نجيح القرشي من أهل ناحية العبادية.." (١)

"مروان بن عبيد الله بن مروان

ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الأموي

مروان بن عثمان

أبو الحسن السقلي، المغربي، الفقيه له شعر لا بأس به، قدم دمشق سنة ثمان وسبعين وأربعمئة، ولقيه غيث بن علي بصور، وأنشده شيئا من شعره.

قال ابن الملحي: أبو الحسن مروان السقلي، رجل صدر إمام، زاهد فقيه عالم، أحسن الناس خطا، وأكثرهم في العلم حظا، وصل إلى دمشق فأنزله الشيخ الأمين أبو محمد ابن الأكفاني بمنزله، وتكفل بجميع حوائجه مدة مقامه عنده، ولم يكن يقبل الهدية، ولا له في التكسب نية، ولم يدرس أحدا، ولا كان يكاد يظهر، ولم أجتمع به إلا بعد أن استأذنته الشيخ، ففسح في حضوري، فحضرت ومعي " الجمل " وقرأن عليه منه كراسة واحدة؛ وسار إلى بغداد، واتصل بالخليفة، وغزم عليه في تعليم

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٤٩/٢٤

ولده، فدخل داره، وهناك توفي رحمه الله، وهو القائل: " من البسيط "

هلمن لواعج هذا البين من جار ... لمستهام غريب دمعه جار

حيران مغترب، حران مكتئب ... ذي مدمع سرب كالسيل خرار

وكلما نسمت نجدية نظمت ... ريح الجنوب تباريحي وأفكاري

فيض الدموع ونيران الضلوع معا ... يا قوم كيف اجتماع الماء والنار." (١)

"حواجب كالجبال سود ... إلى عثانين كالمخالي

وأوجه جهمة غلاظ ... عطل من الحسن والجمال

نصر الشيباني

شاعر قدم دمشق، ومن شعره: " من البسيط "

يا أنجم الليل أقري من أحبهم ... مني السلام وكوني بيننا كتبا

وخبريهم بأني بعد بينهم ... ما بت إلا قريح القلب مكتئبا

قد ادعوا شوقهم مثلي فقلت لهم ... شوق بشوق وتسهيد الجفون ربا

نصيب بن رباح

أبو محجن، مولى عمر بن عبد العزيز اشتراه من بني كنانة وأعتقه، وقيل: كان مولى لخزاعة، وقيل: بل كان أبوه من العرب، وأمه نوبية؛ فجاء أسود؛ فباعه عمه ووفد على عبد الملك وغيره.

قدم نصيب الكوفة، فسير إليه صديق له ولده، فقال: سلم عليه وقل له: إن رأيت أن تبدي إلي شيئا من شعرك فعلت. قال: فأتيته في يوم جمعة وهو يصلي، فلما فرغ أديت إليه الرسالة فقال: قد علم أبوك أني لم أنشد الشعر في يوم الجمعة، ولكن تعود، ويكون ما تحب، فلما ذهبت لأنصرف دعاني فقال: أتروي الشعر؟ قلت: نعم، قال: فأنشدني لجميل، فأنشدته: " من الكامل "

إني لأحفظ سركم ويسرني ... لو تعلمين بصالح أن تذكري." (٢)

"اقتسم ماله، فقال: ما بيني وبينكم عمل، أنتم ورثتموني وأنا حي، فهو حظكم، والله لا يشرك زوجتي فيما قدمت به أحد.

وقال لزوجته: شأنك بهذا المال، فهو لك، ولست أجهل ما كان من وفائك.

فأقام معها، وقال في الشامية: - ويروى لعبد الرحمن بن حسان وليس بصحيح -: من الخفيف

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢١٢/٢٤

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٣٩/٢٦

صاح حيا الإله حيا ودورا ... عند أصل القناة من جيرون

فبتلك اغتربت في الشام حتى ... ظن أهلي مرجمات الظنون

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ... ص ميزت من جوهر مكنون

وفيها:

ثم فارقتها على خير ما كا ... ن قرين مفارقا لقرين

وبكت خشية التفرق والبي ... ن بكاء الحزين نحو الحزين

فأسألي عن تذكري **واكتئابي** ... كل أهلي إذا هم عذلوني

فلما جاء الأجل أراد الخروج إليها، فجاءه موتها؛ فأقام.

كان عبد الله بن الزبير استعمل المغيرة بن عبد الله بن خالد على ناحية من اليمن، وكان المغيرة شريفا، ووفد عليه أبو دهبل الجمحي، فقال له: من مجزوء الكامل

يا ناق سيري واشرقي ... بدم إذا جئت المغيرة

سيثيبني أخرى سوا ... ك وتلك لي منه يسيره

إن ابن عبد الله نع ... م فتى الندى وابن العشيرة

حلو الحلاوة دهثم ... جلد القوى مر المريره

كفاه كفا ماجد ... حر سحائبه مطيره." (١)

"أبو الحسن الدمشقي

حكى عمن حدثه قال: كان لنا شيخ قد صحبناه نتأدب به. فكنا معه، فاشتد بنا الجوع، فشكونا إليه ما نجده من شدة الجوع، فقال: ويعرض لكم الجوع؟ ثم قال: أما إنكم لا تصحبوني بعدها. ثم أخذ إزارا، فتباعد عنا، ونحن ننظر إليه، فجعل يسفي فيه الرمل. ثم جمع طرفيه، وحمله على كتفه، وجاءنا به، فوضعه بين أيدينا، ثم قال: كلوا، فإذا هو خبز حار، فأكلنا، ومضينا، وما قدرنا نصحبه بعدها.

أبو الحسن الدويدة

شاعر مشهور. حج، واجتاز بدمشق في طريقه. وقيل اسمه علي بن أحمد بن محمد. ومن شعره: من البسيط

ستور بيتك ذيل الأمن منك وقد ... علقتها مستجيرا أيها الباري

وما أظنك لما أن علقت بها ... خوفا من النار تدنيني من النار

وها أنا جار بيت قلت أنت لنا: ... حجوا إليه، وقد أوصيت بالجار

وولد له ولد على كبر، فقال: من الوافر

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٣٨٣/٢٦

رزقتك يا محمد بعد يأس ... وقد شابت من الرأس القرون

فبعضي ضاحك طربا وبعضي ... من الإشفاق مكتئب حزين

مخافة أن تروعك الليالي ... بفقدي، أو تعاجلك المنون

وله في أبي اليسر شاكر بن زيد بن عبد الواحد بن سليمان: من الرمل

يا أبا اليسر غدا اليس ... ر بكفيك دفاقا

فقت في السبق إلى السؤ ... دد والمجد البراقا." (١)

"المؤمنين خلى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف، وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلا يقدر، فلما أزعجه الوفد طلقها. ثم قال: يا سعاد اخرجي، فخرجت شكلة غنجة ذات هيئة وجمال، فلما رآها الوفد قالوا: ما تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين لا لأعرابي. وكتب جواب كتابه: من البسيط

لا تحنثن أمير المؤمنين فقد ... أوفى بعهدك في رفق وإحسان

وما ركبت حراما حين أعجبني ... فكيف سميت باسم الخائن الزاني

وسوف تأتيك شمس لا خفاء بها ... أبهى البرية من إنس ومن جان

حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت ... أقول ذلك في سري وإعلاني

فلما ورد الكتاب على معاوية قال: إن كانت أعطيت حسن النغمة مع هذه الصفة فهي أكمل البرية، فاستنطقها فإذا هي أحسن الناس كلاما، وأكملهم شكلا ودلا. فقال: يا أعرابي، هل من سلو عنها بأفضل الرغبة؟ قال: نعم، إذا فرقت بين رأسي وجسدي. ثم أنشأ الأعرابي يقول: من البسيط

لا تجعلني والأمثال تضرب لي ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار

اردد سعاد على حيران مكتئب ... يمسي ويصبح في هم وتذكار

قد شفه قلق ما مثله قلق ... وأسعر القلب منه أي إسعار

والله والله لا أنسى محبتها ... حتى أغيب في رمس وأحجار

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها ... وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية غضبا شديدا، ثم قال لها: اختاري إن شئت أنا، وإن شئت ابن أم الحكم، وإن شئت الأعرابي. فأنشأت سعاد تقول: من الرجز

هذا، وإن أصبح في أطمار ... وكان في نقص من اليسار

أكبر عندي من أبي وجاري ... وصاحب الدرهم والدينار

أخشى إذا غدرت حر النار." (٢)

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٣٤/٢٨

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٥٢/٢٩

"لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل. قال: لم يصبني إلا خير بحمد الله، قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيب فتحها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، وجرت فيها سهام الله واصطفى صفية لنفسه، وقد سألني أن أخفي عنه ثلاثا، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب، قال: فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون من كان دخل بيته مكتئبا حتى أتوا العباس عليه السلام فأخبرهم الخبر فسر المسلمون، ورد الله من كان من كآبة أوغيظ أو حزن على المشركين.

قال واثلة بن الأسقع: كان إسلام الحجاج بن علاط البهزي ثم السلمي، أن خرج في ركب من قومه يريد مكة، فلما جن عليهم الليل وهم في واد وحش مخيف قفر، فقال له أصحابه: يا أبا كلاب، قم فاتخذ لنفسك ولأصحابك أمانا، فقام الحجاج فجعل يطوف حولهم ويكلؤهم ويقول:

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي ... من كل جني بهذا النقب

حتى أؤوب سالما وركبي

قال: فسمع صوت قائل يقول: " يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ولا تنفذون إلا بسلطان " قال: فلما قدموا مكة خبر بذلك في نادي قريش فقالوا: صدقت والله يا أبا كلاب، إن هذا مما يزعم محمد أنه أنزل عليه. قال: قد والله سمعته وسمعه هؤلاء معي، فبينا هم كذلك إذ جاء العاص بن وائل فقالوا له: يا أبا هشام، أما تسمع ما يقول أبو كلاب! قال: وما يقول؟ فخبروه بذلك. فقال: وما يعجبكم من ذلك، إن الذي سمع هناك هو الذي ألقاه على لسان محمد، فنهنه ذلك القوم عني، ولم يزدني في الأمر إلا بصيرة، فسألت عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرت أنه قد خرج من مكة إلى المدينة، فركبت راحلتي وانطلقت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فأخبرته بما سمعت فقال: " سمعت والله الحق، هو والله من كلام ربي عز وجل الذي أنزل علي، ولقد سمعت حقا يا أبا كلاب "، فقلت: يا رسول الله، علمني الإسلام. فشهدني كلمة الإخلاص وقال: سر إلى قومك فادعهم إلى مثل ما أدعوك إليه، فإنه الحق.." (١)

"آخر

وأرى الصديق إذا استشاط تغيظا ... فالغيظ يخرج كامن الأحقاد

ولربما كان التغيظ باعثا ... لتناول الآباء والأجداد

آخر

كاف الخليل على الجميل بمثله ... فإذا أساء فكافه بعتابه

وإذا عتبت على امرئ آخيته ... فتوق طائر عتبه وسبابه

وألن جناحك ما استلان مودة ... وأجب دعاه إذا دعا بجوابه

ومن ذوي الأنفة من أطاع أمر عقله فكافأ المتكلف للهوى على فعله بمثله كقول الشاعر

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٩٩/٦

إذا تاه الصديق عليك كبرا ... فته كبرا على ذاك الصديق

وإن سلك الغرام به طريقا ... فخذ عرضا سوى ذاك الطريق

فليجاب الحقوق بغير راع ... حقوقك رأس تضييع الحقوق

آخر

وإذا الصديق نأى بجانب نفعه ... وحماك صوب غمامه المتدفق

وازور عنك بجاهه وبماله ... وببشره وجنى ولم يتخلق

فاعدده في الموتى فلا معنى له ... وأرمي به الغرض البعيد وحلق

إن ظنني للنار منه شفاعة ... يوم القيامة ساء ظن الأحمق

الكميت

ولست إذا ولي الصديق بوده ... **بمكتئب** أبكى عليه وأندب." (١)

"كأنه والعيون تنظره ... إذا بدا زهره على القضب

مكاحل من زمرد خرطت ... مقمعات الرءوس بالذهب

وقال عبد الصمد:

كأنه فى ناضر الأغصان ... زمرد لاح على تيجان

وقال كمال الدين بن بشائر الإخميمى- وهو عصرى-:

حيا بها رائحة ... كالمسك للمستنشق

وقال شبهها لنا ... فقلت غير مطرق

مكحلة مخروطة ... من دهنج «١» موثق

سدادها من ذهب ... وميلها من ورق «٢»

وقال شاعر يصف البسر الأحمر:

أما ترى النخل حاملات ... بسرا حكى لونه الشقيقا

كأنما خوصه عليه ... زمرد مثمر عقيقا

[وقال ابن «٣» المعتز] :

كقطع الياقوت يانعات ... بخالص التبر مقمعات

[وقال فى «٤» الأصفر] :

أما ترى البسر الذى ... قد حاز كل العجب

---

(١) غرر الخصائص الواضحة الوطواط ص/٥٥١

كيف غدا فى لونه ... كعاشق مكتئب

مكاحل من فضة ... قد طليت بالذهب." (١)

"فى طلاقها فلا يقدر. فلما أزعجه الوفد طلقها وأسلمها إليهما. فلما رآها الوفد على هذه الصورة العظيمة وما اشتملت عليه من الجمال المفرط، قالوا: لا تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين! وكتب ابن الحكم كتابا لأمير المؤمنين معاوية، ودفعه إليهما مع الجارية. فكان مما كتب فيه يقول:

لا تحنثن أمير المؤمنين فقد ... أوفى بعهدك في رفق وإحسان.

وما ركبت حراما حين أعجبنى، ... فكيف سميت باسم الخائن الزانى؟

أعذر فانك لو أبصرتها لجرت ... منك الأمانى على تمثال إنسان!

وسوف تأتيك شمس ليس يعدلها ... عند البرية من إنس ومن جان!

حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت، ... أقول ذلك في سر وإعلان!

فلما ورد الكتاب على معاوية وقرأه، قال: لقد أحسن في الطاعة، ولكن أطنب فى ذكر الجارية! ولئن كانت أعطيت حسن النغمة مع هذا الوصف الحسن فهى أكمل البرية! فأمر بإحضارها، فلما مثلت بين يديه، استنطقها فإذا هى أحسن الناس كلاما وأكملهم شكلا ودلالا. فقال: يا أعرابى، هذه سعدى! ولكن هل لك عنها من سلوة بأفضل الرغبة؟ قال نعم، إذا فرقت بين رأسى وجسدى! فقال: أعوضك عنها يا أعرابى ثلاث جوار أبكار ومع كل واحدة ألف دينار وأقسم لك من بيت المال ما يكفيك في كل سنة ويعينك على صحبتهن. فشهق شهقة ظن معاوية أنه مات. فقال له: ما بالك يا أعرابى؟ قال: أشربال وأسوأ حال، استجرت بعدلك من جور ابن الحكم، فعند من أستجير من جورك؟ ثم أنشأ يقول:

لا تجعلني والأمثال تضرب بى ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار!

اردد سعاد على حيران مكتئب ... يمسى ويصبح في هم وتذكار!." (٢)

"ألثغ إن قلت يا فديتك: قل ... موسى، يقل من رطوبة: موثا.

ما زال حتى الصباح معتنقى ... مطارحى في الدجى الأحاديثا.

وقال كشاجم:

بليت بوجدين [١] وجدى بظبي ... يصد، وما به إلا لجاج.

وعذبنى قضيب في كثيب ... تساوى فيه لين واندماج.

أغار إذا دنت من فيه كاس ... على در يقبله زجاج.

وقال أيضا:

يا لقومى! من لمكتئب ... دمعه في الخد منسفح؟

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢٧/١١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥٨/٢

لامه العذال في رشإ ... عذره من مثله يضح.

وادعوا نصحى! وأخون ما ... كان عذالى إذا نصحوا!

خوفونى من فضيحته، ... ليته وافى وأفتضح!

كيف يسلو القلب عن غصن، ... عله من مائه المرح؟

ذهبي الحسن تحسب من ... وجنتيه النار تقتدح!

وكأن الشمس نيط لها ... قمر، يمناه والقدح.

صد أن مازحته غضبا! ... ما على الأحباب إن مزحوا؟

وهو لا يدرى لنخوته ... أننا في النوم نصطلح!

ثم لا أنسى مقالته: ... أطفيلى ومقترح؟

---

[١] كذا في الأصول، وهو مخالف للوزن الشعرى، والذى في ديوان كشاجم المطبوع:

بليت ولج بى وجد بظبى

الابيات.." (١)

"ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل أموره إلى غيره، ولا ينفرد فى إبرامها برأيه. وكان يشبه بأبى جعفر المنصور فى حزمه وشدته وضبطه لملكه «١» ، وبنى الرصافة بقرطبة تشبها بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام، وقال «٢» .: وكان عبد الرحمن من ذوى الآداب، وله شعر حسن، فمن شعره ما قاله بالأندلس يتشوق معاهده بالشام:

أيها الراكب الميمم أرضى ... أقر من بعضى السلام لبعضى

إن جسمى كما علمت بأرض ... وفؤادى كما عملت بأرض

قدر البين بيننا فافترقنا ... وطوى البين عن جفونى غمضى

قد قضى الله بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضى

ومن شعره ما قاله لما عمر الرصافة بقرطبة، وقد رأى فيها نخلة منفردة، فقال:

تبدت لنا بين الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهى فى التغرب مثلها ... وطول **اكتئابى** عن بنى وعن أهلى

نشأت بأرض أنت فيه غريبة ... فمثلك فى الإقصاء والمنتأى مثلى

سقتك غوادى المزن من صوبها الذى ... يسح وبستمرى السماكين بالوبل «٣»." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢١٥/٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٥١/٢٣

"من خواصه إلى بلد الجبل ثم منها إلى الاستنداد «١» وهى أمنع ناحية من نواحى مازندران ذات دربندات ومضايق ثم منها إلى حافة البحر وأقام عند الغرضة بقرية من قراها، يحضر إلى المسجد فيصلى به إمام القرية الصلوات الخمس ويقرأ له القرآن، وهو يبكى وينذر النذور ويعاهد الله تعالى بإقامة العدل. ولم يزل كذلك إلى أن كبسه التتار فحين هجموا الضيعة ركب السلطان المركب وخاضت خلفه طائفة منهم فلم يدركوه.

قال شهاب الدين المنشى: حدثنى غير واحد ممن كان مع السلطان فى المركب قال: كنا نسوق المركب بالسلطان وبه من علة ذات الجنب ما آيسه من الحياة وهو يظهر الاكتئاب، ويقول لم يبق لنا مما ملكناه من أقاليم الأرض قدر ذراعين. فلما وصل الجزيرة «٢» سر بذلك سرورا تاما وأقام بها فريدا طريدا والمرض يزداد به. وكان فى أهل مازندران ناس يتقربون إليه بالمأكول والمشروب وما يشبهه، فقال فى بعض الأيام: أشتهى أن يكون عندى فرس يرعى حول خيمتى هذه- وقد ضربت له خيمة صغيرة- فلما سمع تاج الدين حسن وكان من جملة سرهنكيته «٣» أهدى إليه فرسا أصفر قال: وكانت." (١)

"إذا البعيد الوطن انتابه ... حل إلى نهى وواد خصيب

أدنته أيدى العيس من ساحة ... كأنها مسقط رأس الغريب

أظلمت الآمال من بعده ... وعريت من كل حسن وطيب

كانت خدودا صقلت برهة [١] ... واليوم صارت مألفا للشحوب

كم حاجة صارت ركوبا به ... ولم تكن من قبله بالركوب

حل عقاليها كما أطلقت ... من عقد المزنة ريح الجنوب

إذا تيممناه فى مطلب ... كان قليبا ورشاء القليب

ونعمة منه تسربلتها ... كأنها طرة برد قشيب

من اللواتى إن ونى شاكر ... قامت لمسديها مقام الخطيب

متى تنخ ترحل بتفضيله ... أو غاب يوما حضرت بالمغيب

فما لنا اليوم ولا للعلا ... من بعده غير الأسى والنحيب

وقال يرثى أحمد بن هارون القرشى:

دأب عينى البكاء، والحزن دابى ... فاتركينى- وقيت ما بى- لمابى

سأجزى بقاء أيام عمرى ... بين بثى وعبرتى واكتئابى

فيك يا أحمد بن هارون خصت ... ثم عمت رزيتى ومصابى

فجعتنى الأيام فى الصادق النط ... ق فتى المكرمات والآداب

بخليل دون الأخلاء [لا [٢]] بل ... صاحبى المصطفى على أصحابى

أفلما تسربل المجد واجتا ... ب من الحمد أيما مجتاب

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٤٩/٢٧

وتراءته أعين الناظريه ... قمرا باهرا ورئبال غاب

---

[١] كذا فى الديوان. وفى الأصل: «صقلت مرة» .

[٢] التكملة عن الديوان." (١)

"وأما التندير-

فهو أن يأتى المتكلم بنادرة حلوة، أو نكتة مستظرفة يعرض فيها بمن يريد ذمه بأمر، وغالب ما يقع فى الهزل، فمنه قول أبى تمام فيمن»

سرق له شعرا:

من بنو بحدل، من ابن الحباب «٢» ... من بنو تغلب غداة الكلاب

من طفيل، من عامر، أم من الحا ... رث، أم من عتيبة بن شهاب

إنما الضيغم الهصور أبو الأش ... بال هتاك كل خيس «٣» وغاب

من عدت خيله على سرح شعرى ... وهو للحين راتع فى كتاب

يا عذارى الكلام صرتن من بع ... دى سبايا تبعن فى الأعراب

لو ترى منطقى أسيرا لأصبح ... ت أسيرا ذا عبرة **واكتئاب**

طال رغبى إليك مما أقاسي ... ه ورهبى يا رب فاحفظ ثيابى

ومن ذلك ما قاله شهاب الدين بن الخيمى يعرض بنجم الدين بن اسرائيل لما تنازعا فى القصيدة المعروفة لابن «٤» الخيمى التى أولها:

يا مطلبا ليس لى من غيره أرب

فقال من قطعة منها:

هم العريب بنجد مذ عرفتهمو ... لم يبق لى معهم مال ولا نشب

فما ألموا بحى أو ألم بهم ... إلا أغاروا على الأبيات وانتهبوا

لم يبق منطقه قولا يروق لنا ... لقد شكت ظلمه الأشعار والخطب.." (٢)

"ولو أن لى يدا تكتب، او لسانا يسهب؛ أو خاطرا يستهل، أو فؤادا يستدل؛ لوصفت إليه شوقا إن استمسك بالجفون نثر عقدها، أو نزل بالجوانح أسعر وقدها؛ أو تنفس مشتاق أعان على نفسه، وظنه استعاره من قبسه؛ أو ذكر محب حبيبا خاله خطر فى خلده، وتفادى من أن يخطر به ذكر جلده

حتى كأن حبيبا قبل فرقته ... لا عن أحبته ينأى ولا بلده

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠٤/٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٧٢/٧

بالله لا ترحموا قلبي وإن بلغت ... به الهموم فهذا ما جنى بيده

ولولا رجاؤه أن أوقات الفراق سحابة صيف تقشعها الرياح، وزيارة طيف يخلعها الصباح؛ لاستطار فؤاده كمدا، ولم يجد ليوم مسرته أمدا؛ ولكنه يتعلل بميعاد لقياه، ويدافع ما أعله بلعله أو عساه

غنى فى يد الأحلام لا أستفيده ... ودين على الأيام لا أتقاضاه

ومن غرائب هذه الفرقه، وعوارض هذه الشقة؛ أن مولاى قد بخل بكتابه وهو الذى يداوى به أخوه غليل اكتئابه، ويستعديه على طارق الهم إذا لج فى انتيابه

كمثل يعقوب ضل يوسفه ... فاعتاض عنه بشم أثوابه

وهب أن فلانا عاقه عن الكتب عائق، واختدع ناظره كمن هو فى ناضر عيش رائق؛ فما الذى عرض لمولانا حتى صار جوهر وده عرضا، وجعل قلبى لسهام إعراضه غرضا؟

بى منه ما لو بدا للشمس ما طلعت ... من المكاره أو للبرق ما ومضا «١»

وما عهدته- أدام الله سعادته- إلا وقد استراحت عواذله، وعرى «٢» به أفراس." (١)

"إليه تفصيلا وإجمالا، ونراعى معه أدب أسلافه الكرام حالا فحالا، وإنا لا نخليه من تجهيز مثال يتضمن من محاسنه سيرا وأمثالا، ولولا عرف السلطنة ونظام المملكة يقتضيان ذلك ما جهزنا إلى بابه الشريف مثالا، فلذلك خرج الأمر الشريف بكذا وكذا.

هذا ما اتفق إيراده فى هذا الفصل من رسائل الكتاب، وكتاب العصر- أعزهم الله تعالى- كثير، وكلامهم مشهور، ومدون بأيدى الناس ومحفوظ فى صدورهم، ولم نشترط أن نورد لجميعهم فنلتزم الشرط، ولو فعلنا ذلك لطال الكتاب وخرج عن شرطه، وانما خصصنا هؤلاء بالذكر لتعلقنا بهم، واتصال سببنا فى الوداد بسببهم.

ذكر شيء من الأبيات الداخلة فى هذا الباب «١»

فمن ذلك قول بعض الشعراء:

إنى لعظم تشوقى ... وشديد وجدى واكتئابى

أصبحت أحسد من يفو ... ز بقربكم حتى كتابى

وقال آخر:

وما تأخر كتبى عنك من ملل ... طوبى «٢» لودك يا بن السادة النجب

لكن حسدت كتابى أن يراك وما ... أراك فاخترت إمساكى عن الكتب." (٢)

"قال أبو العباس (١) : وكان إذا التقى هو والمازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي تشاغل أو بادر خوفا من أن يسأله المازني عن النحو. وكان جماعة للكتب يتجر (٢) فيها، وكان كثير تأليف الكتب في اللغة.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٣/٨

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٦٣/٨

قال أبو العباس (٣) : أتيت السجستاني وأنا حدث فرأيت منه (٤) بعض ما ينبغي أن تهجر حلقته له، فتركته مدة، ثم صرت إليه وعميت له بيتا لهارون الرشيد، وكان يجيد استخراج المعمى، فأجابني:

أيا حسن الوجه قد جئتنا ﷺ بداهية عجب في رجب

فعميت بيتا وأخفيته ﷺ فلم يخف بل لاح مثل الشهب

فأظهر مكنونه الطيطوى (٥) ﷺ وهتك عنه الحمام الحجب

فذلل ما كان مستصعبا ﷺ لنا فتناولته من كثب (٦)

أيا من إذا ما دنونا له ﷺ نأى وإذا ما نأينا اقترب

عذرناك إذ كنت مستحسنا ﷺ وبيتك ذو الطير بيت عجب

سلام على النازح المغترب ﷺ تحية صب به مكتئب

ومن شعره أيضا أنشدناه أبو بكر بن السراج، قال: أنشدنا أبو العباس لأبي حاتم:

---

(١) أخبار النحويين البصريين: ٩٣ - ٩٤.

(٢) في أخبار النحويين: يبحر. وما هنا أحسن.

(٣) أخبار النحويين: ٩٤ - ٩٦.

(٤) ليس في المبطوع من أخبار النحويين.

(٥) علق المؤلف في حاشية النسخة فقال: الطيطوي: طائر.

(٦) علق المؤلف في حاشية النسخة فقال: الكثب: القرب.." (١)

"خالد، عن الشعبي، عن يحيى بن طلحة، عن أمه سعدى المرية، قالت: مر عمر بطلحة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مالك مكتئبا أساءتك امرة ابن عمك؟ قال: لا، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا كان نورا لصحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت" فقال: أنا أعلمها، هي التي أراد عليها عمه، ولو علم أن شيئا أنجى له منها لأمره به.

أخرجاه (١) عن هارون بن إسحاق، فوافقناهما فيه بعلو، ولها حديث آخر في ترجمة أبي بكر بن عبد الله بن الزبير عنها أو عن أسماء بنت أبي بكر - بالشك - وهذا جميع مالها عندهما، والله أعلم.

٧٨٥٩ - ت: سلمى البكرية، من بكر بن وائل مولاة لهم.

روت عن: عائشة، وأم سلمة (ت) زوجي النبي صلى الله عليه وسلم.

روى عنها: رزين الجهني (ت) ويقال: البكري (٢) .

روى لها الترمذي. وقد كتبنا حديثها في ترجمة رزين.

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٢٠٥/١٢

٧٨٦٠ - د ت ق: سلمى أم رافع، مولاة النبي صلى الله عليه وسلم وخادمه، ويقال: مولاة صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي زوج أبي رافع.

---

(١) ابن ماجة (٣٧٩٥) ، وعمل اليوم والليلة (١١٠١) .

(٢) جهلها الحافظان: الذهبي، وابن حجر.." (١)

".. ومضت جنازته الشريفة بعدما ... سد المسالك صارخ حام

وأتت روايات الشآم بجمعها ... خبرا صحيحا ليس فيه اثام

أن الأولى شهدوا الصلاة وشيعوا ... والله لا تحصيهم الأقلام

فعليه افضل رحمة تهدى له ... ومن الآله تحية وسلام

ما دامت الأفلاك في دوراتها ... أو ناح من فوق الغصون حمام ...

تمت وعدتها ستة وستون بيتا مرثاة للشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقري في الشيخ تقي الدين رضي الله عنه ... عز التبصر والزمان رماني ... بسهامه وترادفت أحزاني ... أصبحت مكتئبا لفقد أحبة ... جبلت جبلتهم على الإحسان

لا صبر لي عنهم وكيف تصبري ... عن سادة رحلوا من الأوطان

إن أوحشوا نظري فقلبي موطن ... وعمارة الأوطان بالسكان

خلت الديار فأصبحوا في بلقع ... يا وحشتاه لفرقة الإخوان

لما سمعت بأن أحمد قد قضى ... نحبا على التوحيد والإيمان

ولقاء رب لا مرد لحكمه ... سبحانه من قادر منان

عظمت مصيبتنا لسيد عصرنا ... في شرح سيد أحمد ببيان

والعلم حاز أصوله وفروعه ... وغرائب التفسير للقرآن ...." (٢)

"أبو معاوية، وغيره: حدثنا أبو مالك الأشجعي، عن أبي حبيبة، مولى لطلحة، قال: دخلت على علي مع عمران بن طلحة بعد وقعة الجمل فرحب به وأدناه ثم قال إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك ممن قال فيهم ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾ [الحجر ٤٧] فقال رجلان جالسان أحدهما الحارث الأعور الله أعدل من ذلك أن يقبلهم ويكونوا إخواننا في الجنة قال قوما أبعد أرض وأسحقها فمن هو إذا لم أكن أنا وطلحة! يابن أخي إذا كانت لك حاجة فائتنا.

وعن أبي هريرة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "لقد رأيتني يوم أحد وما قربي أحد غير جبريل، عن يميني وطلحة،

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ١٩٦/٣٥

(٢) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ابن عبد الهادي ص/٥٠٢

عن يساري" فقيل في ذلك:

وطلحة يوم الشعب آسى محمدا ... لدى ساعة ضاقت عليه وسدت

وقاه بكفيه الرماح فقطعت ... أصابعه تحت الرماح فشلت

وكان إمام الناس بعد محمد ... أقر رحا الإسلام حتى استقرت١

وعن طلحة قال: عقرت يوم أحد في جميع جسدي، حتى في ذكري.

قال ابن سعد حدثنا محمد بن عمر، حدثني إسحاق بن يحيي، عن جدته سعدى بنت عوف قالت قتل طلحة وفي يد خازنه ألف ألف درهم ومائتا ألف درهم وقومت أصوله وعقاره ثلاثين ألف ألف درهم٢.

= رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول: "إني لاعلم كلمة، لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفس الله عنه كربته". قال: فقال عمر: إني لاعلم ما هي. قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت، لا إله إلا الله؟ قال طلحة: صدقت، هي -والله- هي"، وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" "١١٠١"، وابن ماجه "٣٧٩٥"، وابن حبان "٢٠٥" من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن يحيي بن طلحة، عن أمه سعدى المرية زوج طلحة بن عبيد الله، قالت: مر عمر بن الخطاب بطلحة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: مالك مكتئبا، أساءتك إمرة ابن عمك؟ ... " فذكره.

١ ضعيف جدا: أخرجه الحاكم "٣/ ٣٧٨" من طريق صالح بن موسى الطلحي، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، به مرفوعا.

قلت: إسناده ضعيف جدا، آفته صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة التيمي، الكوفي متروك، كما قال الحافظ في "التقريب".

٢ ضعيف جدا: هو في "الطبقات" "٣/ ٢٢٢"، وآفته إسحاق بن يحيي بن طلحة بن عبيد الله، قال ابن معين: لا يكتب حديثه. وقال أحمد والنسائي: متروك الحديث. وقال البخاري: يتكلمون في حفظه." (١)

"الأعمش، عن إبراهيم قال: قال عبد الله: لو أن هذا الغلام أدرك ما أدركنا ما تعلقنا معه بشيء.

الواقدي: حدثنا مخرمة بن بكير، عن أبيه، عن بسر بن سعيد، عن محمد بن أبي بن كعب، سمع أباه يقول -وكان عنده ابن عباس، فقام فقال: هذا يكون حبر هذه الأمة، أرى عقلا وفهما، وقد دعا له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يفقهه في الدين.

وعن عكرمة: سمعت معاوية يقول لي: مولاك والله أفقه من مات ومن عاش.

ويروى عن عائشة قالت: أعلم من بقي بالحج ابن عباس.

قلت: وقد كان يرى متعة الحج حتما.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٣٠/٣

قرأت على إسماعيل بن عبد الرحمن، أخبركم عبد الله بن أحمد الفقيه سنة سبع عشرة وست مائة، أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا علي بن محمد بن محمد الأنباري، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد، أخبرنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن علي بن بذيمة، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس قال: قدم على عمر رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقلت: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة، قال: فزبرني عمر، ثم قال: مه، فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا، فقلت: قد كنت نزلت من هذا بمنزلة، ولا أراني إلا قد سقطت من نفسه، فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع، فبينا أنا على ذلك قيل لي: أجب أمير المؤمنين، فخرجت، فإذا هو قائم على الباب ينتظرني، فأخذ بيدي، ثم خلا بي، فقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفا قلت: يا أمير المؤمنين، إن كنت أسأت فإني أستغفر الله وأتوب إليه، وأنزل حيث أحببت، قال: لتخبرني، قلت: متى ما يسارعوا هذه المسارعة يحتقوا، ومتى ما يحتقوا يختصموا، ومتى ما اختصموا يختلفوا، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا، قال: لله أبوك! لقد كنت أكتمها الناس حتى جئت بها.

ابن سعد: أخبرنا أبو بكر بن محمد بن أبي مرة مكي، حدثنا نافع بن عمر، حدثني عمرو بن دينار، أن أهل المدينة كلموا ابن عباس أن يحج بهم، فدخل على عثمان، فأمره فحج ثم رجع، فوجد عثمان قد قتل، فقال لعلي: إن أنت قمت بهذا الأمر الآن ألزمك الناس دم عثمان إلى يوم القيامة.." (١)

"عطاء بن أبي ميمونة، أبو مسلم الخرساني:

٨٤٤- عطاء بن أبي ميمونة ١: "خ، م، د، س، ق"

بصري، حجة حدث، عن عمران بن حصين -فلعله مرسل- وعن: جابر بن سمرة وأنس، وجماعة.

وعنه: خالد الحذاء، وروح بن ،القاسم وشعبة، وحماد بن سلمة.

وثقه ابن معين، وقال: هو وولده قدريان.

قيل: مات سنة إحدى وثلاثين ومائة.

٨٤٥- أبو مسلم الخراساني ٢:

اسمه عبد الرحمن بن مسلم ويقال: عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخرساني، الأمير، صاحب الدعوة، وهازم جيوش الدولة الأموية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية.

كان من أكبر الملوك في الإسلام، كان ذا شأن عجيب، ونبأ غريب، من رجل يذهب على حمار بإكاف من الشام حتى يدخل خراسان، ثم يملك خراسان بعد تسعة أعوام، ويعود بكتائب أمثال الجبال، ويقلب الدولة، ويقيم دولة أخرى.

ذكره القاضي شمس الدين بن خلكان فقال: كان قصيرا، أسمر، جميلا، حلوا، نقي البشرة، أحور العين، عريض الجبهة، حسن اللحية، طويل الشعر طويل الظهر خافض الصوت فصيحا بالعربية وبالفارسية حلو المنطق، وكان راوية للشعر عارفا بالأمور لم ير ضاحكا ولا مازحا إلا في وقته وكان لا يكاد يقطب في شيء من أحواله.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٤/ ٣٨٨

تأتيه الفتوحات العظام، فلا يظهر عليه السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة فلا يرى مكتئبا وكان إذا غضب لم يستفزه الغضب إلى أن قال: وكان لا يأتي النساء في العام إلا مرة، يشير إلى شرف نفسه وتشاغلها بأعباء الملك.

---

١ ترجمته في طبقات ابن سعد "٧/ ٢٤٥"، التاريخ الكبير "٦/ ترجمة ٣٠١٢"، المعرفة والتاريخ "٢/ ١١٤" و"٣/ ١٢٣ و٣٩٧"، الجرح والتعديل "٦/ ترجمة ١٨٦٢"، الكاشف "٢/ ترجمة ٣٨٦١"، ميزان الاعتدال "٣/ ٧٦"، تهذيب التهذيب "٧/ ٢١٥"، خلاصة الخزرجي "٢/ ترجمة ٤٨٦٢".

٢ ترجمته في تاريخ بغداد "١٠/ ٢٠٧"، وفيات الأعيان لابن خلكان "٣/ ترجمة ٣٧٢"، تاريخ الإسلام "٥/ ١٩٨ و٢١٣ و٣٢٢"، ميزان الاعتدال "٢/ ٥٨٩"، لسان الميزان "٣/ ٤٣٦"، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي "١/ ١٧٩"..". (١)

"أراك شعثت واغبررت مذ توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ لعله أن ما بك إمارة ابن عمك -يعني: أبا بكر-.

قال: معاذ الله، إني سمعته يقول: (إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل يحضره الموت إلا وجد روحه لها روحا حين تخرج من جسده، وكانت له نورا يوم القيامة) .

فلم أسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنها، ولم يخبرني بها، فذاك الذي دخلني.

قال عمر: فأنا أعلمها.

قال: فلله الحمد، فما هي؟

قال: الكلمة التي قالها لعمه.

قال: صدقت (١) .

أبو معاوية، وغيره: حدثنا أبو مالك الأشجعي، عن أبي حبيبة (٢) مولى لطلحة، قال:

دخلت على علي مع عمران بن طلحة بعد وقعة الجمل، فرحب به وأدناه، ثم قال:

إني لأرجو أن يجعلني الله

---

(١) مجالد فيه ضعف.

لكن الحديث صحيح.

فقد أخرجه ابن حبان رقم (٢) من طريق: مسعر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن يحيى بن طلحة، عن أمه سعدى المرية قالت: مر عمر بن الخطاب بطلحة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مكتئب، فقال: أساءتك إمرة ابن عمك؟ قال: لا.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٦/٢١٩

ولكني سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: " إني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا كانت له نورا لصحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت " فقبض ولم أسأله.

فقال: " ما أعلمها إلا الكملة التي أراد عليها عمه.

ولو علم أن شيئا أنجى له منها لامره به ". ورجاله ثقات.

وأخرجه أحمد ١ / ١٦١ من طريق أسباط، عن مطرف، عن عامر، عن يحيى بن طلحة، عن أبيه طلحة قال: رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلا فقال: مالك يا أبا فلان، لعلك ساءتك إمرة ابن عمك يا أبا فلان؟ قال: لا.

إلا أني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديثا ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات.

سمعته يقول: " إني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفس الله عنه كربته " قال: فقال عمر رضي الله عنه: إني لاعلم ما هي. قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة

أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت؟ لا إله إلا الله.

قال طلحة: صدقت هي والله هي وإسناده صحيح.

وصححه الحاكم ١ / ٣٥٠ - ٣٥١ ووافقه الذهبي.

(٢) تصحفت في المطبوع إلى " حبيشة ".." (١)

"محمد بن أبي بن كعب؛ سمع أباه يقول - وكان عنده ابن عباس، فقام -، فقال:

هذا يكون حبر هذه الأمة، أرى عقلا وفهما، وقد دعا له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يفقهه في الدين.

وعن عكرمة: سمعت معاوية يقول لي: مولاك -والله - أفقه من مات ومن عاش.

ويروى عن عائشة، قالت: أعلم من بقي بالحج ابن عباس (١) .

قلت: وقد كان يرى متعة الحج حتما (٢) .

قرأت على إسماعيل بن عبد الرحمن، أخبركم عبد الله بن أحمد الفقيه سنة سبع عشرة وست مائة، أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أخبرنا علي بن محمد بن محمد الأنباري، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد، أخبرنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن علي بن بذيمة (٣) ، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس، قال:

قدم على عمر رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا.

فقلت: والله ما أحب أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة.

قال: فزبرني عمر، ثم قال: مه.

فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا، فقلت: قد كنت نزلت من هذا بمنزلة، ولا أراني إلا قد سقطت من نفسه، فاضطجعت على فراشي، حتى عادني نسوة أهلي وما بي وجع، فبينا أنا على ذلك، قيل لي: أجب أمير

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣٨/١

(١) انظر " تاريخ الفسوي " ١ / ٤٩٥، و" ابن سعد " ٢ / ٣٦٩.

(٢) أي: أن يحرم قاصد الحج من الميقات بنية العمرة، فإذا فرغ منها تحلل من إحرامه، وبقي متحللا إلى اليوم الثامن من ذي الحجة، ثم يحرم في اليوم الثامن بينة الحج.

انظر " زاد المعاد " ٢ / ١٧٨ وما بعدها.

(٣) بذيمة: بفتح الباء، وكسر الذال، وقد تصحف في المطبوع إلى " نديمة ".." (١)

"١٥ - أبو مسلم الخراساني عبد الرحمن بن مسلم *

اسمه: عبد الرحمن بن مسلم.

ويقال: عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني، الأمير، صاحب الدعوة، وهازم جيوش الدولة الأموية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية.

كان من أكبر الملوك في الإسلام، كان ذا شأن عجيب، ونبأ غريب (١) ، من رجل يذهب على حمار بإكاف من الشام حتى يدخل خراسان، ثم يملك خراسان بعد تسعة أعوام، ويعود بكتائب أمثال الجبال، ويقلب دولة، ويقيم دولة أخرى!

ذكره القاضي شمس الدين بن خلكان، فقال: كان قصيرا، أسمر، جميلا، حلوا، نقي البشرة، أحور العين، عريض الجبهة، حسن اللحية، طويل الشعر، طويل الظهر، خافض الصوت، فصيحا بالعربية وبالفارسية، حلو المنطق.

وكان راوية للشعر، عارفا بالأمور، لم ير ضاحكا ولا مازحا إلا في وقته.

وكان لا يكاد يقطب في شيء من أحواله، تأتيه الفتوحات العظام، فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة، فلا يرى مكتئبا.

وكان إذا غضب، لم يستفزه الغضب ... ، إلى أن قال:

وكان لا يأتي النساء في العام إلا مرة، يشير إلى شرف نفسه وتشاغلها بأعباء الملك.

قيل: مولده في سنة مائة، وأول ظهوره كان بمرو، في شهر رمضان، يوم

(*) الطبري ٦ / ٤٠٥ و٧ / ١٢٩، ١٩٨، ٢٢٧، و٢٢٩، ٢٤٤، ٢٥٣ و٢٧٠ و٢٧٧ و٢٩٢، ٤٧٩ البدء والتاريخ ٦ / ٧٨ و٩٥، تاريخ بغداد ١٠ / ٢٠٧، الكامل لابن الأثير، ٥ / ٣٦٦ و٤٦٨ - ٤٨٠، وفيات الأعيان ٣ / ١٤٥، تاريخ الإسلام ٥ / ١٩٨ و٢١٣، و٣٢٢، ٣٢٤، ميزان الاعتدال ٢ / ٥٨٩ - ٥٩٠، لسان الميزان ٣ / ٤٣٦، شذرات الذهب ١ / ١٧٦ و١٧٩.

(١) الزيادة من ميزان الاعتدال للمؤلف رحمه الله.." (٢)

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣/٣٤٨

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٦/٤٨

"بمكاننا منه، فحسبنا أن نتملى المسرة بعزة وعافية.

فانصرف بكتابهما، وبعثا إليه بأعلاق نفيسة من ذخائر الخلافة، فسر بها الأمير عبد الرحمن، وقضى لرأيهما بالرجاحة، ثم بعد وصل آخر من الشام بكتاب منهن، وبهدايا وتحف منها: رمان من رصافة جدهم هشام، فسر به الداخل، وكان بحضرته سفر بن عبيد الكلاعي من أهل الأردن، فأخذ من الرمان، وزرع من عجمه بقريته حتى صار شجرا، وزاد حسنا، وجاء بثمره إلى الأمير، وكثر هناك، ويعرف بالسفري، وغرس منه بمنية الرصافة (١) .

ورأى الداخل نخلة مفردة بالرصافة، فهاجت شجنه، وتذكر وطنه، فقال (٢) :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت: شبيهي في التغرب والنوى ... وطول انثنائي عن بني وعن أهلي (٣)

نشأت بأرض أنت فيها غريبة ... فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك عوادي المزن من صوبها الذي ... يسح وتستمري السماكين بالوبل

---

(١) " نفح الطيب " ١ / ٤٦٧، ٤٦٨.

(٢) الابيات في " نفح الطيب " ٣ / ٥٤، وابن عذاري ٢ / ٦٢، و" الحلة السيراء ": ١ / ٣٧.

(٣) في " الحلة السيراء ": " وطول التنائي "، وفي " نفح الطيب ": " طول اكتئابي ".." (١)

"اللحية جميلا، توفي ليلة الاثنين تاسع عشر رجب سنة " تسع وسبعين ومائتين " (١) ببغداد، وحمل فدفن بسامرا، وكانت خلافته ثلاثا (٢) وعشرين سنة وستة أيام، وقيل إنه سم في رءوس الجداء، وقيل بل لف في بساط وشد عليه حتى مات، وقيل إن الذين أكلوا معه من الرءوس ماتوا؛ وكان منهمكا على اللذات، فاستولى أخوه الموفق على الأمور، وكان يشرب ويعربد على الندماء، واستولى بعده ابن أخيه الموفق، المعتضد.

قال في المرزباني في معجم الشعراء: وكان يقول الشعر ويغني به المغنون، فمن شعره:

طال والله عذابي ... واهتمامي واكتئابي

بغزال من بني الأص؟ ... فر لا يعنيه ما بي

أنا مغرى بهواه ... وهو مغرى بعذابي

فإذا ما قلت صلني ... كان لا منه جوابي ومن شعره وقد نقله الموفق من مكان إلى مكان:

ألفت التباعد والغربه ... ففي كل يوم لنا تربه

وفي كل يوم لنا حادث ... يؤدي إلى كبدي كربه

أمر الزمان لنا طعمه ... فما إن أرى ساعة عذبه ومن شعره:

بليت بشادن كالبدر حسنا ... يعذبني بأنواع الجفاء

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٨/٢٤٧

ولي عينان دمعهما غزير ... ونومهما أعز من الوفاء وأطربته يوما مغنية فأمر لها بشيء، فلم ينجز لها، فقال:

---

(١) سقط من ص.

(٢) ص: ثلاث.." (١)

"وقال قوم وما ضلوا وما وهموا ... بأنها النيل قلت النيل يحترق وقال:

أبلم قلدوه أمر الرعايا ... وهو في حلية الوزارة عطل

فهو بالبوق في الوزارة طبل ... وهو في الدست حين يجلس سطل وقال:

يا غائبا لو قضيت من أسف ... من بعده ما قضيت ما يجب

ما ترك السقم بعد بعدك لي ... والله جنبا عليه أنقلب وقال:

يقول جسمي لنحولي وقد ... أفرط بي فرط ضنى **واكتئاب**

فعلت بي يا سقم ما لم يكن ... تلبس والله عليه الثياب وقال:

لا تأسفن على الشباب وفقده ... فعلى المشيب وفقده يتأسف

هذاك يخلفه سواه إذا انقضى ... ومضى وهذا إن مضى لا يخلف وقال:

عجبت للشيب كنت أكرهه ... فأصبح القلب وهو عاشقه

وكنت لا أشتهي أراه فقد ... أصبحت لا أشتهي أفارقه وكتب إلى السراج الوراق تصحيف (١) :

ما زلت مذ غبت عنك في بلدي ... حتى إذا ما أزحت علتها

أقمت أجرانها على عجل ... وبعد هذا خزنت غلتها وكتب إليه ابن سعيد المغربي:

---

(١) كذا في ص.." (٢)

"أرسلتها تقتضيني ما وعدت به ... والحر حاشاه من إخلاف موعده

وما نسيت ولكن عاقني ورق ... يجيد خطي فآتيه بأجوده

وسوف أسرع فيه الآن مجتهدا ... حتى يوافيك بدرا في مجلده

بأحرف حسنت كالوجه دار به ... مثل الحواشي عذار (١) في مورده وكتب إلى ولده قاضي القضاة مجد الدين:

هذا كتابي إلى من غاب عن نظري ... وشخصه في سواد القلب والبصر

ولا يمن بطيف منه يطرقني ... عند المنام ويأتيني على قدر

ولا كتاب له يأتي فأسمع من ... أنبائه عنه فيه أطيب الخبر

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٦٥/١

(٢) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٣٢٧/١

حتى الشمال التي تسري على حلب ... ضنت علي فلم تخطر ولم تسر

أخصه بتحياتي وأخبره ... أني سئمت من الترحال والسفر

أبيت أرعى نجوم الليل مكتئبا ... مفكرا في الذي ألقى إلى السحر

وليس لي أرب في غير رؤيته ... وذاك عندي أقصى السول والوطر ٣٧٣ (٢)

رشيد الدين الفارقي

عمر بن إسماعيل بن مسعود بن سعد بن سعيد بن أبي الكاتب، الأديب العلامة رشيد الدين أبو حفص الربعي الفارقي الشافعي، ولد سنة ثمان وتسعين " وخمسمائة " وتوفي سنة تسع (٣) وثمانين وستمائة.

---

(١) ر والزركشي: عذارا.

(٢) الزركشي: ٢٣٨ وبغية الوعاة: ٣٦٠ وفيه نقل عن الذهبي؛ وذكر أن وفاته كانت سنة ٦٨٩ وكذلك هو في عبر الذهبي ٥: ٣٦٣ والشذرات ٥: ٤٠٩ والأسنوي ٢: ٢٨٦ والدارس ١: ٣٥١؛ ووردت الترجمة في ر.

(٣) في ر والمطبوعة: سبع، وصوبناه اعتمادا على المصادر.." (١)

"يمسي ويصبح لا صبرا ولا جلد ... ولا قرار ولا طيف ولا حلم

لولا (١) يؤمل إلماما بجيرته ... لكاد يعتاده مما به لمم

قال (٢) الوشاة تسلى عن محبتهم ... يا ويحهم جهلوا فوق الذي علموا

أني يميل إلى السلوان مكتئب ... باق على الود والأيام تنصرم

قضى بحبهم عصر الشباب وما ... خان الوداد وهذا الشيب والهرم

أنا المقيم على ما يرتضون به ... مصغ إذا نطقوا راض بما حكموا

متى دعاني هواهم جئت معتذرا ... أسعى على الرأس إن لم يسعد القدم ومن موشحاته:

جسمي ذوى بالكمد والسهر ... والوصب من جاني

ذي شنب كالبرد كالدرر ... كالحبب جماني

بي غصن بان نضر ... يسبيك منه الهيف

يرتع فيه النظر ... فزهره يقتطف

الخد منه خفر ... والجسم منه ترف

قد جاءنا يعتذر ... عذاره المنعطف

ثم التوى كالزرد معبقري ... معقرب ريحاني

في مذهب مورد مدنر ... مكتب سوساني

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ١٢٩/٣

ظبي له مرتشف ... كالسلسبيل البارد

بدر علاه سدف ... من ليل شعر وارد

غصن نقا منعطف ... من لين قد مائد

مقرطق مشنف ... يختال في القلائد

---

(١) ر: لو لم

(٢) ر: قالوا.." (١)

"وكنا جميعا قبل أن يظهر النوى ... بأنعم حالي غبطة وسرور

فما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون النوى مقلوبة لظهور

لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور ولم يزل تارة يتوصل إلى زيارتها بالحيلة عليها، وتارة تزوره وهو نازل على قوم، إلى أن ماتت لبنى، فتزايد ولعه وجزعه وخرج في جماعة قومه حتى وقف على قبرها، وقال:

ماتت لبينى فموتها موتي ... هل تنفعن حسرة على الفوت

فسوف أبكي بكاء مكتئب ... قضى حياة وجدا على ميت ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه، فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل؛ ولم يزل عليلا لا يفيق ولا يجيب متكلما حتى مات ودفن إلى جانبها، وكانت وفاتهما في حدود السبعين للهجرة، رحمهما الله.

٤٠١ - (١)

مجنون ليلى

قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس، هو مجنون بني عامر؛ قال صاحب " الأغاني ": لم يكن مجنونا، ولكن كانت به لوثة مثل أبي حية النميري (٢)

---

(١) الشعر والشعراء: ٤٦٧ والأغاني ٢: ٥ والخزانة ٢: ١٦٩ والمؤتلف: ١٨٨ ومعجم المرزباني: ٢٩٢ (معاذ بن كليب ٤٤٨ (مهدي بن الملوح) والسمط: ٣٥٠، وديوانه بتحقيق الأستاذ عبد الستار فراج؛ وبعض هذه الترجمة في ر.

(٢) اسمه الهيثم بن الربيع، شاعر إسلامي عاصر جريرا والفرزدق، انظر الشعر والشعراء: ٦٥٨ والأغاني ١٦: ٢٣٦ وطبقات ابن المعتز: ١٤٣ والخزانة ٤: ٢٨٣.." (٢)

"وأملت لمحة من حسن قاتله (١) ... فأجفلت رهبا إذ لم تطق هربا (٢)

أما درى حين جد الوجد أن لها ... من دمعها ولها من حسنه حجبا

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ١٤٩/٣

(٢) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٢٠٨/٣

وبانة الشيح جادتها سحائبها ... أوفت وفاء ولفت (٣) حولها عذبا

عرارها وخزاماها وما حملت ... من البشام سقاه الغيث منسكبا

والعاذلون لووا أكتافهم حزنا ... والكاشحون ثنوا أعطافهم حربا

لم يبق عذل ولا لوم يؤنبه ... سيان إن بعد اللاحي (٤) وإن قربا

ولم يكن قبل ذا يصغي لهم أذنا ... ولا تخوف يوما أعين الرقبا

وربما طاف شيطان السلو به ... فأرسل الشوق من آماقه شهبا

أفديه من حافظ للعهد إذ نقضوا ... عهدا ومن صادق في الحب ما كذبا

راض الصبابة واستحلى لواعجها ... حتى استلان له منها الذي صعبا

تراه منقبضا (٥) للوصل مقتضيا ... طورا **ومكتئبا** للبين مرتقبا

يستخبر الركب هل شط المزار بهم ... والرسم أعجم أنى خاطب العربا

بالله يا نسمات الريح هل خبر ... عنهم يعيد لي العيش الذي ذهبا

بانوا فأي فؤاد لم يذب أسفا ... وأي قلب غداة البين ما وجبا

ناديت بالسفح قلبا في ضيافتهم ... لا يذكر السفح إلا حن مغتربا

غير أن تصرعه الذكرى إذا خطرت ... والريح إن نسمت والدمع إن نضبا

يرتاع للقضب إن ماست معاطفها ... لينا وكان يروع السمر والقضبا

شوقا إلى غصن بان مثمر قمرا ... على كثيب نقا بالحسن منتقبا

تضرم الماء في جنات وجنته ... نارا وأضرم في أحشائنا لهبا

---

(١) كذا عند الزركشي والوافي؛ وفي المطبوعة: قاتلها.

(٢) هنا ينتهي ما أورد الصفدي من القصيدة.

(٣) المطبوعة: وكفت، والتصويب عن الزركشي.

(٤) المطبوعة: اللاهي؛ وما أثبته عن الزركشي هو الصواب.

(٥) المطبوعة: منتقضا.." (١)

"اتفق أن نجم الدين ابن إسرائيل حج، فرأى ورقة ملقاة فيها القصيدة التي لابن الخيمي البائية المشهورة فادعاها. قال قطب الدين اليونيني في تاريخه: إن ابن إسرائيل وابن الخيمي اجتمعا بعد ذلك بحضرة جماعة من الأدباء، وجرى الحديث، فتحاكما إلى شرف الدين ابن الفارض فقال: ينبغي لكل واحد منكما أن ينظم أبياتا على هذا الوزن والروي، فنظم ابن الخيمي:

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٣/٢٩٠

لله قوم بجرعاء الحمى غيب ... القصيدة ... ونظم ابن إسرائيل:

لم يقض من حقكم بعض الذي يجب ... القصيدة ... فلما وقف عليهما ابن الفارض قال لابن إسرائيل:

لقد حكيت ولكن فاتك الشنب ... وحكم بالقصيدة لابن الخيمي، واستجاد بعض الحاضرين أبيات ابن إسرائيل وقال: من ينظم مثل هذا ما الحامل له على (١) ادعاء ما ليس له؟ فابتدر ابن الخيمي وقال: هذه سرقة عادة لا سرقة حاجة، وانفصل المجلس وسافر ابن إسرائيل لوقته من الديار المصرية، وطلب ابن خلكان وهو نائب الحكم بالقاهرة الأبيات من ابن الخيمي، فكتبها له وذيل في آخرها أبياتا، وسأله الحكم بينه وبين من ادعاها:

والقصيدة المدعاة هي هذه:

يا مطلبا ليس لي في غيره أرب ... إليك التقصي وانتهى الطلب

" وما طمحت لمرأى أو لمستمع ... إلا المعنى إلى علياك ينتسب "

وما أراني أهلا أن توصلني ... حسبي علوا بأني فيك مكتئب

لكن ينازع شوقي تارة أدبي ... فأطلب الوصل لما يضعف الأدب

---

(١) المطبوعة: الحاجة ... إلى.." (١)

"وكنت قنعت في الدنيا بشخص ... يكون لراحتي ولكبت ضدي

تؤانسه مفاكهتي وقربي ... وتؤلمه مفارقتي وبعدي

فما سمحت به الأيام إلا ... يسيرا والمنون إليه تخدي

فما قرت به عيناي حتى ... توخاه الردى وبقيت وحدي وقال:

سقى ربوعا أقوت على حاجر ... واهي العزال مجلجل ماطر

وجاد ماذان والعقيق إلى ... غمرة دان وسميه باكر

يثير سلكا من الرذاذ علي ... بان قرورا وروضها الزاهر

بكت بها شجوها فأضحكها ... بالنور دمع السحائب (١) الماطر

كأنما الطل في ذوائبه ... والشمس صبحا تنسل من كافر

عقد فتاة ألقى جواهره ... سلك خؤون لضعفه خائر

إذا تغنى حمامه (٢) طرقا ... كان له من هديله سامر

كأنه شارب معتقة ... كان لها قس إيليا عاصر

من عهد كسرى وقيصر ختمت ... ما فضها شارب ولا تاجر

يا خاليا من غرام مكتئب (٣) ... ويا رقودا عن ليله الساهر

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٤١٤/٣

وناصحي والنصيح متهم ... إن لم تكن مسعدا فكن عاذر

وعدتني منك وقفة (٤) أمما ... أين وفاء الميعاد يا غادر

قف ساعة بي على معاهدهم ... ولا تكن للمطي بالزاجر

أما تراها تحن مرزمة ... ودمعها في جفونها حائر

قد أيقنت أنني أخو كلف ... بأربع لا ترق للذاكر

---

(١) ص: للحايب.

(٢) ص: حماه.

(٣) ص: مكتئبا.

(٤) ص: وقفا.." (١)

"وقد وضعت أنا في لك كتابا وسميته جنان الجناس قسمت فيه الجناس إلى ما أمكن تقسيمه، فجاء ما يقارب الستين قسما. فمن أراد تحرير التجنيس في أقسامه فليقف عليه هناك.

التجنيس المعكوس

قال: القسم الرابع من المشبه بالتجنيس ويسمى المعكوس ثم أورد عادات السادات سادات العادات، وشيم الأحرار أحرار الشيم وما شابه ذلك وساق أشياء كثيرة له ولغيره.

أقول: ما لهذا النوع دخول في باب التجنيس، وإنما هو من باب رد الأعجاز على الصدور، وهو باب مستقل بذاته. ومن أحسن ما جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار.

وقول الأرجاني.

شبت أنا والتحى حبيبي ... حتى برغمي سلوت عنه

ابيض ذاك السواد مني ... واسود ذاك البياض منه

وقول عفيف الدين التلمساني وفيه زيادة صنعة:

يا بأبي معاطف وأعين ... يصول منها رامح ونابل

فهذه ذوابل نواضر ... وهذه نواظر ذوابل

ألا ترى أن الذوابل والنواضر في الأول، غير الذوابل والنواظر في الثاني. ولو عد ابن الأثير مثل هذا في باب التجنيس لكان ذلك قولا صحيحا. فإن الألفاظ اتفقت والمعاني اختلفت.

ومما قلته أنا في ذلك:

أضاع نسكي عذار مسك ... فكيف تركي لحاظ تركي

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٤/١٥٧

تنكى سهام الجفون منه ... ومقلتي لا تزال تبكي
قضى على أدمعي بسفح ... يقضي بها في دمي بسفك
وشك قلبي برمح قد ... قد فؤادي بغير شك
فالشك والقد في الأول، غير الشك والقد في الثاني.
ومما نظمته في غير هذا النمط:
قد فاق غصن النقا حبيبي ... وأخجل البدر في التمام
ذاك قوام بلا محيا ... وذا محيا بلا قوام
يقال: إنه رفعت إلى القاضي الفاضل قصة باسم مؤذنين يستخدمان، أحدهما اسمه مرتضى والآخر زيادة، فكتب عليها: أما زيادة فمرتضى، وأما مرتضى فزيادة. فاستخدم زيادة، وصرف مرتضى. وهذا في غاية الحسن.
التجنيس المجنب
قال في القسم الخامس المشبه بالتجنيس ويسمى المجنب. ثم إنه أخذ في الاستشهاد على ذلك بقول القائل.
أبا العباس لا تحسب بأني ... لشيبي من حلى الأشعار عار
فلي طبع كسلسال معين ... زلال من ذرى الأحجار جار
إذا ما أكبت الأدوار زندا ... فلي زند على الأدوار وار
ثم قال: وهذا القسم فيه عندي نظر، لأنه بلزوم ما لا يلزم أولى منه بالتجنيس. وأخذ يعلل ذلك بأشياء تعسف فيها.
أقول: الصحيح أن هذا من أقسام التجنيس. وهو النوع الذي يسمونه بالمزدوج. ولزوم ما لا يلزم باب معقود بذاته لا مدخل له في هذا، ولا لهذا فيه مدخل. فإن اللزوم عبارة عن أن يأتي الشاعر أو الكاتب في القافية قبل الروي بحرف أو أكثر، يلتزم بورود ذلك في كل قافية. كما ورد في قول المعري:
لا تطلبن بآلة لك رتبة ... قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما ... هذا له رمح وهذا أعزل
فإن المعري التزم بالزاي قبل الروي وهو اللام. ولو قال مع ذلك: معول وأول وأفضل لصحت القافية ولكن ورود الزاي لزوم ما لا يلزم، وكما تقول: الحمام والغمام والتمام والكمام. أو: البدور والصدور أو الشذور والنذور.
فإن الميم والدال والذال لزوم ما لا يلزم. ويجوز أن تقول مع الحمام، السلام ومع البدور القبور ومع الشذور، الحرور.
وعلى هذا الشرط بنى المعري لزومياته من أولها إلى آخرها. وأما الذي أورده ابن الأثير، فلم يكن كذلك، لأنه قبل الألف الأولى عين، والثانية جيم، والثالثة واو. ففات اللزوم.
ومما اتفق لي من نمط أبي الفتح البستي:
تذكرت عيشا مر حلوا بكم فهل ... لأيامنا تلك الذواهب واهب
وما انصرفت آمال نفسي لغيركم ... ولا أنا هذي الرغائب غائب
سأصبر كرها في الهوى غير طائع ... لعل زماني بالحبائب آيب

وقلت أيضا:

بنفسي من إذا ادكر **اكتئابي** ... وأني لا أرى الأوزار زارا

يبيت وللتقى حرس عليه ... ولي فإذا رأى الأسحار حارا." (١)

"وست مائة وتوفي في شوال سنة اثنتين وستين وست مائة كان عالما فاضلا زاهدا عابدا ورعا كريم الأخلاق حسن الأوصاف جميل العشرة جم الفوائد من نظمه في ترتيب حروف كتاب المحكم في اللغة لابن سيدة الطويل

(عليك حروفا هن غير غوامض ... قيود كتاب جل شأنا ضوابطه)

(صراط سوى زل طالب دحضه ... تزيد ظهورا إذ تناءت روابطه)

(لذلكم نلتذ فوزا بمحكم ... مصنفه أيضا يفوز وضابطه)

٣ - (عماد الدين ابن العربي أخو سعد الدين)

محمد بن محمد بن علي ابن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عربي عماد الدين أبو عبد الله قال الشيخ قطب الدين اليونيني كان فاضلا سمع الكثير وسمع معنا صحيح مسلم على الشيخ بهاء الدين أحمد بن عبد الدايم المقدسي وتوفي بدمشق في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وست مائة ودفن عند والده بسفح قاسيون وقد نيف على الخمسين ولما كان بحلب كتب إليه أخوه سعد الدين المقدم ذكره آنفا البسيط

(ما للنوى رقة ترثى **لمكتئب** ... حران في قلبه والدمع في حلب)

(قد أصبحت حلب ذات العماد بكم ... وجلق إرم هذا من العجب)

٣ - (الكامل ابن العادل)

محمد بن محمد بن أيوب ابن شادي بن مروان السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي وأبو المظفر ابن السلطان الملك العادل أبي بكر وسيأتي ذكر والده ولد بمصر سنة ست وسبعين وخمس مائة وأجاز له العلامة ابن)

بري وأبو عبد الله بن صدقة الحراني وعبد الرحمن بن الخرقي وخرج له أبو القاسم بن الصفراوي أربعين حديثا وسمعها جماعة تملك الديار المصرية أربعين سنة شطرها في أيام والده وعمر دار الحديث بالقاهرة في سنة إحدى وعشرين وست مائة وجعل ابن دحية شيخها والقبة على ضريح الشافعي وجر إليها الماء من بركة الحبش إلى حوض السبيل والسقاية وهما على باب القبة المذكورة وله المواقف المشهودة في الجهاد بدمياط المدة الطويلة وأنفق الأموال الكثيرة وكان يحب أهل العلم ويجالسهم ويؤثر العدل شكا إليه ركبدار أن استاذه استخدمه شهرا بلا جامكية فألبس الغلام قماش استاذه وأركبه فرسه وألبس الاستاذ

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر الصفدي ص/٣٣

قماش الغلام وأمره بخدمة الركبدار وحمل مداسه ستة أشهر وكانت الطرق آمنة في أيامه وبعث ولده الملك المسعود أطسيس افتتح اليمن والحجاز ومات قبله وورث أموالا عظيمة ولما بلغه وفاة أخيه الأشرف سار إلى دمشق وقد ملكها أخوه الصالح فحاصره وأخذها منه واستقر بقلعتها فلم يمتع بها ومات بعد شهرين بها في سنة خمس وثلاثين وست مائة في بيت صغير ولم يشعر به أحد من هيبته مرض بالسعال والإسهال نيفا وعشرين يوما ولم يتحزن الناس عليه ولحقهم بهتة وكان فيه جبروت ومن عدله الممزوج بالعسف إنه شنق جماعة من الأجناد في أكيال شعير أخذوها ودفن بالقلعة في تابوت ونقل إلى تربته المعروفة به بجانب الشميصاتية." (١)

"(مررت على قبر تعفت رسومه ... وفيه عظام دارسات هوامد)

(فاسمع مني ناطقا وهو صامت ... وأيقظ مني غافلا وهو راقد)

وقوله أيضا

(زعمت إذا جن الظلام تزورني ... كذبت فهل للشمس بالليل مطلع)

(فحتام صبري والتعلل بالمنى ... صددت فما لي في وصالك مطمع)

(ولكنني أرجو من اللطف نفحة ... أفوز بها قلبي لها يتوقع)

محمد بن رياح بن أبي حماد الكاتب المعروف بزنبور مولى المهلهل ابن صفوان مولى بني العباس بغدادي انقطع إلى آل نوبخت فلما هجاهم أبو نواس هجاه زنبور وقال

(يعزة قلبه عن ذكر راح ... وكيف عزاء قلب مستباح)

(شكا ما باسته حسن إلينا ... من الداء المبرح بالفقاح)

فأجاب أبو نواس)

(أراد محمد بن رياح شتمي ... فعاد وبال ذاك على رياح)

الأبيات وقال محمد بن زنبور

(لعن الله معشرا من ذوي المل ... ك يضيعون حرمة الأدباء)

(زهدوا في العلى وفي المجد حقا ... واستخفوا بحرمة الشعراء)

محمد بن زاهر أورده ابن المرزبان في معجم الشعراء وأورد له قوله

(يا من هواي له هوى مستقبل ... أبدا وآخره بديء أول)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٥٨/١

(إن طال ليل أخي اكتئاب ساهر ... فهواك من سهري وليلي أطول)

(ولقد ملأت بحسن طرفك مقلتي ... وتركتني وبصبوتي بتمثل)

(وإذا قصدت إلى سواك بنظرة ... ألفيت شخصك دونه يتخيل)

قلت هو مأخوذ من قول جميل بن معمر العذري

(أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل)

وقوله أيضا

(أفنيت فيك معاني الأقوال ... وعصيت فيك مقالة العذال)

(حلمي بطيفك حين يغلبني الكرى ... وخيال وجهك أين سرت خيالي)." (١)

("

لما سافرت من الديار المصرية إلى رحبة مالك بن طوق بعدت علي أخبار أصحابي الأعزة الذين تركتهم بمصر فكتبت إلى الشيخ شهاب الدين ابن النقيب أسأله إعلامي بما يبلغه من أخبارهم وكتبت بعد هذا في الكتاب

(رحلت وفي مصر لي سادة ... يطول غرامي بهم واكتئابي)

(جفوني وضنوا بأخبارهم ... فأصبحت أطلبها من صحابي)

(عسى خبر عنهم صادق ... أطالعه من كتاب الشهاب)." (٢)

"معجمه وسمع منه قطب الدين ابن منير وفخر الدين ابن الظاهري وكان هو المقدم على شعراء عصره مع المشاركة في كثير من العلوم وكان يعاني الخدم الديوانية وباشر وقف مدرسة الشافعي ومشهد الحسين وفيه أمانة ومعرفة وكان معروفا بالأجوبة المسكتة ولم يعرف منه غضب

عاش اثنتين وثمانين سنة أو أكثر وتوفي بالقاهرة سنة خمس وثمانين وست مائة

وروى أيضا عن عتيق بن باقا وابن عبد الله بن البناء واتفق أن نجم الدين ابن اسرائيل الشاعر حج فرأى ورقة ملقاة فيها القصيدة التي لابن الخيمي المشهورة البائية فادعاها

قال قطب الدين فحكى لنا صاحبنا الموفق عبد الله بن عمر أن ابن اسرائيل وابن الخيمي اجتمعا بعد ذلك بحضرة جماعة

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٦٠/٣

(٢) الوافي بالوفيات الصفدي ٩٨/٣

من الأدباء وجرى الحديث فتحاكما إلى شرف الدين ابن الفارض فقال ينبغي لكل واحد منكما أن ينظم أبياتا على هذا الوزن والروي فنظم ابن الخيمي لله قوم بجرعاء الحمى غيب القصيدة ونظم ابن اسرائيل لم يقض في حبكم بعض الذي يجب القصيدة فلما وقف عليهما ابن الفارض أنشد لابن اسرائيل لقد حكيت ولكن فاتك الشنب وحكم بالقصيدة لابن الخيمي واستجاد بعض الحاضرين أبيات ابن اسرائيل وقال من ينظم مثل هذا ما الحامل له على ادعاء ما ليس بهفابتدر ابن الخيمي وقال هذه سرقة عادة لا سرقة حاجة وانفصل المجلس وسافر ابن اسرائيل لوقته من الديار المصرية وقد طلب ابن خلكان وهو نائب الحكم بالقاهرة الأبيات من ابن الخيمي فكتبها وذيل له في آخرها أبياتا وسأله الحكم بينه وبين من ادعاها والقصيدة المدعاة أنشدنيها من لفظه الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد)

بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري قال أنشدني لنفسه إجازة الشيخ شهاب الدين محمد بن عبد المنعم ابن الخيمي وفي غالب الظن أنه سماع

(يا مطلبا ليس لي في غيره أرب ... إليك آل التقصي وانتهى الطلب)

(وما طمحت لمرأى أو لمستمع ... إلا لمعنى إلى علياك ينتسب)

(وما أراني أهلا أن تواصلني ... حسبي علوا بأني فيك مكتئب)

(لكن ينازع شوقي تارة أدبي ... فأطلب الوصل لما يضعف الأدب)

(ولست أبرح في الحالين ذا قلق ... نام وشوق له في أضلعي لهب)

(ومدمع كلما كفكفت أدمعه ... صونا لذكرك يعصيني وينسكب)

(ويدعي في الهوى دمعي مقاسمتي ... وجدي وحزني فيجري وهو مختضب)

(كالطرف يزعم توحيد الحبيب ولا ... يزال في ليله للنجم يرتقب)

يا صاحبي قد عدمت المسعدين فساعدني على وصبي لا مسك الوصب." (١)

"٣ - (البغدادي المعدل)

محمد بن المظفر بن عبد الله أبو الحسن البغدادي المعدل روى عنه الخطيب توفي سنة عشر وأربع وقد بلغ أربعا وسبعين سنة

٣ - (قاضي بغداذ أبو بكر الحموي الشافعي)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٩/٤

محمد بن المظفر بن بكر قال ابن النجار ابن بكران بن عبد الصمد العلامة قاضي القضاة أبو بكر الشامي الحموي الفقيه الشافعي ولد بحماة سنة أربع مائة ورحل إلى بغداذ شابا فسكنها وتفقه بها إلى أن ولي قضاء القضاة بعد موت الدامغاني تفقه على أبي الطيب الطبري وكان)

يحفظ تعليقته صنف كتاب البيان عن أصول الدين توفي سنة ثمان وثمانين وأربع مائة طول ابن النجار ترجمته وأثنى عليه ثناء كثيرا

٣ - (أبو الحسن ابن رئيس الرؤساء)

محمد بن المظفر بن علي بن المسلمة ولد سنة أربع وثمانين وأربع مائة سمع الحديث وتفرد وتعبد وجعل داره التي في دار الخليفة رباطا للصوفية توفي ليلة الجمعة تاسع شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة وحمل إلى جامع القصر وأزيلت شقة من شباك المقصورة التي فيها المحراب ليحصل التابوت في المحراب فيصلي عليه الخليفة وتقدم في الصلاة عليه وزير الخليفة ابن صدقة ودفن عند جامع المنصور قريبا من رباط الزوزني وكان من بني رئيس الرؤساء وترك الدنيا عن قدرة وزهد وانقطع إلى العبادة وكان يتكلم بكلام شديد على طريقة أهل الحقيقة

٣ - (صفي الدين الزرزاري)

محمد بن المظفر بن يحيى بن المظفر الزرزاري صفي الدين أخبرني الشيخ أثير الدين من لفظه قال كان المذكور عدلا بالقاهرة يفتي في مذهب مالك وكان خفيف الروح فيه طرف مزاح وكان له نظم فمن ذلك قوله

(دليل وجدي معقول ومنقول ... وما غرامي عن المحبوب منقول)

(يميس غصن نقا من تحت بدر دجى ... من فوقه جنح ليل الشعر مسدول)

(ما بين برق ثناياه ولؤلؤه ... صوب من المزن بالصهباء معلول)

(كيف السبيل إلى سلسال مبسمه ... وسلسبيل اللمى ما فيه تسبيل)

(خلعت ثوب اصطباري حين طرزه ... بالمسك ديباج خد منه مصقول)

(شهدت أني مشوق فيه **مكتئب** ... وأنني عند قاضي الحسن مقبول)

قلت شعر متوسط." (١)

"(ومن عبد النيران لم ينتفع بها ... ولم يلق إلا حرها ودخانها)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٤/٥

٣ - (أمير المؤمنين المعتمد)

أحمد بن جعفر المعتمد على الله أبو العباس ابن أمير المؤمنين المتوكل ابن المعتصم ولد سنة تسع وعشرين ومائتين بسر من رأى وأمه رومية اسمها فتيان كان أسمر اللون أعين خفيفا لطيف اللحية جميلا توفي ليلة الاثنين لإحدى عشر ليلة بقيت من شهر رجب فجأة ببغداذ سنة تسع وسبعين ومائتين وحمل ودفن بسر من رأى وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام والصحيح ثلاثة أيام قيل إنه سم في رؤوس الجداء وقيل بل غم في بساط وقيل سم في كأس وقيل إن الذين أكلوا معه الرؤوس ماتوا وكان مهموكا على اللذات فاستولى أخوه الموفق على الأمور وكان يشرب ويعربد على الندماء واستخلف بعده المعتضد ابن أخيه الموفق قال المرزباني في معجم الشعراء وكان يقول الشعر المكسور ويكتب له بالذهب ويغني فيه المغنون فيما صح وزنه من شعره في رواية الصولي

(طال والله عذابي ... واهتمامي واكتئابي)

بغزال من بني الأصفر لا يعنيه ما بي

(أنا مغرى بهواه ... وهو مغرى بعذابي)

(فإذا ما قلت صلني ... كان لا منه جوابي)

ومن شعره وقد نقله الموفق من مكان إلى مكان

(ألفت التباعد والغربه ... ففي كل يوم لنا تربه)

(

(وفي كل يوم أرى حادثا ... يؤدي إلى كبدي كربه)

(أمر الزمان لنا طعمه ... فما إن أرى ساعة عذبه)

ومن شعره أيضا

(بليت بشادن كالبدر حسنا ... يعذبني بأنواع الجفاء)

(ولي عينان دمعهما غزير ... ونومهما أعز من الوفاء)

وأطربته يوما مغنية فأمر لها بتبر يسير فلم ينجز لها فقال

(أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه)

(وتؤكل باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه)

٣ - (المعتز بالله)

أحمد بن جعفر أمير المؤمنين المعتز بالله فتقدم ذكره في محمد بن جعفر فليطلب هناك في المحمدين." (١)

"والتقي أبو بكر الجعبري وتساوى القراء بعده في إسناد أبي الجود وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة)

٣ - (القوصي أبو الطاهر)

إسماعيل بن هبة الله بن عبد الله القاضي أبو الطاهر القوصي أديب شاعر روى عنه تقي الدين ابن دقيق العيد والفقيه عبد الملك بن أحمد الأرمنتي وأثير الدين أبو حيان أنشدني أثير الدين أبو حيان قال أنشدنا لنفسه من الخفيف

(يا شبابي أفسدت صالح ديني ... يامشيبي نغصت لذة عيشي)

(فعدوان أنتما لا صديقا ... ن تلاعبتما بحلمي وطيشي)

٣ - (عز الدين الإسنائي)

إسماعيل بن هبة الله بن علي بن الصنيعة القاضي عز الدين الإسنائي أخو نور الدين وهو الأكبر سمع الحديث من قطب الدين القسطلاني وكان من الفقهاء الكرماء اشتغل ببلده على الشيخ بهاء الدين القفطي ثم جرى بينه وبين شمس الدين أحمد بن السديد ما اقتضى أن ترك إسنا ودخل القاهرة وقرأ الأصول والخلاف والمنطق والجدل على شمس الدين محمد بن محمود الأصبهاني ولازمه سنين وكان كريما جوادا محسنا إلى أهل بلاده وولي الحكم من ابن بنت الأعز ثم ولي من جهة ابن دقيق العيد وعمل عليه وحصل منه كلام وجره ذلك إلى أن انتقل إلى حلب ناظر الأوقاف ودرس بها وظن الشيعة بحلب لكونه من إسنا أن يكون شيعيا فصنف كتابا في فضل أبي بكر رضي الله عنه وأقام بحلب شهرا يستدل على إمامة أبي بكر ونجم الدين ابن ملي إلى جانبه معيد وصنف كتابا ضخما في شرح تهذيب النكت وكان في ذهنه وقفة إلا أنه كان كثير الاشتغال وكان بحلب إلى أن وصل قازان إلى البلاد فعاد إلى القاهرة وتوفي بها سنة سبعمائة وأظنه جاء إلى صفد قاضيا أيام نائبها الأمير سيف الدين كرآي المنصوري فما مكنه من الإقامة بها

٣ - (ابن خيطية)

إسماعيل بن هارون نفيس الدين الدشناوي العبسي الصوفي المعروف بابن خيطية كانت له معرفة بالقرآت ومشاركة في النحو والأدب كان صوفيا بالجامع الناصري بمصر توفي في حدود الثلاثين وسبعمائة ومن شعره من الرجز

(قل لظباء الكثب ... رفقا على المكتئب)

(رفقا بمن بلي بكم ... شيخا وكهلا وصبي)

(

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٦/١٨١

(دموعه جارية ... كالوابل المنسكب)

(على زمان مر في ... لذة عيش خصب)

(لذة أيام الصبي ... ياليتها لم تغب)." (١)

"العماد الكاتب قدم بغداد واستوطنها وسمع بها من أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وأبي المعالي عبد الملك بن علي الهراسي وغيرهما وكان له إجازة من أبي القاسم هبة الله بن الحصين وحدث باليسير وكان متدينا حسن الطريقة من ذوي الأقدار والرفعة توفي سنة ثمان وتسعين وخمسمئة ببغداد ووفد رسولا على صلاح الدين من بغداد ووقف مكتئبا للأيتام ببغداد

٣ - (عم العماد الكاتب)

حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله المعروف بأله بفتح الهمزة وضم اللام وبعدها هاء وهو العقاب نفيس الدين أبو الرجاء جد العماد الكاتب توفي رحمه الله تعالى في سنة نيف وتسعين وأربعمئة كان يحفظ شعر البحتري وكثيرا من شعر العرب أورد له العماد الكاتب قوله من الكامل

(فكأن وجنته وخط عذارد ... أمن أحيط من الردى بمكاره)

(قلت امح هذا الخط عنه فقال لي ... هذا دخان ساطع من ناره)

(فكأنما قتل الظلام بخده ... والليل يركض في تطلب ثاره)

(

وقوله من والوافر

(ولما أن تراخى الوصل منكم ... وطال العهد بينكم وبيني)

(وجدت اليأس من لقياك حظي ... وكان اليأس إحدى الراحتين)

قلت شعر متوسط

٣ - (أبو أحمد التفليسي الأديب)

حامد بن يوسف بن الحسين أبو أحمد التفليسي الأديب سافر ولقي أبا العلاء المعري وغيره

وكان من أصحاب تاج الملك وزير ملكشاه سلك طريق الزهد وكان غزير الفضل سمع بالقدس أبا عبد الله محمد بن علي بن أحمد البيهقي وأبا بكر محمد بن الحسن بن أبي جيد البشنوي وبمكة أبا الحسن علي بن إبراهيم العاقولي وببغداد أبا

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٤١/٩

حكيم عبد الله بن إبراهيم الخيري وحدث عنهم وعن أبي الفضل محمد بن عبد الله الأبيوردي وغيره وروى عنه شجاع بن فارس الذهلي والحافظ بن ناصر وكان زيه لما تزهد زي الرهبان مدرعة صوف وعمة صوف

٣ - (ابن سمجون الطبيب)

حامد بن سمجون هو أبو بكر الطبيب الفاضل المتميز في قوى الأدوية المفردة قال ابن أبي أصيبعة وكتابه فيها جيد ألفه في أيام المنصور الحاجب بن أبي عامر وتوفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمئة وله من الكتب الأدوية المفردة." (١)

"ونقلت منه له من الخفيف

(أبكم قلدوه أمر الرعايا ... وهو من حلية الوزارة عطل)

(فهو بالبوق في الوزارة طبل ... وهو في الدست حين يجلس سطل)

ونقلت منه له من المنسرح

(يا غائبا لو قضيت من أسف ... من بعده ما قضيت ما يجب)

(ما ترك السقم بعد بعدك لي ... والله جنبا عليه أنقلب)

ونقلت منه قوله من الكامل

(لا تأسفن على الشباب وفقده ... فعلى المشيب وفقده يتأسف)

(هذاك يخلفه سواه إذا انقضى ... ومضى وهذا إن مضى لا يخلف)

قلت هو مأخوذ من قول الأول من البسيط)

(الشيب كره وكره أن يفارقني ... أحبب بشيء على البغضاء مودود)

(يمضي الشباب فيأتي بعده بدل ... والشيب يذهب مفقودا بمفقود)

ونقلت منه له من السريع

(يقول جسمي لنحولي وقد ... أفرط بي فرط ضنى **واكتئاب)**

(فعلت بي يا سقم ما لم يكن ... يلبس والله عليه الثياب)

ومن شعر ابن النقيب من المنسرح

(عجبت للشيب كنت أكرهه ... فأصبح القلب وهو عاشقه)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢١٤/١١

(وكنت لا أشتهي أراه وقد ... أصبحت لا أشتهي أفارقه)
ومنه من السريع
(قد خرج الشيب في تذاكره ... عليك ما لا تطيق تخصمه)

(والعمر فذلكت كل حاصله ... وإن باقيه ليس نعلمه)

(وكل من كان عاملا عملا ... فإن ذاك الحساب يلزمه)
وقال أبو الحسين الجزار له يوما أجز من الخفيف لا تسلني عن المشيب إذا حل وسل إن جهلت شيبي عني فقال ابن النقيب مجيزا له من الخفيف خل شيبي وما يشاء فما يغلب جهلي حلمي ومنه ومني ومن شعره من الطويل." (١)

"وتعالى عنيت فقال للربيع أما ترى هذا التخلص وكان جماعة من بيت الوليد قد حسدوا طريحا وتحيلوا على الوليد إلى أن أغضبوه عليه فبقي نحو السنة لم يأذن له حتى تحيل طريح ودخل عليه فأنشده
(يا ابن الخلائف ما لي بعد تقربة ... إليك أقصى وفي حاليك لي عجب)

(ما لي أذاد وأقصى حين أقصدكم ... كما توقي من ذي العرة الجرب)

(كأنني لم يكن بيني وبينكم ... إل ولا خلة ترعى ولا نسب)

(لو كان بالود يدنى منك أزلفني ... بقربك الود والإشفاق والحدب)

(وكنت دون رجال قد جعلتهم ... دوني إذا ما رأوني مقبلا قطبوا)

(إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا ... سوءا أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا)

(رأوا صدودك عني في اللقاء فقد ... تحدثوا أن حبلي منك منقضب)

(فذو الشماتة مسرور بهيضتنا ... وذو النصيحة والإشفاق **مكتئب**)
قال فتبسم الوليد وأمره بالجلوس ورجع وقال إياك أن تعاود ومن شعره)
(طريف)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٣/١٢

٣ - (التابعي البصري)

طريف بن مجالد الهجيمي أبو تميمة البصري التابعي قال ابن عبد البر يروي عن آبي هريرة وأبي موسى ويروي عنه قتادة وبكر المزني وقد ذكره بعضهم في الصحابة وهو غلط

(طريفة)

٣ - (طريفة بن حاجز)

طريفة بن حاجز بالزاي قال سيف بن عمر هو الذي كتب إليه أبو بكر الصديق في قتل الفجاءة السلمي الذي حرقه أبو بكر بالنار فسار طريفة في طلبه وكان طريفة وأخوه معن بن حاجز مع خالد بن الوليد وكان مع الفجاءة نجبة بن أبي." (١)

"(ولو دسست في است محموم لما ... نجا من القر إذا ما صمما)

(تحس من رائحة الشمائل ... صرصرة ترسب في المفاصل)

(وقد نسيت شرر الكانون ... كأنه نثار ياسمين)

(يرمي به الجمر إلى الأحداق ... إن رمى قرطس في الآماق)

(وترك البساط بعد الخمد ... ذا نقط سود كجلد الفهد)

(وقطع المجلس **باكتئاب** ... وذكرحرق النار للثياب)

(ولم يزل للقوم شغلا شاغلا ... وأصبحت جباهم مناخلا)

(حتى إذا ما ارتفعت شمس الضحى ... قيل فلان وفلان قد أتى)

(وربما كان ثقيلا يحتشم ... فطول الكلام حينا وجثم)

(ورفع الريحان والنبيذ ... وزال عنا عيشنا اللذيذ)

(ولست في طول النهار آمنا ... من حادث لم يك قبل كائنا)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٦/٢٤٩

(أو خبر يكره أو كتاب ... يقطع طبيب اللهو والشراب)

(فاسمع إلى مشالب الصبوح ... في الصيف قبل الطائر الصدوح)

(حين حلا النوم وطاب المضجع ... وانحسر الليل ولذ المهجع)

(وانهزم البق وكن رتعا ... على الدماء واردات شرعا
)

(من بعد ما قد أكلو الأجسادا ... وطيروا عن الورى الرقاد)

(فقرب الزاد إلى نيام ... ألسنهم ثقيلة الكلام)

(من بعد أن دب عليه النمل ... وحية تقذف سما صل)

(وعقرب محذورة قتاله ... وجعل فوارة بواله)

(وللمغني عارض في حلقه ... ونعسة قد قدحت في حذقه)

(وإن أدرت الشرب بعد الفجر ... والصبح قد سل سيوف الحر)

(فساعة ثم تجيك الدامغة ... بنارها فلا تسوغ سائغة)

(ويسخن الشراب والمزاج ... ويكثر الخلاف والضجاج)

(من معشر قد جرعوا الحميما ... وطمعوا من زادهم سموما)

(وغيمت أنفاسهم أقداحهم ... وعذبت أقداحها أرواحهم)." (١)

"عثمان بن يسار الخراساني صاحب الدعوة كان قصيرا أسمر جميلا حلوا نقي البشرة أحور العين عريض الجبهة حسن اللحية طويل الشعر طويل الظهر خافض الصوت فصيحا بالعربي والفارسي حلو المنطق راوية للشعر عالما بالأمور لم ير ضاحكا ولا مازحا إلا في وقته ولا يكاد يقطب في شيء من أحواله تأتيه الفتوحات العظائم فلا يظهر عليه أثر السرور

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٥٠/١٧

وتنزل به الفادحة فلا يرى **مكتئبا** لا يأتي)

النساء في السنة إلا مرة ويقول الجماع جنون ويكفي الإنسان أن يجن في السنة مرة واحدة

ولد سنة مائة من الهجرة وقتل سنة سبع وثلاثين ومائة وأول ظهوره بمرو وكان في سنة تسع وعشرين ظهر في خمسين رجلا ويروى أنه من ولد بزرجمهر ولد بأصبهان ونشأ بالكوفة وروى عن عكرمة مرسلا وعن ثابت البناني وابن الزبير وإسماعيل السدي ومحمد بن علي العباسي وجماعة كان اسمه إبراهيم فقال له إبراهيم الإمام غير اسمك فسمى نفسه عبد الرحمن قيل إن أباه رأى في نومه كأنه جلس للبول فخرج من إحليله نار وارتفعت في السماء وسدت الآفاق وأضاءت الأرض ووقعت بناحية المشرق فقص رؤياه على عيسى بن معقل العجلي فقال له ما اشك أن في بطن جاريتك غلام وكانت جاريته حاملا فوضعت أبا مسلم فلما ترعرع اختلف مع ولده إلى المكتب فخرج أديبا لبيبا أريبا يشار إليه في صغره فاجتمع بجماعة من نقباء الإمام محمد بن علي بن العباس الخراسانية فأعجبهم عقله وأدبه وكلامه ومعرفته ومال هو إليهم وخرج معهم إلى مكة فأورد النقباء على إبراهيم بن محمد الإمام وقد تولى الإمامة بعد وفاة أبيه عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم وأهدوا إليه أبا مسلم فأعجب بمنطقه وأدبه وقال لهم هذا عضلة من العضل وأقام بخدمه سفرا وحضرا ثم إن النقباء عادوا إلى إبراهيم وسألوه رجلا يقوم بأمر خراسان فقال إني جربت هذا الأصبهاني وعرفت باطنه وظاهره فوجدته حجرا لأرض فدعا أبا مسلم وقلده." (١)

"زناتة على تلمسان وحمل عليهم في جملة من حمل فقتل هناك كما مر في صدر ترجمته وقيل إنما قتله جنده طلبا للراحة منه ومن سفكه الدماء وكثرة حروبه ولمى ولي الخلافة ركب فصادفه نساء في الطريق فقلن بعضا لبعض هذا الخليفة كيف يكون خليفة أسود فقالت واحدة منهن كنا نسمع الناس يتعجبون إذا كان أول الدن درديا فأما هذا فهو آخر الدن

٢٠٦ - ضياء الدين جربان الحمصي علي بن إدريس المعروف بجربان ضياء الدين أبو الحسن علي الحمصي الشاعر نزيل حماة نقلت من خط شهاب الدين القوصي في معجمه قال أنشدني المذكور لنفسه بحماة سنة ست وستمائة // (من الوافر) //

(دوين قبا سنحن من القباب ... ظباء صيدهن ليوث غاب)

(رعا بيت عراب وانساب ... الجمال إلى الرعابيب العراب)

(يتابعن القطيعة بالتجني ... وإفراط التجنب بالعتاب)

(حسان عندهن الوصل هجر ... تجرد للنوى قضب **اكتئاب**)

٢٠٧ - الهمداني الوادعي علي بن الأرقم الهمداني الوادعي روى عن أبي حجيفة وأسامة بن شريك وعن الأغر أبي مسلم

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٦٢/١٨

وأبي حذيفة سلمة بن صهيبة وأبي الأحوص الجشمي وثقه جماعة وتوفي في حدود العشرين والمائة وروى له الجماعة

٢٠٨ - العلوي الواسطي علي بن أسامة أبو الحسن العلوي الواسطي الضرير الشاعر قدم بغداد ومدح الوزير أبا الفرج محمد بن عبد الله رئيس الرؤساء ومن شعره فيه // (من المنسرح) //

(يا عضد الدين يا محمد يا ... من صان ملكا وسيد الأمرا)

(بشرت بالسعد ما أتى بشر ... إليك إلا أوسعته بشرا)

(طويت عرضا مطهرا بك إن ... فض نشقنا من نشره نشرا)

(عمرت البلاد يا عامر البلاد لقد ... قضلت زيدا وقبله عمرا)." (١)

"له بعضهم إنه الليلة كتب إلى فلان يستدعي منه شرابا فحمل ذلك إليه ما يحتاجه من نقل ومشموم ومشروب فدس أبوه إلى ذلك الرجل من يأتيه بالورقة فأتاه بها وإذا فيها بخطه بعد البسملة قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاء سيدي ومولاي رقدة من عين الدهر وانتهزت فيها فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا فإن لم تحفظ علينا النظام بإهداء المدام عدنا كبنات نعش والسلام)

فاستطير أبوه فرحا وإعجابا بهذه الرقعة البديعة وقال الآن ظهر لي أثر براعته ووثقت بجريه في طريقي ونيابته منابي ووقع لي بألفي دينار

(لئن كففت وإلا ... شققت منك ثيابي)

فأصغى أبو الفتح وقال في الوقت من المجتث

(يا مولعا بعذابي ... أما رحمت شبابي)

(تركت قلبي تيها ... نهب الأسى والتصابي)

(إن كنت تنكر ما بي ... من ذلتي **واكتئابي**)

(فارفع قليلا قليلا ... عن العظام ثيابي)

ومن شعره من الطويل

(يقول لي الواشون كيف تحبها ... فقلت لهم بين المقصر والغالي)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٣٥/٢٠

(ولولا حذاري منهم لصدقتهم ... وقلت هوى لم يهوه قط أمثالي)

(وكم من شفيق قال ما لك واجما ... فقلت أبى مالي وتسألني مالي)

ومن شعره من الكامل

(إني متى أهزز قناتي تنتثر ... أوصالها أنبوبة أنبوبا)

(أدعو بعاليها العلى فتجيبني ... وأقي بحد سنانها المهروبا)

ومن شعره من الكامل

(ما زلت في سكري ألمع كفها ... وذراعها بالقرص والآثار)

(حتى تركت أديمها وكأنما ... غرس البنفسج فيه بالجمار)

وقال الثعالبي كنت عند أبي الفتح ابن العميد في يوم شديد الحر وقد رمت الهاجرة." (١)

"وكتبت إليه وهو بدمشق وأنا بصفد

(إن عيني مذ غاب شخصك عنها ... يأمر السهد في كراها وينهى)

(بدموع كأنهن الغوادي ... لا تسل ما جرى على الخد منها)

وكتبت إليه وهو بغزة مع غلام حسن الوجه

(يا نازحا صورته في خاطري ... فرميت للتصوير بالنيران)

(إن لم يبلغك النسيم تحيتي ... فلقد أتاك بها قضيب البان)

وكتبت إليه وقد تأخرت مكاتباته عني وهو بدمشق

(يا بارقا سال في عطف الدجى ذهبا ... أذكرتني زمنا في جلق ذهبا)

(لئن حكيت فؤادي في تلهبه ... فلست تحكيه لا وجدا ولا حربا)

(ويا نسيما سرى والليل معتكر ... وهب وهنا إلى أن هزني طربا)

(أراك تنفح عطرا في صباك فهل ... تركت ذيلا على جيرون منسحبا)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٨٢/٢١

(أم قد تحملت من صبحي تحيتهم ... فكان ذلك في طيب الصبا سببا)

(قوم عهدت الوفاء المحض شيمتهم ... وإن شككت سل العلياء والأدبا)

(صرفت إلا عناني عن محبتهم ... وبت نضوا خليف الشوق **مكتئبا**)

(لا الدار تدنو ولا السلوان ينجدني ... وعز ذلك مطلوبا إذا طلبا)

(أحبابنا إن ونت عني رسائلكم ... فلست أسأل إلا الفضل والحسبا)

(وحياتكم ما لنفسي عنكم بدل ... كلا ولا اتخذت في غيركم أربا)
(

(أعيذ ودكم من أن يغيره ... نأي ولا جردت من دون ذاك ظبى)

(لعل دهرا قضى بالبعد يجمعنا ... وقلما جاد دهر بالذي سلبا)

(أرضى بحكم زماني وهو يظلمني ... فيكم وأجني ببعدي عنكم التعبا)

(ولن يظفرني إلا بودكم ... يا حيرتي فيكم إن رد ما وهبا)

(نسيتموني ولم أعتد سوى كرم ... منكم يبوئني من فضلكم رتبا)

(حاشاكم أن تروا هجري بلا سبب ... أو تجعلوا البين فيما بيننا حجبا)

(عاقبتموني ولا ذنب أتيت به ... فقل عن الصخر إذ يقسو ولا عجبا)

(عودوا إلى جبر كسري لا فجعت بكم ... فقد لقيت ببعدي عنكم نصبا)." (١)

"(فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها ... مقالة واش أو وعيد أمير)

(فلن يمنعوا عيني من دائم البكا ... ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٨٩/٢٢

(وكنا جميعا قبل أن يظهر الهوى ... بأنعم حالي غبطة وسرور)

(فما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة لظهور)

(لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور)
ولم يزل تارة يتوصل إلى زيارتها بالحيلة عليها وتارة تزوره وهو عند قوم نازل وتارة يختفي عن زوجها بأنواع من التستر والتخفي إلى أن ماتت لبنى فتزايد ولهه وجزعه وخرج)
في جماعة قومه حتى وقف على قبرها وقال
(ماتت لبينى فموتها موتي ... هل تنفعن حسرتي على الفوت)

(فسوف ابكي بكاء **مكتئب** ... قضى حياة وجدا على ميت)
ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل ولم يزل عليلا لا يفيق ولا يجيب مكلما ثلاثا حتى مات ودفن إلى جنبها
وكانت وفاتهما في حدود السبعين للهجرة
٣ - (قيس بن الملوح)
قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس هو مجنون بني عامر قال صاحب الأغاني لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة كلوثة ابي حية
كان سبب عشقه لليلى أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حلتان من حلل الملوك فمر بامرأة من قومه يقال لها كريمة وعندها جماعة من النساء يتحادثن فيهن ليلى فأعجبهن جماله وكماله فدعونه إلى النزول فنزل فجعل يحدثهن وأمر عبدا كان معه فعقر لهن ناقته وحدثهن بقية يومه
بينا هو كذلك إذ طلع فتى في بردة من برود الأعراب يقال له منازل يسوق معزى له فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون فغضب وخرج من عندهن وقال." (١)
"(إلى بلاد أجابت قبل أن دعيت ... للخاطبين ولولا الخوف لم تجب)

(لو لم تجب يوسفا من قبل دعوته ... لعاد عامرها كالجوسق الخرب)

(خافت وخاف وفر المالكون لها ... فالمدن في رهب والقوم في حرب)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٢٣/٢٤

(ثم استجابت فلا حصن بممتنع ... منها عليه ولا ملك بمحتجب)

(وأصبحوا منه في هم وصبحهم ... وهم سكارى بكأس اللهو والطرب)

(تفرغوا لنعيم العيش واشتغلوا ... عن الثغور بلثم الثغر والشنب)

(أرض الجزيرة لم تظفر ممالكها ... بمالك فطن أو سائس درب)

(ممالك لم يدبرها مدبرها ... إلا برأس خصي أو بعقل صبي)

(حتى أتاها صلاح الدين فانصلحت ... من الفساد كما صحت من الوصب)

(واستعمل الجد فها غير مكترث ... بالجد حتى كأن الجد كاللعب)

(وقد حواها وأعطى بعضها هبة ... فهو الذي يهب الدنيا ولم يهب)

(يعطي الذي أخذت منه ممالكه ... وقد يمن على المسلوب بالسلب)

(ويمنح المدن في الجدوى لسائله ... كما ترفع في الجدوى عن الذهب)

(ومذ رأت صده عن ربعها حلب ... ووصله لبلاد حلوة الحلب)

(غارت عليه ومدت كف مفتقر ... منها إليه وأبدت وجه **مكتئب)**

(واستعطفته فوافتها عواطفه ... وأكتب الصلح إذ نادته عن كثب)

(وحل منها بأفق غير منخفض ... للصاعدين وبرج غير منقلب)

(فتح الفتوح بلا مين وصاحبه ... ملك الملوك ومولاها بلا كذب)

(ومعجز كم أتانا منه مشبهه ... فصار لا عجبا من فضله العجب)

(تهن بالفتح يا أولى الأنام به ... فالفتح إرثك عن آبائك النجب)

(فافخر ففتحك ذا فخر لمفتخر ... ذخر لمدخر كسب لمكتسب)

(بك العواصم ذابت بعدما خبثت ... بمالكيها ولولا أنت لم تطب)

(فليت كل صباح ذر شارقه ... فداء ليل فتى الفتيان في حلب)

(إني أحب بلادا أنت ساكنها ... وساكنيها وليسوا من ذوي نسب)

(إلا لأنك قد أصبحت مالكها ... دون الأنام وهل حب بلا سبب)

(فجود كفك ذخري في يدي ويدي ... وحب بيتك إرث عن أبي وأبي)." (١)

"يقول وأنشد البيت ولم أر أحلى فقال // (من الطويل) //

(ولما فشا بالدمع من سر وجدنا ... إلى كاشحينا من القلوب كواتم)

(أمرنا بإمساك الدموع جفوننا ... ليشجي بما تطوي عذول ولائم)

(أبي دمعنا يجري مخافة شامت ... فنظمه بين المحاجر ناظم)

(وراق الهوى منا جفون كريمة ... تبسمن حتى ما تروق المباسم)

قال ابن المظفر وأخذ المعنى صاحبنا السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك فقال // (من البسيط) //

(رأيت طرفك يوم البين حتى همى ... ذا الدمع ثغر وتكحيل الجفون لمى)

(فاكفف ملامك عني حيت ألثمه ... فما شككت أني قد رأيت فما)

وأخذه أيضا على ما زاد فيه ابن شهيد وقال // (من الكامل) //

(وإذا بكت عيني تقول تبسمت ... إن الدموع لها ثغور عندنا)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٦٥/٢٩

قال ابن ظافر أيضا وقد أخذه من قبله الرئيس أبو منصور بن صردر فقال // (من الكامل) =
(متلونين على شواهد حبهم ... فالعين تمطرهم بذي ألوان)

(ولو أنه ماء لقالوا دمعه ... ثغر وجفنا عينه شفتان)

قلت وأنا وقد أعجبني ما في هذه الأبيات من الاستعارة فقلت // (من الوافر) //
(بكى المحبوب لي لما اجتمعنا ... وكان هواء فرقته تنسم)

(غلطت فما بكى أسفا لبعدي ... ولكن ثغر ناظره تبسم)

وقلت أيضا مضمنا // (من الطويل) //
(بمقلة محبوبي دموع تحيرت ... دلالا على صب غدا وهو مغرم)

(فشبهت عينيه سيوفا وقد غدت ... من التيه في أجفانها تتبسم)

وقلت أيضا مهتديا قول أبي الطيب // (من الوافر) //
(أيا دمعا به طاب اكتئابي ... ولذ لي التعشق والغرام)

(لقد حسنت بك اللوعات حتى ... كأنك في فم الجفن ابتسام)." (١)

"وكان أولا يقرئ أولاد القاضي محيي الدين بن فضل الله، فحصل بذلك هذه الجهات، وأخذ له القاضي بدر الدين ابن فضل الله وظيفة الإفتاء بدار العدل في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر.

وكان له ذوق جيد في الأدب وينظم وينثر في الأدب جيدا، ولكنه يتخيل في نفسه لما كان عنده من الانجماع لغلبة السوداء عليه، فما يعمل شيئا.

وبيني وبينه مكاتبات مذكورة في الجزء الخامس من التذكرة التي لي، وكتبت إنا إليه وإنا بالرحبة وهو مقيم بالقاهرة أسأله عن أخبار الأصحاب:

رحلت وفي مصر لي سادة ... يطول غرامي بهم واكتئابي
جفوني وضنوا بأخبارهم ... فأصبحت أطلبها من صحابي
عسى خبر عنهم صادق ... أطالعه من كتاب الشهاب

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٦٣/٢٩

وكتبت له توقيعا فإفتاء دار العدل بدمشق ارتجالا، وهو: رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الصالحي العمادي، لا زال شهابه لامعا، وسحابه بالنوال هامعا، وجنابه لأرباب العلم جامعا، أن يرتب في كذا ركونا إلى ما أتقنه من العلوم، وسهر له والناس نيام بشهادة النجوم، وسكونا إلى ما حصله في مذهبه وحرره، وأوضح دليله بالمباحث وقرره، لأنه المقرئ الذي قتل السبع بدربته خبرا، ونزل به أضياف التلاميذ وكان لهم من السخاوي أقرأ، والنحوي الذي لو رآه الفارسي ترجل له إعظاما، ولو شاهده ابن مالك كان له غلاما، والفقيه الذي لو عاينه صاحب التنبيه غدق به هذا الأمر ونام، ولو نظر الغزالي لما كان حاك." (١)

"وتوفي رحمه الله تعالى في حدود الثلاثين وسبع مئة.

ومن شعره:

قل لظباء الكثب ... رفقا على المكتئب

رفقا بمن بلي بكم ... شيخا وكهلا وصبي

دموعه جارية ... كالوابل المنسكب

على زمان مر في ... لذة عيش خصب

لذة أيام الصبا ... يا ليتها لم تغب

قضيت فيها وطرا ... ونلت منها أربي

بين حسان خرد ... منعمات عرب

وشادن مبتسم ... عن در ثغر شنب

ألفاظه تفعل ما ... تفعل بنت العنب

قلت: شعر مقبول غير مردود.

إسماعيل بن هبة الله بن علي بن الصنيعة

القاضي عز الدين الإسنائي، أخو نور الدين، وهو الأكبر.

سمع الحديث من قطب الدين بن القسطلاني، واشتغل ببلده على الشيخ بهاء الدين القفطي، ثم إنه جرى بينه وبين شمس الدين أحمد بن السديد ما فارق إسنا بسببه. ودخل القاهرة، وقرأ الأصول والخلاف والمنطق والجدل على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني، ولازمه سنين.." (٢)

"وكتبت أنا إليه من صفد:

يا بارقا سال في عطف الدجى ذهبا ... أذكرتني زمنا في جلق ذهبا

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٢٠٤/١

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٥٢٩/١

لئن حكيت فؤادي في تلهبه ... فلست تحكيه لا وجدا ولا حربا

ويا نسميا سرى والليل معتكر ... وهب وهنا إلى أن هزني طربا

أراك تنفح عطرا في صباك فهل ... تركت ذيلا على جيرون منسحبا

أم قد تحملت من صحبي تحيتهم ... فكان ذلك في طيب الصبا سببا

قوم عهدت الوفاء المحض شيمتهم ... وإن شككت سل العلياء والأدبا

صرفت إلا عناني عن محبتهم ... وبت نضوا حيلف الشوق مكتئبا

لا الدار تدنو ولا السلوان ينجدني ... وعز ذلك مطلوبا إذا طلبا

أحبابنا إن ونت عني رسائلكم ... فلست أسأل إلا الفضل والحسبا

وحياتكم ما لنفسي عنكم بدل ... كلا ولا اتخذت في غيركم أربا

أعيذ ودكم من أن يغيره ... نأي ولو جردت من دون ذاك ظبا

لعل دهرا قضى بالبعد يجمعنا ... وقلما جاد دهر بالذي سلبا

أرضى بحكم زماني وهو يظلمني ... فيكم وأجني ببعدي عنكم التعبا

ولن يظفرني إلا بودكم ... يا حيرتي فيكم إن رد ما وهبا

نسيتموني ولم أعتد سوى كرم ... منكم يبوؤني من فضلكم رتبا

حاشاكم أن تروا هجري بلا سبب ... أو تجعلوا البين فيما بيننا حجبا

عاقبتموني ولا ذنب أتيت به ... فقل عن الصخر إذ يقسوا ولا عجبا

عودوا إلى جبر كسري لا فجعت بكم ... فقد لقيت ببعدي عنكم نصبا." (١)

"وأنهار ماء في صفاء ورقة ... تسيل بها ما بين روض مدبج

فإن جعدته خطرة من نسيمه ... فيا حسن مرآى مائه المتموج

ومن شعره ملغزا في الجوز:

ومجلود له جرم ... بلا جرم ولا ذنب

يعاقب وهو من كرم السجية طيب القلب

وكتب إليه المجير أحمد الخياط، نقلته من خطه:

بات بعيد الدار عن سكنه ... صب قريب المزار من شجنه

متيم يذرف الدموع دما ... في الربع بعد الدما على دمنه

لم يبق فيه بلى الرسوم سوى ... وسم خيال يلوح من بدنه

رام اكتتام الغرام مستترا ... بالصبر والصبر ليس من جننه

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٣/٦١٥

وكيف يخفي الهوى وعبرته ... تنقل من سره إلى علنه

رق له الشامتون حين رأوا ... فرط **اكتئاب** علاه من حزنه

مد له لا يعي الملام ولا ... يدخل عذل العذول في أذنه

أقسمت بالبيت ذي الستور وبال ... حجيج والراقصات من بدنه

ويوم جمع والمشعرين ومن ... وفى فروض الميقات مع سننه

إن أبا عبد الله نادرة ... أحسن ما في الزمان من حسنه

ليس يوازى بمن يشاكله ... في سائر الناس من بني زمنه

لا في نهاه ولا فضائله ... ولا ذكاه كلا ولا فطنه." (١)

"(فيا حبذا برق بأرض مسرة ... ونفحة ريح من هناك انتقالها)

(عقدت على حبي لذكرك عقدة ... عسير على مر الزمان انحلالها)

وقال

(ألا إن بنت الكرم أغلي مهرها ... فيا خسر من أضحى لذلك باذلا)

(تزوج بالعقل المكرم عاجلا ... وبالنار والغسلين والمهل آجلا)

وقال

(بعض أخلاي صار ميتا ... وبعضهم في البلاء غائب)

(وبعضهم حاضر ولكن ... يحصى ويقصى ولا يقارب)

(وصرت بين الورى وحيدا ... فلا قريب ولا مناسب)

(فلا تلمني على **اكتئابي** ... سرور مثلي من العجائب)

وقال

(قد جرحتنا يد أيامنا ... وليس غير الله من آسي)

(فلا ترج الناس في حاجة ... ليسوا بأهل لسوى الياس)." (٢)

"(يا مطلبا ليس لي في غيره أرب ... إليك آل التقضي وانتهى الطلب)

(وما طمحت لمرأى أو لمستمع ... إلا لمعنى إلى علياك ينتسب)

وما أراني أهلا أن تواصلني ... حسبي علوا بأني فيك **مكتئب)**

(لكن ينازع شوقي تارة أدبي ... فأطلب الوصل لما يضعف الأدب)

(ولست أبرح في الحالين ذا قلق ... باد وشوق له في أضلعي لهب)

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٤/٦٠٩

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٩/٢٢٨

(ومدمع كلما كفكفت أدمعه ... صونا لذكرك يعصيني وينسكب)

(ويدعي في الهوى دمعي مقاسمتي ... وجدي وحزني ويجري وهو مختضب)

(كالطرف يزعم توحيد الحبيب ولا ... يزال في ليله للنجم يرتقب)

وأنشدنا الحافظ أبو العباس العسجدي بقراءتي عليه قال أنشدنا الشيخ صدر الدين من لفظه لنفسه

(يا رب جفني قد جفاه هجوعه ... والوجد يعصي مهجتي ويطيعه)

(يا رب قلبي قد تصدع بالنوى ... فإلى متى هذا البعاد يروعه)

(يا رب بدر الحي غاب عن الحمى ... فمتى يكون على الخيام طلوعه)." (١)

"(قاضي القضاة عزاء عن إمام تقى ... بالفضل أوصى وصاة المرء بالعقب)

(فأنت في رتب العليا وما وسقت ... بحر يحدث عنه بالحر بالعجب)

(ما غاب عنا سوى شخص لوالدكم ... وعلمه والتقى والجود لم يغب)

(جادت ثراك أبا السادات سحب رضى ... تزهى بذيل على مثواك منسحب)

(وسار نحوك منا كل شارقة ... سلام كل شجي القلب **مكتئب**)

(تحية الله نهديها ونتبعها ... فبعد فقدك ما في العيش من أرب)

(وخفف الحزن إنا لاحقون بمن ... مضى فأمضى شباة الحادث الذرب)

(إن لم يسر نحونا سرنا إليه على ... أيامنا والليالي الدهم والشهب)

(إنا من الترب أشباح مخلقة ... فلا عجيب مآل الترب للترب)

وقال أديب الزمان القاضي صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي أمته الله به

(أي طود من الشريعة مالا ... زعزعت ركنه المنون فزالا)

(أي ظل قد قلصته المنايا ... حين أعيا على الملوك انتقالا)." (٢)

"لوجدت لي منك برشف اللمى ... لقلت خمر عسل سكر

دعني في الحب أذب حسرة ... سفك دم العاشق لا ينكر وقال في غرض التغزل، رحمه الله:

عيناي تفهم من عينيك أسرارا ... وورد خديك يذكي في الحشا نارا

ملكت قلب محب فيك **مكتئب** ... قد اثر الدمع في خديه آثارا

رضاب ثغرك يروي حر غلته ... يا ليت نفسي تقضي منه أوطارا

انعم بطيف خيال منك المحه ... ماذا عليك لطيف منه لو زارا

نفسي فداؤك من ظبي به وطف ... يصبو له القلب مضطرا أو مختارا وقال أيضا رحمه الله تعالى:

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٢٥٩/٩

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٣٢٢/١٠

(١٣آ) أيها الظبي (١) ترفق ... بكئيب قد هلك

الذنب تتجنى ... الشيء وصلك

إنما روحي ملك ... وكذا قلبي لك

إنما أنت هلال ... فلك القلب فلك

---

(١) ج: الفتى.." (١)

"٥٣ – القاضي أبو عبد الله (١) محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد

وقد ذكر عمه وهو شبرين (٢) رحمهما الله بمنه

فاضل اعتبط سريعا، وغصن قطف مريعا، من بعد أن نجب، وأبدى من خطه العجب، ونظم وكتب، وقعد لالتماس الحظ ورتب.

ومن شعره:

ذرني فقد ساعد وقت وطاب ... إذ الأماني سمحت باقتراب

ابذل جهدي في طلاب العلا ... فباذل الجهد حميد المآب

(٤٨ب) حططت آمالي بمعنى السنا ... ومنتهى القصد وكنه الطلاب

معنى إمام صوب إنعامه ... يفيض فوق الارض منه عباب

كل جمال أحرزت ذاته ... فلا تكن عن حسنها في غياب

فقدح من عامله فائز ... طوبى له اليوم وحسن المآب

مولاي ما إن عنك لي مصرف ... عند اعتدال الوزن زال الحجاب

أسست لي مجدا ومن بعده ... ظلت أخا حزن رهين اكتئاب

مغلب الأشواق لا أنثني ... عن فرط ترداد وطول اضطراب

---

(١) انظر الترجمة رقم: ٥٨ في ما يلي.

(٢) ترجم له في الإحاطة ووصفه بالمهارة في علوم اللسان. ولي ديوان الإنشاء بغرناطة ثم القضاء والخطابة بها. ثم عزل من القضاء فتصدى للتدريس، ثم ولي قضاء وادي آش، ثم قضاء غرناطة. توفي سنة ٧٦٠؛ انظر بغية الوعاة: ١٦.." (٢)

"ومن بدره في سماء المعالي ... يزين بوصف الكمال ارتفاعه

فما لك في الفضل من جحة ... ومن إمرة في ذويه مطاعه

---

(١) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لسان الدين بن الخطيب ص/٥٦

(٢) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لسان الدين بن الخطيب ص/١٥٥

قضاؤك في معسر حل دين ... عليه فأرجاؤه قد أضاعه

وقد كان يبغي إليكم شفيعا ... يوسط عندكم في شفاعه

على أنه في اقتضاء الوداد ... يوفي موازينه أو صواعه

وما هو في سوق تقريظكم ... ونشر حلاكم مزجى (١) البضاعه ومما أنشد السلطان في ليلة الميلاد (٢) من شعره بمحضري عام إحدى وسبعمائة (٣) :

أصغى إلى الوجد لما جد عاتبه ... صب له شغل عمن يعاتبه

لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا ... فضل من ظل إرشادا يخاطبه

لولا النوى لم يبت حران مكتئبا ... يغالب الوجد كتما وهو غالبه

يوادع (٤) الليل أسرار الغرام وما ... تمليه أشجانه فالدمع كاتبه

لله عصر بشرقي الحمى سمحت ... بالوصل أوقاته لو دام ذاهبه

يا جيرة أودعوا من ودعوا حرقا ... يصلى بها من صميم القلب نائبه

يا هل ترى ترجع الأيام ألفتنا ... (٥) كعهدنا ويرد القلب سالبه

ويا أهيل ودادي والنوى قذف ... والقرب قد أبهمت دوني مذاهبه

[هل ناقض لعهد بعد البعد حافظه ... وصادع الشمل يوم الشعب شاعبه]

---

(١) خ بهامش ك: بمزجي.

(٢) يعني ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٣) القصيدة في الإحاطة ٢: ٢١٦.

(٤) كذا في جميع النسخ وفوقها علامة خطأ في د، وفي الإحاطة: يستودع.

(٥) سقط البيت من د.." (١)

"رأيت العاشقين لهم جسوم ... براها الشوق لو نفخوا لطاروا

وقال بن عبد ربه:

ولما أن رأى أهلي سقامي ... تجاوز حده حد السقيم

سددت منافس النسمات عني ... مخافة أن أطير مع النسيم

وقال آخر:

وإذا عائد دنا لكلامي ... لعبت بي أنفاسه في الفراش

وقال آخر:

---

(١) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لسان الدين بن الخطيب ص/٢٥٢

عبثت به أيدي الضنى فكأنه ... سر خفي في ضمير كتوم

أنحلني حبك يا متلفي ... وزادني الشوق فلم أعرف

وذبت حتى لو رمى بي الهوى ... في ناظر الناظر لم يطرف

وقال ناصر الدين الفقعسي:

يقول جسمي لنحولي وقد ... أفرط بي فرط ضنى **واكتئاب**

فعلت بي يا سقم ما لم يكن ... يلبس والله عليه الثياب

ومما ينخرط في هذا الیلك ما وصفت به الشعراء الخصر من الخول وقد بالغ ابن إسرائيل فيه حيث قال وأحسن في المقال:

واها على الخصر الرفيق وإنما ... قطع الطريق حديثه الموثوق

خصر أدير عليه معصم قبلة ... فكأن تقبيلي له تعنيق

وقال الشيخ صفي الدين الحلي:

مليح يغار الغصن عند اهتزازه ... ويخجل بدر التم عند شروقه

فما فيه معنى ناقص غير خصره ... وما فيه شيء بارد غير ريقه

قلت أخذه من قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني وأراد قصره على الحسن فقصر وجرى خلفه ليعثر على المعنى فاعثر عليه بل تعثر والفرق بينهما كما بين الأجاج والكوثر والخصر والخنصر ألا ترى قول ابن العفيف وحلاوة منطقه الظريف.

فكم يتجافى خصره وهو ناحل ... وكم يتحالريقه وهو بارد

وكم يدعى صونا وهذي جفونه ... بفترتها للعاشقين تواعد

وقال أيضا:

شكوت إلى ذاك الجمال صبابة ... تكلف جفني أنه قط لا يغفو

فلانت لي الأعطاف والخصر رق لي ... ولكن تجافى الشعروا ناقل الردف

وقال أيضا:

تلاعب الشعر على ردفه ... أوقع قلبي في العريض الطويل

يا ردفة جرت على خصره ... رفقا به ما أنت إلا ثقيل

وعلى ذكر الردف ما أحسن قول الآخر:

للبدر من وجنته نكتة ... وفترة في الظبي من طرفه

إذا مشى جاذ به ردفه ... كأنه يمشي إلى خلفه

وقال الشيخ صفي الدين الحلي في مليح راقص:

جاء وفي قده اعتدال ... مهفهف ما له عديل

قد خففت عطفه شمال ... وثقلت جفنه شمول

ثم أنثى راقصا بقد ... تثني إلى نحوه العقول

يجول ما بيننا بوجه ... فيه مياه الحيا تجول

ورنح الرقص منه عطفا ... خف به اللطف والدخول

فعطفه داخل خفيف ... وردفه خارج ثقيل

وقال ابن رشيق:

أحمل أثقالي على ردفه ... وأمسك الخصر لئلا يضيع

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة:

سألت النقا والبان يحكي لناظري ... روادف أو أعطاف من طال صدها

فقال كثيب الرمل ما أنا حملها ... وقال قضيب البان ما أنا قدها

الباب الخامس والعشرون

ذكر ما يكابده الأحباب من الأمور الصعاب

وغير ذلك مما يقاسونه من تحمل المشاق وألم الفراق

كقوله:

شكى ألم الفراق الناس قبلي ... وروع النوى حي وميت

وأما مثل ما ضمت ضلوعي ... فإني ما سمعت ولا رأيت

أقول هذا الباب عقدناه لذكر ما يقايسه المحب من ركوب الأخطار في طلب الأوطار فهو لا يزال مشغولا بحاله متقلبا تحت أحماله يقاسي في طلب الحبيب من الأهوال ما هو أثقل من الجبال ويسمح في مقابلة اللمحة اليسيرة منه بالنفس والمال.

قال الطغرائي:

ومن طلب الأحبة كان اسخى ... ببذل النفس من كعب بن مامه

ومن طلب الغنائم لم يهب من ... نضى من دون مطلبه حسامه

وقال أيضا:

لأكره الطعنة النجلاء قد شفعت ... برشقة من نبال الأعين النجل

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني ... باللمح من خلل الأستار والكلل." (١)

"في القفى، ورفعا لستر اللطف الخفي، وإمساكا بالحجر والأكمام، ومنعا للمباشرة والإلمام واستنطاقا عند الأخذ بالكلام، وإسكاتا عند صريف الأقلام فإذا أدلى بحجته من أدلى، وسعهما دينه عدلا، وحق القول، واستقر الهول، ووجبت اليمين أو الأداء الذي يفوت له الذخر الثمين أو الرهن أو الضمين، أو الاعتقال، الذي هو على أحدهما الأمين، نهش الصل، الذي سليمه لايبل ولسبت العقارب الذي لا يفلتها الهارب، ولا تنجى منها المسارب. وكم تحت الظلام من غرارة

---

(١) ديوان الصبابة ابن أبي حجلة ص/٧٥

يحملها غر، وحرة ريح فيها صر، وسهد في انتظار قلة شهد، وكبش يجر تارة بروقيه، ويدفع بعد رفع ساقيه، ومعزى وجدي وقلايد هدى، وسرب دجاج ذوات لجاج، يقضحن الطارق، ويشيعن المفارق، فمتى يستفيق سيدي مع هذا اللغط، العايد بالصلة، واللهى المتصلة. أو تتفرغ يده البيضاء لأعمال ارتياض، وخط سواد في بياض، أو حنين لدوح أو رياض، أو إمتاع طرف، **باكتئاب** حرف أو إعمال عدل لرسول في صرف، أو حشو طرب يتحفه ظرف، شأنه أشد استغراقا، وميوله أكثر طراقا، من ذكر حبيب ومنزل، وأم معزل، وكيف يستخدم القلم الذي يصارف ماء الحبر يذوب التبر في ترهات عدم جناها، وأقطع جانب الخيبة لفظها ومعناها، اللهم إلا أن تحصل النفس على كفاية تختم لها الصرر، وتشام من خلالها للجين الغرر، أو تحن النفس إلى الفكاهة والأنس، وينفق لديها ذمام الإبقاء على الجنس، فربما تقع المخاطبة المنزورة، وتبيح هذا المرتكب الصعب للضرورة، والمرغوب من سيدي القاضي أن يذكر بؤسنا بالإغفال عند نعيمه، ولا يخيب آمالنا المتعلقة بأذيال زعيمه ويسهمنا حظا من فوايد حظه، لا من فوايد خطته، ويجعل لنا كفلا من فضل بريته وفطنته، لا من فضل بعره وقطته، فقد غنينا عن الحلاوات،." (١)

"وأنشد له صاحبنا الجليل صاحب العلامة «١» بالمغرب، أبو القاسم بن صفوان قوله: [المنسرح]

يا رب ظبي شعاره نسك ... ألحاظه في الورى لها فتك

يترك من هام به **مكتئبا** ... لا تعجبوا أن قومه الترك

أشكو له ما لقيت من حرق ... فيمشين «٢» لاهيا إذا أشكو

صبرت حتى أطل عارضه ... فكان صبري ختامه مسك

ومن المعاتبة والفكاهة قوله: [السريع]

وبائع للكتب يبتاعها ... بأرخض السوم وأغلاه

في نصف الاستذكار أعطيته ومحض العين وأرضاه وله أيضا: [الكامل]

يا من توعدني بحادث هجره ... إن السلو لدون ما يتوعد

هذا عذارك وهو موضع سلوتي ... فأكفف فقد سبق الوعيد الموعد

وأظن سلوتنا غدا أو بعده ... فبذاك خبرنا الغراب الأسود

وله أيضا: [الكامل]

قال العذول تنقصا لجماله ... هذا حبيبك قد أطل عذاره

لا بل بدا فصل الربيع بخده ... فلذا تساوى ليله ونهاره

وله يرثي: [مجزوء الكامل]

يا قبر صبح، حل في ... ك بمهجتي أسنى الأماني «٣»

وغدوت بعد عيانها ... أشهى البقاع إلى العيان

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٢/٢٣٦

أخشى المنية إنها ... تقصي مكانك عن مكاني «٤»

كم بين مقبور بفا ... س وقابر بالقيروان

وله أيضا يرثيها: [الكامل]

يا صاحب القبر الذي أعلامه ... درست وثابت حبه لم يدرس." (١)

"المسمى ب «مساجلة البيان» . ولما هلك وولي ابنه، قدمه قاضيا بمدينة ملكه، وضاعف التنويه به، فأجرى الخطة، على سبيل من السداد والنزاهة. ثم لما ولي السلطان أبو سالم عمه، أجراه على الرسم المذكور، وهو الآن بحاله الموصوفة، مفخر من مفاخر ذلك الباب السلطاني على تعدد مفاخره، يحظى بكل اعتبار.

شعره: ثبت «١» في كتاب «نفاضة الجراب» من تأليفنا، عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب، ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء ما نصه:

وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي، جملة «٢» السذاجة، وكرم الخلق، وطيب النفس، وخدن العافية، وابن الصلاح والعبادة، ونشأة القرآن، المتحيز إلى حزب السلامة، المنقبض عن الغمار، العزوف عن فضول القول والعمل، جامع المحاسن، من عقل رصين، وطلب ممتع، وأدب نقادة «٣» ، ويد صناع، أبو القاسم بن أبي زكريا البرجي، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة «٤» : [البسيط]

أصغى إلى الوجد لما جد عاتبه ... صب له شغل عمن يعاتبه

لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا ... فضل من ظل إرشادا يخاطبه

لولا النوى لم يبت حران «٥» مكتئبا ... يغالب الوجد كتما وهو غالبه

يستودع «٦» الليل أسرار الغرام وما ... تمليه أشجانه فالدمع كاتبه

لله عصر بشرقي الحمى سمحت ... بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه

يا جيرة أودعوا إذ ودعوا حرقا ... يصلى بها من صميم القلب ذائبه «٧»

يا هل ترى تجمع «٨» الأيام فرقتنا ... كعهدنا أو يرد القلب ساكبه؟

ويا أهيل ودادي، والنوى قذف ... والقرب قد أبهمت دوني مذاهبه

هل ناقض العهد بعد البعد حافظه ... وصادع الشمل يوم الشعب شاعبه؟." (٢)

"أبي الحجاج المنتشافري، فراقه ببشر لقائه، ونهل على الظمأ في سقائه، وكانت بينهما مخاطبات، أنشدنيها بعد إيابه، وأخبرني بما كان من ذهاب زاده وسلب ثيابه.

وخاطبني من شرح حاله في ارتحاله بما نصه: ولما دخلت رندة الأنيقة البطاح، المحتوية على الأدب والسماح، والعلم والصلاح، أبرز القدر أن لقيت بها شيخنا المعمر رئيس الأدباء، وقدوة الفقهاء، أبا الحجاج المنتشافري، وكنت لم أشاهده قبل هذا

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١٣٦/١

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١٩١/٢

العيان، ولا سمح لي بلقائه صرف الزمان، ولم أزل أكلف بمقطوعاته العجيبة، وأولع بضرائبه الغريبة، وتأتي منه مخاطبات تزري بالعقود بهجة، وتطير لها العقود لهجة. نظم كما تنفس الصبح عن تسيمه، ونثر كما تأسس الدر بتنظيمه، فأحلني منه محل الروح من الجسد، وشهد لي أني أعز من عليه ورد، ورآني قد ظهرت على مضاضة **الاكتئاب**، لكوني قريب عهد بالإياب، مهزوما انهزام الأحزاب، خالي الوطاب «١» ، نزر الثياب، فقال: فيم الجزع، ذهب بحول الله الخوف وأمن الفزع، فأجبته عجلا، وقلت أخاطبه مرتجلا: [الكامل]

لا تجزعي، نفسي، لفقد معاشري ... وذهاب مالي في سبيل القادر

يا رندة «٢» ، ها أنت خير بلاده ... وبها أبو حجاج المنتشافري

سيريك حسن فرائد من نظمه ... فتزيل كل كآبة في الخاطر

فأجابني مرتجلا: [الكامل]

سراي، يا قلبي المشوق، وناظري، ... بمزار ذي الشرف السني الطاهر

روض المعارف زهرها الزاهي ... أوصافه «٣» أعيت ثناء «٤» الشاكر

ولواد آش من «٥» فخار لم يزل ... من كابن حزب الله نور الناظر

وافى يشرف رندة بقدومه ... فغدت به أفقا لبدر زاهر

من روضة الأدباء أبدى زهرة ... قد أينعت عن فكر حبر ماهر

جمع المآثر بالسناء «٦» وبالسنا ... أعظم به من صانع لمآثر

ما زلت أسمع من ثناه مآثرا ... كانت لسامعها معا والذاكر." (١)

"وقال «١» : [البسيط]

عيناي تفهم من عينيك أسرارا ... وورد خدك يذكي في الحشا نارا

ملكت قلب محب فيك **مكتئب** ... قد أثر الدمع في خديه آثارا

رضاب ثغرك يروي حر غلته ... يا ليت نفسي تقضي منه أوطارا «٢»

أنعم بطيف خيال منك ألمحه ... ماذا عليك بطيف «٣» منك لو زارا

نفسي فداؤك من ظبي به كلف «٤» ... يصبو له القلب مضطرا ومختارا

وقال «٥» : [مجزوء الرمل]

أيها الظبي ترفق ... بكئيب قد هلك

الذنب تتجنى ... أم لشيء «٦» يوصلك؟

إن روحي لك ملك «٧» ... وكذا قلبي لك

إنما أنت هلال ... فلك القلب فلك

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢/٢٥٠

ومن مجموع نظمه ونثره ما خاطبني به، وقد طلبت من أدبه لبعض ما صدر عني من المجموعات: «يا سيدي، أبقاك الله بهجة للأعيان الفضلاء، وحجة لأعلام العلاء، ولا زلت تسير فوق النسر، وتجري في الفضائل على كرم النجر. ذكر لي فلان أنكم أردتم أن يرد على كمالكم، بعض الهذيان الصادر عن معظم جلالكم، فأكبرت ذلك، ورأيتني لست هنالك، وعجبت أن ينظم مع الدر السبج، أو يضارع العمش الدعج. بيد أن لنظم الدر صناع «٨» ، والحديث قد يذاع، ولا يضاع، وحين اعتذرت له فلم يعذرني، وانتظرته فلم ينظرني، بعد أن استعفيته فأبى، واستنهضت جواد الإجابة فكبى، وسلك غير طريقي، ولم يبلغني ريقي، وفيت الغرض، وقضيت من إجابته الحق المفترض، ورددت عن تعذاله النصيح، وأثبت هنا ما معناه صحيح، ولفظه غير فصيح: [السريع]

بريت من حولي ومن قوتي ... بحول من لا حول إلا له

وثقت بالخالق فهو الذي ... يدبر العبد وأفعاله." (١)

"كم غير الدهر من حال فقلبها ... وحال إخلاصه ممتدة الطنب

سامي المكانة معروف تقدمه ... وقدره في ذوي الأقدار والرتب

أكرم به من سجايا كان يحملها ... وكلها حسن تنبيك عن حسب

ما كان إلا من الناس الألى درجوا ... عقلا وحلما وجودا هامي السحب

أمسى ضجيع الثرى في جنب بلقعة ... لكن محامده تبقى على الحقب

ليست صبابة نفسي بعده عجبا ... وإنما صبرها من أعجب العجب

أجاب دمعي إذ نادى النعي به ... لو غير منعاه نادى الدمع لم يجب

ما أغفل المرء عما قد أريد به ... في كل يوم تناديه الردى اقترب

يا ويح نفسي أنفاس «١» مضت هدرا ... بين البطالة والتسويف واللعب

ظننت أني بالأيام ذو هزء ... غلطت بل كانت الأيام تهزأ بي

أشكو إلى الله فقري من معاملة ... لله أنجو بها في موقف العطب

ما المال إلا من الله فأفلح من «٢» ... جاء القيامة ذا مال وذا نشب

اسمع «٣» أبا بكر الأرضى نداء أخ ... باك عليك مدى الأيام مكتئب

أهلا بقدمتك الميمون ظاهرها ... على محل الرضى والسهل والرحب

نم في الكرامة فالأسباب وافرة ... وربما نيلت الحسنى بلا سبب

لله لله والآجال قاطعة ... ما بيننا من خطابات ومن خطب

ومن فرائد آداب يحبرها ... فيودع الشهب أفلاكا من الكتب

أما الحياة فقد مليت مدتها ... فعوض الله منها خير منقلب

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٥٨/٣

لولا قواطع لي أشراكها نصبت ... لزرت قبرك لا أشكو من النصب

وقل ما شفيت نفس بزورة من ... حل البقيع ولكن جهد ذي أرب

يا نخبة ضمها ترب ولا عجب ... إن التراب قديما مدفن النخب

كيف السبيل إلى اللقيا وقد ضربوا ... بيني وبينك ما بقي من الحجب؟

عليك مني سلام الله يتبعه ... حسن الثناء «٤» وما حييت من كثب." (١)

"ويا لوعتي سيري إليه برقعتي ... وقصي شجونا من حديثي هنالك

حديث «١» الأشجان شجون، ووجوه القراطيس به كوجوه الأيام جون، فارعني «٢» سمعك أبثك بثي واكتئابي، وأعرني «٣» نظرة في كتابي؛ لتعلم ما بي، فعندي ضرب الأسى جناية «٤» ، وعلى وردي أطال باغي الأسى حماية «٥» ، وعبرتي أبكت من القطر سجامه، وزفرتي أذكت من الجمر ضرامه، ومني تعلمت ذات الهديل كيف تنوح، وعني أخذت ذات الحسن «٦» كيف تغدو والهة وتروح، فما مذعورة راعها القناص، وعلق بواحدها حبل الجهالة «٧» فأعوزه الخلاص، فهي تتلفت إليه والمخافة خلفها وأمامها، وتتلهف عليه فتكاد تواقع فيه حمامها، بأخفق ضلوعا، وأشفق روعا، وأضيق مجالا، وأوسع أوجالا، وأشغل بالا، وأشعل بلبالا، بل ما طلاها، وقد رآها، ترمي «٨» طلاها، فوقف «٩» حتى كاد يشركها في الحين، ويحصل من الشرك تحت جناحين. ثم أفلت وهو يشك في الإفلات، ويشكو وحدته في الفلوات «١٠» ، بأرهب نفسا، وأجنب أنسا، وألهب حشا، وأغلب توحشا، وأضيع بالمومات، وأضرع لغير الأمات، مني وقد وافى النبأ العظيم، ونثر الهدى بكف الردى شمله ١»

النظيم، وأصبح يعقوب الأحزان وهو كظيم. وقيل: أصيبت الدنيا بحبشتها «١٢» وحسنها، والديانة بمحسنها وأبي حسنها، فحق على القلوب انفطارها، وعلى العيون أن تهمي قطارها، وعلى الصبر أن يمزق جلبابه، وعلى الصدر أن يغلق في وجه السلو بابه.

أنعي «١٣» الجليل السعي، ورزية الجميل السجية، ووفاة الكريم الصفات، وفقد الصميم المجد، وذهاب السمح الوهاب، وقبض روحاني الأرض، وانعدام معنى الناس، وانهدام مغشى «١٤» الإيناس، وانكساف «١٥» شمس العلم، وانتساف قدس الحلم. يا له حادثا، جمع قديما من الكروب وحادثا، ومصابا جرع أوصابا، وأضحى." (٢)

"الواصف، ولأقل مما احتوى عليه هذا الفتح تهتز المعاطف، إذ الإيمان اهتز إعطافا، وتوشح به عطافا. وهل الكتب وإن طال، نبذة من نبذ الفتوح، وفلذة من كبد النصر الممنوح، وزهرة من غصن الندى المروح، أدنينا لإخائكم الكريم منه اقتطافا، والسلام.

شعره: [البسيط]

ما لي وللصبر عني دونكم حجبا ... وطالما هزني أنسي لكم طربا

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١٦٩/٣

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢٥٠/٤

فحين شب النوى في أضلعي لهبا ... هززت سيف اصطباري بعدكم فنبا

وقلت للقلب يسلو بعدكم فأبى

غبتم فغاب لذيذ الأنس والوسن ... وخانني جلدي فيكم فأرقني

ذكرى ليالينا في غفلة الزمن ... فارقتموني وطيب العيش فارقني

وصرت من بعدكم حيران مكتئبا

من لي بقربكم في حفظ عهدكم ... فكم ظفرت به أيام ودكم

وكم جرى دمع أجفاني لفقدكم ... فلو بكيت دما من بعدكم

لم أقض من حق ذاك القرب ما وجبا

لله أيامنا ما كان أجملها ... أعزت «١» بآخرها شكرا وأولها

من حسنها لم أزل أصبو بها ولها ... يا صاح، صبرا على الأيام إن لها

على تصاريفها من أمرها عجبا

صبرا على زمن يبديك شيمته ... اقبل مساءته واحمد مسرته

فما عسى يبلغ الإنسان منيته ... ومن كرهت ومن أحببت صحبته

لا بد أن يفقد الإنسان من صحبا

قلت «٢» : عجبا من الشيخ ابن الخطيب، رحمه الله، في ذكره هذا المترجم به في ترجمة المقرئين، مع تحليته له، ووصفه إياه بما وصفه من الكتابة والشعر، بل وإثباته له كتابته، وشعره، فكان حقه أن يكون في ترجمة الكتاب والشعراء بعد هذه الترجمة.." (١)

"يا نفس مالك تهوين الإقامة في ... أرض تعذر كل من مناك بها

أما تلوت وعجز المرء منقصة ... في محكم الوحي " فامشوا في مناكبها "

قال فقضينا العجب من هذا الاتفاق الغريب.

وقلت ووجدت أنا بخط الفقيه الأديب البارع أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الأستاذ الشهير أبي القاسم بن جزي قطعة له وهي وافر

ومعسول اللمى عادت عذابا ... على قلبي ثناياه العذاب

وقد كتب العذار بوجنتيه ... كتابا حظ قارئه اكتئاب

وقالوا لو سلوت، فقلت خيرا ... وأني لي، وقد سبق الكتاب

ثم كتب بعدها ما معناه أني عرضتها على شيخنا أبي القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة، فقال لي قد نظمت هذا المعنى في العروض والقافية في هذه الأيام اليسيرة، وأنشدني وافر؟ وأحور زان خديه عذار سبى الألباب منظره العجاب

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣٤٦/٤

أقول لهم وقد عابوا غرامي ... به إذ لج للدمع انسكاب

أبعد كتاب عارضه يرجى ... خلاص لي، وقد سبق الكتاب

وهذا غريب.

؟؟ إفادة

الاسم المعدول في كل العرب

قال لنا الشيخ الفقيه الأستاذ القاضي أبو عبد الله المقري رحمه الله إن أهل المنطق وغيرهم يزعمون أن الأسماء المعدولة لا تكاد توجد في كلام العرب، وهي موجودة في القرآن، وذلك قوله تعالى " لا فارض ولا بكر "، قال فإن زعم زاعم أن ذلك على حذف المبتدأ ودخلت لا على الجملة، وتقديره لا هي فارض ولا هي بكر، قيل له إن كان يسوغ لك ذلك في هذا الموضع فلا يسوغ في قوله تعال " لا شرقية ولا غربية " فصح أن الاسم المعدول موجود في فصيح كلام العرب.

إنشادة

للترجمان من سماع

ابن بقي في النوم

أنشدني الفقيه الفاضل أبو عبد الله محمد بن سعد بن بقي، قال سمعت في جمادي الأولى عام ستة وخمسين وسبعمائة، ذات ليلة في النوم رجلا يعرف بالترجمان ينشد هذين البيتين، ولم أسمعهما قط، وهما مخلع البسيط.

يا صاحبي قفا المطايا ... وأشفقا فالعبد عبده

إذا انتهى وانقضى زمان ... هل يرسل الله من يرده؟

إفادة

تصحيف أقوال

حدثني الأستاذ القاضي أبو عبد الله المقري قال كان أبو زيد بن الإمام يصحف قول الخونجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها فيقول والمفارقات قال ولعله في هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للأصمعي لما قرأ عليه مجزؤ الكامل

وغررتني وزعمت أنك ... لابن بالضيف تامر

فقال

وغررتني وزعمت أنك ... لا تني بالضيف تامر

فقال أنت في تصحيفك أشعر من الحطيئة.

قلت وكذلك كان شيخنا القاضي يصحف قول ابن مالك في خطبة التسهيل ويعترف العارفون برشد المقرئ بتحصيله فكان يقول يرشد المقرئ بتحصيله ثم رجع عنه حين قرأناه عليه.

إنشادة

لأبي جعفر بن عبد العظيم

أنشدني الفقيه الأديب أبو جعفر بن عبد العظيم لنفسه متقارب

أيا باسطا للأماني اتئد ... فما يعرف البسط إلا بقبض

أتنصب للحال مستأمنا ... وصرف الزمان برفع وخفض

وتطمع في أمل كاذب ... وقد نابك الدهر من غير عض

خذ البعض واقنع فإن الجمي؟ ... ع للأخذ تصحيف مقلوب بعض

؟ إفادة؟ وضع الجملة الاسمية موضع الفعلية في آيات قرآنية حكى لنا الأستاذ الشهير أبو سعيد بن لب أبقاه الله أن الفارسي قال وجدت في القرآن من وضع الجملة الاسمية موضع الفعلية قوله تعالى " أعنده علم الغيب فهو يرى ".

فقوله فهو يرى جملة اسمية في موضع فعلية.

وقال ابن جني وجدت أنا موضعا آخر، قوله تعالى " أم عندهم الغيب فهم يكتبون " وقال أبو الحسن الأبهري وجدت أنا موضعا آخر قوله تعالى " سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ".

وقال الأستاذ أبو سعيد وجدت أنا موضعا آخر، قوله تعالى " أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ".

قلت ووجدت أنا موضعا آخر، قوله تعالى " أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ". على أني وجدت بعد هذا لأبي علي الفارسي في التذكرة موضعا آخر، قوله تعالى " هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء ".." (١)

"وبإسناده عن مفضل بن يونس قال كان ربيع بن راشد يخرج إلى الجبان فيقيم سائر نهاره ثم يرجع مكتئبا ثم يرجع فيقول أهله أين كنت فيقول كنت في المقابر نظرت إلى قوم منعوا ما نحن فيه ثم يبكي.

وبإسناده عن الحسن قال دخلت أنا وصفوان المقابر فقنع رأسه ثم لم يزل يذكر الله تعالى حتى خرجنا من المقابر فقلت له في ذلك فقال إني قد ذكرتهم وما حضر عليهم من ذلك ونحن في المهلة فأحببت أن أقدم لذلك شيئا من عمل قال الحسن أحب والله أن يكون لي في كل خير نصيب.

وبإسناده عن الفضل الرقاشي أنه كان يقول في كلامه إذا ذكر أهل القبور لا لها من وجوه حيل بينها وبين السجود لله عز وجل لو يجدون إلى العمل مخلصا بعد المعرفة بحسن الثواب لكانوا إلى ذلك سراعا ثم يبكي ويقول يا إخوتاه فأنتم اليوم قد خلي بينكم وبين ما عليه ترجون إليه فكاك رقابكم ألا فبادروا الموت وانقطاع أعمالكم فإن أحدكم لا يدري متى يخترمه ليلا أو نهارا.

وبإسناده عن صفوان بن سليم أنه كان في جنازة في نفر من العباد فلما صلي عليها قال صفوان أما هذا قد انقطعت عنه أعماله واحتاج إلى دعاء من خلف بعده فأبكى القوم جميعا.

وقال أبو وهب محمد بن مزاحم قال قام رجل إلى ابن المبارك في جنازة فسأله عن شيء فقال له يا هذا سبح فإن صاحب السرير منع التسبيح.

"و"كان عمرو بن عيينة يخرج بالليل إلى المقابر ويقول يا أهل القبور طويت الصحف ورفعت الأعمال ثم يصلي حتى يصبح

---

(١) الإفادات والإنشادات الشاطبي، إبراهيم بن موسى ص/٨

ثم يرجع إلى أهله.

ورئي بعض الموتى في المنام فقال ما عندكم أكثر من الغفلة وما عندنا أكثر من الحسرة.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن يزيد بن نعامة قال هلكت جارية في الطاعون فلقيها أبوها بعد موتها في المنام فقال لها يا بنية أخبرني عن الآخرة فقالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة في عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها.." (١)

"تهيج منازل الأموات وجدا ... ويحدث عن رؤيتها اكتئاب

منازل لا تجيبك حين تدعو ... وعز عليك أنك لا تجاب

وكيف يجيب من تدعوه ميتا ... تضمنت الجنادل والتراب

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ... لقاؤك لا يرجى وأنت قريب

تزيد بلى في كل يوم وليلة ... وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

وروى أبو نعيم بإسناد له أن داود الطائي اجتاز على مقبرة وامرأة عند قبر تقول هذين البيتين فسمعها فكان ذلك سبب توبته يعني سبب انقطاعه عن الدنيا وأسبابها وانشغاله بالآخرة والاستعداد لها.

وسمع بكر العابد امرأة عند قبر تقولك واعمراه ليت شعري بأي خديك بدأ البلى وأي عينيك سالت قبل الأخرى فخر بكر مغشيا عليه أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب "ذكر الموت".

وروى في كتاب الخائفين عن محمد بن الحسين عن عبد الله بن موسى قال: كان الحسن بن صالح إذا صعد المنارة يعني ليؤذن أشرف على المقابر فإذا نظر إلى الشمس تمور على القبور صرخ حتى يسقط مغشيا عليه فيحمل وينزل به.

وشهد يوما جنازة فلما قرب الميت ليدفن نظر إلى اللحد فارتاع عرقا ثم مال فغشي عليه فحمل على سرير الميت فرد إلى منزله.

وذكر بإسناده عن عيسى بن يونس وذكر الحسين بن صالح فقال: قل ما كنت أجيء في وقت صلاة إلا رأيته مغشيا عليه ينظر إلى المقبرة فيصرخ ويغشى عليه.

وبإسناده عن عمر بن درهم القريعي دخل المقابر وهو معصوب العين وابنه يقوده فوطئ على قبره فقال: يا بني أين أنا.

وروى في الكتاب القبور بإسناد له أن امرأة بالمدينة كانت تزهو فدخلت يوما المقابر فرأت جمجمة فصرخت ثم رجعت منيبة فدخل عليها نساؤها فقلن: ما هذا؟ فقالك بكى قلبي لذكر الموت لما رأيت جماجم أموات القبور ثم قالت: اخرجن من عندي فلا تأتين منكن امرأة إلا امرأة ترغب في خدمة الله – عز وجل – ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت.

وبإسناده عن عيسى الخواص أن رجلا من الصدر الأول دخل المقابر فمر بجمجمة بادية من بعض القبور فحزن حزنا شديدا ثم واراها ثم التفت فلم ير إلا القبور،." (٢)

---

(١) أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ابن رجب الحنبلي ص/٣٨

(٢) أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ابن رجب الحنبلي ص/١٤٢

"[مقدمة مؤلف الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم قال الرئيس الفقيه (١) النحوي (٢) الراوية المسند الحافظ، فارس النظم والنثر، أبو الوليد إسماعيل بن الرئيس أبي الحجاج يوسف بن السلطان أمير المسلمين القائم بإذن الله (٣) أبي عبد الله بن علم الأمراء ووالد الكبراء، الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن الأمير أبي الوليد إسماعيل بن الأمير أبي الحجاج يوسف الشهير بالأحمر، ابن السلطان أمير المؤمنين المنصور بالله أبي بكر محمد ابن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن محمد بن محمد (٤) بن نصر (٥) بن علي بن يحيى بن سعد بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، رضي الله عنه بمنه وكرمه:

[أحمد الله تعالى الذي] (٦) جعل مورد الآداب لدى البث **والاكتئاب** (٧)

(١ و ٢) سقط من نسخة الرباط عدد من ألقاب المؤلف العلمية بسبب تآكل النسخة، وتقدر بنحو ٦ كلمات.

(٣) لقبه في نثير الفرائد بالقائم بأمر الله (ص ٢١٥).

(٤) (محمد) زيادة عما أورده في نثير الفرائد.

(٥) في نثير الفرائد: نصير، ولعلها من تصحيف النساخ.

(٦) ما بين معقوفتين غير ظاهر تماما في نسخة الرباط.

(٧) تآكل من الأصل بمقدار كلمات تقريبا.." (١)

"[١٢١/أ] وأخبرني-رحمه الله تعالى-أنه اجتمع ببلده تازا مع الفقيه ابن الملون وعبد الحق الزيات في بستان لنزهة فتذاكروا أمر رجل من أهل تازا يتشبه بالفقيه الأستاذ المقرىء أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي (١) في قراءته وملبسه وعمته. فأنشد أحد الرجلين على لسان المتشبه:

أنا الزواوي وهذا مكتبي ... لحرفة التعليم والتأدب

لا أمنع التعليم من يرغبه ... وأجدر العلم الذي لم يرغب!

عندي-فديت-لحية طويلة ... سوداء تحكي ليلة **المكتئب**

وشارب يجري لعابي تحته ... كالماء يبدو من خلال الطحلب

وحاجبان أكحلان اقترنا ... خلتهما بعض حواشي الحجب!

وعمة كبيرة هائلة ... كهالة قد أحدقت بكوكب

يقول بعض الناس فيها أصطب (٢) ... والله ما في عمتي من أصطب

وطيلسان حسن خلفه ... من بعده بعض قضاة المغرب

ودرة كذنب السرحان في ... طول، وفي عرض، وفي تقلب

تلحق سوطي من غدا مقتربا ... وتلحق الكرة من لم يقرب

---

(١) أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ابن الأحمر ص/١٩

لا غضب يميل بي ولا رضى ... إني لممزوج الرضى بالغضب!

وزاد عليها صاحبنا أبو عبد الله هذا–وما أحسن زيادته–:

وفي الرقا عندي كلام عجب ... نقلت ذاك من صحيح الكتب

---

(١) المقرىء الشهير في زمانه أبو العباس الزواوي. ذكره ابن خلدون في شيوخه وقال فيه «إمام المقرئين بالمغرب» انظر التعريف ٢٠، ونفح الطيب ٦:١٧٢.

(٢) الأصطبة: مشاقة الكتان.." (١)

"ألمم بفاس ولا تسمع لقائلهم ... «سيف المنار كساها ثوب **مكتئب»**

أما ترى الشمس راقت تحت كاتبها ... و «السيف أصدق أنباء من الكتب»؟

يقول: كما أن الشمس لا يضرها كونها تحت الكاتب، كذلك فاس لا يضرها كونها تحت السيف بل هي أحق بذلك لكون السيف أشرف من قلم الكاتب بدليل قول حبيب:

«السيف أصدق أنباء من الكتب»

[أحمد بن محمد الأنصاري الخزرجي المعروف بالدباغ]

وأنشدني فيه صاحبنا الفقيه الكاتب أبو العباس أحمد بن محمد الأنصاري الخزرجي المعروف بالدباغ لنفسه–شاعر ابن عمنا الرئيس أبي الوليد إسماعيل–رحمه الله تعالى–:

سيف إدريس بالمنار بفاس ... ليس للغم لا ولا للمخافه

إنما كان وضعه السيف فيها ... معلما أنها مقر الخلافه!

[١٢٩/أ]

وهذا معنى حسن، إلا أن نسبة وضع السيف لإدريس ليس كذلك، (إنما وضعه) (١) الأمير أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبي سعيد الزناتي المذكور (٢).

[أبو الوليد إسماعيل بن الأمير أبي سعيد فرج الشهير بالأحمر]

وأنشدني فيه ابن عمنا الرئيس أبو الوليد إسماعيل بن الأمير أبي سعيد فرج بن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن جدنا الرئيس الأمير أبي سعيد فرج بن جدنا الأمير أبي الوليد إسماعيل بن جدنا الامير أبي الحجاج يوسف

---

(١) أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ابن الأحمر ص/٤٣٣

(١) لم تظهر في «م».

(٢) زاد في صفحة ٤٥٢ «أبا بكر» بين أحمد وأبي سعيد.." (١)

"عوارض الغير والغرر، وأصار أيامه محسنة لوجوه الأيام كالغرر.

ورد الكتاب الذي أنعم بإرساله، بل المشرف الذي كسته اليد العالية حلة من حلل جماله، فوقف عليه وفهمه وتذكر به إحسانه الذي لا ينساه، وتفضله الذي لا يعرف سواه، فأما التعزية بفلان، فإنه رد بعذب لفظها قوته، وبل بماء حسنها غلته، وصبره على حادثته بفلان بعد أن عز عليه العزاء وأعوزه، وطلب وعده من صبره فما أنجزه، لأنه كان وجد لموت المذكور حزنا ما استطاع له تركا، وفقد لموته خلا مثله يناح عليه ويبكى، وفي بقاء مولانا مسرة تطرد كل حزن، وفي بهاء طلعته عوض عن كل منظر حسن، جعله الله ساميا على أترابه، مقدما على أضرابه، ما سمت الأسماء على الأفعال، وتقدم الحال على الاستقبال.

آخر: ضاعف الله بقاءه وأطال عمره، وشرح لإسداء المكارم صدره، وأنفذ نهيه وأمره، ولا زال إلى أوليائه محسنا، وفضله يحصل لمحبيه غاية السول والمنى، ورد مشرفه المعزي بوفاة فلان سقى الله عهده عهاد رضوانه، وأسكنه في غرف غفرانه، فجبر مصابا، وفتح إلى الصبر أبوابا، وهدى إلى طريق الخير وقال صوابا، وسكن نفسه، وذكره إحسانه الذي لم ينسه، وأزال الوحشة وزاد أنسه، بعد أن كان فقد المذكور قد هد ركنه وفت عضده، وأوصله إلى أمد الحزن وضاعف على الأيام أمده، وألبسه رداء **الاكتئاب**، على تربه الذي أصبح تحت التراب، وصديقه الموصوف بالصدق، الذي فاق سناه ذلك الأفق، جعله الله أصلا في تحصيل المسرة إذا ذوت الفروع، وسيفا يقهر به وليه الحوادث التي تروع، إن شاء الله تعالى.

آخر: جعل الله أجره عظيما كقدره، والقلوب مجمعة على حبه كإجماع الألسنة على شكره.

المملوك يعلمه بورود كتابه الكريم المعزي بفلان- قدس الله روحه، وأمطر سحائب الرحمة ضريحه- عليه، وعنده من شديد الحزن، ما أعدمه لذيذ." (٢)

"الوسن، ومن زائد **الاكتئاب**، ما كاد يحرمه التقمص بثوب الثواب، بحيث إنه عوض بالزمن الأسود عن العيش الأخضر، وذاق من موجب لبس الأبيض طعم الموت الأحمر، وأنه ضمه إليه ضم المحبوب، وابتهج به ابتهاج من ظفر بغاية السول والمطلوب، فأغمدت الكآبة خوفا من قلمه سيفها، وأزالت الدنيا الدنية عنه حيفها، وعزى نفسه وسلاها، وشغله إحسانه عن محاسن محا الموت سناها، فرفض من توجعه ما فرضته حادثته، وسلك منهجا غير المنهج الذي فتتت فيه حشاه ومهجته، فالله تعالى يكفينا ما نحاذره في المجلس ويحرس سناه، ويديم سعده وعلاه.

النوع الثالث (من مقاصد المكاتبات التهادي والملاطفة)

قال في «مواد البيان» : رقاع التهادي يجب أن تودع من الألفاظ المستحسنة ما يمهد لقبول الملاطفة والمبرة التي تتميز في المودة. قال: وينبغي أن يطرف الكاتب إذا كان مهديا أو مستهديا، وقد جرت العادة أن تودع هذه الرقاع من أوصاف

---

(١) أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ابن الأحمر ص/٤٥٥

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٩/١٠٠

الشيء المهدى ما يحسنه في نفس المهدى إليه. قال:

وينبغي لمن ذهب هذا المذهب أن لا يعتمد تفخيم هديته، ولا الإشارة إلى جلالة خطرها، فإن ذلك يخل بشروط المروءة ويتحاماه الكرماء.

ثم هي على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول (ما يكتب مع التقادم إلى الملوك من أهل مملكتهم إلى القائمين بإيصال التقدمة إلى الملك وكاتب السر ونحوهما)

الشيخ جمال الدين بن «١» نباته: إلى كاتب «٢» السر بالأبواب السلطانية." (١)

"وهنا انتهى تعداد المراتب. ولا يخفى عليك أن الأجزاء الثلاثة والثمانين التي قدمنا أنها جملة التفاعيل الموزون بها إنما يأتي تعديدها كذلك باعتبار ما طرأ من التغييرات التي أسلفناها مع قطع النظر عن الاشتباه وعدمه، فإن رمت ضبطها بغير تكرار فاعلم أنها ثلاثة وأربعون جزأ ليس إلا، وهو الأصول العشرة والتسعة عشر فرعا التي لا تشتبه بغيرها، وأجزاء المرتبة الأولى وهي سبعة، وأجزاء المرتبة الثانية مفاعلين ومتفعلن وفاعلات، والجزء الثاني من المرتبة الثالثة وهي فعلن المتحركة بالعين، وجزآن من المرتبة الرابعة وهما فعلن الساكن العين ومفاعلن، وجزء المرتبة الخامسة وهو مفعولن.

فإذا أراد عروضي أن يزن شيئا من الشعر العربي لم يخرج عن هذه الثلاثة زالأربعين جزءا، ولا يمكنه إلا الإيتان ببعضها عند التفعيل فتأمل ذلك والله تعالى أعلم بالصواب.

ولنختم الكلام في فن العروض بفصل ذكره ابن برى التازي في شرحه لعروض ابن السقاط فنورده برمته لاشتماله على فوائد لا بأس بالإحاطة بها علما. قال: وقد تجافى بعض المتعسفين عن هذا العلم ووضعوا منه واعتقدوا أن لا جدوى له واحتجوا بأن صانع الشعر إن كان مطبوعا على الوزن فلا حاجة له بالعروض كما لم يحتج إليه من سبق الخليل من العرب وإن كان غير مطبوع فلا يتأتى له نظم العروض إلا بتكلف ومشقة، كما قال أبو فراس الحمداني:

تناهض الناس للمعالى ... لما رأوا نحوها نهوضي

تكلفوا المكرمات كدا ... تكلف النظم بالعروض

ولأن بعض كبراء الشعراء لم يقف عندما حده الخليل وحصره من الأعاريض بل تجاوزها. ولما قال العتاهية أبياته التي أولها:

عتب ما للخيال ... خبريني ومالي

قيل له إنك خرجت عن العروض فقال أنا سبقت العروض. ولأنه يخرج بديع الألفاظ ورائق السبك إلى الاستبراد والركاكة، وذلك حالة التقطيع والتفعيل، وربما أوقع المرء في مهوى الزلل ومقام الخجل بما يتحول إليه ضوغ البنية من منكر الكلام وشنيع الفحش، كما جرى في مداعبة أبي نواس وعنان جارية الناطفي حين قالت إن كنت تحسن النظر في العروض فقطع هذا البيت:

حولوا عنا كنيستكم ... يا بني حمالة الحطب

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٠١/٩

فقطعه فضحكت منه، وفعل بها مثل ذلك في تقطيع قوله:

أكلت الخردل الشامي ... في صفحة خباز

وقد صرح الجاحظ وهو من علماء اللسان بذم علم العروض فقال: هو علم مولد وأدب مستبرد ومذهب مرذول يستنكد العقول بمستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول. والجواب أن الحق الذي به كل منصف أن لهذا العلم شرفا على ما سواه من علوم الشعر لصحة أساسه واطراد قياسه ونبل صنعته ووضوح أدلته. وجدواه حصر أصول الأوزان ومعرفة ما يعتريها من الزيادة والنقصان وتبيين ما يجوزمنها على حسن أو قبح وما يمتنع، وتفقد محال المعاقبة والمراقبة والخرم والخزم وغير ذلك مما لا يتزن على اللسان ولا تتفطن إليه الفطر والأذهان، فالجاهل بهذا العلم قد يظن البيت من الشعر صحيح الوزن سليما من العيب وليس كذلك، وقد يعتقد الزحاف السائغ كسرا وليس به كقوله:

قلت استجيبي فلما لم تجب ... سالت دموعي على ردائي

وقول الآخر:

عيناك دمعها سجال ... كأن شأنيهما أوشال

وقول الآخر:

النشر مسك والوجوه دنا ... نير وأطراف الأكف عنم

وقول الآخر: شمنازل عفا هن بذي الأرا_ك كل وابل مبل هطل وقول الآخر:

صرمتك أسماء بعد وصالها ... فأصبحت مكتئبا حزينا

فهذه أبيات كلها صحيحة الوزن سائغة مستعملة عند العرب مع أن الطبع ينبو عنها، ولا يدرك جوازها إلا من نظر في هذا العلم. وهل علم العروض للشعر إلا بمثابة علم الإعراب للكلام؟ فكما أن صنعة النحو وضعت ليعافى بها اللسان من فضيحة اللحن فكذلك علم العروض وضع ليعافى به الشعر من خلل الوزن، فلولاه لاختلطت الأوزان واختلفت الألحان وانحرفت الطباع عن الصواب انحراف الألسنة عن الإعراب. وقد وقع الخلل في شعر العرب كثيرا، وأنشد الأصمعي وأبو عبيدة وابن دريد وابن قتيبة وغيرهم من كبار الأئمة بيت عبيد بن الأبرص هكذا مكسورا:

هي الخمر تكنى الطلا ... كما الذئب يكنى أبا جعده

ووقع في شعر علقمة قوله في فكه أخاه شأسا:." (١)

"ومن لطائف مجونه قوله:

قال لي الواسع صف لي ... مثل ما أعرف وصفك

أين باب الخرق قل لي ... قلت باب الخرق خلفك

ومن غرائب النكت قوله:

أبيات شعرك كالقصو ... ر ولا قصور بها يعيق

(١) العيون الغامزة على خبايا الرامزة البَدْر الدَّمَامِيني ص/٧٩

ومن العجائب لفظها ... حر ومعناها رقيق١

ومن بديع اختراعاته قوله:

قالوا قد احترقت بالنار راحته ... وهي الغمام ومنها الوابل الغدق٢

وقال قوم وما ضلوا وما وهموا ... بأنها النيل قلت النيل يحترق

ومن غريب نكته قوله:

بخالد الأشواق يحيي الدجى ... يعرف هذا العاشق الوامق٣

فخذ حديث الوجد عن جعفر ... من دمع عيني إنه الصادق

ومن بديع تغزله قوله:

يا مالكي ولديك ذلي شافعي ... ما لي سألت فما أجبت سؤالي

فوخدك النعمان إن بليتي ... وشكايتي من جفنك الغزال٤

ومن بديع غزله قوله:

أقول لمن جفنه سيفه ... ولكنه ليس يخشى نبوه٥

تكلف جفنك حمل الفتور ... وأخرج فيه من الضعف قوة

ومن نكته الغريبة قوله:

قلت لسقم الجسم متى وقد ... أفرط بي فرط ضنى واكتئاب

فعلت بي يا سقم ما لم يكن ... تلبس والله عليه الثياب

---

١ الرقيق: العبد، أو من الرقة.

٢ الوابل الغدق: المطر الغزيل.

٣ الوامق: المحب.

٤ النعمان: شقائق النعمان والنعمان بن المنذر الملك. الغزال: والغزالي الفيلسوف.

٥ نبوه: من نبا السيف إذا أخطأ، والسهم طاش ولم يصب.." (١)

"وكان خروج أهل الإسكندرية من الأبواب من أعجب العجاب وذلك لازدحامهم. وهلاك بعضهم من قوة الزحمة. وفي ذلك الوقت نزعت من قلوبهم الرحمة فخرج من الأبواب ألوف مؤلفة بتوحيد الله معترفة فامتلأت منهم الغيطان والبلدان ونهب بعضهم العربان وغلا السعر بينهم ما جلبته الباعة إليهم من البلدان فباعوا الغالي بالرخيص وصار كل منهم على تحصيل القوت حريص ولا أمكنهم ترك القوت لزيادة الغلاء ولا رجعوا إلى قول الشاعر في بيته السائر بين الملأ وهو: وإذا غلا شيء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا ثم إنه لما حصل الغلاء بين أهل الإسكندرية الذين فروا من الملة

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٦٣/٢

النصرانية ومنهم من باع ما عليه من فوطة وفاضل قميص ومنهم من باع ما يتدفأ به من جبة وفرو مصيص وذلك لخروجهم من بلدهم سرعة وليسمع بعضهم بعضهم درهم ولا قطعة بل تركوا ديارهم مغلقة الأبواب كسرتها ورتعت فيها الإفرنج الكلاب فنهبتها من الحوانيت والفنادق. وحملت ما فيها على الجمال والبغال والحمير والأيانق ثم قتلوا من اختفي عند مصادفتها له من كبير وصغير وعرقبوا المواشي فمنهم هالك وكسير. ثم إنهم أحرقوا القياسر والخانات وأفسدوا النسوان والبنات وكسر كل علج مارد قناديل الجوامع والمساجد وعلقوا على السور أعلام الصلبان وأسروا الرجال والنساء والولدن وقتلوا كل شيخ عاجز. حتى المجانين والبلهاء والعجائز وضاع للناس في خروجهم من أبواب المدينة ما استخفوا حمله من ذهب ومصاغ للزينة وذلك من قوة الزحمة وطلب النجاة بقوة يتمه فمن الناس من خرج. بمن كان معه ومنهم من ضاع ما معه في تلك الزحمة المفظعة ومنهم من ضاع ماله الذي خرج به بين الأبواب وصار من ضياعه في حسرة **واكتئاب** قيل إن بعض تجار الأعاجم خرج من باب رشيد ومعه جراب فيه ستة آلاف دينار فمن قوة الزحمة في الباب سقط من بين يديه بعد أن كان قابضا عليه فما قدر على الانحناء يأخذه من الأرض من قوة ازدحام الناس بعضهم لبعض بل رفعه من كان خلفه فخرج صحيح البدن من الباب مجروح القلب من ضياع الجراب فتفتت أكباده وعدم نومه ورقاده وصار إلى الجنون انقياده وزال عنه عقله ورشاده وصار يستغيث فلا يغاث ونحل جسمه حتى صارت عظامه كالرفات ثم حصل له بذلك الضرر والبؤس لما أحاطت به العكوس والنحوس فصارت الأحباب تلومه على ضيعة الجراب فأنشد من لوعة **الاكتئاب**: إذا كنت ألقى البؤس عند أحبتي ترى عند أعدائي يكون دوائي." (١)

"خير من رحمة انتهى وقرأ الجمهور ملكوت بفتح اللام وقرأ أبو السماك بسكونها وروي عبد بن حميد والطبري عن عكرمة قال ملكوت السماوات والأرض ملك السماوات والأرض وهي بالنبطية ملكوثا أي بسكون اللام والمثلثة وزيادة ألف وعلى هذا فيحتمل أن تكون الكلمة معربة والأولى ما تقدم وأنها مشتقة من ملك كما ورد مثله في رهبوت وجبروت قوله وإن تعدل تقسط لا يقبل منها في ذلك اليوم وقع هذا في رواية أبي ذر وحده وقد حكاه الطبري واستنكره وفسر أبو عبيدة العدل بالتوبة قال لأن التوبة إنما تنفع في حال الحياة والمشهور ما روى معمر عن قتادة في قوله تعالى وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أي لو جاءت بملء الأرض ذهبا لم يقبل فجعله من العدل بمعنى المثل وهو ظاهر أخرجه عبد الرزاق وغيره قوله أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين يعني هل تشتمل إلا على ذكر أو أنثى فلم تحرمون بعضا وتحلون بعضا كذا وقع لأبي ذر هنا ولغيره في أوائل التفاسير وهو أصوب وهو إردافه على تفاسير بن عباس فقد وصله بن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن بن عباس مثله ووقع عند كثير من الرواة فلم تحرموا ولم تحللوا بغير نون فيهما وحذف النون بغير ناصب ولا جازم لغة وقال الفراء قوله قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين يقول أجاءكم التحريم فيما حرمتم من السائبة والبحيرة والوصيلة والحام من قبل الذكرين أم من الأنثيين فإن قالوا من قبل الذكر لزم تحريم كل ذكر أو من قبل الأنثى فكذلك وإن قالوا من قبل ما اشتمل عليه الرحم لزم تحريم الجميع لأن الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى وقد تقدم في أخبار الجاهلية قول بن عباس إن سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ الثلاثين ومائة من سورة الأنعام يعني الآيات

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ١١٣/٥

المذكورة قوله مسفوحا مهراقا وقع هذا للكشميهني وهو تفسير أبي عبيدة في قوله تعالى أو دما مسفوحا أي مهراقا مصبوبا ومنه قولهم سفح الدمع أي سال قوله صدف أعرض قال أبو عبيدة في قوله تعالى ثم هم يصدفون أي يعرضون يقال صدف عني بوجهه أي أعرض وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله يصدفون أي يعرضون عنها قوله أبلسوا أويسوا كذا للكشميهني ولغيره أيسوا بغير واو قال أبو عبيدة في قوله تعالى فإذا هم مبلسون المبلس الحزين النادم قال رؤبة بن العجاج وفي الوجوه صفرة وإبلاس أي **اكتئاب** وحزن وقال الفراء قوله فإذا هم مبلسون المبلس البائس المنقطع رجاؤه وكذلك يقال للذي يسكت عند انقطاع حجته فلا يجيب قد أبلس قال العجاج يا صاح هل تعرف رسما دارسا قال نعم أعرفه وأبلسا وتفسير المبلس بالحزين وبالبائس متقارب قوله أبسلوا أسلموا قال أبو عبيدة في قوله تعالى أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا أي أسلموا وقوله في الآية الأخرى أن تبسل نفس أي ترتهن وتسلم قال عوف بن الأحوص وإبسالي بني بغير جرم وروى معمر عن قتادة في قوله أن تبسل نفس قال تحبس قال قتادة وقال الحسن أي تسلم أي إلى الهلاك أخرجه عبد الرزاق وقد تقدم لهذه الكلمة تفسير آخر والمعنى متقارب قوله استهوته أضلته هو تفسير قتادة أخرجه عبد الرزاق وقال أبو عبيدة في قوله تعالى كالذي استهوته الشياطين هو الذي تشبه له الشياطين فيتبعها حتى يهوي في الأرض فيضل قوله تمترون تشكون قال أبو عبيدة في قوله تعالى ثم أنتم تمترون أي تشكون وكذا أخرجه الطبري من طريق أسباط." (١)

"المختص كان له اعتناء بالرواية وحصل بعض مسموعاته وكان يذاكر من التاريخ ويعلق فوائد ويطالع كثيرا وخلف أجزاء وجزازات وله مشيخة

٩٦٨ - إسماعيل بن نصر بن بردس ذكره الحافظ أبو الحسين بن أيبك فيمن توفي في السادس والعشرين من المحرم سنة ٧٠١ فقال ودفن بقاسيون سمع من مكي ابن علان ولم يحدث

٩٦٩ - إسماعيل بن هارون الدشناوي نفيس الدين ابن خيطية كان فاضلا حسن النظم فمنه

(قل لظباء الكثب ... رفقا على **المكتئب**)

(رفقا بمن بلي بكم ... شيخا وكهلا وصبي)

ومات في حدود الثلاثين وسبعمائة

٩٧٠ - إسماعيل بن هلال بن إسماعيل التيزيني العقرباني المعروف بابن نحيلة حدث عن الفخر ابن البخاري في سنة ٧٢٤ ذكره ابن رافع في معجم شيوخه

٩٧١ - إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن طاهر بن نصر الله بن جهبل محيي الدين أخو شهاب الدين المقدم ذكره ولد سنة ٦٦٦ وتربى هو وأخوه يتيمين." (٢)

"موت الإمام شهاب الدين قد جزعت ... له العلوم وما يروى من الأثر

وقال ربع علوم الشرع **مكتئبا** ... به درست فما تلقون من أثر

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٢٩٠/٨

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٤٥٦/١

[الكامل] :

إن الحياة ذميمة من بعد ما ... قبض الإمام العسقلاني الشافعي

يا نفس، طيبي بالممات وحافظي ... أن تلحقي هذا الإمام وتابعي

[المجتث] :

بكت سماء وأرض ... عليك يا عسقلاني

لكننا نتسلى ... إذ ما سوى الله فاني

[الكامل] :

الجفن قد حاكى السحاب وناظره ... فأعذر إذا فقد المتيم ناظره

لو أن عاذله رأى ما قد رأى ... لغدا له بعد الملامة عاذره

يا عاذلي، دعني فلي حزن على ... طول المدى لم يلق يوما آخره

ذاب الفؤاد وقد تقطع حسرة ... أسفا على قاضي القضاة النادره

أعني شهاب الدين ذا الفضل الذي ... عن وصفه أفهام مثلي قاصره

العسقلاني [(١)] الذي كانت إلى ... أبوابه تأتي الوفود مهاجره

يا عين، إني ناظم مرثية ... فيه فكوني للمدامع ناثره

لله أياما به ولياليا ... سلفت وكانت بالتواصل زاهره

تالله، لم يأت الزمان بمثله ... أبدا ولم ير مثله من عاصره

شهدت له كل العقول بأنه ... ما مثله هو درة هي فاخره

دانت لفطنته العلوم فلم تزل ... أبدا إليه كل وقت سائره

يا أيها الشعراء، هذا سوقكم ... كانت له تأتي التجار مبادره

واليوم أغلق بابه فلأجل ذا ... أضحت تجارتكم لديكم بائره

كم من حديث قد رواه مسلسلا ... ومدبجا وله معان ظاهره

وكذا غريبا مسندا ومصححا ... جملا وأخبارا غدت متواتره

إني لأعجز أن أعد فضائلا ... فيه وأعجز أن أعد مأثره

كم طالب أقلامه من بعده ... جفت ولم تمسك يداه محابره

[(١)] الرفع أولى ويكون خبر المبتدإ محذوف تقديره هو.." (١)

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ١٢٠/١

"فقال له معاوية: كيف أنت والنساء يا فضالة؟ فقال يا أمير المؤمنين:

لاباه «١» لي إلا المنى، وأخو المنى ... جدير بأن يلحى ابن حرب ويشتما

وفيم تصابى الشيخ والدهر دائب ... بمبراته يلحو عروقا وأعظما

[الطويل] فقال له معاوية: كم أتت لك من سنة يا فضالة؟ قال: عشرون ومائة سنة. قال: فأي الأشياء مر بك منذ كنت بها أسر؟ وأي الأشياء كنت بوقوعه أشد **اكتئابا**؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم يقطع الظهر قطع الولد شيء، ولا دفع البلايا والمصائب مثل إفادة المال.

٧٠٤٢- فضالة بن شريك:

بن سلمان بن خويلد بن سلمة بن عامر الأسدي.

قال أبو الفرج الأصبهاني: مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وابنه عبد الله بن فضالة هو الذي وفد على عبد الله بن الزبير، وله معه قصة، وهو الذي قال: لعن الله ناقة حملتني إليك. فقال له ابن الزبير: إن وراكبها. وقد قيل: إن الوافد على ابن الزبير فضالة نفسه، وقيل: إن القصة كانت بين معن بن أوس وابن الزبير، وإن ابن الزبير لما أن حرمه أرسل إليه عبد الملك برفد فوجدوه قد مات، وأورد له هجاء في عبد الله بن مطيع، وأنشد له أشعارا وأهاجي في ناس من بني سليم، قال: وكان لفضالة ولد يقال له فاتك، وكان جوادا ممدحا، وله يقول الأشتر:

وفد الوفود فكنت أفضل وافد ... يا فاتك بن فضالة بن شريك

[الكامل]

الفاء بعدها النون

٧٠٤٣- فنج «٢» :

بفتح أوله وتشديد النون بعدها جيم، ابن دحرج، ويقال يدجج بجيمين، التميمي.

أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره.

ذكره جعفر المستغفري وغيره في الصحابة. وقال أبو عمر: لا تصح له صحبة، وحديثه مرسل، وروايته عن رجل من الصحابة.

وروى أحمد، عن عبد الرزاق، عن داود بن قيس، عن عبد الله بن وهب بن منبه، عن

---

(١) في المعمرين: ولا قمط لي، تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٩.

(٢) في الاستيعاب: وقد ذكره- بالفاء والتاء والحاء. هكذا ذكره قوم بالتاء والحاء غير المعجمة.." (١)

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ٢٩٧/٥

"ذكرها ابن سعد في المبايعات، وقال: هي التي سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يبايعها لما في بطنها، وكانت حاملا،

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت حرة من الحرائر» .

قال: وأمها أم قيس بنت حرام بن لوذان، وتزوجها حسنة بن صخر بن أمية بن خنساء بن عبيد.

١١٢٩٤- سعدى بنت أوس

الخطمية.

بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وأختاها: كبشة، وليلى. ذكره ابن سعد.

١١٢٩٥- سعدى بنت عمرو

المرية «١» ، زوج طلحة بنت عبيد الله. كذا قال أبو عمر، لكن قال ابن مندة: سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة، وهذا أولى.

روت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن زوجها، وعمر روى عنها ابنها يحيى، وابن ابنها طلحة بن يحيى، ومحمد بن عمران الطلحي.

أخرج حديثها أبو يعلى، من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن يحيى ابن طلحة، عن أمه سعدى المرية، قال: مر عمر بطلحة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو مكتئب، فقال: ما لك؟ أأساءتك امرأة ابن عمك؟ قال: لا، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا كانت نورا في صحيفته، وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت» «٢» .

قال عمر: أنا أعلمها، هي التي أراد تعليمها عمه، ولو علم شيئا أنجى له منها لأمره.

وقد خالف ابن حبان فذكرها في «ثقات التابعين» ، ومن يسمع من عمر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأيام، وهي زوج طلحة، فهي صحابية لا محالة.

١١٢٩٦- سعدى بنت كرز

بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية، خالة عثمان بن عفان أمير المؤمنين.

ذكر أبو سعد النيسابوري في كتاب «شرف المصطفى» ، من طريق محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان، وهو الملقب بالديباج، عن أبيه، عن جده، قال: كان إسلام عثمان أنه قال: كنت بفناء الكعبة إذ أتينا فقيل لنا: إن محمدا قد أنكح عتبة بن أبي لهب رقية ابنته،

---

(١) أسد الغابة ت (٦٩٩١) ، الاستيعاب ت (٣٤٢٤) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٨، ٦٣، وابن حبان في صحيحه حديث رقم ٢ وابن ماجة في السنن ٢/ ١٢٤٧ كتاب الأدب باب ٥٤ فضل لا إله إلا الله حديث رقم ٣٧٩٥، وأبو يعلى في المعجم برقم ٣١٦، ٦٤٢ ح ٢/ ١٤- ١٥، والحاكم في المستدرك ١/ ٧٢، ٣٥١ والهيثمي في الزوائد ١/ ١٨، وكنز العمال حديث رقم ١٤١٧.." (١)

"بالتكبير بن محمد وقيل علي الشمس المنصوري الشافعي الشاعر والد البدر محمد ويعرف بابن كميل. ولد في صفر سنة خمس وسبعين وسبعمائة بالمنصورية قرية قريبة لدمياط ونشأ)

بها فحفظ القرآن والحاوي وغيره وتردد للقاهرة للاشتغال وغيره فتفقه بالبلقيني وابن الملقن والشهاب القلقشندي والزين بن النظام والشهاب الجوجري وأخذ في الفقه والأصول عن بعض هؤلاء بل وعن غيرهم، وتميز وتعانى الأدب ففاق في النظم وولي قضاء بلده مناوبة بينه وبين ابن عم والده الشمس محمد بن خلف بن كميل الآتي واستقل به عن المؤيد لكونه امتدحه بقصيدة تائية طنانة لما رجع من سفره نوروز وأضيف إليه معها سلمون بل زاده شيخنا أيضا منية أبن سلسيل وشكرت سيرته في ذلك كله وكذا امتدح الناصري بن البارزي وغيره من الأعيان التماسا لمساعدتهم والتوجه إليه بعنايتهم بل له قصائد نبوية وغيرها سائرة، واشتهر اسمه وبعد صيته بذلك وكتب الناس عنه من نظمه، وترجمه شيخنا في معجمه ووصفه بالفضل واستحضار الحاوي وقال لقيه بطريق مكة يعني سنة أربع وعشرين وطارحني بنظم منسجم ثم كثر اجتماعنا وسمعت من نظمه كثيرا، ونحوه قوله في أنبائه وكنا نجتمع ونتذاكر في الفنون وقال غيره إنه مدح الملوك والأكابر وكان حافظا للشعر كثير الإستحضار للأبيات والتطلع إليها معدودا من المكثرين في ذلك مع مشاركة في الفقه وغيره وثروة من الزرع والتجارة وكثرة تودد وحلو محاضرة وحشمة وطرح تكلف وممن ترجمه شيخنا في معجمه وأبنائه وابن فهد وكاتبه. مات فجأة في شعبان سنة ثمان وأربعين سقطت منارة جامع سلمون من ريح عاصف على خلوته وهو بها فمات وهو جالس غما تحت الردم رحمه الله وإيانا. ومن نظمه في هاجر:

(هل كاشف كربة **اكتئابي** ... أو راحم ذلتي وعاذر)

(لسوء حظي سقام جسمي ... مواصل والحبيب هاجر)

وقوله:

(لله ثغر حبيب زانه فرم ... ومثله رمت لما أن لثمت فما)

(وحين فوق سهم اللحظ قلت له ... لا ترم قلب محب مشته فرما)

وقوله:

(يقولون بالساقي شغفت محبة ... فقلت لما بالقلب من نبل أحداق)

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ١٧٦/٨

(فكم ليلة بات السرور منادمي ... بطلعته والتفت الساق بالساق)
وقوله:)
(ولما أتى الكذاب دجال وقته ... وقد فتنت ألفاظه كل مسلم)

(فقولوا له إن ابن مريم قد أتى ... وهل يقتل الدجال إلا ابن مريم)
وأوردت في ترجمته من التبر المسبوك والمعجم غير هذا وشعره منتشر فلا نطيل به،." (١)

"وقال المرزباني: حدثني أحمد بن محمد العروضي. قال: حكي عن أبي محلم أنه قال: لما قدمت مكة، لزمت ابن عيينة، فلم أكن أفارق مجلسه، فقال لي يوما: يا فتى، أراك حسن الملازمة والاستماع، ولا أراك تحظى من ذاك بشيء، قلت: وكيف؟ قال: لأني لا أراك تكتب شيئا مما يمر، قلت إني أحفظه، قال: كل ما حدثت به حفظته؟ قلت: نعم، فأخذ دفتر إنسان بين يديه، وقال: أعد علي ما حدثت به اليوم، فأعدته فما خرمت منه حرفا، فأخذ مجلسا آخر من مجلسه فأمررته عليه، فقال: حدثنا الزهري، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: يقال: إنه يولد في كل سبعين سنة من يحفظ كل شيء، قال: وضرب بيده على جنبي، وقال: أراك صاحب السبعين.

قال محمد بن إسحاق النديم: أبو محلم اسمه محمد بن سعد، ويقال: ابن هشام بن عوف، وكان يتسمى محمدا وأحمد، أعرابي، أعلم الناس بالشعر واللغة، وكان شاعرا يهاجي أحمد ابن إبراهيم الكاتب، وشعر أبي محلم دون شعر أحمد بن إبراهيم.

وقال ابن السكيت: أصل أبي محلم من الفرس، ومولده بفارس، وإنما انتسب إلى بني سعد.

وله من الكتب: كتاب الأنوار، كتاب الخيل، كتاب خلق الإنسان.

ولد سنة حج المنصور، ومات سنة خمس وأربعين، وقيل ثمان وأربعين ومائتين.

وهو القائل:
(إني أجل ثرى حللت به ... من أن أرى بسراه مكتئبا)

(ما غاض دمعي عند نازلة ... إلا جعلتك للبكا سببا)

(فإذا ذكرتك سامحتك به ... مني الجفون ففاض وانسكبا)." (٢)

"أذود الهوى عني وقلبي يطيعه ... فما حيلتي يا جمل والقلب خاذلي
وأحمل في حبيك ما لا أطيقه ... وما فزت يوما في رضاك بطائل
ومن حكمت فيه الغواني فانه ... جدير بحكم جائر غير عادل

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢٩/٧

(٢) بغية الوعاة السيوطي ٢٥٨/١

ومن ثأره عند الذوائب والطلى ... فلا يرتجي نصر الظبا والذوابل

ومن راح في أسر اللواحظ لم يزل ... طليق جفون بالدموع الهوامل

ولا تحسبي يا جمل أني عاشق ... يزول غرامي فيكم بالتواصل

ولكنني أزداد بالقرب والنوى ... هياما وداء الحب ليس بزائل

حرام على قلبي السلو لأنني ... أراه بعيدا عن يد المتناول

وبيت كثير قل من يهتدي به ... وغير عجيب أن يفوه بباطل [١]

أيعشق من ملك الهوى رق عاشق ... مشاع لأدواء الغرام القواتل

لسهد ووجد واكتئاب ولوعة ... وفرط أسى باد وتعنيف عاذل

لقد فاز من حاز الغرام فؤاده ... لقد حاز أسمى رتبة للفضائل [٢]

وما العيش إلا صبوة وصبابة ... ومنزلة العشاق أسمى المنازل [٣]

فلما نفثت في من سحر لفظها الحلال، وملكت لبي بحلاوة/ المقال، جاريتها في الكلام، وناضلتها بما فضل في كنانة فكري من السهام. ثم قلت: قد كان ذلك أيام شبابي، ونشأتي في صهباء التصابي، والآن فقد نهاني رقيب المشيب عن مواصلة الحبيب، أما رأت عيناك يقق لمتي [٤] ، وضعف حركاتي وقوتي، وفتور بوادر همتي، أما سمعت أذناك بديع نسيبي في وصف مشيبي: [الطويل]

كبرت ولم أشعر وشابت مفارقي ... وفارقت لذاتي وهن عجائز

ولانت قناتي بعد طول صلابة ... وليس لها يوما سوى الدهر غامز

فلو قيل لي يا شيخ قلت لعله ... سواي الذي يدعى وقلبي قافز

وكم رضت خيلا للأماني سوابقا ... لها من تصاريف التصابي مهامز

وجلت بميدان الشباب إلى مدى ... له الشيب عن نهج الغواية حاجز

---

[١] ش، ل: يقتدي به.

[٢] ش، ط: ربقة للفضائل، وصدر هذا البيت والذي يليه مطموسان ببقعة حبر في ط.

[٣] هذه الصفحة في نسخة ع جاءت متأخرة في غير موضعها وضعت في ص ٣٧ ب من تسلسل الأصل.

[٤] يقق اللمة: بياض الشعر.." (١)

"(لئن كففت وإلا ... شققت منك ثيابي) // المقتضب //

فأصغى الأستاذ أبو الفتح ثم أنشد في الوقت وقال

(يا مولعا بعذابي ... أما رحمت شبابي)

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٥٣

(تركت قلبي قريحا ... نهب الأسى والتصابي)

(إن كنت تنكر ما بي ... من ذلتي واكتئابي)

(فارفع قليلا قليلا ... عن العظام ثيابي)

وله من نوروزيه

(أبشر بنوروز أتاك مبشرا ... بسعادة وزيادة ودوام)

(واشرب فقد حل الربيع نقابه ... عن منظر متهلل بسام)

(وهديتي شعر عجيب نظمه ... ومديحه يبقى على الأيام)

(فاقبله وأقبل عذر من لم يستطع ... إهداء غير نتيجة الأفهام) // الكامل //

ومن بدائعه المشهورة قوله من قصيدة

(عودي وماء شبيبتي في عودي ... لا تعمدي لمقاتل المعمود)

(وصليه ما دامت أصائل عيشه ... تؤويه في ظل لها ممدود)

(ما دام من ليل الصبا في فاحم ... رجل الذرى متهدل العنقود)

(قبل المشيب وطارقات جنوده ... يبدلنه يققا بسحم سود) // الكامل //

ومن شعره." (١)

"نظر إلى أبي عباد يضحك ويقول لمن يقرب منه والله ما كذب دعبل في قوله

وحدث أبو ناجية قال كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله فهرب إلى الجبل وقال يهجوه

(بكى لشتات الدين مكتئب صب ... وفاض بفرط الدمع من عينه غرب)

(وقام إمام لم يكن ذا هداية ... فليس له دين وليس له لب)

(وما كانت الأنباء تأتي بمثله ... يملك يوما أو تدين له العرب)

(ولكن كما قال الذين تتابعوا ... من السلف الماضي إذا عظم الخطب)

(ملوك بني العباس في الكتب سبعة ... ولم تأتيا عن ثامن لهم كتب)

(كذلك أهل الكهف في العد سبعة ... خيار إذا عدوا وثامنهم كلب)

(وإني لأعلي كلبهم عنك رفعة ... لأنك ذو ذنب وليس له ذنب)

(لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم ... وصيف وأشناس وقد عظم الكرب)

(وفضل بن مروان سيثلم ثلمة ... يظل لها الإسلام ليس له شعب) // الطويل //." (٢)

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ١٢٦/٢

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ١٩٦/٢

"وأنك لا تجزين مني صحابة ... ولا أنا للهجران منك أطيق

وإنك قسمت الفؤاد فنصفه ... رهين ونصف في الحبال وثيق

كأن الهوى بين الحيازيم والحشا ... وبين التراقي واللهاة حريق

فإن كنت لما تعلمي العلم فاسألي ... وبعض لبعض في الفعال يفوق

سلي هل قلاني من خليل صحبته ... وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق

وهل يجتوي القوم الركام صحابتي ... إذا اغبر محشي المعجاج عميق

واكتم أسرار الهوى فأميتها ... إذا باح مزاح بهن يروق

هل الصبر إلا أن أصد فلا أرى ... بأرضك إلا أن يكون طريق

وروى أن قيسا انتقى ناقة من إبله وقصد المدينة ليبيعها فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه، ثم قال له ائتني غدا في دار كثير بن الصلت أقبضك الثمن، فجاء وطرق الباب فأدخله وقد صنع له طعاما وقام لبعض حاجاته، فقالت المرأة لخادمتها سليه ما بال وجهه متغيرا شاحبا فتنفس الصعداء، ثم قال هكذا حال من فارق الأحبة. فقالت استخبريه عن قصته فاستخبرته فشرع يحكي أمره فرفعت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها لا ينطق ساعة، ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال ما بالك عدلت قبض مالك وإن شئت زدناك، فلم يكلمه ومضى فدخل الرجل فقالت له ما هذا الذي فعلت إنه لقيس فحلف أنه لا يعرفه، وأنشد قيس معاتبا لنفسه:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها ... وكنت عليها بالملا أنت أقدر

فإن تكن الدنيا بلبنى تقلبت ... فللدهر والدنيا بطون وأظهر

كأني في أرجوحة بين أحبل ... إذا فكرة منها على القلب تخطر

وقيل أنه حين جاء ليقبض ثمن المطية رأى لبنى فعاد مبهوتا فسأله الرجل فقال له لا تركب لي مطيتين فقال أنت قيس قال نعم قال ارجع لنخيرها فإن اختارتك طلقتها وظن الرجل أنها تبغض قيسا فخيرها فاختارت قيسا فطلقها لوقته.

وحكي أن سبب طلاقها أن قيسا قصد ابن أبي عتيق وكان أكثر أهل زمانه مروءة في ذلك، فجاء إلى الحسن والحسين وأعلمهما أن له حاجة عند زوج لبنى وطلب أن ينجداه عليه فمضيا معه حتى اجتمعوا به وكلموه في ذلك فقال سلوا ما شئتم فقال له ابن أبي عتيق أهلا كان أو مالا قال نعم، فقال أريد أن تطلق لبنى ولك ما شئت عندي فقال أشهدكم أنها طالق ثلاثا فاستحيوا منه وعوضه الحسن مائة ألف درهم وقال له لو علمت الحاجة ما جئت.

وروى أن لبنى عاتبت قيسا على تزويج الفزارية فحلف لها أن عينيه لم تكتحل برؤيتها ولم يكلمها لفظة واحدة وأنه لو رآها لم يعرفها وأخبرته لبنى أنها كاره زوجها وأعلمته أنها لم تتزوجه رغبة فيه بل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليخلى عنها فطلقها حين علم ما بينهما وأرسل أخو الفزارية إلى قيس حين أبطا عنه يسأله الرجوع فأعاد الرسول بالخيار في أمر اخته فاختار الرجل عدم الفرقة وقصد قيس معاوية فمدحه فرق له وكان ذلك قبل طلاق لبنى فقال له إن شئت كتبت إلى زوجا بطلاقها فقال لا ولكن ائذن لي أن أكون ببلدها ففعل فنزل قيس حين زال هدر دمه بحبها وظافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض واضرابهما فرق الناس له هذا ولما طلقت نقلت إلى العدة بأمر ابن أبي عتيق فمن ذاهب إلى أنها أكملت

عدتها وتزوجها وأقاما إلى الموت بدليل مدحه لابن أبي عتيق حيث قال:

جزى الرحمن أفضل ما يجازى ... على الاحسان خيرا من صديق

فقد جربت إخواني جميعا ... فما ألفيت كابن أبي عتيق

سعى في جمع شملي بعد صدع ... ورأى حدت فيه عن الطريق

وأطفأ لوعة كانت بقلبي ... أغصتني حرارتها بريقي

ومن ذاهب وهم الأكثر إلى أنها ماتت في العدة وأن مدحه لابن أبي عتيق حين لم يشك في عودها إليه وقد نهاه عن مدحه وقال له من سمع بهذا يعدني قوادا والقائلون بموت لبنى في العدة أجمعوا أن قيسا خرج حين بلغه ذلك حتى وقف على قبرها وأنشد:

مات لبيني فموتها موتي ... هل ينفعن حسرة على الفوت

إني سأبكي بكاء مكتئب ... قضى حياة وجدا على ميت." (١)

"فسقط مغشيا عليه حين سمع ذلك وتذكر به حال الماجنة وأنها أخبرته أنها تطلب الشام، ثم أفاق ورجع ورمى العمل وكان يركب قصبة ويطوف ببغداد وأهلها يطلبونه خصوصا أرباب الدواوين ليسمعوا شعره، قيل قال له ابن الجهم يوما هب لي قولك:

ليت ما أصبح من رقة حديك بقلبك

فقال من الذي يهب ولده، ورآه يوما والصبيان يضربونه، فأدخله بيته ثم قال له بعدما أخذ الراحة، ماذا تريد قال هريسة ورطبا فأحضرهما، فلما أكل قال أسمعني شيئا من شعرك فأنشد:

تناسيت ما أودعت سمعك يا سمعي ... كأنك بعد الضر خال من النفع

فإن كنت مجبولا على الصد والجفا ... فمن أين لي صبر فاجعله طبعي

هل الحب تجنيه علي التفاتة ... ففرح بعد اليأس مني ومن نفعي

علام الجفايا من كلفت بحبه ... أتتلفني بالهجر منك وبالقطع

لئن كان أضحى فوق خديك روضة ... فإن على خدي غديرا من الدمع

فقال له أحسنت والله ووجد لذلك وجدا عظيما، ثم قال له أسمعني شيئا غير هذا قال حسبك لن ينالك بهريستك ورطبك أكثر مما سمعت، وخرج من عنده، وله أيضا:

يا تارك الجسم بلا قلب ... إن كنت أهواك فما ذنبي

يا مفردا بالحسن أفردتني ... منك بطول الهجر والحب

إن تك عيني أبصرت قينة ... فهل على قلبي من عتب

حسيبك الله لما بي كما ... أنك في فعلك بي حسبي

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/٤١

ودخل على ابن عباد فرفع مجلسه فقال ابن الأعرابي من هذا فقال أو ما تعرفه قال لا. قال هو خالد الكاتب فقال له ابن الأعرابي، أسمعنا من شعرك فأنشد:

لو كنت من بشر لم يفتن البشرا ... ولم يفق في الضياء الشمس والقمرا

نور تجسم منحلا ومنعقدا ... سلك تضمن في تنظيمه دررا

فقال له ابن الأعرابي كفرت هذه صفة الخالق لا المخلوق أنشدنا غير هذا فقال:

أراك لما لجحت في غضبك ... تترك رد السلام في كتبك

حتى أتى على قوله:

أقول للسقم عد إلى بدني ... حبا لشيء يكون من سببك

فقال له إنك لفوق ما وصت به ووقف عليه إبراهيم بن المهدي عشية وقد تلفع برداء أسود فقال له أنت القائل:

قد بكى العاذل لي من رحمة ... فبكائي لبكاء العاذل

قال نعم، قال يا غلام ادفع له ما معك، فقال خالد وما ذاك؟ قال ثلثمائة دينار، قل لا أقبلها أو تعرفني من أنت؟ قال أنا ابن المهدي، فأخذها وانصرف إبراهيم، فلما بويع له بالخلافة طلبه فقال له أنشدني من شعرك فأنشد:

عش فحبيك سريعا قاتلي ... والضني إن لم تصلني واصلي

قد طغى الشوق بقلب دنف ... فيك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وضنى ... تركاني كالقضيب المائل

وحكى عن حمزة الشاعر نحو ما سبق عن ابن الجهم من رؤيته مع الصبيان وادخاله وإطعامه لكنه قال: فأطعمه رطبا فقط واستنشدته فأنشد:

قد حاز قلبي فصار يملكه ... فكيف أسلو وكيف أتركه

رطيب جسم كالماء تحسبه ... يخطر في القلب منك مسلكه

يكاد يجري من القميص ... من النعمة لو القميص يمسكه

فصل في ذكر من جرع كأس الضنى وصبر على مكابدة العنا واتصف بذلك كله من النساء وثبت بعد فراق محبوبه على النوى أو كان منها داعية الاعتداء

حكى صاحب النزهة، قال نشأ ببني حران شاب لبعض التجار يدعى واصفا وكان كامل الحسن والظرف واللطافة والعفة، وكان له ابنة عم تسمى لطيفة، وكانت على أرفع ما يكون من مراتب الجمال ومحاسن الأخلاق والخصال. فتوفي أبوها وتركها صغيرة فكلفها عمها حتى بلغت، فكانت تنظر إلى ابن عمها فيعجبها إلى أن تمكن حبه منها، فمرضت وهي تكتم أمرها.." (١)

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/٩٣

"أتيتك لما ضاق في الأرض مسلكي ... وأنكرت مما قد أصيب به عقلي

ففرج كلاك الله عني فإنني ... لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي

وخذ لي هداك الله حقي من الذي ... رماني بسهم كان أهونه قتلي

وكنت أرجى عدله إذا أتيته ... فأكثر ترداذي مع الحبس والكبل

فطلقتها من جهد ما قد أصابني ... فهذا أمير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له ما شأنك، قال تزوجت ابنة عمي وكانت من المبررات في الجمال والحياء، فأنفقت عليها إلى أن أملقت، فرفع أبوها القصة إلى ابن أم الحكم فضيق علي السجن والقيود حتى طلقت كارها، فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوج بها فأتيتك مستغيثا بعدلك، فكتب معاوية إليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلي عنها، ويقول في آخر الكتاب:

ركبت ذنبا عظيما لست أعرفه ... فاستغفر الله من جور أمرىء زاني

قد كنت تشبه صوفيا له كتب ... من الفرائض أو آيات فرقان

حتى أتاني الفتى العذري منتحبا ... يشكو إلي بحق غير بهتان

أعطى الإله عهودا لا أخيس بها ... أولا فبرئت من ديني وإيماني

إن أنت راجعتني فيما كتبت به ... لأجعلنك لحما بين عقبان

طلق سعاد وفارقها بمجتمع ... واشهد على ذاك نصر أو ابن ظبيان

فما سمعت كما بلغت من عجب ... ولا فعالك حقا فعل إنسان

فلما وقف عليه، قال وددت لو خلي بيني وبينها سنة، ثم عرضني على السيف ثم طلقها فأخرجها، فلما وصلت إلى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها، وقالوا هذه لا تصلح لأعرابي، إنما تكون لأمير المؤمنين فعجب بها ثم استنطقها، فإذ هي فتنة فقال له هل لك عوض عنها، قال نعم إذا بان رأسي عن بدني، ثم أنشد:

لا تجعلني والأمثال تضرب بي ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

أردد سعاد على حران مكتئب ... يمسي ويصبح في هم وتذكار

قد شفه قلق ما مثله قلق ... وأشعر القلب منه أي أشعار

والله والله لا أنسى محبتها ... حتى أغيب في رمس وأحجار

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها ... وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية من ذلك وخيرها بينه وبين ابن أم الحكم وبين ابن عمها، فأنشدت:

هذا وإن أصبح في اطمار ... وكان في نقص من اليسار

أكبر عندي من أبي وجاري ... وصاحب الدرهم والدينار

أخشى إذا غدرت حر النار ... خل سبيلي ما به من عار

لعلنا نرجع للديار ... وإن عسى نظفر بالأوطار

فقال خذها لا بارك الله لك فيها وأمر أن تقيم إلى تمام العدة، فلما انقضت دفعها إليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار.
ومنهم ما حكاه في منازل الأحباب عن بعض الحمدونية، قال صحبت المتوكل إلى الشام، وكنت مغرما بالفراديس لظرفها، فحين بلغناها قال المتوكل هل لك في أن تتصفح الكنائس والرياض فتتنزه فيها، فقلت نعم، فأخذ بيدي وجعلنا نستقري الأماكن ونشاهد ما فيها من العجائب، وحسن ثياب النصارى، حتى خلوت براهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر، حتى أقبلت جارية لم يرمق أحسن منها، وبيدها مجمرة تبخر فسأله عنها فقال هي ابنتي، قال ما اسمها قال شعانين، فقال لها المتوكل يا شعانين اسقني ماء، فقالت يا سيدي ليس هنا إلا ماء الغدران، وأنا لا أستنظفه لك ولو كانت حياتي ترويك لجدت بها، وأسرعت بكوز فضة فأومأ إلي أن أشربه فشربته، ثم قال لها إن هويتك تساعديني، فقالت أنا الآن بإمرتك وأما إذا صدق المحب في المحبة فما أخوفني من الطغيان أما سمعت قول الشاعر:

كنت لي في أوائل الأمر حبا ... ثم لما ملكت صرت عدوا

أين ذاك السرور عند التلاقي ... صار مني تجنبا ونبوأ." (١)

"وكتب إلى والده، يتشوق إليه، قوله:

شوقي على طول الزما ... ن يزيد في مقداره

وجوى فؤادي لا يقر ... وكيف لي بقراره

والقلب حلف تقلب ... وتحرق في ناره

والطرف كالطرف الغري ... ق يعوم في تياره

وتلهفي وتأسفي ... باق على استمراره

من ذا يرق لنازح ... عن أهله ودياره

لعب الزمان بشمله ... وقضى ببعد مزاره

فالسقم من زواره ... والهم من سماره

والصبر من أعدائه ... والدمع من أنصاره

وهمومه مقصورة ... أبدا على تذكاره

وقوله، إلى القاضي الأجل الأشرف ابن البستاني، متولى الحكمم بعسقلان:

لعل تحدر الدمع السفوح ... يسكن لوعة القلب القريح

وعل البرق يروي لي حديثا ... فيرفعه بإسناد صحيح

ويا ريح الصبا لو خبرتني ... متى كان الخيام بذ طلوح

فلي من دمع أجفاني غبوق ... تدار كؤوسه بعد الصبوح

وأشواق تقاذف بي كأني ... علوت بها على طرف جموح

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/١٠٣

ودهر لا يزال يحط رحلي ... بمضيعة ويرويني بلوح

كريم بالكريم على الرزايا ... شحيح حين يسأل بالشحيح

وأيام تفرق كل جمع ... وأحداث تجيز على الجريح

فيالله من عود بعود ... ومن نضو على نضو طليح

وأعجب ما منيت به عتاب ... يورق مقلتي ويذيب روحي

أتى من بعد بعد واكتئاب ... وما أنكى الجروح على الجروح

وقد أسرى بوجدي كل وفد ... وهبت بارتياحي كل ريح

سلام الله ما شرقت ذكاء ... وشاق حنين هاتفه صدوح

على تلك الشمائل والسجايا ... وحسن العهد والخلق السجيح

على أنس الغريب إذا جفاه ال ... قريب ومحتد المجد الصريح

على ذي الهمة العلياء والمن ... ة البيضاء والوجه الصبيح

ومنها:

صفوح عن مؤاخذة الموالي ... وليس عن الأعادي بالصفوح

همام ليس يبرح في مقام ... كريم أو لدى سعي] نجيح

حديد الطرف في فعل جميل ... وقور السمع عن قول قبيح

مددت يدي إليه فشد أزري ... وذاد نوائب الدهراللحوح

وفزت بوده بعد ارتياد ... ولكن صدني عنه نزوحي

وما أدركت عايته بنظمي ... ولو أدركت غاية ذي القروح

ولكن وقفت على علاه ... غنائي من ثناء أو مديح

وله، من قصيدة:

إلى م ألوم الدهر فيك وأعتب ... وحتى م أرضى في هواك وأغضب

أما من خليل في الهوى غير خائن ... أما صاحب يوما على النصح يصحب

بأية عضو التقى سورة الهوى ... ولي جسد مضنى وقلب معذب

عذيري من ذكرى إذا ما تعرضت ... تعرض لاح دونها ومونب

ومنها:." (١)

"أ﴿ى الدهر عونا للهموم على الهوى ... وضدا له في كل ما يتطلب

فأبعد شيء منه ما هو آمل ... وأقرب شيء منه ما يتجنب

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٢٣٦

وقد يحسب الإنسان ما ليس مدركا ... وقد يدرك الإنسان ما ليس يحسب

وقوله، من قصيدة كتبها إلى والده:

ظن النوى منك ما ظن الهوى لعبا ... وغره غرر بالبين فاغتربا

فظل في ربقه التبريح موتشبا ... من مات من حرقة التوديع منتحبا

متيم في بني كعب له نسب ... لكنه اليوم عذري إذا انتسبا

أجاب داعي النوى جهلا بموقعها ... فكان منها إلى ما ساءه سببا

يا عاتبي رويدا من معاتبتي ... فلست أول مخط في الهوى أربا

ردا حديث الهوى غضا على وصب ... يكاد يقضي إذا هبت عليه صبا

وجددا عهده بالسمع عن حلب ... فإن أدمعه لا تأتلي حلبا

لله قلبي ما أغرى الغرام به ... وحسن صبري لولا أنه غلبا

يا قاتل الله عزما كنت أذخره ... رزيته في سبيل الحب محتسبا

إذا تفكرت في أمري وغايته ... عجبت حتى كأني لا أرى عجبا

ومنها:

أستودع الله أحبابا أشاهدهم ... بعين قلبي وليست دارهم كثبا

أصبحت لا أرتجي خلا أفاوضه ... من بعد فرقتهم جدا ولا لعبا

فإن سررت فإني مضمر حزنا ... أو ابتسمت وجدت القلب مكتئبا

وقوله:

قالوا تركت الشعر قلت لهم ... فيه اثنتان يعافها حسبي

أما المديح فجله كذب ... والهجو شيء ليس يحسن بي

وقوله:

من لي بأحور قربي في محبته ... كالبعد لكن رجائي منه كاليأس

مستعذب جوره فالقلب في يده ... معذب ويدي منه على راسي

ودعته من بعيد ليس من ملل ... لكن خشيت عليه حر أنفاسي

وقوله:

ما ضرهم يوم جد البين لو وقفوا ... وزودوا كلفا أودى به الكلف

تخلفوا عن دواعي ثمت ارتحلوا ... وأخلفوني وعودا ما لها خلف

ومنها:

أستودع الله أحبابا ألفتهم ... لكن على تلفي يوم النوى ائتلفوا

تقسموني فقسم لا يفارقهم ... أين استقلوا وقسم شفه الدنف

عمري لئن نزحت بالبين دارهم ... عني فما نزحوا دمعي ولا نزفوا

يا حبذا نظرة منهم على وجل ... تكاد تنكرني طورا وتعترف

قلت: في هذا القدر كفاية في شعر صاحب الترجمة، ولو أخذنا في إيراد جميع ما قاله من الأشعار الرائقة، والقصائد الفائقة، والمقطعات الشائقة، لطال الكلام، وخرجنا عن المقصود.، وبالجملة فقد كان صاحب الترجمة من أدباء عصره، ومحاسن دهره.

تغمده الله تعالى برحمته.

٦٩٦ - الحسن بن علي بن عبد العزيز بن عبد الرزاق

ابن أبي النصر المرغيناني

أبو المحاسن، ظهير الدين

أستاذ مسعود بن الحسين الكشاني.

روى عنه صاحب " الهداية " "كتاب الترمذي " بالإجازة.

ومن نظمه:

الجاهلون فموتي قبل موتهم ... والعالمون وإن ماتوا فأحياء

٦٩٧ - الحسن بن علي بن المثنى الهيتي

أبو علي

قرأ على قاضي القضاة، وولي القضاء بهيت.." (١)

"البهازهير

أنا من يسمع منه ويرى ... لا تكذب عن غرامي خبرا

لي حبيب كملت أوصافه ... حق لي في حبه أن أعذرا

حين أضحى حسنه مشتهرا ... رحت في الوجد به مشتهرا

كل شيء من حبيب حسن ... لا أرى مثل حبيبي لا أرى

أحور أصبحت فيه حائرا ... أسمر أمسيت منه سمرا

وتراني باكيا مكتئبا ... وتراه ضاحكا مستبشرا

أيها الواشون ما أغفلكم؟ ! ... لو علمتم ما جرى في ما جرى

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٢٣٧

قد أذعتم عن فؤادي سلوة ... إن هذا لحديث مفترى

بين قلبي وسلوى والهوى ... مثل ما بين الثريا والثرى

ولبعضهم في رجل صبغ لحيته وفي جبهته أثر يزعم أنه من السجود:

قالت وقد أبصرت بلحيته ... صبغا وسجادة بجبهته

هذا الذي كنت قبل أعرفه ... يكذب في وجهه ولحيته

ولبعضهم

أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به ... يوم اللقاء هو الثوب الذي خلعا

الدهر لي ما تم إن غبت يا أملي ... والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا

ولبعضهم

فيا رسولي إلى من لا أبوح به ... إن المهمات فيها يعرف الرجل

بلغ سلامي وبالغ في الخطاب له ... وقبل الأرض عني عندما تصل

بالله عرفه عني إن خلوت به ... ولا تطل فحبيبي عنده ملل

وتلك أعظم حاجاتي إليك فإن ... تنجح فما خاب فيك القصد والأمل

ولم أزل في أموري كلما عرضت ... على اهتمامك بعد الله أتكل

فالناس بالناس والدنيا مكافأة ... والخير يذكر والأخبار تنتقل." (١)

"أصبحت فيك كما أمسيت مكتئبا ... ولم أقل جزعا يا أزمة انفرجي

أهفو إلى كل قلب بالغرام له ... شغل وكل لسان بالهوى لهج

وكل سمع عن اللاحي به صمم ... وكل جفن عن الإغفاء لم يعج

لا كان وجد به الآماق جامدة ... ولا غرام به الأشواق لم تهج

عذب بما شئت غير البعد عنك تجد ... أوفى محب بما يرضيك مبتهج

وخذ بقية ما أبقيت من رمق ... لا خير في الحب إن أبقي على المهج

من لي بإتلاف روحي في هوى رشأ ... حلو الشمائل بالأرواح ممتزج

من مات غراما عاش مرتقيا ... ما بين أهل الهوى في أرفع الدرج

محجب لو سرى في مثل طرته ... أغنته غرته الغرا عن السرج

وإن ظللت بليل من ذوائبه ... أهدى لعيني الهدى صبحا من البلج

وإن تنفس قال المسك معترفا ... لعارفي طيبه من نشره أرجى

أعوام إقباله كاليوم في قصر ... ويوم إعراضه في الطول كالحجج

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٣٩/١

فإن نأى سائرا يا مهجتي ارتحلي ... وإن دنا زائرا يا مقلتي ابتهجي

قل للذي لامني يفيه وعنفني ... دعني وشأني واترك نصحي بذاك الحي لا تعج

فيه خلعت عذاري واطرحت به ... قبول نصحي والمقبول من حججي

وابيض وجه غرامي في محبته ... واسود وجه ملامي فيه بالحجج

تبارك الله ما أحلى شمائله ... فكم أمات توأحيت فيه من مهج

يهوى لذكر اسمه من لج في عذلي ... سمعي وإن كان عذلي فيه لم يلج

تراه إن غاب عني كل جارحة ... في كل معنى لطيف رائق بهج

في نغمة العودج والناي الرخيم إذا ... تألفا بين ألحان من الهزج

ويفي مسارح غزلان الخمائل في ... برد الأصائل والإصباح في البلج

وفي مساقط أنداء الغمام على ... بساط نور من الأزهار منتسج." (١)

"فذراها سربي وطيبي سراها ... وسبيل المسيل وردي وزادي

كان فيها أنسي ومعراج قدسي ... ومقام المقام والفتح بادي

نقلتني عنها الحظوظ فجدت ... وارداتي ولم تدم أورادي

آه لو يسمح الزمان بعود ... فعسى أن تعود لي أعيادي

قسما بالحطيم والركن والأستار ... والمروتين مسعى العباد

وظلال الجناب والحجر والميزاب ... والمستجار للقصاد

ما شممت البشام إلا وأهدى ... لفؤادي تحية من سعاد

ابن الخيمي

يا مطلبا ليس لي في غيره إرب ... إليك آل التقصي وانتهى الطلب

وما طمحت لمرىء أو لمستمع ... إلا لمعنى إلى علياك ينتسب

وما أراني أهلا أن تواصلني ... حسبي علوا بأني فيك مكتئب

لكن ينازع شوقي تارة أدبي ... فأطلب الوصل لما يصعب الأدب

ولست أبرح في الحالين ذا قلق ... نام وشوق له في أضلعي لهب

ومدمع كلما كفكفت أدمعه ... صونا لذكرك يعصيني وينسكب

والهف نفسي لو يجدي تلهفها ... عونا وواحر باد لو ينفع الحرب

يمضي الزمان وأشواقي مضاعفة ... يا للرجال ولا وصل ولا سبب

يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢/٢٩

أما خفوق فؤادي فهو عن سبب ... وعن خفوقك قل لي ما هو السبب؟

القيراطي في بادهنج

بنفسي أفدي بادهنجا موكلا ... باطفاء ما ألقاه من ألم الجوى إذا فتحت في الحر منه طرايق ... أتاني هواه قبل أن أعرف الهوى

وله في موسوس

وموسوس عند الطهارة لم يزل ... بدا على الماء الكثير مواظبا

يستصغر النهر الكبير لذقنه ... ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

العرجي في الوداع." (١)

"وحلب، وجريت معه طلق الجموح في ميادين الأدب، وأنشدني بدمشق (١) :

أنا من سكر هواهم ثمل ... لا أبالي هجروا أم وصلوا

فبشعري وحديثي فيهم ... زمزم الحادي وسار المثل

إن عشاق الحمى تعرفني ... والحمى يعرفني والطلل

رحلوا عن ربع عيني فلذا ... أدمعي عن مقلتي ترتحل

ما لها قد فارقت أوطانها ... وهي ليست لحماهم تصل

لا تظنوا أنني أسلوا فما ... مذهبي عن حبكم ينتقل وقوله رحمه الله تعالى (٢) :

بالله يا بانة الوادي إذا خطرت ... تلك المعاطف حيث الشيح والغار

فعانقيها عن الصب الكئيب فما ... على معانقة الأغصان إنكار

وعرفيها بأني فيك مكتئب ... فبعض هذا لها بالحب إخبار

وأنتم جيرة الجرعاء من إضم ... لي في حماكم أحاديث وأسمار

وأنتم أنتم في كل آونة ... وإنما حبكم في الكون أطوار

ويا نسيما سرى تحدو ركائبه ... لي بالغوير لبانات وأوطار وله (٣) :

يا رعى الله أنسنا بين روض ... حيث ماء السرور فيه يجول

تحسب الزهر عنده يتثنى ... وتخال الغصون فيه تميل وله (٤) :

---

(١) الأبيات في القدح المعلى.

(٢) القدح: ٢٠٧.

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٨٠/٢

(٣) قالهما في بستان على نهر ثورا أحد أنهار دمشق، انظر القدح: ٢٠٨ والفوات: ٣٢٤.

(٤) القدح: ٢٠٨.." (١)

"ومن نظمه أيضا ما كتب به إلى أخيه عماد الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي أفاض الله تعالى علينا من فتوحاته، قوله:

ما للنوى رقة ترثي لمكتئب ... حران في قلبه والدمع في حلب

قد أصبحت حلب ذات العماد بكم ... وجلق إرم هذا من العجب وتوفي الشيخ عماد الدين بالصالحية سنة ٦٦٧، ودفن بسفح قاسيون عند والده بتربة القاضي ابن الزكي، رحم الله تعالى الجميع.

وابن الزكي أيضا محيي الدين.

ومن نظم سعد الدين المذكور في وسيم رآه بالزيادة في دمشق (١) :

يا خليلي في الزيادة ظبي ... سلبت مقلتاه جفني رقاده

كيف أرجو السلو عنه وطرفي ... ناظر حسن وجهه في الزياده وله:

علقت صوفيا كبدر الدجى ... لكنه في وصلي الزاهد

يشهد وجدي بغرامي له ... فديت صوفيا له شاهد وله أيضا:

صبوت إلى حريري مليح ... تكرر نحو منزله مسيري

أقول له: ألا ترثي لصب ... عديم للمساعد والنصير

أقام ببابكم خمسين شهرا ... فقال: كذا مقامات الحريري وله:

وغزال من اليهود أتاني ... زائرا من كنيسه أو كناسه

---

(١) انظر الفوات والوافي.." (٢)

"المنصور ابن السفاح، وقتل عبد الرحمن ابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية.

ومن شعر عبد الرحمن وقد رأى نخلة برصافته (١) :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول اكتئابي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة ... فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي ... يسح ويستمري السماكين (٢) بالوبل وكان نقش خاتمه " بالله يثق عبد الرحمن، وبه يعتصم ".

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٢١/٢

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٧٢/٢

وأشاع سنة ١٦٣ الرحيل إلى الشام لانتزاعها من بني العباس، وكاتب جماعة من أهل بيته ومواليه وشيعته، وعمل على أن يستخلف ابنه سليمان بالأندلس في طائفة، ويذهب بعامة من أطاعه، ثم أعرض عن ذلك بسبب أمر الحسين (٣) الأنصاري الذي انتزى عليه بسرقسطة، فبطل ذلك العزم.

ومن شعر عبد الرحمن أيضا قوله يتشوق إلى معاهد الشام (٤) :

أيها الراكب الميمم أرضي ... اقر مني بعض السلام لبعضي

إن جسمي كما علمت بأرض ... وفؤادي ومالكيه بأرض

قدر البين بيننا فافترقنا ... وطوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الله بالفراق علينا ... فعسى باجتماعنا سوف يقضي وترجمة الداخل طويلة، وقد ذكر منها ما فيه مقنع، انتهى؛ والله تعالى الموفق للصواب.

---

(١) انظر ابن عذاري ٢: ٦٢ والحلة السيراء: ٢٧.

(٢) المقتطفات وق: يصح ويستمري المساكين.

(٣) المقتطفات وق: الحسن؛ وقد تقدم ذكره باسم " الحسين ".

(٤) تقدمت هذه الأبيات ص: ٣٨.." (١)

"أنا للنسخ محمل خف حملي ... أنا في الشكل سلم الإطلاع ١٠٣ - وقال أحمد بن رضى المالقي:

ليس المدامة مما أستريح له ... ولا مجاوبة الأوتار والنغم

وإنما لذتي كتب أطالعها ... وخادمي أبدا في نصرتي قلمي ١٠٤ - وقال أبو القاسم البلوي الإشبيلي:

لمن أشكو مصابي في البرايا ... ولا ألقى سوى رجل مصاب

أمور لو تدبرها حكيم ... لعاش مدى الزمان أخا **اكتئاب**

أما في الدهر من أفشي إليه ... بأسراري فيؤنس بالجواب

يئست من الأنام فما جليس ... يعز على نهاي سوى كتابي ١٠٥ - وقال أبو زكريا يحيى، ابن صفوان بن إدريس صاحب كتاب " العجالة " و " زاد المسافر " وغيرهما:

ليت شعري كيف أنتم ... وأنا الصب المعنى

كل شيء لم تكونوا ... فيه لفظ دون معنى وله في نصراني وسيم لقيه يوم عيد:

توحد في الحسن من لم يزل ... يثلث والقلب في صده

يشف لك الماء من كفه ... ويقتدح النار من خده وهذان البيتان نسبهما له بعض معاشريه، وأبوه صفوان سابق الميدان.

١٠٦ - وقال ابن بسام (١) :ساير ابن عمار في بعض أسفاره غلامان من

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥٤/٣

(١) بدائع البدائه ٢: ١٣٠.." (١)

"لبستم في مآتمكم بياضا ... فجئتم منه في زي غريب

صدقتكم فالبياض لباس حزن ... ولا حزن أشد من المشيب ٢٥٣ - وقال أبو جعفر ابن خاتمة:

هل جسوم يوم النوى ودعوها ... باقيات لسوء ما أودعوها

يا حداة القلوب ما العدل هذا ... أتبعوها أجسامها أو دعوها ٢٥٤ - وقال القسطلي يصف هول البحر (١) :

إليك ركبنا الفلك تهوي كأنها ... وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربان

على لجج خضر إذا هبت الصبا ... ترامى بها فينا ثبير وثهلان

مواثل ترعى في ذراها موائلا ... كما عبدت في الجاهلية أوثان

يقلن وموج البحر (٢) والهم والدجى ... يموج بها فيها عيون وآذان

ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنا ... سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان ٢٥٥ - وقال الرمادي يهنئ ابن العطار الفقيه بمولود:

يهنيك ما زادت الأيام في عددك ... من فلذة برزت للسعد من كبدك

كأنما الدهر دهر كان مكتئبا ... من انفرادك حتى زاد في عددك

لا خلفتك الليالي تحت ظل ردى ... حتى ترى ولدا قد شب من ولدك ٢٥٦ - وقال ابن صارة في النار:

هات التي للأيك أصل ولادها ... ولها جبين الشمس في الأشماس

يتقشع الياقوت في لباتها ... بوساوس تشفي من الوسواس

---

(١) ديوان ابن دراج: ٨٧ والذخيرة ١ / ١: ٧٤.

(٢) في الأصول: مقاتل موج.." (٢)

"الواهب الألف بعد الألف من ذهب كالجمر يلمع في مستوقد الضرم

والفاعل الفعل لم يهمم به أحد والقائل القول فيه حكمة الحكم

ذاكم هو الشيخ فاعجب أنه هرم جودا وحاشاه أن يعزى إلى هرم

وحسبنا أن أيدينا به اعتصمت من حبله بوثيق غير منفصم

فما مخالفه يوما بمضطهد ولا مؤالفه يوما بمهتضم

ولا موافيه في جهد بمطرح ولا مصافيه في ود بمتهم

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٣٢٥

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٤٤١

ولا محيا محييه بمنكسف ولا رجاء مرجيه بمنخرم

وما تكرمه سرا بمنكشف ولا تنكره جهرا بمكتتم

وليس لامح مرآه بمكتئب وليس راضع جدواه بمنفطم

ولا مقبل يمناه الكريمة في محل ممتهن بل دست محترم

وما وسيلتنا العظمى إليه سوى ما ليس ينكر ما فيها من العظم

وإنما هي وما أدراك ما هي من وسيلة ردها أدهى من الوخم

نبينا المصطفى الهادي بخير هدى محمد خير خلق الله كلهم

داعي الورى من أولي خيم وأهل قرى إلى طريق رشاد لاحب أمم

عليه منا صلاة الله ما ذكرت ... " أمن تذكر جيران بذي سلم " (١) وما تشفع فيها بالشفيع له دخيل حرمته العلياء في الحرم

ربنا ظلمكنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم، نعم المولى ونعم النصير.

أما بعد حمد الله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي طلع طلوع الفجر بل البدر فلاح، يدعو إلى سبيل

---

(١) صدر قصيدة البوصيري المشهورة في مدح الرسول (ص) .." (١)

"وإياك أن ترضى بصحبة ساقط ... فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

فرفع أبو من ثم خفض مزمل ... يبين قولي مغريا ومحذرا وهذا معنى قول الشاعر:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي وما أحسن قول أبي بحر صفوان بن إدريس المرسي رحمه الله تعالى:

إنا إلى الله من أناس ... قد خلعوا لبسة الوقار

جاورتهم فانخفضت هونا ... يا رب خفض على الجوار ومن نظم الشريف رحمه الله تعالى:

وأحور زان خديه عذار ... سبى الألباب منظره العجاب

أقول لهم وقد عابوا غرامي ... به إذا لاح للدمع انسكاب

أبعد كتاب عارضه يرجى ... خلاص لي وقد سبق الكتاب ومن الغريب في توارد الخواطر ما وجد بخط الأديب أبي القاسم ابن جزي الكلبي رحمهما الله تعالى - وسيأتيان - ما معناه: قلت هذه القطعة:

ومعسول اللمى عادت عذابا ... على قلبي ثناياه العذاب

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥٣٥/٤

وقد كتب العذار بوجنتيه ... كتابا حظ قارئه اكتئاب

وقالوا لو سلوت فقلت خيرا ... وأنى لي وقد سبق الكتاب ثم عرضتها على شيخنا القاضي أبي القاسم الشريف بعد نظمها بمدة يسيرة فقال لي: قد نظمت هذا المعنى بالعروض والقافية في هذه الأيام اليسيرة، وأنشدني:

وأحور زان خديه عذار ... الأبيات السابقة.." (١)

"المتحيز إلى حزب السلامة المنقبض عن الغمار العزوف عن فضول القول والعمل جامع المحاسن الأشتات (١) من عقل رصين وطلب ممتع وأدب نقاوة ويد صناع أبوالقاسم بن أبي زكريا البرجي، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة (٢) :

أصغى إلى الوجد لما جد عاتبه ... صب له شغل عمن يعاتبه

لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا ... فضل من ظل إرشادا يخاطبه

لولا النوى لم يبت حران مكتئبا ... يغالب الوجد كتما وهوغالبه

يستودع الليل أسرار الغرام وما ... تمليه أشجانه فالدمع كاتبه

لله عصر بشرقي الحمى سمحت ... بالوصل أوقاته لوعاد ذاهبه

يا جيرة أودعوا إذ ودعوا حرقا ... يصلى بها من صميم القلب ذائبه

يا هل ترى تجمع (٣) الأيام ألفتنا ... كعهدنا أويرد القلب سالبه

ويا أهيل ودادي، والنوى قذف ... والقرب قد أبهمت دوني مذاهبه

هل ناقض العهد بعد البعد حافظه ... وصادع الشمل يوم الشعب شاعبه

ويا ربوع الحمى لا زلت ناعمة ... يبكي عهودك مضنى الجسم شاحبه

يا من لقلب مع الأهواء منعطف ... في كل أوب له شوق يجاذبه

يسمو إلى طلب الباقي بهمته ... والنفس بالميل للفاني تطالبه

وفتنة المرء بالمألوف معضلة ... والأنس بالإلف نحوالإلف جاذبه

أبكي لعهد الصبا والشيب يضحك بي ... يا للرجال سبت جدي ملاعبه

ولن ترى كالهوى، أشجاه سالفه ... ولا كوعد المنى، أحلاه كاذبه

وهمة المرء تغليه وترخصه ... من عز نفسا لقد عزت مطالبه

---

(١) الأشتات: ثبتت في ق ص وسقطت من الإحاطة.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٩١/٥

(٢) القصيدة في الإحاطة وبعضها في الكتيبة.

(٣) الكتيبة: ترجع.." (١)

"ومن موشحات ابن الصابوني قوله:

ما حال صب ذي ضنى **واكتئاب** ... أمرضه يا ويلتاه الطبيب

عامله محبوبه باجتناب ... ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب

جفا جفوني النوم لكنني ... لم أبكه إلا لفقد الخيال

وذو الوصال اليوم قد غرني ... منه كما شاء وشاء الوصال

فلست باللائم من صدني ... بصورة الحق ولا بالمحال واشتهر بير العدوة ابن خلف الجزائري صاحب الموشحة المشهورة:

يد الإصباح قد قدحت ... زناد الأنوار من مجامر الزهر وابن خزر البجائي، وله من موشحة:

ثغر الزمان موافق ... حياك منه بابتسام ومن محاسن الموشحات موشحة ابن سهل شاعر إشبيلية وسبتة من بعدها (١) :

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى ... قلب صب حله عن مكنس

فهو في حر وخفق مثلما ... لعبت ريح الصبا بالقبس وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره فقال:

جادك الغيث إذا الغيث همى ... يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلما ... في الكرى أو خلسة المختلس

---

(١) انظر ديوان ابن سهل: ٢٨٣ وهي الموشحة التي شرحها الأفراني في كتاب سماه " المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل ". يقول الأفراني: وقد وقفت على أزيد من اثنتي عشرة موشحة مما عورض به توشيح ابن سهل.." (٢)

"بحره الوافر بالعلم طما ... كامل الأمداد لم يحتبس

نال منه الناس حتى عمما ... مشرقا والغرب للأندلس موشحات لسان الدين بن الخطيب

رجع إلى موشحات لسان الدين ابن الخطيب، رحمه الله تعالى، فمن المنسوب إلى محاسنه قوله:

قد حرك الجلجل بازي الصباح ... والفجر لاح فيا غراب الليل حث الجناح ... وهذا مطلع موشح بديع له لم يحضرني الآن تمامه؛ لكوني تركته وجملة من كلام لسان الدين في كتبي بالمغرب جبرها الله تعالى علي، وهو معارض للموشح الشهير الذي أوله:

بنفسج الليل تذكى وفاح ... بين البطاح كأنه يسقى بمسك وراح ... وهذا المنحى هو الذي سلكه الجمال ابن نباتة (١) إذ قال مادحا لجلال الدين الخطيب رحم الله تعالى الجميع:

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٧٠/٦

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١١/٧

ما سح محمر دموعي وساح ... على الملاح إلا وفي قلبي المعنى جراح ...

بي من بني الأتراك حلو الشباب ... مر السطا

عشقته حين عدمت الصواب ... من الخطا

تشكو حشا الغزلان منه التهاب ... إذا عطا

وربما تشكو الغصون اكتئاب ... إذا خطا

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد ابن نباتة الفارقي وله ترجمة مسهبة في الوافي ١: ٣١١ - ٣٣١ ولم ترد الموشحة هنالك أو في ديوانه.." (١)

"وقال:

وحمراء في الكأس مشمولة ... تحث على العود في كل بيت

فلا غرو أن جاءني سابقا ... إلى الأنس خل يحث الكميت وقال:

بروضتنا الظمياء طال اكتئابنا ... فلله غيث ميت آمالنا أحيا

وأشبه مهيارا فها تلك عينه ... تفيض إذا شام البروق على ظميا وقال:

اثنان عزا فلم يظفر بنيلهما ... وأعوزا من هما في الدهر مطلبه

أخ مودته في الله صادقة ... ودرهم من حلال طاب مكسبه وقال موريا بالقائد نافع على ما اختاره البخاري وجماعة أن أصح الأسانيد مالك عن نافع:

عن نافع أسند حديث أحبتي ... يا مالكا رقي بحسن صنائع

فأجل إسناد وخير رواية ... عندي رواية مالك عن نافع وقال:

إني لأعجب من فعالك في الهوى ... لما حللت بحسن ذاتك ذاتي

ونفيت نومي ثم أثبت الأسى ... فجمعت بين النفي والإثبات وقال:

ألا معصم للصب من وشي معصم ... أطلت إليه نظرة المتوسم

فأبقت به عيني حلى من سوادها ... وبعض سواد وسط قلبي المتيم." (٢)

"فدام لنا ما هب عرف من الصبا ... وأومض برق في الظلام كليل

وحن مشوق للحجاز إذا بدت ... لعينيه منه شامة وطفيل

وأشرق نجم مثل قلبي خافق ... وحان له عند الغروب أفول

ولا زالت الأقدار تجري بأمره ... وصنع إله العرش فيه جميل وقال في إعذار ابن السلطان رحمه الله تعالى ورضي عنه:

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٨٦/٧

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١١٦/٧

أثرها عزمة تنضي الركابا ... وإن دميت لها العين انسكابا

لعل الوجد تطفأ منه نار ... أبت إلا زفيرا والتهابا

أما بعد الألى ترجو قلوب ... تسارع نحو أرضهم انقلابا

فيا أخوي كفا عن عتابي ... فلست بسامع أبدا عتابا

تذكرت العقيق فسال دمعي ... عقيقا من تذكره مذابا

أقول لنسمة مرت صباحا ... يعطر عرفها القفر اليبابا

ألا يا هذه كوني رسولي ... وكوني إن رجعت لي الجوابا

نشدتك بلغي صحبي سلامي ... إذا جئت المعاهد والقبابا

يلومني العواذل في اشتياقي ... إذا ما القلب من وجدي تصابى

وكم بين الأباطح من مهاة ... تروع بلحظها الأسد الغضابا

رمتني ثم قالت وهي تزري ... ولم تحذر بفتكتها العقابا

إذا ما الشهب للغرب استمالت ... وفود الليل بالإصباح شابا

أوجه إن رقدت إليك طيفي ... كلمع البرق يخترق السحابا

فقلت: لقد بخلت على مشوق ... أبى إلا غراما (١) واكتئابا

وكيف له بنوم بعد وجد ... يذيب لهيبه الصم الصلابا

---

(١) ق: عراما.." (١)

"وسلم نفسه، وآن أن تأفل من تلك المطالع شمسه، آذن آمته بالفراق وأعلمهم، وناشدهم في أخذ القصاص وكلمهم، مخافة أن يمضي إلى الملك الحق، وعليه تباعة لأحد من الخلق، وحاشاه عليه الصلاة والسلام، من صفات جائر للأمة ظلام، ولكنه تعريف من نبي الرحمة بما يجب وإعلام، ثم استمر به صلوات الله وسلامه عليه وتمادى، وزاد به السقم المنتاب وتمادى، حتى واراه ملحده، وخلا منه ربعه ومسجده، فعم الحزن والاكتئاب، وتوارى النور فأظلم الجناب، وعاد الأصحاب، وكأنما دموعهم السحاب، فقالت فاطمة وقد رابها من دفن أبيها الكريم ما راب: أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب فكأن كلامها للقلوب المفجعة كلام، وللعيون المفجرة بالدموع انسفاح وانسجام.

وفي مثل هذا الشهر شهر ربيع، المشيد بذكر الأشجان المذيع، كانت وفاة هذا النبي الهادي الشفيع، وانتقاله إلى الملإ الأعلى والرفيق الرفيع، هحين ناداه ربه إلى قربه، فلبى بشوق قلبه تلبية المهطع المطيع، وحن إلى حضرة القدس فانتظم حين حل بها ما كان من شمله الصديع، وانتظر من صنع الرب جميل الصنيع، وإنجاز وعد الشفيع في الجميع، إذ أعطي لواء الحمد وقام محمود المقام، ووقف على الحوض ينادي: هلموا إلي أروكم من العطش والأوام.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٧/٢٩٥

اللهم اسقنا من حوضه المورود، وشرفنا بلوائه المعقود، وشفعه فينا في اليوم المشهود، وارحمنا به إذا صرنا تحت أطباق اللحود، اللهم اعجعله لنا تعزية من كل مفقود، وأوجد لنا من بركاته أشرف موجود، وجازه عنا بما أنت أهله من فضل وإحسان وجود، وانفعنا بمحبته ومحبة آله وصحابته الركع السجود، واجعلنا معهم في الجنة دار الخلود ودار السلام. واخصصهم عنا بأكرم تحية وأفضل سلام، وصل عليهم صلاة تستلم أركان رضوانك أي استلام، وتنتظم له كرامات إحسانك أي انتظام. فصلوات الله عليه، وأطيب تحياته ورحمته تتوالى لديه، وأجزل بركاته." (١)

"دامت ودام لها سعد يساعدها ... في كل مبتدأ منه ومختتم

فالله عز أسمه قد زانها بحلى ... من غر امداحه كالدر في النظم

الواهب الألف بعد الألف من ذهب ... كالجمر يلمع في مستوقد الضرم

والفاعل لم يهمم به أحد ... والقائل القول فيه حكمة الحكم

ذاكم هو الشيخ فاعجب أنه هرم ... جودا وحاشاه أن يعزى إلى هرم

وحسبنا أن أيدينا به أعتصمت ... من حبله بوثيق غير منفصم

فما محالفه يوما بمضطهد ... ولا موالفه يوما بمهتضم

ولا موافيه في جهد بمطرح ... ولا مصافيه في ود بمتهم

ولا محيا محيه بمنكسف ... ولا راجاء مرجيه بمنخرم

وما تكرمه سرا بمنكشف ... ولا تنكره جهرا بمكتتم

وليس لامح مرآه بمكتئب ... وليس راضع جدواه بمنفطم

ولا مقبل يمناه الكريمة في ... محل ممتهن بل دست محترم

وما وسيلتنا العظمى إليه سوى ... ما ليس ينكر ما فيها من العظم

وإنما هي وما أدراك ما هي من ... وسيلة ردها أدهى من الرضم." (٢)

"من بعد رؤية أهوال تروعنا ... يرى لها والها هيمان أورعنا

حيران عريان يبدي كل ما سترا

سبحان من شاء في الدنيا سعادتنا ... بطاعة أحسنت منا إرادتنا

ويبتلينا ويستحلي عبادتنا ... حتى إذا شاء في الأخر إعادتنا

أعادنا مثل ما كنا كما ذكرا

سبحان من يحشر الإنسان مكتئبا ... خوف الجراء ويجزيه بما كسبا

ويحكم الحكم يمضيه كما وجبا ... فالقاسطون إلى نيرانه عصبا

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٣٠/٧

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٨٢/١

والمقسطون إلى جناته زمرا

سبحان من فضل الإسلام في الأمم ... بالطيبات الطاهر المبعوث في الحر

محمد خير من يمشي على قدم ... إذا عددت بيوت المجد والكرم

فمنه حتى إلى عدنان أو مضرا

سبحان من ختم الأديان في الأزل ... بالملة السمحة البيضاء في الملل

أتى بها خير مأمور وممتثل ... محمد خاتم السادات والرسل

وخير من حج بيت الله واعتمرا

إذا وصفنا فبالتقصير نعترف ... فكل لفظ بليغ دونه يقف

هو النبي الذي في ذكره شرف ... فإن طلبت رضاه الذي تصف

فكن على وصفه في الذكر مقتصرا

صلى الإله عليه ما بدا قمر ... وما سرى في الديجاء أنجم زهر

وما تباينت الأشكال والصور ... وما تدورست الآيات والسور

وما قضى مؤمن من حاجة وطرا." (١)

"أعانق بالفكر تلك الطلول ... وألثم بالوهم تلك الرسوم

قل: وسمعت أبا بكر بن الصابوني ينشد الأستاذ أبا الحسن الدباج موشحاته غير ما مرة، فما سمعته يقول: لله درك إلا في قوله:

قسما بالهوى لذي حجر ... ما الليل المشوق من فجر

جمد الصبح ليس يطرد ... ما لليالي فيما أظن غد

صح يا ليل انك الأبد

أو فقضت قوادم النسر ... فنجوم السماء لا تسرى

ومن محاسن موشحات أبن الصابوني قوله:

ما حال صب ذي ضني **واكتئاب** ... أمرضته يا ويلتاه الطبيب

عامله محبوبه باجتناب ثم ... اقتدى فيه الكرى بالحبيب بالحبيب

جفا جفوني النوم لكنني ... لم ابكه إلا لفقد الخيال

وذا الوصال اليوم قد عزني ... منه كما شاء وشاء الوصال

فلست باللأئم من صدني ... بصورة الحق ولا بالمحال

واشتهر ببر العداوة أبن خلف الجزاري صاحب الموشحة المشهورة:

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ١/١٨٥

يد الإصباح ... قد زناد الأنوار من مجامر الزهر

وأبن الخرز البجائي، وله من موشحة:

ثغر الزمان موافق ... حياك منه بابتسام." (١)

"هو منتهى أملي وملجأ مفزعي ... هو شمس إيماني وبدر رشادي

هو عصمتي مما أخاف وحبه ... يوم القيامة للخطوب عمادي

إشراق كل النيرات وحسنها ... من نور حسن شهابه الوقاد

لا تعجبوا فعناية المختار قد ... خرقت قياس العقل في المعتاد

شوقي إلى ذاك المقام أثاره ... حزن تلهب لفحه بفؤادي

يا ويح مكتئب وما قد شفه ... من فرط أحزان وطول بعاد

كم رام قرب الدار من أحبابه ... لو أسعف المقدور بالإسعاد

كم رام أن يشفى بزورته ظلما ... لب إلي تلك المعاهد صادي

أيام أطلع بدر حسن شبابه ... من فوق ناعم غصنه المياد

فالآن قد لعبت به أيامه ... وعدت عليه للمشيب عوادي

شيب وضعف وانتزاح مواطن ... فمتى الدهر نيل مراذي

لهفي على عمر تصرم واقضى ... أفنيت فيه طارفي وتلادي

فلأنزحن مدافعي أسفا على ... ما قدمته يدي ليوم معادي

يا حادي الأضعان يأمل طيبة ... أقصص فديتك قصتي يا حادي

وانزل بهاتيك الربوع وقف على ... نادي الندامي إن عرضت وناد:

هذا أسير بعادكم أجفانه ... تجلى بفيض الدمع سحب عهاد

فمتى على بعد الديار وشحطها ... يحظى بوصلكم حلف سهاد

فعليكم مني لسلام طيب ... ما ناح غريد بسرحة وادي

وقوله رحمه الله:

سأنظم من فخر النبي محمد ... لآلئ لا يبلى جديد نظامها." (٢)

"أي: من أعالي البلاد. ويقال من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمهما، ومن علا، ومن أعلى، ومن معال. وقوله " لا عجب " إلخ، أي: لا أعجب منها، وإن كانت عظيمة، لأن مصائب الدنيا كثيرة؛ " ولا سخر ": بالموت، وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية، وهو بفتحتين وبضمتين: مصدر سخر منه كفرح وسخرا بضمتين ومسخرا: استهزأ به.

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢١٢/٢

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢٤٩/٢

(فظلت مكتئبا حران أندبه ... وكنت أحذره لو ينفع الحذر)

وروى: وكنت ذا حذر:

(فجاشت النفس لنا جاء جمعهم ... وراكب جاء من تثليت معتمر)

في " الصحاح ": " جاشت نفسه أي: غثت، ويقال دارت للغثيان. فإن أردت أنها ارتفعت من حزن أو فزع. قلت: جشأت، بالهمز ". وروى بدل " جمعهم " أي: الذين شهدوا مقتله: " فلهم " بفتح الفاء وتشديد اللام؛ يقال جاء فل القوم أي: منهزموهم، يستوي فيه الواحد والجمع، وربما قالوا: فلول وفلال. وتثليت بالمثلثة. اسم موضع. و" معتمر " صفة راكب بمعنى زائر، ويقال من عمرة الحج.

(يأتي على الناس لا يلوي على أحد ... حتى التقينا وكانت دوننا مضر)

فاعل " يأتي " ضمير الراكب. و" يلوي ": مضارع لوى بمعنى توقف وعرج، أي: يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرج على أحد حتى أتاني؛ لأني كنت صديقه. و" دون " بمعنى قدام.

(إن الذي جئت من تثليت تندبه ... منه السماح ومنه النهي والغير)

أي: فقت لهذا الراكب: إن الذي جئت إلخ، يقال ندب الميت من باب." (١)

"(طربت وأنت أحيانا طروب ... وكيف وقد تعلاك المشيب)

(يجد النأي ذكرك في فؤادي ... إذا ذهلت على النأي القلوب)

(يؤرقني اكتئاب أبي نمير ... فقلبي من كآبته كئيب)

(فقلت له: هداك الله مهلا ... وخير القول ذو اللب المصيب)

(فيأمن خائف ويفك عان ... ويأتي أهله الرجل الغريب)

(ألا ليت الرياح مسخرات ... بحاجتنا تباكر أو تؤوب)." (٢)

"(وأنكرت الزمان وكل أهلي ... وهرتني لغيبتك الكليب)

(وكنت تقطع الأبصار دوني ... وإن وغرت من الغيظ القلوب)

الطرب: خفة تصيب الإنسان لفرح أو حزن. والنأي: البعد. ويؤرقني

: يسهرني. والاكتئاب: افتعال من الكآبة وهي الحزن. وأبو نمير قال اللخمي: هو ابن عمه وكان مسجونا معه.

وقال ابن هشام في شرح شواهده: هو رجل كان مسجونا معه فجالسه يوما وأظهر له التألم.

وقال العيني: هو رجل من قرابته زار هدبة أيام حبسه فأظهر الحزن. والكآبة. وقوله: وخير القول ذو اللب أي: قول ذي اللب.

ورواه ابن المستوفي: وخير القول ذو العيج المصيب بالمثناة التحتية والجيم وقال: وهو مأخوذ من قولهم: ما عجت به أي: لم

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٩٢/١

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٣٠/٩

أرض به.

وإن روى: العنج بالنون فهو الاسم من عنجت البعير أعنجه عنجا وهو أن يجذب الراكب قال ابن السيرافي: والعيج من القول: ما ينتفع به وهو مأخوذ من قولهم: ما عدت بكلامه أي: ما انتفعت. كذا وجدته: العيج بفتح العين والياء.

وقوله: عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... . إلخ الكرب: الهم.

قال ابن المستوفي: روي بفتح التاء وضمها من أمسيت. والنحويون إنما يروونه بالضم والفتح عندي أولى لأنه يخاطب ابن عمه أبا نمير وكان معه في السجن.

وقوله هذا لابن عمه ليسليه به لما رآه من خوفه أجود من أن يكون يريد به نفسه لأن في قوله لابن عمه زجرا." (١)

"له: مهلا أي: امهل يدل على ما ذكرته. ولا يجوز أن يقال: إن اكتئاب ابن عمه إنما كان حذرا على هدبة لأنه لو كان كذلك لما قال له: مهلا ولأن الإنسان أكثر عناية بنفسه من عنايته بغيره.

ولا يمتنع ضم التاء على أن يريد به: لا يضق صدرك بشيء فإن الكرب الذي أمسيت فيه يكون له فرج قريب فيزول ما عندك. انتهى.)

وعين اللخمي فتح التاء قال: الرواية عن أبي القاسم الزجاجي ضم التاء وإنما هي تاء المخاطب لأن ما قبل البيت يدل عليها لأنه يخاطب أبا نمير وهو ابن عمه وكان مسجونا معه.

وقال ابن هشام: وراء ظرف مؤنث تصغيره على وريئة وظهور الهمزة في تصغيره دليل على أنه ليس من واريت كما قال بعضهم. والأظهر أنه بمعنى أمام كقوله تعالى: من ورائه جهنم وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا.

والفرج: انكشاف الهم. وفي يكون ضمير الكرب ويجوز أن تكون ناقصة وتامة وعلى الأول يكون فرج: مبتدأ وقريب: صفته والظرف: خبر والجملة الاسمية خبر يكون. وعلى الثاني تكون الجملة حالا.

ويجوز على الوجهين أن يكون فرج فاعلا بالظرف على أنه خبر الناقصة وحال من فاعل التامة. وهذا أرجح من تقديره مبتدأ. وإنما لم أقدر فرج اسم يكون على أنها الناقصة ووراءه الخبر أو فاعلا ليكون على أنها التامة ووراءه متعلق." (٢)

"وبقول الآخر: المتقارب

(فإن يكن الموت أفناهم ... فللموت ما تلد الوالده)

وقال ابن هشام في المغني: وأنكر البصريون ومن تبعهم لام العاقبة. قال الزمخشري: والتحقيق أنها لام العلة وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون

الحقيقة. وبيانه: أنه لم يكن داعيهم إلى غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبهه بالداعي الذي يفعل الفعل لأجله فاللام مستعارة لما يشبه التعليل كما استعير الأسد لمن يشبه الأسد. انتهى.

وفهم منه أن اللام في هذه الأبيات للتعليل. وجعلها من فروع الاختصاص أولى لأن التعليل أيضا من فروع الاختصاص.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٣٢/٩

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٣٣٣/٩

وهذا المصراع من أبيات في الديوان المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي: الوافر

(عجبت لجازع باك مصاب ... بأهل أو حبيب ذي **اكتئاب**)

(شقيق الجيب داعي الويل جهلا ... كأن الموت كالشيء العجاب)

(وسوى الله فيه الخلق حتى ... نبي الله عنه لم يحاب)

(له ملك ينادي كل يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب." (١)

("

قال شارح ديوانه حسين الميبذي: المصاب: من أصابته مصيبة. **والاكتئاب**: الحزن. فإن قلت: الكاف مغنية عن كأن قلت: قال التفتازاني في المطول: إن كأن تستعمل في مقام يظن بثبوت الخبر دون التشبيه. ولام للموت لام العاقبة وهي فرع لام الاختصاص. انتهى.)

وحتى: ابتدائية ونبي الله مفعول مقدم ليحاب بمعنى يخص كما تقدم مجيئه بهذا المعنى في ورأيت في الفصول القصار من نهج البلاغة لسيدنا علي رضي الله عنه: إن لله ملكا ينادي في كل يوم: لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنو للخراب.

ورأيت أيضا في جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب: قد روي أن بعض الملائكة قال:

(لدوا للموت وابنوا للخراب ... فكلكم يصير إلى ذهاب)

والبيت الثاني هو من أبيات مغني اللبيب ولم يعرفه شراحه وهو لسابق البربري.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد: وفد عبد العزيز بن زرارة سد أهل الكوفة على معاوية فخرج مع يزيد بن معاوية إلى الصائفة فهلك هناك فكتب به يزيد إلى معاوية فقال معاوية لأبيه زرارة: أتاني." (٢)

"ويشبه قول الخوارزمي:

لا تمدحن أبن عباد وإن هطلت ... كفاه بالجود حتى أخجل الديما!

فإنها خطرات من وساوسه ... يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

وكتب البيتين فوضعهما حيث يجلس الصاحب ثم ارتحل من وقته. فلما وقف الصاحب عليهما فال:

أقول لركب من خراسان أقبلوا ... أمات خوارزميكم؟ قيل لي نعم!

فقلت: اكتبوا بالجص من فوق قبره: ... إلا لعن الرحمن من يكفر النعم!

ومثل ما تقدم قول الآخر:

من يصحب الدهر لا يعدم تقلبه ... والشوك ينبت فيه الورد والآس

تمر حينا وتحلو لي حوادثه ... فقلما جرحت إلا انثنت تأسو

وقول الآخر:

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥٣٠/٩

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥٣١/٩

لا تجزعن لعسرة من بعدها ... يسران وعد ليس فيه خلاف!

كم عسرة ضاق الفتى لنزولها ... لله في أعطافها ألطف!

وقول الآخر:

تصبر للعواقب واحتسبها ... فأنت من العواقب قافي اثنتين

تريحك بالمنى أو بالمنايا ... فإن الموت إحدى الراحتين!

وقول الأبيوردي:

تنكر لي دهري ولم يدر إنني ... أعز وأن الحادثات تهون

فبات يريني الخطب كيف اعتداؤه ... وبت أريه الصبر كيف يكون

وقولنا من قصيدة:

فإذا عرتك الحادثات فثق ... بمليكها ذي الخلق والأمر

واصبر لروح الله مرتجيا ... فلتحمدن عواقب الصبر

إن اصطبار المرء مفتتح ... متغلق البأساء والعسر

ومنفس عنه الكروب إذا ... ضاقت بهن جوانح الصدر

كم من حزين بات **مكتئبا** ... متعسر الأحشاء ذا زفر." (١)

"فإذا عرتك الحادثات فثق ... بمليكها ذي الخلق والأمر

واصبر لروح الله مرتجيا ... فلتحمدن عواقب الصبر

إن اصطبار المرء مفتتح ... متغلق البأساء والعسر

ومنفس عنه الكروب إذا ... ضاقت بهن جوانح الصدر

كم من حزين بات **مكتئبا** ... متسعر الأحشاء ذا أفر

لا يرتجي جلباب ليلته ... أن ينثني طرفاه بالسفر

فأتته ألطاف منفسة ... لفؤاده من حيث لا يدري

ولكم بعيد الضيق من سعة ... ولكم بعيد العسر من يسر

هل بعد معترك الظلام سوى ... بلج الصباح وطلعة الفجر

أو بعد ظمأة هجمة وردت ... غير ارتواء جانب الغدر

أو بعد خانقة التلاع سوى ... فيح الفجاج وفسحة البهر

وإذا تحاول نيل مكرمة ... فانهض إليها نهضة الشمر

وأركب جواد الجد مكتفيا ... ذيل الملالة منك والفتر

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٢/٨٧

فلرب ذي أمل على ملل ... ومهدر في العنة الحجر

والرب ذي رعد على صلف ... فتراه يخلق ثم لا يفري

ومخاطرا بالنفس فيه فما ... يرجى الخطير بغير ذي خطر

وأعلم بأن الغوص في لجج ... خضر يخف لجالب الدر

وتعسف القنن الصعاب علي ... خصب يخف لحالب الدر

ولدى الرياح الكثر بحمد ما ... جاب المفاوز صاحب التجر

ولدى الصباح يكون مغتبطا ... وينال بغيته الذي يسري

وتسنمن ذرى الأمور ولا ... تخلد إلى سفسافها الخضر

واعلم بأنك ما استطبت جنى ... إلا لطيب الجذر والبذر." (١)

"(إن رمت كشف العنا والحوب والنوب ... كذا الخلاص من الأكدار والنصب)

(وكنت حقا سعيدا غير مكتئب ... قف وقفة الذل والإطراق ذا أدب)

(فعند حضرته يستلزم الأدب ...)

وهذا التخميس جيد جدا وأظن أن الأصل أيضا له وله بقية اكتفينا عنها بنبذة نقية وكانت وفاة صاحب الترجمة في سنة ثمان وثمانين وألف بقسطنطينية والشعراني نسبة إلى قرية أبي شعرا بمصر

أبو السعود بن علي الزين المعروف بالقسطلاني المكي المالكي الشيخ الإمام رأيت ترجمته بخط صاحبنا الفاضل مصطفى بن فتح الله رحمه الله تعالى قال في وصفه عالم عامل وناسك بركته غيث هامل وإمام بمثله يقتدي وطود بنجوم هديه يهتدي علامة في علوم العربية ومثابر على خدمة خالق البرية كان متلقدا بقلائد العفاف متخليا عما يزيد على الكفاف ولد بمكة ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم واشتغل بالعلم مدة سنين تقارب العشرين وأخذ عن جماعة منهم العلامة علي بن جار الله والشيخ يحيى بن الحطاب وغيرهما وعنه أخذ العلامة عبد الله بن سعيد باقشير والفاضل حنيف الدين المرشدي وغيرهما ولم يزل ملازما لخدمة العلم وإفادته منهمكا على مطالعته ومذاكرته مكبا على إفادة الطلبة وله مؤلفات منها الفتح المبين في شرح أم البراهين وفوح العطر بترجيح صحة الفرض في الكعبة والحجر وأملى على الأجرومية شرحا لطيفا وله منظومة في مسوغات الابتداء بالنكرة وله شعر حسن منه قوله

(ألا ثم القوم حتى أن أرى رجلا ... أخا مذاكرة للعلم ينتسب)

(أقام ذكر عهود بالحمى فله ... أحن الفاو بالمألوف انتسب)

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ١٢٩/٣

(كأنني هل إذا فعل بحيرها ... حنت إليه وأهل العلم تصطحب)

أشار به إلى ما ذكره النحويون من أن هل مختصة بالفعل إذا كان في حيزها فلا يجوز هل زيد خرج لأن أصلها أن تكون بمعنى قد كقوله تعالى ﴿هل أتى على الإنسان حين﴾ وقد مختصة بالفعل فكذا هل لكنها لما كانت بمعنى همزة الاستفهام انحطت رتبتها عن قد في اختصاصها بالفعل فاختصت به فيما إذا كان في حيزها لأنها إذا رأته في حيزها تذكرت عهودا بالحمى وحنت إلى الألف المألوف ولم ترض بافتراق الاسم بينهما وإذا لم تره في حيزها تسلت عنه وذهلت ومع وجوده إن لم يشتغل بضمير لم تقنع به مقدرا بعدها وإلا قنعت به فلا يجوز في الاختيار هل زيدا رأيت بخلاف." (١)

"إلى سيدي يوسف العجمي انتساب وكان في وقته مرجع الناس للتلقي والاستفادة وكان له اليد الطولي في غالب العلوم وله تحريرات كثيرة منها الأجوبة عن الأسئلة لابن عبد السلام في التفسير وله تفسير بعض المفصل من السور وغير ذلك من الرسائل في التفسير كتب على متن التهذيب في المنطق ونظم عقيدة لها حسن أسلوب لكن عباراتها مغلقة وشرع في اختصار المواهب فكتب قطعة ومات ولم يكمله وله قصائد ومقاطيع وقد ترجمته في كتابي النفحة فقلت في وصفه لست أدري ماذا أقول فيمن ورث المجد خلفا عن سلف وعجزت عن أوصافه الألسن وما هجس لها في المبالغة سرف فلو أدرك زمن النبوة نزلت آي القرآن بشواهد علاه أو لحق الصديق لقال هذا وارثي لاسواه فهو إمام التفسير والحديث الراقي علو الإسناد منه في القديم والحديث بل العلم في كل علم بلا خلاف الذي إذا كشف عن المعضلات كان نعم الكشاف فعطا رد تلميذ أفادته والمشتري مشتري سعادته فلو أدرك التفتازاني لقيل أدركه السعد أو السيد لحصل على أمنيته من غير وعد وبالجملة فهو خاتمة المحققين وإنسان عين المدققين وكان من الأدب في سنامه وكاهله تحوم الآراء حول موارده فترتوي من مناهله وله نظم ونثر كما انتظمت الأزهار بعد ما انتثرت عليها دراري الأمطار فمن نظمه قوله

(وإني لصب في القوافي ومدحها ... ويبلغ بي حد السرور بليغها)

(وأطيب أوقاتي من الدهر ليلة ... تريغ القوافي خاطري وأريغها)

(وكم بلغت بي همتي بعد غاية ... يعز على الشعرى العبور بلوغها)

(فما سرني إلا كلام أسيغه ... بمسمع واع أو معان أصوغها)

وقوله

(ماذا تقولين فيمن شفه سقم ... من فرط حبك حتى صار حيرانا)

(قد لاذ في الحب حتى صار مكتئبا ... والعشق أضرم فيه اليوم نيرانا)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٢٢/١

(هل يشتفي منك بالثغر الرحيق إذا ... أو تتركيه على الأدنان ندمانا)

وكتب إلى بعض وزراء مصر

(يا أيها المولى الوزير من له ... من حللن من الزمان وثاقي)

(من شاكر عني يديك فإنني ... من عظم ما أوليت ضاق نطاقي)

(منن تخف على يديك وإنما ... ثقلت مواهبها على الأعناق)

وله فيمن اسمه بدر." (١)

"(ولو أني قضيت فيها سرورا ... في شبابي لم اكتئب لمصابي)

(بل تولت نضارة العز مني ... بين عيش ضنك وفرط **اكتئاب)**

(فالفرار الفرار من دار هون ... تركتني أشكو زمان الشباب)

(وإذا الضيم ما أقام فأحبب ... بجياد تمرمر السحاب)

(لو يكن في مقام ذي اللب فضل ... قطع السيف وهو ضمن القراب)

(أدرك المسك بالتنقل شانا ... وهو في أرضه دوين التراب)

(فالفتى الشهم من إذا شام ضيما ... لا يبالي بفرقة الأحباب)

(كيف مكثى ما بين أظهر قوم ... عهدهم في ثباته كسراب)

(جارهم إن غدا عزيز عليهم ... كان كالشاة في مقيل الذئاب)

(هم إذا صادروا أسود شراء ... وإذا حاربوا فدون الكلاب)

(كم إناس من دارهم أخرجوهم ... ليسومونهم بسوء العذاب)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢٣٥/١

(إن فرعون ثم نمرود كانا ... دونهم في اختراع شؤم العقاب)

(ومساويهم التي مثل هذا ... عدد الرمل والحصى والتراب)

(رب يامن أباد عاد وأودي ... بثمود ذوي النفوس الصعاب)

(لا تذر منهم على الأرض شخصا ... أنهم جاحدون نص الكتاب)

(وانتقم مسرعا وعجل عليهم ... ليس فينا صبر ليوم الحساب)
ورأيت بخط الأديب إبراهيم رامي كثيرا من أشعار صاحب الترجمة وذكر في بعض أوراقه ومن محاسن ما اتفق له في الشعر وذلك أن الأمير موسى بن الحرفوش أمير بعلبك عزم على الحرب مع الأمير علي بن سيفا في ناحية غرير وقتل ابن سيفا جماعة الأمير موسى فكتب للأمير موسى في ابتداء القتال هذين البيتين مع كتاب أرسله أليه يستحثه على القتال فقال
(غرير طور ونار الحرب موقدة ... وأنت موسى وهذا اليوم ميقات)

(ألق العصا تتلقف كل ما صنعوا ... ولا تخف ما حبال القوم حيات)
قلت وقد رأيت البيتين في تاريخ الصلاح الصفدي في ترجمة الأشرف منسوبين للكمال ابن النبيه ونظمهما عند ما نازل موسى الأشرف دمياط وصدرهما هكذا دمياط طور إلى آخر البيتين وللأمير حسن وكتب بهذه الأبيات إلى جدي القاضي محب الدين في صدر كتاب وكان سمع بوفاة المولى سعد الدين بن حسن جان." (١)

"قرة عينى ما أسرع ما طلع نجم التفرق فى البين وهجمت على ائتلافنا قواطع البين هلا امتد زمان الاقتراب حتى تتأكد الاسباب وتأخرت أيام الفراق حتى يتم ميقات الاتفاق واها لايام قرب ما وفت بما فى الضمير ولا ساعدت على بقائها المقادير والى الله أشكو فى الصدر حاجة تمر بها الاوقات وهى كما هيا وأقسم بالله العظيم انهم عندما قالوا الرحيل فما شككت بأنهار وحى عن الدنيا تريد رحيلا فيا ليت شعرى هل تحس بفقدى أتذكرنى من بعدى ان فعلت فما أحقك بالاحسان وان نسيت فمن شيم الانسان النسيان وأما أنا فانى
(أروح وقد ختمت على فؤادى ... بحبك أن يحل به سواكا)

(ولو أنى استطعت خفضت طرفى ... فلم أبصر به حتى أراكا)
وله
(ورد الكتاب مبشرا بقدوم من ... ملأ النفوس مسرة بقدومه)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢/٤٧

(فطربت بالاسماع من منثوره ... وثملت بالجريال من منظومه)

(وسجدت شكرا عند مورده على ... اسعاد هذا العبد من مخدومه)

وله من فصل من التحية عندى ما يستعير الروض من رياه ويستنير الصبح من محياه ومن الود مالا ينقضى يومه ولا غده ومن الشوق ما أحر نار الجحيم أبرده وأناله ببلوغ الا وطار وعلو المنار على أبلغ ما يكون حقق الله تعالى فيه كمال ما أرتجيه وسرنى سريعا بتلاقيه ومن شعره قوله

(ودعتكم ورجعت عنكم والنوى ... سلبت جميع تصبرى وقرارى)

(والجفن يقذف بالدموع ولم أكن ... لولاه أنجو من لهيب النار)

وقوله

(ومن يغتمد بالبشر منك فانه ... جهول بادراك الغوامض مغرور)

(فانك مثل السيف يخشى مضاؤه ... اذا لمعت فى صفحتيه الاسارير)

وقوله

(نبت عنهم حد الضباب كأنها ... لكثرة ما هانت عليهم صوالج)

(وحلوا بها أعداءهم فكأنها ... قلائد فى أعناقهم ودمالج)

ومن // جيد شعره // قوله من قصيدة

(من شفيعى الى الثنايا العذاب ... من عذيرى من الغصون الرطاب)

(من مجيرى مما أقاسى من الايام من فرط لوعة واكتئاب ...)

(من نصيرى على الليالى التى ما ... زال منها ما بين ظفر وناب)

(أترجى منها الخلاص فألقى ... من أذاها ما لم يكن فى حسابى)." (١)

"قرب باب الجابية لاجلها وعين للمدرس ستين قرشا وللمعيد ثلاثين ولقارئ العشر عشرة قروش ودرس المحاسنى وكان فصيح العبارة وانتفع به خلق من علماء دمشق منهم شيخنا العلا محمد بن على الحصكفى مفتى الشام وشيخنا المحقق ابراهيم بن منصور الفتال وغيرهما وله تحريرات تدل على علمه وله شعر حسن مطبوع فمنه قوله من قصيدة

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣٨١/٣

(يا سقاها مرابعا للتلاقى ... كل سار من الحيا غيداق)

(حيث تبدو قاله تخجل الغصن ... ووجه يزيد فى الاشراق)

(ورعى الله عهدنا بالمصلى ... حيث ذات اللمى على الميثاق)

(حيث أشكو لها الغرام ووجدا ... قد أسال الدموع من أماقى)

(يا حداة المطى رفقا بقلبى ... ان طعم الفراق مر المذاق)

(جبلت طينتى على محنة الحب فحسبى من الهوى ما ألاقى ...)

(كل يوم قطيعة وبعاد ... **واكتئاب** وفيض دمع مآقى)

(شاب فودى يتلو مشيب فؤادى ... فأمانا من هول يوم الفراق)

(لست شعرى متى تعيد الليالى ... ما أتاحت من صفو عيش التلاقى)

(ما أظن الايام تحكم الا ... بامتناع الارفاق للارفاق)
ومن // جيد شعره // قوله
(وتنفسى الصعداء ليس شكاية ... مما قضته سوابق الاقدار)

(لكن بقلبى جملة تفصيلها ... صعب لدى العقلاء والاحرار)

(فجعلت موضع كل ذلك أنه ... ضمنت مرادى من عطاء البارى)
وكتب الى بعض أصحابه بدمشق وهو بمصر
(لو كنت بمرأى من خليط نزحا ... ماكان دخيل الوحد منى وضحا)

(لكن بعدوا فصار سرى عليا ... من بعدهم وصار كأسى قدحا)
ومن ملحه هذا الموشح نظمه على أسلوب موشح لبنت العرندس الشيعى ومطلع موشحه
(أهواه مهفهفا من الولدان ... ساجى الحدق)

(قد فر من الجنان من رضوان ... تحت الغسق)

(من ريقته سكرت لا من راحى ... كم جدد لى رحيقها أفراحى)

(كم أسكرنى بخمرها يا صاح ... كم أرقنى بطرفه الوسنان)." (١)

"وضعه على أسلوب الحان السواجع للصلاح الصفدى قال فى خطبته بعد أن ذكر انه وقف على كتاب الصلاح فتحركت القريحة لجمع ما هو كالشريد وان كان بين المقامين بون بعيد والفضل للسابق على كل تقدير وأجر اللاحق له من غير تقتير لكن الشيخ صلاح الدين افتقر لذكر السواجع للالحان والحادى غنى بألحانه عن تحريك العود من الاغصان وشتان بين من يتصرف بأنواع فنون نغماته من الانسان وبين مغردة تفتقر فى تحريك ألحانها الى سكون فنن من الافنان قلت وقد وقفت على هذا الكتاب وطالعته مرارا فلم أجد فيه كبير فائدة سوى انه ذكر مشايخه الذين أخذ عنهم بالشأم منهم الشمس بن المنقار وجدى القاضى محب الدين والملا أسد الدين بن معين الدين التبر يزى والشمس محمد الداودى والشهاب العيثاوى والشمس الميدانى وأضاف اليهم بعض أدباء راسلهم وراسلوه وقد استوعبت شعره الذى ذكره فيه فلم أر له أجود من قوله من قصيدة راسل بها الشيخ الامام حسن جمال الدين الصيداوى مستهلها

(اذا أنكرت دعوى المحب شهوده ... فحسبى انى فى الغرام شهيده)

(فلله شوقى لا يقر قراره ... من البعد حتى ماله من يعوده)

(وقد مله عواده وهو مدنف ... حليف جوى صب الفؤاد عميده)

(رعى الله أياما تقضت بقربهم ... ومن لى بذاك القرب من ذا يعيده)

(أيا عاذلى عمن نعيمى وعده ... وحر جحيمى بعده ووعيده)

(ولم يتلطف بالوصال لمغرم ... وقد طال منه هجره وصدوده)

(فهذا ملامى مسمعى لا يريده ... وهذا غرامى لا أزال أروده)

(وان كان دهرى قد يجور زمانه ... تخلصت منه بالذى عم جوده)

فراجعه بقصيدة اخترت نسيبها ومبدؤها

(مريض هواكم مله من يعوده ... فعصر التدانى ماله من يعيده)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٤٠٩/٣

(أقمتم على هجرى وانى على الولا ... مقيم وعتدى كل آن مزيده)

(بماذا استبحتم ضر صب بحبكم ... غدا عدما بين الانام وجوده)

(كساه النوى ثوب **اكتئاب** وحسرة ... مدى العمر لا يبلى لديه جديده)

(فان شئتمو عودوا على من غرامه ... قضى بعناه والدموع شهوده)

(وحاشاكمو أن لا تجودوا لطالب ... الى نحوكم فى الدهر سارت وفوده)." (١)

"لو اقمح المنى أساير عساكر النجوم والافلاك وقد ركز الليل رمح السماك فأنخت بمخيم المجد وقرارة ماء السعد كعبة الافاضل الا انهم يحجون اليها كل آن وسوق عكاظهم الا أنها تنصب فيها مصاقع الروم لا مصاقع عدنان فلما ألقتنى فيها أرجوحة المقادير فاذا هى فلك العز ومطلع التدبير الا أن حالى تقسمت فيها بين الاغتراب والاضطراب **والاكتئاب** اثلاثا فانزلت منها منازل الا حسبتها على أجداثا وسقتنى الدردى من أول دنها وسوء العشرة من باكورة فنها كل هذا وأنا أستلين مس خشونتها وأسيغها على كدورتها وأقول اذا لم تتم الصدور فتتم العواقب وان لم تريش القوادم فستريش الخوافى والجوانب ثم أنشد له قوله من قصيدة نبوية مطلعها

(سقى الله ذات الشيخ والعلم الفردا ... وحيا الحيا وجه البشامة والرندا)

(وما طلبى السقيا لها عن ظما بها ... ولكن بسقياها بقلبى أرى بردا)

ومنها

(وحلت خيوط الغاديات يد الصبا ... على أنها من قبل قد احكمت عقدا)

(وقد أوقدت فى مجمر الزهر عنبرا ... يمين شمال من براد الندى أندى)

(ذكرت بماريا الحبيب وساعة ... بها لبيض وجه الدهر من بعد ما اسودا)

(حبيب زنت عينى بعين جماله ... فصيرت تزويج السهاد لها حدا)

ومنها

(وقربنى منه وأخشى بعاده ... فرب اقتراب جر من بعده بعدا)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٢/٤

(كسهم الرمايا كلما ازداد قربه ... الى صدر راميه تباعد وامتدا)

وهذا معنى مطروق ومن ظريفه

(مدت الى يدا تودعنى ... فدنا اليها المغرم الصب)

(كالسهم راميه يقربه ... ولاجل بعد ذلك القرب)

ومنها

(ترى تمترى عشب الحجاز رواحلى ... وتلطم أيديها وجوه الفلا وخدا)

وله من نبوية أخرى

(ما زلت حسانا له ولبيته ... ولصخرك ذاك البيت كالخنساء)

(أبكى البقيع وساكنيه وليتنى ... كنت المخضب دونهم بدماء)

وله من أخرى

(مذ نشرت صحيفة البيد سرى ... رسمت بالمنسم واللنوى)

ومن أخرى

(هاب القريض مديحه ... فانشق أنصافا سطوره)." [١]

"(وبعد فانه قد جاء منه ... كتاب سرنى منه الخطاب)

(بلغت به من الفرح الامانى ... وزايلنى برؤيته **اكتئاب)**

(وفى بالدين والدنيا جميعا ... فما لى غير ما فيه طلاب)

(وكيف وطيه ملك عظيم ... يدوم فلا يخاف له ذهاب)

(هو الذخر الذى من لم يحزه ... ذخائره وان كثرت تراب)

(وذاك العلم أفضل ما تحلت ... به نفس وأفضل ما يصاب)

(وقد أهديت منه لنا نصيبا ... به منا تطوقت الرقاب)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٩١/٤

(جمعت به المحرر من علوم ... جلاها أهلها طابت وطابوا)

(فنلت بما أنت عظيم فضل ... ومغفرة ويهنيك الثواب)

(ولابرحت فواضلك اللواتى ... علون بها لنا يعلو جناب)

(ودمت مسلما مالاح فجر ... وفاح عبير نشر يستطاب)
ولما وفد القاضى أحمد بن صالح بن أبى الرجال اليه أيام اقامته فى حضرة الامام المؤيد بالله أخذ عنه علوما كثيرة من جملتها علوم القرآن وسأله نظم شئ يكون فيه له كالضابط المرجوع اليه عند الحاجة فقال الناصر
(سألننى يا ابن أبى الرجال ... يا ساميا فى رتبة لكمال)

(يا منبع السؤدد والمعالى ... ومعدن العلم الشريف العالى)

(وأنت فى هذا السؤال عندى ... كسائل كيف طريق نجد)

(أهل طويل ذاك أم قصير ... تلذذا وهو بها خبير)

(شرعت فى قاعدة تمهد ... غازلها الياقوت والزبرجد)

(قد كنت ألفت بها المقررا ... ثم اختصرت بعده المحررا)

(فحين ما استعجلت منى ما ترى ... فعلتها مسارعا مبادرا)

(وان تكن على الصواب فهو من ... افضال مولانا الامام المؤتمن)

(فانها قد جمعت فى حضرته ... ونعمة قد نلتها من دعوته)

(مع اشتغالى بكتاب التذكره ... وغيرها بعد العشاء الآخرة)

(وفى النهار لم أجد وقتا يسع ... فاقبل من المهدى اليك ما جمع)

ومن هنا خرج الى المقصود فقال

(المد أنواع فجاء متصل ... يا أيها الانسان هذا منفصل)." (١)

"(أنا والله محب لكم ... صدقونى ليس بعد الله شى)

(مختف حبكم فى مهجتى ... عن جميع الخلق الا ملكى)

(مذ منحتم بوفا دون جفا ... فكذا أنسيتمونى ابوى)

الخ وكانت وفاته فى مرجعه من الحج غرة صفر سنة احدى وخمسين وألف وصلى عليه بالجامع الازهر فى محفل لم ير فى هذه الاعصار مثله ودفن رحمه الله تعالى فى زاوية سلفه السادات بنى الوفاء رضى الله عنهم ورثاه الشهاب الخفاجى بقوله

(قضى نحبه والحج قطب لروحه ... دعا ربه نحو الجنان فلبت)

(فمن حج للبيت العتيق على تقى ... فروح أبى الاسعاد لله حجت)

(ومن حج للرحمن احرام حجة ... مجردة من جسمه دون موقت)

(فلا برحت سحب الرضا حول قبره ... تظل له هطالة سحب رحمة)

وانما ذكرت رجال هذه الطريقة على التفصيل لكونها خاصة بهذا البيت ويتعلق بالمقام فائدة جليلة فى لبس الخرقة التى تقدم ذكرها وهى ما قال الصلاح ان من القرب لبس الخرقة وقد استخرج لها بعض المشايخ أصلا من السنة وهى حديث أم خالد قالت أتى النبى

بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال ائتونى بأم خالد فأتى بى قالت فالبسنيها بيده وقال ابلى وأخلقى وهو مخرج فى الصحيح قال ولى فى الخرقة اسناد عال جدا وذكره ثم قال وليس بقادح فيما أوردناه كون لبس الخرقة غير متصل الى منتهاه على شرط أصحاب الحديث فى الاسانيد فان المراد ما تحصل به البركة والفائدة باتصالها بجماعة من الصالحين انتهى

يوسف بن عبد الملك البغدادى الدمشقى المعروف بالحمار كان أحد الاعاجيب فى حسن العشرة ومخالطة الناس وسعة الرواية فى الاخبار والنوادر وكان وجيها كبير العمة أبيض اللحية وصرف عمره فى الطلب والقراءة وحضور دروس العلم ولزم الشيخ رمضان العكارى والشيخ عبد الباقى الحنبلى وغيرهما الا انه لم يحصل شيئا الا القليل لغباوة كانت فيه ولهذا لقب بالحمار وانما ذكرته لان كثيرا من الادباء كانوا يعرضون به فى بعض اشعارهم ويبنون على لقبه اشياء وكانت وفاته ليلة

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٤٤٦/٤

الاربعاء سابع عشرى شهر رمضان سنة تسع وستين وألف وخلف مالا كثيرا وقال الامير منجك فى التعريض به

(قيل عاشت بموته وارثوه ... حيث كانوا من فقرهم فى **اكتئاب**)." (١)

"أنا والله قتيل ... هالك من نظراتك

جرحت قلبي وهذا ... شاهدي في وجناتك

أنا أستبقي حياتي ... لتقضى في حياتك

كيف تعصيك حياة ... هي من بعض هباتك

آه من ضعف غرامي ... وتقوي عزماتك

آه من طول عنائي ... وتداني خطراتك

وله من قصيدة، مطلعها:

ذا ودادي وهل ترى لودادي ... حافظا في الأنام مثل فؤادي

كلما رحت أستميح حبيبا ... وده جاد لي بضد مرادي

فكأن الأنام أضحوا فلانا ... وفلان هو الذي لي يعادي

كلما رمت قربه أخذت بي ... شيمة منه تقتضيه بعادي

مثل صبري إذا تلقى هواه ... كان ذا رائحا وذلك غادي

إن تمادى بنا جفاه قليلا ... فانتظر للأساة والعواد

عجبا من نواك وهو طريف ... كيف لم يرع حق قرب تلادي

أخلفتك الشؤون عجزا فجادت ... بالسواري أكبادنا والغوادي

ليس عندي من الدموع سوى ما ... وهبته عصارة الأكباد

كان طول القناة ودك عندي ... فانبرى من جفاك عرض النجاد

لا تلمني على هواك فإنا ... قد أتينا معا على ميعاد

صادف القلب خاليا فاحتواه ... مطمئنا وكان بالمرصاد

معنى البيتين ينظر إلى قول الآخر:

أتاني هواه قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خاليا فتمكنا

نقل عن أبي بكر الأصبهاني أنه عابه، فقال: كل من صادف مكانا خاليا تمكن فيه، والمستحسن أن يعرفه من دونه.

أقول: هذا كلام من لم يذق حلاوة المعاني؛ فإن الشاعر قصد أن غرامه قائم، لم يسبقه غيره، فإنه متمكن في قلبه لا يزول، وما قصد معنى آخر، كما قيل:

أتاني هواه والهوى قد أحاط بي ... ليجمل بيت القلب للحب منزلا

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٥٠٥/٤

فصيرته وقفا عليه ولم يجد ... إليه سبيلا غيره فتحولا

تتمة الأبيات الأولى:

كان لي منك لحظة أصطفيها ... فغدا لحظها كسيف الأعادي

كنت أخشى غرارها وهي سلم ... كيف إذ جردت من الأغماد

عملت للوشاة فينا سيوف ... عجبا رحن وهي غير حداد

لست مستسعدا حبيبا تجنى ... لي ذنبا وصد عن إسعادي

آه من وصلك البعيد التداني ... آه من هجرك الكثير التمادي

لا ابتلاني الإله بعدك حتى ... يلبس الخد منك ثوب الحداد

ويرى الورد كالبنفسج لونا ... منك والأقحوان غير نوادي

إذ عرى نرجس العيون ذبول ... وغدا الغصن ليس بالمياد

ذاك نوحي عليك وهو زمان ... منصف للهوى من الأضداد

ومن نتفه قوله:

علمتني الذل حتى صرت آلفه ... وما التذلل خلق الباز والأسد

يا من أهان فؤادي من محبته ... أعزك الله فارحمني ولا تزد

قد صرت طوع يد الأشواق مكتئبا ... من بعد ما كانت الأشواق طوع يدي

وقوله:

وأذكرني قد القناة قوامه ... وهزني الشوق اهتزاز المهند

وأزعجني حتى ظننت وسادتي ... علي وقد أمست كقطعة جلمد

ألا إنني يا شوق بالله عائذ ... ومستشفع من فتنتي بمحمد

وله من قصيدة، أولها:

لحى الله أوقاتي وضاعف من صبري ... على مرها مر السحاب بالقطر

تحاربني الأيام حتى كأنني ... تطالبني عن كل من مات بالوتر

الوتر: الذحل، وهو الثأر.

قال يونس: أهل العالية يقولون: الوتر، يعني بالكسر: في العدد، وفي الذحل، بالفتح.

عددت أويقاتي ولاحظت طيبها ... فأجودها ما مر في الحلم من دهري

إذا رحت أحصيها لأعلم يسرها ... عدمت حياتي والمصير إلى عسر." (١)

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٣٢/١

"وقوله مضمنا:

يا من يد الرحمن قد خطت على ... صفحات خديه السنية لاما

قد تم حسنك بالعذار فمن رأى ... بدرا يكون له الكسوف تماما

البيت لأبي فرج بم هندو، وقبله:

خلع العذار على عذارك خلعة ... خلعت قلوب العاشقين غراما

قد تم، وهو معنى، كم حام على تضمنه معنى.

وللباخرزي فيما يقاربه:

وجه حكى الوصل طيبا زانه صدغ ... كأنه الهجر فوق الوصل علقه

وقد رأيت أعاجيب الزمان وما ... رأيت وصلا يكون الهجر رونقه

أخوه أكمل قرين أخيه ونده، فأحدهما السيف والآخر فرنده.

وكانا إذا اجتمعا تقابل البدر والثريا، وتطارح الشمول الرائق والروية الريا فتسابق بهما الكميت في ميدان الدنان، فمن رآهما قال ما شاء في طليقي عنان.

وإذا أخذا في معاطاة الأسمار، فما مشابهة الأماني في بلهنية الأعمار. ومحمد، إن كان أكبر سنا، فأكمل أرهف منه مسنا.

إلا أنه اعتراه طرف من الجنون، فصيره ثالث خالد والجنون. وله من جنونه أفانين، عد بها من عقلاء المجانين.

وقد وقفت من شعره على كلم يوسى به الكلم، ويعد من الظلم قياسها إلى الظلم.

فمن ذلك قوله في وصف حديقة زهر، يخترقها من اللجين الذائب نهر. إذا خمشته يد الصبا، تتوهمه زردا مذهبا.

وفيه دولاب يشجي الصب بنحيبه، كأنه محب وقد رمي بفقد حبيبه:

وحديقة ينساب بين غصونها ... نهر يرى كالفضة البيضاء

قد ألبسته يد الجنائب والصبا ... زردا كنبت الروضة الغناء

دولابه بحنينه كمذكر ... عهد الصبا ومعاهد السراء

أبدا يدور على الأحبة باكيا ... بمدامع تربو على الأنواء

ناح الحمام قدما فهو في ... ترجيعه موف قديم إخاء

ومن بدائع قوله:

بهوى سرت من سالفي ... ك إلى فؤادي في لهيب

فأتت بأطيب ما يسر ... ذوي الهوى في طي طيب

إلا رحمت شباب ذي ... قلب عليل بالوجيب

فحنوت من كرم علي ... ه كميلة الغصن الرطيب

وقوله:

ولائم قد لامني في الطلا ... وتركها والنهي عن شربها

فقلت تلحاني جهلا أما ... كفى طلوع الشمس من غربها

الغرب: دن الخمر، وبه تمت التورية.

وأصله قول أبي القاسم بن طلحة، في مغربي:

أيتها النفس إليه اذهبي ... فحبه المشهور من مذهبي

مفضض الثغر له شامة ... من عنبر في خده المذهب

آيسني التوبة من عشقه ... طلوعه شمسا من المغرب

وللشهاب الخفاجي:

كم قهقه الإبريق إذ قيل تاب ... وابتسم الكأس بثغر الحباب

والراح شمس قد تبدت له ... من مغرب الدن فكيف المتاب

لله أيام مضت سرعة ... كهجعة من ذي جوى واكتئاب

ليلاتها قمر وأيامها ... كأنها أعياد عصر الشباب

واغتبق يوما بمحل كان يتخذه مفترش ندوته، ومتوسد صبوته. ومضطجع اطمئنانه، ومدار كأسه ودنانه. وهو في ينع الشباب، ورواء الأحباب. عندما اقترن بالليل نهاره، وامتزج بالبنفسج بهاره. وقد أحضر من آلات أنسه، وأظهر من نوع ذلك وجنسه. ما يروق الناظر، ويصقل الخاطر.

فكتب يستدعي له صديقا، كان يتخذه في ذلك العهد رفيقا:

بادر أخي إلى الغبوق براحة ... تنفي هموم الصب حين يصبها

حمراء رصعها الحباب كأنها ... شفق السماء تجول فيه شهبها." (١)

"وكان عصره كابتسام البرق إذا خفق، والصبح إذا تكشف عن الشفق.

لم يتعلق أرج الكرم بغير أثوابه، ولم يتعشق صب الثناء إلا تراب أبوابه.

وأهل الأدب يروحون إليه على وجد ويغدون على وجد، ويتنافسون على مدائح أخلاق خلقن من محض المجد.

وهو مع شغله بالمنصب، وتشتت فكره بغرض المتعصب.

لا يخلو من مطارحات تدل على ندماء مجلسه بإيرادها، ومناظيم يجلو بها عليهم الحور العين في أبرادها.

وشعره مثقف المباني، له اتحاد بالمثالث والمثاني.

أبرزت منه إلى العيان، ما هو ألذ من عزف القيان.

فمنه قوله من قصيدة يشتكي فيها من الزمان:

حادي العيس سر بغير ارتياب ... ففؤادي قد حن للاغتراب

لا أريد الأوطان والذل فيها ... واضعا طوقه بأعلى الرقاب

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٤٨/١

ولو أني قضيت فيها سرورا ... في شبابي لم أكتئب لمصابي

بل تولت نضارة العمر مني ... بين عيش ضنك وفرط اكتئاب

فالفرار الفرار من دار هون ... تركتني أشكو زمان الشباب

وإذا الضيم ما أقام فأحبب ... بجياد تمر مر السحاب

لم يكن في مقام ذ اللب فضل ... قطع السيف وهو ضمن القراب

أدرك المسك بالتنقل شأوا ... وهو في أرضه دوين التراب

فالفتى الشهم من إذا شام ضيما ... لا يبالي بفرقة الأحباب

منها:

كيف مكثي ما بين أظهر قوم ... عهدهم في ثباته كسراب

جارهم إن غدا عزيزا عليهم ... كان كالشاة في مقيل الذئاب

هم إذا صادروا أسود شراء ... وإذا حاربوا فدون الكلاب

كم أناس من دارهم أخرجوهم ... ليسومونهم بسوء العذاب

إن فرعون ثم نمرود كانا ... دونهم في اختراع سوء العذاب

ومساويهم التي مثل هذا ... عدد الرمل والحصا والتراب

رب يا من أباد عادا وأودى ... بثمود ذوي النفوس الصعاب

لا تذر منهم على الأرض شخصا ... إنهم جاحدون نص الكتاب

وانتقم مسرعا وعجل عليهم ... ليس فينا صبر ليوم الحساب

قوله: " قطع السيف " إلخ. من قول بعضهم: السيف لا يقطع في قرابه، والليث لا يفترس في غابه.

وقوله: " أدرك المسك "، من قولهم: المندل الرطب حطب في أوطانه، والمسك دم في سرر غزلانه.

وله من قصيدة أخرى، أولها:

تبدت فأضحى البدر في الأفق غائبا ... وشامت فولى الظبي في البيد هاربا

ربيبة خدر يحرس الحسن وجهها ... بسهم لحاظ يجعل القوس حاجبا

إذا ابتسمت عن صبح ثغر منور ... تشاهد منها في النهار كواكبا

وإن برزت في أسود الشعر ضحوة ... رأيت الدجى للصبح أضحى مصاحبا

فما دوحة سقى الندى نسج بردها ... وحاكت حبال الشمس منه جلائبا

ملونة من خيط ليل وفجره ... منوعة الألوان تبدي العجائبا

إذا سائل الغدران حن صداؤه ... وطائرها الميمون غنى مجاوبا

بأبهج منها حلة وطراوة ... وأخصب مرعى من حماها وجانبا

لها لا لعز حق وصف كثير ... وتوبة في ليلى أعادته كاذبا

صدق توبة ليلى مشهور، وأصله ما روي أنه لما شغف بها، واشتهر أمره وأمرها به، قال:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... علي ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا ... إليها صدى من جانب القبر صائح." (١)

"وحكت بالأنجم الأرض السما ... إذ غدت بالزهر منها تكتسى

وحبا الأغصان طرزا معلما ... حين ماماس بأبهى ملبس

دور

ما ترى يا صاح أغصان الربى ... مائلات القد من خمر السحاب

رنحتها سحرة أيدي الصبا ... فصبا القلب إليها **باكتئاب**

ومن الزهر لها أغلى قبا ... ومن الدوح لها عالي القباب

نقطتها السحب درا مثلما ... كست الروض بثوب سندسي

وشذا عرف نسيم هينما ... وكذا يفعل ذاكي النفس

دور

ما للاح مذ لحى طاب الهوى ... في حبيب وجهه يحكي القمر

لذ لي في حبه مر النوى ... وارتكاب الهول يوما إن خطر

ما على من نجمه فيه هوى ... حبن ما صد دلالا ونفر

أحوري اللحظ معسول اللمى ... فاحم الشعر شهي اللعس

ثغره ابدى لنا برق الحمى ... وأثيث الشعر ثوب الغلس

دور

ياله بدرا حمى عني الكرى ... قده والطرف عضب وأسل

في دجى شعر له بدر سرى ... وبشمس الوجه ليل قد نزل

خنث في جفنه أسد الشرى ... وعلى أعطافه لين ودل

ساحر المقلة معشوق الدمى ... قمر الأفق وظبي المكنس

ذو لحاظ كم أراقت من دما ... وهي تفدى بالجواري الكنس

ومن بدائعه قوله:

نازع الخد عذار دائر ... فوق خال مسكه ثم عبق

قائلا للخال هذا خادمي ... ودليل أنه لوني سرق

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٢٦٥/١

فانتضى الطرف له سيف القضا ... ثم نادى كما الذي أبدى القلق

أيها النعمان في مذهبكم ... حجة الخارج بالملك أحق

وقوله:

وأسمر من بني الأتراك ذي غنج ... يهز قدا كغصن البان في هيف

كأنه حين يعلو سور قلعته ... وينثنى شرفا منه على الشرف

غصن الصبا مزهراقد رنحته صبا ... عليه بدر بدا من دارة الشرف

ومن تضامينه العجيبة، قوله في شخص عابه بانحسار شعر رأسه:

يعيبني أن شعر الرأس منحسر ... منه فتى قد عرى من حلة الأدب

وليس ذلك إلا من ضرام هوى ... سرى إلى الرأس منه ساطع اللهب

أقصر فديتك ذا داء بمبعره ... والعيب في الرأس دون العيب في الذنب

وله في شريف يعرف بالمشهدي يدعي الشعر:

المشهدي لسانه ... قد فل كل مهند

إن رام إنشاد القري ... ض فقل له يا سيدي

يشير إلى قول القائل في ابن الشجري العلوي:

يا سيدي والذي يعيذك من ... نظم القريض يصدا به الفكر

ما فيك من جدك النبي سوى ... أنك لا ينبغي لك الشعر

وفي كتاب الكناية والتعريض للثعالبي: يقولون في فلان فضيلتان من فضائل النبي صلى الله عليه وسلم: إحداهما أنه أمي، والثانية أنه لا يقول الشعر، وهاتان الخصلتان من فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليستا من غيره بفضيلة.

وإذا كان الرجل متشاعرا غير شاعر، قالوا: فلان نبي في الشعر. يعهني أنه لا ينبغي له ذلك، وعلى هذا بنى مخلد الموصلي قوله:

يا نبي الله في الش ... عر وعيسى بن مريم

أنت من أشعر خل ... ق الله مالم تتكلم

وله:

قالوا حبيبك أمسى لا تكلمه ... ولا تميل لرؤيا وجهه النضر

فقلت أمر دعاني نحو جفوته ... والحب للقلب لا للفظ والنظر

وله:." (١)

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٣٣٠/١

"أو همت الراح أن تشابهه في تجديد اللذات لقلنا لها هذا مما لا يدركه العتيق، أو التمس أحد شقيقا للرياض لقالت له وأبيك ما لي غير هذا النظم من شقيق.

أو تغلغل فكر ابن بحر في طرف من محاسنه غرقت فيه أواخره، أو تجلى طرسه للأفق غارت من شموس معانيه زواهره.

فلله در ناظمه من فصيح لم يزل الحلي السطور لا الصدور صائغا، ومن بليغ يكون الكلام دونه أجاجا فإذا انتهى إليه تلقى طيبه فصار فراتا سائغا.

ومما جمعه من ثمر نظمه في تلك الأوراق، وأطلق براعته لرقممه فغدا مشكورا على الإطلاق.

قوله في ورقا، رقت من الدوح ورقا، ورقت لها القلوب لما رقت نفسها خوفا من الجنون وما أكيس من رقى نفسه ورقى:

ما للمشوق مجيب في دجى الغسق ... سوى الصدى وهديل الورق في الورق

يا قوم لو كان للوررقا شجون شج ... ما صفقت من سرور طلعة الفلق

ولو لها فقدت إلفا لما خضبت ... كفا ولا جعلت طوقا على العنق

ولم تحرك لنا عودا وتنشد من ... ألحان إسحاق أصواتا على نسق

وهي التي دمعها ما زال محتبسا ... والصب من صب دمع العين في غرق

وحسبها أنها باتت معانقة ... غصنا وبت لغصني غير معتنق

أبيت ليلي أراعي النجم مكتئبا ... لفرط ما بي من وجد ومن أرق

ما أعجب الحب يشتاق العميد إلى ... رئم الصريم وقد أرداه بالحدق

يا ورد ذا الخد دع إنكار قتل فتى ... ما قط أبقت له يمناك من رمق

في خدك الشفق القاني بدا وعلى ... قتل الحسين دليل حمرة الشفق

هذا الشعر أرق من مدام الطل في كؤوس الزهر، وأفتن ولا أقول أفتر من جفون الحور المكسورة على الحور.

ولطيفة الشفق من مبتكراته، وبدائع مخترعاته.

والقول بأن الشفق الأحمر لم يظهر إلا من بعد قتل الحسين بن علي وردت فيه أخبار.

قال العلامة ابن حجر الهيتمي، في الصواعق المحرقة، في باب خلافة الحسين ما لفظه: أخرج الثعلبي، أن السماء بكت وبكاؤها حمرتها.

وقال غيره: احمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة تردد بعد قتله.

وأن ابن سيرين، قال: أخبرنا بأن الحمرة مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين.

وذكر ابن سعد أن هذه الحمرة لم تر في السماء قبل قتله.

قال ابن الجوزي: وحكمته أن غضبنا يؤثر حمرة الوجه، والجو تنزه عن الجسمية، فأظهر تاثير غضبه على قتل الحسين حمرة الشفق، إظهارا لعظيم الجناية.

انتهى كلام ابن حجر.

قلت: للمقال مجال في هذه الأخبار، فقد قيل قيد الشارع صلى الله عليه وسلم انقضاء وقت المغرب بغيبوبة الشفق الأحمر، وجعلها حكما من الأحكام ولا يكون ذلك إلا مع ظهوره في زمنه صلى الله عليه وسلم؛ فإن من البعيد أن يتعبدنا الله بحكم معدوم سيوجد.

والحديث الوارد في تقييد انقضاء وقت المغرب بغيبوبة الشفق الأحمر مشهور عن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ولفظه: " الشفق الحمرة، فإذا غاب الشفق وجبت الصلاة ".

أخرجه ابن عساكر، في غرائب مالك.

وقال الدارقطني في السنن: قرأت في أصل أحمد بن عمرو بن جابر، قال: حدثنا علي بن عبد الصمد، حدثنا هارون بن سفيان، حدثنا عتيق بن يعقوب، حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، باللفظ المذكور أولا.

ورواه ابن عساكر أيضا من حديث أبي حذافة، عن مالك، وقال: حديث عتيق أمثل إسنادا.

وقد ذكر الحاكم في المدخل حديث أبي حذافة، وجعله مثالا لما ذكره المخرجون من الموقوفات.

وقال ابن خزيمة في صحيحه: حدثنا عمار بن خالد، حدثنا محمد بن يزيد، هو الواسطي، عن شعبة، عن قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمر، ورفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: " وقت صلاة المغرب إلى أن تذهب حمرة الشفق ".. الحديث.." (١)

"سلام من فتيت المسك أذكى ... ودون مذاق سلسله الرضاب

سلام حشوه ود مصفى ... يروق فما بتكدير يشاب

ورحمة ربنا الرحمن تهدى ... مع البركات ما انهمر السحاب

إلى من لم يزل للمجد خدنا ... ولم ينفك بينهما اصطحاب

حليف محاسن الشيم الذي لم ... يدنس مجده مذ كان عاب

سليل أكابر العلماء من لم ... يكن كنصاب فضلهم نصاب

حماة شريعة المختار من أن ... تضام وأن يخامرها اضطراب

وأوحد أهل هذا العصر طرا ... بما قد قلته لا يستراب

أليس مقصرا عن نيل أدنى ... علاه الشيب منهم والشباب

وجيه الدين ناصره فما إن ... يزال له بنصرته احتساب

حماه الله من كيد الأعادي ... وأرغم أنفهم عنه وخابوا

وأبقاه الإله لنا ملاذا ... له في العز مرتبة تهاب

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٤١٢/١

وبعد فإنه قد جاء منه ... كتاب سرني منه الخطاب

بلغت به من الفرح الأماني ... وزايلني برؤيته **اكتئاب**

وفي بالدين والدنيا جميعا ... فما لي غير ما فيه طلاب

وكيف فطيه ملك عظيم ... يدوم فما يخاف له ذهاب

هو الذخر الذي من لم يحزه ... ذخائره وإن كثرت تراب

وذاك العلم أفضل ما تحلت ... به نفس وأفضل ما يصاب

وقد أهديت منه لنا نصيبا ... به منا تطوقت الرقاب

جمعت به المحرر من علوم ... جلاها أهلها طابت وطابوا

فنلت بما أنلت عظيم فضل ... ومغفرة ويهنيك الثواب

ولا برحت فضائلك اللواتي ... علون بها لنا يعلو جناب

ودمت مسلما ما لاح مجد ... وفاح عبير نشر يستطاب

الحسن والحسين ابنا الناصر فرسا رهان وعدلا جمل، وصنوا جرثومة في علم وعمل.

ينبت عزمهما الورد يانعا في اللظى، ويطلع رأيهما الماء جاريا من صم الصفا.

وكل منهما غيث في كرم، وليث في حرم.

وبدر في أفق، وزهر في خلق.

طوقا اليمن نبلا ومجدا، وانتحلا بها المعالي انتحال من مليء صبابة ووجدا.

في اقتبال من العيش بهما كلف، وحظ من الأماني رائح إليهما مختلف.

وكانا يتهاديان شعرا، فيتنافثان سحرا.

ويقتدحان زندا، فيوريان عرارا ورندا.

وشعرهما مثقف المباني، مرهف كالحسام اليماني.

فمما كتبه الحسين إلى الحسن يعاتبه على القراءة في غيبته، وجعل أول كل بيت حرفا من حروف المعجم:

أذاب فؤادي بارق الغور إذ سرى ... بنفحة مسك من حدائقها شرى

بحقك خبرني عن الغور إنه ... حديث صحيح ليس في القول منكرا

تأمل به تلك المغاني تلق لي ... لطائف فاقت في المحاسن مخبرا

ثملت وقد دارت رحيقة وصفه ... فأنهلنا التسنيم من تلك سكرا

جرى ذكر أحبابي بروضة قدسها ... وقد كسيت بردا من الوشي أخضرا

حووا من مليح الوصف كل غريبة ... كزهر سماء الأرض في حسنها ترى

خليلي ما واف بعهدي أنتما ... إذا لم تقصا وصفها لي وتخبرا

دعوتكما كي تفهماني حقيقة ال ... أحبة فيها مفرقين وتحضرا

ذكرت لهم ذكر الصفات فهاج لي ... من الشوق ما ألفيته متذكرا." (١)

"ورحمت ضعف جوارحي وقوائي ... فحملت بعض الثقل من أعبائي

ووصلتني مما لديك ببدرة ... معدودة من فضة بيضاء

إن الأبر من البنين يواصل ال ... إحسان مغتنما جزيل ثناء

واسمع للقول ابن الحسين ويا له ... من شاعر أربى على الحكماء

لأب قطوع جافي متجهم ... أحنى إذا من واصل الأبناء

وله من قصيدة، مستهلها:

لولا اشتياقي حبيبا قط ما قربا ... لم ألف صبا ضئيل الجسم مكتئبا

ولا شجتني حمام الدوح ساجعة ... وهيجت لي أرواح الصبا طربا

ولا أرقت لبرق لاح مبتسما ... يحدو لي الجزع سحبا بات منتحبا

ولا رضيت سؤال الظعن لي خلفا ... دون الشريفين أعني العلم والأدبا

ولا سننت وقوف الصحب في طلل ... ما كن يطمع قلبي فيه أن يجبا

فاعذر عذولي ولا تنكر ضنى جسدي ... وخل لومي وحملي في الهوى التعبا

ماذا أغاظك من شجوي ومن قلقي ... ومن نحولي ورعيي في الدجى الشهبا

إن العذاب لعذب في الغرام وما ... غدا لي الصاب إلا في الهوى ضربا

في ذمة الله عين ظل مدمعها ... وخاطر راح في حب الحسان هبا

ما بين جفني وبين النوم فاصلة ... لم تبق للطيف في أجزا الكرى سببا

تالله ما عن ذكر السفح من إضم ... إلا ركبت من الأشواق ما صعبا

يا ربع سلمى سلمت المحل ما سلمت ... ولا عداك من الأنواء ما عذبا

ما بال ممنوع حزني فيه منصرفا ... وما لمخفوض عيشي فيك منتصبا

إن لم يفد ماء عيني فيك مطردا ... فالقلب ما زال إلا عنك منقلبا

سقيا لأوقاتك اللاتي قضيت بها ... من الحبيب ومن شرخ الصبا الأربا

أيام لا كاشح تخشى غوائله ... ولا عذول نداريه إذا عتبا

وأهيف القد عبل الردف مقتبل ... ما ماس إلا ذكرت البان والكثبا

يجول ماء الصبا في صحن وجنته ... ويستحيل إذا حدثته لهبا

حلو الفكاهة إلا أن مطعمه ... مر إذا ما ثنى أعطافه غضبا

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٤٣٣/١

أدنو ويبعده دل الشباب جفا ... فكلما قلت قد جد الهوى لعبا

كم صحت من طرفه الفتاك واحرابي ... لو كان ينفع قول الصب واحربا

قد صدني عن نسيب فيه أنظمه ... مديح من طاب في هذا الورى نسبا

الحسين بن علي الوادي هو في الفضل صاحب مزايا بوادي، وأما في الأدب فإن شئت عده من عذبات وادي.

يجاذبه نسيم اللطف من هنا وهنا، وإذا ساقط فلا يساقط إلا رطبا جنى.

وقد أثبت من شعره ما يحرك العذب، ولم يسمعه صب إلا وإليه انجذب.

فمنه قوله:

نسيم الصبا في سوحنا يتبختر ... لك الله ما هذا الأريج المعنبر

أأنت رسول يا نسيم الصبا وعن ... حلول الحمى أم أنت عنهم مبشر

فهمت الذي أودعته غير أنني ... أحب حديثا منهم يتكرر

لما ألفته النفس منهم وعودت ... وإلا فعلم الغيب لا يتقدر

فكرر على سمعي أحاديث ذكرهم ... عسى تنطفي نار بقلبي تسعر." (١)

"لو فاخرته الطباق السبع لانتكست ... وعاد كوكبها الدري مبكوتا

تستوقف العين والأبصار بهجته ... وتجمع الفضل مشهودا ومنعوتا

يقول زائره هات الحديث لنا ... عن زوره لا عن الزوراء أو هيتا

وصف لنا نوره لا نور عادية ... باتت تشب على أيدي مصاليتا

مثوى أجل الورى قدرا وأرحبهم ... صدرا وأرفعهم يوم الثنا صيتا

نبي صدق هدت أنوار غرته ... بعد العمى للهدى من كان عميتا

وأصبحت سبل الدين الحنيف به ... عوامرا بعد أن كانت أماريتا

أحيي به الله قوما قام سعدهم ... كما أمات به قوما طواغيتا

لولاه ما خاطب الرحمن من بشر ... ولا أبان لهم دينا ولاهوتا

له يد لا نرجي غير نائلها ... وقاصد البحر لا يرجو الهراميتا

فلو حوت ما حوته السحب من كرم ... لما سمعت بها للرعد تصويتا

فقل لمن صده عنه غوايته ... لو اهتديت إلى سبل الهدى جيتا

ما رام حصر معاليه أخو لسن ... إلا وأصبح بادي العي صميتا

يا أشرف الرسل والأملاك قاطبة ... ومن به شرف الله النواسيتا

سمعا لدعوة ناء عنك مكتئب ... فكم أغثت كئيبا حين نوديتا

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٤٧٧/١

يرجوك في الدين والدنيا لمقصده ... حاشا لراجيك من بأس وحوشيتا

أضحى أسيرا بأرض الهند مغتربا ... لم يرج مخلصه إلا إذا شيتا

فنجني يا فدتك النفس من بلد ... أضحت لقاح العلى فيها مفاليتا

وقد خدمتك من شعري بقافية ... نبت فيها بديع القول تنبيتا

وزانها الفكر من سحر البيان بما ... أعيي ببابل هاروتا وماروتاً

جلت بمدحك عن مثل يقاس بها ... ومن يقيس بنشر المسك حلتيتا

عليك من صلوات الله أشرفها ... وآلك الطهر ما حيوا وحييتا

وقوله، من قصيدة أخرى، أولها:

يا دار مية باللوى فالأجرع ... حياك منهمل الحيا من أدمعي

وسرى نسيم الروض يسحب ذيله ... بمصيف أنس في حماك ومربع

لو لم تبيتي من أنيسك بلقعا ... ما بت أندب كل دار بلقع

لم أنس عهدك والأحبة جيرة ... والعيش صفو في ثراك الممرع

أيام لا أصغي للومة لئم ... سمعا وإن تغر الصبابة أسمع

حيث الربا تسري برياها الصبا ... والروض زاهي النور عذب المشرع

تحنو علي عواطفا أغصانها ... عند المبيت به حنو الرضع

والورق في عذب الغصون سواجع ... تشدو بمرأى من سعاد ومسمع

كم بت فيه صريع كأس مدامة ... حلف البطالة لا أفيق ولا أعي

أصبو بقلب لا يزال مولعا ... في الحب بين معمم ومقنع

مستهتر طوع الصبابة في هوى ... قمري جمال مسفر ومبرقع

ما ساءني أن كنت أول مغرم ... بجمال رب ردا وربة برقع

يقتادني زهو الشباب وعفتي ... فيه عفاف الناسك المتورع." (١)

"ما ماس بان الحمى من نسمة السحر ... إلا وقد أسمعته طيب الخبر

بالله يا نسمة الأسحار هل خبر ... فإنني بالنبا أولى من الشجر

ليلي بما طال لا آوي إلى سكن ... هذي نجوم السما تنبيك عن سهري

أبات أرعى السها في الليل مكتئبا ... وأدمعي في الثرى تربو على المطر

أفدي الذين أذاقوني مودتهم ... حتى إذا ما رأوني هائم الفكر

ساروا بقلبي وخلوني حليف هوى ... حيران لا أهتدي وردا من الصدر

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٢/ ٦٠

والله إن لهم في القلب منزلة ... ما حلها قبلهم شخص من البشر

بالله يافوج صفني منعما لهم ... واذكر لهم طبق ما شاهدت من خبر

وقل لهم قد غدا في حبكم شبحا ... يكاد يخفى على الرائين بالبصر

لعلهم أن يرقوا لي ويفتكروا ... تلك الذمام التي في سالف العمر

ويرحموا مدنفا صبا بهم كلفا ... أسير حب لهم في عالم الصغر

فالله يوليهم عزا ويحرسهم ... مدى الزمان من الأسواء والغير

وله ملغزا في اسم علي:

أمات اصطباري حين أحيى تولهي ... رشا في رياض الحسن بالتيه يمرح

ثلاثة أرباع لوصفي هو اسمه ... فيا ليته بالوصل لو كان يسمح

وله في يوم شديد الحر:

ويوم حر دهانا ... ما فيه طيب هواء

قالوا نهار قوي ... فقتل من غير هاء

وله:

خط العذار نهاني ... عن عشقه حين دبا

واللحظ بالعشق يغري ... والسيف أصدق أنبا

وله مضمنا:

يا قلب غرك محبوب كلفت به ... حتى طمعت بوصل دونه الخطر

وإن غررت بمن تهوى فلا عجب ... ما أنت أول سار غره قمر

إبراهيم بن يوسف المهتار فرد الزمان في فنه، أطاعه الأدب إطاعة قنه.

فحلق إلى الأوج بعد الحضيض، وحدق عن سر البلاغة جفنه الغضيض.

إن ذكرت الرقة فهو سوق رقيقها، أو الفصاحة فهو الذي نشأ في سفح عقيقها.

فلو سمع طرفة شعره الرقيق، صار له كأبيه العبد الرقيق.

إلا أن الأيام تلاعبت به تلاعب العابث، واستطالت عليه استطالة العائث.

فحمل من عقوقها ما ليس ينكر، وأقل من عثراتها ما ليس يذكر.

وهو أديب كما وصفته، وشاعر عرفت قدره فأنصفته.

فمن مختاره الذي أطلعه مورقا جنيا، وألمع به لأهل الأدب مشرقا سنيا.

قوله:

أرح فؤادي من العذاب ... بالراح والخرد العذاب

وعاطنيها عروس دن ... كالنار والعسجد المذاب

من كف لمياء إن تبدت ... توارت الشمس بالحجاب
دعجاء بلجاء ذات حسن ... لكل أهل العقول سابي
على رياض مدبجات ... حاكت سداها يد السحاب
بها القماري مغردات ... على الأفانين والروابي
فبادر الأنس يا نديمي ... وقم إلى اللهو والتصابي
أعط زمان الشباب حظا ... فلذة العيش في الشباب
واجسر ولا تيأسن يوما ... من رحمة الله في الحسابظ
وقوله في صدر قصيدة:
قف بالمعاهد من ميثاء ملحوب ... شرقي كاظمة فالجزع فاللوب
واستلمح البرق إذ تبدو لوامعه ... على النقا هل سقى حي الأعاريب
يا حبذا إذ بدا يفتر مبتسما ... أعلى الثنية من شم الشناخيب." (١)
"وعبرتي كالعارض الهطال
قد شتتا نوم وقد أبطل ... حولي المتين
من منصفي منه وما أعمل ... يا مسلمين
هويته حلو اللمى أرعن
شتيته كاللؤلؤ المثمن
فليته يبيحني من أن
واحسرتا إن كنت لا أحمل ... من ذا المعين
وينطفي في القلب ما أشعل ... وجدي سنين
أصمى الحشا بطرفه النبال
وأدهشا لبي وعقلي زال
ولو يشا ما صرت في ذا الحال
تفتتا قلبي بما حمل ... أنت الضمين
يا متلفي ظلما وقد أجمل ... حل اليمين
ما براح عن حبه كلا
ولا سراح عن عشقه أصلا
إلا امتداح خير الورى أصلا

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٦٦/٢

من قد أتى من ربنا مرسل ... للعالمين

المقتفي والسيد الأكمل ... طه الأمين

وله من آخر:

يا من لقتلي ظلما أحلا ... والقلب حلا

من لدم المسلم استحلا ... ما قط حلا

جفاك طعم المنون حلا ... والصبر حلا

لم يحكك الظبي لو تجلى ... فأنت أحلى

يا منية القلب كم تدور

على هلاكي وكن تجور

هذا من الدل أم غرور

جردت من مقلتيك نصلا ... ورشت نبلا

أثخنت لما أمنت عقلا ... نهبا وقتلا

الله في عاشق غريب ... مضنى كئيب

أضحى من النوح والنحيب ... كعندليب

فارجع إلى الله من قريب ... وكن مجيبي

وامنح المستهام وصلا ... فالقلب يصلى

حملت ما لا يطاق أصلا ... عقلا ونقلا

يا كامل الحسن والجمال

يا بارع الغنج والدلال

يا فاضح الغصن والغزال

أنت من النيرين أعلى ... سنا وأغلى

وجهك للبدر لو تجلى ... به تملى

أضعت عمر الشجي قصدا ... هجرا وصدا

لم ترع لي يا ملول ودا ... وخنت عهدا

وسرت تسطو علي عمدا ... لم تخش حدا

حلفت من قبل ذاك أن لا ... تسيء فعلا

نسيت لي ذمة وإلا ... فاعطف وإلا

أخوه محمد هو لروضه شقيق، ومثله بالمدح حقيق.

مشحوذ سنان البيان، مصقول أطراف البنان.

وأنا وإن لم أتمل برؤية جماله، فقد استمليت طرفا من خبر فضله وكماله.

وقد أهدى إلي تحفا من أشعاره الغضة، فأخذت من راحها بالمصة ومن تفاحها بالعضة.

فمما جردته منها قوله:

بالله يا ريح هزي غصن قامته ... وحاذري العارض النمام في السحر

وشوشي روض خديه على عجل ... ثم انتحي نحو ذاك المبسم العطر

وضمخي الكون من رياه وانتهزي ... لي فرصة بين ذاك الورد والصدر

وعانقي قده الزاهي فمما لشج ... إلاك شافية قد جاء في الخبر

وحدثيه بأني في هواه لقى ... قد حالفتني يد الأسقام والغير

مبلبل البال أرعى النجم مكتئبا ... نحيل جسم صريع الدال والحور." (١)

"انظروا تعديل قامات الغصون ... هذه بانه وهذي خيزرانه

وحدواالرحمن ذا العرش المجيد

وأميطوا اللبس من خلق جديد

وانظروا توريد تفاح الخدود

واعجبوا من حسن تلوين العيون ... تلكم حانه وهاتيكم كنانه

بأبي مر الجفا بالدر حالي

قدره قد حط من قدر العوالي

مطلبي من ثغره كنز اللآلي

رصع المرجان بالدر المصون ... كل مرجانه بأعلاها جمانه

حبذا من خلقه الغصن الوضي

حبذا من خلقه الغض الرضي

حبذا من جسمه البض الطري

حبذا منه وعود من جفون ... غير خوانه مودات الأمانه

أيها اللاحي أما للعذل عذر

سلم الأمر فإن الأمر أمر

ودع الإنكار فالإنكار نكر

كيف تلحاني على زاهي جبين ... قده زانه وفوه أقحوانه

كيف تلحى فيه زين العابدينا

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٢/٧٥

كيف تلحى فيه كنز الطالبينا

كيف تلحى فيه نجل الصادقينا

إنما عذلك قلبي في شجون ... مثل صفوانه هوت من أسطوانه

أنا لي مجد ولي جد عتيق

ابن صديق صدوق وصديق

ورقيق أنا والشعر رقيق

وجواري قصدي قب البطون ... كل خمصانه بألفي بهرمانه

وصلاة الله والتسليم تترى

للنبي المجتبى كنزا وذخرا

والرضا عن صحبه دنيا وأخرى

من له الله بجبريل الأمين ... زاد سلطانه وقوى عنفوانه

ومن مقاطيعه قوله:

لا تسأل الناس معاداتهم ... إن كنت لا ترضى معاداتهم

وعف عن شرب شراباتهم ... من يسأل الناس شرابا تهم

وله:

ولي حلم ميال عن البطش قادر ... على العفو لم يخطر سواه بباله

إذا سمحت بالمال يوما يمينه ... أسر عطايا جوده عن شماله

وقوله:

هي الألحاظ فاحذرها وإلا ... دهتك بوابل النبل الهتون

إذا قلت ارحميني قال قلبي ... وهل في العشق يا أمي ارحميني

ومن أبياته المفردة:

الناس خوف الذل في ذلة ... وخشية أن يتعبوا في تعب

وله:

الناس مثل الناس لكنهم ... طباعهم تنكرها الناس

أحمد الوارثي الصديقي رأس حمله الحديث والفرقان، وشهاب الملة الذي لا يمكن أن يرى الفلك نظيره في ألف قران.

اشتهرت أحاديث فضائله فأصبحت رونق السير والأسمار، وظهرت أعلام علمه فلا تخفى إلا على أكمه لا يعرف الشموس والأقمار.

فكان له في الشهرة الفضل المقدم، وأقر له مع التأخر السابق الأقدم.

فرجع العلماء إليه رجوع الحديث إلى قتادة، وصدق الخبر الخبر فيما ألفه من الخير المحض واعتاده.

فلو تقدم عصره نزلت آي القرآن شواهد بفضله وآثاره، أو لحق الصديق الأكبر لقال: هذا وراثي بصدقه وإيثاره.

وهو من الأدب في مرتبة سنامه وكاهله، تحوم الآراء حول مراده فترتوي من مناهله.

وله نظم ونثركما انتظمت الأنوار، بعد ما انتثرت عليها الأمطار، أو كما انتظمت الأطوار، بعد ما انتثرت من تشتت المآرب والأوطار.

فمن ذلك قوله:

ماذا تقولين فيمن شفه سقم ... من فرط حبك حتى صار حيرانا

قد لاذ في الحب حتى صار مكتئبا ... والعشق أضرم فيه اليوم نيرانا

هل يشتفي منك بالثغر الرحيق إذا ... أو تتركيه على الأدنان ندمانا

وقوله:

وإني لصب بالقوافي ومدحها ... ويبلغ بي حد السروير بليغها." (١)

"هذا سعد السعود، الذي لو مس عودا يابسا لعاد الماء في العود، حتى ينور خضرا، ويثمر غضا نضرا.

ولد في طالع السخا، وغذي في بحبوحة الرخا.

ومارس المعارف ممارسة كشفت له عن وجوه الحقائق، وأظفرته بفوائدها الجلائل، وفرائدها الدقائق.

فقدمه في العلم راسخة عالية، والمسامع بمحامده مقرطة حالية.

وكانت أوقاته مقسمة بين عارفة ينيلها، وملمة يزيلها، وفائدة يبديها، وصنيعة يسديها.

ومجلسه أوله ثناء جميل، وآخره دعاء جزيل، وبينها ترحيب وتأهيل.

ففخره يتقلده جيد الدهر وليته، وذكره يأرج له مسرى النسيم وهبته.

وله أدب يتنافس فيه بلا تطرية مادح، وشعر ورى فيه زنده ولم يقدح فيه قادح.

فمنه قوله مخمسا:

يا حادي العيس إن حفت بك الكرب ... الحق هديت بركب ساقه الطرب

وقل لصب غدا بالشوق ينتحب ... لمهبط الوحي حقا ترحل النجب

وعند هذا المرجى ينتهي الطلب

أعني الرسول الذي قد شرف الأمما ... ونال سائله فوق الورى قسما

يلقى العفاة بما يرجون مبتسما ... به تحط رحال السائلين فما

لسائل الدمع ما يقضيه ما يجب

إن رمت كشف العنا والحوب والنوب ... كذا الخلاص من الأكدار والنصب

وأن تكون سعيدا غير مكتئب ... قف وقفة الذل والإطراق ذا أدب

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١٦٥/٢

فعند حضرته يستلزم الأدب

يا من بهمته قد صار منطلقا ... وسكن الروح منه بعد ما فرقا

ذاك الحبيب الذي من صفوة خلقا ... له الملاحة خلقا والندى خلقا

والثغر مبتسم والكف منسكب

إن أزمة أوهنت قلبي كذا جسدي ... أو كربة فرقت جندي كذا جلدي

فليس لي ناصر إلاك يا سندي ... يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي

فأنت حسبي ومنكم يعرف الحسب

سري الدين محمد الدروري المعروف بابن الصائغ ماجد سرى، وفاضل بكل مدح حري.

قد ضربت البراعة رواقها بناديه، ولم يزل داعي البلاغة من كثب يناديه.

مضى حيث يرتد العضب الصقيل وهو كهام، وبلغت همه حيث تقصر عن مداركها خطا الأوهام.

فقعد حيث كيوان بإزائه، وعقد له الفلك ذوائب جوزائه.

إن السري إذا سرى فبنفسه ... وابن السري إذا سرى أسراهما

فهو ظرف علم، ووعاء حلم، ومن عرف حاله من الإيثار عرف الحلي كيف يصاغ، والسلاف الرائق في الأفواه كيف يساغ.

هو امرؤ لا يصوغ الحلي تعمله ... كفاه لكن فاه صائغ الكلم

وقد أوتي من حلاوة الأخلاق والبيان، ما يزرع حب الحب في الصميم من الجنان.

فنظمه جار في بداعة الأسلوب على غير مثال، ونثره حقه أن يجعل كل فقرة منه مثلا من الأمثال.

جميع الأمثال منه تطرب، ولكونها لا تلحقه تضرب.

فمن نظمه قوله من قصيدة، أولها:

رعى الله عهدا بالغرام تقدما ... أراه بثوب الدهر وشيا منمنما

وحيى الحيا مني ديار أحبتي ... وإن كان ربع الود منهم تهدما

وإن كان ودا في الحقيقة غير أن ... عشقت وأوهمت الحجى فتوهما

إلى كم أضيع العمر في أين هم غدوا ... وحتى م يسليني لعل وأينما

أطالب دهري أن يجود بقربهم ... فما زاد بالبطلان إلا تبرما

وناشدته إلا مقاسمة الأذى ... وصفو الليالي فاستقال وأقسما

وما ضرهم لو أن برق التقائهم ... أضاء إذا ليل القطيعة أظلما

تبدت لي الأيام في زي بأسهموسلت بكف الغدر للقتل مخذما." (١)

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ١٧٠/٢

"يا متلفي بسهام مقلته التي ... فيها الدواء ومن دواها الداء

أنت الطبيب وأنت دائي فاشف ما ... عملت بقلبي المقلة الوطفاء

أمعنفي في حب بدر مشرق ... قسما لأنت العاذل العواء

ومن الجهالة أن تعنف من يرى ... أن الملام على الهوى إغراء

بي من إذا ما لاح فالبدر انجلى ... وإذا مشى فالصعدة السمراء

إن ضل قلب الصب فيه بشعره ... فلقد هوته الطلعة الغراء

يسعى براح في زجاجته التي ... جمد النضار بها وقام الماء

أصل المصراع الأخير للمتنبي، إلا أنه غير بعض كلماته، وتصرف فيه تصرفا حسنا على سبيل التضمين، وسلخه عن معناه الأصلي.

وبيت المتنبي هو قوله:

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة ... سال النضار بها وقام الماء

راح يطوف بها الحسان لذاك قد ... صلت لقبلة دنها الندماء

رقت ورق الكأس فامتزجا فلم ... تعلم وحقك أيها الصهباء

أصله قول الصاحب ابن عباد:

رق الزجاج ورقت الخمر ... وتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

ومنها في المديح:

قد قلت فيك بديع شعر فاق أن ... ترقى إلى حجراته الشعراء

ولم يزل صاحب الترجمة مقيما بحلب نحو العام، يمدح عيون أعيانها، ويستدر برقة شعره رقيق لبانها.

حتى رمته قسي الأقدار، إلى أرض العراق وجوب هاتيك القفار.

ونزل منها بدار السلام بغداد، وتزود من مقامات الأولياء هناك أطيب زاد.

ثم منها إلى البصرة، وورد من أميرها ابن أفراسياب أكرم حضرة.

فلقيه بمديح غب مديح، وروى عنه خبر واصل بن عطاء خبرا مسلسلا صحيح.

هذا ويد التأميل تعرك آذان عزمته، وتوقظ نار وقد في ليل الاغتراب من همته.

والمرء ما أرضى أمانيه ... ينقاد من لغب إلى جهد

وتقول له بلسان الحال: أحدث سفرا تحدث رزقا، ولم يجن ثمرة المأمول من لم يجعل ثنيات الفيافي لها درجات ومرقى.

فطار طيران الرخ إلى رقعة خراسان، فحوم بالنزول على أصفهان، التي هي حضرة شاه العجم الآن.

فما أحقه بقول الشاعر:

خليفة الخضر من يربع على وطن ... يوما فإن ظهور العيس أوطاني

وما أظن النوى ترضى بما صنعت ... حتى تبلغني أقصى خراسان

وقد شرح ما عاناه من التمرغ في عطن الاغتراب، وتقسم حاله بين **الاكتئاب** والاضطراب، في قافية قافية، حيث يقول:

لا وبرد اللمى وحر الفراق ... ما لقبي من لسعة البين راقي

كيف يخفى حليف بين وشوق ... صير الجفن دائم الإغراق

يا زمانا مع اسمنا في خلاف ... ومع اسم نقيضه في وفاق

أراد أن اسمه علي، ونقيض اسمه دني، والدهر شأنه عناد الأعالي وود الأداني، أو أن الدهر بخس حق أول من تسمى بهذا الاسم، أعني الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وأسعد أضداده من معاوية وغيره، فصفت لهم الخلافة، ودرت لهم أخلاف الإمامة، فيكون مشربا تشيعيا، كما قال الملك الأفضل نورالدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف، لما ولي دمشق بعد أبيه، فلم تطل مدته، ثم حضر إليه عمه الملك العادل أبو بكر، وأخوه الملك العزيز عثمان، فأخرجاه من ملكه بدمشق إلى صرخد، ثم جهزاه إلى سميساط، فكتب إلى الإمام الناصر ببغداد:." (١)

"واصله قول الآخر:

وإني لأستغشي وما بي نعسة ... لعل خيالا منك يلقى خياليا.

وهذا غير بعيد أن يكون أيضا من هذا الضرب، إلا أنه لا يبلغ في الغرابة والبعد عن العادة ذلك المبلغ، فأنه قد يتصور أن يريد المغرم المتيم إذا بعد عهده بحبه أن يراه في المنام فيريد النوم لذلك خاصة.

ومن لطيف هذا القسم قول ابن المعتز:

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم ... م كثرة القتل مسها الوصب.

حمرتها من دماء من قتلت ... والدم في النصل شاهد عجب.

وقول الآخر:

أتتني تؤنبني بالبكا ... فأهلا بها وبتأنيبها.

تقول وفي عينه حشمة ... أتبكي بعين تراني بها.

فقلت إذا استحسنت غيركم ... أمرت الدموع بتأديبها.

فإن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب واعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة **للاكتئاب**، لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب.

وأما الثالث وهو الوصف الغير ثابت، الذي أريد إثباته وهو ممكن.

فكقول مسلم بن الوليد:

يا واشيا حسنت فينا إساءته ... نجى حذارك إنساني من الغرق.

فإن استحسان إساءة الواشي وصف غير ثابت له أراد إثباته، وهو ممكن، فلما حالف الناس فيه عقبة بذكر سببه، وهو أن

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٢/٢١٧

حذاره من الواشي منعه من البكاء، فسلم إنسان عينه من الغرق في الدموع، وما حصل به ذلك فهو حسن.
وقول الآخر:
ولقد هممت بقتلها من حبها ... كيما تكون خصيمتي في المحشر.
حتى يطول على الصراط وقوفنا ... فيلذ عيني من لذيذ المنظر.
لما ادعى أمرا غير ثابت ولا معتاد، وهو هم العاشق بقتل محبوبته، علله بطول الوقوف معها للمخاصمة يوم المحشر على الصراط، لتلتذ عينه بالنظر إليها.
ويقرب من هذا ما نقل عن بعض العارفين أنه قال: وددت أن يكون جميع ذنوب الخلق علي ليكون لي بكل ذنب مع الله حساب.
وأما الرابع وهو الوصف المذكور غير الممكن.
فكقول الخطيب القزويني وهو معنى بيت فارسي ترجمه:
لو لم تكن نية الجوزاء خدمته ... لما رأيت عليها عقد منتطق.
فنية الجوزاء خدمة الممدوح وصف غير ممكن أراد إثباته، وجعل الانتطاق علة له، ومما يحلق بحسن التعليل ما بني على الشك، وإنما الحق به ولم يجعل منه، لأن حسن التعليل فيه ادعاء وإصرار والشك ينافيه.
ومثاله قول أبي تمام:
ربي شفعت ريح الصبا بنسيمها ... إلى المزن حتى جادها وهو هامع.
كأن السحاب العز غيبن تحتها ... حبيبا فما ترقى لهن مدامع.
فعلل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت حبيبا تحت تلك الربى فهي تبكي عليه.
وهذا المعنى يشير إلى قول محمد بن وهيب:
طلان طال عليهما الأمد ... درسا فلا علم ولا نضد.
لبسا البلى فكأنما وجدا ... بعد الأحبة مثل ما أجد.
وبيت بديعية الصفي قوله:
لهم أسام سوام غير خافية ... من أجلها صار يدعى الإسم بالعلم.
وبيت بديعية ابن جابر قولك:
لم تبرقت إلا أنها فرحت ... إذا ظللته فأهدت حسن مبتسم.
وبيت بديعية الموصلي قوله:
تعليل طيب نسيم الروض حتى سرى ... بأنه نال بعضا من ثنائهم.
وبيت بديعية ابن حجة قوله:
نعم وقد طال تعليل النسيم لنا ... لأنه مر في آثار تربهم.
وبيت بديعية المقري قوله:

لو لم يكن أصله في طيب عنصره ... مسكا لما جا ختام الرسل كلهم.

وبيت بديعية العلوي قوله:

لولا العناية فيه قبل ما سبقت ... لم يخلق الناس والدنيا من العدم.

وفي كون هذا من حسن التعليل نظر ظاهر.

وبيت بديعيتي قولي:

ما حسن تعليل نشر الريح إذ نسمت ... إلا لإلمامها يوما بأرضهم.

التعطف.

من التعطف مازالوا على خلق ... إن التعطف معروف لخلقهم.

التعطف في اللغة مصدر تعطف الشيء إذا تثنى ومال بعضه إلى بعض. وفي الاصطلاح، أن يأتي الشاعر في المصراع الأول من البيت بلفظة ويعيدها بعينها، أو بما يتصرف منها بالمصراع الثاني، فشبه مصراعا البيت في انعطاف أحدهما على الأخر بالعطفين، في كون كل عطف منهما يميل إلى الجانب الذي يميل إليه الآخر. وهو شبيه بالترديد، والفرق بينهما من وجهين:." (١)

"هذا بيت لا يطيق أحد أن يقوله ثلاث مرات متوالية ولا يتوقف فيه، لتنافر كلماته، وقيل: هو من شعر الجن. قال صاحب كتاب عجائب المخلوقات: في الجن نوع يقال له: الهاتف، صاح واحد منهم على حرب بن أمية بن عبد شمس فمات، فقال ذلك الجني هذا البيت فيه.

وقال التيفاشي: السهولة هي أن يأتي الشاعر بألفاظ سهلة ظريفة تتميز على ما سواها عند من له أدنى ذوق في الأدب، وهي مما يدل على رقة الحاشية وسلامة الطبع.

ومن أحسن أمثلة ذلك قول بعضهم:

أليس وعدتني يا قلب أني ... إذا ما تبت عن ليلى تتوب.

فها أنا تائب عن حب ليلى ... فمالك كلما ذكرت تذوب.

وان لا يكون كقول امرئ القيس:

غدائرها مستشزرات إلى العلا ... تضل العقاص في مثنى ومرسل.

قلت: ومن محاسن أمثلة هذا النوع أيضا قول الحكم بن (قنبر المازني) :

ويلي على من أطار النوم وامتنعا ... وزاد قلبي على أوجاعه وجعا

كأنما الشمس من أعطافه لمعت ... حسنا أو البدر من أزراره طلعا

مستقبل بالذي تهوى وان كثرت ... منه الذنوب ومعذور متى صنعا

في وجهه شافع يمحو إساءته ... من القلوب وجيه حيثما شفعا

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٤٦٨

حكى أبو الحسين بن فارس قال: جرى في بعض الأيام بين الأستاذ ابن العميد ذكر أبيات استحسن الأستاذ وزنها، واستحلى ذوقها، فانشد جماعة من حضر ما حضرهم من ذلك الروي: وهو قول القائل:

لئن كففت وإلا ... شققت منك ثيابي.

فأصغى إلينا ابنه أبو الفتح ثم انشد في الوقت:

يا مولعا بعذابي ... أما رحمت شبابي

تركت قلبي جريحا ... نهب الأسى والتصابي

إن كنت تنكر ما بي ... من لوعتي **واكتئابي**

فارفع قليلا قليلا ... عن العظام ثيابي

قال الثعالبي: تأمل هذه الطريقة الظريفة، وانظر إلى هذا الطبع، فانه أتى بمثل ما أنشده في سياقته وخفته، وسهولته وظرافته، ولم يعد الجنس ولم يقصر دونه، فبذلك تعرف قدرة القادر على الخطابة والبلاغة.

وقول الوزير أبي محمد المهلبي: قال لي من أحب قد جسد ودمعي مواصل لشهيفي

ما الذي في الطريق تصنع بعدي ... قلت أبكي عليك طول الطريق.

وقوله أيضا:

تصارمت الأجفان منذ صرمتني ... فما تلتقي ألا على عبرة تجري.

وقول أبي فراس بن حمدان:

يا ليل ما أغفل عما بي ... حبائي فيك وأحبابي

يا ليل نام الناس عن موجع ... ناء على مضجعه نابي

هبت له ريح شآمية ... متت إلى القلب بأسباب

أدت رسالات الهوى بيننا ... فهمتها من بين أصحابي.

وقوله أيضا:

أساء فزادته الإساءة حظوة ... حبيب على ما كان منه حبيب

يعد علي الواشيان ذنوبه ... ومن أين للوجه المليح ذنوب

وقول أبي الفرج (المخزومي) الببغاء وهو مما يتغنى به:

يا سادتي هذه نفسي تودعكم ... إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزع

قد كنت أطمح في روح الحياة لها ... فاليوم مذ بنتم لم يبق لي طمع

لا عذب الله روحي بالبقاء فما ... أظنها بعدكم بالعيش تنتفع

وقول أبي الفرج المعروف بالوأواء الدمشقي:

بالله ربكما عوجا على سكني ... وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بي وقولا في حديثكما ... ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان بدا لكما من سيدي غضب ... فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وان تبسم قولا عن ملاطفة ... ما ضر لو بوصال منك تسعفه

وقوله وهو مما يتغنى به:

يا من سقام جفونه ... لفؤاد عاشقه طبيب.

حزت المودة فاستوى ... عندي حضورك والمغيب

كن كيف شئت من البعا ... د فأنت من قلبي قريب

وقوله أيضا:

رماه ريم فأصا ... ب القلب منه اذ رمى

واحتج في قتلته ... بأنه ما علما

يا معشر الناس أما ... ينصفني من ظلما

علم سقم طرفه ... جسمي منه السقما

فسقم جسمي في الهوى ... من طرفه تعلما

لو قيل لي ما تشتهي ... مخيرا محكما

لقلت أن ألثمه ... نحرا وخدا وفما

وقول أبي الحسن بن المظفر بن نحرير البغدادي

خليلي ما أحلى صبوحي بدجلة ... وأطيب منه في الصراة غبوقي." (١)

"وإن يكونوا مع الأملاك في قرن ... لولا الطبيعة أعني كونهم بشرا

فخذ حديثا قديما مسندا لهم ... عنهم صحيحا صريحا واقتف الأثرا

والقط فرائد در من فوائدهم ... فإنهم بحر علم يلفظ الدررا

أما تراه بجيد الدهر منتظما ... وفي ذوي المجد والعليآء منتثرا

ولو نشاء نظمنا من جواهره ... قصائدا في معاني فضلهم غررا

تفوق نظم اللآلي من بلاغتها ... لكن يقول لسان الحال والشعرا

ومن شعره أيضا قوله في فتاة تسمي عربية مشجرا

غارت بدور التم من كاعب ... هام بها المفتون بين الأنام

رنت بطرف فاتر ناعس ... يرشق من ألحاظه بالسهام

بديعة الشكل ولكنها ... بعيدة الوصل على المستهام

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٥٠٠

يود لو زار حماها على ... رغم العدا مختفيا في الظلام

هذا ورؤباه إلى وجهها ... غاية ما يخطي به والسلام

وقوله في مثل ذلك أيضا

غارت غصون البان من غادة ... غابت لمرآها بدور التمام

رقت معاني لطفها مثل ما ... رقت محلا في البها لا يرام

بطلعة لوان الشمس الضحى ... بدت لها لاستترت بالظلام

يا عاذلي في حبها خلني ... يكفيك ما بي من صنوف السقام

هل شاهدت عيناك من عاشق ... هداه قلبي مثل هذا الكلام

ولما وقف على قول بعض المتأخرين في القهوة

هات أسقني قهوة قشرية فضحت ... بكر المدام وشنف لي الفناجينا

تدعو إلى نحو ما فيه البقاء ولو ... دعت إلى نحو ما فيه الفناجينا

لو أن ألفا أحاطوا حول ساحتها ... قصد النجاة رأيت الألف ناجينا

ذيله بقوله

يا ربة الأنس حلينا حماك فإن ... نطلب فجودي وإن نسأل فناجينا

وقرأت في تذكرة القاضي تاج الدين ما نصه مما اتفق لنا أنا ركبنا في صحبة الشيخ عبد الصمد بن محمد العمودي وزير مكة للأشراف على عمارة داره بمني ومعنا شخص يسمى الشيخ محمود على حصان فأجرى حصانه في أثناء الطريق مع بعض الجماعة فسقط إلى الأرض فأرخت سقطته ارتجالا بقولي طاح الشيخ محمود ثم جعلت لهذا التاريخ توطئة نظما فقلت

لله يوم أتينا فيه خيف منى ... لقصد دار لها بالسعد تشييد

وبيننا رب تلك الدار واسطة ... بها لنا ولعقد المجد تنضيد

سرنا على صهوات الخيل تمرح في ... مسيرها ولطير السعد تغريد

وكان في الركب محمود على فرس ... يقول إني من الفرسان معدود

فخر عند استباق الخيل منجدلا ... وما ادعى بلسان الحال مردود

فقلت مرتجلا في حال سقطته ... تاريخ ذلك طاح الشيخ محمود

ووطأ لهذا التاريخ الامام زين العابدين المذكور أيضا فقال

رام التقدم من لا يستحق علا ... فخف يطرد ركضا وهو مطرود

فخر ملقى على الرمضآء مكتئبا ... يرثيه شامته والضد موجود

فكان تاريخه إذ خر يضبطه ... حروف قولك طاح الشيخ محمود

فلما بلغت هذه الأبيات الشيخ محمودا تكدر خاطره فقال الامام ثانيا متلافيا لذلك

الشيخ محمود محمود الفعال ومن ... أهل الكمال أولى الأحوال معدود
نودي من الجانب الغربي إنك بالو ... ادي المقدس حيث الحق مشهود
فغاب عن حسه وجدا فخر على الا ... قان وهو على ما كان محسود
فشاهدت ما جرى تلك البطاح له ... فارخته بطاح الشيخ محمود
هذا هو الوجه في توجيه سقطته ... وما سواه من الأقوال مردود." (١)

"وكم من سيد ندب تمنى ... يكون لسرج عبدكم ركابا
وذي تاج يفاخر لو يداني ... لارفع عيسكم نسبا قرابا
وأنت أجل من يدعي لجلي ... وأزكى من زكى أصلا وطابا
وهز إلى المكارم منه عطفا ... وثار لكسب منقبة وثابا
وسار جميله في كل قطر ... وشاهد فضله من كان غابا
وليس لآل طه من مجير ... سواك إذا سطا زمن ونابا
ويأخذ ثارهم من كل باغ ... ويسكن من مروعهم اضطرابا
ومثلك من ينيل بلا سؤال ... ويرغب في الثواب إذا أنابا
ويصطفد الحوامل والمتالي ... وينتهب المسومة العرابا
ويبتدر الوفود بحسن قول ... وجود يخجل القطر الربابا
وعز لو حوته الأرض أضحت ... تباهي في معاليها السحابا
وتلك فضيلة لك من قديم ... خصصت بها اصطفآء وانتخابا
سلكت بها سبيل أب كريم ... بدا بسماء كل علا شهابا
وجدد للمآثر شاد بيتا ... أجد لكل قصد مستجابا
وأنت الشمس منزلة وصيتا ... وذو الأشبال قهرا واحترابا
ألا يا أغزر الفضلاء علما ... وأطهر كل ذي تقوى ثيابا
وارحب كل ذي عز جنابا ... وأضرب كل من ضرب القبابا
أقلني عثرة قد كدت أقضي ... بها أسفا وهبنيها مثابا
وهب لي زلة قد نغصتني ... على وجل طعامي والشرابا
ولا تلزم ذنوب الدهر قنا ... أناب إليك ملتجاه وآبا
وعد بالبر إحسانا لمن قد ... تعود وصل عائدك احتسابا
وسر بعز قرب منك عبدا ... يؤمل من جميلك أن يثابا

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣١

وأصلح فاسد الأحوال منه ... وأبدله من الخفض انتصابا

وحز بجميل فضلك منه شكرا ... يفوق المسك نشرا وانتسابا

وعبدك عاجز كل ضعيف ... أسير سامه الزمن اغترابا

وخذها أيها المولى فتاة ... نضت مقلة لسيدها النقابا

بنية ساعة من طبع رق ... ترق إذا سمعت لها خطابا

بها الجوزاء قد علقت نطاقا ... كذا الكف الخضيب صبا خضابا

ولو بلغت معاصرة جريرا ... لهز العطف منه بها اعتجابا

صبت شوقا لعز حضور مولى ... وسارت وهي تنجذب انجذابا

وجد بها إلى لقياه وجد ... أجد لنار صبوتها التهابا

تمادى الوقت فيها عن زفاف ... فأبدت ضيقة العنس اكتئابا

وخافت أن يشيب لها قذال ... ولم تسعد بحضرته كعابا

أتتك تجر مطرقها حياء ... وتسيل فضل بردئها حجابا

لتنشق طيب أخلاق غوال ... إليها كل غالية تصابى

وتسال منك للعاني فكاكا ... وتأمل منك للجاني مثابا

وتلتبس القبول له مآلا ... وتقتبس الوصول له مآبا

فلا يرجع لها مولى سوالا ... فترجع مثل من أكدى وخابا

ودم لا زال جدك ذا سمو ... وغيث نداك ينصب انصباب

ولا برحت ربوعك عامرات ... تناخ به أمانينا خصابا

ولا فتئت جواري الوفد تجري ... إليك لتستثيب وتستثابا

وقال يمدح الميرزا محمد طاهر كاتب الوقائع لسلطان العجم

أوجهك أم برق تالق أم بدر ... ولفظك أم در تناثر أم سحر

وقدك أم غصن يرنحه الصبا ... وردفك أم موج به قذف البحر

وفتانة العينين عذرته الهوى ... فمال لمعنى لا يهيم بها عذر

تبسم عن ثغر كان رضابه ... إذا زين ماء المزن شيب به الخمر

بنفسي من زارتني ليلا بهمة ... يسايرها من صبح طلعتها فجر

فقالت سلام قلت أهلا ومرحبا ... بمن زار غيا بعدما نفد الصبر." (١)

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣٠١

"أشهى وأبهى من نظم قافية ... أهديتها للمحب عن كثب

أفادت النفس من مسرتها ... ما لم تفده تلافة العنب

ألبستها نظمك البديع وقد ... وافت بليل عقدا من الشهب

فبت منها في نشوة عجب ... معتبقا للسرور والطرب

وفزت منها بوصل غانية ... ترفل في حلة من الذهب

فأي قلب لم توله طربا ... وأي عقل دعته لم يجب

ضمنتها العذر فاستلبت بها ... فنون هم من قلب **مكتئب**

إن لم تجب دعوتي فأنت فتى ... يملا دلو الرضى إلى الكوب

سبحان موليك فطرة العتب ... بالنظم والنثر أيما لعب

دمت من العيش في بلهنية ... تجر أذيالها مدى الحقب

ولما وقف على مرثيتي للوالد التي شنفت المسامع وألفت بين نار الأحزان وماء المدامع عارضها بقصيدة تركت الجوهر عرضا وشبت في الأحشاء نار الغضا وها أنا مثبت للقصيدتين وجامع بين الخريدتين وقد اجتمعا ويشوقك استماعهما فالأولى قصيدتي وهي هذه

هد الحمام لآل عبد مناف ... جبلا أناف علاه أي مناف

أودى بأبلج من ذوآبة هاشم ... يجلو بغرته دجى الأسداف

بالجوهر الشفاف بل بالوابل ... الوكاف بل باللهذم الرعاف

من لم يزل من بأسه ونواله ... مردي العداة ومورد الأضياف

من لم يزل للقاصدين جنابه ... رحب الفناء وموطأ الأكناف

من لم يزل للواردين حياضه ... ذا ماء يرويهم بعذب صاف

من لم يزل للطالبين علومه ... بالكشف يغنيهم عن الكشاف

من لم يزل يملى جليل جميله ... أوصافه العليا على الوصاف

من كان يطرب من سؤال عفاته ... طرب النشاوى من كؤوس سلاف

لله أي رزية رزأت به ... لا يستقال تلافها بتلاف

رغمت أنوف السمهرية والظبي ... لما أصبن بمرغم الاناف

بالمورد السمر العطاش من الكلي ... يوم النزال ومطعم الأسياف

وتقوضت عمد المواهب والندى ... لما رزئن بواهب الآلاف

ومطوق الأعناق من أفضاله ... بثقال أطواق عليه خفاف

أقريش قد ذهب الآلاف فمن لكم ... من بعد أحمد في الورى بالاف

ابني الهواشم إن طودكم هوى ... وأرى النفوس على هواه هرافي

ذهب الذي أحيي وجدد فضله ... لبني النبي مآثر الأسلاف

وطوى الردى من كان ينشر في الوغى ... حلل الردى قصرا على الأعطاف

إني لأقسم عن يمين برة ... قسم المحق ولست بالحلاف

ما خص رزؤك يا ابن هاشم عصبة ... لكنه عم الورى بتلاف

هذي جموع المكرمات بأسرها ... فصم المنون وفاقها بخلاف

عادت بحار المجد بعدك والعلى ... يبسا وأذن ماؤها بجفاف

وغدت نفوس أولي العلى مغفلة ... لما ذهبت ولم تجد من شاف

وبنوا الرجال تبدلت أنوارها ... بغياهب وشهادها بدعاف

وتضعضعت أركان كل قبيلة ... وتشبه الأذناب بالأعراف

والأسد قد فقدت لأجلك بأسها ... فغدت براثنهن كالأظلاف

من يرتجى للجود بعدك والندى ... والفضل والاسعاد والاسعاف

هيهات إن المكرمات جميعها ... طارت بهن قوادم وخوافي

يا درة سمح الزمان لنا بها ... حينا وأرجعها إلى الأصداف

لا كان رزؤك في الرزايا إنه ... شرف الكرام وغصة الأشراف

عجبا لوجهك كيف إذ غشوه لم ... يغش العيون بنوره الخطاف." (١)

"٣٧٩٥ - حدثنا هارون بن إسحق الهمداني حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن مسعر عن إسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن يحيى بن طلحة عن أمه سعدى المرية قالت «مر عمر بطلحة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك كئيبا أساءتك إمرة ابن عمك قال لا ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند موته إلا كانت نورا لصحيفته وإن جسده وروحه ليجدان لها روحا عند الموت فلم أسأله حتى توفي قال أنا أعلمها هي التي أراد عمه عليها ولو علم أن شيئا أنجى له منها لأمره»

قوله: (ما لك مكتئبا) من اكتأب الرجل بهمزة بعد التاء المثناة افتعال من كئب، أي: كئيبا حزينا، وفي كثير من النسخ كئيبا (إمرة) بكسر الهمزة، أي: إمارته، أي: أما رضيت بخلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه (روحا) أي: رحمة ورضوانا، وفي الزوائد اختلف على الشعبي فقيل: عنه هكذا، وقيل: عنه عن أبي طلحة عن أبيه، وقيل: عنه عن يحي عن أمه وسعدى عن طلحة، وقيل: عنه عن طلحة مرسلا.." (٢)

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٣٢٤

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه السندي، محمد بن عبد الهادي ٤١٩/٢

"٣ – السيد معتوق ابن شهاب الدين الموسوي الحويزي (١) :

عتيق ابن عتيق وعريق في الأدب ابن عريق، ذو جد وهزل، وفكاهة وغزل، وخلاعة تطرب الثمالى، وتضحك الثكالى، وهو المعتني بشعر أبيه وجمع شتاته وتدوينه وترتيبه بعد وفاته، وذكر في فاتحة الديوان أن وفاته كانت يوم الأحد لأربع عشر خلت من شهر شوال من السنة السابعة والثمانين والألف من الهجرة، وله من العمر يومئذ اثنان وستون سنة، ثم قال: وبقيت بحالة بغضت لدي المقام والدوام، وحببت إلي الهيام والحمام:

مكتئبا ذا كبد حرى ... تبكي عليه مقلة عبرى

يرفع يمناه إلى ربه ... يشكو وفوق الكبد اليسرى

يبقى إذا حدثته باهتا ... ونفسه مما به سكرى

› (١) هو معتوق بن شهاب الدين بن أحمد بن ناصر بن حوزي المعروف بمعتوق أيضا وقد عرف به حفيده شهاب الدين الشاعر فسمي ابن معتوق نسبة إليه وأبا معتوق كنية بابنه ومن هنا عبر صاحب التذييل في مدحه لمعتوق بن شهاب الدين بقوله: (عتيق ابن عتيق) تورية. ذكره صاحب كتاب (نشوة السلافة ومحل الإضافة) وأثنى عليه وأورد شيئا من شعره (توفي سنة ١١١٩ هـ) .." (١)

"رثى لي ومن تعبيسه حل عقدة ... وحلل وصلا كان حوبا وأوجبا

كذاك بنوا لهيجا إذا تم سلمهم ... يحلون أوتار القسي تجنبا

ومن ذلك قول ولده الاديب إسماعيل بن أحمد المنيني

عيل صبري في حب ظبي غرير ... فاتر اللحظ فاتن الالباب

أوترت حاجباه قوس التجافي ... مذ رآني ملك الهوى والتصأبي

ثم وافى متيما بوصال ... بعد بين مبرح واكتئاب

وكذا الصيد في النزال إذا ما ... عقدوا السلم حل قوس الحراب

ومن ذلك قول الاديب الفاضل مصطفى اسعد اللقيمي

بأبي الذي لما تحقق حيرتي ... وغدا بتقطيب الحواجب معرضا

وافى وفرق حاجبيه تقطعا ... متبسما فعلمت منه بالرضى

اذ عادة الصيد الملوك بحربهم ... فك القسي إذا الوطيس قد انقضى

ومن ذلك قول النبيه السيد محمد الشويكي

وافى وقطب حاجبيه مطرقا ... طرقا بذا منه الرضى لي وافى

وكذلك الفرسان ان هم سالموا ... فكوا القسي واغمدوا الاسيافا

---

(١) تذييل سلافة العصر الجزائري، عبد الله ص/٣٣

ومن ذلك قول الاديب محمد سعيد السمان

ومذ زار الحبيب بلا عتاب ... وتقطيب بحاجبه السني

علمت رضاءه من غير شك ... وقد امسيت بالعيش الهني

لأن الحرب ان خمدت لظاها ... تحل الصيد أوتار القسي

وكأنت وفات العمري المترجم في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ودفن بتربة مرج الدحداح وسيأتي ذكر والده عبد اللطيف وجده محمد وقريبه سعدي وأخيه مصطفى وقريبه الآخر محمد وبنو عبد الهادي في دمشق مشايخ صلحاء وللناس بهم اعتقاد واصلهم من بيت معروف بقرية صفوريه ولهم أنتساب صحيح إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأول من قدم منهم دمشق الشيخ العارف الكبير المسلك المربي الشيخ عبد الهادي ابن الشيخ عيسى بن عبد اللطيف ونزل بمحلة قبر السيدة عاتكة وأقام هناك إلى أن توفي في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ودفن بتربة له هناك وقبره مشهور يزار ويتبرك به قال ذلك الحافظ النجم محمد ابن الغزي في كتابه الكواكب وأما ما ذكره المحبي في تاريخه أولا فلا أصل له." (١)

"لم يثنه عن رشف ذياك اللما ... الا اجتناب الظن من أهليك

حجبوك لا بالرغم عنه ولو دروا ... ان الحشا مأواك ما حجبوك

آنات وصلك لو بأيام الصبا ... والروح تشري ما أبي وأبيك

منها في المديح

فترى له في كل قطر في الورى ... ذكرا جميلا ليس بالمبتوك

تعتاض عن سمر الحبيب بنشره ... وعن الصبا في ليلها الحلكوك

خيم على حب الكمال قد انطوى ... وأنيل ما يبغي بدون شريك

وأنامل غراء في تهتانها ... سؤل الغنى وراحة الصعلوك

يجري على أرجائها نيل المنى ... لمن التجا لعلائه المسموك

لا يستطاع من المهابة أن يرى ... عند التأمل فيه غير ضحوك

نسخت بأيديه ونور جبينه ... آي العديم وضلة التحليك

وعنى له وجه الزمان وما أبى ... وأجابه باطاعة المملوك

ومنها في الأخير

أقل العثار عثار من فيك احتمى ... وأتى بعدن من لدنه وشيك

اني وان لم أوف قدرك حقه ... ببديع نظم كالنضار سبيك

أنا عندليب في مديحك صادح ... بل صادع قلب السوى المتروك

لي منك وجه بالبشارة مشرق ... وأسرة كالشمس وهو دلوك

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١/١٢٣

وقال أيضا

فؤاد ملؤه شغفوجفن غربه يكفوصبر فل صار مد

ووجد فوق ما أصفإلى من اشتكى تلقومالي عنه منصرف

وبي لو حل أيسرهبصلدنا له التلفإذا غنى على فنن

حمام البانة الهتفأميل كأنني ثمللدى الحانات معتكف

يناجيني ولا عجبكلانا مغرم دنفولكن ابه شجني

ولا قد شفه الكلفيبيت معانقا غصناحوته الروضة الأنف

ولي ممن علقت بهنوى يغتال أو صلفأراعي الزهر مكتئبا

كأني في السما شغفوأغدو في الحمى ولهابراني الشوق والأسف

فهل صب أطارحهحديثي ان دجى السرففطر في لم يذق وسنا

وقلبي مكلم وجفسقى عهد الهوى غدقحكته الأدمع الذرف

وأياما نهبت بهاحياة عيشها ترفومن أهدت لواحظه." (١)

"وعجي طلول أحبتي ... وصفي شجون فتى كئيب

فسقي عهودا باللوى ... صوب من الغيث السكوب

يا قلب لا تك قانطا ... لا بد من فرج قريب

وقال أيضا

أما وشهد رضاب زانه الضرب ... وطلعة من سناها الشمس تحتجب

وعارض كبنان الأس طرز في ... ورد من الخد كم في حسنه عجب

وصارم من سيوف الهند لاح لنا ... من جفن لحظه الأرواح تنتهب

ونقط مسك على صحن الخدود زهى ... ودر ثغر نظيم زانه الشنب

ما كنت أصغي لعذال وإن نصحوا ... فإن صدقهم عندي هو الكذب

من لي بسلوان ظبي راق مبسمه ... ومن محياه بدر التم يكتسب

إن ماس بالدل تيها نحو عاشقه ... فالطرف منسجم والقلب مكتئب

وإن دنا فسيوف اللحظ فاتكة ... بها مع العاشقين الجد واللعب

مهفهف القد قد تمت محاسنه ... حالي المراشف للآرام ينتسب

يفتر عن شنب رأفت مدامته ... يا حبذا درر يا حبذا ضرب

يا طاوي الكشح عن حلف الغرام ومن ... إذا بدا ففؤادي رهبة يجب

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١٤٧/٢

عطفا على دنف أودى الغرام به ... وقلبه بلظى الأشجان يلتهب

له بحبك وجد زاده كلف ... ومدمع مثل ودق المزن ينسكب

هلا رثيت لقلب هائم وله ... أمضه المؤلمان الشوق والوصب

صب تقلبه أيدي الغرام على ... بسط الصبابة لما شفه العطب

فما تغنت على الغناء ساجعة ... إلا وهاج به من شجوها الطرب

وإن سرت نسمات البان في سحر ... يذكو بمهجته من نفحها اللهب

يمضي الدجى وعيوني لم تذق وسنا ... حتى تسامرني في حبك الشهب

وله أيضا

يمينا بما في الثغر من عابق الشهد ... وما نظمت المباسم من عقد

وورد جنى غرسنه يد البها ... وبالعنبر الزاهي على صفحة الخد

وما فعلت في العاشقين ذوي الهوى ... عيون ببتار تجرد عن عمد

وجيد أضاءت لامعات حماله ... تستر في فرع من الشعر مسود

لئن لامت العذال فيك وفندوا ... وحقك لا أسلو ولو ضمني لحدي

ومن لي بسلوان وقلبي مصطلي ... على نار وجد منك زائدة الوقد." (١)

"أيام كنا مع الحبيب بها ... نطوف نسعى نقضي الذي وجبا

نشرب من زمزم الصفا سحرا ... إذ زمزم الشاد بالوفا حقبا

يمم إلى حيث من لحاني سرى ... لم يقض من عذله الذي طلبا

يا حبذا لوعتي عليك ويا ... هناء قلبي إن صرت فيك هبا

ويا سروري ويا مناي ويا ... بشراي إن مت فيك مكتئبا

لا نال منك المحب مطلبه ... إن كان يوما إلى السوى ذهبا

ولا عيون الغيون ترمقكم ... إن غيركم لمحة لها جذبا

آها لأيامنا بقربكم ... وطيب وقت لبي به سلبا

ومجلس بالصفاء مجتمع ... وأنس عيش كل الهنا جلبا

ما كان أحلاه إذ بمنبره ... سامي خطيب السرور قد خطبا

عدوا بوصلي فالقلب يقنعه ... وعدو لو بالمطال لي نهبا

أفني بكم يا أهيل كاظمة ... أم للقا ساعة أرى سببا

أحبابنا هل لقربكم أجد ... وهل لهجري عن باب فجري نبا

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٣/٩٥

إن كان إعراضكم لغفلتنا ... أو أنكم لم تروا لنا أدبا

فالنقص فينا والعفو صفوكم ... نرجوه من فضل ذاتكم رغبا

أو كان من هفوة معوقة ... كم من جواد حال المجال كبا

وصارم شحذوه ثم نبا ... وكم زناد في الاقتداح خبا

غفرا حماة الحمى فعبدكم ... ما نال من غاية الثنا طنبا

يا سائق النوق عن مرابعهم ... وشائقا للدنو نحو خبا

بالله إن جزت بالحمى سحرا ... بلغ سلامي أهل الربا وقبا

وقل لهم ذلك الكئيب قضى ... وعمره بالبعاد قد قضبا

وما قضيتم له مآربه ... وما قضى من وصالكم أربا

ثم الصلاة كذا السلام على ... خير نبي عجما علا عربا

والآل والصحب ما بحبهم ... صب التهاني قد ذوق الضربا

وتابع ساد حين شاد بهم ... بيت التداني ونال كل حبا

أو مصطفى بانتسابه لكم ... سما استناد أو نسبة حسبا

وله غير ذلك من النظام والنثار وفي شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وستين ومائة توعك مزاجه بحمى مطبقة وتمرض إلى ليلة الأثنين ثامن عشر الشهر المرقوم فتوفي بعد العشاء الآخرة بفكر صاح وقلب غير لاه ودفن بعد طول منازعة في تربة المجاورين وقبره مشهور." (١)

"فظلت مكتئبا حران أندبه ... وكنت أحذره، لو ينفع الحذر

فجاشت النفس لما جاء جمعهم ... وراكب جاء من تثليث معتمر

يأتي على الناس لا يلوي على أحد ... حتى التقينا، وكانت دوننا مضر." (٢)

"وقال آخر:

ما غاض دمعي عند نازلة ... إلا جعلتك للبكا سببا

فإذا ذكرتك سامحتك به ... مني الجفون، ففاض وانسكبا

إني أجل ثرى حللت به ... من أن أرى لسواه مكتئبا

وقال الخثعمي:

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ١٩٩/٤

(٢) حماسة القرشي عباس القرشي ص/٢١٥

فتى كغرار السيف لاقى منية ... وأيدي المنايا جمة الخلجان

فمات وأبقى من تراث عطائه ... كما أبقت الأنواء للحيوان." (١)

"من كل معصوم البصيرة لم يزل ... منه الرداء على التقى معقودا

يا من تعذر أن يحيط بوصفهم ... نظم ولو ملأ الزمان قصيدا

والجامعين المكرمات بوفرهم ... مذ أكثروا في شمله التبديدا

ولهم بأندية العلاؤء إذا بدوا ... تهوي الأعاظم ركعا وسجودا

أهدت لجيد علاكم ابنة فكرتي ... درر الثناء قلائدا وعقودا

جليت محاسنها عليكم فاجتلوا ... منها لمجدكم كعابا رودا

هي نشرة تضفو على أحسابكم ... زغف خلفت بنسجها داودا

قد خلدت لكم الثناء وسؤلها ... أن الثناء لكم يدوم خلودا

فبقيتم في غبطة من ربكم ... لكن بقاء لم يكن محدودا

قولي: هي نثرة، البيت وقعت فيه التورية لأن المعنى الظاهر من هذا اللفظ أني خلفت بنسجها داود نبي الله من حيث أنه كان ينسج الدروع، وأنا أريد أني خلفت جدي السيد داود بن السيد سليمان بنسج زغف بدايع الشعر. وقد نظم عمي المهدي قصيدة دالية في الماجد الصالح وجارى بها قصيدة قالها الشريف أبو أحمد السيد صالح القزويني فيه، ولها قصة ذكرها عمي في كتابه مصباح الأدب الأزهر، فسمطت قصيدة عمي المشار إليه وقدمت قبل التسميط هذه الفقرات: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف أنبيائه محمد وآله الطاهرين، وبعد؛ فيقول الراجي عفو ربه الغني حيدر بن سليمان الحسيني: إني لما جارى عمنا وسيدنا المهدي السيد صالح القزويني في قصيدة مدح بها زعيم الفضلاء الجحاجح الحاج محمد صالح أحببت أن أشطر قصيدة سيدنا السيد مهدي كما شطر قصيدة السيد صالح المذكور الشيخ إبراهيم صادق العاملي، فوجدتها في دقائق معانيها وسلاسة ألفاظها وقوافيها فوق ما قلته فيها:

ومعربة عن فضل من صاغ لفظا ... وأودع فيها من بدايعه اللحنا

بديعة حسن لو سواه يرومها ... لكان التقاط الشهب من نيلها أدنى

تود قلوب السامعين لو أنها ... إذا أنشدت في محفل كانت الأذنا

فما هي إلا وردة مااتفقت ... كمائم حسن الشعر عن مثلها حسنا

ولا ولدت أم القريض نظيرها ... ولا فتحت يوما على مثلها جفنا

فما روضة غناء راقت بزهرها ... وما برحت أزهارها ترضع المزنا

بألطف من مدح بها لمحمد ... وإني وفيه فاقت الروضة الغنا

مسددة الأقوال يمسي معيبها ... لخجلته بين الورى يقرع السنا

---

(١) حماسة القرشي عباس القرشي ص/٢٤٧

يود إذا ما أنشدوها بمحفل ... له منشيء الأجساد ما خلق الأذنا

ولو رزق الله السكوت معيبها ... لكان له من نطق مذوده أهنى

فوا رحمتاه لحاسدها إذا تليت في نادي ذي القدر العلى، فما أراه إلا كما قال مهيار الديلمي:

يظهر منها السرور حاسدها ... ضرورة الحق وهو مكتئب

يطربه البيت وهو يحزنه ... ومن أنين الحمامة الطرب

وإنها وحرمة الفصاحة في طولها وأعجازها وأحكام صدورها بأعجازها لمستحيلة التشطير على البارع في الفهم، الماهر في النظم، ولذلك عدلت عن تشطير إلى تخميسها فوجدته أيضا في غاية الصعوبة لتجنيس كلماتها، وارتباط كل بيت بما بعده من أبياتها، كقوله فيها:

أناس يرى في الكرخ من فيه طوحت ... إليهم بنات الشدقميات من بعد

جدبا على دارالسلام بيوتهم ... لكعبة جدواهم لمن أمها تهدي

وكقوله منها:

تراه ولو قد كان يخفض نفسه ... لآمله عطفا ويبسم للوفد

ثبيرا على جنب الوثير قد اتكى ... ودون لقاه هيبة الأسد الورد." (١)

"ثم أقلعنا وما كادت تغيب الأرض عنا حتى ثارت لواعج الأشواق في صدري وخطر ببالي كل ما قلته لي مصبوغا بالوسواس والهواجس. قال ومن كان حلس بيته لم يفارقه ولم تبرح رائحة زوجته منخريه لم يدر ما ألم الفراق بعد ليالي الوصل والعناق. ولا سيما إذا جرى ذلك أول مرة. فينبغي إذا أن أصور لخاطر صاحبنا هذا الحلسي المغفومي بعض ما يقاسيه المحب من لوعة البين. عسى أن يرق فيدعو لجميع النائين عن أحبابهم بقرب الوصل وجمع الشمل فأقول: أن الفراق طالت مدته أم قصرت قربت طيته أم بعدت عبارة عن فصل أحد المتواصلين وحرمانه من أنس صاحبه. وقد تكون لوعته اشد من لوعة الموت لأن فراق الميت مقرون بالأسف والتحسر. وفراق الحي بهما وبالغيرة أيضا. وهي في مقابلة اليأس المتسبب عن فراق الميت بل هي أشد مضضا منه. هذا في حق المتزوجين المتحابين فأما في حق الكارهين فلا آسف ولا حسرة على كلا الحالين. ثم أن المحب المفارق إذا فارق حبيبه ورغد عيشه في غير وطنه. من طعام لذيذ يأكله أو مسامرة مطربة أو سماع غناء يتلذذ بهما أو رؤية أشياء بديعة ووجوه ناضرة سنيعة تقر بها عينه. فأول ما يخطر بباله إنما هو حبيبه النائي فيقول في نفسه ألا ليته الآن حاضر عندي ليشاركني في هذا النعيم. فإني احسبه اليوم محروما منه بل ربما كان على قلبه غشاوة من الحزن والكمد. فكيف يتأتى لي أن ألهو وأفرح وهو محزون. وكيف يمرئني الطعام ويسوغ لي الشراب وهو الآن لعله مقه عنهما وحشة واكتئابا إلى غير ذلك من الخواطر المكدرة والأفكار المحسرة. فأما إذا قاسى جهدا ونكدا بعد فراقه فإنه يقول ويبا لي وويحا وويخا وويسا وويلا وويها. إن عيشي الآن نكد ذميم. وحالتي موحشة وفؤادي كليم. وقد جرى بيني وبين أليفي الاتفاق على أن نكون شركاء في السراء والضراء والنعماء والبأساء. وأحسبه الآن مفنقا منعما. مترفها برثا برجا برعا طرحا

---

(١) العقد المفصل حيدر الحلي ص/١٢٢

يسامره في الليل كل ربيز ظريف. ويجالسه في النهار كل كيس لبيب. ألا وكأني به أي بها تبتسم الآن ابتسامة رضى وإعجاب لمن طرأ على محاسنها وجمالها فقال لها. ليتك كنت تتخذين عوذة لترد عنك عين الحسود فإني لا أسمح بهذا الوجه المنير الوضاح أن يراه كل أحد من الناس. ولا ينكر أن يتشهق عليك من ابتلى بامرأة دميمة فإن العين حق وإن جمالك فريد فما يكون جوابها له إلا أن تقول له: ما أحسن عينيك فإنهما تريان الشيء كما هو. فأما عينا زوجي فإن عليهما غشاوة. وإن من مذهبه الفاسد أن يقول إن العين إذا ألفت شيئا مهما كان بديعا في الحسن قل اشتياق النفس إليه. أو كما تقول العامة ما تملكه اليد تزهد فيه النفس. غير إني أخشى من إنك إذا أكثرت من النظر إلي والقرب مني لا تلبث أن تتمذهب بمذهبه فتراني على غير ما أنا عليه الآن. فيقول لها معاذ الله هذا كلام الجهال. فأما الصادقون مثلي في الحب وهيهات مثلي. فإنهم أبدا يتمثلون بقول أبي نواس:

يزيدك وجهها حسنا ... إذا ما زدته نظرا." (١)

"عسى روضة تهدي إلي أنيقة ... تدبج أسطارا على ظهر مهرق

أحلي بها علاء وسؤددا ... وأجعلها تاجا بهيا بمفرقي

فكتب إلي مراجعا: [الطويل]

أتتني على شخص العلاء تحية ... كرأد الضحى في رونق وتأنق

أتم من الريحان ينضح بالندى ... وأطرب من سجع المطوق

سطيران في مغزاهما أمن خائف ... وسلوة مشغوف وأنس مشوق

نصرت أبا بها همم العلى ... وأطلقت من آمالها كل موثق

وحملنا الوزير القاضي أبو الحسن بن أضحى إلى إحدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير أبو محمد بن مالك، وجماعة من أعيان تلك المسالك، فحللنا بضيعة لم ينحت المحل أثلهأن ولم ترمق العيون مثلهأن وجلنا بها في أكناف جنات ألفاف فما شئت من دوحة لفاء، وغصن يميس كعطفي هيفاء، وماء ينساب في جداوله وزهر يضمخ بالمسك راحة متناوله، ولما قضينا من تلك الحدائق أربأن وافتضضنا منها أترابا عربأن ملنا إلى موضع المقيل، وزلنا عن منازه تزري بمنازه جذيمة مع ملك وعقيل، وعند وصولنا بدا لي من أحد الأصحاب تقصير في المبره، عرض لي منه تكدير لتلك العين الثره، فاظهرت التثاقل أكثر ذلك اليوم، ثم عدلت عنهم إلى الاضطجاع والنوم، فما استيقظت إلا والسماء قد نسخ صحوهأن والغمام منهمل، والثرى من سقياه ثمل، فبسطني بتحفيه، وأبهجني ببر لم يزل يتممه ويوفيه، وأنشدني: [البسيط]

يوم تجهم فيه الأفق وانتشرت ... مدامع الغيث في خد الثرى هملا

رأى وجومك فارتدت طلاقته ... مضاهيا لك في الأخلاق ممتثلا

وكتب يستدعي إلى مجلس أنس: يومنا اعزك الله يوم قد نقبت شمشه بقناع الغمام، وذهبت كاسه بشعاع المدام، ونحن من قطار الوسمي، في رداء هدي، ومن نظير النوار، على نظائر النضار، ومن بواسم الزهر، في لطائم العطر، ومن غر الندمان،

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/١٨١

بين زهر البستان، ومن حركات الأوتار، خلال نغمات الأطيار، ومن سقاة الكؤوس ومعاطي المدام، بين مشرقات الشموس وعواطي الأرام، فرأيك في مصافحة الأقمار، ومنافحة الأنوار، واجتلاء غرر الضباء الجوازي، وانتقاء درر الغناء الحجازي، موفقا إن شاء الله تعالى.

السوسيون

جدتي للأم وهي والدة والدتي فاطمة بنت أبي الثناء محمود بن محمد الشاذلي بن محمد الأوسط بن عبد الله بن محمد بن علي بن سعيد بن حم السكتاني السوسي المغربي المكسالي رضي الله تعالى عنه. ولدت سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف، وتوفيت في السابع والعشرين من شعبان سنة اثنتين وثلاثمائة وألف ودفنت في مقبرة والدها. وقد أدركت أخاها الشيخ الحاج محمد السنوسي منتصبا للإشهاد بالطيبين مع جليسه المدرس الشيخ محمد القرطبي وهو شيخ في حزب الأسبوع والأذان بجامع الزيتونة يلازم العمامة الخضراء علامة على شرفه، وتوفي في شعبان سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين وألف وكان والده أبو الثناء محمود حاملا لكتاب الله خيرا ذاكرا توفي سنة ١٢٣٩ تسع وثلاثين ومائتين وألف وهو في حدود الستين سنة وكان والده من ثقاة عدول تونس وأما والده الشيخ محمد الأوسط فكان عالما فقيها متصوفا أقرأ التفسير وأمهات الفقه والتصوف بجامع الزيتونة وولي مشيخة مدرسة حوانيت عاشور بعد وفاة والده وأقرأ بها. وفي آخر أمره لازم بيته وانقطع لربه وذهب الناس في انعزاله عنهم كل مذهب حتى قال في ذلك من شعره: [الوافر]

ولما أن رأوني ذا خمول ... طريحا في زوايا الاجتناب

أجالوا فكرهم في حصر أمري ... رأوه وما هدوا سبل الصواب

فبعضهم يقول غدا مليا ... غنيا لا يميل إلى اكتساب

وبعضهم يقول به احتراق ... أمال مزاجه نحو اكتئاب

ففي طلب المكاسب كل شر ... من أنواع التصارف والسباب

وفي وصف القناعة كل خير ... يبين لكم غدا يوم الحساب

كان ظهوره كالشمس يبدو ... فعنا قد توارى بالحجاب

فقلت لهم كذبتم إن ماقد ... نسبتم لا يصح له انتسابي

ولو ملتم إلى الإنصاف قلتم ... رأى المآل إلى ذهاب

وأن مطالب الدنيا جميعا ... تبين لذي البصيرة كالسراب

إذا ما ظنها الظمآن ماء ... ويممه تبين كالسحاب

فأقدم راجيا ربا وولى ... على عقبيه في فرط التهاب." (١)

---

(١) مسامرات الظريف بحسن التعريف محمد السنوسي ص/٣٣٤

"الله تعالى فإنه المميت فالمعنى ياناصر أمت العدو وفي شرح السنة يامنصور أمت فالمخاطب كل واحد من المقاتلين ذكره القارىء

قال المنذري وأخرجه النسائي

[٢٠٩٧] (عن المهلب بن أبي صفرة) بضم المهملة وسكون الفاء (إن بيتم) بصيغة المجهول أي إن بيتكم العدو أي قصدوكم بالقتل ليلا واختلطتم معه

قال بن الأثير تبييت العدو هو أن يقصد في الليل من غير أن يعلم فيؤخذ بغتة وهو البيات انتهى (حم لا ينصرون) قال الخطابي معناه الخبر ولو كان بمعنى الدعاء لكان مجزوما أي لا ينصروا وإنما هو إخبار كأنه قال والله إنهم لا ينصرون

وقد روى عن بن عباس أنه قال حم اسم من أسماء الله فكأنه حلف بالله أنهم لا ينصرون

وقال في النهاية معناه اللهم لا ينصرون ويريد به الخير لا الدعاء

وقيل إن السور التي أولها حم سور لها شأن فنبه أن ذكرها لشرف منزلتها مما يستظهر بها على استنزال النصر من الله

وقوله لا ينصرون كلام كأنه حين قال قولوا حم قيل ماذا يكون إذا قلناها فقال لا ينصرون

كذا في مرقاة الصعود

قال المنذري وأخرجه الترمذي والنسائي وذكر الترمذي أنه روي عن المهلب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا

٦

([٢٠٩٨] باب ما يقول الرجل إذا سافر)

(اللهم أنت الصاحب في السفر) أي الحافظ والمعين (والخليفة في الأهل) الخليفة من يقوم مقام أحد في إصلاح أمره (من وعثاء السفر) بفتح الواو وسكون العين المهملة أي مشقته وشدته (وكآبة) هي تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن يقال كئب كآبة **واكتئاب** فهو كئيب **ومكتئب** كذا في النهاية (المنقلب) مصدر ميمي." (١)

"المأمون وقواده وجميع أصحابه وأجناده وأتباعه وكانوا خلقا لا يحصون وعلى الحمالين والمكارية والملاحين وكل من ضمه عسكره فلم يكن في العسكر من يشتري شيئا لنفسه أو لدابته وقد قالت الشعراء والخطباء في ذلك الزفاف أشياء كثيرة ومما يستطرف في ذلك قول محمد بن حازم الباهلي:

بارك الله للحسن ... ولبوران في الختن

يا إمام الهدى ظفر ... ت ولكن ببنت من

وبقيت "بوران" عند المأمون إلى أن توفي سنة ٢١٨هـ، وتوفيت هي سنة ٢٧١ هـ وعمرها ٨٠ سنة.

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ١٨٥/٧

بيلمون زوجة السلطان أوزبك

قال ابن بطوطة في "رحلته": اسمها "بيلون" – وهي ابنة ملك القسطنطينية العظمى السلطان "تكفور"– قال: لما مررنا ببلاد السلطان "أوزبك" ودخلنا عليه التزمنا بعد خروجنا من عنده أن ندخل على الملكة "بيلون" زوجته حسب عادة تلك الديار أنه متى زار أحد الملك يلزم أن يزور أزواجه وعائلته، وأكابر مملكته، فدخلنا على هذه الخاتون وهي قاعدة على سرير مرصع قوائمه فضة وبين يديها نحو مائة جارية، روميات، وتركيات، ونوبيات منهن قائمات وقاعدات، والفتيات على رأسها، والحجاب بين يديها من رجال الروم. فسألت عن حالنا ومقدمنا وعن بعد أوطاننا وبكت ومسحت وجهها بمنديل كان في يدها رقة منها وشفقة، وأمرت بالطعام فأحضر وأكلنا بين يديها، ولما أردنا الانصراف قالت: لا تنقطعوا عنا وترددوا علينا، وطالبونا بحوائجكم وأظهرت مكارم الأخلاق وبعثت في أثرنا بطعام وخبز كثير وسمن وغنم ودراهم وكسوة جيدة وثلاث من جياد الخيل وعشرة من سواها –قال–: وبقيت هذه الخاتون عند السلطان "أوزبك" مدة طويلة وهي تتفقدنا بخيراتها ومبراتها حتى قصدت الذهاب إلى القسطنطينية فذهبت معها وكان ذهابها لأجل زيارة أهلها ومكثت ولم ترجع لزوجها إلى أن ماتت.

حرف التاء

تحفة الزاهدة

هي جارية لبعض تجار بغداد كانت بارعة في الجمال تحسن صنعة العود وكان سيدها صرف عليها ماله وزاد في تعليمها وتهذيبها وكان شراؤها عليه بعشرين ألف درهم وغايته الربح فيها مثل ثمنها لحسن صنعتها وكمال أدبها واستقامتها فبينما هي يوما جالسة والعود في حجرها وهي تغني وتقول:

وحقك لانقضت الدهر عهدا ... ولا كدرت بعد الصفو ودا

ملأت جوانحي والقلب وجدا ... فكيف ألذ أو أسلو أو أهدأ

فيا من ليس لي مولى سواه ... تراك تركتني في الناس عبدا

ثم كسرت العود وقامت وبكت وانتحبت فاتهمها سيدها بمحبة إنسان فاستقصى عن ذلك فلم يجد له أثرا فحار سيدها في أمره ولم يجد لها سلوى عن الاكتئاب والهيام وقيام الليل ومناشدة الأشعار وطول التذكار وتشتت الأفكار فسألها عما أصابها فأنشدت تقول:

خاطبني الحق من جناني ... فكان وعظي على لساني

قربني منه بعد بعد ... وخصني الله واصطفاني." (١)

"على الأقل قد انتقمت من نفسي لأجل أنها أشغلت قلبها بحب رجل خائن مثلك) .

قالت هذا الكلام والدمع يجري من عينها وهي في حالة من القنوط لم تنفك عنها النهار ولا الليل بطوله، فلما أصبحت

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١٠٣

دخل عليها أبوها وعلم منها أنها عازمة على الاقتران بالمركيس، فاغتنم هذه الفرصة أن جاء به وزوجها منه سرا في كنيسة القصر، فكانت حالتها في ذلك اليوم تستبكي الحجر رحمة عليها إذ لم يكفها مصابا بأنها فقدت الملك وجفاها حبيبها الرفيق، وتزوجت برجل لا تميل إليه حتى إنه وجب عليها أن تكتم حزنها في قلبها بحضرة هذا الزوج الذي هام بحسنها وجمالها، ومازال جاثيا على الأرض بين قدميها إلى آخر النهار، غير تارك لها فرصة تبكي فيها على انفراد ما حاق بها من البلاء.

فلما أقبل الليل ودخلت عليها قهرمانتها وزينتها لدخوله عليها خامرها يأس عظيم لم يسعها كتمانه بحضوره، فتقرب منها بتذلل وسألها عن سبب كدرها فحاولت إخفاء الأمر عليه وقالت: إن نفسها منقبضة في تلك الليلة ليس غير، فزم عليها أن ترقد في السرير، فأبت إلا الجلوس مكانها على المقعد وأخذت تفيض من عينيها دموعا كثيرة فتعجب لذلك عجبا شديدا وأتاه أن من جفائها إياه لأمرا يخون عشقه لها ولا يليق بشرفه وعرضه فبات جزعا قلقا وأعمل على أن يبقى اضطرابه كامنا في صدره.

فقال: يا سيدتي، قومي إلى مضجعك وخذي راحة لجسمك والرياضة لعقلك، وإن كنت ترومين آمر القهرمانات بالقيام بين يديك لخدمتك فعلت ذلك إكراما لخاطرك.

فقالت – وقد اطمأنت نفسها وذهب خوفها ووجلها –: إني لا أرى لزوما لقيامهن بين يدي، ولكن أرقد في السرير حتى يغلبني النعاس ويروق ما بي من القلق. وكان المركيس في تلك الليلة متسهدا من شدة جزعه وهو يفكر في نفسه لما كان من ضياء بأن حبيبا قد هام قلبها بحبه، ولكن من هذا الحبيب أمن أمثاله، أو ممن هو أخفض من مراتب الدولة، فلم يعلم ذلك ولكنه رأى نفسه بهذا الزواج أشقى العالمين، ومازال يردد هذه الأفكار في نفسه إلى هدو الليل الآخر وإذا بقرقعة خفيفة قد طرقت أذنه وتلاها وطء أقدام خفيفة في المقصورة فظن بادئ الأمر أن ذلك يتراءى له بالوهم لعلمه بأنه كان قد غلق الباب وقفله بيده بعد انصراف القهرمانات، غير أنه أزاح ستار السرير ليرى بنفسه ما كان من هذا الأمر.

فإذا بالمقصورة سودها الظلام لأن السرج الذي كان موقدا قد انطفأ فبقي في موضعه مكتئبا وإذا بصوت منخفض حنون ينادي: يا ضياء فوثب من فراشه مذعورا وبادر إلى سيفه وتقدم إلى جهة الموضع الذي منه سمع الصوت ليمزق صدر الحسود الذي أراد أن يفوز باللذة على مشهد منه فإذا بسيف صلت قد لطم سيفه، فوثب فشعر ما بين ظلام الليل برجل يهرب من وجهه، فلحقه من موضع فلم يقف له على أثر فتعجب ووقف مكانه صاغيا فلم يسمع حركة البتة، فتراجع وجحد موضعه فظن أن ذلك سحر مبين.

ثم تقدم إلى جهة الباب فوجده مقفولا فزاد عجبه وظن أن غريمه يكون مختبئا في موضع من المقصورة ففتحه ووقف فيه لئلا يفر الغريم من وجهه وصاح بخدمه وغلمانه لملاقاته، فبادر جماعة منهم بالسرج والشموع في أيديهم، فتناول شمعة منورة وقلب المقصورة بالبحث والتفتيش وسيفه في يده صلت فلم ير أحدا، ولا رأى منفذا فيه للدخول ولا للخروج، فتحير تحيرا شديدا وكان يغيب عقله عن الصواب، فرام أن يسأل ضياء عن الأمر ففكر أنها وإن عرفت شيئا من ذلك فهي تخفي عليه أمره، فعزم على أن يفاوض أباها في هذا الشأن وسار إليه وقد صرف الغلمان إلى مواضعهم بقوله إنه سمع قرقعة على حين لا

شيء من ذلك.

فلما صار على مقربة من غرفة الوزير رآه مقبلا من الباب ليرى ما كان من أمر الضجة والصراخ فأخبره بالقضية فورا وهو لا يعقل لشدة اضطرابه، فلما سمع كلامه تعجب غاية العجب واستحوذ." (١)

"فلم يسعني بأثقال الذنوب سوى ... ساحات غفران علام الخفيات

وقولها:

مرارة الصبر خصت بالحلاوات ... وجدت في مرها حلوى السلامات

صيانتي في كهوف الصبر أنفع لي ... من حصن كسرى ومن أعماق أغمات

كم بات دهري يريني نهج تربيتي ... فينئني بقبولي وامتثالاتي

وما احتجابي عن عيب أتيت به ... وإنما الصون من شأني وغاياتي

وكلما شب دهري في معاندتي ... لم يلق مني له إلا الإطاعات

وكلما آدني ظلما بمثقلة ... عدلت سيري كما يرضى بمرضاتي

كم قابلتني ليال ريحها سعر ... بطيئة السير ترمي بالشرارات

لاقيتها بجميل الصبر من جلدي ... وبت أسقي الثرى من غيث عبراتي

كم أقعدتني أيام بصدمتها ... وقمت بالعزم مشهور العنايات

وكم حليفة سعد إذ تعنفني ... تقول سعيك مذموم النهايات

فأخفض الطرف من حزن أكابده ... وأهمل الدمع من تلك المقالات

وكم شكرت بأرض الظلم ناصيتي ... فقمت من سجدتي أتلو تحياتي

وما منحت بيوم قد أتى غلطا ... بالأنس إلا وقامت فيه غاراتي

ومذ أتت عذلى تبغي مصادرتي ... ظلما منحتهم أسنى الكرامات

وكلما عددوا ذنبا رميت لبه ... بسطت للعفو راحات اعترافاتي

وكلما حرروا منشور مظلمتي ... وأثبتوا في الورى ظلما جناياتي

أظهرت شكري لهم بالرغم عن أسفي ... وكان ما كان من فرط التهاباتي

ولم أفه لذوي ود لمعرفتي ... أن الحبيب حبيب في المسرات

أقوم والضيم تطويني نوائبه ... طي السجل ولم أسمعه أناتي

أخفي الأسى إن حسود جاء يسألني ... لأين يسعى وأومى لابتهاجاتي

إن ضل سعي فهادي الصبر يرشدني ... إلى طريق رشادي واستقاماتي

ولم أزل أشتكي بنى ومظلمتي ... لعالم الجهر مني والخفيات

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٧٠

علت ولاة الصفا أشهى نجائبها ... لتقضي الفوز من وادي المودات

وبت باليأس في بطحاء متربتي ... وكان شغلي بضحى دق راحاتي

أقول للصبر لا عتب على زمن ... أعطى لأبنائه أسمى العطيات

فقال مهلا ولا تغرك شوكتهم ... فالصحو يعقبه سود الغمامات

فليس كل ملوم دام مكتئبا ... وما السعيد سعيد للملاقاة

فدهرهم غرهم جهلا وما علموا ... أن الزمان قريب الالتفاتات

فما توارت بغاة الغم من أسفي ... حتى أناخوا بأجبال النكايات." (١)

"ثم السلام علينا في مضاجعنا ... حتى نعود إلى ميزان منشينا

وبلغها حينما كانت مائلة إلى بنان أن سعيدا عشق جارية من جواري القيان فكتبت إليه:

يا عالي السن سيئ الأدب ... شبت وأنت الغلام في الطرب

ويحك إن القيان كالشوك ال ... منصوب بين الغرور والعطب

لا يتصدين للفقير ولا ... يطلبن إلا معادن الذهب

بينا تشكي هواك إذ عدلت ... عن زفرات الشكوى إلى الطلب

تلحظ هذا وذا وذاك وذي ... لحظ محب وفعل مكتئب

وافتصد سعيد بن حميد يوما فقالت فضل لعريب: وهل لك أن نذهب فنزور سعيدا؟ قالت لها: فلا مانع من ذلك وأرسلت إليه قبل زيارتها هدايا منها ألف جدي وجمل وألف دجاجة فائقة، وألف طبق ريحان وفاكهة ومع ذلك طيب كثير وشراب وتحف حسان فكتب إليها سعيد: وإن سروري لا يتم إلا بحضورك فجاءته في آخر النهار وجلست معه على الشراب وغنتهم عريب بما لزم.

فبينما هم كذلك وإذا بالغلام يستأذن لبنان فإذن له فدخل إليهم وإذا هو شاب طرير حسن الوجه حسن الغناء نظيف الثياب شكل فذهب بفضل كل مذهب، فأقبلت عليه بحديثها ونظرها فتنمر سعيد واستطير غضبا وتبين بنان القصة فانصرف وأقبل عليها سعيد يعذلها ويؤنبها ساعة، ثم أمسك فقالت منشدة:

يا من أطلت تفرسي ... في وجهه وتنفسي

أفديك من متدلل ... يزهو بقتل الأنفس

هبني أسأت وما أسأ ... ت بلى أقول أنا المسي

أحلفتني أن لا أسا ... رق نظرة في مجلسي

فنظرت نظرة مخطئ ... أتبعتها بتفرس

ونسيت أني قد حلفت ... فما عقوبة من نسي

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٣١٧

فقام سعيد وقبل رأسها وقال: لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته ونتجافى عن إساءته، وغنت عريب في هذا الشعر وشربوا عليه بقية يومهم، ثم افترقوا وأثر بنان في قلبها وعلقت به ثم لم تزل حتى واصلته وقطعت سعيدا.

وكان إبراهيم بن المهدي يقول: إن فضل كانت من أحسن خلق الله خطا وأفصحهم كلاما، وأبلغهم في مخاطبة، وأثبتهم في محاورة فقال يوما لسعيد بن حميد: أظنك يا أبا عثمان تكتب لفضل رقاعها وتجيدها وتخرجها فقد أخذت نحوك في الكلام وسلكت سبيلك فقال له وهو يضحك: ما أخيب ظنك ليتها تسلم مني لآخذ كلامها ورسائلها، والله يا أخي لو أخذ أفاضل الكتاب وما ماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك، انتهى.

فضة النوبية

هي جارية السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت من النساء العاقلات الصادقات وقد اشتهرت بالفضيلة. وقيل" عن أبي العباس في قوله تعالى: (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) [الإنسان: ٧-٨] قال: مرض الحسن والحسين فعادهما جدهما صلى الله عليه وسلم وعادهما عامة العرب فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك نذرا.

فقال علي:." (١)

"إبله ليبيعها، فاشتراها زوج لبنى وهو لا يعرفه.

ثم قال له: ائتني غدا في دار كثير بن الصلت أقبضك الثمن فجاء وطرق الباب فأدخله وقد صنع له طعاما وقام لبعض حاجاته فقالت لبنى لخادمتها" سليه ما بال وجهه متغيرا شاحبا فتنفس الصعداء.

ثم قال: هكذا حال من فارق الأحبة. فقالت: استخبريه عن قصته فاستخبرته فشرع يحكي أمره فرفعت الحجاب وقالت: حسبك قد عرفنا حالك فبهت حين عرفها ساعة لا ينطق بلفظ.

ثم خرج لوجهه فاعترضه الرجل وقال: مالك؟ عد لتقبض مالك، وإن شئت زدناك فلم يكلمه ومضى فدخل على لبنى فقالت له: ما هذا إنه لقيس! فحلف أنه لا يعرفه. وأنشد قيس معاتبا لنفسه:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها ... وكنت عليها بالملا أنت أقدر

فإن تكن الدنيا بلبنى تقلبت ... فللدهر والدنيا بطون وأظهر

كأني في أرجوحة بين أحبل ... إذا فكرة منها على القلب تخطر

وقصد قيس معاوية فمدحه فرق له وكان قد أهدر دمه فقال له: إن شئت كتبت إلى زوجها بطلاقها فقال: لا، ولكن إئذن لي أن أقيم ببلدها ففعل فنزل حين زال هدر دمه بحيها، وتضافرت مدائحه فيها حتى غنى بها معبد والغريض وأضرابهما، وقد قصد قيس أبن أبي عتيق وكان أكثر أهل زمانه مروءة فجاء ابن أبي عتيق إلى الحسن والحسين وأعلمهما أن له حاجة عند زوج لبنى وطلب أن ينجداه عليه فمضيا معه حتى اجتمعوا به وكلموه في طلب ابي أبي عتيق وهم لم يعلموا الغرض قال:

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٤٣٩

سلوا ما شئتم. فقال ابن أبي عتيق: أهلا كان أو مالا؟ قال: نعم. فقال: أريد أن تطلق لبنى ولك ما شئت عندي. فقال: أشهدكم أنها طالق. فاستحيوا منه وعوضه الحسن مائة ألف درهم وقال له: لو علمت الحاجة ما جئت، ونقلت إلى العدة وعاتبت لبنى قيسا على تزويجه الفزارية فحلف لها أن عينيه لم تكتحل برؤيتها ولم يكلمها لفظة واحدة، وأنه لو رآها لم يعرفها وأخبرته أنها كارهة زوجها وأعلمته أنها لم تتزوج به رغبة فيه بل شفقة على قيس حين أهدر دمه ليخلي عنها، وتوفيت لبنى في العدة سنة ٣٣هـ وإن قيسا حين بلغه ذلك خرج حتى وقف على قبرها وأنشد:

ماتت لبينى فموتها موتي ... هل ينفعن حسرة على الفوت

إني سأبكي بكاء مكتئب ... قضى حياة وجدا على ميت

ثم بكى حتى أغمي عليه فحمل ومات بعد ثلاث ودفن إلى جانبها وله فيها أشعار كثيرة منها:

إذا خدرت رجلي تذكرت من لها ... فناديت لبنى باسمها ودعوت

دعوت التي لو أن نفسي تطيعني ... لفارقتها في حبها فقضيت

برت نبلها للصيد لبنى وريشت ... وريشت أخرى مثلها وبريت

فلما رمتني أقصدتني بنبلها ... وأخطأتها بالسهم حين رميت

وفارقت لبنى ضلة فكأنني ... قرنت إلى العيوق ثم هويت

فيا ليت أني مت قبل فراقها ... وهل ينفعن بعد التفرق ليت

فوطن لهلكي منك نفسا فإنني ... كأنك بي قد يا ذريح قضيت

وقال أيضا:

عيد قيس من حب لبنى ولبنى ... داء قيس والحب صعب شديد

فإذا عادني العوائد يوما ... قالت العين لا أرى من أريد." (١)

"لو كان يدري حالة الولهان ... ما جار بالأعراض والهجران

ظبي سلا في حبه قلبي وما ... حدثت نفسي عنه بالسلوان

أمسي وأصبح في هواه كأنني ... سكران نشوان بخمر دنان

أواه من لوم العواذل إنه ... قد زادني نارا على نيران

بالله بلغ يا صبا إن جزته ... أشواق صب بالمحبة فاني

حيران سهران الظلام متيم ... يرعى النجوم بناظر هتان

وله

ما الهوى إلا هوان واكتئاب ... واحتراق واشتياق واضطراب

نعمة قل إن تشا في نقمة ... أو بلاء أو نعيم في عذاب

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٤٦٤

ليس تعداد الليالي فائدا ... إنما قد زاد نيراني التهاب
إن نأى يا طول تسهيدي به ... أو دنا لم يشف قلبي الاقتراب
وقال في ذات مخصوصة مما ظاهره الهجاء، وباطنه المداعبة والمجون:
ما هام هذا الشيخ فينا وافتخر ... إلا على حب الطعام المفتخر
ظهرت مناقبه الحسان وداره ... عنا توارت ليس يدركها البصر
أمسى بداره المطعمين منعما ... وبداره يلقى عذابا من سقر
إن هل يوم العيد هلل فرحة ... وإذا أتى شهر الصيام نوى السفر
شيخ إذا ما مد يوما باعه ... لم يبق شيئا في الخوان ولا يذر
تلقى الصحون لديه ترجف خيفة ... فيجيبها أين المفر من القدر
أسنانه مثل المناجل ما ورا ... ء حصادها لقط يراه من اغترر
فالويل للقبوات من وثباته ... والسحق للحلواء منه إن حضر
كره الزحام على الطعام لذا غدا ... يبدي التعامي عنه في غض النظر." (١)
"الشيخ موسى بن المرحوم عمر بن عبد الفتاح
ابن محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الجليل السباعي الحمصي عالم شاعر، وناظم ناثر، قد فاق في عصره أقرانه، مع زهد وتقوى وصيانة وديانة، فلذا كان ممن يعتمد عليه، ويشار في حل المشكلات والمعضلات إليه، على أنه من بيت قد تأسس على العلم والتقوى، وحسن العمل في السر والنجوى، فهو الحبر الذي فاق بصفاته الأوائل، والبحر المتموج بجواهر الفضائل، الجامع شمل الكمال بعد شتاته، والواضع في جسد المجد روح حياته، فلا ريب أنها تضحك ببكاء أقلامه الطروس، ويرى في صورة خطوطه حظوظ النفوس.
ولد في مدينة حمص سنة ألف ومائة وإحدى وتسعين، ونشأ بها إلى أن توفي والده، ذهب إلى مصر في نية طلب العلم في الجامع الأزهر والمقام الأنور، فقرأ على علمائها وطلب على فضلائها، ثم رجع إلى الشام وكمل طلبه على علمائها الأعلام، وفي سنة ألف ومائتين وخمس وخمسين سافر إلى بلده حمص، ومرض بداء البطن، وتوفي في تلك السنة ودفن في مقابر بني السباعي بالقرب من حضرة سيدي خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، ومن بديع نظامه وفصيح كلامه، معارضا بانت سعاد يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.
صدت سعاد وما للحال تحويل ... وليس لي في سواها قط مأمول
وكيف لا وفؤادي صار مرتعها ... ولم يرعني بها قال ولا قيل
لم أخش في حبها عذلا لذي عذل ... ولا لواش وفيها القلب مكبول

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٦٨٧

فكم لحاني لاح في الهوى سفها ... فقلت اقصر فلي في ذاك تنويل

الله أكبركم في الحب من بطل ... لقد علاه اكتئاب وهو مذبول." (١)

"دهلي فدفن عند قبر الشيخ نظام الدين محمد

البدايوني وقبره مشهور هنا.

الشيخ محمد بن الحامد الأمروهوي

الشيخ الصالح محمد بن الحامد بن عيسى الزينبي الهركامي الشيخ عضد الدين الأمروهوي أحد كبار المشايخ الجشتية، أخذ عن والده وعمه الشيخ محمدي الفياض ولازمه مدة من الزمان ثم تولى الشياخة بأمروهه، وكان عالما كبيرا بارعا في العربية تقيا صالحا لم يقبل الوظائف والأرزاق من الولاة، وصرف عمره في الفقر والفاقة وكان ماهرا بتأويل الرؤيا، له مقاصد العارفين صنفه سنة أربع وعشرين ومائة وألف وله ديوان الشعر الفارسي وسد سرور في المعارف وحكم الطريقة في لغة سنسكرت، توفي لثلاث ليال بقين من رجب سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف، كما في أنوار العارفين.

الشيخ محمد بن الحسن اللاهوري

الشيخ الصالح محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمود الحسني الحسيني القادري اللاهوري الشيخ محمد غوث كان من المشايخ المشهورين في عصره، ولد بمدينة بيشاور ونشأ بها وأخذ عن والده ثم سافر إلى لاهور وأدرك بها جمعا كثيرا من العلماء والمشايخ فصحبهم واستفاض منهم فيوضا كثيرة وسكن بلاهور، أخذ عنه خلق كثير من العلماء والمشايخ، وله مصنفات منها الرسالة الغوثية مات بلاهور ودفن بها خارج البلدة في سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف، كما في خزينة الأصفياء.

الشيخ محمد بن رستم البدخشي

الشيخ العالم المحدث محمد بن رستم بن قباد الحارثي البدخشي أحد الرجال المشهورين في الحديث والرجال، ولد بمدينة كابل ونشأ بها في نعمة أبيه وقرأ العلم في صغر سنه وصنف رد البدعة ومعتقد أهل السنة رسالة حسنة، وذلك في الخامس عشر من سنه وعرضه على عالمكير بن شاهجهان سلطان الهند فأعطاه ثلاثمائة منصبا ومنحه أقطاعا على وفق المنصب بدون شرط الخدمة ثم تدرج إلى ستمائة منصبا ومات في أيام محمد شاه.

ومن مصنفاته غير ما ذكرناه مصنف لطيف في تراجم الحفاظ استخرجها من كتاب الأنساب للشيخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن المنصور السمعاني المروزي مع اختصار في بعض التراجم وزيادة مفيدة في أكثرها، فرغ من تصنيفه يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول سنة ست وأربعين ومائة وألف بمدينة دهلي، ومنها مفتاح النجاء في مناقب آل العباء صنفه سنة أربع وعشرين ومائة وألف

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٥٦٧

بمدينة لاهور ورتبه على خمسة أبواب أوله: الحمد لله الذي اصطفى محمدا وآله على العالمين، إلخ، ومنها نزل الأبرار بما صح من مناقب أهل البيت الأطهار فرغ من تصنيفه لسبع عشرة من رمضان سنة ست وعشرين ومائة وألف صنفه للسيد حسين علي خان الحسيني البارهوي أمير الأمراء ومنها تحفة المحبين بمناقب الخلفاء الراشدين.

الشيخ محمد بن عبد الجليل البلكرامي

الشيخ الفاضل محمد بن عبد الجليل الحسيني الواسطي البلكرامي، كان حافلا لأصناف العلوم ووارثا لفضائل والده المرحوم، ولد سنة إحدى ومائة وألف ببلكرام وقرأ العلم على الشيخ طفيل محمد الحسيني الأترولوي واستفاد في الفنون الأدبية عن والده ثم ولي بتحرير السوانح وبعمل بخشيكري في بلدة بكر وسيوستان مقام والده في عهد فرخ سير فاستقل بها زمانا واعتزل عنها في الفتنة النادرية ورجع إلى بلكرام.

له مختصر كتاب المستطرف للشيخ زين الدين محمد بن أحمد الخطيب وله تبصرة الناظرين بالفارسي مختصر في التاريخ، ومن شعره قوله:

قالت فتاة لسلمى يا صويحبتي هبني لعاشقك المسكين تسكينا

قالت تجيب لان يحبيك مكتئب لنعملن على شيء تقولينا

توفي سنة خمس وثمانين ومائة وألف، كما في مآثر الكرام.." (١)

"والكلام

والطب وغيرها على مولانا عبد الله الحنفي البدايوني، والقاضي محمد إسماعيل المهري الشافعي الكوكني، والشيخ عبد الحميد باعكظه الشافعي الخطيب، والعلامة عبد الحي بن عبد الحليم اللكهنوي، ومولانا نصر الله خان الخورجوي، والشيخ محمد شاه الحنفي المحدث نزيل دهلي، وبرع في كثير من العلوم لا سيما الفنون الأدبية، ولكن الزمان احتال عليه بالداء العضال ورماه بوجع في ظهره، حتى اشتد عليه المرض وانحنى ظهره، وحصلت له كلفة عظيمة من الجلوس والقيام والمشي، وكان مع شدة مرضه يلقى الناس ببشاشة، ويراعي معهم الخلق الحسن، ويحافظ على الأوقات، وكان أكثر وقته في المطالعة، وأكثر اشتغاله بنفع الخلائق من التدريس والمداواة والنصيحة، وشهد بفضله وتبحره جماعة من الفضلاء، منهم: السيد علوي بن أحمد السقاف شيخ السادة في الحرم الشريف المكي، قال فيه: إنه ممن يشد إليه الرحال، ولو لم يكن لنا قصد في دخول الهند والخروج من مكة المشرفة سوى زيارته لكفى.

وله شعر رائق، غاية في حسن السبك، وجودة التركيب، وطلاوة الألفاظ، وجزالة المعنى، قد أرسل

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٧٩٧/٦

إلى جملة صالحة من قصائده الغراء، ووصفني بأبيات رائقة لست أهلا لذلك.

فمن قصيدة نبوية له:

يا شوق بلغ إلى جيران ذي سلم سلام صب سليم الهم والألم

واستمطرن من ندى ألطافهم شبما يطي لظى لاعج في القلب مضطرم

وقل لهم أرسلوا طيفا فطيفهم روح المحبين يحيي ميت النسم

من لي به وسهادي ظل يمنعه أو بالكرى وهو مدفوع بينهم

لولاهم ما كلأت الليل مكتئبا أرعى النجوم حليف الوجد والسقم

ولا جرى دمع عيني كالعقيق على ذكر العقيق وذكر البان والعلم

لولا اضطراب فؤادي من مياسمهم ما زاده خفقانا بارق الظلم

ولا صبا القلب أو هاج البكا وصبا إن هب ريح جرت من رقمتي اضم

يا لائمي وشراب الحب أسكرني لو ذقت لذة كأس الحب لم تلم

ألست تعلم أن العدل في مهج ال عشاق يفعل فعل الزيت في الضرم

أعان شوقي جوى قد شب في كبدي وخانني في الهوى صبري ومعتزمي

هوى سرى في دمي قدما فلا عجب إن ضن عيني بدمعي وهو عين دمي

والدهر لم يكفه أني الجريح به حتى رماني بداء غير منحسم

لم يصف مشرب في عيشتي أبدا فمم عوفيت بالآلام والنقم

ضاعت بضاعتي المزجاة صفوتها وما اكتسبت سوى حمل من التهم

يا ليت شعري لم الخلاق أنشأني أللتحسر والآلام والندم

هبني ذنوبي قد جمت أليس لها من الرسول شفيع رحمة الأمم

محمد بهجة الدارين نورهما سر الوجود وعين الجود والكرم

ومن قصيدة يرثي بها شيخه عبيد الله:

الله أكبر كاد الخير ينعدم والموت أفضل ما في الخلق يخترم

كلا ولا حي ينجو من مخالبه سيان عند المنايا القرم والقزم

مالي أرى الأرض تبقى وهي تنقصها جزر ومد لبحر الهول ملتطم." (١)

"على علاته وفاء بعهده السابق ورجاء لغده المنتظر محتملا في سبيل ذلك من حمقه ووسواسه وفساد تصوراته وغرابة أطواره ما لا طاقة لمثلي باحتمال مثله حتى جاءني ذات ليلة بداهية الدواهي ومصيبة المصائب فكانت آخر عهدي به.

دخلت عليه فرأيته واجما مكتئبا فحييته فأومأ إلى بالتحية إيماء فسألته ما باله فقال ما زلت منذ الليلة من هذه المرأة في عناء

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ١١٧٣/٨

لا أعرف السبيل إلى الخلاص منه ولا أدري مصير أمري فيه قلت وأي امرأة تريد قال تلك التي يسميها الناس زوجتي وأسميها الصخرة العاتية في طريق مطالبي وآمالي قلت إنك كثير الآمال يا سيدي فعن أي آمالك تحدث قال ليس لي في الحياة إلا أمل واحد هو أن أغمض عين ثم أفتحها فلا أرى برقعا على وجه امرأة في هذا البلد قلت ذلك ما لا تملكه ولا رأى لك فيه قال إن كثيرا من الناس يرون في الحجاب رأيي ويتمنون في أمره ما أتمني ولا يحول بينهم وبين نزعه عن وجوه نسائهم إبرازهن إلى الرجال يجالسنهم كما يجلس بعضهن إلى بعض إلا العجز والضعف والهيبة التي لا تزال تلم بنفس الشرقي كلما حاول الإقدام على أمر جديد فرأيت أن أكون أول هادم لهذا البناء العادي القديم الذي وقف سدا دون سعادة الأمة وارتقائها دهرا طويلا وأن يتم على يدي ما لم يتم على يد أحد غيري من دعاة الحرية وأشياعها فعرضت الأمر على زوجتي فأكبرته وأعظمته وخيل إليها أنني جئتها بإحدى النكبات العظام والرزايا الجسام وزعمت أنها إن برزت إلى الرجال فإنها لا تستطيع أن تبرز إلى النساء بعد ذلك.." (١)

"استيقظ الفتي جلبرت في الساعة التي يستيقظ فيها من صباح كل يوم فعمد إلى بقرته فحل عقالها ثم هتف باسم سوزان يدعوها إلى الذهاب معه إلى المرعى فلم تجبه فصعد إلى غرفتها في سطح المنزل ليوقظها فلم يجدها فسأل عنها أمه فلم تعلم من أمرها أكثر مما يعلم فظن أنها خرجت لقضاء بعض الشؤون ثم تعود فلبث ينتظرها وقتا طويلا فلم تعد فرابه الأمر وأعاد البقرة إلى معتلفها وخرج يفتش عنها في كل مكان ويسائل عنها الناس جميعا غاديهم ورائحهم فلمي جد من يدله عليها حتى أظله الليل فعاد حرينا مكتئبا لا يرى أن أحدا على وجه الأرض أعظم لوعة منه ولا أشقى أمه قابعة في كسر البيت مطرقة برأسها تفلي التراب بعود في يدها فدنا منها فرفعت رأسها إليه وقالت له أين كنت يا جلبرت قال فتشت عن سوزان في كل مكان فلم أجدها فألقت عليه نظرة مملوءة حزنا ودموعا وقالت خير لك يا بني ألا تنتظرها بعد اليوم فانتفض انتفاضة شديدة وقال لماذا قالت قد دخلت على الساعة جارتنا فلانة فحدثتني أنها ما زالت تراها منذ ليالي تختلف إلى البحيرة للاجتماع على ضفافها بفتي حضري غريب عن هذه المدرة أحسبه المركز جوستاف صاحب هذه المزارع التي تلينا والقص الأحمر الذي يليها وقالت لي إنها رأتها ليلة أمس بعد منتصف الليل راكبة وراءه على فرس أشهب يعدو بها في طريق القصر الأحمر ولا بد أنها فرت معه فصرخ جلبرت صرخة جادت لها نفسه أو كادت وخدر في مكانه صعقا فلم تزل أمه جاثية بجانبه الليل كله تبكي عليه مرة وتمسح جبينه بالماء أخرى حتى استفاق في مطلع الفجر فنظر حوله نظرة حائرة فرأى أمه مكبة على وجهها تبكي فذكر كل ذلك فأطرق هنيهة ثم." (٢)

"فأطرق الأمير لحظة ثم رفع رأسه وقال يقاد المجرم إلى ساحة الموت فيصلب على أعواد شجرة ثم تفصد عروقه كلها حتى لا يبقى في جسمه قطرة واحدة من الدم فصرخ الغلام صرخة حال الأعوان بينه وبين إتمامها واحتملوه إلى السجن وما لبثوا أن عادوا بفتاة جميلة كأنها الكوكب المشبوب حسنا وبهاء لولا سحابة غبراء من الحزن تتدجى فوق جبينها فقال الأمير ما جريمتها فقال القاضي إنها امرأة زانية دخل عليها رجل من أهلها فوجدها خالية بفتي غريب كان يحبها ويطمع في الزواج

---

(١) العبرات للمنفلوطي المنفلوطي ص/٤٠

(٢) العبرات للمنفلوطي المنفلوطي ص/٨٧

منها قبل اليوم فهاج الناس واحتدموا وهتفوا القتل القتل الرجم الرجم!! إنها الجريمة العظمى والخيانة الكبرى فقال الأمير أين شاهدها فدخل قريبها الذي كشف أمرها فشهد عليها فهمس القاضي في إذن الأمير ساعة ثم قال الأمير تؤخذ الفتاة إلى ساحة الموت فترجم عارية حت يبقى على لحمها قطعة جلد ولا على عظمها قطعة لحم فهلل الناس وكبروا إعجابا بعدل الأمير وحزمه وإكبارا لسطوته وقوته وهتفوا له ولكاهنه وقاضيه بالدعاء ثم نهض فنهض الناس بنهوضه ومضوا لسبيلهم فرحين مغتبطين وخرجت على أثرهم حزينا مكتئبا أفكر في هذه المحاكمة الغريبة التي لم يسمع فيها دفاع المتهمين عن أنفسهم ولم يشهد فيها على المتهمين غير خصومهم ولم تقدر فيها العقوبات على مقدار الجرائم وأعجب للناس في ضعفهم واستخذائهم أمام القوة القاهرة وغلوهم في تقديسها وإعظامها وإغراقهم في الثقة بها والنزول على حكمها عدلا كان أو ظلما رحمة أو قسوة وأردد في نفسي هذه الكلمات.

ليت شعري ألا يوجد بين هذه الجماهير لص أو قاتل أو زان يعلم عذرهم فيرحمهم وينظر إلى جرائمهم بالعين التي." (١)

"إلا أسوأ الحظين وأنحس النجمين ولو أن أحدا من قبلي استطاع أن يدفع هواه عن قلبه أو يمحو ما قدر له في صحيفة قضائه من شقاء الحب وبلائه لسلكت سبيله التي سلكها ولكنه بلاء بليت به الحين أريد لي فلا رأي لي في رده ولا حيلة لي في اتقائه وقد نزلت هذه الفتاة من نفسي منزلة هي الحياة من الجسم والغيث من التربة القاحلة فإن كنت لابد آخذي فخذ معك جسما هامدا لا حراك به ونبتة ذاوية لا حياة فيها فوضع أبوه يده على عاتقه وقال له الآن يا بني واذهب لشأنك وعد إلى صباح الغد لأتم حديثي معك وأرجو أن تكون في غدك خيرا منك في أمسك فخرج محزونا مكتئبا يمشي مشية الذاهل المشدوه لا يرى ما أمامه ولا يشعر بما حوله حتى رأى عربة فركبها إلى بوجيفال حتى بلغها بعد هدأة من الليل فلم ير مرغريت في شرفة البيت تنتظره كعادتها فدخل عليها غرفتها فرآها مكبة على منضدة بين يديها كأنما هي نائمة أو ذاهلة فشعرت به عند دخوله فنهضت مذعورة متلهفة فخيل إليه عند نهوضها أنه لمح في يدها رسالة تضم عليها أصابعها فظنها بعض تلك الرسائل التي كان يرسلها إليها المركيز جان فيليب من حين إلى حين وهو فتى من أبناء الأشراف الأثرياء كان يحبها في عهدها الأول حبا شديدا وينفق عليها أموالا طائلة فلما انقطعت عنه لم ينقطع منها أمله فظل يرسل إليها رسائل كثيرة يعرض فيها حبه وماله ويمنيها الأماني الحسان في عودتها إليه واتصال حياتها بحياته فكانت تمزقها عند اطلاعها عليها أو على عنوانها فلم يحفل أرمان بذلك ومشى إليها فقبلها فقالت له ماذا جرى يا أرمان قال أرادني أبي على السفر معه فأبيت وبكيت بين يديه كثيرا فلم أنل منه منالا وقد أمرني بالعودة إليه غدا ولا." (٢)

"أمر الخطبة شيئا حتى أسافر إلى باريس وأعود منها.

ذلك ما حملني على المجيء إلى باريس وهذه هي قصتي التي جئت أعرضها عليك وأنتظر حكمك فيها وقد كتمتها عن الناس جميعا حتى عن ولدي أرمان فانظري ماذا تأمرين

وهنا أطرق برأسه طويلا ثم رفعها فإذا عبرة تترقرق في عينيه وإذا هو يحاول الكلام فلا يستطيعه فرحمته مما به وأعظمت

---

(١) العبرات للمنفلوطي المنفلوطي ص/١٠١

(٢) العبرات للمنفلوطي المنفلوطي ص/١٣٨

مصابه حتى نسيت مصابي بجانبه وساد السكون بيننا ساعة لا يوقل لي شيئا ولا أدري ماذا أقول له حتى هدأ ثائره قليلا فمد يده إلى يدي فأخذها بين ذراعيه وعاد إلى حديثه يقول:

مرغريت إن حياة ابنتي بين يديك فامنحيني إياها تتخذي عندي يدا لا أنساها لك حتى الموت.

إنني لا أستطيع أن أراها تموت بين يدي ولو تم ذلك لمت على أثرها حزنا وكمدا وضمنا في يوم واحد قبر واحد لقد رأيت مصرع أمها منذ خمس سنين ولا يزال أثره باقيا في نفسي حتى اليوم ولا أستطيع أن أرى هذا المشهد مرة أخرى في ابنتها وصورتها الباقية عند من بعدها.

إنني أحبها حبا جما ولا أستطيع أن أراها في ساعة من ساعاتها حزينة أو **مكتئبة** فكيف أن أراها تعالج سكرات الموت! إنك لا تعرفينها يا مرغريت وأعتقد أنك لو رأيتها لأحببتها كما أحبها ولرحمتها كما أرحمها ولفديتها بما تستطيعين رأفة." (١)

"أعناق أولئك الفرسان، ثم يمزجونها بالماء إلى ما يغطي رءوسهم، فتسلل من مكانه مغتبطا بمجمعهم وبما هيئ لهم من الهناء والنعمة فيه، ثم مر بتلك الدار بعد أيام فرآها مقفرة من أهلها لا تسمع بها نغمة ولا نأمة١، فدخلها فلم ير فيها إلا أعواد ريحان قد يبس أكثرها مبعثرة في جوانبها وخطوطا كانت رسمتها زقاق الخمر فوق تربتها في غدوها ورواحها بين أولئك الندماء، فانصرف حزينا **مكتئبا** يسمع صفير الريح الضاربة في جوانبها، فيردد قول القائل:

رب ركب قد أناخوا حولنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال

عصف الدهر بهم فانقرضوا ... وكذاك الدهر حالا بعد حال

وإن سمع قول الآخر:

ويوم كتنور الإماء سجرنه٢ ... وأوقدن فيه الجزل حتى تضر ما

رميت بنفسي في أجيج سمومه ... وبالعيس حتى بض منخرها دما

شعر كأن لهيب تلك الهاجرة يهب في وجهه، فيشيح عنه فرارا من لفحاته، ويكاد يبكي رحمة لذلك الشبح المصهور الذي ملكت عليه تلك التنوفة الحمراء سبيله وحالت بينه وبين

---

١ النأمة: النغمة والصوت.

٢ سجر الرجل التنور: ملأه وقودا.." (٢)

"إلى سعد باشا: في منفاه

في الساعة التي نزلت فيها إلى قاع السفينة "نوراليا" لتفارق هذا العالم كله إلى جزائر "سيشيل" صعد خصومك إلى كراسي مناصبهم فرحين متهللين يهنئ بعضهم بعضا، ويبسم بعضهم إلى بعض، ولا أعلم هل تلك الحمرة الخفيفة التي جالت في

---

(١) العبرات للمنفلوطي المنفلوطي ص/١٦٠

(٢) النظرات المنفلوطي ٢/١٩٧

وجوههم في تلك الساعة كانت خالصة كلها للسرور والغبطة، أم كان يمازجها شيء للخجل والحياء، ولعلها كانت الثانية، فإني من لا يعتقد أن الضمير الإنساني إذا جمد ينتهي به جموده إلى الموت.

أنت سجين وهم مطلقون، أنت معذب وهم ناعمون، أنت مستوحش منفرد في قفرة جرداء لا أنيس لك فيها ولا سمير إلا بضعة أفراد مثلك مستوحشين منفردين، وهم مؤتنسون بالعيش في قصورهم وبساتينهم وملاعبهم ومسارحهم بين نسائهم وأولادهم وصحبهم وخلانهم، أنت مكتئب حزين يتقاسم قلبك همان؛ هم نفسك وهم قومك، وهم فرحون متهللون، يطفرون ويمرحون،." (١)

"ولا يزال يتمثل لهم في طعامهم الذي يطعمون، وشرابهم الذي يشربون، وفي جميع ما تمتد إليه عيونهم، وتتصل به أسماعهم، في أضيق من كفة الحابل، وأضنك من عيش السجين.

لا سجن في الدنيا غير سجن النفس، ولا حرية فيها غير حريتها، وليست سعادة المرء بمقدار ما يحيط بجسمه من الفضاء، بل بمقدار ما يحيط بنفسه منه.

فما سجنك الذي تعيش في جوه الموحش **المكتئب،** وبين جدرانه المتقاربة المتدانية بمانعك من أن تطير بنفسك العالية الخفاقة فيما تشاء من الآفاق والأجواء، وأن تتمتع برؤية هياكل مجدك وعظمتك المقامة لك على ضفاف النيل من طيبة إلى الإسكندرية، وأن تسمع دقات القلوب الخافقة بحبك، وأحاديث النفوس الهاتفة بذكرك.

وما فضاؤهم الرحب الفسيح الذي يحيط بهم بمجد عليهم شيئا إذا حاولوا الحركة والاضطراب فيه؛ لأنهم يعلمون أنهم يعيشون في أمة قد وتروها وآسفوها، وغرسوا الحقد والبغضاء في صدورها، فهم على قوتهم وبأسهم، وعلى ضعفها وتجردها من كل سلاح وعدة، يخشونها ويخافونها، ولا يطيقون أن يحتملوا نظراتها النارية التي تلفح وجوههم، ولا صرخاتها الدموية التي تدوي." (٢)

"أخلصت فيه شكره ... ووفيت فيه بالنذور

لما اعتللت تصدعت ... شعب القلوب من الصدور

من بين ملتهب الفؤا ... د وبين مكتئب الضمير

يا عدتي للدين وال ... دنيا وللخطب الخطير

كانت جفوني ثرة ال ... آماق بالدمع الغزير

لو لم أمت جزعا لعم ... رك إنني عين الصبور

يومي هنالك كالسني ... ن وساعتي مثل الشهور

يا جعفر المتوكل ال ... عالي على البدر المنير

اليوم عاد الدين غض ... العود ذا ورق نضير

---

(١) النظرات المنفلوطي ٣/٢٦٩

(٢) النظرات المنفلوطي ٣/٢٧١

واليوم أصبحت الخلا ... فة وهي أرسى من ثبير

قد حالفتك وعاقدت ... ك على مطاولة الدهور

فقال المتوكل للفتح: إن إبراهيم ينطق عن نية خالصة وود محض وما قضينا حقه. فتقدم بأن يحمل إليه الساعة خمسون ألف درهم.

مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة بقصيدته التي أولها:

أهلا وسهلا بسيد العرب ... ذي الغرر الواضحات والنجب

فتى نزار وكهلها وأخي ال ... جود حوى عانيه من كثب

جاء الذي تفرج الهموم به ... حين يلز الوضين بالحقب

شهم إذا الحرب شب دائرها ... أعاده عودة على القطب

يطفئ نيرانها ويوقدها ... إذا خبت نارها بلا حطب." (١)

"ثم طويت الحشا على سغب ... خمسا فلما أمضني السغب

لأم أر إلا جهازها عرضا ... أجول في بيعه واضطرب

فجلت فيه والنفس كارهة ... والعين عبرى والقلب مكتئب

وما تجاوزت إذ عبثت به ... حد التراضي فيحدث الغضب

أو أنني إذا عزمت خطبتها ... زخرفت قولي لينجح الأرب

فو الذي سارت الرفاق إلى ... كعبته تستحثها النجب

ما المنكر بالمحصنات من خلقي ... ولا شعاري التمويه والكذب

ولا يدي مذ نشأت نيط بها ... إلا مواضي البراع والكتب

بل فكرتي تنظم القلائد لا ... كفي وشعري المنظوم لا السخب

فهذه الحرفة المشار إلى ... ما كنت أحوي بها وأجتلب

فإذن لشرحي كما أذنت لها ... ولا تراقب واحكم بما يجب

قال: فلما أحكم ما شاده. وأكمل إنشاده. عطف القاضي إلى الفتاة. بعد أن شعف بالأبيات وقال: إما إنه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الأحكام. انقراض جيل الكرام. وميل الأيام إلى اللئام. وإني لأخال بعلك صدوقا في الكلام. بريئا من الملام. وهاهو قد اعترف لك بالقرض. وصرح عن المحض. وبين مصداق النظم. وتبين أنه معروق العظم. وإعنات المعذر ملأمة. وحبس المعسر مأثمة. وكتمان الفقر زهادة. وانتظار الفرج بالصبر عبادة.." (٢)

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٨٣/٤

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٢٦/٦

"فماذا عساكم أن تقولا لأختكم ... سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا

ولا ما ترون الخلق إلا طبيعة ... فكيف بتركي يا ابن أم الطبائعا؟

٧٢- امرأة طائية

المناسبة

قالت ترثي زوجها: (من الطويل)

تأوب عيني نصبها واكتئابها ... ورجيت نفسا راث عنها إيابها

أعلل نفسي بالمرجم غيبه ... وكاذبتها حتى أبان كذابها

ألهفي عليك ابن الأشد لبهمة ... أفر الكماة طعنها وضرابها

متى يدعه الداعي إليه فإنه ... سميع إذا الآذان صم جوابها

هو الأبيض الوضاح لو رميت به ... ضواح من الريان زال هضابها

٧٣- أم جميل بنت أمية

المناسبة

قالت تبدي إعجابها بزوجها: (من مجزوء الكامل)

زين العشيرة كلها ... في البدو منها والحضر

ورئيسها في النائبات ... وفي الرحال وفي السفر

ورث المكارم كلها ... وعلا على كل البشر

ضخم الدسيعة ماجد ... يعطي الجزيل بلا كدر." (١)

"(ومن عيوب المعاني) فساد التقسيم، وهو إما أن يكون بالتكرير كقول هذيل الأشجعي:

فما برحت تومي إليه بطرفها ... وتومض أحيانا إذا خصمها غفل

فإن تومي وتومض متساويان، فكأنه قال: ما برحت تومي إليه أحيانا وتومي أحيانا. وإما أن يكون بدخول أحد القسمين في الآخر، كقول القائل:

أبادر إهلاك مستهلك ... لمالي أو عبث العابث

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام بشير يموت ص/٩٢

فإن عبث العابث داخل في إهلاك المستهلك.
ومثله قول أمية بن أبي الصلت:

لله نعمتنا تبارك ربنا ... رب الأنام ورب من يتأبد
فمن يتأبد: أي يتوحش داخل في الأنام، ولا يجوز أن يكون أراد به الوحش لأن من لا تقع على غير العاقل.
ومنه أن يكون القسمان مما لا يجوز دخول أحدهما في الآخر كقول أبي عدي القرشي:

غير ما أن أكون نلت نوالا ... من نداها عفوا ولا مهنيا
فإن العفو قد يكون مهنيا، والمهنى قد يكون عفوا، وهو مثل ما حكى أن أنوك سأك مرة فقال: علقمة بن عبدة جاهلي أو من بني تميم.
ومثله قول عبد الله بن سليم الغامدي:

فهبطت غيثا ما يفزع وحشه ... من بين سرب ناوئ وكنوس
فإن الناوئ: أي السمين يجوز أن يكون كانسا أو راتعا، والكانس يجوز أن يكون سمينا أو هزيلا، وإما أن يكون بترك ما يحتمل الواجب تركه، كقول جرير في بني حنيفة:

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم ... من العبيد وثلث من مواليها
قيل: إن هذا الشعر أنشد في مجلس ورجل من بني حنيفة حاضر فيه فقيل له: من أيهم أنت؟ فقال: من الثلث الملغى ذكره.
انتهى ملخصا من نقد الشعر والموشح.
(ومن عيوب المعاني) الإخلال، قال قدامة والمرزباني: ((هو أن ترك من اللفظ ما يتم به المعنى، مثال ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

أعاذل عاجل ما أشتهى ... أحب من الأكثر الرائث
فإنما أراد أن يقول: عاجل ما اشتهى مع القلة أحب إلي من الأكثر المبطئ، فترك مع القلة وبه يتم المعنى.
ومثل ذلك قول عروة بن الورد:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ومقتلهم عند الوغا كان أعذرا
فإنا أراد أن يقول: عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم، ومقتلهم عند الوغا أعذر فترك في السلم.
ومن هذا الجنس قول الحارث بن حلزة:

والعيش خير في ظلا ... ل النوك ممن عاش كدا

فأراد أن يقول والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكد في ظلال العقل، فترك شيئا كثيرا، وعلى أنه لو قال ذلك لكان في الشعر خلل آخر، لأن الذي يظهر أنه أراده هو أن يقول إن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل، فأخل بشيء كثير.

ومن هذا الجنس نوع آخر، وهو كما قال بعضهم:

لا يرمضون إذا حرت مشافرهم ... ولا ترى منهم في الطعن ميالا

ويفشلون إذا نادى ربيئهم ... ألا اركبن فقد آنست أبطالا

الربئي: الطليعة، فأراد أن يقول: ولا يفشلون، فحذف (لا) فعاد المعنى إلى الضد)) انتهى.

(ومن اضطراب) المعنى قول أبي دؤاد الإيادي

لو أنها بذلت لذي سقم ... حرض الفؤاد مشارف القبض

حسن الحديث لظل مكتئبا ... حران من وجد بها مض

قال أبو هلال: ((وكان استواء المعنى أن يقول: لبرأ من سقمه)) .

(ومن الإحالة) قول ابن مقبل:

أما الأداة ففينا صنع ... جرد عواجر بالألباد واللجم

ونسج داود من بيض مضاعفة ... من عهد عاد وبعد الحي من إرم

قال ابن رشيق: ((فكيف يكون نسج داود من عهد عاد اللهم إلا أن يريد فينا ضمر صنع من عهد عاد، فذلك له على سبيل المبالغة، مع أن الإحالة لم تفارقه، وكم بين قيس عيلان وبين عاد فضلا عن بني العجلان)) انتهى. والصنع من قولهم: صنع فرسه: إذا أحسن القيام عليه، فهو فرس صنيع. والعواجر: التي تقمص. وجاء في اللسان عن البيت الأول: ((رويت بالحاء والجيم في اللجم، ومعناه: عليها ألبادها ولحمها، يصفها بالسمن، وهي رافعة أذنابها من نشاطها)) .." (١)

"واطوها من زاوي يزوي زيا وهون أمر من التهوين أي يسر من وعثاء السفر بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة بالمد أي شدته ومشقته وأصله من الوعث وهو الرمل والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق يقال رمل أوعث وعثاء وكآبة المنقلب الكآبة بفتح الكاف وبالمد وهي تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن يقال كئب كآبة واكئب فهو مكتئب وكئيب المعنى أنه يرجع من سفره بأمر يحزنه إما أصابه في سفره وإما قدم عليه مثل أن يعود غير مقضي الحاجة أو أصابت ماله آفة أو يقدم على أهله فيجدهم مرضى أو قد فقد بعضهم كذا في النهاية

---

(١) أوهام شعراء العرب في المعاني أحمد تيمور باشا ص/١٨

والمنقلب بفتح اللام المرجع

قوله (هذا حديث حسن غريب) وأخرجه أبو داود والنسائي والحاكم في مستدركه

[٣٤٣٩] قوله واخلفنا بضم اللام من باب نصر أي كن خليفتنا ومن الحور بعد الكور أي من النقصان بعد الزيادة وقيل من فساد الأمور بعد صلاحها وأصل الحور نقض العمامة بعد لفها وأصل الكور من تكوير العامة وهو لفها وجمعها ومن دعوة المظلوم أي أعوذ بك من الظلم فإنه يترتب عليه دعاء المظلوم ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ففيه التحذير من الظلم ومن التعرض لأسبابه

قال الطيبي فإن قلت دعوة المظلوم يحترز عنها سواء كانت في الحضر أو السفر قلت كذلك الحور بعد الكور لكن السفر مظنة البلايا والمصائب والمشقة فيه أكثر فخصت به انتهى

ويريد به أنه حينئذ مظنة للنقصان في الدين والدنيا وباعث على التعدي في حق الرفقة وغيرهم لا سيما في مضيق الماء كما هو مشاهد في سفر الحج فضلا عن غيره ومن سوء المنظر بفتح الظاء في الأهل والمال أي من أن يطمع ظالم أو فاجر في المال والأهل قاله القارىء وقال في المجمع سوء المنظر في الأهل والمال أن يصيبهما آفة بسوء النظر إليه

قوله (هذا حديث." (١)

"تمرين -١٨

الأبيات الآتية بعضها من الوافر والآخر من الكامل، فزن كلا وبين نوع عروضه وضربه وما طرأ على حشوه:

قال أبو فراس:

إنا إذا اشتد الزما ... ن وناب خطب وادلهم

ألفيت حول بيوتنا ... عدد الشجاعة والكرم

وقال إسحاق الموصلي:

كان افتتاح بلائي النظر ... فالحين سبب ذاك والقدر

قد كان باب الصبر مفتتحا ... فاليوم أغلق بابه النظر

وقال جرير:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقال حبيب:

فسوف يزيدكم ضعة هجائي ... كما وضع الهجاء بني تميم

وقال الشاعر:

ألا ترثي لمكتئب ... يحبك لحمه ودمه

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٢٨١/٩

قال حسان:

يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل." (١)

"وترى سيوف الدارعين كأنها ... خلج تمد بها أكف بحار

لو شرعوا أيمانهم في طولها ... طعنوا بها عوضا عن الخطار

جنبوا الجياد إلى المطي وراوحوا ... بين السروج هناك والأكوار

وكأنما ملؤوا عياب دروعهم ... وغمود أنصالهم سرار قفار

وكأنما صنع السوابغ عزه ... ماء الحديد فصاغ ماء قرار

زردا فأحكم كل موضع حلقة ... بحبابه في موضع المسمار

فتسربلوا بمتون ماء جامد ... وتقنعوا بحباب ماء جار

أسد ولكن يؤثرون بزادهم ... والأسد ليس تدين بالإيثار

يتزين النادي بحسن وجوههم ... كتزين الهالات بالأقمار

يتعطفون على المجاور فيهم ... بالمنفسات تعطف الأظآر

من كل من جعل الظبى أنصاره ... فكر من واستغنى عن الأنصار

وإذا هو اعتقل القناة حسبتها ... صلا تأبطه هزبر ضاري

والليث أن ثاورته لم يعتمد ... إلا على الأنياب والأظفار

زرد الدلاص عن الطعان يريحه ... في الجحفل المتضايق الجرار

ما بين ثوب بالدماء مضرج ... زلق ونقع بالطراد مثار

والهون في ظل الهوينا كامن ... وجلالة الأخطار في الأخطار

تندى أسرة وجهه ويمينه ... في حالة الإعسار والإيسار

ويمد نحو المكرمات أناملا ... للرزق في أثنائهن مجاري

يحوي المعالي كاسبا أو راغبا ... أبدا يدارى دونها ويداري

قد لاح في ليل الشباب كواكب ... أن أمهلت آلت إلى الأسفار

وتلهب الاحشاء شيب لمتي ... هذا الضياء شواظ تلك النار

شاب القذال وكل غصن صائر ... فينانه الأحوى إلى الأزهار

والشبه منجذب فلم بيض الدمى ... عن بيض مفرقه ذورات نفار

وتود لو جعلت سواد قلوبها ... وسواد أعينها خضاب عذاري

لا تنفر الظبيات منه فقد رأت ... كيف اختلاف النبت في الأطوار

---

(١) أهدى سبيل إلى علمي الخليل محمود مصطفى ص/٤٤

شيآن ينقشعان أول وهلة ... ظل الغمام وصحبة الأشرار

لا حبذا الشيب الوفي وحبذا ... ظل الشباب الخائن الغدار

وطري من الدنيا الشباب وروقه ... فإذا انقضى فقد انقضت أوطاري

قصرت مسافته وما حسناته ... عندي ولا آلاؤه بقصار

نزداد هما كلما ازددنا غنى ... والفقر كل الفقر في الإكثار

ما زاد فوق الزاد خلف ضائعا ... في حادث أو وارث أو عار

إني لا رحم حاسدي لحرما ... ضمنت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

لا ذنب لي قد رمت كتم فضائلي ... فكأنما برقعت وجه نهار

وسترتها بتواضعي فتطلعت ... أعناقها تعلو على الأستار

ومن الرجال معالم ومجاهل ... ومن النجوم غوامض ودراري

والناس مشتبهون في إيرادهم ... وتفاضل الأقوام في الأصدار

عمري لقد أوطأتهم طرق العلى ... فعموا فلم يقفوا على آثاري

لو أبصروا بقوبهم لتبصرا ... وعمى البصائر من عمى الأبصار

هلا سعوا سعي الكرام فأدركوا ... أو سلموا لمواقع الأقدار

وفشت خيانات الثقات وغيرهم ... حتى اتهمنا رؤية الأبصار

ولربما اعتضد الحليم بجاهل ... لا خير في يمنى بغير يسار

فوائد أدبية

ومن شعر العتبي الأموي

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرضن عني بالخدود النواضر

وكن إذا أبصرنني أو سمعنني ... دنين ورفعن الكوى بالمحاجر

فان عطفت عني أعنة أعين ... نظرن بأحداق المهى والجآذر

فإني من قوم كريم ثناؤهم ... لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر

خلائف في الإسلام في الشرق قادة ... بهم واليهم فخر كل مفاخر

ولحسام الدين الواعظي رحمه الله:

من ضيع الحزم في أفعاله ندما ... وظل **مكتئبا** والقلب قد سقما

ما المرء إلا الذي طابت فضائله ... والدين زين يزين العاقل الفهما

والعلم أنفس شيء أنت ذاخره ... فلا تكن جاهلا تستورث الندما

تعلم العلم واجلس في مجالسه ... ما خاب قط لبيب جالس العلما

والوالدين فأكرم تنج من ضرر ... ولا تكن نكدا تستوجب النقما." (١)

"سؤالك هذا الربع أين جوابه ... ومن لا يعي للقول كيف خطابه

وقفت وما يغنيك في الدار وقفة ... سقى الدار غيث مستهل سحابه

غناؤك في تلك المنازل ناظر ... بدمع توالى غربه وانسكابه

إلى طلل أقوى فلم بعدها ... بمغنيك شيئا قربه واجتنابه

ذكرت كأيام الشبيبة عهده ... وهل راجع بعد المشيب شبابه

وقد كان ذاك العيش والغصن ناعم ... يروق ويصفو كالرحيق شرابه

وجدت لقلبي غير ما تجدينه ... أسى في فؤادي قد أناخ ركابه

يفيض ختام الدمع يا مي حسرة ... ذهاب شباب لا يرجى إيابه

ودهر أعاني كل يوم خطوبه ... وذلك دأبي يا أميم ودأبه

مسوق إلى ذي اللب في الناس رزؤه ... ووقف على الحر الكريم مصابه

وحسبك مني صر أروع ماجد ... بمستوطن ضاقت عليه رحابه

يبيت نجي الهم في كل ليلة ... يطول مع الأيام فيها عتابه

قضى عجبا منه الزمان تجلدا ... وما ينقضي هذا الزمان عجابه

تذاد عن الماء النمير أسوده ... وفد تلغ العذب الفرات كلابه

ألم يحزن الآبي رؤوس يطامنت ... وفاخر رأس القوم فيها ذنابه

وأعظم بها دهياء وهي عظيمة ... إذا اكتنف الضرغام بالذل غابه

متى ينجلي هذا الظلام الذي أرى ... ويكشف عن وعد الرجاء كذابه

وتلمع بعد اليأس بارقة المنى ... تفل مواضيه وينبو حرابه

عقور على شلوي يعض بنابه ... وتعدو علينا بالعوادي ذئابه

رمته الروامي بالسباب مذمة ... وما ضر في عرض اللئيم سبابه

تفحصت إخواني فلم أر فيهم ... قويما على نهج الوفاء اصطحابه

أفي الناس لا والله من في إخائه ... تشد علي العظم المهيض عصابه

يساورني كأس الهموم كأنما ... يمج بها السم الذعاف لعابه

وأبعد ما حاولت حرا دنوه ... دونك مما يرتضي واقترابه

يصيبك منه شهده دون صابه ... إذا كان ممزوجا مع الشهد صابه

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٠٧

يريك الرضى والدهر غضبان معرض ... وترجوه للأمر الذي قد تهابه

لك الله ليست في المشارع شرعة ... ولا منهل عذب يسوغ شرابه

وما الناس إلا مثل ما أنت عارف ... فلا تطلبن الشيء عز طلابه

بلوت بهم حلو الزمان ومره ... فسيان عندي عذبه وعذابه

كأني أرى (عبد الغني) بأهله ... غريبا من الأشراف طال اغترابه

يميزه عنهم سجايا منوطة ... بأروع من زهر النجوم سخابه

ثمين لآلي العقد حالية به ... من الفضل أعناق الحجى ورقابه

إذا ناب عن صوب الغمام فإنه ... إذا لم يصب صوب الغمام منابه

تألق فانهلت عزاليه وارتوى ... به ربع راجيه وسالت شعابه

أتعرف إلا ذلك القرم آبيا ... على الدهر يقسو أو تلين صلابه

تسربل فضفاض الأبوة كلها ... وزرت على الليث الهصور ثيابه

ولم ينزل الأرض التي قد تطامنت ... ولو أن ذاك الربع مسكا ترابه

لقد ضربت فوق الرواسي وطنبت ... على قلل المجد الأثيل قبابه

فأصبحت الشم العرانين دونه ... وحلق في جو الفخار قبابه

أبى الله والنفس الأبية أن يرى ... بغير المعالي همه واكتئابه

فدانت له الأخطار بعد عتوها ... وذلت له من كل خطب صعابه

ومجتهد في كل علم أبية ... فلا يتعداها لعمري صوابه

بفكر يرى مالا يرى فكر غيره ... يشق جلابيب الظلام شهابه

مقيم على أن لا يزال قطاره ... يصوب وهذا صوبه وانصبابه

وناهيك بالندب الذي إن ندبته ... كفاك مهمات الأمور انتدابه

ذباب حسام البأس جوهر عضبه ... وما الصارم الهندي لولا ذبابه

عليم بما يقني الثناء وعامل ... وداع إلى الخير العظيم مجابه

إذا انتسب الفعل الجميل فإنما ... يكون إلى رب الجميل انتسابه

وإني متى اخليت من ثروة الغنى ... وأغلق من دون المطامع بابه

بدا لي أن أعشو إلى ضوء ناره ... وأصبو إلى ذاك المريع جنابه

فأصدرني عنه مصادر وارد ... من اليم زخار النوال عبابه

فاصبح مرموق السعادة بعدما ... خلت ثم لا زالت ملاء وطابه." (١)

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/٢٧٧

"فبعت حتى لم يبق لي لبد ... ولا بتات إليه أنقلب

وادنت حتى أثقلت سالفتي ... بحمل دين من دونه العطب

ثم طويت الحشا على سغبي ... خمسا فلما أمضني السغب

لم أر جهازها عرضا ... أجول في بيعه وأضطرب

فجلت فيه والنفس كارهة ... والعين عبرى والقلب مكتئب

وما تجاوزت إذ عبثت به ... حد التراضي فيحدث الغضب

فإن يكن غاظها توهما ... أن بناني بالنظم تكتسب

أو أنني إذ عزمت خطبتها ... زخرفت قولي لينجح الأرب

فوالذي سارت الرفاق إلى ... كعبته تستحثها النجب

ما المكر بالمحصنات من خلقي ... ولا شعاري التمويه والكذب

ولا يدي مذ نشأت نيط بها ... إلا مواضي اليراع والكتب

بل فكرتي تنظم القلائد لا ... كفي وشعري المنظوم لا السخب." (١)

"ولايراقب إلا من يراقبه ... ولايصاحب إلا كل ذي نبل

ولايعد عيوبا للورى أبدا ... بل يعتني بالذي فيه من الخلل

ولا يظن بعهم سواءا ولا حسنا ... بل التجارب تهديه على مهل

ولايؤمل آمالا بصبح غد ... إلا على وجل من وثبة الأجل

ولا يصد عن التقوى بصيرته ... لأنها للمعالي أوضح السبل

فمن تكن حلة التقوى ملابسه ... لم يخش في دهره يوما من العطل

من لم تفده صروف الدهر تجربة ... لافيما يحاول فليسكن مع الهمل

من سالمته الليالي فليثق عجلا ... منها بحرب عدو جاء بالحيل

من ضيع الحزم لم يظفر بحاجته ... ومن رمى بسهام العجب لم ينل

من جاد ساد وأحيا العالمون له ... بديع حمد بمدح الفعل متصل من

رام نيل العلى بالمال يجمعه ... من غير حل بلي من جهله وبلي

من لم يصن نفسه ساءت خليقته ... بكل طبع رديء غير منتقل

من جالس الوغد والحمقى جنى ندما ... لنفسه ورمي بالحادث الجلل

فخذ مقال خبير قد حوى حكما ... إذ صغته بعد طول الخبر في عملي

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٣٩٣/١

"وقال حسام الدين الواعظي المتوفى سنة ٩٩٠هـ"

من ضيع الحزم في أفعاله ندما ... وظل مكتئبا والقلب وقد سقما

مالمرء إلا الذي طابت فضائله ... والدين زين يزين العاقل الفهما

والعلم أنفس شيء أنت ذاخره ... فلا تكن جاهلا تستورث الندما

تعلم العلم واجلس في مجالسه ... ماخاب قط لبيب جالس العلماء

والوالدين فأكرم تنج من ضرر ... ولا تكن نكدا تستوجب النقما

ولازم الصمت لات نطق بفاحشة ... وأكرم الجار لاتهتك له حرما

واحذر من المزح كم في المزح من خطر ... كم من صديقين بعد المزح فاختصما

وصبر النفس وارشدها إذا جهلت ... وإن حضرت طعاما لا تكن نهما

آس اللهيف إذا ماكنت مقتدرا ... على الزمان وكن للخير مقتسما

وصد نفسك عن لهو وعن مرح ... وإن حضرت مقاما كنت فيه سما

"وقال عمر بن الوردي المتوفي سنة ٧٤٩هـ مخاطبا ولده"

اعتزل ذكر الأغاني والغزل ... وقل الفصل وجانب من هزل

ودع الذكر لأيام الصبا ... فلأيام الصبا نجم أفل." (١)

"تقول وفي قولها حشمة: ... أتبكي بعين تراني بها

فقلت: إذا استحسنت غيركم ... أمرت الدموع بتأديبها١

وذلك أن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب أو اعتراض الرقيب، ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب، لا ما جعله من التأديب على الإساءة باستحسان غير الحبيب.

وأما الثالث٢ فكقول مسلم بن الوليد:

يا واشيا حسنت فينا إساءته ... نجى حذارك إنساني من الغرق٣

فإن استحسان إساءة الواشي ممكن، لكن لما خالف الناس فيه عقبه بذكر سببه، وهو أن حذاره من الواشي منعه من البكاء، فسلم إنسان عينيه من الغرق في الدموع، وما حصل ذلك فهو حسن.

وأما الرابع٤ فكمعنى بيت فارسي ترجمته:

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته ... لما رأيت عليها عقد منتطق٥

فإن نية الجوزاء خدمته ممتنعة٦.." (٢)

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٤٣٥/٢

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي ٦٢٠/٤

"التدريب الثالث:

عين بحر كل بيت من الأبيات التالية:

١ وما الخيل إلا كالصديق قليلة ... وإن كثرت في عين من لا يجرب

٢ من يحب العز يدأب إليه ... وكذا من طلب الدر غاصا

٣ أعز مكان في الدنى سرج سابح ... وخير جليس في الزمان كتاب

٤ أدلال ذاك أم كسل ... أم تناس منك أم ملل؟

٥ إنما الدنيا بلاء ... وكد ... **واكتئاب** قد يسوق **اكتئابا**

٦ يقولون لي: ما أنت في كل بلدة؟ ... وما تبتغي ما أبتغي جل أن يسمى." (١)

"والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل وإذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون. رواه مسلم.

لم يضره شيء (والخليفة في الأهل) ، الخليفة من ينوب عن المستخلف، فيما يستخلفه فيه يعني الذي يقوم مقام أحد في إصلاح أمره، والمعنى أنت الذي أرجوه وأعتمد عليه في غيبتي عن أهلي، أن يلم شعثهم ويثقف أودهم ويداوي سقمهم ويحفظ عليهم دينهم وأمانتهم، (اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر) ، بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة وبالمد، أي شدته ومشقته وتعبه وأصله من الوعث وهو الرمل والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق ويقال رمل أوعث ورملة وعثاء أي لما يشتد فيه السير للينه ثم قيل للشدة والمشقة وعثاء على التمثيل. وقال التوربشتي: وعثاء السفر مشقته أخذ من الوعث وهو مكان السهل الكثير الدهس الذي يتعب الماشي فيه ويشق عليه (وكآبة المنظر) ، قال الجزري: المنظر هو ما ينظر إليه من أهله وماله وحاله، والكآبة بفتح الكاف وبالمد وهي تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن يقال كئب كآبة واكتئب فهو **مكتئب** وكئيب - انتهى. وقال الشوكاني: الكآبة بالمد التغير والانكسار من مشقة السفر وما يحصل على المسافر من الاهتمام بأموره - انتهى. والمنظر بفتح الظاء المعجمة مصدر ميمي أي من تغير الوجه بنحو مرض والنفس بالانكسار مما يعرض لها فيما يحبه مما يورث الهم والحزن وقيل: المراد منه الاستعاذة من كل منظر يعقب الكآبة عند النظر إليه (سوء المنقلب) بفتح اللام مصدر ميمي أي سوء الرجوع (في المال والأهل) أي من سوء الانقلاب إلى أهله وماله وذلك بأن يرجع منقوصا مهموما بما يسوءه وقيل أي من أن يعود إلى وطنه فيرى في أهله وماله ما يسوءه مثل أن يصيب ماله آفة أو يجد أهله مرضى أو فقد بعضهم، وقيل أي من أن يطمع ظالم أو فاجر في المال والأهل (وإذا رجع) ، أي النبي - صلى الله عليه وسلم - من سفره إلى أهله (قالهن) ، أي الكلمات أو الجمل المذكورة وهي اللهم إنا نسألك (وزاد فيهن) ، أي في جملتهن بأن قال بعدهن (آئبون) ، بهمزة ممدودة بعدها همزة مكسورة اسم فاعل من آب يئوب إذا رجع، ومن تكلم به بالياء بعد الهمزة الممدودة فقد أخطأ كذا قيل: أي نحن راجعون من السفر بالسلامة إلى الوطن (تائبون) أي من

---

(١) علم العروض والقافية عبد العزيز عتيق ص/٤٥

المعصية إلى الطاعة (عابدون لربنا حامدون) ، قال الطيبي: لربنا يجوز أن يتعلق بقوله عابدون لأن عمل اسم الفاعل ضعيف فيقوى به أو بحامدون ليفيد التخصيص، أي نحمد ربنا لا نحمد غيره وهذا أولى لأنه كالخاتمة للدعاء - انتهى. وفي الحديث استحباب هذا الذكر عند ابتداء الأسفار كلها، وقد جاءت فيه أذكار كثيرة (رواه مسلم) في المناسك، وأخرجه أيضا أحمد (ج٢: ص١٤٥، ١٥١) والترمذي في الدعوات، وأبو داود في الجهاد، والنسائي، والدارمي، والبغوي في شرح السنة (ج٥: ص١٤٠) ، وفي رواية أحمد (ج٢: ص١٤٥) ، والدارمي، والترمذي بعد قوله ((في الأهل)) ((اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا)) ، وكان يقول إذا رجع إلى أهله، ((آئبون إن شاء الله تائبون عابدون لربنا حامدون)) . وفي رواية أبي داود نحوه بزيادة ونقصان يسير وفي آخره، ((وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - وجيوشه إذا علوا الثنايا كبروا وإذا هبطوا سبحوا فوضعت الصلاة على ذلك)) .." (١)

"(﴿مسفوحا﴾: مهراقا) ثبت هذا في رواية الكشميهني، وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا﴾ [الأنعام: ١٤٥] وفسره بقوله: «مهراقا»؛ أي: مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال، وهو تفسير أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿أو دما مسفوحا﴾ قال: مهراقا مصبوبا، ومنه قولهم: سفح الدمع؛ أي: سال. وقال العوفي: عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا: ﴿أو دما مسفوحا﴾ يعني: مهراقا.

(﴿صدف﴾: أعرض) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها﴾ [الأنعام: ١٥٧] الآية وفسر: ﴿صدف﴾ بقوله: «أعرض»، وعن ابن عباس

[ج ١٩ ص ٤١٠]

رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة: ﴿وصدف عنها﴾ أعرض عنها؛ أي: عن آيات الله. وقال السدي: أي: صدف عن اتباع آيات الله؛ أي: صرف الناس وصدهم عن ذلك. وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ثم هم يصدفون﴾ [الأنعام: ٤٦] أي: يعرضون، يقال: صدف عني بوجهه؛ أي: أعرض، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله: ﴿يصدفون﴾ أي: يعرضون عنها.

(أبلسوا: أويسوا) كذا في رواية الكشميهني على البناء للمفعول، وفي رواية غيره: (٢)بفتح الهمزة وكسر الياء بغير واو على البناء للمعلوم، وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿فإذا هم مبلسون﴾ [الأنعام: ٤٥] وفسر: أبلسوا بقوله: «أويسوا»، وأشار بتفسيره إلى أن معنى قوله: ﴿مبلسون﴾ من ذلك، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿فإذا هم مبلسون﴾ المبلس: الحزين النادم. قال رؤبة بن العجاج: وفي الوجوه صفرة وإبلاس؛ أي: **اكتئاب** وحزن. وقال الفراء: المبلس: البائس [١] المنقطع رجاؤه، ولذلك يقال للذي انقطعت حجته فلا يجيب قد أبلس، قال العجاج:

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ١٦٩/٨

(٢) أيسو

يا صاح هل تعرف رسما دارسا ... قال نعم أعرفه وأبلسا

وتفسير: المبلس بالحزين وبالبائس متقارب.." (١)

"الحرم النبوي الشريف فضيلة الشيخ عبد الباري بن عواض الثبيتي.

وقد خرج الناس زرافات من أبواب المسجد، وتتابعوا على حمل نعشه، وشيعه جم غفير من تلا ميذه ومحبيه، وماكادت أن تدخل جنازته بقيع الغرقد إلا بشق الأنفس، ودفن الشيخ في الشمال الغربي من المقبرة بجانب بوابتها، وقد حجبت الشمس أثناء دفنه بالسحاب دونها.

فكيف احتمالي للسحاب صنيعة ... بإسقائه قبرا في لحده بحر

وظهر بذلك قول إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل الشيباني: "قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز".

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

وقد استوحشنا سكنى الفيصلية بعد موت شيخنا "رحمه الله تعالى"، فإلى الله نشكو غربتنا، ونسأله الأجر والثواب على عظيم مصيبتنا.

عز التصبر والزمان رماني ... بسهامه وترادفت أحزاني

أصبحت مكتئبا لفقد أحبة ... جلبت جبلتهم على الإحسان

لا صبر لي عنهم وكيف تصبري ... عن ساد ة رحلوا من الأوطان

إن أوحشوا نظري فقلبي موطن ... وعمارة الأوطان بالسكان

اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خير من داره، وأهلا خيرا من أهله، وزوجا خيرا من زوجه، وجازه بالحسنات إحسانا، وبالسيئات عفوا وغفرانا، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له." (٢)

"وأرض بها نيطت على تمائمي ... تسمى "السقا" دار الهداة أولي الأمر

بلاد بني تمام حيث تواطؤوا ... وآل يزيد من صميم ذوي الفخر

وأبلغ بني الشيخ الأمير محمد ... عليا وعبد الله عنا بلا حصر

سلاما وبلغ عائضا وذوي الهدى ... ومن هو منهم لم يزل سائر الدهر

وإخوتنا عبد الكريم ويافعا١ ... وأبناءهم تسليم مكتئب الصدر

مضى عمره والقلب في عرصاتكم ... وأشواقه تزداد في السر والجهر

ولم أسل عن تذكاركم وأدكاركم ... على البعد واللأوى وفي العسر واليسر

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٥٩٦١

(٢) المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري (رحمه الله) عبد الأول بن حماد الأنصاري ١٣٢/١

وما زلت في أرض نشأت بربعها ... أحن إليها دائما وامض الذكر

فياليت شعري هل "شدا" بمشيدة٢ ... كهدي به حال الطفولة من عمري

وهل حصن زهوان الحصين وجيرة ... حواليه في عز رفيع وفي فخر

وحصن ابن عواض وآل مفرج ... وجيرانهم أهل القريع على الخبر

وصدرى وحصن لابن لاحق حولنا ... ويا ليتنى أدري أكانوا كما أدري

أم الحال قد حالت بهم وتغيرت ... وبدل خير فيهمو كان بالشر

حنانيك خبرني ولا تأل جاهدا ... فإني لدى الأخبار منشرح الصدر

وأختم نظمي بالصلاة مسلما ... على السيد المعصوم ذي المجد والفخر

وأصحابه والآل مع كل تابع ... وتابعهم حقا إلي منتهى الدهر

وقد أقعد في آخر حياته فلزم داره وصار لا يخرج منها ولكنه لم ينقطع عن التأليف والردود عن عقيدة الإسلام إلا قبيل وفاته بسنتين.

تلامذته:

أخذ عنه ابناه صالح وعبد العزيز والشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان والشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد

---

١ عبد الكريم أخوه لامه وأبيه ويافع أخوه من أمه فقط

٢ شدا: قصر بمدينة أبها." (١)

"٢٢_ رسالة أبي حامد الغزالي.

٢٣_ المقصورة الرشيدية "قصيدة"

وللسيد رشيد رضا غير هذه المؤلفات ساقها شكيب أرسلان في كتابه "محمد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة" وقال عنها بالحرف الواحد: "هذه مؤلفات هذا الرجل الذي لم يضع ساعة واحدة من حياته بلا عمل مفيد للإنسانية عموما وللإسلام خصوصا"

استمر السيد وشيد رضا في محاربة البدع والنضال عن عقيدة الإسلام إلي أن توفي فجأة عام ١٣٥٤هـ ودفن في القاهرة وحزن عليه المسلمون ورثاه العلماء والأدباء في جميع الأقطار وخلف ابنين هما المعتصم وشفيع ولما بلغ نعيه الحجاز رثاه الشيخ يوسف ياسين برثاء مطلعه "دمعة تلميذ على أستاذه" نشر في جريدة أم القرى عدد ٥٦٠السنة الثانية عشرة الموافق يوم الجمعة عاشر جمادى الثانية سنة ١٣٥٤هـ ورثاه عبد الطاهر أبو السمح بهذه القصيدة ١ التالية:

أي خطب دها وأي مصاب ... خبروني فقد نكرت صوابي

أحقيق قضى رشيد فأمسى ... صامتا لا يحير رد الجواب

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ص/٢١١

أحقيق هوى منير الدياجي ... من سماء العلا وحق اكتئابي

أحقيق غاض الخضم ودك ال ... طود في مصر يا له من مصاب

أي إمام الهدى أعربي لسانا ... كان فيه الهدى وفصل الخطاب

وذكاءا يمده نور علم ... ويراعا يجول في كل باب

وأعربي لآلئا كنت تملي ... ها هدى من بليغ آي الكتاب

فلعلي أصوغ منها المراثي ... باكيات ولا بكاء السحاب

والعلي أفي ببعض حقوق ... لفقيد الإسلام محيي الشباب

---

١ نشرت لأبي السمح في جريدة أم القرى عدد ٥٦السنة الثانية عشر الموافق يوم الجمعة خامس عشر جمادى الآخرة سنة ١٣٥٤هـ.." (١)

"٩٦٩ - " باب الشفاء في ثلاث "

١١١٧ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

" الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنهى أمتي عن الكي " رفع الحديث.

الداء خلق الدواء تنبيها لنا وإرشادا وترغيبا في التداوي، وقد أمرنا - صلى الله عليه وسلم - بذلك صراحة في قوله - صلى الله عليه وسلم -: " يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء ". واستعمال الأدوية لا ينافي التوكل إذا اعتقد أنها تنفع بإذن الله وتقديره، وأنها لا تؤثر إلا بإرادته عز وجل، وفي هذه الأحاديث إثبات للطب والعلاج، وأن التداوي مباح غير مكروه كما ذهب إليه بعض الناس كما قاله الخطابي، ولو كان مكروها لما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتداوي في قوله - صلى الله عليه وسلم -: " تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء .. فإن هذا الحديث لا يدل على جواز التداوي فقط، بل يدل على استحبابه أيضا، لأن أقل مقتضيات الأمر الاستحباب، والله أعلم. ثالثا: أن في هذا الحديث وأمثاله تقوية لنفس المرض، ومساعدة له على مكافحة المرض، وتشجيعا له على مقاومة الداء، لأنه متى استشعرت نفسه أن لدائه دواء تعلق قلبه بالرجاء، وتفتحت له أبواب الأمل، وزال عنه اليأس والاكتئاب وهذه المشاعر في حد ذاتها كفيلة له بالشفاء بإذن الله لأن نفسية الإنسان متى قويت تغلبت على المرض وقهرته ومتى ضعفت تغلب عليها. الحديث: أخرجه النسائي وابن ماجة. والمطابقة: في كون الترجمة من لفظ الحديث.

٩٦٩ - " باب الشفاء في ثلاث "

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ ص/٢٩٤

١١١٧ - معنى الحديث: قال الحافظ: أورد البخاري هذا الحديث موقوفا، وآخره يشعر بأنه مرفوع، لقوله: " وأنهى أمتي عن الكي " وقد صرح." (١)

"وحين بدأت الإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الألمانية في التداعي تحت ضربات جيوش نابليون، بدأ "جوته" و"شيلر" مشروعهما الثقافي الإصلاحي؛ فكتب "شلر" رسائله عن التربية الجمالية للإنسان، في عام ألف وسبعمائة وخمسة وتسعين، وأنجز بين عامي ألف وسبعمائة وستة وتسعين، وألف وثمانمائة وخمسة -عام رحيله- أهم أعماله الدرامية.

أما جوته فقد أنهى بين عامي ألف وسبعمائة وأربعة وتسعين، وألف وسبعمائة وستة وتسعين، روايته التعليمية "سنوات تعلم فلهم مايستر" التي تعتبر المثال الأعلى للرواية التعليمية.

وبتشجيع من صديقه المقرب "شلر" استأنف "جوته" الكتابة في عامه الأكبر "فوست" فأنهى الجزء الأول منه، وكذلك بضعة فصول من الجزء الثاني، وحين توفي "شلر" في عام ألف وثمانية وخمسة شعر جوته بالحزن العميق، والخسارة الكبيرة لوفاة صديقه العظيم.

وبرحيل "شلر" يظل الكلاسيكي الكبير "جوته" حتى وفاته عام ألف وثمانمائة واثنين وثلاثين الوحيد المتبقي من هذه المدرسة، في حين أخذت الرومانسية في الانتشار والسيطرة شيئا فشيئا، على الحياة الأدبية؛ لكن جوته ظل هو القمة التي لا تدانيها قمة أخرى، وبقي باعتراف الرومانسيين قلما أدبيا كبيرا، ولم تكن خسارة رفيق الطريق "شلر" هي السبب الوحيد في تشاؤم جوته واكتئابه في ذلك الوقت، بل أيضا الحرب القادمة التي بدأت تتوغل في ألمانيا، وتجتاح في طريقها الدوقيات والولايات الألمانية، وعاثت فيها الفساد والنهب.

فمع معركة في الرابع عشر من أكتوبر سنة ألف وثمانية وست، دخل الجنود الفرنسيون فيمر، وأخذوا ينهبون البيوت، وقد بدأ جوته في عام ألف وثمانمائة وستة في إعداد طبعة كاملة من أعمال لدى الناشر كوته في "اشتوتجارت".." (٢)

"والبناء عليها، فقوبل هذا العرض الطيب بالموافقة منه صلى الله عليه وسلم، فما كان منها إلا أن أرسلت إلى عمها عمر بن أسعد بن عبد العزى، فحضر، وتم على الفور زواجها منه صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك قبل أن يبعث رسولا، وقبل نبوته، وقد رزقه الله منها بالقاسم، وعبد الله، وهو الطاهر والطيب، ثم زينب ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

وقد كانت تنجب بمعدل كل عام ولدا أو بنتا، أي تضع كل عام، وكانت لذلك تسترضع لأبنائها وبناتها، وقد حظيت بشرف عظيم رفيع حيث صارت أما للمؤمنين، إذ إنه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أول من أسلم من النساء والرجال على حد سواء، بل إنها أول من تلقى خبر الوحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تصلي معه سرا بادئ الرأي.

كانت أنجبت من زوجها الأول جارية ومن الثاني غلاما اسمه هند، وكانت تكنى بأم هند، قبل أن تتزوج من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري حمزة محمد قاسم ٢١٣/٥

(٢) الأدب المقارن - جامعة المدينة (بكالوريوس) جامعة المدينة العالمية ص/٢٧١

وأولاد النبي عليه الصلاة والسلام كلهم منها، ما عدا إبراهيم بن مارية القبطية، وقد توفيت رضي الله عنها بمكة سنة ثلاث قبل الهجرة. فرضي الله عنها وأرضاها.

إن حياة اليتم تجعل اليتيم في غربة من المجتمع والناس، وفي غربة من الأهلين في بعض الأحيان وليس بعد الأم والأب رفيق أو شفيق، إذ إن الأثرة هي الفطر المطبوع عليها أكثر بني البشر. وأجمل شوقي- رحمه الله- وأبدع عندما قال:

فإذا رحمت فأنت أم أو أب ... هذان في الدنيا هما الرحماء

فاليتيم المحروم من أمه وأبيه، حزين مكتئب مكسور الخاطر، إذ إنه يكون." (١)

"التنمية، الحريص على متابعتها وعلى لفت الأنظار وتوجيه الانتباه لما يمكن أن يقوم من ثغرات، أو ينشأ من سلبيات في التطبيق، وهكذا تمارس المقالة دورها "الرقابي" من أجل صالح خطط التنمية نفسها، وكأسلوب إيجابي للعمل على نجاحها.

٦- الدفاع عن العقيدة في مواجهة أعدائها الذين يهدفون إلى زعزعة الإيمان في صدور القراء.

٧- مواجهة دعايات الأعداء والرد على أباطيلهم وحماية المواطن من شرها.

٩- تأكيد القيم والمبادئ والمثل العليا والدفاع عنها والحث على اتباعها والتمسك بها.

١٠- تأكيد الروابط الاجتماعية وتقويتها، ودعم أواصرها بين أبناء الوطن الواحد بما يقدمه كتاب المقالات من أفكار وشروح وتحليلات تبرز دور التكافل والتضامن وتهاجم أدعياء الفرقة وتعمل على التقريب بين الاتجاهات والمواقف والمذاهب المختلفة.

١١- التعليم: بما تقدمه المقالات التعليمية والمتخصصة في مجالات التدريب وطرق أداء الاختبارات وتنمية المهارات، وما تشرحه من أساليب تعليمية وإرشادية، خاصة بالنسبة لمقالات "الخدمات" التي أصبحت تنتشر فوق صفحات المجلة، إلى ما تقدمه من خبرات وتجارب وممارسات الأساتذة والرواد من كتاب المقالات العلمية والمتخصصة.

١٢- التسلية والإمتاع: وهي تنتشر بأنواع عديدة من المقالات، حتى بعض المقالات الانتقادية والثقافية، فضلا عن المقالات الكاريكاتورية نفسها التي يكون لها السبق في هذا المجال.

ولكننا نشير هنا إلى أنها ليست أية تسلية، وليس أي إمتاع، وإنما ما يهدف إلى القضاء على ملل القارئ، ويحول بينه وبين تسلل مشاعر اليأس والقلق والإحباط والاكتئاب وسط "ضغوط" المدنية الحاضرة، وما تجره من ويلات، وما تتيحه من فرص ضئيلة للاستمتاع بالحياة، والطبيعة وما بها من جمال.

١٣- تقديم الفكر الرفيع ومواجهة تيارات الإسفاف والقشرية التي تحاصر." (٢)

"جعلوا كتاب الله نصب عيونهم ... وتفهموه وقدموه وعظموا

عدنا وعاد إلى الحقيقة تاجها ... وانجابت الظلما وهش الموسم

الذل عار والتأخر سبة ... والجبن صاب والإهانة علقم

---

(١) نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم السيد الجميلي ص/١٣

(٢) فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق المقال الصحفي محمود أدهم ص/٢٩

والمجد للإسلام ليس لغيره ... وبنوه بالتمجيد ما أحراهم

والقصيدة طويلة لأن الشاعر نفسه طويل في الشعر، يتدفق في شعره كما يتدفق السيل من عل، مع عمق المعنى وحضارة الفكرة، وشرف المقصد والهدف، وعذوبة الأسلوب وخفة التركيب، وجمال التصوير، وسحر الإيحاء، والصدق في العاطفة والتجربة والمشاعر.

أما قصيدة: "هي الظلام هي مشاعر النور"، فقد ذكر الشاعر أنه نظمها وهو طالب بالسنة الرابعة في كلية اللغة العربية في ظلام الليل للحفاظ على مشاعر إخوانه الطلاب النائمين، فلم يشأ أن يقلق مضاجعهم بالنور، وأمسك بالقلم وظل يكتب في الظلام حتى الفجر، لكنه وجد الكلمات متداخلة، لكن الشعر شعره، فقرأها وها هو مطلعها:

حرقت مقلتي وهد بناني ... واعتراني الضنا وغامت سمائي

فإذا القلب في الهموم غريق ... بعد أنس وراحة وهناء

وإذا النفس تنزوي في **اكتئاب** ... وعذاب عن ساحة الأقرباء

أيها القلب ما عهدتك تجفو ... لحبيب ممنع في الخباء

ربة الطهر أرجوك لا تعذليني ... واعذروني إن غبت يا أصدقائي

إن في القدس لوعة وحريقا ... وبكاء أولا ككل بكاء

فيهودا تعبث فيه فسادا ... وتنادي بالشر والبلواء

وتسوم الأطفال ذبحا وفتكا ... وهموا في الصفاء مثل الماء

وتسوم الأعراض هتكا وعضا ... في افتراس الفضائل البيضاء١

وأما القصيدة التي حازت الجائزة الأولى في هذه المسابقة لنادي أبها الأدبي في عام ١٤٠٠هـ، فهي للشاعر حسن يحي ضائحي بعنوان: "حدث بيننا" يقول منها:

أنا عنك يا ذات الخمار ... إذا دعا داعي الحروب

أنا عنك في حمل السلاح ... وفي مجابهة الخطوب

---

١ جريدة المدينة: الأربعاء ٤ من رجب ١٣٩٩هـ، ص٧.." (١)

"الخيال والصور الأدبية:

وتضطره اللهجة الجنوبية في الأسلوب من حين لآخر أن يعبر بما يدور على اللسان العربي الفصيح فيها من إبدال الظاء ضادا على عاداتهم منذ القدم، فيقولون: "تلمضت"، واللهجة القرشية تنطقها "تلمظت" بالظاء، والمعنى واحد، وتردد ذلك في شعر الهيكل فيقول:

ولولا وفائي ما تلمضت صابرا١

---

(١) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية علي علي صبح ص/٢٧٠

ويقول في موطن آخر:

وتلمضت على نار وقد جاءت رسالة٢

ومن روائع صور الخيال القوية الحية ما جاء في مقطوعته "بوح" يقول:

أبها.. ويبسم كل محروب ... أبها.. ويفرح كل منكوب

أبها.. وكل الكون أبعدني ... وجذبتني فرأيت تقريبي

وحضنتني وأنا الشريد فلم ... أحزن لمأساتي وتعذيبي

إني انتهيت إلى حنانك يا ... شجني وسعدي وتأويبي

من أين ... لا أدري سوى سبب ... لا زال يجذبني ويغري بي٣

وكذلك نجد الخيال الخصب، والتصوير البديع الرائع في صور كثيرة، مثل ما جاء في قصيدة "سوق":

يا شادنا وسرار القلب مرتعه ... والحس إما غفت عيناه مضجعه

وفي الحشاء منه نار بات يوقدها ... هجرانه وصدود ظل يصنعه

آهات صب وأنات يرددها ... ونحو عمق الشكاة الحزن يدفعه

تعنو إليه بتاريخ الجوى سحرا ... وتحتويه مع الآصال أدمعه

متيم ليس يدري كيف حل به ... خطب الغرام فأضحى الهم يتبعه

وليسيسامر الليل والأفلاك **مكتئبا** ... أم أن ترديده آه الحزن ينفعه

يدري أذرف الدمع يسعفه ... لعلها من عذاب السهد تنزعه٤

---

١ الأرض.. والحب: ٣٣.

٢ طيفان.. على نقطة الصفر: ١٢٦.

٣ الأرض.. والحب: ٢٢.

٤ الأرض.. والحب: ٣٩/ ٤١.." (١)

"صور جزئية بديعة رائعة، جاد بها خيال الشاعر، وهو يحلق في حزنه وآهاته وأناته، فالهجران يوقد لهيبا في أحشائه، وهو في صدود مستمر يردد الأنات، وتدفعه الأحزان المريرة إلى الشكوى والتساؤل، وتنتابه بتاريخ الجوى، وحرارة الدموع في الآصال وفي الأسحار، فهو صريع لا يدري من صرعه، هل الغرام؟ أم الهم؟ كما لا يدري هل الدموع المنهمرة هي التي تطفئ نار الشوق، أم ترديد الآهات والأنات، ويظل كذلك يساهر الليل **مكتئبا**، ويرعى النجوم مسامرا، لعلها تشغله عما يعانيه من سهد، وما يتجرعه من مرارة الصبابة.

ومن هذه الصور الرائعة ما جاء في قصيدة "عذابان":

---

(١) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية علي علي صبح ص/٣٤٠

أنت أغلى في فؤادي من دعاء مستجاب

أنت يا ملهمتي أحلى من الشهد المذاب

أدركيني فأنا أضنى وفاء لا انتحاب

وبلا أجنحة حلقت لكن لا أهاب

فالهوى ينساب من نبعك أحلى انسياب

اتركيه كي يروي ظمئي من ذي الشراب

وحنين داخل أضحى وصبري في احتراب

لست أدري أي هذين قد استولى الركاب

فبقي في القلب يحيا في ذهاب وإياب

أهو الصبر أم الشوق وفي كل عذاب

تبت من ذنبي ولكن منك مالي متاب١

والخيال الرائع يظهر في قوله: "هي أغلى من الدعاء المستجاب"، وهي "أحلى من الشهد المذاب"، وهو "يتعذب وفاء لا انتحاب"، ويحلق بخياله بلا أجنحة، والهوى كالماء ينساب أحلى انسياب، والحنين والصبر في احتراب، والقلب يحيا في ذهاب وإياب، وهو لا يدري أين العذاب في الصبر أم في الاشتياق؟ والتوبة لا من الذنب ولكن منها المتاب.

صور بديعة تنساب في التأثير على العاطفة والقلب كانسياب الماء إلى الظمآنن ويهتز لها الوجدان، كما تمايل الأغصان لنسيم الصباح، وكذلك من الصور اللطيفة العذبة، والخيال الخفيف المحلق قوله في قصيدة "السر العجيب":

---

١ الأرض ... والحب: ٦٩/ ٧٠.." (١)

"ومن الخير الصلاة قبل الخروج من المنزل، ثم الدعاء بعد الصلاة بقوله: "اللهم إنى أتقرب بهن إليك فاجعلهن خليفتي في أهلي ومالي"، ففي كنز العمال: (ما استخلف العبد في أهله من خليفة إذا هو شد عليه ثياب سفره خيرا من أربع ركعات يضعهن في بيته يقرأ في كل واحدة منهن بفاتحة الكتاب و ﴿قل هو الله أحد﴾ ، ثم يقول: اللهم إني أتقرب بهن إليك فاجعلهن خليفتي في أهلي ومالي) (١) .

ويستحب للمسافر حين عوده من السفر ووصوله أن يدخل أقرب مسجد ويصلي فيه ركعتين، ففي الحديث النبوي: (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه) (٢) ، وما أجمل محافظة الإنسان على صلاة الفريضة والنفل في الحضر والسفر، وملازمة الذكر والدعاء.

ولعل قائل يقول: ولم المحافظة على الصلاة والدعاء؟ وما الفائدة من ذلك؟

قلنا: لأن الإنسان بحاجة إلى قوة روحية ترفع من نفسيته على وجه الاستمرار إلى مثل عليا، فالإنسان إذا لم تتصل روحه

---

(١) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث لجنوب المملكة العربية السعودية علي علي صبح ص/٣٤١

بمبدعها ظهرت فيه مظاهر الوحشة **والاكتئاب**، وقد يظن أن وحشته **واكتئابه** حصلا لعدم أخذ الإنسان حظه من الملهيات، فيصاب باليأس والإحباط وربما ألقى نفسه في

---

(١) – انظر جامع الأحاديث للسيوطي ج١٨ص٤٠٥ حديث (١٩٧٣٨) ، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى: ٩٧٥هـ) ، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، ج٦ص٧١٤ حديث (١٧٥٣٥) ، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ١٩٨١م.

(٢) – أخرجه البخاري في صحيحه باب إذا قدم من سفر.." (١)

"حبا يبعث على الرحمة والرأفة والإخاء والمودة والصداقة والصدق والطاعة والشجاعة والبر، وربما جعلت المحبة المفرطة من المحب أعمى لا يدرك إلا ما يحب، وربما تابع المحبوب على غير بصر ولا هدى، وفي الحديث النبوي: (حبك الشيء يعمي ويصم) (١) ، وهو في الأمثال السائرة: "حبك الشيء يعمي ويصم" أي يخفي عليك مساويه ويصمك عن سماع العذل فيه (٢) ، فللمحبة في سلوك الإنسان، وفي عبادته، وفي غدوه ورواحه، وفي إقامته وانتقاله، وفي أعماله وآماله، الأثر الكبير.

فإذا غمر الحب قلب المحب ترك آثاره كبيرة في كلام الإنسان، وملامح وجهه وتصرفاته، ومواقفه من الآخرين، بل ومن الكون كله، قل ما يفارق الإنسان ذلك في صباه وشبابه وشيخوخته، ومن نعم الحب أنه يجرد الإنسان من الغربة والوحشة، فيشعر المحب بأن كل ما في الوجود معجب محبوب، فهو مصدر الشعر والفنون الجميلة، وهو الذي يولد القوة، ويطرد **الاكتئاب**، ويحث على العمل، ويحفز على الإبداع والانتصار على الشدائد والصعاب، المرغب في طاعة الله الملك الوهاب.

---

(١) – أخرجه أبو داود في سننه باب في الهوى حديث (٥١٣٠) .

(٢) – مجمع الأمثال للميداني ص١٩٦.." (٢)

"مفردات الحب

يتميز المحبون من الناس لخالقهم، ولما أودعه الله في هذا الكون من نعم؛ بالعواطف النبيلة، وحسن التعبير، وللعرب في العواطف الإنسانية قصب السبق.

وقد تحدث الكثير من الباحثين: بأن للمحبة في لسان العرب ستين اسما، نذكر منها على سبيل المثال ما أورده الإمام ابن القيم في روضة المحبين ونزهة المشتاقين: "المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصبابة، والشغف، والمقة، والوجد، والكلف، والتتيم، والعشق، والجوى، والدنف، والشجو، والشوق، والخلابة، والبلابل، والتباريح، والسدم، والغمرات، والوهل، والشجن، والاعلاج، **والاكتئاب**، والوصب، والحزن، والكمد، واللذع، والحرق، والسهد، والأرق، واللهف، والحنين، والاستكانة،

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي ٢١٧/١

(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي ٤٢٤/١

والتبالة، واللوعة، والجنون، والفتون، واللمم، والخبل، والرسيس، والداء المخامر، والود، والخلة، والحلم، والغرام، والهيام، والتدليه، والوله، والتعبد". (١)

ضرورة الحب وحاجة الناس إليه

يمثل الحب عاطفة إنسانية نبيلة، ونعمة ربانية جليلة؛ تلبي متطلبات الإنسان في حياته، وتسعده في أغلب أوقاته، فعاطفة الإنسان وحبه تلبي رغبته الفطرية والضرورية، فينتشر التعاطف والتلاطف؛ الذي يحصل به التآلف، والمشاركة في بناء الحياة، ألا ترى أن الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (٢) ، والتعارف يؤدي إلى التآلف الذي يعلمنا أدب القول وحسن التصرف، فما الحضارات التي تشهدها البشرية إلا ثمرة من

---

(١) - روضة المحبين ونزهة المشتاقين للعلامة شمي الدين محمد بن أبي بكر القيم الجوزية، تحقيق الدكتور السيد الجميلي ص٣١ ، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

(٢) - سورة الحجرات الآية (١٣) .." [1]

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال حسين بن محمد المهدي ٤٢٥/١